



كتاب تفسير للقاضي بيضاوي

هذه النسخة الجليلة من وقف سلطان الاعظم
جنتمكان السلطان بن السلطان الغازي
محمود خان وقفا صحيحا لمن طالع
وافاد اعظم الله اجره يوم
التناد حرره الفقير السيد
علي زهدي المأمور
بأوقاف الحرمين
الشريفين
غفر له

١٥١

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا فتحدى باقصر سورة من سوره مصاقع
الخطباء من العرب العرباء فلم يجد به قديرا وافحم من تصدى لمعارضته من فصحاء عدنان وبلغاء
قحطان حتى حسبوا انهم سحروا تسحيرا ثم بين للناس ما نزل اليهم حسبما عن لهم من مصالحهم
ليدبروا اياته وليتذكر اولوا الالباب تذكيرا فكشف قناع الانغلاق عن ايات محكمات
هن ام الكتاب واخر متشابهات هي رموز الخطاب تاويلا وتفصيلا وابرز غوامض الحقائق
ولطائف الدقائق ليتجلى لهم خفايا الملك والملكوت وخبايا قدس الجبروت ليتفكروا فيها
تفكيرا ومهد لهم قواعد الاحكام واوضاعها من نصوص الايات والماعها ليذهب عنهم الرجس
ويطهرهم تطهيرا فمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد فهو في الدارين حميد وسعيد
ومن لم يرفع اليه راسه واطفا نبراسه يعش فيهما مذموما ويصلى سعيرا فيا واجب الوجود ويا
فائض الجود ويا غاية كل مقصود صل عليه صلاة توازي غناءه وتجازي عناءه وعلى من
اعانه وقرر تبيانه تقريرا وافض علينا من بركاتهم واسلك بنا مسالك كراماتهم وسلم علينا
وعليهم تسليما كثيرا **وبعد** فان اعظم العلوم مقدارا وارفعها شرفا ومنارا علم التفسير
الذي هو رئيس العلوم الدينية وراسها ومبنى قواعد الشرع واساسها لا يليق لتعاطيه والتصدي
للتكلم فيه الا من برع في العلوم الدينية كلها اصولها وفروعها وفاق في الصناعات العربية
والفنون الادبية بانواعها ولطالما احدث نفسي بان اصنف في هذا الفن كتابا يحتوي
على صفوة ما بلغني من عظماء الصحابة وعلماء التابعين ومن دونهم من السلف الصالحين وينطوي
على نكت بارعة ولطائف رائعة استنبطتها انا ومن قبلي من افاضل المتاخرين واماثل المحققين
ويعرب عن وجوه القراءات المشهورة المعزية الى الائمة الثمانية المشهورين والشواذ المروية

عن القراء المعتبرين الا ان قصور بضاعتي يثبطني عن الاقدام ويمنعني عن الانتصاب في هذا
المقام حتى سنح لي بعد الاستخارة ما صمم به عزمي على الشروع فيما اردته والاتيان بما قصدته
فها انا الان اشرع وبحسن توفيقه اقول وهو الموفق لكل خير ومعطي كل سول ناويا
ان اسميه بعد الاتمام بانوار التنزيل واسرار التاويل **سورة فاتحة الكتاب** وتسمى ام القرآن
لانها مفتتحه ومبدؤه فكانها اصله ومنشؤه ولذلك تسمى اساسا او لانها تشتمل على ما فيه
من الثناء على الله تعالى والتعبد بامره ونهيه وبيان وعده ووعيده او على جملة معانيه من الحكم
النظرية والاحكام العملية التي هي سلوك الطريق المستقيم والاطلاع على مراتب السعداء ومنازل
الاشقياء وسورة الكنز والوافية والكافية لذلك وسورة الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسألة
لاشتمالها عليها والصلاة لوجوب قراءتها او استحبابها فيها والشافية والشفاء لقوله عم
هي شفاء لكل داء والسبع المثاني لانها سبع ايات بالاتفاق الا ان منهم من عد التسمية اية
دون انعمت عليهم ومنهم من عكس وتثنى في الصلاة او الانزال ان صح انها نزلت بمكة حين
فرضت الصلاة وبالمدينة لما حولت القبلة وقد صح انها مكية لقوله تعالى ولقد آتيناك
سبعا من المثاني وهو مكي بسم الله الرحمن الرحيم من الفاتحة وعليه قراء مكة والكوفة و
فقهاؤهما وابن المبارك والشافعي وخالفهم قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها ومالك
والاوزاعي ولم ينص ابو حنيفة فيه بشيء فظن انها ليست من السورة عنده وسئل محمد بن الحسن عنها
فقال ما بين الدفتين كلام الله لنا احاديث كثيرة منها ما روى ابو هريرة انه عم قال فاتحة الكتاب
سبع ايات اولاهن بسم الله الرحمن الرحيم وقول ام سلمة رض قرا رسول الله عم الفاتحة وعد
بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين اية ومن اجلها اختلف في انها اية براسها او بما بعدها
والاجماع على ان ما بين الدفتين كلام الله تعالى والوفاق على اثباتها في المصاحف مع المبالغة في تجريد
القرآن حتى لم يكتب امين والباء متعلقة بمحذوف تقديره بسم الله اقرا لان الذي يتلوه مقروء
وكذلك يضمر كل فاعل ما يجعل التسمية مبدأ له وذلك اولى من ان يضمر ابدا لعدم ما يطابقه وما
يدل عليه او ابتدائي لزيادة اضمار فيه وتقديم المعمول ههنا اوقع كما في قوله تعالى بسم الله مجريها
ومرسيها وقوله تعالى اياك نعبد لانه اهم وادل على الاختصاص وادخل في التعظيم واوفق

للوجود فان اسمه تعالى مقدم على القراءة كيف وقد جعل التها من حيث ان الفعل لا يتم ولا يعتد به
شرعا ما لم يصدر باسمه تعالى لقوله عم كل امر ذي بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو ابتر وقيل الباء
للمصاحبة والمعنى متبركا باسم الله اقرأ وهذا وما بعده مقول على السنة العباد ليعلموا كيف
يتبرك باسمه ويحمد على نعمه ويسأل من فضله وانما كسرت ومن حق الحروف المفردة ان تفتح
لاختصاصها بلزوم الحرفية والجر كما كسرت لام الامر ولام الاضافة داخلة على المظهر للفصل
بينها وبين لام التأكيد والاسم عند البصريين من الاسماء التي حذفت اعجازها لكثرة الاستعمال
وبنيت اوائلها على السكون وادخل عليها مبتدأ بها همزة الوصل لان من دأبهم ان يبتدؤا بالمتحرك
ويقفوا على الساكن ويشهد له تصريفه على اسماء واسامي وسمي وسميت ومجيء سمى كهدى لغة فيه
قال واسماك سمى مباركا آثرك الله به ايثاركا والقلب بعيد غير مطرد واشتقاقه من السمو
لانه رفعة للمسمى وشعار له ومن السمة عند الكوفيين واصله وسم حذفت الواو وعوضت
عنها همزة الوصل ليقل اعلاله ورد بان الهمزة لم تعهد داخلة على ما حذف صدره في كلامهم
ومن لغاته سم وسم قال باسم الذي في كل سورة سمه والاسم ان اريد به اللفظ فغير
المسمى لانه يتألف من اصوات مقطعة غير قارة ويختلف باختلاف الامم والاعصار ويتعدد
تارة ويتحد اخرى والمسمى لا يكون كذلك وان اريد به ذات الشيء فهو المسمى لكنه لم يشتهر
بهذا المعنى وقوله سبح اسم ربك المراد به اللفظ لانه كما يجب تنزيه ذاته وصفاته عن
النقائص يجب تنزيه الالفاظ الموضوعة لها عن الرفث وسوء الادب او الاسم فيه مقحم
كما في قول الشاعر الى الحول ثم اسم السلام عليكما وان اريد به الصفة كما هو رأي الاشعري
انقسم انقسام الصفة عنده الى ما هو نفس المسمى والى ما هو غيره والى ما هو ليس هو ولا غيره
وانما قال بسم الله ولم يقل بالله لان التبرك والاستعانة بذكر اسمه او للفرق بين
اليمين والتيمن ولم تكتب الالف على ما هو وضع الخط لكثرة الاستعمال وطولت الباء
عوضا عنها والله اصله اله فحذفت الهمزة وعوض عنها الالف واللام ولذلك قيل
يا الله بالقطع الا انه مختص بالمعبود بالحق والاله في اصله لكل معبود ثم غلب
على المعبود بالحق واشتقاقه من اله الاهة والوهة والوهية بمعنى عبد ومنه تأله

اذ العقول تتحير في معرفته او من الهت الى فلان اي سكنت اليه لان القلوب تطمئن بذكره والارواح تسكن الى معرفته

واستأله وقيل من اله اذا تحير اذا فزع من امر نزل عليه وآلهه غيره اجاره اذ العابد يفزع
اليه وهو يجيره حقيقة او بزعمه او من اله الفصيل اذا اولع بامه اذ العباد مولعون
بالتضرع اليه في الشدائد او من وله اذا تحير وتخبط عقله وكان اصله ولاه فقلبت الواو
همزة لاستثقال الكسرة عليها استثقال الضمة في وجوه فقيل اله كاعاء واشاح
ويرده الجمع على آلهة دون اولهة وقيل اصله لاه مصدر لاه يليه ليها ولاها اذا احتجب
وارتفع لانه تعالى محجوب عن ادراك الابصار ومرتفع على كل شيء وعما لا يليق به
ويشهد له قول الشاعر كحلفة من ابي رباح يشهدها لاهه الكبار وقيل علم لذاته المخصوصة
لانه يوصف ولا يوصف به ولانه لا بد له من اسم تجري عليه صفاته ولا يصلح له مما
يطلق عليه سواه ولانه لو كان وصفا لم يكن قول لا اله الا الله توحيدا مثل لا اله
الا الرحمن فانه لا يمنع الشركة والاظهر انه وصف في اصله لكنه لما غلب عليه بحيث لا يستعمل
في غيره وصار كالعلم مثل الثريا والصعق اجري مجراه في اجراء الوصف عليه وامتناع
الوصف به وعدم تطرق احتمال الشركة اليه لان ذاته من حيث هو بلا اعتبار امر آخر حقيقي
او غيره غير معقول للبشر فلا يمكن ان يدل عليه بلفظ ولانه لو دل على مجرد ذاته المخصوص
لما افاد ظاهر قوله تعالى وهو الله في السموات معنى صحيحا ولان معنى الاشتقاق هو كون
احد اللفظين مشاركا للآخر في المعنى والتركيب وهو حاصل بينه وبين الاصول المذكورة
وقيل اصله لاها بالسريانية فعرب بحذف الالف الاخيرة وادخال اللام عليه وتفخيم
لامه اذا انفتح ما قبله او انضم سنة وقيل مطلقا وحذف الفه لحن تفسد به الصلوة ولا
ينعقد به صريح اليمين وقد جاء لضرورة الشعر الا لا بارك الله في سهيل اذا ما الله
بارك في الرجال الرحمن الرحيم اسمان بنيا للمبالغة من رحم كالغضبان من غضب والعليم
من علم والرحمة في اللغة رقة القلب وانعطاف يقتضي التفضل والاحسان ومنه الرحم
لانعطافها على ما فيها واسماء الله تعالى انما تؤخذ باعتبار الغايات التي هي افعال دون
المبادي التي تكون انفعالات والرحمن ابلغ من الرحيم لان زيادة البناء تدل على زيادة المعنى
كما في قطع وقطع وكبار وكبار وذلك انما يؤخذ تارة باعتبار الكمية وتارة باعتبار الكيفية

فعلى الاول قيل يا رحمن الدنيا لانه يعم المؤمن والكافر ورحيم الآخرة لانه يخص المؤمن
وعلى الثاني قيل يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا لان النعم الاخروية كلها جسام
واما النعم الدنيوية فجليلة وحقيرة وانما قدم والقياس يقتضي الترقي من الادنى الى
الاعلى لتقدم رحمة الدنيا ولانه صار كالعلم من حيث انه لا يوصف به غيره لان معناه
المنعم الحقيقي البالغ في الرحمة غايتها وذلك لا يصدق على غيره لان من عداه فهو مستعيض بلطفه
وانعامه يريد به جزيل ثواب او جميل ثناء او مزيح رقة الجنسية او حب المال عن القلب
ثم انه كالواسطة في ذلك لان ذات النعم ووجودها والقدرة على ايصالها والداعية
الباعثة عليه والتمكن من الانتفاع بها والقوى التي بها يحصل الانتفاع الى غير ذلك
من خلقه لا يقدر عليها احد غيره او لان الرحمن لما دل على جلائل النعم واصولها ذكر الرحيم
ليتناول ما خرج منها فيكون كالتتمة والرديف له او للمحافظة على رؤس الآي والاظهر
انه غير منصرف وان حظر اختصاصه بالله ان يكون له مؤنث على فعلى او فعلانة الحاقا
بالاغلب في بابه وتخصيص التسمية بهذه الاسماء ليعلم العارف ان المستحق لان يستعان به
في مجامع الامور هو المعبود الحقيقي الذي هو مولى النعم كلها عاجلها وآجلها جليلها
وحقيرها بشراشره الى جناب القدس ويتمسك بحبل التوفيق ويشغل سره بذكره
والاستمداد به عن غيره الحمد لله الحمد هو الثناء على الجميل الاختياري من نعمة او غيرها
والمدح هو الثناء على الجميل مطلقا تقول حمدت زيدا على علمه وكرمه ولا تقول حمدته
على حسنه بل مدحته وقيل هما اخوان والشكر مقابلة النعمة قولا وعملا واعتقادا
قال افادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا فهو اعم منهما من وجه واخص
من آخر ولما كان الحمد من شعب الشكر اشيع للنعمة وادل على مكانها لخفاء الاعتقاد وما
في آداب الجوارح من الاحتمال جعل رأس الشكر والعمدة فيه وقال عم الحمد لله رأس
الشكر ما شكر الله من لم يحمده والذم نقيض الحمد والكفران نقيض الشكر ورفعه
بالابتداء وخبره لله فتجدده وحدوثه وهو من المصادر التي تنصب بافعال مضمرة
لا تكاد تستعمل معها والتعريف فيه للجنس ومعناه الاشارة الى ما يعرفه كل احد ان الحمد

ما هو وقيل للاستغراق اذ الحمد في الحقيقة كله له اذ ما من خير الا وهو موليه بوسط
او بغير وسط كما قال تعالى وما بكم من نعمة فمن الله وفيه اشعار بانه تعالى حي قادر مريد
عالم اذ الحمد لا يستحقه الا من كان هذا شانه وقرئ الحمد لله باتباع الدال اللام وبالعكس
تنزيلا لهما من حيث انهما يستعملان معا منزلة كلمة واحدة رب العالمين الرب في الاصل
بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا ثم وصف به تعالى للمبالغة كالصوم والعدل
وقيل هو نعت من ربه يربه فهو رب كقولك نم ينم فهو نم ثم سمي به المالك لانه
يحفظ ما يملكه ويربيه ولا يطلق على غيره تعالى الا مقيدا كقوله ارجع الى ربك والعالم
اسم لما يعلم به كالخاتم والقالب غلب فيما يعلم به الصانع وهو كل ما سواه من الجواهر
والاعراض فانها لامكانها وافتقارها الى مؤثر واجب لذاته تدل على وجوده وانما
جمعه ليشمل ما تحته من الاجناس المختلفة وغلب العقلاء منهم فجمعه بالياء والنون كسائر
اوصافهم فان كل واحد منهم عالم من حيث انه يشتمل على نظائر ما في العالم الكبير من الجواهر
والاعراض يعلم بها الصانع كما يعلم بما ابدعه في العالم الكبير ولذلك سوى بين النظر فيهما وقال
الله تعالى وفي الارض آيات للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون وقرئ رب العالمين
بالنصب على المدح او النداء او بالفعل الذي دل عليه الحمد وفيه دليل على ان الممكنات
كما هي مفتقرة الى المحدث حال حدوثها فهي مفتقرة الى المبقي حال بقائها الرحمن الرحيم
كرره للتعليل على ما سنذكره مالك يوم الدين قراءة عاصم والكسائي ويعقوب ويعضده
قوله تعالى يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله وقرأ الباقون ملك وهو
المختار لانه قراءة اهل الحرمين ولقوله تعالى لمن الملك اليوم ولما فيه من التعظيم والمالك
هو المتصرف في الاعيان المملوكة كيف شاء من الملك والملك هو المتصرف بالامر والنهي
في المامورين من الملك وقرئ ملك بالتخفيف وملك بلفظ الفعل ومالكا بالنصب على المدح
او الحال ومالك بالرفع منونا ومضافا على انه خبر مبتدأ محذوف وملك مضافا
بالرفع والنصب ويوم الدين يوم الجزاء ومنه كما تدين تدان وبيت الحماسة
ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا اضاف اسم الفاعل الى الظرف اجراء له مجرى

المفعول به على الاتساع كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار ومعناه ملك الامور يوم
الدين على طريقة ونادى اصحاب الجنة او له الملك فى هذا اليوم على وجه الاستمرار
ليكون الاضافة حقيقية معدة لوقوعه صفة للمعرفة وقيل الدين الشريعة وقيل
الطاعة والمعنى يوم جزاء الدين وتخصيص اليوم بالاضافة اما لتعظيمه او لتفرده
تعالى بنفوذ الامر فيه واجراء هذه الاوصاف على الله تعالى من كونه ربا للعالمين موجدا
لهم منعما عليهم بالنعم كلها ظاهرها وباطنها عاجلها وآجلها مالكا لامورهم يوم
الثواب والعقاب للدلالة على انه الحقيق بالحمد لا احد احق به منه بل لا يستحقه
على الحقيقة سواه فان ترتب الحكم على الوصف يشعر بعليته له وللاشعار من طريق المفهوم
على ان من لم يتصف بتلك الصفات لا يستاهل لان يحمد فضلا عن ان يعبد ليكون دليلا
على ما بعده فالوصف الاول لبيان ما هو الموجب للحمد وهو الايجاد والتربية والثانى
والثالث للدلالة على انه متفضل بذلك مختار فيه ليس يصدر منه لايجاب بالذات
او وجوب عليه قضية لسوابق الاعمال حتى يستحق به الحمد والرابع لتحقيق الاختصاص
وانه مما لا يقبل الشركة فيه بوجه ولتضمن الوعد للحامدين والوعيد للمعرضين اياك نعبد
واياك نستعين ثم انه لما ذكر الحقيق بالحمد ووصف بصفات عظام تميز بها عن سائر
الذوات وتعلق العلم بمعلوم معين خوطب بذلك اى يا من هذا شانه نخصك بالعبادة
والاستعانة ليكون ادل على الاختصاص وللترقى من البرهان الى العيان والانتقال
من الغيبة الى الشهود فكان المعلوم صار عيانا والمعقول مشاهدا والغيبة حضورا بنى اول الكلام على ما هو مبادى حال العارف من الذكر والفكر
والتامل فى اسمائه والنظر فى آلائه والاستدلال بصنائعه على عظم شانه وباهر سلطانه
ثم قفى بما هو منتهى امره وهو ان يخوض لجة الوصول ويصير من اهل المشاهدة فيراه
عيانا ويناجيه شفاها اللهم اجعلنا من الواصلين الى العين دون السامعين للاثر
ومن عادة العرب التفنن فى الكلام والعدول من اسلوب الى آخر تطرية له وتنشيطا
للسامع فيعدل من الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة الى التكلم وبالعكس كقوله تعالى حتى اذا
كنتم فى الفلك وجرين بهم وقوله والله الذى ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه

وقول امرئ القيس تطاول ليلك بالاثمد ونام الخلى ولم ترقد وبات وباتت
له ليلة كليلة ذى العاير الارمد وذلك من نبا جاءنى وخبرته عن ابى الاسود
واياضمير منصوب منفصل وما يلحقه من الياء والكاف والهاء حروف زيدت لبيان
التكلم والخطاب والغيبة لا محل لها من الاعراب كالتاء فى انت والكاف فى ارايتك
وقال الخليل اياه مضاف اليها واحتج بما حكاه عن بعض العرب اذا بلغ الرجل
الستين فاياه وايا الشواب وهو شاذ لا يعتمد عليه وقيل هى الضماير واياعمدة
فانها لما فصلت عن العوامل تعذر النطق بها مفردة فضم اليها ايا لتستقل به وقيل
قيل الضمير هو المجموع وقرئ اياك بفتح الهمزة وهياك بقلبها هاء والعبادة
اقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه طريق معبد اى مذلل وثوب ذو عبدة
اذا كان فى غاية الصفاقة ولذلك لا يستعمل الا فى الخضوع لله تعالى والاستعانة
طلب المعونة وهى اما ضرورية او غير ضرورية والضرورية ما لا يتاتى الفعل دونه
كاقتدار الفاعل وتصوره وحصول آلة ومادة يفعل بها فيها وعند استجماعها
يوصف الرجل بالاستطاعة ويصح ان يكلف بالفعل وغير الضرورية تحصيل
ما يتيسر به الفعل ويسهل كالراحلة فى السفر للقادر على المشى او يقرب الفاعل
الى الفعل ويحثه عليه وهذا القسم لا يتوقف عليه صحة التكليف والمراد طلب المعونة
فى المهمات كلها او فى اداء العبادات والضمير المستكن فى الفعلين للقارئ ومن معه
من الحفظة وحاضرى الجماعة او له ولسائر الموحدين ادرج عبادته فى تضاعيف
عباداتهم وخلط حاجته بحاجتهم لعلها تقبل ببركتها وتجاب اليها ولهذا شرعت
الجماعة وقدم المفعول للتعظيم والاهتمام به والدلالة على الحصر ولذلك قال
ابن عباس رضى الله عنه معناه نعبدك ولا نعبد غيرك وتقديم ما هو مقدم فى الوجود
والتنبيه على ان العابد ينبغى ان يكون نظره الى المعبود اولا وبالذات ومنه الى العبادة
لا من حيث انها عبادة صدرت عنه بل من حيث انها نسبة شريفة اليه ووصلة
بينه وبين الحق فان العارف انما يحق وصوله اذا استغرق فى ملاحظة جناب

القدس وغاب عما عداه حتى انه لا يلاحظ نفسه ولا حالا من احوالها الا
من حيث انها ملاحظة له ومنتسبة اليه ولذلك فضل ما حكى الله عن حبيبه حين
قال لا تحزن ان الله معنا على ما حكاه عن كليمه حيث قال ان معي ربي سيهدين
وكرر الضمير للتنصيص على انه المستعان لا غير وقدمت العبادة على الاستعانة
ليتوافق رؤس الآي ويعلم منه ان تقديم الوسيلة على طلب الحاجة ادعى الى الاجابة
واقول لما نسب المتكلم العبادة الى نفسه اوهم ذلك تبجحا واعتدادا منه بما يصدر
عنه فعقبه بقوله واياك نستعين ليدل على ان العبادة ايضا مما لا يتم ولا يستتب
له الا بمعونة منه وتوفيق وقيل الواو للحال والمعنى نعبدك مستعينين بك وقرئ
بكسر النون فيهما وهي لغة بني تميم فانهم يكسرون حروف المضارعة سوى الياء اذا لم ينضم
ما بعدها اهدنا الصراط المستقيم بيان للمعونة المطلوبة فكانه قال كيف اعينكم
فقالوا اهدنا او افراد لما هو المقصود الاعظم والهداية دلالة بلطف ولذلك
تستعمل في الخير وقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم على التهكم ومنه الهدية وهو
ادي الوحش لمقدماتها والفعل منه هدى واصله ان يعدى باللام او الى فعومل
معه معاملة اختار في قوله تعالى واختار موسى قومه سبعين وهداية الله تعالى
تتنوع انواعا لا يحصيها عد لكنها تنحصر في اجناس مترتبة الاول افاضة القوى
التي بها يتمكن المرء من الاهتداء الى مصالحه كالقوة العقلية والحواس الباطنة
والمشاعر الظاهرة والثاني نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل والصلاح
والفساد واليه اشار حيث قال تع وهديناه النجدين وقال تع فهديناهم فاستحبوا
العمى على الهدى والثالث الهداية بارسال الرسل وانزال الكتب واياها عنى بقوله
وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا وقوله ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم والرابع
ان يكشف عن قلوبهم السرائر ويريهم الاشياء كما هي بالوحي او الالهام والمنامات
الصادقة وهذا القسم يختص بنيله الانبياء والاولياء واياه عنى بقوله اولئك الذين
هدى الله فبهداهم اقتده وقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فالمطلوب

اما زيادة ما منحوه من الهدى او الثبات عليه او حصول المراتب المرتبة عليه فاذا قاله
العارف الواصل عنى به ارشدنا طريق السير فيك لتمحو عنا ظلمات احوالنا وتميط غواشي
ابداننا لنستضيء بنور قدسك فنراك بنورك والامر والدعاء يتشاركان لفظا ومعنى
ويتفاوتان بالاستعلاء والتسفل وقيل بالرتبة والسراط من سرط الطعام اذا
ابتلعه فكانه يسرط السابلة ولذلك سمي لقما لانه يلتقمهم والصراط من قلب السين
صادا ليطابق الطاء في الاطباق وقد يشم الصاد صوت الزاي ليكون اقرب الى
المبدل عنه وقرا ابن كثير ورويس عن يعقوب بالاصل وحمزة بالاشمام والباقون
بالصاد وهو لغة قريش والثابت في الامام وجمعه سرط ككتب وهو كالطريق في
التذكير والتانيث والمستقيم المستوي والمراد به طريق الحق وقيل هو ملة الاسلام
صراط الذين انعمت عليهم بدل من الاول بدل الكل وهو في حكم تكرير العامل من حيث
انه المقصود بالنسبة وفائدته التوكيد والتنصيص على ان طريق المسلمين هو المشهود
عليه بالاستقامة على آكد وجه وابلغه لانه جعل كالتفسير والبيان له فكانه من البين
الذي لا خفاء فيه ان الطريق المستقيم ما يكون طريق المؤمنين وقيل الذين انعمت عليهم
الانبياء وقيل اصحاب موسى وعيسى عم قبل التحريف والنسخ وقرئ صراط من انعمت
عليهم والانعام ايصال النعمة وهي في الاصل الحالة التي يستلذها الانسان فاطلقت
لما يستلذ من النعمة وهي اللين ونعم الله وان كانت لا تحصى كما قال تع وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها تنحصر في جنسين دنيوي واخروي والاول قسمان موهبي وكسبي
والموهبي قسمان روحاني كنفخ الروح فيه واشراقه بالعقل وما يتبعه من القوى كالفهم
والفكر والنطق وجسماني كتخليق البدن والقوى الحالة فيه والهيئات العارضة له من الصحة
وكمال الاعضاء والكسبي تزكية النفس عن الرذائل وتحليتها بالاخلاق والملكات
الفاضلة وتزيين البدن بالهيئات المطبوعة والحلى المستحسنة وحصول الجاه والمال
والثاني ان يغفر ما فرط منه ويرضى عنه ويبوئه في اعلى عليين مع الملائكة المقربين ابد
الآبدين والمراد هو القسم الاخير وما يكون وصلة الى نيله من القسم الآخر فان ما عدا ذلك

يشترك فيه المؤمن والكافر غير المغضوب عليهم ولا الضالين بدل من الذين على معنى ان
المنعم عليهم هم الذين سلموا من الغضب والضلال او صفة له مبينة او مقيدة على معنى انهم جمعوا
بين النعم المطلقة وهي نعمة الايمان وبين السلامة من الغضب والضلال او على معنى ان المنعم
عليهم هم الذين سلموا من الغضب والضلال وذلك انما يصح باحد تاويلين اجراء الموصول
مجرى النكرة اذ لم يقصد به معهود كالمحلى في قوله ولقد امر على اللئيم يسبني وقولهم
اني لامر على الرجل مثلك فيكرمني او جعل غير معرفة بالاضافة لانه اضيف الى ما له ضد
واحد وهو المنعم عليهم فيتعين تعين الحركة غير السكون وعن ابن كثير نصبه على الحال عن الضمير
المجرور والعامل انعمت او باضمار اعني او بالاستثناء ان فسر النعم بما يعم القبيلين والغضب
ثوران النفس ارادة الانتقام فاذا اسند الى الله تعالى اريد به المنتهى والغاية على ما مر
وعليهم في محل الرفع لانه نايب مناب الفاعل بخلاف الاولى ولا مزيدة لتاكيد ما في غير من
معنى النفي فكانه قال لا المغضوب عليهم ولا الضالين ولذلك جاز انا زيدا غير ضارب
كما جاز انا زيدا لا ضارب وان امتنع انا زيدا مثل ضارب وقرئ وغير الضالين
والضلال العدول عن الطريق السوي عمدا او خطاء وله عرض عريض والتفاوت
ما بين ادناه واقصاه كثير وقيل المغضوب عليهم اليهود لقوله تع من لعنه الله وغضب عليه
والضالين النصارى لقوله تع قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وقد روي مرفوعا
ويتجه ان يقال المغضوب عليهم العصاة والضالين الجاهلون بالله لان المنعم عليهم من وفق
للجمع بين معرفة الحق لذاته والخير للعمل به فكان المقابل له من اختل احدى قوتيه العاقلة
والعاملة والمخل بالعمل فاسق مغضوب عليه لقوله تع في القاتل عمدا وغضب الله عليه والمخل
بالعلم جاهل ضال لقوله تع فما بعد الحق الا الضلال وقرئ ولا الضألين بالهمزة على لغة
من جد في الهرب عن التقاء الساكنين امين اسم الفعل الذي هو استجب وعن ابن عباس رض
سالت رسول الله عم عن معناه فقال افعل بني على الفتح كاين لالتقاء الساكنين وجاء
مد الفه وقصرها قال ويرحم الله عبدا قال امينا وقال امين فزاد الله ما بيننا بعدا
وليس من القران وفاقا لكن يسن ختم السورة به لقوله عم علمني جبريل امين عند فراغي

من قراءة الفاتحة وقال انه كالختم على الكتاب وفي معناه قول علي رض امين خاتم
رب العالمين ختم به دعاء عبده يقوله الامام ويجهر به في الجهرية لما روي عن وايل
بن حجر انه عم كان اذا قرا ولا الضالين قال امين ورفع بها صوته وعن ابي حنيفة رح
انه لا يقوله والمشهور انه يخفيه كما رواه عبد الله بن مغفل وانس والماموم يؤمن
معه لقوله عم اذا قال الامام ولا الضالين فقولوا امين فان الملائكة تقول امين وان
الامام يقول امين فمن وافق تامينه تامين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه وعن ابي هريرة
ان رسول الله عم قال لابي الا اخبرك بسورة لم ينزل في التورية والانجيل والقران
مثلها قال بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقران العظيم
الذي اوتيته وعن ابن عباس قال بينا رسول الله عم اذ اتاه ملك فقال
ابشر بنورين اوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة
لن تقرا حرفا منهما الا اعطيته وعن حذيفة بن اليمان ان النبي عم قال ان القوم
ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرا صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب
العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب اربعين سنة والله اعلم بالصواب

سورة البقرة مدنية وهي مائتان وسبع وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم الم وساير الالفاظ التي يتهجى بها اسماء مسمياتها الحروف
التي ركبت منها الكلم لدخولها في حد الاسم واعتوار ما يختص به من التعريف والتنكير
والجمع والتصغير ونحو ذلك عليها وبه صرح الخليل وابو علي وما روى ابن مسعود رض
انه عم قال من قرا حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم
حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف فالمراد به غير المعنى الذي اصطلح
عليه فان تخصيصه به عرف مجدد بل المعنى اللغوي ولعله سماه باسم مدلوله ولما
كانت مسمياتها حروفا وحدانا وهي مركبة صدرت بها لتكون تاديتها بالمسمى
اول ما يقرع السمع واستعيرت الهمزة مكان الالف لتعذر الابتداء وهي ما لم تلها

العوامل مع قوتها خالية عن الاعراب لفقد موجبه ومقتضيه لكنها قابلة اياه
ومعرضة له اذ لم تناسب مبنى الاصل ولذلك قيل صٓ وقٓ مجموعا فيهما بين الساكنين
ولم تعامل معاملة اين وهولاء ثم ان مسمياتها لما كانت عنصر الكلام وبسايطه
التى تتركب منها افتتحت السور بطايفة منها ايقاظا لمن تحدى بالقران وتنبيها
على ان المتلو عليهم كلام منظوم مما ينظمون منه كلامهم فلو كان من عند غير الله لما عجزوا
عن اخرهم مع تظاهرهم وقوة فصاحتهم عن الاتيان بما يدانيه وليكون اول ما يقرع
الاسماع مستقلا بنوع من الاعجاز فان النطق باسماء الحروف مختص بمن خط ودرس
فاما من الامى الذى لم يخالط الكتاب فمستبعد مستغرب خارق للعادة كالكتابة
والتلاوة سيما وقد راعى فى ذلك ما يعجز عنه الاديب الاريب الفايق فى فنه وهو انه
اورد فى هذه الفواتح اربعة عشر اسما هى نصف اسامى حروف المعجم ان لم يعد فيها الالف
حرفا برأسها فى تسع وعشرين سورة بعددها اذا عد فيها الالف مشتملة على انصاف
انواعها فذكر من المهموسة وهى ما يضعف الاعتماد على مخرجها ويجمعها حروف ستشحثك
خصفة نصفها الحاء والهاء والصاد والسين والكاف ومن البواقى المجهورة نصفها
يجمعه لن يقطع امر ومن الشديدة الثمانية المجموعة فى اجدت طبقك اربعة يجمعها
اقطك ومن البواقى الرخوة عشرة يجمعها حمس على نصره ومن المطبقة التى هى الصاد
والضاد والطاء والظاء نصفها ومن البواقى المنفتحة نصفها ومن القلقلة وهى حروف
تضطرب عند خروجها يجمعها قد طبج نصفها الاقل لقلتها ومن اللينتين الياء لانها
اقل ثقلا ومن المستعلية وهى التى يتصعد الصوت بها فى الحنك الاعلى وهى سبعة
القاف والصاد والطاء والخاء والغين والضاد والظاء نصفها الاقل ومن
البواقى المنخفضة نصفها ومن حروف البدل وهى احد عشر على ما ذكره سيبويه
واختاره ابن جنى ويجمعها اجد طويت منها الستة الشايعة المشهورة التى
يجمعها اهطمين وقد زاد بعضهم سبعة اخرى وهى اللام فى اصيلال والصاد
والزاى فى صراط وزراط والفاء فى اجدف والعين فى اعن والثاء فى ثروغ الدلو

والباء

والباء فى باسمك حتى صارت ثمانية عشر وقد ذكر منها تسعة الستة المذكورة
واللام والصاد والعين ومما يدغم فى مثله ولا يدغم فى المقارب وهى خمسة
عشر الهمزة والهاء والعين والصاد والطاء والميم والياء والخاء والغين والفاء
والضاد والظاء والشين والزاء والواو نصفها الاقل ومما يدغم فيهما وهى
الثلثة عشر الباقية نصفها الاكثر الحاء والقاف والكاف والراء والسين
والنون واللام لما فى الادغام من الخفة والفصاحة ومن الاربعة التى لا تدغم
فيما قاربها ويدغم فيها ما يقاربها وهى الميم والزاء والسين والفاء نصفها
ولما كان الحروف الذلقية التى يعتمد عليها بذلق اللسان وهى ستة يجمعها
رب منفل والحلقية التى هى الحاء والخاء والعين والغين والهاء والهمزة كثيرة
الوقوع فى الكلام ذكر ثلثيهما ولما كانت ابنية المزيد لا يتجاوز عن السباعية
ذكر من الزوايد العشرة التى يجمعها اليوم تنساه سبعة احرف منها تنبيها على ذلك
ولو استقريت الكلام وتراكيبها وجدت الحروف المتروكة من كل جنس مكثورة بالمذكورة
ثم انه ذكرها مفردة وثنائية وثلاثية ورباعية وخماسية ايذانا بان المتحدى به
مركب من كلماتهم التى اصولها كلمات مفردة ومركبة من حرفين فصاعدا الى خمسة
وذكر ثلث مفردات فى ثلث سور لانها توجد فى الاقسام الثلثة الاسم والفعل
والحرف واربع ثنائيات لانها تكون فى الحروف بلا حذف كبل وفى الفعل بحذف
كقل وفى الاسم بغير حذف كمن وبه كوعه فى تسع سور لوقوعها فى كل واحد من
الاقسام الثلثة على ثلثة اوجه ففى الاسماء من واذ وذو وفى الافعال قل وبع
وخف وفى الحروف ان ومن ومذ على لغة من جر بها وثلث ثلاثيات لمجيئها فى الاقسام
الثلثة فى ثلثة عشرة سورة تنبيها على ان اصول الابنية المستعملة ثلثة عشر عشرة
منها للاسماء وثلثة للافعال وخماسيتين تنبيها على ان لكل منهما اصلا كجعفر وسفرجل
وملحقا كقردد وجحنفل ولعلها فرقت على السور ولم تعد باجمعها فى اول القران
لهذه الفائدة مع ما فيه من اعادة التحدى وتكرير التنبيه والمبالغة فيه والمعنى

ان هذا المتحدى به مؤلف من جنس هذه الحروف او المؤلف منها كذا وقيل
هي اسماء السور وعليه اطباق الاكثر سميت بها اشعارا بانها كلمات معروفة
التركيب فلو لم يكن وحيا من الله تعالى لم تتساقط مقدرتهم دون معارضتها
واستدل عليه بانها لو لم تكن مفهمة كان الخطاب بها كالخطاب بالمهمل والتكلم
بالزنجي مع العربي ولم يكن القرآن بأسره بيانا وهدى ولما امكن التحدي به
وان كانت مفهمة فاما ان يراد بها السور التي هي مستهلها على انها القابها او غير
ذلك والثاني باطل لانه اما ان يكون المراد ما وضعت له في لغة العرب وظاهر انه
ليس كذلك او غيره وهو باطل لان القرآن نزل على لغتهم لقوله تعالى بلسان عربي
مبين فلا يحمل على ما ليس في لغتهم لا يقال لم لا يجوز ان يكون مزيدة للتنبيه والدلالة
على انقطاع كلام واستيناف آخر كما قاله قطرب او اشارة الى كلمات هي منها اقتصرت
عليها اقتصار الشاعر في قوله قلت لها قفي لنا قالت قاف كما روي عن
ابن عباس رض انه قال الالف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه وعنه ان الر
وحم ون مجموعها الرحمن وعنه ان الم معناه انا الله اعلم ونحو ذلك في سائر
الفواتح وعنه ان الالف من الله واللام من جبريل والميم من محمد اي القرآن منزل من
الله بلسان جبريل على محمد عم او الى عدد اقوام وآجال بحساب الجمل كما قاله ابو العالية
متمسكا بما روي انه عم لما اتى اليهود تلا عليهم الم البقرة فحسبوا وقالوا كيف
ندخل في دين مدته احدى وسبعون سنة فتبسم رسول الله عم فقالوا فهل غيره فقال
المص والر والمر فقالوا خلطت علينا فلا ندري بايها ناخذ فان تلاوته
اياها عليهم وتقريرهم على استنباطهم دليل على ذلك وهذه الدلالة وان لم تكن
عربية لكنها لاشتهارها فيما بين الناس حتى العرب تلحقها بالمعربات كالمشكاة
والسجيل والقسطاس او دلالة على ان الحروف المبسوطة مقسما بها لشرفها من
حيث انها بسائط اسماء الله تعالى ومادة خطابه هذا وان القول بانها اسماء
يخرجها الى ما ليس في لغة العرب لان التسمية بثلاثة اسماء فصاعدا مستنكر عندهم

ويؤدي الى اتحاد الاسم والمسمى ويستدعي تاخر الجزء عن الكل من حيث ان
الاسم متاخر عن المسمى بالرتبة لانا نقول هذه الالفاظ لم تعهد مزيدة للتنبيه
والدلالة على الانقطاع والاستيناف يلزمها وغيرها من حيث انها فواتح السور
ولا يقتضي ذلك ان لا يكون لها معنى في حيزها ولم يستعمل للاختصار من كلمات معينة
في لغتهم اما الشعر فشاذ واما قول ابن عباس فتنبيه على ان هذه الحروف منبع
الاسماء ومبادي الخطاب وتمثيل بامثلة حسنة الا ترى انه عد كل حرف من
كلمات متباينة لا تفسير وتخصيص بهذه المعاني دون غيرها اذ لا مخصص لفظا
ومعنى ولا بحساب الجمل فتلحق بالمعربات والحديث لا دليل فيه لجواز انه تبسم
تعجبا من جهلهم وجعلها مقسما بها وان كان غير ممتنع لكنه يحوج الى اضمار اشياء
لا دليل عليها والتسمية بثلاثة اسماء انما تمتنع اذا ركبت وجعلت اسما واحدا
على طريقة بعلبك فاما اذا نثرت نثر اسماء العدد فلا وناهيك بتسوية سيبويه
بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر وطائفة من حروف المعجم والمسمى هو مجموع السورة
والاسم جزؤها فلا اتحاد وهو مقدم من حيث ذاته ومؤخر باعتبار كونه اسما
فلا دور والوجه الاول اقرب الى التحقيق واوفق للطائف التنزيل واسلم
من لزوم النقل ووقوع الاشتراك في الاعلام من واضع واحد فانه يعود بالنقض
على ما هو مقصود العلمية وقيل انها اسماء القرآن ولذلك اخبر عنها بالكتاب والقرآن
وقيل انها اسماء لله تعالى ويدل عليه ان عليا رض كان يقول يا كهيعص يا حمعسق
ولعله اراد يا منزلهما وقيل الالف من اقصى الحلق وهو مبدأ المخارج واللام من طرف
اللسان وهو وسطها والميم من الشفة وهو آخرها جمع بينها ايماء الى ان العبد
ينبغي ان يكون اول كلامه واوسطه وآخره ذكر الله تع وقيل انها سر استأثره
الله تع وقد روي عن الخلفاء الاربعة وغيرهم من الصحابة رض ما يقرب منه ولعلهم
ارادوا انها اسرار بين الله ورسوله ورموز لم يقصد بها افهام غيره اذ يبعد
الخطاب بما لا يفيد فان جعلتها اسماء الله تع او القرآن او السور كان لها حظ من

الاعراب اما الرفع فعلى الابتداء او الخبر والنصب بتقدير فعل القسم على طريقة الله
لافعلن بالنصب وغيره كما ذكر والجر على اضمار حرف القسم ويتأتى الاعراب لفظا والحكاية
فيما كانت مفردة او موازنة لمفرد كحم فانها كهابيل والحكاية ليست الا فيما عدا
ذلك وسيعود اليك ذكره مفصلا ان شاء الله تع وان بقيتها على معانيها فان
قدرت بالمؤلف من هذه الحروف كان في حيز الرفع بالابتداء او الخبر كما مر وان جعلتها
مقسما بها يكون كل كلمة منها منصوبا او مجرورا على اللغتين في الله لافعلن وتكون
جملة قسمية بالفعل المقدر له وان جعلتها ابعاض كلمات او اصواتا منزلة منزلة
حروف التنبيه لم يكن لها محل من الاعراب كالجمل المبتدأة والمفردات المعدودة ويوقف
عليها وقف التمام اذا قدرت بحيث لا يحتاج الى ما بعدها وليس شيء منها اية عند غير
الكوفيين واما عندهم فالم في مواقعها والمص وكهيعص وطه وطسم وطس وحم اية
وحم عسق ايتان والباقي ليست بايات وهذا توقيف لا مجال للقياس فيه ذلك الكتاب
ذلك اشارة الى الم ان اول بالمؤلف من هذه الحروف او فسر بالسورة او القران فانه لما
تكلم به وتقضى او وصل من المرسل الى المرسل اليه صار متباعدا اشير اليه بما يشار به الى
البعيد وتذكيره متى اريد بالم السورة لتذكير الكتاب فانه خبره او صفته الذي هو
هو او الى الكتاب فيكون صفته والمراد به الكتاب الموعود انزاله بقوله انا سنلقي عليك
قولا ثقيلا او في الكتب المتقدمة وهو مصدر سمي به المفعول للمبالغة او فعال بني للمفعول
كاللباس ثم اطلق على المنظوم عبارة قبل ان تكتب لانه مما يكتب واصل الكتب الجمع ومنه الكتيبة
لا ريب فيه معناه انه لوضوحه وسطوع برهانه بحيث لا يرتاب العاقل بعد النظر
الصحيح في كونه وحيا بالغا حد الاعجاز لا ان احدا لا يرتاب فيه الا يرى الى قوله وان كنتم
في ريب مما نزلنا على عبدنا الاية فانه ما ابعد عنهم الريب بل عرفهم الطريق المزيح له
وهو ان يجتهدوا في معارضة نجم من نجومه ويبذلوا فيها غاية جهدهم حتى اذا عجزوا
عنها تحقق لهم ان ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل للريبة وقيل معناه لا ريب فيه للمتقين
وهدى حال من الضمير المجرور والعامل فيه الظرف الواقع صفة للمنفي والريب في الاصل

مصدر رابني الشيء اذا حصل فيك الريبة وهي قلق النفس واضطرابها سمي به الشك
لانه يقلق النفس ويزيل الطمأنينة وفي الحديث دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك
ريبة والصدق طمأنينة ومنه ريب الزمان لنوائبه هدى للمتقين يهديهم الى الحق والهدى
في الاصل مصدر كالسرى والتقى ومعناه الدلالة وقيل الدلالة الموصلة الى البغية
لانه جعل مقابل الضلال قال تع لعلى هدى او في ضلال ولانه لا يقال مهدي الا
لمن اهتدى الى المطلوب واختصاصه بالمتقين لانهم المهتدون به المنتفعون بنصه وان كانت
دلالته عامة لكل ناظر من مسلم او كافر وبهذا الاعتبار قال هدى للناس ولانه
لا ينتفع بالتأمل فيه الا من صقل العقل واستعمله في تدبر الايات والنظر في المعجزات
وتعرف النبوات فانه كالغذاء الصالح لحفظ الصحة فانه لا يجلب نفعا ما لم تكن الصحة
حاصلة واليه اشار بقوله تع وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين
الا خسارا ولا يقدح ما فيه من المجمل والمتشابه في كونه هدى لما لم ينفك عن بيان تعين
المراد منه والمتقي اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة وهو في
عرف الشرع اسم لمن يقي نفسه عما يضره في الاخرة وله ثلث مراتب الاولى التوقي والثانية
التجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك حتى الصغائر عند قوم وهو المتعارف باسم التقوى
في الشرع وهو المعني بقوله تعالى ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا والثالثة ان يتنزه عما يشغل سره
عن الحق ويتبتل اليه بشراشره وهو التقوى الحقيقي المطلوب بقوله تع واتقوا الله حق تقاته
وقد فسر قوله هدى للمتقين على الاوجه الثلثة واعلم ان الاية تحتمل اوجها من الاعراب
ان يكون الم مبتدأ على انه اسم القران او السورة او مقدر بالمؤلف منها وذلك خبره وان كان
اخص من المؤلف مطلقا والاصل ان الاخص لا يحمل على الاعم لان المراد به المؤلف الكامل في
تأليفه البالغ اقصى درجات الفصاحة ومراتب البلاغة والكتاب صفة ذلك وان يكون
الم خبر مبتدأ محذوف وذلك خبرا ثانيا او بدلا والكتاب صفته ولا ريب في المشهورة مبني
لتضمنه معنى من منصوب المحل بلا العاملة عمل ان لانها نقيضها ولازمة للاسماء لزومها وفي
قراءة ابي الشعثاء مرفوع بلا التي بمعنى ليس وفيه خبره ولم يقدم كما قدم في قوله تع لا فيها

غول لانه لم يقصد تخصيص نفي الريب به من بين ساير الكتب كما قصد ثمة او صفته وللمتقين
خبره وهدى نصب على الحال او الخبر محذوف كما في لا ضير فلذلك وقف على لا ريب على ان فيه
خبر هدى قدم عليه لتنكيره والتقدير لا ريب فيه فيه هدى وان يكون ذلك مبتداء والكتاب
خبره على معنى انه الكتاب الكامل الذي يستاهل ان يسمى كتابا او صفته وما بعده خبره والجملة
خبر الم والاولى ان يقال انها اربع جمل متناسقة تقرر اللاحقة منها السابقة ولذلك لم يدخل
العاطف بينها فالم جملة دلت على ان المتحدى به هو المؤلف من جنس ما يركبون منه كلامهم
وذلك الكتاب جملة ثانية مقررة لجهة التحدي ولا ريب فيه ثالثة تشهد على كماله اذ لا كمال
اعلى مما للحق واليقين وهدى للمتقين بما يقدر له مبتداء رابعة تؤكد كونه حقا لا يحوم الشك
حوله او تستتبع السابقة منها اللاحقة استتباع الدليل للمدلول وبيانه انه لما نبه اولا
على اعجاز المتحدى به من حيث انه من جنس كلامهم وقد عجزوا عن معارضته استنتج منه انه
الكتاب البالغ حد الكمال واستلزم ذلك ان لا يتشبث الريب بطرافه اذ لا انقص مما يعتريه
الشك والشبهة وما كان كذلك كان لا محالة هدى للمتقين وفي كل واحدة منها نكتة ذات جزالة
ففي الاولى الحذف والرمز الى المقصود مع التعليل وفي الثانية فخامة التعريف وفي
الثالثة تاخير الظرف حذرا عن ايهام الباطل وفي الرابعة الحذف والتوصيف بالمصدر
للمبالغة وايراده منكرا للتعظيم وتخصيص الهدى بالمتقين باعتبار الغاية وتسمية المشارف
للتقوى متقيا ايجازا وتفخيما لشانه الذين يؤمنون بالغيب اما موصول بالمتقين على انه صفة
مجرورة مقيدة له ان فسر التقوى بترك ما لا ينبغي مترتبة عليه ترتب التحلية على التخلية والتصوير
على التصقيل او موضحة ان فسر بما يعم فعل الطاعة وترك المعصية لاشتماله على ما هو اصل
الاعمال واساس الحسنات من الايمان والصلوة والصدقة فانها امهات الاعمال النفسانية
والعبادات البدنية والمالية المستتبعة لساير الطاعات والتجنب عن المعاصي غالبا
الا ترى الى قوله تع ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقوله عم الصلوة عماد الدين
والزكوة قنطرة الاسلام او مسوقة للمدح وتخصيص الايمان بالغيب واقام الصلوة
وايتاء الزكوة بالذكر اظهارا لفضلها على ساير ما يدخل تحت اسم التقوى او على انه مدح

منصوبا او مرفوع بتقدير اعني او هم الذين واما مفصول عنه مرفوع بالابتداء وخبره اولئك
على هدى فيكون الوقف على المتقين تاما والايمان في اللغة التصديق ماخوذ من الامن كان المصدق
امن المصدق من التكذيب والمخالفة وتعديته بالباء لتضمنه معنى الاعتراف وقد يطلق بمعنى
الوثوق من حيث ان الواثق صار ذا امن ومنه ما امنت ان اجد صحابة وكلا الوجهين حسن
في يؤمنون واما في الشرع فالتصديق بما علم بالضرورة انه من دين محمد عم كالتوحيد
والنبوة والبعث والجزاء ومجموع ثلثة امور اعتقاد الحق والاقرار به والعمل بمقتضاه عند
جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج فمن اخل بالاعتقاد وحده فهو منافق ومن اخل بالاقرار
فهو كافر ومن اخل بالعمل ففاسق وفاقا وكافر عند الخوارج وخارج عن الايمان غير داخل
في الكفر عند المعتزلة والذي يدل على انه التصديق وحده انه تعالى اضاف الايمان الى القلب
فقال تع كتب في قلوبهم الايمان ولم تؤمن قلوبهم ولما يدخل الايمان في قلوبكم وعطف
عليه العمل الصالح في مواضع لا تحصى وقرنه بالمعاصي فقال وان طائفتان من المؤمنين
اقتتلوا يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم
بظلم مع ما فيه من قلة التغير فانه اقرب الى الاصل وهو متعين الارادة في الاية اذ المعدى
بالباء هو التصديق وفاقا ثم اختلف في ان مجرد التصديق بالقلب هل هو كاف لانه
المقصود او لا بد من انضمام الاقرار به للمتمكن منه ولعل الحق هو الثاني لانه تع ذم المعاند
اكثر من ذم الجاهل المقصر وللمانع ان يجعل الذم للانكار لا لعدم الاقرار والغيب مصدر
وصف به للمبالغة كالشهادة في قوله تع عالم الغيب والشهادة والعرب تسمي المطمئن من الارض
والخمصة التي تلي الكلية غيبا او فيعل خفف كقيل والمراد به الخفي الذي لا يدركه الحس
ولا تقتضيه بديهة العقل وهو قسمان قسم لا دليل عليه وهو المعني بقوله تع وعنده
مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وقسم نصب عليه دليل كالصانع وصفاته واليوم الاخر
واحواله وهو المراد به في الاية هذا اذا جعلته صلة للايمان واوقعته موقع المفعول به
وان جعلته حالا على تقدير متلبسين بالغيب كان بمعنى الغيبة والخفاء والمعنى انهم يؤمنون
غائبين عنكم لا كالمنافقين الذين اذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلوا الى شياطينهم

قالوا انا معكم او عن المؤمنين لما روي ان ابن مسعود قال والذي لا اله غيره ما آمن احد
افضل من ايمان بغيب ثم قرأ هذه الآية وقيل المراد بالغيب القلب والمعنى يؤمنون
بقلوبهم لا كمن يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم فالباء على الاول للتعدية وعلى الثاني
للمصاحبة وعلى الثالث للآلة ويقيمون الصلوة اي يعدلون اركانها ويحفظونها من ان يقع
زيغ في افعالها من اقام العود اذا قومه او يواظبون عليها من قامت السوق اذا نفقت
واقمتها اذا جعلتها نافقة قال اقامت غزالة سوق الضراب لاهل العراقين حولا قميطا
فانه اذا حوفظ عليها كانت كالنافق الذي يرغب فيه واذا ضيعت كانت كالكاسد
المرغوب عنه او يتشمرون لادائها من غير فتور ولا توان من قولهم قام بالامر واقامه اذا
جد فيه وتجلد وضده قعد عن الامر وتقاعد او يؤدونها عبر عن ادائها بالاقامة لاشتمالها
على القيام كما عبر عنها بالقنوت والركوع والسجود والتسبيح والاول اظهر لانه اشهر والى
الحقيقة اقرب وافيد لتضمنه التنبيه على ان الحقيق بالمدح من راعى حدودها الظاهرة من
الفرايض والسنن وحقوقها الباطنة كالخشوع والاقبال بقلبه على الله تع لا المصلون
الذين هم عن صلوتهم ساهون ولذلك ذكر في سياق المدح والمقيمين الصلوة وفي معرض الذم
فويل للمصلين والصلوة فعلة من صلى اذا دعا كالزكوة من زكى كتبتا بالواو على لفظ المفخم
وانما سمي الفعل المخصوص بها لاشتمالها على الدعاء وقيل اصل صلى حرك الصلوين لان المصلي
يفعله في ركوعه وسجوده واشتهار هذا اللفظ في المعنى الثاني مع عدم اشتهاره في الاول
لا يقدح في نقله عنه وانما سمي الداعي مصليا تشبيها له في تخشعه بالراكع والساجد ومما رزقناهم
ينفقون الرزق في اللغة الحظ قال تع وتجعلون رزقكم انكم تكذبون والعرف خصصه بتخصيص
الشيء بالحيوان وتمكينه من الانتفاع به والمعتزلة لما استحالوا على الله ان يمكن من الحرام لانه
منع من الانتفاع به وامر بالزجر عنه قالوا الرزق لا يتناول الحرام الا ترى انه تع اسند
الرزق ههنا الى نفسه ايذانا بانهم ينفقون الحلال المطلق فان انفاق الحرام لا يوجب المدح
وذم المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله تع بقوله قل ارأيتم ما انزل الله لكم من رزق
فجعلتم منه حراما وحلالا واصحابنا جعلوا الاسناد للتعظيم والتحريض على الانفاق والذم

لتحريم ما لم يحرم واختصاص ما رزقناهم بالحلال للقرينة وتمسكوا لشمول الرزق له بقوله ع
في حديث عمرو بن قرة لقد رزقك الله طيبا فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما احل
الله لك من حلاله وبانه لو لم يكن رزقا لم يكن المتغذي به طول عمره مرزوقا وليس كذلك
لقوله تع وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وانفق الشيء وانفده اخوان ولو استقريت
الالفاظ وجدت كل ما فاؤه نون وعينه فاء دالا على معنى الذهاب والخروج والظاهر
من هذا الانفاق صرف المال في سبيل الخير فرضا كان او نفلا ومن فسره بالزكوة ذكر افضل انواعه
والاصل فيه او خصصها بها لاقترانه بما هو شقيقها وتقديم المفعول للاهتمام به وللمحافظة
على رؤس الآي وادخال من التبعيضية عليه للكف عن الاسراف المنهي عنه ويحتمل ان يراد به
الانفاق من جميع المعارف التي منحهم الله من النعم الظاهرة والباطنة ويؤيده قوله ع من
ان علما لا يقال به ككنز لا ينفق منه واليه ذهب من قال ومما خصصناهم به من انوار المعرفة
يفيضون والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك هم مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله
بن سلام واضرابه معطوفون على الذين يؤمنون بالغيب داخلون معهم في جملة المتقين دخول
اخصين تحت اعم اذ المراد باولئك الذين آمنوا عن الشرك والانكار وهؤلاء مقابلوهم فكانت
الآيتان تفصيلا للمتقين وهو قول ابن عباس رض او على المتقين وكانه قال هدى للمتقين
عن الشرك والذين آمنوا من اهل الملل ويحتمل ان يراد بهم الاولون باعيانهم ووسط العاطف
كما وسط في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم وقوله يا لهف
زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب على معنى انهم الجامعون بين الايمان بما يدركه العقل
جملة والاتيان بما يصدقه من العبادات البدنية والمالية وبين الايمان بما لا طريق اليه غير السمع
وكرر الموصول تنبيها على تغاير القبيلين وتباين السبيلين او طائفة منهم وهم مؤمنوا اهل الكتاب
ذكرهم مخصصين عن الجملة كذكر جبرئيل وميكائيل بعد الملائكة اشارة بذكرهم وترغيبا لغيرهم
والانزال نقل الشيء من اعلى الى اسفل وهو انما يلحق المعاني بتوسط لحوقه الذوات الحاملة
لها ولعل نزول الكتب الالهية على الرسل ان يتلقفه الملك من الله تعالى تلقفا روحانيا
او يحفظه من اللوح المحفوظ فينزل به الى الرسول ويلقيه على الرسول والمراد بما انزل اليك

القرآن بأسره والشريعة عن آخرها وإنما عبر عنه بلفظ المضي وإن كان بعضه مترقبا
تغليبا للموجود على ما لم يوجد أو تنزيلا للمنتظر منزلة الواقع ونظيره قوله تع إنا سمعنا
كتابا أنزل من بعد موسى فإن الجن لم يسمعوا جميعه ولم يكن الكتاب ح منزلا كله وبما أنزل
من قبلك سائر الكتب السابقة والإيمان بهما جملة فرض عين وبالأول دون الثاني تفصيلا
من حيث إنا متعبدون بتفاصيله فرض ولكن على الكفاية لأن وجوبه على كل أحد يوجب
الحرج وفساد المعاش وبالآخرة هم يوقنون أي يوقنون إيقانا زال معه ما كانوا
عليه من أن الجنة لا يدخلها إلا من كان هودا أو نصارى وأن النار لن تمسهم إلا أياما معدودة
واختلافهم في نعيم الجنة أهو من جنس نعيم الدنيا أو غيره وفي دوامه وانقطاعه وفي تقديم
الصلة وبناء يوقنون على هم تعريض بمن عداهم من أهل الكتاب وبأن اعتقادهم في أمر الآخرة
غير مطابق ولا صادر عن إيقان واليقين إتقان العلم بنفي الشك والشبهة عنه نظرا واستدلالا
ولذلك لا يوصف به العلم القديم ولا العلوم الضرورية والآخرة تأنيث الآخر صفة
الدار بدليل قوله تع تلك الدار الآخرة فغلبت كالدنيا وعن نافع أنه خففها بحذف الهمزة
وإلقاء حركتها على اللام وقرئ يؤقنون بقلب الواو همزة لضم ما قبلها إجراء لها مجرى المضمومة
في وجوه ووقتت ونظيره لحب المؤقدان إلى مؤسى وجعدة إذ أضاءهما الوقود أولئك على هدى
من ربهم الجملة في محل الرفع إن جعل أحد الموصولين مفصولا عن المتقين خبر له وكأنه لما قيل هدى
للمتقين قيل ما بالهم خصوا بذلك فأجيب بقوله الذين يؤمنون إلى آخر الآيات وإلا فاستئناف
لا محل له وكأنه نتيجة الأحكام والصفات المتقدمة أو جواب سائل قال ما للموصوفين بهذه الصفات
اختصوا بالهدى ونظيره أحسنت إلى زيد صديقك القديم حقيق بالإحسان
فإن اسم الإشارة ههنا كإعادة الموصوف بصفاته المذكورة وهو أبلغ من أن يستأنف بإعادة الاسم
وحده لما فيه من بيان المقتضي وتلخيصه فإن ترتب الحكم على الوصف إيذان بأنه الموجب له ومعنى الاستعلاء
في على هدى تمثيل تمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه بحال من اعتلى الشيء وركبه وقد صرحوا
به في قولهم امتطى الجهل وغوى واقتعد غارب الهوى وذلك إنما يحصل باستفراغ
الفكر وإدامة النظر فيما نصب من الحجج والمواظبة على محاسبة النفس في العمل ونكر هدى

للتعظيم فكأنه أريد به ضرب لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره ونظيره قول الهذلي
فلا وأبي الطير المربة بالضحى على خالد لقد وقعت على لحم وأكد تعظيمه بأن الله مانحه
والموفق له وقد أدغمت النون في الراء بغنة وبغير غنة وأولئك هم المفلحون كرر فيه اسم الإشارة
تنبيها على أن اتصافهم بتلك الصفات يقتضي كل واحدة من الأثرتين وأن كلا منهما كاف في تميزهم بها
عن غيرهم ووسط العاطف لاختلاف مفهوم الجملتين ههنا بخلاف قوله أولئك كالأنعام
بل هم أضل أولئك هم الغافلون فإن التسجيل بالغفلة والتشبيه بالبهائم شيء واحد فكانت الجملة
الثانية مقررة للأولى فلا تناسب العطف وهم فصل يفصل الخبر عن الصفة ويؤكد النسبة
ويفيد اختصاص المسند بالمسند إليه أو مبتدأ والمفلحون خبره والجملة خبر أولئك والمفلح
بالحاء والجيم الفائز بالمطلوب كأنه الذي انفتحت له وجوه الظفر وهذا التركيب
وما يشاركه في الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلى يدل على الشق والفتح وتعريف المفلحين
للدلالة على أن المتقين هم الناس الذين بلغك أنهم المفلحون في الآخرة أو الإشارة إلى ما يعرفه
كل أحد من حقيقة المفلحين وخصوصياتهم تنبيه تأمل كيف نبه سبحانه على اختصاص المتقين
بنيل ما لا يناله أحد من وجوه شتى بناء الكلام على اسم الإشارة للتعليل مع الإيجاز
وتكريره وتعريف الخبر وتوسيط الفصل لإظهار قدرهم والترغيب في اقتفاء أثرهم
وقد تشبثت به الوعيدية في خلود الفساق من أهل القبلة في العذاب ورد بأن المراد
بالمفلحين الكاملون في الفلاح ويلزمه عدم كمال الفلاح لمن ليس على صفتهم لا عدم الفلاح
له رأسا إن الذين كفروا لما ذكر خاصة عباده وخالصة أوليائه بصفاتهم التي أهلتهم
للهدى والفلاح عقبهم بأضدادهم العتاة المردة الذين لا ينفع فيهم الهدى ولا تغني عنهم
الآيات والنذر ولم يعطف قصتهم على قصة المؤمنين كما عطف في قوله إن الأبرار لفي نعيم
وإن الفجار لفي جحيم لتباينهما في الغرض فإن الأولى سيقت لذكر الكتاب وبيان شأنه والأخرى
مسوقة لشرح تمردهم وانهماكهم في الضلال وإن من الحروف التي شابهت الفعل في عدد
الحروف والبناء على الفتح ولزوم الأسماء وإعطاء معانيه والمتعدي خاصة في دخولها على اسمين ولذلك
أعملت عمله الفرعي وهو نصب الجزء الأول ورفع الثاني إيذانا بأنه فرع في العمل دخيل فيه

وقال الكوفيون الخبر قبل دخولها كان مرفوعا بالخبرية وهي بعد باقية مقتضية للرفع
قضية للاستصحاب فلا يرفعه الحرف واجيب بان اقتضاء الخبرية الرفع مشروط بالتجرد
لتخلفه عنها في خبر كان وقد زال بدخولها فتعين اعمال الحرف وفائدتها تاكيد النسبة وتحقيقها
ولذلك يتلقى بها القسم وتصدر بها الاجوبة ويذكر في معرض الشك مثل ويسئلونك
عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا انا مكنا له في الارض وقال موسى يا فرعون اني
رسول من رب العالمين قال المبرد قولك عبد الله قائم اخبار عن قيامه وان عبد الله قائم
جواب سائل عن قيامه وان عبد الله لقائم جواب منكر لقيامه وتعريف الموصول اما للعهد
والمراد به ناس باعيانهم كابي لهب وابي جهل والوليد ابن المغيرة واحبار اليهود او للجنس متناولا
من صمم على الكفر وغيرهم فخص منهم غير المصرين بما اسند اليه والكفر لغة ستر النعمة واصله
الكفر بالفتح وهو الستر ومنه قيل للزارع والليل كافر ولكمام الثمرة كافور وفي الشرع
انكار ما علم بالضرورة مجيء الرسول به وانما عد لبس الغيار وشد الزنار ونحوهما كفرا لانها
تدل على التكذيب فان من صدق الرسول لا يجترئ عليها ظاهرا لا لانها كفر في انفسها
واحتجت المعتزلة بما جاء في القرآن بلفظ الماضي على حدوثه لاستدعائه سابقة المخبر عنه
واجيب بانه مقتضى التعلق وحدوثه لا يستلزم حدوث الكلام كما في العلم سواء عليهم ءانذرتهم
ام لم تنذرهم خبر ان وسواء اسم بمعنى الاستواء نعت به كما نعت بالمصادر قال الله تعالى
تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم رفع بانه خبر ان وما بعده مرتفع به على الفاعلية كانه
قيل ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه او بانه خبر لما بعده بمعنى انذارك وعدمه
سيان عليهم والفعل انما يمتنع الاخبار عنه اذا اريد به تمام ما وضع له اما لو اطلق واريد
به اللفظ او مطلق الحدث المدلول عليه ضمنا على الاتساع فهو كالاسم في الاضافة والاسناد
اليه كقوله تعالى واذا قيل لهم امنوا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقولهم تسمع بالمعيدي
خير من ان تراه وانما عدل هنا عن المصدر الى الفعل لما فيه من ايهام التجدد وحسن
دخول الهمزة وام عليه لتقرير معنى الاستواء وتاكيده فانهما جردتا عن معنى الاستفهام
لمجرد الاستواء كما جردت حروف النداء عن الطلب لمجرد التخصيص في قولهم اللهم اغفر لنا

ايتها العصابة والانذار التخويف من عذاب الله وانما اقتصر عليه لانه اوقع في القلب
واشد تاثيرا في النفس من حيث ان دفع الضرر اهم من جلب النفع فاذا لم ينفع فيهم كانت البشارة
بعدم النفع اولى وقرئ ءانذرتهم بتحقيق الهمزتين وتخفيف الثانية بين بين وقلبها الفا وهو
لحن لان المتحرك لا ينقلب ولانه يؤدي الى جمع الساكنين على غير حده وبتوسط الف بينهما محققتين
والثانية بين بين وبحذف الاستفهامية وبحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها لا يؤمنون
جملة مفسرة لاجمال ما قبلها فيما فيه الاستواء فلا محل لها او حال مؤكدة او بدل عنه او خبر ان
والجملة قبلها اعتراض بما هو علة الحكم والآية مما احتج به من جوز تكليف ما لا يطاق فانه
سبحانه وتعالى اخبر عنهم بانهم لا يؤمنون وامرهم بالايمان فلو امنوا انقلب خبره كذبا وشمل
ايمانهم الايمان بانهم لا يؤمنون فيجتمع الضدان والحق ان التكليف بالممتنع لذاته وان جاز
عقلا من حيث ان الاحكام لا يستدعي غرضا سيما الامتثال لكنه غير واقع للاستقراء والاخبار
بوقوع الشيء او عدمه لا ينفي القدرة عليه كاخباره تعالى عما يفعله هو او العبد باختياره
وفائدة الانذار بعد العلم بانه لا ينجع الزام الحجة وحيازة الرسول فضل الابلاغ
ولذلك قال سواء عليهم ولم يقل سواء عليك كما قال لعبدة الاصنام سواء عليكم ادعوتموهم
ام انتم صامتون وفي الآية اخبار بالغيب على ما هو به ان اريد بالموصول اشخاص باعيانهم فهي من
المعجزات ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة تعليل للحكم السابق وبيان
ما يقتضيه والختم الكتم سمي به الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه لانه كتم له والبلوغ
آخره نظرا الى انه آخر فعل يفعل في احرازه والغشاوة فعالة من غشاه اذا غطاه بنيت لما يشتمل
على الشيء كالعصابة والعمامة ولا ختم ولا تغشية على الحقيقة وانما المراد بهما ان يحدث
في نفوسهم هيئة تمرنهم على استحباب الكفر والمعاصي واستقباح الايمان والطاعات بسبب غيهم
وانهماكهم في التقليد واعراضهم عن النظر الصحيح فتجعل قلوبهم بحيث لا ينفذ فيها الحق
واسماعهم تعاف استماعه فتصير كانها مستوثق منها بالختم وابصارهم لا تجتلي لها الآيات
المنصوبة في الانفس والآفاق كما تجتليها اعين المستبصرين فتصير كانها غطي عليها وحيل
بينها وبين الابصار وسماه على الاستعارة ختما وتغشية او مثل قلوبهم ومشاعرهم المؤوفة بها

بان شاء ضرب حجاب بينها وبين الانتفاع بها ختما وتغطية وقد عبر عن احداث هذه الهيئة
بالطبع في قوله تع وجعلنا قلوبهم قاسية ومن حيث ان الممكنات باسرها مستندة الى الله تعالى
واقعة بقدرته اسندت اليه ومن حيث انها مسببة مما اقترفوه بدليل قوله تع بل طبع الله عليها
بكفرهم وقوله تع ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم وردت الآية ناعية عليهم شناعة
صفتهم ووخامة عاقبتهم واضطربت المعتزلة فيه فذكروا وجوها من التأويل الاول ان القوم
لما اعرضوا عن الحق وتمكن ذلك في قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم شبه بالوصف الخلقي المجبول عليه الثاني
ان المراد به تمثيل حال قلوبهم بقلوب البهائم التي خلقها الله تعالى خالية عن الفطن او قلوب مقدر
ختم الله عليها ونظيره سال به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء اذا طالت به غيبته
الثالث ان ذلك في الحقيقة فعل الشيطان او الكافر لكن لما كان صدوره عنه باقداره تعالى
اياه اسند اليه اسناد الفعل الى المسبب الرابع ان اعراقهم لما رسخت في الكفر واستحكمت
بحيث لم يبق طريق الى تحصيل ايمانهم سوى الالجاء والقسر ثم لم يقسرهم ابقاء على غرض التكليف
عبر عن تركه بالختم فانه سد لايمانهم وفيه اشعار على ترامي امرهم في الغي وتناهي انهماكهم في
الضلال والبغي الخامس ان يكون حكاية لما كانت الكفرة يقولون مثل قلوبنا في اكنة مما تدعونا
اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب تهكما واستهزاء بهم كقوله تع لم يكن الذين كفروا الآية
السادس ان ذلك في الآخرة وانما اخبر عنه بالماضي لتحققه وتيقن وقوعه ويشهد له قوله
تع ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما السابع ان المراد بالختم وسم قلوبهم بسمة
تعرفها الملائكة فيبغضوهم وينفروا عنهم وعلى هذا المنهاج كلامنا وكلامهم فيما يضاف الى
الله تع من طبع واضلال ونحوهما وعلى سمعهم معطوف على قلوبهم لقوله تع وختم على سمعه وقلبه
للوفاق وللوقف عليه ولانهما لما اشتركا في الادراك من جميع الجوانب جعل ما يمنعهما من
خاص فعلهما الختم الذي يمنع من جميع الجهات وادراك الابصار لما اختص بجهة المقابلة جعل المانع
لها عن فعلها الغشاوة المختصة بتلك الجهة وكرر الجار ليكون ادل على شدة الختم في الموضعين
واستقلال كل منهما بالحكم ووحد السمع للامن من اللبس واعتبار الاصل فانه مصدر في اصله والمصادر
لا تجمع او على تقدير مضاف مثل وعلى حواس سمعهم والابصار جمع بصر وهو ادراك العين وقد يطلق

مجازا على القوة الباصرة وعلى العضو وكذا السمع ولعل المراد بهما في الآية العضو
لانه اشد مناسبة للختم والتغطية وبالقلب ما هو محل العلم وقد يطلق ويراد به العقل
والمعرفة كما قال تع ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وانما جاز امالتها مع الصاد لان
الراء المكسورة تغلب المستعلية لما فيها من التكرير وغشاوة رفع بالابتداء عند سيبويه
وبالجار والمجرور عند الاخفش ويؤيده العطف على الجملة الفعلية وقرئ بالنصب
على تقدير وجعل على ابصارهم غشاوة او على حذف الجار وايصال الختم اليه والمعنى
وختم على ابصارهم بغشاوة وبالضم والرفع وبالفتح والنصب وهما لغتان فيها وغشوة
بالكسر مرفوعة وبالفتح مرفوعة ومنصوبة وعشاوة بالعين المهملة والغين المعجمة ولهم
عذاب عظيم وعيد وبيان لما يستحقونه والعذاب كالنكال بناء ومعنى تقول اعذب
عن الشيء ونكل عنه اذا امسك ومنه الماء العذب لانه يقمع العطش ويردعه ولذلك
سمي نقاخا وفراتا ثم اتسع واطلق على كل الم فادح وان لم يكن نكالا اي عقابا يردع الجاني
عن المعاودة فهو اعم منهما وقيل اشتقاقه من التعذيب الذي هو ازالة العذب كالتقذية
والتمريض والعظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فكما ان الحقير دون الصغير فالعظيم
فوق الكبير ومعنى التوصيف به انه اذا قيس بسائر ما يجانسه قصر عنه وحقر بالاضافة
اليه ومعنى التنكير في الآية ان على ابصارهم غشاوة وليس مما يتعارفه الناس وهو التعامي
عن الآيات ولهم من الآلام العظام نوع لا يعلم كنهه الا الله تع ومن الناس من يقول آمنا
بالله وباليوم الآخر لما افتتح سبحانه وتعالى بشرح حال الكتاب وساق لبيانه ذكر المؤمنين
الذين اخلصوا دينهم لله تع وواطأت فيه قلوبهم السنتهم وثنى باضدادهم الذين محضوا
الكفر ظاهرا وباطنا ولم يلتفتوا لفتة رأسا ثلث بالقسم الثالث المذبذب بين القسمين
وهم الذين آمنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم تكميلا للتقسيم وهم اخبث الكفرة وابغضهم
الى الله تع لانهم موهوا الكفر وخلطوا به خداعا واستهزاء ولذلك طول في بيان خبثهم وجهلهم
واستهزأ بهم وتهكم بافعالهم وسجل على عمههم وطغيانهم وضرب لهم الامثال وانزل فيهم
ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وقصتهم عن آخرها معطوفة على قصة المصرين والناس

اصله اناس لقولهم انسان وانس واناسى فحذفت الهمزة حذفها فى لوقة وعوض عنها حرف
التعريف ولذلك لا يكاد يجمع بينهما وقوله ان المنايا يطلعن على الاناس الامنينا شاذ
وهو اسم جمع كرخال اذ لم يثبت فعال فى ابنية الجمع ماخوذ من انس لانهم يستانسون بامثالهم
او انس لانهم ظاهرون مبصرون ولذلك سموا بشرا كما سمى الجن جنا لاجتنانهم واللام فيه للجنس
ومن موصوفة اذ لا عهد فكانه قال ومن الناس ناس يقولون او للعهد والمعهود هم الذين
كفروا ومن موصولة مراد بها ابن ابى واصحابه ونظراؤه فانهم من حيث انهم صمموا على النفاق دخلوا
فى عداد الكفار المختوم على قلوبهم واختصاصهم بزيادة زادوها على الكفر لا يابى دخولهم تحت
هذا الجنس فان الاجناس انما تتنوع بمميزات مختلف فيها ابعاضها فعلى هذا تكون الاية تقسيما
للقسم الثانى واختصاص الايمان بالله وباليوم الاخر بالذكر تخصيص لما هو المقصود الاعظم من
الايمان وادعاء بانهم اختاروا الايمان من جانبيه واحاطوا بقطريه وايذان بانهم منافقون
فيما يظنون انهم مخلصون فيه فكيف بما يقصدون به النفاق لان القوم كانوا يهودا وكانوا
يؤمنون بالله وباليوم الاخر ايمانا كلا ايمان لاعتقادهم التشبيه واتخاذ الولد وان الجنة
لا يدخلها غيرهم وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة وغيرها ويرون المؤمنين انهم امنوا
بمثل ايمانهم وبيان لتضاعف خبثهم وافراطهم فى كفرهم لان ما قالوه لو صدر عنهم تمويها على
المسلمين وتهكما بهم وفى تكرير الباء ادعاء الايمان بكل واحد على الاصالة والاستحكام
والقول هو التلفظ بما يفيد ويقال بمعنى المقول وللمعنى المتصور فى النفس المعبر عنه باللفظ
وللراى والمذهب مجازا والمراد باليوم الاخر من وقت الحشر الى ما لا ينتهى او الى ان يدخل
اهل الجنة الجنة واهل النار النار لانه اخر الاوقات المحدودة وما هم بمؤمنين انكار ما ادعوه
ونفى ما انتحلوا اثباته وكان اصله وما امنوا ليطابق قولهم فى التصريح بشان الفعل دون
الفاعل لكنه عكس تاكيدا ومبالغة فى التكذيب لان اخراج ذواتهم من عداد المؤمنين
ابلغ من نفى الايمان عنهم فى ماضى الزمان ولذلك اكد النفى بالباء واطلق الايمان
على معنى انهم ليسوا من الايمان فى شىء ويحتمل ان يقيد بما قيدوا به لانه جوابه والاية
تدل على ان من ادعى الايمان وخالف قلبه لسانه بالاعتقاد لم يكن مؤمنا لان من تفوه

بالشهادتين فارغ القلب عما يوافقه او ينافيه لم يكن مؤمنا والخلاف مع الكرامية فى
الثانى فلا ينتهض حجة عليهم يخادعون الله والذين امنوا الخداع ان توهم غيرك خلاف ما تخفيه
من المكروه لتنزله عما هو بصدده من قولهم خدع الضب اذا توارى فى جحره وضب خادع
وخدع اذا اوهم الحارس اقباله عليه ثم خرج من باب اخر واصله الاخفاء ومنه
المخدع للخزانة والاخدعان لعرقين خفيين فى العنق والمخادعة تكون بين اثنين
وخداعهم مع الله ليس على ظاهره لانه لا يخفى عليه خافية ولانهم لم يقصدوا خديعته
بل المراد اما مخادعة رسوله على حذف المضاف او على ان معاملة الرسول معاملة الله
من حيث انه خليفته كما قال من يطع الرسول فقد اطاع الله وقال ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله واما ان صورة صنعهم مع الله من اظهار الايمان واستبطان الكفر
وصنع الله معهم باجراء احكام المسلمين عليهم وهم عنده اخبث الكفار واهل الدرك الاسفل
من النار استدراجا لهم وامتثال الرسول والمؤمنين امر الله فى اخفاء حالهم واجراء حكم
الاسلام مجازاة لهم بمثل صنيعهم صورة صنع المتخادعين ويحتمل ان يراد بيخادعون يخدعون
لانه بيان ليقول او استيناف بذكر ما هو الغرض منه الا انه اخرج على زنة فاعلت للمبالغة
فان الزنة لما كانت للمبالغة والفعل متى غولب فيه كان ابلغ منه اذا جاء بلا مقابلة
معارض ومبار استصحبت ذلك ويعضده قراءة من قرا وما يخدعون وكان غرضهم فى ذلك ان
يدفعوا عن انفسهم ما يطرق به من سواهم من الكفرة وان يفعل بهم ما يفعل بالمؤمنين من الاكرام
والاعطاء وان يختلطوا بالمسلمين فيطلعوا على اسرارهم ويذيعوها الى معانديهم الى
غير ذلك من الاغراض والمقاصد وما يخادعون الا انفسهم قراءة نافع وابن كثير وابو عمرو
والمعنى ان دائرة الخداع راجعة اليهم وضررها يحيق بهم او انهم فى ذلك خدعوا انفسهم
لما غروها بذلك وخدعتهم انفسهم حيث حدثتهم بالامانى الفارغة وحملتهم على مخادعة
من لا يخفى عليه خافية وقرا الباقون وما يخدعون لان المخادعة لا تتصور الا بين اثنين
وقرئ وما يخدعون من خدع ويخدعون بمعنى يختدعون ويخدعون ويخادعون على
البناء للمفعول ونصب انفسهم بنزع الخافض والنفس ذات الشىء وحقيقته ثم قيل للروح

لانه نفس الحي والقلب لانه محل الروح او متعلقه والدم لان قوامها به والماء لفرط
حاجتها اليه والرأي في قولهم فلان يؤامر نفسه لانه ينبعث عنها اذاتا تامره وتشير عليه
والمراد بالانفس ههنا ذواتهم ويحتمل حملها على ارواحهم وآرائهم وما يشعرون
لا يحسون بذلك لتمادي غفلتهم جعل لحوق وبال الخداع ورجوع ضرره اليهم في الظهور
كالمحسوس الذي لا يخفى الا على مؤوف الحواس والشعور الاحساس ومشاعر الانسان حواسه
واصله الشعر ومنه الشعار في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا المرض حقيقة فيما يعرض للبدن
فيخرجه عن الاعتدال الخاص به ويوجب الخلل في افعاله ومجاز في الاعراض النفسانية التي
تخل بكمالها كالجهل وسوء العقيدة والحسد والضغينة وحب المعاصي لانها مانعة عن نيل
الفضائل او مؤدية الى زوال الحيوة الحقيقية الابدية والآية تحتملهما فان قلوبهم
كانت متألمة تحرقا على ما فات عنهم من الرياسة وحسدا على ما يرون من ثبات امر الرسول
واستعلاء شانه يوما فيوما فزاد الله تعالى غمهم بما زاد في اعلاء امره واشادة ذكره ونفوسهم
كانت مؤوفة بالكفر وسوء الاعتقاد ومعاداة النبي ونحوها فزاد الله ذلك بالطبع
او بازدياد التكاليف وتكرير الوحي وتضاعف النصر وكان اسناد الزيادة الى الله من حيث
انه مسبب عن فعله واسنادها الى السورة في قوله فزادتهم رجسا الى رجسهم لكونها سببا
ويحتمل ان يراد بالمرض ما تداخل قلوبهم من الجبن والخور حين شاهدوا شوكة المسلمين وامداد الله
لهم بالملائكة وقذف الرعب في قلوبهم وبزيادته تضعيفه بما زاد لرسوله نصرة على الاعداء
وتبسطا في البلاد ولهم عذاب اليم اي مؤلم يقال الم فهو اليم كوجع فهو وجيع وصف
به العذاب للمبالغة كقوله تحية بينهم ضرب وجيع على طريقة قولهم جد جده بما كانوا يكذبون
قراءة عاصم وحمزة والكسائي والمعنى بسبب كذبهم او بدله جزاء لهم وهو قولهم آمنا بالله
وقرأ الباقون يكذبون من كذبه لانهم كانوا يكذبون الرسول بقلوبهم واذا خلوا الى
شياطينهم بالسنتهم او من كذب الذي هو للمبالغة او للتكثير مثل بين الشيء وموتت البهائم
او من كذب الوحشي اذا جرى شوطا ووقف لينظر ما وراءه فان المنافق متحير متردد والكذب
هو الخبر عن الشيء على خلاف ما هو وهو حرام كله لانه علل به استحقاق العذاب حيث رتب عليه

وما روي

وما روي ان ابراهيم عليه السلام كذب ثلث كذبات فالمراد التعريض ولكن لما شابه الكذب في صورته
سمي به واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض عطف على يكذبون او يقول وما روي عن سلمان
ان اهل هذه الآية لم يأتوا بعد فلعله اراد به ان اهله ليس الذين كانوا فقط بل وسيكون
من بعد من حاله حالهم لان الآية متصلة بما قبلها بالضمير الذي فيها والفساد خروج الشيء
عن الاعتدال والصلاح ضده وكلاهما يعمان كل ضار ونافع وكان من فسادهم في الارض
تهييج الحروب والفتن بمخادعة المسلمين وممالاة الكفار عليهم بافشاء الاسرار اليهم فان
ذلك يؤدي الى فساد ما في الارض من الناس والدواب والحرث ومنها اظهار المعاصي
والاهانة بالدين فان الاخلال بالشرائع والاعراض عنها مما يوجب الهرج والمرج
ويخل بنظام العالم والقائل هو الله تعالى او الرسول او بعض المؤمنين قالوا انما نحن مصلحون
جواب لاذا ورد للناصح على سبيل المبالغة والمعنى انه لا يصح مخاطبتنا بذلك فان
شأننا ليس الا الاصلاح وان حالنا متمحضة عن شوائب الفساد لان انما يفيد قصر ما دخله
على ما بعده مثل انما زيد منطلق وانما ينطلق زيد وانما قالوا ذلك لانهم تصوروا الفساد
بصورة الصلاح لما في قلوبهم من المرض كما قال تعالى افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا
الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون رد لما ادعوه ابلغ رد للاستيناف به وتصديره
بحرفي التأكيد الا المنبهة على تحقيق ما بعدها فان همزة الاستفهام التي للانكار اذا دخلت
على النفي افادت تحقيقا ونظيره اليس ذلك بقادر ولذلك لا يكاد تقع الجملة
بعدها الا مصدرة بما يتلقى به القسم واختها اما التي هي من طلائع القسم وان
المقررة للنسبة وتعريف الخبر وتوسيط الفصل لرد ما في قولهم انما نحن مصلحون من
التعريض للمؤمنين والاستدراك بلا يشعرون واذا قيل لهم آمنوا من تمام النصح والارشاد
فان كمال الايمان بمجموع امرين الاعراض عما لا ينبغي وهو المقصود بقوله تعالى لا تفسدوا
والاتيان بما ينبغي وهو المطلوب بقوله آمنوا كما آمن الناس في حيز النصب على المصدر وما
مصدرية او كافة مثلها في ربما واللام في الناس للجنس والمراد به الكاملون في
الانسانية العاملون بقضية العقل فان اسم الجنس كما يستعمل لمسماه مطلقا يستعمل لما يجمع

المعاني المخصوصة به والمقصودة منه على ذلك بسلب عن غيره فيقال زيد ليس بانسان
ومن هذا الباب قوله تع صم بكم عمي ونحوه وقد جمعهما الشاعر في قوله اذ الناس ناس
والزمان زمان او للعهد والمراد به الرسول ومن معه او من آمن من اهل جلدتهم كابن
سلام واصحابه والمعنى آمنوا ايمانا مقرونا بالاخلاص متمحضا عن شوائب النفاق مماثلا
لايمانهم واستدل به على قبول توبة الزنديق وان الاقرار باللسان ايمان والا لم يفد التقييد
قالوا انؤمن كما آمن السفهاء الهمزة فيه للانكار واللام مشار بها الى الناس او الجنس باسره
وهم مندرجون فيه على زعمهم وانما سفهوهم لاعتقادهم فساد رأيهم او لتحقير شأنهم
فان اكثر المؤمنين كانوا فقراء ومنهم موالي كصهيب وبلال او للتجلد وعدم المبالاة بمن آمن
منهم ان فسر الناس بعبد الله بن سلام واشياعه والسفه خفة وسخافة رأي يقتضيهما
نقصان العقل والحلم يقابله ألا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون رد ومبالغة في تجهيلهم
فان الجاهل بجهله الجازم على خلاف ما هو الواقع اعظم ضلالة واتم جهالة من المتوقف
المعترف بجهله فانه ربما يعذر وتنفعه الآيات والنذر وانما فصلت الآية بلا يعلمون
والتي قبلها بلا يشعرون لانه اكثر طباقا لذكر السفه ولان الوقوف على امر الدين والتمييز
بين الحق والباطل مما يفتقر الى نظر وفكر واما النفاق وما فيه من الفتن والفساد فانما يدرك
بادنى تفطن وتأمل فيما يشاهد من اقوالهم وافعالهم واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا
بيان لمعاملتهم مع المؤمنين والكفار وما صدرت به القصة فمساقه لبيان مذهبهم وتمهيد
نفاقهم فليس بتكرير روي ان ابن ابي واصحابه استقبلهم نفر من الصحابة فقال لقومه انظروا
كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم فاخذ بيد ابي بكر رض فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم
وشيخ الاسلام وثاني رسول الله في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم اخذ
بيد عمر رض فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دينه الباذل نفسه وماله
لرسول الله ثم اخذ بيد علي رض فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه سيد بني هاشم
ما خلا رسول الله فنزلت واللقاء المصادفة يقال لقيته ولاقيته اذا صادفته واستقبلته
ومنه ألقيته اذا طرحته فانك بطرحه جعلته بحيث يلقى واذا خلوا الى شياطينهم من خلوت

بفلان

بفلان واليه اذا انفردت معه او من خلاك ذم اي عداك ومضى عنك ومنه القرون
الخالية او من خلوت به اذا سخرت منه وعدي بالى لتضمين معنى الانهاء والمراد بشياطينهم
الذين ماثلوا الشيطان في تمردهم وهم المظهرون كفرهم واضافتهم اليهم للمشاركة في الكفر
او كبار المنافقين والقائلون صغارهم وجعل سيبويه نونه تارة اصلية على انه من شطن
اذا بعد فانه بعيد عن الصلاح ويشهد له قولهم تشيطن واخرى زائدة على انه من شاط
اذا بطل ومن اسمائه الباطل قالوا انا معكم اي في الدين والاعتقاد خاطبوا المؤمنين
بالجملة الفعلية والشياطين بالجملة الاسمية المؤكدة بان لانهم قصدوا بالاولى دعوى
احداث الايمان وبالثانية تحقيق ثباتهم على ما كانوا عليه ولانه لم يكن لهم باعث من عقيدة
وصدق رغبة فيما خاطبوا به المؤمنين ولا توقع رواج ادعاء الكمال في الايمان على
المؤمنين من المهاجرين والانصار بخلاف ما قالوه مع الكفار انما نحن مستهزءون تاكيد لما قبله
لان المستهزئ بالشيء المستخف به مصر على خلافه او بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم
الكفر او استيناف فكان الشياطين قالوا لهم لما قالوا انا معكم ان صح ذلك فما بالكم توافقون
المؤمنين وتدعون الايمان فاجابوا بذلك والاستهزاء السخرية والاستخفاف يقال هزأت
واستهزأت بمعنى كاجبت واستجبت واصله الخفة من الهزء وهو القتل السريع يقال
هزأ فلان اذا مات على مكانه وناقته تهزأ به اي تسرع وتخف الله يستهزئ بهم يجازيهم
على استهزائهم سمي جزاء الاستهزاء باسمه كما سمي جزاء السيئة سيئة اما لمقابلة اللفظ باللفظ
او لكونه مماثلا له في القدر او يرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ بهم او ينزل بهم
الحقارة والهوان الذي هو لازم الاستهزاء والغرض منه او يعاملهم معاملة المستهزئ
اما في الدنيا فباجراء احكام المسلمين عليهم واستدراجهم بالامهال والزيادة في النعمة على
التمادي في الطغيان واما في الآخرة فبان يفتح لهم وهم في الدنيا بابا الى الجنة فيسرعون
نحوه فاذا صاروا اليه سد عليهم الباب وذلك قوله تع فاليوم الذين آمنوا من
الكفار يضحكون وانما استؤنف به ولم يعطف ليدل على ان الله تع تولى مجازاتهم ولم يحوج
المؤمنين ان يعارضوهم وان استهزاءهم لا يؤبه به في مقابلة ما يفعل الله بهم ولعل الله لم يقل

الله يستهزئ بهم ليطابق قولهم إيماء بأن الاستهزاء يحدث حالا فحالا ويتجدد حينا بعد حين
وهكذا كانت نكايات الله فيهم كما قال تعالى أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ويمدهم في
طغيانهم يعمهون من مد الجيش وأمده إذا زاده وقواه ومنه مددت السراج والأرض
إذا استصلحتهما بالزيت والسماد لا من المد في العمر فإنه يعدى باللام كأملى لهم ويدل عليه قراءة
ابن كثير ويمدهم والمعتزلة لما تعذر عليهم إجراء الكلام على ظاهره قالوا لما منعهم الله ألطافه
التي يمنحها المؤمنين وخذلهم بسبب كفرهم وإصرارهم وسدهم طرق التوفيق على أنفسهم فتزايدت
بسببه قلوبهم رينا وظلمة تزايد قلوب المؤمنين انشراحا ونورا أو مكن الشيطان من إغوائهم فزادهم
طغيانا أسند ذلك إلى الله تعالى إسناد الفعل إلى المسبب وأضاف الطغيان إليهم لئلا يتوهم
أن إسناد الفعل إليه على الحقيقة ومصداق ذلك أنه لما أسند المد إلى الشياطين أطلق الغي
وقال وإخوانهم يمدونهم في الغي وكان أصله يمد لهم بمعنى يملي لهم ويمد في أعمارهم كي يتنبهوا
ويطيعوا فما زادوا إلا طغيانا وعمها فحذفت اللام وعدي الفعل بنفسه كما في قوله
واختار موسى قومه أو التقدير يمدهم استصلاحا وهم مع ذلك يعمهون في طغيانهم والطغيان
بالضم والكسر كلقيان ولقيان تجاوز الحد في العتو والغلو في الكفر وأصله تجاوز الشيء عن
مكانه قال الله تعالى إنا لما طغى الماء حملناكم والعمه في البصيرة كالعمى في البصر وهو التحير
يقال رجل عامه وعمه وأرض عمهاء لا منار بها قال أعمى الهدى بالجاهلين العمه أولئك
الذين اشتروا الضلالة بالهدى اختاروها عليه واستبدلوها به وأصله بذل الثمن لتحصيل
ما يطلب من الأعيان فإن كان أحد العوضين ناضا تعين من حيث إنه لا يطلب لعينه أن يكون
ثمنا وبذله اشتراء وإلا فأي العوضين تصورته بصورة الثمن فباذله مشتر وآخذه
بائع ولذلك عدت الكلمتان من الأضداد ثم استعير للإعراض عما في يده محصلا به غيره سواء
كان من المعاني أو الأعيان ومنه أخذت بالجمة رأسا أزعرا وبالطويل العمر عمرا جيذرا
كما اشترى المسلم إذ تنصرا ثم اتسع فيه فاستعمل للرغبة عن الشيء طمعا في غيره والمعنى أنهم
أخلوا بالهدى الذي جعل الله تعالى لهم بالفطرة التي فطر الناس عليها محصلين الضلالة
التي ذهبوا إليها أو اختاروا الضلالة واستحبوها على الهدى فما ربحت تجارتهم

ترشيح للمجاز لما استعمل الاشتراء في معاملتهم أتبعه ما يشاكله تمثيلا لخسارهم ونحوه
ولما رأيت النسر عز ابن داية والتجارة طلب الربح بالبيع والشراء والربح الفضل
على رأس المال ولذلك سمي شفا وإسناده إلى التجارة وهو لأربابها على الاتساع لتلبسها
بالفاعل أو لمشابهتها إياه من حيث إنها سبب الربح والخسران وما كانوا مهتدين لطرق
التجارة فإن المقصود منها سلامة رأس المال والربح وهؤلاء قد أضاعوا الطلبتين لأن
رأس مالهم كان الفطرة السليمة والعقل الصرف فلما اعتقدوا هذه الضلالات بطل
استعدادهم فاختل عقلهم ولم يبق لهم رأس مال يتوسلون به إلى درك الحق ونيل الكمال
فبقوا خاسرين آيسين عن الربح فاقدين للأصل مثلهم كمثل الذي استوقد نارا لما جاء
بحقيقة حالهم عقبها بضرب المثل زيادة في التوضيح والتقرير فإنه أوقع في القلب
وأقمع للخصم الألد لأنه يريك المتخيل محققا والمعقول محسوسا ولأمر ما أكثر الله في كتبه
الأمثال وفشت في كلام الأنبياء والحكماء والمثل في الأصل بمعنى النظير يقال مثل ومثل
ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده ولا يضرب إلا ما
فيه غرابة ولذلك حوفظ عليه من التغيير ثم استعير لكل حال أو قصة أو صفة لها شأن
وفيها غرابة مثل قوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون وقوله تعالى ولله المثل الأعلى
والمعنى حالهم العجيبة الشأن كحال من استوقد نارا والذي بمعنى الذين كما في قوله تعالى
وخضتم كالذي خاضوا إن جعل مرجع الضمير في بنورهم وإنما جاز ذلك ولم يجز وضع
القائم مقام القائمين لأنه غير مقصود بالوصف بل الجملة التي هي صلته وهو وصلة
إلى وصف المعرفة بها ولأنه ليس باسم تام بل هو كالجزء منه فحقه أن لا يجمع كما لا تجمع
أخواتها ويستوي فيه الواحد والجمع وليس الذين جمعه المصحح بل ذو زيادة زيدت
لزيادة المعنى ولذلك جاء بالياء أبدا على اللغة الفصيحة التي عليها التنزيل ولكونه
مستطالا بصلته استحق التخفيف ولذلك بولغ فيه فحذف ياؤه ثم كسرته ثم اقتصر
على اللام في أسماء الفاعلين والمفعولين أو قصد به جنس المستوقدين أو الفوج الذي
استوقد والاستيقاد طلب الوقود والسعي في تحصيله وهو سطوع النار وارتفاع لهبها

ولهبها واشتقاق النار من نار ينور اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا فلما اضاءت ما حوله
اي النار ما حول المستوقد ان جعلتها متعدية والا امكن ان تكون مسندة الى ما والتانيث
لان ما حوله اشياء واماكن او الى ضمير النار وما موصولة في معنى الامكنة نصب على الظرف او
مزيدة وحوله ظرف وتاليف الحول للدوران وقيل للعام حول لانه يدور ذهب الله بنورهم
جواب لما والضمير للذي وجمعه للحمل على المعنى وعلى هذا انما قال بنورهم ولم يقل بنارهم
لانه المراد من ايقادها او استيناف اجيب به اعتراض سائل يقول ما بالهم شبهت حالهم
بحال مستوقد انطفات ناره او بدل من جملة التمثيل على وجه البيان والضمير على الوجهين
للمنافقين والجواب محذوف كما في قوله تع فلما ذهبوا به للايجاز وامن الالباس واسناد
الاذهاب الى الله تع اما لان الكل بفعله او لان الاطفاء حصل بسبب خفي او امر سماوي
كريح او مطر او للمبالغة ولذلك عدي الفعل بالباء دون الهمزة لما فيها من معنى الاستصحاب
والاستمساك يقال ذهب السلطان بماله اذا اخذه وما اخذه الله وامسكه فلا مرسل
له ولذلك عدل عن الضوء الذي هو مقتضى اللفظ الى النور فانه لو قيل ذهب الله بضوئهم
احتمل ذهابه بما في الضوء من الزيادة وبقاء ما يسمى نورا والغرض ازالة النور عنهم راسا
الا ترى كيف قرر ذلك واكده بقوله وتركهم في ظلمات لا يبصرون فذكر الظلمة التي هي
عدم النور وانطماسه بالكلية وجمعها ونكرها ووصفها بانها ظلمة خالصة لا يتراءى
فيها شبحان وترك في الاصل بمعنى طرح وخلى وله مفعول واحد فضمن معنى صير فجرى مجرى
افعال القلوب كقوله وتركهم في ظلمات وقول الشاعر فتركته جزر السباع
ينشنه والظلمة ماخوذة من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك لانها تسد البصر
وتمنع الروية وظلماتهم ظلمة الكفر وظلمة النفاق وظلمة يوم القيمة يوم ترى المؤمنين
والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم او ظلمة الضلال وظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمد
او ظلمة شديدة كانها ظلمات متراكمة ومفعول لا يبصرون من قبيل المطروح المتروك فكان
الفعل غير متعد والاية مثل ضربه الله لمن آتاه ضربا من الهدى فاضاعه ولم يتوصل به
الى نعيم الابد فبقي متحيرا متحسرا تقريرا وتوضيحا لما تضمنته الاية الاولى ويدخل تحت عمومه

هؤلاء المنافقون فانهم اضاعوا ما نطقت به السنتهم من الحق باستبطان الكفر واظهاره حين
خلوا الى شياطينهم ومن آثر الضلالة على الهدى المجعول له بالفطرة او ارتد عن دينه بعد ما
آمن ومن صح له احوال الارادة فادعى احوال المحبة فاذهب الله عنه ما اشرق عليه من انوار
الارادة او مثل لايمانهم من حيث انه يعود عليهم بحقن الدماء وسلامة الاموال والاولاد
ومشاركة المسلمين في المغانم والاحكام بالنار الموقدة للاستضاءة ولذهاب اثره وانطماس
نوره باهلاكهم وافشاء حالهم باطفاء الله تع اياها واذهاب نورها صم بكم عمي لما سدوا
مسامعهم عن الاصاخة الى الحق وابوا ان ينطقوا به السنتهم ويتبصروا الايات بابصارهم
جعلوا كانما ايفت مشاعرهم وانتفت قواهم كقوله شعر صم اذا سمعوا خيرا اصم عن الشيء
الذي لا اريده واسمع خلق الله حين اريد واطلاقها عليهم على طريقة التمثيل لا الاستعارة
اذ من شرطها ان يطوى ذكر المستعار له بحيث يمكن حمل الكلام على المستعار منه لولا القرينة
كقول زهير لدى اسد شاكي السلاح مقذف له لبد اظفاره لم تقلم ومن ثم ترى المفلقين
السحرة يضربون عن توهم التشبيه صفحا كما قال ابو تمام ويصعد حتى يظن الجهول بان له
حاجة في السماء وههنا وان طوي ذكره بحذف المبتدا لكنه في حكم المنطوق به ونظيره اسد
علي وفي الحروب نعامة هذا اذا جعلت الضمير للمنافقين على ان الاية فذلكة التمثيل ونتيجته
وان جعلته للمستوقدين فهي على حقيقتها والمعنى انهم لما اوقدوا نارا فذهب الله بنورهم وتركهم
في ظلمات هائلة ادهشتهم بحيث اختلت حواسهم وانتقصت قواهم وثلاثتها قرئت بالنصب
على الحال من مفعول تركهم والصمم اصله صلابة من اكتناز الاجزاء ومنه حجر اصم وقناة صماء
وصمام القارورة سمي به فقدان حاسة السمع لان سببه ان يكون باطن الصماخ مكتنزا لا تجويف
فيه يشتمل على هواء يسمع الصوت بتموجه والبكم الخرس والعمى عدم البصر عما من شانه ان يبصر
وقد يقال لعدم البصيرة فهم لا يرجعون لا يعودون الى الهدى الذي باعوه وضيعوه او عن
الضلالة التي اشتروها او فهم متحيرون لا يدرون ايتقدمون ام يتاخرون والى حيث ابتدءوا منه
كيف يرجعون والفاء للدلالة على ان اتصافهم بالاحكام السابقة سبب لتحيرهم واحتباسهم
او كصيب من السماء عطف على الذي استوقد اي كمثل ذوي صيب لقوله يجعلون اصابعهم في آذانهم

وأو في الأصل للتساوي في الشك ثم اتسع فيها فأطلق للتساوي من غير شك مثل جالس الحسن
أو ابن سيرين وقوله تعالى ولا تطع منهم آثما أو كفورا فإنها تفيد التساوي في حسن المجالسة ووجوب
العصيان ومن ذلك قوله أو كصيب من السماء ومعناه أن قصة المنافقين مشبهة بهاتين القصتين
وأنهما سواء في صحة التشبيه بهما وأنت مخير في التمثيل بهما أو بأيهما شئت والصيب فيعل من الصوب
وهو النزول يقال للمطر وللسحاب قال الشماخ وأسحم دان صادق الرعد صيب وفي
الآية يحتملهما وتنكيره لأنه أريد به نوع من المطر شديد وتعريف السماء للدلالة على أن الغمام
مطبق آخذ بآفاق السماء كلها فإن كل أفق منها يسمى سماء كما أن كل طبقة منها سماء قال ومن بعد
أرض بيننا وسماء أمد به ما في صيب من المبالغة من جهة الأصل والبناء والتنكير وقيل المراد
بالسماء السحاب فاللام لتعريف الماهية فيه ظلمات ورعد وبرق إن أريد بالصيب المطر
فظلماته ظلمة تكاثفه بتتابع القطر وظلمة غمامه مع ظلمة الليل وجعله مكانا للرعد
والبرق لأنهما في أعلاه ومنحدره ملتبسين به وإن أريد به السحاب فظلماته سحمته وتطبيقه مع
ظلمة الليل وارتفاعها بالظرف وفاقا لأنه معتمد على موصوف والرعد صوت يسمع من
السحاب والمشهور أن سببه اضطراب أجرام السحاب واصطكاكها إذا حدتها الريح من
الارتعاد والبرق ما يلمع من السحاب من برق الشيء بريقا وكلاهما مصدر في الأصل ولذلك لم يجمعا
يجعلون أصابعهم في آذانهم الضمير لأصحاب الصيب وهو وإن حذف لفظه وأقيم الصيب مقامه
لكن معناه باق فيجوز أن يعول عليه كما عول حسان في قوله يسقون من ورد البريص عليهم
بردى يصفق بالرحيق السلسل حيث ذكر الضمير لأن المعنى ماء بردى والجملة استئناف فإنه
لما ذكر ما يؤذن بالشدة والهول قيل فكيف حالهم مع مثل ذلك فأجيب بها وإنما أطلق الأصابع
موضع الأنامل للمبالغة من الصواعق متعلق بيجعلون أي من أجلها يجعلون كقولهم سقاه من
العيمة والصاعقة قصفة رعد هائل معها نار لا تمر بشيء إلا أتت عليه من الصعق وهو
شدة الصوت وقد يطلق على كل هائل مسموع أو مشاهد ويقال صعقته الصاعقة إذا
أهلكته بالإحراق أو شدة الصوت وقرئ من الصواقع وهو ليس بقلب من الصواعق لاستواء
كلا البنائين في التصرف يقال صقع الديك وخطيب مصقع وصقعته الصاقعة وهي في الأصل

إما صفة لصعقة الرعد أو للرعد والتاء للمبالغة كما في الراوية أو مصدر كالعافية والكاذبة
حذر الموت نصب على العلة كقوله وأغفر عوراء الكريم ادخاره وأصفح عن شتم اللئيم تكرما
والموت زوال الحيوة وقيل عرض يضادها لقوله خلق الموت والحيوة ورد بأن الخلق
بمعنى التقدير والأعدام مقدرة والله محيط بالكافرين لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به
المحيط ولا يخلصهم الخداع والحيل والجملة اعتراضية لا محل لها يكاد البرق يخطف أبصارهم
استئناف ثان كأنه جواب لمن يقول ما حالهم مع تلك الصواعق وكاد من أفعال المقاربة وضعت
لمقاربة الخبر من الوجود لعروض سببه لكنه لم يوجد إما لفقد شرط أو لوجود مانع وعسى
موضوعة لرجائه فهي خبر محض ولذلك جاءت متصرفة بخلاف عسى وخبرها مشروط فيه
أن يكون فعلا مضارعا تنبيها على أنه المقصود بالقرب من غير أن لتوكيد القرب بالدلالة على الحال
وقد تدخل عليه حملا لها على عسى كما تحمل عليها بالحذف عن خبرها لمشاركتهما في أصل معنى المقاربة
والخطف الأخذ بسرعة وقرئ يخطف بكسر الطاء ويخطف على أنه يختطف فنقلت فتحة التاء
إلى الخاء ثم أدغمت في الطاء ويخطف بكسر الخاء لالتقاء الساكنين وإتباع الياء لها ويتخطف
كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا استئناف ثالث كأنه قيل ما يفعلون في تارتي
خفوق البرق وخفيته فأجيب بذلك وأضاء إما متعد والمفعول محذوف بمعنى كلما نور لهم
ممشى أخذوه أو لازم بمعنى كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره وكذلك أظلم فإنه جاء متعديا منقولا من
ظلم الليل ويشهد له قراءة أظلم على البناء للمفعول وقول أبي تمام هما أظلما حالي ثمت أجليا
ظلاميهما عن وجه أمرد أشيب فإنه وإن كان من المحدثين لكنه من علماء العربية فلا يبعد أن يجعل
ما يقوله بمنزلة ما يرويه وإنما قال مع الإضاءة كلما ومع الإظلام إذا لأنهم حراص على المشي
فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها ولا كذلك التوقف ومعنى قاموا وقفوا ومنه قامت
السوق إذا ركدت وقام الماء إذا جمد ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم أي لو شاء
الله أن يذهب بسمعهم بقصيف الرعد وأبصارهم بوميض البرق لذهب بها فحذف المفعول لدلالة
الجواب عليه ولقد تكاثر حذفه في شاء وأراد حتى لا يكاد يذكر إلا في الشيء المستغرب كقوله
فلو شئت أن أبكي دما لبكيته ولو من حروف الشرط وظاهرها الدلالة على انتفاء الأول

لانتفاء الثاني ضرورة انتفاء الملزوم عند انتفاء اللازم وقرئ لاذهب باسماعهم بزيادة
الباء كقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وفائدة هذه الشرطية ابداء المانع لذهاب
سمعهم وابصارهم مع قيام ما يقتضيه والتنبيه على ان تاثير الاسباب في مسبباتها مشروط بمشية الله
وان وجودها مرتبط باسبابها واقع بقدرته ان الله على كل شيء قدير كالتصريح به والتقرير له
والشيء يختص بالموجود لانه في الاصل مصدر شاء اطلق بمعنى شاء تارة وحينئذ يتناول البارئ تعالى
كما قال تعالى قل اي شيء اكبر شهادة قل الله وبمعنى مشيء اخرى اي مشيء وجوده وما شاء الله وجوده
فهو موجود في الجملة وعليه قوله تعالى ان الله على كل شيء قدير الله خالق كل شيء فهما على عمومهما
بلا مثنوية والمعتزلة لما قالوا الشيء ما يصح ان يوجد وهو يعم الواجب والممكن او ما يصح ان يعلم
ويخبر عنه فيعم الممتنع ايضا لزمهم التخصيص بالممكن في الموضعين بدليل العقل والقدرة هي التمكن
من ايجاد الشيء وقيل صفة تقتضي التمكن وقيل قدرة الانسان هيئة بها يتمكن من الفعل وقدرة
الله عبارة عن نفي العجز عنه والقادر هو الذي ان شاء فعل وان لم يشأ لم يفعل والقدير
الفعال لما يشاء على ما يشاء ولذلك لم يوصف به غير البارئ تعالى واشتقاق القدرة
من القدر لان القادر يوقع الفعل على مقدار قوته او على مقدار ما يقتضيه مشيته وفيه دليل
على ان الحادث حال حدوثه والممكن حال بقائه مقدوران وان مقدور العبد مقدور لله تعالى لانه شيء
وكل شيء مقدور لله والظاهر ان التمثيلين من جملة التمثيلات المؤلفة وهو ان تشبه كيفية منتزعة
من مجموع تضامت اجزاؤه وتلاصقت حتى صارت شيئا واحدا باخرى مثلها كقوله تعالى مثل
الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها الاية فانه تشبيه حال اليهود في جهلهم بما معهم من التوراة
بحال الحمار في جهله بما يحمل من اسفار الحكمة والغرض منهما تمثيل حال المنافقين من الحيرة والشدة
بما يكابد من طفئت ناره بعد ايقادها في ظلمة او بحال من اخذته السماء في ليلة مظلمة مع رعد
قاصف وبرق خاطف وخوف من الصواعق ويمكن جعلهما من قبيل التمثيل المفرد وهو ان
تاخذ اشياء فرادى فتشبهها بامثالها كقوله تعالى وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا
النور ولا الظل ولا الحرور وقول امرئ القيس كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها
العناب والحشف البالي بان تشبه في الاول ذوات المنافقين بالمستوقدين واظهارهم الايمان

باستفاد

باستيفاد النار وما انتفعوا به من حقن الدماء وسلامة الاموال والاولاد وغير ذلك
باضاءة النار ما حول المستوقدين وزوال ذلك عنهم على القرب باهلاكهم او بافشاء حالهم
وابقائهم في الخسار الدائم والعذاب السرمد باطفاء نارهم والذهاب بنورهم وفي الثاني انفسهم
باصحاب الصيب وايمانهم المخالط بالكفر والخداع بصيب فيه ظلمات ورعد وبرق من حيث
انه وان كان نافعا في نفسه لكنه لما وجد في هذه الصورة عاد نفعه ضررا ونفاقهم حذرا
عن نكايات المؤمنين وما يطرقون به من سواهم من الكفرة بجعل الاصابع في الاذان من الصواعق
حذر الموت من حيث انه لا يرد من قدر الله شيئا ولا يخلص مما يريد بهم من المضار وتحيرهم لشدة الامر
وجهلهم بما ياتون ويذرون بانهم كلما صادفوا من البرق خفقة انتهزوها فرصة مع خوف ان يخطف
ابصارهم فخطوا خطى يسيرة ثم اذا خفي وفتر لمعانه بقوا متقيدين لا حراك بهم وقيل شبه الايمان
والقران وسائر ما اوتي الانسان من المعارف التي هي سبب الحياة الابدية بالصيب الذي به حياة الارض
وما ارتكبت بها من الشبه المبطلة واعترضت دونها من الاعتراضات المشكلة بالظلمات وما فيها من الوعد
والوعيد بالرعد وما فيها من الايات الباهرة بالبرق وتصامهم عما يسمعون من الوعيد بحال من
يهوله الرعد فيخاف صواعقه فيسد اذنه عنها مع انه لا خلاص لهم منها وهو معنى قوله والله
محيط بالكافرين واهتزازهم لما يلمع لهم من رشد يدركونه او رفد تطمح اليه ابصارهم بمشيهم في مطرح
ضوء البرق كلما اضاء لهم وتحيرهم وتوقفهم في الامر حين تعرض لهم شبهة او تعن لهم مصيبة
بتوقفهم اذا اظلم عليهم ونبه بقوله ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم على انه تعالى جعل لهم
السمع والابصار ليتوسلوا بها الى الهدى والفلاح ثم انهم صرفوها الى الحظوظ العاجلة
وسدوها عن الفوائد الاجلة ولو شاء الله لجعلهم بالحالة التي يجعلونها فانه على ما يشاء
قدير يا ايها الناس اعبدوا ربكم لما عدد فرق المكلفين وذكر خواصهم ومصارف امورهم
واهتماما بامر العبادة وتفخيما لشانها وجبرا لكلفة العبادة بلذة المخاطبة ويا حرف
وضع لنداء البعيد وقد ينادى به القريب تنزيلا له منزلة البعيد اما لعظمته كقول الداعي
يا رب ويا الله وهو اقرب اليه من حبل الوريد او لغفلته وسوء فهمه او للاعتناء بالمدعو له
وزيادة الحث عليه وهو مع المنادى جملة مفيدة لانه نائب مناب الفعل واي جعل وصلة

الى نداء المعرف باللام فان ادخال يا عليه متعذر لتعذر الجمع بين حرفي التعريف فانهما كمثلين
واعطى حكم المنادى واجري عليه المقصود بالنداء وصفا موضحا له والتزم رفعه اشعارا
بانه المقصود واقحمت بينهما هاء التنبيه تاكيدا وتعويضا عما يستحقه اي من المضاف اليه
وانما كثر النداء على هذه الطريقة في القران لاستقلاله باوجه من التاكيد وكل ما نادى الله له
عباده من حيث انها امور عظام من حقها ان يتفطنوا لها ويقبلوا بقلوبهم عليها واكثرهم عنها
غافلون حقيق بان ينادى له بالاكد الابلغ والجموع واسماؤها المحلاة باللام للعموم حيث
لا عهد ويدل عليه صحة الاستثناء منها والتوكيد بما يفيد العموم كقوله تعالى فسجد الملائكة
كلهم اجمعون واستدلال الصحابة بعمومها شائعا ذائعا فالناس يعم الموجودين وقت النزول
لفظا ومن سيوجد لما تواتر من دينه عليه الصلوة والسلام ان مقتضى خطابه واحكامه شامل
للقبيلين ثابت الى قيام الساعة الا ما خصه الدليل وما روي عن علقمة والحسن ان كل شيء نزل فيه يا ايها
الناس فمكي ويا ايها الذين امنوا فمدني ان صح رفعه فلا يوجب تخصيصه بالكفار ولا امرهم بالعبادة
فان المامور به هو المشترك بين بدء العبادة والزيادة فيها والمواظبة عليها فالمطلوب من الكفار
هو الشروع فيها بعد الاتيان بما يجب تقديمه من المعرفة والاقرار بالصانع فان من لوازم وجوب
الشيء وجوب ما لا يتم الا به وكما ان الحدث لا يمنع وجوب الصلوة فالكفر لا يمنع وجوب العبادة
بل يجب رفعه والاشتغال بها عقيبه ومن المؤمنين ازديادهم وثباتهم عليها وانما قال ربكم تنبيها
على ان الموجب للعبادة هي الربوبية الذي خلقكم صفة جرت عليه للتعظيم والتعليل ويحتمل التقييد
والتوضيح ان خص الخطاب بالمشركين واريد بالرب اعم من الرب الحقيقي والالهة التي يسمونها اربابا
والخلق ايجاد الشيء على تقدير واستواء واصله التقدير يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها بالمقياس
والذين من قبلكم متناول كل ما يتقدم الانسان بالذات او بالزمان منصوب معطوف على الضمير المنصوب
في خلقكم والجملة اخرجت مخرج المقرر عندهم اما لاعترافهم به كما قال ولئن سالتهم من خلقهم
ليقولن الله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله او لتمكنهم من العلم به بادنى
تامل وقرئ من قبلكم على اقحام الموصول الثاني بين الاول وصلته تاكيدا كما اقحم جرير في يا تيم تيم
عدي لا ابا لكم تيم الثاني بين الاول وما اضيف اليه لعلكم تتقون حال من الضمير في اعبدوا كانه قال

اعبدوا ربكم راجين ان تنخرطوا في سلك المتقين الفائزين بالهدى والفلاح المستوجبين جوار الله
تعالى نبه به على ان التقوى منتهى درجات السالكين وهو التبري عن كل شيء سوى الله تعالى الى الله وان
العابد ينبغي ان لا يغتر بعبادته ويكون ذا خوف ورجاء كما قال تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا يرجون
رحمته ويخافون عذابه او من مفعول خلقكم والمعطوف عليه على معنى انه خلقكم ومن قبلكم في صورة
من يرجى منه التقوى لترجح امره باجتماع اسبابه وكثرة الدواعي اليه وغلب المخاطبين على الغائبين
في اللفظ والمعنى على ارادتهم جميعا وقيل تعليل للخلق اي خلقكم لكي تتقوا كما قال الله تعالى وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون وهو ضعيف اذ لم يثبت في اللغة مثله والاية تدل على ان الطريق الى معرفة
الله تعالى والعلم بوحدانيته واستحقاقه للعبادة النظر في صنعه والاستدلال بافعاله وان العبد
لا يستحق عليه بعبادته ثوابا فانها لما وجبت عليه شكرا لما عدده عليه من النعم السابقة فهو كاجير اخذ
الاجر قبل العمل الذي جعل لكم الارض فراشا صفة ثانية او مدح منصوب او مرفوع او مبتدا خبره
فلا تجعلوا لله اندادا وجعل من الافعال العامة يجيء على ثلاثة اوجه بمعنى صار وطفق فلا يتعدى
كقوله فقد جعلت قلوص بني سهيل من الاكوار مرتعها قريب وبمعنى اوجد فيتعدى
الى مفعول واحد كقوله تعالى وجعل الظلمات والنور وبمعنى صير فيتعدى الى مفعولين كقوله تعالى
جعل لكم الارض فراشا والتصيير يكون بالفعل تارة وبالقول او العقد اخرى ومعنى جعلها
فراشا ان جعل بعض جوانبها بارزا عن الماء مع ما في طبعه من الاحاطة بها وصيرها متوسطة
بين الصلابة واللطافة حتى صارت مهياة لان يقعدوا وينا موا عليها كالفراش المبسوط
وذلك لا يستدعي كونها مسطحة لان كروية شكلها مع عظم حجمها واتساع جرمها لا تابى الافتراش
عليها والسماء بناء قبة مضروبة عليكم والسماء اسم جنس يقع على الواحد والمتعدد
كالدينار والدرهم وقيل جمع سماءة والبناء مصدر سمي به المبني بيتا كان او قبة او خباء
ومنه بنى على امراته لانهم كانوا اذا تزوجوا ضربوا عليها خباء جديدا وانزل من السماء ماء
فاخرج به من الثمرات رزقا لكم عطف على جعل وخروج الثمار بقدرة الله ومشيئته
ولكن جعل الماء الممزوج بالتراب سببا في اخراجها ومادة لها كالنطفة للحيوان بان اجرى
عادته بافاضة صورها وكيفياتها على المادة الممتزجة منها او ابدع في الماء قوة فاعلة وفي

الارض قوة قابلة يتولد من اجتماعهما انواع الثمار وهو قادر على ان يوجد الاشياء
بلا اسباب ومواد كما ابدع نفوس الاسباب والمواد ولكن له في انشائها مدرجا من حال الى
حال صنائع وحكم يجدد فيها لاولي الابصار عبرا وسكونا الى عظم قدرته ليس ذلك في ايجادها
دفعة ومن الاولى للابتداء سواء اريد بالسماء السحاب فان ما علاك سماء او الفلك فان المطر يبتدئ
من السماء الى السحاب ومنه الى الارض على ما دلت عليه الظواهر او من اسباب سماوية تثير الاجزاء
الرطبة من اعماق الارض الى جو الهواء فتنعقد سحابا ماطرا ومن الثانية للتبعيض بدليل
قوله تعالى فاخرجنا به ثمرات واكتناف المنكرين له اعني ماء ورزقا كانه قال وانزلنا من السماء
بعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهذا الواقع اذ لم ينزل من السماء
كله ولا اخرج بالمطر كل الثمرات ولا جعل كل المرزوق ثمارا او للتبيين ورزقا مفعول بمعنى
المرزوق كقولك انفقت من الدراهم الفا وانما ساغ الثمرات والموضع موضع الكثرة لانه اراد
بالثمرة جماعة الثمرة التي في قولك ادركت ثمرة بستانه ويؤيده قراءة من قرأ من الثمرة على التوحيد
او لان الجموع يتعاور بعضها موضع بعض كقوله تع كم تركوا من جنات وعيون وقوله ثلثة قروء
او لانها لما كانت محلاة باللام خرجت عن حد القلة ولكم صفة رزقا ان اريد به المرزوق
ومفعول به ان اريد به المصدر كانه قال رزقا اياكم فلا تجعلوا لله اندادا متعلق باعبدوا
على انه نهي معطوف عليه او نفي منصوب باضمار ان جوابا له او بلعل على ان نصب تجعلوا نصب
فاطلع في قوله لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الحاقا بالاشياء الستة
لاشتراكها في انها غير موجبة والمعنى ان تتقوا لا تجعلوا لله اندادا او بالذي جعل ان استأنفت
به على انه نهي وقع خبرا على تاويل مقول فيه فلا تجعلوا والفاء للسببية ادخلت عليه لتضمن
المبتدا معنى الشرط والمعنى من خصكم بهذه النعم الجسام والآيات العظام ينبغي ان لا يشرك
به والند المثل المساوي قال جرير اتيما تجعلون الي ندا وما تيم لذي حسب نديد من ند
ندودا اذا نفر وناددت الرجل خالفته خص بالمخالف المماثل في الذات كما خص المساوي
للمماثل في القدر وتسمية ما يعبده المشركون من دون الله اندادا وما زعموا انها تساويه في ذاته
وصفاته ولا انها تخالفه في افعاله لانهم لما تركوا عبادته الى عبادتها وسموها آلهة شابهت

حالهم حال من يعتقد انها ذوات واجبة بالذات قادرة على ان تدفع عنهم باس الله وتمنحهم ما
لم يرد الله بهم من خير فتهكم بهم وشنع عليهم بان جعلوا اندادا لمن يمتنع ان يكون له ند ولهذا
قال موحد الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل اربا واحدا ام الف رب ادين اذا تقسمت الامور
تركت اللات والعزى جميعا كذلك يفعل الرجل البصير وانتم تعلمون حال من ضمير فلا تجعلوا
ومفعول تعلمون مطروح اي وحالكم انكم من اهل العلم والنظر واصابة الراي فلو تاملتم
ادنى تامل اضطر عقلكم الى اثبات موجد للممكنات متفرد بوجوب الذات متعال عن مشابهة
المخلوقات او منوي وهو انها لا تماثله ولا تقدر على مثل ما يفعله كقوله تع هل من شركائكم
من يفعل من ذلكم من شيء فعلى هذا فالمقصود منه التوبيخ والتثريب لا تقييد الحكم وقصره عليه
فان العالم والجاهل المتمكن من العلم سواء في التكليف واعلم ان مضمون الآيتين هو الامر بعبادة الله
والنهي عن الاشراك به والاشارة الى ما هو العلة والمقتضي وبيانه انه رتب الامر بالعبادة
على صفة الربوبية اشعارا بانها العلة لوجوبها ثم بين ربوبيته بانه خالقهم وخالق
اصولهم وما يحتاجون اليه في معاشهم من المقلة والمظلة والمطاعم والملابس فان الثمرة
اعم من المطعوم والرزق اعم من الماكول والمشروب ثم لما كانت هذه امورا لا يقدر عليها غيره
شاهدة على وحدانيته رتب عليها النهي عن الاشراك به ولعله سبحانه اراد من الآية الاخيرة
مع ما دل عليه الظاهر وسيق فيه الكلام الاشارة الى تفصيل خلق الانسان وما افاض عليه
من المعاني والصفات على طريقة التمثيل فمثل البدن بالارض والنفس بالسماء والعقل
بالماء وما افاض عليه من الفضائل العملية والنظرية المحصلة بواسطة استعمال العقل
للحواس وازدواج القوى النفسانية والبدنية بالثمرات المتولدة من ازدواج القوى
السماوية الفاعلة والارضية المنفعلة بقدرة الفاعل المختار فان لكل آية ظهرا وبطنا
ولكل حد مطلعا وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله لما قرر وحدانيته
وبين الطريق الموصل الى العلم بها ذكر عقيبه ما هو الحجة على نبوة محمد م وهو القرآن المعجز
بفصاحته التي بذت فصاحة كل منطيق وافحام من طولب بمعارضته من مصاقع الخطباء
من العرب العرباء مع كثرتهم وافراطهم في المضادة والمضارة وتهالكهم على المعازة

وعرفنا يتعرف به اعجازه ويتيقن انه من عند الله كما يدعيه وانما قال مما نزلنا لان
نزوله نجما فنجما بحسب الوقايع على ما ترى عليه اهل الشعر والخطابة مما يريبهم كما حكى الله تع عنهم
فقال وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القران جملة واحدة فكان الواجب تحديهم على هذا
الوجه ازاحة للشبهة والزاما للحجة واضاف العبد الى نفسه تنويها بذكره وتنبيها على انه
مختص به منقاد لحكمه وقرئ عبادنا يريد محمدا وامته والسورة الطائفة من القران
المترجمة التي اقلها ثلث ايات وهي ان جعلت واوها اصلية منقولة من سور المدينة لانها محيطة
بطائفة من القران مفرزة محوزة على حيالها او محتوية على انواع من العلم احتواء سور
المدينة على ما فيها او من السورة التي هي الرتبة قال ولرهط حراب وقد سورة
في المجد ليس غرابها بمطار لان السور كالمنازل والمراتب يترقى فيها القارى او لها مراتب في الطول
والقصر والفضل والشرف وثواب القراة وان جعلت مبدلة من الهمزة فمن السورة التي هي البقية
والقطعة من الشي والحكمة في تقطيع القران سورا افراد الانواع وتلاحق الاشكال و
تجاوب النظم وتنشيط القاري وتسهيل الحفظ والترغيب فيه فانه اذا ختم سورة نفس ذلك
منه كالمسافر اذا علم انه قطع ميلا او طوى بريدا والحافظ متى حذقها اعتقد انه اخذ من
القران حظا تاما وفاز بطائفة محدودة مستقلة بنفسها فعظم ذلك عنده وابتهج به الى غير ذلك
من الفوايد من مثله صفة سورة اي بسورة كاينة من مثله والضمير لما نزلنا ومن للتبعيض
او للتبيين وزائدة عند الاخفش اي بسورة مماثلة للقران في البلاغة وحسن النظم او لعبدنا
ومن للابتدا اي بسورة كاينة ممن هو على حاله من كونه بشرا اميا لم يقرا الكتب ولم يتعلم العلوم
او صلة فاتوا والضمير للعبد والرد الى المنزل اوجه لانه المطابق لقوله فاتوا بسورة مثله
ولساير ايات التحدي ولان الكلام فيه لا في المنزل عليه فحقه ان لا ينفك عنه ليتسق الترتيب
والنظم ولان مخاطبة الجم الغفير بان ياتوا بمثل ما اتى به واحد من ابنا جلدتهم ابلغ في التحدي
من ان يقال لهم ليات بنحو ما اتى به هذا اخر مثله ولانه معجز في نفسه لا بالنسبة اليه لقوله
قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولان رده الى
عبدنا يوهم امكان صدوره ممن لم يكن على صفته ولا يلايمه قوله وادعوا شهداكم من دون

من دون الله فانه امر بان يستعينوا بكل من ينصرهم ويعينهم والشهدا جمع شهيد بمعنى الحاضر
او القايم بالشهادة او الناصر او الامام وكانه سمي به لانه يحضر النوادي وتبرم بمحضره الامور
اذ التركيب للحضور اما بالذات او بالتصور ومنه قيل للمقتول في سبيل الله شهيد لانه حضر ما كان يرجوه
او الملايكة حضروه ومعنى دون ادنى مكان من الشي ومنه تدوين الكتب لانه ادنا البعض من البعض
ودونك هذا اي خذه من ادنى مكان منك ثم استعير للرتب فقيل زيد دون عمرو اي في الشرف
ومنه الشي الدون ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حد الى حد وتخطي امر الى اخر قال تعالى
لا يتخذ المومنون الكافرين اوليا من دون المومنين اي لا يتجاوزوا ولاية المومنين الى ولاية
الكافرين وقال امية يا نفس ما لك دون الله من واق اي اذا تجاوزت وقاية الله فلا
يقيك غيره ومن متعلقة بادعوا والمعنى وادعوا للمعارضة من حضركم او رجوتم معونته
من انسكم وجنكم والهتكم غير الله فانه لا يقدر على ان ياتي بمثله الا الله تع او ادعوا من
دون الله شهدا يشهدون لكم بان ما اتيتم به مثله ولا تستشهدوا بالله فانه من ديدن المبهوت
العاجز عن اقامة الحجة او شهداكم الذين اتخذتموهم من دون الله اوليا او الهة وزعمتم
انها تشهد لكم يوم القيمة او الذين يشهدون لكم بين يدي الله تع على زعمكم من قول الاعشى
تريك القذى من دونها وهي دونه ليعينوكم وفي امرهم ان يستظهروا بالجماد في معارضة القران
غاية التبكيت والتهكم بهم وقيل من دون الله اي من دون اوليايه يعني فصحا العرب ووجوه
المشاهد ليشهدوا لكم ان ما اتيتم به مثله فان العاقل لا يرضى لنفسه ان يشهد بصحة ما اتضح فساده
وبان اختلاله ان كنتم صادقين انه من كلام البشر وجوابه محذوف دل عليه ما قبله والصدق
الاخبار المطابق وقيل مع اعتقاد المخبر انه كذلك عن دلالة او امارة لانه تعالى كذب المنافقين
في قولهم انك لرسول الله لما لم يعتقدوا مطابقته ورد بصرف التكذيب الى قولهم نشهد لان
الشهادة اخبار عما علمه وهم ما كانوا عالمين به فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها
الناس والحجارة لما بين لهم ما يتعرفون به امر الرسول وما جاء به وميز لهم الحق عن الباطل رتب
عليه ما هو كالفذلكة له وهو انكم اذا اجتهدتم في معارضته وعجزتم جميعا عن الاتيان بما يساويه
او يدانيه ظهر انه معجز والتصديق به واجب فامنوا به واتقوا العذاب المعد لمن كذب فعبر

عن الاتيان المكيف بالفعل الذي يعم الاتيان وغيره ايجازا مع الايجاز وصدر الشرطية
بان التي للشك والحال تقتضي اذا الذي للوجوب فان القائل سبحانه لم يكن شاكا في
عجزهم ولذلك نفى اتيانهم معترضا بين الشرط والجزاء تهكما بهم او خطابا معهم على حسب
ظنهم فان العجز قبل التأمل لم يكن محققا عندهم وتفعلوا جزم بلم لانها واجبة الاعمال مختصة
بالمضارع متصلة بالمعمول ولانها لما صيرته ماضيا صارت كالجزء منه وحرف الشرط كالداخل
على المجموع فكأنه قال فان تركتم الفعل ولذلك ساغ اجتماعهما ولن كلا في نفي المستقبل
غير انه ابلغ وهو حرف مقتضب عند سيبويه والخليل في احدى الروايتين عنه وفي الرواية
الاخرى اصله لا ان وعند الفراء لا فابدلت الفها نونا والوقود بالفتح ما يوقد به النار
وبالضم المصدر وقد جاء المصدر بالفتح قال سيبويه وسمعنا من يقول وقدت النار وقودا
عاليا والاسم بالضم ولعله مصدر سمي به كما قيل فلان فخر قومه وزين بلده وقد قرئ به والظاهر
ان المراد به الاسم وان اريد به المصدر فعلى حذف المضاف اي وقودها احتراق الناس والحجارة
وهي جمع حجر كجمالة جمع جمل وهو قليل غير منقاس والمراد بها الاصنام التي نحتوها وقرنوا
بها انفسهم وعبدوها طمعا في شفاعتها والانتفاع بها واستدفاع المضار لمكانتهم
ويدل عليه قوله تع انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم عذبوا بما هو منشأ جرمهم
كما عذب الكانزون بما كنزوه او بنقيض ما كانوا يتوقعون زيادة في تحسرهم وقيل الذهب والفضة
التي كانوا يكنزونها ويغترون بها وعلى هذا لم يكن لتخصيص اعداد هذا النوع من العذاب
بالكفار وجه وقيل حجارة الكبريت وهو تخصيص بغير دليل وابطال للمقصود اذ الغرض
تهويل شأنها وتفاقم لهبها بحيث تتقد بما لا تتقد بها غيرها والكبريت تتقد به كل نار وان
ضعفت فان صح هذا عن ابن عباس رض فلعله عنى به ان الاحجار كلها لتلك النار كحجارة
الكبريت لسائر النيران ولما كانت الاية مدنية نزلت بعدما نزل بمكة قوله تع في سورة التحريم
نارا وقودها الناس والحجارة وسمعوه بالمدينة صح تعريف النار ووقوع الجملة صلة فانه
يجب ان تكون قصة معلومة اعدت للكافرين هيئت لهم وجعلت عدة لعذابهم وقرئ اعتدت
من العتاد بمعنى العدة والجملة استئناف او حال باضمار قد من النار لا الضمير الذي في وقودها

وان جعلته صلة فللفصل بينهما بالخبر وفي الآيتين ما يدل على النبوة من وجوه الاول
ما فيهما من التحدي والتحريض على الجد وبذل الوسع في المعارضة بالتقريع والتهديد وتعليق
الوعيد على عدم الاتيان بما يعارض اقصر سورة من سور القرآن ثم انهم مع كثرتهم واشتهارهم
بالفصاحة وتهالكهم على المضادة لم يتصدوا للمعارضة والتجأوا الى جلاء الوطن وبذل
المهج والثاني انهما تتضمنان الاخبار عن الغيب على ما هو به فانهم لو عارضوه بشيء لامتنع خفاؤه
عادة سيما والطاعنون فيه اكثر من الذابين عنه في كل عصر والثالث انه عم لو شك في امره
لما دعاهم الى المعارضة بهذه المبالغة مخافة ان يعارض فتدحض حجته وقوله اعدت للكافرين
دل على ان النار مخلوقة معدة لهم الآن وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات
عطف على الجملة السابقة والمقصود عطف حال من آمن بالقرآن ووصف ثوابه على حال
من كفر به وكيفية عقابه على ما جرت به العادة الالهية من ان يشفع الترغيب بالترهيب
تنشيطا لاكتساب ما ينجي وتثبيطا عن اقتراف ما يردي لا عطف الفعل نفسه حتى يجب ان يطلب له
ما يشاكله من امر او نهي فيعطف عليه او على فاتقوا لانهم اذا لم يأتوا بما يعارضه بعد التحدي
ظهر اعجازه واذا ظهر ذلك فمن كفر به استوجب العقاب ومن آمن به استحق الثواب وذلك
يستدعي ان يخوف هؤلاء ويبشر هؤلاء وانما امر الرسول صلعم او عالم كل عصر او كل احد يقدر على
البشارة بان يبشرهم ولم يخاطبهم بالبشارة كما خاطب الكفرة تفخيما لشأنهم وايذانا بانهم
احقاء بان يبشروا ويهنأوا بما اعد لهم وقرئ وبشر على البناء للمفعول عطفا على اعدت فيكون
استئنافا والبشارة الخبر السار فانه يظهر اثر السرور في البشرة ولذلك قال الفقهاء
البشارة هو الخبر الاول حتى لو قال الرجل لعبيده من بشرني بقدوم ولدي فهو حر
فاخبروه فرادى عتق اولهم ولو قال من اخبرني عتقوا جميعا واما قوله تعالى فبشرهم بعذاب
اليم فعلى التهكم او على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع والصالحات جمع صالحة
وهي من الصفات الغالبة التي تجري مجرى الاسماء كالحسنة قال الحطيئة كيف الهجاء
وما تنفك صالحة من آل لأم بظهر الغيب تأتيني وهي من الاعمال ما سوغه الشرع وحسنه
وتأنيثها على تأويل الخصلة او الخلة واللام فيها للجنس وعطف العمل على الايمان مرتبا

للحكم عليها اشعاراً بان السبب في استحقاق هذه البشارة مجموع الامرين والجمع بين الوصفين
فان الايمان الذي هو عبارة عن التحقيق والتصديق اسّ والعمل الصالح كالبناء عليه
ولا غناء باسّ لا بناء عليه ولذلك قلما ذكرا منفردين وفيه دليل على انها خارجة عن مسمى
الايمان اذ الاصل ان الشيء لا يعطف على نفسه ولا ما هو داخل فيه ان لهم منصوب بنزع الخافض
وافضاء الفعل اليه او مجرور باضمار مثل الله لافعلن والجنة المرة من الجن وهو مصدر
جنه اذا ستره ومدار التركيب على الستر سمي بها الشجر المظلل لالتفاف اغصانه للمبالغة
كانه يستر ما تحته سترة واحدة قال كان عيني في غربي مقتلة من النواضح تسقي جنة سحقا
اي نخلا طوالا ثم البستان لما فيه من الاشجار المتكاثفة المظللة ثم دار الثواب لما فيها من الجنان
وقيل سميت بذلك لانه ستر في الدنيا ما اعد فيها للبشر من افنان النعم كما قال تعالى فلا تعلم نفس
ما اخفي لهم من قرة اعين وجمعها وتنكيرها لان الجنان على ما ذكره ابن عباس رض سبع جنة الفردوس
وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة المأوى ودار السلام وعليون وفي كل
واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة على حسب تفاوت الاعمال والعمال واللام تدل على استحقاقهم
اياها لاجل ما ترتب عليه من الايمان والعمل الصالح لا لذاته فانه لا يكافي النعم السابقة فضلا
عن ان يقتضي ثوابا وجزاء فيما يستقبل بل بجعل الشارع ومقتضى وعده ولا على الاطلاق
بل بشرط ان يستمر عليه حتى يموت وهو مؤمن لقوله تع ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو
كافر فاولئك حبطت اعمالهم وقوله تع لنبيه لئن اشركت ليحبطن عملك واشباه ذلك ولعله
سبحانه لم يقيده هنا استغناء بها تجري من تحتها الانهار اي من تحت اشجارها كما ترى جارية
تحت الاشجار النابتة على شواطئها وعن مسروق انهار الجنة تجري في غير اخدود واللام في
الانهار للجنس كما في قولك لفلان بستان فيه الماء الجاري او للعهد والمعهود هي الانهار المذكورة
في قوله تعالى انهار من ماء غير آسن الاية والنهر بالفتح والسكون المجرى الواسع فوق الجدول
ودون البحر كالنيل والفرات والتركيب للسعة والمراد بها ماؤها على الاضمار او على المجاز
او المجاري انفسها واسناد الجري اليها مجاز كما في قوله تعالى واخرجت الارض اثقالها كلما رزقوا
منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل صفة ثانية لجنات او خبر مبتدا محذوف او جملة

مستأنفة كانه لما قيل ان لهم جنات وقع في خلد السامع اثمارها مثل ثمار الدنيا او اجناس
اخر فازيح بذلك وكلما نصب على الظرف ورزقا مفعول به ومن الاولى والثانية للابتداء
واقعتان موقع الحال واصل الكلام ومعناه كل حين رزقوا مرزوقا مبتديا من الجنات مبتديا
من ثمرة قيد الرزق بكونه مبتديا من الجنات وابتداؤه منها بابتدائه من ثمرة فصاحب الحال الاولى
رزقا وصاحب الحال الثانية ضميره المستكن في الحال ويحتمل ان يكون من ثمرة بيانا تقدم كما في قولك
رايت منك اسدا وهذا اشارة الى نوع ما رزقوا كقولك مشيرا الى نهر جار هذا الماء لا ينقطع
فانك لا تعني به العين المشاهدة منه بل النوع المعلوم المستمر بتعاقب جرياته وان كانت الاشارة
الى عينه فالمعنى هذا مثل الذي رزقناه ولكن لما استحكم الشبه بينهما جعل ذاته ذاته
كقولك ابو يوسف ابو حنيفة من قبل اي من قبل هذا في الدنيا جعل ثمر الجنة من جنس ثمر
الدنيا لتميل النفس اليها اول ما ترى فان الطباع مائلة الى المألوف متنفرة عن غيره وتتبين
لها مزيته وكنه النعمة فيه اذ لو كان جنسا لم يعهد ظن انه لا يكون الا كذلك او في الجنة
لان طعامها متشابه الصور كما حكي عن الحسن ان احدهم يؤتى بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى
باخرى فيراها مثل الاولى فيقول ذلك فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف
او كما روي انه عم قال والذي نفس محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة
ليأكلها فما هي واصلة الى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها فلعلهم اذا راوها على
الهيئة الاولى قالوا ذلك والاول اظهر لمحافظته على عموم كلما فانه يدل على ترديدهم
هذا القول كل مرة رزقوا والداعي لهم الى ذلك فرط استغرابهم وتبجحهم بما وجدوا
من التفاوت العظيم في اللذة والتشابه البليغ في الصورة واتوا به متشابها اعتراض
يقرر ذلك والضمير على الاول راجع الى ما رزقوا في الدارين فانه مدلول عليه بقوله هذا
الذي رزقنا من قبل ونظيره قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما اي بجنسي الغني
والفقير وعلى الثاني الى الرزق فان قيل التشابه هو التماثل في الصفة وهو مفقود
بين ثمرات الدنيا والاخرة كما قال ابن عباس رض ليس في الجنة من اطعمة الدنيا الا الاسماء
قلنا التشابه بينهما حاصل في الصورة التي هي مناط الاسم دون المقدار والطعم وهو كاف

في اطلاق التشابه هذا وان للآية محملا آخر وهو ان مستلذات اهل الجنة في مقابلة ما رزقوا
في الدنيا من المعارف والطاعات متفاوتة في اللذة بحسب تفاوتها فيحتمل ان يكون المراد
من هذا الذي رزقنا انه ثوابه ومن تشابههما تماثلهما في الشرف والمزية وعلو الطبقة
فيكون هذا في الوعد نظير قوله ذوقوا ما كنتم تعملون في الوعيد ولهم فيها ازواج مطهرة
مما يستقذر من النساء ويذم من احوالهن كالحيض والدرن ودنس الطبع وسوء الخلق
فان التطهير يستعمل في الاجسام والاخلاق والافعال وقرئ مطهرات وهما لغتان فصيحتان
يقال النساء فعلت وفعلن وهن فاعلة وفواعل واذا العذارى بالدخان تقنعت
واستعجلت نصب القدور فملت فالجمع على اللفظ والافراد على تاويل الجماعة ومطهرة
بتشديد الطاء وكسر الهاء بمعنى متطهرة ومطهرة ابلغ من طاهرة ومتطهرة للاشعار بان مطهرا
طهرهن وليس هو الا الله تعالى والزوج يقال للذكر والانثى وهو في الاصل لما له قرين من
جنسه كزوج الخف فان قيل فائدة المطعوم هو التغذي ودفع ضرر الجوع وفائدة المنكوح
التوالد وحفظ النوع وهي مستغنى عنها في الجنة قلت مطاعم الجنة ومناكحها وسائر
احوالها انما تشارك نظائرها الدنيوية في بعض الصفات والاعتبارات وتسمى
باسمائها على سبيل الاستعارة والتمثيل ولا تشاركها في تمام حقيقتها حتى تستلزم جميع ما
يلزمها وتفيد عين فائدتها وهم فيها خالدون دائمون والخلد والخلود في الاصل الثبات
المديد دام ام لم يدم ولذلك قيل للاثافي والاحجار خوالد وللجزء الذي يبقى من
الانسان على حاله ما دام حيا خلد ولو كان وضعه للدوام كان التقييد بالتابيد في قوله
خالدين فيها ابدا لغوا واستعماله حيث لا دوام كقولهم وقف مخلد يوجب اشتراكا او مجازا
والاصل ينفيهما بخلاف ما لو وضع للاعم منه فاستعمل فيه بذلك الاعتبار كاطلاق
الجسم على الانسان مثل قوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد لكن المراد به الدوام ههنا
عند الجمهور لما يشهد له من الآيات والسنن فان قيل الابدان مركبة من اجزاء متضادة الكيفية
معرضة للاستحالات المؤدية الى الانفكاك والانحلال فكيف يعقل خلودها في الجنان
قلت انه تعالى يعيدها بحيث لا يعتورها الاستحالة بان يجعل اجزاءها مثلا متفاوتة في الكيفية

متساوية

متساوية في القوة لا يقوى شيء منها على احالة الآخر متعانقة متلازمة لا ينفك
بعضها عن بعض كما يشاهد في بعض المعادن هذا وان قياس ذلك العالم واحواله على ما
نجده ونشاهده من نقص العقل وضعف البصيرة واعلم انه لما كان معظم اللذات الحسية
مقصورا على المساكن والمطاعم والمناكح على ما دل عليه الاستقراء وكان ملاك ذلك كله
الثبات والدوام فان كل نعمة جليلة اذا قارنها خوف الزوال كانت منغصة غير صافية
من شوائب الالم بشر المؤمنين بها ومثل ما اعد لهم في الآخرة بابهى ما يستلذ به منها وازال عنهم
خوف الفوات بوعد الخلود ليدل على كمالهم في التنعم والسرور ان الله لا يستحيي ان يضرب
مثلا ما بعوضة لما كانت الآيات السابقة متضمنة لانواع من التمثيل عقب ذلك ببيان
حسنه وما هو الحق له والشرط فيه وهو ان يكون على وفق الممثل له من الجهة التي تعلق بها التمثيل
في العظم والصغر والخسة والشرف دون الممثل فان التمثيل انما يصار اليه لكشف المعنى الممثل
له ورفع الحجاب عنه وابرازه في صورة المشاهد المحسوس ليساعد فيه الوهم العقل ويصالحه
عليه فان المعنى الصرف انما يدركه العقل مع منازعة من الوهم لان من طبعه الميل الى الحس وحب
المحاكاة ولذلك شاعت الامثال في الكتب الالهية وفشت في عبارات البلغاء واشارات
الحكماء فيمثل الحقير بالحقير كما يمثل العظيم بالعظيم وان كان الممثل اعظم من كل عظيم كما مثل في
الانجيل غل الصدر بالنخالة والقلوب القاسية بالحصاة ومخاطبة السفهاء باثارة
الزنابير وجاء في كلام العرب اسمع من قراد واطيش من فراشة واعز من مخ البعوض لا كما قالت
الجهلة من الكفار لما مثل الله حال المنافقين بحال المستوقدين واصحاب الصيب وعبادة الاصنام
في الوهن والضعف ببيت العنكبوت وجعلها اقل من الذباب واخس قدرا منه والله تعالى
اعلى واجل من ان يضرب الامثال ويذكر الذباب والعنكبوت وايضا لما ارشدهم الى ما يدل
على ان المتحدى به وحي منزل ورتب عليه وعيد من كفر به ووعد من آمن به بعد ظهور امره شرع
في جواب ما طعنوا به فيه فقال ان الله لا يستحيي اي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من
يستحيي ان يمثل بها لحقارتها والحياء انقباض النفس عن القبيح مخافة الذم وهو الوسط
بين الوقاحة التي هي الجراءة على القبائح وعدم المبالاة بها والخجل الذي هو انحصار النفس

عن الفعل مطلقا واشتقاقه من الحياة فانه انكسار يعتري القوة الحيوانية فيردها عن
افعالها فقيل حيي الرجل كما قيل نسي وحشي اذا اعتلت نساه وحشاه واذا اتصف به
الباري تعالى كما جاء في الحديث ان الله يستحيي من ذي الشيبة المسلم ان يعذبه ان الله حيي كريم
يستحيي اذا رفع العبد يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا فالمراد به الترك اللازم
للانقباض كما ان المراد من رحمته وغضبه اصابة المعروف والمكروه اللازمين لمعنييهما ونظيره
قول من يصف ابلا اذا ما استحين الماء يعرض نفسه كرعن بسبت في اناء من الورد وانما
عدل به عن الترك لما فيه من التمثيل والمبالغة وتحتمل الآية خاصة ان يكون مجيئه على
المقابلة لما وقع في كلام الكفرة وضرب المثل اعتماله من ضرب الخاتم واصله وقع شيء
على آخر وان بصلتها مخفوض المحل عند الخليل باضمار من منصوب بافضاء الفعل اليه بعد
حذفها عند سيبويه وما ابهامية تزيد النكرة ابهاما وشياعا وتسد عنها طرق التقييد
كقولك اعطني كتابا ما اي اي كتاب كان او مزيدة للتاكيد كالتي في قوله تعالى فبما رحمة ولا
نعني بالمزيد اللغو الضائع فان القرآن كله هدى وبيان بل ما لم يوضع لمعنى يراد منه وانما وضعت
لان تذكر مع غيره فتفيده وثاقة وقوة وهو زيادة في الهدى غير قادح فيه وبعوضة
عطف بيان لمثلا او مفعول ليضرب ومثلا حال تقدمت عليه لانها نكرة او هما مفعولاه لتضمنه
معنى الجعل وقرئت بالرفع على انه خبر مبتدأ وعلى هذا يحتمل ما وجوها اخر ان تكون موصولة حذف
صدر صلتها كما حذف في قوله تعالى تماما على الذي احسن وموصوفة بصفة كذلك ومحلها النصب
بالبدلية على الوجهين واستفهامية هي المبتدأ كانه لما رد استبعادهم ضرب الله الامثال
قال بعده ما البعوضة فما فوقها حتى لا يضرب به المثل بل له ان يمثل بما هو احقر من ذلك ونظيره
فلان لا يبالي بما يهب ما دينار وديناران والبعوض فعول من البعض وهو القطع كالبضع
والعضب غلب على هذا النوع كالخموش فما فوقها عطف على بعوضة او ما ان جعل اسما ومعناه
ما زاد عليها في الجثة كالذباب والعنكبوت كانه قصد به رد ما استنكروه والمعنى انه لا يستحيي ضرب
المثل بالبعوض فضلا عما هو اكبر منه او في المعنى الذي جعلت فيه مثلا وهو الصغر والحقارة
كجناحها فانه عليه السلام ضربه مثلا للدنيا ونظيره في الاحتمالين ما روي ان رجلا بمنى خر على طنب

فسطاط

فسطاط فقالت عائشة رضي الله عنها سمعت رسول الله قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها
الا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة فانه يحتمل ما تجاوز الشوكة في الالم كالخرور
على طنب الفسطاط او ما زاد عليها في القلة كنخبة النملة فاما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق
من ربهم اما حرف تفصل ما اجمل ويؤكد ما به صدر ويتضمن معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء
قال سيبويه اما زيد فذاهب لا محالة وانه منه عزيمة وكان الاصل دخول الفاء على الجملة لانها
الجزاء لكن كرهوا ايلاءها حرف الشرط فادخلوا الخبر وعوضوا المبتدأ عن الشرط لفظا وفي
تصدير الجملتين به احماد لامر المؤمنين واعتداد بعلمهم وذم بليغ للكافرين على قولهم والضمير في انه
للمثل او لان يضرب والحق الثابت الذي لا يسوغ انكاره يعم الاعيان الثابتة والافعال
الصائبة والاقوال الصادقة من قولهم حق الامر اذا ثبت ومنه ثوب محقق اي محكم النسج
واما الذين كفروا فيقولون كان من حقه واما الذين كفروا فلا يعلمون ليطابق قرينه ويقابل قسيمه
لكن لما كان قولهم هذا دليلا واضحا على كمال جهلهم عدل اليه على سبيل الكناية ليكون كالبرهان عليه
ماذا اراد الله بهذا مثلا يحتمل وجهين ان يكون ما استفهامية وذا بمعنى الذي وما بعده صلته والمجموع
خبر ما وان يكون ما مع ذا اسما واحدا بمعنى اي شيء منصوب المحل على المفعولية مثل ما اراد الله والاحسن
في جوابه الرفع على الاول والنصب على الثاني ليطابق الجواب السؤال والارادة نزوع النفس
وميلها الى الفعل بحيث يحملها عليه ويقال للقوة التي هي مبدأ النزوع والاول مع الفعل
والثاني قبله وكلا المعنيين غير متصور اتصاف الباري به ولذلك اختلف في معنى ارادته فقيل
ارادته لافعاله انه غير ساه ولا مكره ولافعال غيره امره بها فعلى هذا لم تكن المعاصي بارادته
وقيل علمه باشتمال الامر على النظام الاكمل والوجه الاصلح فانه يدعو القادر الى تحصيله
والحق انه ترجيح احد مقدوريه على الآخر وتخصيصه بوجه دون وجه او معنى يوجب هذا
الترجيح وهي اعم من الاختيار فانه ميل مع تفضيل وفي هذا استحقار واسترذال ومثلا نصب
على التمييز او الحال كقوله تعالى هذه ناقة الله لكم آية يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا جواب ماذا اي
اضلال كثير واهداء كثير وضع الفعل موضع المصدر للاشعار بالحدوث والتجدد او بيان
للجملتين المصدرتين باما وتسجيل بان العلم بكونه حقا هدى وبيان وان الجهل بوجه ايراده

معناه مهما يكن من شيء فزيد ذاهب م
اي هو ذاهب

والانكار عمن مورده ضلال وفسوق وكثرة كل واحد من القبيلين بالنظر الى نفسهم لا بالقياس
الى مقابليهم فان المهديين قليلون بالاضافة الى اهل الضلال كما قال الله تع وقليل من عبادي
الشكور ويحتمل ان يكون كثرة الضالين من حيث العدد وكثرة المهديين باعتبار الفضل والشرف
كما قال قليل اذا عدوا كثير اذا شدوا وقال ان الكرام كثير في البلاد وان قلوا كما غيرهم
قل وان كثروا وما يضل به الا الفاسقين اي الخارجين عن حد الايمان كقوله تع ان المنافقين
هم الفاسقون من قولهم فسقت الرطبة عن قشرها اذا خرجت واصل الفسق الخروج عن القصد
قال رؤبة فواسقا عن قصدها جوائرا والفاسق في الشرع الخارج عن امر الله تعالى
بارتكاب الكبيرة وله درجات ثلاث الاولى التغابي وهو ان يرتكبها احيانا مستقبحا اياها
والثانية الانهماك وهو ان يعتاد ارتكابها غير مبال بها والثالثة الجحود وهو ان يرتكبها
مستصوبا اياها فاذا شارف هذا المقام وتخطى خططه خلع ربقة الايمان من عنقه و
لابس الكفر وما دام هو في درجة التغابي او الانهماك فلا يسلب عنه اسم المؤمن لاتصافه
بالتصديق الذي هو مسمى الايمان ولقوله تع وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا والمعتزلة
لما قالوا الايمان عبارة عن مجموع التصديق والاقرار والعمل والكفر تكذيب الحق وجحوده
جعلوه قسما ثالثا نازلا بين منزلتي المؤمن والكافر لمشاركته كل واحد منهما في بعض الاحكام
وتخصيص الاضلال بهم مرتبا على صفة الفسق يدل على انه الذي اعدهم للاضلال وادى
بهم الى الضلال به وذلك لان كفرهم وعدولهم عن الحق واصرارهم بالباطل صرفت وجوه
افكارهم عن حكمة المثل الى حقارة الممثل به حتى رسخت به جهالتهم وازدادت ضلالتهم
فانكروه واستهزؤا به وقرئ يضل على البناء للمفعول والفاسقون بالرفع الذين ينقضون
عهد الله صفة للفاسقين للذم وتقرير للفسق والنقض فسخ التركيب واصله في طاقات
الحبل واستعماله في ابطال العهد من حيث ان العهد يستعار له الحبل لما فيه من ربط احد
المتعاهدين بالآخر فان اطلق مع لفظ الحبل واريد بالحبل العهد كان ترشيحا للمجاز
وان ذكر مع العهد كان رمزا الى ما هو من روادفه وهو ان العهد حبل في ثبات الوصلة
بين المتعاهدين كقولك شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف منه الناس فان فيه تنبيها على انه

اسد

اسد في شجاعته بحر بالنظر الى افادته والعهد الموثق ووضعه لما من شانه ان يراعى ويتعهد
كالوصية واليمين ويقال للدار من حيث انها تراعى بالرجوع والتاريخ لانه يحفظ وهذا
العهد اما العهد المأخوذ بالعقل وهو الحجة القائمة على العباد الدالة على توحيده ووجوب
وجوده وصدق رسوله وعليه اول قوله تع واشهدهم على انفسهم او المأخوذ بالرسل
على الامم بانهم اذا بعث اليهم رسول مصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم يكتموا امره
ولم يخالفوا حكمه واليه اشار بقوله تع واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب ونظائره
وقيل عهود الله ثلثة عهد اخذه على جميع ذرية آدم بان يقروا بربوبيته وعهد اخذه على النبيين
بان يقيموا الدين ولا يتفرقوا وعهد اخذه على العلماء بان يبينوا الحق ولا يكتموه من بعد ميثاقه
الضمير للعهد والميثاق اسم لما يقع به الوثاقة وهي الاحكام والمراد ما وثق الله به عهده
من الآيات والكتب او ما وثقوه به من الالتزام والقبول ويحتمل ان يكون بمعنى المصدر ومن للابتداء
فان ابتداء النقض بعد الميثاق ويقطعون ما امر الله به ان يوصل يحتمل كل قطيعة لا يرضاها
الله كقطع الرحم والاعراض عن موالاة المؤمنين والتفرقة بين الانبياء والكتب في التصديق
وترك الجماعات المفروضة وسائر ما فيه رفض خير او تعاطي شر فانه يقطع الوصلة بين الله
تعالى وبين العبد المقصودة بالذات من كل وصل وفصل والامر هو القول الطالب للفعل وقيل
مع العلو وقيل مع الاستعلاء وبه سمي الامر الذي هو واحد الامور تسمية للمفعول به بالمصدر
فانه مما يؤمر به كما قيل له شان وهو الطلب والقصد يقال شانت شانه اذا قصدت قصده وان يوصل
يحتمل النصب والخفض على انه بدل من ما او ضميره والثاني احسن لفظا ومعنى ويفسدون في الارض
بالمنع عن الايمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل التي بها نظام العالم وصلاحه اولئك هم الخاسرون
الذين خسروا باهمال العقل عن النظر واقتناص ما يفيدهم الحيوة الابدية واستبدال الانكار
والطعن في الآيات بالايمان بها والنظر في حقائقها والاقتباس من انوارها واشتراء النقض
بالوفاء والفساد بالصلاح والعقاب بالثواب كيف تكفرون بالله استخبار فيه انكار وتعجيب لكفرهم
بانكار الحال التي يقع عليها على الطريق البرهاني لانه صدوره لا ينفك عن حال وصفة فاذا
انكر ان يكون لكفرهم حال يوجد عليها استلزم ذلك انكار وجوده فهو ابلغ واقوى في انكار

الكفر ای تکفرون و"و" للحال والخطاب مع الذين كفروا لما وصفهم بالكفر وسوء
المقال وخبث الفعال خاطبهم على طريق الالتفات ووبخهم على كفرهم مع علمهم بحالهم المقتضية خلاف
ذلك والمعنى اخبروني على اي حال تكفرون وكنتم امواتا اي اجساما لا حيوة لها عناصر واغذية واخلاطا
ونطفا ومضغا مخلقة وغير مخلقة فاحياكم بخلق الارواح ونفخها فيكم وانما عطفه بالفاء لانه متصل
بما عطف عليه غير متراخ عنه بخلاف البواقي ثم يميتكم عند تقضي آجالكم ثم يحييكم بالنشور يوم ينفخ
الصور او للسؤال في القبور ثم اليه ترجعون بعد الحشر فيجازيكم باعمالكم او تنشرون اليه من قبوركم
للحساب فما اعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه فان قيل ان علموا انهم كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم
لم يعلموا انه يحييهم ثم اليه يرجعون قلت تمكنهم من العلم بهما لما نصب لهم من الدلائل منزل منزلة علمهم
في ازاحة العذر سيما وفي الآية تنبيه على ما يدل على صحتهما وهو انه تعالى لما قدر على احيائهم اولا قدر ان
يحييهم ثانيا فان بدء الخلق ليس باهون عليه من اعادته او مع القبيلين فانه سبحانه لما بين دلائل التوحيد
والنبوة ووعدهم على الايمان واوعدهم على الكفر اكد ذلك بان عدد عليهم النعم العامة والخاصة
واستقبح صدور الكفر منهم واستبعده عنهم مع تلك النعم الجليلة فان عظم النعم يوجب عظم معصية المنعم
فان قيل كيف تعد الاماتة من النعم المقتضية للشكر قلت لما كانت وصلة الى الحيوة الثانية التي هي الحيوة
الحقيقية كما قال الله تعالى وان الدار الآخرة لهي الحيوان كانت من النعم العظيمة مع ان المعدود عليهم نعمة
هو المعنى المنتزع من القصة باسرها كما ان الواقع حالا هو العلم بها لا كل واحدة من الجمل فان بعضها ماض
وبعضها مستقبل وكلاهما لا يصح ان يقع حالا او مع المؤمنين خاصة لتعديد المنة عليهم وتبعيد الكفر عنهم
على معنى كيف يتصور منكم الكفر وكنتم امواتا اي جهالا فاحياكم بما افادكم من العلم والايمان ثم يميتكم
الموت المعروف ثم يحييكم الحيوة الحقيقية ثم اليه ترجعون فيثيبكم بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر والحيوة حقيقة في القوة الحساسة او ما يقتضيها وبها سمي الحيوان حيوانا مجاز في القوة
النامية لانها من طلائعها ومقدماتها وفيما يخص الانسان من الفضائل كالعقل والعلم والايمان من حيث
انها كمالها وغايتها والموت بازائها يقال على ما يقابلها في كل مرتبة قال الله تعالى قل الله يحييكم ثم يميتكم
وقال الله تعالى اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها وقال الله تعالى او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له
نورا يمشي به في الناس واذا وصف بها الباري تعالى اريد بها صحة اتصافه بالعلم والقدرة اللازمة

لهذه القوة فينا او معنى قائم بذاته يقتضي ذلك على الاستعارة وقرأ يعقوب ترجعون بفتح التاء
في جميع القرآن هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا بيان نعمة اخرى مترتبة على الاولى فانها خلقهم
احياء قادرين مرة بعد اخرى وهذه خلق ما يتوقف عليه بقاؤهم وتم به معاشهم ومعنى لكم لاجلكم وانتفاعكم
في دنياكم باستنفاعكم بها في مصالح ابدانكم بوسط او بغير وسط وفي دينكم بالاستدلال والاعتبار
والتعرف بما يلائمها من لذات الآخرة وآلامها لا على وجه الغرض فان الفاعل لغرض مستكمل به بل على انه
كالغرض من حيث انه عاقبة الفعل ومؤداه وهو يقتضي اباحة الاشياء النافعة ولا يمنع اختصاص
بعضها ببعض لاسباب عارضة فانه يدل على ان الكل للكل لا ان كل واحد لكل واحد وما يعم كل ما في الارض
لا الارض الا اذا اريد بها جهة السفل كما يراد بالسماء جهة العلو وجميعا حال من الموصول الثاني ثم استوى
الى السماء قصد اليها بارادته من قولهم استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من
غير ان يلوي على شيء واصل الاستواء طلب السواء واطلاقه على الاعتدال لما فيه من تسوية وضع
الاجزاء ولا يمكن حمله عليه لانه من خواص الاجسام وقيل استوى استولى وملك قال قد استوى
بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق والاول اوفق للاصل والصلة المعدى بها والتسوية
عليه بالفاء والمراد بالسماء هذه الاجرام العلوية او جهات العلو وثم لعله لتفاوت ما بين الخلقين وفضل
خلق السماء على خلق الارض كقوله تعالى ثم كان من الذين آمنوا لا للتراخي في الوقت فانه يخالف
ظاهر قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها فانه يدل على تأخر دحو الارض المتقدم على خلق ما فيها
عن خلق السماء وتسويتها الا ان تستأنف بدحاها مقدرا لنصب الارض فعلا آخر دل عليه أأنتم اشد
خلقا مثل تعرف الارض وتدبر امرها بعد ذلك لكنه خلاف الظاهر فسويهن عدلهن وخلقهن
مصونة من العوج والفطور وهن ضمير السماء ان فسرت بالاجرام لانه جمع او في معنى جمع والا فمبهم
يفسره ما بعده كقولهم ربه رجلا سبع سموات بدل او تفسير فان قيل اليس ان اصحاب الارصاد اثبتوا
تسعة افلاك قلت فيما ذكروه شكوك وان صح فليس في الآية نفي الزائد مع انه ان ضم اليها العرش
والكرسي لم يبق خلاف وهو بكل شيء عليم فيه تعليل كانه قال ولكونه عالما بكنه الاشياء كلها خلق
ما خلق على هذا النمط الاكمل والوجه الانفع واستدلال بان من كان فعله على هذا النسق العجيب
والترتيب الانيق كان عليما فان اتقان الافعال واحكامها وتخصيصها بالوجه الاحسن الانفع لا يتصور

الا عن علم حكيم رحيم وازاحة لما يختلج في صدورهم من ان الابدان بعدما تفتتت وتبددت
اجزاؤها واتصلت بما يشاكلها كيف تجمع اجزاء كل بدن مرة ثانية بحيث لا يشذ شيء منها ولا ينضم
اليها ما لم يكن معها فيعاد منها كما كان ونظيره قوله تعالى وهو بكل خلق عليم واعلم ان صحة الحشر
مبنية على ثلث مقدمات وقد برهن عليها في هاتين الايتين اما الاولى فهي ان مواد الابدان قابلة
للجمع والحيوة واشار الى البرهان عليها بقوله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم فان تعاقب
الافتراق والاجتماع والموت والحيوة عليها تدل على انها قابلة لها بذاتها وما بالذات يأبى
ان يزول ويتغير واما الثانية والثالثة فانه عالم بها وبمواقعها قادر على جمعها واحيائها
واشار الى وجه اثباتهما بانه تعالى قادر على ابدائهم وابداء ما هو اعظم خلقا واعجب صنعا فكان
على اعادتهم واحيائهم وانه تعالى خلق ما خلق خلقا مستويا محكما من غير تفاوت واختلال
مراعى فيه مصالحهم وسد حاجاتهم وذلك دليل على تناهي علمه وكمال حكمته جلت قدرته
ودقت حكمته وقد سكن نافع وابو عمرو والكسائي الهاء من نحو فهو وهو تشبيها له بعضد واذ
قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة تعداد لنعمة ثالثة تعم الناس كلهم فان خلق آدم
واكرامه وتفضيله على ملائكته بان امرهم بالسجود له انعام يعم ذريته واذ ظرف وضع لزمان نسبة
ماضية وقع فيه اخرى كما وضع اذا لزمان نسبة مستقبلة يقع فيه اخرى ولذلك يجب اضافتهما
الى الجمل كحيث في المكان وبنيتا تشبيها لهما بالموصولات واستعملتا للتعليل والمجازاة ومحلهما النصب
ابدا بالظرفية فانهما من الظروف الغير المتصرفة لما ذكرناه واما قوله تعالى واذكر اخا عاد اذ انذر
قومه ونحوه فعلى تاويل اذكر الحادث اذ كان كذا فحذف الحادث واقيم الظرف مقامه وعامله
في الاية قالوا او اذكر على التاويل المذكور لانه جاء معمولا له صريحا في القران كثيرا او مضمر دل
عليه مضمون الاية المتقدمة مثل بدا خلقكم اذ قال فعلى هذا فالجملة معطوفة على خلق لكم داخلة
في حكم الصلة وعن معمر انه مزيد والملائكة جمع ملأك على الاصل كالشمائل في جمع شمال والتاء لتأنيث
الجمع وهو مقلوب مالك من الالوكة وهي الرسالة لانهم وسائط بين الله وبين الناس فهم رسل الله
او كالرسل اليهم واختلف العقلاء في حقيقتهم بعد اتفاقهم على انها ذوات موجودة قائمة
بانفسها فذهب اكثر المسلمين على انها اجسام لطيفة قادرة على التشكل باشكال مختلفة مستدلين

بان الرسل كانوا يرونهم كذلك وقالت طائفة من النصارى هي النفوس الفاضلة البشرية
المفارقة للابدان وزعم الحكماء انها جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة
منقسمة الى قسمين قسم شأنهم الاستغراق في معرفة الحق والتنزه عن الاشتغال بغيره كما وصفهم
في محكم تنزيله فقال يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم العليون والملائكة المقربون وقسم
يدبر الامر من السماء الى الارض على ما سبق به القضاء وجرى به القلم الالهي لا يعصون الله ما امرهم
ويفعلون ما يؤمرون وهم المدبرات امرا فمنهم سماوية ومنهم ارضية على تفصيل اثبته في
كتاب الطوالع والمقول لهم الملائكة كلهم لعموم اللفظ وعدم المخصص وقيل ملائكة الارض
وقيل ابليس ومن كان معه في محاربة الجن فانه تعالى اسكنهم في الارض اولا فافسدوا فيها
فبعث اليهم ابليس في جند من الملائكة فدمرهم وفرقهم في الجزائر والجبال وجاعل من جعل
الذي له مفعولان وهما في الارض خليفة اعمل فيهما لانه بمعنى الاستقبال ومعتمد على مسند اليه
ويجوز ان يكون بمعنى خالق والخليفة من يخلف غيره وينوب منابه والهاء فيه للمبالغة
والمراد به آدم ع لانه كان خليفة الله في ارضه وكذلك كل نبي استخلفهم في عمارة الارض
وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ امره فيهم لا لحاجة به تعالى الى من ينوبه بل
لقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه وتلقي امره بغير وسط ولذلك لم يستنبئ ملكا كما قال تعالى
ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا الا ترى ان الانبياء لما فاقت قوتهم واشتعلت قريحتهم
بحيث يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ارسل اليهم الملائكة ومن كان منهم اعلى رتبة كلمه بلا
واسطة كما كلم موسى في الميقات ومحمدا ع ليلة المعراج ونظير ذلك في الطبيعة ان العظم
لما عجز عن قبول الغذاء من اللحم لما بينهما من التباعد جعل الباري تعالى بحكمته بينهما الغضروف
المناسب لهما ليأخذ من هذا ويعطي ذاك او خليفة من سكن الارض قبله او هو وذريته
لانهم يخلفون من قبلهم او يخلف بعضهم بعضا وافراد اللفظ اما للاستغناء بذكره عن ذكر
بنيه كما استغني بذكر ابي القبيلة في قولهم مضر وهاشم او على تاويل من يخلف او خلفا يخلف
وفائدة قوله تعالى هذا للملائكة تعليم المشاورة وتعظيم شان المجعول بان بشر بوجوده سكان
ملكوته ولقبه بالخليفة قبل خلقه واظهار فضله الراجح على ما فيه من المفاسد بسؤالهم وجوابه

وبيان أن الحكمة تقتضي إيجاد ما يغلب خيره فإن ترك الخير الكثير لأجل الشر القليل شر كثير إلى غير ذلك
قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء تعجب من أن يستخلف لعمارة الأرض وإصلاحها
من يفسد فيها أو يستخلف مكان أهل الطاعة أهل المعصية واستكشاف عما خفي عليهم من الحكمة
التي بهرت تلك المفاسد وألغتها واستخبار عما يرشدهم ويزيح شبهتهم كسؤال المتعلم معلمه عما يختلج
في صدره وليس باعتراض على الله تعالى ولا طعن في بني آدم على وجه الغيبة فإنهم أعلى من أن يظن
بهم ذلك لقوله تعالى بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون وإنما عرفوا ذلك بإخبار
من الله تعالى أو تلق من اللوح أو استنباط عما ركز في عقولهم أن العصمة من خواصهم أو قياس لأحد
الثقلين على الآخر والسفك والسبك والسفح والشن أنواع من الصب فالسفك يقال في الدم والدمع
والسبك في الجواهر المذابة والسفح في الصب من أعلى والشن في الصب عن فم القربة ونحوها وكذلك
السن وقرئ يسفك على البناء للمفعول فيكون الراجع إلى من سواء جعل موصولا أو موصوفا محذوفا
أي يسفك الدماء فيهم ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك حال مقررة لجهة الإشكال كقولك أتحسن إلى
أعدائك وأنا الصديق المحتاج والمعنى أتستخلف عصاة ونحن معصومون أحقاء بذلك والمقصود منه
الاستفسار عما رجحهم مع ما هو متوقع منهم على الملائكة المعصومين في الاستخلاف لا العجب والتفاخر
فكأنهم علموا أن المجعول خليفة ذو ثلاث قوى عليها مدار أمره شهوية وغضبية تؤديان به إلى
الفساد وسفك الدماء وعقلية تدعوه إلى المعرفة والطاعة ونظروا إليها مفردة وقالوا ما الحكمة
في استخلافه وأما باعتبار القوة العقلية فنحن نقيم ما يتوقع منها سليما عن معارضة تلك المفاسد
وغفلوا عن فضيلة كل واحدة من القوتين إذا صارت مهذبة مطواعة للعقل متمرنة على الخير
كالعفة والشجاعة ومجاهدة الهوى والإنصاف ولم يعلموا أن التركيب يفيد ما يقصر عنه الآحاد
كالإحاطة بالجزئيات واستنباط الصناعات واستخراج منافع الكائنات من القوة إلى الفعل
الذي هو المقصود من الاستخلاف وإليه أشار بقوله إجمالا قال إني أعلم ما لا تعلمون والتسبيح تبعيد
الله تعالى عن السوء وكذلك التقديس من سبح في الأرض والماء وقدس في الأرض إذا ذهب فيها
وأبعد ويقال قدس إذا طهر لأن مطهر الشيء مبعده من الأقذار وبحمدك في موضع الحال أي متلبسين
بحمدك على ما ألهمتنا معرفتك ووفقتنا لتسبيحك تداركوا به ما أوهم إسناد التسبيح إلى أنفسهم ونقدس لك

نطهر نفوسنا عن الذنوب لأجلك كأنهم قابلوا الفساد المفسر بالشرك عند قوم بالتسبيح وسفك
الدماء الذي هو أعظم الأفعال الذميمة بتطهير النفوس عن الآثام وقيل نقدسك واللام
مزيدة وعلم آدم الأسماء كلها إما بخلق علم ضروري بها فيه أو إلقاء في روعه ولا يفتقر إلى سابقة
اصطلاح ليتسلسل والتعليم فعل يترتب عليه العلم غالبا ولذلك يقال علمته فلم يتعلم وآدم اسم
أعجمي كآزر وشالخ واشتقاقه من الأدمة أو الأدمة بالفتح بمعنى الأسوة أو من أديم الأرض لما روي
عنه عليه السلام أنه تعالى قبض قبضة من جميع الأرض سهلها وحزنها فخلق منها آدم فلذلك يأتي بنوه
أخيافا أو من الأدم أو الأدمة بمعنى الألفة تعسف كاشتقاق إدريس من الدرس ويعقوب
من العقب وإبليس من الإبلاس والاسم باعتبار الاشتقاق ما يكون علامة للشيء ودليلا يرفعه إلى
الذهن من الألفاظ والصفات والأفعال واستعماله عرفا في اللفظ الموضوع لمعنى سواء كان مركبا
أو مفردا مخبرا عنه أو خبرا أو رابطة بينهما واصطلاحا في المفرد الدال على معنى في نفسه غير مقترن
بأحد الأزمنة الثلاثة والمراد في الآية إما الأول أو الثاني وهو يستلزم الأول لأن العلم
بالألفاظ من حيث الدلالة متوقف على العلم بالمعاني والمعنى أنه تعالى خلقه من أجزاء مختلفة و
قوى متباينة مستعدا لإدراك أنواع المدركات من المعقولات والمحسوسات والمتخيلات والموهومات
وألهمه معرفة ذوات الأشياء وخواصها وأسمائها وأصول العلوم وقوانين الصناعات وكيفية
آلاتها ثم عرضهم على الملائكة الضمير فيه للمسميات فحذف المضاف إليه لدلالة المضاف عليه وعوض
عنه اللام كقوله تعالى واشتعل الرأس شيبا لأن العرض للسؤال عن أسماء المعروضات فلا يكون
المعروض نفس الأسماء سيما إن أريد به الألفاظ والمراد به ذوات الأشياء أو مدلولات الألفاظ
وتذكيره لتغليب ما اشتمل عليه من العقلاء وقرئ عرضهن وعرضها على معنى عرض مسمياتهن
أو مسمياتها فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء تبكيت لهم وتنبيه على عجزهم عن أمر الخلافة فإن التصرف
والتدبير وإقامة المعدلة قبل تحقق المعرفة والوقوف على مراتب الاستعدادات وقدر الحقوق
محال وليس بتكليف ليكون من باب التكليف بالمحال والإنباء إخبار فيه إعلام ولذلك يجري مجرى
كل واحد منهما إن كنتم صادقين في زعمكم أنكم أحقاء بالخلافة لعصمتكم أو أن خلقهم واستخلافهم
وهذه صفتهم لا يليق بالحكيم وهو وإن لم يصرحوا به لكنه لازم مقالهم والتصديق كما يتطرق

الى الكلام واعتبار منطوقه فقد يتطرق اليه بعرض ما يلزم مدلوله من الاخبار وبهذا الاعتبار
يعتري الانشاآت قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا اعتراف بالعجز والقصور واشعار بان
سؤالهم كان استفسارا ولم يكن اعتراضا وانه قد بان لهم ما خفي عليهم من فضل الانسان والحكمة في
خلقه واظهار لشكر نعمته بما عرفهم وكشف لهم ما اعتقل عليهم ومراعاة للادب بتفويض العلم كله اليه
وسبحان مصدر كغفران ولا يكاد يستعمل الا مضافا منصوبا باضمار فعله كمعاذ الله وقد اجري
علما للتسبيح بمعنى التنزيه على الشذوذ في قوله سبحان من علقمة الفاخر وتصدير الكلام به
اعتذار عن الاستفسار والجهل بحقيقة الحال ولذلك جعل مفتاح التوبة فقال موسى عليه السلام
سبحانك تبت اليك وقال يونس سبحانك اني كنت من الظالمين انك انت العليم الذي لا يخفى
عليه خافية الحكيم المحكم لمبدعاته الذي لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة وانت فصل وقيل تاكيد للكاف
كما في قولك مررت بك انت وان لم يجز مررت بانت اذ التابع يسوغ فيه ما لا يسوغ في المتبوع ولذلك
جاز يا هذا الرجل ولم يجز يا الرجل وقيل مبتدأ خبره ما بعده والجملة خبر ان قال يا آدم انبئهم
باسمائهم اي اعلمهم وقرئ بقلب الهمزة ياء وحذفها بكسر الهاء فيهما فلما انباهم باسمائهم قال الم اقل لكم
اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون استحضار لقوله اني اعلم ما لا تعلمون
لكنه جاء به على وجه ابسط ليكون كالحجة عليه فانه تع لما علم ما خفي عليهم من امور السموات والارض
وما ظهر لهم من احوالهم الظاهرة والباطنة علم ما لا يعلمون وفيه تعريض بمعاتبتهم على ترك الاولى
وهو ان يتوقفوا مترصدين لان يبين لهم وقيل ما تبدون قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها وما تكتمون
استبطانهم انهم احقاء بالخلافة وانه تع لا يخلق خلقا افضل منهم وقيل ما اظهروا من الطاعة
واسر منهم ابليس من المعصية والهمزة للانكار دخلت حرف الجحد فافادت الاثبات والتقرير
واعلم ان هذه الايات تدل على شرف الانسان ومزية العلم وفضله على العبادة وانه شرط في الخلافة
بل العمدة فيها وان التعليم يصح اسناده الى الله تع وان لم يصح اطلاق المعلم عليه لاختصاصه بمن
يحترف به وان اللغات توقيفية فان الاسماء تدل على الالفاظ بخصوص او عموم وتعليمها ظاهر
في القائها على المتعلم مبينا له معانيها وذلك يستدعي سابقة وضع والاصل ينفي ان يكون ذلك الوضع
ممن كان قبل آدم فيكون من الله وان مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم والا لتكرر قوله انك انت العليم

الحكيم وان علوم الملائكة وكمالاتهم تقبل الزيادة والحكماء منعوا ذلك في الطبقة العليا منهم
وحملوا عليه قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وان آدم افضل من هؤلاء الملائكة لانه اعلم
منهم والاعلم افضل لقوله تع هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وانه تع يعلم الاشياء
قبل حدوثها واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم لما انباهم باسمائهم وعلمهم ما لم يعلموا امرهم
بالسجود له اعترافا بفضله واداء لحقه واعتذارا عما قالوا فيه وقيل امرهم به قبل ان يسوى
خلقه لقوله تع فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين امتحانا لهم واظهارا
لفضله والعاطف عطف الظرف على الظرف السابق ان نصبته بمضمر والا عطفه بما يقدر عاملا فيه
على الجملة المتقدمة بل القصة باسرها على القصة الاخرى وهي نعمة رابعة عدها عليهم والسجود في
الاصل تذلل مع تطامن قال الشاعر ترى الاكم فيه سجدا للحوافر وقال فقلن له اسجد لليلى فاسجدا
يعني البعير اذا طاطا راسه وفي الشرع وضع الجبهة على قصد العبادة والمامور به اما المعنى الشرعي
فالمسجود له بالحقيقة هو الله تع وجعل آدم قبلة لسجودهم تفخيما لشانه او سببا لوجوبه فكانه
تعالى لما خلقه بحيث يكون انموذجا للمبدعات كلها بل الموجودات باسرها ونسخة لما في العالم
الروحاني والجسماني وذريعة للملائكة الى استيفاء ما قدر لهم من الكمالات ووصلة الى ظهور
ما تباينوا فيه من المراتب والدرجات امرهم بالسجود تذللا لما راوا فيه من عظيم قدرته وباهر
آياته وشكرا لما انعم عليهم بواسطته فاللام فيه كاللام في قول حسان اليس اول من صلى لقبلتكم
واعرف الناس بالقرآن والسنن او في قوله تعالى اقم الصلوة لدلوك الشمس واما المعنى اللغوي
وهو التواضع لآدم تحية وتعظيما له كسجود اخوة يوسف له او التذلل والانقياد بالسعي
في تحصيل ما ينوط به معاشهم ويتم به كمالهم والكلام في ان المامورين بالسجود الملائكة كلهم
او طائفة منهم ما سبق فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر امتنع عما امر به استكبارا من ان يتخذه
وصلة في عبادة ربه او يعظمه ويتلقاه بالتحية او يخدمه ويسعى فيما فيه خيره وصلاحه
والاباء الامتناع باختيار والتكبر ان يرى الرجل نفسه اكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشبع
وكان من الكافرين اي في علم الله تع او صار منهم باستقباحه امر الله اياه بالسجود لآدم اعتقادا
بانه افضل منه والافضل لا يحسن ان يؤمر بالتخضع للمفضول والتوسل به كما اشعر به قوله

انا خير منه جوابا لقوله تعالى ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين لا ترك
الواجب وحده والآية تدل على ان آدم افضل من الملائكة المامورين بالسجود له ولو من وجه وان
ابليس كان من الملائكة والا لم يتناوله امرهم ولم يصح استثناؤه منهم ولا يرد على ذلك قوله تعالى
الا ابليس كان من الجن لجواز ان يقال انه كان من الجن فعلا ومن الملائكة نوعا ولان ابن عباس رض
روى ان من الملائكة ضربا يتوالدون يقال لهم الجن ومنهم ابليس ولمن زعم انه لم يكن من الملائكة ان يقول
انه كان جنيا نشا بين اظهر الملائكة وكان مغمورا بالالوف منهم فغلبوا عليه او الجن ايضا كانوا مامورين
مع الملائكة لكنه استغنى بذكر الملائكة عن ذكرهم فانه اذا علم ان الاكابر مامورون بالتذلل لاحد
والتوسل به علم ان الاصاغر ايضا مامورون به والضمير في فسجدوا راجع الى القبيلين فكانه قال
فسجد المامورون بالسجود الا ابليس وان من الملائكة من ليس بمعصوم وان كان الغالب فيهم العصمة
كما ان من الانس معصومين والغالب فيهم عدم العصمة ولعل ضربا من الملائكة لا يخالف الشياطين بالذات
وانما يخالفهم بالعوارض والصفات كالبررة والفسقة من الانس والجن يشملهما وكان ابليس من
هذا الصنف كما قاله ابن عباس رض فلذلك صح عليه التغير عن حاله والهبوط عن محله كما اشار اليه
بقوله تعالى الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه لا يقال كيف يصح ذلك والملائكة خلقت من
نور والجن من نار لما روت عائشة رضي الله عنها انه عم قال خلقت الملائكة من النور وخلق الجان من
مارج من نار لانه كالتمثيل لما ذكرت فان المراد بالنور الجوهر المضيء والنار كذلك غير ان ضوءها
مكدر مغمور بالدخان محذور عنه بسبب ما يصحبه من فرط الحرارة والاحراق فاذا صارت مهذبة مصفاة
كانت محض نور ومتى نكصت عادت الحالة الاولى جذعة ولا تزال تتزايد حتى ينطفئ نورها ويبقى
الدخان الصرف وهذا اشبه بالصواب واوفق للجمع بين النصوص والعلم عند الله تع ومن فوائد
استقباح الاستكبار وانه قد يفضي بصاحبه الى الكفر والحث على الائتمار لامره وترك الخوض
في سره وان الامر للوجوب وان الذي علم الله من حاله انه يتوفى على الكفر هو الكافر على الحقيقة
اذ العبرة بالخواتم وان كان بحكم الحال مؤمنا وهو الموافاة المنسوبة الى شيخنا ابي الحسن الاشعري
وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة السكنى من السكون لانها استقرار ولبث وانت تاكيد
المستكن ليصح العطف عليه وانما لم يخاطبهما اولا تنبيها على انه المقصود بالحكم والمعطوف عليه

تبع له والجنة دار الثواب لان اللام للعهد ولا معهود غيرها ومن زعم انها لم تخلق بعد قال انه بستان
بارض فلسطين او بين فارس وكرمان خلقه الله تع امتحانا لآدم وحمل الاهباط على الانتقال
منه الى ارض الهند كما في قوله تع اهبطوا مصرا وكلا منها رغدا واسعا رافها صفة مصدر محذوف
حيث شئتما اي مكان من الجنة شئتما وسع الامر عليهما ازاحة للعلة والعذر في التناول من الشجرة
المنهي عنها من بين اشجارها الفائتة للحصر ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فيه مبالغات
تعليق النهي بالقرب الذي هو من مقدمات التناول مبالغة في تحريمه ووجوب الاجتناب عنه
وتنبيها على ان القرب من الشيء يورث داعية وميلا ياخذ بمجامع القلب ويلهيه عما هو مقتضى
العقل والشرع كما روي حبك الشيء يعمي ويصم فينبغي ان لا يحوما حول ما حرم عليهما مخافة ان
يقعا فيه وجعله سببا لان يكونا من الظالمين الذين ظلموا انفسهم بارتكاب المعاصي او بنقص
حظهما بالاتيان بما يخل بالكرامة والنعيم فان الفاء تفيد السببية سواء جعلته للعطف على النهي
او الجواب له والشجرة هي الحنطة او الكرمة او التينة او شجرة من اكل منها احدث والاولى ان لا
تعين من غير قاطع كما لم يعين في الآية لعدم توقف ما هو المقصود عليه وقرئ بكسر الشين وتقربا
بكسر التاء وهذي بالياء فازلهما الشيطان عنها اصدر زلتهما عن الشجرة وحملهما على الزلة
بسببها ونظيره عن هذه في قوله تعالى وما فعلته عن امري او ازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما ويعضده
قراءة حمزة فازالهما وهما متقاربان في المعنى غير ان ازل يقتضي عثرة مع الزوال وازلاله قوله هل
ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقوله تعالى ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين
او تكونا من الخالدين ومقاسمته اياهما بقوله تعالى اني لكما لمن الناصحين واختلف في انه تمثل
لهما فقاولهما بذلك او القاه اليهما على طريق الوسوسة وانه كيف توصل الى ازلالهما بعد
ما قيل له اخرج منها فانك رجيم فقيل انه منع من الدخول على جهة التكرمة كما كان يدخل
مع الملائكة ولم يمنع ان يدخل للوسوسة ابتلاء لآدم وحواء وقيل قام عند الباب
فناداهما وقيل تمثل بصورة دابة فدخل ولم تعرفه الخزنة وقيل دخل في فم الحية حتى دخلت
به وقيل ارسل بعض اتباعه فازلهما والعلم عند الله تع فاخرجهما مما كانا فيه اي من الكرامة
والنعيم وقلنا اهبطوا خطاب لآدم وحواء لقوله تعالى اهبطا منها جميعا وجمع الضمير لانهما

اصلا الناس فكانهما الجنس كلهم او هما وابليس اخرج منها ثانيا بعد ما كان يدخلها للوسوسة
او دخلها مسارقة او من السماء بعضكم لبعض عدو حال استغنى فيها عن الواو بالضمير والمعنى متعادين
يبغي بعضكم على بعض بتضليله ولكم في الارض مستقر موضع استقرار او استقرار ومتاع تمتع الى حين
يريد به وقت الموت او القيمة فتلقى آدم من ربه كلمات استقبلها بالاخذ والقبول والعمل
بها حين علمها وقرا ابن كثير بنصب آدم ورفع الكلمات على انها استقبلته وبلغته وهي قوله تعالى
ربنا ظلمنا انفسنا الاية وقيل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا
انت ظلمت نفسي فاغفر لي ذنوبي انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس رض قال يا رب الم تخلقني
بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال الم تسكني جنتك قال بلى قال
يا رب ان تبت واصلحت اراجعي انت الى الجنة قال نعم واصل الكلمة الكلم وهو التاثير المدرك باحدى
الحاستين السمع والبصر كالكلام والجراحة فتاب عليه رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة وانما
رتبه بالفاء على تلقي الكلمات لتضمنه معنى التوبة وهو الاعتراف بالذنب والندم عليه والعزم على
ان لا يعود اليه واكتفى بذكر آدم لان حواء كانت تبعا له في الحكم ولذلك طوى ذكر النساء
في اكثر القرآن والسنن انه هو التواب الرجاع على عباده بالمغفرة او الذي يكثر اعانتهم على التوبة
واصل التوبة الرجوع فاذا وصف بها العبد كان رجوعا عن المعصية واذا وصف بها الباري
اريد بها الرجوع عن العقوبة الى المغفرة الرحيم المبالغ في الرحمة وفي الجمع بين الوصفين وعد
للتائب بالاحسان مع العفو قلنا اهبطوا منها جميعا كرر للتاكيد او لاختلاف المقصود فان الاول
دل على ان هبوطهم الى دار بلية يتعادون فيها ولا يخلدون والثاني اشعر بانهم اهبطوا للتكليف
فمن اهتدى الهدى نجا ومن ضله هلك والتنبيه على ان مخافة الاهباط المقترن باحد هذين الامرين
وحدها كافية للحازم ان تعوقه عن مخالفة حكم الله فكيف بالمقترن بهما ولكنه نسي ولم نجد له عزما
وان كل واحد منهما كفى به نكالا لمن اراد ان يذكر وقيل الاول من الجنة الى سماء الدنيا والثاني منها
الى الارض وهو كما ترى وجميعا حال في اللفظ تاكيد في المعنى كانه قيل اهبطوا انتم اجمعون ولذلك
لا يستدعي اجتماعهم على الهبوط في زمان واحد كقولك جاؤا جميعا فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع
هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون الشرط الثاني مع جوابه جواب الشرط الاول وما مزيدة اكدت

ان ولذلك حسن تاكيد الفعل بالنون وان لم يكن فيه معنى الطلب والمعنى ان ياتينكم مني هدى
بانزال او ارسال فمن تبعه منكم نجا وفاز وانما جي بحرف الشك واتيان الهدى كائن لا محالة لانه محتمل
في نفسه غير واجب عقلا وكرر لفظ الهدى ولم يضمر لانه اراد بالثاني اعم من الاول وهو ما اتى به الرسل
واقتضاه العقل اي فمن تبع ما اتاه مراعيا ما يشهد به العقل فلا خوف عليهم فضلا ان يحل بهم مكروه
ولا هم يحزنون على فوات محبوب فيحزنوا عليه فالخوف على المتوقع والحزن على الواقع نفى عنهم العقاب
واثبت لهم الثواب على آكد وجه وابلغه وقرئ هديّ على لغة هذيل ولا خوف بالفتح والذين
كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون عطف على فمن تبع الى قسيم له كانه
قال ومن لم يتبع بل كفروا بالله وكذبوا باياته او كفروا بالايات جنانا وكذبوا بها لسانا
فيكون الفعلان متوجهين الى الجار والمجرور والاية في الاصل العلامة الظاهرة ويقال للمصنوعات
من حيث تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته ولكل طائفة من كلمات القرآن المتميزة عن غيرها
بفصل واشتقاقها من اي لانها تبين ايا من اي او من اوى اليه واصلها اية او اوية كتمرة فابدلت
عينها على غير قياس او اوية او اية كرمكة فاعلت او آئية كقائلة فحذفت الهمزة تخفيفا والمراد
باياتنا الايات المنزلة او ما يعمها والمعقولة وقد تمسكت الحشوية بهذه القصة على عدم عصمة
الانبياء من وجوه الاول ان آدم كان نبيا وارتكب المنهي عنه والمرتكب له عاص الثاني انه جعل بارتكابه
من الظالمين والظالم ملعون لقوله تعالى الا لعنة الله على الظالمين الثالث انه تعالى اسند اليه
العصيان والغي فقال وعصى آدم ربه فغوى الرابع انه لقنه التوبة وهي الرجوع عن الذنب
والندم عليه الخامس اعترافه بانه خاسر لولا مغفرة الله اياه بقوله وان لم تغفر لنا وترحمنا
لنكونن من الخاسرين والخاسر من يكون ذا كبيرة السادس انه لو لم يذنب لم يجر عليه ما جرى والجواب
من وجوه الاول انه لم يكن نبيا حينئذ والمدعي مطالب بالبيان الثاني ان النهي للتنزيه وانما
سمي ظالما وخاسرا لانه ظلم نفسه وخسر حظه بترك الاولى له واما اسناد الغي والعصيان اليه فسياتي
الجواب عنه في موضعه ان شاء الله وانما امر بالتوبة تلافيا لما فات عنه وجرى عليه ما جرى معاتبة
له على ترك الاولى ووفاء بما قاله للملائكة قبل خلقه الثالث انه فعله ناسيا لقوله تعالى
فنسي ولم نجد له عزما ولكنه عوتب بترك التحفظ عن اسباب النسيان ولعله وان حط عن الامة

لم يحط عن الانبياء لعظم قدرهم كما قال ع م اشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل
فالامثل او ادى فعله الى ما جرى عليه على طريق السببية المقدرة دون المواخذة كتناول السم
على الجاهل بشانه لا يقال انه باطل لقوله تعالى ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة وقاسمهما الاية
لانه ليس فيهما ما يدل على ان تناوله حين ما قاله ابليس فلعل مقاله اورث فيه ميلا طبيعيا ثم انه كف
نفسه عنه مراعاة لحكم الله الى ان نسي ذلك وزال المانع فحمله الطبع عليه والرابع انه ع م
اقدم عليه بسبب اجتهاد اخطا فيه فانه ظن ان النهي للتنزيه او الاشارة الى عين تلك الشجرة
فتناول من غيرها من نوعها وكان المراد بها الاشارة الى النوع كما روي انه ع م اخذ حريرا
وذهبا بيده وقال هذان حرامان على ذكور امتي حل لاناثها وانما جرى عليه ما جرى تعظيما
لشان الخطيئة ليجتنبها اولاده وفيها دلالة على ان الجنة مخلوقة وانها في جهة عالية وان التوبة
مقبولة وان متبع الهدى مامون العاقبة وان عذاب النار دائم وان الكافر فيه مخلد وان غيره
لا يخلد فيه بمفهوم قوله تع هم فيها خالدون واعلم انه تع لما ذكر دلائل التوحيد والنبوة
والمعاد وعقبها تعداد النعم العامة تقريرا لها وتاكيدا فانها من حيث انها حوادث
محكمة تدل على محدث حكيم له الخلق والامر وحده لا شريك له ومن حيث ان الاخبار بها على ما
هو مثبت في الكتب السابقة ممن لم يتعلمها ولم يمارس شيئا منها اخبار بالغيب معجز يدل على نبوة
عنها ومن حيث اشتمالها على خلق الانسان واصوله وما هو اعظم من ذلك يدل على انه قادر
على الاعادة كما كان قادرا على الابداء خاطب اهل العلم والكتاب منهم وامرهم ان يذكروا
نعم الله عليهم ويوفوا بعهوده في اتباع الحق واقتفاء الحجج ليكونوا اول من آمن بمحمد ع م وبما
انزل عليه فقال يا بني اسرائيل اي اولاد يعقوب والابن من البناء لانه مبنى ابيه ولذلك
ينسب المصنوع الى صانعه فيقال ابو الحرب وبنت فكر واسرائيل لقب يعقوب ع م ومعناه
بالعبرية صفوة الله وقيل عبد الله وقرئ اسرائل بحذف الياء واسرال بحذفهما واسرايل
بقلب الهمزة ياء اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم اي بالتفكر فيها والقيام بشكرها وتقييد
النعمة بهم لان الانسان غيور حسود بالطبع فاذا نظر الى ما انعم الله على غيره حمله الغيرة
والحسد على الكفران والسخط وان نظر الى ما انعم الله به عليه حمله حب النعمة على الرضا والشكر

وقيل اراد بها ما انعم على ابائهم من الانجاء من فرعون والغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل وعليهم
من ادراك زمن محمد ع م وقرئ اذكروا والاصل اذتكروا ونعمتي باسكان الياء واسقاطها درجا
وهو مذهب من لا يحرك الياء المكسور ما قبلها اوفوا بعهدي بالايمان والطاعة اوف بعهدكم
بحسن الاثابة والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد ولعل الاول مضاف الى الفاعل والثاني
الى المفعول فانه تعالى عهد اليهم بالايمان والعمل الصالح بنصب الدلائل وانزال الكتب ووعد لهم
بالثواب على حسناتهم وللوفاء بهما عرض عريض فاول مراتب الوفاء منا هو الاتيان بكلمتي الشهادة
ومن الله حقن الدم والمال واخرها منا الاستغراق في بحر التوحيد بحيث يغفل عن نفسه
فضلا عن غيره ومن الله الفوز باللقاء الدائم وما روي عن ابن عباس رض اوفوا بعهدي في اتباع
محمد ع م اوف بعهدكم في رفع الآصار والاغلال وعن غيره اوفوا باداء الفرائض وترك الكبائر
اوف بالمغفرة والثواب او اوفوا بالاستقامة على الطريق المستقيم اوف بالكرامة والنعيم
المقيم فبالنظر الى الوسائط وقيل كلاهما مضاف الى المفعول والمعنى اوفوا بما عاهدتموني
من الايمان والتزام الطاعة اوف بما عاهدتكم من حسن الاثابة وتفصيل العهدين في قوله تع ولقد اخذ
الله ميثاق بني اسرائيل الى قوله ولادخلنكم جنات وقرئ اوفّ بالتشديد للمبالغة واياي
فارهبون فيما تاتون وتذرون وخصوصا في نقض العهد وهو آكد في افادة التخصيص من اياك نعبد
لما فيه مع التقديم من تكرير المفعول والفاء الجزائية الدالة على تضمن الكلام معنى الشرط كانه قيل
ان كنتم راهبين شيئا فارهبوني والرهبة خوف مع تحرز والاية متضمنة للوعد والوعيد
ودالة على وجوب الشكر والوفاء بالعهد وان المؤمن ينبغي ان لا يخاف احدا الا الله وآمنوا
بما انزلت مصدقا لما معكم افراد الايمان بالامر به والحث عليه لانه المقصود والعمدة للوفاء بالعهود
وتقييد المنزل بانه مصدق لما معهم من الكتب الالهية من حيث انه نازل حسبما نعت فيها او مطابق
لها في القصص والمواعيد والدعاء الى التوحيد والامر بالعبادة والعدل بين الناس والنهي
عن المعاصي والفواحش وفيما يخالفها من جزئيات الاحكام بسبب تفاوت الاعصار في المصالح
من حيث ان كل واحدة منها حق بالاضافة الى زمانها مراعى فيها صلاح من خوطب بها حتى لو نزل
المتقدم في ايام المتاخر لنزل على وفقه ولذلك قال ع م لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي

على انه لا ينافي الايمان به بل يوجبه ولذلك عرض بقوله ولا تكونوا اول كافر به بل الواجب
ان تكونوا اول من آمن به ولانهم كانوا اهل النظر في معجزاته والعلم بشانه والمستفتحين به والمبشرين
بزمانه او اول كافر به خبرا عن ضمير الجمع بتقدير اول فريق او فوج او بتاويل لا يكن كل واحد منكم
اول كافر به كقولك كسانا حلة فان قيل كيف نهوا عن التقدم في الكفر وقد سبقهم مشركوا العرب
قلت المراد به التعريض لا الدلالة على ما نطق به الظاهر كقولك اما انا فلست بجاهل او ولا تكونوا
اول كافر من اهل الكتاب او ممن كفر بما معه فان من كفر بالقرآن فقد كفر بما يصدقه او مثل من كفر من مشركي
مكة واول افعل لا فعل له وقيل اصله اوأل من وأل فابدلت همزته واوا تخفيفا غير قياسي او اوّل
من آل فقلبت همزته واوا وادغمت ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا ولا تستبدلوا بالايمان بها والاتباع
لها حظوظ الدنيا فانها وان جلت قليلة مسترذلة بالاضافة الى ما يفوت عنكم من حظوظ الآخرة
بترك الايمان قيل كان لهم رياسة في قومهم ورسوم وهدايا منهم فخافوا عليها لو اتبعوا رسول الله
فاختاروها عليه وقيل كانوا ياخذون الرشى فيحرفون الحق ويكتمونه واياي فاتقون بالايمان
واتباع الحق والاعراض عن الدنيا ولما كانت الآية السابقة مشتملة على ما هو كالمبادي لما في
الآية الثانية فصلت بالرهبة التي هي مقدمة التقوى ولان الخطاب بالاولى لما عم العالم والمقلد
امرهم بالرهبة التي هي مبدأ السلوك والخطاب بالثانية لما خص اهل العلم امرهم بالتقوى الذي هو منتهاه
ولا تلبسوا الحق بالباطل عطف على ما قبله واللبس الخلط وقد يلزمه جعل الشيء مشتبها بغيره والمعنى
لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل الذي تخترعونه وتكتبونه في خلاله حتى لا يميز بينهما او لا تجعلوا
الحق ملتبسا بسبب خلط الباطل الذي تكتبونه في خلاله او تذكرونه في تاويله وتكتموا الحق جزم
داخل تحت حكم النهي كانهم امروا بالايمان وترك الضلال ونهوا عن الاضلال بالتلبيس على من سمع
الحق والاخفاء على من لم يسمعه او نصب باضمار ان على ان الواو للجمع اي لا تجمعوا لبس الحق بالباطل
وكتمانه ويعضده انه في مصحف ابن مسعود وتكتمون اي وانتم تكتمون بمعنى كاتمين وفيه اشعار
بان استقباح اللبس لما يصحبه من كتمان الحق وانتم تعلمون عالمين بانكم لابسون كاتمون فانه اقبح اذ
الجاهل قد يعذر واقيموا الصلوة واتوا الزكوة يعني صلوة المسلمين وزكوتهم فان غيرهما كلا صلوة
ولا زكوة امرهم بفروع الاسلام بعدما امرهم باصوله وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بها والزكوة

من زكى الزرع اذا نمى فان اخراجها يستجلب بركة في المال ويثمر للنفس فضيلة الكرم او من الزكوة
بمعنى الطهارة فانها تطهر المال من الخبث والنفس من البخل واركعوا مع الراكعين اي في جماعتهم فان
صلوة الجماعة تفضل صلوة الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها من تظاهر النفوس وعبر عن الصلوة
بالركوع احترازا عن صلوة اليهود وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم الشارع قال
الاضبط السعدي لا تذل الضعيف علك ان تركع يوما والدهر قد رفعه اتامرون الناس بالبر
تقرير مع توبيخ وتعجيب والبر التوسع في الخير من البر وهو الفضاء الواسع يتناول كل خير ولذلك
قيل البر ثلاثة بر في عبادة الله وبر في مراعاة الاقارب وبر في معاملة الاجانب وتنسون انفسكم
وتتركونها من البر كالمنسيات وعن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في احبار اليهود كانوا يامرون
سرا من نصحوه باتباع محمد عم ولا يتبعونه وقيل كانوا يامرون بالصدقة ولا يتصدقون وانتم
تتلون الكتاب تبكيت كقوله وانتم تعلمون اي تتلون التورية وفيها الوعيد على العناد وترك
البر ومخالفة القول العمل افلا تعقلون قبح صنيعكم فيصدكم عنه او افلا عقل لكم يمنعكم
عما تعلمون وخامة عاقبته والعقل في الاصل الحبس سمي به الادراك الانساني لانه يحبسه عما
يقبح ويعقله على ما يحسن ثم القوة التي بها النفس تدرك هذا الادراك والآية ناعية على من
يعظ غيره ولا يتعظ نفسه سوء صنيعه وخبث نفسه وان فعله فعل الجاهل بالشرع او الاحمق
الخالي عن العقل فان الجامع بينهما تأبى عنه شكيمته والمراد بها حث الواعظ على تزكية النفس والاقبال
عليها بالتكميل ليقوم فيقيم لا منع الفاسق عن الوعظ فان الاخلال باحد الامرين المامور بهما
لا يوجب الاخلال بالآخر واستعينوا بالصبر والصلوة متصل بما قبله كانهم لما امروا بما شق
عليهم لما فيه من الكلفة وترك الرياسة والاعراض عن المال عولجوا بذلك والمعنى استعينوا على
حوائجكم بانتظار النجح والفرج توكلا على الله او بالصوم الذي هو صبر عن المفطرات لما فيه
من كسر الشهوة وتصفية النفس والتوسل بالصلوة والالتجاء اليها فانها جامعة لانواع العبادات
النفسانية والبدنية من الطهارة وستر العورة وصرف المال فيهما والتوجه الى الكعبة والعكوف
للعبادة واظهار الخشوع بالجوارح واخلاص النية بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجاة الحق
وقراءة القرآن والتكلم بالشهادتين وكف النفس عن الاطيبين حتى تجابوا الى تحصيل المآرب وجبر المصائب

وروى انه عم اذا حزبه امر فزع الى الصلوة ويجوز ان يراد بها الدعاء وانها اى الاستعانة بهما
او الصلوة وتخصيصها برد الضمير اليها لعظم شانها واستجماعها ضروبا من الصبر او جملة ما امروا بها ونهوا
عنها لكبيرة لثقيلة شاقة كقوله تع كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الا على الخاشعين اى المخبتين والخشوع
الاخبات ومنه الخشعة للرملة المتطامنة والخضوع اللين والانقياد ولذلك يقال الخشوع بالجوارح
والخضوع بالقلب الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون اى يتوقعون لقاء الله ونيل
ما عنده او يتيقنون انهم يحشرون الى الله فيجازيهم ويؤيده ان فى مصحف ابن مسعود يعلمون وكان
الظن لما شابه العلم فى الرجحان اطلق عليه لتضمين معنى التوقع قال اوس بن حجر فارسلته
مستيقن الظن انه مخالط ما بين الشراسيف جائف وانما لم يثقل عليهم ثقلها على غيرهم فان
نفوسهم مرتاضة بامثالها متوقعة فى مقابلتها ما يستحقر لاجله مشاقها ويستلذ بسببه متاعبها
ومن ثم قال عم وجعلت قرة عينى فى الصلوة يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم كرره للتاكيد
وتذكير التفضيل الذى هو اجل النعم خصوصا وربطه بالوعيد الشديد تخويفا لمن غفل عنها واخل
بحقوقها وانى فضلتكم عطف على نعمتى على العالمين اى عالمى زمانهم يريد به تفضيل اباءهم الذين
كانوا فى عصر موسى عم وبعده قبل ان يغيروا بما منحهم الله من العلم والايمان والعمل الصالح وجعلهم
انبياء وملوكا مقسطين واستدل به على تفضيل البشر على الملك وهو ضعيف واتقوا يوما اى ما فيه
من الحساب والعذاب لا تجزى نفس عن نفس شيئا لا تقضى عنها شيئا من الحقوق او شيئا من الجزاء فيكون نصبه
على المصدر وقرئ لا تجزئ من اجزأ عنه اذا اغنى وعلى هذا تعين ان يكون شيئا مصدرا واورده منكرا
مع تنكير النفسين للتعميم والاقناط الكلى والجملة صفة ليوما والعائد فيها محذوف تقديره لا
تجزى فيه ومن لم يجوز حذف العائد المجرور قال اتسع فيه فحذف عنه الجار واجرى مجرى
المفعول به ثم حذف كما حذف من قوله فما ادرى اغيرهم تناء وطول العهد ام مال اصابوا
ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اى من النفس الثانية العاصية او من الاولى وكانه
اريد بالاية نفى ان يدفع العذاب احد عن احد من كل وجه محتمل فانه اما ان يكون قهرا او غيره والاول
النصرة والثانى اما ان يكون مجانا او غيره والاول ان يشفع له والثانى اما باداء ما كان عليه
وهو ان يجزى عنه او بغيره وهو ان يعطى عنه بدلا والشفاعة من الشفع كان المشفوع له كان

وترا فجعله الشفيع شفعا بضم نفسه اليه والعدل الفدية وقيل البدل واصله التسوية سمى به
الفدية لانها سويت بالمفدى ولا هم ينصرون يمنعون من عذاب الله تع والضمير لما دلت عليه النفس
الثانية المنكرة الواقعة فى سياق النفى من النفوس الكثيرة وتذكيره بمعنى العباد او الاناسى
والنصرة اخص من المعونة لاختصاصها بدفع الضرر وقد تمسكت المعتزلة بهذه الاية على نفى الشفاعة
لاهل الكبائر واجيب بانها مخصوصة بالكفار للايات والاحاديث الواردة فى الشفاعة
ويؤيده ان الخطاب معهم والاية نزلت ردا لما كانت اليهود تزعم ان اباءهم تشفع لهم واذ نجيناكم
من آل فرعون تفصيل لما اجمله فى قوله اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم وعطف على نعمتى عطف جبريل
وميكائيل على الملائكة وقرئ انجيتكم واصل آل اهل لان تصغيره اهيل وخص بالاضافة الى
اولى الخطر كالانبياء والملوك وفرعون لقب لمن ملك العمالقة ككسرى وقيصر لملكى الفرس
والروم ولعتوهم اشتق منه تفرعن الرجل اذا عتا وكان فرعون موسى مصعب بن ريان
وقيل ابنه وليد من بقايا عاد وفرعون يوسف ريان وكان بينهما اكثر من اربعمائة سنة
يسومونكم يبغونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما واصل السوم الذهاب فى طلب الشئ سوء
العذاب افظعه فانه قبيح بالاضافة الى سائره والسوء مصدر ساء يسوء ونصبه على المفعول
ليسومونكم والجملة حال من الضمير فى نجيناكم او من آل فرعون او منهما جميعا لان فيها ضمير كل واحد
منهما يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم بيان ليسومونكم ولذلك لم يعطف وقرئ
يذبحون بالتخفيف وانما فعلوا بهم ذلك لان فرعون راى فى المنام او قال له الكهنة سيولد
منهم من يذهب بملكه فلم يرد اجتهادهم من قدر الله شيئا وفى ذلكم بلاء محنة ان اشير بذلكم الى صنيعهم
ونعمة ان اشير به الى الانجاء واصل البلاء الاختبار لكن لما كان اختبار الله تع مع عباده تارة
بالمحنة وتارة بالمنحة اطلق عليهما ويجوز ان يشار بذلكم الى الجملة ويراد به الامتحان
الشائع بينهما من ربكم بتسليطهم عليكم او ببعث موسى عم وتوفيقه لتخليصكم او بهما عظيم صفة
بلاء وفى الاية تنبيه على ان ما يصيب العبد من خير او شر اختبار من الله تعالى فعليه ان يشكر على مساره
ويصبر على مضاره ليكون من خير المختبرين واذ فرقنا بكم البحر فلقناه وفصلنا بين بعضه وبعض
حتى حصلت فيه مسالك بسلوككم فيه او بسبب انجائكم او ملتبسا بكم كقوله تدوس بنا الجماجم

والرتبة ومدى فرقنا على بناء التكثير لان المسالك كانت اثنى عشر بعدد الاسباط
فانجيناكم واغرقنا آل فرعون اراد به فرعون وقومه واقتصر على ذكرهم للعلم بانه
كان اولى به وقيل شخصه كما روى ان الحسن كان يقول اللهم صل على آل محمد اى شخصه و
استغنى بذكره عن ذكر اتباعه وانتم تنظرون ذلك اى غرقهم واطباق البحر عليهم او انفلاق
البحر عن طرق يابسة مذللة او جثثهم التى قذفها البحر الى الساحل او ينظر بعضكم بعضا روى
انه تع امر موسى ان يسرى ببنى اسرائيل فخرج بهم فصبحهم فرعون وجنوده وصادفوهم
على شاطئ البحر فاوحى الله تع اليه ان اضرب بعصاك البحر فضرب به فظهرت فيه اثنى عشر طريقا
يابسا فسلكوها فقالوا يا موسى نخاف ان يغرق بعضنا ولا نعلم ففتح الله فيها كوى فتراأوا
فتسامعوا حتى عبروا البحر ثم لما وصل اليه فرعون ورآه منفلقا اقتحم فيه هو وجنوده
فالتطم عليهم واغرقهم اجمعين واعلم ان هذه الواقعة من اعظم ما انعم الله به على بنى اسرائيل ومن
الآيات الملجئة الى العلم بوجود الصانع الحكيم وتصديق موسى عم ثم انهم اتخذوا العجل وقالوا
لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ونحو ذلك فهم بمعزل فى الفطنة والذكاء وسلامة النفس
وحسن الاتباع من امة محمد عم مع ان ما تواتر من معجزاته امور نظرية دقيقة يدركها الاذكياء
واخباره عم عنها من جملة معجزاته على ما مر تقريره واذ وعدنا موسى اربعين ليلة لما عادوا
الى مصر بعد هلاك فرعون وعد الله تع موسى ان يعطيه التورية وضرب له ميقاتا ذا القعدة
وعشر ذى الحجة وعبر عنها بالليالى لانها غرر الشهور وقرا ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر
وحمزة والكسائى واعدنا لانه تع وعده الوحى ووعده موسى المجىء الى الميقات الى الطور
ثم اتخذتم العجل الها ومعبودا من بعده من بعد موسى او مضيه وانتم ظالمون باشراككم ثم عفونا
عنكم حين تبتم والعفو محو الجريمة من عفا اذا درس من بعد ذلك اى الاتخاذ لعلكم تشكرون
لكى تشكروا عفوه واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان يعنى التورية الجامع بين كونه كتابا
ومعجزة يفرق بين الحق والباطل وقيل اراد بالفرقان معجزاته الفارقة بين المحق والمبطل فى الدعوى
او بين الكفر والايمان وقيل الشرع الفارق بين الحلال والحرام او النصر الذى فرق بين موسى عم
وبين عدوه كقوله تع يوم الفرقان يريد به يوم بدر لعلكم تهتدون لكى تهتدوا بتدبر الكتاب

والتفكر فى الآيات واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا
الى بارئكم فاعزموا على التوبة والرجوع الى من خلقكم بريا من التفاوت ومميزا بعضكم عن بعض
بصور وهيئات مختلفة واصل التركيب لخلوص الشىء عن غيره اما على سبيل التفصى كقولهم برئ
المريض من مرضه والمديون من دينه او الانشاء كقولهم برأ الله آدم من الطين او فتوبوا فاقتلوا
انفسكم تماما لتوبتكم بالبخع او قطع الشهوات كما قيل من لم يعذب نفسه لم ينعمها ومن لم يقتلها لم يحيها
وقيل امروا ان يقتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل ان يقتل العبدة روى ان الرجل يرى
بعضه وقريبه فلم يقدر المضى لامر الله تع فارسل الله تعالى ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون
فاخذوا يقتلون من الغداة الى العشى حتى دعا موسى وهارون فكشفت السحابة ونزلت
التورية وكانت القتلى سبعين الفا والفاء الاولى للسبب والثانية للتعقيب ذلكم خير لكم عند
بارئكم من حيث انه طهرة عن الشرك ووصلة الى الحيوة الابدية والبهجة السرمدية فتاب
عليكم متعلق بمحذوف ان جعلته من كلام موسى عم لهم تقديره ان فعلتم ما امرتم به فقد تاب عليكم وان
جعلته خطابا من الله لهم على طريقة الالتفات كانه قال ففعلتم ما امرتم فتاب عليكم بارئكم وذكر
البارى وترتيب الامر عليه اشعار بانهم بلغوا غاية الجهالة والغباوة حتى تركوا عبادة خالقهم
الحكيم الى عبادة البقر التى هى مثل فى الغباوة وان من لم يعرف حق منعمه حقيق بان يسترد منه ولذلك
امروا بالقتل وفك التركيب انه هو التواب الرحيم الذى يكثر توفيق التوبة او قبولها من المذنبين
ويبالغ فى الانعام عليهم واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك لاجل قولك او لن نقر لك حتى نرى الله جهرة
عيانا وهى فى الاصل مصدر قولك جهرت بالقراءة استعيرت للمعاينة ونصبها على المصدر لانها نوع
من الرؤية او حال من الفاعل او المفعول وقرئ جهرة بالفتح على انها مصدر كالغلبة او جمع
كالكتبة فيكون حالا والقائلون هم السبعون الذين اختارهم موسى عم للميقات وقيل عشرة آلاف
من قومه والمؤمن به ان الله الذى اعطاك التورية وكلمك او انك نبى فاخذتكم الصاعقة
لفرط العناد والتعنت وطلب المستحيل فانهم ظنوا انه تع يشبه الاجسام فطلبوا رؤيته
رؤية الاجسام فى الجهات والاحياز المقابلة للرائى وهى محال بل الممكن ان يرى رؤية
منزهة عن الكيفية وذلك للمؤمنين فى الآخرة وللافراد من الانبياء فى بعض الاحوال فى الدنيا

قيل جاءت نار من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة وقيل جنود سمعوا بحسيسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة
وانتم تنظرون ما اصابكم بنفسه او اثره ثم بعثناكم من بعد موتكم بسبب الصاعقة وقيد البعث لانه قد
يكون عن اغماء او نوم كقوله تعالى ثم بعثناهم لعلكم تشكرون نعمة البعث او ما كفرتموه لما رأيتم بأس الله
بالصاعقة وظللنا عليكم الغمام سخر الله تعالى لهم السحاب يظلهم من الشمس حين كانوا في التيه وانزلنا
عليكم المن والسلوى الترنجبين والسماني قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع وتبعث
الجنوب عليهم السماني وينزل بالليل عمود نار يسيرون في ضوئه وكانت ثيابهم لا تتسخ ولا تبلى
كلوا من طيبات ما رزقناكم على ارادة القول وما ظلمونا فيه اختصار واصله فظلموا بان كفروا هذه
النعمة وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالكفران لانه لا يتخطاهم ضرره واذ قلنا
ادخلوا هذه القرية يعني بيت المقدس وقيل اريحاء امروا به بعد التيه فكلوا منها حيث شئتم
رغدا واسعا ونصبه على المصدر او الحال من الواو وادخلوا الباب اي باب القرية او القبة
التي كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى عليه السلام سجدا متطامنين
مخبتين او ساجدين لله تعالى شكرا على اخراجهم من التيه وقولوا حطة اي مسألتنا حطة او امرك
حطة وهي فعلة من الحط كالجلسة وقرئ بالنصب على الاصل بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة او
على انه مفعول قولوا اي قولوا هذه الكلمة وقيل معناه امرنا حطة اي ان نحط في هذه القرية ونقيم بها
نغفر لكم خطاياكم بسجودكم ودعائكم وقرأ نافع بالياء وابن عامر بالتاء على البناء للمفعول
وخطايا اصله خطايئ كخطايع فعند سيبويه ابدلت الياء الزائدة همزة لوقوعها بعد الالف
واجتمعت همزتان فابدلت الثانية ياء ثم قلبت الفا وكانت الهمزة بين الفين فابدلت ياء وعند الخليل
قدمت الهمزة على الياء ثم فعل بها ما ذكر وسنزيد المحسنين ثوابا جعل الامتثال توبة للمسيء وسبب
زيادة الثواب للمحسن واخرجه عن صورة الجواب الى الوعد ايهاما بان المحسن بصدد ذلك وان
يفعله فكيف اذا فعله وانه يفعل لا محالة فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم بدلوا بما امروا به
من التوبة والاستغفار طلب ما يشتهون من اعراض الدنيا فانزلنا على الذين ظلموا كرره مبالغة
في تقبيح امرهم واشعارا بان الانزال عليهم لظلمهم بوضع غير المأمور به موضعه او على انفسهم بان تركوا
ما يوجب نجاتها الى ما يوجب هلاكها رجزا من السماء بما كانوا يفسقون عذابا مقدرا من السماء بسبب

فسقهم

فسقهم والرجز في الاصل ما يعاف عنه وكذلك الرجس وقرئ بالضم وهو لغة فيه والمراد به الطاعون
روي انه مات في ساعة اربعة وعشرون الفا واذ استسقى موسى لقومه لما عطشوا في التيه فقلنا
اضرب بعصاك الحجر اللام فيه للعهد على ما روي انه كان حجرا طوريا مكعبا حمله معه وكانت تنبع
من كل وجه ثلاث اعين يسيل كل عين في جدول الى سبط وكانوا ستمائة الف وسعة المعسكر
اثني عشر ميلا او حجرا اهبطه آدم من الجنة ووقع الى شعيب فاعطاه مع العصا او الحجر
الذي فر بثوبه لما وضعه عليه ليغتسل وبرأه الله به عما رموه به من الادرة فاشار اليه جبرائيل عليه السلام
بحمله او للجنس وهذا اظهر في الحجة قيل لم يأمره ان يضرب حجرا بعينه ولكن لما قالوا كيف بنا
لو افضينا الى ارض لا حجارة بها حمل حجرا في مخلاته وكان يضربه بعصاه اذا نزل فينفجر
ويضربه بها اذا ارتحل فييبس فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى الله اليه لا تقرع
الحجارة وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان الحجر من رخام وكان ذراعا في ذراع والعصا
عشرة اذرع على طول موسى من آس الجنة ولها شعبتان تتقدان في الظلمة فانفجرت منه اثنتا
عشرة عينا متعلق بمحذوف تقديره فان ضربت فقد انفجرت او فضرب فانفجرت كما مر في قوله تعالى
فتاب عليكم وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها وهما لغتان قد علم كل اناس كل سبط مشربهم عينهم
التي يشربون منها كلوا واشربوا على تقدير القول من رزق الله يريد به ما رزقهم من المن والسلوى
وماء العيون وقيل الماء وحده لانه يشرب ويؤكل مما ينبت به ولا تعثوا في الارض مفسدين
لا تعتدوا حال افسادكم وانما قيده لانه وان غلب في الفساد لانه قد يكون منه ما ليس بفساد
كمقابلة الظالم المعتدي بفعله ومنه ما يتضمن صلاحا راجحا كقتل الخضر الغلام وخرقه
السفينة ويقرب منه العيث غير انه يغلب فيما يدرك حسا ومن انكر امثال هذه المعجزات
فلغاية جهله بالله وقلة تدبره في عجائب صنعه فانه لما امكن ان يكون من الاحجار ما يحلق الشعر و
ينفر الخل ويجذب الحديد لم يمتنع ان يخلق الله تعالى حجرا يسخره لجذب الماء من تحت الارض او لجذب
الهواء من الجوانب ويصيره ماء بقوة التبريد ونحو ذلك واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد
يريدون به ما رزقوا في التيه من المن والسلوى وبوحدته انه لا يختلف ولا يتبدل كقولهم طعام
مائدة الامير واحد يريدون انه لا يتغير الوانه ولذلك اجموا او ضرب واحد لانهما معا طعام

اصل التلاد ذنو وهم كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم واشتهوا ما الفوه فادع لنا ربك سله لنا بدعائك
اياه يخرج لنا يظهر لنا ويوجد وجزمه بانه جواب فادع فان دعوته سبب الاجابة مما تنبت
الارض من الاسناد المجازي واقامة القابل مقام الفاعل ومن للتبعيض من بقلها وقثائها وفومها
وعدسها وبصلها تفسير وبيان وقع موقع الحال وقيل بدل باعادة الجار والبقل ما انبتته الارض
من الخضر والمراد به اطايبه التي تؤكل والفوم الحنطة ويقال للخبز ومنه فوموا لنا وقيل الثوم
وقرئ قثائها بالضم وهو لغة فيه قال اي الله او موسى عم اتستبدلون الذي هو ادنى
اقرب منزلة وادون قدرا واصل الدنو القرب في المكان فاستعير للخسة كما استعير البعد في الشرف
والرفعة فقيل بعيد المحل بعيد الهمة وقرئ ادنأ من الدناءة بالذي هو خير يريد به المن والسلوى
فانه خير في اللذة والنفع وعدم الحاجة الى السعي اهبطوا مصرا انحدروا اليه من التيه يقال
هبط الوادي اذا نزل به وهبط منه اذا خرج وقرئ بالضم والمصر البلد العظيم واصله الحد
بين الشيئين وقيل اراد به العلم وانما صرفه لسكون وسطه او على تاويل البلد ويؤيده انه غير منون
في مصحف ابن مسعود وقيل اصله مصرائيم فعرب فان لكم ما سالتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة
احيطت بهم احاطة القبة بمن ضربت عليه او الصقت بهم من ضرب الطين على الحائط مجازاة لهم على
كفران النعمة واليهود في غالب الامر اذلاء مساكين اما على الحقيقة او على التكلف مخافة ان تضاعف
جزيتهم وباءوا بغضب من الله رجعوا به او صاروا احقاء بغضبه من باء فلان بفلان اذا كان
حقيقا بان يقتل به واصل البوء المساواة ذلك اشارة الى ما سبق من ضرب الذلة والمسكنة
والبوء بالغضب بانهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين بغير الحق بسبب كفرهم بالمعجزات التي
من جملتها ما عد عليهم من فلق البحر واظلال الغمام وانزال المن والسلوى وانفجار العيون من الحجر او بالكتب
المنزلة كالانجيل والفرقان واية الرجم والتي فيها نعت محمد عم من التوراة وقتلهم الانبياء فانهم
قتلوا شعيا وزكريا ويحيى وغيرهم بغير الحق عندهم اذ لم يروا منهم ما يعتقدون به جواز قتلهم
وانما حملهم على ذلك اتباع الهوى وحب الدنيا كما اشار اليه بقوله ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون
اي جرهم العصيان والتمادي والاعتداء فيه الى الكفر بالايات وقتل النبيين فان صغار الذنوب
سبب يؤدي الى ارتكاب كبارها كما ان صغار الطاعات اسباب مؤدية الى تحري كبارها وقيل كرر

الاشارة للدلالة على ان ما لحقهم كما هو بسبب الكفر والقتل فهو بسبب ارتكابهم المعاصي واعتدائهم
حدود الله تعالى وقيل الاشارة الى الكفر والقتل والباء بمعنى مع وانما جوزت الاشارة بالمفرد
الى شيئين فصاعدا على تاويل ما ذكر او تقدم للاختصار ونظيره في الضمير قول رؤبة يصف بقرة
والذي حسن ذلك ان تثنية المضمرات والمبهمات وجمعها وتانيثها ليس على الحقيقة ولذلك
جاء الذي بمعنى الجمع ان الذين امنوا بالسنتهم يريد به المتدينين بدين محمد عم المخلصين منهم
والمنافقين وقيل المنافقين لانخراطهم في سلك الكفرة والذين هادوا تهودوا يقال هاد وتهود
اذا دخل في اليهودية ويهود اما عربي من هاد اذا تاب سموا بذلك لما تابوا من عبادة العجل
واما معرب يهودا وكانهم سموا باسم اكبر اولاد يعقوب عم والنصارى جمع نصران كالندامى
والياء في نصراني للمبالغة كما في احمري سموا بذلك لانهم نصروا المسيح عم او لانهم كانوا معه في قرية
يقال لها نصران او ناصرة فسموا باسمها او من اسمها والصابئين قوم بين النصارى والمجوس وقيل
اصل دينهم دين نوح عم وقيل عبدة الملائكة وقيل عبدة الكواكب وهو ان كان عربيا فمن صبأ
اذا خرج وقرأ نافع وحده بالياء اما لانه خفف الهمزة او لانه من صبا اذا مال لانهم مالوا من
سائر الاديان الى دينهم او من الحق الى الباطل من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا من كان منهم
في دينه قبل ان نسخ مصدقا بقلبه بالمبدأ والمعاد عاملا بمقتضى شرعه وقيل من امن من هؤلاء
الكفرة ايمانا خالصا ودخل في الاسلام دخولا صادقا فلهم اجرهم عند ربهم الذي وعد لهم
على ايمانهم وعملهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون حين يخاف الكفار من العقاب ويحزن المقصرون
على تضييع العمر وتفويت الثواب ومن مبتدأ خبره فلهم اجرهم والجملة خبر ان او بدل من اسم ان
وخبرها فلهم اجرهم والفاء لتضمن المسند اليه معنى الشرط وقد منع سيبويه دخولها في خبر ان
من حيث انها لا تدخل الشرطية ورد بقوله تعالى ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا
فلهم عذاب جهنم واذ اخذنا ميثاقكم باتباع موسى والعمل بالتوراة ورفعنا فوقكم الطور
حين اعطيتم الميثاق روي ان موسى عم لما جاءهم بالتوراة فرأوا ما فيها من التكاليف الشاقة
كبرت عليهم وابوا قبولها فامر جبريل فقلع الطور فظلله فوقهم حتى قبلوا خذوا على
ارادة القول ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة واذكروا ما فيه ادرسوه ولا تنسوه

او تفكروا فيه فانه ذكر بالقلب واعملوا به لعلكم تتقون لكي تتقوا المعاصي او لتنجوا من الهلاك
في الدارين او رجاء منكم ان تكونوا متقين ويجوز عند المعتزلة ان يتعلق بالقول المحذوف اي قلنا
خذوا واذكروا ارادة ان تتقوا ثم توليتم من بعد ذلك ثم اعرضتم عن الوفاء بالميثاق بعد اخذه
فلولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيقكم للتوبة او بمحمد يدعوكم الى الحق ويهديكم اليه لكنتم
من الخاسرين المغبونين بالانهماك في المعاصي او بالخبط والضلال في فترة من الرسل
ولو في الاصل لامتناع الشيء لامتناع غيره فاذا دخل على لا افاد اثباتا وهو امتناع الشيء لثبوت
غيره والاسم الواقع بعده عند سيبويه مبتدأ خبره واجب الحذف لدلالة الكلام عليه
وسد الجواب مسده وعند الكوفيين فاعل فعل محذوف ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في
السبت اللام موطئة للقسم والسبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت واصله القطع
امروا بان يجردوه للعبادة فاعتدى فيه ناس منهم في زمن داود عم واشتغلوا بالصيد
وذلك انهم كانوا يسكنون قرية على الساحل يقال لها ايلة واذا كان يوم السبت لم يبق
حوت في البحر الا حضر هناك واخرج خرطومه فاذا مضى تفرقت فحفروا حياضا وشرعوا
اليها الجداول وكانت الحيتان تدخلها يوم السبت فيصطادونها يوم الاحد فقلنا لهم كونوا
قردة خاسئين جامعين بين صورة القردة والخسوء وهو الصغار والطرد وقال مجاهد مسخت
صورهم ولكن قلوبهم فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار في قوله تعالى كمثل الحمار يحمل اسفارا وقوله
كونوا ليس بامر اذ لا قدرة لهم عليه وانما المراد به سرعة التكوين وانهم صاروا كذلك كما
اراد بهم وقرئ قردة بفتح القاف وكسر الراء وخاسين بغير همزة فجعلناها اي المسخة او العقوبة
نكالا عبرة تنكل المعتبر بها اي تمنعه ومنه النكل للقيد لما بين يديها وما خلفها لما قبلها وما بعدها
من الامم اذ ذكرت حالهم في زبر الاولين واشتهرت قصتهم في الآخرين او لمعاصريهم ومن بعدهم
او لما بحضرتها من القرى وما تباعد عنها او لاهل تلك القرية وما حواليها او لاجل ما تقدم عليها
من ذنوبهم وما تأخر عنها وموعظة للمتقين من قومهم او لكل متق سمعها واذ قال موسى لقومه ان الله
يأمركم ان تذبحوا بقرة اول هذه القصة قوله تعالى واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها وانما فك
عنه وقدم عليه لاستقلاله بنوع آخر من مساويهم وهو الاستهزاء بالامر والاستقصاء في السؤال

وترك المسارعة الى الامتثال وقصته انه كان فيهم شيخ موسر فقتل ابنه بنو اخيه طمعا في تركته
وطرحوه على باب المدينة ثم جاؤوا يطالبون بدمه فامرهم الله ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها
ليحيى فيخبر بقاتله قالوا اتتخذنا هزوا مكان هزء او اهل هزء او مهزوا بنا او الهزء نفسه
لفرط الاستهزاء استبعادا لما قاله واستخفافا به وقرأ حمزة واسماعيل عن نافع بالسكون
وحفص عن عاصم بالضم وقلب الهمزة واوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين لان الهزء في
مثل ذلك المقام جهل وسفه نفى عن نفسه ما رمي به على طريقة البرهان واخرج ذلك
في صورة الاستعاذة استفظاعا له قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي اي ما حالها وصفتها وكان
حقه ان يقولوا اي بقرة هي او كيف هي لان ما يسأل به عن الجنس غالبا لكنهم لما راوا ما امروا به
على حال لم يوجد بها شيء من جنسه اجروه مجرى ما لم يعرفوا حقيقته ولم يروا مثله قال انه يقول
انها بقرة لا فارض ولا بكر لا مسنة ولا فتية يقال فرضت البقرة فروضا من الفرض وهو القطع
كانها فرضت سنها وتركيب البكر للاولية ومنه البكرة والباكورة عوان نصف قال طوال
مثل اعناق الهوادي نواعم بين ابكار وعون بين ذلك اي بين ما ذكر من الفارض والبكر ولذلك
اضيف اليه بين فانه لا يضاف الا الى متعدد وعود هذه الكنايات واجراء تلك الصفات
على بقرة يدل على ان المراد بها معينة ويلزمه تأخير البيان عن وقت الخطاب ومن انكر ذلك
زعم ان المراد بها بقرة من شق البقر غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة بسؤالهم ويلزمه النسخ
قبل الفعل فان التخصيص ابطال للتخيير الثابت بالنص والحق جوازهما ويؤيد الرأي الثاني
ظاهر اللفظ والمروي عنه عم لو ذبحوا اي بقرة ارادوا لاجزأتهم ولكن شددوا على انفسهم
فشدد الله عليهم وتقريعهم بالتمادي وزجرهم عن المراجعة بقوله فافعلوا ما تؤمرون اي
ما تؤمرونه بمعنى ما تؤمرون به من قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به فقد تركتك ذا مال
وذا نشب او امركم بمعنى مأموركم قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها
بقرة صفراء فاقع لونها الفقوع نصوع الصفرة ولذلك يؤكد به فيقال اصفر فاقع كما يقال
اسود حالك وفي اسناده الى اللون وهو صفة صفراء لملابسته بها فضل تأكيد كانه قيل
صفراء شديدة الصفرة صفرتها وعن الحسن سوداء شديدة السواد وبه فسر قوله تعالى

جملة لا تصفر قال الاعشى تلك خيلى منه وتلك ركابى هن صفر اولادها كالزبيب ولعله
عبر بالصفرة عن السواد لانها من مقدماته او لان سواد الابل تعلوه صفرة وفيه نظر لان الصفرة
بهذا المعنى لا يؤكد بالفقوع تسر الناظرين اى تعجبهم والسرور اصله لذة فى القلب عند حصول
نفع او توقعه من السر قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى تكرير للسؤال الاول واستكشاف زائد
وقوله ان البقر تشابه علينا اعتذار عنه اى ان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير
فاشتبه علينا وقرئ ان الباقر وهو اسم لجماعة البقر والاباقر والبواقر ويتشابه بالياء
والتاء وتشابه بطرح التاء وادغامها على التذكير والتانيث وتشابهت متشددا
ومتشبهة وانا ان شاء الله لمهتدون الى المراد ذبحها او الى القاتل وفى الحديث لو لم يستثنوا
لما بينت لهم اخر الابد واحتج به اصحابنا على ان الحوادث بارادة الله تعالى وان الامر قد ينفك
عن الارادة والا لم يكن للشرط بعد الامر معنى والمعتزلة والكرامية على حدوث الارادة
واجيب بان التعليق باعتبار التعلق قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقى الحرث
اى لم تذلل للكراب وسقى الحروث ولا ذلول صفة البقرة بمعنى غير ذلول ولا الثانية مزيدة
لتاكيد الاول والفعلان صفتا ذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية وقرئ لا ذلول بالفتح
اى حيث هى كقولك مررت برجل لا بخيل ولا جبان اى حيث هو وتسقى من اسقى مسلمة سلمها الله تعالى
من العيوب واهلها من العمل واخلص لونها من سلم له كذا اذا خلص له لا شية فيها لا لون فيها
يخالف لون جلدها وهى فى الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا اخر قالوا
الان جئت بالحق اى بحقيقة وصف البقرة وحققتها لنا وقرئ آلان بالمد على الاستفهام والان
بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام فذبحوها فيه اختصار والتقدير فحصلوا البقرة المنعوتة
فذبحوها وما كادوا يفعلون لتطويلهم وكثرة مراجعاتهم او لخوف الفضيحة فى ظهور القاتل او
لغلاء ثمنها اذ روى ان شيخا صالحا منهم كان له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم انى استودعكها
لابنى حتى يكبر فشبت فكانت وحيدة بتلك الصفات فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها
على جلدها ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك بثلاثة دنانير وكاد من افعال المقاربة وضع لدنو
الخبر حصولا فاذا دخل عليه النفى قيل معناه الاثبات مطلقا وقيل ماضيا والصحيح انه كسائر

الافعال

الافعال ولا ينافى قوله وما كادوا يفعلون قوله فذبحوها لاختلاف وقتيهما اذ المعنى
انهم ما قاربوا ان يفعلوا حتى انتهت سؤالاتهم وانقطعت تعللاتهم ففعلوا كالمضطر الملجى
الى الفعل واذ قتلتم نفسا خطاب الجمع لوجود القتل فيهم فادارأتم فيها فاختصمتم فى شانها
اذ المتخاصمان يدفع بعضهم بعضا او تدافعتم بان طرح كل قتلها عن نفسه الى صاحبه واصله
تدارأتم فادغمت التاء فى الدال واجتلبت لها همزة الوصل والله مخرج ما كنتم تكتمون مظهره
لا محالة واعمل مخرج لانه حكاية مستقبل كما اعمل باسط ذراعيه لانه حكاية حال ماضية فقلنا
اضربوه عطف على ادارأتم وما بينهما اعتراض والضمير للنفس والتذكير على تاويل الشخص او القتيل
ببعضها اى بعض كان وقيل باصغرها وقيل بلسانها وقيل بفخذها اليمنى وقيل بالعجب كذلك
يحيى الله الموتى يدل على ما حذف وهو فضربوه فحيى والخطاب مع من حضر حيوة القتيل او نزول
الاية ويريكم اياته دلائله على كمال قدرته لعلكم تعقلون لكى يكمل عقلكم وتعلموا ان من قدر على
احياء نفس قدر على احياء الانفس كلها او تعملون على قضيته ولعله تعالى انما لم يحيه ابتداء وشرط
ما شرط فيه لما فيه من التقرب واداء الواجب ونفع اليتيم والتنبيه على بركة التوكل والشفقة على الاولاد
وان من حق الطالب ان يقدم قربة والمتقرب ان يتحرى الاحسن ويغالى بثمنه كما روى عن عمر رضى
الله عنه انه ضحى بنجيبة بثلاثمائة دينار وان المؤثر فى الحقيقة هو الله تعالى والاسباب امارات لا اثر
لها وان من اراد ان يعرف اعدى عدوه الساعى فى اماتته الموت الحقيقى فطريقه ان يذبح بقرة
نفسه التى هى القوة الشهوية حين زال عنها شره الصبى ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت معجبة رائقة
المنظر غير مذللة فى طلب الدنيا مسلمة عن دنسها لا شية بها من قبائحها بحيث يصل اثره الى نفسه
فيحيى بها حيوة طيبة ويعرب عما به ينكشف الحال ويرتفع ما بين العقل والوهم من التدارى والنزاع
ثم قست قلوبكم القساوة عبارة عن الغلظ مع الصلابة كما فى الحجر وقساوة القلب مثل فى نبوه
عن الاعتبار وثم لاستبعاد القسوة من بعد ذلك يعنى احياء القتيل او جميع ما عدد من الايات
فانها مما يوجب لين القلب فهى كالحجارة فى قسوتها او اشد قسوة منها والمعنى انها فى القساوة
مثل الحجارة او زائدة عليها او انها مثلها او مثل ما هو اشد منها قسوة كالحديد فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه ويعضده قراءة الحسن بالجر عطفا على الحجارة وانما لم يقل اقسى

لما في أشد من المبالغة والدلالة على اشتداد القسوتين واشتمال المفضل على زيادة وأو للتخيير
أو للترديد بمعنى أن من عرف حالها شبهها بالحجارة أو بما هو أقسى وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار
وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله تعليل للتفضيل والمعنى أن الحجارة
تتأثر وتنفعل فإن منها ما يتشقق فينبع منه الماء وتتفجر منه الأنهار ومنها ما يتردى من أعلى الجبل
انقيادا لما أراد الله تعالى به وقلوب هؤلاء لا تتأثر ولا تنفعل عن أمره تعالى والتفجر التفتح بسعة
وكثرة والخشية مجاز عن الانقياد وقرئ إن على أنها المخففة من الثقيلة وتلزمها اللام الفارقة
بينها وبين النافية ويهبط بالضم وما الله بغافل عما تعملون وعيد على ذلك وقرأ ابن كثير
ونافع ويعقوب وخلف وأبو بكر بالياء ضما إلى ما بعده والباقون بالتاء أفتطمعون الخطاب
لرسول الله ﷺ والمؤمنين أن يؤمنوا لكم أن يصدقوكم أو يؤمنوا لأجل دعوتكم يعني اليهود وقد
كان فريق منهم طائفة من أسلافهم يسمعون كلام الله يعني التوراة ثم يحرفونه كنعت محمد ﷺ وآية الرجم
أو تأويله فيفسرونه بما يشتهون وقيل هؤلاء من السبعين المختارين سمعوا كلام الله تعالى حين كلم موسى
بالطور ثم قالوا سمعنا الله تعالى يقول في آخره إن استطعتم أن تفعلوا هذه الأشياء فافعلوا وإن
شئتم فلا تفعلوا من بعد ما عقلوه أي فهموه بعقولهم ولم يبق لهم فيه ريبة وهم يعلمون أنهم مفترون
مبطلون ومعنى الآية أن أحبار هؤلاء ومقدميهم كانوا على هذه الحالة فما طمعك بسفلتهم
وجهالهم وأنهم إن كفروا وحرفوا فلهم سابقة في ذلك وإذا لقوا الذين آمنوا يعني منافقيهم
قالوا آمنا بأنكم على الحق وأن رسولكم هو المبشر به في التوراة وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا
أي الذين لم ينافقوا منهم عاتبين على من نافق أتحدثونهم بما فتح الله عليكم بما بين لكم في التوراة من نعت
محمد ﷺ أو الذين نافقوا لأعقابهم إظهارا للتصلب في اليهودية ومنعا لهم عن إبداء ما وجدوا في كتابهم
لينافقوا الفريقين فالاستفهام على الأول تقريع وعلى الثاني إنكار ونهي ليحاجوكم به عند ربكم
ليحتجوا عليكم بما أنزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم بكتاب الله تعالى وحكمه محاجة عنده كما
يقال عند الله كذا ويراد به أنه في كتابه وحكمه وقيل عند ذكر ربكم أو بما عند ربكم أو بين يدي رسول
ربكم وقيل عند ذكر ربكم في القيامة وفيه نظر إذ الإخفاء لا يدفعه أفلا تعقلون إما من تمام كلام
اللائمين وتقديره أفلا تعقلون أنهم يحاجونكم به فيحجونكم أو خطاب من الله تعالى للمؤمنين

متصل بقوله أفتطمعون والمعنى أفلا تعقلون حالهم وأن لا مطمع لكم في إيمانهم أولا يعلمون يعني
هؤلاء المنافقين أو اللائمين أو كليهما أو إياهم والمحرفين أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ومن
جملتها إسرارهم الكفر وإعلانهم الإيمان وإخفاء ما فتح الله عليهم وإظهار غيره وتحريف الكلم عن مواضعه
ومعانيه ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب جهلة لا يعرفون الكتابة فيطالعوا التوراة ويتحققوا ما فيها إلا
التوراة إلا أماني استثناء منقطع والأماني جمع أمنية وهي في الأصل ما يقدره الإنسان في نفسه من منى
إذا قدر ولذلك يطلق على الكذب وعلى ما يتمنى وما يقرأ والمعنى ولكن يعتقدون أكاذيب أخذوها
تقليدا من المحرفين أو مواعيد فارغة سمعوها منهم من أن الجنة لا يدخلها إلا من كان هودا أو نصارى
وأن النار لن تمسهم إلا أياما معدودة وقيل إلا ما يقرؤون قراءة عارية عن معرفة المعنى وتدبره من
قوله تمنى كتاب الله أول ليله تمني داود الزبور على الرسل وهو لا يناسب وصفهم بأنهم أميون
وإن هم إلا يظنون ما هم إلا قوم يظنون لا علم لهم وقد يطلق الظن بإزاء العلم على كل رأي واعتقاد
من غير قاطع وإن جزم به صاحبه كاعتقاد المقلد والزائغ عن الحق لشبهة فويل أي تحسر وهلك
ومن قال إنه واد أو جبل في جهنم فمعناه أن فيها موضعا يتبوأ فيه من جعل له الويل ولعله سماه بذلك
مجازا وهو في الأصل مصدر لا فعل له وإنما ساغ الابتداء به نكرة لأنه دعاء للذين يكتبون الكتاب
يعني المحرف ولعله أراد به ما كتبوه من التأويلات الزائغة بأيديهم تأكيد كقولك كتبته بيميني ثم يقولون
هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا كي يحصلوا به عرضا من أعراض الدنيا فإنه وإن جل قليل بالنسبة
إلى ما استوجبوه من العقاب الدائم فويل لهم مما كتبت أيديهم يعني المحرف وويل لهم مما يكسبون يريد به الرشى
وقالوا لن تمسنا النار المس اتصال الشيء بالبشرة بحيث تتأثر الحاسة به واللمس كالطلب له ولذلك
يقال لمسته فلا أجده إلا أياما معدودة محصورة قليلة روي أن بعضهم قالوا نعذب بعدد أيام عبادتهم
العجل أربعين يوما وبعضهم قالوا مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وإنما نعذب مكان كل ألف
سنة يوما قل أتخذتم عند الله عهدا خبرا أو وعدا بما تزعمون وقرأ ابن كثير وحفص بإظهار الذال
والباقون بإدغامه فلن يخلف الله عهده جواب شرط مقدر أي إن اتخذتم عند الله عهدا فلن
يخلف الله عهده وفيه دليل على أن الخلف في خبره محال أم تقولون على الله ما لا تعلمون أم معادلة
لهمزة الاستفهام بمعنى أي الأمرين كائن على سبيل التقرير للعلم بوقوع أحدهما أو منقطعة بمعنى بل

اتقولون على التقرير والتقريع بلى اثبات لما نفوه من مساس النار لهم زمانا مديدا ودهرا
طويلا على وجه اعم ليكون كالبرهان على بطلان قولهم ويختص بجواب النفى من كسب سيئة قبيحة والفرق
بينها وبين الخطيئة انها قد يقال فيما يقصد بالذات والخطيئة تغلب فيما يقصد بالعرض لانها من
الخطاء والكسب استجلاب النفع وتعليقه بالسيئة على طريقة قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم واحاطت
به خطيئته اى استولت عليه وشملت جملة احواله حتى صار كالمحاط بها لا يخلو عنها شىء من جوانبه وهذا
انما يصح فى شان الكافر لان غيره ان لم يكن له سوى تصديق قلبه واقرار لسانه فلم تحط الخطيئة به
ولذلك فسرها السلف بالكفر وتحقيق ذلك ان من اذنب ذنبا ولم يقلع عنه استجره الى معاودة مثله
والانهماك فيه وارتكاب ما هو اكبر منه حتى يستولى عليه الذنوب وتاخذ بمجامع قلبه فيصير بطبعه مائلا الى
المعاصى مستحسنا اياها معتقدا ان لا لذة سواها مبغضا لمن يمنعه عنها مكذبا لمن ينصحه فيها كما قال
الله تعالى ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوأى ان كذبوا بايات الله وقرأ نافع خطيئاته وقرى خطيته
وخطياته على القلب والادغام فيهما فاولئك اصحاب النار ملازموها فى الاخرة كما انهم ملازمون
اسبابها فى الدنيا هم فيها خالدون دائمون او لابثون لبثا طويلا والاية كما ترى لا حجة فيها على خلود
صاحب الكبيرة وكذا التى قبلها والذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون
جرت عادته سبحانه وتعالى على ان يشفع وعده بوعيده لترجى رحمته ويخشى عذابه وعطف العمل على
الايمان يدل على خروجه عن مسماه واذ اخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون الا الله اخبار فى معنى النهى
كقوله تعالى ولا يضار كاتب ولا شهيد وهو ابلغ من صريح النهى لما فيه من ايهام ان المنهى سارع الى الانتهاء
فهو يخبر عنه ويعضده قرأة لا تعبدوا وعطف قولوا عليه فيكون على ارادة القول وقيل تقديره
ان لا تعبدوا فلما حذف ان رفع كقوله الا ايها الزاجرى احضر الوغى وان اشهد اللذات هل انت مخلدى
ويدل عليه قرأة ان لا تعبدوا فيكون بدلا عن الميثاق او معمولا له بحذف الجار وقيل انه جواب قسم
دل عليه المعنى كانه قال وحلفناهم لا تعبدون وقرأ نافع وابن عامر وابو عمرو وعاصم ويعقوب
بالتاء حكاية لما خوطبوا به والباقون بالياء لانهم غيب وبالوالدين احسانا متعلق بمضمر تقديره
وتحسنون او احسنوا وذى القربى واليتامى والمساكين عطف على الوالدين ويتامى جمع يتيم كنديم
وندامى وهو قليل ومسكين مفعيل من السكون كان الفقر اسكنه وقولوا للناس حسنا اى قولا حسنا

وسماه

وسماه حسنا للمبالغة وقرى حسنا بضمتين وهو لغة اهل الحجاز وحسنا وحسنى على المصدر
كبشرى والمراد به ما فيه تخلق وارشاد واقيموا الصلوة واتوا الزكوة يريد بهما ما فرض عليهم
فى ملتهم ثم توليتم على طريقة الالتفات ولعل الخطاب مع الموجودين منهم فى عهد رسول الله
ومن قبلهم على التغليب اى اعرضتم عن الميثاق ورفضتموه الا قليلا منكم يريد به من اقام اليهودية
على وجهها قبل النسخ ومن اسلم منهم وانتم معرضون قوم عادتكم الاعراض عن الوفاء والطاعة
واصل الاعراض الذهاب عن المواجهة الى جهة العرض واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم
ولا تخرجون انفسكم من دياركم على نحو ما سبق والمراد به ان لا يتعرض بعضهم بعضا بالقتل والاجلاء
عن الوطن وانما جعل قتل الرجل غيره قتل نفسه لاتصاله به نسبا او دينا او لانه يوجبه
قصاصا وقيل معناه لا ترتكبوا ما يبيح سفك دمائكم واخراجكم من دياركم او لا تفعلوا ما يرديكم
ويصرفكم عن الحيوة الابدية فانه القتل فى الحقيقة ولا تقترفوا ما تمنعون به عن الجنة التى هى
داركم فانه الجلاء الحقيقى ثم اقررتم بالميثاق واعترفتم بلزومه وانتم تشهدون توكيد كقولك
اقر فلان شاهدا على نفسه وقيل وانتم ايها الموجودون تشهدون على اقرار اسلافكم فيكون
اسناد الاقرار اليهم مجازا ثم انتم هؤلاء استبعاد لما ارتكبوه بعد الميثاق والاقرار به والشهادة
عليه وانتم مبتدا وهؤلاء خبره على معنى انتم بعد ذلك هؤلاء الناقضون كقولك انت ذلك الرجل
الذى فعل كذا نزل تغير الصفة منزلة تغير الذات وعدهم باعتبار ما اسند اليهم حضورا وباعتبار
ما سيحكى عنهم غيبا وقوله تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم اما حال والعامل فيها معنى
الاشارة او بيان لهذه الجملة وقيل هؤلاء تاكيد والخبر هو الجملة وقيل بمعنى الذين والجملة صلته
والمجموع هو الخبر وقرى تقتلون على التكثير تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان حال من فاعل تخرجون
او من مفعوله او كليهما والتظاهر التعاون من الظهر وقرأ عاصم والكسائى وحمزة بحذف احدى
التائين وقرى باظهارهما وتظهرون بمعنى تتظهرون وان ياتوكم اسارى تفادوهم روى ان قريظة
كانوا حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج فاذا اقتتلا عاون كل فريق حلفاءه فى القتل وتخريب
الديار واجلاء اهلها واذا اسر احد من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه وقيل معناه ان ياتوكم
اسارى فى ايدى الشياطين تتصدون لانقاذهم بالارشاد والوعظ مع تضييعكم انفسكم

كقوله تعالى اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وقرأ حمزة اسرى وهو جمع اسير كجريح وجرحى
واسارى جمعه كسكرى وسكارى وقيل هو ايضا جمع اسير وكأنه شبه بالكسلان وجمع جمعه وقرأ
ابن كثير وابن عامر وابو عمرو وحمزة تفدوهم وهو محرم عليكم اخراجهم متعلق بقوله وتخرجون
فريقا منكم من ديارهم وما بينهما اعتراض والضمير للشان او مبهم ويفسره اخراجهم او راجع الى ما دل عليه
وتخرجون من المصدر واخراجهم بدل او بيان افتؤمنون ببعض الكتاب يعني الفداء وتكفرون ببعض
يعني حرمة المقاتلة والاجلاء فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحيوة الدنيا كقتل قريظة
وسبيهم واجلاء النضير وضرب الجزية على غيرهم واصل الخزي ذل يستحيى منه ولذلك يستعمل في كل
منهما ويوم القيمة يردون الى اشد العذاب لان عصيانهم اشد وما الله بغافل عما تعملون تأكيد للوعيد
اي الله سبحانه وتعالى بالمرصاد لا يغفل عن افعالهم وقرأ عاصم في رواية المفضل تردون على الخطاب
لقوله منكم وابن كثير ونافع ويعقوب يعملون على الضمير لمن اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا
بالاخرة آثروا الحيوة الدنيا على الاخرة فلا يخفف عنهم العذاب بنقص الجزية في الدنيا والتعذيب
في الاخرة ولا هم ينصرون بدفعهما عنهم ولقد آتينا موسى الكتاب اي التورية وقفينا من بعده بالرسل
اي ارسلنا على اثره الرسل كقوله ثم ارسلنا رسلنا تترى يقال قفاه اذا اتبعه وقفاه به اذا
اتبعه اياه من القفا نحو ذنبه من الذنب وآتينا عيسى ابن مريم البينات المعجزات الواضحات كاحياء
الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات او الانجيل وعيسى بالعبرية ايشوع ومريم
بمعنى الخادم وهو بالعربية من النساء كالزير من الرجال قال رؤبة قلت لزير لم تصله مريمه
ضليل اهواء الصبى تندمه ووزنه مفعل اذ لم يثبت فعيل وايدناه قويناه وقرئ وآيدناه
بروح القدس بالروح المقدسة كقولك حاتم الجود ورجل صدق واراد به جبرئيل وقيل روح عيسى
ووصفها به لطهارته عن مس الشيطان او لكرامته على الله ولذلك اضافه الى نفسه او لانه لم تضمه
الاصلاب ولا الارحام الطوامث او الانجيل او اسم الله الاعظم الذي كان يحيي به الموتى وقرأ
ابن كثير القدس بالاسكان في جميع القرآن افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم بما لا تحبه يقال هوي
بالكسر هوى اذا احب وهوى بالفتح هويا بالضم سقط ووسط الهمزة بين الفاء وما تعلقت به
توبيخا لهم على تعقيبهم ذاك هذا وتعجيبا من شأنهم ويحتمل ان يكون استينافا والفاء للعطف على مقدر

استكبرتم عن الايمان واتباع الرسل ففريقا كذبتم كموسى وعيسى والفاء للسببية او للتفصيل
وفريقا تقتلون كزكريا ويحيى وانما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية استحضارا
لها في النفوس فان الامر فظيع او مراعاة للفواصل او للدلالة على انكم بعد فيه فانكم
تحومون حول قتل محمد لولا اني اعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة وقالوا قلوبنا
غلف مغشاة باغطية خلقية لا يصل اليها ما جئت به ولا تفقهه مستعار من الاغلف الذي
لم يختن وقيل اصله غلف جمع غلاف فخفف والمعنى انها اوعية العلم لا تسمع علما الا وعته
ولا تعي ما تقول او نحن مستغنون بما فيها عن غيره بل لعنهم الله بكفرهم رد لما قالوا والمعنى
انها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق ولكن الله تعالى خذلهم بكفرهم فابطل استعدادهم
وانها لم تأب قبوله لخلل فيه بل لان الله خذلهم بكفرهم كما قال الله تعالى فاصمهم واعمى ابصارهم
او هم كفرة ملعونون فمن اين لهم دعوى العلم والاستغناء عنك فقليلا ما يؤمنون فايمانا قليلا
يؤمنون وما مزيدة للمبالغة في التقليل وهو ايمانهم ببعض الكتاب وقيل اراد بالقلة العدم ولما
جاءهم كتاب من عند الله يعني القرآن مصدق لما معهم من كتابهم وقرئ بالنصب على الحال من كتاب
لتخصصه بالوصف وجواب لما محذوف دل عليه جواب لما الثانية وكانوا من قبل يستفتحون
على الذين كفروا اي يستنصرون على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بنبي آخر الزمان المنعوت في التورية
او يفتحون عليهم ويعرفونهم ان نبيا يبعث منهم وقد قرب زمانه والسين للمبالغة والاشعار
بان الفاعل يسأل ذلك عن نفسه فلما جاءهم ما عرفوا من الحق كفروا به حسدا وخوفا على الرياسة
فلعنة الله على الكافرين اي عليهم واتى بالمظهر للدلالة على انهم لعنوا لكفرهم فيكون اللام للعهد
ويجوز ان يكون للجنس ويدخلون فيه دخولا اوليا لان الكلام فيهم بئسما اشتروا به انفسهم ما نكرة بمعنى
شيء مميزة لفاعل بئس المستكن واشتروا صفته ومعناه باعوا او اشتروا بحسب ظنهم فانهم ظنوا انهم
خلصوا انفسهم من العذاب بما فعلوا ان يكفروا بما انزل الله هو المخصوص بالذم بغيا طلبا لما ليس لهم
وحسدا وهو علة يكفروا دون اشتروا للفصل ان ينزل الله اي حسدوه على ان ينزل الله من
فضله يعني الوحي على من يشاء من عباده على من اختاره للرسالة فباؤا بغضب على غضب للكفر
والحسد على من هو افضل الخلق وقيل لكفرهم بمحمد بعد عيسى او بعد قولهم عزير ابن الله وللكافرين

خبر انّ

وهو المخصوص م

وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب بالتخفيف م

عذاب مهين يراد به اذلالهم بخلاف عذاب العاصي لانه طهرة لذنوبه واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله
يعم الكتب المنزلة باسرها قالوا نؤمن بما انزل علينا اي بالتورية ويكفرون بما وراءه حال عن الضمير في
قالوا ووراء في الاصل مصدر جعل ظرفا ويضاف الى الفاعل فيراد به ما يتوارى به وهو خلفه
والى المفعول فيراد به ما يواريه وهو قدامه ولذلك عد من الاضداد وهو الحق اي الضمير لما وراءه
والمراد القرآن مصدقا لما معهم حال مؤكدة تتضمن رد مقالهم فانهم لما كفروا بما يوافق التورية
فقد كفروا بها قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين اعتراض عليهم بقتل الانبياء مع ادعاء
الايمان بالتورية والتورية لا تسوغه وانما اسند اليهم لانه فعل آبائهم وانهم راضون به
عازمون عليه ولقد جاءكم موسى بالبينات يعني الايات التسع المذكورة في قوله تعالى ولقد
آتينا موسى تسع آيات بينات ثم اتخذتم العجل الها من بعده بعد مجيء موسى بها او ذهابه الى
الطور وانتم ظالمون حال يعني اتخذتم العجل ظالمين بعبادته او بالاخلال بآيات الله تعالى
او اعتراض يعني وانتم قوم عادتكم الظلم ومساق الاية ايضا لابطال قولهم واذ اخذنا ميثاقكم
ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا اي قلنا لهم خذوا ما امرتم به من التورية
بجد واسمعوا سماع طاعة قالوا سمعنا قولك وعصينا امرك واشربوا في قلوبهم العجل تداخلهم حبه
ورسخ في قلوبهم صورته لفرط شغفهم به كما يتداخل الصبغ الثوب والشراب اعماق البدن وفي
قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله تعالى انما ياكلون في بطونهم نارا بكفرهم بسبب كفرهم وذلك
لانهم كانوا مجسمة او حلولية ولم يروا جسما اعجب منه فتمكن في قلوبهم ما سول لهم السامري
قل بئسما يأمركم به ايمانكم اي بالتورية والمخصوص بالذم محذوف نحو هذا الامر وما يعمه وغيره
من قبائحهم المعدودة في الايات الثلاث الزاما عليهم ان كنتم مؤمنين تقرير للقدح في دعواهم
الايمان بالتورية وتقديره ان كنتم مؤمنين بها لم يأمركم بهذه القبائح ولا يرخص لكم فيها ايمانكم
او ان كنتم مؤمنين بها فبئس ما امركم به ايمانكم بها لان المؤمن ينبغي ان لا يتعاطى الا ما يقتضيه ايمانه
لكن الايمان بها لا يأمر به فاذا لستم بمؤمنين قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة
خاصة بكم كما قلتم لن يدخل الجنة الا من كان هودا ونصبها على الحال من الدار من دون الناس سائرهم
او المسلمين واللام للعهد فتمنوا الموت ان كنتم صادقين لان من ايقن انه من اهل الجنة اشتاقها

واحب التخلص اليها من الدار ذات الشوائب كما قال علي رضي الله عنه لا ابالي سقطت على الموت او سقط
الموت علي وقال عمار بصفين الآن الاقي الاحبة محمدا وحزبه وقال حذيفة حين احتضر جاء
حبيب على فاقة لا افلح من ندم اي على التمني سيما اذا علم انها سالمة له لا يشاركه فيها غيره ولن
يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم من موجبات النار كالكفر بمحمد والقرآن وتحريف التورية ولما كانت
اليد العاملة مختصة بالانسان آلة لقدرته بها عامة صنايعه ومنها اكثر منافعه عبر بها
عن النفس تارة والقدرة اخرى وهذه الجملة اخبار بالغيب وكان كما اخبر لانهم لو تمنوا الموت لنقل
واشتهر فان التمني ليس من عمل القلب ليخفى بل هو ان يقول ليت كذا ولو كان بالقلب لقالوا تمنينا
وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقي يهودي على وجه الارض
والله عليم بالظالمين تهديد لهم وتنبيه على انهم ظالمون في دعوى ما ليس لهم ونفيه عمن هو لهم
ولتجدنهم احرص الناس على حيوة من وجد بعقله الجاري مجرى علم ومفعولاه هم واحرص وتنكير
حيوة لانه اريد فرد من افرادها وهي الحيوة المتطاولة وقرئ باللام ومن الذين اشركوا محمول
على المعنى فكانه قال احرص من الناس ومن الذين اشركوا وافرادهم بالذكر للمبالغة فان
حرصهم شديد اذ لم يعرفوا الا الحيوة العاجلة والزيادة في التوبيخ والتقريع فانه لما زاد حرصهم
وهم مقرون بالجزاء على حرص المنكرين دل ذلك على علمهم بانهم صائرون الى النار ويجوز ان يراد
واحرص من الذين اشركوا فحذف لدلالة الاول عليه وان يكون خبر مبتدأ محذوف صفته
يود احدهم على انه اريد بالذين اشركوا اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله اي ومنهم ناس يود
احدهم وهو على الاول بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستيناف لو يعمر الف سنة حكاية عن
ودادتهم ولو بمعنى ليت وكان اصله لو اعمر فاجري على الغيبة لقوله يود كقولك حلف بالله ليفعلن
وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر الضمير لاحدهم وان يعمر فاعل مزحزحه اي وما احدهم بمن يزحزحه
من النار تعميره او لما دل عليه يعمر وان يعمر بدل منه او مبهم وان يعمر موضحه واصل سنة سنوة لقولهم سنوات
وقيل سنهة كجبهة لقولهم سانهته وتسنهت النخلة اذا اتت عليها السنون والزحزحة التبعيد
والله بصير بما يعملون فيجازيهم قل من كان عدوا لجبريل نزل في عبد الله بن صوريا سأل رسول الله
عمن ينزل عليه فقال جبريل فقال ذاك عدونا عادانا مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان

ان بيت المقدس يخربه بخت نصر فبعثنا من يقتله فرآه ببابل فدفع عنه جبرئيل وقال ان كان
ربكم امره بهلاككم فلا يسلطكم عليه وان لم يكن فبم تقتلونه وقيل دخل عمر رض مدارس اليهود يوما فسألهم
عن جبرئيل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وانه صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل
صاحب الخصب والسلام فقال لهم وما منزلتهما من الله تعالى قالوا جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره
وبينهما عداوة فقال لئن كانا كما تقولون فليسا بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدو احدهما
فهو عدو الله تعالى ثم رجع فوجد جبرئيل قد سبقه بالوحي فقال لقد وافقك ربك يا عمر وفي
جبرئيل ثمان لغات قرئ بهن اربع في المشهورة جبرئيل كسلسبيل قراءة حمزة والكسائي وجبريل
بكسر الراء وحذف الهمزة قراءة ابن كثير وجبرئل كجحمرش قراءة عاصم وجبريل كقنديل قراءة الباقون
واربع في الشواذ جبرال وجبرائيل وجبرائل وجبرين ومنع صرفه للعجمة والتعريف ومعناه
عبد الله فانه نزله البارز الاول لجبرئيل والثاني للقرآن واضماره غير مذكور يدل على فخامة
شانه كانه لتعينه وفرط شهرته لم يحتج الى سبق ذكره على قلبك فانه القابل الاول للوحي ومحل
الفهم والحفظ وكان حقه على قلبي لكنه جاء على حكاية كلام الله تعالى كانه قال قل ما تكلمت به باذن
الله بامره او بتيسيره حال من فاعل نزل مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين احوال
من مفعوله والظاهر ان جواب الشرط فانه نزله والمعنى من عادى منهم جبرئيل فقد خلع ربقة
الانصاف او كفر بما معه من الكتاب بمعاداته اياه لنزوله عليك بالوحي لانه نزل كتابا مصدقا
للكتب المتقدمة فحذف الجواب واقيم علته مقامه او من عاداه فالسبب في عداوته انه نزل عليك
وقيل محذوف مثل فليمت غيظا او فهو عدو لي وانا عدوه كما قال من كان عدوا لله وملائكته
ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين اراد بعداوة الله مخالفته عنادا او معاداة
المقربين من عباده وصدر الكلام بذكره تفخيما لشانهم كقوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه
وافرد الملكان بالذكر لفضلهما كانهما من جنس آخر والتنبيه على ان معاداة الواحد والكل سواء
في الكفر واستجلاب العداوة من الله وان من عادى احدهم فكانه عادى الجميع اذ الموجب لمحبتهم
وعداوتهم على الحقيقة واحد ولان المحاجة كانت فيهما ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة
على انه تعالى عاداهم لكفرهم وان عداوة الملائكة والرسل كفر وقرأ نافع ميكائل كميكاعل وابو عمرو

ويعقوب

ويعقوب وعاصم برواية حفص ميكال كميعاد وقرئ ميكئل كميكعل وميكئيل
كميكعيل ولقد انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون اي المتمردون من الكفرة
والفسق اذا استعمل في نوع من المعاصي دل على اعظمه كانه تجاوز عن حده نزل في ابن صوريا حين
قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك من آية فنتبعك اوكلما عاهدوا عهدا
الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف تقديره اكفروا بالآيات وكلما عاهدوا وقرئ
بسكون الواو على ان التقدير الا الذين فسقوا او كلما عاهدوا وقرئ عوهدوا وعهدوا نبذه
فريق منهم نقضه واصل النبذ الطرح لكنه يغلب فيما ينسى وانما قال فريق لان بعضهم لم ينقض
بل اكثرهم لا يؤمنون رد لما يتوهم ان الفريق هم الاقلون او ان من لم ينبذ جهارا فهم يؤمنون به
خفاء ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم كعيسى ومحمد عليهما السلام نبذ فريق من الذين
اوتوا الكتاب كتاب الله يعني التوراة لان كفرهم بالرسول المصدق لها كفر بها فيما يصدقه ونبذ
لما فيها من وجوب الايمان بالرسل المؤيدين بالآيات وقيل ما مع الرسول هو القرآن وراء ظهورهم
مثل لاعراضهم عنه راسا بالاعراض عما يرمى به وراء الظهر لعدم الالتفات اليه كانهم لا يعلمون
انه كتاب الله تعالى يعني ان علمهم به رصين ولكن يتجاهلون عنادا واعلم انه تعالى دل بالآيتين على ان جل
اليهود اربع فرق فرقة آمنوا بالتوراة وقاموا بحقوقها كمؤمني اهل الكتاب وهم الاقلون
المدلول عليهم بقوله تعالى بل اكثرهم لا يؤمنون وفرقة جاهروا بنبذ عهودها وتخطي حدودها
تمردا وفسوقا وهم المعنيون بقوله تعالى نبذه فريق منهم وفرقة لم يجاهروا بنبذها ولكن نبذوا
لجهلهم بها وهم الاكثرون وفرقة تمسكوا بها ظاهرا ونبذوها خفية عالمين بالحال بغيا وعنادا
وهم المتجاهلون واتبعوا ما تتلوا الشياطين عطف على نبذ اي نبذوا كتاب الله تعالى واتبعوا كتب السحر
التي تقرؤها او تتبعها الشياطين من الجن او الانس او منهما على ملك سليمان اي عهده وتتلو حكاية
حال ماضية قيل كانوا يسترقون السمع ويضمون الى ما سمعوا اكاذيب ويلقونها الى الكهنة
وهم يدونونها ويعلمون الناس وفشا ذلك في عهد سليمان حتى قيل الجن يعلم الغيب وان ملك سليمان
تم بهذا العلم وانه تسخر به الانس والجن والريح له وما كفر سليمان تكذيب لمن زعم ذلك وعبر
عن السحر بالكفر ليدل على انه كفر وان من كان نبيا كان معصوما عنه ولكن الشياطين كفروا باستعماله

يعلمون الناس السحر اغواء واضلالا والجملة حال عن الضمير والمراد بالسحر ما يستعان في تحصيله
بالتقرب الى الشياطين مما لا يستقل به الانسان وذلك لا يستتب الا لمن يناسبهم في الشرارة وخبث
النفس فان التناسب شرط في التضام والتعاون وبهذا تميز الساحر عن النبي والولي واما ما يتعجب
منه كما يفعله اصحاب الحيل بمعونة الآلات والادوية او يريه صاحب خفة اليد فغير مذموم
وتسميته سحرا على التجوز او لما فيه من الدقة لانه في الاصل لما خفي سببه وما انزل على الملكين
عطف على السحر والمراد بهما واحد والعطف لتغاير الاعتبار او انه نوع اقوى منه او على ما تتلوا
وهما ملكان انزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله تع للناس وتمييزا بينه وبين المعجزة وما روي انهما
مثلا بشرين وركب فيهما الشهوة فتعرضا لامرأة يقال لها زهرة فحملتهما على المعاصي والشرك
ثم صعدت الى السماء بما تعلمت منهما فمحكي عن اليهود ولعله من رموز الاوائل وحله لا يخفى على
ذوي البصائر وقيل رجلان سميا ملكين باعتبار صلاحهما ويؤيده قراءة الملكين بالكسر وقيل ما
انزل نفي معطوف على ما كفر تكذيب لليهود في هذه القصة ببابل ظرف او حال من الملكين او الضمير
في انزل والمشهور انه بلد من سواد الكوفة هاروت وماروت بيان للملكين ومنع صرفهما للعجمة
والعلمية ولو كانا من الهرت والمرت بمعنى الكسر لانصرفا ومن جعل ما نافية ابدلهما من الشياطين
بدل البعض وما بينهما اعتراض وقرئ بالرفع على هما هاروت وماروت وما يعلمان من احد حتى
يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فمعناه على العمل بما يعلمان به يكفر ومن تعلم وتوقى عمله ثبت على
الايمان فلا تكفر باعتقاد جوازه والعمل به وفيه دليل على ان تعلم السحر وما لا يجوز اتباعه غير محظور
وانما المنع باتباعه والعمل به وعلى الثاني ما يعلمانه حتى يقولا انا مفتونان فلا تكن مثلنا
فيتعلمون منهما الضمير لما دل عليه من احد ما يفرقون به بين المرء وزوجه اي من السحر ما يكون سبب تفريقهما
وما هم بضارين به من احد الا باذن الله لانه وغيره من الاسباب غير مؤثرة بالذات بل بامره تعالى
وجعله وقرئ بضاري على الاضافة الى احد وجعل الجار جزءا منه والفصل بالظرف ويتعلمون
ما يضرهم لانهم يقصدون به العمل او لان العلم يجر الى العمل غالبا ولا ينفعهم اذ مجرد العلم
به غير مقصود ولا نافع في الدارين وفيه ان التحرز عنه اولى ولقد علموا اي اليهود لمن
اشتراه اي استبدل ما تتلو الشياطين بكتاب الله تع والاظهر ان اللام لام الابتداء علقت علموا

اما حتى ينصحاه ويقولا له انا ابتلاء
من الله تع فمن عمل ٢ ٢ ٢

عن العمل

عن العمل ما له في الآخرة من خلاق نصيب ولبئس ما شروا به انفسهم يحتمل المعنيين على ما مر لو كانوا
يعلمون يتفكرون فيه او يعلمون قبحه على اليقين او حقيقة ما يتبعه من العذاب والمثبت لهم اولا على التوكيد
القسمي العقل الغريزي او العلم الاجمالي بقبح الفعل وترتب العقاب من غير تحقيق وقيل معناه
لو كانوا يعملون بعلمهم فان من لم يعمل بما علم فهو كمن لم يعلم ولو انهم آمنوا بالرسول والكتاب واتقوا
بترك المعاصي كنبذ كتاب الله تع واتباع السحر لمثوبة من عند الله خير جواب لو واصله لاثيبوا مثوبة
من عند الله تع خيرا مما شروا به انفسهم فحذف الفعل وركب الباقي جملة اسمية ليدل على ثبات المثوبة
والجزم بخيريتها وحذف المفضل عليه اجلالا للمفضل من ان ينسب اليه وتنكير المثوبة لان المعنى لشيء
من الثواب خير وقيل لو للتمني ولمثوبة كلام مبتدأ وقرئ لمثوبة كمشورة وانما سمي الجزاء ثوابا ومثوبة
لان المحسن يثوب اليه لو كانوا يعلمون ان ثواب الله تع خير جهلهم لترك التدبر او العمل بالعلم يا ايها الذين
آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا الرعي حفظ الغير لمصلحته وكان المسلمون يقولون للرسول راعنا
اي راقبنا وتأن بنا فيما نلقنا حتى نفهمه وسمع اليهود فافترصوه وخاطبوه به مريدين نسبته
الى الرعن او سبه بالكلمة العبرانية التي كانوا يتسابون بها وهي راعينا فنهي المؤمنون عنها وامروا بما يفيد
تلك الفائدة ولا يقبل التلبيس وهو انظرنا بمعنى انظر الينا وانتظرنا من نظره اذا انتظره وقرئ
انظرنا من الانظار اي امهلنا لنحفظ وقرئ راعونا على لفظ الجمع للتوقير وراعنا بالتنوين اي قولا
ذا رعن نسبة الى الرعن وهو الهوج لما شابه قولهم راعينا وتسبب للسب واسمعوا واحسنوا الاستماع
حتى لا يفتقروا الى طلب المراعاة او واسمعوا سماع قبول لا كسماع اليهود او واسمعوا ما امرتم
به بجد حتى لا تعودوا الى ما نهيتم عنه وللكافرين عذاب اليم يعني الذين تهاونوا بالرسول وسبوه
ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين نزلت تكذيبا لجمع من اليهود يظهرون مودة المؤمنين
ويزعمون انهم يودون لهم الخير والود محبة الشيء مع تمنيه ولذلك يستعمل في كل منهما ومن للتبيين
كما في قوله تعالى لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب ان ينزل عليكم من خير من ربكم مفعول يودون ومن الاولى
مزيدة للاستغراق والثانية للابتداء وفسر الخير بالوحي والمعنى انهم يحسدونكم به وما يحبون
ان ينزل عليكم شيء منه وبالعلم والنصرة ولعل المراد به ما يعم ذلك والله يختص برحمته من يشاء
يستنبئه ويعلمه الحكمة وينصره لا يجب عليه شيء وليس لاحد عليه حق والله ذو الفضل العظيم

استعارا بان النبوة من الفضل وان حرمان بعض عباده ليس لضيق فضله بل لمشيئته وما عرف فيه من حكمته ما
ننسخ من آية او ننسها نزلت لما قال المشركون او اليهود الا ترون الى محمد يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه
ويامر بخلافه والنسخ في اللغة ازالة الصورة عن الشيء واثباتها في غيره كنسخ الظل للشمس والنسخ
ثم استعمل لكل واحد منهما كقولك نسخت الريح الاثر ونسخت الكتاب ونسخ الآية بيان انتهاء التعبد
بقراءتها او الحكم المستفاد منها او بهما جميعا وانساؤها اذهابها عن القلوب وما شرطية جازمة لننسخ
منتصبة به على المفعولية وقرأ ابن عامر ننسخ من انسخ اي نامرك او جبريل بنسخها او نجدها
منسوخة وابن كثير وابو عمرو ننسأها اي نؤخرها من النسء وقرئ ننسها اي ننسي احدا اياها
او تنسها اي انت وتنسها على البناء للمفعول وننسكها باظهار المفعولين نات بخير منها او مثلها اي بما
هو خير للعباد في النفع والثواب او مثلها في الثواب وقرأ ابو عمرو بقلب الهمزة الفا الم تعلم ان الله
على كل شيء قدير فيقدر على النسخ والاتيان بمثل المنسوخ وبما هو خير منه والآية دلت على جواز النسخ
وتاخير الانزال اذ الاصل اختصاص وما يتضمنها بالامور المحتملة وذلك لان الاحكام شرعت والآيات
نزلت لصلاح العباد وتكميل نفوسهم فضلا من الله ورحمة وذلك يختلف باختلاف الاعصار
والاشخاص كاسباب المعاش فان النافع في عصر قد يضر في غيره واحتج بها من منع النسخ بلا بدل
او ببدل اثقل ونسخ الكتاب بالسنة فان الناسخ هو الماتي به بدلا والسنة ليست كذلك والكل ضعيف
اذ قد يكون عدم الحكم او الاثقل اصلح والنسخ قد يعرف بغيره والسنة مما اتى به الله تعالى وليس المراد
بالخير والمثل ما يكون كذلك في اللفظ والمعتزلة على حدوث القرآن فان التغير والتفاوت من لوازمه
واجيب بانهما من عوارض الامور المتعلقة بالمعنى القائم بالذات القديم الم تعلم الخطاب للنبي والمراد
هو وامته لقوله تعالى وما لكم وانما افرده لانه اعلمهم ومبدا علمهم ان الله له ملك السموات والارض
يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو كالدليل على قوله تعالى ان الله على كل شيء قدير وعلى جواز النسخ ولذلك
ترك العاطف وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير وانما هو الذي يملك اموركم ويجريها على ما
يصلحكم والفرق بين الولي والنصير ان الولي قد يضعف عن النصرة والنصير قد يكون اجنبيا عن المنصور
فيكون بينهما عموم من وجه ام تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ام معادلة للهمزة في
الم تعلم اي الم تعلموا انه مالك الامور قادر على الاشياء كلها يامر وينهى كما اراد ام تعلمون وتقترحون

بالسؤال

بالسؤال كما اقترحت اليهود على موسى او منقطعة والمراد ان يوصيهم بالثقة به وترك الاقتراح
عليه قيل نزلت في اهل الكتاب حين سألوا ان ينزل عليهم كتابا من السماء وقيل في المشركين لما قالوا لن
نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل ومن ترك الثقة
بالآيات البينات وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل الطريق المستقيم حتى وقع في الكفر بعد الايمان
ومعنى الآية لا تقترحوا فتضلوا وسط السبيل ويؤدي بكم الضلال الى البعد عن المقصد وتبديل
الكفر بالايمان وقرئ يبدل من ابدل ود كثير من اهل الكتاب يعني احبارهم لو يردونكم
فان لو تنوب عن ان في المعنى دون اللفظ من بعد ايمانكم كفارا مرتدين وهو حال من ضمير المخاطبين
حسدا علة ود من عند انفسهم يجوز ان يتعلق بود اي تمنوا ذلك من عند انفسهم وتشهيهم
لا من قبل التدين والميل مع الحق او بحسدا اي حسدا بالغا منبعثا من اصل نفوسهم من بعد ما تبين
لهم الحق بالمعجزات والنعوت المذكورة في التوراة فاعفوا واصفحوا العفو ترك عقوبة المذنب
والصفح ترك تثريبه حتى ياتي الله بامره الذي هو الاذن في قتالهم وضرب الجزية عليهم او قتل
قريظة واجلاء بني النضير وعن ابن عباس رضي الله عنه انه منسوخ باية السيف وفيه نظر اذ الامر غير
مطلق ان الله على كل شيء قدير فيقدر على الانتقام منهم واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة عطف
على فاعفوا كانه امرهم بالصبر والمخالفة والالتجاء الى الله تعالى بالعبادة والبر وما تقدموا لانفسكم
من خير كصلوة او صدقة وقرئ وما تقدموا من اقدم تجدوه عند الله اي ثوابه ان الله بما تعملون
بصير لا يضيع عنده عمل وقرئ بالياء فيكون وعيدا وقالوا عطف على ود والضمير لاهل
الكتاب من اليهود والنصارى لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى لف بين قولي الفريقين
كما في قوله وقالوا كونوا هودا او نصارى ثقة بان السامع يرد الى كل فريق قوله وهود جمع هائد كعائذ وعوذ
وتوحيد الاسم المضمر في كان وجمع الخبر لاعتبار اللفظ والمعنى تلك امانيهم اشارة الى الاماني المذكورة
وهي ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وان يردوهم كفارا وان لا يدخل الجنة غيرهم او الى ما
في الآية على حذف المضاف اي امثال تلك الامنية امانيهم والجملة اعتراض والامنية افعولة من
التمني كالاضحوكة والاعجوبة قل هاتوا برهانكم على اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم صادقين
في دعواكم فان كل قول لا دليل عليه غير ثابت بلى اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة من اسلم

وجهه لله أخلص له نفسه أو قصده وأصله العضو وهو محسن في عمله فله أجره الذي وعد له على
عمله عند ربه ثابتا عنده لا يضيع ولا ينقص والجملة جواب من إن كانت شرطية وخبرها إن كانت موصولة
والفاء لتضمنها معنى الشرط فيكون الرد بقوله بلى وحده ويحسن الوقف عليه ويجوز أن يكون من أسلم فاعل
فعل مقدر مثل بلى يدخلها من أسلم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون في الآخرة وقالت اليهود ليست
النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء أي أمر يصح ويعتد به نزلت لما قدم وفد
نجران على رسول الله عم وأتاهم أحبار اليهود فتناظروا وتقاولوا بذلك وهم يتلون الكتاب
الواو للحال والكتاب للجنس أي قالوا ذلك وهم من أهل العلم والكتاب كذلك مثل ذلك قال الذين
لا يعلمون مثل قولهم كعبدة الأصنام والمعطلة وبخهم على المكابرة والتشبه بالجهال فإن قيل لم وبخهم
وقد صدقوا فإن كلا الدينين بعد النسخ ليس بشيء قلت لم يقصدوا ذلك وإنما قصد به كل فريق
إبطال دين الآخر من أصله والكفر بنبيه وكتابه مع أن ما لم ينسخ منهما حق واجب القبول والعمل به
فالله يحكم بينهم بين الفريقين يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون بما يقسم لكل فريق ما يليق به من العقاب
وقيل حكمه بينهم أن يكذبهم ويدخلهم النار ومن أظلم ممن منع مساجد الله عام لكل من خرب مسجدا
أو سعى في تعطيل مكان مرشح للصلوة وإن نزل في الروم لما غزوا بيت المقدس وخربوه وقتلوا
أهله أو المشركين لما منعوا رسول الله أن يدخل المسجد الحرام عام الحديبية أن يذكر فيها اسمه
ثاني مفعولي منع وسعى في خرابها بالهدم أو التعطيل أولئك أي المانعون ما كان لهم أن يدخلوها إلا
خائفين ما كان ينبغي لهم أن يدخلوها إلا بخشية وخضوع فضلا أن يجترئوا على تخريبها أو ما كان الحق
أن يدخلوها إلا خائفين من المؤمنين أن يبطشوا بهم فضلا أن يمنعوهم منها أو ما كان لهم في علم الله تعالى
وقضائه فيكون وعدا للمؤمنين بالنصرة واستخلاص المساجد منهم وقد أنجز وعده وقيل معناه
النهي عن تمكينهم من الدخول في المسجد واختلف الأئمة فيه فجوز أبو حنيفة ومنع مالك وفرق الشافعي
بين المسجد الحرام وغيره لهم في الدنيا خزي قتل وسبي أو ذلة بضرب الجزية ولهم في الآخرة عذاب
عظيم بكفرهم وظلمهم ولله المشرق والمغرب يريد بهما ناحيتي الأرض أي له الأرض كلها لا يختص به مكان
دون مكان فإن منعتم أن تصلوا في المسجد الحرام أو الأقصى فقد جعلت لكم الأرض مسجدا فأينما
تولوا أي ففي أي مكان فعلتم التولية شطر القبلة فثم وجه الله أي جهته التي أمر بها فإن إمكان

التولية لا يختص بمسجد أو مكان أو فثم ذاته أي هو عالم مطلع بما يفعل فيه إن الله واسع بإحاطته بالأشياء
أو برحمته يريد التوسعة على عباده عليم بمصالحهم وأعمالهم في الأماكن كلها وعن ابن عمر رض
أنها نزلت في صلوة المسافر على الراحلة وقيل في قوم عميت عليهم القبلة فصلوا إلى أنحاء مختلفة
فلما أصبحوا تبينوا خطأهم وعلى هذا لو أخطأ المجتهد ثم تبين له الخطأ لم يلزمه التدارك
وقيل هو توطئة لنسخ القبلة وتنزيه للمعبود أن يكون في حيز وجهة وقالوا اتخذ الله ولدا
نزلت لما قال اليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله ومشركو العرب الملائكة بنات الله
وعطفه على قالت اليهود أو منع أو مفهوم قوله ومن أظلم وقرأ ابن عامر بغير واو سبحانه تنزيه
له عن ذلك فإنه يقتضي التشبيه والحاجة وسرعة الفناء ألا ترى أن الأجرام الفلكية مع إمكانها
وفنائها لما كانت باقية ما دام العالم لم يتخذ ما يكون لها كالولد اتخاذ الحيوان والنبات اختيارا
أو طبعا بل له ما في السموات والأرض رد لما قالوه واستدلال على فساده والمعنى أنه خالق
ما في السموات والأرض الذي من جملته الملائكة وعزير والمسيح كل له قانتون منقادون لا يمتنعون
على مشيئته وتكوينه وكل ما كان بهذه الصفة لم يجانس مكونه الواجب لذاته فلا يكون له ولد لأن
من حق الولد أن يجانس والده وإنما جاء بما الذي لغير أولي العلم وقال قانتون على تغليب أولي
العلم تحقيرا لشأنهم وتنوين كل عوض عن المضاف إليه أي كل ما فيهما ويجوز أن يراد كل من جعلوه
لله ولدا مطيعون مقرون بالعبودية فيكون إلزاما بعد إقامة الحجة والآية مشعرة على فساد
ما قالوه من ثلاثة أوجه واحتج بها الفقهاء على أن من ملك ولده عتق عليه لأنه نفى الولد بإثبات
الملك وذلك يقتضي تنافيهما بديع السموات والأرض مبدعهما ونظيره السميع في قوله أمن ريحانة
[illegible] أو بديع سمواته وأرضه من بدع فهو بديع وهو حجة رابعة وتقريرها أن الوالد عنصر
الولد المنفعل بانفصال مادته عنه والله سبحانه مبدع الأشياء كلها فاعل على الإطلاق
منزه عن الانفعال فلا يكون والدا والإبداع اختراع الشيء لا عن شيء دفعة وهو أليق بهذا
الموضع من الصنع الذي هو تركيب الصورة بالعنصر والتكوين الذي يكون بتغير وفي زمان غالبا
وقرئ بديع مجرورا على البدل من الضمير في له ومنصوبا على المدح وإذا قضى أمرا أي أراد شيئا
وأصل القضاء إتمام الشيء قولا كقوله وقضى ربك أو فعلا كقوله فقضاهن سبع سموات

واطلق على تعلق الارادة الالهية بوجود الشيء من حيث انه يوجبه فانما يقول له كن فيكون
من كان التامة اي احدث فيحدث وليس المراد به حقيقة امر وامتثال بل تمثيل حصول ما تعلقت
به ارادته بلا مهلة بطاعة المامور المطيع بلا توقف وفيه تقرير لمعنى الابداع وايماء الى حجة
خامسة وهو ان اتخاذ الولد مما يكون باطوار ومهلة وفعله تع يستغني عن ذلك وقرا ابن عامر فيكون
بفتح النون واعلم ان السبب في هذه الضلالة ان ارباب الشرائع المتقدمة كانوا يطلقون الاب على
الله تع باعتبار انه السبب الاول حتى قالوا ان الاب هو الرب الاصغر والله سبحانه هو الاب الاكبر
ثم ظنت الجهلة منهم ان المراد به معنى الولادة فاعتقدوا ذلك تقليدا ولذلك كفر قائله ومنع منه
مطلقا حسما لمادة الفساد وقال الذين لا يعلمون اي جهلة المشركين او المتجاهلون من اهل الكتاب
لولا يكلمنا الله هلا يكلمنا كما تكلم الملائكة او يوحي الينا بانك رسوله او تاتينا اية حجة على صدقك
والاول استكبار والثاني جحود بان ما اتاهم ايات استهانة به وعنادا كذلك قال الذين من
قبلهم من الامم الماضية مثل قولهم فقالوا ارنا الله جهرة هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء
تشابهت قلوبهم قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى والعناد وقرئ بتشديد الشين قد بينا الايات لقوم
يوقنون اي يطلبون اليقين او يوقنون الحقائق لا تعتريهم شبهة ولا عناد وفيه اشارة الى انهم
ما قالوا ذلك لخفاء في الايات او لطلب مزيد يقين وانما قالوه عتوا وعنادا انا ارسلناك بالحق
متلبسا مؤيدا به بشيرا ونذيرا فلا عليك ان اصروا وكابروا ولا تسال عن اصحاب الجحيم ما لهم لم يؤمنوا
بعد ان بلغت وقرا نافع ويعقوب لا تسال على انه نهي لرسول الله عم عن السؤال عن احوال ابويه
او تعظيم لعقوبة الكفار كانها لفظاعتها لا يقدر ان يخبر عنها او السامع لا يصبر على استماع خبرها
فنهاه عن السؤال والجحيم المتاجج من النار ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم مبالغة
في اقناط الرسول عن اسلامهم فانهم اذا لم يرضوا عنك حتى تتبع ملتهم فكيف يتبعون ملتك ولعلهم قالوا
مثل ذلك فحكى الله تع عنهم ولذلك قال قل تعليما للجواب ان هدى الله هو الهدى اي هدى الله الذي
هو الاسلام هو الهدى الى الحق لا ما تدعون اليه ولئن اتبعت اهواءهم اراءهم الزائغة والملة
ما شرعه الله لعباده على لسان انبيائه من امللت الكتاب اذا امليته والهوى راي يتبع الشهوة بعد
الذي جاءك من العلم اي الوحي او الدين المعلوم صحته ما لك من الله من ولي ولا نصير يدفع عنك

عقابه وهو جواب لئن الذين اتيناهم الكتاب يريد به مؤمني اهل الكتاب يتلونه حق تلاوته
بمراعاة اللفظ عن التحريف والتدبر في معناه والعمل بمقتضاه وهو حال مقدرة والخبر ما بعده
او خبر على ان المراد بالموصول مؤمنوا اهل الكتاب اولئك يؤمنون به بكتابهم دون المحرفين ومن
يكفر به بالتحريف والكفر بما يصدقه فاولئك هم الخاسرون حيث اشتروا الكفر بالايمان يا بني
اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس
شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون لما صدر قصتهم بالامر بذكر النعم
والقيام بحقوقها والحذر عن اضاعتها والخوف من الساعة واهوالها كرر ذلك وختم به الكلام
معهم مبالغة في النصح وايذانا بانه فذلكة القضية والمقصود من القصة واذ ابتلى ربه بكلمات
بعض الصحف
كلفه باوامر ونواهي والابتلاء في الاصل التكليف بالامر الشاق من البلاء لكنه لما استلزم الاختبار
بالنسبة الى من يجهل العواقب ظن ترادفهما والضمير في ربه لابرهيم وحسن لتقدمه لفظا وان تاخر رتبة
لان الشرط احد التقديرين والكلمات قد تطلق على المعاني فلذلك فسرت بالخصال الثلاثين المحمودة
المذكورة في قوله التائبون العابدون وقوله ان المسلمين الى اخر الايتين وقوله قد افلح المؤمنون
الى قوله اولئك هم الوارثون كما فسرت بها في قوله فتلقى ادم من ربه كلمات وبالعشر التي هي
من سننه وبمناسك الحج وبالكوكب والقمرين وذبح الولد والنار والهجرة على انه تعالى عامله معاملة
المختبر بهن وبما تضمنه الايات التي بعدها وقرئ ابرهيم ربه على انه دعا ربه بكلمات مثل ارني كيف
تحيي الموتى اجعل هذا البلد امنا ليرى هل يجيبه وقرا هشام عن ابن عامر ابرهام بالالف جميع ما
في هذه السورة وفي النساء ثلاثة احرف وهي الاخيرة وفي الانعام الحرف الاخير وفي التوبة الحرفان
الاخيران وفي ابرهيم حرف وفي النحل حرفان وفي مريم ثلاثة احرف وفي العنكبوت الحرف الاخير وفي
حمعسق حرف وفي الذاريات حرف وفي النجم حرف وفي الحديد حرف وفي الممتحنة الحرف الاول
فذلك ثلاثة وثلاثون حرفا وقرا ابن ذكوان في البقرة خاصة بالوجهين فاتمهن فاداهن كملا وقام
بهن حق القيام لقوله وابرهيم الذي وفى وفي القراءة الاخيرة لربه اي اعطاه جميع ما دعاه قال
اني جاعلك للناس اماما استئناف ان اضمرت ناصب اذ كانه قيل فماذا قال ربه حين اتمهن
فاجيب بذلك او بيان لقوله ابتلى فتكون الكلمات ما ذكره من الامامة وتطهير البيت ورفع

قواعدهم والاسلام وان نصبه بقال فالمجموع جملة معطوفة على ما قبلها وجاعل من جعل الذي له
مفعولان والامام اسم من يؤتم به وامامته عامة مؤبدة اذ لم يبعث بعده نبي الا كان من ذريته مأمورا
باتباعه قال ومن ذريتي عطف على الكاف اي وبعض ذريتي كما تقول وزيدا في جواب سأكرمك والذرية
نسل الرجل فعلية او فعولة قلبت راؤها الثالثة ياء كما في تقضيت من الذر بمعنى التفريق او فعولة
او فعيلة قلبت همزتها ياء من الذرء بمعنى الخلق وقرئ ذريتي بالكسر وهي لغة قال لا ينال عهدي الظالمين
اجابة الى ملتمسه وتنبيه على انه قد يكون من ذريته ظلمة وانهم لا ينالون الامامة لانها امانة من الله تعالى
وعهده والظالم لا يصلح لها وانما ينالها البررة الاتقياء منهم وفيه دليل على عصمة الانبياء
من الكبائر قبل البعثة وان الفاسق لا يصلح للامامة وقرئ الظالمون والمعنى واحد اذ كل ما
نالك فقد نلته واذ جعلنا البيت اي الكعبة غلب عليها كالنجم على الثريا مثابة للناس مرجعا
يثوب اليه اعيان الزوار او امثالهم او موضع ثواب يثابون بحجه واعتماره وقرئ مثابات لانه
مثابة كل احد وامنا وموضع امن لا يتعرض لاهله كقوله حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم او يأمن
حاجه من عذاب الاخرة من حيث ان الحج يجب ما قبله او لا يؤاخذ الجاني الملتجي اليه حتى يخرج وهو مذهب
ابي حنيفة رض واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى على ارادة القول او عطف على المقدر عاملا لاذ او اعتراض
معطوف على مضمر تقديره توبوا اليه واتخذوا على الخطاب لامة محمد ع وهو امر استحباب
ومقام ابرهيم الحجر الذي فيه اثر قدمه والموضع الذي كان فيه حين قام عليه ودعا الناس الى
الحج او رفع بناء البيت وهو موضعه اليوم روي انه عليه الصلوة والسلام اخذ بيد عمر رض فقال
هذا مقام ابرهيم فقال عمر رض افلا نتخذه مصلى فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت
وقيل المراد به الامر بركعتي الطواف لما روى جابر رض انه ع لما فرغ من طوافه عمد الى مقام
ابرهيم فصلى خلفه ركعتين وقرا واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وللشافعي رض في وجوبهما قولان
وقيل مقام ابرهيم الحرم كله وقيل مواقف الحج واتخاذها مصلى ان يدعى فيها ويتقرب الى الله تعالى
وقرا نافع وابن عامر واتخذوا بلفظ الماضي عطفا على جعلنا اي واتخذ الناس مقامه الموسوم
به يعني الكعبة قبلة يصلون اليها وعهدنا الى ابرهيم واسمعيل امرناهما ان طهرا بيتي بان طهرا ويجوز
ان يكون مفسرة لتضمن العهد معنى القول يريد طهراه من الاوثان والانجاس وما لا يليق به او اخلصاه

للطائفين حوله والعاكفين المقيمين عنده او المعتكفين فيه والركع السجود اي المصلين جمع راكع
وساجد واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا يريد البلد او المكان بلدا امنا ذا امن كقوله في عيشة راضية
او امنا اهله كقوله ليل نائم وارزق اهله من الثمرات من امن منهم بالله واليوم الاخر ابدل من امن من اهله
بدل البعض للتخصيص قال ومن كفر عطف على من امن والمعنى وارزق من كفر قاس ابرهيم الرزق على
الامامة فنبه سبحانه على ان الرزق رحمة دنيوية تعم المؤمن والكافر بخلاف الامامة والتقدم
في الدين او مبتدا متضمن معنى الشرط فامتعه قليلا خبره والكفر وان لم يكن سبب التمتع لكنه سبب
لقلته بان يجعله مقصورا بحظوظ الدنيا غير متوسل به الى نيل الثواب لذلك عطف عليه ثم اضطره
الى عذاب النار اي الزه اليه لز المضطر لكفره وتضييعه ما متعته به من النعم وقليلا نصب على المصدر
او الظرف وقرئ بلفظ الامر فيهما على انه من دعاء ابرهيم وفي قال ضميره وقرا ابن عامر فامتعه
من امتع وقرئ فنمتعه ثم نضطره واضطره بكسر الهمزة على لغة من يكسر حروف المضارعة واطره
بادغام الضاد وهو ضعيف لان حروف ضم شفر يدغم فيها ما يجاورها دون العكس وبئس المصير
المخصوص بالذم محذوف وهو العذاب واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت حكاية حال ماضية
والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس صفة غالبة من القعود بمعنى الثبات ولعله مجاز من المقابل
للقيام ومنه قعدك الله ورفعها البناء عليها فانه ينقلها عن هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع
ويحتمل ان يراد بها سافات البناء فان كل ساف قاعدة ما يوضع فوقه وبرفعها بناؤها وقيل
رفع مكانته واظهار شرفه بتعظيمه ودعاء الناس الى حجه وفي ابهام القواعد وتبيينها تفخيم
لشانها واسمعيل كان يناوله الحجارة ولكنه لما كان له مدخل في البناء عطف عليه وقيل كانا
يبنيان في طرفين او على التناوب ربنا تقبل منا اي يقولان ربنا وقد قرئ به والجملة
حال منهما انك انت السميع لدعائنا العليم بنياتنا ربنا واجعلنا مسلمين لك مخلصين لك من
اسلم وجهه او مستسلمين من اسلم اذا استسلم والمراد طلب الزيادة في الاخلاص والاذعان او الثبات
عليه وقرئ مسلمين على ان المراد انفسهما وهاجر او ان التثنية من مراتب الجمع ومن ذريتنا امة مسلمة
لك اي واجعل بعض ذريتنا وانما خصا الذرية بالدعاء لانهم احق بالشفقة ولانهم اذا صلحوا
صلح بهم الاتباع وخصا بعضهم لما علما ان في ذريتهما ظلمة وعلما ان الحكمة الالهية لا تقتضي الاتفاق

على الاخلاص والاقبال الكلي على الله فانه ما شوش المعاش ولذلك قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا
واراد بالامة امة محمد صلى الله عليه وسلم ويجوز ان تكون من للتبيين كقوله وعد الله الذين امنوا منكم قدم على المبين وفصل
بين العاطف والمعطوف كما في قوله خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن وارنا مناسكنا من راى بمعنى
ابصر او عرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين مناسكنا متعبداتنا في الحج او مذابحنا والنسك في الاصل
غاية العبادة وشاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة وقرا ابن كثير ويعقوب ارنا
قياسا على فخذ في فخذ وفيه اجحاف لان الكسرة منقولة عن الهمزة الساقطة دليل عليها وقرا الدوري
عن ابي عمرو بالاختلاس وتب علينا استتابة لذريتهما او عما فرط منهما سهوا ولعلهما قالا هضما
لانفسهما وارشادا لذريتهما انك انت التواب الرحيم لمن تاب ربنا وابعث فيهم في الامة المسلمة رسولا
منهم ولم يبعث من ذريتهما غير محمد صلى الله عليه وسلم فهو المجاب به دعوتهما كما قال انا دعوة ابي ابراهيم وبشرى عيسى
ورؤيا امي يتلو عليهم آياتك يقرا عليهم ويبلغهم ما يوحى اليه من دلائل التوحيد والنبوة ويعلمهم الكتاب
القرآن والحكمة ما تكمل به نفوسهم من المعارف والاحكام ويزكيهم عن الشرك والمعاصي انك انت العزيز
الذي لا يقهر ولا يغلب على ما يريد الحكيم المحكم له ومن يرغب عن ملة ابراهيم استبعاد وانكار لان يكون
احد يرغب عن ملته الواضحة الغراء اي لا يرغب احد عن ملته الا من سفه نفسه الا من استمهنها واذلها
واستخف بها قال المبرد وثعلب سفه بالكسر متعد وبالضم لازم ويشهد له ما في الحديث الكبر ان تسفه
الحق وتغمص الناس وقيل اصله سفه نفسه على الرفع فنصب على التمييز نحو غبن رايه والم راسه
وقول جرير ونأخذ بعده بذناب عيش اجب الظهر ليس له سنام او سفه في نفسه فنصب بنزع
الخافض والمستثنى في محل الرفع على المختار بدلا من الضمير في يرغب لانه في معنى النفي ولقد
اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين حجة وبيان لذلك فان من كان صفوة
العباد في الدنيا وكان مشهودا له بالاستقامة والصلاح يوم القيمة كان حقيقا بالاتباع
لا يرغب عنه الا سفيه او متسفه اذل نفسه بالجهل والاعراض عن النظر اذ قال له ربه اسلم
قال اسلمت لرب العالمين ظرف لاصطفيناه وتعليل له او منصوب باضمار اذكر كانه قيل اذكر ذلك
الوقت لتعلم انه المصطفى الطاهر الصالح المستحق للامامة والتقدم وانه نال ما نال بالمبادرة
الى الاذعان واخلاص السر حين دعاه ربه واخطر بباله دلائله المودية الى المعرفة الداعية

الى الاسلام روي انها نزلت لما دعا عبد الله بن سلام ابني اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام
فاسلم سلمة وابى مهاجر ووصى بها ابراهيم بنيه التوصية هو التقدم الى الغير بفعل فيه صلاح
وقربة واصلها الوصل يقال وصاه اذا وصله وفصاه اذا فصله كان الموصي يصل فعله بفعل
الوصي والضمير في بها للملة او لقوله اسلمت على تاويل الكلمة او الجملة وقرا نافع وابن عامر
اوصى والاول ابلغ ويعقوب عطف على ابراهيم اي ووصى هو ايضا بها بنيه وقرئ بالنصب على انه
ممن وصاه ابراهيم يا بني على اضمار القول عند البصريين متعلق بوصى عند الكوفيين لانه نوع منه ونظيره
رجلان من ضبة اخبرانا انا راينا رجلا عريانا بالكسر وبنو ابراهيم كانوا اربعة اسمعيل
واسحق ومدين ومدان وقيل ثمانية وقيل اربعة عشر وبنو يعقوب اثنا عشر روبين وشمعون
ولاوي ويهوذا ويشسوخور وزبولون ودون ونفتولي وكودا واوشير وبنيامين ويوسف
ان الله اصطفى لكم الدين دين الاسلام الذي هو صفوة الاديان لقوله فلا تموتن الا وانتم مسلمون
ظاهره النهي عن الموت على خلاف حال الاسلام والمقصود هو النهي عن ان يكونوا على تلك الحال
اذا ماتوا والامر بالثبات على الاسلام كقولك لا تصل الا وانت خاشع وتغيير العبارة للدلالة
على ان موتهم لا على الاسلام موت لا خير فيه وان من حقه ان لا يحل بهم ونظيره في الامر مت وانت شهيد
روي ان اليهود قالوا لرسول الله الست تعلم ان يعقوب اوصى بنيه باليهودية يوم مات فنزلت
ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار اي ما كنتم حاضرين
اذ حضر يعقوب الموت وقال لبنيه ما قال فلم تدعون اليهودية عليه او متصلة بمحذوف تقديره
اكنتم غائبين ام كنتم شهداء وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى ما شاهدتم ذلك وانما علمتموه من الوحي
وقرئ حضر بالكسر اذ قال لبنيه بدل من اذ حضر ما تعبدون من بعدي اي شيء تعبدونه اراد به تقريرهم
على التوحيد والاسلام واخذ ميثاقهم على الثبات عليهما وما يسال به عن كل شيء ما لم يعرف فاذا عرف
خص العقلاء بمن اذا سئل عن تعيينه وان سئل عن وصفه قيل ما زيد افقيه ام طبيب قالوا نعبد الهك واله
ابائك ابراهيم واسمعيل واسحق المتفق على وجوده والوهيته ووجوب عبادته وعد اسمعيل من ابائه
تغليبا للاب والجد او لانه كالاب لقوله عليه السلام عم الرجل صنو ابيه كما قال في العباس هذا بقية ابائي
وقرئ اله ابيك على انه جمع بالواو والنون كما قال ولما تبين اصواتنا بكين وفديننا بالابينا او مفرد

وابرهيم وهو عطف بيان الهاً واحداً بدل من اله اباءك كقوله بالناصية ناصية كاذبة وفائدته
التصريح بالتوحيد ونفي التوهم الناشي من تكرير المضاف لتعذر العطف على المجرور والتأكيد او نصب
على الاختصاص ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد او مفعوله او منهما ويحتمل ان يكون اعتراضا تلك
امة قد خلت يعني ابرهيم ويعقوب وبنيهما والامة في الاصل المقصود وسمي بها الجماعة لان
الفرق تؤمها لها ما كسبت ولكم ما كسبتم لكل اجر عمله والمعنى ان انتسابكم اليهم لا يوجب انتفاعكم
باعمالهم وانما تنتفعون بموافقتهم واتباعهم كما قال عم لا يأتيني الناس باعمالهم وتأتوني بانسابكم
ولا تسألون عما كانوا يعملون ولا تؤاخذون بسيئاتهم وقالوا كونوا هوداً او نصارى الضمير الغائب
لاهل الكتاب واو للتنويع والمعنى مقالتهم احدى هاتين المقالتين قالت اليهود كونوا وقالت النصارى
كونوا نصارى تهتدوا جواب الامر قل بل ملة ابرهيم اي بل نكون ملة ابرهيم اي اهل ملته او بل نتبع
ملة ابرهيم وقرئت بالرفع اي ملته ملتنا او عكسه او نحن ملته بمعنى نحن اهل ملته حنيفا مائلا
عن الباطل الى الحق حال من المضاف او المضاف اليه كقوله ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا وما
كان من المشركين تعريض باهل الكتاب وغيرهم فانهم يدعون اتباعه وهم مشركون قولوا امنا بالله
الخطاب للمؤمنين لقوله فان امنوا بمثل ما امنتم به وما انزل الينا يعني القران قدم ذكره لانه اول
بالاضافة الينا او سبب للايمان بغيره وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط
الصحف وهي وان نزلت الى ابرهيم لكنهم لما كانوا متعبدين بتفصيلها داخلين تحت احكامها
فهي ايضا منزلة اليهم كما ان القران منزل الينا والاسباط جمع سبط وهو الحافد يريد به حفدة
يعقوب وابناؤه وذراريهم فانهم حفدة ابرهيم واسحق وما اوتي موسى وعيسى التورية
والانجيل افردهما بحكم ابلغ لان امرهما بالاضافة الى موسى وعيسى مغاير لما سبق والنزاع وقع فيهما
وما اوتي النبيون جملة المذكورين منهم وغير المذكورين من ربهم منزلا عليهم من ربهم لا نفرق بين احد منهم
كاليهود فنؤمن ببعض ونكفر ببعض واحد لوقوعه في سياق النفي عام فساغ ان يضاف اليه بين
ونحن له اي لله مسلمون مذعنون مخلصون فان امنوا بمثل ما امنتم به فقد اهتدوا من باب التعجيز والتبكيت
كقوله تعالى فاتوا بسورة من مثله اذ لا مثل لما امن به المسلمون ولا دين كدين الاسلام وقيل الباء
للالة دون التعدية والمعنى ان تحروا الايمان بطريق يهدي مثل طريقكم فان وحدة المقصد لا تأبى

تعدد

تعدد الطرق او مزيدة للتاكيد كقوله جزاء سيئة بمثلها والمعنى فان امنوا بالله ايمانا مثل ايمانكم
به او المثل مقحم كما في قوله وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله اي عليه ويشهد له قراءة من قرأ بما امنتم
به او بالذي امنتم به وان تولوا فانما هم في شقاق اي ان اعرضوا عن الايمان او عما تقولون لهم فما هم الا
في شقاق الحق وهو المناواة والمخالفة فان كل واحد من المتخالفين في شق غير شق الاخر فسيكفيكهم
الله تسلية وتسكين للمؤمنين ووعد لهم بالحفظ والنصرة على من ناواهم وهو السميع العليم اما من
تمام الوعد بمعنى انه يسمع اقوالكم ويعلم اخلاصكم وهو مجازيكم لا محالة او وعيد للمعرضين بمعنى انه
يسمع ما يبدون ويعلم ما يخفون وهو معاقبهم عليه صبغة الله اي صبغنا الله صبغته وهي فطرة الله
التي فطر الناس عليها فانها حلية الانسان كما ان الصبغة حلية المصبوغ او هدانا هدايته او
ارشدنا حجته او طهر قلوبنا بالايمان تطهيره وسماه صبغة لانه ظهر اثره عليهم ظهور الصبغ على
المصبوغ وتداخل في قلوبهم تداخل الصبغ الثوب او للمشاكلة فان النصارى كانوا يغمسون اولادهم في
ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم وبه تحق نصرانيتهم ونصبها على انه مصدر مؤكد
آمنا وقيل على الاغراء وقيل على البدل من ملة ابرهيم ومن احسن من الله صبغة لا صبغة احسن من صبغته
ونحن له عابدون تعريض بهم اي لا نشرك به كشرككم وهو عطف على آمنا وذلك يقتضي دخول قوله
صبغة الله في مفعول قولوا ولمن نصبها على الاغراء او البدل ان يضمر قولوا معطوفا على الزموا
او اتبعوا ملة ابرهيم وقولوا امنا بدل من اتبعوا حتى لا يلزم فك النظم وسوء الترتيب قل اتحاجوننا
اتجادلوننا في الله في شانه واصطفائه نبيا من العرب دونكم روي ان اهل الكتاب قالوا الانبياء
كلهم منا فلو كنت نبيا لكنت منا فنزلت وهو ربنا وربكم لا اختصاص له بقوم دون قوم يصيب
برحمته من يشاء من عباده ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم فلا يبعد ان يكرمنا باعمالنا كانه الزمهم على
كل مذهب ينتحونه افحاما وتبكيتا فان كرامة النبوة اما تفضل من الله على من يشاء والكل فيه سواء
واما افاضة حق على المستعدين لها بالمواظبة على الطاعة والتحلي بالاخلاص فكما ان لكم
اعمالا ربما يعتبرها الله في اعطائها فلنا ايضا اعمال ونحن له مخلصون موحدون نخلصه
بالايمان والطاعة دونكم ام تقولون ان ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا
هودا او نصارى ام منقطعة والهمزة للانكار وعلى قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص

بالتاء يحتمل أن يكون معادلة للهمزة في أتحاجوننا بمعنى أي الأمرين تأتون المحاجة أو ادعاء اليهودية
أو النصرانية على الأنبياء. قل أأنتم أعلم أم الله وقد نفى الأمرين عن إبراهيم بقوله ما كان إبراهيم
يهوديا ولا نصرانيا واحتج عليه بقوله وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده وهؤلاء المعطوفون
عليه أتباعه في الدين وفاقا. ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله يعني شهادة الله لإبراهيم بالحنيفية
والبراءة عن اليهودية والنصرانية والمعنى لا أحد أظلم من أهل الكتاب لأنهم كتموا هذه الشهادة أو منا
لو كتمنا هذه الشهادة وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد من النبوة في كتبهم وغيرها ومن للابتداء
كما في قوله تعالى براءة من الله ورسوله. وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم وقرئ بالياء. تلك أمة قد خلت
لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون تكرير للمبالغة في التحذير والزجر عما استحكم
في الطباع من الافتخار بالآباء والاتكال عليهم وقيل الخطاب فيما سبق لهم وفي الآية لنا تحذيرا عن
الاقتداء بهم وقيل المراد بالأمة في الأول الأنبياء وفي الثاني أسلاف اليهود والنصارى. سيقول السفهاء
من الناس الذين خفت أحلامهم واستمهنوها بالتقليد والإعراض عن النظر يريد المنكرين لتغير القبلة
من المنافقين واليهود والمشركين وفائدة تقديم الإخبار به توطين النفس وإعداد الجواب. ما ولاهم
ما صرفهم عن قبلتهم التي كانوا عليها يعني بيت المقدس والقبلة في الأصل الحالة التي عليها الإنسان
من الاستقبال فصارت عرفا للمكان المتوجه إليه للصلاة. قل لله المشرق والمغرب لا يختص به مكان دون مكان
لخاصية ذاتية تمنع إقامة غيره مقامه وإنما العبرة بارتسام أمره لا بخصوص المكان. يهدي من يشاء
إلى صراط مستقيم وهو ما ترتضيه الحكمة وتقتضيه المصلحة من التوجه إلى بيت المقدس تارة والكعبة أخرى
وكذلك إشارة إلى مفهوم الآية المتقدمة أي كما جعلناكم مهديين إلى الصراط المستقيم أو جعلنا قبلتكم
أفضل القبل جعلناكم أمة وسطا أي خيارا أو عدولا مزكين بالعلم والعمل وهو في الأصل اسم للمكان
الذي تستوي إليه المساحة من الجوانب ثم استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفي إفراط وتفريط
كالجود بين الإسراف والبخل والشجاعة بين التهور والجبن ثم أطلق على المتصف بها مستويا فيه الواحد
والجمع والمذكر والمؤنث كسائر الأسماء التي يوصف بها واستدل به على أن الإجماع حجة إذ لو كان
فيما اتفقوا عليه باطل لانثلمت به عدالتهم. لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا
علة للجعل أي لتعلموا بالتأمل فيما نصب لكم من الحجج وأنزل عليكم من الكتاب أنه تعالى ما بخل على أحد وما ظلم

بل أوضح السبل وأرسل الرسل فبلغوا ونصحوا ولكن الذين كفروا حملهم الشقاء على اتباع
الشهوات والإعراض عن الآيات فتشهدون بذلك على معاصريكم وعلى الذين قبلكم وبعدكم
روي أن الأمم يوم القيامة يجحدون تبليغ الأنبياء فيطالبهم الله ببينة التبليغ وهو أعلم
إقامة للحجة على المنكرين فيؤتى بأمة محمد عليه السلام فيشهدون فتقول الأمم من أين عرفتم فيقولون علمنا ذلك
بإخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد عليه السلام فيسأل عن حال أمته
فيشهد بعدالتهم وهذه الشهادة وإن كانت لهم لكن لما كان الرسول عليه السلام كالرقيب المهيمن على أمته
عدي بعلى وقدمت الصلة للدلالة على اختصاصهم بكون الرسول عليه السلام شهيدا عليهم. وما جعلنا القبلة
التي كنت عليها أي الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة فإنه عليه السلام كان يصلي إليها بمكة ثم لما هاجر أمر بالصلاة
إلى الصخرة تألفا لليهود أو الصخرة لقول ابن عباس رضي الله عنه كانت قبلته بمكة بيت المقدس إلا أنه
كان يجعل الكعبة بينه وبينه فالمخبر به على الأول الجعل الناسخ وعلى الثاني المنسوخ والمعنى أن
أصل أمرك أن تستقبل الكعبة وما جعلنا قبلتك بيت المقدس إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب
على عقبيه إلا لنمتحن الناس ونعلم من يتبعك في الصلاة إليها ممن يرتد عن دينك إلفا لقبلة آبائه
أو لنعلم الآن من يتبع الرسول ممن لا يتبعه وما كان لعارض يزول بزواله وعلى الأول معناه
ما رددناك إلى التي كنت عليها إلا لنعلم الثابت على الإسلام ممن ينكص على عقبيه لقلقه وضعف
إيمانه فإن قيل كيف يكون علمه تعالى غاية الجعل وهو لم يزل عالما قلت هذا وأشباهه باعتبار التعلق
الحالي الذي هو مناط الجزاء والمعنى ليتعلق علمنا به موجودا وقيل ليعلم رسوله والمؤمنون
لكنه أسنده إلى نفسه لأنهم خواصه أو لنميز الثابت عن المتزلزل كقوله ليميز الله الخبيث من الطيب
فوضع العلم موضع التمييز المسبب عنه ويشهد له قراءة ليعلم على البناء للمفعول والعلم إما بمعنى المعرفة
أو معلق لما في من من معنى الاستفهام أو مفعوله الثاني ممن ينقلب أي لنعلم من يتبع الرسول
متميزا ممن ينقلب وإن كانت لكبيرة أي هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفاصلة وقال الكوفيون
هي النافية واللام بمعنى إلا والضمير لما دل عليه قوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من
الجعلة أو الردة أو التولية أو التحويلة أو للقبلة وقرئ لكبيرة بالرفع فيكون كان زائدة إلا
على الذين هدى الله إلى حكمة الأحكام الثابتين على الإيمان والاتباع وما كان الله ليضيع إيمانكم أي

ثباتكم على الايمان وقيل ايمانكم بالقبلة المنسوخة او صلوتكم اليها لما روى انه عم لما توجه
الى الكعبة قالوا كيف بمن مات يا رسول الله قبل التحويل من اخواننا فنزلت ان الله بالناس
لرؤف رحيم فلا يضيع اجورهم ولا يدع صلاحهم ولعله قدم الرؤف وهو ابلغ
محافظة على الفواصل وقرأ الحرميان وابن عامر وحفص لرؤف بالمد والباقون بالقصر قد
نرى تقلب وجهك في السماء تردد وجهك في جهة السماء تطلعا للوحي وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقع في روعه ويتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابرهيم واقدم
القبلتين وادعى للعرب الى الايمان ولمخالفة اليهود وذلك يدل على كمال ادبه حيث انتظر ولم يسأل
فلنولينك قبلة فلنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا اذا صيرته واليا له او فلنجعلنك
تلي جهتها ترضيها تحبها وتتشوق اليها لمقاصد دينية وافقت مشية الله وحكمته فول وجهك
اصرف وجهك شطر المسجد الحرام نحوه وقيل الشطر في الاصل لما انفصل عن الشيء من شطر اذا ا
نفصل ودار شطور منفصلة عن الدور ثم استعمل لجانبه كالقطر والمراد بالحرم اي محرم فيه القتال و
ممنوع عن الظلمة ان يتعرضوه وانما ذكر المسجد دون الكعبة لانه عم كان في المدينة والبعيد يكفيه
مراعاة الجهة فان استقبال عينها حرج عليه بخلاف القريب روي انه عم قدم المدينة فصلى نحو بيت
المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة في رجب بعد الزوال قبل قتال بدر بشهرين وقد صلى باصحابه
في مسجد بني سلمة ركعتين من الظهر فتحول في الصلوة واستقبل الميزاب وتبادل الرجال والنساء صفوفهم
فسمي المسجد مسجد القبلتين وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره خص الرسول بالخطاب تعظيما له
وايجابا لرغبته ثم عمم تصريحا بعموم الحكم وتاكيدا لامر القبلة وتحضيضا للامة على المتابعة وان
الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم جملة لعلمهم بان عادته تعالى تخصيص كل شريعة بقبلة
وتفصيلا لتضمن كتبهم انه يصلي الى القبلتين والضمير للتحويل او للتوجه وما الله بغافل عما تعملون
وعد ووعيد للفريقين ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل اية برهان وحجة على ان الكعبة قبلة
واللام موطئة للقسم ما تبعوا قبلتك جواب القسم المضمر ساد مسد جواب الشرط والمعنى ما تركوا
قبلتك لشبهة تزيلها بحجة وانما خالفوك مكابرة وعنادا وما انت بتابع قبلتهم قطع لاطماعهم
فانهم قالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجوا ان يكون صاحبنا الذي ننتظره تغريرا له وطمعا

وقرا ابن عامر وحمزة و
الكسائي بالتاء م

في

في رجوعه وقبلتهم وان تعددت لكنها متحدة بالبطلان ومخالفة الحق وما بعضهم بتابع
قبلة بعض فان اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس لا يرجى توافقهم كما لا يرجى
موافقتهم لك لتصلب كل حزب فيما هو فيه ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم على سبيل الفرض
والتقدير اي ولئن اتبعتهم مثلا بعد ما بان لك الحق وجاءك فيه الوحي انك اذا لمن الظالمين واكد
تهديده وبالغ فيه من سبعة اوجه تعظيما للحق المعلوم وتحريضا على اقتفائه وتحذيرا
عن متابعة الهوى واستفظاعا لصدور الذنب عن الانبياء الذين اتيناهم الكتاب يعني علماءهم
يعرفونه الضمير لرسول الله عم وان لم يسبق ذكره لدلالة الكلام عليه وقيل للعلم او القران
او التحويل كما يعرفون ابناءهم يشهد للاول اي يعرفونه باوصافه كمعرفتهم ابناءهم لا يلتبسون عليهم بغيرهم عن
عمر رض انه سأل عبد الله بن سلام عن رسول الله عم فقال انا اعلم به مني بابني قال ولم قال لاني لست
اشك في محمد انه نبي واما ولدي فلعل والدته خانت وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون
تخصيص لمن عاند واستثناء لمن آمن الحق من ربك كلام مستانف والحق اما مبتدأ خبره من ربك واللام
للعهد والاشارة الى ما عليه الرسول او الى الحق الذي يكتمونه او للجنس والمعنى ان الحق الذي
ثبت انه من الله تع كالذي انت عليه لا ما لم يثبت كالذي عليه اهل الكتاب واما خبر مبتدأ محذوف
اي هو الحق ومن ربك حال او خبر بعد خبر وقرئ بالنصب على انه بدل من الاول او مفعول يعلمون
فلا تكونن من الممترين الشاكين في انه من ربك او في كتمانهم الحق عالمين به وليس المراد به نهي الرسول عن
الشك لانه غير متوقع منه وليس بقصد واختيار بل اما تحقيق الامر وانه بحيث لا يشك فيه ناظر
او امر الامة باكتساب المعارف المزيحة للشك على الوجه الابلغ ولكل وجهة ولكل امة قبلة
او لكل قوم من المسلمين جهة وجانب من الكعبة والتنوين بدل الاضافة هو موليها احد المفعولين محذوف
اي هو موليها وجهه او الله تع موليها اياه وقرئ ولكل وجهة بالاضافة والمعنى وكل وجهة
الله موليها اهلها واللام مزيدة للتاكيد جبر الضعف العامل وقرأ ابن عامر مولاها اي هو مولى تلك
الجهة قد وليها فاستبقوا الخيرات من امر القبلة وغيره مما ينال به سعادة الدارين او الفاضلات
من الجهات وهي المسامتة للكعبة اينما تكونوا يأت بكم الله جميعا في اي موضع تكونوا من موافق ومخالف
مجتمع الاجزاء ومفترقها يحشركم الله تع الى المحشر للجزاء او اينما تكونوا من اعماق الارض وقلل الجبال

نقيض او لحكم او انما تكونوا من الجهات المتقابلة يأت بكم الله جميعا ويجعل صلوتكم كانها الى جهة
واحدة ان الله على كل شيء قدير فيقدر على الاماتة والاحياء والجمع ومن حيث خرجت ومن اي مكان
خرجت للسفر فول وجهك شطر المسجد الحرام اذا صليت وانه للحق من ربك وما الله
بغافل عما تعملون ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره
كرر هذا الحكم لتعدد علله فانه تعالى ذكر للتحويل ثلث علل تعظيم الرسول بابتغاء مرضاته وجري
العادة الالهية على ان يولي كل اهل ملة وصاحب دعوة وجهة يستقبلها ويتميز بها ودفع حجج المخالفين
على ما نبينه وقرن بكل علة معلولها كما يقرن المدلول بكل واحد من دلائله تقريبا وتقريرا مع ان القبلة
لها شان والنسخ من مظان الفتنة والشبهة فبالحري ان يؤكد امرها ويعاد ذكرها مرة بعد اخرى
لئلا يكون للناس عليكم حجة علة لقوله فولوا والمعنى ان التولية عن الصخرة الى الكعبة يدفع احتجاج
اليهود بان المنعوت في التورية قبلته الكعبة وان محمدا يجحد ديننا ويتبعنا في قبلتنا والمشركين
بانه يدعي ملة ابراهيم ويخالف قبلته الا الذين ظلموا منهم استثناء من الناس اي لئلا يكون لاحد
من الناس حجة الا للمعاندين منهم فانهم يقولون ما تحول الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده
او بدا له فرجع الى قبلة آبائه ويوشك ان يرجع الى دينهم وسمى هذه حجة كقوله حجتهم داحضة
لانهم يسوقونها مساقها وقيل الحجة بمعنى الاحتجاج وقيل الاستثناء للمبالغة في نفي الحجة راسا
كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب للعلم بان الظالم لا حجة له
وقرئ الا الذين ظلموا منهم على انه استئناف بحرف التنبيه فلا تخشوهم فلا تخافوهم فان مطاعنهم
لا تضركم واخشوني فلا تخالفوا ما امرتكم به ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون علة محذوف عنهم
اي وامرتكم لاتمام النعمة عليكم وارادتي اهتداءكم او عطف على علة مقدرة مثل واخشوني لاحفظكم
عنهم ولاتم نعمتي عليكم او لئلا يكون وفي الحديث تمام النعمة دخول الجنة وعن علي رض تمام النعمة
الموت على الاسلام كما ارسلنا فيكم رسولا منكم متصل بما قبله اي ولاتم نعمتي عليكم في امر القبلة او في
الآخرة كما اتممتها بارسال رسول منكم او بما بعده اي كما ذكرتكم بالارسال فاذكروني يتلو عليكم آياتنا
ويزكيكم يحملكم على ما تصيرون به ازكياء قدمه باعتبار القصد واخره في دعوة ابراهيم باعتبار
الفعل ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون بالفكر والنظر اذ لا طريق الى معرفته سوى الوحي و

ويعلمكم

وكرر الفعل ليدل على انه جنس آخر فاذكروني بالطاعة اذكركم بالثواب واشكروا لي ما انعمت به
عليكم ولا تكفرون بجحد النعم وعصيان الامر يا ايها الذين آمنوا استعينوا بالصبر عن المعاصي و
حظوظ النفس والصلوة التي هي ام العبادات ومعراج المؤمنين ومناجاة رب العالمين ان الله مع
الصابرين بالنصرة واجابة الدعوة ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات اي هم اموات بل احياء
بل هم احياء ولكن لا تشعرون ما حالهم وهو تنبيه على ان حيوتهم ليست بالجسد ولا من جنس ما يحس به
من الحيوانات وانما هي امر لا يدرك بالعقل بل بالوحي وعن الحسن رض ان الشهداء احياء عند
الله تعالى تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على آل فرعون
غدوا وعشيا فيصل اليهم الالم والآية نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر وفيها دلالة على ان
الارواح جواهر قائمة بانفسها مغايرة لما يحس به من البدن تبقى بعد الموت دراكة وعليه جمهور
الصحابة والتابعين وبه نطقت الآيات والسنن وعلى هذا فتخصيص الشهداء لاختصاصهم بالقرب
من الله تعالى ومزيد البهجة والكرامة ولنبلونكم ولنصيبنكم اصابة من يختبر لاحوالكم هل تصبرون
على البلاء وتستسلمون للقضاء بشيء من الخوف والجوع اي بقليل من ذلك وانما قلله بالاضافة الى
ما وقاهم عنه ليخفف عليهم ويريهم ان رحمته لا تفارقهم او بالنسبة الى ما يصيب به معانديهم في
الآخرة وانما اخبرهم به قبل وقوعه ليوطنوا عليه نفوسهم ونقص من الاموال والانفس والثمرات
عطف على شيء او الخوف وعن الشافعي رح الخوف خوف الله تعالى والجوع صوم رمضان والنقص من
الاموال الزكوة والصدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد وعن النبي ص
اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال
عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله تعالى ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد
وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون الخطاب للرسول
او لمن تأتي منه البشارة والمصيبة تعم ما يصيب الانسان من مكروه لقوله ص كل شيء يؤذي المؤمن
فهو له مصيبة وليس الصبر بالاسترجاع باللسان بل وبالقلب بان يتصور ما خلق لاجله وانه راجع
الى ربه ويتذكر نعم الله تعالى عليه ليرى ما ابقى عليه اضعاف ما استرده منه فيهون على نفسه ويستسلم له
والمبشر به محذوف دل عليه قوله اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة الصلوة في الاصل

فيقول اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم

الدعاء وعن الله تع التزكية والمغفرة وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوعها والمراد بالرحمة اللطف
والاحسان وعن النبي عم من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا
صالحا يرضاه واولئك هم المهتدون للحق والصواب حيث استرجعوا وسلموا لقضاء الله تع ان
الصفا والمروة هما علما جبلين بمكة من شعائر الله من اعلام مناسكه جمع شعيرة وهي العلامة
فمن حج البيت او اعتمر الحج لغة القصد والاعتمار الزيارة فغلبا شرعا على قصد البيت وزيارته
على الوجهين المخصوصين فلا جناح عليه ان يطوف بهما كان اساف على الصفا ونائلة على المروة وكان
اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاصنام تحرج المسلمون ان يطوفوا
بينهما لذلك فنزلت والاجماع على انه مشروع في الحج والعمرة وانما الخلاف في وجوبه فعن احمد
انه سنة وبه قال انس وابن عباس رض لقوله تعالى فلا جناح عليه فانه يفهم منه التخيير وهو
ضعيف لان نفي الجناح يدل على الجواز الداخل في معنى الوجوب فلا يدفعه وعن ابي حنيفة رح
انه واجب يجبر بالدم وعن مالك والشافعي رح انه ركن لقوله عم اسعوا فان الله تع كتب عليكم
ومن تطوع خيرا اي فعل طاعة فرضا كان او نفلا او زاد على ما فرض عليه من حج او عمرة او طواف
او تطوع بالسعي ان قلنا انه سنة وخيرا نصب على انه صفة مصدر محذوف او بحذف الجار وايصال
الفعل اليه او بتعدية الفعل لتضمنه معنى اتى او فعل وقرا حمزة والكسائي ويعقوب يطوع
واصله يتطوع فادغم مثل يطوف فان الله شاكر عليم مثيب على الطاعة لا يخفى عليه ان الذين
يكتمون كاحبار اليهود ما انزلنا من البينات كالايات الشاهدة على امر محمد عم والهدى وما
يهدي الى وجوب اتباعه والايمان به من بعد ما بيناه للناس لخصناه في الكتاب في التورية
اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون اي الذين يتاتى منهم اللعن عليهم من الملائكة والثقلين
الا الذين تابوا عن الكتمان وسائر ما يجب ان يتاب عنه واصلحوا ما افسدوا بالتدارك وبينوا
ما بينه الله تع في كتابهم لتتم توبتهم وقيل ما احدثوه من التوبة ليمحوا سمة الكفر عن انفسهم ويقتدي
بهم اضرابهم فاولئك اتوب عليهم بالقبول والمغفرة وانا التواب الرحيم المبالغ في قبول التوبة وافاضة
الرحمة ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اي ومن لم يتب من الكاتمين حتى مات اولئك عليهم لعنة الله
والملائكة والناس اجمعين استقر عليهم اللعن من الله ومن يعتد بلعنه من خلقه وقيل الاول لعنهم احياء

وهذه لعنهم امواتا وقرئ والملائكة والناس اجمعون عطفا على محل اسم الله تع لانه فاعل في المعنى
كقولهم اعجبني ضرب من زيد وعمرو او فاعلا لفعل مقدر نحو ويلعنهم الملائكة خالدين فيها اي في اللعنة
او النار واضمارها قبل الذكر تفخيما لشانها وتهويلا او اكتفاء بدلالة اللعن عليها لا يخفف عنهم
العذاب ولا هم ينظرون لا يمهلون او لا ينتظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة والهكم اله واحد
خطاب عام اي المستحق منكم العبادة واحد لا شريك له يصح ان يعبد او يسمى الها لا اله الا هو
تقرير للوحدانية وازاحة لان يتوهم ان في الوجود الها ولكن لا يستحق منهم العبادة الرحمن الرحيم
كالحجة عليها فانه لما كان مولى النعم كلها اصولها وفروعها وما سواه اما نعمة او منعم عليه لم
يستحق العبادة احد غيره وهما خبران اخران لقوله الهكم او لمبتدا محذوف وقيل لما سمعه المشركون
تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فات باية نعرف بها صدقك فنزلت ان في خلق السموات
والارض انما جمع السموات وافرد الارض لانها طبقات متفاصلة بالذات مختلفة بالحقيقة
بخلاف الارضين واختلاف الليل والنهار تعاقبهما كقوله جعل الليل والنهار خلفة والفلك
التي تجري في البحر بما ينفع الناس اي بنفعهم او بالذي ينفعهم والقصد به الى الاستدلال بالبحر
واحواله وتخصيص الفلك بالذكر لانه سبب الخوض فيه والاطلاع على عجائبه ولذلك قدمه
على ذكر المطر والسحاب لان منشاهما البحر في غالب الامر وتانيث الفلك لانه بمعنى السفينة وقرئ
بضمتين على الاصل او الجمع وضمة الجمع غير ضمة الواحد عند المحققين وما انزل الله من السماء من ماء
من الاولى للابتداء والثانية للبيان والسماء يحتمل الفلك والسحاب وجهة العلو فاحيا به الارض
بعد موتها بالنبات وبث فيها من كل دابة عطف على انزل كانه استدل بنزول المطر وتكون النبات
به وبث الحيوانات في الارض او على احيا فان الدواب ينمون بالخصب ويعيشون بالحيا والبث
النشر والتفريق وتصريف الرياح في مهابها واحوالها وقرا حمزة والكسائي على الافراد
والسحاب المسخر بين السماء والارض لا ينزل ولا ينقشع مع ان الطبع يقتضي احدهما حتى ياتي
امر الله وقيل مسخر للرياح تقلبه في الجو بمشية الله تع واشتقاقه من السحب لان بعضه يجر بعضا
لايات لقوم يعقلون يتفكرون فيها وينظرون اليها بعيون عقولهم وعنه عم ويل لمن قرا هذه
الاية فمج بها اي لم يتفكر فيها واعلم ان دلالة هذه الايات على وجود الاله ووحدته

من وجوه كثيرة يطول شرحها مفصلا والكلام المجمل ان هذه الامور ممكنة وجد كل منها بوجه مخصوص
من وجوه محتملة وانحاء مختلفة اذ كان من الجائز مثلا ان لا يتحرك السموات او بعضها كالارض
وان يتحرك بعكس حركاتها وبحيث تصير المنطقة دائرة مارة بالقطبين وان لا يكون لها
اوج وحضيض اصلا او على هذا الوجه لبساطتها وتساوي اجزائها فلا بد لها من موجد قادر حكيم يوجدها
على ما يستدعيه حكمته وتقتضيه مشيئته متعاليا عن معارضة غيره اذ لو كان معه اله يقدر على ما يقدر
عليه فان توافقت ارادتهما فالفعل ان كان لهما لزم اجتماع مؤثرين على اثر واحد وان كان لاحدهما
لزم ترجيح الفاعل بلا مرجح وعجز الآخر المنافي لالهيته وان اختلفت لزم التمانع والتطارد كما اشار
اليه بقوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وفي الآية تنبيه على شرف علم الكلام واهله والحث
على البحث والنظر فيه ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا من الاصنام وقيل من الرؤساء الذين
كانوا يطيعونهم لقوله تعالى اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ولعل المراد اعم منهما وهو ما يشغله عن الله تع
يحبونهم يعظمونهم ويطيعونهم كحب الله كتعظيمه والميل الى طاعته اي يسوون بينه وبينهم في المحبة والطاعة
والمحبة ميل القلب من الحب استعير لحبة القلب ثم اشتق منه الحب لانه اصابها ورسخ فيها ومحبة العبد
لله تعالى ارادة طاعته والاعتناء بتحصيل مراضيه ومحبة الله للعبد ارادة اكرامه واستعماله
في الطاعة وصونه عن المعاصي والذين آمنوا اشد حبا لله لانه لا تنقطع محبتهم لله تعالى بخلاف محبة
الانداد فانها لاغراض فاسدة موهومة تزول بادنى سبب ولذلك كانوا يعدلون عن آلهتهم الى الله تعالى
عند الشدائد ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره ولو يرى الذين ظلموا ولو يعلم هؤلاء
الذين ظلموا باتخاذ الانداد اذ يرون العذاب اذ عاينوه يوم القيمة واجرى المستقبل مجرى الماضي
لتحققه كقوله تعالى ونادى اصحاب الجنة ان القوة لله جميعا ساد مسد مفعولي يرى وجواب لو محذوف
اي لو يعلمون ان القوة لله جميعا اذ عاينوا العذاب لندموا اشد الندم وقيل هو متعلق الجواب والمفعولان
محذوفان والتقدير لو يرى الذين ظلموا اندادهم لا تنفع لعلموا ان القوة لله كلها لا ينفع ولا يضر
غيره وقرأ ابن عامر ونافع ويعقوب ولو ترى على انه خطاب للنبي صلعم اي ولو ترى ذلك لرأيت امرا
عظيما وابن عامر اذ يرون على البناء للمفعول ويعقوب ان بالكسر وكذا وان الله شديد العذاب
على الاستئناف او اضمار القول اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا بدل من اذ يرون اي تبرأ المتبوعون

من الاتباع وقرئ بالعكس اي تبرأ الاتباع من الرؤساء ورأوا العذاب اي رائين له والواو للحال و
قد مضمرة وقيل عطف على تبرأ وتقطعت بهم الاسباب يحتمل العطف على تبرأ او رأوا والحال
والاول اظهر والاسباب الوصل التي كانت بينهم من الاتباع والاتفاق على الدين والاغراض
الداعية الى ذلك واصل السبب الحبل الذي يرتقى به الشجر وقرئ وتقطعت على البناء للمفعول
وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤوا منا لو للتمني ولذلك اجيب بالفاء اي ليت
لنا كرة الى الدنيا فنتبرأ منهم كذلك مثل ذلك الاراء الفظيع يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم ندامات
وهي ثالث مفاعيل يرى ان كان من رؤية القلب والا فحال وما هم بخارجين من النار اصله وما يخرجون
فعدل به الى هذه العبارة للمبالغة في الخلود والاقناط في الخلوص والرجوع الى الدنيا يا ايها
الناس كلوا مما في الارض حلالا نزلت في قوم حرموا على انفسهم رفيع الاطعمة والملابس وحلالا مفعول
كلوا او صفة مصدر محذوف او حال مما في الارض ومن للتبعيض اذ لا يؤكل كل ما في الارض طيبا
يستطيبه الشرع او الشهوة المستقيمة اذ الحلال دل على الاول ولا تتبعوا خطوات الشيطان اي لا تقتدوا به
في اتباع الهوى فتحرموا الحلال وتحللوا الحرام وقرأ نافع وابو عمرو وحمزة بتسكين الطاء وهما لغتان
في جمع خطوة وهي ما بين قدمي الخاطي وقرئ بضمتين وهمزة جعلت ضمة الطاء كأنها عليها وبفتحتين
على انه جمع خطوة وهي المرة من الخطو انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة عند ذوي البصيرة وان كان
يظهر الموالاة لمن يغويه ولذلك سماه وليا في قوله اولياؤهم الطاغوت انما يأمركم بالسوء والفحشاء
بيان لعداوته ووجوب التحرز عن متابعته واستعير الامر لتزيينه وبعثه لهم على الشر تسفيها
لرأيهم وتحقيرا لشأنهم والسوء والفحشاء ما انكره العقل واستقبحه الشرع والعطف لاختلاف الوصفين
فانه سوء لاغتمام العاقل به وفحشاء باستقباحه اياه وقيل السوء يعم القبائح والفحشاء ما تجاوز
الحد في القبح من الكبائر وقيل الاول ما لا حد فيه والثاني ما شرع فيه الحد وان تقولوا على الله
ما لا تعلمون كاتخاذ الانداد وتحليل المحرمات وتحريم الطيبات وفيه دليل على المنع من اتباع الظن
رأسا واما اتباع المجتهد لما ادى اليه ظن مستند الى مدرك شرعي فوجوبه قطعي والظن في طريقه
كما بيناه في الكتب الاصولية واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله الضمير للناس وعدل عن الخطاب معهم
للنداء على ضلالهم كأنه التفت الى العقلاء وقال لهم انظروا الى هؤلاء الحمقى ماذا يجيبون قالوا بل نتبع

ما ألفينا عليه آباءنا ما وجدناهم عليه نزلت في المشركين أمروا باتباع القرآن وسائر
ما أنزل الله من الحجج والآيات فجنحوا إلى التقليد وقيل في طائفة من اليهود دعاهم رسول الله
عليه السلام إلى الإسلام فقالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا لأنهم كانوا خيرا منا وأعلم و
على هذا يعم ما أنزل الله التوراة لأنها أيضا تدعو إلى الإسلام أولو كان آباؤهم لا يعقلون
شيئا ولا يهتدون الواو للحال أو العطف والهمزة للرد والتعجب وجواب لو محذوف أي لو كان
آباؤهم جهلة لا يتفكرون في أمر الدين ولا يهتدون إلى الحق لاتبعوهم وهو دليل على المنع من
التقليد لمن قدر على النظر والاجتهاد وأما اتباع الغير في الدين إذا علم بدليل ما أنه محق كالأنبياء
والمجتهدين في الأحكام فهو في الحقيقة ليس بتقليد بل اتباع لما أنزل الله تعالى ومثل الذين كفروا
كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء على حذف المضاف أي ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق
أو مثل الذين كفروا كمثل بهائم الذي ينعق والمعنى أن الكفرة لانهماكهم في التقليد لا يلقون أذهانهم إلى
ما يتلى عليهم ولا يتأملون فيما يقرر معهم فهم في ذلك كالبهائم التي ينعق عليها فتسمع الصوت ولا تعرف
مغزاه وتحس بالنداء ولا تفهم معناه وقيل هو تمثيلهم في اتباع آبائهم على ظاهر حالهم جاهلين بحقيقتها
كالبهائم التي تسمع الصوت ولا تفهم ما تحته أو تمثيلهم في دعائهم الأصنام بالناعق في نعقه وهو التصويت
على البهائم وهذا يغني عن الإضمار ولكن لا يساعده قوله إلا دعاء ونداء لأن الأصنام لا تسمع إلا
أن يجعل ذلك من باب التمثيل المركب صم بكم عمي رفع على الذم فهم لا يعقلون أي بالفعل للإخلال بالنظر
يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم لما وسع الأمر على الناس كافة وأباح لهم ما في الأرض
سوى ما حرم الله تعالى عليهم أمر المؤمنين منهم أن يتحروا طيبات ما رزقوا ويقوموا بحقوقها فقال
واشكروا لله على ما رزقكم وأحل لكم إن كنتم إياه تعبدون فإن عبادته لا تتم إلا بالشكر فالمعلق بفعل
العبادة هو الأمر بالشكر لإتمامه وهو عدم عند عدمه وعن النبي عليه السلام يقول الله تعالى إني والجن
والإنس في نبأ عظيم أخلق ويعبد غيري وأرزق ويشكر غيري إنما حرم عليكم الميتة أكلها والانتفاع
بها وهي التي ماتت من غير ذكاة والحديث ألحق بها ما أبين من حي والسمك والجراد أخرجهما العرف
عنها أو استثناء الشرع والحرمة المضافة إلى العين تفيد عرفا حرمة التصرف فيها مطلقا إلا ما خصه
الدليل كالتصرف في المدبوغ والدم ولحم الخنزير إنما خص اللحم بالذكر لأنه معظم ما يؤكل من الحيوان وسائر

أجزائه كالشحم وما أهل به لغير الله أي رفع به الصوت عند ذبحه للصنم والإهلال أصله رؤية
الهلال يقال أهل الهلال وأهللته لكن لما جرت العادة أن يرفع الصوت بالتكبير إذا رأى
سمي ذلك إهلالا ثم قيل لرفع الصوت وإن كان بغيره فمن اضطر غير باغ بالاستيثار على مضطر
آخر ولا عاد سد الرمق أو الجوعة وقيل غير باغ على الوالي ولا عاد بقطع الطريق
فعلى هذا لا يباح للعاصي بالسفر وهو ظاهر مذهب الشافعي رح وقول أحمد رح فلا إثم عليه
في تناوله إن الله غفور لما فعل رحيم بالرخصة فيه فإن قيل إنما تفيد قصر الحكم على ما ذكر
وكم من حرام لم يذكر قلت المراد قصر الحرمة على ما ذكر مما استحلوه لا مطلقا أو قصر حرمته على
حال الاختيار كأنه قيل إنما حرم عليكم هذه الأشياء ما لم تضطروا إليها إن الذين يكتمون
ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا عوضا حقيرا أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا
النار إما في الحال لأنهم أكلوا ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكأنه أكل النار كقوله أكلت
دما إن لم أرعك بضرة بعيدة مهوى القرط طيبة النشر يعني الدية أو في المآل أي لا يأكلون
يوم القيامة إلا النار ومعنى في بطونهم ملء بطونهم يقال أكل في بطنه وأكل في بعض بطنه كقوله
كلوا في بعض بطنكم تعفوا ولا يكلمهم الله يوم القيامة عبارة عن غضبه عليهم وتعريض بحرمانهم حال
مقابليهم في الكرامة والزلفى من الله تعالى ولا يزكيهم ولا يثني عليهم ولهم عذاب أليم مؤلم أولئك
الذين اشتروا الضلالة بالهدى في الدنيا والعذاب بالمغفرة في الآخرة بكتمان الحق للمطامع
والأغراض الدنيوية فما أصبرهم على النار تعجب من حالهم في الالتباس بموجبات النار من غير مبالاة
وما تامة بمعنى شيء مرفوعة بالابتداء وتخصيصها كتخصيص قولهم شر أهر ذا ناب أو استفهامية فما
بعدها الخبر أو موصولة وما بعدها صلة والخبر محذوف ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق
أي ذلك العذاب بسبب أن الله تعالى نزل الكتاب بالحق فرفضوه بالتكذيب والكتمان وإن الذين
اختلفوا في الكتاب اللام فيه إما للجنس واختلافهم إيمانهم ببعض كتب الله تعالى وكفرهم ببعض
أو للعهد والإشارة إما إلى التوراة واختلفوا بمعنى تخلفوا عن المنهج المستقيم في تأويلها أو
خلفوا خلاف ما أنزل الله تعالى مكانه أي حرفوا ما فيها وإما إلى القرآن واختلافهم فيه قولهم سحر
وتقول وكلام علمه بشر وأساطير الأولين لفي شقاق بعيد لفي خلاف بعيد عن الحق ليس البر

ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب البر كل فعل مرضي والخطاب لاهل الكتاب فانهم اكثروا
الخوض في امر القبلة حين حولت وادعى كل طائفة ان البر هو التوجه الى قبلته فرد الله تع عليهم
وقال ليس البر ما انتم عليه فانه منسوخ ولكن البر ما بينه واتبعه المؤمنون وقيل عام لهم وللمسلمين اي ليس
البر مقصورا بامر القبلة او ليس البر العظيم الذي يحسن ان تذهلوا بشانه عن غيره امرها ولكن البر
من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين اي ولكن البر الذي ينبغي ان يهتم به بر من
آمن بالله تعالى او ولكن ذا البر من آمن ويؤيده قراءة من قرا ولكن البار والاول اوفق واحسن
والمراد بالكتاب الجنس او القرآن وآتى المال على حبه اي على حب المال كما قال عم لما سئل اي الصدقة
افضل ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تامل العيش وتخشى الفقر وقيل الضمير لله تع او للمصدر والجار
والمجرور في موضع الحال ذوي القربى واليتامى يريد المحاويج منهم ولم يقيد لعدم الالتباس وقدم
ذوي القربى لان ايتاءهم افضل كما قال عم صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذوي رحمك اثنتان صدقة
وصلة والمساكين جمع المسكين وهو الذي اسكنته الخلة واصله دائم السكون كالمسكير لدائم السكر
وابن السبيل المسافر سمي به لملازمته السبيل كما سمي القاطع ابن الطريق وقيل الضيف لان السبيل يعرف به
والسائلين الذين الجاتهم الحاجة الى السؤال وقال عم للسائل حق وان جاء على فرسه وفي الرقاب
وفي تخليصها بمعاونة المكاتبين او فك الاسارى او ابتياع الرقاب لعتقها واقام الصلوة المفروضة
واتى الزكوة يحتمل ان يكون المقصود منه ومن قوله واتى المال الزكوة المفروضة ولكن الغرض من الاول
بيان مصارفها وبالثاني اداؤها والحث عليها ويحتمل ان يكون المراد بالاول نوافل الصدقات
او حقوقا كانت في المال سوى الزكوة وفي الحديث نسخت الزكوة كل صدقة والموفون بعهدهم
اذا عاهدوا عطف على من آمن والصابرين في البأساء والضراء نصبه على المدح ولم يعطف لفضل
الصبر على سائر الاعمال وعن الازهري البأساء في الاموال كالفقر والضراء في الانفس كالمرض وحين
البأس وقت مجاهدة العدو اولئك الذين صدقوا في الدين واتباع الحق وطلب البر واولئك
هم المتقون عن الكفر وسائر الرذائل والآية كما ترى جامعة للكمالات الانسانية باسرها دالة
عليها صريحا او ضمنا فانها بكثرتها وتشعبها منحصرة في ثلثة اشياء صحة الاعتقاد وحسن
المعاشرة وتهذيب النفس وقد اشير الى الاول بقوله من آمن الى والنبيين والى الثاني بقوله

وآتى المال الى وفي الرقاب والى الثالث بقوله واقام الصلوة الى آخرها ولذلك وصف المستجمع لها بالصدق
نظرا الى ايمانه واعتقاده وبالتقوى اعتبارا بمعاشرته للخلق ومعاملته مع الحق واليه اشار
بقوله عم من عمل بهذه الآية فقد استكمل الايمان يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في
القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى كان في الجاهلية بين حيين من احياء العرب
دماء وكان لاحدهما طول على الآخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى
فلما جاء الاسلام تحاكموا الى رسول الله عم فنزلت وامرهم ان يتباوؤا ولا تدل على ان لا يقتل
الحر بالعبد والذكر بالانثى كما لا تدل على عكسه فان المفهوم حيث لم يظهر للتخصيص غرض سوى
اختصاص الحكم وقد بينا ما كان الغرض وانما منع مالك والشافعي رح قتل الحر بالعبد سواء
كان عبده او عبد غيره لما روى علي رض ان رجلا قتل عبده فجلده رسول الله عم ونفاه سنة
ولم يقده به وروي عنه انه قال من السنة ان لا يقتل مسلم بذي عهد ولا حر بعبد ولان ابا بكر
وعمر رض كانا لا يقتلان الحر بالعبد بين اظهر الصحابة من غير نكير وللقياس على الاطراف ومن
سلم دلالته فليس له دعوى نسخه بقوله النفس بالنفس لانه حكاية ما في التورية فلا ينسخ
ما في القرآن واحتجت الحنفية به على ان مقتضى العمد القود وحده وهو ضعيف اذ الواجب على
التخيير يصدق عليه انه وجب وكتب ولذلك قيل التخيير بين الواجب وغيره ليس نسخا
لوجوبه وقرئ كتب على البناء للفاعل والقصاص بالنصب وكذا كل فعل جاء في القرآن
فمن عفي له من اخيه شيء اي شيء من العفو لان عفا لازم وفائدته الاشعار بان بعض العفو كالعفو التام
في اسقاط القصاص وقيل عفي بمعنى ترك وشيء مفعول به وهو ضعيف اذ لم يثبت عفا الشيء
بمعنى تركه بل اعفاه وعفا يعدى بعن الى الجاني والى الذنب قال الله تع عفا الله عنك وقال
عفا الله عنها فاذا عدي به الى الذنب عدي الى الجاني باللام وعليه ما في الآية كانه قيل فمن
عفي له عن جنايته من جهة اخيه يعني ولي الدم وذكره بلفظ الاخوة الثابتة بينهما من الجنسية
والاسلام ليرق له ويعطف عليه فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان اي فليكن اتباع
او فالامر اتباع والمراد به وصية العافي بان يطالب الدية بالمعروف فلا يعنف والمعفو عنه
بان يؤديها بالاحسان وهو ان لا يمطل ولا يبخس وفيه دليل على ان الدية احد مقتضى

انما يعتبر ه

العمد والاشارة بلا مراد انها على مطلق العفو وللشافعي رض في المسئلة قولان ذلك اي
الحكم المذكور في العفو والدية تخفيف من ربكم ورحمة لما فيه من التسهيل والنفع وقيل كتب
على اليهود القصاص وحده وعلى النصارى العفو مطلقا وخير هذه الامة بينهما وبين الدية
تيسيرا عليهم وتقديرا للحكم على حسب مراتبه فمن اعتدى بعد ذلك فقتل بعد العفو واخذ الدية
فله عذاب اليم في الآخرة وقيل في الدنيا بان يقتل لا محالة لقوله عم لا اعافي احدا قتل
بعد اخذه الدية ولكم في القصاص حيوة كلام في غاية الفصاحة والبلاغة من حيث جعل
الشيء محل ضده وعرف القصاص ونكر الحيوة ليدل على ان في هذا الجنس من الحكم نوعا
من الحيوة عظيما وذلك لان العلم به يردع القاتل عن القتل فيكون سبب حيوة نفسين ولانهم
كانوا يقتلون غير القاتل والجماعة بالواحد فتثور الفتنة بينهم فاذا اقتص من القاتل سلم
الباقون ويصير ذلك سببا لحيوتهم وعلى الاول فيه اضمار وعلى الثاني تخصيص وقيل المراد بها
الحيوة الاخروية فان القاتل اذا اقتص منه في الدنيا لم يؤاخذ به في الآخرة ولكم في القصاص
يحتمل ان يكونا خبرين لحيوة وان يكون احدهما خبرا والآخر صلة له او حالا عن الضمير المستكن
فيه وقرئ في القصص اي فيما قص عليكم من حكم القتل حيوة او في القرآن حيوة للقلوب يا اولي
الالباب ذوي العقول الكاملة ناداهم للتأمل في حكمة القصاص من استبقاء الارواح
وحفظ النفوس لعلكم تتقون في المحافظة على القصاص والحكم به والاذعان له او عن القصاص
فتكفوا عن القتل كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت اي حضر اسبابه وظهر اماراته ان ترك
خيرا اي مالا وقيل مالا كثيرا لما روي عن علي رض ان مولى له اراد ان يوصي وله سبعمائة درهم
فمنعه وقال قال الله تع ان ترك خيرا والخير هو المال الكثير وعن عائشة رض ان رجلا اراد ان يوصي
فسألته كم مالك فقال ثلثة آلاف فقالت كم عيالك قال اربعة قالت انما قال الله تع ان ترك
خيرا وان هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك الوصية للوالدين والاقربين مرفوع بكتب
وتذكير فعلها للفصل او على تأويل ان يوصي او الايصاء ولذلك ذكر الراجع في قوله
فمن بدله والعامل في اذا مدلول كتب لا الوصية لتقدمه عليها وقيل مبتدأ خبره للوالدين
والجملة جواب الشرط باضمار الفاء كقوله من يفعل الحسنات الله يشكرها ورد بانه ان صح

فمن ورائه التسمية كان هذا الحكم في بدء الاسلام فنسخ باية المواريث وبقوله عم ان الله اعطى كل
ذي حق حقه الا لا وصية لوارث وفيه نظر لان آية المواريث لا تعارضه بل تؤكده من حيث
انها تدل على تقديم الوصية مطلقا والحديث من الآحاد وتلقي الامة له بالقبول لا يلحقه بالمتواتر
ولعله احترز عنه من فسر الوصية بما اوصى به الله من توريث الوالدين والاقربين بقوله يوصيكم
الله او بايصاء المحتضر لهم بتوفير ما اوصى به الله تعالى عليهم بالمعروف بالعدل فلا يفضل الغني ولا
يتجاوز الثلث حقا على المتقين مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا فمن بدله غيره من الاوصياء والشهود
بعد ما سمعه وصل اليه وتحقق عنده فانما اثمه على الذين يبدلونه فما اثم الايصاء
المغير او التبديل الا على مبدليه لانهم الذين خانوا وخالفوا الشرع ان الله سميع عليم وعيد للمبدل
بغير حق فمن خاف من موص اي توقع وعلم من قولهم اخاف ان ترسل السماء جنفا ميلا بالخطاء
في الوصية او اثما تعمدا للحيف فاصلح بينهم بين الموصى لهم باجرائهم على نهج الشرع فلا اثم عليه
في هذا التبديل لانه تبديل باطل الى حق بخلاف الاول ان الله غفور رحيم وعد للمصلح وذكر
المغفرة لمطابقة ذكر الاثم وكون الفعل من جنس ما يؤثم يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام
كما كتب على الذين من قبلكم يعني الانبياء والامم من لدن آدم وفيه توكيد للحكم وترغيب
على الفعل وتطييب على النفس والصوم في اللغة الامساك عما تنازع اليه النفس وفي الشرع
الامساك عن المفطرات فانها معظم ما تشتهيه الانفس لعلكم تتقون المعاصي فان الصوم يكسر
الشهوة التي مبدؤها كما قال عم فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء او الاخلال بادائها لاصالتها
اياما معدودات موقتات بعدد معلوم او قلائل فان القليل من المال يعد عدا والكثير يهال
هيلا ونصبها ليس بالصيام لوقوع الفصل بينهما بل باضمار صوموا لدلالة الصيام عليه والمراد
بها رمضان او ما وجب صومه قبل وجوبه ونسخ به وهو عاشوراء وثلثة ايام من كل شهر او
بما كتب على الظرفية او على انه مفعول ثان لكتب عليكم على السعة وقيل معناه صومكم كصومهم في
عدد الايام لما روي ان رمضان كتب على النصارى فوقع في برد او حر شديد فحولوه الى الربيع
وزادوا عليه عشرين كفارة لتحويله وقيل زادوا ذلك لموتان اصابهم فمن كان منكم مريضا
مرضا يضره الصوم ويعسر معه او على سفر او راكب سفر وفيه ايماء بان من سافر اثناء اليوم

لم يفطر فعدة من ايام اخر اي فعليه صوم عدة ايام المرض او السفر من ايام اخر ان افطر فحذف الشرط والمضاف
والمضاف اليه للعلم بها وقرئ بالنصب اي فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل على الوجوب
واليه ذهب الظاهرية وبه قال ابو هريرة رضه وعلى الذين يطيقونه وعلى المطيقين للصيام ان
افطروا فدية طعام مسكين نصف صاع من بر او صاع من غيره عند فقهاء العراق ومد عند فقهاء
الحجاز رخص لهم في ذلك اول الامر لما امروا بالصوم فاشتد عليهم لانهم لم يتعودوه ثم نسخ وقرأ
نافع وابن عامر باضافة الفدية الى الطعام وجمع المساكين وقرأ ابن هشام مساكين بغير اضافة
الفدية الى الطعام وجمع المساكين وقرئ يطوقونه اي يكلفونه او يقلدونه من الطوق بمعنى الطاقة
او القلادة ويتطوقونه اي يتكلفونه او يتقلدونه ويطوقونه بالادغام ويطيقونه ويطيقونه
على ان اصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه من فيعل وتفيعل بمعنى يستطيعونه وعلى هذه القراءة يحتمل معنى
ثانيا وهو الرخصة لمن يتعبه الصوم ويجهده وهم الشيوخ والعجائز في الافطار والفدية فيكون
ثابتا وقد اول به القراءة المشهورة اي يصومونه جهدهم وطاقتهم فمن تطوع خيرا فزاد في الفدية
او في التطوع او الخير فهو خير له وان تصوموا ايها المطيقون او المطوقون وجهدتم طاقتكم او المرخصون
في الافطار ليندرج تحته المريض والمسافر خير لكم من الفدية وتطوع الخير او منهما ومن التأخير
للقضاء ان كنتم تعلمون ما في الصوم من الفضيلة وبراءة الذمة وجوابه محذوف دل عليه ما قبله
اي اخترتموه وقيل معناه ان كنتم من اهل العلم والتدبر علمتم ان الصوم خير من ذلك شهر رمضان
مبتدأ خبره ما بعده او خبر مبتدأ محذوف تقديره ذلكم شهر رمضان او بدل من الصيام على حذف
المضاف اي كتب عليكم الصيام صيام شهر رمضان وقرئ بالنصب على اضمار صوموا او على انه مفعول
ان تصوموا وفيه ضعف او بدل من اياما معدودات والرمضان مصدر رمض اذا احترق فاضيف
اليه الشهر وجعل علما ومنع من الصرف للعلمية والالف والنون كما منع داية في ابن داية علما
للغراب للعلمية والتانيث وقوله عم من صام رمضان فعلى حذف المضاف لامن الالتباس
سموه بذلك اما لارتماضهم فيه من حر الجوع والعطش او لارتماض الذنوب فيه او لوقوعه
ايام رمض الحر حيثما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة الذي انزل فيه القرآن اي ابتدأ
فيه انزاله وكان ذلك ليلة القدر او انزل فيه جملة الى سماء الدنيا ثم نزل منجما الى الارض

او انزل في شأنه القرآن وهو قوله كتب عليكم الصيام وعن النبي عم نزلت صحف ابراهيم
اول ليلة من رمضان وانزلت التورية لست مضين والانجيل لثلاث عشرة والزبور في
ثمان عشرة من رمضان والقرآن لاربع وعشرين والموصول بصلته خبر المبتدأ او صفته والخبر
فمن شهد والفاء لوصف المبتدأ بما تضمن معنى الشرط وفيه اشعار بان الانزال فيه سبب اختصاصه
بوجوب الصوم فيه هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان حالان من القرآن اي انزل
وهو هداية للناس باعجازه وآيات واضحات مما يهدي الى الحق ويفرق بينه وبين
الباطل بما فيه من الحكم والاحكام فمن شهد منكم الشهر فليصمه فمن حضر في الشهر ولم يكن
مسافرا فليصم فيه والاصل فمن شهد فيه فليصم فيه لكن وضع المظهر موضع المضمر الاول للتعظيم
ونصب على الظرف وحذف الجار ونصب الضمير الثاني على الاتساع وقيل فمن شهد منكم هلال
الشهر فليصمه على انه مفعول به كقولك شهدت الجمعة اي صلوتها فيكون ومن كان مريضا او على
سفر فعدة من ايام اخر مخصصا له لان المسافر والمريض ممن شهد الشهر ولعل تكريره لذلك او لئلا
يتوهم نسخه كما نسخ قرينه يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر اي يريد ان ييسر عليكم ولا يعسر
فلذلك اباح الفطر للسفر والمرض ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون
علل لفعل محذوف دل عليه ما سبق اي وشرع جملة ما ذكر من امر الشاهد بصوم الشهر والمرخص
بالقضاء ومراعاة عدة ما افطر فيه والترخيص لتكملوا العدة الى آخرها على سبيل اللف
فان قوله ولتكملوا علة الامر بمراعاة العدد ولتكبروا الله علة الامر بالقضاء وبيان كيفيته
ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير او لافعال كل لفعله او معطوف على علة مقدرة
مثل ليسهل عليكم او لتعلموا ما تعلمون ولتكملوا ويجوز ان يعطف على اليسر اي ويريد بكم لتكملوا
كقوله تعالى يريدون ليطفؤا نور الله والمعنى بالتكبير تعظيم الله بالحمد والثناء عليه ولذلك
عداه بعلى وقيل تكبير يوم الفطر وقيل التكبير عند الاهلال وما يحتمل المصدر والخبر اي الذي
هديكم اليه وعن عاصم ولتكملوا بالتشديد واذا سألك عبادي عني فاني قريب اي فقل لهم
اني قريب وهو تمثيل لكمال علمه بافعال العباد واقوالهم واطلاعه على احوالهم بحال من قرب مكانه
منهم روي ان اعرابيا قال لرسول الله عم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت

أجيب دعوة الداع إذا دعان تقرير للقرب ووعد للداعي بالإجابة فليستجيبوا لي إذا دعوتهم
للإيمان والطاعة كما أجيبهم إذا دعوني لمهماتهم وليؤمنوا بي أمر بالثبات والمداومة عليه
لعلهم يرشدون راجين إصابة الرشد وهو إصابة الحق وقرئ بفتح الشين وكسرها واعلم أنه تعالى
لما أمرهم بصوم الشهر ومراعاة العدة وحثهم على القيام بوظائف التكبير والشكر عقبه بهذه الآية
الدالة على أنه خبير بأحوالهم سميع لأقوالهم مجيب لدعائهم مجازيهم على أعمالهم تأكيداً له وحثاً
عليه ثم بين أحكام الصوم فقال أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم روي أن المسلمين كانوا
إذا أمسوا حل لهم الأكل والشرب والجماع إلى أن يصلوا العشاء الآخرة أو يرقدوا وأن عمر رضه
باشر بعد العشاء فندم وأتى النبي عم واعتذر إليه فقام رجال واعترفوا بما صنعوا بعد العشاء
فنزلت وليلة الصيام الليلة التي يصبح منها صائماً والرفث كناية عن الجماع لأنه لا يكاد
يخلو من رفث وهو الإفصاح بما يجب أن يكنى عنه وعدي بإلى لتضمنه معنى الإفضاء وإيثاره
ههنا لتقبيح ما ارتكبوه ولذلك سماه خيانة وقرئ الرفوث هن لباس لكم وأنتم لباس لهن
استئناف يبين سبب الإحلال وهو قلة الصبر عنهن وصعوبة اجتنابهن لكثرة المخالطة
وشدة الملابسة ولما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كل واحد منهما على صاحبه شبه
باللباس قال الجعدي إذا ما الضجيع ثنى جيدها تثنت فكانت عليه لباسا أو لأن كل واحد منهما
يستر حال صاحبه ويمنعه من الفجور علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم تظلمونها بتعريضها للعقاب
وتنقيص حظها من الثواب والاختيان أبلغ من الخيانة كالاكتساب من الكسب فتاب عليكم لما تبتم
مما اقترفتموه وعفا عنكم ومحا عنكم أثره فالآن باشروهن لما نسخ عنكم التحريم وفيه دليل
على جواز نسخ السنة بالقرآن والمباشرة إلزاق البشرة بالبشرة كني به عن الجماع وابتغوا
ما كتب الله لكم واطلبوا ما قدره لكم وأثبته في اللوح من الولد والمعنى أن المباشر ينبغي أن يكون
غرضه الولد فإنه الحكمة من خلق الشهوة وشرع النكاح لا قضاء الوطر وقيل النهي عن
العزل وقيل عن غير المأتى والتقدير وابتغوا المحل الذي كتبه الله لكم وكلوا واشربوا حتى
يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر شبه أول ما يبدو من الفجر المعترض في الأفق
وما يمتد معه من غبش الليل بخيطين أبيض وأسود واكتفى ببيان الخيط الأبيض بقوله من الفجر

عن بيان الخيط الأسود لدلالته عليه وبذلك خرجا عن الاستعارة إلى التمثيل ويجوز أن تكون
من للتبعيض فإن ما يبدو بعض الفجر وما روي أنها نزلت ولم ينزل من الفجر فعمد رجال إلى خيطين
أبيض وأسود ولا يزالون يأكلون ويشربون حتى يتبينا لهم فنزلت إن صح فلعله كان
قبل دخول رمضان وتأخير البيان إلى وقت الحاجة جائز أو اكتفى أولاً باشتهارهما في ذلك
ثم صرح بالبيان لما التبس على بعضهم وفي تجويز المباشرة إلى الصبح الدلالة على جواز تأخير
الغسل إليه وصحة صوم المصبح جنباً ثم أتموا الصيام إلى الليل بيان آخر وقته وإخراج
الليل عنه ونفي صوم الوصال ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد معتكفون فيها والاعتكاف
هو اللبث في المسجد بقصد القربة والمراد بالمباشرة الوطء وعن قتادة كان الرجل يعتكف
فيخرج إلى امرأته فيباشرها ثم يرجع فنهوا عن ذلك وفيه دليل على أن الاعتكاف يكون في المسجد
ولا يختص بمسجد دون مسجد وأن الوطء يحرم فيه ويفسده لأن النهي في العبادات يوجب الفساد
تلك حدود الله أي الأحكام التي ذكرت فلا تقربوها نهى أن يقرب الحد الحاجز بين الحق والباطل
لئلا يداني الباطل فضلاً أن يتخطى كما قال عم إن لكل ملك حمى وإن حمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى
يوشك أن يقع فيه وهو أبلغ من قوله فلا تعتدوها ويجوز أن يريد بحدود الله محارمه ومناهيه
كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون مخالفة الأوامر والنواهي ولا تأكلوا
أموالكم بينكم بالباطل أي ولا يأكل بعضكم مال بعض بالوجه الذي لم يبحه الله تع وبين نصب على الظرف
أو الحال من الأموال وتدلوا بها إلى الحكام عطف على المنهي أو نصب بإضمار أن والإدلاء الإلقاء
أي ولا تلقوا حكومتها إلى الحكام لتأكلوا بالتحاكم فريقاً طائفة من أموال الناس بالإثم بما يوجب
إثماً كشهادة الزور واليمين الكاذبة أو ملتبسين بالإثم وأنتم تعلمون أنكم مبطلون فإن ارتكاب
المعصية مع العلم بها أقبح روي أن عبدان الحضرمي ادعى على امرئ القيس الكندي قطعة أرض
ولم يكن له بينة فحكم رسول الله عم بأن يحلف امرؤ القيس فهم به فقرأ رسول الله عم إن الذين
يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً فارتدع عن اليمين وسلم الأرض إلى عبدان فنزلت وهي
دليل على أن حكم القاضي لا ينفذ باطناً ويؤيده قوله عم إنما أنا بشر وأنتم تختصمون إلي
ولعل بعضكم يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق أخيه

فإنما أقضي له قطعة من النار يسألونك عن الأهلة سأله معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم
فقالا ما بال الهلال يبدو دقيقاً كالخيط ثم يزيد حتى يستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما
بدا قل هي مواقيت للناس والحج إنهم سألوا عن الحكمة في اختلاف حال القمر وتبدل أمره فأمره
أن يجيب بأن الحكمة الظاهرة في ذلك أن تكون معالم للناس يوقتون بها أمورهم ومعالم للعبادات
المؤقتة تعرف بها أوقاتها وخصوصاً الحج فإن الوقت مراعى فيه أداء وقضاء والمواقيت جمع ميقات
من الوقت والفرق بينه وبين المدة والزمان أن المدة المطلقة امتداد حركة الفلك من مبدئها
إلى منتهاها والزمان مدة مقسومة والوقت الزمان المفروض لأمر وليس البر بأن تأتوا البيوت
من ظهورها ولكن البر من اتقى كانت الأنصار إذا أحرموا لم يدخلوا داراً ولا فسطاطاً من بابه
وإنما يدخلون ويخرجون من نقب أو فرجة وراءه ويعدون ذلك براً فبين لهم أنه ليس ببر
وإنما البر بر من اتقى المحارم والشهوات ووجه اتصاله بما قبله أنهم سألوا عن الأمرين أو أنه لما ذكر
أنها مواقيت الحج وهذا أيضاً من أفعالهم في الحج ذكره للاستطراد أو أنهم لما سألوا عما لا يعنيهم
ولا يتعلق بعلم النبوة وتركوا السؤال عما يعنيهم ويختص بعلم النبوة عقب بذكره جواب ما سألوا
تنبيهاً على أن اللائق بهم أن يسألوا أمثال ذلك ويهتموا بالعلم بها أو أن المراد به التنبيه على
تعكيسهم السؤال وتمثيلهم بحال من ترك باب البيت ودخل من ورائه والمعنى وليس البر بأن تعكسوا
في مسائلكم ولكن البر من اتقى ذلك ولم يجسر على مثله وأتوا البيوت من أبوابها إذ ليس في العدول
بر فباشروا الأمور من وجوهها واتقوا الله في تغيير أحكامه والاعتراض على أفعاله لعلكم
تفلحون لكي تظفروا بالهدى والبر وقاتلوا في سبيل الله جاهدوا لإعلاء كلمته وإعزاز دينه
الذين يقاتلونكم قيل كان ذلك قبل أن أمروا بقتال المشركين كافة المقاتلين منهم والمحاجزين
وقيل معناه الذين يناصبونكم القتال ويتوقع منهم ذلك دون غيرهم من المشايخ والصبيان
والرهابنة والنساء أو الكفرة كلهم فإنهم بصدد قتال المسلمين وعلى قصده ويؤيد الأول
ما روي أن المشركين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وصالحوه على أن يرجع
من قابل فيخلوا له مكة ثلاثة أيام فرجع لعمرة القضاء وخاف المسلمون أن لا يفوا لهم
ويقاتلوهم في الحرم والشهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت ولا تعتدوا بابتداء القتال أو بقتال

المعاهد والمفاجأة به من غير دعوة أو المثلة أو قتل من نهيتم عن قتله إن الله لا يحب المعتدين
لا يريد بهم الخير واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث وجدتموهم في حل أو حرم وأصل الثقف الحذق
في إدراك الشيء علماً كان أو عملاً وهو يتضمن معنى الغلبة ولذلك استعمل فيها قال فإما تثقفوني
فاقتلوني فمن أثقف فليس إلى خلود وأخرجوهم من حيث أخرجوكم أي مكة وقد فعل ذلك بمن لم يسلم
يوم الفتح والفتنة أشد من القتل أي المحنة التي يفتتن بها الإنسان كالإخراج من الوطن أصعب
من القتل لدوام تعبها وتألم النفس بها وقيل معناه شركهم في الحرم وصدهم إياكم عنه أشد من
قتلكم إياهم فيه ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه أي لا تفاتحوهم بالقتال
وهتك حرمة المسجد الحرام فإن قاتلوكم فاقتلوهم فلا تبالوا بقتالهم ثم فإنهم الذين هتكوا حرمته
وقرأ حمزة والكسائي ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فإن قتلوكم والمعنى حتى يقتلوا بعضكم كقولهم
قتلنا بنو أسد كذلك جزاء الكافرين مثل ذلك جزاؤهم يفعل بهم مثل ما فعلوا فإن انتهوا عن القتال
والكفر فإن الله غفور رحيم يغفر لهم ما قد سلف وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة شرك ويكون الدين
لله خالصاً له ليس للشيطان فيه نصيب فإن انتهوا عن الشرك فلا عدوان إلا على الظالمين
أي فلا تعتدوا على المنتهين إذ لا يحسن أن يظلم إلا من ظلم فوضع العلة موضع الحكم وسمي جزاء
الظلم باسمه للمشاكلة كقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه أو أنكم إن تعرضتم للمنتهين صرتم
ظالمين وينعكس الأمر عليكم والفاء الأولى للتعقيب والثانية للجزاء الشهر الحرام بالشهر الحرام قاتلهم
المشركون عام الحديبية في ذي القعدة واتفق خروجهم لعمرة القضاء فيه وكرهوا أن يقاتلوهم
لحرمته فقيل لهم هذا الشهر بذاك وهتكه بهتكه فلا تبالوا به والحرمات قصاص احتجاج عليه أي كل حرمة
وهو ما يجب أن يحافظ عليها يجري فيه القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد فافعلوا بهم مثله
وادخلوا عليهم عنوة واقتلوهم إن قاتلوكم كما قال فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل
ما اعتدى عليكم وهو فذلكة التقرير واتقوا الله في الانتصار فلا تعتدوا إلى ما لم يرخص لكم
واعلموا أن الله مع المتقين فيحرسهم ويصلح شأنهم وأنفقوا في سبيل الله ولا تمسكوا كل الإمساك
ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة بالإسراف وتضييع وجه المعاش أو بالكف عن الغزو والإنفاق
فيه فإن ذلك يقوي العدو ويسلطهم على إهلاككم ويؤيده ما روي عن أبي أيوب الأنصاري

انه قال لما اعز الله الاسلام وكثر اهله رجعنا الى اهالينا واموالنا نقيم فيها ونصلحها فنزلت
او بالامساك وحب المال فانه يؤدي الى الهلاك المؤبد ولذلك سمي البخل هلاكا وهو في الاصل
انتهاء الشيء في الفساد والالقاء طرح الشيء وعدي بالى لتضمنه معنى الانتهاء والباء مزيدة والمراد
بالايدي الانفس والتهلكة والهلاك والهلك واحد فهي مصدر كالتضرة والتسرة اي لا توقعوا
انفسكم في الهلاك وقيل معناه لا تجعلوها آخذة بايديكم او لا تلقوا بايديكم انفسكم اليها
فحذف المفعول واحسنوا اعمالكم واخلاقكم او تفضلوا على المحاويج ان الله يحب المحسنين واتموا الحج
والعمرة لله ائتوا بهما تامين مستجمعي المناسك لوجه الله تعالى وهو على هذا يدل على وجوبهما ويؤيده
قراءة من قرأ واقيموا الحج والعمرة وما روى جابر انه قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج فقال
لا ولكن ان تعتمر خير لك فمعارض بما روي ان رجلا قال لعمر رضه اني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي
اهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك ولا يقال انه فسر وجدتهما مكتوبين بقوله اهللت
بهما فجاز ان يكون الوجوب بسبب اهلاله بهما لانه رتب الاهلال على الوجدان وذلك يدل على انه
سبب الاهلال وقيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك او ان تفرد لكل منهما سفرا او ان تجرده
لهما لا تشوبهما بغرض دنيوي او ان تكون النفقة حلالا فان احصرتم منعتم يقال حصره العدو
واحصره اذا حبسه ومنعه من المضي مثل صده واصده والمراد حصر العدو عند مالك والشافعي
لقوله تع فاذا امنتم ولنزوله في الحديبية ولقول ابن عباس رضه لا حصر الا حصر العدو
وكل منع من عدو او مرض او غيرهما عند ابي حنيفة رح لما روي عنه من كسر او عرج فعليه الحج
من قابل وهو ضعيف مؤول بما اذا شرط الاحلال به لقوله لضباعة بنت الزبير حجي واشترطي
وقولي اللهم محلي حيث حبستني فما استيسر من الهدي فعليكم ما استيسر او فالواجب ما استيسر
فاهدوا ما استيسر والمعنى ان احصر المحرم واراد ان يتحلل تحلل بذبح هدي تيسر عليه من بدنة
او بقرة او شاة حيث احصر عند الاكثر لانه عم ذبح عام الحديبية بها وهي من الحل وعند ابي حنيفة
يبعث ويجعل للمبعوث يوم امارة فاذا جاء اليوم وظن انه ذبح تحلل لقوله ولا تحلقوا رؤوسكم
حتى يبلغ الهدي محله اي لا تحلوا حتى تعلموا ان الهدي المبعوث الى الحرم بلغ محله اي مكانه
الذي يجب ان ينحر فيه وحمل الاولون بلوغ الهدي محله على ذبحه حيث يحل ذبحه فيه حلا

كان او حرما واقتصاره على الهدي دليل على عدم القضاء وقال ابو حنيفة رح يجب القضاء
والمحل بالكسر يطلق للمكان والزمان والهدي جمع هدية كجدي وجدية وقرئ من الهدي جمع
هدية كمطي في مطية فمن كان منكم مريضا مرضا يحوجه الى الحلق او به اذى من راسه كجراحة
وقمل فهدية فعليه فدية ان حلق من صيام او صدقة او نسك بيان لجنس الفدية واما قدرها
فقد روي انه عم قال لكعب بن عجرة لعلك آذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق
وصم ثلثة ايام او تصدق بفرق على ستة مساكين او انسك شاة والفرق ثلثة آصع
فاذا امنتم الاحصار او كنتم في حال امن وسعة فمن تمتع بالعمرة الى الحج فمن استمتع وانتفع بالتقرب
الى الله بالعمرة قبل الانتفاع بتقربه بالحج في اشهره وقيل فمن استمتع بعد التحلل من عمرته باستباحة
محظورات الاحرام الى ان يحرم بالحج فما استيسر من الهدي فعليه دم استيسره بسبب التمتع فهو دم جبر
ان يذبحه اذا احرم بالحج ولا يأكل منه وقال ابو حنيفة رح انه دم نسك فهو كالاضحية
فمن لم يجد اي الهدي فصيام ثلثة ايام في الحج في ايام الاشتغال به بعد الاحرام وقبل التحلل
وقال ابو حنيفة رح في اشهره بين الاحرامين والاحب ان يصوم سابع ذي الحجة وثامنه و
تاسعه ولا يجوز يوم النحر وايام التشريق عند الاكثر وسبعة اذا رجعتم الى اهليكم وهو
احد قولي الشافعي رح او نفرتم وفرغتم من اعماله وهو قوله الثاني ومذهب ابي حنيفة رض
وقرئ سبعة بالنصب تلك عشرة فذلكة الحساب وفائدتها ان لا يتوهم ان الواو بمعنى او كقولك
جالس الحسن وابن سيرين وان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا فان اكثر العرب لم يحسنوا الحساب
وان المراد بالسبعة هو العدد دون الكثرة فانه يطلق لهما كاملة صفة مؤكدة تفيد المبالغة
في محافظة العدد او مبينة كمال العشرة فانه اول عدد كامل اذ به تنتهي الآحاد وتتم مراتبها
او مقيدة تفيد كمال بدليتها من الهدي ذلك اشارة الى الحكم المذكور عندنا والتمتع عند ابي حنيفة
اذ لا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام عنده فمن فعل ذلك منهم فعليه دم جناية لمن لم يكن
اهله حاضري المسجد الحرام وهو من كان من الحرم على مسافة القصر عندنا فان من كان على اقل
فهو مقيم الحرم او في حكمه ومن مسكنه وراء الميقات عنده واهل الحل عند طاوس وغير المكي
عند مالك واتقوا الله في المحافظة على اوامره ونواهيه وخصوصا في الحج واعلموا ان الله

شديد العقاب لمن لم يتقه كي يصدكم العلم به عن العصيان الحج اشهر اي وقته كقولك البرد شهران
معلومات معروفات وهي شوال وذو القعدة وتسع ذي الحجة بليلة النحر عندنا والعشر عند
ابي حنيفة رحمه الله وذو الحجة كله عند مالك وبناء الخلاف على ان المراد بوقته وقت احرامه او
وقت اعماله ومناسكه او ما لا يحسن فيه غيره من المناسك مطلقا فان مالكا كره العمرة في بقية
ذي الحجة وابو حنيفة وان صحح الاحرام به قبل شوال فقد استكرهه وانما سمي شهرين وبعض الشهر
اشهرا اقامة للبعض مقام الكل او اطلاقا للجمع على ما فوق الواحد فمن فرض فيهن الحج فمن اوجبه
على نفسه بالاحرام فيهن عندنا او بالتلبية او سوق الهدي عند ابي حنيفة رحمه الله وهو دليل
على ما ذهب اليه الشافعي رحمه الله وان من احرم بالحج لزمه الاتمام فلا رفث فلا جماع او فلا فحش
من الكلام ولا فسوق ولا خروج عن حدود الشرع بالسباب وارتكاب المحظورات ولا جدال
ولا مراء مع الخدم والرفقة في الحج في ايامه نفي الثلث على قصد النهي للمبالغة والدلالة على
انها حقيقة بان لا تكون وما كانت منها مستقبحة في انفسها ففي الحج اقبح كلبس الحرير في الصلوة
والتطريب بقراءة القرآن لانه خروج عن مقتضى الطبع والعادة الى محض العبادة وقرأ ابن كثير
وابو عمرو الاولين بالرفع على معنى لا يكونن رفث ولا فسوق والثالث بالفتح على معنى الاخبار
بانتفاء الخلاف في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام فارتفع
الخلاف بان امروا بان يقفوا ايضا بعرفة وما تفعلوا من خير يعلمه الله حث على الخير عقيب النهي
عن الشر ليستبدل به ويستعمل مكانه وتزودوا فان خير الزاد التقوى وتزودوا لمعادكم التقوى
فانه خير زاد وقيل نزلت في اهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن متوكلون فيكونون
كلا على الناس فامروا ان يتزودوا ويتقوا الابرام في السؤال والتثقيل على الناس واتقون
يا اولي الالباب فان قضية اللب خشية الله وتقواه حثهم على التقوى ثم امرهم بان يكون المقصود
بها هو الله فيتبرأ عن كل شيء سواه وهو مقتضى العقل المعرى عن شوائب الهوى فلذلك خص اولي
الالباب بهذا الخطاب ليس عليكم جناح ان تبتغوا في ان تبتغوا اي تطلبوا فضلا من ربكم عطاء ورزقا
منه يريد الربح بالتجارة وقيل كان عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يقيمونها
مواسم الحج وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تأثموا منه فنزلت فاذا افضتم من عرفات دفعتم

منها بكثرة من افضت الماء اذا صببته بكثرة واصله افضتم انفسكم فحذف المفعول كما حذف
في دفعت من البصرة وعرفات جمع سمي به كاذرعات وانما نون وكسر وفيه العلمية والتأنيث
لان تنوين الجمع تنوين المقابلة لا تنوين التمكن ولذلك يجمع مع اللام وذهاب الكسرة تبع ذهاب
التنوين من غير عوض لعدم الصرف وهنا ليس كذلك او لان التأنيث اما ان يكون بالتاء المذكورة
وهي ليست تاء التأنيث وانما هي مع الالف التي قبلها علامة جمع المؤنث او بتاء مقدرة كما في
سعاد ولا يصح تقديرها لان المذكورة تمنعه من حيث انها كالبدل لها لاختصاصها بالمؤنث
كتاء بنت وانما سمي الموقف عرفة لانه نعت لابرهيم عم فلما ابصره عرفه او لان جبريل
كان يدور به في المشاعر فلما اراه قال قد عرفت او لان آدم وحواء التقيا فيه فتعارفا
او لان الناس يتعارفون فيه وعرفات للمبالغة في ذلك وهي من الاسماء المرتجلة الا ان يجعل جمع عارف
وفيه دليل وجوب الوقوف بها لان الافاضة لا تكون الا بعده وهي مأمور بها بقوله ثم افيضوا
او مقدمة للذكر المأمور به وفيه نظر اذ الذكر غير واجب بل مستحب وعلى تقدير انه واجب فهو
واجب مقيد لا واجب مطلق حتى يجب مقدمته فاذكروا الله بالتلبية والتهليل والدعاء وقيل
بصلوة العشائين عند المشعر الحرام جبل يقف عليه الامام ويسمى قزح وقيل ما بين مأزمي عرفة
ووادي محسر ويؤيد الاول ما روى جابر انه عم لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته
حتى اتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر وانما سمي مشعرا لانه معلم
العبادة ووصف بالحرام لحرمته ومعنى عند المشعر الحرام مما يليه ويقرب منه فانه افضل
والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر واذكروه كما هداكم كما علمكم او اذكروه ذكرا حسنا
كما هداكم هداية حسنة الى المناسك وغيرها وما مصدرية او كافة وان كنتم من قبله اي الهدى
لمن الضالين الجاهلين بالايمان والطاعة وان هي المخففة واللام هي الفارقة وقيل ان نافية واللام
بمعنى الا كقوله تعالى وان نظنك لمن الكاذبين ثم افيضوا من حيث افاض الناس اي من عرفة لا من المزدلفة
والخطاب مع قريش كانوا يقفون بجمع وسائر الناس بعرفة ويرون ذلك ترفعا عليهم فامروا
بان يساووهم وثم لتفاوت ما بين الافاضتين كما في احسن الى الناس ثم لا تحسن الى غير كريم وقيل
من مزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفة اليها والخطاب عام وقرئ الناس بالكسر اي الناسي

يريد آدم من قوله تع فنسي والمعنى ان الافاضة من عرفة شرع قديم فلا تغيروه واستغفروا
الله من جاهليتكم في تغيير المناسك ونحوه ان الله غفور رحيم يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه فاذا
قضيتم مناسككم فاذا قضيتم العبادات الحجية وفرغتم منها فاذكروا الله كذكركم اباءكم فاكثروا
ذكره وبالغوا فيه كما تفعلون بذكر اباءكم في المفاخرة وكانت العرب اذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى
بين المسجد والجبل فيذكرون مفاخر آبائهم ومحاسن ايامهم او اشد ذكرا اما مجرور معطوف على الذكر
بجعل الذكر ذاكرا على المجاز والمعنى فاذكروا الله ذكرا كذكركم اباءكم او كذكر اشد منه وابلغ
او على ما اضيف اليه على ضعف بمعنى او كذكر قوم اشد منكم ذكرا واما منصوب بالعطف على اباءكم
وذكرا من فعل المذكور بمعنى او كذكركم اشد مذكورية من اباءكم او بمضمر دل عليه المعنى تقديره او كونوا
اشد ذكرا لله منكم لاباءكم فمن الناس من يقول تفصيل للذاكرين الى مقل لا يطلب بذكر الله الا الدنيا
ومكثر يطلب به خير الدارين والمراد به الحث على الاكثار والارشاد اليه ربنا اتنا في الدنيا
اجعل ايتاءنا ومنحتنا في الدنيا وما له في الاخرة من خلاق اي نصيب وحظ لان همه مقصور بالدنيا
او من طلب خلاق ومنهم من يقول ربنا اتنا في الدنيا حسنة يعني الصحة والكفاف وتوفيق الخير
وفي الاخرة حسنة يعني الثواب والرحمة وقنا عذاب النار بالعفو والمغفرة وقول علي رض الحسنة
في الدنيا المرأة الصالحة وفي الاخرة الحوراء وعذاب النار امرأة السوء وقول الحسن رضي الله عنه
الحسنة في الدنيا العلم والعبادة وفي الاخرة الجنة وقنا عذاب النار معناه احفظنا من
الشهوات والذنوب المؤدية الى النار امثلة للمراد بها اولئك اشارة الى الفريق الثاني
وقيل اليهما لهم نصيب مما كسبوا اي من جنسه وهو جزاؤه او من اجله كقوله تع مما خطيئاتهم
اغرقوا فادخلوا او مما دعوا به نعطيهم منه ما قدرناه فيسمى الدعاء كسبا لانه من الاعمال والله
سريع الحساب يحاسب العباد على كثرتهم وكثرة اعمالهم في مقدار لمحة او يوشك ان يقيم القيمة
ويحاسب الناس فبادروا الى الطاعات واكتساب الحسنات واذكروا الله في ايام معدودات
كبروه في ادبار الصلوات وعند ذبح القرابين ورمي الجمار وغيرها في ايام التشريق فمن تعجل فمن
استعجل النفر في يومين يوم القر والذي بعده اي فمن نفر في ثاني ايام التشريق بعد رمي الجمار
عندنا وقبل طلوع الفجر عنده فلا اثم عليه باستعجاله ومن تاخر فلا اثم عليه فمن تاخر في النفر

حتى رمى اليوم الثالث بعد الزوال وقال ابو حنيفة يجوز تقديم رميه على الزوال ومعنى
نفي الاثم بالتعجل والتأخر التخيير بينهما والرد على اهل الجاهلية فان منهم من اثم المتعجل ومنهم من
اثم المتأخر لمن اتقى اي الذي ذكر من التخيير او الاحكام لمن اتقى لانه الحاج على الحقيقة والمنتفع به او لاجل
حتى لا يتضرر بترك ما يهمه منهما واتقوا الله في مجامع اموركم ليعبأ بكم واعلموا انكم اليه تحشرون
للجزاء بعد الاحياء واصل الحشر الجمع وضم المتفرق ومن الناس من يعجبك قوله يروقك ويعظم في نفسك
والتعجب حيرة تعرض للانسان لجهله بسبب المتعجب منه في الحيوة الدنيا متعلق بالقول اي ما يقوله في
امور الدنيا واسباب المعاش او في معنى الدنيا فانها مراده من ادعاء المحبة واظهار الايمان او بيعجبك
اي يعجبك قوله في الدنيا حلاوة وفصاحة ولا يعجبك في الاخرة لما يعتريه من الدهشة والحبسة
او لانه لا يؤذن له في الكلام ويشهد الله على ما في قلبه يحلف ويستشهد الله على ان ما في
قلبه موافق لكلامه وهو الد الخصام شديد العداوة والجدال للمسلمين والخصام المخاصمة ويجوز
ان يكون جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى اشد الخصوم خصومة قيل نزلت في الاخنس بن شريق
الثقفي وكان حسن المنظر حلو المنطق يوالي رسول الله ص ويدعي الاسلام وقيل في المنافقين
كلهم واذا تولى ادبر وانصرف عنك وقيل اذا غلب وصار واليا سعى في الارض ليفسد فيها
ويهلك الحرث والنسل كما فعله الاخنس بثقيف اذ بيتهم واحرق زروعهم واهلك مواشيهم او كما
يفعله ولاة السوء بالقتل والاتلاف او بالظلم حتى يمنع الله تع بشومه المطر فيهلك الحرث
والنسل والله لا يحب الفساد لا يرتضيه فاحذروا غضبه عليه واذا قيل له اتق الله اخذته العزة
بالاثم حملته الانفة وحمية الجاهلية على الاثم الذي يؤمر باتقائه لجاجا من قولك اخذته بكذا
اذا حملته عليه والزمته اياه فحسبه جهنم كفته جزاء وعذابا وجهنم علم لدار العقاب وهو في
الاصل مرادف للنار وقيل معرب ولبئس المهاد جواب قسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف
للعلم به والمهاد الفراش وقيل ما يوطأ للجنب ومن الناس من يشري نفسه يبيعها اي يبذلها في الجهاد
او يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل ابتغاء مرضات الله طلبا لرضاه وقيل انها نزلت
في صهيب بن سنان الرومي اخذه المشركون وعذبوه ليرتد فقال اني شيخ كبير لا ينفعكم ان كنت معكم
ولا يضركم ان كنت عليكم فخلوني وما انا عليه وخذوا مالي فقبلوه منه واتى المدينة والله رؤف

بالعباد حيث ارشدهم الى مثل هذا الشراء وكلفهم بالجهاد فعرضهم لثواب الغزاة والشهداء يا ايها
الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة السلم بالفتح والكسر الاستسلام والطاعة ولذلك يطلق
في الصلح والسلم فتحه ابن كثير ونافع والكسائي وكسره الباقون وكافة اسم للجملة لانها تكف الاجزاء من التفرق
حال من الضمير او السلم لانها تؤنث كالحرب قال السلم تاخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها
جرع والمعنى استسلموا لله تع واطيعوه جملة ظاهرا وباطنا والخطاب للمنافقين او ادخلوا في الاسلام
بكليته ولا تخلطوا به غيره والخطاب لمؤمني اهل الكتاب فانهم بعد اسلامهم عظموا السبت وحرموا
الابل والبانها او في شرايع الله كلها بالايمان بالانبياء والكتب جميعا والخطاب لاهل الكتاب
او في شعب الاسلام واحكامه كلها فلا تخلوا بشيء والخطاب للمسلمين ولا تتبعوا خطوات الشيطان
بالتفرق والتفريق انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة فان زللتم عن الدخول في السلم من بعد ما جاءتكم البينات
الايات والحجج الشاهدة على انه الحق فاعلموا ان الله عزيز لا يعجزه الانتقام حكيم لا ينتقم الا بالحق هل
ينظرون استفهام في معنى النفي ولذلك جاء بعده الا ان يأتيهم الله اي يأتيهم امره او بأسه كقوله تع
او يأتي امر ربك فجاءهم بأسنا بياتا او يأتيهم الله ببأسه فحذف المأتي به للدلالة عليه بقوله
ان الله عزيز حكيم في ظلل جمع ظلة كقلة وقلل وهي ما اظلك وقرئ ظلال كقلال من الغمام السحاب
الابيض وانما يأتيهم العذاب فيه لانه مظنة الرحمة فاذا جاء منه العذاب كان افظع لان الشر
اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اصعب فكيف اذا جاء من حيث يحتسب الخير والملائكة فانهم الواسطة
في اتيان امره او الآتون على الحقيقة ببأسه وقرئ بالجر عطفا على ظلل او الغمام وقضي الامر اتم امر
اهلاكهم وفرغ منه وضع الماضي موضع المستقبل لدنوه وتيقن وقوعه وقرئ وقضاء الامر عطفا
على الملائكة والى الله ترجع الامور قرأه ابن كثير ونافع وابو عمرو وعاصم على انه من الرجع وقرأ
الباقون على البناء للفاعل بالتانيث غير يعقوب على انه من الرجوع وقرئ ايضا بالتذكير وبناء
المفعول سل بني اسرائيل امر للرسول او لكل احد والمراد بهذا السؤال تقريعهم كم آتيناهم من
آية بينة معجزة ظاهرة او آية في الكتب شاهدة على الحق والصواب على ايدي الانبياء وكم
خبرية او استفهامية مقررة ومحلها النصب على المفعولية او الرفع بالابتداء على حذف العائد
من الخبر وآية مميزها ومن للفصل ومن يبدل نعمة الله اي آية الله بعد معرفتها اياها فانها سبب

الهدى الذي هو اجل النعم بجعلها سبب الضلالة وازدياد الرجس او بالتحريف والتأويل
الزائغ من بعد ما جاءته بعد ما وصلت اليه وتمكن من معرفتها وفيه تعريض بانهم بدلوها بعد ما
عقلوها ولذلك قيل تقديره فبدلوها ومن يبدل فان الله شديد العقاب فيعاقبه اشد عقوبة
لانه ارتكب اشد جريمة زين للذين كفروا الحيوة الدنيا حسنت في اعينهم واشربت محبتها
في قلوبهم حتى تهالكوا عليها واعرضوا عن غيرها والمزين على الحقيقة هو الله تع اذ ما من شيء
الا وهو فاعله ويدل عليه قراءة زين على البناء للفاعل وكل من الشيطان والقوة الحيوانية
وما خلق الله تع من الامور البهية والاشياء الشهية مزين بالعرض ويسخرون من الذين امنوا
يريد فقراء المؤمنين كبلال وعمار وصهيب رض اي يسترذلونهم ويستهزؤن بهم على رفضهم
الدنيا واقبالهم على العقبى ومن للابتداء كانهم جعلوا السخرية مبتدأة منهم والذين اتقوا
فوقهم يوم القيمة لانهم في عليين وهم في اسفل السافلين او لانهم في كرامة وهم في مذلة او لانهم
يتطاولون عليهم فيسخرون منهم كما سخروا منهم في الدنيا وانما قال والذين اتقوا بعد قوله من
الذين امنوا ليدل على انهم متقون وان استعلاءهم للتقوى والله يرزق من يشاء في الدارين
بغير حساب بغير تقدير فيوسع في الدنيا استدراجا تارة وابتلاء اخرى كان الناس امة واحدة
متفقين على الحق فيما بين آدم وادريس ونوح او بعد الطوفان او متفقين على الجهالة والكفر
في فترة ادريس او نوح فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين اي اختلفوا فبعث الله
وانما حذف لدلالة قوله فيما اختلفوا فيه وعن كعب الذي علمته من عدد الانبياء مائة
واربعة وعشرون الفا والمرسل منهم ثلثمائة وثلثة عشر والمذكور في القرآن باسم العلم
ثمانية وعشرون وانزل معهم الكتاب يريد به الجنس ولا يريد به انه انزل مع كل واحد
كتابا يخصه فان اكثرهم لم يكن معهم كتاب يخصهم وانما كانوا يأخذون بكتب من قبلهم
بالحق حال من الكتاب اي ملتبسا بالحق شاهدا به ليحكم بين الناس اي الله او النبي المبعوث
او كتابه فيما اختلفوا فيه في الحق الذي اختلفوا فيه او فيما التبس عليهم وما اختلف فيه في
الحق او الكتاب الا الذين اوتوه اي الكتاب المنزل لازالة الخلاف اي عكسوا الامر فجعلوا
ما انزل الله مزيحا للاختلاف سببا لاستحكامه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم حسدا

بينهم وظلماً لحرصهم على الدنيا فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه أي للحق الذي اختلف فيه من
اختلف من الحق بيان لما اختلفوا فيه بإذنه بأمره أو بإرادته ولطفه والله يهدي من يشاء إلى صراط
مستقيم لا يضل سالكه أم حسبتم أن تدخلوا الجنة خاطب به النبي والمؤمنين بعد ما ذكر اختلاف
الأمم على الأنبياء بعد مجيء الآيات تشجيعاً لهم على الثبات مع مخالفيهم وأم منقطعة ومعنى الهمزة
فيها الإنكار ولما يأتكم ولم يأتكم وأصل لما لم زيدت عليها ما وفيها توقع ولذلك جعلت مقابل قد
مثل الذين خلوا من قبلكم حالهم التي هي مثل في الشدة مستهم البأساء والضراء بيان له على الاستئناف
وزلزلوا وأزعجوا إزعاجاً شديداً بما أصابهم من الشدائد حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه
لتناهي الشدة واستطالة المدة بحيث تقطعت حبال الصبر وقرأ نافع يقول بالرفع على أنها حكاية
حال ماضية كقولك مرض حتى لا يرجونه متى نصر الله استبطاء له لتأخره ألا إن نصر الله قريب استئناف
على إرادة القول أي فقيل لهم ذلك إسعافاً لهم إلى طلبتهم من عاجل النصر وفيه إشارة إلى أن الوصول
إلى الله تعالى والفوز بالكرامة عنده برفض الهوى واللذات ومكابدة الشدائد والرياضات
كما قال عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات يسألونك ماذا ينفقون عن ابن عباس رضي
أن عمرو بن الجموح الأنصاري كان شيخاً هماً ذا مال عظيم فقال يا رسول الله ماذا ننفق من أموالنا وأين
نضعها فنزلت قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل سئل عن المنفق
فأجيب ببيان المصرف لأنه أهم فإن اعتداد النفقة باعتباره ولأنه كان في سؤال عمرو وإن لم يكن
مذكوراً في الآية واقتصر في بيان المنفق على ما تضمنه قوله ما أنفقتم من خير وما تفعلوا من خير في معنى
الشرط فإن الله به عليم جوابه أي إن تفعلوا خيراً فإن الله يعلم كنهه ويوفي ثوابه وليس في الآية ما ينافي
فرض الزكاة لينسخ به كتب عليكم القتال وهو كره لكم شاق عليكم مكروه طبعاً وهو مصدر نعت به
للمبالغة أو فعل بمعنى مفعول كالخبز وقرئ بالفتح على أنه لغة فيه كالضعف والضعف أو بمعنى
الإكراه على المجاز كأنهم أكرهوا عليه لشدته وعظم مشقته كقوله تعالى حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً
وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وهو جميع ما كلفوا به فإن الطبع يكرهه وهو مناط صلاحهم وسبب فلاحهم
وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم وهو جميع ما نهوا عنه فإن النفس تحبه وتهواه وهو يفضي بها إلى الردى
وإنما ذكر عسى لأن النفس إذا ارتاضت ينعكس الأمر عليها والله يعلم ما هو خير لكم وأنتم لا تعلمون ذلك

وفيه دليل على أن الأحكام تتبع المصالح الراجحة وإن لم يعرف عينها يسألونك عن الشهر الحرام روي
أنه عليه السلام بعث عبد الله بن جحش ابن عمته على سرية في جمادى الآخرة قبل بدر بشهرين ليترصد
عيراً لقريش فيهم عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلاثة معه فقتلوه وأسروا اثنين واستاقوا العير
وفيها تجارة الطائف وكان ذلك غرة رجب وهم يظنونه من جمادى الآخرة فقالت قريش استحل محمد
الشهر الحرام شهراً يأمن فيه الخائف ويبذعر فيه الناس إلى معايشهم وشق على أصحاب السرية
وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله العير والأسارى وعن ابن عباس رضي الله عنهما لما نزلت
أخذ رسول الله الغنيمة وهو أول غنيمة في الإسلام والسائلون هم المشركون كتبوا إلى النبي في ذلك تشنيعاً
وتعييراً وقيل أصحاب السرية قتال فيه بدل الاشتمال من الشهر وقرئ عن قتال بتكرير العامل
قل قتال فيه كبير أي ذنب كبير والأكثر على أنه منسوخ بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم
خلافاً لعطاء وهو نسخ الخاص بالعام وفيه خلاف والأولى منع دلالة الآية على حرمة
القتال فيه مطلقاً فإن قتالاً فيه نكرة في حيز مثبت فلا يعم وصد عن سبيل الله أي الإسلام أو
ما يوصل العبد إلى الله من الطاعات وكفر به أي بالله والمسجد الحرام على إرادة المضاف أي وصد
المسجد الحرام كقول أبي دؤاد أكل امرئ تحسبين امرأً ونار توقد بالليل ناراً ولا يحسن عطفه
على سبيل الله لأن عطف قوله وكفر به على وصد مانع منه إذ لا يقدم العطف على الموصول على العطف
على الصلة ولا على الهاء في به فإن العطف على الضمير المجرور إنما يكون بإعادة الجار وإخراج
أهله منه أهل المسجد وهم النبي والمؤمنون أكبر عند الله مما فعلته السرية خطأ وبناء على
الظن وهو خبر عن الأشياء الأربعة المعدودة من كبائر قريش وأفعل من يستوي فيه الواحد والجمع
والمذكر والمؤنث والفتنة أكبر من القتل أي ما ارتكبوه من الإخراج والشرك أفظع مما ارتكبوه
من قتل الحضرمي ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إخبار عن دوام عداوة الكفار لهم
وأنهم لا ينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى للتعليل كقولك أعبد الله حتى أدخل الجنة
إن استطاعوا وهو استبعاد لاستطاعتهم كقول الواثق بقوته على قرنه إن ظفرت بي فلا تبق
علي وإيذان بأنهم لا يردونهم ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم
قيد الردة بالموت عليها في إحباط الأعمال كما هو مذهب الشافعي رض والمراد بها الأعمال النافعة

وقرئ حبطت بالفتح وهو لغة فيه في الدنيا لبطلان ما تخيلوه وفوات ما للاسلام من الفوائد الدنيوية

وفي الآخرة بسقوط الثواب واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون كسائر الكفرة ان الذين آمنوا

نزلت ايضا في اصحاب السرية لما ظن بهم انهم ان سلموا من الاثم فليس لهم اجر والذين هاجروا وجاهدوا

في سبيل الله كرر الموصول لتعظيم الهجرة والجهاد كانهما مستقلان في تحقيق الرجاء اولئك يرجون رحمة الله

ثوابه اثبت لهم الرجاء اشعارا بان العمل غير موجب ولا قاطع في الدلالة سيما والعبرة بالخواتيم

والله غفور لما فعلوا خطأ وقلة احتياط رحيم باجزال الاجر والثواب يسألونك عن الخمر والميسر روي

انه نزل بمكة قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا فاخذ المسلمون يشربونها ثم ان

عمر ومعاذا في نفر من الصحابة قالوا افتنا يا رسول الله في الخمر فانها مذهبة للعقل فنزلت هذه

الآية فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا فسكروا فأم

احدهم فقرأ اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى فقل من يشربها ثم دعا

عتبان بن مالك سعد بن ابي وقاص في نفر فلما سكروا افتخروا وتناشدوا فانشد سعد شعرا

فيه هجاء الانصار فضربه انصاري بلحي بعير فشجه فشكا الى رسول الله صلعم فقال عمر رضه اللهم بين

لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله تعالى فهل انتم منتهون فقال عمر رضه انتهينا

يا رب والخمر في الاصل مصدر خمره اذا ستره سمي بها عصير العنب والتمر اذا اشتد وغلا

كانه يخمر العقل كما سمي سكرا لانه يسكره اي يحجزه وهي حرام مطلقا وكذا كل ما اسكر عند اكثر

العلماء وقال ابو حنيفة رح نقيع الزبيب والتمر اذا طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم اشتد حل شربه

ما دون السكر والميسر ايضا مصدر كالموعد سمي به القمار لانه اخذ مال الغير بيسر او سلب يساره والمعنى

يسألونك عن تعاطيهما لقوله قل فيهما اي في تعاطيهما اثم كبير من حيث انه يؤدي الى الانتكاب

عن المأمور به وارتكاب المحظور وقرأ حمزة والكسائي بالثاء ومنافع للناس من كسب المال

والطرب والالتذاذ ومصادقة الفتيان وفي الخمر خصوصا تشجيع الجبان وتوفير المروءة و

تقوية الطبيعة واثمهما اكبر من نفعهما اي المفاسد التي تنشأ منهما اعظم من المنافع المتوقعة منهما

ولهذا قيل انها المحرمة للخمر فان المفسدة اذا ترجحت على المصلحة اقتضت تحريم الفعل والاظهر

انه ليس كذلك لما مر من ابطال مذهب المعتزلة ويسألونك ماذا ينفقون قيل سائله ايضا

عمرو بن الجموح سأل اولا عن المنفق والمصرف ثم سأل عن كيفية الانفاق قل العفو نقيض الجهد

ومنه يقال للارض السهلة وهو ان ينفق ما تيسر له بذله ولا يبلغ منه الجهد قال خذي العفو

مني تستديمي مودتي روي ان رجلا اتى النبي صلعم ببيضة من ذهب اصابها في بعض المغانم فقال

خذها مني صدقة فاعرض عنه حتى كرر مرارا فقال هاتها مغضبا فاخذها فحذفها حذفا

لو اصابه لشجه ثم قال يأتي احدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة

عن ظهر غنى كذلك يبين الله لكم الآيات اي مثل ما بين ان العفو اصلح من الجهد او ما ذكر من

الاحكام والكاف في موضع النصب صفة لمصدر محذوف اي تبيينا مثل هذا التبيين وانما وحد

العلامة والمخاطب جمع به على تاويل القبيل والجمع لعلكم تتفكرون في الدلائل والاحكام

في الدنيا والآخرة في امور الدارين فتأخذون بالاصلح والانفع منها وتجتنبون عما يضركم

ولا ينفعكم او يضركم اكثر مما ينفعكم ويسألونك عن اليتامى لما نزلت ان الذين يأكلون اموال

اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى ومخالطتهم والاهتمام بامرهم فشق ذلك عليهم فذكر لرسول الله صلعم

فنزلت قل اصلاح لهم خير اي مداخلتهم لاصلاحهم او اصلاح اموالهم خير من مجانبتهم وان تخالطوهم

فاخوانكم حث على المخالطة اي هم اخوانكم في الدين ومن حق الاخ ان يخالط الاخ وقيل

المراد بالمخالطة المصاهرة والله يعلم المفسد من المصلح وعيد ووعد لمن خالطهم لافساد

واصلاح اي يعلم امره فيجازيه عليه ولو شاء الله لاعنتكم اي لو شاء الله اعناتكم لاعنتكم اي

كلفكم ما يشق عليكم من العنت وهو المشقة ولم يجوز لكم مداخلتهم ان الله عزيز غالب يقدر على

الاعنات حكيم يحكم ما تقتضيه الحكمة وتتسع له الطاقة ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن اي

ولا تتزوجوهن وقرئ بالضم اي ولا تزوجوهن من المسلمين والمشركات تعم الكتابيات

لان اهل الكتاب مشركون لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى

المسيح ابن الله الى قوله تعالى سبحانه وتعالى عما يشركون ولكنها خصت عنها بقوله تعالى

والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب روي انه صلعم بعث مرثد الغنوي الى مكة ليخرج منها

اناسا من المسلمين فاتته عناق وكان يهواها في الجاهلية فقالت الا تخلو فقال ان الاسلام

حال بيننا فقالت فهل لك ان تتزوج بي فقال نعم ولكن استأمر رسول الله صلعم فاستأمره

فنزلت ولامة مؤمنة خير من مشركة اى ولامرأة مؤمنة حرة كانت او مملوكة فان الناس عبيد الله
واماؤه ولو اعجبتكم بحسنها وشمائلها والواو للحال ولو بمعنى ان وهو كثير ولا تنكحوا المشركين
حتى يؤمنوا ولا تزوجوا منهم المؤمنات حتى يؤمنوا وهو على عمومه ولعبد مؤمن خير من
مشرك ولو اعجبكم تعليل للنهى عن مواصلتهم وترغيب فى مواصلة المؤمنين اولئك اشارة
الى المذكورين من المشركين والمشركات يدعون الى النار اى الكفر المؤدى الى النار فلا يليق
موالاتهم ومصاهرتهم والله يدعو اى واولياؤه يعنى المؤمنين حذف المضاف واقيم المضاف
اليه مقامه تفخيما لشانهم الى الجنة والمغفرة اى الاعتقاد والعمل الموصلين اليهما فهم الاحقاء
بالمواصلة باذنه بتوفيق الله تع وتيسيره او بقضائه وارادته ويبين اياته للناس
لعلهم يتذكرون لكى يتذكروا او ليكونوا بحيث يرجى منهم التذكر لما ركز فى العقول من ميل
الخير ومخالفة الهوى ويسئلونك عن المحيض روى ان اهل الجاهلية كانوا لم يساكنوا الحيض
ولم يواكلوها كفعل اليهود والمجوس واستمر ذلك الى ان سال ابو الدحداح فى نفر من الصحابة
عن ذلك فنزلت والمحيض مصدر كالمجئ والمبيت ولعله سبحانه انما ذكر يسئلونك بغير
واو ثلثا ثم بها ثلثا لان السؤالات الاولى كانت فى اوقات متفرقة والثلثة الاخيرة
كانت فى وقت واحد فلذلك ذكرها بحرف الجمع قل هو اذى اى الحيض شئ مستقذر يوذى من
يقربه نفرة منه فاعتزلوا النساء فى المحيض فاجتنبوا مجامعتهن لقوله عم انما امرتم ان تعتزلوا
النساء مجامعتهن اذا حضن ولم يامركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وهو الاقتصاد
بين افراط اليهود وتفريط النصارى فانهم كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض وانما
وصفه بانه اذى ورتب الحكم عليه بالفاء اشعارا بانه العلة ولا تقربوهن حتى يطهرن تاكيد
للحكم وبيان لغايته وهو ان يغتسلن بعد الانقطاع وتدل عليه صريحا قراءة حمزة والكسائى
وعاصم فى رواية ابن عياش يطهرن اى يتطهرن بمعنى يغتسلن والتزاما قوله فاذا تطهرن
فاتوهن فانه يقتضى تاخر جواز الاتيان عن الغسل وقال ابو حنيفة رح ان طهرت لاكثر
الحيض جاز قربانها قبل الغسل من حيث امركم الله اى المأتى الذى امركم الله به وحلله لكم ان الله
يحب التوابين من الذنوب ويحب المتطهرين المتنزهين عن الفواحش والاقذار كمجامعة الحائض

والاتيان

والاتيان فى غير المأتى نساؤكم حرث لكم مواضع حرث لكم شبههن بها تشبيها لما يلقى فى ارحامهن
من النطف بالبذور فاتوا حرثكم اى فاتوهن كما تاتون المحارث وهو كالبيان لقوله تع فاتوهن
من حيث امركم الله انى شئتم اى من اى جهة شئتم روى ان اليهود كانوا يقولون من جامع امرأته
من دبرها فى قبلها كان ولدها احول فذكر ذلك لرسول الله صلعم فنزلت وقدموا لانفسكم
ما يدخر لكم الثواب وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية على الوطى واتقوا الله بالاجتناب
عن معاصيه واعلموا انكم ملاقوه فتزودوا ما لا تفتضحون به وبشر المؤمنين الكاملين فى
الايمان بالكرامة والنعيم الدائم امر الرسول ان ينصحهم ويبشر من صدقه وامتثل امره
منهم ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس نزلت فى الصديق
لما حلف ان لا ينفق على مسطح لافترائه على عايشة رض او فى عبد الله بن رواحة حلف
ان لا يكلم ختنه بشير بن النعمان ولا يصلح بينه وبين اخته والعرضة فعلة بمعنى المفعول
كالقبضة يطلق لما يعرض دون الشئ وللمعرض للامر ومعنى الاية على الاول لا تجعلوا الله
حاجزا لما حلفتم عليه من انواع الخير فيكون المراد بالايمان الامور المحلوف عليها كقوله عم لابن
سمرة اذا حلفت على يمين فرايت غيرها خيرا منها فأت الذى هو خير وكفر عن يمينك وان مع
صلتها عطف بيان لها واللام صلة عرضة لما فيها من معنى الاعتراض ويجوز ان يكون للتعليل
ويتعلق ان بالفعل او بعرضة اى ولا تجعلوا الله عرضة لان تبروا لاجل ايمانكم به وعلى
الثانى ولا تجعلوه معرضا لايمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف ولذلك ذم الحلاف بقوله تع
ولا تطع كل حلاف مهين وان تبروا علة النهى اى انهاكم عنه ارادة بركم وتقواكم واصلاحكم
بين الناس فان الحلاف مجترئ على الله والمجترئ عليه لا يكون برا متقيا ولا موثوقا به فى
اصلاح ذات البين والله سميع لايمانكم عليم بنياتكم لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم اللغو
الساقط الذى لا يعتد به من كلام وغيره ولغو اليمين ما لا عقد معه كما سبق به اللسان
او تكلم به جاهلا لمعناه كقول العرب لا والله وبلى والله لمجرد التاكيد لقوله ولكن يؤاخذكم
بما كسبت قلوبكم والمعنى لا يؤاخذكم الله بعقوبة ولا كفارة بما لا قصد معه ولكن يؤاخذكم بهما
او باحدهما بما قصدتم من الايمان وواطأت فيها قلوبكم السنتكم وقال ابو حنيفة رض

اللغو ان يحلف الرجل بناء على ظنه الكاذب والمعنى لا يعاقبكم بما اخطاتم فيه من الايمان ولكن
يعاقبكم بما تعمدتم الكذب فيها والله غفور حيث لم يواخذ باللغو حليم حيث لم يعجل بالمواخذة
على يمين الجد تربصا للتوبة للذين يؤلون من نسائهم اى يحلفون على ان لا يجامعوهن والايلاء
الحلف وتعديته بعلى ولكن لما ضمن هذا القسم معنى البعد عدى بمن تربص اربعة اشهر
مبتدا ما قبله خبره او فاعل الظرف على خلاف سبق والتربص الانتظار والتوقف اضيف الى
الظرف على الاتساع اى للمولى حق التلبث فى هذه المدة فلا يطالب بفيء ولا طلاق ولذلك
قال الشافعى رض لا ايلاء الا فى اكثر من اربعة اشهر ويؤيده فان فاؤا اى رجعوا فى اليمين بالحنث
فان الله غفور رحيم للمولى اثم حنثه اذا كفر او ما توخى بالايلاء من ضرار المراة ونحوه بالفيئة التى
هى كالتوبة وان عزموا الطلاق وان صمموا قصده فان الله سميع لطلاقهم عليم بغرضهم فيه
وقال ابو حنيفة رض الايلاء فى اربعة اشهر فما فوقها وحكمه ان المولى ان فاء فى المدة بالوطى
ان قدر والوعد ان عجز صح الفيء ولزم الواطى ان يكفر والا بانت بعدها بطلقة وعندنا
يطالب بعد المدة باحد الامرين فان ابى عنهما طلق عليه الحاكم والمطلقات يريد بها المدخول
بهن من ذوات الاقراء لما دلت الايات والاخبار ان حكم غيرهن خلاف ما ذكر يتربصن خبر
بمعنى الامر وتغيير العبارة للتاكيد والاشعار بانه مما يجب ان يسارع الى امتثاله وكان المخاطب
قصد ان يمتثل الامر فيخبر عنه كقولك فى الدعاء رحمك الله وبناؤه على المبتدا يزيد فضل
تاكيد بانفسهن تهييج وبعث على التربص فان نفوس النساء طوامح الى الرجال فامرن
ان يقمعنها ويحملنها على التربص ثلثة قروء نصب على الظرف او المفعول به اى يتربصن
مضيها وقروء جمع قرء وهو يطلق للحيض كقوله عم دعى الصلوة ايام اقرائك وللطهر الفاصل
بين حيضتين كقول الاعشى لما ضاع فيها من قروء نسائكا واصله الانتقال من الطهر الى الحيض
وهو المراد فى الاية لانه الدال على براءة الرحم لا الحيض كما قال ابو حنيفة رض
لقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن اى وقت عدتهن والطلاق المشروع لا يكون فى الحيض
واما قوله عم طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان فلا يقاوم ما رواه الشيخان
فى قصة ابن عمر رض مره فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم ان شاء امسك

بعد وان شاء طلق قبل ان يمس فتلك العدة التى امر الله تعالى ان يطلق لها النساء وكان القياس
ان يذكر بصيغة القلة التى هى الاقراء ولكنهم يتسعون فى ذلك فيستعملون كل واحد من البنائين
مكان الاخر ولعل الحكم لما عم المطلقات ذوات الاقراء تضمن معنى الكثرة فحسن بناؤها
ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله فى ارحامهن من الولد والحيض استعجالا فى العدة وابطالا
لحق الرجعة وفيه دليل على ان قولها مقبول فى ذلك ان كن يؤمن بالله واليوم الاخر
ليس المراد منه تقييد نفى الحل بايمانهن بل التنبيه على انه ينافى الايمان وان المؤمن
لا يجترئ عليه ولا ينبغى له ان يفعل وبعولتهن اى ازواج المطلقات احق بردهن
الى النكاح والرجعة اليهن ولكن اذا كان الطلاق رجعيا للاية التى تتلوها فالضمير
اخص من المرجوع اليه ولا امتناع فيه كما لو كرر الظاهر وخصصه والبعولة جمع بعل
والتاء لتانيث الجمع كالعمومة والخؤولة او مصدر من قولك بعل حسن البعولة نعت به
او اقيم مقام المضاف المحذوف اى واهل بعولتهن وافعل ههنا بمعنى الفاعل فى ذلك
اى فى زمان التربص ان ارادوا اصلاحا بالرجعة لا اضرار المراة وليس المراد منه شرطية قصد
الاصلاح للرجعة بل التحريض عليه والمنع من قصد الاضرار ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف
اى ولهن حقوق على الرجال مثل حقوقهم عليهن فى الوجوب واستحقاق المطالبة عليها
لا فى الجنس وللرجال عليهن درجة زيادة فى الحق وفضل فيه لان حقوقهم فى انفسهن
وحقوقهن المهر والكفاف وترك الضرار ونحوها او شرف وفضيلة لانهم قوام عليهن
وحراس لهن يشاركونهن فى غرض الزواج ويخصون بفضيلة الرعاية والانفاق
والله عزيز يقدر على الانتقام ممن خالف الاحكام حكيم يشرعها لحكم ومصالح الطلاق
مرتان اى التطليق الرجعى اثنتان لما روى انه عم سئل اين الثالثة فقال عم او تسريح
باحسان وقيل معناه التطليق الشرعى تطليقة بعد تطليقة على التفريق ولذلك قالت
الحنفية الجمع بين الطلقتين والثلث بدعة فامساك بمعروف بالمراجعة وحسن المعاشرة
وهو يؤيد المعنى الاول او تسريح باحسان بالطلقة الثالثة او بان لا يراجعها حتى تبين
وعلى المعنى الاخير حكم مبتدا وتخيير مطلق عقب به تعليمهم كيفية التطليق ولا يحل لكم ان

تاخذوا مما اتيتموهن شيئا من الصداق روي ان جميلة بنت عبد الله بن ابي ابن سلول
كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس فاتت رسول الله صلعم وقالت لا انا ولا ثابت لا يجمع
راسي وراسه شي والله ما اعيبه في دين ولا خلق ولكني اكره الكفر في الاسلام ما اطيقه
بغضا اني رفعت جانب الخبا فرايته اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة
واقبحهم وجها فنزلت فاختلعت منه بحديقة اصدقها والخطاب مع الحكام واسناد
الاخذ والايتاء اليهم لانهم الامرون بهما عند الترافع وقيل انه خطاب للازواج وما
بعده خطاب للحكام وهو يشوش النظم على القراءة المشهورة الا ان يخافا اي الزوجان
وقرئ يظنا وهو يويد تفسير الخوف بالظن الا يقيما حدود الله بترك اقامة
احكامه من مواجب الزوجية وقرا حمزة ويعقوب يخافا على البناء للمفعول وابدال
ان بصلته عن الضمير بدل الاشتمال وقرئ تخافا وتقيما بتاء الخطاب فان خفتم ايها
الحكام الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به على الرجل في اخذ ما افتدت
نفسها واختلعت وعلى المراة في اعطائه تلك حدود الله اشارة الى ما حد من الاحكام
فلا تعتدوها فلا تتعدوها بالمخالفة ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون
تعقيب للنهي بالوعيد مبالغة في التهديد واعلم ان ظاهر الاية يدل على ان الخلع لا يجوز
من غير كراهة وشقاق ولا بجميع ما ساق الزوج اليها فضلا عن الزائد ويويد ذلك قوله عم
ايما امراة سالت زوجها طلاقا في غير باس فحرام عليها رائحة الجنة وما روي انه عم
قال لجميلة اتردين عليه حديقته فقالت اردها وازيد عليها فقال عم اما الزائد
فلا والجمهور استكرهوه ولكن نفذوه فان المنع عن العقد لا يدل على فساده وانه يصح
بلفظ المفاداة فانه تعالى سماه افتداء واختلف في انه اذا جرى بغير لفظ الطلاق
فسخ او طلاق ومن جعله فسخا احتج بقوله فان طلقها فان تعقيبه للخلع بعد ذكر
الطلقتين يقتضي ان يكون طلقة رابعة لو كان الخلع طلاقا والاظهر انه طلاق لانه
فرقة باختيار الزوج فهو كالطلاق بالعوض وقوله فان طلقها متعلق بقوله الطلاق
مرتان تفسير لقوله او تسريح باحسان اعترض بينهما ذكر الخلع دلالة على ان الطلاق

يقع مجانا تارة وبعوض اخرى والمعنى فان طلقها بعد الثنتين فلا تحل له من بعد ذلك
حتى تنكح زوجا غيره حتى تتزوج غيره والنكاح يسند الى كل منهما كالتزوج وتعلق
بظاهره من اقتصر على العقد كابن المسيب واتفق الجمهور على انه لا بد من الاصابة لما روي
ان امراة رفاعة قالت لرسول الله صلعم ان رفاعة طلقني فبت طلاقي وان عبد الرحمن
بن الزبير تزوجني وانما معه مثل هدبة الثوب فقال رسول الله صلعم اتريدين ان ترجعي
الى رفاعة قالت نعم قال لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك فالاية مطلقة
قيدتها السنة ويحتمل ان يفسر النكاح بالاصابة ويكون العقد مستفادا من لفظ الزوج
والحكمة في هذا الحكم الردع عن التسارع الى الطلاق والعود الى المطلقة ثلثا
والرغبة فيها والنكاح بشرط التحليل فاسد عند الاكثر وجوزه ابو حنيفة رحه مع الكراهة
وقد لعن رسول الله صلعم المحلل والمحلل له فان طلقها الزوج الثاني فلا جناح عليهما
ان يتراجعا ان يرجع كل من المراة والزوج الاول الى الاخر بالزواج ان ظنا ان يقيما
حدود الله ان كان في ظنهما انهما يقيمان ما حده الله وشرعه من حقوق الزوجية وتفسير
الظن بالعلم ههنا غير سديد لان عواقب الامور غيب تظن ولا تعلم ولانه لا يقال علمت
ان يقوم زيد لان ان الناصبة للتوقع وهو ينافي العلم وتلك حدود الله اي الاحكام
المذكورة يبينها لقوم يعلمون يفهمون ويعملون بمقتضى العلم واذا طلقتم النساء فبلغن
اجلهن اي اخر عدتهن والاجل يطلق للمدة ولمنتهاها فيقال لعمر الانسان وللموت الذي
ينتهي به قال كل حي مستكمل مدة العمر ومود اذا انتهى اجله (اي هلك) والبلوغ هو الوصول
الى الشي وقد يقال للدنو منه على الاتساع وهو المراد في الاية ليصح ان يرتب عليه
فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف اذ لا امساك بعد انقضاء الاجل والمعنى
فراجعوهن من غير ضرار او خلوهن حتى تنقضي عدتهن من غير تطويل وهو اعادة للحكم في
بعض صوره للاهتمام به ولا تمسكوهن ضرارا ولا تراجعوهن ارادة الاضرار بهن كان
المطلق يترك المعتدة حتى تشارف الاجل ثم يراجعها لتطول العدة عليها فنهي عنه بعد الامر بضده
مبالغة ونصب ضرارا على العلة او الحال بمعنى مضارين لتعتدوا لتظلموهن بالتطويل

والالجاء الى الاقتداء واللام متعلقة بالضرار اذ المراد تقييده ومن يفعل ذلك فقد ظلم
نفسه بتعريضها للعقاب ولا تتخذوا ايات الله هزوا بالاعراض عنها والتهاون في العمل بما
فيها من قولهم لمن لم يجد في الامر انما انت هازئ كانه نهى عن الهزء واراد به الامر بضده وقيل
كان الرجل يتزوج ويطلق ويعتق ويقول كنت العب فنزلت وعنه عم ثلث جدهن جد
وهزلهن جد الطلاق والنكاح والعتق والرجعة واذكروا نعمة الله عليكم التي من
جملتها الهداية وبعثة محمد عم بالشكر والقيام بحقوقها وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة
القران والسنة افردهما بالذكر اظهارا لشرفهما يعظكم به بما انزل عليكم واتقوا الله
واعلموا ان الله بكل شيء عليم تاكيد وتهديد واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي انقضت
عدتهن وعن الشافعي رضه دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين فلا تعضلوهن ان
ينكحن ازواجهن المخاطب به الاولياء لما روي انها نزلت في معقل بن يسار حين عضل
اخته جميلا ان ترجع الى زوجها الاول بالاستيناف فيكون دليلا على ان المراة لا تزوج
نفسها اذ لو تمكنت منه لم يكن لعضل الولي معنى ولا يعارض باسناد النكاح اليهن لانه
بسبب توقفه على اذنهن وقيل الازواج الذين يعضلون نساءهم بعد مضي العدة
ولا يتركونهن يتزوجن عدوانا وقسرا لانه جواب قوله واذا طلقتم وقيل الاولياء
والازواج وقيل الناس كلهم والمعنى لا يوجد فيما بينكم هذا الامر فانه اذا وجد بينهم وهم
راضون به كانوا كالفاعلين له والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة اذا
نشب بيضها فلم تخرج اذا تراضوا بينهم اي الخطاب والنساء وهو ظرف لان ينكحن او لا
تعضلوهن بالمعروف بما يعرفه الشرع وتستحسنه المروة حال عن الضمير المرفوع او صفة
مصدر محذوف اي تراضيا كائنا بالمعروف وفيه دلالة على ان العضل عن التزوج من
غير كفو غير منهي عنه ذلك اشارة الى ما مضى ذكره والخطاب للجميع على تاويل القبيل او كل
واحد او ان الكاف لمجرد الخطاب والفرق بين الحاضر والمنقضي دون تعيين المخاطبين او للرسول
على طريقة قوله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء للدلالة على ان حقيقة المشار اليه امر لا يكاد
يتصوره كل احد يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الاخر لانه المتعظ به والمنتفع

ذلكم اي العمل بمقتضى ما ذكر ازكى لكم انفع واطهر من دنس الاثام والله يعلم ما فيه من النفع والصلاح
وانتم لا تعلمون لقصور علمكم والوالدات يرضعن اولادهن امر عبر عنه بالخبر للمبالغة ومعناه
الندب او الوجوب فيخص بما اذا لم يرتضع الصبي الا من امه او لم يوجد له ظئر او عجز الوالد
عن الاستيجار والوالدات يعم المطلقات وغيرهن وقيل يختص بهن اذ الكلام فيهن حولين
كاملين اكده بصفة الكمال لانه مما يتسامح فيه لمن اراد ان يتم الرضاعة بيان للمتوجه اليه
الحكم اي ذلك لمن اراد اتمام الرضاعة او متعلق بيرضعن فان الاب يجب عليه الارضاع
كالنفقة والام ترضع له وهو دليل على ان اقصى مدة الارضاع حولان ولا عبرة به بعدهما
وانه يجوز ان ينقص عنه وعلى المولود له اي الذي يولد له يعني الوالد فان الولد يولد له
وينسب اليه وتغيير العبارة للاشارة الى المعنى المقتضي لوجوب الارضاع ومؤن المرضعة عليه
رزقهن وكسوتهن اجرة لهن واختلف في استيجار الام فجوزه الشافعي رضه ومنعه ابو حنيفة رح
ما دامت زوجة او معتدة نكاح بالمعروف حسب ما يراه الحاكم ويفي به وسعه لا تكلف
نفس الا وسعها تعليل لايجاب المؤن والتقييد بالمعروف دليل على انه تع لا يكلف العبد
بما لا يطيقه وذلك لا يمنع امكانه لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده
تفصيل له وتقريب اي لا يكلف كل منهما الاخر ما ليس في وسعه ولا يضاره بسبب الولد
وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب لا تضار بالرفع بدلا عن قوله لا تكلف واصله على القراءتين
لا تضارر بالكسر على البناء للفاعل او الفتح على البناء للمفعول وعلى الوجه الاول يجوز ان يكون
بمعنى تضر والباء من صلته اي لا يضر الوالدان بالولد فيفرط في تعهده ويقصر فيما ينبغي له وقرئ
لا تضارر بالسكون مع التشديد على نية الوقف وبه مع التخفيف على انه من ضاره يضيره واضافة
الولد اليهما تارة واليهما اخرى استعطاف لهما عليه وتنبيه على انه حقيق بان يتفقا على استصلاحه
والاشفاق فلا ينبغي ان يضرا به او يتضارا بسببه وعلى الوارث مثل ذلك عطف على قوله
وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف وما بينهما تعليل معترض والمراد بالوارث وارث
الاب وهو الصبي اي مؤن المرضعة من ماله اذا مات الاب وقيل الباقي من الابوين من قوله
واجعله الوارث منا وكلا القولين يوافق مذهب الشافعي اذ لا نفقة عنده فيما عدا الولاد
وقيل وارث الطفل واليه ذهب ابن ابي ليلى وقيل وارثه المحرم منه وهو مذهب ابي حنيفة رحمه

وقيل عصابته وبه قال ابو زيد وذلك اشارة الى ما وجب على الاب من الرزق والكسوة
فان ارادا فصالا عن تراض منهما اى فصالا صادرا عن التراضى منهما وتشاور والتشاور بينهما
قبل الحولين والتشاور والمشاورة والمشورة استخراج الراى من شرت العسل اذا استخرجته
فلا جناح عليهما فى ذلك وانما اعتبر تراضيهما مراعاة لصلاح الطفل وحذرا ان يقدم احدهما
على ما يضر به لغرض وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم ان تسترضعوا المراضع لاولادكم يقال
ارضعت المرأة الطفل واسترضعتها اياه كقولك انجح الله حاجتى واستنجحته اياها فحذف
المفعول الاول للاستغناء عنه فلا جناح عليكم فيه اطلاقه يدل على ان للزوج ان يسترضع
للولد ويمنع الزوجة من الارضاع اذا سلمتم الى المراضع ما اتيتم ما اردتم ايتاءه كقوله تعالى
اذا قمتم الى الصلوة وقرأ ابن كثير ما اتيتم من اتى اليه احسانا اذا فعله وقرئ اوتيتم اى ما اتاكم الله
واقدركم عليه من الاجرة بالمعروف صلة سلمتم اى بالوجه المتعارف المستحسن شرعا وجواب الشرط
محذوف دل عليه ما قبله وليس اشتراط التسليم لجواز الاسترضاع بل لسلوك ما هو الاولى
والاصلح للطفل واتقوا الله مبالغة فى المحافظة على ما شرع فى امر الاطفال والمراضع
واعلموا ان الله بما تعملون بصير حث وتهديد والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا
يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا اى وازواج الذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا
يتربصن بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم وقرئ يتوفون بفتح الياء اى يستوفون اجالهم
وتانيث العشر باعتبار الليالى لانها غرر الشهور والايام ولذلك لا يستعملون التذكير فى مثله
قط ذهابا الى الايام حتى انهم يقولون صمت عشرا ويشهد له قوله ان لبثتم الا عشرا ان لبثتم
الا يوما ولعل المقتضى لهذا التقدير ان الجنين فى غالب الامر يتحرك لثلثة اشهر ان كان ذكرا ولاربعة
اشهر ان كان انثى فاعتبر اقصى الاجلين وزيد عليه العشر استظهارا اذ ربما تضعف حركته فى المبادى
فلا يحس بها وعموم اللفظ يقتضى تساوى المسلمة والكتابية فيه كما قاله الشافعى رض والحرة
والامة كما قاله الاصم والحامل وغيرها لكن القياس اقتضى تنصيف المدة للامة والاجماع
خص الحامل عنه لقوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن وعن على وابن عباس رض
انها تعتد باقصى الاجلين احتياطا فاذا بلغن اجلهن اى انقضت عدتهن فلا جناح عليكم

ايها الائمة او المسلمون جميعا فيما فعلن فى انفسهن من التعرض للخطاب وساير ما حرم عليها للعدة
بالمعروف بالوجه الذى لا ينكره الشرع ومفهومه انهن لو فعلن ما ينكره فعليهم اى يكفوهن فان
قصروا فعليهم الجناح والله بما تعملون خبير فيجازيكم عليه ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة
النساء التعريض والتلويح ايهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازا كقول السائل
جئتك لاسلم عليك وانظر الى وجهك الكريم والكناية هى الدلالة على الشى بذكر لوازمه وروادفه
كقولك طويل النجاد للطويل وكثير الرماد للمضياف والخطبة بالضم والكسر اسم الحالة غير
ان المضمومة خصت بالموعظة والمكسورة بطلب النساء (المرأة والمراد) المعتدات للوفاة وتعريض خطبتها
ان يقول لها انك جميلة او نافعة ومن غرضى ان اتزوج ونحو ذلك او اكننتم فى انفسكم
او اضمرتم فى قلوبكم فلم تذكروه تصريحا ولا تعريضا علم الله انكم ستذكرونهن ولا تصبرون
على السكوت عنهن وعن الرغبة فيهن وفيه نوع توبيخ ولكن لا تواعدوهن سرا
استدراك عن محذوف دل عليه ستذكرونهن فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن نكاحا
او جماعا عبر بالسر عن الوطى لانه يسر ثم عن العقد لانه سبب فيه وقيل معناه لا تواعدوهن فى
السر على ان المعنى بالمواعدة فى السر المواعدة بما يستهجن الا ان تقولوا قولا معروفا وهو
ان تعرضوا ولا تصرحوا والمستثنى منه محذوف اى لا تواعدوهن مواعدة قط الا مواعدة
معروفة او الا مواعدة بقول معروف وقيل انه استثناء منقطع من سرا وهو ضعيف لادائه
الى قولك لا تواعدوهن الا التعريض وهو غير موعود وفيه دليل حرمة تصريح خطبة
المعتدة وجواز تعريضها ان كانت معتدة وفاة واختلف فى معتدة الفراق البائن
والاظهر جوازه ولا تعزموا عقدة النكاح ذكر العزم مبالغة فى النهى عن العقد اى ولا
تعزموا عقد عقدة النكاح وقيل معناه لا تقطعوا عقدة النكاح فان اصل العزم
القطع حتى يبلغ الكتاب اجله حتى ينتهى ما كتب من العدة واعلموا ان الله يعلم ما فى انفسكم
من العزم على ما لا يجوز فاحذروه ولا تعزموا واعلموا ان الله غفور لمن عزم ولم يفعل
خشية منه حليم لا يعاجلكم بالعقوبة لا جناح عليكم لا تبعة من مهر وقيل من وزر
لانه لا بدعة فى الطلاق قبل المسيس وقيل كان النبى صلعم يكثر النهى عن الطلاق فظن ان

فيخرجا اي لا تبعة من مهر ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن اي تجامعوهن وقرا حمزة والكسائي تماسوهن
بضم التاء ومد الميم في جميع القرآن او تفرضوا لهن فريضة الا ان تفرضوا او حتى تفرضوا او تفرضوا
والفرض تسمية المهر وفريضة نصب على المفعول به فعيلة بمعنى مفعول والتاء لنقل اللفظ من
الوصفية الى الاسمية ويحتمل المصدر والمعنى لا تبعة على المطلق من مطالبة المهر اذا كانت
المطلقة غير ممسوسة ولم يسم لها مهر اذ لو كانت ممسوسة فعليه المسمى او مهر المثل ولو كانت
غير ممسوسة ولكن سمى لها فلها نصف المسمى فمنطوق الآية ينفي الوجوب في الصورة الاولى
ومفهومها يقتضي الوجوب على الجملة في الاخيرتين ومتعوهن عطف على مقدر اي فطلقوهن
ومتعوهن والحكمة في ايجاب المتعة جبر ايحاش الطلاق وتقديرها مفوض الى راي الحاكم
ويؤيده قوله على الموسع قدره وعلى المقتر قدره اي على كل من الذي له سعة والمقتر الضيق
الحال ما يطيقه ويليق به ويدل عليه قوله عم لانصاري طلق امراته المفوضة قبل ان يمسها
متعها بقلنسوتك وقال ابو حنيفة رح هي درع وملحفة وخمار على حسب الحال الا ان يقل
مهر مثلها عن ذلك فلها نصف مهر المثل ومفهوم الآية يقتضي تخصيص ايجاب المتعة للمفوضة
التي لم يمسها الزوج والحق بها الشافعي رح في احد قوليه الممسوسة المفوضة وغيرها
قياسا وهو مقدم على المفهوم وقرا حمزة والكسائي وحفص وابن ذكوان بفتح الدال
متاعا تمتيعا بالمعروف بالوجه الذي يستحسنه الشرع والمروءة حقا صفة لمتاعا او مصدر
مؤكد اي حق ذلك حقا على المحسنين الذين يحسنون الى انفسهم بالمسارعة الى الامتثال او الى
المطلقات بالتمتيع وسماهم محسنين للمشارفة ترغيبا وتحريضا وان طلقتموهن من قبل
ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة لما ذكر حكم المفوضة اتبعه حكم قسيمها فنصف ما فرضتم
اي فلهن او فالواجب نصف ما فرضتم لهن وهو دليل على ان الجناح المنفي تبعة المهر
وان لا متعة مع التشطير لانه قسيمها الا ان يعفون اي المطلقات فلا ياخذن شيئا
والصيغة تحتمل التذكير والتانيث والفرق ان الواو في الاول ضمير والنون علامة الرفع
وفي الثاني لام الفعل والنون ضمير والفعل مبني ولذلك لم يؤثر ان ههنا ونصب المعطوف
عليه او يعفو الذي بيده عقدة النكاح اي الزوج المالك لعقده وحله عما يعود اليه

بالتشطير

بالتشطير فيسوق المهر اليها كاملا وهو مشعر بان الطلاق قبل المسيس مخير للزوج غير مشطر
بنفسه واليه ذهب بعض اصحابنا والحنفية وقيل الولي الذي يلي عقدة نكاحهن وذلك
اذا كانت المراة صغيرة وهو قول قديم للشافعي رض وان تعفوا اقرب للتقوى يؤيد الوجه
الاول وعفو الزوج على وجه التخيير ظاهر وعلى الوجه الآخر عبارة عن الزيادة على الحق
وتسميتها عفوا اما على المشاكلة واما لانه يسوق المهر الى النساء عند التزوج فمن طلق
قبل المسيس يستحق استرداد النصف فاذا لم يسترده فقد عفا عنه وعن جبير بن مطعم
انه تزوج امراة وطلقها قبل الدخول فاكمل الصداق وقال انا احق بالعفو ولا تنسوا
الفضل بينكم اي ولا تنسوا ان يتفضل بعضكم على بعض ان الله بما تعملون بصير لا يضيع تفضلكم
واحسانكم حافظوا على الصلوات بالاداء لوقتها والمداومة عليها ولعل الامر بها في تضاعيف
احكام الاولاد والازواج لئلا يلهيهم الاشتغال بشانهم عنها والصلوة الوسطى اي الوسطى
بينها او الفضلى منها خصوصا وهي صلوة العصر لقوله عم يوم الاحزاب شغلونا عن
الصلوة الوسطى صلوة العصر ملا الله بيوتهم نارا وفضلها لكثرة اشتغال الناس
في وقتها واجتماع الملائكة وقيل صلوة الظهر لانها في وسط النهار وكانت اشق
الصلوة عليهم فكانت افضل لقوله عم افضل العبادات احمزها وقيل صلوة الفجر
لانها بين صلوتي النهار والليل والواقعة في الحد المشترك بينهما ولانها مشهودة وقيل
المغرب لانها المتوسط بالعدد ووتر النهار وقيل العشاء لانها بين جهريتين واقعتين في
الليل وعن عايشة رض انه عم كان يقرا والصلوة الوسطى وصلوة العصر فيكون صلوة
من الاربع خصت بالذكر مع العصر لانفرادهما بالفضل وقرئ بالنصب على الاختصاص وقوموا
لله في الصلوة قانتين ذاكرين له في القيام والقنوت الذكر فيه وقيل خاشعين وقال
ابن المسيب المراد به القنوت في الصبح فان خفتم من عدو او غيره فرجالا او ركبانا فصلوا
راجلين او راكبين ورجال جمع راجل او رجل بمعناه كقائم وقيام وفيه دليل على وجوب
الصلوة حال المسايفة واليه ذهب الشافعي رض وقال ابو حنيفة رض لا يصلي حال المشي و
المسايفة ما لم يمكن الوقوف فاذا امنتم وزال الخوف عنكم فاذكروا الله صلوا صلوة الامن او اشكروه

على الامن كما علمكم ذكرا مثل ما علمكم من الشرايع وكيفية الصلوة حالتي الخوف والامن او شكرا
يوازيه وما مصدرية او موصولة ما لم تكونوا تعلمون مفعول علمكم والذين يتوفون منكم
ويذرون ازواجا وصية لازواجهم قرأها بالنصب ابو عمرو وابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم
على تقدير والذين يتوفون منكم يوصون وصية او ليوصوا وصية او كتب الله عليهم وصية
او الزم الذين يتوفون وصية ويؤيد ذلك قراءة كتب عليكم الوصية لازواجكم متاعا الى الحول
مكانه وقرأ الباقون بالرفع على تقدير وصية الذين يتوفون او وحكمهم وصية او والذين
يتوفون اهل وصية او كتب عليهم وصية او عليهم وصية وقرئ متاع بدلها متاعا الى الحول
نصب بيوصون ان اضمرت والا فبالوصية وبمتاع على قراءة من قرأه لانه بمعنى التمتيع
غير اخراج بدل منه او مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول او حال من ازواجهم اى
غير مخرجات والمعنى انه يجب على الذين يتوفون ان يوصوا قبل ان يحتضروا لازواجهم بان
يمتعن بعدهم حولا بالسكنى وكان ذلك اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله اربعة اشهر
وعشرا وهو وان كان متقدما في التلاوة فهو متأخر في النزول وسقطت النفقة بتوريثها الربع
او الثمن والسكنى لها بعد ثابتة عندنا خلافا لابي حنيفة رح فان خرجن عن منزل الازواج
فلا جناح عليكم ايها الائمة فيما فعلن في انفسهن كالتطيب وترك الحداد من معروف
مما لم ينكره الشرع وهذا يدل على انه لم يكن يجب عليها ملازمة مسكن الزوج والحداد عليه
وانما كانت مخيرة بين الملازمة واخذ النفقة وبين الخروج وتركها والله عزيز ينتقم ممن
خالفه منهم حكيم يراعي مصالحهم وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين اثبت المتعة
للمطلقات جميعا بعدما اوجبها لواحدة منهن وافراد بعض العام بالحكم لا يخصصه الا اذا جوزنا
تخصيص المنطوق بالمفهوم ولذلك اوجبها ابن جبير لكل مطلقة واول غيره بما يعم التمتيع
الواجب والمستحب وقال قوم المراد بالمتاع نفقة العدة ويجوز ان يكون اللام للعهد والتكرير
للتاكيد او لتكرر القصة كذلك اشارة الى ما سبق من احكام الطلاق والعدة يبين الله لكم اياته
وعد بانه سيبين لعباده من الدلايل والاحكام ما يحتاجون اليه معاشا ومعادا لعلكم تعقلون
لعلكم تفهمونها فتستعملون العقل فيها الم تر تعجيب وتقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب

وارباب

وارباب التواريخ وقد يخاطب به من لم ير ولم يسمع فانه صار مثلا في التعجب الى الذين
خرجوا من ديارهم يريد اهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم طاعون فخرجوا
هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويتيقنوا ان لا مفر من قضاء الله تع وقدره او قوما
من بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد ففروا حذر الموت فاماتهم الله تع ثمانية ايام ثم احياهم
وهم الوف اى الوف كثيرة قيل عشرة وقيل ثلاثون وقيل سبعون وقيل متالفون جمع آلف
او آلف كقاعد وقعود والواو للحال حذر الموت مفعول له فقال لهم الله موتوا اى قال
لهم موتوا فماتوا كقوله كن فيكون والمعنى انهم ماتوا ميتة رجل واحد من غير علة بامر الله تع
ومشيته وقيل ناداهم به ملك وانما اسند الى الله تع تخويفا وتهويلا ثم احياهم قيل مر حزقيل
على اهل داوردان وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فتعجب من ذلك فاوحى الله اليه
ناد فيهم ان قوموا باذن الله تع فنادى فقاموا يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا
انت وفائدة القصة تشجيع المسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة وحثهم على التوكل والاستسلام
للقضاء ان الله لذو فضل على الناس حيث احياهم ليعتبروا ويفوزوا وقص عليكم حالهم
ليستبصروا ولكن اكثر الناس لا يشكرون اى لا يشكرونه كما ينبغي ويجوز ان يراد
بالشكر الاعتبار والاستبصار وقاتلوا في سبيل الله لما بين ان الفرار عن الموت غير مخلص
وان المقدر لا محالة واقع امرهم بالقتال اذ لو جاء اجلهم ففي سبيل الله والا فالنصر والثواب
واعلموا ان الله سميع لما يقوله المتخلف والسابق عليم بما يضمرانه وهو من وراء الجزاء
من ذا الذي يقرض الله من استفهامية مرفوعة الموضع بالابتداء وذا خبره والذي صفة ذا
او بدله واقراض الله مثل لتقديم العمل الذي به يطلب ثوابه قرضا حسنا اقراضا مقرونا
بالاخلاص وطيب النفس او مقرضا حلالا طيبا وقيل القرض الحسن المجاهدة والانفاق
في سبيل الله فيضاعفه له فيضاعف جزاءه اخرجه على صورة المغالبة للمبالغة وقرأ عاصم
بالنصب على جواب الاستفهام حملا على المعنى فان من ذا الذي يقرض الله في معنى أيقرض الله
احد وقرأ ابن كثير فيضعفه بالرفع والتشديد وابن عامر ويعقوب بالنصب اضعافا كثيرة
كثرة لا يقدرها الا الله تع وقيل الواحد بسبعمائة واضعافا جمع ضعف ونصبه على الحال

من الضمير المنصوب او المفعول الثاني لتضمين المضاعفة معنى التصيير او المصدر على ان الضعف
اسم المصدر وجمعه للتنويع والله يقبض ويبسط يقتر على بعض ويوسع على بعض حسب ما
اقتضت حكمته فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم كيلا يبدل حالكم واليه ترجعون فيجازيكم
على ما قدمتم الم تر الى الملأ من بني اسرائيل الملأ جماعة يجتمعون للتشاور ولا واحد له كالقوم
ومن للتبعيض من بعد موسى اي من بعد وفاته ومن للابتداء اذ قالوا لنبي لهم هو يوشع
او شمعون او اشمويل ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله اقم لنا اميرا ننهض معه للقتال
يدبر امره ونصدر فيه عن رأيه وجزم نقاتل على الجواب وقرئ بالرفع على انه حال اي ابعثه
لنا مقدرين القتال ويقاتل بالياء مجزوما ومرفوعا على الجواب والوصف لملكا قال هل
عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا فصل بين عسى وخبره بالشرط والمعنى اتوقع جبنكم
عن القتال ان كتب عليكم فادخل هل على فعل التوقع مستفهما عما هو المتوقع عنده تقريرا وتثبيتا
وقرأ نافع عسيتم بكسر السين قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا
وابنائنا اي اي غرض لنا في ترك القتال وقد عرض لنا ما يوجبه ويحث عليه من الاخراج
عن الاوطان والافراد عن الاولاد وذلك ان جالوت ومن معه من العمالقة كانوا
يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فظهروا على بني اسرائيل فاخذوا ديارهم
وسبوا اولادهم واسروا من ابناء الملوك اربعمائة واربعين فلما كتب عليهم القتال تولوا
الا قليلا منهم ثلثمائة وثلثة عشر بعدد اهل بدر والله عليم بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم
في ترك الجهاد وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا طالوت علم عبري كداود
وجالوت وجعله فعلوتا من الطول تعسف يدفعه منع صرفه روي ان النبي عم لما دعا
الله تع ان يملكهم اتى بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت قالوا انى يكون
له الملك علينا اي من اين يكون له ذلك ويتأهل ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من
المال والحال انا احق منه بالملك وراثة ومكنة وانه فقير لا مال له يعتضد به وانما قالوا
ذلك لان طالوت كان فقيرا راعيا او سقاء او دباغا من اولاد بنيامين ولم يكن فيهم النبوة
والملك وانما كانت النبوة في اولاد لاوي بن يعقوب والملك في اولاد يهوذا وكان فيهم من السبطين

خلق قال ان الله اصطفيه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من
يشاء والله واسع عليم لما استبعدوا تملكه لفقره وسقوط نسبه رد عليهم ذلك اولا بان
العمدة فيه اصطفاء الله تع وقد اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم وثانيا بان الشرط فيه
وفور العلم ليتمكن به معرفة الامور السياسية وجسامة البدن ليكون اعظم خطرا في
القلوب واقوى على مقاومة العدو ومكابدة الحروب لا ما ذكرتم وقد زاده الله تع فيهما
وكان الرجل القائم يمد يده فينال رأسه والله يؤتي ملكه في الدنيا على الاطلاق فله ان يؤتيه
من يشاء من ابعاده الله تع واسع الفضل يوسع على الفقير ويغنيه عليم بمن يليق بالملك من النسب
وغيره وقال لهم نبيهم لما طلبوا منه حجة على انه تع اصطفى طالوت وملكه عليهم ان آية ملكه
ان يأتيكم التابوت الصندوق فعلوت من التوب فانه لا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وليس
بفاعول لقلته نحو سلس وقلق ومن قرأ بالهاء فلعله ابدله منه كما ابدل من تاء التانيث
لاشتراكهما في الهمس والزيادة يريد به صندوق التورية وكان من خشب الشمشاد مموها
بالذهب نحوا من ثلثة اذرع في ذراعين فيه سكينة من ربكم الضمير للاتيان اي في اتيانه
سكون لكم وطمأنينة او للتابوت اي مودع فيه ما تسكنون اليه وهو التورية وكان موسى عم
اذا قاتل قدمه فتسكن نفوس بني اسرائيل ولا يفرون وقيل صورة كانت فيه من
زبرجد او ياقوت لها رأس وذنب كرأس الهرة وذنبها وجناحان فتئن فيزف التابوت
نحو العدو وهم يتبعونه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وقيل صور الانبياء من
آدم الى محمد عم وقيل التابوت هو القلب والسكينة ما فيه من العلم والاخلاص واتيانه
مصير قلبه مقرا للعلم والوقار بعد ان لم يكن وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون
رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه وعمامة هارون وآلهما ابناؤهما او انفسهما
والآل مقحم لتفخيم شأنهما او انبياء بني اسرائيل لانهم ابناء عمهما تحمله الملائكة قيل رفعه
الله تع بعد موسى فنزلت به الملائكة وهم ينظرون اليه وقيل كان بعده مع انبيائهم
يستفتحون به حتى افسدوا فغلبهم الكفار عليه وكان في ارض جالوت الى ان ملك الله
طالوت فاصابهم ببلاء حتى هلكت خمس مدائن فتشاءموا بالتابوت فوضعوه على ثورين

تسوقها الملائكة الى طالوت ان في ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين يحتمل ان يكون من تمام
كلام نبيهم وان يكون ابتداء خطاب من الله تعالى فلما فصل طالوت بالجنود انفصل بهم عن بلده
لقتال العمالقة واصله فصل نفسه عنه ولكن لما كثر حذف مفعوله صار كاللازم روي
انه قال لهم لا يخرج معي الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه ممن اختاره ثمانون الفا
وكان الوقت قيظا فسلكوا مفازة وسألوا ان يجري الله لهم نهرا قال ان الله مبتليكم
بنهر معاملكم معاملة المختبر بما اقترحتموه فمن شرب منه فليس مني فليس من اشياعي او ليس
بمتحد معي ومن لم يطعمه فانه مني اي من لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه مأكولا او مشروبا قال
وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا وانما علم ذلك بالوحي ان كان نبيا كما قيل او باخبار النبي عليه السلام الا
من اغترف غرفة بيده استثناء من قوله فمن شرب وانما قدمت عليه الجملة الثانية للعناية
بها كما قدم الصابئون على الخبر في قوله ان الذين امنوا والذين هادوا والمعنى الرخصة
في القليل دون الكثير فشربوا منه الا قليلا منهم اي فكرعوا فيه اذ الاصل في الشرب منه ان
لا يكون بوسط وتعميم الاول ليتصل الاستثناء او افرطوا في الشرب الا قليلا منهم وقرئ
بالرفع حملا على المعنى فان قوله فشربوا منه في معنى فلم يطيعوه والقليل كانوا ثلثمائة وثلثة
عشر رجلا وقيل ثلثة الاف وقيل الفا وروي ان من اقتصر على الغرفة كفته لشربه واداوته
ومن لم يقتصر غلب عطشه واسودت شفته ولم يقدر ان يمضي وهكذا الدنيا لقاصد الاخرة
فلما جاوزه هو والذين امنوا معه اي القليل الذين لم يخالفوه قالوا اي بعضهم لبعض
لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده لكثرتهم وقوتهم قال الذين يظنون انهم ملاقوا
الله اي قال الخلص منهم الذين تيقنوا لقاء الله وتوقعوا ثوابه او علموا انهم يستشهدون
عما قريب فيلقون الله وقيل هم القليل الذين ثبتوا معه والضمير في قالوا للكثير المنخذلين
عنه اعتذارا في التخلف وتخذيلا للقليل وكانهم تقاولوا به والنهر بينهما كم من فئة
قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله بحكمه وتيسيره وكم يحتمل الخبر والاستفهام ومن مبينة
او مزيدة والفئة الفرقة من الناس من فأوت رأسه اذا شققته او من فاء اذا رجع
فوزنها فعة او فلة والله مع الصابرين بالنصر والاثابة ولما برزوا لجالوت وجنوده

اي ظهروا لهم ودنوا منهم قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم
الكافرين التجأوا الى الله بالدعاء وفيه ترتيب بليغ اذ سألوا اولا افراغ الصبر في
قلوبهم الذي هو ملاك الامر ثم ثبات القدم في مداحض الحرب المسبب عنه ثم النصر على العدو
المترتب عليهما غالبا فهزموهم باذن الله فكسروهم بنصره او مصاحبين لنصره اياهم اجابة
لدعائهم وقتل داود جالوت قيل كان ايشي في عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان
داود سابعهم وكان صغيرا يرعى الغنم فاوحى الله الى نبيهم انه الذي يقتل جالوت فطلبه
من ابيه فجاء وقد كلمته في الطريق ثلثة احجار وقالت انك بنا تقتل جالوت فحملها في مخلاته
ورماه بها فقتله ثم زوجه طالوت بنته واتاه الله الملك اي ملك بني اسرائيل ولم يجتمعوا
قبل داود على ملك والحكمة النبوة وعلمه مما يشاء كالسرد وكلام الدواب والطير ولولا دفع
الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين ولولا انه تعالى
يدفع بعض الناس ببعض وينصر المسلمين على الكفار ويكف بهم فسادهم لغلبوا وافسدوا
في الارض او لفسدت الارض بشؤمهم تلك ايات الله اشارة الى ما قص من حديث الالوف
وتمليك طالوت واتيان التابوت وانهزام الجبابرة وقتل داود جالوت نتلوها عليك
بالحق بالوجه المطابق الذي لا يشك فيه اهل الكتاب وارباب التواريخ وانك لمن المرسلين
لما اخبرت بها من غير تعرف واستماع تلك الرسل اشارة الى الجماعة المذكور قصصها في السورة
او المعلومة للرسول عليه السلام او جماعة الرسل واللام للاستغراق فضلنا بعضهم على بعض بان خصصناه
بمنقبة ليست لغيره منهم من كلم الله تفصيل له وهو موسى عليه السلام وقيل موسى ومحمد عليهما السلام كلم موسى ليلة
الحيرة وفي الطور حيث قال وانا اخترتك فاستمع لما يوحى ومحمدا عليه السلام ليلة المعراج حين كان
قاب قوسين او ادنى وبينهما بون بعيد وقرئ كلم الله وكالم الله بالنصب فانه كلم الله كما ان
الله كلمه ولذلك قيل كليم الله بمعنى مكالمه ورفع بعضهم درجات بان فضله على غيره من وجوه
متعددة او بمراتب متباعدة وهو محمد عليه السلام فانه خص بالدعوة العامة والحجج المتكاثرة والمعجزات
المستمرة والايات المتعاقبة بتعاقب الدهر والفضائل العلمية والعملية الفائتة للحصر
والابهام لتفخيم شأنه كانه العلم المتعين لهذا الوصف المستغني عن التعيين وقيل ابراهيم

خصصه بالخلة التي هي اعلى المراتب وقيل ادريس لقوله ورفعناه مكانا عليا وقيل
اولو العزم من الرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس خصصه
بالتعيين لافراط اليهود والنصارى في تحقيره وتعظيمه وجعل معجزاته سبب تفضيله لانها
آيات واضحة ومعجزات عظيمة لم يستجمعها غيره ولو شاء الله هدى الناس جميعا ما اقتتل
الذين من بعدهم من بعد الرسل من بعد ما جاءتهم البينات المعجزات الواضحات لاختلافهم
في الدين وتضليل بعضهم بعضا ولكن اختلفوا فمنهم من آمن بتوفيقه التزام دين الانبياء
تفضلا ومنهم من كفر لاعراضه عنه بخذلانه ولو شاء الله ما اقتتلوا كرره للتاكيد ولكن الله يفعل
ما يريد فيوفق من يشاء فضلا ويخذل من يشاء عدلا والآية دليل على ان الانبياء متفاوتة
الاقدام وانه يجوز تفضيل بعضهم على بعض ولكن بقاطع لان اعتبار الظن فيما يتعلق بالعمل
وان الحوادث بيد الله تعالى تابعة لمشيئته خيرا كان او شرا ايمانا او كفرا يا ايها الذين آمنوا
انفقوا مما رزقناكم ما اوجبت عليكم انفاقه من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة
من قبل ان ياتي يوم لا تقدرون على تدارك ما فرطتم والخلاص من عذابه اذ لا بيع فيه فتحصلون
ما تنفقونه او تفتدون به من العذاب ولا خلة حتى يعينكم عليه اخلاؤكم او يسامحوكم به
ولا شفاعة ورضي له قولا حتى تتكلوا على شفعاء تشفع لكم في حط ما في ذممكم وانما رفعت
ثلثتها مع قصد التعميم لانها في التقدير جواب هل فيه بيع او خلة او شفاعة وقد فتحها
ابن كثير وابو عمرو ويعقوب على الاصل والكافرون هم الظالمون يريد والتاركون للزكوة
هم الذين ظلموا انفسهم او وضعوا المال في غير موضعه وصرفوه على غير وجهه فوضع الكافرون
موضعه تغليظا وتهديدا كقوله ومن كفر مكان من لم يحج وايذانا بان ترك الزكوة من
صفات الكفار لقوله تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة الله لا اله الا هو مبتدأ
وخبر والمعنى انه المستحق للعبادة لا غير وللنحاة خلاف في انه هل يضمر للا خبر مثل في الوجود او يصح
ان يوجد الحي الذي يصح ان يعلم ويقدر وكل ما يصح له فهو واجب لا يزول لامتناعه
عن القوة والامكان القيوم الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه فيعول من قام بالامر
اذا حفظه لا تاخذه سنة ولا نوم السنة فتور يتقدم النوم قال ابن الرقاع وسنان

اقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم والنوم حال تعرض للحيوان من استرخاء
اعصاب الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس الظاهرة عن
الاحساس راسا وتقديم السنة عليه وقياس المبالغة عكسه على ترتيب الوجود والجملة
نفي للتشبيه وتاكيد لكونه حيا قيوما فان من اخذه نعاس او نوم كان مؤوف الحيوة قاصرا
في الحفظ والتدبير ولذلك ترك العاطف فيه وفي الجملة التي بعده له ما في السموات وما
في الارض تقرير لقيوميته واحتجاج على تفرده في الالوهية والمراد بما فيهما ما وجد فيهما
داخلا في حقيقتهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما فهو ابلغ من قوله له ملك السموات والارض
وما فيهن من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه بيان لكبرياء شانه وانه لا احد يساويه
او يدانيه يستقل بان يدفع ما يريده شفاعة واستكانة فضلا عن ان يعاوقه عنادا او
مناصبة يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ما قبلهم وما بعدهم او بالعكس لانك مستقبل المستقبل
ومستدبر الماضي او امور الدنيا وامور الآخرة او عكسه او ما يحسونه وما يعقلونه او ما يدركونه
وما لا يدركونه والضمير لما في السموات والارض لان فيهم العقلاء او لما دل عليه من ذا من
الملائكة والانبياء ولا يحيطون بشيء من علمه من معلوماته الا بما شاء ان يعلموا وعطفه
على ما قبله لان مجموعهما يدل على تفرده بالعلم الذاتي التام الدال على وحدانيته وسع كرسيه
السموات والارض تصوير لعظمته وتمثيل مجرد كقوله وما قدروا الله حق قدره والارض
جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه ولا كرسي في الحقيقة ولا قاعد
وقيل كرسيه مجاز عن علمه او ملكه ماخوذ من كرسي العالم والملك وقيل جسم بين يدي العرش
ولذلك يسمى كرسيا محيطا بالسموات السبع لقوله ما السموات السبع والارضون
السبع مع الكرسي الا كحلقة في فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك
الحلقة ولعله الفلك المشهور بفلك البروج وهو في الاصل اسم لما يقعد عليه ولا يفضل
عن مقعد القاعد وكانه منسوب الى الكرس وهو الملبد ولا يؤوده ولا يثقله ماخوذ
من الاود وهو الاعوجاج حفظهما اي حفظه السموات والارض فحذف الفاعل واضافه
المصدر الى المفعول وهو العلي المتعالي عن الانداد والاشباه العظيم المستحقر بالاضافة

كل ما سواه وهذه الآية مشتملة على امهات المسائل الالهية فانها دالة على انه تعالى
موجود واحد في الهيته متصف بالحيوة واجب الوجود لذاته موجد لغيره اذ القيوم هو
القائم بنفسه المقيم لغيره منزه عن التحيز والحلول مبرأ عن التغير والفتور لا يناسب الاشباح
ولا يعتريه ما يعتري الارواح مالك الملك والملكوت ومبدع الاصول والفروع ذو البطش
الشديد الذي لا يشفع عنده الا من اذن له عالم وحده بالاشياء كلها جليها وخفيها جزئيها
وكليها واسع الملك والقدرة كل ما يصح ان يملك ويقدر عليه لا يؤوده شاق ولا يشغله شان
متعال عما يدركه وهم عظيم لا يحيط به فهم ولذلك قال عم ان اعظم آية في القرآن آية الكرسي
من قراها بعث الله تع ملكا يكتب من حسناته ويمحو من سيئاته الى الغد من تلك الساعة
وقال عم من قرا آية الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت
ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قراها اذا اخذ مضجعه آمنه الله تع على نفسه
وجاره وجار جاره والابيات حوله لا اكراه في الدين اذ الاكراه في الحقيقة الزام الغير
فعلا لا يرى فيه خيرا يحمله عليه ولكن قد تبين الرشد من الغي تميز الايمان من الكفر
بالآيات الواضحة ودلت الدلائل على ان الايمان رشد يوصل الى السعادة الابدية
والكفر غي يؤدي الى الشقاوة السرمدية والعاقل متى تبين له ذلك بادرت نفسه الى الايمان
طلبا للفوز بالسعادة والنجاة فلم يحتج الى الاكراه والالجاء وقيل هو اخبار في معنى النهي
اي لا تكرهوا في الدين وهو اما عام منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ
عليهم او خاص باهل الكتاب لما روي ان انصاريا كان له ابنان تنصرا قبل البعث
ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى
رسول الله صلعم فقال الانصاري يا رسول الله ايدخل بعضي النار وانا انظر اليه فخلاهما
فنزلت فمن يكفر بالطاغوت بالشيطان او الاصنام او كل ما عبد من دون الله او صد عن عبادة
الله فعلوت من الطغيان قلب عينه ولامه ويؤمن بالله بالتوحيد وتصديق الرسل
فقد استمسك بالعروة الوثقى طلب الامساك من نفسه بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق وهي
مستعارة لمتمسك المحق من النظر الصحيح والراي القويم لا انفصام لها لا انقطاع لها

يقال فصمته فانفصم اذا كسرته والله سميع بالاقوال عليم بالنيات ولعله تهديد على
النفاق الله ولي الذين آمنوا محبهم او متولي امورهم والمراد بهم من اراد ايمانه وثبت
في علمه انه يؤمن يخرجهم بهدايته وتوفيقه من الظلمات ظلمات الجهل واتباع الهوى وقبول
الوساوس والشبه المؤدية الى الكفر الى النور الى الهدى الموصل الى الايمان والجملة خبر بعد خبر
او حال من المستكن في الخبر او من الموصول او منهما او استيناف مبين او مقرر للولاية والذين
كفروا اولياؤهم الطاغوت اي الشياطين او المضلات من الهوى والشيطان وغيرهما
يخرجونهم من النور الى الظلمات من النور الذي منحوه بالفطرة الى الكفر وفساد الاستعداد
والانهماك في الشهوات او من نور البينات الى ظلمات الشكوك والشبهات وقيل نزلت
في قوم ارتدوا عن الاسلام واسناد الاخراج الى الطاغوت باعتبار التسبب لا يابى تعلق قدرته
وارادته به اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وعيد وتحذير ولعل عدم مقابلته
بوعد المؤمنين تعظيم لشانهم الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه تعجيب من محاجة نمرود
وحماقته ان آتاه الله الملك لان آتاه اي ابطره ايتاء الملك وحمله على المحاجة او حاج
لاجله شكرا له على طريقة العكس كقولك عاداني لاني احسنت اليك او وقت ان آتاه الله
الملك وهو حجة على من منع ايتاء الله تع الكافر الملك من المعتزلة اذ قال ابراهيم ظرف لحاج
او بدل من آتاه الله الملك على الوجه الثاني ربي الذي يحيي ويميت يخلق الحيوة والموت في الاجساد
وقرا حمزة رب بحذف اليا قال انا احيي واميت بالعفو عن القتل قال ابراهيم فان الله
يأتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب اعرض ابراهيم عن الاعتراض على معارضته الفاسدة
الى الاحتجاج بما لا يقدر فيه على نحو هذا التمويه دفعا للمشاغبة فهو في الحقيقة
عدول عن مثال خفي الى مثال جلي من مقدوراته التي يعجز عن الاتيان بها غيره لا عن حجة
الى اخرى ولعل نمرود زعم انه يقدر على ان يفعل كل جنس يفعله الله تع فنقضه ابراهيم
بذلك وانما حمله عليه بطر الملك وحماقته او اعتقاد الحلول وقيل لما كسر ابراهيم الاصنام
سجنه اياما ثم اخرجه ليحرقه فقال له من ربك الذي تدعو اليه وحاجه فيه فبهت الذي
كفر فصار مبهوتا وقرئ فبهت اي فغلب ابراهيم الكافر والله لا يهدي القوم الظالمين

الذين ظلموا انفسهم بالامتناع عن قبول الهداية وقيل لا يهديهم محجة الاحتجاج او سبيل
النجاة او طريق الجنة يوم القيمة او كالذي مر على قرية تقديره او رايت مثل الذي مر
فحذف لدلالة الم تر عليه وتخصيصه بحرف التشبيه لان المنكر للاحياء كثير والجاهل بكيفيته
اكثر من ان يحصى بخلاف مدعي الربوبية وقيل الكاف مزيدة وتقدير الكلام الم تر الى الذي
مر وقيل انه عطف محمول على المعنى كانه قيل الم تر كالذي حاج او كالذي مر وقيل انه
من كلام ابراهيم ذكره جوابا لمعارضته وتقديره او ان كنت تحيي فاحي كاحياء الله الذي
الذي مر وهو عزير بن شرخيا او الخضر او كافر بالبعث ويؤيده نظمه مع نمرود والقرية
بيت المقدس حين خربه بخت نصر وقيل القرية التي خرج منها الالوف وقيل غيرهما
واشتقاقها من القري وهو الجمع وهي خاوية على عروشها خالية ساقطة حيطانها (على سقوفها) قال
انى يحيي هذه الله بعد موتها اعترافا بالقصور عن معرفة طريق الاحياء واستعظاما لقدرة
المحيي ان كان القائل مؤمنا او استبعادا ان كان القائل كافرا وانى في موضع نصب على
الظرف بمعنى متى او على الحال بمعنى كيف فاماته الله مائة عام فالبثه ميتا مائة عام او
اماته فلبث ميتا مائة عام ثم بعثه بالاحياء قال كم لبثت القائل هو الله وساغ
ان يكلمه وان كان كافرا لانه آمن بعد البعث واشرف على الايمان وقيل ملك او نبي قال
لبثت يوما او بعض يوم كقول الظان وقيل انه مات ضحى وبعث بعد المائة قبيل
الغروب فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فراى بقية منها فقال او بعض يوم
على الاضراب قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه لم يتغير بمرور
الزمان واشتقاقه من السنة والهاء اصلية ان قدر لام السنة هاء وهاء السكت ان قدرت
واوا وقيل اصله لم يتسنن من الحمأ المسنون فابدلت النون الثالثة حرف علة كتقضى البازي
وانما افرد الضمير لان الطعام والشراب كالجنس الواحد وقيل كان طعامه تينا وعنبا
وشرابه عصيرا ولبنا وكان الكل على حاله وانظر الى حمارك كيف تفرقت عظامه او
انظر اليه سالما في مكانه كما ربطته حفظناه بلا ماء وعلف كما حفظنا الطعام والشراب
من التغير والاول ادل على الحال واوفق لما بعده ولنجعلك آية للناس اي فعلنا ذلك

لنجعلك آية روي انه اتى قومه على حماره فقال انا عزير فكذبوه فقرأ التورية من الحفظ
ولم يحفظها احد قبله فعرفوه بذلك وقالوا هو ابن الله وقيل لما رجع الى منزله كان شابا
واولاده شيوخا فاذا حدثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة وانظر الى العظام يعني
عظام الحمار او الاموات الذين تعجب من احيائهم كيف ننشزها كيف نحييها او نرفع بعضها
الى بعض ونركبه عليه وكيف منصوب بننشزها والجملة حال من العظام اي انظر اليها محياة و
قرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب ننشرها من انشر الله الموتى وقرئ ننشرها من نشر
بمعنى انشر ثم نكسوها لحما فلما تبين له فاعل تبين مضمر يفسره ما بعده تقديره فلما تبين له
ان الله على كل شيء قدير قال اعلم ان الله على كل شيء قدير فحذف الاول لدلالة الثاني عليه
او يفسره ما قبله اي فلما تبين له ما اشكل عليه وقرأ حمزة والكسائي قال اعلم على الامر والامر
مخاطبه او هو نفسه خاطبها به على طريق التبكيت واذ قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي
الموتى انما سأل ذلك ليصير علمه عيانا وقيل لما قال نمرود انا احيي واميت قال له ان
احياء الله برد الروح الى بدنها فقال نمرود هل عاينته فلم يقدر ان يقول نعم وانتقل
الى تقرير آخر ثم سأل ربه ان يريه ليطمئن قلبه على الجواب ان سئل عنه مرة اخرى قال
اولم تؤمن باني قادر على الاحياء باعادة التركيب والحيوة قال له ذلك وقد علم انه اعرف
الناس في الايمان ليجيب بما اجاب فيعلم السامعون غرضه قال بلى ولكن ليطمئن قلبي اي بلى
آمنت ولكن سألت لازيد بصيرة وسكون قلب بمضامة العيان الى الوحي والاستدلال
قال فخذ اربعة من الطير قيل طاوسا وديكا وغرابا وحمامة ومنهم من ذكر النسر بدل
الحمامة وفيه ايماء الى ان احياء النفس بالحيوة الابدية انما يتاتى باماتة حب الشهوات
والزخارف التي هي صفة الطاوس والصولة المشهور بها الديك وخسة النفس وبعد
الامل المتصف بهما الغراب والترفع والمسارعة الى الهوى الموسوم بهما الحمام وانما خص
الطير لانه اقرب الى الانسان واجمع لخواص الحيوان والطير مصدر سمي به او جمع كصحب
فصرهن اليك فاملهن واضممهن اليك لتتاملها وتعرف شانها لئلا يلتبس عليك بعد الاحياء
وقرأ حمزة ويعقوب فصرهن اليك بالكسر وهما لغتان قال ولكن اطراف الرماح

تصورها وقال وفرع يصير الجيد وحف كأنه على الليت قنوان الكروم الدوالح
وقرئ فصرهن بضم الصاد وكسرها مشددة الراء من صره يصره إذا جمعه
وفصرهن من التصرية وهي الجمع أيضا ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا أي ثم جزئهن
وفرق أجزاءهن على الجبال التي بحضرتك قيل كانت أربعة وقيل سبعة وقرأ أبو بكر
جزؤا بضم الزاء حيث وقع ثم ادعهن قل لهن تعالين بإذن الله يأتينك سعيا
ساعيات مسرعات طيرانا أو مشيا روي أنه أمر بأن يذبحها وينتف ريشها
ويقطعها فيمسك رؤسها ويخلط سائر أجزائها ويوزعها على الجبال ثم يناديهن
ففعل ذلك فجعل كل جزء يطير إلى الآخر حتى صارت جثثا ثم أقبلن فانضممن إلى رؤسهن
وفيه إشارة إلى أن من أراد إحياء نفسه بالحياة الأبدية فعليه أن يقبل على القوى
البدنية فيقتلها ويمزج بعضها ببعض حتى ينكسر سورتها فيطاوعنه مسرعات
متى دعاهن بداعية العقل أو الشرع وكفى لك شاهدا على فضل إبراهيم
ويمن الضراعة في الدعاء وحسن الأدب في السؤال أنه تعالى أراه ما أراد أن
يريه في الحال على أيسر الوجوه وأراه عزيرا بعد أن أماته مائة عام واعلم أن الله
عزيز لا يعجز عما يريده حكيم ذو حكمة بالغة في كل ما يفعله ويذره مثل الذين ينفقون
أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أي مثل نفقتهم كمثل حبة أو مثلهم كمثل باذر حبة
أسند الإنبات إلى الحبة لما كانت من الأسباب كما أسند إلى الأرض والماء والمنبت
على الحقيقة هو الله سبحانه وتعالى والمعنى أنه يخرج منها ساق يتشعب منها سبع
شعب لكل منها سنبلة فيها مائة حبة وهو تمثيل لا يقتضي وقوعه وقد يكون في الذرة
والدخن والبر في الأرض المغلة والله يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء بفضله على
حسب حال المنفق من إخلاصه وتعبه ومن أجل ذلك تفاوتت الأعمال في مقادير الثواب
والله واسع لا يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة عليم بنية المنفق وقدر إنفاقه
الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى نزلت في عثمان
رضه فإنه جهز جيش العسرة بألف بعير بأقتابها وأحلاسها وعبد الرحمن بن عوف فإنه

أتى النبي صم بأربعة آلاف درهم صدقة والمن أن يعتد بإحسانه على من أحسن إليه
والأذى أن يتطاول عليه بسبب ما أنعم عليه وثم للتفاوت ما بين الإنفاق وترك
المن والأذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون لعله لم يدخل
الفاء فيه وقد تضمن ما أسند إليه معنى الشرط إيهاما بأنهم أهل لذلك وإن لم يفعلوا
فكيف بهم إذا فعلوا قول معروف رد جميل ومغفرة وتجاوز عن السائل والحاجة
أو نيل مغفرة من الله بالرد الجميل أو عفو من السائل بأن يعذره ويغتفر رده خير من
صدقة يتبعها أذى خبر عنهما وإنما صح الابتداء بالنكرة لاختصاصها بالصفة
والله غني عن إنفاق بمن وإيذاء حليم عن معاجلة من يمن ويؤذي بالعقوبة يا أيها
الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى لا تحبطوا أجرها بكل واحد منهما
كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر كإبطال المنافق
الذي يرائي بإنفاقه ولا يريد به رضاء الله سبحانه ولا ثواب الآخرة أو مماثلين الذي
ينفق رئاء فالكاف في محل النصب على المصدر أو الحال ورئاء منصوب على المفعول له
أو الحال بمعنى مرائيا أو المصدر أي إنفاق رئاء فمثله فمثل المرائي في إنفاقه كمثل صفوان
كمثل حجر أملس عليه تراب فأصابه وابل مطر عظيم القطر فتركه صلدا أملس نقيا من
التراب لا يقدرون على شيء مما كسبوا لا ينتفعون بما فعلوا رئاء ولا يجدون ثوابه والضمير
للذي ينفق باعتبار المعنى لأن المراد به الجنس أو الجمع كما في قوله وإن الذي حانت
بفلج دماؤهم والله لا يهدي القوم الكافرين إلى الخير والرشاد وفيه تعريض بأن
الرئاء والمن والأذى على الإنفاق من صفة الكفار ولا بد للمؤمن أن يتجنب
عنها ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم وتثبيتا
بعض أنفسهم على الإيمان فإن المال شقيق الروح فمن بذل ماله لوجه الله سبحانه
ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه فقد ثبتها كلها أو تصديقا للإسلام
وتحقيقا للجزاء مبتدئا من أصل أنفسهم وفيه تنبيه على أن حكمة الإنفاق للمنفق
تزكية النفس عن البخل وحب المال كمثل جنة بربوة أي ومثل نفقة هؤلاء

في الزكاء كمثل بستان بموضع مرتفع فان شجره يكون احسن منظرا وازكى ثمرا
وقرأ ابن عامر وعاصم بربوة بالفتح وقرئ بالكسر وثلثتها لغات فيها اصابها وابل
مطر عظيم القطر فآتت اكلها ثمرتها وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو بالسكون للتخفيف
ضعفين مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل والمراد بالضعف المثل كما اريد بالزوج
الواحد في قوله تعالى من كل زوجين اثنين وقيل اربعة امثاله ونصبه على الحال
اي مضاعفا فان لم يصبها وابل فطل اي فيصيبها طل او فالذي يصيبها طل
او فطل يكفيها لكرم منبتها وبرودة هوائها لارتفاع مكانها وهو المطر الصغير
القطر والمعنى ان نفقات هؤلاء زاكية عند الله تعالى لا تضيع بحال وان كانت
تتفاوت باعتبار ما ينضم اليها من احوال ويجوز ان يكون التمثيل لحالهم عند الله
بالجنة على الربوة ونفقاتهم الكثيرة والقليلة الزائدتين في زلفاهم بالوابل
والطل والله بما تعملون بصير تحذير عن الرياء وترغيب في الاخلاص ايود
احدكم الهمزة فيه للانكار ان تكون له جنة من نخيل واعناب تجري من تحتها الانهار
له فيها من كل الثمرات جعل الجنة منهما مع ما فيها من سائر الاشجار تغليبا لشرفهما
وكثرة منافعهما ثم ذكر ان فيها كل الثمرات ليدل على احتوائها على سائر انواع الاشجار
ويجوز ان يكون المراد بالثمرات المنافع واصابه الكبر اي كبر السن فان الفاقة
والعالة في الشيخوخة اصعب والواو للحال او للعطف حملا على المعنى وكأنه
قيل ايود احدكم لو كان له جنة واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء صغار
لا قدرة لهم على الكسب فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت عطف على اصابه او تكون
باعتبار المعنى والاعصار ريح عاصفة تنعكس من الارض الى السماء مستديرة
كعمود والمعنى تمثيل من يفعل الافعال الحسنة ويضم اليها ما يحبطها كرياء وايذاء
في الحسرة والاسف فاذا كان يوم القيمة واشتد حاجته اليها وجدها محبطة بحال
من هذا شأنه واشبههم به من جال بسره في عالم الملكوت وترقى بفكره الى جناب
الجبروت ثم نكص على عقبيه الى عالم الزور والتفت الى ما سوى الحق وجعل سعيه

هباء منثورا كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون اي تتفكرون فيها
فتعتبرون بها يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم من حلاله او جياده
ومما اخرجنا لكم من الارض اي ومن طيبات ما اخرجناه من الثمرة والحبوب والمعادن
فحذف المضاف لتقدم ذكره ولا تيمموا الخبيث منه ولا تقصدوا الردي منه
اي من المال او مما اخرجناه وتخصيصه بذلك لان التفاوت فيه اكثر وقرئ ولا
تأمموا ولا تيمموا بضم التاء تنفقون حال مقدرة من فاعل تيمموا ويجوز ان
يتعلق به منه ويكون الضمير للخبيث والجملة حالا منه ولستم بآخذيه اي وحالكم
انكم لا تأخذونه في حقوقكم لرداءته الا ان تغمضوا فيه الا ان تتسامحوا فيه مجاز
من اغمض بصره اذا غضه وقرئ تُغمَضوا اي تحملوا على الاغماض او توجدوا مغمضين
وعن ابن عباس رضه كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه واعلموا
ان الله غني عن انفاقكم وانما يأمركم به لانتفاعكم حميد بقبوله واثابته الشيطان
يعدكم الفقر في الانفاق والوعد في الاصل شائع في الخير والشر وقرئ الفقر
بالضم والسكون وبضمتين وفتحتين ويأمركم بالفحشاء ويغريكم على البخل والعرب
تسمي البخيل فاحشا وقيل المعاصي والله يعدكم مغفرة منه اي يعدكم في الانفاق
مغفرة ذنوبكم وفضلا خلفا افضل مما انفقتم في الدنيا او في الآخرة والله
واسع اي واسع الفضل لمن انفق عليم بانفاقه يؤتي الحكمة تحقيق العلم واتقان
العمل من يشاء مفعول اول اخر للاهتمام بالمفعول الثاني ومن يؤت الحكمة
بناؤه للمفعول لانه المقصود وقرأ يعقوب بالكسر اي ومن يؤته الله فقد اوتي خيرا
كثيرا اي خير كثير اذ حيز له خير الدارين وما يذكر وما يتعظ بما قص من الآيات
او وما يتفكر فان المتفكر كالمتذكر لما اودع الله في قلبه من العلوم بالقوة الا
اولو الالباب ذوو العقول الخالصة عن شوائب الوهم والركون الى متابعة
الهوى وما انفقتم من نفقة قليلة او كثيرة سرا او علانية في حق او باطل او نذرتم
من نذر بشرط او بغير شرط في طاعة او معصية فان الله يعلمه فيجازيكم عليه

وما للظالمين الذين ينفقون في المعاصي وينذرون فيها او يمنعون الصدقات
ولا يوفون بالنذور من انصار ينصرهم من الله تع ويمنعهم من عقابه ان تبدوا
الصدقات فنعما هي فنعم شيئا ابداؤها وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بفتح النون
وكسر العين على الاصل وان تخفوها وتؤتوها الفقراء اي تعطوها مع الاخفاء فهو
خير لكم فالاخفاء خير لكم وهذا في التطوع ولمن لم يعرف بالمال فان ابداء الفرض
لغيره افضل لنفي التهمة عن ابن عباس رض صدقة السر في التطوع تفضل
علانيتها بسبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين
ضعفا ويكفر عنكم من سيئاتكم قرأ ابن عامر وعاصم في رواية حفص بالياء اي والله
يكفر او الاخفاء وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم في رواية ابن عياش ويعقوب
بالنون مرفوعا على انه جملة فعلية مبتداة او اسمية معطوفة على ما بعد الفاء اي
ونحن نكفر وقرأ نافع وحمزة والكسائي مجزوما على محل الفاء وما بعده وقرئ بالتاء
مرفوعا ومجزوما والفعل للصدقات والله بما تعملون خبير ترغيب في الاسرار
ليس عليك هداهم لا يجب عليك ان تجعل الناس مهديين وانما عليك الارشاد والحث
على المحاسن والنهي عن القبائح كالمن والاذى وانفاق الخبيث ولكن الله يهدي
من يشاء صريح بان الهداية من الله تع وبمشيئته وانها تخص بقوم دون قوم
وما تنفقوا من خير من نفقة معروفة فلانفسكم فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا
تمنوا عليه ولا تنفقوا الخبيث وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله حال وكانه قال
وما تنفقوا من خير فلانفسكم غير منفقين الا لابتغاء وجه الله وطلب ثوابه او عطف
على ما قبله اي وليس نفقتكم الا لابتغاء وجهه فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث
وقيل نفي في معنى النهي وما تنفقوا من خير يوف اليكم ثوابه اضعافا مضاعفة
فهو تاكيد للشرطية السابقة او لما يخلف المنفق استجابة لقوله عم اللهم
اجعل لمنفق خلفا ولممسك تلفا روي ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار ورضاع
في اليهود وكانوا ينفقون عليهم فكرهوا لما اسلموا ان ينفقوهم فنزلت وهذا

في غير الواجب اما الواجب فلا يجوز صرفه الى الكفار وانتم لا تظلمون
اي لا تنقصون ثواب نفقتكم للفقراء متعلق بمحذوف اي اعمدوا للفقراء او اجعلوا
ما تنفقونه للفقراء او صدقاتكم للفقراء الذين احصروا في سبيل الله احصرهم
الجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به ضربا في الارض ذهابا فيها للكسب وقيل
هم اهل الصفة كانوا نحوا من اربعمائة من فقراء المهاجرين يسكنون صفة المسجد
يستغرقون اوقاتهم بالتعلم والعبادة وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله صلعم
يحسبهم الجاهل بحالهم وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة بفتح السين اغنياء من
التعفف اي من اجل تعففهم عن السؤال تعرفهم بسيماهم من الضعف ورثاثة
الحال والخطاب للرسول او لكل احد لا يسألون الناس الحافا الحاحا
وهو ان يلازم المسؤول حتى يعطيه من قولهم لحفني من فضل لحافه اي
اعطاني من فضل ما عنده والمعنى انهم لا يسألون وان سألوا عن ضرورة
لم يلحوا وقيل هو نفي للامرين كقوله على لا حب لا يهتدى بمناره ونصبه على
المصدر فانه كنوع من السؤال او على الحال وما تنفقوا من خير فان الله به
عليم ترغيب في الانفاق وخصوصا على هؤلاء الذين ينفقون اموالهم
بالليل والنهار سرا وعلانية اي يعمون الاوقات والاحوال بالخير نزلت
في ابي بكر الصديق رض تصدق باربعين الف دينار عشرة بالليل وعشرة
بالنهار وعشرة بالسر وعشرة بالعلانية وقيل في علي رض لم يملك الا اربعة
دراهم فتصدق بدرهم ليلا ودرهم نهارا ودرهم سرا ودرهم علانية
وقيل في ربط الخيل في سبيل الله تع والانفاق عليها فلهم اجرهم عند ربهم
ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون خبر الذين ينفقون والفاء للسببية وقيل
للعطف والخبر محذوف اي ومنهم الذين ولذلك جوز الوقف على وعلانية
الذين يأكلون الربوا اي الآخذون وانما ذكر الاكل لانه اعظم منافع
المال ولان الربوا شائع في المطعومات وهو زيادة في الاجل بان يباع

مطعوم بمطعوم او نقد بنقد الى اجل او في العوض بان يباع احدهما باكثر منه
من جنسه وانما كتب بالواو كالصلوة للتفخيم على لغة من يفخم وزيدت الالف بعدها
تشبيها بواو الجمع لا يقومون اذا بعثوا من قبورهم الا كما يقوم الذي يتخبطه
الشيطان الا قياما كقيام المصروع وهو وارد على ما يزعمون ان الشيطان
يخبط الانسان فيصرع والخبط ضرب على غير اتساق كخبط العشواء من المس
اى الجنون وهذا ايضا من زعماتهم ان الجني يمسه فيختلط عقله ولذلك
قيل جن الرجل وهو متعلق بلا يقومون اى لا يقومون من المس الذي بهم بسبب
اكل الربوا او بيقوم او يتخبط فيكون نهوضهم وسقوطهم كالمصروعين
لا لاختلال عقلهم ولكن لان الله تعالى اربى في بطونهم ما اكلوه من الربوا فاثقلهم
ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا اى ذلك العقاب بسبب انهم نظموا
الربوا والبيع في سلك واحد لافضائهما الى الربح فاستحلوه استحلاله
وكان الاصل انما الربوا مثل البيع ولكن عكس للمبالغة كانهم جعلوا الربوا
اصلا وقاسوا به البيع والفرق بين فان من اعطى درهمين بدرهم فقد ضيع
درهما ومن اشترى سلعة تساوى درهما بدرهمين فلعل مساس الحاجة اليها
او توقع رواجها يجبر هذا الغبن واحل الله البيع وحرم الربوا انكار
لتسويتهم وابطال القياس لمعارضته النص فمن جاءه موعظة من ربه
فمن بلغه وعظ من الله وزجر كالنهي عن الربوا فانتهى فاتعظ واتبع النهي
فله ما سلف تقدم اخذه التحريم ولا يسترد منه وما في موضع الرفع بالظرف
ان جعلت من موصولة وبالابتداء ان جعلت شرطية على راى سيبويه اذ الظرف
غير معتمد على ما قبله وامره الى الله يجازيه على انتهائه ان كان عن قبول
الموعظة وصدق النية وقيل يحكم في شانه ولا اعتراض لكم عليه ومن عاد
الى تحليل الربوا اذ الكلام فيه فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
لانهم كفروا به يمحق الله الربوا يذهب الله بركته ويهلك المال الذي

يدخل

يدخل فيه ويربي الصدقات يضاعف ثوابها ويبارك فيما اخرجت منه
وعنه عم ان الله يقبل الصدقة فيربيها كما يربي احدكم مهره وعنه عم
ما نقصت زكوة من مال قط والله لا يحب لا يرتضي ولا يحب محبته للتوابين
كل كفار مصر على تحليل المحرمات اثيم منهمك في ارتكابه ان الذين امنوا
بالله ورسوله وبما جاءهم منه وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة واتوا
الزكوة عطفهما على ما يعمهما لانافتهما على سائر الاعمال الصالحة لهم
اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون على فائت يا ايها الذين
امنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا واتركوا بقايا ما شرطتم
على الناس من الربوا ان كنتم مؤمنين بقلوبكم فان دليله امتثال ما
امرتم به روي انه كان لثقيف مال على بعض قريش فطالبوهم عند
المحل بالمال والربوا فنزلت فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله
اى فاعلموا بها من اذن بالشيء اذا علم به وقرأ حمزة وعاصم في رواية
ابن عياش عنه فآذنوا اى فاعلموا بها غيركم من الاذن وهو الاستماع
فانه من طرق العلم وتنكير حرب للتعظيم وذلك يقتضي ان يقاتل المربي
بعد الاستتابة حتى يفيء الى امر الله كالباغي ولا يقتضي كفره روي انها
لما نزلت قالت ثقيف لا يدي لنا بحرب الله ورسوله وان تبتم من الارتباء
واعتقاد حله فلكم رؤوس اموالكم لا تظلمون باخذ الزيادة ولا تظلمون
بالمطل والنقصان ويفهم منه انهم ان لم يتوبوا فليس لهم رأس مالهم
وهو سديد على ما قلناه اذ المصر على التحليل مرتد وماله فيء وان كان
ذو عسرة وان وقع غريم ذو عسرة وقرئ ذا عسرة اى وان كان الغريم
ذا عسرة فنظرة فالحكم نظرة او فعليكم نظرة او فليكن نظرة وهي الانظار
وقرئ فناظره على الخبر اى فالمستحق ناظره بمعنى منتظره او صاحب نظرته
على طريق النسب وعلى الامر اى فسامحه بالنظرة الى ميسرة يسار وقرأ نافع

وحمزة بضم السين وهما لغتان كمشرقة ومشرقة وقرئ بهما مضافين بحذف
التاء عند الاضافة كقوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا
وان تصدقوا بالابراء وقرأ عاصم بتخفيف الصاد خير لكم اكثر ثوابا من
الانظار او خير مما تأخذون لمضاعفة ثوابه ودوامه وقيل المراد بالتصدق
الانظار لقوله عم لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة
ان كنتم تعلمون ما فيه من الذكر الجميل والاجر الجزيل واتقوا يوما ترجعون فيه الى
الله يوم القيمة او يوم الموت فتأهبوا لمصيركم اليه وقرأ ابو عمرو ويعقوب
بفتح التاء وكسر الجيم ثم توفى كل نفس ما كسبت جزاء ما عملت من خير او شر
وهم لا يظلمون بنقص ثواب وتضعيف عقاب وعن ابن عباس رض انها آخر آية
نزل بها جبرئيل عم وقال ضعها في رأس المائتين والثمانين من البقرة وعاش
رسول الله صلعم بعدها احدا وعشرين يوما وقيل احدا وثمانين وقيل سبعة ايام
وقيل ثلث ساعات يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين اي اذا داين بعضكم
بعضا تقول داينته اذا عاملته نسيئة معطيا او آخذا وفائدة ذكر الدين
ان لا يتوهم من التداين المجازاة ويعلم تنوعه الى المؤجل والحال وانه الباعث
على الكتبة ويكون مرجع الضمير فاكتبوه الى اجل مسمى معلوم بالايام والاشهر
لا بالحصاد وقدوم الحاج فاكتبوه لانه اوثق وادفع للنزاع والجمهور على
انه استحباب وعن ابن عباس رض ان المراد به السلم وقال لما حرم الله الربوا
اباح السلف وليكتب بينكم كاتب بالعدل من يكتب بالسوية لا يزيد ولا ينقص
وهو في الحقيقة امر للمتداينين باختيار كاتب فقيه دين حتى يجيء مكتوبه موثوقا به
معدلا بالشرع ولا يأب كاتب ولا يمتنع احد من الكتاب ان يكتب كما علمه الله
مثل ما علمه الله من كتبة الوثائق او لا يأب ان ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله
بتعليمها كقوله واحسن كما احسن الله اليك فليكتب تلك الكتابة المعلمة امر بها
بعد النهي عن الاباء عنها تأكيدا ويجوز ان يتعلق الكاف بالامر فيكون النهي عن

الامتناع منها مطلقة ثم الامر بها مقيدة وليملل الذي عليه الحق وليكن المملي من
عليه الحق لانه المقر المشهود عليه والاملال والاملاء واحد وليتق الله ربه اي
المملي او الكاتب ولا يبخس ولا ينقص منه شيئا اي من الحق او مما املى عليه فان كان
الذي عليه الحق سفيها ناقص العقل مبذرا او ضعيفا صبيا او شيخا مختلا او
لا يستطيع ان يمل هو او غير مستطيع للاملال بنفسه لخرس او جهل باللغة فليملل
وليه بالعدل اي الذي يلي امره ويقوم مقامه من قيم ان كان صبيا او مختل
عقل او وكيل او مترجم ان كان غير مستطيع وهو دليل على جريان النيابة في
الاقرار ولعله مخصوص بما تعاطاه القيم او الوكيل واستشهدوا شهيدين
واطلبوا ان يشهد على الدين شاهدان من رجالكم من رجال المسلمين وهو دليل
اشتراط اسلام الشهود واليه ذهب عامة العلماء وقال ابو حنيفة رض تسمع
شهادة الكفار بعضهم على بعض فان لم يكونا رجلين فان لم يكن الشاهدان
رجلين فرجل وامرأتان فليشهدوا او فالمستشهد رجل وامرأتان وهذا مخصوص
بالاموال عندنا وبما عدا الحدود والقصاص عند ابي حنيفة ممن ترضون
من الشهداء لعلمكم بعدالتهم ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى علة اعتبار
العدد اي لاجل ان احديهما ان ضلت الشهادة بان نسيتها ذكرتها الاخرى والعلة
في الحقيقة التذكير ولكن لما كان الضلال سببا له نزل منزلته كقولهم اعددت
السلاح ان يجيء عدو فادفعه كانه قيل ارادة ان تذكر احديهما الاخرى ان ضلت
وفيه اشعار بنقصان عقلهن وقلة ضبطهن وقرأ حمزة ان تضل على الشرط فتذكر
بالرفع وابن كثير وابو عمرو ويعقوب فتذكر من الاذكار ولا يأب الشهداء اذا
ما دعوا لاداء الشهادة او التحمل وسموا شهداء تنزيلا لما يشارف منزلة الواقع وما
مزيدة ولا تسأموا ان تكتبوه ولا تملوا من كثرة مداينتكم ان تكتبوا الدين
او الحق او الكتاب وقيل كنى بالسأم عن الكسل لانه صفة المنافق ولذلك قال عم
لا يقول المؤمن كسلت صغيرا او كبيرا صغيرا كان الحق او كبيرا او مختصرا كان الكتاب

او كبيرا الى اجله اى وقت حلوله الذى اقر به المديون ذلكم اشارة الى ان تكتبوه
اقسط عند الله اكثر قسطا واقوم للشهادة واثبت لها واعون على اقامتها وهما
مبنيان من اقسط واقام على غير القياس او من قاسط بمعنى ذى قسط وقويم وانما
صحت الواو فى اقوم كما صحت فى التعجب لجموده وادنى الا ترتابوا واقرب فى ان
لا تشكوا فى جنس الدين وقدره واجله والشهود ونحو ذلك الا ان تكون تجارة
حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها استثناء عن الامر بالكتابة والتجارة
الحاضرة تعم المبايعة بعين او دين وادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد اى الا
ان تتبايعوا يدا بيد فلا باس ان لا تكتبوا لبعده عن التنازع والنسيان ونصب
عاصم تجارة على انه الخبر والاسم مضمر تقديره الا ان تكون التجارة تجارة حاضرة
كقوله بنى اسد هل تعلمون بلاءنا اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا ورفعها الباقون
على انها الاسم والخبر تديرونها او على كان التامة واشهدوا اذا تبايعتم هذا
التبايع او مطلقا لانه احوط والاوامر التى فى هذه الآية للاستحباب عند اكثر
الائمة وقيل انها للوجوب ثم اختلف فى احكامها ونسخها ولا يضار كاتب ولا
شهيد يحتمل البناءين ويدل عليه انه قرئ ولا يضارر بالكسر والفتح وهو نهيهما
عن ترك الاجابة والتحريف والتغيير فى الكتبة والشهادة او النهى عن الضرار بهما مثل
ان يعجلا عن مهم ويكلفا الخروج عما حد لهما ولا يعطى الكاتب والشهيد مؤنة مجيئه
حيث كان وان تفعلوا الضرار او ما نهيتم فانه فسوق بكم خروج عن الطاعة لاحق
بكم واتقوا الله فى مخالفة امره ونهيه ويعلمكم الله احكامه المتضمنة لمصالحكم
والله بكل شىء عليم كرر لفظة الله فى الجمل الثلث لاستقلالها فان الاولى حث على
التقوى والثانية وعد بانعامه والثالثة تعظيم لشانه لانه ادخل فى التعظيم
من الكناية وان كنتم على سفر اى مسافرين ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فالذى
يستوثق به رهان او فعليكم رهان او فليؤخذ رهان وليس هذا التعليق لاشتراط
السفر فى الارتهان كما ظنه مجاهد والضحاك لانه عم رهن درعه فى المدينة من يهودى

اى يحبسه فى مكانه يريد به التكاليف الشاقة وقرئ ولا تحمل بالتشديد للمبالغة
كما حملته على الذين من قبلنا حملا مثل حملك اياه من قبلنا او مثل الذى حملته
اياهم فيكون صفة لاصرا والمراد به ما كلف به بنو اسرائيل من قتل الانفس
وقطع موضع النجاسة وخمسين صلوة فى اليوم والليلة وصرف ربع المال
للزكوة او ما اصابهم من الشدائد والمحن ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به
من البلاء والعقوبة او من التكاليف التى لا تفى بها الطاقة البشرية وهو
يدل على جواز التكليف بما لا يطاق والا لما سئل التخلص عنه والتشديد ههنا
لتعدية الفعل الى مفعول ثان واعف عنا وامح ذنوبنا واغفر لنا واستر
عيوبنا ولا تفضحنا بالمؤاخذة وارحمنا وتعطف بنا وتفضل علينا انت مولانا
سيدنا فانصرنا على القوم الكافرين فان من حق المولى ان ينصر مواليه على الاعداء
والمراد به عامة الكفرة روى انه عم لما دعا بهذه الدعوات قيل له فعلت وعنه عم
انزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفى سنة من
قرأهما بعد العشاء الاخرة اجزأتاه عن قيام الليل وعنه عم من قرأ الآيتين
من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه وهو يرد قول من استكره ان يقال سورة البقرة
وقال ينبغى ان يقال السورة التى يذكر فيها البقرة كما قال عم السورة التى يذكر فيها
البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن يستطيعها
البطلة قيل وما البطلة قال السحرة

سورة آل عمران مدنية وآيها مائتا آية

بسم الله الرحمن الرحيم الم الله لا اله الا هو انما فتح الميم فى المشهور وكان حقها
ان يوقف عليها لالقاء حركة الهمزة عليها ليدل على انها فى حكم الثابت لانها
اسقطت للتخفيف لا للدرج فان الميم فى حكم الوقف كقولهم واحد اثنان لا لالتقاء
الساكنين فانه غير محذور فى باب الوقف ولذلك لم يحرك فى لام وقرئ بكسرها
على توهم التحريك لالتقاء الساكنين وقرأ ابو بكر بسكونها والابتداء بما بعدها

على الاصل الحي القيوم روي انه عليه السلام قال ان اسم الله الاعظم في ثلث سور في البقرة
الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي آل عمران الم الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي طه وعنت
الوجوه للحي القيوم نزل عليك الكتاب القرآن نجوما بالحق بالعدل او بالصدق في اخباره
او بالحجج المحققة انه من عند الله وهو في موضع الحال مصدقا لما بين يديه من الكتب
وانزل التوراة والانجيل جملة على موسى وعيسى عليهما السلام واشتقاقهما من الوري والنجل
ووزنهما بتفعلة وافعيل تعسف لانهما اعجميان ويؤيد ذلك انه قرئ الانجيل بفتح الهمزة
وهو ليس من ابنية العربية من قبل من قبل تنزيل القرآن هدى للناس على العموم ان قلنا
انا متعبدون بشرائع من قبلنا والا فالمراد به قومهما وانزل الفرقان يريد به جنس
الكتب الالهية فانها فارقة بين الحق والباطل ذكر ذلك بعد ذكر الكتب الثلثة ليعم
ما عداها كأنه قال وانزل سائر ما يفرق به بين الحق والباطل او الزبور او القرآن
وكرر ذكره بما هو نعت له مدحا وتعظيما واظهارا لفضله من حيث انه يشاركهما في
كونه وحيا منزلا ويتميز بانه معجز يفرق بين المحق والمبطل او المعجزات ان الذين كفروا
بآيات الله من كتبه المنزلة وغيرها لهم عذاب شديد بسبب كفرهم والله عزيز غالب
لا يمنع عن التعذيب ذو انتقام لا يقدر على مثله منتقم والنقمة عقوبة المجرم والفعل
منه نقم بالفتح والكسر وهو وعيد جيء به بعد تقرير التوحيد والاشارة الى ما
هو العمدة في اثبات النبوة تعظيما للامر وزجرا عن الاعراض عنه ان الله لا يخفى عليه
شيء في الارض ولا في السماء اي شيء كائن في العالم كليا كان او جزئيا ايمانا
او كفرا فعبر عنه بالسماء والارض اذ الحس لا يتجاوزهما وانما قدم الارض ترقيا
من الادنى الى الاعلى ولان المقصود بالذكر ما اقترف فيها وهو كالدليل على كونه
حيا وقوله هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء اي من الصور المختلفة كالدليل
على القيومية والاستدلال على انه عالم باتقان فعله في خلق الجنين وتصويره وقرئ
تصوركم اي صوركم لنفسه وعبادته لا اله الا هو اذ لا يعلم غيره جملة ما يعلمه
ولا يقدر على مثل ما يفعله العزيز الحكيم اشارة الى كمال قدرته وتناهي حكمته قيل

هذا احتجاج على من زعم ان عيسى عليه السلام كان ربا فان وفد نجران لما حاجوا فيه
رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت السورة من اولها الى نيف وثمانين آية تقريرا لما احتج به عليهم
واجاب عن شبههم هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات احكمت عبارتها
بان حفظت من الاجمال هن ام الكتاب اصله يرد اليها غيرها والقياس امهات
فافرد على تأويل كل واحدة او على ان الكل بمنزلة آية واحدة واخر متشابهات
محتملات لا يتضح مقصودها لاجمال او مخالفة ظاهر الا بالفحص والنظر
ليظهر فيها فضل العلماء ويزداد حرصهم على ان يجتهدوا في تدبرها وتحصيل
العلوم المتوقف عليها استنباط المراد بها فينالوا بها وباتعاب القرائح
في استخراج معانيها والتوفيق بينها وبين المحكمات معالي الدرجات واما
قوله تعالى الر كتاب احكمت آياته فمعناه انها حفظت من فساد المعنى وركاكة
اللفظ وقوله تعالى كتابا متشابها فمعناه انه يشبه بعضه بعضا في صحة المعنى
وجزالة اللفظ واخر جمع اخرى وانما لم ينصرف لانه وصف معدول عن الآخر
ولا يلزم منه معرفته لان معناه ان القياس ان يعرف ولم يعرف لا انه في معنى
المعرف او عن آخر فاما الذين في قلوبهم زيغ عدول عن الحق كالمبتدعة
فيتبعون ما تشابه منه فيتعلقون بظاهره او بتأويل باطل ابتغاء الفتنة طلب
ان يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه
وابتغاء تأويله وطلب ان يأولوه على ما يشتهونه ويحتمل ان يكون الداعي الى
الاتباع مجموع الطلبتين او كل واحدة منهما على التعاقب والاول يناسب المعاند
والثاني يلائم الجاهل وما يعلم تأويله الذي يجب ان يحمل عليه الا الله والراسخون
في العلم اي الذين ثبتوا وتمكنوا فيه ومن وقف على الا الله فسر المتشابه بما
استأثر الله بعلمه كمدة بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة وخواص الاعداد
كعدد الزبانية او بما دل القاطع على ان ظاهره غير مراد ولم يدل على ما هو المراد
يقولون آمنا به استيناف موضح لحال الراسخين او حال منهم او خبر ان جعلته

مبتدا، كل من عند ربنا اى كل من المتشابه والمحكم من عنده وما يذكر الا اولوا الالباب
مدح للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر واشارة الى ما استعدوا به للاهتداء
الى تاويله وهو تجرد العقل عن غواشى الحس واتصال الاية بما قبلها من حيث
انها فى تصوير الروح بالعلم وتربيته وما قبلها فى تصوير الجسد وتسويته او
انها جواب عن تشبث النصارى بنحو قوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه كما
انه جواب قولهم لا اب له غير الله فتعين ان يكون هو اباه بانه مصور الاجنة
كيف يشاء فيصور من نطفة اب ومن غيرها وبانه صوره فى الرحم والمصور
لا يكون اب المصور ربنا لا تزغ قلوبنا من مقال الراسخين وقيل استيناف والمعنى
لا تزغ قلوبنا عن نهج الحق الى اتباع المتشابه بتاويل لا ترتضيه قال عم قلب ابن آدم
بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء اقامه على الحق وان شاء ازاغه عنه وقيل
لا تبلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا بعد اذ هديتنا الى الحق والايمان بالقسمين وبعد
نصب على الظرف واذ فى موضع الجر باضافته اليه وقيل انه بمعنى ان وهب لنا
من لدنك رحمة تزلفنا اليك ونفوز بها عندك او توفيقا للثبات على الحق
او مغفرة للذنوب انك انت الوهاب لكل سؤل وفيه دليل على ان الهدى والضلال
من الله تع وانه متفضل بما ينعم على عباده لا يجب عليه شىء ربنا انك جامع الناس
ليوم لحساب يوم او لجزاء يوم لا ريب فيه فى وقوع اليوم وما فيه من الحشر والجزاء
نبهوا به على ان معظم غرضهم من الطلبتين ما يتعلق بالاخرة فانها المقصد والمآل
ان الله لا يخلف الميعاد فان الالهية تنافيه وللاشعار به وتعظيم الموعود لون
الخطاب واستدل به الوعيدية واجيب بان وعيد الفساق مشروط بعدم
العفو لدلائل منفصلة كما هو مشروط بعدم التوبة وفاقا ان الذين كفروا عام
فى الكفرة وقيل المراد به وفد نجران او اليهود او مشركوا العرب لن تغنى عنهم اموالهم
ولا اولادهم من الله شيئا اى من رحمته او طاعته على معنى البدلية او من عذابه اولئك
هم وقود النار حطبها وقرئ بالضم بمعنى اهل وقودها كداب آل فرعون متصل بما قبله

فقالوا لا يغرنك انك
اصبت اغمارا لا علم عندهم
بالحرب لئن قاتلتنا
لعلمنا انا نحن الناس صح

اى لن تغنى عنهم كما لم تغن عن اولئك او توقد بهم كما توقد باولئك او استيناف مرفوع
المحل وتقديره داب هؤلاء كدابهم فى الكفر والعذاب وهو مصدر دأب فى العمل اذا
كدح فيه فنقل الى معنى الشان والذين من قبلهم عطف على آل فرعون وقيل استيناف
بتفسير حالهم او خبر ان ابتدات بالذين من قبلهم والله شديد العقاب تهويل للمواخذة
وزيادة تخويف للكفرة قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم اى قل
لمشركى مكة ستغلبون يعنى يوم بدر وقيل لليهود فانه عم جمعهم بعد بدر فى سوق
بنى قينقاع فحذرهم ان ينزل بهم ما نزل بقريش فنزلت وقد صدق الله وعده بقتل قريظة
واجلاء بنى النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم وهو من دلائل النبوة وقرأ
حمزة والكسائى بالياء فيهما على ان الامر بان يحكى لهم ما اخبره به من وعيدهم بلفظه
وبئس المهاد تمام ما يقال لهم او استيناف وتقديره وبئس المهاد جهنم او ما مهدوه
لانفسهم قد كان لكم آية الخطاب لقريش او لليهود وقيل للمومنين فى فئتين التقتا
يوم بدر فئة تقاتل فى سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم يرى المشركون
المومنين مثلى عدد المشركين وكان قريبا من الف او مثلى عدد المسلمين وكانوا ثلثمائة
وبضعة عشر وذلك كان بعد ما قللهم فى اعينهم حتى اجترؤا عليهم وتوجهوا اليهم فلما
لاقوهم كثروا فى اعينهم حتى غلبوا مددا من الله تعالى للمومنين او يرى المؤمنون المشركين
مثلى المؤمنين وكانوا ثلثة امثالهم ليثبتوا لهم ويتيقنوا بالنصر الذى وعدهم الله به
فى قوله ان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ويؤيده قراءة نافع ويعقوب بالتاء
وقرئ بها على البناء للمفعول اى يريهم الله او يريكم ذلك بقدرته وفئة بالجر على البدل
من فئتين والنصب على الاختصاص او الحال من فاعل التقتا راى العين رؤية ظاهرة
معاينة والله يؤيد بنصره من يشاء نصره كما ايد اهل بدر ان فى ذلك اى التقليل
او التكثير وغلبة القليل عديم العدة على الكثير شاكى السلاح وكون الواقعة آية ايضا
يحتملهما ويحتمل وقوع الامر على ما اخبر به الرسول ص لعبرة لاولى الابصار اى لعظة
لذوى الابصار وقيل لمن ابصرهم زين للناس حب الشهوات اى المشتهيات سماها

كذبوا باياتنا فاخذهم الله بذنوبهم حال باضمار قد او استيناف

شهوات مبالغة وايماء على انهم انهمكوا في حبها حتى احبوا شهوتها كقوله احببت
حب الخير والمزين هو الله تعالى لانه الخالق للافعال والدواعي ولعله زينه ابتلاء
او لانه يكون وسيلة الى السعادة الاخروية اذا كان على وجه يرتضيه الله تعالى
او لانه من اسباب التعيش وبقاء النوع وقيل الشيطان فان الاية في معرض الذم وفرق
الجبائي بين المباح والمحرم من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة
والخيل المسومة والانعام والحرث بيان للشهوات والقنطار المال الكثير وقيل مائة
الف دينار وقيل ملء مسك ثور واختلف في انه فعلال او فنعال والمقنطرة مأخوذة
منه للتاكيد كقولهم بدرة مبدرة والمسومة المعلمة من السومة وهي العلامة او المرعية
من اسام الدابة وسومها او المطهمة والانعام الابل والبقر والغنم ذلك متاع الحيوة
الدنيا اشارة الى ما ذكر والله عنده حسن المآب اي المرجع وهو تحريض على استبدال
ما عنده من اللذات الحقيقية الابدية بالشهوات المخدجة الفانية قل اؤنبئكم
بخير من ذلكم يريد به تقرير ان ثواب الله خير من مستلذات الدنيا للذين اتقوا عند
ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها استيناف لبيان ما هو خير ويجوز ان
يتعلق اللام بخير ويرتفع جنات على هو جنات ويؤيده قراءة من جرها بدلا من خير
وازواج مطهرة مما يستقذر من النساء ورضوان من الله قراءة عاصم بضم الراء وهما
والله بصير بالعباد اي باعمالهم فيثيب المحسن ويعاقب المسيء او باحوال الذين اتقوا فلذلك
اعد لهم جنات وقد نبه بهذه الاية على نعمه فادناها متاع الحيوة الدنيا واعلاها
رضوان الله لقوله ورضوان من الله اكبر واوسطها الجنة ونعيمها الذين يقولون ربنا
اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار صفة للمتقين او للعباد او مدح
منصوب او مرفوع وفي ترتيب السؤال على مجرد الايمان دليل على انه كاف في استحقاق
المغفرة والاستعداد لها الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين
بالاسحار حصر لمقامات السالك على احسن الترتيب فان معاملته مع الله تعالى اما توسل
واما طلب والتوسل اما بالنفس وهو منعها عن الرذائل وحبسها على الفضائل

والصبر يشملها واما بالبدن وهو اما قولي وهو الصدق واما فعلي وهو القنوت
الذي هو ملازمة الطاعة واما بالمال وهو الانفاق في سبيل الخير واما الطلب
فبالاستغفار لان المغفرة اعظم المطالب الجامع لها وتوسيط الواو بينها للدلالة على
استقلال كل واحد منها وكمالهم فيها او لتغاير الموصوفين بها وتخصيص الاسحار لان الدعاء
فيها اقرب الى الاجابة لان العبادة حينئذ اشق والنفس اصفى والروع اجمع سيما
للمجتهدين قيل انهم كانوا يصلون الى السحر ثم يستغفرون ويدعون شهد الله انه
لا اله الا هو بين وحدانيته بنصب الدلائل الدالة عليها وانزال الآيات الناطقة
بها والملائكة بالاقرار واولوا العلم بالايمان بها والاحتجاج عليها شبه ذلك
في البيان والكشف بشهادة الشاهد قائما بالقسط مقيما للعدل في قسمه وحكمه
وانتصابه على الحال من الله وانما جاز افراده بها ولم يجز جاء زيد وعمرو راكبا
لعدم اللبس كقوله ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة او من هو والعامل فيها
معنى الجملة اي تفرد قائما او احقه لانها حال مؤكدة او على المدح او الصفة للمنفي
وفيه ضعف للفصل وهو مندرج في المشهود به اذا جعلته صفة او حالا من الضمير
وقرئ القائم بالقسط على البدل من هو او الخبر لمحذوف لا اله الا هو كرره للتاكيد
ومزيد الاعتناء بمعرفة ادلة التوحيد والحكم به بعد اقامة الحجة وليبني عليه
قوله العزيز الحكيم فيعلم انه الموصوف بهما وقدم العزيز لتقدم العلم بقدرته على
العلم بحكمته ورفعهما على البدل من الضمير او الصفة لفاعل شهد وقد روي
في فضلها انه عم قال يجاء بصاحبها يوم القيمة فيقول الله ان لعبدي هذا عندي
عهدا وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدي الجنة وهي دليل على فضل علم اصول
الدين وشرف اهله ان الدين عند الله الاسلام جملة مستانفة مؤكدة للاولى
اي لا دين مرضي عند الله سوى الاسلام وهو التوحيد والتدرع بالشرع الذي
جاء به محمد عم وقرأ الكسائي بالفتح على انه بدل من انه بدل الكل ان فسر الاسلام
بالايمان او بما يتضمنه وبدل الاشتمال ان فسر بالشريعة وقرئ انه بالكسر وان

بالفتح على وقوع الفعل على الثاني واعتراض ما بينهما او اجراء شهد مجرى قال
تارة وعلم اخرى لتضمنه معناهما وما اختلف الذين اوتوا الكتاب من اليهود
والنصارى او من ارباب الكتب المتقدمة في دين الاسلام فقال قوم انه حق وقال
قوم انه مخصوص بالعرب ونفاه آخرون مطلقا او في التوحيد فثلثت النصارى
وقالت اليهود عزير ابن الله وقيل هم قوم موسى اختلفوا بعده وقيل هم النصارى
اختلفوا في امر عيسى عم الا من بعد ما جاءهم العلم اي بعد ما علموا حقيقة الامر
او تمكنوا من العلم بها بالايات والحجج بغيا بينهم حسدا بينهم وطلبا للرياسة
لا لشبهة وخفاء في الامر ومن يكفر بايات الله فان الله سريع الحساب وعيد
لمن كفر منهم فان حاجوك في الدين وجادلوك فيه بعد ما اقمت الحجج فقل اسلمت
وجهي لله اخلصت نفسي وجملتي له لا اشرك فيها غيره وهو الدين القويم الذي
قامت عليه الحجج ودعت اليه الايات والرسل وانما عبر بالوجه عن النفس لانه اشرف
الاعضاء الظاهرة ومظهر القوى والحواس ومن اتبعن عطف على التاء في
اسلمت وحسن للفصل او مفعول معه وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين
الذين لا كتاب لهم كمشركي العرب ءاسلمتم كما اسلمت لما اوضحت لكم الحجة ام انتم
بعد على كفركم ونظيره قوله فهل انتم منتهون وفيه تعيير لهم بالبلادة او المعاندة
فان اسلموا فقد اهتدوا فقد نفعوا انفسهم بان اخرجوها من الضلال وان
تولوا فانما عليك البلاغ اي فلن يضروك اذ ما عليك الا ان تبلغ وقد بلغت
والله بصير بالعباد وعد ووعيد ان الذين يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين
بغير حق ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم
هم اهل الكتاب الذين في عصره قتل اولوهم الانبياء ومتابعيهم وهم رضوا به
وقصدوا قتل النبي والمؤمنين ولكن الله عصمهم وقد سبق مثله في سورة البقرة
وقرأ حمزة ويقاتلون الذين وقد منع سيبويه ادخال الفاء في خبر ان كليت ولعل
ولذلك قيل الخبر اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة كقولك زيد

فاهم

فافهم رجل صالح والفرق انه لا يغير معنى الابتداء بخلافهما وما لهم من ناصرين
يدفع عنهم العذاب الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب اي التورية او جنس الكتب
السماوية ومن للتبعيض او للبيان وتنكير النصيب يحتمل التعظيم والتحقير يدعون
الى كتاب الله ليحكم بينهم الداعي محمد عم وكتاب الله القرآن او التورية لما روي
انه عم دخل مدارسهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اي دين انت
فقال عم على دين ابراهيم عم فقالا له ان ابراهيم كان يهوديا فقال هلموا الى التورية
فانها بيننا وبينكم فابيا فنزلت وقيل نزلت في الرجم وقرئ ليحكم على البناء للمفعول
فيكون الاختلاف فيما بينهم وفيه دليل على ان الادلة السمعية حجة في الاصول
ثم يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم مع علمهم بان الرجوع اليه واجب وهم معرضون
وهم قوم عادتهم الاعراض والجملة حال من فريق وانما ساغ لتخصصه بالصفة
ذلك اشارة الى التولي والاعراض بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات
بسبب تسهيلهم امر العقاب على انفسهم لهذا الاعتقاد الزائغ والطمع الفارغ
وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون من ان النار لن تمسهم الا اياما قلائل
او ان اباءهم الانبياء يشفعون لهم او انه تع وعد يعقوب عم ان لا يعذب
اولاده الا تحلة القسم فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه استعظام لما يحيق
بهم في الاخرة وتكذيب لقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة روي ان اول
راية ترفع يوم القيمة من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله تع على رؤس
الاشهاد ثم يامر بهم الى النار ووفيت كل نفس ما كسبت جزاء ما كسبت وفيه دليل
على ان العبادة لا تحبط وان المؤمن لا يخلد في النار لان توفية ايمانه وعمله لا تكون
في النار ولا قبل دخولها فاذن بعد الخلاص منها وهم لا يظلمون الضمير لكل نفس
على المعنى لانه في معنى كل انسان قل اللهم الميم عوض من يا ولذلك لا يجتمعان
وهو من خصائص هذا الاسم كدخول يا عليه مع لام التعريف وقطع همزته وتاء
القسم وقيل اصله يا الله امنا بخير فخفف بحذف حرف النداء ومتعلقات الفعل

وهو تعالى مالك الملك يتصرف فيما يمكن التصرف فيه تصرف الملاك وهو نداء
ثان عند سيبويه فان الميم عنده تمنع الوصفية تؤتي الملك من تشاء وتنزع
الملك ممن تشاء تعطي منها ما تشاء ممن تشاء وتنزع ممن تشاء وتسترد فالملك
الاول عام والاخران بعضان منه وقيل المراد بالملك النبوة ونزعها نقلها
من قوم الى قوم وتعز من تشاء وتذل من تشاء في الدنيا او في الاخرة او فيهما بالنصر
والادبار والتوفيق والخذلان بيدك الخير انك على كل شيء قدير ذكر الخير وحده
لانه المقضي بالذات والشر مقضي بالعرض اذ لا يوجد شر جزئي ما لم يتضمن خيرا كليا
او لمراعاة الادب في الخطاب او لان الكلام وقع فيه اذ روي انه لما خط
الخندق وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا واخذوا يحفرون فظهر فيه صخرة عظيمة
لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فجاء
ه واخذ المعول منه فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها
لكان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر وكبر معه المسلمون وقال اضاءت لي منها
قصور الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لي منها القصور
الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لي قصور صنعاء واخبرني جبرئيل
ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل
ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق
من الفرق لا تستطيعون ان تبرزوا فنزلت ونبه على ان الشر بيده ايضا بقوله
انك على كل شيء قدير تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت
وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب عقب ذلك ببيان قدرته
على معاقبة الليل والنهار والموت والحيوة وسعة فضله دلالة على انه قادر
على ذلك قادر على معاقبة الذل والعز وايتاء الملك ونزعه والولوج الدخول
في مضيق وايلاج الليل والنهار ادخال احدهما في الاخر بالتعقيب او الزيادة والنقص
واخراج الحي من الميت وبالعكس انشاء الحيوانات من موادها واماتتها او انشاء

الحيوانات من النطفة والنطفة منه وقيل اخراج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن
وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وابو بكر الميت بالتخفيف لا يتخذ المؤمنون
الكافرين اولياء نهوا عن موالاتهم لقرابة او صداقة جاهلية ونحوهما حتى لا يكون
حبهم وبغضهم الا في الله او عن الاستعانة بهم في الغزو وسائر الامور الدينية
من دون المؤمنين اشارة الى انهم الاحقاء بالموالاة وان في موالاتهم مندوحة عن
موالاة الكفرة ومن يفعل ذلك اي اتخاذهم اولياء فليس من الله في شيء من ولايته
في شيء يصح ان يسمى ولاية فان موالاة المتضادين لا يجتمعان قال تود عدوي
ثم تزعم انني صديقك ليس النوك عنك بعازب الا ان تتقوا منهم تقاة الا ان
تخافوا من جهتهم ما يجب اتقاؤه والاتقاء والفعل معدى بمن لانه في معنى تحذر و
تخافوا وقرأ يعقوب تقية منع عن موالاتهم ظاهرا او باطنا في الاوقات كلها
الا وقت المخافة فان اظهار الموالاة حينئذ جائز كما قال عيسى كن وسطا وامش
جانبا ويحذركم الله نفسه والى الله المصير فلا تتعرضوا لسخطه بمخالفة احكامه
وموالاة اعدائه وهو تهديد عظيم مشعر بتناهي المنهي في القبح وذكر النفس ليعلم ان المحذر منه
عقاب يصدر منه فلا يؤبه دونه بما يحذر من الكفرة قل ان تخفوا ما في صدوركم او
تبدوه يعلمه الله اي انه يعلم ما في السموات وما في الارض فيعلم سركم وعلنكم والله
على كل شيء قدير فيقدر على عقوبتكم ان لم تنتهوا عما نهيتم عنه والاية بيان لقوله
ويحذركم الله نفسه وكانه قال ويحذركم نفسه لانها متصفة بعلم ذاتي محيط بالمعلومات
كلها وقدرة ذاتية تعم المقدورات باسرها فلا تجسروا على عصيانه اذ ما من معصية
الا وهو مطلع عليها قادر على العقاب بها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما
عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا يوم منصوب بتود اي تتمنى كل نفس
يوم تجد صحايف اعمالها او جزاء اعمالها من الخير والشر حاضرة لو ان بينها وبين ذلك
اليوم وهوله امدا بعيدا او بمضمر نحو اذكر وتود حال من الضمير في عملت او خبر لما عملت
من سوء وتجد مقصور على ما عملت من خير ولا يكون ما شرطية لارتفاع تود وقرئ

ودت وعلى هذا يصح ان تكون شرطية ولكن الحمل على الخبر اوقع معنى لانه حكاية
كائن واوفق للقراءة المشهورة ويحذركم الله نفسه كرره للتوكيد والتذكير والله
رؤوف بالعباد اشارة الى انه تعالى انما نهاهم وحذرهم رأفة بهم ومراعاة لصلاحهم
او انه تعالى لذو مغفرة وذو عقاب فترجى رحمته ويخشى عذابه قل ان كنتم تحبون
الله فاتبعوني المحبة ميل النفس الى الشيء لكمال ادرك فيه بحيث يحملها على ما يقربها
اليه والعبد اذا علم ان الكمال الحقيقي ليس الا لله وان كل ما يراه كمالا من نفسه او من
غيره فهو من الله تعالى وبالله والى الله لم يكن حبه الا لله وفي الله وذلك يقتضي ارادة
طاعته والرغبة فيما يقربه فلذلك فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة
لاتباع الرسول في عبادته والحرص على مطاوعته يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم
جواب للامر اي يرض عنكم ويكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من
جناب عزه ويبوئكم في جوار قدسه عبر عن ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة او المقابلة
والله غفور رحيم لمن تحبب اليه بطاعته واتباع نبيه روي انها نزلت لما قالت اليهود
اليهود نحن ابناء الله واحباؤه وقيل نزلت في وفد نجران لما قالوا انما نعبد المسيح
حبا لله وقيل في اقوام زعموا على عهده انهم يحبون الله فامروا ان يجعلوا
لقولهم تصديقا من العمل قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا يحتمل المضي والمضارعة
بمعنى فان تتولوا فان الله لا يحب الكافرين لا يرضى عنهم ولا يثني عليهم وانما لم يقل
لا يحبهم لقصد العموم والدلالة على ان التولي كفر وانه من هذه الحيثية ينفي محبة الله
وان محبته مخصوصة بالمؤمنين ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على
العالمين بالرسالة والخصائص الروحانية والجسمانية ولذلك قووا على ما لم يقو عليه
غيرهم لما اوجب طاعة الرسل وبين انها الجالبة لمحبة الله عقب ذلك ببيان مناقبهم
تحريضا عليها وبه استدل على فضلهم على الملائكة وآل ابراهيم اسماعيل واسحق واولادهم
وقد دخل فيهم الرسول صلعم وآل عمران موسى وهارون ابنا عمران بن يصهر بن قاهث
بن لاوي بن يعقوب او عيسى وامه مريم بنت عمران بن ماثان بن ابيغازر

بعشرين صاعا من شعير اخذه لاهله بل لاقامة التوثيق بالارتهان مقام التوثيق
بالكتبة في السفر الذي هو مظنة اعوازها والجمهور على اعتبار القبض فيه غير مالك
وقرأ ابن كثير وابو عمرو فرهن كسقف وكلاهما جمع رهن بمعنى مرهون وقرئ
باسكان الهاء على التخفيف فان امن بعضكم بعضا اي بعض الدائنين بعض المديونين
واستغنى بامانته عن الارتهان فليؤد الذي اؤتمن امانته اي دينه سماه امانة
لائتمانه عليه بترك الارتهان به وقرئ الذي ايتمن بقلب الهمزة ياء والذي تمن
بادغام الياء في التاء وهو خطأ لان المنقلبة عن الهمزة في حكمها فلا تدغم وليتق الله
ربه في الخيانة وانكار الحق وفيه مبالغات ولا تكتموا الشهادة ايها الشهود
او المديونون والشهادة شهادتهم على انفسهم ومن يكتمها فانه آثم قلبه اي يأثم قلبه
او قلبه يأثم والجملة خبر ان واسناد الاثم الى القلب لان الكتمان يقترفه ونظيره العين
زانية والاذن زانية او للمبالغة فانه رئيس الاعضاء وافعاله اعظم الافعال
وكانه قيل تمكن الاثم في نفسه واخذ اشرف اجزائه وفاق سائر ذنوبه وقرئ
قلبه بالنصب كحسن وجهه والله بما تعملون عليم تهديد لله ما في السموات وما في
الارض خلقا وملكا وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يعني ما فيها من السوء والعزم
عليه لترتب المغفرة والعذاب عليه يحاسبكم به الله يوم القيمة وهو حجة على من انكر
الحساب كالمعتزلة والروافض فيغفر لمن يشاء مغفرته ويعذب من يشاء تعذيبه
وهو صريح في نفي وجوب التعذيب وقد رفعهما ابن عامر وعاصم ويعقوب
على الاستيناف وجزمهما الباقون عطفا على جواب الشرط ومن جزم بغير فاء
جعلهما بدلا منه بدل البعض من الكل او الاشتمال كقوله متى تأتنا تلمم بنا
في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا وادغام الراء في اللام لحن اذ
الراء لا تدغم الا في مثلها والله على كل شيء قدير فيقدر على الاحياء والمحاسبة
آمن الرسول بما انزل اليه من ربه شهادة وتنصيص من الشرع على صحة ايمانه
والاعتداد به وانه جازم في امره غير شاك فيه والمؤمنون كل آمن بالله

وملائكته وكتبه ورسله لا يخلو من ان يعطف المؤمنون على الرسول فيكون الضمير
الذي ينوب عنه التنوين راجعا الى الرسول والمؤمنين او يجعل مبتدأ فيكون
الضمير للمؤمنين وباعتباره يصح وقوع كل بخبره خبر المبتدأ فيكون افراد الرسول
بالحكم اما لتعظيمه او لان ايمانه عن مشاهدة وعيان وايمانهم عن نظر واستدلال
وقرأ حمزة والكسائي وكتابه يعني القرآن او الجنس والفرق بينه وبين الجمع انه شائع
في وحدان الجنس والجمع في جموعه ولذلك قيل الكتاب اكثر من الكتب لا نفرق بين احد
من رسله اي يقولون لا نفرق وقرأ يعقوب لا يفرق بالياء على ان الفعل لكل وقرئ
لا يفرقون حملا على معناه كقوله وكل اتوه داخرين واحد في معنى الجمع لوقوعه في
سياق النفي كقوله فما منكم من احد عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بين والمراد نفي الفرق
بالتصديق والتكذيب وقالوا سمعنا اجبنا واطعنا امرك غفرانك ربنا اغفر
غفرانك ربنا او نطلب غفرانك واليك المصير المرجع بعد الموت وهو
اقرار منهم بالبعث لا يكلف الله نفسا الا وسعها الا ما تسعه قدرتها فضلا ورحمة
او ما دون مدى طاقتها بحيث يتسع فيه طوقها ويتيسر عليها لقوله يريد الله بكم
اليسر وهو يدل على عدم وقوع التكليف بالمحال ولا يدل على امتناعه لها ما كسبت
من خير وعليها ما اكتسبت من شر لا ينتفع بطاعتها ولا يتضرر بمعاصيها غيرها
وتخصيص الكسب بالخير والاكتساب بالشر لان الاكتساب فيه اعتمال والشر تشتهيه
النفس وتنجذب اليه فكانت اجد في تحصيله واعمل بخلاف الخير ربنا لا تؤاخذنا
ان نسينا او اخطأنا اي لا تؤاخذنا بما ادى بنا الى نسيان او خطأ من تفريط
وقلة مبالاة او بانفسهما اذ لا يمتنع المؤاخذة بهما عقلا فان الذنوب كالسموم فكما
ان تناولها يؤدي الى الهلاك وان كان خطأ فتعاطي الذنوب لا يبعد ان يفضي
الى العقاب وان لم يكن عزيمة لكنه تعالى وعد التجاوز عنه رحمة وفضلا فيجوز
ان يدعو الانسان به استدامة واعتدادا بالنعمة فيه ويؤيد ذلك مفهوم قوله
رفع عن امتي الخطأ والنسيان ربنا ولا تحمل علينا اصرا عبئا ثقيلا يأصر صاحبه

ابی نور بن بابل بن سالسال بن یوحنان بن وشنا بن اموذ بن میشا بن
حازقیا بن احاذ بن یوثام بن عزریا بن یورام بن ساقط بن ایشا بن رحبعا
بن راحبعم بن سلیمان ابن داود بن ایشی بن عوید بن سلمون بن باعز بن نحشون
بن عمیاذ بن رام بن حضرون بن فارص بن یهوذا بن یعقوب وکان بین العمرانین
الف وثمانمائة سنة ذرية بعضها من بعض حال او بدل من الآلين او منهما ومن نوح اي انهم ذرية
واحدة متشعبة بعضها من بعض وقيل بعضها من بعض في الدين والذرية الولد يقع على الواحد
والجمع فعلية من الذر او فعولة من الذرء ابدلت همزتها ياء ثم قلبت الواو ياء وادغمت
والله سميع عليم باقوال الناس واعمالهم فيصطفي من كان مستقيم القول والعمل او سميع بقول امرأة
عمران عليم بنيتها اذ قالت امرأة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني فينتصب به اذ وقيل
نصبه باضمار اذكر وهذه حنة بنت فاقوذ جدة عيسى وكانت لعمران بن يصهر بنت
اسمها مريم اكبر من هارون فظن ان المراد زوجته ويرده كفالة زكريا فانه كان معاصرا
لابن ماثان وتزوج بنته ايشاع اخت حنة وكان يحيى وعيسى ابني خالة من الاب
روي انها كانت عاقرا عجوزا فبينما هي في ظل شجرة اذ رأت طائرا يطعم فرخه
فحنت الى الولد وتمنته فقالت اللهم ان لك علي نذرا ان رزقتني ولدا ان اتصدق به
على بيت المقدس فيكون من خدمه فحملت بمريم وهلك عمران وكان هذا النذر مشروعا
في عهدهم للغلمان فلعلها بنت الامر على التقدير او طلبت ذكرا محررا معتقا لخدمته لا اشغله
بشيء او مخلصا للعبادة ونصبه على الحال فتقبل مني ما نذرته انك انت السميع العليم
بقولي ونيتي فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انثى الضمير لما في بطنها وتأنيثه لانه
كان انثى وجاز انتصاب انثى حالا عنه لان تأنيثها علم منه فان الحال وصاحبها بالذات
واحد او على تأويل مؤنث كالنفس والحبلة وانما قالته تحسرا وتحزنا الى ربها لانها
كانت ترجو ان تلد ذكرا ولذلك نذرت تحريره والله اعلم بما وضعت اي بالشيء الذي
وضعت وهو استيناف من الله تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بشأنها وقرأ ابن عامر
وابو بكر عن عاصم ويعقوب وضعت على انه كلامها تسلية لنفسها اي ولعل لله فيه سرا

او لانثى كان خيرا او قرئ وضعت على خطاب الله لها وليس الذكر كالانثى بيان لقوله
والله اعلم اي وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت واللام فيهما للعهد ويجوز
ان يكون من قولها بمعنى وليس الذكر والانثى سيان فيما نذرت فيكون اللام للجنس
واني سميتها مريم عطف على ما قبلها من مقالها وما بينهما اعتراض وانما ذكرت ذلك لربها
تقربا اليه وطلبا لان يعصمها ويصلحها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها فان مريم في
لغتهم بمعنى العابدة وفيه دليل على ان الاسم والمسمى والتسمية امور متغايرة واني
اعيذها بك اجيرها بحفظك وذريتها من الشيطان الرجيم المطرود واصل الرجم الرمي
بالحجارة وعن النبي صلعم ما من مولود يولد الا الشيطان يمسه حين يولد فيستهل من مسه الا
مريم وابنها ومعناه ان الشيطان يطمع في اغواء كل مولود بحيث يتاثر منه الا مريم وابنها
فان الله تع عصمهما ببركة هذه الاستعاذة فتقبلها ربها فرضي بها في النذر مكان الذكر
بقبول حسن بوجه حسن يقبل به النذاير وهو اقامتها مقام الذكر او تسلمها عقيب
ولادتها قبل ان تكبر وتصلح للسدانة روي ان حنة لما ولدتها لفتها في خرقة وحملتها
الى المسجد ووضعتها عند الاحبار وقالت دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها
كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فان بني ماثان كانت رؤس بني اسرائيل وملوكهم فقال
زكريا انا احق بها عندي خالتها فابوا الا القرعة وكانوا سبعة وعشرين فانطلقوا
الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فطفا قلم زكريا ورسبت اقلامهم فاخذها [illegible] بقبول
حسن وانبتها نباتا حسنا مجاز عن تربيتها بما يصلحها في جميع احوالها وكفلها زكريا
شدد الفاء حمزة والكسائي وعاصم وقصروا زكريا غير عاصم في رواية ابن عياش على
ان الفاعل هو الله وزكريا مفعول اي جعله كافلا لها وضامنا لمصالحها وخفف الباقون
ومدوا زكريا مرفوعا كلما دخل عليها زكريا المحراب اي الغرفة التي بنيت لها او المسجد
او اشرف مواضعه ومقدمها سمي به لانه محل محاربة الشيطان كانها وضعت في اشرف
موضع من بيت المقدس وجد عندها رزقا جواب كلما وناصبه روي انه كان لا يدخل
عليها غيره واذا خرج اغلق عليها سبعة ابواب وكان يجد عندها فاكهة الشتاء

في الصيف وبالعكس قال يا مريم انى لك هذا من اين لك هذا الرزق الاتي في
غير اوانه والابواب مغلقة عليك وهو دليل جواز الكرامة للاولياء وجعل ذلك
معجزة زكريا يدفعه اشتباه الامر عليه قالت هو من عند الله فلا تستبعده قيل تكلمت
صغيرة كعيسى ولم ترضع ثديا قط وكان رزقها ينزل عليها من الجنة ان الله يرزق
من يشاء بغير حساب بغير تقدير لكثرته او بغير استحقاق تفضلا به وهو يحتمل ان يكون
من كلامها وان يكون من كلام الله روي ان فاطمة رض اهدت لرسول الله صلعم رغيفين وبضعة
لحم فرجع بها اليها وقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملو خبزا ولحما فقال لها
انى لك هذا فقالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال الحمد لله الذي جعلك
شبيهة سيدة نساء بني اسرائيل ثم جمع عليا والحسن والحسين وجميع اهل بيته رض وبقي
الطعام كما هو فاوسعت على جيرانها هنالك دعا زكريا ربه في ذلك المكان او الوقت
اذ يستعار هنا وثم وحيث للزمان لما راى كرامة مريم ومنزلتها من الله تع قال رب
هب لي من لدنك ذرية طيبة كما وهبتها لحنة العجوز العاقر وقيل لما راى الفواكه
في غير اوانها انتبه على جواز ولادة العاقر من الشيخ فسال وقال هب لي من لدنك
ذرية لانه لم يكن على الوجوه المعتادة وبالاسباب المعهودة انك سميع الدعاء مجيبه
فنادته الملائكة اي من جنسهم كقولهم زيد يركب الخيل فان المنادي كان جبرائيل وحده
وقرا حمزة والكسائي فناداه بالامالة والتذكير وهو قائم يصلي في المحراب اي قائما
في الصلوة ويصلي صفة قائم او خبر او حال اخر او حال عن الضمير في قائم ان الله يبشرك
بيحيى اي بان الله وقرا نافع وابن عامر بالكسر على ارادة القول او لان النداء نوع
منه وقرا حمزة والكسائي يبشرك ويحيى اسم اعجمي وان جعل عربيا فمنع صرفه للتعريف
ووزن الفعل مصدقا بكلمة من الله اي بعيسى سمي بذلك لانه وجد بامره تعالى دون اب
فشابه البديعيات التي هي عالم الامر او بكتاب الله سمي كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته
وسيدا يسود قومه ويفوقهم وكان فائقا للناس كلهم في انه ما هم بمعصية قط وحصورا
مبالغا في حبس النفس عن الشهوات والملاهي روي انه مر في صباه بصبيان فدعوه

الى اللعب فقال ما للعب خلقت ونبيا من الصالحين ناشئا منهم او كائنا من عداد من
لم يأت كبيرة ولا صغيرة قال رب انى يكون لي غلام استبعاد من حيث العادة او استعظاما او
تعجبا او استفهاما عن كيفية حدوثه وقد بلغني الكبر ادركني كبر السن واثر في
وكان له تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون وامرأتي عاقر لا تلد من العقر
وهو القطع لانها ذات عقر من الاولاد قال كذلك الله يفعل ما يشاء اي يفعل ما يشاء
من العجائب مثل ذلك الفعل وهو انشاء الولد من شيخ فان وعجوز عاقر او كما انت عليه
وزوجك من الكبر والعقر يفعل ما يشاء من خلق الولد او كذلك الله مبتدأ وخبر اي الله على مثل
هذه الصفة ويفعل ما يشاء بيان له او كذلك خبر مبتدأ محذوف اي الامر كذلك والله
يفعل ما يشاء بيان قال رب اجعل لي آية علامة اعرف بها الحبل لاستقبله بالبشاشة
والشكر وتزيح مشقة الانتظار قال آيتك الا تكلم الناس ثلاثة ايام الا تقدر على تكليم
الناس ثلثا وانما حبس لسانه عن مكالمتهم خاصة ليخلص المدة لذكر الله وشكره قضاء
لحق النعمة وكأنه قال آيتك ان يحبس لسانك الا عن الشكر واحسن الجواب ما اشتق من السؤال
الا رمزا اشارة بنحو يد او رأس واصله التحرك ومنه الراموز للبحر والاستثناء منقطع
وقيل متصل والمراد بالكلام ما دل على الضمير وقرئ رمزا بفتحتين كخدم جمع رامز ورمزا
كرسل جمع رموز على انه حال منه ومن الناس بمعنى مترامزين كقوله متى ما تلقني
فردين ترجف روانف اليتيك وتستطارا واذكر ربك كثيرا في ايام الحبسة
وهو مؤكد لما قبله مبين للغرض منه وتقييد الامر بالكثرة يدل على انه لا يفيد التكرار
وسبح بالعشي من الزوال الى الغروب وقيل من العصر او الغروب الى ذهاب صدر الليل
والابكار من طلوع الفجر الى الضحى وقرئ بفتح الهمزة جمع بكر كسحر واسحار واذ قالت الملائكة
يا مريم ان الله اصطفيك وطهرك واصطفيك على نساء العالمين كلموها شفاها كرامة
لها ومن انكر الكرامة زعم ان ذلك كانت معجزة لزكريا او ارهاصا لنبوة عيسى فان الاجماع
على انه لم يستنبئ امرأة لقوله وما ارسلنا قبلك الا رجالا وقيل الهموها والاصطفاء
الاول تقبلها من امها ولم يقبل قبلها انثى وتفريغها للعبادة واغناؤها برزق الجنة

عن الكسب وتطهيرها عما يستقذر من النساء والثاني هدايتها وارسال الملائكة اليها وتخصيصها
بالكرامات السنية كالولد من غير اب وتبرئتها عما قذفتها اليهود بانطاق الطفل وجعلها
وابنها آية للعالمين يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين امرت بالصلوة
في الجماعة بذكر اركانها مبالغة في المحافظة عليها وقدم السجود على الركوع اما لكونه
كذلك في شريعتهم او للتنبيه على ان الواو لا يوجب الترتيب او ليقترن اركعي بالراكعين
للايذان بان من ليس في صلوتهم ركوع ليسوا مصلين وقيل المراد بالقنوت ادامة
الطاعة كقوله امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما وبالسجود الصلوة كقوله
وادبار السجود وبالركوع الخشوع والاخبات ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك
اي ما ذكرنا من القصص من الغيوب التي لم تعرفها الا بالوحي وما كنت لديهم اذ يلقون
اقلامهم اقداحهم للاقتراع وقيل اقترعوا باقلامهم التي كانوا يكتبون بها التورية
تبركا والمراد تقرير كونه وحيا على سبيل التهكم بمنكريه فان طريق معرفة الوقائع
المشاهدة والسماع وعدم السماع معلوم لا شبهة فيه عندهم فبقي ان يكون الاتهام
باحتمال العيان ولا يظن به عاقل ايهم يكفل مريم متعلق بمحذوف دل عليه يلقون
اقلامهم اي يلقونها ليعلموا او يقولوا ايهم يكفل وما كنت لديهم اذ يختصمون
تنافسا في كفالتها اذ قالت الملائكة بدل من اذ قالت الاولى وما بينهما اعتراض
او من اذ يختصمون على ان وقوع الاختصام والبشارة في زمان متسع كقولك لقيته
سنة كذا يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم المسيح لقبه وهو
من الالقاب المشرفة كالصديق واصله بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك وعيسى معرب
ايشوع واشتقاقهما من المسح لانه مسح بالبركة او بما طهره من الذنوب او مسح الارض
ولم يقم في موضع او مسحه جبرائيل ومن العيس وهو بياض يعلوه حمرة تكلف لا
طائل تحته وابن مريم لما كان صفة تميز تمييز الاسماء نظمت في سلكها ولا ينافي تعدد
الخبر افراد المبتدأ فانه اسم جنس مضاف ويحتمل ان يراد ان الذي يعرف به ويتميز
عن غيره هذه الثلاثة فان الاسم علامة المسمى والمميز له ممن سواه ويجوز ان يكون

عيسى خبر مبتدأ محذوف وابن مريم صفته وانما قيل ابن مريم والخطاب لها تنبيها
على انه يولد من غير اب اذ الاولاد تنسب الى الاباء ولا تنسب الى الام الا اذا فقد الاب
وجيها في الدنيا والآخرة حال مقدرة من كلمة وهي وان كانت نكرة لكنها موصوفة وتذكيرها
للمعنى والوجاهة في الدنيا النبوة وفي الآخرة الشفاعة ومن المقربين من الله وقيل اشارة
الى علو درجته في الجنة او رفعه الى السماء وصحبة الملائكة ويكلم الناس في المهد
وكهلا اي يكلمهم حال كونه طفلا وكهلا كلام الانبياء من غير تفاوت والمهد مصدر سمي به
ما يمهد للصبي من مضجعه وقيل انه رفع شابا والمراد وكهلا بعد نزوله وذكر احواله
المختلفة المتنافية ارشادا الى انه بمعزل عن الالوهية ومن الصالحين حال ثالث
من كلمة او ضميرها الذي في يكلم قالت رب انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر تعجب
او استبعاد عادي او استفهام عن انه يكون بتزوج او غيره قال كذلك الله يخلق
ما يشاء القائل جبرئيل او الله تع وجبرئيل حكى لها قول الله تع اذا قضى امرا
فانما يقول له كن فيكون اشارة الى انه تعالى كما يقدر ان يخلق الاشياء مدرجا باسباب
ومواد يقدر ان يخلقها دفعة من غير ذلك ويعلمه الكتاب والحكمة والتورية والانجيل كلام
مبتدأ ذكر تطييبا لقلبها وازاحة لما همها من خوف اللوم لما علمت انها تلد من غير زوج
او عطف على يبشرك او وجيها او يخلق والكتاب الكتبة او جنس الكتب المنزلة وخص
الكتابان لفضلهما وقرأ نافع وعاصم ويعلمه بالياء اني قد جئتكم باية من ربكم منصوب
بمضمر على ارادة القول تقديره ويقول ارسلت رسولا باني قد جئتكم او بالعطف على الاحوال
المتقدمة متضمنا معنى النطق وكانه قال وناطقا باني قد جئتكم وتخصيص بني اسرائيل
لخصوص بعثته اليهم او للرد على من زعم انه مبعوث الى غيرهم اني اخلق لكم من الطين
كهيئة الطير نصب بدل من اني قد جئتكم او جر بدل من اية او رفع على هي اني اخلق لكم والمعنى اقدر
لكم واصور شيئا صورة الطير وقرأ نافع اني بالكسر الضمير للكاف اي في ذلك المماثل فيكون
طيرا باذن الله فيصير حيا طيارا بامر الله نبه به على ان احياءه من الله لا منه وقرأ نافع
هنا وفي المائدة طائرا بالالف والهمزة وابرئ الاكمه والابرص الذي ولد اعمى

فانفخ فيه

او الممسوح

او الممسوح العين روي انه كان يجتمع عليه الوف من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن
لم يطق اتاه عيسى وما يداوي الا بالدعاء واحيي الموتى باذن الله كرر باذن الله
دفعا لوهم الالوهية فان الاحياء ليس من جنس الافعال البشرية و
انبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم بالمغيبات من احوالكم التي لا تشكون فيها ان
في ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين موفقين للايمان فان غيرهم لا ينتفع بالمعجزات او مصدقين
للحق غير معاندين ومصدقا لما بين يدي من التورية عطف على رسولا على الوجهين او
منصوب باضمار فعل دل عليه قد جئتكم اي وجئتكم مصدقا ولاحل لكم مقدر باضمار او
مردود على قوله قد جئتكم باية او معطوف على معنى مصدقا كقولهم جئتك معتذرا ولاطيب
قلبك بعض الذي حرم عليكم اي في شريعة موسى كالشحوم والثروب والسمك ولحوم الابل
والعمل في السبت وهو يدل على ان شرعه كان ناسخا لشرع موسى ولا يخل ذلك بكونه
مصدقا للتورية كما لا يعود نسخ القرآن بعضه ببعض عليه بتناقض وتكاذب فان النسخ
في الحقيقة بيان وتخصيص في الازمان وجئتكم باية من ربكم فاتقوا الله واطيعون ان
الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم اي جئتكم باية اخرى الهمنيها ربكم وهي قوله
ان الله ربي وربكم فانها دعوة الحق المجمع عليها فيما بين الرسل الفارقة بين النبي والساحر
او جئتكم باية على ان الله ربي وربكم وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض والظاهر
انه تكرير لقوله قد جئتكم باية من ربكم اي جئتكم باية بعد اخرى مما ذكرت لكم والاول
لتمهيد الحجة والثاني لتقريبها الى الحكم ولذلك رتب عليه بالفاء قوله تع فاتقوا الله
اي لما جئتكم بالمعجزات القاهرة والايات الباهرة فاتقوا الله في المخالفة واطيعوني
فيما ادعوكم اليه ثم شرع في الدعوة واشار اليها بالقول المجمل فقال ان الله ربي وربكم
اشارة الى استكمال القوة النظرية بالاعتقاد الحق الذي غايته التوحيد وقال
فاعبدوه اشارة الى استكمال القوة العملية فانه بملازمة الطاعة التي هي الاتيان
بالاوامر والانتهاء عن المناهي ثم قرر ذلك بان بين ان الجمع بين الامرين هو الطريق المشهود له
بالاستقامة ونظيره قوله قل امنت بالله ثم استقم فلما احس عيسى منهم الكفر تحقق

كفرهم عند من تحقق ما يدرك بالحواس قال من انصاري الى الله ملتجيا الى الله او ذاهبا
او ضاما اليه ويجوز ان يتعلق الجار بانصاري مضمنا معنى الاضافة اي من الذين يضيفون
انفسهم الى الله في نصري وقيل الى هنا بمعنى مع او في او اللام قال الحواريون حواري الرجل
خالصته من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحواريات للحضريات لخلوص الوانهن
سمي به اصحاب عيسى عليه السلام لخلوص نيتهم ونقاء سرائرهم وقيل كانوا ملوكا يلبسون البيض
استنصر بهم عيسى عليه السلام من اليهود وقيل قصارون يحورون الثياب اي يبيضونها نحن انصار الله
اي انصار دين الله امنا بالله واشهد بانا مسلمون فتشهد لنا يوم القيمة حين يشهد الرسل
لقومهم وعليهم ربنا امنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين مع الشاهدين
بوحدانيتك او مع الانبياء الذين يشهدون لاتباعهم او امة محمد عليه السلام فانهم شهداء على
الناس ومكروا اي الذين احس منهم الكفر من اليهود بان وكلوا عليه من يقتله غيلة ومكر الله
حين رفع عيسى عليه السلام والقى شبهه على من قصد اغتياله حتى قتل والمكر من حيث انه في الاصل
حيلة تجلب بها غيره الى مضرة لا يسند الى الله الا على سبيل المقابلة والازدواج والله
خير الماكرين اقواهم مكرا واقدرهم على ايصال الضرر من حيث لا يحتسب اذ قال الله
ظرف لمكر الله او خير الماكرين او لمضمر مثل وقع ذلك يا عيسى اني متوفيك اي مستوفي اجلك
ومؤخرك الى اجلك المسمى عاصما اياك من قتلهم او قابضك من الارض من توفيت مالي او متوفيك
نائما اذ روي انه رفع نائما او مميتك عن الشهوات العائقة عن العروج الى عالم
الملكوت وقيل اماته الله سبع ساعات ثم رفعه الى السماء واليه ذهب النصارى
ورافعك الي الى محل كرامتي ومقر ملائكتي ومطهرك من الذين كفروا من سوء جوارهم او قصدهم
وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيمة يعلونهم بالحجة او السيف
في غالب الامر ومتبعوه من امن بنبوته من المسلمين والنصارى والى الان لم يسمع غلبة اليهود
عليهم ولم يتفق لهم ملك ودولة ثم الي مرجعكم الضمير لعيسى عليه السلام ومن تبعه ومن كفر به وغلب
المخاطب على الغائبين فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون من امر الدين فاما الذين كفروا
فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والاخرة وما لهم من ناصرين واما الذين امنوا وعملوا

الصالحات فيوفيهم اجورهم تفسير للحكم وتفصيل له وقرأ حفص فيوفيهم بالياء والله لا
يحب الظالمين تقرير لذلك ذلك اشارة الى ما سبق من نبأ عيسى عليه السلام وغيره وهو مبتدا
خبره نتلوه عليك وقوله من الايات حال من الهاء ويجوز ان يكون الخبر ونتلوه حالا
على ان العامل معنى الاشارة وان يكونا خبرين وان ينتصب بمضمر يفسره نتلوه والذكر
الحكيم المشتمل على الحكم او المحكم الممنوع عن تطرق الخلل اليه يريد به القران وقيل
اللوح ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم ان شأنه الغريب كشأن ادم خلقه من
تراب جملة مفسرة للتمثيل مبينة لما له الشبه وهو انه خلق بلا اب كما خلق ادم من التراب بلا اب
وام شبه حاله بما هو اغرب افحاما للخصم وقطعا لمواد الشبه والمعنى خلق قالبه من التراب
ثم قال له كن اي انشاه بشرا كقوله ثم انشأناه خلقا اخر او قدر تكوينه من التراب ثم كونه
ويجوز ان يكون ثم لتراخي الخبر لا المخبر فيكون حكاية حال ماضية الحق من ربك خبر محذوف
اي هو الحق وقيل الحق مبتدأ ومن ربك خبره اي الحق المذكور من الله فلا تكن من الممترين
خطاب للنبي عليه السلام على طريقة التهييج لزيادة الثبات او لكل سامع فمن حاجك من النصارى
فيه في عيسى عليه السلام من بعد ما جاءك من العلم اي من البينات الموجبة للعلم فقل تعالوا هلموا
بالرأي والعزم ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم اي يدع
كل منا ومنكم نفسه واعزة اهله والصقهم بقلبه الى المباهلة ويحمل عليها وانما قدمهم
على النفس لان الرجل يخاطر بنفسه لهم ويحارب دونهم ثم نبتهل اي نتباهل بان نلعن معا
الكاذب منا والبهلة بالضم والفتح اللعنة واصله الترك من قولهم بهلت الناقة اذا
تركتها بلا صرار فنجعل لعنة الله على الكاذبين عطف فيه بيان روي انهم لما دعوا الى
المباهلة قالوا حتى ننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم ما ترى فقال والله
لقد عرفتم نبوته ولقد جاءكم بالفصل في امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا الا هلكوا
فان ابيتم الا الف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا فاتوا رسول الله وقد غدا
محتضنا الحسين اخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي رضي الله عنه خلفها وهو يقول اذا
انا دعوت فامنوا فقال اسقفهم يا معشر النصارى اني لارى وجوها لو سألوا الله

ان يزيل جبلا من مكانه لازاله فلا تباهلوا فتهلكوا فاذعنوا لرسول الله صلعم وبذلوا
الجزية الفي حلة حمراء وثلثين درعا من حديد فقال والذي نفسي بيده لو باهلوا لمسخوا
قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستاصل الله نجران واهله حتى الطير
على الشجر وهو دليل على نبوته وفضل من اتى بهم من اهل بيته ان هذا اي ما قص من نبا عيسى
ومريم لهو القصص الحق بجملتها خبر ان او هو فصل يفيد ان ما ذكره في شان عيسى ومريم
حق دون ما ذكروه وما بعده خبر واللام دخلت فيه لانه اقرب الى المبتدا من الخبر واصلها
ان يدخل المبتدا وما من اله الا الله صرح فيه بمن المزيدة للاستغراق تاكيدا للرد على النصارى
في تثليثهم وان الله لهو العزيز الحكيم لا احد سواه يساويه في القدرة التامة والحكمة البالغة
ليشاركه في الالوهية فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين وعيد لهم ووضع المظهر موضع
المضمر ليدل على ان التولي عن الحجج والاعراض عن التوحيد افساد للدين والاعتقاد المؤدي
الى فساد النفس بل والى فساد العالم قل يا اهل الكتاب يعم اهل الكتابين وقيل يريد به
وفد نجران او يهود المدينة تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم لا يختلف فيها الرسل والكتب
وتفسيرها ما بعدها ان لا نعبد الا الله اي نوحده بالعبادة ونخلص فيها ولا نشرك به شيئا
ولا نجعل غيره شريكا له في استحقاق العبادة ولا نراه اهلا لان يعبد ولا يتخذ بعضنا
بعضا اربابا من دون الله ولا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله ولا نطيع الاحبار فيما
احدثوا من التحريم والتحليل لان كلا منهم بعضنا بشر مثلنا روي انه لما نزلت اتخذوا احبارهم
ورهبانهم اربابا من دون الله قال عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال اليس
كانوا يحلون لكم ويحرمون فتاخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك فان تولوا عن التوحيد
فقولوا اشهدوا بانا مسلمون اي لزمتكم الحجة فاعترفوا بانا مسلمون دونكم او اعترفوا
بانكم كافرون بما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل تنبيه انظر الى ما راعى في هذه
القصة من المبالغة في الارشاد وحسن التدريج في الحجاج بين اولا احوال عيسى وما
تعاور عليه من الاطوار المنافية للالوهية ثم ذكر ما يحل عقدتهم ويزيح شبهتهم فلما راى
عنادهم ولجاجهم دعاهم الى المباهلة بنوع من الاعجاز ثم لما اعرضوا عنها وانقادوا

بعض الانقياد عاد عليهم بالارشاد وسلك طريقا اسهل والزم بان دعاهم الى ما
وافق عليه عيسى والانجيل وسائر الانبياء والكتب ثم لما لم يجد ذلك ايضا عليهم وعلم
ان الآيات والنذر لا تغني عنهم اعرض عن ذلك وقال اشهدوا بانا مسلمون يا اهل
الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده تنازعت
اليهود والنصارى في ابراهيم وزعم كل فريق انه منهم وترافعوا الى رسول الله
فنزلت والمعنى ان اليهودية والنصرانية حدثتا بنزول التورية والانجيل على موسى وعيسى
وكان ابراهيم قبل موسى بالف سنة وعيسى بالفين فكيف يكون منهما افلا تعقلون فتدعون
المحال ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ها حرف تنبيه
نبهوا بها على حالهم التي غفلوا عنها وانتم مبتدا وهؤلاء خبره وحاججتم جملة اخرى
مبينة للاولى اي انتم هؤلاء الحمقى وبيان حماقتكم انكم جادلتم فيما لكم به علم مما
وجدتموه في التورية والانجيل عنادا او تدعون وروده فيه فلم تجادلون
فيما لا علم لكم به ولا ذكر في كتابكم من دين ابراهيم وقيل هؤلاء بمعنى الذين
وحاججتم صلته وقيل ها انتم اصله ءانتم على الاستفهام للتعجب من حماقتهم
فقلبت الهمزة هاء وقرا نافع وابو عمرو ها انتم حيث وقع بالمد من غير همز
وورش اقل مدا وقنبل بالهمزة من غير الف بعد الهاء والباقون بالمد والهمز
والبصري يقصر المد على اصله والله يعلم ما حاججتم فيه وانتم لا تعلمون وانتم جاهلون
به ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا تصريح بمقتضى ما قرره من البرهان ولكن
كان حنيفا مائلا عن العقائد الزائغة مسلما منقادا لله وليس المراد انه كان على
ملة الاسلام والا لاشترك الالزام وما كان من المشركين تعريض بانهم مشركون
لاشراكهم به عزيرا والمسيح ورد لادعاء المشركين انهم على ملة ابراهيم ان اولى الناس
بابراهيم ان اخصهم به واقربهم منه من الولي وهو القرب للذين اتبعوه من امته وهذا
النبي والذين امنوا لموافقتهم له في اكثر ما شرع لهم على الاصالة وقرئ وهذا النبي
بالنصب عطفا على الهاء في اتبعوه وبالجر عطفا على ابراهيم والله ولي المؤمنين ينصرهم

ويجازيهم الحسنى لايمانهم ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم نزلت في اليهود
لما دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا رض الى اليهودية ولو بمعنى ان وما يضلون الا انفسهم
وما يتخطاهم الاضلال ولا يعود وباله الا عليهم اذ يضاعف به عذابهم او ما يضلون
الا امثالهم وما يشعرون وزره واختصاص ضرره بهم يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله
بما نطقت به التورية والانجيل ودلت على نبوة محمد عم وانتم تشهدون انها ايات الله
او بالقران وانتم تشهدون نعته في الكتابين او تعلمون بالمعجزات انه حق يا اهل الكتاب
لم تلبسون الحق بالباطل بالتحريف وابراز الباطل في صورته او بالتقصير في التمييز بينهما
وقرئ تلبّسون بالتشديد وتلبَسون بفتح الباء اي تلبسون الحق مع الباطل كقوله عم
كلابس ثوبي زور وتكتمون الحق نبوة محمد عم ونعته وانتم تعلمون عالمين بما تكتمونه
وقالت طائفة من اهل الكتاب امنوا بالذي انزل على الذين امنوا وجه النهار اي
اظهروا الايمان بالقران اول النهار واكفروا اخره لعلهم يرجعون واكفروا به اخره
لعلهم يشكون في دينهم ظنا بانكم رجعتم لخلل ظهر لكم والمراد بالطائفة كعب بن الاشرف
ومالك بن الصيف قالا لاصحابهما لما حولت القبلة امنوا بما انزل عليهم من الصلوة
الى الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم صلوا الى الصخرة اخره لعلهم يقولون هم اعلم
منا وقد رجعوا فيرجعون وقيل اثنى عشر من احبار خيبر تقاولوا بان يدخلوا في الاسلام
اول النهار ويقولوا اخره نظرنا في كتابنا وشاورنا علماءنا فلم نجد محمدا عم بالنعت الذي
ورد في التورية لعل اصحابه يشكون فيه ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ولا تقروا
عن تصديق قلبي الا لاهل دينكم ولا تظهروا ايمانكم وجه النهار الا لمن كان
على دينكم فان رجوعهم ارجى واهم قل ان الهدى هدى الله يهدي من يشاء الى الايمان
ويثبته عليه ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم متعلق بمحذوف اي دبرتم ذلك وقلتم لان يؤتى
احد والمعنى ان الحسد حملكم على ذلك او بلا تؤمنوا اي لا تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد
مثل ما اوتيتم الا لاشياعكم ولا تفشوه الى المسلمين لئلا يزيد ثباتهم ولا الى المشركين
لئلا يدعوهم الى الاسلام وقوله قل ان الهدى هدى الله اعتراض يدل على ان كيدهم

لا يجدي بطائل او خبر ان على ان هدى الله بدل من الهدى وقرأ ابن كثير آن يؤتى على الاستفهام
للتقريع بوتيد الوجه الاول اي لان يؤتى احد دبرتم وقرئ ان على انها النافية فيكون
من كلام الطائفة اي ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل ما
اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم عطف على ان يؤتى على الوجهين الاولين وعلى الثالث
معناه حتى يحاجوكم عند ربكم فيدحضوا حجتكم والواو ضمير احد لانه في معنى الجمع
اذ المراد به غير اتباعهم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته
من يشاء والله ذو الفضل العظيم رد وابطال لما زعموه بالحجة الواضحة ومن اهل الكتاب
من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك كعبد الله بن سلام رض استودعه قرشي الفا ومائتي
اوقية ذهبا فاداه اليه ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك كفنحاص بن عازوراء
استودعه قرشي اخر دينارا فجحده وقيل المأمونون على الكثير النصارى اذ الغالب فيهم
الامانة والخائنون في القليل اليهود اذ الغالب عليهم الخيانة وقرأ حمزة وابو بكر
وابو عمرو ويؤده اليك لا يؤده اليك باسكان الهاء وقالون باختلاس كسرة الهاء
وكذا روي عن هشام والباقون باشباع الكسرة الا ما دمت عليه قائما الا مدة دوامك على رأسه
مبالغا في مطالبته بالتقاضي والترافع واقامة البينة ذلك اشارة الى ترك الاداء المدلول
عليه بقوله لا يؤده بانهم قالوا بسبب قولهم ليس علينا في الاميين سبيل اي ليس علينا
في شان من ليسوا من اهل الكتاب ولم يكونوا على ديننا عتاب وذم ويقولون على الله
الكذب بادعائهم ذلك وهم يعلمون انهم كاذبون وذلك لانهم استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا
لم يجعل لهم في التورية حرمة وقيل عامل اليهود رجالا من قريش فلما اسلموا تقاضوهم
فقالوا سقط حقكم حيث تركتم دينكم وزعموا انه كذلك في كتابهم وعن النبي عم
انه قال عند نزولها كذب اعداء الله ما من شيء في الجاهلية الا وهو تحت قدمي الا
الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر بلى اثبات لما نفوه اي بلى عليهم فيهم سبيل
من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين استئناف مقرر للجملة التي سدت بلى مسدها
والضمير المجرور لمن او لله وعموم المتقين ناب مناب الراجع من الجزاء الى من واشعر بان التقوى

ملاك الامر وهو يعم الوفاء وغيره من اداء الواجبات والاجتناب عن المناهي
ان الذين يشترون يستبدلون بعهد الله بما عاهدوا عليه من الايمان بالرسول والوفاء
بالامانات وايمانهم وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا قليلا
متاع الدنيا اولئك لا خلاق لهم في الاخرة ولا يكلمهم الله بما يسرهم او بشيء اصلا
وان الملائكة يسألونهم يوم القيمة لا الباري سبحانه او لا ينتفعون بكلمات الله
وآياته والظاهر انه كناية عن غضبه عليهم لقوله ولا ينظر اليهم يوم القيمة فان
من سخط على غيره واستهان به اعرض عنه وعن التكلم معه والالتفات نحوه كما ان من
اعتد بغيره يقاوله ويكثر النظر اليه ولا يزكيهم ولا يثني عليهم ولهم عذاب اليم على ما فعلوه
قيل انها نزلت في احبار حرفوا التورية وبدلوا نعت محمد صلعم وحكم الامانات وغيرهما
واخذوا على ذلك رشوة وقيل في رجل اقام سلعة في السوق فحلف لقد اشتراها بما لم يشترها به
وقيل في ترافع كان بين اشعث بن قيس ويهودي في بئر او ارض وتوجه الحلف على اليهودي
وان منهم لفريقا يعني المحرفين ككعب ومالك وحيي بن اخطب يلوون السنتهم بالكتاب يفتلونها بقراءته
فيميلونها عن المنزل الى المحرف او يعطفونها بشبه الكتاب وقرئ يلون على قلب الواو المضمومة
همزة ثم تخفيفها بحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها لتحسبوه من الكتاب وما هو من
الكتاب الضمير للمحرف المدلول عليه بقوله يلوون وقرئ ليحسبوه بالياء والضمير ايضا
للمسلمين ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله تاكيد لقوله وما هو من الكتاب
وتشنيع عليهم وبيان لانهم يزعمون ذلك تصريحا لا تعريضا اي ليس هو نازلا من عنده
وهذا لا يقتضي ان لا يكون فعل العبد فعل الله تعالى ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون
تاكيد وتسجيل عليهم بالكذب على الله والتعمد فيه ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب
والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله تكذيب ورد على عبدة عيسى
وقيل ان ابا رافع القرظي والسيد النجراني قالا يا محمد اتريد ان نعبدك ونتخذك
ربا فقال معاذ الله ان نعبد غير الله وان نامر بعبادة غير الله فما بذلك بعثني ولا
بذلك امرني فنزلت وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا

نسجد لك

نسجد لك قال لا ينبغي ان يسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله ولكن
كونوا ربانيين ولكن يقول كونوا ربانيين والرباني منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون
كاللحياني والرقباني وهو الكامل في العلم والعمل بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون
بسبب كونكم معلمين الكتاب وبسبب كونكم دارسين له فان فائدة التعليم والتعلم معرفة
الحق والخير للاعتقاد والعمل وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب تعلمون بمعنى
عالمين وقرئ تدرسون من التدريس وتدرسون من ادرس بمعنى درس كاكرم
وكرم ويجوز ان تكون القراءة المشهورة ايضا بهذا المعنى على تقدير وبما تدرسونه
على الناس ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا نصبه ابن عامر وحمزة و
عاصم ويعقوب عطفا على ثم يقول ويكون لا مزيدة لتاكيد معنى النفي في قوله
ما كان اي ما كان لبشر ان يستنبئه الله ثم يأمر الناس بعبادة نفسه ويأمر باتخاذ
الملائكة والنبيين اربابا او غير مزيدة على معنى انه ليس له ان يأمر بعبادته ولا
يأمر باتخاذ اكفائه اربابا بل ينهى عنه وهو ادنى من العبادة ورفعه الباقون
على الاستيناف ويحتمل الحال وقرأ ابو عمرو برواية الدوري على اصله في الاختلاس
للضم والكسر ايأمركم بالكفر انكار والضمير فيه للبشر وقيل لله بعد اذ انتم مسلمون
دليل على ان الخطاب للمسلمين وهم المستاذنون لان يسجدوا له واذ اخذ الله ميثاق
النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه
قيل انه على ظاهره واذا كان هذا حكم الانبياء كان الامم به اولى وقيل معناه ان
الله تعالى اخذ الميثاق من النبيين واممهم واستغنى بذكرهم عن ذكر الامم وقيل اضافة
الميثاق الى النبيين اضافة الى الفاعل والمعنى واذ اخذ الله تعالى الميثاق الذي وثقه
الانبياء على اممهم وقيل المراد اولاد النبيين على حذف المضاف وهم بنو اسرائيل او سماهم
نبيين تهكما لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد لانا اهل الكتاب والنبيون كانوا
منا واللام في لما موطئة للقسم لان اخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف وما يحتمل الشرطية
ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط ويحتمل الخبرية وقرأ حمزة لما بالكسر على ان

ما مصدرية اى لاجل ايتائى اياكم بعض الكتاب ثم لمجىء رسول مصدق له اخذ الله الميثاق
لتؤمنن به ولتنصرنه او موصولة والمعنى لَلَّذى آتيتكموه وجاءكم رسول مصدق
له وقرئ لما بمعنى حين آتيتكم او لمن اجل ما آتيتكم على ان اصله لمن ما بالادغام فحذف
احدى الميمات الثلث استثقالا وقرأ نافع آتيناكم بالنون والالف تفخيما قال أأقررتم
واخذتم على ذلكم اصرى اى عهدى سمى به لانه يؤصر اى يشد وقرئ بالضم وهو اما
لغة فيه كعبر وعبر او جمع اصار وهو ما يشد به قالوا اقررنا قال فاشهدوا اى فليشهد
بعضكم على بعض بالاقرار وقيل الخطاب فيه للملائكة وانا معكم من الشاهدين وانا
ايضا على اقراركم وتشاهدكم شاهد وهو توكيد وتحذير عظيم فمن تولى بعد
ذلك بعد الميثاق والتوكيد بالاقرار والشهادة فاولئك هم الفاسقون المتمردون
من الكفرة افغير دين الله يبغون عطف على الجملة المتقدمة والهمزة متوسطة بينهما للانكار
او محذوف تقديره اتتولون فغير دين الله يبغون وتقديم المفعول لانه المقصود بالانكار
والفعل بلفظ الغيبة عند ابى عمرو وعاصم فى رواية حفص ويعقوب وبالتاء
عند الباقين على تقدير وقل لهم وله اسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها
اى طائعين بالنظر واتباع الحجة وكارهين بالسيف ومعاينة ما يلجئ الى الاسلام
كنتق الجبل وادراك الغرق والاشراف على الموت او مختارين كالملائكة والمؤمنين
او مسخرين كالكفرة فانهم لا يقدرون ان يمتنعوا عما قضى عليهم واليه يرجعون وقرئ
بالياء على ان الضمير لمن قل آمنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابراهيم واسمعيل
واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم امر
للرسول بان يخبر عن نفسه ومتابعيه بالايمان والقرآن كما هو منزل عليه منزل عليهم بتوسط
تبليغه اليهم وايضا المنسوب الى واحد من الجمع قد ينسب اليهم او بان يتكلم عن نفسه
على طريقة الملوك اجلالا له والنزول كما يعدى بالى لانه ينتهى الى الرسل يعدى بعلى
لانه من فوق وانما قدم المنزل عليهم على المنزل على سائر الرسل لانه المعرف له
والعيار عليه لا نفرق بين احد منهم بالتصديق والتكذيب ونحن له مسلمون منقادون

او مخلصون

او مخلصون فى عبادته ومن يبتغ غير الاسلام دينا اى غير التوحيد والانقياد لحكم الله
فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين الواقعين فى الخسران والمعنى ان المعرض عن الاسلام
والطالب لغيره فاقد للنفع واقع فى الخسران بابطال الفطرة السليمة التى فطر الناس عليها
واستدل به على ان الايمان هو الاسلام اذ لو كان غيره لم يقبل والجواب انه ينفى قبول
كل دين يغايره لا قبول كل ما يغايره ولعل الدين ايضا للاعمال كيف يهدى الله قوما
كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات استبعاد لان يهديهم الله فان
الحائد عن الحق بعد ما وضح له منهمك فى الضلال بعيد عن الرشاد وقيل نفى وانكار له وذلك
يقتضى ان لا تقبل توبة المرتد وشهدوا عطف على ما فى ايمانهم من معنى الفعل ونظيره فاصدق
واكن او حال باضمار قد من فاعل كفروا وهو على الوجهين دليل على ان الاقرار باللسان خارج
عن حقيقة الايمان والله لا يهدى القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالاخلال بالنظر
ووضع الكفر موضع الايمان فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم اعرض عنه اولئك جزاؤهم
ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين يدل بمنطوقه على جواز لعنهم وبمفهومه
ينفى جواز لعن غيرهم ولعل الفرق انهم مطبوعون على الكفر ممنوعون عن الهدى
مايوسون عن الرحمة رأسا بخلاف غيرهم والمراد بالناس المؤمنون او العموم فان الكافر
ايضا يلعن منكر الحق والمرتد عنه ولكن لا يعرف الحق بعينه خالدين فيها فى اللعنة او العقوبة
او النار وان لم يجر ذكرهما لدلالة الكلام عليهما لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون الا الذين تابوا
من بعد ذلك اى من بعد الارتداد واصلحوا ما افسدوا ويجوز ان لا يقدر له مفعول بمعنى
ودخلوا فى الصلاح فان الله غفور لقبل توبته رحيم يتفضل عليه قيل انها نزلت فى الحارث
بن سويد حين ندم على ردته فارسل الى قومه ان سلوا هل لى من توبة فارسل اليه اخوه
الجلاس بالآية فرجع الى المدينة فتاب ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا
كاليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد الايمان بموسى والتورية ثم ازدادوا كفرا بمحمد
والقرآن او كفروا بمحمد بعد ما آمنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالاصرار والعناد
والطعن فيه والصد عن الايمان ونقض الميثاق او كقوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا

كفروا بقولهم نتربص بمحمد ريب المنون او نرجع اليه وننافقه باظهاره لن تقبل توبتهم
لانهم لا يتوبون او لا يتوبون الا اذا اشرفوا على الهلاك فكنى عن عدم توبتهم بعدم قبولها
تغليظا في شانهم وابرازا لحالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة او لان توبتهم لا تكون الا نفاقا
لارتدادهم وزيادة كفرهم ولذلك لم تدخل الفاء عليه واولئك هم الضالون الثابتون
على الضلال ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا لما كان
الموت على الكفر سببا لامتناع قبول الفدية ادخل الفاء هنا للاشعار به وملء الشيء ما
يملاه وذهبا نصب على التمييز وقرئ بالرفع على البدل من ملء او الخبر لمحذوف ولو افتدى
به محمول على المعنى كانه قيل فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا او معطوف
على مضمر تقديره فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا لو تقرب به في الدنيا ولو افتدى
به من العذاب في الآخرة او المراد ولو افتدى بمثله كقوله ولو ان للذين ظلموا ما في الارض
جميعا ومثله معه والمثل يحذف ويراد كثيرا لان المثلين في حكم شيء واحد اولئك لهم عذاب
اليم مبالغة في التحذير والاقناط لان من لا يقبل منه الفداء ربما يعفى عنه تكرما وما لهم من
ناصرين في دفع العذاب ومن مزيدة للاستغراق لن تنالوا البر اي لن تبلغوا حقيقة
البر الذي هو كمال الخير او لن تنالوا بر الله الذي هو الرحمة والرضى والجنة حتى تنفقوا
مما تحبون اي من المال او مما يعمه وغيره كبذل الجاه في معاونة الناس والبدن في طاعة
الله والمهجة في سبيله روي انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان احب اموالي
الي بيرحاء فضعها حيث اراك الله فقال بخ بخ ذلك مال رابح او رايح واني ارى
ان تجعلها في الاقربين وجاء زيد بن حارثة بفرس كان يحبها فقال هذه في سبيل الله
فحمل عليها رسول الله اسامة فقال زيد انما اردت ان اتصدق به فقال ان الله
قد قبلها منك وذلك يدل على ان انفاق احب الاموال على اقرب الاقارب افضل وان الآية
تعم الانفاق الواجب والمستحب وقرئ بعض ما تحبون وهو يدل على ان من للتبعيض ويحتمل
التبيين وما تنفقوا من شيء اي من اي شيء محبوب او غيره ومن لبيان ما فان الله به عليم فيجازيكم
بحسبه كل الطعام اي المطعومات والمراد اكلها كان حلا لبني اسرائيل حلالا لهم وهو مصدر

نعت به ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع والمؤنث والمذكر قال تعالى لا هن حل
لهم الا ما حرم اسرائيل يعقوب على نفسه كلحوم الابل والبانها قيل كان به عرق النسا
فنذر ان شفي لم ياكل احب الطعام اليه وكان ذلك احب اليه وقيل فعل ذلك للتداوي
باشارة الاطباء واحتج به من جوز للنبي ان يجتهد وللمانع ان يقول ذلك باذن
من الله فيه فهو كتحريمه ابتداء من قبل ان تنزل التورية اي من قبل انزالها مشتملة
على تحريم ما حرم عليهم لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدا وذلك رد على اليهود في دعوى
البراءة عما نعى عليهم في قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات وقوله وعلى
الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآيتين بان قالوا لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت
محرمة على نوح وابراهيم ومن بعده حتى انتهى الامر الينا فحرمت علينا كما حرمت على من
قبلنا وفي منع النسخ والطعن في دعوى الرسول صلعم موافقة ابراهيم بتحليله لحوم
الابل والبانها قل فأتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين امر بمحاجتهم بكتابهم
وتبكيتهم بما فيه من انه قد حرم عليهم بسبب ظلمهم ما لم يكن محرما روي انه لما قال لهم
بهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا التورية وفيه دليل على نبوته فمن افترى على الله الكذب
ابتدعه على الله بزعمه انه حرم ذلك قبل نزول التورية على بني اسرائيل ومن قبلهم
من بعد ذلك من بعد ما لزمتهم الحجة فاولئك هم الظالمون الذين لا ينصفون من
انفسهم ويكابرون الحق بعدما وضح قل صدق الله تعريض بكذبهم اي ثبت ان الله صادق
فيما انزل وانتم الكاذبون فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا اي ملة الاسلام التي هي في
الاصل ملة ابراهيم او مثل ملته حتى تتخلصوا من اليهودية التي اضطرتكم الى التحريف
والمكابرة لتسوية الاغراض الدنيوية والزمتكم تحريم طيبات احلها الله لابراهيم ومن
تبعه وما كان من المشركين فيه اشارة الى ان اتباعه واجب في التوحيد الصرف
والاستقامة في الدين والتجنب عن الافراط والتفريط وتعريض بشرك اليهود
ان اول بيت وضع للناس اي وضع للعبادة وجعل متعبدا لهم والواضع هو الله تعالى
ويدل عليه انه قرئ على البناء للفاعل للذي ببكة للبيت الذي ببكة وهي لغة في مكة

كاللبط والنبط وامر راتب وراتم ولازب ولازم وقيل هو موضع المسجد ومكة
البلد من بكه اذا زحمه او من بكه اذا دقه فانها تبك اعناق الجبابرة روى
انه عم سئل عن اول بيت وضع فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال
اربعون سنة وقيل اول من بناه ابراهيم ثم هدم فبناه قوم من جرهم ثم العمالقة ثم
قريش وقيل هو اول بيت بناه آدم فانطمس في الطوفان ثم بناه ابراهيم وقيل كان في
موضعه قبل آدم بيت يقال له الضراح يطوف به الملائكة فلما اهبط امر بان يحجه ويطوف
حوله ورفع في الطوفان الى السماء الرابعة يطوف به ملائكة السموات وهو لا يلائم
ظاهر الآية وقيل المراد انه اول بيت بالشرف لا بالزمان مباركا كثير الخير والنفع لمن حجه
واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله حال من المستكن في الظرف وهدى للعالمين لانه
قبلتهم ومتعبدهم ولان فيه آيات عجيبة كما قال فيه آيات بينات كانحراف الطيور عن موازاة
البيت على مدى الاعصار وان ضواري السباع تخالط الصيود في الحرم ولا يتعرض لها
وان كل جبار قصده بسوء قهره كاصحاب الفيل والجملة مفسرة للهدى او حال اخرى مقام ابرهيم
مبتدأ محذوف خبره اى منها مقام ابراهيم او بدل من آيات بدل البعض من الكل وقيل عطف
بيان على ان المراد بالآيات اثر القدم في الصخرة الصماء وغوصها فيها الى الكعبين وتخصيصها
بهذه الالانة من بين الصخار وابقاؤه دون سائر آثار الانبياء وحفظه مع كثرة اعدائه
الوف سنين ويؤيده انه قرئ آية بينة على التوحيد وسبب هذا الاثر انه لما ارتفع بنيان
الكعبة قام على هذا الحجر ليتمكن من رفع الحجارة فغاصت فيه قدماه ومن دخله كان آمنا
جملة ابتدائية او شرطية معطوفة من حيث المعنى على مقام لانه في معنى وامن من دخله اى
ومنها امن من دخله او فيه آيات بينات مقام ابراهيم وامن من دخله اقتصر بذكرهما من
الآيات الكثيرة وطوى ذكر غيرهما كقوله عم حبب الى من دنياكم ثلث الطيب والنساء
وقرة عيني في الصلوة لان فيهما غنية عن غيرهما في الدارين بقاء الاثر مدى الدهر والامن
من العذاب يوم القيمة قال عليه الصلوة والسلام من مات في احد الحرمين بعث يوم القيمة آمنا
وعند ابي حنيفة رح من لزمه القتل بردة او قصاص او غيرهما لم يتعرض له ولكن الجئ الى الخروج

ولله على الناس حج البيت قصده للزيارة على الوجه المخصوص وقرأ حمزة والكسائي
وعاصم في رواية حفص حج بالكسر وهو لغة نجد من استطاع اليه سبيلا بدل من الناس مخصص
له وقد فسر رسول الله عليه السلام الاستطاعة بالزاد والراحلة وهو يؤيد قول الشافعي
رض انها بالمال ولذلك اوجب الاستنابة على الزمن اذا وجد اجرة من ينوب عنه وقال
مالك انها بالبدن فيجب على من قدر على المشي والكسب في الطريق وقال ابو حنيفة رض انها
بمجموع الامرين والضمير في اليه للبيت او الحج وكل ما اتى الى الشيء فهو سبيله ومن كفر فان الله
غني عن العالمين وضع كفر موضع من لم يحج تاكيدا لوجوبه وتغليظا على تاركه ولذلك
قال عم من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا وقد اكد امر الحج في هذه الآية
من وجوه الدلالة على وجوبه بصيغة الخبر وابرازه في الصورة الاسمية وايراده
على وجه يفيد انه حق واجب لله في رقاب الناس وتعميم الحكم اولا وتخصيصه فانه
كايضاح بعد ابهام وتثنية وتكرير للمراد وتسمية ترك الحج كفرا من حيث انه فعل الكفرة
وذكر الاستغناء فانه في هذا الموضع مما يدل على المقت والخذلان وقوله عن العالمين
يدل عليه لما فيه من مبالغة التعميم والدلالة على الاستغناء عنه بالبرهان والاشعار
بعظم السخط لانه تكليف شاق جامع بين كسر النفس واتعاب البدن وصرف المال
والتجرد عن الشهوات والاقبال على الله روي انه لما نزل صدر الآية جمع رسول الله صلعم
ارباب الملل فخطبهم وقال ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة واحدة وكفرت به
خمس ملل فنزل ومن كفر قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله اى بآياته السمعية
والعقلية الدالة على صدق محمد عم فيما يدعيه من وجوب الحج وغيره وتخصيص اهل
الكتاب بالخطاب دليل على ان كفرهم اقبح وانهم وان زعموا انهم مؤمنون بالتورية
والانجيل فهم كافرون بهما والله شهيد على ما تعملون والحال ان الله شهيد مطلع على اعمالكم فيجازيكم
عليها لا ينفعكم التحريف والاستسرار قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن
كرر الخطاب والاستفهام مبالغة في التقريع ونفي العذر لهم واشعارا بان كل واحد
من الامرين مستقبح في نفسه مستقل باستجلاب العذاب وسبيل الله دينه الحق المأمور

بسلوككم وهو الاسلام قيل كانوا يفتنون المؤمنين ويحرشون بينهم حتى اتوا الاوس
والخزرج فذكروهم ما بينهم في الجاهلية من التعادي والتحارب ليعودوا لمثله ويحتالون
لصدهم عنه تبغونها عوجا حال من الواو اي باغين طالبين لها اعوجاجا بان تلبسوا على
الناس وتوهموا ان فيه عوجا عن الحق بمنع النسخ وتغيير صفة رسول الله ونحوهما
او بان تحرشوا بين المؤمنين لتختلف كلمتهم ويختل امر دينهم وانتم شهداء انها سبيل الله والصد
عنها ضلال واضلال او انتم عدول عند اهل ملتكم يثقون باقوالكم ويستشهدونكم في القضايا
وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم ولما كان المنكر في الآية الاولى كفرهم وهم يجهرون
به ختمها بقوله والله شهيد على ما تعملون ولما كان في هذه الآية صدهم المؤمنين عن الاسلام
وكانوا يخفونه ويحتالون فيه قال وما الله بغافل عما تعملون يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا
فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين نزلت في نفر من الاوس
والخزرج كانوا جلوسا يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس اليهودي فغاظه تالفهم واجتماعهم
فامر شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم بعض ما قيل فيه وكان
الظفر في ذلك اليوم للاوس ففعل فتنازع القوم وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا
السلاح السلاح واجتمع من القبيلتين خلق عظيم فتوجه اليهم رسول الله واصحابه
فقال اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم
امر الجاهلية والف بينكم فعلموا انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح
واستغفروا وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع الرسول وانما خاطبهم الله بنفسه بعدما
امر الرسول بان يخاطب اهل الكتاب اظهارا لجلالة قدرهم واشعارا بانهم الاحقاء
بان يخاطبهم الله ويكلمهم وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله انكار
وتعجيب لكفرهم في حال اجتمع لهم الاسباب الداعية الى الايمان الصارفة عن الكفر ومن
يعتصم بالله ومن يتمسك بدينه او يلتجئ اليه في مجامع اموره فقد هدي الى صراط مستقيم
فقد اهتدى لا محالة يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته حق تقواه وما يجب منها وهو
استفراغ الوسع في القيام بالواجب والاجتناب عن المحارم كقوله فاتقوا الله ما استطعتم

وعن ابن مسعود رض هو ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وقيل هو ان
ينزه الطاعة عن الالتفات اليها وعن توقع المجازاة عليها وفي هذا الامر تاكيد للنهي عن
طاعة اهل الكتاب واصل تقاة وقية فقلبت واوها المضمومة تاء كما في تؤدة وتخمة
والياء الفا ولا تموتن الا وانتم مسلمون اي ولا تكونن على حال سوى حال الاسلام اذا
ادرككم الموت فان النهي عن المقيد بحال او غيرها قد يتوجه بالذات نحو الفعل تارة والقيد
اخرى وقد يتوجه نحو المجموع دونهما وكذلك النفي واعتصموا بحبل الله بدين الاسلام
او بكتابه لقوله عم القرآن حبل الله المتين استعار له الحبل من حيث ان التمسك به سبب
للنجاة عن الردى كما ان التمسك بالحبل سبب للسلامة عن التردي وللوثوق به والاعتماد
عليه الاعتصام ترشيحا للمجاز جميعا مجتمعين عليه ولا تفرقوا اي ولا تتفرقوا عن دين الحق
بوقوع الاختلاف بينكم كاهل الكتاب او ولا تتفرقوا تفرقكم الجاهلي يحارب بعضكم بعضا او لا
تذكروا ما يوجب التفرق ويزيل الالفة واذكروا نعمة الله عليكم التي من جملتها الهداية
والتوفيق للاسلام وزوال الغل اذ كنتم اعداء في الجاهلية متقاتلين فالف بين قلوبكم
بالاسلام فاصبحتم بنعمته اخوانا متحابين مجتمعين على الاخوة في الله وقيل كان
الاوس والخزرج اخوين لابوين فوقع بين اولادهما العداوة وتطاولت الحروب
مائة وعشرين سنة حتى اطفاها الله بالاسلام والف بينهم برسوله عم وكنتم
على شفا حفرة من النار مشفين على الوقوع في نار جهنم لكفركم اذ لو ادرككم الموت
في تلك الحال لوقعتم في النار فانقذكم منها بالاسلام والضمير للحفرة او النار او للشفا
وتانيثه لتانيث ما اضيف اليه او لانه بمعنى الشفة فان شفا البئر وشفتها طرفها
كالجانب والجانبة واصله شفو فقلبت الواو في المذكر وحذفت في المؤنث كذلك
مثل ذلك التبيين يبين الله لكم آياته دلائله لعلكم تهتدون ارادة ثباتكم على الهدى
وازديادكم فيه ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر
من للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفاية ولانه لا يصلح له كل احد
اذ للمتصدي له شروط لا يشترك فيها جميع الامة كالعلم بالاحكام ومراتب الاحتساب

وكيفية اقامتها والتمكن من القيام بها خاطب الجميع وطلب فعل بعضهم ليدل على انه واجب
على الكل حتى لو تركوه رأسا اثموا جميعا ولكن يسقط بفعل بعضهم وهكذا كل ما هو فرض
كفاية او للتبيين بمعنى وكونوا امة امرين كقوله كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون
بالمعروف وتنهون عن المنكر والدعاء الى الخير يعم الدعاء الى ما فيه صلاح دينى او دنيوى
وعطف الامر عليه عطف الخاص على العام للايذان بفضله واولئك هم المفلحون المخصوصون
بكمال الفلاح روى انه ع سئل من خير الناس فقال آمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم
لله واوصلهم للرحم والامر بالمعروف يكون واجبا ومندوبا على حسب ما يؤمر به والنهى
عن المنكر واجب كله لان جميع ما انكره الشرع حرام والاظهر ان العاصى يجب ان ينهى عما يرتكبه
لانه يجب عليه تركه وانكاره فلا يسقط بترك احدهما وجوب الآخر ولا تكونوا كالذين
تفرقوا واختلفوا كاليهود والنصارى اختلفوا فى التوحيد والتنزيه واحوال الآخرة
على ما عرفت من بعد ما جاءهم البينات الآيات والحجج المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه
والاظهر ان النهى فيه مخصوص بالتفرق فى الاصول دون الفروع لقوله ع اختلاف امتى رحمة
ولقوله ع من اجتهد فاصاب فله اجران ومن اخطأ فله اجر واحد واولئك لهم عذاب عظيم
وعيد للذين تفرقوا وتهديد على التشبه بهم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه نصب بما
فى لهم من معنى الفعل او باضمار اذكر وبياض الوجه وسواد الوجه كنايتان عن ظهور بهجة
السرور وكآبة الخوف فيه وقيل يوسم اهل الحق ببياض الوجه والصحيفة واشراق البشرة
وسعى النور بين يديه وبيمينه واهل الباطل باضداد ذلك فاما الذين اسودت وجوههم
أكفرتم بعد ايمانكم على ارادة القول اى فيقال لهم أكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم وهم
المرتدون او اهل الكتاب كفروا برسول الله صلعم بعد ايمانهم به قبل مبعثه او جميع الكفار
كفروا بعدما اقروا به حين اشهدهم على انفسهم او تمكنوا من الايمان بالنظر فى الدلائل والآيات
فذوقوا العذاب امر اهانة بما كنتم تكفرون بسبب كفركم او جزاء لكفركم واما الذين
ابيضت وجوههم ففى رحمة الله يعنى الجنة والثواب المخلد عبر عن ذلك بالرحمة تنبيها على
ان المؤمن وان استغرق عمره فى طاعة الله تع لا يدخل الجنة الا برحمته وفضله وكان حق

الترتيب ان يقدم ذكرهم لكن قصد ان يكون مطلع الكلام ومقطعه حلية المؤمنين وثوابهم
هم فيها خالدون اخرجه مخرج الاستئناف للتأكيد كأنه قيل كيف يكونون فيها فقال هم فيها
خالدون تلك آيات الله الواردة فى وعده ووعيده نتلوها عليك بالحق ملتبسة بالحق لا شبهة
فيها وما الله يريد ظلما للعالمين اذ يستحيل الظلم منه لانه لا يحق عليه شىء فيظلم بنقصه ولا يمنع
عن شىء فيظلم بفعله لانه المالك على الاطلاق كما قال ولله ما فى السموات وما فى الارض
والى الله ترجع الامور فيجازى كلا بما وعد له واوعد كنتم خير امة دل على خيريتهم فيما
مضى ولم يدل على انقطاع طرأ كقوله وكان الله غفورا رحيما وقيل كنتم فى علم الله
او فى اللوح او فيما بين الامم المتقدمين اخرجت للناس اظهرت لهم تأمرون بالمعروف وتنهون
عن المنكر استئناف مبين لكونهم خير امة او خبر ثان لكنتم وتؤمنون بالله يتضمن الايمان
بكل ما يجب ان يؤمن به لان الايمان به انما يحق ويعتد به اذا حصل الايمان بكل ما امر
ان يؤمن به وانما اخره وحقه ان يقدم لانه قصد بذكره الدلالة على انهم امروا بالمعروف
ونهوا عن المنكر ايمانا بالله وتصديقا به واظهارا لدينه واستدل بهذه الآية على ان الاجماع
حجة لانها تقتضى كونهم آمرين بكل معروف وناهين عن كل منكر اذ اللام فيهما للاستغراق فلو اجمعوا
على باطل كان امرهم على خلاف ذلك ولو آمن اهل الكتاب ايمانا كما ينبغى لكان خيرا لهم لكان الايمان
خيرا لهم مما هم عليه منهم المؤمنون كعبد الله بن سلام واصحابه واكثرهم الفاسقون المتمردون
فى الكفر وهذه الجملة والتى بعدها واردتان على سبيل الاستطراد لن يضروكم الا اذى
ضررا يسيرا كطعن وتهديد وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ينهزموا ولا يضروكم بقتل
واسر ثم لا ينصرون ثم لا يكون احد ينصرهم عليكم او يدفع باسكم عنهم نفى اضرارهم سوى
ما يكون بقول وقرر ذلك بانهم لو قاموا الى القتال كانت الدائرة عليهم ثم اخبر بانه يكون
عاقبتهم العجز والخذلان وقرئ لا ينصروا عطفا على يولوا على ان ثم للتراخى فى المرتبة
فيكون عدم النصر مقيدا بقتالهم وهذه الآية من المغيبات التى وافقها الواقع اذ كان
كذلك حال قريظة والنضير وبنى قينقاع ويهود خيبر ضربت عليهم الذلة هدر النفس
والمال والاهل او ذل التمسك بالباطل والجزية اينما ثقفوا وجدوا الا بحبل من الله

وحبل من الناس استثناء من اعم الاحوال اى ضربت عليهم الذلة فى عامة الاحوال الا
معتصمين او متلبسين بذمة الله وكتابه الذى اتاهم وذمة المسلمين او بدين الاسلام
واتباع سبيل المؤمنين وباؤا بغضب من الله رجعوا به مستوجبين له وضربت عليهم المسكنة
فهى محيطة بهم احاطة البيت المضروب على اهله واليهود فى غالب الامر فقراء مساكين ذلك
اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب ذلك بانهم كانوا يكفرون
بايات الله ويقتلون الانبياء بغير حق بسبب كفرهم بالايات وقتلهم الانبياء والتقييد بغير حق
مع انه كذلك فى نفس الامر للدلالة على انه لم يكن حقا بحسب اعتقادهم ايضا ذلك اى
الكفر والقتل بما عصوا وكانوا يعتدون بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله فان الاصرار
على الصغائر يفضى الى الكبائر والاستمرار عليها يؤدى الى الكفر وقيل معناه ان ضرب الذلة
فى الدنيا واستيجاب الغضب فى الاخرة كما هو معلل بكفرهم وقتلهم فهو مسبب عن عصيانهم واعتدائهم
من حيث انهم مخاطبون بالفروع ايضا ليسوا سواء فى المساوى والضمير لاهل الكتاب من
اهل الكتاب امة قائمة استئناف لبيان نفى الاستواء والقائمة المستقيمة العادلة من
اقمت العود فقام وهم الذين اسلموا منهم يتلون ايات الله اناء الليل وهم يسجدون يتلون
القران فى تهجدهم عبر عنه بالتلاوة فى ساعات الليل مع السجود ليكون ابين وابلغ فى المدح
وقيل المراد صلوة العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها لما روى انه عم اخرها ثم خرج فاذا
الناس ينتظرون الصلوة فقال اما انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله هذه الساعة
غيركم يؤمنون بالله واليوم الاخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون
فى الخيرات صفات اخر لامة وصفهم بخصائص ما كانت فى اليهود فانهم منحرفون عن الحق
متعبدين بالليل مشركون بالله ملحدون فى صفاته واصفون اليوم الاخر بخلاف صفته
مداهنون فى الاحتساب متباطئون عن الخيرات واولئك من الصالحين اى الموصوفون بتلك
الصفات ممن صلحت احوالهم عند الله واستحقوا رضاءه وثناءه وما تفعلوا من خير فلن تكفروه
فلن يضيع ولا ينقص ثوابه البتة سمى ذلك كفرانا كما سمى توفية الثواب شكرا وتعديته الى
مفعولين لتضمنه معنى الحرمان وقرأ حفص وحمزة والكسائى بالياء فيهما والباقون بالتاء والله

عليم بالمتقين بشارة لهم واشعار بان التقوى مبدأ الخير وحسن العمل وان الفائز عند الله
هو اهل التقوى ان الذين كفروا لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا من العذاب
او من الغناء فيكون مصدرا واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ملازموها
مثل ما ينفقون ما ينفق الكفرة قربة او مفاخرة وسمعة او المنافقون رياء وخوفا فى
هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح فيها صر برد شديد والشائع اطلاقه للريح الباردة كالصرصر
فهو فى الاصل مصدر نعت به او نعت وصف به البرد للمبالغة كقولك برد بارد اصابت
حرث قوم ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصى فاهلكته عقوبة لهم لان الاهلاك عن سخط اشد
والمراد تشبيه ما انفقوا فى ضياعه بحرث كفار ضربته صر فاستأصلته ولم يبق لهم فيه منفعة ما
فى الدنيا والاخرة وهو من التشبيه المركب ولذلك لم يبال بايلاء كلمة التشبيه الريح دون
الحرث ويجوز ان يقدر كمثل مهلك ريح وهو الحرث وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون
اى ما ظلم المنفقين بضياع نفقاتهم ولكنهم ظلموا انفسهم لما لم ينفقوها بحيث يعتد بها او ما
ظلم اصحاب الحرث باهلاكه ولكنهم ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة وقرئ
ولكن اى ولكن انفسهم يظلمونها ولا يجوز ان يقدر ضمير الشان لانه لا يحذف الا فى الشعر
كقوله ولكن من يبصر جفونك يعشق يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة وليجة
وهو الذى يعرفه الرجل اسراره ثقة به شبه ببطانة الثوب كما شبه بالشعار قال عم الانصار
شعار والناس دثار من دونكم من دون المسلمين وهو متعلق بلا تتخذوا او بمحذوف هو صفة
بطانة اى بطانة كائنة من دونكم لا يألونكم خبالا لا يقصرون لكم فى الفساد والالو
التقصير واصله ان يعدى بالحرف ثم عدى الى مفعولين كقولهم لا آلوك نصحا على تضمين
معنى المنع او النقص ودوا ما عنتم تمنوا عنتكم وهو شدة الضرر والمشقة وما مصدرية
قد بدت البغضاء من افواههم اى من كلامهم لانهم لا يتمالكون انفسهم لفرط بغضهم
وما تخفى صدورهم اكبر مما بدا لان بدوه ليس عن روية واختيار قد بينا لكم الايات
الدالة على وجوب الاخلاص وموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين ان كنتم تعقلون
ما بين لكم والجمل الاربع جاءت مستأنفات على التعليل ويجوز ان تكون الثلاث الاول

صفات لبطانتهما تنبيها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم اي انتم اولاء الخاطئون في موالاة
الكفار فتحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطائهم في موالاتهم وهو خبر ثان او خبر لاولاء والجملة
خبر انتم كقولك انت زيد تحبه او صلته او حال والعامل فيها معنى الاشارة ويجوز ان ينتصب
اولاء بفعل يفسره ما بعده وتكون الجملة خبرا وتؤمنون بالكتاب كله بجنس الكتب كله وهو حال
من لا يحبونكم والمعنى انهم لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم ايضا فما بالكم تحبونهم وهم
لا يؤمنون بكتابكم وفيه توبيخ بانهم في باطلهم اصلب منكم في حقكم واذا لقوكم قالوا
امنا نفاقا وتغريرا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ من اجله تاسفا وتحسرا
حيث لم يجدوا الى التشفي سبيلا قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته
بتضاعف قوة الاسلام واهله حتى يهلكوا به ان الله عليم بذات الصدور فيعلم ما في
صدورهم من البغضاء والحنق وهو يحتمل ان يكون من المقول اي وقل لهم ان الله عليم بما هو اخفى
مما تخفونه من عض الانامل غيظا وان يكون خارجا عنه بمعنى قل لهم ذلك ولا تتعجب من
اطلاعي اياك على اسرارهم فاني عليم بالاخفى من ضمائرهم ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم
سيئة يفرحوا بها بيان لتناهي عداوتهم الى حد حسدوا ما نالهم من خير ومنفعة وشمتوا
بما اصابهم من ضر وشدة والمس مستعار للاصابة وان تصبروا على عداوتهم او على مشاق
التكاليف وتتقوا موالاتهم او ما حرم الله عليكم لا يضركم كيدهم شيئا بفضل الله وحفظه
الموعود للصابرين والمتقين ولان المجد في الامر المتدرب بالاتقاء والصبر يكون قليل الانفعال
جريئا على الخصم وضمة الراء للاتباع كضمة مد وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب
لا يضركم من ضاره يضيره ان الله بما يعملون من الصبر والتقوى وغيرهما محيط اي محيط
علمه فيجازيكم بما انتم اهله وقرئ بالياء اي بما يعملون في عداوتكم عليم فيعاقبهم عليه و
اذ غدوت اي واذكر اذ غدوت من اهلك من حجرة عائشة رضه تبوئ المؤمنين
تنزلهم او تسوي وتهيئ لهم ويؤيده القراءة باللام مقاعد للقتال مواقف واماكن
له وقد يستعمل المقعد والمقام بمعنى المكان على الاتساع كقوله في مقعد صدق
وقوله قبل ان تقوم من مقامك والله سميع لاقوالكم عليم بنياتكم روي ان المشركين

نزلوا باحد يوم الاربعاء ثاني عشر شوال سنة ثلث من الهجرة فاستشار رسول الله صلعم
اصحابه وقد دعا عبد الله بن ابي ولم يدعه قبل فقال هو واكثر الانصار اقم يا رسول الله
بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو الا اصاب منا ولا دخلها علينا
الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال
ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين واشار بعضهم الى الخروج
فقال عم رايت في منامي بقرا مذبوحة عندي حولي فاولتها خيرا ورايت في ذباب
سيفي ثلما فاولته هزيمة ورايت كاني ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة
فان رايتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال فاتتهم بدر واكرمهم الله بالشهادة
يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا وبالغوا حتى دخل فلبس لامته فلما راوا ذلك ندموا
على مبالغتهم وقالوا اصنع يا رسول الله ما رايت فقال لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته
فيضعها حتى يقاتل فخرج بعد صلوة الجمعة واصبح بشعب من احد يوم السبت ونزل
في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره الى احد وسوى صفهم وامر عبد الله بن جبير
على الرماة وقال انضحوا عنا بالنبل لا ياتونا من ورائنا اذ همت متعلق بقوله
سميع عليم او بدل من اذ غدوت طائفتان منكم بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة
من الاوس وكانا جناحي العسكر ان تفشلا ان تجبنا وتضعفا روي انه عم خرج في زهاء
الف رجل ووعدهم النصر ان صبروا فلما بلغوا الشوط انخزل ابن ابي في ثلثمائة وقال
علام نقتل انفسنا واولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الانصاري وقال انشدكم بالله
في نبيكم وانفسكم فقال ابن ابي لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباعه فعصمهم
الله فمضوا مع رسوله عم والظاهر انها ما كانت عزيمة لقوله والله وليهما اي عاصمهما
عن اتباع تلك الخطرة ويجوز ان يراد والله ناصرهما فما لهما يفشلان وعلى الله فليتوكل
المؤمنون اي فليتوكلوا عليه ولا يتوكلوا على غيره لينصرهم كما نصرهم ببدر ولقد
نصركم الله ببدر تذكير ببعض ما افادهم التوكل وبدر ما بين مكة والمدينة كان
لرجل يسمى بدرا فسمي به وانتم اذلة حال من الضمير وانما قال اذلة ولم يقل ذلائل

ليدل على قلتهم مع ذلتهم بضعف الحال وقلة المراكب والسلاح فاتقوا الله في
الثبات لعلكم تشكرون بما انعم به عليكم بتقويكم من نصره او لعلكم ينعم الله عليكم
فتشكرون فوضع الشكر موضع الانعام لانه سببه اذ تقول للمؤمنين ظرف لنصركم وقيل
بدل ثان من اذ غدوت على ان قوله لهم يوم احد وكان مع اشتراط الصبر
والتقوى عن المخالفة فلما لم يصبروا عن الغنائم وخالفوا امر الرسول لم تنزل
الملائكة الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلثة آلاف من الملائكة منزلين انكار ان لا يكفيهم
ذلك وانما جيء بلن اشعارا بانهم كانوا كالآيسين من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة العدو
وكثرتهم قيل امدهم الله يوم بدر اولا بالف من الملائكة ثم صاروا ثلثة آلاف
ثم صاروا خمسة وقرأ ابن عامر منزلين بالتشديد للتكثير او للتدريج بلى ايجاب لما بعد
لن اي بلى يكفيكم ثم وعد لهم الزيادة على الصبر والتقوى حثا عليهما وتقوية لقلوبهم
فقال ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم اي المشركون من فورهم هذا من ساعتهم هذه
وهو في الاصل مصدر فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة ثم اطلق للحال التي
لا ريث فيها ولا تراخي والمعنى ان يأتوكم في الحال يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة
في حال اتيانهم بلا تراخ وتأخير مسومين معلمين من التسويم الذي هو اظهار سيماء الشيء
لقوله عليه السلام لاصحابه تسوموا فان الملائكة قد تسومت او مرسلين من التسويم بمعنى
الاسامة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم ويعقوب بكسر الواو وما جعله الله وما
جعل امدادكم بالملائكة الا بشرى لكم الا بشارة لكم بالنصر ولتطمئن قلوبكم به ولتسكن
اليه من الخوف وما النصر الا من عند الله لا من العدة والعدد وهو تنبيه على انه لا حاجة
في نصرهم الى مدد وانما امدهم ووعد لهم به بشارة لهم وربطا على قلوبهم من حيث
ان نظر العامة الى الاسباب اكثر وحث على ان لا يبالوا بمن تأخر عنهم العزيز الذي
لا يغالب في قضيته الحكيم الذي ينصر ويخذل بوسط وبغير وسط على مقتضى الحكمة
والمصلحة ليقطع طرفا من الذين كفروا متعلق بنصركم او وما النصر ان كان اللام فيه
للعهد والمعنى لينقص منهم بقتل بعض واسر آخرين وهو ما كان يوم بدر من قتل

سبعين واسر سبعين من صناديدهم او يكبتهم او يخزيهم والكبت شدة غيظ او وهن يقع في القلب
واو للتنويع دون الترديد فينقلبوا خائبين فينهزموا منقطعي الآمال ليس لك من الامر شيء
اعتراض او يتوب عليهم او يعذبهم عطف على قوله او يكبتهم والمعنى ان الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم
او يكبتهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا وليس لك من امرهم شيء وانما انت
عبد مأمور لانذارهم وجهادهم ويحتمل ان يكون معطوفا على الامر او شيء باضمار ان
اي ليس لك من امرهم او من التوبة عليهم او من تعذيبهم شيء او ليس لك من امرهم شيء او التوبة
عليهم او تعذيبهم وان تكون او بمعنى الا ان اي ليس لك من امرهم شيء الا ان يتوب الله عليهم
فتسر به او يعذبهم فتتشفى منهم روي ان عتبة ابن ابي وقاص شجه يوم احد وكسر رباعيته
فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم فنزلت وقيل
هم ان يدعو عليهم فنهاه الله لعلمه ان فيهم من يؤمن فانهم ظالمون قد استحقوا التعذيب
بظلمهم ولله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا فله الامر كله يغفر لمن يشاء
ويعذب من يشاء صريح في نفي وجوب التعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافي له
والله غفور رحيم لعباده فلا تبادر الى الدعاء عليهم يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا الربوا
اضعافا مضاعفة لا تزيدوا زيادات مكررة ولعل التخصيص بحسب الواقع اذ كان الرجل
منهم يربي الى اجل ثم يزيد فيه زيادة اخرى حتى يستغرق بالشيء الطفيف مال المديون
وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب مضعفة واتقوا الله فيما نهيتم عنه لعلكم تفلحون راجين
الفلاح واتقوا النار التي اعدت للكافرين بالتحرز عن متابعتهم وتعاطي افعالهم وفيه تنبيه
على ان النار بالذات معدة للكافرين وبالعرض للعصاة واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون
اتبع الوعيد بالوعد ترهيبا عن المخالفة وترغيبا في الطاعة ولعل وعسى في امثال ذلك دليل
عزة التوصل الى ما جعل خبرا له وسارعوا بادروا واقبلوا الى مغفرة من ربكم الى ما يستحق به
المغفرة كالاسلام والتوبة والاخلاص وقرأ نافع وابن عامر سارعوا بلا واو وجنة عرضها
السموات والارض اي عرضها كعرضها وذكر العرض للمبالغة في وصفها بالسعة على طريقة التمثيل
لانه دون الطول وعن ابن عباس رض كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض

اعدت للمتقين هيئت لهم وفيه دليل على ان الجنة مخلوقة وانها خارجة عن هذا العالم
الذين ينفقون صفة مادحة للمتقين او مدح منصوب او مرفوع في السراء والضراء في حالتي
الرخاء والشدة او الاحوال كلها اذ الانسان لا يخلو عن مسرة او مضرة اي لا يخلون في حال ما
بانفاق ما قدروا عليه من قليل او كثير والكاظمين الغيظ اي الممسكين عليه الكافين عن امضائه
مع القدرة من كظمت القربة اذا ملأتها وشددت راسها وعن النبي من كظم غيظا وهو يقدر
على انفاذه ملأ الله قلبه امنا وايمانا والعافين عن الناس التاركين عقوبة من استحقوا
مؤاخذته وعن النبي ان هؤلاء في امتي قليل الا من عصمه الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي
مضت والله يحب المحسنين يحتمل الجنس ويدخل تحته هؤلاء والعهد فيكون الاشارة اليهم
والذين اذا فعلوا فاحشة فعلة بالغة في القبح كالزنا او ظلموا انفسهم بان اذنبوا اي
ذنب كان وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ولعل الفاحشة ما يتعدى وظلم
النفس ما ليس كذلك ذكروا الله تذكروا وعيده او حكمه او حقه العظيم فاستغفروا لذنوبهم
بالندم والتوبة ومن يغفر الذنوب الا الله استفهام بمعنى النفي معترض بين المعطوفين والمراد
به وصفه تعالى بسعة الرحمة وعموم المغفرة والحث على الاستغفار والوعد بقبول التوبة
ولم يصروا على ما فعلوا ولم يقيموا على ذنوبهم غير مستغفرين لقوله عليه السلام ما اصر
من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وهم يعلمون حال من يصروا اي ولم يصروا على قبيح
فعلهم عالمين به اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
خبر الذين ان ابتدأت به وجملة مستأنفة مبينة لما قبلها ان عطفته على المتقين او على الذين
ينفقون ولا يلزم من اعداد الجنة للمتقين والتائبين جزاء لهم ان لا يدخلها المصرون كما لا يلزم
من اعداد النار للكافرين جزاء لهم ان لا يدخلها غيرهم وتنكير جنات على الاول يدل على ان
ما لهم ادون مما للمتقين الموصوفين بتلك الصفات المذكورة في الاية المتقدمة وكفاك فارقا
بين القبيلين انه فصل آيتهم بان بين انهم محسنون مستوجبون لمحبة الله وذلك لانهم حافظوا
على حدود الشرع وتخطوا الى التخصص بمكارمه وفصل آية هؤلاء بقوله ونعم اجر العاملين
لان المتدارك لتقصيره كالعامل لتحصيل بعض ما فوت على نفسه وكم بين المحسن والمتدارك

والمحبوب

والمحبوب والاجير ولعل تبديل لفظ الجزاء بالاجر لهذه النكتة والمخصوص بالمدح محذوف
تقديره ونعم اجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات قد خلت من قبلكم سنن وقائع سنها
الله في الامم المكذبة كقوله وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين من قبل وقيل امم قال ع
ما عاين الناس من فضل كفضلكم ولا رأى مثله في سالف السنن فسيروا في الارض
فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين لتعتبروا بما ترون من آثار هلاكهم هذا بيان
للناس وهدى وموعظة للمتقين اشارة الى قوله قد خلت او مفهوم قوله فانظروا
اي انه مع كونه بيانا للمكذبين فهو زيادة بصيرة وموعظة للمتقين او الى ما لخص من امر
المتقين والتائبين وقوله قد خلت اعتراض للبعث على الايمان والتوبة وقيل الى القرآن
ولا تهنوا ولا تحزنوا تسلية لهم عما اصابهم يوم احد والمعنى لا تضعفوا عن الجهاد بما
اصابكم ولا تحزنوا على من قتل منكم وانتم الاعلون وحالكم انكم اعلى منهم شأنا فانكم على
الحق وقتالكم لله وقتلاكم في الجنة وانهم على الباطل وقتالهم للشيطان وقتلاهم في النار
او لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم اليوم او وانتم الاعلون في العاقبة فيكون
بشارة لهم بالنصر والغلبة ان كنتم مؤمنين متعلق بالنهي اي لا تهنوا ان صح ايمانكم فانه يقتضي
قوة القلب بالوثوق على الله وبالاعلون ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله قرأ حمزة
والكسائي وابن عياش عن عاصم بضم القاف والباقون بالفتح وهما لغتان كالضعف والضعف
وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم المها والمعنى ان اصابوا منكم يوم احد فقد اصبتم منهم يوم بدر
مثله ثم انهم لم يضعفوا ولم يجبنوا فانتم اولى بان لا تضعفوا فانكم ترجون من الله ما لا يرجون
وقيل كلا المسيئين كان يوم احد فان المسلمين نالوا منهم قبل ان خالفوا امر الرسول عليه السلام
وتلك الايام نداولها بين الناس نصرفها بينهم نديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء اخرى كقوله
فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر والمداولة كالمعاودة يقال داولت الشيء
بينهم فتداولوه والايام يحتمل الوصف والخبر ونداولها يحتمل الخبر والحال والمراد بها
اوقات النصر والغلبة وليعلم الله الذين آمنوا عطف على علة محذوفة اي نداولها
ليكون كيت وكيت وليعلم الله ايذانا بان العلة فيه غير واحدة وانما يصيب المؤمن فيه

من المصالح ما لا يعلمه او الفعل المعلل به محذوف تقديره وليتميز الثابتون على الايمان
من الذين على حرف فعلنا ذلك والقصد في امثاله ونقايضه ليس الى اثبات علمه تعالى ونفيه
بل الى اثبات المعلوم ونفيه على طريقة البرهان وقيل معناه ليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو العلم
بالشيء موجودا ويتخذ منكم شهداء ويكرم ناسا منكم بالشهادة يريد شهداء احد او يتخذ
منكم شهودا معدلين بما صودف منهم من الثبات والصبر على الشدائد والله لا يحب الظالمين
الذين يضمرون خلاف ما يظهرون او الكافرين وهو اعتراض وفيه تنبيه على انه تعالى لا ينصر
الكافرين على الحقيقة وانما يغلبهم احيانا استدراجا لهم وابتلاء للمؤمنين وليمحص الله الذين
آمنوا ليطهرهم ويصفيهم من الذنوب ان كانت الدولة عليهم ويمحق الكافرين ويهلكهم
ان كانت عليهم والمحق نقص الشيء قليلا قليلا ام حسبتم ان تدخلوا الجنة بل احسبتم ومعناه
الانكار ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولما يجاهد بعضكم وفيه دليل على انه فرض كفاية
والفرق بين لما ولم ان فيه توقع الفعل فيما يستقبل وقرئ يعلم بفتح الميم على ان اصله يعلمن
فحذف النون ويعلم الصابرين نصب باضمار ان على ان الواو للجمع وقرئ بالرفع على ان الواو
للحال كانه قال ولما تجاهدوا وانتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت الحرب فانها من اسباب
الموت او الموت بالشهادة والخطاب للذين لم يشهدوا بدرا وتمنوا ان يشهدوا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم مشهدا لينالوا ما نال شهداء بدر من الكرامة فالحوا يوم احد على الخروج
من قبل ان تلقوه من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته فقد رايتموه وانتم تنظرون
اي فقد رايتموه معاينين له حين قتل دونكم من قتل من اخوانكم وهو توبيخ لهم على انهم تمنوا
الحرب وتسببوا لها ثم جبنوا وانهزموا عنها او على تمني الشهادة فان في تمنيها تمني غلبة الكفار
وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل فسيخلو كما خلوا بالموت او القتل افان مات
او قتل انقلبتم على اعقابكم انكار لارتدادهم وانقلابهم على اعقابهم عن الدين لخلوه بموت
او قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به وقيل الفاء للسببية والهمزة
للانكار اي يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على اعقابهم بعد وفاته روي انه لما
رمى عبد الله بن قميئة الحارثي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه فذب عنه مصعب

بن عمير

بن عمير وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قميئة وهو يرى انه قتل النبي صلى الله عليه وسلم فقال قتلت محمدا
وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل فانكفأ الناس وجعل الرسول يدعو الي عباد الله
فانحاز اليه ثلاثون من اصحابه وحموه حتى كشفوا عنه المشركين وتفرق الباقون وقال
بعضهم ليت ابن ابي يأخذ لنا امانا من ابي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان
نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم ودينكم فقال انس بن النضر عم انس بن مالك رضي الله عنه
يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحياة بعده فقاتلوا
على ما قاتل عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقولون وابرأ اليك منه وشد بسيفه
فقاتل حتى قتل رضي الله عنه فنزلت ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا بارتداده بل يضر
نفسه وسيجزي الله الشاكرين على نعمة الاسلام بالثبات عليه كانس واضرابه وما كان
لنفس ان تموت الا باذن الله الا بمشيئة الله تعالى او باذنه لملك الموت في قبض روحه
والمعنى ان لكل نفس اجلا مسمى في علمه تعالى وقضائه لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون
بالاحجام عن القتال والاقدام عليه وفيه تحريض وتشجيع على القتال ووعد للرسول
بالحفظ وتاخير الاجل كتابا مصدر مؤكد اذ المعنى كتب الموت كتابا مؤجلا صفة له اي
موقتا لا يتقدم ولا يتاخر ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها تعريض بمن شغلتهم الغنائم
يوم احد فان المسلمين حملوا على المشركين وهزموهم واخذوا ينهبون فلما راى الرماة ذلك
اقبلوا على النهب وخلوا مكانهم فانتهز المشركون وحملوا عليهم من وراءهم فهزموهم
ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها اي من ثوابها وسنجزي الشاكرين الذين شكروا
نعمة الله ولم يشغلهم شيء عن الجهاد وكاين اصله اي دخلت الكاف عليها وصارت
بمعنى كم والنون تنوين اثبت في الخط على غير قياس وقرأ ابن كثير وكائن ككاعن
ووجهه انه قلب الكلمة الواحدة كقولهم عملي في لعمري فصار كيأين ثم حذفت
الياء الثانية للتخفيف ثم ابدلت الياء الاخرى الفا كما ابدلت من طائي من نبي
بيان له قاتل معه ربيون كثير ربانيون علماء اتقياء او عابدون لربهم وقيل جماعات
والربي منسوب الى الربة وهي الجماعة للمبالغة وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو

ويعقوب قتل واسناده الى ربيين او ضمير النبي ومعه ربيون حال منه ويؤيد الاول انه
قرئ بالتشديد وقرئ ربيون بالفتح على الاصل وبالضم وهو من تغييرات النسب كالكسر
فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله فما فتروا ولم ينكسر جدهم لما اصابهم من قتل النبي او بعضهم
وما ضعفوا عن العدو او في الدين وما استكانوا وما خضعوا للعدو واصله استكن
من السكون لان الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريده والالف من اشباع الفتحة
او استكون من الكون لانه يطلب من نفسه ان يكون لمن يخضع له وهو تعريض بما اصابهم عند
الارجاف بقتله عم والله يحب الصابرين فينصرهم ويعظم قدرهم وما كان قولهم
الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على
القوم الكافرين وما كان قولهم مع ثباتهم وقوتهم في الدين وكونهم ربانيين
الا هذا القول وهو اضافة الذنوب والاسراف الى انفسهم هضما لها واضافة لما
اصابهم الى سوء اعمالها والاستغفار عنها ثم طلب التثبت في مواطن الحرب والنصر على
العدو ليكون عن خضوع وطهارة فيكون اقرب الى الاجابة وانما جعل قولهم خبرا لان
ان قالوا اعرف لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث فآتاهم الله ثواب الدنيا
وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين فآتاهم الله بسبب الاستغفار واللجاء الى الله
النصر والغنيمة والعز وحسن الذكر في الدنيا والجنة والنعيم في الآخرة وخص ثوابها
بالحسن اشعارا بفضله وانه المعتد به عند الله تعالى يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا
الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين نزلت في قول المنافقين للمؤمنين
عند الهزيمة ارجعوا الى دينكم واخوانكم ولو كان محمد نبيا لما قتل وقيل ان تستكينوا
لابي سفيان واشياعه وتستأمنوهم يردوكم الى دينهم وقيل عام في مطاوعة الكفرة
والنزول على حكمهم فانه يستجر الى موافقتهم بل الله مولاكم ناصركم وقرئ بالنصب على
تقدير بل اطيعوا الله مولاكم وهو خير الناصرين فاستغنوا به عن ولاية غيره ونصره
سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب يريد ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم احد
حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ونادى ابو سفيان يا محمد موعدنا موسم بدر

لقابل

لقابل ان شئت فقال عم ان شاء الله وقيل لما رجعوا وكانوا ببعض الطريق ندموا
وعزموا ان يعودوا عليهم ليستأصلوهم فالقى الله الرعب في قلوبهم وقرأ ابن عامر
والكسائي ويعقوب بالضم على الاصل في كل القرآن بما اشركوا بالله بسبب اشراكهم به
ما لم ينزل به سلطانا اي آلهة ليس على اشراكها حجة ولم ينزل عليهم به سلطانا وهو
كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر واصل السلطنة القوة ومنه السليط لقوة اشتعاله
والسلاطة لحدة اللسان ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين اي مثواهم فوضع الظاهر
موضع المضمر للتغليظ والتعليل ولقد صدقكم الله وعده اي وعده اياكم بالنصر بشرط
التقوى والصبر وكان كذلك حتى خالف الرماة فان المشركين لما اقبلوا جعل الرماة
يرشقونهم والباقون يضربونهم بالسيف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم اذ
تحسونهم باذنه تقتلونهم اذ ابطل حسه حتى اذا فشلتم جبنتم وضعف
رأيكم او ملتم الى الغنيمة فان الحرص من ضعف العقل وتنازعتم في الامر يعني اختلاف
الرماة حين انهزم المشركون فقال بعضهم فما موقفنا ههنا وقال آخرون لا نخالف
امر الرسول فثبت مكانه اميرهم في نفر دون العشرة ونفر الباقون للنهب وهو المعنى
بقوله وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون من الظفر والغنيمة وانهزام العدو وجواب
اذا محذوف وهو امتحنكم منكم من يريد الدنيا وهم التاركون المركز للغنيمة ومنكم
من يريد الآخرة وهم الثابتون محافظة على امر الرسول عم ثم صرفكم عنهم كفكم عنهم
حتى حالت الحال فغلبوكم ليبتليكم على المصائب ويمتحن ثباتكم على الايمان عندها
ولقد عفا عنكم تفضلا ولما علم من ندمكم على المخالفة والله ذو فضل على المؤمنين
يتفضل عليهم بالعفو او في الاحوال كلها سواء اديل لهم او عليهم اذ الابتلاء ايضا رحمة
اذ تصعدون متعلق بصرفكم او ليبتليكم او بمقدر كاذكروا والاصعاد الذهاب والابعاد
في الارض يقال اصعدنا من مكة الى المدينة ولا تلوون على احد لا يقف احد لاحد ولا
ينتظره والرسول يدعوكم كان يقول الي عباد الله الي عباد الله انا رسول الله من يكر
فله الجنة في اخراكم في ساقتكم او جماعتكم الاخرى فاثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم

ولا ما اصابكم عطف على صرفكم فالمعنى فجازاكم الله عن فشلكم وعصيانكم غما
متصلا بغم من الاغتمام بالقتل والجرح وظفر المشركين والارجاف بقتل الرسول صلى
او فجازاكم غما بسبب غم اذقتموه رسول الله بعصيانكم له لتتمرنوا على الصبر في الشدائد
فلا تحزنوا فيما بعد على نفع فائت وضر لاحق وقيل لا مزيدة والمعنى لتأسفوا على ما
فاتكم من الظفر والغنيمة وعلى ما اصابكم من الجرح والهزيمة عقوبة لكم وقيل الضمير
في فاثابكم للرسول اي واساكم في الاغتمام فاغتم بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل
عليه ولم يثربكم على عصيانكم تسلية لكم كيلا تحزنوا على ما فاتكم من النصر ولا ما اصابكم
من الهزيمة والله خبير بما تعملون عليم باعمالكم وبما قصدتم بها ثم انزل عليكم من بعد الغم
امنة نعاسا انزل الله عليكم الامن حتى اخذكم النعاس وعن ابي طلحة غشينا النعاس
في المصاف حتى كان السيف يسقط من يد احدنا فيأخذه ثم يسقط فيأخذه والامنة
الامن نصب على المفعول ونعاسا بدل منها او هو المفعول وامنة حال منه متقدمة او
مفعول له او حال من المخاطبين بمعنى ذوي امنة او على انه جمع آمن كبار وبررة وقرئ
امنة بسكون الميم كأنها المرة من الامن يغشى طائفة منكم اي النعاس وقرأ حمزة والكسائي
بالتاء ردا على الامنة والطائفة المؤمنون حقا وطائفة هم المنافقون قد اهمتهم
انفسهم اوقعتهم انفسهم في الهموم او ما يهمهم الا هم انفسهم وطلب خلاصها يظنون بالله غير الحق
ظن الجاهلية صفة اخرى لطائفة او حال او استئناف على وجه البيان لما قبله
وغير الحق نصب على المصدر اي يظنون بالله غير الظن الحق الذي يحق ان يظن به وظن
الجاهلية بدل منه وهو الظن المختص بالملة الجاهلية واهلها يقولون اي لرسول الله
وهو بدل من يظنون هل لنا من الامر من شيء هل لنا مما امر الله ووعد من النصر والظفر
نصيب قط وقيل اخبر ابن ابي بقتل بني الخزرج فقال ذلك والمعنى انا منعنا
تدبير انفسنا وتصرفها باختيارنا فلم يبق لنا من الامر شيء او هل يزول عنا هذا القهر
فيكون لنا من الامر شيء قل ان الامر كله لله اي الغلبة الحقيقية لله ولاوليائه فان حزب
الله هم الغالبون او القضاء له يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو اعتراض وقرأ ابو عمرو

ويعقوب

ويعقوب كله بالرفع على الابتداء يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك حال من ضمير يقولون
اي يقولون مظهرين انهم مسترشدون طالبون للنصر مبطنين الانكار والتكذيب يقولون
اي في انفسهم او اذا خلا بعضهم الى بعض وهو بدل من يخفون او استئناف على وجه البيان
له لو كان لنا من الامر شيء كما وعد محمد او زعم ان الامر كله لله ولاوليائه او لو كان لنا
اختيار وتدبير لم نبرح كما كان رأى ابن ابي وغيره ما قتلنا ههنا لما غلبنا ولما
قتل من قتل منا في هذه المعركة قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى
مضاجعهم اي لخرج الذين قدر الله عليهم القتل وكتب في اللوح المحفوظ الى مصارعهم
ولم تنفع الاقامة بالمدينة ولم ينج منه احد فانه قدر الامور ودبرها في سابق
قضائه لا معقب لحكمه وليبتلي الله ما في صدوركم وليمتحن ما في صدوركم ويظهر
سرائرها من الاخلاص والنفاق وهو علة فعل محذوف اي وفعل ذلك ليبتلي او عطف
على محذوف اي لبرز لنفاذ القضاء او لمصالح جمة وللابتلاء او على قوله لكيلا تحزنوا
وليمحص ما في قلوبكم وليكشفه ويميزه او يخلصه من الوساوس والله عليم بذات الصدور
بخفياتها قبل اظهارها وفيه وعد ووعيد وتنبيه على انه غني عن الابتلاء وانما فعل
ذلك لتمرين المؤمنين واظهار حال المنافقين ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما
استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا يعني ان الذين انهزموا يوم احد انما كان السبب
في انهزامهم ان الشيطان طلب منهم الزلل فاطاعوه واقترفوا ذنوبا بترك المركز والحرص
على الغنيمة او الحياة لمخالفة النبي فمنعوا التأييد وقوة القلب وقيل استزلال
الشيطان توليهم وذلك بسبب ذنوب تقدمت لهم فان المعاصي يجر بعضها بعضا كالطاعة
وقيل استزلهم بذكر ذنوب سلفت منهم وكرهوا القتال قبل اخلاص التوبة والخروج
من المظلمة ولقد عفا الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم ان الله غفور للذنوب حليم
لا يعاجل بعقوبة المذنب كي يتوب يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا يعني
المنافقين وقالوا لاخوانهم لاجلهم وفيهم ومعنى اخوتهم اتفاقهم في النسب او المذهب
اذا ضربوا في الارض اذا سافروا فيها وابعدوا للتجارة او غيرها وكان حقه

اذ لقوله قالوا لكنه جاء على حكاية الحال الماضية او كانوا غزا جمع غاز كعاف
وعفى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا مفعول قالوا وهو يدل على ان اخوانهم لم يكونوا
مخاطبين به ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم متعلق بقالوا على ان اللام لام العاقبة
مثلها فى ليكون لهم عدوا وحزنا او بلا تكونوا اى لا تكونوا مثلهم فى النطق بذلك
القول والاعتقاد ليجعله حسرة فى قلوبهم خاصة وذلك اشارة الى ما دل عليه
قولهم من الاعتقاد وقيل الى ما دل عليه النهى اى لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء
كونكم مثلهم حسرة فى قلوبهم فان مخالفتهم ومضادتهم مما يغمهم والله يحيى ويميت
رد لقولهم اى هو المؤثر فى الحيوة والممات لا الاقامة والسفر فانه تعالى قد يحيى المسافر
والغازى ويميت المقيم والقاعد والله بما تعملون بصير تهديد للمؤمنين على ان
يماثلوهم وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى بالياء على انه وعيد للذين كفروا ولئن
قتلتم فى سبيل الله او متم اى متم فى سبيله وقرأ نافع وحمزة والكسائى بكسر الميم
من مات يمات لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون هذا جواب القسم وهو ساد
مسد الجزاء والمعنى ان السفر والغزو ليس مما يجلب الموت ويقدم الاجل وان وقع
ذلك فى سبيل الله فما تنالون من المغفرة والرحمة بالموت خير مما تجمعون من الدنيا
ومنافعها لو لم تموتوا وقرأ حفص بالياء ولئن متم او قتلتم على اى وجه اتفق
هلاككم لالى الله تحشرون لالى معبودكم الذى توجهتم اليه وبذلتم مهجكم لوجهه
لا الى غيره لا محالة تحشرون فيوفى جزاءكم ويعظم ثوابكم وقرأ نافع وحمزة والكسائى
متم بالكسر فبما رحمة من الله لنت لهم اى فبرحمة وما مزيدة للتاكيد والدلالة على ان
لينه لهم ما كان الا برحمة من الله وهو ربطه على جاشه وتوفيقه للرفق بهم حتى
اغتم لهم بعد ان خالفوه ولو كنت فظا سيئ الخلق جافيا غليظ القلب قاسيه
لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك ولم يسكنوا اليك فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر
لهم فيما لله وشاورهم فى الامر اى فى امر الحرب اذ الكلام فيه او فيما يصح ان يشاور
فيه استظهارا برأيهم وتطييبا لنفوسهم وتمهيدا لسنة المشاورة للامة فاذا عزمت

فاذا وطنت نفسك على شىء بعد الشورى فتوكل على الله فى امضاء امرك على ما
هو اصلح لك فانه لا يعلمه سواه وقرئ فاذا عزمت على التكلم اى فاذا عزمت لك على
شىء وعينته لك فتوكل على ولا تشاور فيه احدا ان الله يحب المتوكلين فينصرهم ويهديهم
الى الصلاح ان ينصركم الله كما نصركم يوم بدر فلا غالب لكم فلا احد يغلبكم وان يخذلكم
كما خذلكم يوم احد فمن ذا الذى ينصركم من بعده من بعد خذلانه او من بعد الله بمعنى
اذا جاوزتموه فلا ناصر لكم وهذا تنبيه على المقتضى للتوكل وتحريض على ما يستحق به
النصر من الله وتحذير عما يستجلب خذلانه وعلى الله فليتوكل المؤمنون فليخصوه
بالتوكل عليه لما علموا ان لا ناصر لهم سواه وآمنوا به وما كان لنبى ان يغل وما صح
لنبى ان يخون فى الغنائم فان النبوة تنافى الخيانة يقال غل شيئا من المغنم يغل غلولا
واغل اغلالا اذا اخذه فى خفية والمراد منه اما براءة الرسول عما اتهم به اذ روى
ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله اخذها او ظن به
الرماة يوم احد حين تركوا المركز للغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله من اخذ
شيئا فهو له ولا يقسم الغنائم واما المبالغة فى النهى للرسول على ما روى انه بعث طلائع
فغنم رسول الله فقسم على من معه ولم يقسم للطلائع فنزلت فيكون تسمية حرمان
بعض المستحقين غلولا تغليظا ومبالغة ثانية وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائى
ويعقوب ان يغل على البناء للمفعول والمعنى وما صح له ان يوجد غالا او ينسب الى الغلول
ومن يغلل يأت بما غل يوم القيمة يأت بالذى غله يحمله على عنقه كما جاء فى الحديث او بما
احتمل من وباله واثمه ثم توفى كل نفس ما كسبت تعطى جزاء ما كسبت وافيا وكان اللائق بما قبله
ان يقال ثم يوفى ما كسبت لكنه عمم الحكم ليكون كالبرهان على المقصود والمبالغة فيه فانه اذا
كان كل كاسب مجزيا بعمله فالغال مع عظم جرمه بذلك اولى وهم لا يظلمون فلا ينقص ثواب
مطيعهم ولا يزاد فى عقاب عاصيهم افمن اتبع رضوان الله بالطاعة كمن باء رجع بسخط
من الله بسبب المعاصى ومأويه جهنم وبئس المصير الفرق بينه وبين المرجع ان المصير يجب ان يخالف
الحالة الاولى ولا كذلك المرجع هم درجات عند الله شبهوا بالدرجات لما بينهم من التفاوت

في الثواب والعقاب او هم ذوو درجات والله بصير بما يعملون عالم باعمالهم ودرجاتها
صادرة عنهم فيجازيهم على حسبها لقد من الله على المؤمنين انعم على من آمن مع الرسول
من قومه وتخصيصهم مع ان نعمة البعثة عامة لزيادة انتفاعهم بها وقرئ لمن من الله
على انه خبر مبتدأ محذوف مثل منه او بعثه اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم من نسبهم او من جنسهم
عربيا مثلهم ليفهموا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله في الصدق والامانة مفتخرين
به وقرئ من انفسهم اي من اشرفهم لانه عم كان من اشرف قبايل العرب وبطونهم يتلو عليهم
اياته اي القران بعدما كانوا جهالا لم يسمعوا الوحي ويزكيهم يطهرهم من دنس الطبايع
وسوء العقايد والاعمال ويعلمهم الكتاب والحكمة القران والسنة وان كانوا من قبل
لفي ضلال مبين ان هي المخففة واللام هي الفارقة والمعنى وان الشان كانوا من قبل بعثة
الرسول في ضلال ظاهر اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا الهمزة للتقريع
والتقرير والواو عاطفة للجملة على ما سبق من قصة احد او على محذوف مثل افعلتم كذا وقلتم
لما اصابتكم ولما ظرفه المضاف الى اصابتكم اي حين اصابتكم مصيبة وهي قتل سبعين منكم يوم
احد والحال انكم نلتم ضعفها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من اين هذا اصابنا وقد وعدنا
الله النصر قل هو من عند انفسكم اي مما اقترفته انفسكم من مخالفة الامر بترك المركز فان
الوعد كان مشروطا بالثبات والمطاوعة او اختيار الخروج من المدينة وعن علي رضي الله عنه
باختياركم الفداء يوم بدر ان الله على كل شيء قدير فيقدر على النصر ومنعه وعلى ان
يصيب بكم ويصيب منكم وما اصابكم يوم التقى الجمعان جمع المسلمين وجمع المشركين يوم
احد فباذن الله فهو كائن بقضائه وتخليته الكفار سماها اذنا لانها من لوازمه وليعلم
المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وليتميز المؤمنون والمنافقون فيظهر ايمان هؤلاء وكفر هؤلاء
وقيل لهم عطف على نافقوا داخل في الصلة او كلام مبتدأ تعالوا قاتلوا في سبيل الله او
ادفعوا تقسيم للامر عليهم وتخيير بين ان يقاتلوا للاخرة او للدفع عن الانفس والاموال
وقيل معناه قاتلوا الكفرة او ادفعوهم بتكثيركم سواد المجاهدين فان كثرة السواد مما
يروع العدو ويكسر منه قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا

لاتبعناكم

لاتبعناكم فيه لكن ما انتم عليه ليس بقتال بل القاء بالانفس الى التهلكة او لو نحسن قتالا لاتبعناكم
وانما قالوه دغلا واستهزاء هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان لانخزالهم وكلامهم هذا فانهما
اول امارات ظهرت منهم مؤذنة بكفرهم وقيل هم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان
اذ كان انخزالهم ومقالهم تقوية للمشركين وتخذيلا للمؤمنين يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم
يظهرون خلاف ما يضمرون لا تواطئ قلوبهم السنتهم بالايمان واضافة القول الى الافواه
تاكيد وتصوير والله اعلم بما يكتمون من النفاق وما يخلو به بعضهم الى بعض فانه يعلمه مفصلا
بعلم واجب وانتم تعلمونه مجملا بامارات الذين قالوا رفع بدلا من واو يكتمون او نصب
على الذم او الوصف للذين نافقوا او جر بدلا من الضمير في بافواههم او قلوبهم كقوله على جوده
لضن بالماء حاتم لاخوانهم اي لاجلهم يريد من قتل يوم احد من اقاربهم او من جنسهم وقعدوا
حال مقدرة بقد اي قالوا قاعدين عن القتال لو اطاعونا في القعود ما قتلوا كما لم نقتل
وقرأ هشام ما قتلوا بتشديد التاء قل فادرءوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين
اي ان كنتم صادقين انكم تقدرون على دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن انفسكم الموت
واسبابه فانه احرى بكم والمعنى ان القعود غير مغن فان اسباب الموت كثيرة فكما ان
القتال يكون سببا للهلاك والقعود سببا للنجاة قد يكون الامر بالعكس ولا تحسبن
الذين قتلوا في سبيل الله امواتا نزلت في شهداء احد وقرئ بالياء على اسناده الى ضمير
الرسول او من يحسب او الى الذين قتلوا والمفعول الاول محذوف لانه في الاصل مبتدأ
جائز الحذف عند القرينة وقرأ ابن عامر قتلوا بالتشديد لكثرة المقتولين بل احياء اي بل هم
احياء وقرئ بالنصب على بل احسبهم احياء عند ربهم ذوو زلفى منه يرزقون من الجنة
وهو تاكيد لكونهم احياء فرحين بما آتيهم الله من فضله وهو شرف الشهادة والفوز بالحيوة
الابدية والقرب من الله والتمتع بنعيم الجنة ويستبشرون يسرون بالبشارة بالذين لم يلحقوا
بهم اي باخوانهم المؤمنين الذين لم يقتلوا فيلحقوا بهم من خلفهم اي الذين من خلفهم زمانا
او رتبة الا خوف عليهم ولا هم يحزنون بدل من الذين والمعنى انهم يستبشرون بما تبين لهم
من امر الاخرة وحال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو انهم اذا ماتوا او قتلوا كانوا

احياء حيوة لا يكدرها خوف وقوع محذور وحزن فوات محبوب والآية تدل
على ان الانسان غير الهيكل المحسوس بل هو جوهر مدرك بذاته لا يفنى بخراب البدن
ولا يتوقف عليه ادراكه وتألمه والتذاذه ويؤيد ذلك قوله تعالى في آل فرعون النار يعرضون
عليها الآية وما روى ابن عباس رض الله عنهم قال ارواح الشهداء في اجواف طير
خضر ترد انهار الجنة تأكل من ثمارها وتأوي الى قناديل معلقة في ظل العرش
ومن انكر ذلك ولم ير الروح الا ريحا وعرضا او بالايمان وفيها حث على الجهاد وترغيب
في الشهادة وبعث على ازدياد الطاعة واحماد لمن يتمنى لاخوانه مثل ما انعم عليه
وبشرى للمؤمنين بالفلاح يستبشرون كرره للتوكيد وليتعلق به ما هو بيان لقوله
الا خوف ويجوز ان يكون الاول بحال اخوانهم وهذا بحال انفسهم بنعمة من الله
ثوابا لاعمالهم وفضل زيادة عليه كقوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة وتنكيرها
للتعظيم وان الله لا يضيع اجر المؤمنين من جملة المستبشر به عطف على فضل وقرأ الكسائي
بالكسر على انه استيناف معترض دال على ان ذلك اجرهم على ايمانهم مشعر بان من لا ايمان
له اعماله محبطة واجوره مضيعة الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم
القرح صفة للمؤمنين او نصب على المدح او مبتدأ خبره للذين احسنوا منهم واتقوا
اجر عظيم بجملته ومن للبيان والمقصود من ذكر الوصفين المدح والتعليل لا التقييد لان
المستجيبين كلهم محسنون متقون روي ان ابا سفيان واصحابه لما رجعوا فبلغوا الروحاء
ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلعم فندب اصحابه للخروج في طلبه وقال
لا يخرجن معنا الا من حضر يومنا بالامس فخرج صلعم مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد
وهي على ثمانية اميال من المدينة وكان باصحابه القرح فتحاملوا على انفسهم حتى لا يفوتهم
الاجر والقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت الذين قال لهم الناس يعني
بالناس الركب الذين استقبلهم من عبد قيس او نعيم بن مسعود الاشجعي واطلق عليه الناس
لانه من جنسه كما يقال فلان يركب الخيل وماله الا فرس واحد او لانه انضم اليه ناس من
المدينة واذاعوا كلامه ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم يعني ابا سفيان واصحابه

روي انه نادى عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال عم
ان شاء الله تعالى فلما كان القابل خرج في اهل مكة حتى نزل مر الظهران فانزل الله الرعب
في قلبه وبدا له ان يرجع فمر به ركب من عبد قيس يريدون المدينة للميرة فشرط
لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوا المسلمين وقيل لقي نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا
فسأله ذلك والتزم له عشرا من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم اتوكم
في دياركم فلم يفلت منكم احد الا شريدا افترون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم ففتروا فقال
عم والذي نفسي بيده لاخرجن ولو لم يخرج معي احد فخرج في سبعين راكبا وهم يقولون
حسبنا الله ونعم الوكيل فزادهم ايمانا الضمير المستكن للمقول او لمصدر قالوا او لفاعله
ان اريد به نعيم وحده والبارز للمقول لهم والمعنى انهم لم يلتفتوا اليه ولم يضعفوا
بل ثبت به يقينهم بالله وازداد ايمانهم واظهروا حمية الاسلام واخلصوا النية
عنده وهو دليل على ان الايمان يزيد وينقص ويعضده قول ابن عمر قلنا يا رسول
الله الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل
صاحبه النار وهذا ظاهر ان جعل الطاعة من جملة الايمان وكذا ان لم يجعل
فان اليقين يزداد بالالف وكثرة التأمل وتناصر الحجج وقالوا حسبنا الله محسبنا
وكافينا من احسبه اذا كفاه ويدل على انه بمعنى المحسب انه لا يستفيد بالاضافة تعريفا
في قولك هذا رجل حسبك ونعم الوكيل ونعم الموكول اليه هو فانقلبوا فرجعوا
من بدر بنعمة من الله عافية وثبات على الايمان وزيادة فيه وفضل ربح في
التجارة فانهم لما اتوا بدرا وافوا بها سوقا فاتجروا وربحوا لم يمسسهم سوء
من جراحة وكيد عدو واتبعوا رضوان الله الذي هو مناط الفوز بخير الدارين
بجرأتهم وخروجهم والله ذو فضل عظيم قد تفضل عليهم بالتثبيت وزيادة
الايمان والتوفيق للمبادرة الى الجهاد والتصلب في الدين واظهار الجرأة على
العدو وبالحفظ عن كل ما يسوءهم واصابة النفع مع ضمان الاجر حتى انقلبوا
بنعمة من الله وفضل وفيه تحسير للمتخلف وتخطئة رأيه حيث حرم نفسه ما فازوا

به

انما ذلكم الشيطان يريد به المثبط نعيما او ابا سفيان والشيطان خبر ذلكم وما
بعده بيان لشيطنته او صفته وما بعده خبر ويجوز ان يكون الاشارة الى
قوله على تقدير مضاف اي انما ذلكم قول الشيطان يعني ابليس يخوف اولياءه القاعدين
عن الخروج مع الرسول او يخوفكم اولياءه الذين هم ابو سفيان واصحابه فلا تخافوهم
الضمير للناس الثاني على الاول والى الاولياء على الثاني وخافون في مخالفة امري
فجاهدوا مع رسولي ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضي ايثار خوف الله على خوف الناس
ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر يقعون فيه سريعا حرصا عليه وهم المنافقون
من المتخلفين او قوم ارتدوا عن الاسلام والمعنى لا يحزنك خوف ان يضروك ويعينوا عليك
لقوله انهم لن يضروا الله شيئا اي لن يضروا اولياء الله بمسارعتهم في الكفر وانما
يضرون بها انفسهم وشيئا يحتمل المفعول والمصدر يريد الله ان لا يجعل لهم حظا في الآخرة
نصيبا من الثواب في الآخرة وهو يدل على تمادي طغيانهم وموتهم على الكفر وفي ذكر الارادة
اشعار بان كفرهم بلغ الغاية حتى اراد ارحم الراحمين ان لا يكون لهم حظ من رحمته وانه
مسارعتهم الى الكفر لانه تعالى لم يرد لهم ان يكون لهم حظ في الآخرة ولهم عذاب عظيم مع الحرمان
عن الثواب ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب اليم تكرير للتاكيد
او تعميم الكفرة بعد تخصيص من نافق من المتخلفين او ارتد من الاعراب ولا تحسبن الذين كفروا
انما نملي لهم خير لانفسهم خطاب للرسول او لكل من يحسب والذين مفعول وانما نملي لهم بدل
منه وانما اقتصر على مفعول واحد لان التعويل على البدل وهو ينوب عن المفعولين كقوله ام تحسب
ان اكثرهم يسمعون او المفعول الثاني على تقدير مضاف مثل ولا تحسبن الذين كفروا اصحاب
ان الاملاء خير لانفسهم او ولا تحسبن حال الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم وما
مصدرية وكان حقها ان تفصل في الخط ولكنها وقعت متصلة في الامام فاتبع وقرا ابن كثير
وابو عمرو وابن عامر وعاصم والكسائي ويعقوب بالياء على ان الذين فاعل وان مع ما في
حيزها مفعول وفتح سينه في جميع القرآن ابن عامر وحمزة وعاصم والاملاء الامهال واطالة
العمر وقيل تخليتهم وشانهم من املى لفرسه اذا ارخى له الطول ليرعى كيف شاء انما نملي

لهم ليزدادوا اثما استئناف بما هو العلة للحكم قبلها وما كافة واللام لام الارادة
وعند المعتزلة لام العاقبة وقرئ انما بالفتح وبكسر الاولى ولا يحسبن بالياء على معنى ولا
تحسبن الذين كفروا ان املاءنا لهم خير لهم ان انتبهوا وتداركوا فيه ما فرط منهم ولهم عذاب
مهين على هذا يجوز ان يكون حالا من الواو اي ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين ما كان
الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب الخطاب لعامة المخلصين والمنافقين
في عصره والمعنى لا يترككم مختلطين لا يعرف مخلصكم من منافقكم حتى يميز المنافق من المخلص
بالوحي الى نبيه باحوالكم او بالتكاليف الشاقة التي لا يصبر عليها ولا يذعن لها الا
الخلص المخلصون منكم كبذل الاموال والانفس في سبيل الله ليختبر به النبي بواطنكم ويستدل به
على عقائدكم وقرا حمزة والكسائي حتى يميز هنا وفي الانفال بضم الياء وفتح الميم وكسر الياء
وتشديدها والباقون بفتح الياء وكسر الميم وسكون الياء وما كان الله ليطلعكم على الغيب
ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء وما كان الله ليؤتي احدكم علم الغيب فيطلع على ما في القلوب
من كفر وايمان ولكنه يجتبي لرسالته من يشاء فيوحي اليه ويخبره ببعض المغيبات او ينصب له
ما يدل عليها فآمنوا بالله ورسله بصفة الاخلاص او بان تعلموه وحده مطلعا على الغيب
وتعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون الا ما علمهم الله ولا يقولون الا ما اوحي اليهم روي
ان الكفرة قالوا ان كان محمد صادقا فليخبرنا عمن يؤمن منا ومن يكفر فنزلت وعن
السدي انه عم قال عرضت علي امتي واعلمت من يؤمن بي ومن يكفر فقال المنافقون
انه يزعم انه يعرف من يؤمن به ومن يكفر ونحن معه ولا يعرفنا فنزلت وان تؤمنوا
حق الايمان وتتقوا النفاق فلكم اجر عظيم لا يقادر قدره ولا يحسبن الذين يبخلون
بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم القراءات فيه ما سبق ومن قرا بالتاء قدر مضافا ليتطابق
مفعولاه اي ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذا من قرا بالياء ان جعل الفاعل
ضمير الرسول او من يحسب وان جعل الموصول كان المفعول الاول محذوفا لدلالة يبخلون
عليه اي ولا يحسبن البخلاء بخلهم هو خيرا لهم بل هو شر لهم لاستجلاب العقاب عليهم سيطوقون
ما بخلوا به يوم القيامة بيان لذلك والمعنى سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق

لازدياد الاثم بل للتوبة والدخول
في الايمان وانما نملي لهم اعتراض معناه
ان املاءنا لهم

وعنه ع ما من رجل لا يؤدي زكوة ماله الا جعل الله له شجاعا في عنقه يوم القيمة ولله
ميراث السموات والارض وله ما فيهما مما يتوارث فما لهؤلاء يبخلون عليه بماله ولا ينفقونه
في سبيله او انه يرث منهم ما يمسكونه ولا ينفقونه في سبيله بهلاكهم ويبقى عليهم الحسرة والعقوبة
والله بما تعملون من المنع والاعطاء خبير فيجازيكم وقرا نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي
بالتاء على الالتفات وهو ابلغ في الوعيد لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن
اغنياء قالته اليهود لما سمعوا من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا وروي انه م كتب مع
ابي بكر رض الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقام الصلوة وايتاء الزكوة وان يقرضوا
الله قرضا حسنا فقال فنحاص بن عازوراء ان الله فقير حين سال القرض فلطمه ابو بكر رضي الله عنه
وقال لولا ما بيننا من العهد لضربت عنقك فشكاه الى الرسول م وجحد ما قاله فنزلت
والمعنى انه لم يخف عليه وانه اعد لهم العقاب عليه سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق
سنكتبه في صحايف الكتبة او سنحفظه في علمنا لا نهمله لانه كلمة عظيمة اذ هو كفر بالله او
استهزاء بالقران والرسول ولذلك نظمه مع قتل الانبياء وفيه تنبيه على انه ليس اول جرم
ارتكبوه وان من اجترا على قتل الانبياء لم يستبعد منه امثال هذا القول وقرا حمزة
سيكتب بالياء وضمها وفتح التاء وقتلهم بالرفع ويقول بالياء ونقول ذوقوا عذاب
الحريق اي وننتقم منهم بان نقول لهم ذوقوا العذاب المحرق وفيه مبالغات في الوعيد
والذوق ادراك الطعوم وعلى الاتساع يستعمل لادراك ساير المحسوسات والحالات
وذكره هنا لان العذاب مرتب على قولهم الناشئ عن البخل والتهالك على المال وغالب
حاجة الانسان اليه لتحصيل المطاعم ومعظم بخله للخوف من فقدانه ولذلك كثر
ذكر الاكل مع المال ذلك اشارة الى العذاب بما قدمت ايديكم من قتل الانبياء وقولهم
هذا وساير معاصيهم وعبر بالايدي عن الانفس لان اكثر اعمالها بهن وان الله
ليس بظلام للعبيد عطف على ما قدمت وسببية للعذاب من حيث ان نفي الظلم يستلزم
العدل المقتضي اثابة المحسن ومعاقبة المسيء الذين قالوا هم كعب بن الاشرف
ومالك وحيي وفنحاص ووهب بن يهوذا ان الله عهد الينا امرنا في التورية

واوصانا الا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار بان لا نؤمن لرسول
حتى يأتينا بهذه المعجزة الخاصة التي كانت لانبياء بني اسرائيل وهو ان يقرب بقربان
فيقوم النبي فيدعو فتنزل نار سماوية فتأكله اي تحيله الى طبعها بالاحراق وهذا
من مفترياتهم واباطيلهم لان اكل النار القربان لم يوجب الايمان الا لكونه
معجزة فهو وساير المعجزات سواء في ذلك قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي
قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين تكذيب والزام بان رسلا جاؤهم قبله كزكريا
ويحيى بمعجزات اخر موجبة للتصديق وبما اقترحوه فقتلوهم فلو كان الموجب للتصديق
هو الاتيان به وكان توقفهم وامتناعهم عن الايمان لاجله فما بالهم لم يؤمنوا
بمن جاء به في معجزات اخر واجترؤا على قتله فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك
جاؤا بالبينات والزبر والكتاب المنير تسلية للرسول م من تكذيب قومه واليهود
والزبر جمع زبور وهو الكتاب المقصور على الحكم من زبرت الشيء اذا حبسته والكتاب في
عرف القران ما يتضمن الشرايع والاحكام ولذلك جاء الكتاب والحكمة متعاطفين في عامة
القران وقيل الزبر المواعظ والزواجر من زبرته اذا زجرته وقرا ابن عامر وبالزبر
وهشام وبالكتاب باعادة الجار للدلالة على انها مغايرة للبينات بالذات كل نفس ذائقة
الموت وعد ووعيد للمصدق والمكذب وقرئ ذائقة الموت بالنصب مع التنوين وعدمه
كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا وانما توفون اجوركم تعطون جزاء اعمالكم خيرا كان او شرا
تاما وافيا يوم القيمة يوم قيامكم عن القبور ولفظ التوفية يشعر بانه قد يكون قبلها
بعض الاجور ويؤيده قوله م القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران
فمن زحزح عن النار بعد عنها والزحزحة في الاصل تكرير الزح وهو الجذب بعجلة
وادخل الجنة فقد فاز بالنجاة ونيل المراد والفوز الظفر بالبغية وعن النبي م من احب
ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الاخر
ويأتي الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه وما الحيوة الدنيا اي لذاتها وزخارفها الا متاع
الغرور شبهها بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه وهذا لمن اثرها على الاخرة

فاما من طلب بها الآخرة فهى له متاع بلاغ والغرور مصدر او جمع غار لتبلون اى
والله لتختبرن فى اموالكم بتكليف الانفاق وما يصيبها من الآفات وانفسكم بالجهاد والقتل
والاسر والجراح وما يرد عليها من المخاوف والامراض والمتاعب ولتسمعن من الذين
اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا من هجاء الرسول والطعن فى الدين
واغراء الكفرة على المسلمين اخبرهم بذلك قبل وقوعها ليوطنوا انفسهم على الصبر والاحتمال
ويستعدوا للقائها حتى لا يرهقهم نزولها وان تصبروا على ذلك وتتقوا مخالفة امر الله
فان ذلك يعنى الصبر والتقوى من عزم الامور من معزومات الامور التى يجب العزم عليها
او مما عزم الله عليه اى امر به وبالغ فيه والعزم فى الاصل ثبات الرأى على الشئ نحو امضائه
واذ اخذ الله اى اذكر وقت اخذه ميثاق الذين اوتوا الكتاب يريد به العلماء لتبيننه
للناس ولا تكتمونه حكاية لمخاطبتهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم فى رواية ابن عياش
بالياء لانهم غيب واللام جواب القسم الذى ناب عنه قوله اخذ الله ميثاق الذين والضمير
للكتاب فنبذوه اى الميثاق وراء ظهورهم فلم يراعوه ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء الظهر
مثل فى ترك الاعتداد وعدم الالتفات ونقيضه جعله نصب عينيه والقاؤه بين عينيه واشتروا
به واخذوا بدله ثمنا قليلا من حطام الدنيا واعراضها فبئس ما يشترون يختارون لانفسهم
وعن النبى صعم من كتم علما عن اهله الجم بلجام من نار وعن على رض ما اخذ الله على اهل الجهل
ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون
ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب الخطاب للرسول ومن ضم الباء
جعل الخطاب له وللمؤمنين والمفعول الاول الذين يفرحون والثانى بمفازة وقوله
فلا تحسبنهم تاكيد والمعنى لا تحسبن الذين يفرحون بما فعلوا من التدليس وكتمان الحق
ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من الوفاء بالميثاق واظهار الحق والاخبار بالصدق بمفازة
بنجاة من العذاب اى فائزين بالنجاة منه وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالياء وفتح الباء فى
الاول وضمها فى الثانى على ان الذين فاعل ومفعولا لا تحسبن محذوفان يدل عليهما مفعولا
مؤكده وكانه قيل لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا فلا يحسبن انفسهم بمفازة او المفعول

الاول

الاول محذوف وقوله فلا يحسبنهم تاكيد للفعل وفاعله ومفعوله الاول ولهم عذاب اليم
بكفرهم وتدليسهم روى انه عم سأل اليهود عن شئ مما فى التورية فاخبروه بخلاف
ما كان فيه واروه انهم قد صدقوه وفرحوا بما فعلوا فنزلت وقيل نزلت فى قوم
تخلفوا عن الغزو ثم اعتذروا بانهم راوا المصلحة فى التخلف واستحمدوا به وقيل
نزلت فى المنافقين فانهم يفرحون بمنافقتهم ويستحمدون الى المسلمين بالايمان الذين
لم يفعلوه على الحقيقة ولله ملك السموات والارض فهو يملك امرهم والله على كل شئ قدير
فيقدر على عقابهم وقيل هو رد لقولهم ان الله فقير ان فى خلق السموات والارض واختلاف
الليل والنهار لآيات لاولى الالباب لدلائل واضحة على وجود الصانع ووحدته
وكمال علمه وقدرته لذوى العقول المجلوة الخالصة عن شوائب الحس والوهم كما سبق فى سورة
البقرة ولعل الاقتصار على هذه الثلثة فى هذه الآية لان مناط الاستدلال هو التغير
وهذه متعرضة لجملة انواعه فانه اما ان يكون فى ذات الشئ كتغير الليل والنهار او جزئه
كتغير العناصر بتبدل صورها او الخارج عنه كتغير الافلاك بتبدل اوضاعها وعن النبى عم
ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم اى يذكرونه
دائما على الحالات كلها قائمين وقاعدين ومضطجعين وعنه عم من احب ان يرتع فى رياض
الجنة فليكثر ذكر الله وقيل معناه يصلون على الهيات الثلث حسب طاقتهم لقوله عم
لعمران بن حصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب تومى ايماء
فهو حجة للشافعى رض فى ان المريض يصلى مضطجعا على جنبه الايمن مستقبلا بمقاديم بدنه
ويتفكرون فى خلق السموات والارض استدلالا واعتبارا وهو افضل العبادات كما
قال عم لا عبادة كالتفكر لانه المخصوص بالقلب والمقصود من الخلق وعنه عم بينا رجل
مستلق على فراشه اذ رفع رأسه فنظر الى السماء والنجوم فقال اشهد ان لك ربا وخالقا
اللهم اغفر لى فنظر الله اليه فغفر له وهذا دليل واضح على شرف علم الاصول وفضل
اهله ربنا ما خلقت هذا باطلا على ارادة القول اى يتفكرون قائلين ذلك وهذا
اشارة الى المتفكر فيه او الخلق على انه اريد به المخلوق من السموات والارض او اليهما

لانها في معنى المخلوق والمعنى ما خلقته عبثا ضايعا من غير حكمة بل خلقته لحكم عظيمة من جملتها
ان يكون مبدأ لوجود الانسان وسببا لمعاشه ودليلا يدله على معرفتك ويحثه على طاعتك
لينال الحيوة الابدية والسعادة السرمدية في جوارك سبحانك تنزيها لك من العبث وخلق
الباطل وهو اعتراض فقنا عذاب النار للاخلال بالنظر فيه والقيام بما يقتضيه وفايدة الفاء
هي الدلالة على ان علمهم لاجل خلقنا السموات والارض حملهم على الاستعاذة ربنا انك
من تدخل النار فقد اخزيته فقد اخزيته غاية الاخزاء ونظيره قولهم من ادرك مرعى
الصمان فقد ادرك والمراد به تهويل المستعاذ منه تنبيها على شدة خوفهم وطلبهم الوقاية
منه وفيه اشعار بان العذاب الروحاني افظع وما للظالمين من انصار اراد بهم المدخلين
ووضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان ظلمهم سبب لادخالهم النار وانقطاع النصرة عنهم في
الخلاص منها ولا يلزم من نفي النصرة نفي الشفاعة لان النصرة دفع بقهر ربنا اننا سمعنا
مناديا ينادي للايمان اوقع الفعل على المسمع وحذف المسموع لدلالة وصفه عليه وفيه
مبالغة ليست في ايقاعه على نفس المسموع وفي تنكير المنادي واطلاقه ثم تقييده تعظيم لشانه
والمراد به الرسول وقيل القران والنداء والدعاء ونحوهما يعدى بالى واللام لتضمنها معنى
الانتهاء والاختصاص ان امنوا بربكم فامنا اي بان امنوا فامنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا
كبائرنا فانها ذات تبعة وكفر عنا سيئاتنا صغائرنا فانها مستقبحة ولكن مكفرة عن
مجتنب الكبائر وتوفنا مع الابرار مخصوصين بصحبتهم معدودين في زمرتهم وفيه تنبيه
على انهم محبون لقاء الله ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه والابرار جمع بر او بار كارباب واصحاب
ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك اي ما وعدتنا على تصديق رسلك من الثواب لما اظهر
امتثاله لما امر به سال ما وعد عليه لا خوفا من اخلاف الوعد بل مخافة ان لا يكون
من الموعودين لسوء عاقبة او قصور في الامتثال او تعبدا واستكانة ويجوز ان يتعلق
على بمحذوف تقديره ما وعدتنا منزلا على رسلك او محمولا عليهم وقيل معناه على السنة
رسلك ولا تخزنا يوم القيمة بان تعصمنا عما يقتضيه انك لا تخلف الميعاد باثابة المؤمن
واجابة الداعي وعن ابن عباس رضه الميعاد البعث بعد الموت وتكرير ربنا للمبالغة في

في الابتهال والدلالة على استقلال المطالب وعلو شانها وفي الاثار من حزبه امر فقال
خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف فاستجاب لهم ربهم الى طلبتهم وهو اخص من اجاب
ويعدى بنفسه وباللام اني لا اضيع عمل عامل منكم اي باني لا اضيع وقرئ بالكسر على ارادة
القول من ذكر او انثى بيان عامل بعضكم من بعض لان الذكر من الانثى والانثى من الذكر او لانهما
من اصل واحد او لفرط الاتصال والاتحاد او الاجتماع والاتفاق في الدين وهي جملة معترضة
بين بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد للعمال روي ان ام سلمة قالت يا رسول الله اني
اسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت فالذين هاجروا الى اخره تفصيل
لاعمال العمال وما اعد لهم من الثواب على سبيل المدح والتعظيم والمعنى فالذين هاجروا الى اخره
تفصيل لاعمال العمال وما اعد لهم من الثواب على سبيل المدح والتعظيم والمعنى فالذين هاجروا
الشرك او الاوطان والعشاير للدين واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي بسبب ايمانهم
بالله ومن اجله وقاتلوا الكفار وقتلوا في الجهاد وقرأ حمزة والكسائي بالعكس لان الواو
لا يوجب ترتيبا والثاني افضل او لان المراد لما قتل منهم قوم قاتل الباقون ولم يضعفوا
وشدد ابن كثير وابن عامر قتلوا للتكثير لاكفرن عنهم سيئاتهم لامحونها ولادخلنهم جنات
تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله اي اثيبهم بذلك اثابة من عند الله تفضلا منه
فهو مصدر مؤكد والله عنده حسن الثواب على الطاعة قادر عليه لا يغرنك تقلب الذين
كفروا في البلاد الخطاب للنبي عم والمراد امته او تثبيته على ما كان عليه كقوله فلا تطع
المكذبين او لكل احد والنهي في المعنى للمخاطب وانما جعل للتقلب تنزيلا للسبب منزلة
المسبب للمبالغة والمعنى لا تنظر الى ما كانوا الكفرة عليه من السعة والحظ ولا تغتر بظاهر
ما ترى من تبسطهم في مكاسبهم ومتاجرهم ومزارعهم روي ان بعض المؤمنين كانوا
يرون المشركين في رخاء ولين عيش فيقولون ان اعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا
والجهد فنزلت متاع قليل خبر مبتدأ محذوف اي ذلك التقلب متاع قليل لقصر مدته في جنب
ما اعد الله للمؤمنين قال عم ما الدنيا في الاخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم
فلينظر بم يرجع ثم ماواهم جهنم وبئس المهاد اي ما مهدوا لانفسهم لكن الذين اتقوا

ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله النزل والنزل ما يعد
للنازل من طعام وشراب قال ابو الشعر الضبي وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا
وانتصابه على الحال من جنات والعامل فيها الظرف وقيل انه مصدر مؤكد والتقدير
انزلوها نزلا وما عند الله لكثرته ودوامه خير للابرار مما يتقلب فيه الفجار لقلته وسرعة
زواله وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله نزلت في عبد الله بن سلام واصحابه
وقيل في اربعين من نجران واثنين وثلثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا نصارى
فاسلموا وقيل في اصحمة النجاشي لما نعاه جبرائيل الى رسول الله عم فخرج فصلى
عليه فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط وانما دخلت
اللام على الاسم للفصل بينه وبين ان بالظرف وما انزل اليكم من القرآن وما انزل اليهم
من الكتابين خاشعين لله حال من فاعل يؤمن وجمعه باعتبار المعنى لا يشترون بآيات الله
ثمنا قليلا كما يفعله المحرفون من احبارهم اولئك لهم اجرهم عند ربهم ما خص بهم من الاجر
ووعده في قوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين ان الله سريع الحساب لعلمه بالاعمال
وما يستوجبه من الجزاء او استغنائه عن التأمل والاحتياط والمراد ان الاجر الموعود
سريع الوصول فان سرعة الحساب تستدعي سرعة الجزاء يا ايها الذين آمنوا اصبروا على
مشاق الطاعات وما يصيبكم من الشدائد وصابروا وغالبوا اعداء الله في الصبر
على شدائد الحرب واعدى عدوكم في الصبر على مخالفة الهوى وتخصيصه بعد الامر بالصبر
مطلقا لشدته ورابطوا ابدانكم وخيولكم في الثغور مترصدين للغزو وانفسكم
على الطاعة كما قال عم من الرباط انتظار الصلوة بعد الصلوة وعنه عم من رابط يوما
وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر رمضان وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلوته
الا لحاجة واتقوا الله لعلكم تفلحون فاتقوه بالتبري عما سواه لكي تفلحوا غاية الفلاح
او اتقوا القبائح لعلكم تفلحون بنيل المقامات الثلاث المترتبة التي هي الصبر على مضض
الطاعات ومصابرة النفس في رفض العادات ومرابطة السر على جناب الحق لترصد
الواردات المعبر عنها بالشريعة والطريقة والحقيقة وعن النبي عم من قرأ سورة آل

عمران اعطي بكل آية منها امانا على جسر جهنم وعنه عم من قرأ السورة التي يذكر فيها
آل عمران يوم الجمعة صلى الله وملائكته حتى تحجب الشمس ٥

سورة النساء مدنية وهي مائة وخمس وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس خطاب يعم بني آدم اتقوا ربكم الذي خلقكم
من نفس واحدة يعني آدم وخلق منها زوجها عطف على خلقكم اي خلقكم من شخص واحد
وخلق منه امكم حوا من ضلع من اضلاعه او محذوف تقديره من نفس واحدة خلقها
وخلق منها زوجها وهو تقرير لخلقهم من نفس واحدة وبث منهما رجالا كثيرا ونساء
بيان لكيفية تولدهم منهما والمعنى ونشر من تلك النفس والزوج المخلوقة منها بنين وبنات
كثيرة واكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها اذ الحكمة تقتضي ان يكون
الرجال اكثر وذكر كثيرا حملا على الجمع وترتيب الامر بالتقوى على هذه القصة لما فيها
من الدلالة على القدرة القاهرة التي من حقها ان تخشى والنعمة الباهرة التي توجب
طاعة موليها او لان المراد به تمهيد الامر بالتقوى فيما يتصل بحقوق اهل منزله وبني جنسه
على ما دلت عليه الآيات التي بعدها وقرئ وخالق وبات على حذف مبتدأ تقديره وهو
خالق وبات واتقوا الله الذي تساءلون به اي يسأل بعضكم بعضا فيقول اسألك بالله
واصله تتساءلون فادغمت التاء الثانية في السين وقرأ عاصم وحمزة والكسائي
بطرحها والارحام بالنصب عطف على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا او على
الله اي اتقوا الله واتقوا الارحام فصلوها ولا تقطعوها وقرأ حمزة بالجر عطفا على الضمير
المجرور وهو ضعيف لانه كبعض الكلمة وقرئ بالرفع على انه مبتدأ محذوف الخبر تقديره
والارحام كذلك اي مما يتقى او يتساءل به وقد نبه سبحانه اذ قرن الارحام باسمه على
ان صلتها بمكان منه وعنه عم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن
قطعني قطعه الله ان الله كان عليكم رقيبا حافظا مطلعا وآتوا اليتامى اموالهم اذا بلغوا
واليتامى جمع يتيم وهو الذي مات ابوه من اليتم وهو الانفراد ومنه الدرة اليتيمة اما انه
لما جرى مجرى الاسماء كفارس وصاحب جمع على يتائم ثم قلب فقيل يتامى او على انه جمع

على يتمى كأسرى لانه باب الافات ثم جمع يتمى على يتامى كاسرى واسارى والاشتقاق
يقتضي وقوعه على الصغار والكبار لكن العرف خصصه بمن لم يبلغ وورود في الآية
اما للبلغ على الاصل المتناول للصغير والكبير او الاتساع لقرب عهدهم بالصغر حثا على
ان يدفع اليهم اموالهم اول بلوغهم قبل ان يزول عنهم هذا الاسم ان اونس منهم الرشد ولكن
امر بابتلائهم صغارا او لغير البلغ والحكم مقيد فكانه قال وآتوهم اذا بلغوا ويؤيد
الاول ما روي ان رجلا من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ طلب المال
فمنعه فنزلت فلما سمعها العم قال اطعنا الله واطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير
ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تستبدلوا الحرام من اموالهم بالحلال من اموالكم والامر الخبيث
وهو اختزال اموالهم بالامر الطيب الذي هو حفظها وقيل ولا تاخذوا الرفيع من اموالهم وتعطوا
الخسيس مكانها وهذا تبديل وليس بتبدل ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم ولا تاكلوها مضمومة
الى اموالكم اي لا تنفقوهما معا ولا تسووا بينهما وهذا حلال وذاك حرام وهو فيما زاد على قدر
اجره لقوله تع فليأكل بالمعروف انه ضمير للاكل كان حوبا كبيرا ذنبا عظيما وقرئ حوبا
وهو مصدر حاب حوبا وحابا كقال قولا وقالا وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا
ما طاب لكم من النساء اي ان خفتم ان لا تعدلوا في يتامى النساء اذا تزوجتم بهن فتزوجوا
ما طاب من غيرهن اذ كان الرجل يجد يتيمة ذات مال وجمال فيتزوجها ضنا بها فربما
يجتمع عنده منهن عدد ولا يقدر على القيام بحقوقهن او ان خفتم ان لا تعدلوا في حقوق
اليتامى فتحرجتم منها فخافوا ايضا ان لا تعدلوا بين النساء فانكحوا مقدارا يمكنكم الوفاء
بحقه لان المتحرج من الذنب ينبغي ان يتحرج من الذنوب كلها على ما روي انه تع لما عظم
امر اليتامى تحرجوا من ولايتهم وما كانوا يتحرجون من تكثير النساء واضاعتهن فنزلت وقيل
كانوا يتحرجون من ولاية اليتامى ولا يتحرجون من الزنا فقيل لهم ان خفتم ان لا تعدلوا
في امر اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم وانما عبر عنهن بما ذهابا الى الصفة او اجراء
لهن مجرى غير العقلاء لنقصان عقلهن ونظيره او ما ملكت ايمانكم وقرئ تقسطوا بفتح
التاء على ان لا مزيدة اي ان خفتم ان تجوروا مثنى وثلث وربع معدولة عن اعداد مكررة

هي ثنتين ثنتين وثلثا ثلثا واربعا اربعا وهي غير منصرفة للعدل والصفة فانها بنيت
صفات وان كانت اصولها لم تبن لها وقيل لتكرير العدل فانها معدولة باعتبار الصيغة
والتكرير منصوبة على الحال من فاعل طاب ومعناها الاذن لكل ناكح يريد الجمع ان ينكح
ما شاء من العدد المذكور متفقين فيه ومختلفين كقولك اقتسموا هذه البدرة درهمين درهمين
وثلثة ثلثة ولو افردت كان المعنى تجويز الجمع بين هذه الاعداد دون التوزيع ولو ذكرت
باو لذهب تجويز الاختلاف في العدد فان خفتم ان لا تعدلوا بين هذه الاعداد
ايضا فواحدة فاختاروا او فانكحوا واحدة وذروا الجمع وقرئ بالرفع على انه فاعل
محذوف او خبره تقديره فيكفيكم واحدة او فالمقنع واحدة او ما ملكت ايمانكم سوى
بين الواحدة من الازواج والعدد من السراري لخفة مؤنتهن وعدم وجوب القسم
بينهن ذلك اي التقليل منهن او اختيار الواحدة او التسري ادنى الا تعولوا اقرب
من ان لا تميلوا يقال عال الميزان اذا مال وعال الحاكم اذا جار وعول الفريضة
الميل عن حد السهام المسماة وفسر بان لا يكثر عيالكم على انه من عال الرجل عياله وعالهم
يعولهم اذا مانهم فعبر عن كثرة العيال بكثرة المؤن على الكناية ويؤيده قراءة ان لا تعيلوا
من اعال الرجل اذا كثر عياله ولعل المراد بالعيال الازواج وان اريد الاولاد
فلان التسري مظنة قلة الولد بالاضافة الى التزوج لجواز العزل فيه كتزوج الواحدة
بالاضافة الى تزوج الاربعة وآتوا النساء صدقاتهن وقرئ بفتح الصاد وسكون
الدال على التخفيف وبضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة كغرفة وبضمهما على
التوحيد وهي تثقيل صدقة كظلمة في ظلمة نحلة عطية يقال نحله كذا نحلة ونحلا
اذا اعطاه اياه عن طيب نفس بلا توقع عوض ومن فسرها بالفريضة ونحوها
نظر الى مفهوم الآية لا الى موضوع اللفظ ونصبها على المصدر لانها في معنى الايتاء
او الحال من الواو او الصدقات اي آتوهن صدقاتهن ناحلين او منحولة وقيل
المعنى نحلة من الله وتفضلا منه عليهن فيكون حالا من الصدقات وقيل ديانة
من قولهم انتحل فلان كذا اذا دان به على مفعول له او حال من الصدقات اي دينا

من الله سبحانه والخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا يأخذون مهور موليتهم
فان طبن لكم عن شيء منه نفسا الضمير للصدقات حملا على المعنى او يجري مجرى اسم الاشارة
كقول رؤبة في قوله كانه في الجلد توليع البهق اردت كان ذلك وقيل للايتاء
ونفسا تمييز لبيان الجنس ولذلك وحد والمعنى فان وهبن لكم من الصداق عن طيب
نفس لكن جعل العمدة طيب النفس للمبالغة وعداه بعن لتضمين معنى التجافي والتجاوز
وقال منه بعثا لهن على تقليل الموهوب فكلوه هنيئا مريئا فخذوه وانفقوه حلالا
بلا تبعة والهنيء والمريء صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذا ساغ من غير غصص
اقيمتا مقام مصدريهما او وصف بهما المصدر او جعلتا حالا من الضمير وقيل
الهنيء ما يلذه الانسان والمريء ما يحمد عاقبته روي ان ناسا كانوا يتأثمون
ان يقبل احدهم من زوجته شيئا مما ساق اليها فنزلت ولا تؤتوا السفهاء اموالكم
نهي للاولياء عن ان يؤتوا الذين لا رشد لهم اموالهم فيضيعوها وانما اضاف المال
الى الاولياء لانها في تصرفهم وتحت ولايتهم وهو الملائم للآيات المتقدمة والمتأخرة
وقيل نهي لكل احد ان يعمد الى ما خوله الله من المال فيعطي امرأته واولاده ثم ينظر
الى ايديهم وانما سماهم سفهاء استخفافا بعقلهم واستهجانا لجعلهم قواما على انفسهم
وهو اوفق لقوله التي جعل الله لكم قياما اي تقومون بها وتتعيشون وعلى الاول
يؤول بانها التي من جنس ما جعل الله لكم قياما سمي ما به القيام قياما للمبالغة
وقرئ قيما بمعناه كعوذ بمعنى عياذ وقرئ قواما وهو ما يقام به وارزقوهم فيها واكسوهم
واجعلوها مكانا لرزقهم وكسوتهم بان تتجروا فيها وتحصلوا من نفعها ما يحتاجون
اليه وقولوا لهم قولا معروفا عدة جميلة تطيب بها نفوسهم والمعروف ما عرفه الشرع
او العقل بالحسن والمنكر ما انكره احدهما لقبحه وابتلوا اليتامى اختبروهم قبل البلوغ
بتتبع احوالهم في صلاح الدين والتهدي الى ضبط المال وحسن التصرف بان يكل اليه
مقدمات العقد وعند ابي حنيفة رح بان يدفع اليه ما يتصرف فيه حتى اذا بلغوا
النكاح حتى اذا بلغوا حد البلوغ بان يحتلم او يستكمل خمسة عشر سنة عندنا

لقوله عم

لقوله عم اذا استكمل المولود خمسة عشر سنة كتب ماله وعليه واقيمت عليه الحدود
وثمانية عشر سنة عند ابي حنيفة رح وبلوغ النكاح كناية عن البلوغ لانه يصلح
للنكاح عنده فان آنستم منهم رشدا فان ابصرتم منهم رشدا وقرئ احستم بمعنى
احسستم فادفعوا اليهم اموالهم من غير تأخير عن حد البلوغ ونظم الآية ان
الشرطية جواب اذا المتضمنة معنى الشرط والجملة غاية الابتلاء فكانه قيل
وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس
الرشد منهم وهو دليل على انه لا يدفع اليهم ما لم يؤنس منهم الرشد وقال ابو حنيفة
رح اذا زادت على سن البلوغ سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير الاحوال اذ الطفل
يميز بعدها ويؤمر بالعبادة دفع اليه المال وان لم يؤنس منه الرشد ولا تأكلوها
اسرافا وبدارا ان يكبروا مسرفين ومبادرين كبرهم او لاسرافكم ومبادرتكم
كبرهم ومن كان غنيا فليستعفف من اكلها ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف
بقدر حاجته واجرة سعيه ولفظ الاستعفاف والاكل بالمعروف مشعر بان الولي
له حق في مال الصبي وعنه عم ان رجلا قال له ان في حجري يتيما افآكل من ماله
قال بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله وايراد هذا التقسيم بعد
قوله ولا تأكلوها يدل على انه نهي للاولياء ان يأخذوا وينفقوا على انفسهم
اموال اليتامى فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم بانهم قبضوها فانه
انفى للتهمة وابعد من الخصومة ووجوب الضمان وظاهره يدل على ان القيم لا يصدق
في دعواه الا بالبينة وهو المختار عندنا ومذهب مالك خلافا لابي حنيفة رح
وكفى بالله حسيبا محاسبا فلا تخالفوا ما امرتم ولا تجاوزوا ما حد لكم للرجال
نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون
يريد بهم المتوارثين بالقرابة مما قل منه او كثر بدل مما ترك باعادة العامل نصيبا
مفروضا نصب على انه مصدر مؤكد كقوله فريضة من الله او حال اذ المعنى ثبت لهم
مفروضا نصيب او على الاختصاص بمعنى اعني نصيبا مقطوعا واجبا لهم وفيه دليل

على ان الوارث لو اعرض عن نصيبه لم يسقط حقه روي ان اوس بن ثابت الانصاري خلف زوجته ام كحة وثلث بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة او قتادة وعرفجة ميراثه عنهن على سنة الجاهلية فانهم ما كانوا يورثون النساء والاطفال ويقولون انما يرث من يحارب ويذب عن الحوزة فجاءت ام كحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد الفضيخ فشكت اليه فقال ارجعي حتى انظر ما يحدث الله فنزلت فبعث اليهما لا تفرقا من مال اوس شيئا فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزل يوصيكم الله فاعطى ام كحة الثمن والبنات الثلثين والباقي ابني العم وهو دليل على جواز تاخير البيان عن وقت الخطاب

واذا حضر القسمة اولوا القربى ممن لا يرث واليتامى والمساكين فارزقوهم منه فاعطوهم شيئا من المقسوم تطييبا لقلوبهم وتصدقا عليهم وهو امر ندب للبلغ من الورثة وقيل امر وجوب ثم اختلف في نسخه والضمير لما ترك او لما دل عليه القسمة وقولوا لهم قولا معروفا وهو ان يدعوا لهم ويستقلوا ما اعطوهم ولا يمنوا عليهم وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم امر للاوصياء بان يخشوا الله ويتقوه في امر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون ان يفعل بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم او للحاضرين المريض عند الايصاء بان يخشوا ربهم او يخشوا على اولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولادهم فلا يتركوه ان يضر بهم بصرف المال عنهم او للورثة بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفاء الاقارب واليتامى والمساكين متصورين انهم لو كانوا اولادهم بقوا خلفهم ضعافا مثلهم هل يجوزون حرمانهم او للموصين بان ينظروا للورثة فلا يسرفوا في الوصية ولو بما في حيزه جعل صلة للذين على معنى وليخش الذين حالهم وصفتهم انهم لو شارفوا ان يخلفوا ذرية ضعافا خافوا عليهم الضياع وفي ترتيب الامر عليه اشارة الى المقصود منه والعلة فيه وبعث على الترحم وان يحب لاولاد غيره ما يحب لاولاده وتهديد للمخالف بحال اولاده فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا امرهم بالتقوى التي هي غاية الخشية بعدما امرهم بها مراعاة للمبدأ والمنتهى اذ لا ينفع الاول دون الثاني ثم امرهم ان يقولوا لليتامى مثل ما يقولون لاولادهم بالشفقة وحسن الادب او للمريض ما يصده عن الاسراف في الوصية وتضييع الورثة

ويذكروا

ويذكروه التوبة وكلمة الشهادة او لحاضري القسمة عذرا جميلا ووعدا حسنا او ان يقولوا في الوصية ما لا يؤدي الى مجاوزة الثلث وتضييع الورثة ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما ظالمين او على وجه الظلم انما يأكلون في بطونهم ملء بطونهم نارا ما يجر الى النار ويؤول اليها وعن ابي بردة انه عليه الصلوة والسلام قال يبعث الله قوما من قبورهم تأجج افواههم نارا فقيل من هم فقال الم تر ان الله يقول ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا سيدخلون نارا واي نار وقرأ ابن عامر وابن عياش عن عاصم بضم الياء مخففا وقرئ به مشددا يقال صلي النار قاسى حرها وصليته شويته واصليته وصليته القيته فيها والسعير فعيل بمعنى مفعول من سعرت النار اذا الهبتها يوصيكم الله يأمركم ويعهد اليكم في اولادكم في شأن ميراثهم وهو اجمال تفصيله للذكر مثل حظ الانثيين اي يعد كل ذكر بانثيين حيث اجتمع الصنفان فيضعف نصيبه وتخصيص الذكر بالتنصيص على حظه لان القصد الى بيان فضله والتنبيه على ان التضعيف كاف للتفضيل فلا يحرمن بالكلية وقد اشتركا في الجهة والمعنى للذكر منهم فحذف للعلم به فان كن نساء اي ان كان الاولاد نساء خلصا ليس معهن ذكر فانث الضمير باعتبار الخبر او على تأويل المولودات فوق اثنتين خبر ثان او صفة لنساء اي نساء زائدات على اثنتين فلهن ثلثا ما ترك المتوفى منكم ويدل عليه المعنى وان كانت واحدة فلها النصف اي وان كانت المولودة واحدة وقرأ نافع بالرفع على كان التامة واختلف في الثنتين فقال ابن عباس رض حكمهما حكم الواحدة لانه تعالى جعل الثلثين لما فوقهما وقال الباقون حكمهما حكم ما فوقهما لانه تعالى لما بين ان حظ الذكر مثل حظ الانثيين اذا كان معه انثى وهو الثلثان اقتضى ذلك ان فرضهما الثلثان ثم لما اوهم ذلك ان يزاد النصيب بزيادة العدد رد ذلك بقوله فان كن نساء فوق اثنتين ويؤيد ذلك ان البنت الواحدة لما استحقت الثلث مع اخيها فبالحري ان تستحقه مع اخت مثلها وان البنتين امس رحما من الاختين وقد فرض لهما الثلثين بقوله فلهما الثلثان مما ترك ولابويه ولابوي الميت لكل واحد منهما السدس بدل منه بتكرير العامل وفائدته التنصيص على استحقاق كل واحد

منهما السدس والتفصيل بعد الاجمال لتاكيد مما ترك ان كان له للميت ولد ذكرا وانثى
غير ان الاب ياخذ السدس مع الانثى بالفرضية وما بقي من ذوي الفروض ايضا بالعصوبة فان
لم يكن له ولد وورثه ابواه فحسب فلامه الثلث مما ترك وانما لم يذكر حصة الاب
لانه لما فرض ان الوارث ابواه فقط وعين نصيب الام علم ان الباقي للاب فكانه قال
فلهما ما ترك اثلاثا وعلى هذا ينبغي ان يكون لها حيث يكون معهما احد الزوجين
ثلث ما بقي من فرضه كما قاله الجمهور لا ثلث المال كما قال ابن عباس فانه يفضي الى تفضيل
الانثى على الذكر المساوي لها في الجهة والقرب وهو خلاف وضع الشرع فان كان له
اخوة فلامه السدس باطلاقه يدل على ان الاخوة يردونها من الثلث الى السدس وان
كانوا لا يرثون مع الاب وعن ابن عباس رض انهم ياخذون السدس الذي حجبوا عنه
الام والجمهور على ان المراد بالاخوة عدد ممن له اخوة من غير اعتبار التثليث سواء كان من
الاخوة والاخوات وقال ابن عباس رض لا يحجب الام من الثلث ما دون الثلثة ولا الاخوات
الخلص اخذا بالظاهر وقرا حمزة والكسائي فلامه بكسر الهمزة اتباعا للكسرة التي قبلها
من بعد وصية يوصي بها او دين وانما قال باو التي للاباحة دون الواو للدلالة
على انهما متساويان في الوجوب متقدمان على القسمة مجموعين ومنفردين وقدم الوصية
على الدين وهي متاخرة في الحكم لانها مشبهة بالميراث شاقة على الورثة مندوب اليها الجميع
والدين انما يكون على الندور وقرا ابن كثير وابن عامر وابو بكر بفتح الصاد اباؤكم وابناؤكم
لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا اي لا تعلمون من انفع لكم ممن يرثكم من اصولكم وفروعكم في عاجلكم
واجلكم فتحروا فيهم ما وصاكم الله به ولا تعمدوا الى تفضيل بعض وحرمانه روي ان احد المتوالدين
اذا كان ارفع درجة من الاخر في الجنة سال ان يرفع اليه فيرفع بشفاعته او من مورثيكم
منهم او من اوصى منهم فعرضكم للثواب بامضاء وصيته او من لم يوص فوفر عليكم ماله فهو اعتراض
مؤكد لامر القسمة وتنفيذ الوصية فريضة من الله مصدر مؤكد او مصدر يوصيكم الله لانه
في معنى يامركم ويفرض عليكم ان الله كان عليما بالمصالح والرتب حكيما فيما قضى وقدر ولكم
نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن اي ولد

وارث من بطنها او من صلبها او بني بنيها وان سفل ذكرا كان او انثى منكم او من غيركم
من بعد وصية يوصين بها او دين ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم
ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين فرض للرجل بحق الزواج ضعف
ما للمراة كما في النسب وهكذا قياس كل رجل وامراة اشتركا في الجهة والقرب ولا يستثنى
منه الا اولاد الام والمعتق والمعتقة وتستوي الواحدة والعدد منهن في الربع والثمن
وان كان رجل اي الميت يورث اي يورث منه من ورث صفة رجل كلالة خبر كان او يورث
خبره وكلالة حال من الضمير فيه وهو من لم يخلف ولدا ولا والدا او مفعول له والمراد
بها قرابة ليست من جهة الوالد والولد ويجوز ان يكون الرجل الوارث ويورث من
اورث وكلالة من ليس بوالد ولا ولد وقرئ يورث على البناء للفاعل فالرجل الميت
وكلالة تحتمل المعاني الثلثة وعلى الاول خبر او حال وعلى الثاني مفعول له وعلى الثالث
مفعول به وهي في الاصل مصدر بمعنى الكلال قال الاعشى فاليت لا ارثي لها من كلالة
ولا من حفى حتى الاقي محمدا فاستعيرت لقرابة ليست بالبعضية لانها كلالة بالاضافة
اليها ثم وصف بها المورث والوارث بمعنى ذي كلالة كقولك فلان من قرابتي او امراة
عطف على رجل وله اي وللرجل واكتفى بحكمه عن حكم المراة لدلالة العطف على تشاركهما فيه
اخ او اخت اي من الام ويدل عليه قراءة ابي وسعد بن مالك وله اخ او اخت من الام
وانه ذكر في اخر السورة ان للاختين الثلثين وللاخوة الكل وهو لا يليق باولاد الام وان
ما قدر ههنا فرض الام فيناسب ان يكون لاولادها فلكل واحد منهما السدس فان كانوا
اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث سوى بين الذكر والانثى في القسمة لان الادلاء بمحض الانوثة
ومفهوم الاية انهم لا يرثون ذلك مع الام والجدة كما لا يرثون مع البنت وبنت الابن فخص فيه
بالاجماع من بعد وصية يوصى بها او دين غير مضار اي غير مضار لورثته بالزيادة على
الثلث او قصد المضارة بالوصية دون القربة والاقرار بدين لا يلزمه وهو حال من فاعل
يوصى المذكور في هذه القراءة والمدلول عليه بقوله يوصى على البناء للمفعول في قراءة ابن كثير
وابن عامر وابن عياش عن عاصم وصية من الله مصدر مؤكد او منصوب بغير مضار على المفعول به

ويؤيده ان قرئ غير مضار وصية بالاضافة اى لا يضار وصية من الله وهو الثلث فما دونه
بالزيادة او وصية منه بالاولاد بالاسراف فى الوصية والاقرار الكاذب والله عليم بالمضار
وغيره حليم لا يعاجل بعقوبته تلك اشارة الى الاحكام التى تقدمت فى امر اليتامى والوصايا
والمواريث حدود الله شرائعه التى هى كالحدود المحدودة التى لا يجوز مجاوزتها ومن يطع
الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن
يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين توحيد الضمير
فى يدخله وجمع خالدين للفظ والمعنى وقرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون وخالدين حال
مقدرة كقولك مررت برجل معه صقر صائدا به غدا وكذلك خالدا وليسا صفتين لجنات
ونارا والا لوجب ابراز الضمير لانهما جريا على غير من هما له واللاتى يأتين الفاحشة من
نسائكم اى يفعلنها يقال اتى الفاحشة وجاءها وغشيها ورهقها اذا فعلها والفاحشة
الزنا لزيادة قبحها وشناعتها فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فاطلبوا ممن قذفهن اربعة
من رجال المؤمنين تشهد عليهن فان شهدوا فامسكوهن فى البيوت فاحبسوهن فى البيوت
واجعلوها سجنا عليهن حتى يتوفاهن الموت يستوفى ارواحهن الموت او يتوفاهن ملك
الموت قيل كان ذلك عقوبتهن فى اوائل الاسلام فنسخ بالحد ويحتمل ان يكون المراد به التوصية
بامساكهن بعد ان يجلدن كيلا يجرى عليهن ما جرى بسبب الخروج والتعرض للرجال ولم يذكر
الحد استغناء بقوله الزانية والزانى او يجعل الله لهن سبيلا كتعيين الحد المخلص عن الحبس
او النكاح المغنى عن السفاح واللذان يأتيانها منكم يعنى الزانى والزانية وقرأ ابن كثير
واللذانّ بتشديد النون وتمكين مد الالف والباقون بالتخفيف من غير تمكين فآذوهما بالتوبيخ
والتقريع وقيل بالتعيير والجلد فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما فاقطعوا عنهما الايذاء
او اعرضوا عنهما بالاغماض والستر ان الله كان توابا رحيما علة الامر بالاعراض وترك
المذمة وقيل هذه الاية سابقة على الاولى نزولا وكان عقوبة الزناة الاذى ثم الحبس
ثم الجلد وقيل الاولى فى السحاقات وهذه فى اللواطين والزانية والزانى فى الزناة انما
التوبة على الله اى ان قبول التوبة كالمحتوم على الله بمقتضى وعده من تاب عليه اذا قبل توبته

للذين

للذين يعملون السوء بجهالة متلبسين بها سفها فان ارتكاب الذنب سفه وتجاهل و
لذلك قيل من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته ثم يتوبون من قريب من زمان
قريب اى قبل حضور الموت لقوله تع اذا حضر احدهم الموت وقوله ع ان الله
يقبل توبة عبده ما لم يغرغر وسماه قريبا لان امد الحيوة قريب كقوله قل متاع
الدنيا قليل او قبل ان يشرب فى قلوبهم حبه فيطبع عليها فيتعذر عليهم الرجوع و
من للتبعيض اى يتوبون فى اى جزء من الزمان القريب الذى هو ما قبل ان ينزل بهم
سلطان الموت او يزين السوء فاولئك يتوب الله عليهم وعد بالوفاء بما وعد به
وكتب على نفسه بقوله انما التوبة على الله وكان الله عليما فهو يعلم باخلاصهم
فى التوبة حكيما والحكيم لا يعاقب التائب وليست التوبة للذين يعملون السيئات
حتى اذا حضر احدهم الموت قال انى تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار سوى
بين من سوف التوبة الى حضور الموت من الفسقة والكفار وبين من مات على الكفر
فى نفى التوبة للمبالغة فى عدم الاعتداد بها فى تلك الحالة وكانه قال وتوبة
هؤلاء وعدم توبة هؤلاء سواء وقيل المراد بالذين يعملون السوء عصاة المؤمنين
وبالذين يعملون السيئات المنافقون لتضاعف كفرهم وسوء اعمالهم وبالذين يموتون
الكفار اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما تاكيد لعدم قبول توبتهم وبيان ان
العذاب اعده لهم لا يعجزه عذابهم متى شاء والاعتاد التهيئة من العتاد وهو العدة
وقيل اصله اعددنا فابدلت الدال الاولى تاء يا ايها الذين لا يحل لكم ان ترثوا
النساء كرها كان الرجل اذا مات وله عصبة القى ثوبه على امرأته وقال انا احق بها
ان شاء تزوجها بصداقها الاول وان شاء زوجها غيره واخذ صداقها وان شاء
عضلها لتفتدى بما ورثت من زوجها فنهوا عن ذلك وقيل لا يحل لكم ان تاخذوهن
على سبيل الارث فتتزوجوهن كارهات لذلك او مكرهات عليه وقرأ حمزة والكسائى
كرها بالضم فى مواضعه وهما لغتان وقيل بالضم المشقة وبالفتح ما يكره عليه ولا تعضلوهن
لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن عطف على ان ترثوا ولا لتاكيد النفى اى ولا تمنعوهن

آمنوا م

من التزويج واصل العضل التضييق يقال عضلت الدجاجة ببيضها وقيل الخطاب
مع الازواج كانوا يحبسون النساء من غير حاجة ورغبة حتى يرثوا منهن او يختلعن
بمهورهن وقيل تم الكلام بقوله كرها ثم خاطب الازواج ونهاهم عن العضل الا ان
يأتين بفاحشة مبينة كالنشوز وسوء العشرة وعدم التعفف والاستثناء من اعم
عام الظرف او المفعول له تقديره لا تعضلوهن للافتداء في وقت او لا وقت الا وقت ان
يأتين بفاحشة او لا تعضلوهن لعلة الا لان يأتين بفاحشة وقرأ ابن كثير وابو بكر
مبينة هنا وفي الاحزاب والطلاق بفتح الياء والباقون بكسرها فيهن وعاشروهن
بالمعروف بالانصاف في الفعل والاجمال في القول فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا
شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا اي فلا تفارقوهن لكراهة النفس فانها قد تكره
ما هو اصلح دينا واكثر خيرا وقد تحب ما هو بخلافه وليكن نظركم الى ما هو اصلح
في الدين وادنى الى الخير وعسى في الاصل علة الجزاء فاقيم مقامه والمعنى فان
كرهتموهن فاصبروا عليهن فعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وان اردتم
استبدال زوج مكان زوج تطليق امرأة وتزوج اخرى وآتيتم احداهن
اي احدى الزوجات جمع الضمير لانه اراد بالزوج الجنس قنطارا مالا كثيرا فلا تأخذوا
منه شيئا اي من القنطار أتأخذونه بهتانا واثما مبينا استفهام انكار وتوبيخ
اي أتأخذونه باهتين وآثمين ويحتمل النصب على العلة كما في قولك قعدت عن الحرب
جبنا لان الاخذ بسبب بهتانهم واقترافهم المأثم قيل كان الرجل منهم اذا اراد
امرأة جديدة بهت التي تحته بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه بما اعطاها
ليصرفه الى تزوج الجديدة فنهوا عن ذلك والبهتان الكذب الذي يبهت المكذوب
عليه وقد يستعمل في الفعل الباطل ولذلك فسر هنا بالظلم وكيف تأخذونه وقد
افضى بعضكم الى بعض انكار لاسترداد المهر والحال انه وصل اليها بالملامسة
ودخل بها وتقرر المهر واخذن منكم ميثاقا غليظا عهدا وثيقا وهو حق الصحبة
والممازجة او ما اوثق الله عليهم في شأنهن بقوله فامساك بمعروف او تسريح

باحسان او ما اشار اليه النبي عم بقوله اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن
بكلمة الله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم ولا تنكحوا التي نكحها آباؤكم وانما ذكر ما دون من
لانه اريد به الصفة وقيل ما مصدرية على ارادة المفعول من المصدر من النساء بيان ما نكح
على الوجهين الا ما قد سلف استثناء من المعنى اللازم للنهي وكانه قيل وتستحقون العقاب
بنكاح ما نكح آباؤكم الا ما قد سلف او من اللفظ للمبالغة في التحريم والتعميم كقوله
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب والمعنى ولا تنكحوا حلائل
آبائكم الا ما قد سلف ان امكنكم ان تنكحوهن وقيل الاستثناء منقطع ومعناه لكن ما
قد سلف فانه لا مؤاخذة عليه لا انه مقرر انه كان فاحشة ومقتا علة للنهي اي ان نكاحهن
كان فاحشة عند الله ما رخص فيه لامة من الامم ممقوتا عند ذوي المروات ولذلك
سمي ولد الرجل من زوجة ابيه المقتي وساء سبيلا سبيل من يراه ويفعله حرمت عليكم
امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت ليس المراد
تحريم ذواتهن بل تحريم نكاحهن لانه معظم ما يقصد منهن ولانه المتبادر الى الفهم
كتحريم الاكل من قوله حرمت عليكم الميتة ولان ما قبله وما بعده في النكاح وامهاتكم
تعم من ولدتك او ولدت من ولدك وان علت وبناتكم تتناول من ولدتها او ولدت
من ولدها وان سفلت واخواتكم الاخوات من الاوجه الثلث وكذلك الباقيات والعمة
كل انثى ولدها من ولد ذكرا ولدك والخالة كل انثى ولدها من ولد انثى ولدتك قريبا
او بعيدا وبنات الاخ وبنات الاخت تتناول القربى والبعدى وامهاتكم اللاتي ارضعنكم
واخواتكم من الرضاعة نزل الله الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة اما والمراضعة اختا
وامرها على قياس النسب باعتبار المرضعة ووالد الطفل الذي در عليه اللبن قال عم
يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب واستثناء اخت ابن الرجل وام اخيه من الرضاع من
هذا الاصل ليس بصحيح فان حرمتهما في النسب بالمصاهرة دون النسب وامهات نسائكم
وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن ذكر اولا محرمات النسب ثم الرضاعة
لان لها لحمة كلحمة النسب ثم محرمات المصاهرة فان تحريمهن عارض لمصلحة الزواج و الربائب

جمع ربيبة والربيب ولد المرأة من آخر سمي به لانه يربه كما يرب ولده في غالب الامر
فعيل بمعنى مفعول وانما لحقه التاء لانه صار اسما ومن نسائكم متعلق بربائبكم واللاتي بصلتها
صفة لها مقيدة للفظ والحكم بالاجماع قضية النظم ولا يجوز تعليقها بالامهات ايضا
لان من اذا علقتها بالربائب كانت ابتدائية فان علقتها بالامهات لم يجز ذلك بل وجب ان يكون
بيانا لنسائكم والكلمة الواحدة لا تحمل على معنيين عند جمهور الادباء اللهم الا اذا جعلتها
للاتصال كقوله فاني لست منك ولست مني على معنى ان امهات النساء وبناتهن متصلات
بهن لكن الرسول صلعم فرق بينهما فقال في رجل تزوج امراة فطلقها قبل ان يدخل بها
انه لا باس ان يتزوج ابنتها ولا يحل له ان يتزوج امها واليه ذهب عامة العلماء غير
انه روي عن علي رض تقييد التحريم فيهما ولا يجوز ان يكون الموصول الثاني صفة للنساء
لان عاملهما مختلف وفائدة قوله في حجوركم تقوية العلة وتكميلها والمعنى ان
الربائب اذا دخلتم بامهاتهن وهن في احتضانكم او بصدده قوي الشبه بينها وبين
اولادكم وصارت احقاء بان تجروها مجراهم لا تقييد الحرمة واليه ذهب جمهور العلماء
وقد روي عن علي جعله شرطا والامهات والربائب يتناولان القريبة والبعيدة
وقوله دخلتم بهن اي دخلتم معهن الستر وهي كناية عن الجماع ونحوه ما ليس بزنا
كالوطي بشبهة او ملك يمين وعند ابي حنيفة رح لمس المنكوحة ونحوه كالدخول
فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم تصريح بعد اشعار دفعا للقياس
وحلائل ابنائكم زوجاتهم سميت الزوجة حليلة لحلها او لحلولها مع الزوج
الذين من اصلابكم احتراز عن المتبنين لا عن ابناء الولد وان تجمعوا بين الاختين في
موضع الرفع عطفا على المحرمات والظاهر ان الحرمة غير مقصورة على النكاح فان المحرمات
المعدودة كما هي محرمة في النكاح فهي محرمة في ملك اليمين ولذلك قال عثمان وعلي رض
حرمتهما آية واحلتهما آية يعنيان هذه الآية وقوله تع او ما ملكت ايمانكم فرجح
علي التحريم وعثمان التحليل وقول علي اظهر لان آية التحليل مخصوصة في غير ذلك ولقوله
ع ما اجتمع الحلال والحرام الا غلب الحرام الا ما قد سلف استثناء عن لازم المعنى او منقطع

معناه لكن ما سلف مغفور لقوله ان الله كان غفورا رحيما والمحصنات من
النساء ذوات الازواج احصنهن التزويج او الازواج وقرا الكسائي في جميع
القران غير هذا الحرف بكسر الصاد لانهن احصن فروجهن الا ما ملكت ايمانكم يريد
ما ملكت ايمانهم من اللاتي سبين ولهن ازواج كفار فهن حلال للسابين والنكاح
مرتفع بالسبي لقول ابي سعيد رض اصبنا سبايا يوم اوطاس ولهن ازواج فكرهنا
ان نقع عليهن فسألنا النبي عم فنزلت الآية فاستحللناهن واياه عنى الفرزدق
بقوله وذات حليل انكحتها رماحنا حلال لمن يبني بها لم تطلق وقال ابو حنيفة رح
لو سبي الزوجان لم ترتفع النكاح ولم تحل للسابي واطلاق الآية والحديث حجة
كتاب الله عليكم مصدر مؤكد اي كتب الله عليكم تحريم هؤلاء كتابا وقرئ كتب الله
بالجمع والرفع اي هذه فرائض الله عليكم وكتب الله بلفظ الفعل واحل لكم عطف على
الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله وقرا حمزة والكسائي وحفص عن عاصم على البناء للمفعول
عطفا على حرمت ما وراء ذلكم ما سوى المحرمات الثمان المذكورة وخص عنه بالسنة ما في
معنى المذكورات كسائر محرمات الرضاع والجمع بين المراة وعمتها وخالتها ان تبتغوا
باموالكم محصنين غير مسافحين مفعول له والمعنى احل لكم ما وراء ذلكم ارادة ان تبتغوا
النساء باموالكم بالصرف في مهورهن او اثمانهن في حال كونكم محصنين غير مسافحين
ويجوز ان لا يقدر مفعول تبتغوا وكانه قيل ارادة ان تصرفوا اموالكم محصنين غير مسافحين
او بدل مما وراء ذلكم بدل الاشتمال واحتج به الحنفية على ان المهر لا بد وان يكون مالا ولا
حجة فيه والاحصان هنا العفة فانها تحصين للنفس عن اللوم والعقاب والسفاح
الزنا من السفح وهو صب المني فانه الغرض منه فما استمتعتم به منهن فمن تمتعتم به من
المنكوحات او فما استمتعتم به منهن من جماع او عقد عليهن فآتوهن اجورهن
مهورهن فان المهر في مقابلة الاستمتاع فريضة حال عن الاجور بمعنى مفروضة او صفة
مصدر محذوف اي ايتاء مفروضا او مصدر مؤكد ولا جناح عليكم فيما تراضيتم
به من بعد الفريضة فيما يزاد على المسمى او يحط عنه بالتراضي او فيما تراضيا به من نفقة او

مقام او فراق وقيل نزلت الاية في المتعة التي كانت ثلثة ايام حين فتحت مكة ثم نسخت
كما روي انه عم اباحها ثم اصبح يقول يا ايها الناس اني كنت امرتكم بالاستمتاع من
هذه النساء الا ان الله حرم ذلك الى يوم القيمة وهي النكاح الموقت بوقت معلوم
اذ الغرض منه مجرد الاستمتاع بالمرأة وتمتيعها بما تعطى وجوزها ابن عباس رض
ثم رجع عنه ان الله كان عليما بالمصالح حكيما فيما شرع من الاحكام ومن لم يستطع منكم
طولا غنى واعتلاء واصله الفضل والزيادة ان ينكح المحصنات المؤمنات في موضع النصب
بطولا او بفعل مقدر صفة له اي ومن لم يستطع منكم ان يعتلي نكاح المحصنات او ومن لم يستطع
غنى يبلغ به نكاح المحصنات يعني الحرائر لقوله فمن ما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات
يعني الاماء المؤمنات فظاهر الاية حجة للشافعي رض في تحريم نكاح الامة على من ملك ما
يجعله صداق حرة ومنع نكاح الامة الكتابية مطلقا واول ابو حنيفة رض طول المحصنات
بان يملك فراشهن على ان النكاح هو الوطء وحمل قوله من فتياتكم المؤمنات على الافضل
كما حمل عليه في قوله المحصنات المؤمنات ومن اصحابنا من حمله ايضا على التقييد وجوز نكاح
الامة لمن قدر على الحرة الكتابية دون المؤمنة حذرا عن مخالطة الكفار وموالاتهم
والمحذور في نكاح الامة رق الولد وما فيه من المهانة ونقصان حق الزوج والله اعلم
بايمانكم فاكتفوا بظاهر الايمان فانه العالم بالسرائر وبتفاضل ما بينكم في الايمان فرب امة
تفضل الحرة فيه ومن حقكم ان تعتبروا فضل الايمان لا فضل النسب والمراد تأنيسهم بنكاح
الاماء ومنعهم عن الاستنكاف منه ويؤيده بعضكم من بعض انتم وارقاؤكم متناسبون نسبكم
من آدم ودينكم الاسلام فانكحوهن باذن اهلهن يريد اربابهن واعتبار اذنهم
مطلقا لا اشعار له على ان لهن ان يباشرن العقد بانفسهن حتى يحتج به الحنفية واتوهن
اجورهن اي ادوا اليهن مهورهن باذن اهلهن فحذف ذلك لتقدم ذكره او الى مواليهن
فحذف المضاف للعلم بان المهر للسيد لانه عوض حقه فيجب ان يؤدى اليه وقال مالك رض
المهر للامة ذهابا الى الظاهر بالمعروف بغير مطل واضرار ونقصان محصنات عفائف
غير مسافحات غير مجاهرات بالسفاح ولا متخذات اخدان اخلاء في السر فاذا احصن

بالتزويج وقرأ ابو بكر وحمزة والكسائي بفتح الهمزة والباقون بضم الهمزة وكسر الصاد فان
اتين بفاحشة زنا فعليهن نصف ما على المحصنات يعني الحرائر من العذاب من الحد كقوله
وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين وهو يدل على ان حد العبد نصف حد الحر وانه لا يرجم
لان الرجم لا يتنصف ذلك اي نكاح الاماء لمن خشي العنت منكم لمن خاف الوقوع في
الزنا وهو في الاصل انكسار العظم بعد الجبر مستعار لكل مشقة وضرر ولا ضرر اعظم
من مواقعة الاثم بافحش القبائح وقيل المراد به الحد وهذا شرط آخر لنكاح الاماء
وان تصبروا خير لكم اي وصبركم عن نكاح الاماء متعففين خير لكم قال عليه الصلوة والسلام
الحرائر صلاح البيت والاماء هلاكه والله غفور رحيم بان رخص لكم يريد الله ليبين
لكم ما تعبدكم به من الحلال والحرام او ما خفي عليكم من مصالحكم ومحاسن اعمالكم وليبين
مفعول يريد واللام زيدت لتاكيد معنى الاستقبال اللازم للارادة كما في قول قيس
بن سعد اردت لكيما يعلم الناس انه سراويل قيس والوفود شهود وقيل المفعول محذوف
وليبين مفعول له اي يريد الحق لاجله ويهديكم سنن الذين من قبلكم مناهج من تقدمكم من اهل
الرشد لتسلكوا طرقهم ويتوب عليكم ويغفر لكم ذنوبكم او يرشدكم الى ما يمنعكم عن المعاصي
ويحثكم على التوبة او الى ما يكون كفارة لسيئاتكم والله عليم بها حكيم في وضعها والله يريد
ان يتوب عليكم كرره للتاكيد والمقابلة ويريد الذين يتبعون الشهوات يعني الفجرة فان
اتباع الشهوات الائتمار لها واما المتعاطي لما سوغه الشرع منها دون غيره فهو متبع له
في الحقيقة لا لها وقيل المجوس وقيل اليهود فانهم يحلون الاخوات من الاب وبنات الاخ
والاخت ان تميلوا عن الحق ميلا بموافقتهم على اتباع الشهوات واستحلال المحرمات عظيما
بالاضافة الى ميل من اقترف خطيئة على ندرة غير مستحل لها يريد الله ان يخفف عنكم فلذلك
شرع لكم الشريعة الحنيفية السمحة السهلة ورخص لكم في المضايق كاحلال نكاح الامة وخلق
الانسان ضعيفا لا يصبر عن الشهوات ولا يتحمل مشاق الطاعات وعن ابن عباس رض ثمان
آيات في سورة النساء هي خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت هذه الثلث وان
تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله لا يغفر ان يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل

سوا ما يفعل الله تعالى بكم يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل بما لم يبحه
الشرع كالغصب والربوا والقمار الا ان تكون تجارة عن تراض منكم استثناء منقطع اي
ولكن كون تجارة عن تراض غير منهي عنه او اقصدوا كون تجارة وعن تراض صفة لتجارة
اي تجارة صادرة عن تراضي المتعاقدين وتخصيص التجارة من الوجوه التي بها يحل تناول
مال الغير لانها اغلب وارفق لذوي المروات ويجوز ان يراد بها الانتقال مطلقا
وقيل المقصود بالنهي المنع عن صرف المال فيما لا يرضاه الله تعالى وبالتجارة صرفه فيما يرضاه
وقرأ الكوفيون تجارة بالنصب على كان الناقصة واضمار الاسم اي الا ان تكون التجارة او الجهة
تجارة ولا تقتلوا انفسكم بالبخع كما تفعله جهلة الهند او بالقاء النفس الى التهلكة
ويؤيده ما روي ان عمرو بن العاص تأول في التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم او
بارتكاب ما يؤدي الى قتلها او باقتراف ما يذلها ويرديها فانه القتل الحقيقي للنفس
وقيل المراد بالانفس من كان من اهل دينهم فان المؤمنين كنفس واحدة جمع في التوصية
بين حفظ النفس والمال الذي هو شقيقها من حيث انه سبب قوامها استبقاء لهم ريثما تستكمل
النفوس وتستوفي فضائلها رأفة بهم ورحمة كما اشار اليه بقوله ان الله كان بكم رحيما
اي امر ما امر ونهى عما نهى لفرط رحمته عليكم معناه انه كان بكم يا امة محمد رحيما لما امر بني
اسرائيل بقتل الانفس ونهيكم عنه ومن يفعل ذلك اشارة الى القتل او الى ما سبق من المحرمات
عدوانا وظلما افراطا في التجاوز عن الحق واتيانا بما لا يستحقه وقيل اراد بالعدوان
التعدي على الغير وبالظلم ظلم النفس بتعريضها للعقاب فسوف نصليه نارا ندخله
اياها وقرئ بالتشديد من صلى وبفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه
بالياء المضمومة والضمير لله او لذلك من حيث انه سبب الصلي وكان ذلك على الله يسيرا
لا عسر فيه ولا صارف عنه ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه كبائر الذنوب التي نهاكم الله
ورسوله عنها وقرئ كبير على ارادة الجنس نكفر عنكم سيئاتكم نغفر لكم صغائركم ونمحها عنكم
واختلف في الكبائر والاقرب ان الكبيرة كل ذنب رتب الشارع عليه حدا او صرح
بالوعيد فيه وقيل ما علم حرمته بقاطع وعن النبي صلى الله عليه وسلم انها سبع الاشراك بالله وقتل النفس

التي حرم الله وقذف المحصنة واكل مال اليتيم والربوا والفرار من الزحف وعقوق
الوالدين وعن ابن عباس رضي الله عنه الكبائر الى سبعمائة اقرب منها الى سبع وقيل اراد به ههنا
انواع الشرك لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك وقيل صغر الذنوب
وكبرها بالاضافة الى ما فوقها وما تحتها فاكبر الكبائر الشرك واصغر الصغائر حديث
النفس وبينهما وسائط يصدق عليها الامران فمن عن له امران منها ودعت نفسه اليهما
بحيث لا يتمالك فكفها عن اكبرهما كفر عنه ما ارتكبه لما استحق من الثواب على اجتناب الاكبر
ولعل هذا مما يتفاوت باعتبار الاشخاص والاحوال الا ترى انه تعالى عاتب نبيه في كثير
من خطراته التي لم تعد على غيره خطيئة فضلا ان يؤاخذ عليها وندخلكم مدخلا كريما
الجنة وما وعد من الثواب او ادخالا مع كرامة وقرأ نافع هنا وفي الحج بفتح الميم وهو ايضا
يحتمل المكان والمصدر ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض من الامور الدنيوية
كالجاه والمال فلعل عدمه خير والمقتضي للمنع كونه ذريعة الى التحاسد والتعادي معربة
عن عدم الرضا بما قسم الله له وانه تشهي لحصول الشيء له من غير طلب وهو مذموم لان
تمني ما لم يقدر له معارضة لحكمة الله وتمني ما قدر له بكسب بطالة وتضييع حظ وتمني
ما قدر له بغير كسب ضايع ومحال للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن
بيان لذلك اي لكل من الرجال والنساء فضل ونصيب بسبب ما اكتسب ومن اجله فاطلبوا
الفضل بالعمل لا بالحسد والتمني كما قال عليه السلام ليس الايمان بالتمني وقيل المراد نصيب
الميراث وتفضيل الورثة بعضهم على بعض فيه وجعل ما قسم لكل منهم على حسب ما عرف
من حاله الموجبة للزيادة والنقص كالمكتسب له واسألوا الله من فضله اي لا تتمنوا ما
للناس واسألوا الله مثله من خزائنه التي لا تنفد وهو يدل على ان المنهي هو الحسد او لا
تتمنوا واسألوا الله من فضله بما يقربه ويسوقه اليكم وقرأ ابن كثير والكسائي وسلوا
الله من فضله وسلهم فسل الذين وشبهه اذا كان امرا مواجها به وقبل السين واو
او فاء بغير همزة وحمزة في الوقف على اصله والباقون بالهمزة ان الله كان بكل شيء عليما
فهو يعلم ما يستحقه كل انسان فيفضل عن علم وتبيان روي ان ام سلمة قالت يا رسول الله

يغزوا الرجال ولا نغزو وانما لنا نصف الميراث ليتنا كنا رجالا فنزلت ولكل جعلنا
موالي مما ترك الوالدان والاقربون اي ولكل تركة جعلنا وراثا يلونها ويحرزونها
مما ترك بيان لكل مع الفصل بالعامل او ولكل ميت جعلنا وراثا مما ترك على ان من صلة
موالي لانه في معنى الوراث وفي ترك ضمير كل والوالدان والاقربون استيناف مفسر
للموالي وفيه خروج الاولاد فان الاقربين لا يتناولهم كما لا يتناول الوالدان او ولكل قوم
جعلناهم موالي حظ مما ترك الوالدان والاقربون على ان جعلنا موالي صفة كل والراجع
اليه محذوف وعلى هذا فالجملة من مبتدا وخبر والذين عاقدت ايمانكم موالي الموالاة كان
الحليف يورث السدس من مال الحليف فنسخ بقوله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وعن
ابي حنيفة رض لو اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا صح وورث او الازواج
على ان العقد عقد النكاح وهو مبتدا ضمن معنى الشرط وخبره فآتوهم نصيبهم او منصوب
بمضمر يفسره ما بعده كقولك زيدا فاضربه او معطوف على الوالدان وقوله فآتوهم جملة
مسببة عن الجملة المتقدمة مؤكدة لها والضمير للموالي وقرأ الكوفيون عقدت بمعنى عقدت
عهودهم ايمانكم فحذف العهود واقيم الضمير المضاف اليه مقامه ثم حذف كما حذف في القراءة الاخرى
ان الله كان على كل شيء شهيدا تهديد على منع نصيبهم الرجال قوامون على النساء يقومون
عليهن قيام الولاة على الرعية وعلل ذلك بامرين وهبي وكسبي فقال بما فضل الله بعضهم
على بعض بسبب تفضيله الرجال على النساء بكمال العقل وحسن التدبير ومزيد القوة في الاعمال
والطاعات ولذلك خصوا بالنبوة والامامة والولاية واقامة الشعائر والشهادة
في مجامع القضايا ووجوب الجهاد والجمعة ونحوها والتعصيب وزيادة السهم في الميراث
والاستبداد بالفراق وبما انفقوا من اموالهم في نكاحهن كالمهر والنفقة روي ان سعد
بن الربيع احد نقباء الانصار نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير فلطمها
فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلعم فشكى فقال عم لتقتص منه فنزلت فقال عم اردنا
امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير فالصالحات قانتات مطيعات لله قائمات بحقوق
الازواج حافظات للغيب لمواجب الغيب اي يحفظن في غيبة الازواج ما يجب حفظه في النفس

والمال وعنه عم خير النساء امرأة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك وان
غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها وتلا هذه الآية وقيل لاسرار ازواجهن بما حفظ الله
بحفظ الله اياهن بالامر على حفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له
او بالذي حفظه الله لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن وقرئ
بما حفظ الله بالنصب على ان ما موصولة فانها لو كانت مصدرية لم يكن لحفظ فاعل
والمعنى بالامر الذي يحفظ حق الله او طاعته وهو التعفف والشفقة على الرجال
واللاتي تخافون نشوزهن عصيانهن وترفعهن عن مطاوعة الازواج من النشز
فعظوهن واهجروهن في المضاجع في المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحف او لا تباشروهن
فيكون كناية عن الجماع وقيل المضاجع المبايت اي لا تبايتوهن واضربوهن
يعني ضربا غير مبرح ولا شائن والامور الثلاثة مرتبة ينبغي ان يتدرج فيها فان اطعنكم
فلا تبغوا عليهن سبيلا بالتوبيخ والايذاء والمعنى فازيلوا عنهن التعرض واجعلوا
ما كان منهن كان لم يكن فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له ان الله كان عليا
كبيرا فاحذروه فانه اقدر عليكم منكم على من تحت ايديكم او انه على علو شانه يتجاوز عن
سيئاتكم ويتوب عليكم فانتم احق بالعفو عن ازواجكم او انه تعالى وتكبر ان يظلم احدا
او ينقص حقه وان خفتم شقاق بينهما خلافا بين المرأة وزوجها اضمرهما وان لم يجر ذكرهما
لجري ما يدل عليهما واضافة الشقاق الى الظرف اما لاجرائه مجرى المفعول به كقوله
يا سارق الليلة او الفاعل كقولهم نهارك صائم فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها
فابعثوا ايها الحكام متى اشتبه عليكم حالهما لتبيين الامر واصلاح ذات البين رجلا
وسطا يصلح للحكومة والاصلاح من اهله واخر من اهلها فان الاقارب اعرف ببواطن
الاحوال واطلب للصلاح وهذا على وجه الاستحباب فلو نصبا من الاجانب جاز وقيل
الخطاب للازواج والزوجات واستدل به على جواز التحكيم والاظهر ان النصب لاصلاح
ذات البين او لتبيين الامر ولا يليان الجمع والتفريق الا باذن الزوجين وقال مالك لهما ان
يتخالعا ان وجدا الصلاح فيه ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما الضمير الاول للحكمين والثاني

للزوجين اي ان قصدا الاصلاح اوقع الله بحسن سعيهما الموافقة بين الزوجين وقيل
كلاهما للحكمين اي ان قصدا الاصلاح يوفق الله بينهما لتتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما
وقيل للزوجين اي ان ارادا الاصلاح وزوال الشقاق اوقع الله بينهما الالفة والوفاق
وفيه تنبيه على ان من اصلح نيته فيما يتحراه اصلح الله مبتغاه ان الله كان عليما خبيرا بالظواهر
والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق واعبدوا الله ولا تشركوا به
شيئا صنما او غيره او شيئا من الاشراك جليا او خفيا وبالوالدين احسانا واحسنوا
بهما احسانا وبذي القربى وبصاحب القرابة واليتامى والمساكين والجار ذي القربى
الذي قرب جواره وقيل الذي له مع الجوار قرب واتصال بنسب او دين وقرئ بالنصب
على الاختصاص تعظيما لحقه والجار الجنب البعيد او الذي لا قرابة له وعنه عليه السلام الجيران
ثلثة فجار له ثلثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الاسلام وجار له حقان حق الجوار
وحق الاسلام وجار له حق واحد وهو حق الجوار وهو المشرك من اهل الكتاب والصاحب
بالجنب الرفيق في امر حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فانه صحبك وحصل بجنبك وقيل
المرأة وابن السبيل المسافر او الضيف وما ملكت ايمانكم العبيد والاماء ان الله لا يحب
من كان مختالا متكبرا يانف عن اقاربه وجيرانه واصحابه ولا يلتفت اليهم فخورا
يتفاخر عليهم الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل بدل من قوله من كان ونصب على الذم
او رفع عليه اي هم الذين او مبتداء خبره محذوف تقديره الذين يبخلون بما منحوا به
ويأمرون الناس بالبخل به وقرأ حمزة والكسائي ههنا وفي الحديد بالبخل بفتح الحرفين
وهي لغة ويكتمون ما اتيهم الله من فضله العلم والغنى احقاء بكل ملامة واعتدنا للكافرين
عذابا مهينا وضع الظاهر فيه موضع المضمر اشعارا بان من هذا شانه فهو كافر لنعمة الله
ومن كان كافرا لنعمة الله فله عذاب يهينه كما اهان النعمة بالبخل والاخفاء والاية
نزلت في طائفة من اليهود كانوا يقولون للانصار تنصحا لا تنفقوا اموالكم فانا
نخشى عليكم الفقر وقيل في الذين كتموا صفة محمد عليه السلام والذين ينفقون اموالهم رئاء
الناس عطف على الذين يبخلون او الكافرين وانما شاركهم في الذم والوعيد لان البخل

والسرف الذي هو الانفاق لا على ما ينبغي من حيث انهما طرفا تفريط وافراط سواء في القبح
واستجلاب الذم او مبتداء خبره محذوف مدلول عليه بقوله ومن يكن الشيطان ولا يؤمنون
بالله ولا باليوم الاخر ليتحروا بالانفاق مراضيه وثوابه وهم مشركوا مكة وقيل المنافقون
ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا تنبيها على ان الشيطان قرنهم فحملهم على ذلك
وزينه لهم كقوله ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين والمراد ابليس واعوانه الداخلة
والخارجة ويجوز ان يكون وعيدا لهم بان يقرن بهم الشيطان في النار وماذا عليهم
لو امنوا بالله واليوم الاخر وانفقوا مما رزقهم الله اي وما الذي عليهم او اي
تبعة تحيق بهم بالايمان والانفاق في سبيل الله وهو توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة
والاعتقاد في الشيء على خلاف ما هو عليه وتحريض على التفكر لطلب الجواب لعله
يؤدي بهم الى العلم بما فيه من الفوائد الجليلة والعوائد الجميلة وتنبيه على ان المدعو الى
امر لا ضرر فيه ينبغي ان يجيب اليه احتياطا فكيف اذا تضمن المنافع وانما قدم الايمان
ههنا واخره في الاية الاخرى لان القصد بذكره الى التخصيص ههنا والتعليل ثم وكان الله
بهم عليما وعيد لهم ان الله لا يظلم مثقال ذرة لا ينقص من الاجر ولا يزيد في
العقاب اصغر شيء كالذرة وهي النملة الصغيرة ويقال لكل جزء من اجزاء الهباء والمثقال
مفعال من الثقل وفي ذكره ايماء الى انه وان صغر قدره عظم جزاؤه وان تك حسنة
وان يك مثقال الذرة حسنة وانث الضمير لتأنيث الخبر او لاضافة المثقال الى مؤنث
وحذف النون من غير قياس تشبيها بحروف العلة وقرأ ابن كثير ونافع حسنة بالرفع
على كان التامة يضاعفها يضاعف ثوابها وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعفها
وكلاهما بمعنى ويؤت من لدنه ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل زائدا على ما
وعد في مقابلة العمل اجرا عظيما عطاء جزيلا وانما سماه اجرا لانه تابع للاجر ومزيد
عليه فكيف حال هؤلاء الكفرة من اليهود والنصارى وغيرهم اذا جئنا من كل امة
بشهيد يعني نبيهم يشهد على فساد عقائدهم وقبح اعمالهم والعامل في الظرف مضمون
المبتداء والخبر من هول الامر وعظم الشان وجئنا بك يا محمد على هؤلاء شهيدا تشهد

على صدق هؤلاء الشهداء لحكمك بعقايدهم واستجماع شرعك مجامع قواعدهم
وقيل هؤلاء اشارة الى الكفرة المستفهم عن حالهم وقيل الى المؤمنين كقوله تعالى لتكونوا
شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول
لو تسوى بهم الارض بيان لحالهم حينئذ اى يود الذين جمعوا بين الكفر وعصيان الامر او الكفرة
والعصاة في ذلك الوقت ان يدفنوا فتسوى بهم الارض كالموتى او لم يبعثوا او لم يخلقوا
وكانوا هم والارض سواء ولا يكتمون الله حديثا ولا يقدرون على كتمانه لان جوارحهم
يشهد عليهم وقيل الواو للحال اى يودون ان تسوى بهم الارض وحالهم انهم لا يكتمون
الله حديثا ولا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين اذ روى انهم اذا قالوا
ذلك ختم الله على افواههم فتشهد عليهم جوارحهم فيشتد الامر عليهم فيتمنون ان تسوى
بهم الارض وقرأ نافع وابن عامر تسوى على ان اصله تتسوى فادغم التاء في السين وحمزة
والكسائي تسوى على حذف التاء الثانية يقال سويته فتسوى يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا
الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون اى لا تقوموا اليها وانتم سكارى من نحو
نوم او خمر حتى تنتبهوا وتعلموا ما تقولون في صلوتكم روى ان عبد الرحمن بن عوف
صنع مأدبة ودعى نفرا من الصحابة حين كانت الخمر مباحة فاكلوا وشربوا حتى ثملوا وجاء
وقت صلوة المغرب فتقدم احدهم ليصلي بهم فقرأ اعبد ما تعبدون فنزلت وقيل اراد
بالصلوة مواضعها وهي المساجد وليس المراد منه نهي السكران عن قربان الصلوة وانما المراد
النهي عن الافراط في الشرب والسكر من السكر وهو السد وقرئ سكارى بالفتح وسكرى
على انه جمع كهلكى او مفرد بمعنى وانتم قوم سكرى وسكرى كحبلى على انها صفة الجماعة
ولا جنبا عطف على قوله وانتم سكارى اذ الجملة في موضع النصب على الحال والجنب الذي
اصابته الجنابة يستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع لانه يجري مجرى المصدر
الا عابري سبيل متعلق بقوله ولا جنبا استثناء من اعم الاحوال اى لا تقربوا الصلوة جنبا
في عامة الاحوال الا في السفر وذلك اذا لم يجد الماء وتيمم ويشهد له تعقيبه بذكر
التيمم او صفة لقوله جنبا اى جنبا غير عابري سبيل وفيه دليل على ان التيمم لا يرفع

الحدث

الحدث ومن فسر الصلوة بمواضعها فسر عابري سبيل بالمجتازين فيها وجوز الجنب عبور
المسجد وبه قال الشافعي رض وقال ابو حنيفة رض لا يجوز له المرور في المسجد الا اذا كان
فيه الماء او الطريق حتى تغتسلوا غاية النهي عن القربان حال الجنابة وفي الآية تنبيه
على ان المصلي ينبغي ان يتحرز عما يلهيه ويشغل قلبه ويزكي نفسه عما يجب تطهيرها عنه
وان كنتم مرضى مرضا يخاف معه من استعمال الماء فان الواجد له كالفاقد او مرضا يمنعه
عن الوصول اليه بسبب ضعف حركتهم وعجزهم او على سفر لا تجدونه فيه او جاء احد منكم
من الغائط فاحدث بخروج الخارج من احد السبيلين واصل الغائط المطمئن من الارض
او لامستم النساء او ماسستم بشرتهن ببشرتكم وبه استدل الشافعي رض على ان اللمس
ينقض الوضوء وقيل او جامعتموهن وقرأ حمزة والكسائي ههنا وفي المائدة لمستم واستعماله
كناية عن الجماع اقل من الملامسة فلم تجدوا ماء فلم تتمكنوا من استعماله اذ الممنوع عنه
كالمفقود ووجه هذا التقسيم ان المرخص بالتيمم اما محدث او جنب والحال المقتضية
له في غالب الامر مرض او سفر والجنب لما سبق ذكره اقتصر على بيان حاله والمحدث لما لم يجر
ذكره ذكر اسبابه ما يحدث بالذات وما يحدث بالعرض واستغنى عن تفصيل احواله بتفصيل
حال الجنب وبيان العذر مجملا وكانه قيل وان كنتم جنبا مرضى او على سفر او محدثين
جئتم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم
وايديكم اى فتعمدوا شيئا من وجه الارض طاهرا ولذلك قالت الحنفية لو ضرب المتيمم
يده على حجر صلد ومسح به اجزأه وقال اصحابنا لا بد من ان يعلق باليد شيء من التراب
لقوله في المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اى من بعضه وجعل من لابتداء الغاية
تعسف اذ لا يفهم من نحو ذلك الا التبعيض واليد اسم للعضو الى المنكب وما روي انه عم
تيمم ومسح يديه الى مرفقيه والقياس على الوضوء دليل على ان المراد ههنا وايديكم الى المرافق
ان الله كان عفوا غفورا فلذلك يسر الامر عليكم ورخص لكم الم تر الى الذين اوتوا من رؤية
البصر اى الم تنظر اليهم او القلب وعدي بالى لتضمين معنى الانتهاء نصيبا من الكتاب حظا
يسيرا من علم التوراة لان المراد احبار اليهود يشترون الضلالة يختارونها على الهدى

او يستبدلونها به بعد تمكنهم منه او حصوله لهم بانكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل يأخذون
الرشى ويحرفون التورية ويريدون ان تضلوا ايها المؤمنون السبيل سبيل الحق والله اعلم
منكم باعدائكم وقد اخبركم بعداوة هؤلاء وما يريدون بكم فاحذروهم وكفى بالله وليا
يلي امركم وكفى بالله نصيرا يعينكم فثقوا عليه واكتفوا به عن غيره والباء تزاد في فاعل
كفى لتوكيد الاتصال الاسنادي بالاتصال الاضافي من الذين هادوا بيان للذين
اوتوا نصيبا فانه يحتملهم وغيرهم وما بينهما اعتراض او بيان لاعدائكم او صلة لنصيرا
اي ينصركم من الذين هادوا او يحفظكم منهم او خبر محذوف صفته يحرفون الكلم عن مواضعه
اي ومن الذين هادوا قوم يحرفون الكلم اي يميلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها بازالته
عنها واثبات غيره فيها او يؤولونه على ما يشتهون فيميلونه عما انزل الله فيه وقرئ
الكلم بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة ويقولون سمعنا قولك وعصينا
امرك واسمع غير مسمع اي مدعوا عليك بلا سمعت بصمم او موت او اسمع غير مجاب الى
ما تدعو اليه او اسمع غير مسمع كلاما ترضاه او اسمع كلاما غير مسمع اياك لان اذنك تنبو عنه
فيكون مفعولا به او اسمع غير مسمع مكروها من قولهم اسمعه فلان اذا سبه وانما قالوه
نفاقا وراعنا انظرنا نكلمك او نفهم كلامك ليا بالسنتهم فتلا بها وصرفا للكلام
الى ما يشبه السب حيث وضعوا راعنا المشابه لما يتسابون به موضع انظرنا وغير مسمع
موضع لا اسمعت مكروها او فتلا بها وضما ما يظهرون من الدعاء والتوقير الى ما يضمرون
من السب والتحقير نفاقا وطعنا في الدين استهزاء به وسخرية ولو انهم قالوا سمعنا
واطعنا واسمع وانظرنا ولو ثبت قولهم هذا مكان ما قالوه لكان خيرا لهم واقوم لكان
قولهم ذلك خيرا لهم واعدل وانما يجب حذف الفعل بعد لو في مثل ذلك لدلالة ان عليه ووقوعه
موقعه ولكن لعنهم الله بكفرهم ولكن خذلهم الله وابعدهم عن الهدى بسبب كفرهم فلا
يؤمنون الا قليلا الا ايمانا قليلا لا يعبأ به وهو الايمان ببعض الايات
والرسل ويجوز ان يراد بالقلة العدم كقوله قليل التشكي للمهم يصيبه كثير الهوى
شتى النوى والمسالك او الا قليلا منهم امنوا او سيؤمنون يا ايها الذين اوتوا

الكتاب

الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها
من قبل ان نمحو تخطيط صورها ونجعلها على هيئة ادبارها يعني الاقفاء او ننكسها
الى ورائها في الدنيا او في الآخرة واصل الطمس ازالة الاعلام المائلة وقد يطلق
بمعنى الطلس في ازالة الصورة ولمطلق القلب والتغيير ولذلك قيل معناه من قبل ان نغير
وجوها فنسلب وجاهتها واقبالها ونكسوها الصغار والادبار او نردها الى
حيث جاءت منه وهي اذرعات الشام يعني اجلاء بني النضير ويقرب منه قول من قال
ان المراد بالوجوه الرؤساء او من قبل ان نطمس وجوها بان نعمي الابصار عن الاعتبار
ونصم الاسماع عن الاصغاء الى الحق بالطبع ونردها عن الهداية الى الضلالة
او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت او نخزيهم بالمسخ كما اخزينا به اصحاب السبت او نمسخهم
مسخا مثل مسخهم او نلعنهم على لسانك كما لعناهم على لسان داود والضمير لاصحاب
الوجوه او للذين على طريقة الالتفات او للوجوه ان اريد به الوجهاء وعطفه على الطمس
بالمعنى الاول يدل على ان المراد به ليس مسخ الصورة في الدنيا ومن حمل الوعيد على تغيير
الصورة في الدنيا قال انه بعد مترقب او كان وقوعه مشروطا بعدم ايمانهم وقد
آمن منهم طائفة وكان امر الله بايقاع شيء او وعيده او ما حكم به وقضاه مفعولا
نافذا او كائنا فيقع لا محالة ما اوعدتم به ان لم تؤمنوا ان الله لا يغفر ان يشرك به
لانه بت الحكم على خلود عذابه وان ذنبه لا ينمحي عنه اثره فلا يستعد للعفو بخلاف غيره
ويغفر ما دون ذلك اي ما دون الشرك صغيرا كان او كبيرا لمن يشاء تفضلا عليه واحسانا
والمعتزلة علقوه بالفعلين على معنى ان الله لا يغفر الشرك لمن يشاء وهو من لم يتب ويغفر
ما دونه لمن يشاء وهو من تاب وفيه تقييد بلا دليل اذ ليس عموم آيات الوعيد بالمحافظة
اولى في آيات الوعد منه ونقض لمذهبهم فان تعليق الامر بالمشيئة ينافي وجوب التعذيب
قبل التوبة والصفح بعدها فالآية كما هي حجة عليهم فهي حجة على الخوارج الذين زعموا
ان كل ذنب شرك وان صاحبه خالد في النار ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما
ارتكب ما يستحقر دونه الآثام وهو اشارة الى المعنى الفارق بينه وبين سائر الذنوب

والافتراء كما يطلق على القول يطلق على الفعل وكذلك الاختلاق ألم تر إلى
الذين يزكون أنفسهم يعني أهل الكتاب قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه وقيل ناس
من اليهود جاؤوا بأطفالهم إلى رسول الله عم فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال لا قالوا
والله ما نحن إلا كهيئتهم ما عملنا بالنهار كفر عنا بالليل وما عملنا بالليل كفر عنا
بالنهار في معناهم من زكى نفسه وأثنى عليها بل الله يزكي من يشاء تنبيه على أن تزكيته
هو المعتد به دون تزكية غيره فإنه العالم بما ينطوي عليه الإنسان من حسن وقبح وقد
ذمهم وزكى المرتضين من عباده المؤمنين وأصل التزكية نفي ما يستقبح فعلا أو قولا
ولا يظلمون بالذم أو العقاب على تزكيتهم أنفسهم بغير حق فتيلا أدنى ظلم وأصغره وهو
الخيط الذي في شق النواة يضرب به المثل في الحقارة انظر كيف يفترون على الله الكذب
في زعمهم أنهم أبناء الله وأزكياء عنده وكفى به في زعمهم هذا أو بالافتراء إثما مبينا
لا يخفى كونه مأثما من بين آثامهم ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون
بالجبت والطاغوت نزلت في يهود كانوا يقولون إن عبادة الأصنام أرضى عند الله
تعالى مما يدعو إليه محمد عم وقيل في حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف في جمع من اليهود خرجوا
إلى مكة يحالفون قريشا على محاربة رسول الله عم فقالوا أنتم أهل كتاب وأنتم أقرب
إلى محمد منكم إلينا فلا نأمن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن إليكم ففعلوا والجبت
في الأصل اسم صنم فاستعمل في كل ما عبد من دون الله وقيل أصله الجبس وهو الذي لا خير فيه
فقلبت سينه تاء والطاغوت يطلق لكل باطل من معبود أو غيره ويقولون للذين كفروا
لأجلهم وفيهم هؤلاء إشارة إليهم أهدى من الذين آمنوا سبيلا أقوم دينا وأرشد
طريقا أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا يمنع العذاب عنه
بشفاعة أو غيرها أم لهم نصيب من الملك أم منقطعة ومعنى الهمزة إنكار أن يكون لهم
نصيب من الملك وجحد لما زعمت اليهود من أن الملك سيصير لهم فإذا لا يؤتون الناس
نقيرا أي لو كان لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون أحدا ما يوازي نقيرا وهو النقرة
في ظهر النواة وهذا هو الإغراق في بيان شحهم فإنهم بخلوا بالنقير وهم ملوك فما

فما ظنك بهم إذا كانوا أذلاء متفاقرين ويجوز أن يكون المعنى إنكار أنهم أوتوا نصيبا
من الملك على الكناية وأنهم لا يؤتون الناس شيئا وإذا إذا وقع بعد الواو والفاء
لا للتشريك مفرد جاز فيه الإلغاء والإعمال ولذلك قرئ فإذا لا يؤتوا على النصب
أم يحسدون الناس بل أيحسدون رسول الله وأصحابه أو العرب أو الناس جميعا لأن
من حسد على النبوة فكأنما حسد الناس كلهم كمالهم ورشدهم وبخهم وأنكر عليهم الحسد
كما ذمهم على البخل وهما شر الرذائل وكأن بينهما تلازما وتجاذبا على ما آتاهم الله من
فضله يعني النبوة والكتاب والنصرة والإعزاز وجعل النبي الموعود منهم فقد آتينا
آل إبراهيم الذين هم أسلاف محمد وأبناء عمه الكتاب والحكمة والنبوة وآتيناهم ملكا
عظيما فلا يبعد أن يؤتيه الله مثل ما آتاهم فمنهم من اليهود من آمن به بمحمد عم أو بما
ذكر من حديث آل إبراهيم ومنهم من صد عنه أعرض عنه ولم يؤمن به وقيل معناه
فمن آل إبراهيم من آمن به ومنهم من كفر ولم يكن في ذلك توهين أمره فكذا لا يوهن
كفر هؤلاء أمرك وكفى بجهنم سعيرا نارا مسعورة يعذبون بها أي إن لم يعجلوا
بالعقوبة فقد كفاهم ما أعد لهم من سعير جهنم إن الذين كفروا بآياتنا سوف
نصليهم نارا كالبيان والتقرير لذلك كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها
بأن يعاد ذلك الجلد بعينه على صورة أخرى كقولك بدلت الخاتم قرطا أو بأن يزال
عنه أثر الإحراق ليعود إحساسه للعذاب كما قال ليذوقوا العذاب أي ليدوم
لهم ذوقه وقيل يخلق مكانه جلدا آخر والعذاب في الحقيقة للنفس العاصية المدركة
لا لآلة إدراكها فلا محذور إن الله كان عزيزا لا يمتنع عليه ما يريد حكيما يعاقب
على وفق حكمته والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار
خالدين فيها أبدا قدم ذكر الكفار ووعيدهم على ذكر المؤمنين ووعدهم لأن
الكلام فيهم وذكر المؤمنين بالعرض لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا فينانا
لا جوب فيه ودائما لا تنسخه الشمس وهو إشارة إلى النعمة الدائمة والظليل صفة مشتقة
من الظل لتأكيده كقولهم شمس شامس وليل أليل ويوم أيوم إن الله يأمركم أن تؤدوا

الامانات الى اهلها خطاب يعم المكلفين والامانات وان نزلت يوم الفتح في عثمان
بن طلحة بن عبد الدار لما اغلق باب الكعبة وابى ان يدفع المفتاح ليدخل فيها وقال
لو علمت انه رسول الله صلى الله عليه وسلم لم امنعه فلوى علي يده واخذه منه وفتح فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة
فامره الله ان يرده اليه فامر عليا بان يرده ويعتذر اليه وصار ذلك سببا لاسلامه ونزل
الوحي بان السدانة في اولاده ابدا واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل اي وان تحكموا
بالانصاف والسوية اذا قضيتم بين من ينفذ عليه امركم او يرضى بحكمكم ولان الحكم وظيفة
الولاة قيل الخطاب لهم ان الله نعما يعظكم به اي نعم شيئا يعظكم به او نعم الشيء الذي يعظكم
به فما منصوبة موصوفة بيعظكم به او مرفوعة موصولة به والمخصوص بالمدح محذوف
وهو المأمور به من اداء الامانات والعدل في الحكومات ان الله كان سميعا بصيرا
باقوالكم واحكامكم وما تفعلون في الامانات يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا
الرسول واولي الامر منكم يريد به امراء المسلمين في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وبعده ويندرج فيهم
الخلفاء والقضاة وامراء السرية امر الناس بطاعتهم بعد ما امرهم بالعدل تنبيها على ان وجوب
طاعتهم ما داموا على الحق وقيل علماء الشرع لقوله تعالى ولو ردوه الى الرسول والى اولي
الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم فان تنازعتم انتم واولو الامر منكم في شيء من امور الدين
وهو يؤيد الوجه الاول اذ ليس للمقلد ان ينازع المجتهد في حكمه بخلاف المرؤوس الا ان يقال
الخطاب لاولي الامر على طريقة الالتفات فردوه فراجعوا فيه الى الله الى كتابه والرسول
بالسؤال عنه في زمانه والمراجعة الى سنته بعده واستدل به منكرو القياس وقالوا انه تعالى
اوجب رد المختلف الى الكتاب والسنة دون القياس واجيب بان رد المختلف الى المنصوص
عليه انما يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو القياس ويؤيد ذلك الامر به بعد الامر بطاعة
الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم فانه يدل على ان الاحكام ثلثة مثبت بالكتاب ومثبت بالسنة
ومثبت بالرد اليهما على وجه القياس ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر فان الايمان
يوجب ذلك ذلك اي الرد خير لكم واحسن تأويلا عاقبة او احسن تأويلا من تأويلكم

بلا رد الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون
ان يتحاكموا الى الطاغوت عن ابن عباس رضي الله عنه ان منافقا خاصم يهوديا فدعاه اليهودي
الى النبي صلى الله عليه وسلم ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم
لليهودي فلم يرض المنافق وقال نتحاكم الى عمر رضي الله عنه فقال اليهودي لعمر قضى لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلم يرض بقضائه وخاصم اليك فقال عمر رضي الله عنه للمنافق اكذلك فقال نعم فقال مكانكما حتى
اخرج اليكما فدخل فاخذ سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد وقال هكذا
اقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت وقال جبرئيل عليه السلام ان عمر فرق بين الحق والباطل
فسمي الفاروق والطاغوت على هذا كعب بن الاشرف وفي معناه من يحكم بالباطل
ويؤثر لاجله فسمي بذلك لفرط طغيانه او لتشبهه بالشيطان او لان التحاكم اليه تحاكم الى الشيطان
من حيث انه الحامل عليه كما قال وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا
بعيدا وقرئ ان يكفروا بها على ان الطاغوت جمع كقوله اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم
واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول وقرئ تعالوا بضم اللام على انه حذف
لام الفعل اعتباطا ثم ضم اللام لواو الضمير رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا هو
مصدر او اسم للمصدر الذي هو الصد والفرق بينه وبين السد انه غير محسوس والسد
محسوس ويصدون في موضع الحال فكيف يكون حالهم اذا اصابتهم مصيبة كقتل عمر المنافق
او النقمة من الله بما قدمت ايديهم من التحاكم الى غيرك وعدم الرضا بحكمك ثم جاؤوك حين
يصابون للاعتذار عطف على اصابتهم وقيل على يصدون وما بينهما اعتراض يحلفون
بالله حال ان اردنا الا احسانا وتوفيقا ما اردنا بذلك الا الفصل بالوجه الاحسن
والتوفيق بين الخصمين ولم نرد مخالفتك وقيل جاء اصحاب القتيل طالبين بدمه وقالوا
ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا ويوفق بينه وبين خصمه اولئك الذين
يعلم الله ما في قلوبهم من النفاق فلا يغني عنهم الكتمان والحلف الكاذب من العقاب
فاعرض عنهم اي عن عقابهم لمصلحة في استبقائهم او عن قبول معذرتهم وعظهم بلسانك
وكفهم عما هم عليه وقل لهم في انفسهم اي في معنى انفسهم او خاليا بهم فان النصح في السر

الجمع قولا بليغا يبلغ منهم ويؤثر فيهم امره بالتجافي عن ذنوبهم والنصح لهم والمبالغة
فيه بالترغيب والترهيب وذلك مقتضى شفقة الانبياء وتعليق الظرف ببليغا على معنى بليغا
في انفسهم مؤثرا فيها ضعيف لان معمول الصفة لا يتقدم الموصوف والقول البليغ في الاصل
هو الذي يطابق مدلوله المقصود به وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله بسبب اذنه
في طاعته وامر المبعوث اليهم بان يطيعوه وكانه احتج بذلك على ان الذي لم يرض بحكمه
وان اظهر الاسلام كان كافرا مستوجب القتل وتقريره ان ارسال الرسول لما لم يكن الا ليطاع
كان من لم يطعه ولم يرض بحكمه لم يقبل رسالته ومن كان كذلك كان كافرا مستوجب القتل
ولو انهم اذ ظلموا انفسهم بالنفاق او التحاكم الى الطاغوت جاؤوك تائبين من ذلك وهو خبر
ان واذ متعلق به فاستغفروا الله بالتوبة والاخلاص واستغفر لهم الرسول واعتذروا
اليك حتى انتصبت لهم شفيعا وانما عدل عن الخطاب تفخيما لشانه وتنبيها على ان من حق الرسول
ان يقبل اعتذار التائب وان عظم جرمه ويشفع له ومن منصبه ان يشفع في كبائر الذنوب
لوجدوا الله توابا رحيما لعلموه قابلا لتوبتهم متفضلا عليهم بالرحمة وان فسر وجد
بصادف كان توابا حالا ورحيما بدلا منه او حالا من الضمير فيه فلا وربك اي فوربك
ولا مزيدة لتاكيد القسم لا لتظاهر لا في قوله لا يؤمنون لانها تزاد ايضا في الاثبات
كقوله لا اقسم بهذا البلد حتى يحكموك فيما شجر بينهم فيما اختلف بينهم واختلط ومنه
الشجر لتداخل اغصانه ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ضيقا مما حكمت به او من حكمك
او شكا من اجله فان الشاك في ضيق من امره ويسلموا تسليما وينقادوا لك انقيادا بظاهرهم
وباطنهم ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم تعرضوا بها للقتل بالجهاد او اقتلوها كما
قتل بنو اسرائيل وان مصدرية او مفسرة لان كتبنا في معنى امرنا او اخرجوا من دياركم خروجهم
حين استتيبوا من عبادة العجل وقرا ابو عمرو ويعقوب ان اقتلوا بكسر النون على الاصل
في التحريك واخرجوا بضم الواو للاتباع والتشبيه بواو الجمع في نحو ولا تنسوا الفضل
وقرا عاصم وحمزة بكسرهما على الاصل والباقون بضمهما اجراء لهما مجرى الهمزة المتصلة بالفعل
ما فعلوه الا قليل منهم الا اناس قليل وهم المخلصون لما بين ان ايمانهم لا يتم الا بان يسلموا

حق التسليم نبه على قصور اكثرهم ووهن اسلامهم والضمير للمكتوب ودل عليه كتبنا او لاحد مصدري
الفعلين وقرا ابن عامر بالنصب على الاستثناء او على معنى الا فعلا قليلا ولو انهم فعلوا ما يوعظون به
من متابعة الرسول عم وطاعته طوعا ورغبة لكان خيرا لهم في عاجلهم وآجلهم واشد تثبيتا
لثواب اعمالهم ونصبه على التمييز والآية ايضا مما نزلت في شان المنافق واليهودي وقيل انها والتي
قبلها نزلتا في حاطب بن ابي بلتعة خاصم زبيرا في شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل
فقال عم اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فقال حاطب لان كان ابن عمتك فقال عم
اسق يا زبير ثم احبس الماء الى الجدر واستوف حقك ثم ارسله الى جارك واذا لآتيناهم من
لدنا اجرا عظيما جواب لسؤال مقدر كانه قيل وما يكون لهم بعد التثبيت فقال واذا
لو تثبتوا لآتيناهم لان اذا جواب وجزاء ولهديناهم صراطا مستقيما يصلون بسلوكه
جناب القدس ويفتح عليهم ابواب الغيب قال عم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم
ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم مزيد ترغيب في الطاعة بالوعد
عليها مرافقة اكرم الخلائق واعظمهم قدرا من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
بيان للذين او حال منه او من ضميره قسمهم اربعة اقسام بحسب منازلهم في العلم والعمل وحث
كافة الناس على ان لا يتاخروا عنهم وهم الانبياء الفائزون بكمال العلم والعمل المتجاوزون
حد الكمال الى درجة التكميل ثم الصديقون الذين صعدت نفوسهم تارة بمراقي النظر في الحجج
والآيات واخرى بمعارج التصفية والرياضات الى اوج العرفان حتى اطلعوا على الاشياء
واخبروا عنها على ما هي عليها ثم الشهداء الذين ادى بهم الحرص على الطاعة والجد في اظهار الحق
حتى بذلوا مهجهم في اعلاء كلمة الله ثم الصالحون الذين صرفوا اعمارهم في طاعة الله
واموالهم في مرضاته ولك ان تقول المنعم عليهم هم العارفون بالله وهؤلاء اما ان يكونوا
بالغين درجة العيان او واقفين في مقام الاستدلال والبرهان والاولون اما ان ينالوا
مع العيان القرب بحيث يكونون كمن يرى الشيء قريبا وهم الانبياء اولا فيكونون كمن يرى
الشيء من بعيد وهم الصديقون والآخرون اما ان يكون عرفانهم بالبراهين القاطعة وهم
العلماء الراسخون الذين هم شهداء الله في الارض واما ان يكون بامارات واقناعات

تطمئن اليها نفوسهم وهم الصالحون وحسن اولئك رفيقا في معنى التعجب ورفيقا نصب
على التمييز او الحال ولم يجمع لانه يقال للواحد والجمع كالصديق او لانه اريد وحسن كل واحد
منهم رفيقا روي ان ثوبان مولى رسول الله ﷺ اتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه
فسأله عن حاله فقال ما بي من وجع غير اني اذا لم ارك اشتقت اليك واستوحشت وحشة
شديدة حتى القاك ثم ذكرت الاخرة فخفت ان لا اراك هناك لاني عرفت انك ترفع
مع النبيين وان ادخلت الجنة كنت في منزل دون منزلك وان لم ادخل فذاك حين لا اراك
ابدا فنزلت ذلك اشارة الى ما للمطيعين من الاجر ومزيد الهداية ومرافقة المنعم عليهم
او الى فضل هؤلاء المنعم عليهم ومزيتهم الفضل صفته من الله خبره او الفضل خبره ومن الله
حال والعامل فيه معنى الاشارة وكفى بالله عليما بجزاء من اطاعه او بمقادير الفضل
واستحقاق اهله يا ايها الذين امنوا خذوا حذركم تيقظوا واستعدوا للاعداء والحذر
والحذر كالاثر والاثر وقيل ما يحذر به كالحزم والسلاح فانفروا فاخرجوا الى الجهاد
ثبات جماعات متفرقة جمع ثبة من ثبيت على فلان تثبية اذا ذكرت متفرق محاسنه ويجمع ايضا
على ثبين جبرا لما حذف من عجزه او انفروا جميعا مجتمعين كوكبة واحدة والاية وان نزلت
في الحرب لكن يقتضي اطلاق لفظها وجوب المبادرة الى الخيرات كلها كيفما امكن قبل الفوات
وان منكم لمن ليبطئن الخطاب لعسكر رسول الله ﷺ المؤمنين منهم والمنافقين والمبطئون
منافقوهم تثاقلوا وتخلفوا عن الجهاد من بطأ بمعنى ابطأ وهو لازم او ليبطئن
غيرهم كما ثبط ابن ابي ناسا يوم احد من بطأ منقولا من بطؤ كثقل من ثقل واللام الاولى
للابتداء دخلت على اسم ان للفصل بالخبر والثانية جواب قسم محذوف والقسم بجوابه
صلة من والراجع اليه ما استكن في ليبطئن والتقدير وان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن
فان اصابتكم مصيبة كقتل وهزيمة قال اي المبطئ قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا
اي حاضرا فيصيبني ما اصابهم ولئن اصابكم فضل من الله كفتح وغنيمة ليقولن اكده تنبيها
على فرط تحسرهم وقرئ بضم اللام اعادة للضمير على معنى من كان لم تكن بينكم وبينه مودة
اعتراض بين الفعل ومفعوله وهو يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما للتنبيه على ضعف

عقيدتهم وان قولهم هذا قول من لا مواصلة بينكم وبينه وانما يريد ان يكون معكم لمجرد المال
او حال عن الضمير في ليقولن او داخل في المقول اي يقول المبطئ لمن يثبطه من المنافقين وضعفة
المسلمين تضريبا وحسدا كان لم يكن بينكم وبين محمد ﷺ مودة حيث لم يستعن بكم فتفوزوا
بما فاز يا ليتني كنت معهم وقيل انه متصل بالجملة الاولى وهو ضعيف اذ لا يفصل ابعاض
الجملة بما لا يتعلق بها لفظا ومعنى وكان مخففة من الثقيلة واسمه ضمير الشان بالتاء لتانيث
لفظ المودة والمنادى في يا ليتني محذوف اي يا قوم وقيل يا اطلق للتنبيه على الاتساع
فافوز نصب على جواب التمني وقرئ بالرفع على تقدير فانا افوز في ذلك الوقت او العطف
على كنت فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالاخرة اي الذين يبيعونها
بها والمعنى ان بطأ هؤلاء عن القتال فليقاتل المخلصون الباذلون انفسهم في طلب الاخرة
او الذين يشترونها ويختارونها على الاخرة وهم المبطئون والمعنى حثهم على ترك ما حكي
عنهم ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما وعد له الاجر العظيم
غلب او غلب ترغيبا في القتال وتكذيبا لقولهم قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا
وانما قال فيقتل او يغلب تنبيها على ان المجاهد ينبغي ان يثبت في المعركة حتى يعز نفسه بالشهادة
او الدين بالظفر والغلبة وان لا يكون قصده بالذات الى القتل بل الى اعلاء الحق واعزاز الدين
وما لكم مبتدأ وخبر لا تقاتلون في سبيل الله حال والعامل فيها ما في الظرف من معنى الفعل والمستضعفين
عطف على اسم الله تعالى اي في سبيل المستضعفين وهو تخليصهم من الاسر وصونهم عن العدو
او على السبيل بحذف المضاف اي وفي خلاص المستضعفين ويجوز نصبه على الاختصاص فان
سبيل الله تعالى يعم ابواب الخيرات وتخليص ضعفة المسلمين من ايدي الكفار اعظمها واخصها
من الرجال والنساء والولدان بيان للمستضعفين وهم المسلمون الذين بقوا بمكة لصد المشركين
او ضعفهم عن الهجرة مستذلين ممتحنين وانما ذكر الولدان مبالغة في الحث وتنبيها على تناهي
ظلم المشركين بحيث بلغ اذاهم الصبيان وان دعوتهم اجيبت بسبب مشاركتهم في الدعاء
حتى تشاركوا في استنزال الرحمة واستدفاع البلية وقيل المراد به العبيد والاماء وهو
جمع وليد الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك

ومخففة وقرأ ابن كثير وحفص عن
عاصم ورويس عن يعقوب

وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا فاستجاب الله دعاءهم بان يسر لبعضهم الخروج الى الله
وجعل لمن بقي منهم خير ولي وخير ناصر بفتح مكة على نبيه م فتولاهم ونصرهم ثم استعمل عليهم عتاب
بن اسيد فحماهم ونصرهم حتى صاروا اعز اهلها والقرية مكة والظالم صفتها وتذكيره لتذكير
ما اسند اليه فان اسم الفاعل والمفعول اذا جرى على غير من هو له كان كالفعل يذكر ويؤنث
على حسب ما عمل فيه الذين امنوا يقاتلون في سبيل الله فيما يصلون به الى الله والذين كفروا
يقاتلون في سبيل الطاغوت فيما يبلغ بهم الى الشيطان فقاتلوا اولياء الشيطان لما
ذكر مقصد الفريقين امر اولياءه ان يقاتلوا اولياء الشيطان ثم شجعهم بقوله ان كيد الشيطان
كان ضعيفا اى ان كيده للمؤمنين بالاضافة الى كيد الله للكافرين ضعيف لا يؤبه به
فلا تخافوا اولياءه فان اعتمادهم على اضعف شيء واوهنه الم تر الى الذين قيل لهم كفوا
ايديكم اى عن القتال واقيموا الصلوة واتوا الزكوة واشتغلوا بما امرتم به فلما كتب عليهم
القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله يخشون الكفار ان يقتلوهم كما يخشون
الله ان ينزل عليهم بأسه واذا للمفاجاة جواب لما وفريق مبتدا منهم صفته يخشون خبره
كخشية الله من اضافة المصدر الى المفعول وقع موقع المصدر او الحال من فاعل يخشون على معنى
يخشون الناس مثل اهل خشية الله منه او اشد خشية عطف عليه ان جعلته حالا وان جعلته
مصدرا فلا لان افعل التفضيل اذا نصب ما بعده لم يكن من جنسه بل هو معطوف على اسم الله
اى كخشية الله او كخشية اشد خشية منه على الفرض اللهم الا ان تجعل الخشية ذات خشية
كقولهم جد جده على معنى يخشون الناس خشية مثل خشية الله او خشية اشد خشية من خشية الله
وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب استزادة في مدة الكف عن
القتال حذرا عن الموت ويحتمل انهم ما تفوهوا به ولكن قالوه في انفسهم فحكى الله عنهم
قل متاع الدنيا قليل سريع التقضي والاخرة خير لمن اتقى ولا يظلمون فتيلا ولا ينقصون ادنى
شيء من ثوابكم فلا ترغبوا عنه او من اجالكم المقدرة وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي ولا يظلمون
لتقدم الغيبة اينما تكونوا يدرككم الموت وقرى بالرفع على حذف الفاء كما في قوله من يفعل
الحسنات الله يشكرها او على انه كلام مبتدا واينما متصل بلا تظلمون ولو كنتم في بروج مشيدة

فى قصور

في قصور او حصون مرتفعة والبروج في الاصل بيوت على اطراف القصر من تبرجت المراة اذا
ظهرت وقرى مشيدة بكسر الياء وصفا لها بوصف فاعلها كقولهم قصيدة شاعرة ومشيدة من شاد القصر
اذا رفعه وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك
كما تقع الحسنة والسيئة على الطاعة والمعصية يقعان على النعمة والبلية وهما المراد في الاية
اى ان تصبهم نعمة كخصب نسبوها الى الله وان تصبهم بلية كقحط اضافوها اليك وقالوا
ان هي الا بشومك كما قالت اليهود منذ دخل محمد المدينة نقصت ثمارها وغلت اسعارها
قل كل من عند الله يبسط ويقبض حسب ارادته فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا
يوعظون به وهو القران فانهم لو فهموه وتدبروا معانيه لعلموا ان الكل من الله او حديثا ما
كبهائم لا افهام لها او حادث من صروف الزمان فيتفكروا فيها فيعلموا ان الباسط والقابض
هو الله تعالى ما اصابك يا انسان من حسنة من نعمة فمن الله تفضلا منه فان كل ما يفعله الانسان
من الطاعة لا يكافئ نعمة الوجود فكيف يقتضي غيره ولذلك قال عم ما احد يدخل الجنة
الا برحمة الله قيل ولا انت قال ولا انا وما اصابك من سيئة من بلية فمن نفسك لانها
السبب فيها لاستجلابها بالمعاصي وهو لا ينافي قوله قل كل من عند الله فان الكل منه ايجادا
وايصالا غير ان الحسنة احسان وامتحان والسيئة مجازاة وانتقام كما قالت عائشة رض
ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب
وما يعفو الله اكثر والايتان كما ترى لا حجة فيهما لنا ولا للمعتزلة وارسلناك للناس رسولا
حال قصد بها التاكيد ان علق الجار بالفعل والتعميم ان علق بها اى رسولا للناس جميعا كقوله
وما ارسلناك الا كافة للناس ويجوز نصبه على المصدر كقوله ولا خارجا من في زور كلام
وكفى بالله شهيدا على رسالتك بنصب المعجزات من يطع الرسول فقد اطاع الله لانه في الحقيقة
مبلغ والامر هو الله روى انه عم قال من احبني فقد احب الله ومن اطاعني فقد اطاع الله
فقال المنافقون لقد قارف الشرك وهو ينهى عنه ما يريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذت
النصارى عيسى فنزلت ومن تولى عن طاعته فما ارسلناك عليهم حفيظا تحفظ عليهم
اعمالهم وتحاسبهم انما عليك الا البلاغ وعلينا الحساب وهو حال الكاف ويقولون

اذا امرتهم بامر طاعة اى امرنا طاعة او منا طاعة واصلها النصب على المصدر ورفعها
للدلالة على الثبات فاذا برزوا من عندك خرجوا بيت طايفة منهم غير الذى تقول
اى زورت خلاف ما قلت لها او خلاف ما قالت لك من القبول وضمان الطاعة والتبييت
اما من البيتوتة لان الامور تدبر بالليل او بيت الشعر او البيت المبنى لانه يسوى ويدبر
وقرا ابو عمرو وحمزة بيت طايفة بالادغام لقربهما فى المخرج والله يكتب ما يبيتون
يثبته فى صحايفهم للمجازاة او فى جملة ما يوحى اليك لنطلع على اسرارهم فاعرض
عنهم قلل المبالاة بهم او تجاف عنهم وتوكل على الله فى الامور كلها سيما فى شانهم
وكفى بالله وكيلا يكفيك معرتهم وينتقم لك منهم افلا يتدبرون القران يتاملون فى
معانيه ويتبصرون ما فيه واصل التدبر النظر فى ادبار الشئ ولو كان من عند غير الله
اى ولو كان كلام البشر كما زعم الكفار لوجدوا فيه اختلافا كثيرا من تناقض المعنى
وتفاوت النظم وكان بعضه فصيحا وبعضه ركيكا وبعضه تصعب معارضته
وبعضه تسهل ومطابقة بعض اخباره المستقبلة للواقع دون بعض وموافقة
العقل لبعض احكامه دون بعض على ما دل عليه الاستقراء لنقصان القوة البشرية
ولعل ذكره ههنا للتنبيه على ان اختلاف ما سبق من الاحكام ليس لتناقض فى الحكم بل لاختلاف
الاحوال فى الحكم والمصالح واذا جاءهم امر من الامن او الخوف مما يوجب الامن او الخوف
اذاعوا به افشوه كما كان يفعله قوم من ضعفة المسلمين اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله
عم او اخبرهم الرسول بالوحى اليه من وعد بالظفر او تخويف من الكفرة اذاعوا به
لعدم حزمهم وكانت اذاعتهم مفسدة والباء مزيدة او لتضمن الاذاعة معنى التحدث
ولو ردوه الى الرسول لو ردوا ذلك الخبر الى الرسول والى اولى الامر منهم الى رايه عم
والى راى كبار الصحابة البصراء بالامور او الامراء لعلمه اى لعلم على اى وجه يذكره
الذين يستنبطونه منهم يستخرجون تدبيره بتجاربهم وانظارهم وقيل كانوا يسمعون
اراجيف المنافقين فيذيعونها فتعود وبالا على المسلمين ولو ردوه الى الرسول والى
اولى الامر منهم لعلمه اى لعلم تدبير ما اخبروا به حتى سمعوه منهم وتعرفوا انه هل يذاع لعلم

ذلك من هولاء الذين يستنبطونه منهم من الرسول واولى الامر اى يستخرجون علمه
من جهتهم واصل الاستنباط اخراج النبط وهو الماء يخرج من البئر اول ما يحفر ولولا فضل الله
عليكم ورحمته بارسال الرسول وانزال الكتاب لاتبعتم الشيطان بالكفر والضلال الا
قليلا الا قليلا منكم تفضل الله عليه بعقل راجح اهتدى به الى الحق والصواب وعصمه
عن متابعة الشيطان كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل او الا اتباعا قليلا
على الندور فقاتل فى سبيل الله ان تثبطوا او تركوك وحدك لا تكلف الا نفسك
الا فعل نفسك لا يضرك الا مخالفتهم وتقاعدهم فتقدم الى الجهاد وان لم يساعدك
احد فان الله ناصرك لا الجنود روى انه عم دعا الناس فى بدر الصغرى الى الخروج
فكرهه بعضهم فنزلت فخرج وما معه الا سبعون لم يلو على احد وقرى لا تكلف بالجزم
ولا نكلف بالنون على بناء الفاعل اى لا نكلفك الا فعل نفسك لا انا لا نكلف احدا
الا نفسك لقوله وحرض المومنين على القتال اذ ما عليك فى شانهم الا التحريض عسى
الله ان يكف باس الذين كفروا يعنى قريشا وقد فعل بان القى فى قلوبهم الرعب حتى
رجعوا والله اشد باسا من قريش واشد تنكيلا تعذيبا منهم وهو تقريع وتهديد
لمن لم يتبعه من يشفع شفاعة حسنة راعى بها حق مسلم ودفع بها عنه ضررا او جلب اليه نفعا
ابتغاء لوجه الله ومنها الدعاء للمسلم قال عم من دعا لاخيه المسلم بظهر القلب
استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك يكن له نصيب منها وهو ثواب الشفاعة
والتسبب الى الخير الواقع بها ومن يشفع شفاعة سيئة يريد بها محرما يكن له كفل منها
نصيب من وزرها مساو لها فى القدر وكان الله على كل شئ مقيتا مقتدرا من اقات
على الشئ اذا قدر قال وذى ضغن كففت الضغن عنه وكنت على اساءته مقيتا
او شهيدا حافظا واشتقاقه من القوت فانه يقوى البدن ويحفظه واذا حييتم
بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها الجمهور على انه فى السلام ويدل على وجوب
الجواب اما باحسن منه وهو ان يزيد عليه ورحمة الله فان قاله المسلم زاد وبركاته
وهى النهاية واما برد مثله لما روى ان رجلا قال لرسول الله عم السلام عليك فقال

وعليكم السلام ورحمة الله وقال آخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام
ورحمة الله وبركاته وقال آخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك
فقال الرجل نقصتني فاين ما قال الله تع وتلا هذه الآية فقال انك لم تترك لي فضلا
فرددت عليك مثله وذلك لاستجماعه اقسام المطالب التي هي السلامة عن المضار وحصول
المنافع وثباتها ومنه قيل او للترديد بين ان يحيي المسلم ببعض التحية وبين ان يحيي بتمامها
وهذا الوجوب على الكفاية وحيث السلام مشروع فلا يرد في الخطبة وقراءة القرآن
وفي الحمام وعند قضاء الحاجة ونحوها والتحية في الاصل مصدر حياك الله على الاخبار
من الحيوة ثم استعمل للحكم والدعاء بذلك ثم قيل لكل دعاء فغلب في السلام وقيل المراد
بالتحية العطية ويوجب الثواب والرد على المتهب وهو قول قديم للشافعي ان الله
كان على كل شيء حسيبا يحاسبكم على التحية وغيرها الله لا اله الا هو مبتدأ وخبر او الله
مبتدأ والخبر ليجمعنكم الى يوم القيمة اي الله والله ليحشرنكم من قبوركم الى يوم القيمة او مفضين
اليه او في يوم القيمة ولا اله الا هو اعتراض والقيام والقيمة كالطلاب والطلابة
وهي قيام الناس من القبور او للحساب لا ريب فيه في اليوم او في الجمع فهو حال من اليوم او صفة
للمصدر ومن اصدق من الله حديثا انكار ان يكون احد اكثر صدقا منه فانه لا يتطرق
الكذب الى خبره بوجه لانه نقص وهو على الله محال فما لكم في المنافقين فما لكم تفرقتم في امر
المنافقين فئتين فرقتين ولم تتفقوا على كفرهم وذلك ان ناسا منهم استأذنوا رسول الله صلعم
في الخروج الى البدو لاجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى
لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون في اسلامهم وقيل نزلت في المتخلفين يوم احد او في قوم
هاجروا ثم رجعوا معتلين باجتواء المدينة والاشتياق الى الوطن او قوم اظهروا الاسلام
وقعدوا عن الهجرة وفئتين حال عاملها لكم كقولك ما لك قائما وفي المنافقين حال من فئتين
اي متفرقين فيهم او من الضمير اي فما لكم تفترقون فيهم ومعنى الافتراق مستفاد من فئتين
والله اركسهم بما كسبوا ردهم الى حكم الكفرة او نكسهم بان صيرهم للنار واصل الركس
رد الشيء مقلوبا اتريدون ان تهدوا من اضل الله ان تجعلوه من المهتدين ومن يضلل الله

فلن

فلن تجد له سبيلا الى الهدى ودوا لو تكفرون كما كفروا تمنوا ان تكفروا ككفرهم فتكونون سواء
فتكونون معهم سواء في الضلال وهو عطف على تكفرون ولو نصب على جواب التمني لجاز فلا
تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فلا توالوهم حتى يؤمنوا ويحققوا ايمانهم
بهجرة هي لله ورسوله لا لاغراض الدنيا وسبيل الله ما امر بسلوكه فان تولوا عن الايمان
الظاهر بالهجرة او عن اظهار الايمان فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم كسائر الكفرة
ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا اي جانبوهم رأسا ولا تقبلوا منهم ولاية ونصرة
الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم
اي الا الذين يتصلون وينتهون الى قوم عاهدوكم ويفارقون محاربيكم والقوم هم
خزاعة وقيل الاسلميون فانه عم وادع وقت خروجه الى مكة هلال بن عويمر الاسلمي
على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن لجأ اليه فله من الجوار مثل ماله وقيل بنو بكر بن زيد مناة
او جاؤكم عطف على الصلة اي او الذين جاؤكم كافين عن قتالكم وقتال قومهم استثنى
عن المأمور باخذهم وقتلهم من ترك المحاربين فلحق بالمعاهدين او اتى الرسول وكف عن
قتال الفريقين او على صفة قوم فكانه قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين او قوم كافين
عن القتال لكم وعليكم والاول اظهر لقوله فان اعتزلوكم وقرئ بغير العاطف على انه صفة
بعد صفة او بيان ليصلون او استئناف حصرت صدورهم حال باضمار قد ويدل عليه انه
قرئ حصرة صدورهم وحصرات او بيان لجاؤكم وقيل صفة محذوف اي جاؤكم قوما حصرت
صدورهم وهم بنو مدلج جاؤا رسول الله صلعم غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض ان
يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم اي عن ان او لان او كراهة ان يقاتلوكم ولو شاء الله لسلطهم
عليكم بان قوى قلوبهم وبسط صدورهم وازال الرعب عنهم فلقاتلوكم ولم يكفوا عنكم
فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم فان لم يتعرضوا لكم والقوا اليكم السلم الاستسلام والانقياد
فما جعل الله لكم عليهم سبيلا فما اذن لكم في اخذهم وقتلهم ستجدون آخرين يريدون ان
يأمنوكم ويأمنوا قومهم هم اسد وغطفان وقيل بنو عبد الدار اتوا المدينة واظهروا
الاسلام ليأمنوا المسلمين فلما رجعوا كفروا كلما ردوا الى الفتنة دعوا الى الكفر

او الى قتال المسلمين اركسوا فيها عادوا اليها وقلبوا فيها اقبح قلب فان لم يعتزلوكم
ويلقوا اليكم السلم وينبذوا اليكم العهد ويكفوا ايديهم عن قتالكم فخذوهم واقتلوهم
حيث ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم فان مجرد الكف لا يوجب نفي التعرض واولئكم جعلنا لكم
عليهم سلطانا مبينا حجة واضحة في التعرض لهم بالقتل والسبي لظهور عداوتهم ووضوح
كفرهم وغدرهم او تسلطا ظاهرا حيث اذن لكم في قتلهم وما كان لمؤمن وما صح له
وليس من شانه ان يقتل مؤمنا بغير حق الا خطا فانه على عرضته ونصبه على الحال
او المفعول له اي لا يقتله في شيء من الاحوال الا حال الخطا او لا يقتله لعلة الا للخطا
او على انه صفة مصدر محذوف اي الا قتلا خطا وقيل ما كان نفي في معنى النهي والاستثناء
منقطع اي لكن ان قتله خطا فجزاؤه ما يذكر والخطا ما لا يضامه القصد الى الفعل
او الشخص او ما لا يقصد به زهوق الروح غالبا او لا يقصد به محظور كرمي مسلم في صف
الكفار مع الجهل باسلامه او يكون فعل غير المكلف وقرئ خطاء بالمد وخطا كعصا بتخفيف
الهمزة والاية نزلت في عياش بن ابي ربيعة اخي ابي جهل من الام لقي الحارث بن زيد في
طريق وكان قد اسلم ولم يشعر به عياش فقتله ومن قتل مؤمنا خطا فتحرير رقبة اي فعليه
او فواجبه تحرير رقبة والتحرير الاعتاق والحر كالعتيق للكريم من الشيء ومنه حر الوجه لاكرم
موضع منه سمي به لان الكرم في الاحرار والرقبة عبر بها عن النسمة كما عبر عنها بالراس
مؤمنة محكوم باسلامها وان كانت صغيرة ودية مسلمة الى اهله مؤداة الى ورثته
يقتسمونها كسائر المواريث لقول الضحاك بن سفيان الكلابي كتب الي رسول الله صلعم
يامرني ان اورث امراة من عقل زوجها وهي على العاقلة فان لم يكن فعلى بيت
المال فان لم يكن ففي ماله الا ان يصدقوا الا ان يتصدقوا عليه بالدية سمي العفو عنها صدقة
حثا عليه وتنبيها على فضله وعن النبي صلعم كل معروف صدقة وهو متعلق بعليه او بمسلمة اي تجب
الدية عليه او يسلمها الى اهلها الا حال تصدقهم عليه او زمانه فهو في محل النصب على الحال
من القاتل او الاهل او على الظرف فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة
اي ان كان المقتول من قوم كفار محاربين او في تضاعيفهم ولم يعلم ايمانه فعلى قاتله

الكفارة دون الدية لاهله اذ لا وراثة بينه وبينهم ولانهم محاربون وان كان من قوم
بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة وان كان من قوم كفرة
معاهدين او اهل الذمة فحكمه حكم المسلم في وجوب الكفارة والدية ولعله فيما اذا كان
المقتول معاهدا او كان له وارث مسلم فمن لم يجد رقبة بان لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها
فصيام شهرين متتابعين فعليه او فالواجب عليه صيام شهرين توبة نصب على المفعول له اي شرع
ذلك توبة من تاب الله عليه اذا قبل توبته او على المصدر اي وتاب الله عليكم توبة او حال
بحذف مضاف اي فعليه صيام شهرين ذا توبة من الله وكان الله عليما بحاله حكيما
فيما امر في شانه ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه
واعد له عذابا عظيما لما فيه من التهديد العظيم قال ابن عباس رض لا يقبل توبة قاتل المؤمن
عمدا ولعله اراد به التشديد اذ روي عنه خلافه والجمهور على انه مخصوص بمن لم يتب لقوله
واني لغفار لمن تاب ونحوه وهو عندنا اما مخصوص بالمستحل له كما ذكره عكرمة وغيره
ويؤيده انه نزل في مقيس بن ضبابة وجد اخاه هشاما قتيلا في بني النجار ولم يظهر قاتله
فامرهم رسول الله صلعم ان يدفعوا اليه ديته فدفعوا اليه ثم حمل على مسلم فقتله ورجع الى
مكة مرتدا او المراد بالخلود المكث الطويل فان الدلائل متظاهرة على ان عصاة المسلمين
لا يدوم عذابهم يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم في سبيل الله سافرتم وذهبتم للغزو
فتبينوا فاطلبوا بيان الامر وثباته ولا تعجلوا فيه وقرا حمزة والكسائي فتثبتوا من التثبت
في الموضعين هنا وفي الحجرات ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لمن حياكم بتحية الاسلام وقرا
نافع وابن عامر وحمزة السلم بغير الف اي الاستسلام والانقياد وفسر به السلام ايضا
لست مؤمنا وانما فعلت ذلك متعوذا وقرئ مؤمنا بالفتح اي مبذولا له الامان تبتغون
عرض الحيوة الدنيا تطلبون ماله الذي هو حطام سريع النفاد وهو حال من الضمير في تقولوا
مشعر بما هو الحامل لهم على العجلة وترك التثبت فعند الله مغانم كثيرة يغنيكم عن قتل امثاله
لماله كذلك كنتم من قبل اي اول ما دخلتم في الاسلام تفوهتم بكلمتي الشهادة فحصنت بها
دماؤكم واموالكم من غير ان تعلم مواطاة قلوبكم السنتكم فمن الله عليكم بالاشتهار بالايمان

والاستقامة في الدين فتبينوا ما فعلوا بالداخلين في الاسلام كما فعل الله بكم ولا تبادروا
الى قتلهم ظنا بانهم دخلوا فيه اتقاء وخوفا فان ابقاء الف كافر اهون عند الله من قتل
امرئ مسلم وتكريره تاكيد لتعظيم الامر وترتيب الحكم على ما ذكر من حالهم ان الله كان بما تعملون
خبيرا عالما به وبالغرض منه فلا تتهافتوا في القتل واحتاطوا فيه روي ان سرية لرسول الله صلعم
غزت اهل فدك فهربوا وبقي مرداس ثقة باسلامه فلما راى الخيل الجا غنمه الى عاقول
من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام
عليكم فقتله اسامة واستاق غنمه فنزلت وقيل نزلت في المقداد مر برجل في غنيمة فاراد قتله
فقال لا اله الا الله فقتله وقال ود لو فر باهله وماله وفيه دليل على صحة ايمان
المكره وان المجتهد قد يخطئ وان خطاه مغتفر لا يستوي القاعدون من المؤمنين
في موضع الحال من القاعدين او من الضمير الذي فيه غير اولي الضرر بالرفع صفة
للقاعدين لانه لم يقصد به قوم باعيانهم او بدل منه وقرأ نافع وابن عامر والكسائي
بالنصب على الحال او الاستثناء وقرئ بالجر على انه صفة للمؤمنين او بدل منه وعن
زيد بن ثابت انها نزلت ولم يكن فيها غير اولي الضرر فقال ابن ام مكتوم وكيف وانا
اعمى فغشي رسول الله صلعم في مجلسه الوحي فوقعت فخذه على فخذي حتى خشيت ان ترضها
ثم سري عنه فقال اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون
في سبيل الله باموالهم وانفسهم اي لا مساواة بينهم وبين من قعد عن الجهاد رفعا لرتبته
وانفة عن انحطاط منزلته فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة
جملة موضحة لما نفى الاستواء فيه والقاعدون على التقييد السابق ودرجة نصب
بنزع الخافض اي بدرجة او على المصدر لانه تضمن معنى التفضيل ووقع موقع المرة
منه او الحال بمعنى ذوي درجة وكلا من القاعدين والمجاهدين وعد الله الحسنى
المثوبة الحسنى وهي الجنة لحسن عقيدتهم وخلوص نيتهم وانما التفاوت في زيادة
العمل المقتضي لمزيد الثواب وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما نصب
على المصدر لان فضل بمعنى اجر او المفعول الثاني له لتضمنه معنى الاعطاء كانه قيل

واعطاهم

واعطاهم زيادة على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة كل واحد
منها بدل من اجرا ويجوز ان ينصب درجات على المصدر كقولك ضربته اسواطا واجرا
على الحال عنها تقدمت عليها لانها نكرة ومغفرة ورحمة على المصدر باضمار فعلهما
كرر تفضيل المجاهدين وبالغ فيه اجمالا وتفصيلا تعظيما للجهاد وترغيبا فيه
وقيل الاول ما خولهم في الدنيا من الغنيمة والظفر وجميل الذكر والثاني ما جعل
لهم في الاخرة وقيل المراد بالدرجة ارتفاع منزلتهم عند الله وبالدرجات
منازلهم في الجنة وقيل القاعدون الاول هم الاضراء والقاعدون الثاني الذين
اذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم وقيل المجاهدون الاول من جاهد الكفار
والاخرون من جاهد نفسه وعليه قوله عم رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر
وكان الله غفورا رحيما لما عسى يفرط منهم بما وعد لهم ان الذين توفيهم الملائكة يحتمل الماضي والمضارع
وقرئ توفتهم وتوفيهم على مضارع وفيت بمعنى ان الله يوفي الملائكة انفسهم
في حال ظلمهم انفسهم بترك الهجرة وموافقة الكفرة فانها نزلت في ناس من مكة
اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة واجبة قالوا اي الملائكة توبيخا فيم كنتم اي
في اي شيء كنتم من امر دينكم قالوا كنا مستضعفين في الارض اعتذروا مما وبخوا به
بضعفهم وعجزهم عن الهجرة او عن اظهار الدين واعلاء كلمته قالوا اي الملائكة
تكذيبا لهم او تبكيتا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها الى قطر اخر كما فعل
المهاجرون الى المدينة والحبشة فاولئك ماويهم جهنم لتركهم الواجب ومساعدتهم
الكفار وهو خبر ان والفاء فيه لتضمن الاسم معنى الشرط وقالوا فيم كنتم حال من الملائكة
باضمار قد او الخبر قالوا والعائد محذوف اي قالوا لهم وهو جملة معطوفة على الجملة
التي قبلها مستنتجة منها وساءت مصيرا مصيرهم او جهنم وفي الاية دليل على وجوب
الهجرة من موضع لا يتمكن الرجل فيه من اقامة دينه وعن النبي عم من فر بدينه من ارض
الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجب له الجنة وكان رفيق ابيه ابراهيم ونبيه
محمد عم الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان استثناء منقطع لعدم دخولهم

في الموصول وضميره والاشارة اليه وذكر الولدان ان اريد به المماليك فظاهر
وان اريد به الصبيان فللمبالغة في الامر والاشعار بانهم على صدد وجوب الهجرة
فانهم اذا بلغوا وقدروا على الهجرة فلا محيص لهم عنها وان قوامهم يجب عليهم ان
يهاجروا بهم متى امكنت لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا صفة للمستضعفين
اذ لا توقيت فيه او حال عنه او عن المستكن فيه واستطاعة الحيلة وجدان
اسباب الهجرة وما يتوقف عليه واهتداء السبيل معرفة الطريق بنفسه او بدليل
فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم ذكر كلمة الاطماع ولفظ العفو ايذانا بان ترك
الهجرة امر خطير حتى ان المضطر من حقه ان لا يامن ويترصد الفرصة ويعلق بها
قلبه وكان الله عفوا غفورا ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما
كثيرا متحولا من الرغام وهو التراب وقيل طريقا يراغم قومه بسلوكه اي يفارقهم
على رغم انوفهم وهو ايضا من الرغام وسعة في الرزق واظهار الدين ومن يخرج
من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت وقرئ يدركه بالرفع على انه خبر
محذوف اي ثم هو يدركه وبالنصب على اضمار ان كقوله والحق بالحجاز فاستريحا
فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا رحيما الوقوع والوجوب متقاربان
والمعنى ثبت اجره عند الله ثبوت الامر الواجب والاية نزلت في جندب بن ضمرة
حمله بنوه على سرير متوجها الى المدينة فلما بلغ التنعيم اشرف على الموت فصفق بيمينه
على شماله فقال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايع عليه رسولك
فمات واذا ضربتم في الارض سافرتم فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة
بتنصيف ركعاتها ونفي الحرج فيه يدل على جوازه دون وجوبه ويؤيده انه م اتم
في السفر وان عايشة رض اعتمرت مع رسول الله م وقالت يا رسول الله قصرت
واتممت وصمت وافطرت فقال احسنت يا عايشة واوجبه ابو حنيفة رح لقول
عمر رض صلوة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم ولقول عايشة رض اول
ما فرضت الصلوة فرضت ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر وظاهرهما

يخالف الاية فان صحا فالاول مأول بانه كالتام في الصحة والاجزاء والثاني لا ينفي جواز
الزيادة فلا حاجة الى تاويل الاية بانهم الفوا الاربع فكان مظنة لان يخطر ببالهم
ان ركعتي السفر قصر ونقصان فسمي الاتيان بهما قصرا على ظنهم ونفي الجناح فيه لتطيب
به نفوسهم واقل سفر يقصر فيه اربعة برد عندنا وستة عند ابي حنيفة وقرئ تقصروا
من اقصر بمعنى قصر ومن الصلوة صفة محذوف اي شيئا من الصلوة عند سيبويه ومفعول
تقصروا بزيادة من عند الاخفش ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا
لكم عدوا مبينا شرط باعتبار الغالب في ذلك الوقت ولذلك لم يعتبر مفهومه كما لم يعتبر
في قوله تع فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به وقد تظاهرت
السنن على جوازه ايضا في حال الامن وقرئ من الصلوة ان يفتنكم بغير ان خفتم بمعنى كراهة
ان يفتنكم وهو القتال والتعرض بما يكره واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة تعلق بمفهومه
من خص صلوة الخوف بحضرة النبي م لفضل الجماعة وعامة الفقهاء على انه تع علم الرسول
كيفيتها لياتم به الايمة بعده فانهم نواب عنه فيكون حضورهم كحضوره فلتقم طايفة
منهم معك فاجعلهم طايفتين فلتقم احديهما معك يصلون وتقوم الطايفة الاخرى
تجاه العدو وليأخذوا اسلحتهم اي المصلون حزما وقيل الضمير للطايفة الاخرى
وذكر الطايفة الاولى يدل عليهم فاذا سجدوا يعني المصلين فليكونوا اي غير المصلين
من ورائكم يحرسونكم يعني النبي ومن يصلي معه فغلب المخاطب على الغائب ولتات طايفة
اخرى لم يصلوا لاشتغالهم بالحراسة فليصلوا معك ظاهره يدل على ان الامام يصلي
مرتين بكل طايفة مرة كما فعله م ببطن نخل وان اريد به ان يصلي بكل ركعة ان كانت
الصلوة ركعتين فكيفيته ان يصلي بالاولى ركعة وينتظر قايما حتى يتموا صلوتهم
منفردين ويذهبوا الى وجه العدو وياتي الاخرى فيتم بهم الركعة الثانية ثم
ينتظرهم قاعدا حتى يتموا صلوتهم ويسلم بهم كما فعله رسول الله م بذات الرقاع
وقال ابو حنيفة يصلي بالاولى ركعة ثم تذهب هذه ركعة وتقف بازاء العدو
وتاتي الاخرى فتصلي معه ركعة وتتم صلوتها ثم تعود الى وجه العدو وتاتي الاولى

فتؤدي الركعة الثانية بغير قراءة وتتم صلوتها ثم تحرس وتأتي الاخرى فتؤدي الركعة
بقراءة وتتم صلوتها وليأخذوا حذرهم واسلحتهم جعل الحذر آلة يتحصن بها الغازي
فجمع بينه وبين الاسلحة في وجوب الاخذ ونظيره قوله والذين تبوؤا الدار والايمان
ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة تمنوا ان
ينالوا منكم غرة في صلوتكم فيشدون عليكم شدة واحدة وهو بيان ما امروا لاجله بأخذ
السلاح ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم
رخصة لهم في وضعها اذا ثقل عليهم اخذها بسبب مطر او مرض وهذا مما يؤيد ان الامر
بالاخذ للوجوب دون الاستحباب وخذوا حذركم امرهم مع ذلك بأخذ الحذر كيلا يهجم
عليهم العدو ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا وعد للمؤمنين بالنصر على الكفار بعد الامر
بالحزم ليتقوى قلوبهم وليعلموا ان الامر بالحزم ليس لضعفهم وغلبة عدوهم بل لان الواجب
ان يحافظوا في الامور على مراسم التيقظ والتدبر فيتوكلوا على الله فاذا قضيتم الصلوة
اديتم وفرغتم منها فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فداوموا على الذكر في جميع
الاحوال او اذا اردتم اداء الصلوة واشتد الخوف فصلوها كيفما امكن قياما
مسايفين ومقارعين وقعودا مرامين وعلى جنوبكم مثخنين فاذا اطمأننتم سكنت قلوبكم
من الخوف فاقيموا الصلوة فعدلوا واحفظوا اركانها وشرائطها واتوا بها تامة ان الصلوة
كانت على المؤمنين كتابا موقوتا فرضا محدودا باوقات لا يجوز اخراجها من اوقاتها في شيء
من الاحوال وهذا دليل على ان المراد بالذكر الصلوة فانها واجبة الاداء حال المسايفة
والاضطراب في المعركة وتعليل الامر بالاتيان بها كيفما امكن وقال ابو حنيفة رح لا يصلي
المحارب حتى يطمئن ولا تهنوا ولا تضعفوا في ابتغاء القوم في طلب الكفار بالقتال ان تكونوا
تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون الزام لهم وتقريع على التواني فيه
بان ضرر القتال دائر بين الفريقين غير مختص بهم وهم يرجون من الله بسببه من اظهار الدين
واستحقاق الثواب ما لا يرجو عدوهم فينبغي ان تكونوا ارغب منهم في الحرب واصبر عليها
وقرئ ان تكونوا بالفتح بمعنى ولا تهنوا لان تكونوا تألمون ويكون قوله فانهم يألمون علة

للنهي عن الوهن لاجله والآية نزلت في بدر الصغرى وكان الله عليما باعمالكم وضمائركم حكيما فيما
يأمر وينهى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس نزلت في طعمة بن ابيرق من بني ظفر
سرق درعا من جاره قتادة بن النعمان في جراب دقيق وجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخبأها
عند زيد بن السمين اليهودي فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما اخذها وما له
بها علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي فاخذوها فقال دفعها
الى طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله عم فسألوه
ان يجادل عن صاحبهم وقالوا ان لم تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودي فهم رسول الله عم
ان يفعل بما اريك الله بما عرفك واوحى به اليك وليس من الرؤية بمعنى العلم والا لاستدعى
الى ثلثة مفاعيل ولا تكن للخائنين اي لاجلهم والذب عنهم خصيما للبراء واستغفر الله مما
هممت به ان الله كان غفورا رحيما لمن يستغفره ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم
يخونونها فان وبال خيانتهم يعود عليها او جعل المعصية خيانة لها كما جعلت ظلما
عليها والضمير لطعمة وامثاله او له ولقومه فانهم شاركوه في الاثم حين شهدوا على براءته
وخاصموا عنه ان الله لا يحب من كان خوانا مبالغا في الخيانة مصرا عليها اثيما منهمكا فيه
روي ان طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا ليسرق اهله فسقط الحائط عليه
فقتله يستخفون من الناس يستترون منهم حياء وخوفا ولا يستخفون من الله ولا
يستحيون منه وهو احق بان يستحيى منه ويخاف منه وهو معهم لا يخفى عليه سرهم فلا
طريق معه الا ترك ما يستقبحه ويؤاخذ عليه اذ يبيتون يدبرون ويزورون
ما لا يرضى من القول من رمي البريء والحلف الكاذب وشهادة الزور وكان الله بما يعملون
محيطا لا يفوت عنه شيء ها انتم هؤلاء مبتدأ وخبر جادلتم عنهم في الحيوة الدنيا
جملة مبينة لوقوع هؤلاء خبرا او صلة عند من جعله موصولا فمن يجادل الله
عنهم يوم القيمة ام من يكون عليهم وكيلا محاميا يحميهم عن عذاب الله ومن يعمل
سوءا قبيحا يسوء به غيره او يظلم نفسه بما يختص به ولا يتعداه وقيل المراد بالسوء
دون الشرك وبالظلم الشرك وقيل الصغيرة والكبيرة ثم يستغفر الله بالتوبة يجد الله

غفوراً لذنوبه رحيماً متفضلاً عليه وفيه حث لطعمة وقومه على التوبة والاستغفار
ومن يكسب إثماً فإنما يكسبه على نفسه فلا يتعداه وباله لقوله وإن اسأتم فلها
وكان الله عليماً حكيماً فهو عالم بفعله حكيم في مجازاته ومن يكسب خطيئة صغيرة
أو ما لا عمد فيه أو إثماً كبيرة أو ما كان عن عمد ثم يرم به بريئاً كما رمى طعمة زيداً
ووحد الضمير لمكان أو فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً بسببه رمي البري وتبرئة
النفس الخاطئة ولذلك سوى بينهما وإن كان مقترف أحدهما دون مقترف الآخر
ولولا فضل الله عليك ورحمته بإعلام ما هم عليه بالوحي والضمير للرسول لهمت طائفة
منهم أي من بني ظفر أن يضلوك عن القضاء بالحق مع علمهم بالحال والجملة جواب لولا
وليس القصد فيه إلى نفي همهم بل إلى نفي تأثيره فيه وما يضلون إلا أنفسهم لأنه ما
أزلك عن الحق وعاد وباله عليهم وما يضرونك من شيء فإن الله عصمك وما خطر
ببالك كان اعتماداً منك على ظاهر الأمر لا ميلاً في الحكم ومن شيء في موضع النصب على
المصدر أي شيئاً من الضرر وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم من خفيات
الأمور أو من أمور الدين والأحكام وكان فضل الله عليك عظيماً إذ لا فضل
أعظم من النبوة لا خير في كثير من نجواهم من متناجيهم كقوله تع وإذ هم نجوى أو
من تناجيهم فقوله إلا من أمر بصدقة أو معروف على حذف المضاف أي إلا نجوى
من أمر أو على الانقطاع بمعنى ولكن من أمر بصدقة ففي نجواه الخير والمعروف
كل ما يستحسنه الشرع ولا ينكره العقل وفسر هاهنا بالقرض وإغاثة الملهوف
وصدقة التطوع وسائر ما فسر به أو إصلاح بين الناس أو إصلاح ذات البين
ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً بنى الكلام على الأمر
ورتب الجزاء على الفعل ليدل على أنه لما دخل الآمر به في زمرة الخيرين كان الفاعل
أدخل فيهم فإن العمدة والغرض هو الفعل واعتبار الآمر من حيث إنه وصلة إليه
وقيد الفعل بأن يكون لطلب مرضات الله تع لأن الأعمال بالنيات وإن من فعل
خيراً رياء وسمعة لم يستحق به من الله أجراً ووصف الأجر بالعظم تنبيهاً على حقارة

ما فات في جنبه من أغراض الدنيا وقرأ حمزة وأبو عمرو يؤتيه بالياء ومن يشاقق
الرسول يخالفه من الشق فإن كلاً من المتخالفين في شق غير شق الآخر من بعد ما تبين له
الهدى ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات ويتبع غير سبيل المؤمنين غير ما هم عليه من اعتقاد
أو عمل نوله ما تولى نجعله والياً لما تولى من الضلال ونخل بينه وبين ما اختاره ونصله
جهنم وندخله فيها وقرئ بفتح النون من صلاه وساءت مصيراً جهنم والآية تدل على
حرمة مخالفة الإجماع لأنه تع رتب الوعيد الشديد على المشاقة واتباع غير سبيل
المؤمنين وذلك إما لحرمة كل واحد منهما أو أحدهما أو الجمع بينهما والثاني باطل إذ يقبح
أن يقال من شرب الخمر وأكل الخبز استوجب الحد وكذا الثالث لأن المشاقة محرمة
ضم إليها غيرها أو لم يضم وإذا كان اتباع غير سبيلهم محرماً كان اتباع سبيلهم واجباً
لأن ترك اتباع سبيلهم ممن عرف سبيلهم اتباع غير سبيلهم وقد استقصيت الكلام
فيه في مرصاد الأفهام إلى مبادي الأحكام إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء كرره للتأكيد أو لقصة طعمة وقيل جاء شيخ إلى رسول الله صلعم فقال إني
شيخ منهمك في الذنوب إلا أني لم أشرك بالله تع شيئاً منذ عرفته وآمنت به ولم أتخذ
من دونه ولياً ولم أواقع المعاصي جرأة وما توهمت طرفة عين أني أعجز الله هرباً وإني
لنادم تائب فما ترى حالي عند الله فنزلت ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالاً بعيداً عن
الحق فإن الشرك أعظم أنواع الضلالة وأبعدها عن الصواب والاستقامة وإنما ذكر في
الآية الأولى فقد افترى لأنها متصلة بقصة أهل الكتاب ومنشأ شركهم كان نوع
افتراء وهو دعوى التبني على الله تع إن يدعون من دونه إلا إناثاً يعني اللات والعزى
ومناة ونحوها كان لكل حي صنم يعبدونه ويسمونه أنثى بني فلان وذلك إما لتأنيث
أسمائها كما قال وما ذكر فإن يكبر فأنثى شديداً لأنه ليس له ضروس فإنه
عنى القراد وهو ما كان صغيراً يسمى قراداً فإذا كبر يسمى حلمة أو لأنها كانت جمادات
والجمادات تؤنث من حيث إنها ضاهت الإناث لانفعالها ولعله تع ذكرها بهذا الاسم
تنبيهاً على أنهم يعبدون ما يسمونه إناثاً لأنه ينفعل ولا يفعل ومن حق المعبود أن يكون

فاعلا غير منفعل ليكون دليلا على تناهي جهلهم وفرط حماقتهم وقيل المراد الملائكة لقولهم
الملائكة بنات الله وهو جمع انثى كرباب وربى وقرئ انثى على التوحيد وانثا على انه جمع انيث
كخبث وخبيث ووثنا بالتخفيف والتثقيل وهو جمع وثن كاسد واسد واثنا بهما على
قلب الواو لضمها همزة وان يدعون وان يعبدون بعبادتها الا شيطانا مريدا لانه الذي
امرهم بعبادتها واغراهم عليها فكان طاعته في ذلك عبادة له والمارد والمريد الذي لا يعلق
بخير واصل التركيب للملاسة ومنه صرح ممرد وغلام امرد وشجرة مرداء للتي تناثر
ورقها لعنه الله صفة ثانية للشيطان وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا
عطف عليه اى شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الدال على فرط عداوته
للناس وقد برهن سبحانه اولا على ان الشرك ضلال في الغاية على سبيل التعليل بان
ما يشركون به ينفعل ولا يفعل فعلا اختياريا وذلك ينافي الالوهية غاية المنافاة
فان الاله ينبغي ان يكون فاعلا غير منفعل ثم استدل عليه بانه عبادة الشيطان وهي
افظع الضلال لثلاثة اوجه الاول انه مريد منهمك في الضلال لا يعلق بشيء من الخير
والهدى فيكون طاعته ضلالا بعيدا عن الهدى والثاني انه ملعون لضلاله فلا تستجلب
مطاوعته سوى الضلال واللعن والثالث انه في غاية العداوة والسعي في اهلاكهم وموالاة
من هذا شانه غاية الضلال فضلا عن عبادته والمفروض المقطوع اى نصيبا قدر لي
وفرض من قولهم فرض له في العطاء ولاضلنهم عن الحق ولامنينهم الاماني الباطلة كطول
الحيوة وان لا بعث ولا عقاب ولامرنهم فليبتكن اذان الانعام يشقونها لتحريم ما احل
الله وهي عبارة عما كانت العرب تفعل بالبحاير والسوايب واشارة الى تحريم كل ما احل الله
ونقص كل ما خلق كاملا بالفعل او القوة ولامرنهم فليغيرن خلق الله عن وجهه صورة
او صفة ويندرج فيه ما قيل من فقء عين الحامي وخصاء العبيد والوشم والوشر واللواط
والسحق ونحو ذلك وعبادة الشمس والقمر وتغيير فطرة الله التي هي الاسلام واستعمال الجوارح
والقوى فيما لا يعود على النفس كمالا ولا يوجب لها من الله زلفى وعموم اللفظ يمنع الخصاء
مطلقا لكن الفقهاء رخصوا في خصاء البهائم للحاجة والجمل الاربع حكاية عما ذكره

الشيطان

الشيطان نطقا او اتاه فعلا ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله بايثاره ما
يدعوه اليه على ما امره الله به ومجاوزته عن طاعة الله الى طاعته فقد خسر خسرانا مبينا
اذ ضيع راس ماله وبدل مكانه من الجنة بمكانه من النار يعدهم ما لم ينجز ويمنيهم ما لا
ينالون وما يعدهم الشيطان الا غرورا وهو اظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد
اما بالخواطر الفاسدة او بلسان اوليائه اولئك ماويهم جهنم ولا يجدون عنها
محيصا معدلا ومهربا من حاص يحيص اذا عدل وعنها حال منه وليس صلة له لانه اسم
مكان وان جعل مصدرا فلا يعمل ايضا فيما قبله والذين امنوا وعملوا الصالحات
سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وعد الله حقا اى وعده وعدا
وحق ذلك حقا فالاول مؤكد لنفسه لان مضمون الجملة الاسمية التي قبله وعد والثاني مؤكد
لغيره ويجوز ان ينتصب الموصول بفعل يفسره ما بعده ووعد الله بقوله سندخلهم لانه
بمعنى نعدهم ادخالهم وحقا على انه حال من المصدر ومن اصدق من الله قيلا جملة مؤكدة
بليغة والمقصود من الاية معارضة المواعيد الشيطانية الكاذبة لقرنائه بوعد الله
الصادق لاوليائه والمبالغة في تاكيده ترغيبا للعباد في تحصيله ليس بامانيكم
ولا اماني اهل الكتاب اى ليس ما وعد الله من الثواب ينال باماينكم ايها المسلمون
ولا باماني اهل الكتاب وانما ينال بالايمان والعمل الصالح وقيل ليس الايمان
بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل روى ان المسلمين واهل الكتاب افتخروا
فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن اولى بالله منكم وقال
المسلمون نحن اولى منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب المتقدمة فنزلت
وقيل الخطاب مع المشركين ويدل عليه تقدم ذكرهم اى ليس الامر باماني المشركين وهو
قولهم لا جنة ولا نار وقولهم ان كان الامر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم واحسن
حالا ولا اماني اهل الكتاب وهو قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى
وقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة ثم قرر ذلك وقال من يعمل سوءا يجز به
عاجلا او اجلا لما روى انه لما نزلت قال ابو بكر فمن ينجو مع هذا يا رسول الله فقال

عليه الصلوة والسلام اما تحزن اما تمرض اما تصيبك اللأواء قال بلى يا رسول الله قال
هو ذاك ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ولا يجد لنفسه اذا جاوز موالاة الله
ونصرته من يواليه وينصره في دفع العذاب عنه ومن يعمل من الصالحات بعضها او شيئا
منها فان كل احد لا يتمكن من كلها وليس مكلفا بها من ذكر او انثى في موضع الحال من المستكن
في يعمل ومن للبيان او من الصالحات اي كائنة من ذكر او انثى ومن للابتداء وهو مؤمن
حال شرط اقتران العمل بها في استدعاء الثواب المذكور تنبيها على انه لا اعتداد به دونه
فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا بنقص شيء من الثواب واذا لم ينقص ثواب
المطيع وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر يدخلون هنا وفي مريم وغافر بضم الياء
وفتح الخاء والباقون بفتح الياء وضم الخاء ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله اخلص نفسه لله
لا يعرف لها ربا سواه وقيل بذل وجهه له في السجود وفي هذا الاستفهام تنبيه على ان ذلك
منتهى ما يبلغه القوة البشرية وهو محسن آت بالحسنات تارك للسيئات واتبع ملة ابراهيم
الموافقة لدين الاسلام المتفق على صحتها حنيفا مائلا عن سائر الاديان وهو حال عن المتبع
او الملة او ابراهيم واتخذ الله ابراهيم خليلا اصطفاه وخصصه بكرامة تشبه كرامة الخليل
عند خليله وانما اعاد ذكره ولم يضمر تفخيما له وتنصيصا على انه الممدوح والخلة من الخلال
فانه ود تخلل النفس وخالطها وقيل من الخلل فان كل واحد من الخليلين يسد خلل الآخر او من
الخل وهو الطريق في الرمل فانهما يترافقان في الطريقة او من الخلة بمعنى الخصلة فانهما يتوافقان
في الخصال والجملة استيناف جيء بها للترغيب في اتباع ملته والايذان بانه نهاية في الحسن
وغاية كمال البشر وروي ان ابرهيم بعث الى خليل له بمصر في ازمة اصابت الناس يمتار منه
فقال خليله لو كان ابرهيم يريد لنفسه لفعلت ولكن يريد للاضياف وقد اصابنا ما اصاب
الناس فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملؤوا منها الغرائر حياء من الناس فلما اخبروا ابرهيم
ساءه الخبر فغلبته عيناه فنام وقامت سارة الى غرارة منها فاخرجت حوارى واختبزت
فاستيقظ ابرهيم فاشتم رائحة الخبز فقال من اين هذا لكم فقالت من خليلك المصري فقال
بلى من عند خليلي الله تعالى فسماه الله خليلا ولله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا

يختار

يختار منهما ما يشاء ومن يشاء وقيل هو متصل بذكر العمال مقرر لوجوب طاعته على اهل
السموات والارض وكمال قدرته على مجازاتهم على الاعمال وكان الله بكل شيء محيطا احاطة
علم وقدرة فكان عالما باعمالهم فمجازيهم على خيرها وشرها ويستفتونك في النساء في ميراثهن
اذ سبب نزوله ان عيينة بن حصين اتى النبي عم فقال اخبرنا انك تعطي الابنة النصف والاخت
النصف وانما كنا نورث من يشهد القتال ويحوز الغنيمة فقال عم كذلك امرت قل الله
يفتيكم فيهن يبين لكم حكمه فيهن والافتاء تبيين المبهم وما يتلى عليكم في الكتاب عطف على اسم الله
او ضميره المستكن في يفتيكم وساغ للفصل فيكون الافتاء مسندا الى الله تع والى ما في
القرآن من قوله يوصيكم الله ونحوه والفعل الواحد ينسب الى فاعلين باعتبارين مختلفين
ونظيره اغناني زيد وعطاؤه او استيناف معترض لتعظيم المتلو عليهم على ان ما يتلى
عليكم مبتداء وفي الكتاب خبره والمراد به اللوح المحفوظ ويجوز ان ينصب على معنى ويبين
لكم ما يتلى عليكم او يخفض على القسم كانه قيل واقسم بما يتلى عليكم في الكتاب ولا يجوز عطفه
على المجرور في فيهن لاختلاله لفظا ومعنى في يتامى النساء صلة يتلى ان عطف الموصول
على ما قبله اي يتلى عليكم في شأنهن والا فبدل من فيهن او صلة اخرى ليفتيكم على معنى
الله يفتيكم فيهن بسبب يتامى النساء كما تقول كلمتك اليوم في زيد وهذه الاضافة
بمعنى من لانها اضافة الشيء الى جنسه وقرئ ييامى بيائين على انه ايامى فقلبت همزته
ياء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن اي فرض لهن من الميراث وترغبون ان تنكحوهن
في ان تنكحوهن او عن ان تنكحوهن فان اولياء اليتامى كانوا يرغبون فيهن ان كن
جميلات ويأكلون مالهن والا كانوا يعضلونهن طمعا في ميراثهن والواو يحتمل الحال
والعطف وليس فيه دليل على جواز تزويج اليتيمة اذ لا يلزم من الرغبة في نكاحها
جريان العقد في صغرها والمستضعفين من الولدان عطف على يتامى النساء والعرب
ما كانوا يورثونهم كما لا يورثون النساء وان تقوموا لليتامى بالقسط ايضا
عطف عليه اي ويفتيكم وما يتلى في ان تقوموا هذا اذا جعلت في يتامى صلة
لاحدهما وان جعلته بدلا فالوجه نصبه عطفا على موضع فيهن ويجوز ان ينصب

وان تقوموا باضمار فعل اى ويامركم ان تقوموا او هو خطاب للائمة فى ان ينظروا
لهم ويستوفوا حقوقهم او للقوام بالنصفة فى شانهم وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما
وعد لمن آثر الخير فى ذلك وان امرأة خافت من بعلها توقعت منه لما ظهر لها من المخايل
وامرأة فاعل فعل يفسره الظاهر نشوزا تجافيا عنها وترفعا عن صحبتها كراهة لها ومنعا
لحقوقها او اعراضا بان يقل مجالستها ومحادثتها فلا جناح عليهما ان يصالحا بينهما
صلحا اى يتصالحا بان تحط له بعض المهر او القسم او تهب له شيئا تستميله به وقرأ
الكوفيون ان يصلحا من اصلح بين المتنازعين وعلى هذا جاز ان ينتصب صلحا على المفعول
وبينهما ظرفا او حالا منه او على المصدر كما فى القراءة الاولى والمفعول بينهما او هو محذوف وقرئ
يصلحا من اصلح بمعنى اصطلح والصلح خير من الفرقة وسوء العشرة او من الخصومة
ويجوز ان لا يراد به التفضيل بل بيان انه من الخيور كما ان الخصومة من الشرور وهو اعتراض
وكذا قوله واحضرت الانفس الشح ولذلك اغتفر عدم تجانسهما والاول للترغيب
فى المصالحة والثانى لتمهيد العذر فى المماكسة ومعنى احضار الانفس الشح جعلها
حاضرة له مطبوعة عليه فلا تكاد المرأة تسمح بالاعراض عنها والتقصير فى حقها
ولا الرجل يسمح بان يمسكها ويقوم بحقها على ما ينبغى اذا كرهها او احب غيرها وان تحسنوا فى
العشرة وتتقوا النشوز والاعراض ونقص الحق فان الله كان بما تعملون من الاحسان
والخصومة خبيرا عليما به وبالغرض فيه فيجازيكم عليه اقام كونه عالما باعمالهم مقام اثابته
اياهم عليها الذى هو فى الحقيقة جواب الشرط اقامة السبب مقام المسبب ولن تستطيعوا
ان تعدلوا بين النساء لان العدل ان لا يقع ميل البتة وهو متعذر ولذلك كان رسول الله صلعم
يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه قسمتى فيما املك فلا تؤاخذنى فيما تملك ولا املك ولو حرصتم
على تحرى ذلك وبالغتم فيه فلا تميلوا كل الميل بترك المستطاع والجور على المرغوب عنها فان ما
لا يدرك كله لا يترك كله فتذروها كالمعلقة التى ليست ذات بعل ولا مطلقة وعن النبى م
من كانت له امرأتان يميل مع احديهما جاء يوم القيمة واحد شقيه مائل وان تصلحوا ما كنتم
تفسدون من امورهن وتتقوا فيما يستقبل فان الله كان غفورا رحيما يغفر لكم ما مضى من ميلكم

وان يتفرقا وقرئ وان يتفارقا اى وان يفارق كل منهما صاحبه يغن الله كلا منهما عن الآخر
ببدل او سلو من سعته غناه وقدرته وكان الله واسعا حكيما مقتدرا متقنا فى افعاله واحكامه
ولله ما فى السموات وما فى الارض تنبيه على كمال سعته وقدرته ولقد وصينا الذين اوتوا
الكتاب من قبلكم يعنى اليهود والنصارى ومن قبلهم واللام فى الكتاب للجنس ومن متعلقة بوصينا
او باوتوا ومساق الآية لتاكيد الامر بالاخلاص واياكم عطف على الذين ان اتقوا الله
بان اتقوا الله ويجوز ان تكون ان مفسرة لان التوصية فى معنى القول وان تكفروا فان لله
ما فى السموات وما فى الارض على ارادة القول اى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان الله مالك
الملك كله لا يتضرر بكفركم ومعاصيكم كما لا ينتفع بشكركم وتقويكم وانما وصاكم لرحمته لا لحاجته
ثم قرر ذلك بقوله وكان الله غنيا عن الخلق وعبادتهم حميدا فى ذاته حمد او لم يحمد ولله ما
فى السموات وما فى الارض ذكره ثالثا للدلالة على كونه غنيا حميدا فان جميع المخلوقات
تدل لحاجتها على غناه وبما افاض عليها من الوجود وانواع الخصائص والكمالات على كونه
حميدا وكفى بالله وكيلا راجع الى قوله يغن الله كلا من سعته فانه توكل بكفايتهما وما بينهما
تقرير لذلك ان يشأ يذهبكم ايها الناس يفنكم ومفعول يشأ محذوف دل عليه الجواب
ويأت باخرين ويوجد قوما آخرين مكانكم او خلقا آخرين مكان الانس وكان الله
على ذلك من الاعدام والايجاد قديرا بليغ القدرة لا يعجزه مراد وهذا ايضا تقرير
لغناه وقدرته وتهديد لمن كفره وخالف امره وقيل هو خطاب لمن عادى رسول الله
من العرب ومعناه معنى قوله وان تتولوا يستبدل قوما غيركم لما روى انه لما نزل ضرب
رسول الله صلعم يده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد
يجاهد للغنيمة فعند الله ثواب الدنيا والآخرة فماله يطلب اخسهما فليطلبهما كمن يقول
ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة او ليطلب الاشرف منهما فان من جاهد خالصا
لله لم تخطئه الغنيمة وله فى الآخرة ما هى فى جنبه كلا شئ او فعند الله ثواب الدارين فيعطى
كلا ما يريده كقوله تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه الآية وكان الله سميعا بصيرا
عارفا بالاغراض فيجازى كلا بحسب قصده يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط مواظبين

على العدل مجتهدين فى اقامته شهداء لله بالحق تقيمون شهاداتكم لوجه الله وهو خبر ثان او حال ولو على انفسكم ولو كانت الشهادة على انفسكم بان تقروا عليها لان الشهادة بيان للحق سواء كان عليه او على غيره او الوالدين والاقربين ولو على والديكم واقاربكم ان يكن اى المشهود عليه او كل واحد منه ومن المشهود له غنيا او فقيرا فلا تمتنعوا عن اقامة الشهادة او لا تجوروا فيها ميلا او ترحما فالله اولى بهما بالغنى والفقير وبالنظر لهما فلو لم تكن الشهادة عليها اولهما صلاحا لما شرعها وهو علة الجواب اقيمت مقامه والضمير فى بهما راجع الى ما دل عليه المذكور وهو جنسا الغنى والفقير لا اليه والا لوحد ويشهد عليه انه قرى فالله اولى بهم فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا لان تعدلوا عن الحق او كراهة ان تعدلوا من العدل وان تلووا السنتكم عن شهادة الحق او حكومة العدل وقرا حمزة وابن عامر ان تلوا بمعنى وان وليتم اقامة الشهادة فاديتموها او تعرضوا عن ادائها فان الله كان بما تعملون خبيرا فيجازيكم عليه يا ايها الذين آمنوا خطاب للمسلمين او للمنافقين او لمؤمنى اهل الكتاب اذ روى ان ابن سلام واصحابه قالوا يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتورية وعزير ونكفر بما سواه فنزلت آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى انزل من قبل اثبتوا على الايمان بذلك وداوموا عليه او آمنوا به بقلوبكم كما آمنتم بلسانكم او آمنوا ايمانا عاما يعم الكتب والرسل فان الايمان بالبعض كلا ايمان والكتاب الاول القران والثانى الجنس وقرا نافع والكوفيون الذى نزل والذى انزل بفتح النون والهمزة والباقون بضم النون والهمزة وكسر الزاء ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر اى ومن يكفر بشىء من ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا عن المقصد بحيث لا يكاد يعود الى طريقه ان الذين آمنوا يعنى اليهود آمنوا بموسى ثم كفروا حين عبدوا العجل ثم آمنوا بعد عوده اليهم ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد او قوما تكرر منهم الارتداد ثم اصروا على الكفر وازدادوا تماديا فى الغى لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا اى يستبعد منهم ان يتوبوا عن الكفر ويثبتوا على الايمان فان قلوبهم ضربت بالكفر وبصائرهم عميت عن الحق لا انهم لو اخلصوا الايمان لم يقبل منهم ولم يغفر لهم وخبر كان فى امثال ذلك

محذوف تتعلق به اللام مثل لم يكن الله مريدا ليغفر لهم بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما يدل على ان الاية فى المنافقين وهم قد آمنوا فى الظاهر وكفروا فى السر مرة بعد اخرى ثم ازدادوا بالاصرار على النفاق وافساد الامر على المؤمنين ووضع بشر مكان انذر تهكما بهم الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين فى محل النصب او الرفع على الذم بمعنى اريد الذين او هم الذين ايبتغون عندهم العزة ايتعززون بموالاتهم فان العزة لله جميعا لا يتعزز الا من اعزه وقد كتب العزة لاوليائه فقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين لا يؤبه بعزة غيرهم بالاضافة اليهم وقد نزل عليكم فى الكتاب يعنى القران وقرى نزل والقائم مقام فاعله ان اذا سمعتم ايات الله وهى المخففة والمعنى انه اذا سمعتم يكفر بها ويستهزا بها حالان من الايات جى بهما لتقييد النهى عن المجالسة فى قوله فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره الذى هو جزاء الشرط بما اذا كان من يجالسه هازئا معاندا غير مرجو ويؤيده الغاية ومفاد الكلام وهذا تذكار لما نزل عليهم بمكة من قوله واذا رايت الذين يخوضون فى اياتنا الاية والضمير فى معهم للكفرة المدلول عليهم بقوله يكفر بها ويستهزا بها انكم اذا مثلهم فى الاثم لانكم قادرون على الاعراض عنهم والانكار عليهم او الكفر ان رضيتم بذلك او لانكم الذين يقاعدون الخائضين فى القران من الاحبار كانوا منافقين ويدل عليه ان الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا يعنى القاعدين والمقعود معهم واذا ملغاة لوقوعها بين الاسم والخبر ولذلك لم يذكر بعدها الفعل وافراد مثلهم لانه كالمصدر او للاستغناء بالجمع وقرى بالفتح على البناء لاضافته الى مبنى كقوله تعالى مثل ما انكم تنطقون الذين يتربصون بكم ينتظرون وقوع امر بكم وهو بدل من الذين يتخذون او صفة للمنافقين والكافرين او ذم مرفوع او منصوب او مبتداء خبره فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم مظاهرين لكم فاسهموا لنا فيما غنمتم وان كان للكافرين نصيب من الحرب فانها سجال قالوا الم نستحوذ عليكم اى قالوا للكفرة الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم فابقينا عليكم والاستحواذ الاستيلاء وكان القياس ان يقال استحاذ يستحيذ استحاذة فجاءت على الاصل ونمنعكم

من المؤمنين بان نخذلهم بتخييل ما ضعفت به قلوبهم وتوانينا في مظاهرتهم
فاشركونا فيما اصبتم وانما سمي ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا لخسة حظهم فانه
مقصور على امر دنيوي سريع الزوال فالله يحكم بينكم يوم القيمة ولن يجعل الله للكافرين
على المؤمنين سبيلا حينئذ او في الدنيا والمراد بالسبيل الحجة واحتج به اصحابنا على فساد
شرى الكافر المسلم والحنفية على حصول البينونة بنفس الارتداد وهو ضعيف لانه
لا ينفي ان يكون اذا عاد الى الايمان قبل مضي العدة ان المنافقين يخادعون الله وهو
خادعهم سبق الكلام فيه في اول سورة البقرة واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى
متثاقلين كالمكره على الفعل وقرئ كسالى بالفتح وهما جمع كسلان يراءون الناس
ليخالوهم مؤمنين والمراآة مفاعلة بمعنى التفعيل كنعم وناعم او للمقابلة فان المرائي
يري من يرائيه عمله وهو يريه استحسانه ولا يذكرون الله الا قليلا اذ المرائي لا يفعل الا بحضرة
من يراه وهو اقل احواله او لان ذكرهم باللسان قليل بالاضافة الى الذكر بالقلب وقيل
المراد بالذكر الصلوة وقيل الذكر فيها فانهم لا يذكرون فيها غير التكبير والتسليم مذبذبين
بين ذلك حال من واو يراءون كقوله ولا يذكرون الله اي يراءونهم غير ذاكرين مذبذبين
او واو يذكرون او منصوب على الذم والمعنى مرددين بين الايمان والكفر من الذبذبة
وهو جعل الشيء مضطربا واصله الذب بمعنى الطرد وقرئ بكسر الذال بمعنى يذبذبون قلوبهم
او دينهم او يتذبذبون كقولهم صلصل بمعنى تصلصل وقرئ بالدال الغير المعجمة بمعنى اخذوا
تارة في دبة وتارة في دبة وهي الطريقة لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء لا منسوبين الى المؤمنين
ولا الى الكافرين ولا صائرين الى احد الفريقين بالكلية ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا
الى الحق والصواب ونظيره قوله تع ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور يا ايها الذين
آمنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين فانه صنيع المنافقين ودينهم
فلا تتشبهوا بهم اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا حجة بينة فان موالاتهم دليل
على النفاق او سلطانا يسلط عليكم عقابه ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وهو
الطبقة التي في قعر جهنم وانما كان كذلك لانهم اخبث الكفرة اذ ضموا الى الكفر استهزاء

بالاسلام وخداعا للمسلمين واما قوله عم اربع من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى
وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان ونحوه فمن
باب التشبيه والتغليظ وانما سميت طبقاتها السبع دركات لانها متداركة متتابعة بعضها
فوق بعض وقرأ الكوفيون بسكون الراء وهو لغة كالسطر والسطر والتحريك اوجه لانه
يجمع على ادراك ولن تجد لهم نصيرا يخرجهم منه الا الذين تابوا عن النفاق واصلحوا
ما افسدوا من اسرارهم واحوالهم في حال النفاق واعتصموا بالله ووثقوا به وتمسكوا
بدينه واخلصوا دينهم لله لا يريدون بطاعتهم الا وجهه فاولئك مع المؤمنين
ومن عدادهم في الدارين وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما فيساهمونهم فيه ما يفعل
الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم ايتشفى به غيظا او يدفع به ضررا او يستجلب به نفعا وهو
الغني المتعالي عن النفع والضر وانما يعاقب المصر بكفره لان اصراره عليه كسوء مزاج
يؤدي الى مرض فاذا ازاله بالايمان والشكر ونقى عنه نفسه تخلص من تبعته وانما قدم
الشكر لان الناظر يدرك النعمة اولا فيشكر شكرا مبهما ثم يمعن النظر حتى يعرف المنعم فيؤمن
وكان الله شاكرا مثيبا يقبل اليسير ويعطي الجزيل عليما بحق شكركم وايمانكم لا يحب الله
الجهر بالسوء من القول الا من ظلم الا جهر من ظلم بالدعاء على الظالم والتظلم منه روي ان رجلا
ضاف قوما فلم يطعموه فاشتكاهم فعوتب عليه فنزلت وقرئ من ظلم على البناء للفاعل
فيكون الاستثناء منقطعا اي ولكن الظالم يفعل ما لا يحبه الله تع وكان الله سميعا لكلام المظلوم
عليما بالظالم ان تبدوا خيرا طاعة وبرا او تخفوه او تفعلوه سرا او تعفوا عن سوء لكم
المؤاخذة عليه وهو المقصود وذكر ابداء الخير واخفائه تشبيب له ولذلك رتب عليه قوله
فان الله كان عفوا قديرا اي يكثر العفو عن العصاة مع كمال قدرته على الانتقام فانتم
اولى بذلك وهو حث المظلوم على العفو بعد ما رخص له في الانتصار حملا على مكارم الاخلاق
ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله بان يؤمنوا بالله
ويكفروا برسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض نؤمن ببعض الانبياء ونكفر ببعضهم
ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا طريقا وسطا بين الايمان والكفر ولا واسطة اذ الحق

لا تخلف فان الايمان بالله انما يتم بالايمان برسله وتصديقهم فيما بلغوا عنه
تفصيلا او اجمالا فالكافر ببعض ذلك كالكافر بالكل في الضلال كما قال الله تعالى
فماذا بعد الحق الا الضلال اولئك هم الكافرون هم الكاملون في الكفر لا عبرة
بايمانهم هذا حقا مصدر مؤكد لغيره او صفة لمصدر الكافرين بمعنى هم الذين كفروا
كفرا حقا اي يقينا محققا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين آمنوا بالله ورسله
ولم يفرقوا بين احد منهم اضدادهم ومقابلوهم وانما دخل بين على احد وهو يقتضي
متعددا لعمومه من حيث انه وقع في سياق النفي اولئك سوف نؤتيهم اجورهم الموعودة
لهم وتصديره بسوف لتأكيد الوعد والدلالة على انه كائن لا محالة وان تأخر
وقرأ حفص عن عاصم وقالون عن يعقوب بالياء على تلوين الخطاب وكان الله
غفورا لما فرط منهم رحيما عليهم بتضعيف حسناتهم يسألك اهل الكتاب ان تنزل
عليهم كتابا من السماء نزلت في احبار اليهود قالوا ان كنت صادقا فاتنا بكتاب
من السماء جملة كما اتى به موسى وقيل كتابا محررا بخط سماوي على الواح كما كانت التوراة
او كتابا نعاينه حين ينزل او كتابا الينا باعياننا بانك رسول الله فقد سألوا موسى اكبر
من ذلك جواب شرط مقدر اي ان استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا اكبر منه وهذا
السؤال وان كان من آبائهم اسند اليهم لانهم كانوا آخذين بمذهبهم تابعين لهديهم والمعنى
ان عرقهم راسخ في ذلك وان ما اقترحوا عليك ليس باول جهالاتهم وخيالاتهم فقالوا
ارنا الله جهرة عيانا اي ارناه نره جهرة او مجاهرين معاينين له فاخذتهم الصاعقة
نار جاءت من السماء فاهلكتهم بظلمهم بسبب ظلمهم وهو تعنتهم وسؤالهم لما يستحيل في تلك
الحال التي كانوا عليها وذلك لا يقتضي امتناع الرؤية مطلقا ثم اتخذوا العجل من بعد
ما جاءتهم البينات هذه الجناية الثالثة التي اقترفها ايضا اوائلهم والبينات المعجزات
ولا يجوز حملها على التوراة اذ لم تأتهم بعد فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطانا
مبينا تسلطا ظاهرا عليهم حين امرهم بان يقتلوا انفسهم توبة عن اتخاذهم ورفعنا
فوقهم الطور بميثاقهم بسبب ميثاقهم ليقبلوه وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا على لسان موسى

والطور مظل عليهم وقلنا لهم لا تعدوا في السبت على لسان داود ويحتمل ان يراد
على لسان موسى حين ظلل الجبل عليهم فانه شرع السبت ولكن كان الاعتداء فيه والمسخ به
في زمن داود وقرأ ورش عن نافع لا تعدوا على ان اصله لا تعتدوا فادغمت التاء في
الدال وقرأ قالون باخفاء حركة العين وتشديد الدال والنص عنه بالاسكان
واخذنا منهم ميثاقا غليظا على ذلك وهو قولهم سمعنا واطعنا فبما نقضهم ميثاقهم
اي فخالفوا ونقضوا ففعلنا بهم ما فعلنا بنقضهم وما مزيدة للتأكيد والباء متعلقة
بالفعل المحذوف ويجوز ان يتعلق بحرمنا عليهم طيبات فيكون التحريم بسبب النقض
وما عطف عليه الى قوله فبظلم لا بما دل عليه قوله بل طبع الله عليها مثل لا يؤمنون
لانه رد لقولهم قلوبنا غلف فيكون من صلة قولهم المعطوف على المجرور فلا يعمل
في جاره وكفرهم بآيات الله بالقرآن او بما في كتابهم وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم
قلوبنا غلف اوعية للعلوم او في اكنة مما تدعونا اليه بل طبع الله عليها بكفرهم
فجعلها محجوبة عن العلم وخذلها ومنعها التوفيق للتدبر في الآيات والتذكر بالمواعظ
فلا يؤمنون الا قليلا منهم كعبد الله بن سلام او ايمانا قليلا لا عبرة به لنقصانه
وبكفرهم بعيسى وهو معطوف على بكفرهم لانه من اسباب الطبع او على قوله فبما
نقضهم ويجوز ان يعطف مجموع هذا وما عطف عليه على مجموع ما قبله ويكون تكرير
ذكر الكفر ايذانا بتكرر كفرهم فانهم كفروا بموسى ثم بعيسى عليهما السلام ثم بمحمد عليه السلام
وقولهم على مريم بهتانا عظيما يعني نسبتها الى الزنا وقولهم انا قتلنا المسيح بن مريم
رسول الله اي بزعمه ويحتمل انهم قالوه استهزاء ونظيره ان رسولكم الذي ارسل اليكم
لمجنون وان يكون استئنافا من الله بمدحه او وضعا للذكر الحسن مكان ذكرهم
القبيح وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم روي ان رهطا من اليهود سبوه وامه
فدعا عليهم فمسخهم الله قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله بانه
يرفعه الى السماء فقال لاصحابه ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل
الجنة فقام رجل منهم فالقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجلا ينافقه فخرج ليدل

فالقى الله عليه شبهه فاخذ وصلب وقيل دخل طيطانوس اليهودي بيتا كان هو فيه
فلم يجده والقى الله عليه شبهه فلما خرج ظن انه عيسى ع م فاخذ وصلب وامثال ذلك
من الخوارق التي لا تستبعد في زمان النبوة وانما ذمهم الله تعالى بما دل عليه الكلام من جراءتهم
على الله تعالى وقصدهم قتل نبيه المؤيد بالمعجزات القاهرة وتبجحهم به لا بقولهم هذا على حسب
حسبانهم وشبه مسند الى الجار والمجرور كانه قيل ولكن وقع لهم التشبيه بين عيسى والمقتول
او في الامر على قول من قال لم يقتل احد ولكن ارجف بقتله فشاع بين الناس او الى
ضمير المقتول لدلالة انا قتلنا على ان ثم مقتولا وان الذين اختلفوا فيه في شان عيسى ع م
فانه لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس فقال بعض اليهود انه كان كاذبا فقتلناه
حقا وتردد آخرون فقال بعضهم ان كان هذا عيسى ع م فاين صاحبنا وقال بعضهم
الوجه وجه عيسى ع م والبدن بدن صاحبنا وقال من سمع منه ان الله يرفعني الى السماء
انه رفع الى السماء وقال قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت لفي شك منه لفي تردد
والشك كما يطلق على ما لا يترجح احد طرفيه يطلق على مطلق التردد وعلى ما يقابل العلم
ولذلك اكده بقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن استثناء منقطع اي ولكنهم يتبعون
الظن ويجوز ان يفسر الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد الذي تسكن اليه النفس جزما كان
او غيره فيتصل الاستثناء وما قتلوه يقينا قتلا يقينا كما زعموه بقولهم انا قتلنا المسيح
او متيقنين وقيل معناه ما علموه يقينا كقوله كذلك تخبر عنها العالمات بها وقد قتلت
بعلمي ذلكم يقنا من قولهم قتلت الشيء علما ونحرته علما اذا تبالغ علمك فيه بل رفعه الله
اليه رد وانكار لقتله واثبات لرفعه وكان الله عزيزا لا يغلب على ما يريده حكيما فيما يدبر
لعيسى ع م وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته اي وان من اهل الكتاب احد الا
ليؤمنن به فقوله ليؤمنن به جملة قسمية وقعت صفة لاحد ويعود اليه الضمير الثاني
والاول لعيسى ع م والمعنى ما من اليهود والنصارى احد الا ليؤمنن بان عيسى عبد الله
ورسوله قبل ان يموت ولو حين تزهق روحه ولا ينفعه ايمانه ويؤيد ذلك ان قرئ
ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون لان احدا في معنى الجمع وهذا كالوعيد لهم والتحريض

على معاجلة الايمان به قبل ان يضطروا اليه ولم ينفعهم ايمانهم وقيل الضميران لعيسى
والمعنى انه اذا نزل من السماء آمن به اهل الملل جميعا روي انه ينزل من السماء حين يخرج
الدجال فيهلكه ولا يبقى احد من اهل الكتاب الا يؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة
الاسلام ويقع الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب
مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات ويلبث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه
المسلمون ويدفنونه ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا فيشهد على اليهود بالتكذيب
وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله فبظلم من الذين هادوا اي فباي ظلم منهم حرمنا عليهم
طيبات احلت لهم يعني ما ذكر في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا وبصدهم عن سبيل الله
كثيرا اناسا كثيرا او صدا كثيرا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه كان الربوا محرما عليهم
كما هو محرم علينا وفيه دليل على دلالة النهي على التحريم واكلهم اموال الناس بالباطل
بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما دون من تاب وآمن
لكن الراسخون في العلم منهم كعبد الله بن سلام واصحابه والمؤمنون اي منهم او من المهاجرين
والانصار يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك خبر المبتدأ والمقيمين الصلوة نصب على
المدح ان جعل يؤمنون الخبر لاولئك او عطف على ما انزل اليك والمراد بهم الانبياء اي يؤمنون
بالكتب والانبياء وقرئ بالرفع عطفا على الراسخون او الضمير في يؤمنون او على انه
مبتدأ والخبر اولئك سنؤتيهم والمؤتون الزكوة رفعه لاحد الاوجه المذكورة والمؤمنون
بالله واليوم الآخر قدم عليه الايمان بالانبياء والكتب وما يصدقه من اتباع
الشرائع لانه المقصود بالآية اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما على جمعهم بين الايمان الصحيح
والعمل الصالح وقرأ حمزة سيؤتيهم بالياء انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين
من بعده جواب لاهل الكتاب عن اقتراحهم ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم
بان امره في الوحي كسائر الانبياء واوحينا الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب
والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان خصهم بالذكر مع اشتمال النبيين
عليهم تعظيما لهم فان ابرهيم اول اولي العزم منهم وعيسى آخرهم والباقون اشراف الانبياء

ومشاهيرهم وآتينا داود زبورا وقرأ حمزة زبورا بالضم وهو جمع زبر بمعنى مزبور
ورسلا نصب بمضمر دل عليه اوحينا اليك كارسلنا او فسره قد قصصناهم عليك من قبل
اي من قبل هذه السورة او اليوم ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما
وهو منتهى مراتب الوحي خص به موسى من بينهم وقد فضل الله محمدا بان اعطاه مثل ما
اعطى كل واحد منهم رسلا مبشرين ومنذرين نصب على المدح او باضمار ارسلنا او على الحال
ويكون رسلا موطئا لما بعده كقولك مررت بزيد رجلا صالحا لئلا يكون للناس
على الله حجة بعد الرسل فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فينبهنا ويعلمنا ما لم نكن
نعلم وفيه تنبيه على ان بعثة الانبياء الى الناس ضرورة لقصور الكل عن ادراك جزئيات
المصالح والاكثر عن ادراك كلياتها واللام متعلقة بارسلنا او بقوله مبشرين ومنذرين
وحجة اسم كان وخبره للناس او على الله والآخر حال ولا يجوز تعلقه بحجة لانه مصدر
وبعد ظرف لها او صفة وكان الله عزيزا لا يغلب فيما يريده حكيما فيما دبر من امر النبوة
وخص كل نبي بنوع من الوحي والاعجاز لكن الله يشهد استدراك عن مفهوم ما قبله
وكانه لما تعنتوا عليه بسؤال كتاب ينزل عليهم من السماء واحتج عليهم بقوله انا اوحينا اليك
قال انهم لا يشهدون ولكن الله يشهد وانهم انكروه ولكن الله يثبته ويقرره بما انزل
اليك من القرآن المعجز الدال على نبوتك روي انه لما نزل انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد لك
فنزلت انزله بعلمه انزله ملتبسا بعلمه الخاص به وهو العلم بتأليفه على نظم يعجز عنه كل بليغ
او بحال من يستعد للنبوة ويستأهل نزول الكتاب عليه او بعلمه الذي يحتاج اليه الناس
في معاشهم ومعادهم والجار والمجرور على الاولين حال من الفاعل وعلى الثالث حال
عن المفعول والجملة كالتفسير لما قبلها والملائكة يشهدون ايضا بنبوتك وفيه تنبيه على
انهم يودون ان يعلموا صحة دعوى النبوة على وجه يستغني عن النظر والتأمل وهذا
النوع من خواص الملك ولا سبيل للانسان الى العلم بامثال ذلك سوى الفكر والنظر
فلو اتى هؤلاء بالنظر الصحيح لعرفوا نبوتك وشهدوا بها كما عرفت الملائكة وشهدوا
عليها وكفى بالله شهيدا اي وكفى بما اقام من الحجج على صحة نبوتك عن الاستشهاد بغيره ان الذين

كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا لانهم جمعوا بين الضلال والاضلال
ولان المضل يكون اعرق في الضلال وابعد من الانقلاع عنه ان الذين كفروا وظلموا
محمدا عم بانكار نبوته او الناس بصدهم عما فيه صلاحهم وخلاصهم او باعم من ذلك
والآية تدل على ان الكفار مخاطبون بالفروع اذ المراد بهم الجامعون بين الكفر والظلم
لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا لجري حكمه السابق
ووعده المحتوم على ان من مات على كفره فهو خالد في النار وخالدين حال مقدرة وكان
ذلك على الله يسيرا لا يصعب عليه ولا يستعظمه يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق
من ربكم لما قرر امر النبوة وبين الطريق الموصل الى العلم بها ووعيد من انكرها خاطب
الناس عامة بالدعوة والزام الحجة والوعد بالاجابة والوعيد على الرد فآمنوا خيرا
لكم اي ايمانا خيرا لكم او ائتوا امرا خيرا لكم مما انتم عليه وقيل تقديره يكن الايمان خيرا
لكم مما انتم عليه ومنعه البصريون لان كان لا يحذف مع اسمه الا فيما لا بد منه ولانه يؤدي
الى حذف الشرط وجوابه وان تكفروا فان لله ما في السموات والارض يعني وان تكفروا
فهو غني عنكم لا يتضرر بكفركم كما لا ينتفع بايمانكم ونبه على غناه بقوله لله ما في السموات
والارض وهو يعم ما اشتملتا عليه وما تركبتا منه وكان الله عليما باحوالهم حكيما فيما
دبر لهم يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم الخطاب للفريقين غلت اليهود في حط عيسى عم
حتى رموه بانه ولد لغير رشدة والنصارى في رفعه حتى اتخذوه الها وقيل للنصارى
خاصة فانه اوفق لقوله ولا تقولوا على الله الا الحق يعني تنزيهه عن الصاحبة والولد
انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم اوصلها اليها وحصلها فيها وروح
منه وذو روح صدر منه لا بتوسط ما يجري مجرى الاصل والمادة له وقيل سمي روحا
لانه كان يحيي الاموات او القلوب فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة اي الآلهة ثلاثة
الله والمسيح ومريم ويشهد عليه قوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من
دون الله او الله ثلاثة ان صح انهم يقولون الله ثلاثة اقانيم الاب والابن وروح القدس
ويريدون بالاب الذات وبالابن العلم وبروح القدس الحياة انتهوا عن التثليث

خبر لكم نصبه كما سبق إنما الله إله واحد أي واحد بالذات لا تعدد فيه بوجه ما سبحانه
أن يكون له ولد أي أسبحه تسبيحا من أن يكون له ولد فإنه يكون لمن يعادله مثل ويتطرق إليه
فناء له ما في السموات وما في الأرض ملكا وخلقا لا يماثله شيء من ذلك فيتخذه ولدا
وكفى بالله وكيلا تنبيه على غناه عن الولد فإن الحاجة إليه ليكون وكيلا لأبيه والله سبحانه
قائم بحفظ الأشياء كاف في ذلك مستغن عمن يخلفه أو يعينه لن يستنكف المسيح لن يأنف
من نكفت الدمع إذا نحيته بإصبعك كيلا يرى أثره عليك أن يكون عبدا لله من أن يكون عبدا له
فإن عبوديته شرف يتباهى بها وإنما المذلة والاستنكاف في عبودية غيره روي أن وفد
نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا فقال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال وأي شيء
أقول قالوا تقول إنه عبد الله قال إنه ليس بعار أن يكون عبد الله قالوا بلى فنزلت ولا الملائكة
المقربون عطف على المسيح أي ولا يستنكف الملائكة المقربون أن يكونوا عبيدا لله واحتج به
من زعم فضل الملائكة على الأنبياء وقال مساقه لرد النصارى في رفع المسيح عن مقام
العبودية وذلك يقتضي أن يكون المعطوف أعلى درجة من المعطوف عليه حتى يكون عدم استنكافهم
كالدليل على عدم استنكافه وجوابه أن الآية للرد على عبدة المسيح والملائكة فلا يتجه ذلك
وإن سلم اختصاصها بالنصارى فلعله أراد بالعطف المبالغة باعتبار التكثير دون التكبير
كقولك أصبح الأمير لا يخالفه رئيس ولا مرؤوس وإن أراد به التكبير فغايته تفضيل المقربين
من الملائكة وهم الكروبيون الذين حول العرش أو من أعلى منهم رتبة من الملائكة على المسيح
من الأنبياء وذلك لا يستلزم فضل أحد الجنسين على الآخر مطلقا والنزاع فيه ومن
يستنكف عن عبادته ويستكبر ويترفع عنها والاستكبار دون الاستنكاف ولذلك
عطف عليه وإنما يستعمل حيث لا استحقاق بخلاف التكبر فإنه قد يكون باستحقاق فسيحشرهم
إليه جميعا فيجازيهم فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم
من فضله وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ولا يجدون لهم من
دون الله وليا ولا نصيرا تفصيل للمجازاة العامة المدلول عليها من فحوى الكلام وكأنه
قال فسيحشرهم إليه جميعا يوم يحشر العباد للمجازاة أو لمجازاتهم فإن إثابة مقابليهم والإحسان

إليهم تعذيب لهم بالغم والحسرة يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم
نورا مبينا يعني بالبرهان المعجزات وبالنور القرآن أي قد جاءكم دلائل العقل وشواهد النقل
ولم يبق لكم عذر ولا علة وقيل البرهان الدين أو رسول الله أو القرآن فأما الذين
آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه ثواب قدره بإزاء إيمانه وعمله رحمة منه
لا قضاء لحق واجب وفضل إحسان زائد عليه ويهديهم إليه إلى الله تعالى وقيل إلى الموعود
صراطا مستقيما هو الإسلام والطاعة في الدنيا وطريق الجنة في الآخرة يستفتونك
أي في الكلالة حذف لدلالة الجواب عليها روي أن جابر بن عبد الله كان مريضا فعاده
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إني كلالة فكيف أصنع في مالي فنزلت وهي آخر ما نزل في الأحكام
قل الله يفتيكم في الكلالة سبق تفسيرها في أوائل السورة إن امرؤ هلك ليس له ولد وله
أخت فلها نصف ما ترك ارتفع امرؤ بفعل يفسره الظاهر وليس له ولد صفة له أو حال
من المستكن في هلك والواو في وله يحتمل الحال والعطف والمراد بالأخت الأخت من
الأبوين أو الأب لأنه جعل أخوها عصبة وابن الأم لا يكون عصبة والولد على ظاهره
فإن الأخت وإن ورثت مع البنت عند عامة العلماء غير ابن عباس رضي لكنها لا ترث
النصف بالفرضية وهو يرثها أي والمرء يرث أخته إن كان الأمر بالعكس إن لم يكن لها
ولد ذكرا كان أو أنثى إن أريد بيرثها يرث جميع مالها وإلا فالمراد به الذكر إذ البنت
لا تحجب الأخ والآية كما لم تدل على سقوط الإخوة بغير الولد لم تدل على عدم سقوطهم به
وقد دلت السنة على أنهم لا يرثون مع الأب وكذا مفهوم قوله الله يفتيكم في الكلالة إن
فسرت بالميت فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك الضمير لمن يرث بالأخوة وتثنيته
محمول على المعنى وفائدة الإخبار عنه باثنتين التنبيه على أن الحكم باعتبار العدد دون
الصغر والكبر وغيرهما وإن كانوا إخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين
أصله وإن كانوا إخوة وأخوات فغلب المذكر يبين الله لكم أن تضلوا أي يبين لكم ضلالكم
الذي من شأنكم إذا خليتم وطباعكم لتحترزوا عنه وتتحروا خلافه أو يبين لكم الحق والصواب
كراهة أن تضلوا وقيل لئلا تضلوا فحذف لا وهو قول الكوفيين والله بكل شيء عليم فهو [illegible]

عالم بصالح العباد في الحياة والممات عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النساء فكانما تصدق
على كل مؤمن ومؤمنة وورث ميراثا واعطي من الاجر كمن اشترى محررا
وبرئ من الشرك وكان في مشية الله من الذين يتجاوز عنهم

سورة المائدة وهي مائة وثلث وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود الوفاء هو القيام بمقتضى
العهد وكذلك الايفاء والعقد العهد الموثق قال الحطيئة قوم اذا عقدوا عقدا
لجارهم شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا واصله الجمع بين الشيئين بحيث يعسر الانفصال
ولعل المراد بالعقود ما يعم العقود التي عقدها الله تعالى على عباده والزمها اياهم من التكاليف
وما يعقدون بينهم من عقود الامانات والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به او يحسن
ان حملنا الامر على المشترك بين الوجوب والندب احلت لكم بهيمة الانعام تفصيل للعقود
والبهيمة كل حي لا يميز وقيل كل ذات اربع واضافتها الى الانعام للبيان كقولك ثوب
خز ومعناه البهيمة من الانعام وهي الازواج الثمانية والحق بها الظباء وبقر الوحش
وقيل هما المراد بالبهيمة ونحوهما مما يماثل الانعام في الاجترار وعدم الانياب واضافتها
الى الانعام لملابسة الشبه الا ما يتلى عليكم الا محرم ما يتلى عليكم بقوله حرمت عليكم الميتة
او الا ما يتلى عليكم تحريمه غير محلي الصيد حال من الضمير في لكم وقيل من واو اوفوا وقيل
استثناء وفيه تعسف والصيد يحتمل المصدر والمفعول وانتم حرم حال عما استكن في
محلي والحرم جمع حرام وهو المحرم ان الله يحكم ما يريد من تحليل وتحريم يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا
شعائر الله يعني مناسك الحج جمع شعيرة وهي اسم ما اشعر اي جعل شعارا سمي به اعمال
الحج ومواقفه لانها علامات الحج واعلام النسك وقيل دين الله لقوله ومن يعظم
شعائر الله اي دينه وقيل فرائضه التي حدها لعباده ولا الشهر الحرام بالقتال فيه او
بالنسيء ولا الهدي ما اهدي الى الكعبة جمع هدية كجدي في جمع جدية السرج ولا القلائد
اي ذوات القلائد من الهدي وعطفها على الهدي للاختصاص فانها اشرف الهدي

او القلائد انفسها والنهي عن احلالها مبالغة في النهي عن التعرض للهدي ونظيره قوله
ولا يبدين زينتهن والقلائد جمع قلادة وهو ما قلد به الهدي من نعل او لحاء شجر او غيرها
ليعلم به انه هدي فلا يتعرض له ولا آمين البيت الحرام قاصدين لزيارته يبتغون
فضلا من ربهم ورضوانا ان يثيبهم ويرضى عنهم والجملة في موضع الحال من المستكن
في آمين وليست صفة له لانه عامل والمختار ان اسم الفاعل الموصوف لا يعمل وفائدته
استنكار تعرض من هذا شانه والتنبيه على المانع له وقيل معناه يبتغون من الله رزقا
بالتجارة ورضوانا بزعمهم اذ روي ان الآية نزلت عام القضاء في حجاج اليمامة
لما هم المسلمون ان يتعرضوا لهم بسبب انه كان فيهم الحطيم شريح بن ضبيعة وكان
قد استاق سرح المدينة وعلى هذا فالآية منسوخة وقرئ تبتغون على خطاب المؤمنين
واذا حللتم فاصطادوا اذن في الاصطياد بعد زوال الاحرام ولا يلزم من
ارادة الاباحة ههنا من الامر دلالة الامر الآتي بعد الحظر على الاباحة مطلقا
وقرئ بكسر الفاء على القاء حركة همزة الوصل عليها وهو ضعيف جدا وقرئ احللتم
يقال حل المحرم واحل ولا يجرمنكم اي لا يحملنكم او لا يكسبنكم شنآن قوم شدة بغضهم
وعداوتهم وهو مصدر اضيف الى المفعول او الفاعل وقرأ ابن عامر واسمعيل عن نافع
وابن عياش عن عاصم بسكون النون وهو ايضا مصدر كليان او نعت بمعنى بغيض
قوم وفعلان في النعت اكثر ان صدوكم عن المسجد الحرام لان صدوكم عام الحديبية
وقرأ ابن كثير وابو عمرو بكسر الهمزة على انه شرط معترض اغنى عن جوابه لا يجرمنكم
ان تعتدوا بالانتقام ثاني مفعولي يجرمنكم فانه يعدى الى واحد والى اثنين ككسب
ومن قرأ يجرمنكم بضم الياء جعله منقولا من المتعدي الى مفعول بالهمزة الى مفعولين
وتعاونوا على البر والتقوى على العفو والاغضاء ومتابعة الامر ومجانبة الهوى
ولا تعاونوا على الاثم والعدوان للتشفي والانتقام واتقوا الله ان الله شديد العقاب
فانتقامه اشد حرمت عليكم الميتة بيان ما يتلى عليكم والميتة ما فارقه الروح من
غير تذكية والدم اي الدم المسفوح لقوله او دما مسفوحا وكان اهل الجاهلية

يصبونه في الامعاء ويشوونها ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به اي رفع الصوت
لغير الله به كقولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه والمنخنقة التي ماتت بالخنق
والموقوذة المضروبة بنحو خشب او حجر حتى تموت من وقذته اذا ضربته والمتردية
التي تردت من علو او في بئر فماتت والنطيحة التي نطحتها اخرى فماتت وهو يدل
على ان جوارح الصيد اذا اكلت مما اصطادته لم يحل الا ما ذكيتم الا ما ادركتم
ذكوته وفيه حياة مستقرة من ذلك وقيل الاستثناء مخصوص بما اكل السبع والذكاة
في الشرع بقطع الحلقوم والمريء بمحدد وما ذبح على النصب النصب واحد الانصاب وهي
احجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويعدون ذلك قربة وقيل هي الاصنام
وعلى بمعنى اللام او على اصلها بتقدير وما ذبح مسمى على الاصنام وقيل هو جمع والواحد
نصاب وان تستقسموا بالازلام اي وحرم عليكم الاستقسام بالاقداح وذلك
انهم اذا قصدوا فعلا ضربوا ثلاثة اقداح مكتوب على احدها امرني ربي وعلى الآخر
نهاني ربي والثالث غفل فان خرج الآمر مضوا على ذلك وان خرج الناهي تجنبوا
عنه وان خرج الغفل اجالوها ثانيا فمعنى الاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم دون
ما لم يقسم بالازلام وقيل هو استقسام الجزور بالاقداح على الانصباء المعلومة
وواحد الازلام زلم كجمل وزلم كصرد ذلكم فسق اشارة الى الاستقسام وكونه فسقا
لانه دخول في علم الغيب وضلال باعتقاد ان ذلك طريق اليه وافتراء على الله تعالى
ان اريد بربي الله وجهالة وشرك ان اريد به الصنم او الميسر المحرم او الى تناول ما
حرم عليهم اليوم لم يرد به يوما بعينه وانما اراد الزمان الحاضر وما يتصل به من الازمنة
الآتية وقيل اراد يوم نزولها وقد نزلت بعد عصر يوم الجمعة يوم عرفة حجة الوداع
يئس الذين كفروا من دينكم اي من ابطاله ورجوعكم عنه بتحليل هذه الخبائث وغيرها
او من ان يغلبوكم عليه فلا تخشوهم ان يظهروا عليكم واخشون واخلصوا الخشية لي اليوم
اكملت لكم دينكم بالنصر والاظهار على الاديان كلها او بالتنصيص على قواعد العقائد
والتوقيف على اصول الشرائع وقوانين الاجتهاد واتممت عليكم نعمتي بالهداية والتوفيق

او باكمال الدين او بفتح مكة وهدم منار الجاهلية ورضيت لكم الاسلام اخترته
لكم دينا من بين الاديان وهو الدين عند الله لا غير فمن اضطر متصل بذكر المحرمات
وما بينهما اعتراض بما يوجب التجنب عنها وهو ان تناولها فسوق وحرمتها من جملة الدين
الكامل والنعمة التامة والاسلام المرضي والمعنى فمن اضطر الى تناول شيء من هذه المحرمات
في مخمصة مجاعة غير متجانف لاثم غير مائل له ومنحرف اليه بان يأكلها تلذذا او مجاوزا
حد الرخصة كقوله غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم لا يؤاخذه باكله يسألونك
ماذا احل لهم لما تضمن السؤال معنى القول اوقع على الجملة وقد سبق الكلام في ماذا وانما
قال لهم ولم يقل لنا على الحكاية لان يسألونك بلفظ الغيبة وكلا الوجهين سائغ في
امثاله والمسؤول ما احل لهم من المطاعم كانهم لما تلي عليهم ما حرم عليهم سألوا عما احل لهم
قل احل لكم الطيبات ما لم تستخبثه الطباع السليمة ولم تنفر عنه ومن مفهومه حرم مستخبثات
العرب او ما لم يدل نص ولا قياس على حرمته وما علمتم من الجوارح عطف على الطيبات
ان جعلت ما موصولة على تقدير وصيد ما علمتم وجملة شرطية ان جعلت شرطا وجوابها فكلوا
والجوارح كواسب الصيد على اهلها من سباع ذوات الاربع والطير مكلبين معلمين اياه الصيد
والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها بالصيد مشتق من الكلب لان التأديب يكون اكثر فيه
وآثر او لان كل سبع يسمى كلبا لقوله عم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وانتصابه على الحال
من علمتم وفائدتها المبالغة في التعليم تعلمونهن حال ثانية او استئناف مما علمكم الله من الحيل
وطرق التأديب فان العلم به الهام من الله تعالى او مكتسب بالعقل الذي هو منحة منه او مما
علمكم ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وينزجر بزجره وينصرف بدعائه ويمسك
عليه الصيد ولا يأكل منه فكلوا مما امسكن عليكم وهو ما لم يأكل منه لقوله عم لعدي بن حاتم
وان اكل منه فلا تأكل انما امسك على نفسه واليه ذهب اكثر الفقهاء وقال بعضهم لا يشترط ذلك
في سباع الطير لان تأديبها الى هذا الحد متعذر وقال آخرون لا يشترط مطلقا واذكروا
اسم الله عليه الضمير لما علمتم والمعنى سموا عليه عند ارساله او لما امسكن بمعنى سموا عليه اذا ادركتم
ذكوته واتقوا الله في محرماته ان الله سريع الحساب فيؤاخذكم بما جل ودق اليوم احل لكم

الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم يتناول الذبايح وغيرها ويعم الذين
اوتوا الكتاب اليهود والنصارى واستثنى علي رض نصارى بني تغلب وقال ليسوا على
النصرانية ولم ياخذوا منها الا شرب الخمر ولا يلحق بهم المجوس في ذلك وان الحق بهم في التقرير
على الجزية لقوله ع م سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا اكلي ذبايحهم وطعامكم
حل لهم فلا عليكم ان تطعموهم وتبيعوه منهم ولو حرم عليهم لم يجز ذلك والمحصنات من المؤمنات
الحراير العفايف وتخصيصهن بعث على ما هو الاولى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم وان كن حربيات وقال ابن عباس رض لا تحل الحربيات اذا اتيتموهن اجورهن
مهورهن وتقييد الحل بايتائها لتاكيد وجوبها والحث على الاولى وقيل المراد بايتائها التزامها
محصنين اعفاء بالنكاح غير مسافحين مجاهدين بالزنا ولا متخذي اخدان مسرين به والخدن
الصديق يقع على الذكر والانثى ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الاخرة من الخاسرين
يريد بالايمان شرايع الاسلام وبالكفر به انكاره والامتناع عنه يا ايها الذين امنوا اذا
قمتم الى الصلوة اي اذا اردتم القيام كقوله اذا قرأت القران فاستعذ بالله عبر عن ارادة
الفعل بالفعل المسبب عنها للايجاز والتنبيه على ان من اراد العبادة ينبغي ان يبادر اليها
بحيث لا ينفك الفعل عن الارادة او اذا قصدتم الصلوة لان التوجه الى الشيء والقيام اليه
قصد له وظاهر الاية يوجب الوضوء على كل قائم الى الصلوة وان لم يكن محدثا والاجماع
على خلافه لما روي انه ع م صلى الخمس بوضوء واحد يوم الفتح فقال عمر رض صنعت شيئا
لم تكن تصنعه فقال ع م عمدا فعلته وقيل مطلق اريد به التقييد والمعنى اذا قمتم الى الصلوة
محدثين وقيل الامر فيه للندب وقيل كان ذلك اول الامر ثم نسخ وهو ضعيف لقوله ع م المائدة
من اخر القران نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها فاغسلوا وجوهكم امروا الماء عليها
ولا حاجة الى الدلك خلافا لمالك رض وايديكم الى المرافق للجمهور على دخول المرفقين
في المغسول ولذلك قيل الى بمعنى مع كقوله تع ويزدكم قوة الى قوتكم او متعلقة بمحذوف
تقديره وايديكم مضافة الى المرافق ولو كان كذلك لم يبق معنى للتحديد ولا لذكره مزيد
فايدة لان مطلق اليد يشتمل عليها وقيل الى تفيد الغاية مطلقا واما دخولها في الحكم او خروجها

منه فلا دلالة لها عليه وانما يعلم من خارج ولم يكن في الاية وكانت الايدي متناولة لها
فحكم بدخولها احتياطا وقيل الى من حيث انها تفيد الغاية تقتضي خروجها والا لم تكن غاية
لقوله تع فنظرة الى ميسرة وقوله ثم اتموا الصيام الى الليل لكن لما لم تتميز الغاية ههنا
عن ذي الغاية وجب ادخالها احتياطا وامسحوا برءوسكم الباء مزيدة وقيل للتبعيض
فانه الفارق بين قولك مسحت المنديل ومسحت بالمنديل ووجهه ان يقال انها تدل على
تضمين الفعل معنى الالصاق وكانه قيل والصقوا المسح برءوسكم وذلك لا يقتضي الاستيعاب
بخلاف ما لو قيل وامسحوا رءوسكم فانه كقوله فاغسلوا وجوهكم واختلف العلماء في
قدر الواجب فاوجب الشافعي اقل ما يقع عليه الاسم اخذا باليقين وابو حنيفة مسح ربع
الراس لانه ع م مسح على ناصيته وهو قريب من الربع ومالك مسح كله اخذا بالاحتياط
وارجلكم الى الكعبين نصبه نافع وابن عامر وحفص والكسائي ويعقوب عطفا على وجوهكم
ويؤيده السنة الشايعة وعمل الصحابة وقول اكثر الائمة والتحديد اذ المسح لم يحد وجره
الباقون على الجوار ونظيره كثير في القران والشعر كقوله تع عذاب يوم اليم وحور
عين بالجر في قراءة حمزة والكسائي وقولهم جحر ضب خرب وللنحاة باب في ذلك وفايدته
التنبيه على انه ينبغي ان يقتصد في صب الماء عليها ويغسل غسلا يقرب من المسح وفي الفصل
بينه وبين اخواته ايماء على وجوب الترتيب وقرئ بالرفع على وارجلكم مغسولة وان كنتم
جنبا فاطهروا فاغتسلوا وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغايط
او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه
سبق تفسيره ولعل تكريره ليتصل الكلام في بيان انواع الطهارة ما يريد الله ليجعل
عليكم من حرج اي ما يريد الامر بالطهارة للصلوة او الامر بالتيمم تضييقا عليكم ولكن
يريد ليطهركم لينظفكم او ليطهركم عن الذنوب فان الوضوء تكفير للذنوب او ليطهركم
بالتراب اذا اعوزكم التطهير بالماء فمفعول يريد في الموضعين محذوف واللام للعلة
وقيل مزيدة والمعنى ما يريد الله ان يجعل عليكم من حرج حتى لا يرخص لكم في التيمم
ولكن يريد ان يطهركم وهو ضعيف لان ان لا يقدر بعد المزيدة وليتم نعمته عليكم ليتم

شرعه ما هو مطهرة لابدانكم ومكفرة لذنوبكم نعمته عليكم في الدين او ليتم برخصه
انعامه عليكم بعزائمه لعلكم تشكرون نعمته والاية مشتملة على سبعة امور كلها مثنى
طهارتان اصل وبدل والاصل اثنان مستوعب وغير مستوعب وغير المستوعب
باعتبار الفعل غسل ومسح وباعتبار المحل محدود وغير محدود وان آلتهما مائع
وجامد وموجبهما حدث اصغر واكبر وان المبيح للعدول الى البدل مرض وسفر وان الموعود
عليها تطهير الذنوب واتمام النعمة واذكروا نعمة الله عليكم بالاسلام ليذكركم المنعم
ويرغبكم في شكره وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا يعني الميثاق الذي
اخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله عم على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط
والمكره او ميثاق ليلة العقبة او بيعة الرضوان واتقوا الله في انساء نعمته ونقض ميثاقه
ان الله عليم بذات الصدور اي بخفياتها فيجازيكم عليها فضلا عن جليات اعمالكم
يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان
لا تعدلوا عداه بعلى لتضمنه معنى الحمل والمعنى لا يحملنكم شدة بغضكم للمشركين على ترك العدل
فيهم فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل كمثلة وقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد
تشفيا مما في قلوبكم اعدلوا هو اقرب للتقوى اي العدل اقرب للتقوى صرح لهم بالامر بالعدل
وبين انه بمكان من التقوى بعد ما نهاهم عن الجور وبين انه مقتضى الهوى واذا كان هذا العدل
مع الكفار فما ظنك بالعدل مع المؤمنين واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون فيجازيكم به وتكرير
هذا الحكم اما لاختلاف السبب كما قيل ان الاولى نزلت في المشركين وهذه في اليهود او لمزيد
الاهتمام بالعدل والمبالغة في اطفاء نائرة الغيظ وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات
لهم مغفرة واجر عظيم انما حذف ثاني مفعولي وعد استغناء بقوله لهم مغفرة فانه استئناف
يبينه وقيل الجملة في موقع المفعول فان الوعد ضرب من القول وكانه قال وعدهم هذا
القول والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم هذا من عادته تعالى ان يتبع حال احد الفريقين
حال الآخر وفاء بحق الدعوة وفيه مزيد وعد للمؤمنين وتطييب لقلوبهم يا ايها الذين
آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم روي ان المشركين راوا رسول الله عم واصحابه بعسفان

قاموا الى الظهر فلما صلوا ندموا الا كانوا اكبوا عليهم وهموا ان يوقعوا بهم
اذا قاموا الى العصر فرد الله كيدهم بان انزل صلوة الخوف والاية الى ذلك وقيل
اشارة الى ما روي انه عم اتى قريظة ومعه الخلفاء الاربع يستقرضهم لدية
مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمري خطأ يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا ابا القاسم
اجلس حتى نطعمك ونقرضك فاجلسوه وهموا بقتله فعمد عمرو بن جحاش الى رحى
عظيمة يطرحها عليه فامسك الله يده فنزل جبرائيل فاخبره بذلك فخرج وقيل
نزل رسول الله منزلا وعلق سلاحه بشجرة وتفرق الناس عنه فجاء اعرابي فسل
سيفه فقال من يمنعك مني فقال الله فاسقطه جبرائيل من يده واخذه الرسول وقال
من يمنعك مني فقال لا احد اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فنزلت
اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم بالقتل والاهلاك يقال بسط اليه يده اذا بطش
به وبسط اليه لسانه اذا شتمه فكف ايديهم عنكم منعها ان تمد اليكم ورد مضرتها عنكم
واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون فانه الكافي لايصال الخير ودفع الشر
ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا شاهدا من كل سبط ينقب
عن احوال قومه ويفتش عنها او كفيلا يكفل عليهم بالوفاء بما امروا به روي ان بني
اسرائيل لما فرغوا عن فرعون واستقروا بمصر امرهم الله تعالى بالمسير الى اريحا ارض الشام
وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون وقال اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها
وجاهدوا من فيها فاني ناصركم وامر موسى ان ياخذ من كل سبط كفيلا عليهم بالوفاء بما
امروا به فاخذ عليهم الميثاق واختار منهم النقباء وسار بهم فلما دنا من ارض
الكنعان بعث النقباء يتجسسون الاخبار ونهاهم ان يحدثوا قومهم فراوا اجراما
عظيمة وباسا شديدا فهابوا فرجعوا وحدثوا قومهم الا كالب بن يوقنا من سبط
يهوذا ويوشع بن نون من سبط افرائيم بن يوسف عم وقال الله اني معكم بالنصرة
لئن اقمتم الصلوة وآتيتم الزكوة وآمنتم برسلي وعزرتموهم اي نصرتموهم وقويتموهم
واصله الذب ومنه التعزير واقرضتم الله قرضا حسنا بالانفاق في سبيل الخير وقرضا

يحتمل المصدر والمفعول لاكفرن عنكم سياتكم جواب القسم المدلول عليه باللام في لئن
ساد مسد جواب الشرط ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك
بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم منكم فقد ضل سواء السبيل ضلالا لا شبهة
فيه ولا عذر معه بخلاف من كفر قبل ذلك اذ قد يمكن ان يكون له شبهة ويتوهم له معذرة
فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم طردناهم من رحمتنا او مسخناهم او ضربنا عليهم الجزية
وجعلنا قلوبهم قاسية لا تنفعل عن الايات والنذر وقرا حمزة والكسائي قسية وهي
اما مبالغة قاسية او بمعنى ردية من قولهم درهم قسي اذا كان مغشوشا وهو ايضا
من القسوة فان المغشوش فيه يبس وصلابة وقرئ قسية باتباع القاف للسين يحرفون
الكلم عن مواضعه استينافا لبيان قسوة قلوبهم فانه لا قسوة اشد من تغيير كلام الله
والافتراء عليه ويجوز ان يكون حالا من مفعول لعناهم لا من القلوب اذ لا ضمير لهم
فيه ونسوا حظا وتركوا نصيبا وافيا مما ذكروا به من التورية او من اتباع محمد عم
والمعنى انهم حرفوا التورية وتركوا حظهم مما انزل عليهم فلم ينالوه وقيل معناه انهم
حرفوها فزلت بشومه اشياء منها عن حفظهم لما روي ان ابن مسعود رض قال قد ينسى
المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية ولا تزال تطلع على خائنة منهم خيانة او
فرقة خائنة او خائن والتاء للمبالغة والمعنى ان الخيانة والغدر من عادتهم وعادة
اسلافهم لا تزال ترى ذلك منهم الا قليلا منهم لم يخونوا وهم الذين امنوا منهم وقيل
الاستثناء من قوله وجعلنا قلوبهم قاسية فاعف عنهم واصفح ان تابوا وامنوا او
عاهدوا والتزموا الجزية وقيل مطلق نسخ باية السيف ان الله يحب المحسنين تعليل
للامر بالصفح وحث عليه وتنبيه على ان العفو عن الكافر الخائن احسان فضلا عن العفو
عن غيره ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم اي واخذنا من النصارى
ميثاقهم كما اخذنا ممن قبلهم وقيل تقديره ومن الذين قالوا انا نصارى قوم اخذنا
ميثاقهم وانما قال قالوا انا نصارى ليدل على انهم سموا انفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله تعالى
فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا فالزمنا من غري بالشيء اذا لصق به بينهم العداوة

والبغضاء

والبغضاء الى يوم القيمة بين فرق النصارى وهم نسطورية ويعقوبية وملكانية او بينهم
وبين اليهود وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون بالجزاء والعقاب يا اهل الكتاب
يعني اليهود والنصارى ووحد الكتاب لانه للجنس قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم
تخفون من الكتاب كنعت محمد وآية الرجم في التورية وبشارة عيسى عم باحمد في
الانجيل ويعفو عن كثير مما تخفونه لا يخبر به اذا لم يضطر اليه امر ديني او عن كثير
منكم فلا يؤاخذه بجرمه قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يعني القران فانه الكاشف
لظلمات الشك والضلال والكتاب الواضح الاعجاز وقيل يريد بالنور محمدا عم
يهدي به الله وحد الضمير لان المراد بهما واحد او لانهما كواحد في الحكم من اتبع رضوانه
من اتبع رضاه بالايمان منهم سبل السلام باذنه بارادته او بتوفيقه ويهديهم
الى صراط مستقيم طريق هو اقرب الطرق الى الله ومؤد اليه لا محالة لقد كفر الذين قالوا
ان الله هو المسيح بن مريم هم الذين قالوا بالاتحاد منهم وقيل لم يصرح به احد منهم ولكن
لما زعموا ان فيه لاهوتا وقالوا لا اله الا واحد لزمهم ان يكون هو المسيح فنسب اليهم
لازم قولهم توضيحا لجهلهم وتفضيحا لمعتقدهم قل فمن يملك من الله شيئا فمن يمنع من قدرته
وارادته شيئا ان اراد ان يهلك المسيح بن مريم وامه ومن في الارض جميعا احتج
بذلك على فساد قولهم وتقريره ان المسيح مقدور مقهور قابل للفناء كسائر الممكنات ومن
كان كذلك فهو بمعزل عن الالوهية ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء
والله على كل شيء قدير ازاحة لما عرض لهم من الشبهة في امره والمعنى انه تع قادر على
الاطلاق يخلق من غير اصل كما خلق السموات والارض ومن اصل كخلق ما بينهما فينشئ
من اصل ليس من جنسه كادم وكثير من الحيوانات ومن اصل يجانسه اما من ذكر وحده
كما خلق حوى او من انثى وحدها كعيسى عم او منهما كساير الناس وقالت اليهود والنصارى
نحن ابناء الله واحباؤه اشياع ابنيه عزير والمسيح كما قيل لاشياع ابن الزبير الخبيبون
او مقربون عنده قرب الاولاد من والدهم وقد سبق لنحو ذلك مزيد بيان في سورة
آل عمران قل فلم يعذبكم بذنوبكم اي فان صح ما زعمتم فلم يعذبكم بذنوبكم فان من كان

طرق السلامة من العذاب او سبل الله
ويخرجهم من الظلمات الى النور من انواع
الى الاسلام

بهذا المنصب لا يفعل ما يوجب تعذيبه وقد عذبكم في الدنيا بالقتل والاسر والمسخ
واعترفتم انه سيعذبكم بالنار اياما معدودة بل انتم بشر ممن خلق ممن خلقه الله
يغفر لمن يشاء وهم من آمن به وبرسله ويعذب من يشاء وهم من كفر به والمعنى انه يعاملكم
معاملة سائر الناس لا مزية لكم عليهم ولله ملك السموات والارض وما بينهما كلها سواء
في كونه خلقا وملكا له واليه المصير فيجازي المحسن باحسانه والمسيء باساءته يا اهل الكتاب
قد جاءكم رسولنا يبين لكم اي الدين وحذف لظهوره او ما كتمتم وحذف لتقدم ذكره ويجوز
ان لا يقدر مفعول على معنى يبذل لكم البيان والجملة في موضع الحال اي جاءكم رسولنا
مبينا لكم على فترة من الرسل متعلق بجاءكم اي جاءكم على حين فتور من الارسال وانقطاع
من الوحي او بيبين او حال من الضمير فيه ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير كراهة
ان تقولوا ذلك فتعتذروا به فقد جاءكم بشير ونذير متعلق بمحذوف اي لا تعتذروا
ما جاءنا فقد جاءكم والله على كل شيء قدير فيقدر على الارسال تترى كما فعل بين موسى
وعيسى عم اذ كان بينهما الف وسبعمائة سنة والف نبي وعلى الارسال على فترة كما فعل
بين عيسى ومحمد عم كان بينهما ستمائة او خمسمائة وتسع وستون سنة واربعة انبياء
ثلاثة من بني اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي وفي الاية امتنان
عليهم بان بعث اليهم حين انطمست آثار الوحي وكانوا احوج ما يكونون اليه
واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء فارشدكم وشرفكم
بهم ولم يبعث في امة ما بعث في بني اسرائيل من الانبياء وجعلكم ملوكا اي وجعل منكم او فيكم
وقد تكاثر فيهم الملوك تكاثر الانبياء بعد فرعون حتى قتلوا يحيى وهموا بقتل عيسى عم
وقيل لما كانوا مملوكين في ايدي القبط فانقذهم الله وجعلهم مالكين لانفسهم وامورهم
سماهم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين من فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن
والسلوى ونحوها مما آتاهم الله وقيل المراد بالعالمين عالمي زمانهم يا قوم ادخلوا الارض
المقدسة ارض بيت المقدس سميت بذلك لانها كانت قرار الانبياء ومسكن المؤمنين
وقيل الطور وما حوله وقيل دمشق وفلسطين وبعض الاردن وقيل الشام التي كتب الله

لكم قسمها لكم او كتب في اللوح المحفوظ انها تكون مسكنا لكم ولكن ان آمنتم واطعتم
لقوله لهم بعد ما عصوا فانها محرمة عليهم ولا ترتدوا على ادباركم ولا ترجعوا مدبرين
خوفا من الجبابرة وقيل لما سمعوا حالهم من النقباء بكوا وقالوا ليتنا متنا بمصر تعالوا
نجعل علينا رأسا ينصرف بنا الى مصر او لا ترتدوا في دينكم بالعصيان وعدم الوثوق
على الله فتنقلبوا خاسرين ثواب الدارين ويجوز في فتنقلبوا الجزم على العطف والنصب
على الجواب قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين متغلبين لا يتأتى مقاومتهم والجبار فعال
من جبره على الامر بمعنى اجبره وهو الذي يجبر الناس على ما يريده وانا لن ندخلها
حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون اذ لا طاقة لنا بهم قال رجلان
كالب ويوشع من الذين يخافون اي يخافون الله تعالى ويتقونه وقيل كانا رجلين من الجبابرة
اسلما وصارا الى موسى عم فعلى هذا الواو لبني اسرائيل والراجع الى الموصول محذوف
اي من الذين يخافهم بنو اسرائيل ويشهد له انه قرئ الذين يخافون بالضم اي المخوفين
وعلى المعنى الاول يكون هذا من الاخافة اي من الذين يخوفون من الله بالتذكير او يخوفهم
الوعيد انعم الله عليهما بالايمان والتثبيت وهو صفة ثانية لرجلان او اعتراض
ادخلوا عليهم الباب باب قريتهم اي باغتوهم وضاغطوهم في المضيق وامنعوهم
من الاصحار فاذا دخلتموه فانكم غالبون لتعسر الكر عليهم في المضايق من عظم اجسامهم
ولانهم اجسام لا قلوب فيها ويجوز ان يكون علمهما بذلك من اخبار موسى عم وقوله
كتب الله لكم او مما علما من عادته تعالى في نصرة رسله وما عهدا من صنعه لموسى في قهر اعدائه
وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين اي مؤمنين به ومصدقين لوعده قالوا يا موسى انا لن
ندخلها ابدا نفوا دخولهم على التأبيد والتأكيد ما داموا فيها بدل من ابدا بدل البعض
فاذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون قالوا ذلك استهانة بالله تعالى
ورسوله وعدم مبالاة بهما وقيل تقديره اذهب انت وربك يعينك قال رب اني
لا املك الا نفسي واخي قاله شكوى بثه وحزنه الى الله لما خالفه قومه وايس منهم ولم يبق
معه موافق يثق به غير هارون والرجلان المذكوران وان كانا يوافقانه لم يثق عليهما

لما كان من تلون قومه ويجوز ان يراد باخي من يواخيني في الدين فيدخلان فيه ويحتمل
نصبه عطفا على نفسي او على اسم ان ورفعه عطفا على الضمير في لا املك او على محل ان واسمها وجره
عند الكوفيين عطفا على الضمير في نفسي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين بان تحكم لنا
بما نستحقه وتحكم عليهم بما يستحقونه او بالتبعيد بيننا وبينهم وتخليصنا من صحبتهم قال
فانها فان الارض المقدسة محرمة عليهم لا يدخلونها ولا يملكونها بسبب عصيانهم اربعين
سنة يتيهون في الارض عامل الظرف اما محرمة فيكون التحريم موقتا غير مؤبد فلا يخالف
ظاهر قوله التي كتب الله لكم ويؤيد ذلك ما روي ان موسى سار بعد بمن بقي من بني اسرائل
ففتح اريحا واقام فيها ما شاء الله تعالى ثم قبض وقيل انه قبض في التيه ولما احتضر اخبرهم
بان يوشع بعده نبي وان الله تعالى امره بقتال الجبابرة فسار بهم يوشع وقتل الجبابرة
وصار الشام كله لبني اسرائل واما يتيهون اي يسيرون فيها متحيرين لا يرون طريقا فيكون
التحريم مطلقا وقد قيل لم يدخل الارض المقدسة احد ممن قال انا لن ندخلها بل هلكوا
في التيه وانما قاتل الجبابرة اولادهم روي انهم لبثوا اربعين سنة في ستة فراسخ يسيرون من
الصباح الى المساء فاذا هم بحيث ارتحلوا عنه وكان الغمام يظلهم من الشمس وعمود من نور
يطلع عليهم بالليل فيضيء لهم وكان طعامهم المن والسلوى وماؤهم من الحجر الذي يحملونه
والاكثر على ان موسى وهارون كانا معهم في التيه الا انه كان ذلك روحا لهما وزيادة
في درجتهما وعقوبة لهم وانهما ماتا فيه مات هارون وموسى بعده بسنة ثم دخل يوشع
اريحا بعد ثلثة اشهر ومات النقباء فيه بغتة غير كالب ويوشع فلا تأس على القوم الفاسقين
خاطب به موسى لما ندم على الدعاء عليهم وبين انهم احقاء بذلك لفسقهم واتل عليهم نبأ
ابني آدم قابيل وهابيل اوحى الله الى آدم ان يزوج كل واحد منهما توأمة الآخر فسخط
قابيل لان توأمته كانت اجمل فقال لهما آدم قربا قربانا فمن ايكما قبل تزوجها فقبل
قربان هابيل بان نزلت نار فاكلته فازداد سخطا وفعل ما فعل وقيل لم يرد بهما ابني
آدم من صلبه وانهما رجلان من بني اسرائل ولذلك قال كتبنا على بني اسرائل بالحق صفة مصدر
محذوف اي تلاوة ملتبسة بالحق او حال من الضمير في اتل او من نبأ اي ملتبسا بالصدق

موافقا لما في كتب الاولين اذ قربا قربانا ظرف لنبأ او حال منه او بدل على حذف
مضاف اي اتل عليهم نبأهما نبأ ذلك الوقت والقربان اسم ما يتقرب به الى الله من ذبيحة
او غيرها كما ان الحلوان اسم ما يحلى اي يعطى وهو في الاصل مصدر ولذلك لم يثن وقيل
تقديره اذ قرب كل واحد منهما قربانا قيل كان قابيل صاحب زرع وقرب اردأ قمح
عنده وهابيل صاحب ضرع وقرب جملا سمينا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر لانه
سخط حكم الله ولم يخلص النية في قربانه وقصد الى اخس ما عنده قال لاقتلنك توعده بالقتل
لفرط الحسد له على تقبل قربانه ولذلك قال انما يتقبل الله من المتقين في جوابه اي انما
اتيت من قبل نفسك بترك التقوى لا من قبلي فلم تقتلني وفيه اشارة الى ان الحاسد
ينبغي ان يرى من تقصيره ويجتهد في تحصيل ما به صار المحسود محظوظا لا في ازالة
حظه فان ذلك مما يضره ولا ينفعه وان الطاعة لا تقبل الا من مؤمن متق لئن بسطت
الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك اني اخاف الله رب العالمين قيل
كان هابيل اقوى منه ولكن تحرج عن قتله واستسلم له خوفا من الله تعالى لان الدفع
لم يبح بعد او تحريا لما هو الافضل قال عم كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله
القاتل وانما قال ما انا بباسط في جواب لئن بسطت للتبري عن هذا الفعل
الشنيع رأسا والتحرز من ان يوصف به ويطلق عليه ولذلك اكد النفي بالباء اني اريد
ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين تعليل ثان للامتناع
عن المعارضة والمقاومة والمعنى انما استسلم لك ارادة ان تحمل اثمي لو بسطت اليك يدي
واثمك ببسطك يدك الي ونحوه المستبان ما قالا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم
وقيل معنى باثمي باثم قتلي وباثمك الذي لم يتقبل من اجله قربانك وكلاهما في موضع الحال
اي ترجع ملتبسا بالاثمين حاملا لهما ولعله لم يرد معصية اخيه وشقاوته بل قصده
بهذا الكلام الى ان ذلك ان كان لا محالة واقعا فاريد ان يكون لك لا لي فالمراد
بالذات ان لا يكون له لا ان يكون لاخيه ويجوز ان يكون المراد بالاثم عقوبته وارادة
عقاب العاصي جائزة فطوعت له نفسه قتل اخيه فسهلته له ووسعته من طاع له المرتع

اذا اتسع وقرئ فطاوعت على انه فاعل بمعنى فعل وعلى ان قتل اخيه كانه دعاها الى
الاقدام عليه فطاوعته وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله فقتله فاصبح
من الخاسرين دينا ودنيا اذ بقي مدة عمره مطرودا محزونا قيل قتل هابيل وهو ابن
عشرين سنة عند عقبة حراء وقيل بالبصرة في موضع المسجد الاعظم فبعث الله غرابا
يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوءة اخيه روي انه لما قتله تحير في امره ولم يدر
ما يصنع به اذ كان اول ميت من بني آدم فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما
الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم القاه في الحفرة والضمير في ليريه لله او للغراب وكيف
حال من الضمير في يواري والجملة ثاني مفعولي يرى والمراد بسوءة اخيه جسده الميت فانه مما
يستقبح ان يرى قال يا ويلتى كلمة جزع وتحسر والالف فيها بدل من ياء المتكلم والمعنى
يا ويلتي احضري فهذا اوانك والويل والويلة الهلكة اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب
فاواري سوءة اخي لا اهتدي الى ما اهتدى اليه وقوله فاواري عطف على اكون وليس
جواب الاستفهام اذ ليس المعنى لو عجزت لواريت وقرئ بالسكون فانا اواري او على
تسكين المنصوب تخفيفا فاصبح من النادمين على قتله لما كابد فيه من التحير في امره وحمله
على رقبته سنة او اكثر على ما قيل وتلمذه للغراب واسوداد لونه وتبرئ ابويه منه اذ
روي انه لما قتله اسود جسده فسأله آدم عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا
فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك وتبرأ عنه ومكث بعد ذلك مائة سنة لا يضحك
وعدم الظفر بما فعله من اجله من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل بسببه قضينا عليهم واجل
في الاصل مصدر اجل شرا اذا جناه استعمل في تعليل الجنايات كقولهم من جراك
فعلته اي من ان جررته اي جنيته ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تعليل ومن ابتدائية
متعلقة بكتبنا اي ابتداء الكتب وانشاؤه من اجل ذلك انه من قتل نفسا بغير نفس
بغير قتل نفس يوجب الاقتصاص او فساد في الارض او بغير فساد فيها كالشرك او قطع
الطريق فكانما قتل الناس جميعا من حيث انه هتك حرمة الدماء وسن القتل
وجرأ الناس عليه او من حيث ان قتل الواحد والجميع سواء في استجلاب غضب الله

والعذاب العظيم ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا اي ومن تسبب لبقاء حياتها
بعفو او منع عن القتل او استنقاذ من بعض اسباب الهلكة فكانما فعل ذلك بالناس جميعا
والمقصود منه تعظيم قتل النفس واحيائها في القلوب ترهيبا عن التعرض لها وترغيبا
في المحاماة عليها ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك في الارض
لمسرفون اي بعدما كتبنا عليهم هذا التشديد العظيم من اجل امثال تلك الجناية وارسلنا اليهم
الرسل بالآيات الواضحة تاكيدا للامر وتجديدا للعهد كي يتحاموا عنها كثير منهم يسرفون
في الارض بالقتل ولا يبالون به وبهذا اتصلت القصة بما قبلها والاسراف التباعد عن
حد الاعتدال في الامر انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله اي يحاربون اولياءهما
وهم المسلمون جعل محاربتهم محاربتهما تعظيما واصل الحرب السلب والمراد به ههنا
قطع الطريق وقيل المكابرة باللصوصية وان كانت في مصر ويسعون في الارض
فسادا اي مفسدين ويجوز نصبه على العلة او المصدر لان سعيهم كان فسادا فكانه
قيل ويفسدون في الارض فسادا ان يقتلوا اي قصاصا من غير صلب ان افردوا
القتل او يصلبوا اي يصلبوا مع القتل ان قتلوا واخذوا المال وللفقهاء خلاف
في انه يقتل ويصلب او يصلب حيا ويترك او يطعن حتى يموت او تقطع ايديهم وارجلهم
من خلاف تقطع ايديهم اليمنى وارجلهم اليسرى ان اخذوا المال ولم يقتلوا او ينفوا من الارض
ينفوا من بلد الى بلد بحيث لا يتمكنون من القرار في موضع ان اقتصروا على الاخافة وفسر
ابو حنيفة رض النفي بالحبس واو في الآية على هذا للتفصيل وقيل انه للتخيير والامام
مخير بين هذه العقوبات في كل قاطع طريق ذلك لهم خزي في الدنيا ذل وفضيحة
ولهم في الآخرة عذاب عظيم لعظم ذنوبهم الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم استثناء
مخصوص بما هو حق الله ويدل عليه قوله تعالى فاعلموا ان الله غفور رحيم اما القتل قصاصا
فالى الاولياء يسقط بالتوبة وجوبه لا جوازه وتقييد التوبة بالتقدم على القدرة
يدل على انها بعد القدرة لا تسقط الحد وان اسقطت العذاب وان الآية في قطاع المسلمين
لان توبة المشرك تدرأ عنه العقوبة قبل القدرة وبعدها يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله

وابتغوا اليه الوسيلة اى ما يتوسلون به الى ثوابه والزلفى منه من فعل الطاعات
وترك المعاصى من وسل الى كذا اذا تقرب اليه وفى الحديث الوسيلة منزلة فى الجنة
وجاهدوا فى سبيله بمحاربة اعدائه الظاهرة والباطنة لعلكم تفلحون بالوصول
الى الله والفوز بكرامته ان الذين كفروا لو ان لهم ما فى الارض جميعا من صنوف الاموال
ومثله معه ليفتدوا به ليجعلوه فدية لانفسهم من عذاب يوم القيمة واللام متعلقة بمحذوف
يستدعيه لو اذ التقدير لو ثبت ان لهم ما فى الارض وتوحيد الضمير فى به والمذكور
شيئان اما لاجرائه مجرى اسم الاشارة فى نحو قوله تعالى عوان بين ذلك او لان الواو
فى ومثله معه بمعنى مع ما تقبل منهم جواب لو ولو بما فى حيزه خبر ان والجملة تمثيل
للزوم العذاب لهم وانه لا سبيل لهم الى الخلاص منه ولهم عذاب اليم تصريح بالمقصود منه
وكذا قوله يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم وقرئ
يخرجوا من اخرج وانما قال وما هم بخارجين بدل وما يخرجون للمبالغة والسارق والسارقة
فاقطعوا ايديهما جملتان عند سيبويه اذ التقدير فيما يتلى عليكم السارق والسارقة
اى حكمهما وجملة عند المبرد والفاء للسببية دخل الخبر لتضمنها معنى الشرط اذ المعنى والذى
سرق والتى سرقت وقرئ بالنصب وهو المختار فى امثاله لان الانشاء لا يقع خبرا
الا باضمار وتأويل والسرقة اخذ مال الغير فى خفية وانما يوجب القطع اذا كانت
من حرز والمأخوذ ربع دينار او ما يساويه لقوله عم القطع فى ربع دينار
فصاعدا وللعلماء خلاف فى ذلك لاحاديث وردت فى ذلك وقد استقصيت
الكلام فيه فى شرح المصابيح والمراد بالايدى الايمان ويؤيده قراءة ابن مسعود رض
ايمانهما ولذلك ساغ وضع الجمع موضع المثنى كما فى قوله فقد صغت قلوبكما اكتفاء
بتثنية المضاف اليه واليد اسم لتمام العضو ولذلك ذهب الخوارج الى ان القطع هو المنكب
والجمهور على انه الرسغ لانه عم اتى بسارق فامر بقطع يمينه منه جزاء بما كسبا نكالا
من الله منصوبان على المفعول له او المصدر ودل على فعلهما فاقطعوا والله عزيز حكيم
فمن تاب من السراق من بعد ظلمه اى سرقته واصلح امره بالتفصى عن التبعات والعزم

على ان لا يعودوا اليها فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم يقبل توبته فلا يعذبه فى الاخرة
اما القطع فلا يسقط عند الاكثرين لان فيه حق المسروق منه الم تعلم ان الله له ملك
السموات والارض الخطاب للنبى او لكل احد يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شئ
قدير قدم التعذيب على المغفرة اتيانا على ترتيب ما سبق او لان استحقاق التعذيب
مقدم او لان المراد به القطع وهو فى الدنيا يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون
فى الكفر اى صنيع الذين يقعون فى الكفر سريعا اى فى اظهاره اذا وجدوا منه فرصة
من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم اى من المنافقين والباء متعلقة
بقالوا لا بآمنا والواو يحتمل الحال والعطف ومن الذين هادوا عطف على من الذين
قالوا سماعون للكذب خبر مبتدا محذوف اى هم سماعون والضمير للفريقين او للذين يسارعون
ويجوز ان يكون مبتدا ومن الذين خبره اى ومن اليهود قوم سماعون واللام فى الكذب
اما مزيدة للتاكيد او لتضمين السماع معنى القبول اى قابلون لما تفتريه الاحبار او للعلة
والمفعول محذوف اى سماعون كلامك ليكذبوا عليك فيه سماعون لقوم آخرين لم يأتوك
اى لجمع آخر من اليهود لم يحضروا مجلسك وتجافوا عنك تكبرا او افراطا فى البغضاء والمعنى
على الوجهين اى مصغون لهم قابلون كلامهم او سماعون منك لاجلهم او للانهاء اليهم
ويجوز ان تتعلق اللام بالكذب لان سماعون الثانى مكرر للتاكيد اى سماعون ليكذبوا لقوم
آخرين يحرفون الكلم من بعد مواضعه اى يميلونه عن مواضعه التى وضعه الله فيها اما لفظا
باهماله او تغيير وضعه واما معنى بحمله على غير المراد واجرائه فى غير مورده والجملة صفة اخرى
لقوم او صفة لسماعون او حال من الضمير فيه او استئناف لا موضع له او فى موضع الرفع
خبر المحذوف اى هم يحرفون وكذلك يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه اى اذا اوتيتم
هذا المحرف فاقبلوه واعملوا به وان لم تؤتوه بل افتاكم محمد بخلافه فاحذروا اى فاحذروا
قبول ما افتاكم به روى ان شريفا من خيبر زنى بشريفة وكانا محصنين فكرهوا رجمهما
فارسلوهما مع رهط منهم الى بنى قريظة ليسألوا رسول الله عم عنه وقالوا ان امركم
بالجلد والتحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا فامرهم بالرجم فابوا عنه فجعل ابن صوريا

حكما بينه وبينهم فقال له انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي فلق البحر لموسى ورفع
فوقكم الطور وانجاكم واغرق آل فرعون والذي انزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل
تجد فيه الرجم على من احصن قال نعم فوثبوا عليه فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا
العذاب فامر رسول الله ﷺ بهما فرجما عند باب المسجد ومن يرد الله فتنته ضلالته
او فضيحته فلن تملك له من الله شيئا فلن تستطيع له من الله شيئا في دفعها اولئك الذين
لم يرد الله ان يطهر قلوبهم من الكفر وهو كما ترى نص على فساد قول المعتزلة لهم في الدنيا
خزي هوان بالجزية والخوف من المؤمنين ولهم في الآخرة عذاب عظيم وهو الخلود في النار
والضمير للذين هادوا ان استانفت بقوله ومن الذين والا فللفريقين سماعون للكذب
كرره للتاكيد اكالون للسحت اي الحرام كالرشى من سحته اذا استاصله لانه مسحوت
البركة وقرا ابن كثير وابو عمرو والكسائي ويعقوب بضمتين وهما لغتان كالعنق والعنق
وقرئ بفتح السين على لفظ المصدر فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم تخيير لرسول الله ﷺ
اذا تحاكموا اليه بين الحكم والاعراض ولهذا قيل لو تحاكم كتابيان الى القاضي لم يجب عليه
الحكم وهو قول للشافعي رض والاصح وجوبه اذا كان المترافعان او احدهما ذميا
لانا التزمنا الذب عنهم ودفع الظلم عنهم والآية ليست في اهل الذمة وعند
ابي حنيفة رض يجب مطلقا وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا بان يعادوك لاعراضك
عنهم فان الله يعصمك من الناس وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط بالعدل الذي امر الله به
ان الله يحب المقسطين فيحفظهم ويعظم شانهم وكيف يحكمونك وعندهم التورية فيها
حكم الله تعجيب من تحكيمهم من لا يؤمنون به والحال ان الحكم منصوص عليه في الكتاب الذي
هو عندهم وتنبيه على انهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع وانما طلبوا
به ما يكون اهون عليهم وان لم يكن حكم الله في زعمهم وفيها حكم الله حال من التورية ان
رفعتها بالظرف وان جعلتها مبتدا فمن ضميرها المستكن فيه وتانيثها لكونها نظيرة
المؤنث في كلامهم لفظا كموماة ودوداة ثم يتولون من بعد ذلك ثم يعرضون
عن حكمك الموافق لكتابهم بعد التحكيم وهو عطف على يحكمونك داخل في حكم التعجيب وما

اولئك

اولئك بالمؤمنين بكتابهم لاعراضهم عنه اولا وعما يوافقه ثانيا او بك وبه انا انزلنا
التورية فيها هدى يهدي الى الحق ونور يكشف ما استبهم من الاحكام يحكم بها النبيون
يعني انبياء بني اسرائيل او موسى ومن بعده ان قلنا شرع من قبلنا شرعنا ما لم ينسخ وبهذه
الآية تمسك القائل به الذين اسلموا صفة اجريت على النبيين مدحا لهم وتنويها بشان
المسلمين وتعريضا باليهود وانهم بمعزل عن دين الانبياء واقتفاء هديهم للذين
هادوا متعلق بانزل او بيحكم اي يحكمون بها في تحاكمهم وهو يدل على ان النبيين
انبياؤهم والربانيون والاحبار زهادهم وعلماؤهم السالكون طريقة انبيائهم
عطف على النبيون بما استحفظوا من كتاب الله بسبب امر الله اياهم بان يحفظوا كتابه
من التضييع والتحريف والراجع الى ما محذوف ومن للتبيين وكانوا عليه شهداء رقباء
لا يتركون ان يغيروا او شهداء يبينون ما يخفى منه كما فعل ابن صوريا فلا تخشوا الناس
واخشون نهي للحكام ان يخشوا غير الله في حكوماتهم ويداهنوا فيها خشية ظالم او مراقبة
كبير ولا تشتروا باياتي ولا تستبدلوا باحكامي التي انزلتها ثمنا قليلا هو الرشوة
والجاه ومن لم يحكم بما انزل الله مستهينا به منكرا له فاولئك هم الكافرون لاستهانتهم به
وتمردهم بان حكموا بغيره ولذلك وصفهم بقوله الكافرون والظالمون والفاسقون
فكفرهم لانكاره وظلمهم بالحكم على خلافه وفسقهم بالخروج عنه ويجوز ان يكون كل واحدة
من الصفات الثلث باعتبار حال انضمت الى الامتناع عن الحكم به ملائمة لها او لطائفة
كما قيل هذه في المسلمين لاتصالها بخطابهم والظالمون في اليهود والفاسقون في النصارى
وكتبنا عليهم وفرضنا على اليهود فيها في التورية ان النفس بالنفس اي ان النفس تقتل بالنفس
والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن رفعها الكسائي على انها
جمل معطوفة على ان وما في حيزها باعتبار المعنى فكانه قيل كتبنا عليهم النفس بالنفس
والعين بالعين فان الكتبة والقراءة تقعان على الجمل كالقول او مستانفة ومعناها
وكذلك العين مفقوءة بالعين والانف مجدوع بالانف والاذن مصلومة بالاذن والسن
مقلوعة بالسن او على ان المرفوع منها معطوف على المستكن في قوله بالنفس وانما ساغ

لانه في الاصل مفصول عنه بالظرف والجار والمجرور حال مبينة للمعنى والجروح قصاص
اى ذات قصاص وقرأه الكسائي ايضا بالرفع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر على انه اجمال
للحكم بعد التفصيل فمن تصدق من المستحقين به بالقصاص اى فمن عفى عنه فهو بالتصدق
كفارة له اى للمتصدق يكفر الله ذنوبه وقيل للجاني يسقط عنه ما لزمه وقرئ فهو كفارته
له اى فالمتصدق كفارته التي يستحقها بالتصدق له لا ينقص منها شئ ومن لم يحكم بما
انزل الله من القصاص وغيره فاولئك هم الظالمون وقفينا على آثارهم اى واتبعناهم
على آثارهم فحذف المفعول لدلالة الجار والمجرور عليه والضمير للنبيين بعيسى بن مريم
مفعول ثان عدى اليه الفعل بالباء مصدقا لما بين يديه من التورية وآتيناه الانجيل
وقرئ بفتح الهمزة فيه هدى ونور في موضع النصب بالحال ومصدقا لما بين يديه من التورية
عطف عليه وكذا قوله وهدى وموعظة للمتقين ويجوز نصبهما على المفعول له عطفا على
محذوف او تعليقا به وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه وعليه في قراءة حمزة وعلى الاول
اللام متعلقة بمحذوف اى وآتيناه ليحكم وقرئ وان ليحكم على ان ان موصولة بالامر
كقولك امرتك بان قم اى وامرنا بان ليحكم ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون
عن حكمه او عن الايمان ان كان مستهينا به والآية تدل على ان الانجيل مشتمل على الاحكام
وان اليهودية منسوخة ببعثة عيسى عم وانه كان مستقلا بالشرع وحملها على وليحكموا
بما انزل الله فيه من ايجاب العمل باحكام التورية خلاف الظاهر وانزلنا اليك الكتاب
بالحق اى القرآن مصدقا لما بين يديه من الكتاب من جنس الكتب المنزلة فاللام الاولى
للعهد والثانية للجنس ومهيمنا عليه ورقيبا على سائر الكتب يحفظها عن التغير ويشهد
لها بالصحة والثبات وقرئ على بنية المفعول اى هومن عليه وحوفظ من التحريف والحافظ
له هو الله تع او الحفاظ في كل عصر فاحكم بينهم بما انزل الله اى بما انزل اليك ولا تتبع اهواءهم
عما جاءك من الحق بالانحراف عنه الى ما يشتهونه فعن صلة لا تتبع لتضمنه معنى لا تنحرف او حال
من فاعله اى لا تتبع اهواءهم مائلا عما جاءك لكل جعلنا منكم ايها الناس شرعة شريعة
وهي الطريقة الى الماء شبه بها الدين لانه طريق الى ما هو سبب الحيوة الابدية وقرئ

بفتح الشين ومنهاجا وطريقا واضحا في الدين من نهج الامر اذا وضح واستدل به على انا غير
متعبدين بالشرائع المتقدمة ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة جماعة متفقة على دين واحد
في جميع الاعصار من غير نسخ وتحويل ومفعول لو شاء محذوف دل عليه الجواب وقيل المعنى
لو شاء الله اجتماعكم على الاسلام لاجبركم عليه ولكن ليبلوكم فيما آتاكم من الشرائع المختلفة
المناسبة لكل عصر وقرن هل تعملون بها مذعنين لها معتقدين ان اختلافها بمقتضى الحكمة
الالهية ام تزيغون عن الحق وتفرطون في العمل فاستبقوا الخيرات فابتدروها انتهازا
للفرصة وحيازة لفضل السبق والتقدم الى الله مرجعكم جميعا استيناف فيه تعليل
للامر بالاستباق ووعد ووعيد للمبادرين والمقصرين فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون
بالجزاء الفاصل بين المحق والمبطل والعامل والمقصر وان احكم بينهم بما انزل الله عطف على
الكتاب اى انزلنا اليك الكتاب والحكم او على الحق اى انزلناه بالحق وبان احكم
ويجوز ان يكون جملة بتقدير وامرنا ان احكم ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك
عن بعض ما انزل الله اليك اى ان يضلوك ويصرفوك عنه وان بصلته بدل من هم بدل
اشتمال اى احذر فتنتهم او مفعول له اى احذرهم مخافة ان يفتنوك روى ان احبار اليهود
قالوا اذهبوا بنا الى محمد عم لعلنا نفتنه عن دينه فقالوا يا محمد قد عرفت انا
احبار اليهود وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وان بيننا وبين قومنا خصومة
فنتحاكم اليك فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فابى ذلك رسول الله عم
فنزلت فان تولوا عن الحكم المنزل وارادوا غيره فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض
ذنوبهم يعني ذنب التولي عن حكم الله فعبر عنه بذلك تنبيها على ان لهم ذنوبا كثيرة وهذا
مع عظمه واحد منها معدود من جملتها وفيه دلالة على التعظيم كما في التنكير ونظيره قول
لبيد او يرتبط بعض النفوس حمامها وان كثيرا من الناس لفاسقون لمتمردون في الكفر
معتدون فيه افحكم الجاهلية يبغون الذي هو الميل والمداهنة في الحكم والمراد بالجاهلية
التي هي متابعة الهوى وقيل نزلت في بني قريظة والنضير طلبوا رسول الله ان يحكم بما كان
يحكم به اهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى وقرئ برفع الحكم على انه مبتدا

ويبغون خبره والراجع محذوف حذفه في الصلة كما في قوله أهذا الذي بعث الله رسولا
واستضعفه ذلك في غير الشعر وقرئ أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون
أي عندهم واللام للبيان كما في قوله هيت لك أي هذا الاستفهام لقوم يوقنون فإنهم
هم الذين يتدبرون الأمور ويتحققون الأشياء بأنظارهم فيعلمون أن لا أحسن حكما من الله
يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء فلا تعتمدوا عليهم ولا تعاشروهم
معاشرة الأحباب بعضهم أولياء بعض إيماء إلى علة النهي أي فإنهم متفقون على خلافكم
يوالي بعضهم بعضا لاتحادهم في الدين واجتماعهم على مضادتكم ومن يتولهم منكم فإنه منهم
أي من والاهم منكم فإنه من جملتهم وهذا للتشديد في وجوب مجانبتهم كما قال عم لا تتراءى
ناراهما أو لأن الموالي لهم كانوا منافقين إن الله لا يهدي القوم الظالمين أي الذين ظلموا
أنفسهم بموالاة الكفار أو المؤمنين بموالاة أعدائهم فترى الذين في قلوبهم مرض يعني
ابن أبي وأضرابه يسارعون فيهم أي في موالاتهم ومعاونتهم يقولون نخشى أن تصيبنا
دائرة يعتذرون بأنهم يخافون أن تصيبهم دائرة من دوائر الزمان بأن ينقلب الأمر
ويكون الدولة للكفار روي أن عبادة بن الصامت قال لرسول الله عم إن لي
موالي من اليهود كثير عددهم وإني أبرأ إلى الله ورسوله من ولايتهم وأوالي الله
ورسوله فقال ابن أبي إني رجل أخاف الدوائر لا أبرأ من ولاية موالي فنزلت فعسى الله
أن يأتي بالفتح لرسول الله عم على أعدائه وإظهار المسلمين أو أمر من عنده يقطع شأفة
اليهود من القتل والإجلاء أو الأمر بإظهار أسرار المنافقين وقتلهم فيصبحوا أي
هؤلاء المنافقون على ما أسروا في أنفسهم نادمين على ما استبطنوه من الكفر والشك
في أمر الرسول عم فضلا عما أظهروه مما أشعر على نفاقهم ويقول الذين آمنوا بالرفع
قراءة عاصم وحمزة والكسائي على أنه كلام مبتدأ ويؤيده قراءة ابن كثير ونافع
وابن عامر مرفوعا بغير واو على أنه جواب قائل يقول فماذا يقول المؤمنون حينئذ
وبالنصب قراءة أبي عمرو ويعقوب عطفا على أن يأتي باعتبار المعنى وكأنه قال عسى
أن يأتي الله بالفتح ويقول الذين آمنوا أو يجعل بدلا من اسم الله داخلا في اسم عسى

أي حاكما كحكام الجاهلية بحكم بحسب تشهيهم وقرأ ابن عامر تبغون بالتاء على قل لهم أفحكم الجاهلية تبغون م

مغنيا عن الخبر بما تضمنه من الحدث أو على الفتح بمعنى عسى الله أن يأتي بالفتح ويقول
المؤمنين فإن الإتيان بما يوجبه كالإتيان به أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم
إنهم لمعكم يقوله المؤمنون بعضهم لبعض تعجبا من حال المنافقين وتبجحا بما من الله
عليهم من الإخلاص أو يقولونه لليهود فإن المنافقين حلفوا لهم بالمعاضدة كما حكى
الله عنهم بقوله وإن قوتلتم لننصرنكم وجهد الأيمان أغلظها وهو في الأصل مصدر
ونصبه على الحال على تقدير وأقسموا بالله يجتهدون جهد أيمانهم فحذف الفعل
وأقيم المصدر مقامه ولذلك ساغ كونها معرفة أو على المصدر لأنه بمعنى أقسموا حبطت
أعمالهم فأصبحوا خاسرين إما من جملة المقول أو من قول الله شهادة لهم بحبوط أعمالهم
وفيه معنى التعجب كأنه قيل ما أحبط أعمالهم فما أخسرهم يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم
عن دينه قراءة على الأصل نافع وابن عامر وهو كذلك في الإمام والباقون بالإدغام
وهذا من الكائنات التي أخبر الله عنها قبل وقوعها وقد ارتد من العرب في أواخر
عهد رسول الله عم ثلث فرق بنو مدلج وكان رئيسهم ذا الحمار الأسود العنسي تنبأ
باليمن واستولى على بلاده ثم قتله فيروز الديلمي ليلة قبض رسول الله عم من غدها
وأخبر الرسول عم تلك الليلة فسر المسلمون وأتى الخبر في أواخر ربيع الأول وبنو
حنيفة أصحاب مسيلمة تنبأ وكتب إلى رسول الله عم من مسيلمة رسول الله إلى محمد
رسول الله أما بعد فإن الأرض نصفها لي ونصفها لك فأجاب من محمد رسول الله إلى
مسيلمة الكذاب أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين
فحاربه أبو بكر بجند المسلمين وقتله وحشي قاتل حمزة وبنو أسد قوم طليحة بن خويلد
تنبأ فبعث إليه رسول الله عم خالدا فهرب بعد القتال إلى الشام ثم أسلم وحسن
إسلامه وفي عهد أبي بكر سبع فزارة قوم عيينة بن حصن وغطفان قوم قرة بن سلمة
وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض
تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة زوجة مسيلمة وكندة قوم الأشعث بن قيس
وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم وكفى الله أمرهم على يده وفي إمرة عمر رضي الله

غسان قوم جبلة بن الايهم تنصروا وساروا الى الشام فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه
قيل هم اليمن لما روى انه عليه السلام اشار الى ابي موسى وقال هم قوم هذا وقيل الفرس لانه عليه السلام
سئل عنهم فضرب يده على عاتق سلمان فقال هذا وذووه وقيل الذين جاهدوا يوم القادسية
الفان من النخع وخمسة الاف من كندة وبجيلة وثلثة الاف من افناء الناس والراجع الى
من محذوف تقديره فسوف يأتي الله بقوم مكانهم ومحبة الله للعباد ارادة الهدى
والتوفيق لهم في الدنيا وحسن الثواب في الاخرة ومحبة العباد له ارادة طاعته والتحرز
عن معاصيه اذلة على المؤمنين عاطفين عليهم متذللين لهم جمع ذليل لا ذلول فان جمعه ذلل
واستعماله مع على اما لتضمين معنى العطف والحنو او للتنبيه على انهم مع علو طبقتهم وفضلهم
على المؤمنين خافضون لهم او للمقابلة اعزة على الكافرين شداد متغلبين عليهم من عزه
اذا غلبه وقرئ بالنصب على الحال يجاهدون في سبيل الله صفة اخرى لقوم او حال من الضمير
في اعزة ولا يخافون لومة لائم عطف على يجاهدون بمعنى انهم الجامعون بين المجاهدة
في سبيل الله والتصلب في دينه او حال بمعنى انهم يجاهدون وحالهم خلاف المنافقين فانهم
يخرجون في جيش المسلمين خائفين ملامة اوليائهم من اليهود فلا يعملون شيئا يلحقهم فيه
لوم من جهتهم واللومة المرة من اللوم وفيها وفي تنكير لائم مبالغتان ذلك اشارة الى ما
تقدم من الاوصاف فضل الله يؤتيه من يشاء يمنحه ويوفق له والله واسع كثير الفضل
عليم بمن هو اهله انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا لما نهى عن موالاة الكفرة ذكر
عقيبه من هو حقيقها وانما قال وليكم الله ولم يقل اولياؤكم للتنبيه على ان الولاية لله على
الاصالة ولرسوله وللمؤمنين على التبع الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة صفة للذين
آمنوا فانه جرى مجرى الاسم او بدل منه ويجوز نصبه ورفعه على المدح وهم راكعون
متخشعون في صلوتهم وزكوتهم وقيل هو حال مخصوصة بيؤتون اي يؤتون الزكوة
في حال ركوعهم في الصلوة حرصا على الاحسان ومسارعة اليه وانها نزلت في علي رضي الله عنه
وكرم وجهه حين سأله سائل وهو راكع في صلوته فطرح له خاتمه واستدل بها الشيعة
على امامته زاعمين ان المراد بالولي المتولي للامور والمستحق للتصرف فيهم الناس في مثل فعله

فيندرجوا فيه وعلى هذا يكون دليلا على ان الفعل القليل في الصلوة لا تبطلها وان صدقة
التطوع تسمى زكوة ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا ومن يتخذهم اولياء فان
حزب الله هم الغالبون اي فانهم الغالبون ولكن وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على
البرهان عليه وكانه قيل ومن يتول هؤلاء فهم حزب الله وحزب الله هم الغالبون وتنويها
بذكرهم وتعظيما لشانهم وتشريفا لهم بهذا الاسم وتعريضا لمن توالى غير هؤلاء بانه
حزب الشيطان واصل الحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا
الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء
نزلت في رفاعة بن زيد وسويد بن الحرث اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من
المسلمين يوادونهما وقد رتب النهي عن موالاتهم على اتخاذهم دينهم هزوا ولعبا
ايماء على العلة وتنبيها على ان من هذا شانه بعيد عن الموالاة جدير بالمعاداة
وفصل المستهزئين باهل الكتاب والكفار على قراءة من جره وهم ابو عمرو والكسائي
ويعقوب والكفار وان عم اهل الكتاب يطلق على المشركين خاصة لتضاعف كفرهم
ومن نصبه عطفه على الذين اتخذوا على ان النهي عن موالاة من ليس على الحق راسا
سواء من كان ذا دين تبع فيه الهوى وحرفه عن الصواب كاهل الكتاب ومن لم يكن
كالمشركين واتقوا الله بترك المناهي ان كنتم مؤمنين لان الايمان حقا يقتضي ذلك
وقيل ان كنتم مؤمنين بوعده ووعيده واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا
ولعبا اي اتخذوا الصلوة او المناداة وفيه دليل على ان الاذان مشروع للصلوة روي
ان نصرانيا بالمدينة كان اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله قال احرق
الله الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار واهله نيام فتطاير شرره في البيت
فاحرقه واهله ذلك بانهم قوم لا يعقلون فان السفه يؤدي الى الجهل بالحق والهزؤ به
والعقل يمنع منه قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا هل تنكرون منا وتعيبون يقال نقم
منه كذا اذا انكره وانتقم اذا كافاه وقرئ تنقمون بفتح القاف وهو لغة الا ان آمنا
بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل الايمان بالكتب المنزلة كلها وان اكثركم فاسقون

عطف على ان آمنا وكان المستثنى لازم الامرين وهو المخالفة اي ما تنكرون منا الا
مخالفتكم حيث دخلنا الايمان وانتم خارجون منه او كان الاصل واعتقاد ان
اكثركم فاسقون فحذف المضاف او على ما اي وما تنقمون منا الا الايمان بالله وبما انزل
وبان اكثركم او على علة محذوفة والتقدير هل تنقمون منا الا ان آمنا لقلة انصافكم
وفسقكم او نصب باضمار فعل دل عليه هل تنقمون اي ولا تنقمون ان اكثركم فاسقون او رفع
على الابتداء والخبر محذوف اي وفسقكم ثابت معلوم عندكم ولكن حب الرياسة والمال يمنعكم
عن الانصاف والآية خطاب ليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن يؤمن به فقال اومن
بالله وما انزل الينا الى قوله ونحن له مسلمون فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى لا نعلم
دينا شرا من دينكم قل هل انبئكم بشر من ذلك اي من ذلك المنقوم مثوبة عند الله
جزاء ثابتا عند الله والمثوبة مختصة بالخير كالعقوبة بالشر فوضعت ههنا موضعها
على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع ونصبها على التمييز عن بشر من لعنه الله وغضب
عليه وجعل منهم القردة والخنازير بدل من شر على حذف مضاف اي بشر من اهل ذلك من
لعنه الله او بشر من ذلك دين من لعنه الله او خبر محذوف اي هو من لعنه الله وهم اليهود
ابعدهم الله من رحمته وسخط عليهم بكفرهم وانهماكهم في المعاصي بعد وضوح الآيات
ومسخ بعضهم قردة وهم اصحاب السبت وبعضهم خنازير وهم كفار اهل مائدة عيسى و
قيل كلا المسخين في اصحاب السبت مسخت شبانهم قردة ومشايخهم خنازير وعبد الطاغوت
عطف على صلة من وكذا عبد الطاغوت على البناء للمفعول ورفع الطاغوت وعبد
الطاغوت وعبد بمعنى صار معبودا فيكون الراجع محذوفا اي فيهم او بينهم ومن
قرأ وعابد الطاغوت او عبد على انه نعت عبد الطاغوت بالجر عطفه على من والمراد
من الطاغوت العجل وقيل الكهنة وكل من اطاع في معصية الله اولئك اي الملعونون
شر مكانا جعل مكانهم شرا ليكون ابلغ في الدلالة على شرارتهم وقيل مكانا منصرفا
واضل عن سواء السبيل قصد الطريق المتوسط بين غلو النصارى وقدح اليهود والمراد
من صيغتي التفضيل الزيادة مطلقا لا بالاضافة الى المؤمنين في الشرارة والضلال

[هامش: كفطن ويقظ او عبد الطاغوت على انه جمع كخدم او اصله عبدة فحذف التاء للاضافة عطفه على القردة ومن قرأ وعبد الطاغوت صح]

واذا جاءوكم

واذا جاءوكم قالوا آمنا نزلت في يهود نافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم او في عامة المنافقين وقد
دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به اي يخرجون من عندك كما دخلوا لا يؤثر فيهم ما سمعوا منك
والجملتان حالان من فاعل قالوا وبالكفر وبه حالان من فاعل دخلوا وخرجوا وقد وان
دخلت لتقرب الماضي من الحال ليصح ان يقع حالا افادت ايضا لما فيها من التوقع ان
امارة النفاق كانت لائحة عليهم وكان الرسول يظنه ولذلك قال والله اعلم بما كانوا
يكتمون اي من الكفر وفيه وعيد لهم وترى كثيرا منهم اي من اليهود او من المنافقين
يسارعون في الاثم اي الحرام وقيل الكذب لقوله عن قولهم الاثم والعدوان الظلم ومجاوزة
الحد في المعاصي وقيل الاثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعدى الى غيرهم واكلهم السحت اي
الحرام خصه بالذكر للمبالغة لبئس ما كانوا يعملون لبئس شيئا عملوه لولا ينهاهم الربانيون
والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت تحضيض لعلمائهم على النهي عن ذلك فان لولا اذا
دخل على الماضي افاد التوبيخ واذا دخل المستقبل افاد التحضيض لبئس ما كانوا يصنعون
ابلغ من قوله لبئس ما كانوا يعملون من حيث ان الصنع عمل الانسان بعد تدرب فيه
وترو وتحري اجادة ولذلك ذم به خواصهم ولان ترك الحسبة اقبح من مواقعة المعصية
لان النفس تلتذ بها وتميل اليها ولا كذلك ترك الانكار عليها فكان جديرا بابلغ الذم
وقالت اليهود يد الله مغلولة اي هو ممسك يقتر بالرزق وغل اليد وبسطها مجاز عن
البخل والجود ولا قصد فيه الى اثبات يد وغل او بسط ولذلك يستعمل حيث لا يتصور
ذلك كقوله جاد الحمى بسط اليدين بوابل شكرت نداه تلاعه ووهاده ونظيره من
المجازات المركبة شابت لمة الليل وقيل معناه انه فقير كقوله لقد سمع الله قول الذين
قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا دعاء عليهم بالبخل والنكد
او بالفقر والمسكنة او بغل الايدي حقيقة يغلون اسارى في الدنيا ويسحبون الى النار
في الآخرة فيكون المطابقة من حيث اللفظ وملاحظة الاصل كقولك سبني سب الله
دابره بل يداه مبسوطتان ثنى اليد مبالغة في الرد ونفي البخل عنه واثباتا لغاية الجود
فان غاية ما يبذله السخي من ماله ان يعطيه بيديه وتنبيها على منح الدنيا والآخرة وعلى

ما يعطي للاستدراج وما يعطي للاكرام ينفق كيف يشاء تاكيد لذلك اي هو مختار في انفاقه
يوسع تارة ويضيق اخرى على حسب مشيته ومقتضى حكمته لا على تعاقب سعة وضيق في ذات
يد ولا يجوز جعله حالا من الهاء للفصل بينهما بالخبر ولانها مضاف اليها ولا من اليدين
اذ لا ضمير لهما فيه ولا من ضميرهما لذلك والاية نزلت في فنحاص بن عازوراء فانه قال
ذلك لما كف الله عن اليهود ما بسط عليهم من السعة بشؤم تكذيبهم محمدا عم واشرك فيه
الاخرون لانهم رضوا بقوله وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا اي
هم طاغون كافرون ويزدادون طغيانا وكفرا بما يسمعون من القران كما يزداد المريض
مرضا من تناول الغذاء الصالح للاصحاء والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة
فلا تتوافق قلوبهم ولا تتطابق اقوالهم كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله كلما ارادوا
حرب الرسول واثارة شر عليه ردهم الله بان اوقع بينهم منازعة كف بها عنه شرهم او كلما
ارادوا حرب احد غلبوا فانهم لما خالفوا حكم التورية سلط الله عليهم بختنصر ثم افسدوا
فسلط عليهم فسطوس الرومي ثم افسدوا فسلط عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط عليهم المسلمين
وللحرب صلة اوقدوا او صفة نارا ويسعون في الارض فسادا اي للفساد وهو اجتهادهم
في الكيد واثارة الحرب والفتن وهتك المحارم والله لا يحب المفسدين فلا يجازيهم الا شرا
ولو ان اهل الكتاب امنوا بمحمد وبما جاء به واتقوا ما عددنا من معاصيهم ونحوه لكفرنا
عنهم سيئاتهم التي فعلوها ولم نؤاخذهم بها ولادخلناهم جنات النعيم ولجعلناهم من
الداخلين فيها وفيه تنبيه على عظم معاصيهم وكثرة ذنوبهم وان الاسلام يجب ما قبله وان جل
وان الكتابي لا يدخل الجنة ما لم يسلم ولو انهم اقاموا التورية والانجيل باذاعة ما فيهما
من القيام باحكامهما وما انزل اليهم من ربهم يعني ساير الكتب المنزلة فانها من حيث انهم مكلفون
بالايمان بها كالمنزل اليهم او القران لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم لوسع عليهم ارزاقهم
بان يفيض عليهم بركات السماء والارض او يكثر ثمرة الاشجار وغلة الزروع او يرزقهم
الجنان اليانعة الثمار فيجتنونها من راس الشجر ويلتقطون ما تساقط على الارض وبين بذلك
انما كف عنهم بشؤم كفرهم ومعاصيهم لا لقصور الفيض ولو انهم امنوا واقاموا ما امروا به

لوسع عليهم وجعل لهم خير الدارين منهم امة مقتصدة عادلة غير غالية ولا مقصرة وهم
الذين امنوا بمحمد عم وقيل مقتصدة متوسطة في عداوته وكثير منهم ساء ما كانوا يعملون
اي بئس ما يعملونه وفيه معنى التعجب اي ما اسوء عملهم وهو المعاندة وتحريف الحق والاعراض
عنه والافراط في العداوة يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك جميع ما انزل
اليك غير مراقب احدا ولا خائف مكروها وان لم تفعل وان لم تبلغ جميعه كما امرتك
فما بلغت رسالته فما اديت شيئا منها لان كتمان بعضها يضيع ما ادي منها كترك بعض
اركان الصلوة فان غرض الدعوة ينتقض به او فكانك ما بلغت شيئا منها فكانما قتل
الناس جميعا من حيث ان كتمان البعض والكل سواء في الشناعة واستجلاب العقاب
وقرا نافع وابن عامر وابو بكر رسالاته بالجمع وكسر التاء والله يعصمك من الناس عدة
وضمان من الله بعصمة روحه من تعرض الاعادي وازاحة لمعاذيره ان الله لا يهدي
القوم الكافرين لا يمكنهم مما يريدون بك وعن النبي عم بعثني الله برسالته فضقت بها
ذرعا فاوحى الله الي ان لم تبلغ رسالتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت وعن انس
كان رسول الله عم يحرس حتى نزلت فاخرج راسه من قبة ادم فقال انصرفوا يا ايها
الناس فقد عصمني الله من الناس وظاهر الاية يوجب تبليغ كل ما انزل ولعل المراد تبليغ
ما يتعلق به مصالح العباد وقصد بانزاله اطلاعهم فان من الاسرار الالهية ما يحرم افشاؤه
قل يا اهل الكتاب لستم على شيء اي على دين يعتد به ويصح ان يسمى شيئا لانه باطل حتى تقيموا
التورية والانجيل وما انزل اليكم من ربكم ومن اقامتها الايمان بمحمد والاذعان لحكمه
فان الكتب الالهية باسرها امرة بالايمان لمن صدقه المعجزة ناطقة بوجوب الطاعة له
والمراد اقامة اصولها وما لم ينسخ من فروعها وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من
ربك طغيانا وكفرا فلا تاس على القوم الكافرين فلا تحزن عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم
بما تبلغه اليهم فان ضرر ذلك لاحق بهم لا يتخطاهم وفي المؤمنين مندوحة لك عنهم ان
الذين امنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى سبق تفسيره في سورة البقرة
والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التاخير عما في حيز ان والتقدير

ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك كقوله
فاني وقيار بها لغريب وقوله والا فاعلموا انا وانتم بغاة ما بقينا في شقاق وهو
كاعتراض دل على انه لما كان الصابئون مع ظهور ضلالهم وميلهم عن الاديان كلها يتاب
عليهم ان صح منهم الايمان والعمل الصالح كان غيرهم اولى بذلك ويجوز ان يكون والنصارى
معطوفا عليه ومن آمن خبرهما وخبر ان مقدر دل عليه ما بعده كقوله نحن بما عندنا وانت بما
عندك راض والرأي مختلف ولا يجوز عطفه على محل اسمها فانه مشروط بالفراغ عن الخبر
اذ لو عطف عليه قبله كان الخبر خبر المبتدا وخبر ان معا فيجتمع عليه عاملان ولا على الضمير
في هادوا لعدم التاكيد والفصل ولانه يوجب كون الصابئين هودا وقيل ان بمعنى
نعم وما بعدها في موضع الرفع بالابتداء وقيل والصابئون منصوب بالفتحة وذلك كما
يجوز بالياء يجوز بالواو من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا في محل الرفع بالابتداء
وخبره فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والجملة خبر ان او خبر المبتدا كما مر والراجع محذوف
اي من آمن منهم او النصب على البدل من اسم ان وما عطف عليه وقرئ والصابئين وهو الظاهر
والصابيون بقلب الهمزة ياء والصابون بحذفها من صبا بابدال الهمزة الفا او من صبوت
لانهم صبوا الى اتباع الشهوات ولم يتبعوا شرعا ولا عقلا لقد اخذنا ميثاق بني اسرايل
وارسلنا اليهم رسلا ليذكروهم وليبينوا امر دينهم كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم
بما يخالف هواهم من الشرايع ومشاق التكاليف فريقا كذبوا وفريقا يقتلون جواب الشرط
والجملة صفة رسلا والراجع محذوف اي رسول منهم وقيل الجواب محذوف دل عليه ذلك وهو
استئناف وانما جيء يقتلون موضع قتلوا على حكاية الحال الماضية استحضارا لها واستفظاعا
للقتل وتنبيها على ان ذلك ديدنهم ماضيا ومستقبلا ومحافظة على رؤوس الآي وحسبوا
ان لا تكون فتنة اي حسب بنو اسرايل ان لا يصيبهم بلاء وعذاب بقتل الانبياء وتكذيبهم
وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب لا يكون بالرفع على ان هي المخففة من المثقلة
واصله انه لا يكون وادخال فعل الحسبان عليها وهي للتحقيق تنزيل له منزلة العلم لتمكنه في
قلوبهم وان او ما في حيزها ساد مسد مفعوليه فعموا عن الدين او الدلائل والهدى

وصموا عن استماع الحق كما فعلوا حين عبدوا العجل ثم تاب الله عليهم اي ثم تابوا فتاب الله
عليهم ثم عموا وصموا كرة اخرى وقرئ بالضم فيهما على ان الله عماهم وصمهم اي رماهم
بالعمى والصمم وهو قليل واللغة الفاشية اعمى واصم كثير منهم بدل من الضمير او فاعل والواو
علامة الجمع كقولهم اكلوني البراغيث او خبر مبتدا محذوف اي العمى والصم كثير منهم وقيل
مبتدا والجملة قبله خبره وهو ضعيف لان تقديم الخبر في مثله ممتنع والله بصير بما يعملون فيجازيهم
وفق اعمالهم لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة اي احد ثلثة وهو حكاية عما قالت
النسطورية والملكانية منهم القائلون بالاقانيم الثلثة وما سبق قول اليعقوبية القائلين
بالاتحاد وما من اله الا اله واحد وما في الوجود ذات واجب مستحق للعبادة من حيث
انه مبدأ جميع الموجودات الا اله واحد موصوف بالوحدانية متعال عن الشركة ومن مزيدة
للاستغراق وان لم ينتهوا عما يقولون ولم يوحدوا ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم
اي ليمسن الذين بقوا منهم على الكفر او ليمسن الذين كفروا من النصارى وضعه موضع ليمسنهم
تكريرا للشهادة على كفرهم وتنبيها على ان العذاب على من دام على الكفر ولم ينقلع عنه ولذلك
عقبه بقوله افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه اي الا يتوبون بالانتهاء عن تلك العقايد
والاقوال الزايغة ويستغفرون بالتوحيد والتنزيه عن الاتحاد والحلول بعد هذا التقرير
والتهديد والله غفور رحيم يغفر لهم ويمنحهم من فضله ان تابوا وفي هذا الاستفهام تعجيب
من اصرارهم ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل اي ما هو الا رسول كالرسل
قبله خصه الله بآيات كما خصهم بها فان احيى الموتى على يده فقد احيى العصا وجعلها حية
تسعى على يد موسى وهو اعجب وان خلقه من غير اب وام وهو اغرب وامه صديقة كساير

فقد خلق آدم من غير اب م

النساء اللاتي يلازمن الصدق او يصدقن الانبياء كانا ياكلان الطعام ويفتقران
اليه افتقار الحيوانات بين اولا اقصى ما لهما من الكمال ودل على انه لا يوجب لهما الالوهية
لان كثيرا من الناس يشاركهما في مثله ثم نبه على نقصهما وذكر ما ينافي الربوبية ويقتضي ان يكونا
من عداد المركبات الكاينة الفاسدة ثم عجب ممن يدعي الربوبية لهما مع امثال هذه الادلة
الظاهرة فقال انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر انى يؤفكون كيف يصرفون عن استماع

وثم لتفاوت ما بين العجبين اى ان بياننا للايات عجب واعراضهم عنها اعجب قل اتعبدون
من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا يعنى عيسى وهو وان ملك ذلك بتمليك الله اياه لا يملكه
من ذاته ولا يملك مثل ما يضر الله به من البلايا والمصايب وما ينفع به من الصحة والسعة
وانما قاله اسما نظرا الى ما هو عليه فى ذاته توطئة لنفى القدرة عنه راسا وتنبيها على انه من هذا
الجنس ومن كان له حقيقة يقبل المجانسة والمشاركة فبمعزل عن الالوهية وانما قدم الضر
لان التحرز عنه اهم من تحرى النفع والله هو السميع العليم بالاقوال والعقايد فيجازى عليها
ان خيرا فخير وان شرا فشر قل يا اهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق اى غلوا باطلا فترفعوا
عيسى الى ان تدعوا له الالهية او تضعوه فتدعوا انه لغير رشدة وقيل الخطاب للنصارى خاصة
ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل يعنى اسلافهم وائمتهم الذين ضلوا قبل بعثة محمد عم
فى شريعتهم واضلوا كثيرا ممن شايعهم على بدعهم وضلالهم وضلوا عن سواء السبيل عن قصد السبيل
الذى هو الاسلام بعد مبعثه لما كذبوه وبغوا عليه وقيل الاول اشارة الى ضلالهم عن مقتضى
العقل والثانى اشارة الى ضلالهم عما جاء به الشرع لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان
داود وعيسى بن مريم اى لعنهم الله فى الزبور والانجيل على لسانهما وقيل اهل ايلة لما اعتدوا
فى السبت لعنهم داود فمسخهم الله قردة واصحاب المائدة لما كفروا دعا عليهم عيسى ولعنهم
فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة الاف رجل ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اى ذلك اللعن
الشنيع المقتضى للمسخ بسبب عصيانهم واعتدائهم ما حرم عليهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه
اى لا ينهى بعضهم بعضا عن معاودة منكر فعلوه او عن مثل منكر ارادوا فعله وتهيئوا له او لا ينتهون
عنه من قولهم تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع لبئس ما كانوا يفعلون تعجيب من سوء فعلهم
مؤكد بالقسم ترى كثيرا منهم من اهل الكتاب يتولون الذين كفروا يوالون المشركين بغضا لرسول الله
والمؤمنين لبئس ما قدمت لهم انفسهم اى لبئس شيئا قدموه ليردوا عليه يوم القيمة ان سخط الله
عليهم وفى العذاب هم خالدون هو المخصوص بالذم والمعنى موجب سخط الله والخلود فى العذاب
او علة الذم والمخصوص محذوف اى لبئس شيئا ذلك لانه كسبهم السخط والخلود ولو كانوا
يؤمنون بالله والنبى يعنى نبيهم وان كانت الاية فى المنافقين فالمراد نبينا وما انزل اليهم

ما اتخذوهم اولياء اذ الايمان يمنع ذلك ولكن كثيرا منهم فاسقون خارجون عن دينهم
او متمردون فى نفاقهم لتجدن اشد الناس عداوة للذين امنوا اليهود والذين اشركوا لشدة
شكيمتهم وتضاعف كفرهم وانهماكهم فى اتباع الهوى وركونهم الى التقليد وبعدهم عن التحقيق
وتمرنهم على تكذيب الانبياء ومعاداتهم ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا انا
نصارى للين جانبهم ورقة قلوبهم وقلة حرصهم على الدنيا وكثرة اهتمامهم بالعلم والعمل
واليه اشار بقوله ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون عن قبول الحق اذا فهموه
او يتواضعون ولا يتكبرون كاليهود وفيه دليل على ان التواضع والاقبال على العلم والعمل
والاعراض عن الشهوات محمودة وان كانت فى كافر واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى
اعينهم تفيض من الدمع عطف على لا يستكبرون وهو بيان لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم ومسارعتهم
الى قبول الحق وعدم تأبيهم عنه والفيض انصباب عن امتلاء فوضع موضع الامتلاء للمبالغة
او جعلت اعينهم من فرط البكاء كانها تفيض بانفسها مما عرفوا من الحق من الاولى للابتداء
والثانية لتبيين ما عرفوا او للتبعيض فانه بعض الحق والمعنى انهم عرفوا بعض الحق فابكاهم
فكيف اذا عرفوا كله يقولون ربنا امنا بذلك او بمحمد فاكتبنا مع الشاهدين من الذين
شهدوا بانه حق او بنبوته او من امته الذين هم شهداء على الامم يوم القيمة وما لنا لا نؤمن
بالله وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين استفهام انكار واستبعاد
لانتفاء الايمان مع قيام الداعى وهو الطمع فى الانخراط مع الصالحين والدخول مداخلهم
او جواب سائل قال لم امنتم ولا نؤمن حال من الضمير والعامل ما فى اللام من معنى الفعل اى
شئ حصل لنا غير مؤمنين بالله اى بوحدانيته فانهم كانوا مثلثين او بكتابه ورسوله
فان الايمان بهما ايمان به حقيقة وذكره توطئة وتعظيما ونطمع عطف على نؤمن او خبر محذوف
والواو للحال اى ونحن نطمع والعامل فيها عامل الاولى مقيدا بها او نؤمن فاثابهم الله بما
قالوا اى عن اعتقاد من قولك هذا قول فلان اى معتقده جنات تجرى من تحتها الانهار
خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين الذين احسنوا النظر والعمل والذين اعتادوا الاحسان
فى الامور والايات الاربع روى انها نزلت فى النجاشى واصحابه بعث اليه رسول الله

صلى الله عليه وسلم بكتابه فقرأه ثم دعا جعفر بن ابي طالب والمهاجرين معه وحضر
الرهبان والقسيسين فامر جعفرا ان يقرأ عليهم القرآن فقرأ سورة مريم فبكوا وآمنوا بالقرآن
وقيل نزلت في ثلثين او سبعين رجلا من قومه وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليهم سورة
يس فبكوا وآمنوا والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم عطف التكذيب
بآيات الله على الكفر وهو ضرب منه لان القصد الى بيان حال المكذبين وذكرهم في معرض
المصدقين بها جمعا بين الترغيب والترهيب يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما
احل الله لكم اي ما طاب ولذ منه كانه لما تضمن ما قبله مدح النصارى على ترهبهم والحث
على كسر النفس ورفض الشهوات عقبه النهي عن الافراط في ذلك والاعتداء عما حد الله
بجعل الحلال حراما فقال ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ويجوز ان يراد به ولا تعتدوا
حدود ما احل لكم الى ما حرم عليكم فتكون الآية ناهية عن تحريم ما احل وتحليل ما حرم
داعية الى القصد بينهما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف القيامة لاصحابه يوما فبالغ في انذارهم
فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على ان لا يزالوا صائمين قائمين وان
لا يناموا على الفرش ولا يأكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا
ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الارض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم
اني لم اؤمر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم
وانام واصوم وافطر وآكل اللحم والدسم وآتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني فنزلت
وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا اي كلوا ما حل لكم وطاب مما رزقكم الله فيكون حلالا مفعول
كلوا ومما حال منه تقدمت عليه لانه نكرة ويجوز ان يكون من ابتدائية متعلقة بكلوا ويجوز
ان يكون مفعولا وحلالا حالا من الموصول او العائد المحذوف او صفة لمصدر محذوف وعلى
الوجوه لو لم يقع الرزق على الحرام لم يكن لذكر الحلال فائدة زائدة واتقوا الله الذي انتم
به مؤمنون لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم هو ما يبدو من المرء بلا قصد كقول الرجل لا والله
بلى والله واليه ذهب الشافعي وقيل الحلف على ما يظن انه كذلك ولم يكن واليه ذهب ابو حنيفة
وفي ايمانكم صلة لا يؤاخذكم باللغو لانه مصدر او حال منه ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان

بما عقدتم الايمان عليه بالقصد والنية والمعنى لكن يؤاخذكم بما عقدتم اذا حنثتم او
بنكث ما عقدتم فحذف للعلم به وقرأ حمزة والكسائي وابن عياش عقدتم بالتخفيف
وابن عامر برواية ابن ذكوان عاقدتم وهو من فاعل بمعنى فعل فكفارته فكفارة نكثه
اي الفعلة التي تذهب اثمه وتستره واستدل بظاهره على جواز التكفير بالمال قبل الحنث
وهو عندنا خلافا للحنفية لقوله عليه السلام من حلف على يمين ورأى غيرها خيرا منها فليكفر عن
يمينه وليأت الذي هو خير اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم من اقصده
في النوع او القدر وهو مد لكل مسكين عندنا ونصف صاع عند الحنفية ومحله النصب
لانه صفة المفعول المحذوف تقديره ان تطعموا عشرة مساكين طعاما من اوسط ما تطعمون
او الرفع على البدل من اطعام واهلون كارضون وقرئ اهاليكم بسكون الياء على لغة من
يسكنها على الاحوال الثلث كالالف وهو جمع اهل كالليالي في جمع ليل والاراضي في جمع ارض
وقيل جمع اهلاه او كسوتهم عطف على اطعام او من اوسط ان جعل بدلا وهي ثوب يغطي العورة
وقيل ثوب جامع قميص ورداء او ازار وقرئ بضم الكاف وهو لغة كقدوة في قدوة و
كاسوتهم اي كمثل ما تطعمون اهليكم اسرافا او تقتيرا تواسون بينهم وبينهم ان لم تطعموهم
الاوسط والكاف في محل الرفع وتقديره او اطعامهم كاسوتهم او تحرير رقبة او اعتاق
انسان وشرط الشافعي فيه الايمان قياسا على كفارة القتل ومعنى او ايجاب احدى الخصال
الثلث مطلقا وتخيير المكلف في التعيين فمن لم يجد اي واحدا منها فصيام ثلثة ايام فكفارته
صيام ثلثة ايام وشرط ابو حنيفة فيه التتابع لانه قرئ ثلثة ايام متتابعات والشواذ
ليس بحجة عندنا اذ لم يثبت كتابا ولم يرو سنة ذلك اي المذكور كفارة ايمانكم اذا
حلفتم اذا حلفتم وحنثتم واحفظوا ايمانكم بان تضنوا بها ولا تبذلوها لكل امر او بان تبروا
فيها ما استطعتم ولم يفت بها خيرا او بان تكفروها اذا حنثتم كذلك اي مثل ذلك البيان
يبين الله لكم آياته اعلام شرائعه لعلكم تشكرون نعمة التعليم او نعمة الواجب شكرها فان
مثل هذا التبيين يسهل لكم المخرج منه يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب اي
الاصنام التي نصبت للعبادة والازلام سبق تفسيرها في اول السورة رجس قذر تعاف عنه

العقول وافراده لانه خبر للخمر وخبر المعطوفات محذوف او لمضاف محذوف كانه قال
تعاطي الخمر والميسر من عمل الشيطان لانه مسبب من تسويله وتزيينه فاجتنبوه الضمير للرجس
او لما ذكر او للتعاطي لعلكم تفلحون لكي تفلحوا بالاجتناب عنه واعلم انه تعالى اكد تحريم الخمر والميسر في
هذه الاية بان صدر الجملة بانما وقرنهما بالاصنام والازلام وسماهما رجسا وجعلهما
من عمل الشيطان تنبيها على ان الاشتغال بهما شر بحت او غالب وامر بالاجتناب عن عينهما
وجعله سببا يرجى منه الفلاح ثم قرر ذلك بان بين ما فيهما من المفاسد الدنيوية والدينية
المقتضية للتحريم فقال انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر
والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة وانما خصهما باعادة الذكر وشرح ما فيهما
من الوبال تنبيها على انهما المقصود بالبيان وذكر الانصاب والازلام للدلالة على
انهما مثلهما في الحرمة والشرارة لقوله عليه السلام شارب الخمر كعابد الوثن وخص الصلوة من
الذكر بالافراد للتعظيم والاشعار بان الصاد عنها كالصاد عن الايمان من حيث انها
عماده والفارق بينه وبين الكفر ثم اعاد الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتبا على ما تقدم
من انواع الصوارف فقال فهل انتم منتهون ايذانا بان الامر في المنع والتحذير بلغ
الغاية فان الاعذار قد انقطعت واطيعوا الله واطيعوا الرسول فيما امرا به واحذروا
ما نهيا عنه او مخالفتهما فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين اي فاعلموا
انكم لم تضروا الرسول بتوليكم فانما عليه البلاغ وقد ادى وانما ضررتم به انفسكم
ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا مما لم يحرم عليهم اذا ما
اتقوا وامنوا وعملوا الصالحات اي اتقوا المحرم وثبتوا على الايمان والاعمال الصالحة
ثم اتقوا ما حرم عليهم بعد كالخمر وامنوا بتحريمه ثم اتقوا ثم استمروا وثبتوا على اتقاء
المعاصي واحسنوا وتحروا الاعمال الجميلة واشتغلوا بها روي انه لما نزل تحريم الخمر
قالت الصحابة يا رسول الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر وياكلون
الميسر فنزلت ويحتمل ان يكون هذا التكرير باعتبار الاوقات الثلثة او باعتبار الحالات الثلث
استعمال الانسان التقوى والايمان بينه وبين نفسه وبينه وبين الناس وبينه وبين الله

ولذلك بدل الايمان بالاحسان في الكرة الثالثة اشارة الى ما قاله عليه السلام في تفسيره او
باعتبار المراتب الثلث المبدا والوسط والمنتهى او باعتبار ما يتقى فانه ينبغي ان يترك المحرمات
توقيا من العقاب والشبهات تحرزا عن الوقوع في الحرام وبعض المباحات تحفظا للنفس عن الخسة
وتهذيبا لها عن دنس الطبيعة والله يحب المحسنين فلا يؤاخذهم بشيء وفيه ان من فعل ذلك
صار محسنا ومن صار محسنا صار لله محبوبا يا ايها الذين امنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد
تناله ايديكم ورماحكم نزلت عام الحديبية ابتلاهم الله بالصيد وكانت الوحوش تغشاهم في رحالهم
بحيث يتمكنون من صيدها اخذا بايديهم وطعنا برماحهم وهم محرمون والتقليل والتحقير
في بشيء للتنبيه على انه ليس من العظائم التي تدحض الاقدام كالابتلاء ببذل الانفس والاموال
فمن لم يثبت عنده كيف يثبت عند ما هو اشد منه ليعلم الله من يخافه بالغيب ليتميز الخائف
من عقابه وهو غائب منتظر لقوة ايمانه ممن لا يخافه لضعف قلبه وقلة ايمانه فذكر العلم
واراد وقوع المعلوم وظهوره او تعلق العلم فمن اعتدى بعد ذلك الابتلاء بالصيد فله
عذاب اليم فالوعيد لاحق به فان من لا يملك جاشه في مثل ذلك ولا يراعي حكم الله فيه فكيف به
فيما يكون النفس اميل اليه واحرص عليه يا ايها الذين امنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم
اي محرمون جمع حرام كرداح وردح ولعله ذكر القتل دون الذبح والزكوة للتعميم واراد
بالصيد ما يؤكل لحمه لانه الغالب فيه عرفا ويؤيده قوله عليه السلام خمس يقتلن في الحل والحرم الحداة
والغراب والعقرب والفارة والكلب العقور وفي رواية اخرى الحية بدل العقرب مع ما فيه
من التنبيه على جواز قتل كل موذ واختلف في ان هذا النهي هل يلغي حكم الذبح فيلحق مذبوح
المحرم بالميتة ومذبوح الوثني او لا فيكون كالشاة المغصوبة اذا ذبحها الغاصب ومن قتله
منكم متعمدا ذاكرا لاحرامه عالما بانه حرام عليه قتل ما يقتله والاكثر على ان ذكره ليس لتقييد
وجوب الجزاء فان اتلاف العامد والمخطي واحد في ايجاب الضمان بل لقوله ومن عاد فينتقم
الله منه ولان الاية نزلت فيمن تعمد اذ روي انه عن لهم في عمرة الحديبية حمار وحش فطعنه
ابو اليسر برمحه فقتله فنزلت فجزاء مثل ما قتل من النعم برفع الجزاء والمثل وقراءة الكوفيين بمعنى
فعليه او فواجبه جزاء يماثل ما قتل من النعم وعليه لا يتعلق الجار بجزاء للفصل بينهما بالصفة

فان متعلق المصدر كالصلة له فلا يوصف بالمرة بعدها وانما يكون صفة وقرأ الباقون
على اضافة المصدر الى المفعول والجار مثل كما في قولهم مثلي لا يقول كذا والمعنى فعليه
ان يجزي مثل ما قتل بنصبهما على فليجز جزاء او فعليه ان يجزي جزاء يماثل ما قتل والجزاء مثل
ما قتل وهذه المماثلة باعتبار الخلقة والهيئة عند مالك والشافعي والقيمة عند ابي حنيفة
وقال يقوم الصيد حيث صيد فان بلغت عن هدي يخير ان يهدي ما قيمته قيمته وبين
ان يشتري بها طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وبين ان يصوم
عن طعام كل مسكين يوما وان لم يبلغ يخير بين الاطعام والصوم وانما اللفظ للاول او نص
يحكم به ذوا عدل منكم صفة جزاء ويحتمل ان يكون حالا من ضميره جزاء في خبره او منه
اذا اضفته او وصفته ورفعته بخبر مقدر لمن وكما ان التقويم يحتاج الى نظر واجتهاد
يحتاج المماثلة في الخلقة والهيئة اليهما فان الانواع يتشابه كثيرا وقرئ ذو عدل على ارادة
الجنس او الامام هديا حال من الهاء في به او من جزاء وان نون لتخصصه بالصفة او بدل
عن مثل باعتبار محله او لفظه فيمن نصبه بالغ الكعبة صفة به هديا لان اضافته لفظية
ومعنى بلوغه الكعبة ذبحه بالحرم والتصدق به ثمة وقال ابو حنيفة يذبح بالحرم
ويتصدق به حيث شاء او كفارة عطف على جزاء ان رفعته وان نصبته فخبر محذوف
طعام مساكين عطف بيان او بدل منه او خبر محذوف اي هي طعام وقرأ نافع وابن عامر
كفارة طعام بالاضافة للتبيين كقولك خاتم فضة والمعنى عند الشافعي او كفارة
بطعام مساكين ما يساوي قيمة الهدي من غالب قوت البلد فيعطي كل مسكين
مدا او عدل ذلك صياما او ما ساواه من الصوم فيصوم عن طعام كل مسكين
يوما وهو في الاصل مصدر اطلق للمفعول وقرئ بكسر العين وهو ما عدل بالشيء في
المقدار كعدل الحمل وذلك اشارة الى الطعام وصياما تمييز للعدل ليذوق وبال
امره متعلق بالمحذوف اي فعليه الجزاء او الطعام او الصوم ليذوق ثقل فعله وسوء
عاقبة هتكه حرمة الاحرام او الثقل الشديد على مخالفة امر الله واصل الوبل الثقل
ومنه الطعام الوبيل عفا الله عما سلف من قتل الصيد محرما في الجاهلية او قبل

التحريم او في هذه المرة ومن عاد الى مثل هذا فينتقم الله منه فهو ينتقم الله منه وليس
فيه ما يمنع الكفارة على العائد كما حكي عن ابن عباس وشريح والله عزيز ذو انتقام
ممن اصر على عصيانه احل لكم صيد البحر ما صيد منه مما لا يعيش الا في الماء وهو حلال
كله لقوله عليه السلام في البحر هو الطهور ماؤه والحل ميتته وقال ابو حنيفة لا يحل منه الا السمك
وقيل يحل السمك وما يؤكل نظيره في البر وطعامه ما قذفه او نضب عنه وقيل الضمير للصيد
وطعامه اكله متاعا لكم تمتيعا لكم نصب على الغرض وللسيارة اي ولسيارتكم يتزودونه
قديدا وحرم عليكم صيد البر اي ما صيد فيه او الصيد فيه فعلى الاول يحرم على المحرم ايضا
ما صاده الحلال وان لم يكن له فيه مدخل والجمهور على حله لقوله عليه السلام لحم الصيد حلال لكم
ما لم تصطادوه او يصد لكم ما دمتم حرما اي محرمين وقرئ بكسر الدال من دام يدام
واتقوا الله الذي اليه تحشرون جعل الله الكعبة صيرها وانما سمي البيت كعبة لتكعبه
البيت الحرام عطف بيان على جهة المدح او المفعول الثاني قياما للناس انتعاشا
لهم اي سبب انتعاشهم في امر معاشهم ومعادهم يلوذ به الخائف ويأمن فيه الضعيف
ويربح فيه التجار ويتوجه اليه الحجاج والعمار او ما يقوم به امر دينهم ودنياهم
وقرأ ابن عامر قيما على انه مصدر على فعل كالشبع اعل عينه كما اعل في فعله ونصبه على
المصدر او الحال والشهر الحرام والهدي والقلائد سبق تفسيرها والمراد بالشهر الشهر
الذي يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة لانه المناسب لقرنائه وقيل الجنس ذلك اشارة الى
الجعل او الى ما ذكر من الامر بحفظ حرمة الاحرام وغيره لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات
وما في الارض فان شرع الاحكام لدفع المضار قبل وقوعها وجلب المنافع المترتبة
عليها دليل حكمة الشارع وكمال علمه وان الله بكل شيء عليم تعميم بعد تخصيص ومبالغة
بعد اطلاق اعلموا ان الله شديد العقاب وان الله غفور رحيم وعيد ووعد لمن
انتهك محارمه ولمن حافظ عليها او لمن اصر عليه ولمن انقلع عنه ما على الرسول الا البلاغ
تشديد في ايجاب القيام بما امر اي الرسول اتى بما امر به من التبليغ ولم يبق لكم عذر في التفريط
والله يعلم ما تبدون وما تكتمون من تصديق وتكذيب وفعل وعزيمة قل لا يستوي الخبيث

والطيب حكم عام في نفي المساواة عند الله بين الرديء من الاشخاص والاعمال والاموال
وجيدها رغب في صالح العمل وحلال المال ولو اعجبك كثرة الخبيث فان العبرة بالجودة
والرداءة دون القلة والكثرة فان المحمود القليل خير من المذموم الكثير والخطاب لكل معتبر
ولذلك قال فاتقوا الله يا اولي الالباب اي فاتقوه في تحري الخبيث وان كثر وآثروا
الطيب وان قل لعلكم تفلحون راجين ان تبلغوا الفلاح روي انها نزلت في حجاج
اليمامة لما هم المسلمون ان يوقعوا بهم فنهوا عنه وان كانوا مشركين يا ايها الذين آمنوا
لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم الشرطية
وما عطف عليها صفتان لاشياء والمعنى لا تسألوا رسول الله عن اشياء ان تظهر لكم تغمكم
وان تسألوا عنها في زمان الوحي تظهر لكم وهما كمقدمتين تنتجان ما يمنع السؤال وهو انه
مما يغمهم والعاقل لا يفعل ما يغمه واشياء اسم جمع كطرفاء غير انه قلبت لامه فجعلت لفعاء
وقيل افعلاء حذفت لامه جمع لشيء على ان اصله شيّئ كهيّن او شيئ كصديق فخفف
وقيل افعال جمع له من غير تغيير كبيت وابيات ويرده منع صرفه عفا الله عنها
صفة اخرى اي عن اشياء عفا الله عنها ولم يكلف بها اذ روي انه لما نزلت ولله على الناس
حج البيت قال سراقة بن مالك اكل عام فاعرض عنه رسول الله عم حتى اعاد ثلثا فقال
لا ولو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لما استطعتم فاتركوني ما تركتكم فنزلت
او استينافا اي عفا الله عما سلف من مسئلتكم فلا تعودوا الى مثلها والله غفور
حليم لا يعاجلكم بعقوبة ما يفرط منكم ويعفو عن كثير وعن ابن عباس انه عم كان
يخطب ذات يوم غضبان من كثرة ما يسألون عنه مما لا يعنيهم فقال لا يسال
عن شيء الا اجيب فقال رجل اين ابي فقال في النار فقال آخر من ابي فقال حذافة
وكان يدعى لغيره فنزلت قد سألها قوم الضمير للمسئلة التي دل عليها تسألوا ولذلك
لم يعد بعن او لاشياء بحذف الجار من قبلكم متعلق بسألها وليس صفة لقوم فان
ظرف الزمان لا يكون صفة للجثة ولا حالا منها ولا خبرا عنها ثم اصبحوا بها كافرين اي بسببها
حيث لم يأتمروا بما سألوا او جحدوها ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام

رد وانكار لما ابتدعه اهل الجاهلية وهو انهم اذا انتجت الناقة خمسة ابطن آخرها
ذكر بحروا اذنها اي شقوها وخلوا سبيلها فلا تركب ولا تحلب وكان الرجل منهم يقول
ان شفيت فناقتي سائبة ويجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها واذا ولدت الشاة
انثى فهي لهم وان ولدت ذكرا فهو لآلهتهم وان ولدتهما وصلت الانثى اخاها فلا يذبح لها
الذكر واذا انتجت من صلب الفحل عشرة ابطن حرموا ظهره ولم يمنعوه من ماء ولا مرعى وقالوا
قد حمى ظهره ومعنى ما جعل ما شرع وما وضع ولذلك تعدى الى مفعول واحد وهو بحيرة ومن
مزيدة ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب بتحريم ذلك ونسبته اليه واكثرهم لا يعقلون
اي الحلال من الحرام والمبيح من المحرم والآمر والناهي ولكنهم يقلدون كبارهم وفيه ان منهم من يعرف بطلان
ذلك ولكن منعهم حب الرياسة وتقليد الآباء ان يعترفوا واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل
الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا بيان لقصور عقلهم وانهماكهم في التقليد
وان لا سند سواه ولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون الواو للحال والهمزة دخلت
عليها لانكار الفعل على هذه الحال اي احسبهم ما وجدوا عليه آباءهم ولو كانوا جهلة
ضالين والمعنى ان الاقتداء انما يصح بمن علم انه عالم مهتد وذلك لا يعرف الا بالحجة فلا
يكفي التقليد يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم اي احفظوها والزموا اصلاحها والجار مع المجرور
جعل اسما لالزموا ولذلك نصب انفسكم وقرئ بالرفع على الابتداء لا يضركم من ضل اذا اهتديتم
لا يضركم الضلال اذا كنتم مهتدين ومن الاهتداء ان ينكر المنكر حسب طاقته كما قال عم من
راى منكرا واستطاع ان يغيره بيده فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع
فبقلبه والآية نزلت لما كان المؤمنون يتحسرون على الكفرة ويتمنون ايمانهم وقيل كان
الرجل اذا اسلم قالوا له سفهت اباك فنزلت ولا يضركم يحتمل الرفع على انه مستأنف ويؤيده
ان قرئ لا يضيركم والجزم على الجواب او النهي لكنه ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة
اليها من الراء المدغمة ويؤيده قراءة من قرأ لا يضركم بالفتح ولا يضركم بكسر الضاد وضمها
من ضاره يضيره ويضوره الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون وعد ووعيد
للفريقين وتنبيه على ان احدا لا يؤاخذ بذنب غيره يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم

اي فيما امرتم شهادة بينكم والمراد بالشهادة الاشهاد واضافتها الى الظرف على الاتساع
وقرئ شهادةٌ بالنصب والتنوين على ليقم اذا حضر احدكم الموت اذا شارفه وظهر اماراته
وهو ظرف للشهادة حين الوصية بدل منه وفي ابداله تنبيه على ان الوصية مما ينبغي ان
لا يتهاون فيه او ظرف حضر اثنان فاعل شهادة ويجوز ان يكون خبرها على حذف المضاف
ذوا عدل منكم اي من اقاربكم او من المسلمين وهما صفتان لاثنان او آخران من غيركم عطف
على اثنان ومن فسر الغير باهل الذمة جعله منسوخا فان شهادته على المسلم لا تسمع اجماعا
ان انتم ضربتم في الارض اي سافرتم فيها فاصابتكم مصيبة الموت اي قاربتم الاجل تحبسونهما
تقفونهما وتصبر صفة لآخران والشرط بجوابه المحذوف المدلول عليه بقوله او آخران
من غيركم اعتراض فائدته الدلالة على انه ينبغي ان يشهد اثنان منكم فان تعذر كما في
السفر فمن غيركم او استيناف كانه قيل كيف نعمل ان ارتبنا بالشاهدين فقال تحبسونهما
من بعد الصلوة صلوة العصر لانه وقت اجتماع الناس وتصادم ملئكة الليل وملئكة
النهار وقيل اي صلوة فيقسمان بالله ان ارتبتم ان ارتاب الوارث منكم لا نشتري به ثمنا
مقسم عليه وان ارتبتم اعتراض يفيد اختصاص القسم بحال الارتياب والمعنى لا نستبدل بالقسم
او بالله عرضا من الدنيا اي لا نحلف بالله كاذبا لطمع ولو كان ذا قربى اي ولو كان المقسم له
قريبا منا وجوابه ايضا محذوف اي لا نشتري ولا نكتم شهادة الله اي الشهادة التي امرنا الله
باقامتها وعن الشعبي انه وقف على شهادة ثم ابتدا الله بالمد على حذف حرف القسم وتعويض حرف
الاستفهام منه وروي عنه بغير مد كقولهم الله لافعلن انا اذا لمن الآثمين اي ان كتمنا
وقرئ لملاثمين بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام النون فيها فان عثر فان اطلع
على انهما استحقا اثما اي فعلا ما اوجب اثما كتحريف فآخران فشاهدان آخران يقومان
مقامهما من الذين استحق عليهم من الذين جني عليهم وهم الورثة وقرا حفص استحق
على البناء للفاعل وهو الاوليان الاحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما وهو خبر
محذوف اي هما الاوليان او خبر آخران او مبتدا خبره آخران او بدل منهما او من الضمير
في يقومان وقرا حمزة ويعقوب وابو بكر عن عاصم الاولين على انه صفة للذين او بدل

منه اي من الاولين الذين استحق عليهم وقرئ الاولين على التثنية وانتصابه على المدح
والاولان واعرابه اعراب الاوليان فيقسمان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما اصدق
منها واولى بان تقبل وما اعتدينا وما تجاوزنا فيها الحق انا اذا لمن الظالمين الواضعين
الباطل موضع الحق او الظالمين انفسهم ان اعتدينا ومعنى الآيتين ان المحتضر اذا اراد الوصية
ينبغي ان يشهد عدلين من ذوي نسبه او دينه على وصيته او يوصي اليهما احتياطا فان لم
يجدهما بان كان في سفر فآخران من غيرهم ثم ان وقع نزاع وارتياب اقسما على صدق
ما يقولان بالتغليظ في الوقت فان اطلع على انهما كذبا بامارة ومظنة حلف
آخران من اولياء الميت والحكم منسوخ ان كان الاثنان شاهدين فانه لا يحلف
الشاهد ولا يعارض يمينه بيمين الوارث وثابت ان كانا وصيين ورد اليمين الى
الورثة اما لظهور خيانة الوصيين فان تصديق الوصي باليمين لامانته او لتغيير الدعوى
اذ روي ان تميما الداري وعدي بن بدي خرجا الى الشام للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين
ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص رض وكان مسلما فلما قدموا الشام مرض بديل فدون
ما معه في صحيفة وطرحها في متاعه ولم يخبرهما به واوصى اليهما بان يدفعا متاعه الى
اهله ومات ففتشاه واخذا منه اناء من فضة فيه ثلثمائة مثقال منقوشا بالذهب
فغيباه فاصاب اهله الصحيفة فطالبوهما بالاناء فجحدا فترافعوا الى رسول الله عم
فنزلت يا ايها الذين آمنوا الآية فحلفهما رسول الله عم بعد صلوة العصر عند المنبر
وخلى سبيلهما ثم وجد الاناء في ايديهما فاتاهم بنو سهم في ذلك فقالا قد اشتريناه منه ولكن
لم يكن لنا بينة عليه فكرهنا ان نقر به فرفعوهما الى رسول الله عم فنزلت فان عثر فقام
عمرو بن العاص والمطلب بن ابي وداعة السهميان وحلفا ولعل تخصيص العدد لخصوص
الواقعة ذلك اي الحكم الذي تقدم او تحليف الشاهد ادنى ان ياتوا بالشهادة على وجهها
على نحو ما حملوه من غير تحريف وخيانة فيها او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم اي ترد
اليمين على المدعين بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور الخيانة واليمين الكاذبة وانما جمع الضمير
لانه حكم يعم الشهود كلهم واتقوا الله واسمعوا ما توصون به سمع اجابة والله لا يهدي القوم

الفاسقين اى فان لم تتقوا ولم تسمعوا كنتم قوما فاسقين والله لا يهدى القوم الفاسقين
اى لا يهديهم الى حجة او الى طريق الجنة يقول يوم يجمع الله الرسل ظرف له وقيل بدل من مفعول
واتقوا بدل الاشتمال او مفعول واسمعوا على حذف المضاف اى واسمعوا خبر يوم جمعه او منصوب
باضمار اذكر فيقول اى للرسل ماذا اجبتم اى اجابة اجبتم على ان ماذا فى موضع المصدر
او باى شى اجبتم فحذف الجار وهذا السؤال لتوبيخ قومهم كما ان سؤال الموءدة لتوبيخ
الوائد ولذلك قالوا لا علم لنا اى لا علم لنا بما انت تعلمه انك انت علام الغيوب فتعلم
ما نعلمه مما اجابونا واظهروا لنا وما لم نعلمه مما اضمروا فى قلوبهم وفيه التشكى عنهم ورد الامر
الى علمه بما كابدوا منهم وقيل المعنى لا علم لنا الى جنب علمك او لا علم لنا بما احدثوا بعدنا
وانما الحكم للخاتمة وقرئ علام بالنصب على ان الكلام قد تم بقوله انك انت اى انك
الموصوف بصفاتك المعروفة وعلام منصوب على الاختصاص او النداء وقرأ ابو بكر وحمزة
والغيوب بكسر الغين حيث وقع اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك
بدل من يوم يجمع وهو على طريقة ونادى اصحاب الجنة والمعنى انه تعالى يوبخ الكفرة يومئذ
بسؤال الرسل عن اجابتهم وتعديد ما اظهر عليهم من الايات فكذبتهم طائفة وسموهم
سحرة وغلا اخرون فاتخذوهم آلهة او نصب باضمار اذكر اذ ايدتك قويتك وهو ظرف
لنعمتى او حال منه وقرئ ايدتك بروح القدس بجبريل عليه السلام او بالكلام الذى
يحيى به الدين والنفس حيوة ابدية ويطهر من الاثام ويؤيده قوله تكلم الناس فى
المهد وكهلا اى كائنا فى المهد وكهلا والمعنى تكلمهم فى الطفولية والكهولة على السواء
والمعنى الحاق حاله فى الطفولية بحاله فى الكهولة فى كمال العقل والتكلم وبه استدل
على انه سينزل فانه رفع قبل ان اكتهل واذ علمتك الكتاب والحكمة والتورية والانجيل
واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذنى فتنفخ فيها فتكون طيرا باذنى وتبرئ الاكمه والابرص
باذنى واذ تخرج الموتى باذنى سبق تفسيره فى سورة آل عمران وقرأ نافع ويعقوب
طائرا ويحتمل الافراد والجمع كالباقر واذ كففت بنى اسرائيل عنك يعنى اليهود حين هموا
بقتله اذ جئتهم بالبينات ظرف لكففت فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين

اى ما هذا الذى جئت به الا سحر وقرأ حمزة والكسائى الا ساحر والاشارة الى عيسى واذ
اوحيت الى الحواريين اى امرتهم على السنة رسلى ان آمنوا بى وبرسولى يجوز ان تكون ان
مصدرية وان تكون مفسرة قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون مخلصون اذ قال الحواريون
يا عيسى ابن مريم منصوب باذكر او ظرف لقالوا فيكون تنبيها على ان ادعاءهم الاخلاص مع
قولهم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء لم يكن بعد عن تحقيق واستحكام
معرفة وقيل هذه الاستطاعة على ما يقتضيه الحكمة والارادة لا على ما تقتضيه القدرة
وقيل المعنى هل يطيع ربك اى هل يجيبك واستطاع بمعنى اطاع كاستجاب واجاب
وقرأ الكسائى هل تستطيع ربك اى سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف
والمائدة الخوان اذا كان عليه الطعام من ماد الماء يميد اذا تحرك او من ماده اذا اعطاه
كانها تميد من تقدم اليه ونظيره قولهم شجرة مطعمة قال اتقوا الله من امثال هذا السؤال
ان كنتم مؤمنين بكمال قدرته وصحة نبوتى او صدقتم فى ادعاء الايمان قالوا نريد
ان نأكل منها تمهيد عذر وبيان لما دعاهم الى السؤال وهو ان يتمتعوا بالاكل منها و
تطمئن قلوبنا بانضمام علم المشاهدة الى علم الاستدلال بكمال قدرته ونعلم ان قد
صدقتنا فى ادعاء النبوة اى ان الله يجيب دعوتنا ونكون عليها من الشاهدين اذا استشهدتنا
او من الشاهدين للعين دون السامعين للخبر قال عيسى ابن مريم لما راى ان لهم غرضا صحيحا
فى ذلك او انهم لا يقلعون عنه فاراد الزامهم الحجة بكمالها اللهم ربنا انزل علينا مائدة
من السماء تكون لنا عيدا اى يكون يوم نزولها عيدا نعظمه وقيل العيد السرور العائد
ولذلك سمى يوم العيد عيدا وقرئ تكن على جواب الامر لاولنا وآخرنا بدل من لنا باعادة
العامل اى عيدا لمتقدمينا ومتاخرينا روى انها نزلت يوم الاحد فلذلك اتخذه النصارى
عيدا وقيل يأكل منها اولنا وآخرنا وقرئ لاولانا واخرانا بمعنى الامة او الطائفة
وآية عطف على عيدا منك صفة لها اى آية كائنة منك على كمال قدرتك وصحة نبوتى وارزقنا
المائدة والشكر عليها وانت خير الرازقين خير من يرزق لانه خالق الرزق ومعطيه بلا عوض
قال الله انى منزلها عليكم اجابة الى سؤالكم وقرأ نافع وابن عامر وعاصم منزلها بالتشديد

فمن يكفر بعد منكم فانى اعذبه عذابا اى تعذيبا ويجوز ان يجعل مفعولا به على السعة
لا اعذبه احدا الضمير للمصدر او للعذاب ان اريد به ما يعذب به على حذف حرف الجر احدا من
العالمين اى من عالمى زمانهم او العالمين مطلقا فانهم مسخوا قردة وخنازير ولم يعذب
بمثل ذلك غيرهم روى انها نزلت سفرة حمراء بين غمامتين وهم ينظرون اليها حتى سقطت
بين ايديهم فبكى عيسى عم وقال اللهم اجعلنى من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة للعالمين
ولا تجعلها مثلة وعقوبة ثم قام فتوضا وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير
الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند راسها ملح وعند ذنبها
خل وحولها من الوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى
الثانى عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح
الله امن طعام الدنيا ام من طعام الاخرة قال ليس منهما ولكنه اخترعه الله بقدرته كلوا
ما سالتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقالوا يا روح الله لو اريتنا من
هذه الاية اية اخرى فقال يا سمكة احيى باذن الله فاضطربت ثم قال لها عودى كما كنت
فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا وقيل كانت تاتيهم اربعين
يوما يجتمع عليها الفقراء والاغنياء والصغار والكبار ياكلون حتى اذا فاء الفىء طارت
وهم ينظرون فى ظلها ولم ياكل منها فقير الا غنى مدة عمره ولا مريض الا برئ ولم يمرض ابدا
ثم اوحى الله الى عيسى ان اجعل مائدتى فى الفقراء والمرضى دون الاغنياء والاصحاء فاضطرب
الناس لذلك فمسخ منهم ثلثمائة وثلاثون رجلا وقيل لما وعدها الله انزالها بهذه الشريطة استعفوا
وقالوا لا نريدها فلم تنزل وعن مجاهد انه هذا مثل ضربه الله لمقترحى المعجزات وعن بعض
الصوفية المائدة ههنا عبارة عن حقائق المعارف فانها غذاء الروح كما ان الاطعمة
غذاء البدن وعلى هذا فلعل الحال انهم رغبوا فى حقائق لم يستعدوا للوقوف عليها
فقال لهم عيسى ان حصلتم الايمان فاستعملوا التقوى حتى تتمكنوا من الاطلاع عليها فلم يقلعوا
عن السؤال والحوا فيه فسال لاجل اقتراحهم فبين الله تعالى ان انزاله سهل ولكن فيه خطر
وخوف عاقبة فان السالك اذا انكشف له ما هو اعلى من مقامه لعله لا يحتمله ولا يستقر له

فقد ضل ضلالا بعيدا واذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءانت قلت للناس اتخذونى
وامى الهين من دون الله يريد به توبيخ الكفرة وتبكيتهم ومن دون الله صفة للالهين او صلة
اتخذونى ومعنى دون اما المغايرة فيكون فيه تنبيه على ان عبادة الله تعالى مع عبادة غيره
كلا عبادة فمن عبده مع عبادتهما كانه عبدهما ولم يعبده او القصور فانهم لم يعتقدوا
انهما مستقلان باستحقاق العبادة وانما زعموا ان عبادتهما توصل الى عبادة الله تعالى
كانه قيل اتخذونى وامى الهين متوصلين بنا الى الله قال سبحانك اى انزهك
تنزيها من ان يكون لك شريك ما يكون لى ان اقول ما ليس لى بحق ما ينبغى لى ان اقول قولا
لا يحق لى ان اقوله ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا اعلم ما فى نفسك تعلم ما اخفيه
فى نفسى كما تعلم ما اعلنه ولا اعلم ما تخفيه من معلوماتك وقوله فى نفسك للمشاكلة وقيل
المراد بالنفس الذات انك انت علام الغيوب تصريح بنفى المستفهم عنه بعد تقرير
للجملتين باعتبار منطوقه ومفهومه ما قلت لهم الا ما امرتنى به تصريح بنفى المستفهم عنه بعد
تقديم ما يدل عليه ان اعبدوا الله ربى وربكم عطف بيان للضمير فى به او بدل منه وليس
من شرط البدل جواز طرح المبدل منه مطلقا ليلزم منه بقاء الموصول بلا راجع او خبر
مضمر او مفعوله مثل هو او اعنى ولا يجوز ابداله من ما امرتنى به فان المصدر لا يكون مفعول القول
ولا ان يكون ان مفسرة لان الامر مسند الى الله وهو لا يقول اعبدوا الله ربى وربكم
والقول لا يفسر بل الجملة يحكى بعده الا ان يؤول القول بالامر وكانه قيل ما امرتهم
الا ما امرتنى به ان اعبدوا الله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم اى رقيبا عليهم امنعهم
ان يقولوا ذلك ويعتقدوه او مشاهدا لاحوالهم من كفر وايمان فلما توفيتنى بالرفع الى
السماء لقوله انى متوفيك ورافعك الى والتوفى اخذ الشئ وافيا والموت نوع منه قال
الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها كنت انت الرقيب عليهم المراقب
لاحوالهم فمنعت من اردت عصمته من القول به بالارشاد الى الدلائل والتنبيه عليها بارسال
الرسل وانزال الايات وانت على كل شئ شهيد مطلع عليه مراقب له ان تعذبهم فانهم
عبادك اى تعذبهم فانك تعذب عبادك ولا اعتراض على المالك المطلق فيما يفعل بملكه

وفيه تنبيه على انهم استحقوا ذلك لانهم عبادك وقد عبدوا غيرك وان تغفر لهم
فانك انت العزيز الحكيم فلا عجز ولا استقباح فانك القادر القوي على الثواب والعقاب
الذي لا يثيب ولا يعاقب الا عن حكمة وصواب فان المغفرة مستحسنة لكل مجرم فان عذبت
فعدل وان غفرت ففضل وعدم غفران الشرك بمقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذاته ليمتنع
الترديد والتعليق بان قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم قرأ نافع يوم بالنصب
على انه ظرف لقال وخبر هذا محذوف او ظرف مستقر وقع خبرا والمعنى هذا الذي من كلام
عيسى واقع يوم ينفع وقيل انه خبر ولكن بني على الفتح لاضافته الى الفعل وليس بصحيح لان
المضاف اليه معرب والمراد بالصدق الصدق في الدنيا فان النافع ما كان حال التكليف
لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز
العظيم بيان للنفع لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل شيء قدير تنبيه على
كذب النصارى وفساد دعواهم في المسيح وامه وانما لم يقل ومن فيهن تغليبا للعقلاء
وقال وما فيهن اتباعا لهم غير اولي العقل في غاية القصور عن معنى الربوبية والنزول عن
رتبة العبودية واهانة لهم وتنبيها على المجانسة المنافية للالوهية ولان ما يطلق متناولا
للاجناس كلها فهو اولى بارادة العموم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة المائدة اعطي من الاجر عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في الدنيا

سورة الانعام مكية غير ست آيات او الا ثلاث من قوله قل تعالوا وهي مائة وخمس وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي خلق السموات والارض اخبر بانه تعالى حقيق بالحمد
ونبه على انه المستحق له على هذه النعم الجسام حمد او لم يحمد ليكون حجة على الذين هم بربهم يعدلون
وجمع السموات دون الارض وهي مثلهن لان طبقاتها مختلفة الذات متفاوتة الآثار
والحركات وقدمها لشرفها وعلو مكانها وتقدم وجودها وجعل الظلمات والنور انشأهما
والفرق بين خلق وجعل الذي له مفعول واحد ان الخلق فيه معنى التقدير والجعل فيه معنى التضمين
ولذلك عبر عن احداث النور والظلمة بالجعل تنبيها على انهما لا يقومان بانفسهما كما زعمت

الثنوية وجمع الظلمات لكثرة اسبابها والاجرام الحاملة لها ولان المراد بالظلمة الضلال
وبالنور الهدى والهدى واحد والضلال متعدد وتقديمها لتقدم الاعدام على الملكات
ومن زعم ان الظلمة عرض يضاد النور احتج بهذه الآية ولم يعلم ان عدم الملكة كالعمى
ليس صرف العدم حتى لا يتعلق به الجعل ثم الذين كفروا بربهم يعدلون عطف على قوله الحمد لله
على معنى ان الله حقيق بالحمد على ما خلقه نعمة على العباد ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته
ويكون بربهم تنبيها على انه خلق هذه الاشياء اسبابا لتكونهم وتعيشهم فمن حقه ان يحمد عليها
ولا يكفر او على قوله خلق على معنى انه خلق ما لا يقدر عليه احد سواه ثم هم يعدلون به ما
لا يقدر على شيء منه ومعنى ثم استبعاد عدولهم بعد هذا البيان والباء على الاول متعلقة
بكفروا وصلة يعدلون محذوفة اي يعدلون عنه ليقع الانكار على نفس الفعل وعلى الثاني
متعلقة بيعدلون والمعنى ان الكفار يعدلون بربهم الاوثان اي يسوونها به هو الذي
خلقكم من طين اي ابتدأ خلقكم منه فانه المادة الاولى وان آدم الذي هو اصل البشر خلق منه
او خلق اباكم فحذف المضاف ثم قضى اجلا اجل الموت واجل مسمى عنده اجل القيمة وقيل الاول
ما بين الخلق والموت والثاني ما بين الموت والبعث فان الاجل كما يطلق لآخر المدة يطلق
لجملتها وقيل الاول النوم والثاني الموت وقيل الاول لمن مضى والثاني لمن بقي ولمن يأتي
واجل نكرة خصصت بالصفة ولذلك استغنى عن تقديم الخبر والاستئناف به لتعظيمه ولذلك
نكر ووصف بانه مسمى اي مثبت معين لا يقبل التغيير واخبر عنه بانه عند الله لا مدخل لغيره
فيه بعلم ولا قدرة ولانه المقصود بيانه ثم انتم تمترون استبعاد لامترائهم بعد ما ثبت
انه خالقهم وخالق اصولهم ومحييهم الى آجالهم فان من قدر على خلق المواد وجمعها وابداع
الحيوة فيها وابقائها ما يشاء كان اقدر على جمع تلك المواد واحيائها ثانيا فالآية الاولى
دليل التوحيد والثانية دليل البعث والامتراء الشك واصله المري وهو استخراج اللبن
من الضرع وهو الله الضمير لله والله خبره في السموات وفي الارض متعلق باسم الله والمعنى هو المستحق
للعبادة فيهما لا غير كقوله وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله او بقوله يعلم سركم و
جهركم والجملة خبر ثان او هي الخبر والله بدل ويكفي لصحة الظرفية كون المعلوم فيهما كقولك

رئينا القتيل في الجمع اذ كنت جارحة والمقيد فيه او ظرف مستقر وقع خبرا بمعنى انه تعالى
لكمال علمه بما فيهما كانه فيهما ويعلم سركم وجهركم بيان وتقرير له وليس متعلق المصدر لان
صلته لا تتقدمه ويعلم ما تكسبون من خير او شر فيثيب عليه ويعاقب ولعله اريد بالسر
والجهر ما يخفى وما يظهر من احوال الانفس وبالمكتسب اعمال الجوارح وما تأتيهم من آية من آيات
ربهم من الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للتبعيض اي ما يظهر لهم دليل قط من الادلة
او معجزة من المعجزات او آية من آيات القرآن الا كانوا عنها معرضين تاركين للنظر فيه غير
ملتفتين اليه فقد كذبوا بالحق لما جاءهم يعني القرآن وهو كاللازم لما قبله كانه قيل انهم
لما كانوا معرضين عن الآيات كلها كذبوا به لما جاءهم او كالدليل عليه على انهم لما اعرضوا
عن القرآن وكذبوا به وهو اعظم الآيات فكيف لا يعرضون عن غيرها ولذلك رتب عليه
بالفاء فسوف يأتيهم انباء ما كانوا به يستهزئون اي سيظهر لهم ما كانوا به يستهزئون عند
نزول العذاب بهم في الدنيا والآخرة او عند ظهور الاسلام وارتفاع امره الم يروا كم
اهلكنا من قبلهم من قرن اي من اهل زمان والقرن مدة اغلب اعمار الناس وهي سبعون
سنة وقيل ثمانون وقيل القرن اهل عصر فيه نبي او فائق في العلم قلت المدة او كثرت
واشتقاقه من قرنت مكناهم في الارض جعلنا لهم فيها مكانا وقررناهم فيها واعطيناهم
من القوى والآلات ما تمكنوا بها من انواع التصرف فيها ما لم نمكن لكم ما لم نجعل لكم من السعة
وطول المقام يا اهل مكة او ما لم نعطكم من القوة والسعة في المال والاستظهار بالعدد
والاسباب وارسلنا السماء عليهم اي المطر او السحاب او المظلة فان مبدأ المطر منها مدرارا
مغزارا وجعلنا الانهار تجري من تحتهم فعاشوا في الخصب والريف بين الانهار والاثمار
من بعدهم قرنا آخرين بدلا منهم والمعنى انه تعالى كما قدر ان يهلك من قبلكم كعاد وثمود
وينشئ مكانهم آخرين يعمر بهم بلاده قدر ان يفعل ذلك بكم ولو نزلنا عليك كتابا في
قرطاس مكتوبا في ورق فلمسوه بايديهم فمسوه وتخصيص اللمس لان التزوير لا يقع فيه فلا يمكنهم
ان يقولوا انما سكرت ابصارنا ولانه يتقدمه الابصار حيث لا مانع وتقييده بالايدي
لدفع التجوز فانه قد يتجوز به للفحص كقوله وانا لمسنا السماء لقال الذين كفروا ان هذا

الا سحر مبين تعنتا وعنادا وقالوا لولا انزل عليه ملك هلا انزل معه ملك يكلمنا
انه نبي كقوله لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ولو انزلنا ملكا لقضي الامر جواب
لقولهم وبيان لما هو المانع مما اقترحوه والخلل فيه والمعنى ان الملك لو انزل بحيث عاينوه
كما اقترحوا لحق اهلاكهم فان سنة الله جرت بذلك فيمن قبلهم ثم لا ينظرون بعد نزوله
طرفة عين ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون جواب ثان
ان جعل الهاء للمطلوب وان جعل للرسول فهو جواب اقتراح ثان فانهم تارة يقولون
لولا انزل عليه ملك وتارة يقولون لو شاء ربنا لانزل ملائكة والمعنى ولو جعلنا قرينا
لك ملكا يعاينونه او الرسول ملكا لمثلناه رجلا كما مثل جبريل في صورة دحية فان
القوة البشرية لا تقوى على رؤية الملك في صورته وانما رآهم كذلك الافراد من الانبياء
بقوتهم القدسية وللبسنا جواب محذوف اي ولو جعلناه رجلا للبسنا اي لخلطنا عليهم
ما يخلطون على انفسهم فيقولون ما هذا الا بشر مثلكم وقرئ لبسنا بلام واحد ولبسنا بالتشديد
للمبالغة ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول الله صلعم على ما يرى من قومه فحاق
بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون فاحاط بهم الذي كانوا يستهزئون به فاهلكوا
لاجله او فنزل بهم وبال استهزائهم قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة
المكذبين كيف اهلكهم الله بعذاب الاستئصال كي تعتبروا والفرق بينه وبين قوله
قل سيروا في الارض فانظروا ان السير ثمة لاجل النظر ولا كذلك ههنا ولذلك قيل معناه
اباحة السير في الارض للتجارة وغيرها وايجاب النظر في آثار الهالكين قل لمن ما في السموات والارض
خلقا وملكا وهو سؤال تبكيت قل لله تقرير لهم وتنبيه على انه المتعين للجواب بالاتفاق
بحيث لا يمكنهم ان يذكروا غيره كتب على نفسه الرحمة التزمها تفضلا واحسانا والمراد بالرحمة
ما يعم الدارين ومن ذلك الهداية الى معرفته والعلم بتوحيده بنصب الادلة وانزال الكتب
والامهال على الكفر ليجمعنكم الى يوم القيمة استئناف وقسم للوعيد على اشراكهم واغفالهم
النظر اي ليجمعنكم في القبور مبعوثين الى يوم القيمة فيجازيكم على شرككم او في يوم القيمة والى
بمعنى في وقيل بدل من الرحمة بدل البعض فانه من رحمته بعثه اياكم وانعامه عليكم لا ريب فيه

في اليوم او الجمع الذين خسروا انفسهم بتضييع رأس مالهم وهو الفطرة الاصلية والعقل
السليم وموضع الذين نصب على الذم او رفع على الخبر اي وانتم الذين او على الابتداء
والخبر فهم لا يؤمنون والفاء للدلالة على ان عدم ايمانهم مسبب عن خسرانهم فان ابطال
العقل باتباع الحواس والوهم والانهماك في التقليد واغفال النظر ادى بهم الى الاصرار
على الكفر والامتناع عن الايمان وله عطف على لله ما سكن في الليل والنهار من السكنى
وتعديته بفي كما في قوله وسكنتم في مساكن الذين ظلموا والمعنى ما اشتملا عليه او من السكون
اي ما سكن فيهما او تحرك فاكتفى باحد الضدين عن الاخر وهو السميع لكل مسموع العليم
بكل معلوم فلا يخفى عليه شيء ويجوز ان يكون وعيدا للمشركين على اقوالهم وافعالهم قل اغير الله
اتخذ وليا انكار لاتخاذ غير الله وليا لا لاتخاذ الولي فلذلك قدم واولي الهمزة
والمراد بالولي المعبود لانه رد لمن دعاه الى الشرك فاطر السموات والارض مبدعهما وعن
ابن عباس ما عرفت معنى الفاطر حتى اتاني اعرابيان يختصمان في بئر فقال احدهما انا فطرتها
اي ابتدأتها وجره على الصفة فانه بمعنى الماضي ولذلك قرئ فطر وقرئ بالرفع والنصب
على المدح وهو يطعم ولا يطعم يرزق ولا يرزق وتخصيص الطعام لشدة الحاجة اليه
وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وبعكس الاول على ان الضمير لغير الله والمعنى كيف اشرك بمن هو
فاطر السموات والارض ما هو نازل عن رتبة الحيوانية وببنائهما للفاعل على ان الثاني
من اطعم بمعنى استطعم او على معنى انه يطعم تارة ولا يطعم اخرى كقوله يقبض ويبسط قل اني
امرت ان اكون اول من اسلم لان النبي سابق امته في الدين ولا تكونن من المشركين وقيل لي
ولا تكونن من المشركين ويجوز عطفه على قل قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم
مبالغة اخرى في قطع اطماعهم وتعريض لهم بانهم عصاة مستوجبون للعذاب والشرط
معترض بين الفعل والمفعول به وجوابه محذوف دل عليه الجملة من يصرف عنه يومئذ اي
يصرف العذاب عنه وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وابو بكر عن عاصم يصرف على ان
الضمير فيه لله وقد قرئ باظهاره والمفعول به محذوف او يومئذ بحذف المضاف فقد رحمه
نجاه وانعم عليه وذلك الفوز المبين اي الصرف او الرحمة وان يمسسك الله بضر ببلية كمرض

وفقر فلا كاشف له فلا قادر على كشفه الا هو وان يمسسك بخير بنعمة كصحة وغنى فهو على
كل شيء قدير فكان قادرا على حفظه وادامته فلا يقدر غيره على دفعه كقوله فلا راد
لفضله وهو القاهر فوق عباده تصوير لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة وهو الحكيم في امره
وتدبيره الخبير بالعباد وخفايا احوالهم قل اي شيء اكبر شهادة نزلت حين قالت قريش يا محمد لقد
سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فارنا من يشهد
لك انك رسول الله والشيء يقع على كل موجود وقد سبق القول فيه في سورة البقرة قل الله
اي الله اكبر شهادة ثم ابتدأ شهيد بيني وبينكم اي هو شهيد ويجوز ان يكون الله شهيد هو الجواب
لانه تعالى اذا كان الشهيد كان اكبر شيء شهادة واوحي الي هذا القران لانذركم به اي بالقران
واكتفى بذكر الانذار عن ذكر البشارة ومن بلغ عطف على ضمير المخاطبين اي لانذركم به
يا اهل مكة وسائر من بلغه من الاسود والاحمر او من الثقلين او لانذركم ايها الموجودون
وقت نزوله ومن بعدهم ومن بلغه الى يوم القيمة وهو دليل على ان احكام القران تعم الموجودين
وقت نزوله ومن بعدهم وانه لا يؤاخذ بها من لم تبلغه ائنكم لتشهدون ان مع الله آلهة
اخرى تقرير لهم مع انكار واستبعاد قل لا اشهد بما تشهدون قل انما هو اله واحد اي بل
اشهد ان لا اله الا هو وانني بريء مما تشركون يعني الاصنام الذين آتيناهم الكتاب
يعرفونه اي يعرفون رسول الله بحليته المذكورة في التورية والانجيل كما يعرفون
ابناءهم بحلاهم الذين خسروا انفسهم من اهل الكتاب والمشركين فهم لا يؤمنون لتضييعهم
ما به يكتسب الايمان ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا كقولهم الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا
عند الله او كذب بآياته كان كذبوا القران والمعجزات وسموها سحرا وانما ذكر او وهم
قد جمعوا بين الامرين تنبيها على ان كلا منهما وحده بالغ غاية الافراط في الظلم على النفس
انه الضمير للشأن لا يفلح الظالمون فضلا عمن لا احد اظلم منه ويوم نحشرهم جميعا
منصوب بمضمر تهويلا للامر ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم اي آلهتكم التي جعلتموها
شركاء لله وقرأ يعقوب يحشر ويقول بالياء الذين كنتم تزعمون اي تزعمونهم شركاء
فحذف المفعولان والمراد من الاستفهام التوبيخ ولعله يحال بينهم وبين آلهتهم حينئذ ليفقدوها

في الساعة التي غفلوا بها الرجاء فيها ويحتمل الرشاهدهم ولكن لما لم ينفعهم فكانهم غيب
عنهم ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا اى كفرهم والمراد عاقبته وقيل معذرتهم التي يتوهمون
ان يتخلصوا بها من فتنت الذهب اذا خلصته وقيل جوابهم وانما سماه فتنة لانه كذب
او لانهم قصدوا به الخلاص وقرأ ابن كثير وابن عامر وعاصم في رواية حفص تكن بالتاء وفتنتهم بالرفع
على انها الاسم ونافع وابو عمرو وابو بكر عنه بالتاء والنصب على ان الاسم ان قالوا والتانيث
للخبر كقولهم من كانت امك والباقون بالياء والنصب والله ربنا ما كنا مشركين يكذبون
ويحلفون عليه مع علمهم بانه لا ينفع من فرط الحيرة والدهشة كما يقولون ربنا اخرجنا
منها وقد ايقنوا بالخلود وقيل معناه ما كنا مشركين عند انفسنا وهو لا يوافق قوله
انظر كيف كذبوا على انفسهم اى بنفي الشرك عنها وحمله على كذبهم في الدنيا تعسف يخل بالنظم
ونظير ذلك قوله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم وقرأ حمزة والكسائي ربنا بالنصب
على النداء او المدح وضل عنهم ما كانوا يفترون من الشركاء ومنهم من يستمع اليك حين
تتلوا القران والمراد ابو سفيان والوليد والنضر ما يقول فقال والذي جعلها بيته ما ادري
ما يقول الا انه يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما حدثتكم وجعلنا على قلوبهم اكنة
اغطية جمع كنان وهو ما يستر الشيء ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا يمنع من
استماعه وقد مر تحقيق ذلك في اول البقرة وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها لفرط عنادهم
واستحكام التقليد فيهم حتى اذا جاؤك يجادلونك اى بلغ تكذيبهم الآيات الى انهم جاؤك
يجادلونك وحتى هي التي تقع بعدها الجمل لا عمل لها والجملة اذا وجوابه وهو يقول الذين
كفروا ان هذا الا اساطير الاولين فانه جعل اصدق الحديث خرافات الاولين غاية
التكذيب ويجادلونك حال لمجيئهم ويجوز ان يكون الجارة واذا جاؤك في موضع الجر
ويجادلونك جواب ويقول تفسير له والاساطير الاباطيل جمع اسطورة او اساطير
او اسطار جمع سطر واصله السطر بمعنى الخط وهم ينهون عنه اى ينهون الناس عن القرآن
او الرسول والايمان به وينأون عنه بانفسهم او ينهون عن التعرض لرسول الله وينأون
عنه فلا يؤمنون به كابي طالب وان يهلكون وما يهلكون بذلك الا انفسهم وما يشعرون

اى ضرب لا ينتهى الى غيرهم ولو ترى اذ وقفوا على النار جوابه محذوف اى ولو تراهم
حين يوقفون على النار حتى يعاينوها او يطلعون عليها او يدخلونها فيعرفون مقدار عذابها
لرأيت امرا شنيعا وقرئ وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفا فقالوا يا ليتنا
نرد تمنيا للرجوع الى الدنيا ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين استئناف كلام منهم على
وجه الاثبات كقولهم دعني ولا اعود اى انا لا اعود تركتني او لم تتركني او عطف على نرد
او حال من الضمير فيه فيكون في حكم التمني وقوله وانهم لكاذبون راجع الى ما تضمنه التمني
من الوعد ونصبهما حمزة ويعقوب وحفص على الجواب باضمار ان بعد الواو واجراؤها مجرى
الفاء وقرأ ابن عامر برفع الاول على العطف ونصب الثاني على الجواب بل بدا لهم ما كانوا
يخفون من قبل الاضراب عن ارادة الايمان المفهوم من التمني والمعنى انه ظهر لهم ما كانوا
يخفون من نفاقهم وقبائح اعمالهم فتمنوا ذلك ضجرا لا عزما على انهم لو ردوا لآمنوا
ولو ردوا اى الى الدنيا بعد الوقوف والظهور لعادوا لما نهوا عنه من الكفر والمعاصي
وانهم لكاذبون فيما وعدوا من انفسهم وقالوا عطف على لعادوا او على انهم لكاذبون
او على نهوا او استئناف بذكر ما قالوه في الدنيا ان هي الا حياتنا الدنيا الضمير للحياة
وما نحن بمبعوثين ولو ترى اذ وقفوا على ربهم مجاز عن الحبس للسؤال والتوبيخ
وقيل معناه وقفوا على قضاء ربهم او جزائه او عرفوه حق التعريف قال أليس هذا
بالحق كانه جواب قائل قال ماذا قال ربهم حينئذ والهمزة للتقريع على التكذيب والاشارة
الى البعث وما يتبعه من الثواب والعقاب قالوا بلى وربنا اقرار مؤكد باليمين لانجلاء الامر
غاية الجلاء قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بسبب كفركم او ببدله قد خسر الذين
كذبوا بلقاء الله اذ فاتهم النعيم واستوجبوا العذاب المقيم ولقاء الله البعث وما يتبعه
حتى اذا جاءتهم الساعة غاية لكذبوا لا لخسر لان خسرانهم لا غاية له بغتة فجأة ونصبها
على الحال او المصدر فانها نوع من المجيء قالوا يا حسرتنا اى تعال فهذا اوانك على ما فرطنا
قصرنا فيها في الحياة الدنيا اضمرت وان لم يجر ذكرها للعلم بها او في الساعة يعني في
شأنها والايمان بها وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم تمثيل لاستحقاقهم آصار الآثام

الأوزار ما يزرون بئس شيئا يزرونه وزرهم وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو أي وما
أعمالها الا لعب ولهو يلهي الناس ويشغلهم عما يعقب منفعة دائمة ولذة حقيقية وهو جواب
لقولهم ان هي الا حياتنا الدنيا وللدار الآخرة خير للذين يتقون لدوامها وخلوص منافعها
ولذاتها وقوله للذين يتقون تنبيه على أن ما ليس من أعمال المتقين لعب ولهو وقرأ ابن
عامر ولدار الآخرة أفلا تعقلون أي الأمرين خير وقرأ نافع وابن عامر وحفص ويعقوب
بالتاء على خطاب المخاطبين به أو تغليب الحاضرين على الغائبين قد نعلم انه ليحزنك الذي
يقولون معنى قد زيادة الفعل وكثرته كما في قوله ولكنه قد يهلك المال نائله والهاء في
انه للشأن وقرئ ليحزنك من أحزن فانهم لا يكذبونك في الحقيقة وقرأ نافع والكسائي
لا يكذبونك من أكذبه اذا وجده كاذبا أو نسبه الى الكذب ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون
ولكنهم يجحدون بآيات الله ويكذبونه فوضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على أنهم ظلموا
بجحودهم أو جحدوا لتمرنهم على الظلم والباء لتضمن الجحود معنى التكذيب روي ان أبا جهل
كان يقول ما نكذبك وانك عندنا لصادق وانما نكذب بما جئتنا به فنزلت ولقد كذبت
رسل من قبلك تسلية لرسول الله عم وفيه دليل على أن قوله لا يكذبونك ليس لنفي تكذيبه
مطلقا فصبروا على ما كذبوا وأوذوا على تكذيبهم وايذائهم فتأس بهم واصبر حتى
أتاهم نصرنا فيه ايماء بوعد النصر للصابرين ولا مبدل لكلمات الله لمواعيده من قوله
ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين الآيات ولقد جاءك من نبإ المرسلين أي من قصصهم
وما كابدوا من قومهم وان كان كبر عليك عظم وشق اعراضهم عنك وعن الايمان بما جئت به
فان استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض أو سلما في السماء فتأتيهم بآية منفذا تنفذ فيه الى
جوف الأرض فتطلع لهم آية أو مصعدا تصعد به الى السماء فتنزل منها آية وفي الأرض
صفة لنفقا وفي السماء صفة لسلما ويجوز أن يكونا متعلقين بتبتغي أو حالين من المستكن
وجواب الشرط الثاني محذوف تقديره فافعل والجملة جواب الأول والمقصود بيان حرصه
البالغ على اسلام قومه وانه لو قدر أن يأتيهم بآية من تحت الأرض أو من فوق السماء لأتى
بها رجاء ايمانهم ولو شاء الله لجمعهم على الهدى أي ولو شاء الله جمعهم على الهدى لوفقهم

للايمان حتى يؤمنوا ولكن لم يتعلق به مشيئته فلا تتهالك عليه والمعتزلة أولوه بأنه
لو شاء لجمعهم على الهدى بأن تأتيهم آية ملجئة ولكن لم يفعل لخروجه عن الحكمة فلا تكونن
من الجاهلين بالحرص على ما لا يكون والجزع في مواطن الصبر فان ذلك من دأب الجهلة
انما يستجيب الذين يسمعون انما يجيب الذين يسمعون بفهم وتأمل كقوله أو ألقى السمع
وهو شهيد وهؤلاء كالموتى الذين لا يسمعون والموتى يبعثهم الله فيعلمهم الله حين
لا ينفعهم الايمان ثم اليه يرجعون للجزاء وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه أي آية
مما اقترحوه أو آية أخرى سوى ما أنزل من الآيات المتكاثرة لعدم اعتدادهم بها عنادا
قل ان الله قادر على أن ينزل آية مما اقترحوه أو آية تضطرهم الى الايمان كنتق الجبل أو آية
ان جحدوها هلكوا ولكن أكثرهم لا يعلمون أن الله قادر على أن ينزلها وأن انزالها
يستجلب عليهم البلاء وأن لهم فيما أنزل مندوحة عن غيره وقرأ ابن كثير ينزل بالتخفيف
والمعنى واحد وما من دابة في الأرض تدب على وجهها ولا طائر وقرئ ولا طائر
بالرفع على المحل يطير بجناحيه في الهواء وصفه به قطعا لمجاز السرعة ونحوها الا أمم
أمثالكم محفوظة أحوالها مقدرة أرزاقها وآجالها والمقصود من ذلك الدلالة على كمال
قدرته وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل على أنه قادر على أن ينزل آية وجمع الأمم
للحمل على المعنى ما فرطنا في الكتاب من شيء يعني اللوح المحفوظ فانه مشتمل على ما يجري في
العالم من جليل ودقيق لم يهمل فيه أمر حيوان ولا جماد أو القرآن فانه قد دون ما يحتاج
اليه من أمر الدين مفصلا ومجملا ومن مزيدة وشيء في موضع المصدر لا المفعول به فان فرط
لا يتعدى بنفسه وقد عدي بفي الى الكتاب وقرئ ما فرطنا بالتخفيف ثم الى ربهم يحشرون
يعني الأمم كلها فينصف بعضها من بعض كما روي أنه يأخذ للجماء من القرناء وعن ابن عباس
حشرها موتها والذين كذبوا بآياتنا صم لا يسمعون مثل هذه الآيات الدالة على ربوبيته
وكمال علمه وعظم قدرته سماعا تتأثر به نفوسهم وبكم لا ينطقون بالحق في الظلمات خبر ثالث
أي خابطون في ظلمات الكفر أو في ظلمة الجهل أو ظلمة العناد وظلمة التقليد ويجوز أن يكون
حالا من المستكن في الخبر من يشاء الله يضلله من يشأ الله اضلاله يضلله وهو دليل واضح لنا

على المعتزلة ومن يشا يجعله على صراط مستقيم بان يرشده الى الهدى ويحمله عليه قل ارايتكم
استفهام تعجيب والكاف حرف خطاب اكد به الضمير للتاكيد لا محل له من الاعراب لانك
تقول ارايتك زيدا ما شانه فلو جعلت الكاف مفعولا كما قاله الكوفيون لعديت الفعل
الى ثلاثة مفاعيل وللزم فى الاية ان يقال ارايتموكم بل الفعل معلق او المفعول محذوف
تقديره ارايتكم الهتكم تنفعكم اذ تدعونها وقرا نافع ارايتكم وارايت وارايتم وافرايت وشبهها
اذا كان قبل الراء همزة بتسهيل الهمزة التى بعد الراء والكسائى يسقطها اصلا والباقون
يحققونها وحمزة اذا وقف وافق نافعا ان اتيكم عذاب الله كما اتى من قبلكم او اتتكم
الساعة وهولها ويدل عليه اغير الله تدعون وهو تبكيت لهم ان كنتم صادقين ان الاصنام
الهة وجوابه محذوف اى فادعوه بل اياه تدعون بل تخصونه بالدعاء كما حكى عنهم فى
مواضع وتقديم المفعول لافادة التخصيص فيكشف ما تدعون اليه اى ما تدعونه الى كشفه
ان شاء ان يتفضل عليكم ولا يشاء فى الاخرة وتنسون ما تشركون وتتركون الهتكم فى ذلك
الوقت لما ركز فى العقول على انه القادر على كشف الضر دون غيره او تنسونه من شدة
الامر وهوله ولقد ارسلنا الى امم من قبلك اى قبلك ومن زائدة فاخذناهم اى فكفروا
وكذبوا المرسلين فاخذناهم بالباساء بالشدة والفقر والضراء الضر والافات وهما
صيغتا تانيث لا مذكر لهما لعلهم يتضرعون يتذللون لنا ويتوبون عن ذنوبهم فلو
لا اذ جاءهم باسنا تضرعوا معناه نفى تضرعهم فى ذلك الوقت مع قيام ما يدعوهم
ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون استدراك على المعنى وبيان للصارف
لهم عن التضرع وانه لا مانع لهم الا قساوة قلوبهم واعجابهم باعمالهم التى زينها الشيطان
لهم فلما نسوا ما ذكروا به من الباساء والضراء ولم يتعظوا به فتحنا عليهم ابواب كل شىء
من انواع النعم مراوحة عليهم بين نوبتى الضراء والسراء امتحانا لهم بالشدة والرخاء
الزاما للحجة وازاحة للعلة او مكرا بهم لما روى انه م قال مكر بالقوم ورب الكعبة
وقرا ابن عامر فتحنا بالتشديد فى جميع القران ووافقه يعقوب فيما عدا هذا والذى
فى الاعراف حتى اذا فرحوا اعجبوا بما اوتوا من النعم ولم يزيدوا على البطر والاشتغال

بالنعم عن المنعم والقيام بحقه اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون متحسرون ايسون فقطع
دابر القوم الذين ظلموا اى اخرهم بحيث لم يبق منهم احد من دبره دبرا ودبورا اذا تبعه
والحمد لله رب العالمين على اهلاكهم فان هلاك الكفار والعصاة من حيث انه تخليص لاهل
الارض من شوم عقائدهم واعمالهم نعمة جليلة يحق ان يحمد عليها قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم
وابصاركم اصمكم واعماكم وختم على قلوبكم بان يغطى عليها ما يزول به عقلكم وفهمكم من اله
غير الله ياتيكم به اى بذلك او بما اخذ وختم عليه او باحد هذه المذكورات انظر كيف نصرف
الايات نكررها تارة من جهة المقدمات العقلية وتارة من جهة الترغيب والترهيب تارة
بالتنبيه والتذكير باحوال المتقدمين ثم هم يصدفون يعرضون عنها وثم لاستبعاد الاعراض
بعد تصريف الايات وظهورها قل ارايتكم ان اتيكم عذاب الله بغتة من غير مقدمة او جهرة
بتقدمها امارة تؤذن بحلوله وقيل ليلا او نهارا وقرئ بغتة او جهرة هل يهلك اى ما يهلك
به هلاك سخط وتعذيب الا القوم الظالمون ولذلك صح الاستثناء المفرغ منه وقرئ
يهلك بفتح الياء وما نرسل المرسلين الا مبشرين المؤمنين بالجنة ومنذرين الكافرين بالنار
ولم نرسلهم ليقترح عليهم ويتلهى بهم فمن امن واصلح ما يجب اصلاحه على ما شرع لهم فلا خوف
عليهم من العذاب ولا هم يحزنون بفوت الثواب والذين كذبوا باياتنا يمسهم العذاب
جعل العذاب ماسا لهم كانه الطالب للوصول اليهم واستغنى بتعريفه عن التوصيف بما كانوا
يفسقون بسبب خروجهم عن التصديق والطاعة قل لا اقول لكم عندى خزائن الله مقدوراته
او خزائن رزقه ولا اعلم الغيب ما لم يوح الى ولم ينصب عليه دليل وهو من جملة المقول ولا
اقول لكم انى ملك اى من جنس الملائكة او اقدر على ما يقدرون عليه ان اتبع الا ما يوحى الى
تبرا عن دعوى الالوهية والملكية وادعى النبوة التى هى من كمالات البشر ردا لاستبعادهم
دعواه وجزمهم على فساد مدعاه قل هل يستوى الاعمى والبصير مثل الضال والمهتدى والجاهل
والعالم او مدعى المستحيل كالالوهية والملكية ومدعى المستقيم كالنبوة افلا تتفكرون
فتهتدوا او فتميزوا بين دعاء الحق والباطل او فتعلموا ان اتباع الوحى مما لا محيص عنه
وانذر به الضمير لما يوحى الى الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم هم المؤمنون المفرطون

في العمل او المجوزين للحشر مؤمنا كان او كافرا مقرا به او مترددا فيه فان الانذار ينجع
فيهم دون الفارغين الجازمين باستحالته ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع في موضع الحال
من يحشروا فان المخوف هو الحشر على هذه الحال لعلهم يتقون لكي يتقوا ولا تطرد الذين
يدعون ربهم بالغداة والعشي بعد ما امره بانذار غير المتقين ليتقوا امره باكرام المتقين
وتقريبهم وان لا يطردهم ترضية لقريش روي انهم قالوا لو طردت هؤلاء الاعبد يعنون
فقراء المسلمين كعمار وصهيب وخباب وسلمان جلسنا اليك وحادثناك فقال ما انا
بطارد المؤمنين قالوا فاقمهم عنا اذا جئنا قال نعم روي ان عمر رضي الله عنه قال له
لو فعلت حتى ننظر الى ما يصيرون فدعا بالصحيفة وبعلي رض ليكتب فنزلت والمراد
بذكر الغداة والعشي الدوام وقيل صلوتا الصبح والعصر وقرأ ابن عامر بالغدوة هنا
وفي الكهف يريدون وجهه حال من يدعون اي يدعون ربهم مخلصين فيه قيد الدعاء بالاخلاص
تنبيها على انه ملاك الامر ورتب النهي عليه اشعارا بانه يقتضي اكرامهم وينافي ابعادهم ما
عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء اي ليس عليك حساب ايمانهم فلعل
ايمانهم عند الله اعظم من ايمان من تطردهم بسؤالهم طمعا في ايمانهم لو امنوا وليس عليك
اعتبار بواطنهم واخلاصهم لما اتسموا بسيرة المتقين وان كان لهم باطن غير مرضي كما ذكره
المشركون وطعنوا في دينهم فحسابهم عليهم لا يتعداهم اليك كما ان حسابك عليك لا يتعداك
اليهم وقيل ما عليك من حساب رزقهم اي من فقرهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى لا تؤاخذ
بحسابهم ولا هم بحسابك حتى يهمك ايمانهم بحيث تطرد المؤمنين طمعا فيه فتطردهم فتبعدهم
وهو جواب النفي فتكون من الظالمين جواب النهي ويجوز عطفه على فتطردهم على وجه
التسبب وفيه نظر وكذلك فتنا بعضهم ببعض ومثل ذلك الفتن وهو اختلاف احوال
الناس في امور الدنيا فتنا اي ابتلينا بعضهم ببعض في امر الدين فقدمنا هؤلاء
الضعفاء على اشراف قريش بالسبق الى الايمان ليقولوا اهؤلاء من الله عليهم من بيننا اي اهؤلاء
من انعم الله عليهم بالهداية والتوفيق لما يسعدهم من دوننا ونحن الاكابر والرؤساء
وهم المساكين والضعفاء وهو انكار لان يخص هؤلاء من بينهم باصابة الحق والسبق الى الخير

كقولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه واللام للعاقبة او للتعليل على ان فتنا متضمن معنى
خذلنا اليس الله باعلم بالشاكرين بمن يقع منه الايمان والشكر فيوفقه وبمن لا يقع منه فيخذله
واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة الذين
يؤمنون هم الذين يدعون ربهم وصفهم بالايمان بالقرآن واتباع الحجج بعد ما وصفهم
بالمواظبة على العبادة وامره بان يبدأ بالتسليم او يبلغ سلام الله اليهم ويبشرهم بسعة رحمة
الله وفضله بعد النهي عن طردهم ايذانا بانهم الجامعون لفضيلتي العلم والعمل ومن كان كذلك
ينبغي ان يقرب ولا يطرد ويعز ولا يذل ويبشر من الله بالسلامة في الدنيا والرحمة في الاخرة
وقيل ان قوما جاؤوا الى النبي عم فقالوا اصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد عليهم شيئا فانصرفوا
فنزلت انه من عمل منكم سوءا استئناف بتفسير الرحمة وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب
بالفتح على البدل منها بجهالة في موضع الحال اي من عمل ذنبا جاهلا بحقيقة ما يتبعه من
المضار والمفاسد كعمر رض فيما اشار اليه او متلبسا بفعل الجهالة فان ارتكاب ما يؤدي
الى الضرر من افعال اهل السفه والجهل ثم تاب من بعده بعد العمل او السوء واصلح بالتدارك
والعزم على ان لا يعود اليه فانه غفور رحيم فتحه من فتح الاول غير نافع على اضمار مبتدأ
او خبر اي فامره او فله غفرانه وكذلك ومثل ذلك التفصيل الواضح نفصل الايات اي
ايات القرآن في صفة المطيعين والمجرمين المصرين منهم والاوابين ولتستبين سبيل المجرمين
قرأ نافع بالتاء ونصب السبيل على معنى ولتستوضح يا محمد سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يحق له فصلنا
هذا التفصيل وابن كثير وابن عامر وابو عمرو ويعقوب وحفص عن عاصم برفعه على معنى
ولتتبين سبيلهم والباقون بالياء والرفع على تذكير السبيل فانه يذكر ويؤنث ويجوز
ان يعطف على علة مقدرة اي نفصل الايات ليظهر الحق وليستبين قل اني نهيت صرفت وزجرت
بما نصب لي من الادلة وانزل علي من الايات في امر التوحيد ان اعبد الذين تدعون من
دون الله عن عبادة ما تعبدون من دون الله او ما تدعونها الهة اي تسمونها قل لا
اتبع اهواءكم تاكيد لقطع اطماعهم واشارة الى الموجب للنهي وعلة الامتناع
عن متابعتهم واستجهال لهم وبيان لمبدأ ضلالهم وان ما هم عليه هوى وليس هدى

وتنبيه لمن تحرى الحق عليه ان يتبع الحجة ولا يقلد قد ضللت اذا اي ان اتبعت اهواءكم
فقد ضللت وما انا من المهتدين اي في شيء من الهدى حتى اكون من عدادهم وفيه تعريض
بانهم كذلك قل اني على بينة تنبيه على ما يجب اتباعه بعد ما بين ما لا يجوز اتباعه والبينة
الدلالة الواضحة التي تفصل الحق من الباطل وقيل المراد بها القران او الوحي او الحجج العقلية
او ما يعمها من ربي من معرفته وانه لا معبود سواه ويجوز ان يكون صفة لبينة وكذبتم
به الضمير لربي اي كذبتم به حيث اشركتم به غيره او للبينة باعتبار المعنى ما عندي ما تستعجلون
به يعني العذاب الذي استعجلوه بقولهم فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم
ان الحكم الا لله في تعجيل العذاب وتاخيره يقضي الحق اي القضاء الحق او يصنع الحق ويدبره
من قولهم قضى الدرع اذا صنعها فيما يقضي من تعجيل وتاخير واصل القضاء الفصل بتمام
الامر واصل الحكم المنع فكانه منع الباطل وقرا ابن كثير ونافع وعاصم يقص من قص
الاثر او قص الخبر وهو خير الفاصلين القاضين قل لو ان عندي ما تستعجلون به اي في
قدرتي ومكنتي ما تستعجلون به من العذاب لقضي الامر بيني وبينكم لاهلكتكم عاجلا غضبا
لربي وانقطع ما بيني وبينكم والله اعلم بالظالمين في معنى الاستدراك كانه قال ولكن الامر
الى الله وهو اعلم بمن ينبغي ان يؤخذ وبمن ينبغي ان يمهل منهم وعنده مفاتح الغيب خزائنه
جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن او ما يتوصل به الى المغيبات مستعار من المفاتح الذي هو جمع مفتح
بالكسر وهو المفتاح ويؤيده انه قرئ مفاتيح والمعنى انه المتوصل الى المغيبات المحيط علمه
بها لا يعلمها الا هو فيعلم اوقاتها وما في تعجيلها وتاخيرها من الحكم فيظهرها على ما اقتضته
حكمته وتعلقت به مشيئته وفيه دليل على انه تعالى يعلم الاشياء قبل وقوعها ويعلم ما في
البر والبحر عطف للاخبار عن اختصاص العلم بالمغيبات به وما تسقط من ورقة الا يعلمها
مبالغة في احاطة علمه بالجزئيات ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس معطوفات
على ورقة وقوله الا في كتاب مبين بدل من الاستثناء الاول بدل الكل على ان الكتاب
المبين علم الله او بدل الاشتمال ان اريد به اللوح وقرئت بالرفع للعطف على محل
من ورقة او رفعا على الابتداء والخبر الا في كتاب مبين وهو الذي يتوفاكم بالليل

ينيمكم ويراقبكم استعير التوفي من الموت للنوم لما بينهما من المشاركة في زوال
الاحساس والتمييز فان اصله قبض الشيء بتمامه ويعلم ما جرحتم بالنهار كسبتم فيه خص
الليل بالنوم والنهار بالكسب جريا على المعتاد ثم يبعثكم يوقظكم اطلق البعث ترشيحا
للتوفي فيه في النهار ليقضى اجل مسمى ليبلغ المتيقظ اخر اجله المسمى في الدنيا ثم اليه
مرجعكم بالموت ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة عليه وقيل الاية خطاب للكفرة والمعنى
انكم ملقون كالجيف بالليل وكاسبون للاثام بالنهار وانه تعالى مطلع على اعمالكم يبعثكم
من القبور في شان ذلك الذي قطعتم به اعماركم من النوم وكسب الاثام بالنهار ليقضى الاجل
الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم ثم اليه مرجعكم بالحساب ثم ينبئكم
بما كنتم تعملون بالجزاء وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة ملائكة تحفظ
اعمالكم وهم الكرام الكاتبون والحكمة فيه ان المكلف اذا علم ان اعماله تكتب عليه وتعرض
على رؤس الاشهاد كان ازجر عن المعاصي وان العبد اذا وثق بلطف سيده واعتمد على
عفوه وستره لم يحتشم منه احتشامه من خدمه المطلعين عليه حتى اذا جاء احدكم الموت
توفته رسلنا ملك الموت واعوانه وقرا حمزة توفيه بالف ممالة وهم لا يفرطون بالتواني
والتاخير وقرئ بالتخفيف والمعنى لا يجاوزون ما حد لهم بزيادة او نقصان ثم ردوا
الى الله الى حكمه وجزائه مولاهم الذي يتولى امرهم الحق العدل الذي لا يحكم الا بالحق
وقرئ بالنصب على المدح الا له الحكم يومئذ لا حكم لغيره فيه وهو اسرع الحاسبين يحاسب
الخلائق في مقدار حلب شاة لا يشغله حساب عن حساب قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر
من شدائدهما استعيرت الظلمة للشدة لمشاركتهما في الهول وابطال الابصار فقيل
لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب او من الخسف في البر والغرق في البحر
وقرا يعقوب ينجيكم بالتخفيف والمعنى واحد تدعونه تضرعا وخفية معلنين
ومسرين او اعلانا واسرارا وقرئ خفية بالكسر وقرا ابو بكر هنا وفي الاعراف
خفية لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين على ارادة القول اي يقولون
لئن انجيتنا وقرا الكوفيون انجانا ليوافق قوله تدعونه وهذه

اشارة الى الظلمة قل الله ينجيكم منها شدده الكوفيون وخففه الباقون ومن كل كرب
غم سواها ثم انتم تشركون تعودون الى الشرك ولا توفون بالعهد وانما وضع تشركون
موضع لا تشكرون تنبيها على ان من اشرك في عبادة الله فكانه لم يعبده راسا قل هو
القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم كما فعل بقوم نوح ولوط واصحاب الفيل
او من تحت ارجلكم كما اغرق فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم اكابركم وحكامكم
ومن تحت ارجلكم سفلتكم وعبيدكم او يلبسكم يخلطكم شيعا فرقا متحزبين على اهواء
شتى فينشب القتال بينكم وقال وكتيبة لبستها بكتيبة حتى اذا التبست نفضت لها يدي ويذيق
بعضكم باس بعض يقاتل بعضكم بعضا انظر كيف نصرف الايات بالوعد والوعيد لعلهم
يفقهون وكذب به قومك اي بالعذاب او بالقرآن وهو الحق الواقع لا محالة او الصدق
قل لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل الي امركم امنعكم من التكذيب واجازيكم انما انا منذر
والله الحفيظ لكل نبأ خبر يريد اما العذاب او الايعاد به مستقر وقت استقرار ووقوع
وسوف تعلمون عند وقوعه في الدنيا او في الاخرة واذا رايت الذين يخوضون في
اياتنا في التكذيب والاستهزاء بها والطعن فيها فاعرض عنهم فلا تجالسهم وقم عنهم
حتى يخوضوا في حديث غيره اعاد الضمير على معنى الايات لانها القرآن واما ينسينك
الشيطان بان يشغلك بوسوسته حتى تنسى النهي وقرا ابن عامر ينسينك بالتشديد فلا تقعد
بعد الذكرى بعد ان تذكره مع القوم الظالمين اي معهم فوضع الظاهر موضعه دلالة على انهم
ظلموا بوضع التكذيب والاستهزاء موضع التصديق والاستعظام وما على الذين يتقون
وما يلزم المتقين الذين يجالسونهم من قبائح اعمالهم واقوالهم من حسابهم من شيء مما يحاسبون
عليه ولكن ذكرى عليهم ان يذكروهم ذكرى ويمنعوهم عن الخوض وغيره من القبائح ويظهروا
كراهتها وهو يحتمل النصب على المصدر والرفع على ولكن عليهم ذكرى ولا يجوز عطفه على محل من
شيء لان من حسابهم يأباه ولا على شيء لذلك ولان من لا تجيء في الاثبات لعلهم يتقون
يجتنبون ذلك حياء او كراهة لمساءتهم ويحتمل ان يكون الضمير للذين يتقون والمعنى لعلهم
يثبتون على تقواهم ولا ينثلم بمجالستهم روي ان المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزءوا

بالقرآن

بالقرآن لم نستطع ان نجلس بالمسجد ونطوف فنزلت وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا
اي بنوا امر دينهم على التشهي وتدينوا بما لا يعود عليهم بنفع عاجلا وآجلا كعبادة الاصنام
وتحريم البحائر والسوائب او اتخذوا دينهم الذي كلفوه لعبا ولهوا حيث سخروا به او جعلوا
عيدهم الذي جعل ميقات عبادتهم زمان لهو ولعب والمعنى اعرض عنهم ولا تبال بافعالهم
واقوالهم ويجوز ان يكون تهديدا لهم كقوله ذرني ومن خلقت وحيدا ومن جعله منسوخا
باية السيف حمله على الامر بالكف عنهم وترك التعرض لهم وغرتهم الحيوة الدنيا حتى انكروا
البعث وذكر به اي بالقرآن ان تبسل نفس بما كسبت مخافة ان تسلم الى الهلاك وترتهن
بسوء عملها واصل الابسال والبسل المنع ومنه اسد باسل لان فريسته لا تفلت منه والباسل
الشجاع لامتناعه من قرنه وهذا بسل عليك اي حرام ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع
يدفع عنها العذاب وان تعدل كل عدل وان تفد كل فداء والعدل الفدية لانها
تعادل المفدى وههنا الفداء وكل نصب على المصدر لا يؤخذ منها الفعل مسند الى منها
لا الى ضميره بخلاف قوله ولا يؤخذ منها فانه المفدى به اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا
اي اسلموا الى العذاب بسبب اعمالهم القبيحة وعقائدهم الزائغة لهم شراب من حميم وعذاب
اليم بما كانوا يكفرون تاكيد وتفصيل لذلك والمعنى هم بين ماء مغلي يتجرجر في بطونهم
ونار تشتعل بابدانهم بسبب كفرهم قل اندعوا انعبد من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا
ما لا يقدر على نفعنا وضرنا ونرد على اعقابنا ونرجع الى الشرك بعد اذ هدينا الله
فانقذنا منه ورزقنا الاسلام كالذي استهوته الشياطين كالذي ذهبت به
مردة الجن في المهامه استفعال من هوى يهوي هويا اذا ذهب وقرأ حمزة استهواه
بالف ممالة ومحل الكاف النصب على الحال من فاعل نرد اي مشبهين الذي استهوته او
على المصدر اي ردا مثل رد الذي استهوته في الارض حيران متحيرا ضالا عن الطريق
له اصحاب لهذا المستهوى رفقة يدعونه الى الهدى اي يهدونه الطريق المستقيم او الى
الطريق المستقيم وسماه هدى تسمية للمفعول بالمصدر ائتنا يقولون له ائتنا قل ان هدى الله
الذي هو الاسلام هو الهدى وحده وما عداه ضلال وامرنا لنسلم لرب العالمين من جملة

المقول عطف على ان هدى الله واللام لتعليل الامر اى امرنا بذلك لنسلم وقيل هى بمعنى الباء
وقيل هى زائدة وان اقيموا الصلوة واتقوه عطف على لنسلم اى للاسلام ولاقامة الصلوة
او على موقعه كانه قيل وامرنا ان نسلم وان اقيموا روى ان عبد الرحمن بن ابى بكر دعا
اباه الى عبادة الاوثان فنزلت وعلى هذا كان امر الرسول بهذا القول اجابة عن الصديق
تعظيما لشانه واظهارا للاتحاد الذى كان بينهما وهو الذى اليه تحشرون يوم القيمة
وهو الذى خلق السموات والارض بالحق قائما بالحق والحكمة ويوم يقول كن فيكون قوله
الحق جملة اسمية قدم فيها الخبر اى قوله الحق يوم يقول كقولك القتال يوم الجمعة والمعنى
انه الخالق للسموات والارضين وقوله الحق نافذ فى الكاينات وقيل يوم منصوب بالعطف
على السموات او الهاء فى واتقوه او بمحذوف دل عليه بالحق وقوله الحق مبتداء وخبره
او فاعل يكون على معنى وحين يقول لقوله الحق اى لقضائه كن فيكون والمراد به حين
يكون الاشياء ويحدثها او حين يقوم القيمة فيكون التكوين حشر الاموات واحيائها
وله الملك يوم ينفخ فى الصور كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار عالم الغيب والشهادة
اى هو عالم الغيب وهو الحكيم الخبير كالفذلكة للاية واذ قال ابرهيم لابيه آزر هو عطف
بيان لابيه وفى كتب التواريخ ان اسمه تارخ فقيل هما علمان له كاسرائيل ويعقوب
وقيل العلم تارخ وآزر وصف معناه الشيخ او المعوج ولعل منع صرفه لانه اعجمى حمل
على موازنه او نعت مشتق من الازر او الوزر والاقرب انه اعجمى على فاعل كعابر وشالخ
وقيل اسم صنم يعبده فلقب به للزوم عبادته او اطلق عليه بحذف المضاف وقيل المراد
به الصنم ونصبه بفعل مضمر يفسره ما بعده اى اتعبد آزر ثم قال اتتخذ اصناما
آلهة تفسيرا وتقريرا ويدل عليه انه قرئ أأزرا تتخذ اصناما بفتح همزة آزر وكسرها
وهو اسم صنم وقرا يعقوب بالضم على النداء وهو يدل على انه علم انى اريك وقومك فى
ضلال عن الحق مبين ظاهر الضلالة وكذلك نرى ابرهيم ومثل هذا التبصير نبصره
وهو حكاية حال ماضية وقرئ ترى بالياء والتاء ورفع الملكوت ومعناه تبصره دلائل الربوبية
ملكوت السموات والارض ربوبيتها وملكها وقيل عجائبها وبدائعها والملكوت اعظم

الملك والتاء فيه للمبالغة وليكون من الموقنين اى ليستدل وليكون او فعلنا ذلك ليكون
فلما جن عليه الليل راى كوكبا قال هذا ربى تفصيل وبيان لذلك وقيل عطف على قال
ابرهيم وكذلك نرى اعتراض فان اباه وقومه كانوا يعبدون الاصنام والكواكب
فاراد ان ينبههم على ضلالتهم ويرشدهم الى الحق من طريق النظر والاستدلال وجن
عليه الليل ستره بظلامه والكوكب كان الزهرة او المشترى وقوله هذا ربى على سبيل الوضع فان
المستدل على فساد قول يحكيه على ما يقوله الخصم ثم يكر عليه بالافساد على وجه النظر
والاستدلال او انما قاله زمان مراهقته او اول اوان بلوغه فلما افل اى غاب قال لا
احب الافلين فضلا عن عبادتهم فان الانتقال والاحتجاب بالاستار يقتضى الامكان
والحدوث وينافى الالوهية فلما راى القمر بازغا مبتديا فى الطلوع قال هذا
ربى فلما افل قال لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين استعجز نفسه واستعان
بربه فى درك الحق فانه لا يهتدى اليه الا بتوفيقه ارشادا للقوم وتنبيها لهم على ان القمر
ايضا لتغير حاله لا يصلح للالوهية وان من اتخذه الها فهو ضال فلما راى الشمس بازغة
قال هذا ربى ذكر اسم الاشارة لتذكير الخبر وصيانة للرب عن شبهة التانيث هذا اكبر
كبره استدلالا واظهارا لشبهة الخصم فلما افلت قال يا قوم انى برى مما تشركون من
الاجرام المحدثة المحتاجة الى محدث يحدثها ومخصص يخصصها بما تخص به ثم لما تبرا منها توجه
الى موجدها ومبدعها الذى دلت هذه الممكنات عليه فقال انى وجهت وجهى للذى
فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين وانما احتج بالافول دون البزوغ
مع انه ايضا انتقال لتعدد دلالته ولانه راى الكوكب الذى يعبدونه فى وسط السماء
حين حاول الاستدلال وحاجه قومه وخاصموه فى التوحيد قال اتحاجونى فى الله
فى وحدانيته وقرا نافع وابن عامر بخلاف عن هشام بتخفيف النون وقد هدان الى توحيده
ولا اخاف ما تشركون به اى لا اخاف معبوداتكم فى وقت لانها لا تضر بنفسها ولا تنفع
الا ان يشاء ربى شيئا ان يصيبنى بمكروه من جهتها ولعله جواب لتخويفهم اياه عند
الهتهم وتهديدهم بعذابه وسع ربى كل شئ علما كانه علة للاستثناء اى احاط به علما

فلا يبعد ان يكون في علمه ان يحيق بي مكروه من جهتها افلا تتذكرون فتميزوا بين الصحيح والفاسد
والقادر والعاجز وكيف اخاف ما اشركتم ولا يتعلق به ضر ولا تخافون انكم اشركتم بالله
وهو حقيق بان يخاف منه كل الخوف لانه اشراك المصنوع بالصانع وتسوية المقدور العاجز
بالقادر الضار النافع ما لم ينزل به عليكم سلطانا ما لم ينزل باشراكه كتابا او لم ينصب عليه
دليلا فاي الفريقين احق بالامن اي الموحدون او المشركون وانما لم يقل اينا انا ام انتم
احترازا من تزكية نفسه ان كنتم تعلمون ما يحق ان يخاف منه الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم
بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون استيناف منه او من الله بالجواب عما استفهم عنه والمراد
بالظلم ههنا الشرك لما روي ان الاية لما نزلت شق ذلك على الصحابة وقالوا اينا لم
يظلم نفسه فقال عليه الصلوة والسلام ليس ما تظنون انما هو ما قال لقمان لابنه
يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وليس الايمان به ان يصدق بوجود الصانع الحكيم
ويخلط بهذا التصديق الاشراك به وقيل المعصية وتلك اشارة الى ما احتج به ابرهيم عم
على قومه من قوله فلما جن الى قوله وهم مهتدون او من قوله اتحاجوني اليه حجتنا آتيناها
ابرهيم ارشدناه اليها وعلمناه اياها على قومه متعلق بحجتنا ان جعل خبر تلك وبمحذوف
ان جعل بدله اي آتيناها ابرهيم حجة على قومه نرفع درجات من نشاء في العلم والحكمة
وقرأ الكوفيون ويعقوب بالتنوين ان ربك حكيم في رفعه وخفضه عليم بحال من يرفعه
واستعداده له ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا اي كلا منهما ونوحا هدينا من قبل
من قبل ابرهيم عد هداه نعمة على ابرهيم من حيث انه اباه وشرف الوالد يتعدى الى الولد
ومن ذريته الضمير لابرهيم اذ الكلام فيه وقيل لنوح لانه اقرب ولان يونس ولوطا
ليسا من ذرية ابرهيم فلو كان لابرهيم اختص البيان بالمعدودين في تلك الاية والتي بعدها
والمذكورون في الاية الثالثة عطف على نوح داود وسليمان وايوب بن اموص من اسباط
عيص بن اسحق ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين اي ونجزي المحسنين جزاء مثل
ما جزينا ابرهيم برفع درجاته وكثرة اولاده والنبوة فيهم وزكريا ويحيى وعيسى هو ابن
مريم وفي ذكره دليل على ان الذرية يتناول اولاد البنت والياس قيل هو ادريس جد

نوح فيكون البيان مخصوصا في الاية الاولى وقيل هو من اسباط هرون اخي موسى
كل من الصالحين الكاملين في الصلاح وهو الاتيان بما ينبغي والتحرز عما لا ينبغي واسمعيل
واليسع هو اليسع بن اخطوب وقرأ حمزة والكسائي والليسع وعلى القرائتين علم عجمي ادخل
عليه اللام كما ادخل على اليزيد في قوله رايت الوليد بن اليزيد مباركا شديدا باعباء الخلافة
كاهله ويونس هو يونس بن متى ولوطا هو هاران بن اخي ابرهيم وكلا فضلنا على
العالمين بالنبوة وفيه دليل فضلهم على من عداهم من الخلق ومن آبائهم وذرياتهم
واخوانهم عطف على كلا او نوحا اي فضلنا كلا منهم او هدينا هؤلاء وبعض آبائهم وذرياتهم
واخوانهم فان منهم من لم يكن نبيا ولا مهديا واجتبيناهم عطف على فضلنا او هدينا
وهديناهم الى صراط مستقيم تكرير لبيان ما هدوا اليه ذلك هدى الله اشارة الى ما
كانوا به يهدي به من يشاء من عباده دليل على انه متفضل بالهداية ولو اشركوا اي اولئك
هؤلاء الانبياء مع فضلهم وعلو شانهم لحبط عنهم ما كانوا يعملون لكانوا كغيرهم في
حبوط اعمالهم بسقوط ثوابها اولئك الذين آتيناهم الكتاب يريد به الجنس والحكم الحكمة
او فصل الامر على ما يقتضيه الحق والنبوة والرسالة فان يكفر بها اي بهذه الثلاثة هؤلاء
يعني قريشا فقد وكلنا بها اي بمراعاتها قوما ليسوا بها بكافرين وهم الانبياء المذكورون
ومتابعوهم وقيل هم الانصار واصحاب النبي عم وكل من آمن به او الفرس وقيل الملائكة
اولئك الذين هدى الله يريد الانبياء المتقدم ذكرهم فبهداهم اقتده فاختص طريقتهم
بالاقتداء والمراد بهداهم ما توافقوا عليه من التوحيد واصول الدين دون الفروع
المختلف فيها فانها ليست هدى مضافا الى الكل ولا يمكن التأسي بهم جميعا فليس فيه
دليل على انه عم متعبد بشرع من قبله والهاء في اقتده للوقف ومن اثبتها في الدرج
ساكنة كابن كثير ونافع وابي عمرو وعاصم اجرى الوصل مجرى الوقف وحذف الهاء في الوصل
خاصة حمزة والكسائي واشبعها ابن عامر برواية ابن ذكوان على انها كناية المصدر وكسرها
بغير اشباع برواية هشام قل لا اسألكم عليه اي على التبليغ او القرآن اجرا جعلا من
جهتكم كما لم يسأل من قبلي من النبيين وهذا من جملة ما امر بالاقتداء بهم فيه ان هو اي التبليغ

او القرآن او الغرض لا ذكرى للعالمين الا تذكيرا وعظة لهم وما قدروا الله حق قدره
وما عرفوه حق معرفته في الرحمة والانعام على العباد اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء
حين انكروا الوحي وبعثة الرسل وذلك من عظائم رحمته وجلائل نعمته او في السخط على
على الكفار وشدة البطش بهم حين جسروا على هذه المقالة والقائلون هم اليهود قالوا
ذلك مبالغة في انكار انزال القرآن بدليل نقض كلامهم والزامهم بقوله قل من انزل الكتاب
الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس وقراءة الجمهور تجعلونه قراطيس تبدونها
وتخفون كثيرا بالتاء وانما قرأ ابن كثير وابو عمرو حملا على قالوا وما قدروا وتضمين
ذلك توبيخهم على سوء جهلهم للتورية وذمهم على تجزئتها بابداء بعض انتخبوه وكتبوه
في ورقات متفرقة واخفاء بعض لا يشتهونه روي ان مالك بن الصيف قاله لما اغضبه
الرسول عليه الصلوة والسلام بقوله انشدك بالذي انزل التورية على موسى هل تجد فيها
ان الله يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين وقيل هم المشركون والزامهم بانزال التورية
لانه كان من المشهورات الذائعة عندهم ولذلك كانوا يقولون لو انا انزل علينا
الكتاب لكنا اهدى منهم وعلمتم على لسان محمد صلى الله عليه وسلم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم
زيادة على ما في التورية وبيانا لما التبس عليكم وعلى ابائكم الذين كانوا اعلم منكم
ونظيره ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون وقيل الخطاب لمن
آمن من قريش قل الله اي انزله الله او الله انزله امره بان يجيب عنهم اشعارا بان الجواب
متعين لا يمكن غيره وتنبيها على انهم بهتوا بحيث لا يقدرون على الجواب ثم ذرهم في خوضهم
في باطلهم فلا عليك بعد التبليغ والزام الحجة يلعبون حال من هم الاول والظرف صلة
ذرهم او يلعبون او حال من المفعول او فاعل يلعبون او من هم الثاني والظرف متصل
بالاول وهذا كتاب انزلناه مبارك كثير الفائدة والنفع مصدق الذي بين يديه
يعني التورية او الكتب التي قبله ولتنذر ام القرى عطف على ما دل عليه مبارك اي للبركات
ولتنذر او علة محذوف اي ولتنذر اهل ام القرى انزلناه وانما سميت مكة بذلك لانها قبلة
اهل القرى ومحجهم ومجتمعهم واعظم القرى شانا وقيل لان الارض دحيت من تحتها

ولانها مكان اول بيت وضع للناس وقرأ ابو بكر عن عاصم بالياء اي لينذر الكتاب
ومن حولها اهل الشرق والغرب والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على
صلوتهم يحافظون فان من صدق بالآخرة خاف الآخرة ولا يزال الخوف على النظر
والتدبر حتى يؤمن بالنبي والكتاب والضمير يحتملهما ويحافظ على الطاعة وتخصيص الصلوة
لانها عماد الدين وعلم الايمان ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا فزعم انه بعثه نبيا
كمسيلمة والاسود العنسي او اختلق عليه احكاما كعمرو بن لحي ومتابعيه او قال اوحي
الي ولم يوح اليه شيء كعبد الله بن سعد بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله
فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين فلما بلغ قوله ثم انشأناه خلقا
آخر قال عبد الله تبارك الله احسن الخالقين تعجبا من تفصيل خلق الانسان فقال عم
اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا لقد اوحي الي كما اوحي اليه
ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال ومن قال سانزل مثل ما انزل الله كالذين قالوا
لو نشاء لقلنا مثل هذا ولو ترى اذ الظالمون حذف مفعوله لدلالة الظرف عليه
اي ولو ترى الظالمين في غمرات الموت شدائده من غمره الماء اذا غشيه والملائكة
باسطوا ايديهم بقبض ارواحهم كالمتقاضي المتسلط او بالعذاب اخرجوا انفسكم اي
يقولون لهم اخرجوها الينا من اجسادكم تغليظا وتعنيفا عليهم او اخرجوها من العذاب
وخلصوها من ايدينا اليوم يريد وقت الاماتة او الوقت الممتد من الاماتة الى ما
لا نهاية له تجزون عذاب الهون اي الهوان يريد العذاب المتضمن لشدة واهانة واضافته
الى الهون لعراقته وتمكنه فيه بما كنتم تقولون على الله غير الحق كادعاء الولد والشريك
له ودعوى النبوة والوحي كاذبا وكنتم عن آياته تستكبرون فلا تتأملون فيها ولا تؤمنون
ولقد جئتمونا للحساب والجزاء فرادى منفردين عن الاموال والاولاد وسائر ما آثرتموه
من الدنيا او عن الاعوان والاوثان التي زعمتم انها شفعاؤكم وهو جمع فرد والالف
للتأنيث ككسالى وقرئ فراد كرخال وفراد كثلاث وفردى كسكرى كما خلقناكم
اول مرة بدل منه اي على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد او حال ثانية ان جوز التعدد

جئتمونا
منها او حال من الضمير في فرادى اي متشبهين ابتداء خلقكم عراة حفاة غرلا بهما او صفة مصدر
اي مجيئا كخلقنا لكم وتركتم ما خولناكم ما تفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الآخرة
وراء ظهوركم ما قدمتم منه شيئا ولم تحتملوا نقيرا وما نرى معكم شفعاءكم الذين
زعمتم انهم فيكم شركاء اي شركاء لله في ربوبيتكم واستحقاق عبادتكم لقد تقطع بينكم
اي تقطع وصلكم وتشتت جمعكم والبين من الاضداد يستعمل للوصل والفصل وقيل هو الظرف
اسند اليه الفعل على الاتساع والمعنى وقع التقطع بينكم ويشهد له قراءة نافع والكسائي
وحفص عن عاصم بالنصب على اضمار الفاعل لدلالة ما قبله عليه او اقيم مقام موصوفه
واصله لقد تقطع ما بينكم وقد قرئ به وضل عنكم وضاع وبطل ما كنتم تزعمون انها
شفعاؤكم او ان لا بعث ولا جزاء ان الله فالق الحب والنوى بالنبات والشجر وقيل
المراد به الشقاق الذي في الحنطة والنواة يخرج الحي يريد ما ينمي من الحيوان والنبات
ليطابق ما قبله من الميت مما لا ينمو كالنطف والحب ومخرج الميت من الحي ومخرج ذلك
من الحيوان والنبات ذكره بلفظ الاسم حملا على فالق الحب فان قوله يخرج الحي واقع
موقع البيان له ذلكم الله اي ذلكم المحيي والمميت هو الله الذي يحق له العبادة فانى تؤفكون
تصرفون عنه الى غيره فالق الاصباح شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل او عن بياض
النهار او شاق ظلمة الاصباح وهو الغلس الذي يليه والاصباح في الاصل مصدر
اصبح اذا دخل في الصبح سمي به الصبح وقرئ بفتح الهمزة على الجمع وقرئ فالق الاصباح
بالنصب على المدح وجاعل الليل سكنا يسكن التعب بالنهار لاستراحة فيه من سكن اليه
اذا اطمأن اليه استئناسا به او يسكن فيه الخلق من قوله لتسكنوا فيه ونصبه بفعل دل
عليه جاعل لا به فانه في معنى الماضي ويدل عليه قراءة الكوفيين وجعل الليل حملا على معنى
المعطوف عليه فان فالق بمعنى فلق ولذلك قرئ به او به على ان المراد منه جعل مستمر
في الازمنة المختلفة وعلى هذا يجوز ان يكون والشمس والقمر عطفا على محل الليل ويشهد له
قراءتهما بالجر والاحسن نصبهما بجعل مقدرا وقرئنا بالرفع على الابتداء والخبر محذوف
اي مجعولان حسبانا اي على ادوار مختلفة يحسب بهما الاوقات ويكونان على الحسبان

وهو مصدر حسب بالفتح كما ان الحسبان بالكسر مصدر حسب وقيل هو جمع حساب كشهاب
وشهبان ذلك اشارة الى جعلهما حسبانا اي ذلك التسيير بالحساب المعلوم تقدير العزيز
الذي قهرهما وسيرهما على الوجه المخصوص العليم بتدبيرهما والانفع من التدابير الممكنة لهما
وهو الذي جعل لكم النجوم خلقها لكم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر في ظلمات الليل في البر
والبحر واضافتها اليهما للملابسة او في مشتبهات الطرق وسماها ظلمات على الاستعارة
وهو افراد لبعض منافعها بالذكر بعد ما اجملها بقوله لكم قد فصلنا الآيات بيناها
فصلا فصلا لقوم يعلمون فانهم المنتفعون به وهو الذي انشأكم من نفس واحدة
هو آدم عليه السلام فمستقر ومستودع اي فلكم استقرار في الاصلاب او فوق الارض واستيداع
في الارحام او تحت الارض او موضع استقرار واستيداع وقرأ ابن كثير والبصريان بكسر
القاف على انه اسم فاعل والمستودع مفعول اي فمنكم قار ومنكم مستودع لان الاستقرار
منا دون الاستيداع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون ذكر مع ذكر النجوم يعلمون
لان امرها ظاهر ومع ذكر تخليق بني آدم يفقهون لان انشاءهم من نفس واحدة وتصريفهم
بين احوال مختلفة دقيق غامض يحتاج الى استعمال فطنة وتدقيق نظر وهو الذي انزل
من السماء ماء من السحاب او من جانب السماء فاخرجنا على تلوين الخطاب به بالماء نبات
كل شيء نبت كل صنف من النبات والمعنى اظهار القدرة في انبات الانواع المفننة بماء واحد
كما في قوله يسقى بماء واحد ونفضل بعضها البعض في الاكل فاخرجنا منه من النبات او الماء
خضرا شيئا اخضر يقال اخضر وخضر كاعور وعور وهو الخارج من الحبة المتشعب نخرج
منه من الخضر حبا متراكبا وهو السنبل ومن النخل من طلعها قنوان اي واخرجنا من النخل
نخلا من طلعها قنوان او من النخل شيء من طلعها قنوان ويجوز ان يكون من النخل خبر قنوان
ومن طلعها بدل منه والمعنى وحاصل من طلع النخل قنوان وهو الاعذاق جمع قنو كصنوان
جمع صنو وقرئ بضم القاف كذئب وذؤبان وبفتحها على انه اسم جمع اذ ليس فعلان
من ابنية الجمع دانية قريبة من المتناول او ملتفة قريب بعضها من بعض وانما اقتصر على ذكرها
عن مقابلها لدلالتها عليه وزيادة النعمة فيها وجنات من اعناب عطف على نبات

كل شئ وقرئ بالرفع على الابتداء اى ولكم او ثم جنات او من الكرم جنات ولا يجوز عطفه
على قنوان اذ العنب لا يخرج من النخل والزيتون والرمان ايضا عطف على نبات او نصب
على الاختصاص لعزة هذين الصنفين عندهم مشتبها وغير متشابه حال من الرمان او من
الجميع اى بعض ذلك متشابه وبعضه غير متشابه فى الهيئة والقدر واللون والطعم انظروا
الى ثمره الى ثمر كل واحد من ذلك وقرأ حمزة والكسائى بضم الثاء وهو جمع ثمرة كخشبة
وخشب او ثمار ككتب وكتاب اذا اثمر اذا اخرج ثمره كيف يثمر ضئيلا لا يكاد ينتفع به
وينعه الى حال نضجه او الى نضجه كيف يعود ضخما ذا نفع ولذة وهو فى الاصل مصدر
ينعت الثمرة اذا ادركت وقيل جمع يانع كتاجر وتجر وقرئ بالضم وهو لغة فيه وبانعه
ان فى ذلكم لايات لقوم يؤمنون اى لايات على وجود القادر الحكيم وتوحيده فان حدوث
الاجناس المختلفة والانواع المتفننة من اصل واحد ونقلها من حال الى حال لا يكون الا باحداث
قادر يعلم تفاصيلها ويرجح ما تقتضيه حكمته مما يمكن من احوالها ولا يعوقه عن فعله ند
يعارضه او ضد يعانده ولذلك عقبه بتوبيخ من اشرك به والرد عليه فقال وجعلوا لله شركاء
الجن اى الملائكة بان عبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله وسماهم جنا لاجتنانهم تحقيرا لشانهم
او الشياطين لانهم اطاعوهم كما يطاع الله او عبدوا الاوثان بتسويلهم وتحريضهم او قالوا
الله خالق الخير وكل نافع والشيطان خالق الشر وكل ضار كما هو رأى الثنوية ومفعولا جعل لله
شركاء والجن بدل من شركاء او شركاء الجن ولله متعلق بشركاء او حال منه وقرئ الجن بالرفع
كانه قيل من هم فقيل الجن وبالجر على الاضافة للتبيين وخلقهم حال بتقدير قد والمعنى
وقد علموا ان الله خالقهم دون الجن وليس من يخلق كمن لا يخلق وقرئ وخلقهم عطفا على الجن
وما خلقوه من الاصنام او على شركاء وجعلوا له اختلاقهم للافك حيث نسبوه اليه وخرقوا
له افتعلوا وافتروا له وقرأ نافع بتشديد الراء وقرئ وحرفوا اى وزوروا بنين وبنات
فقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت العرب الملائكة بنات الله
بغير علم من غير ان يعلموا حقيقة ما قالوه ويروا عليه دليلا وهو فى موضع الحال من الواو او المصدر
اى خرقا بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون وهو ان له شريكا او ولدا بديع السموات والارض

من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها او الى الظرف كقولهم ثبت الغدر يعنى انه عديم
النظير فيهما وقيل معناه المبدع وقد سبق الكلام فيه ورفعه على الخبر والمبتدأ محذوف
او على الابتداء وخبره انى يكون له ولد اى من اين او كيف يكون له ولد ولم تكن له صاحبة
يكون منها الولد وقرئ بالياء للفصل او لان الاسم ضمير الله او ضمير الشان وخلق كل شئ وهو
بكل شئ عليم لا يخفى عليه خافية وانما لم يقل به لتطرق التخصيص الى الاول وفى الاية استدلال
على نفى الولد من وجوه الاول ان من مبدعاته السموات والارض وهى مع انهما من جنس ما
يوصف بالولادة مبرأة عنها لاستمرارها وطول مدتها فهو اولى بان يتعالى عنها والثانى ان
المعقول من الولد ما يتولد من ذكر وانثى متجانسين والله تعالى منزه عن المجانسة والثالث ان
الولد كفو الوالد ولا كفو له لوجهين الاول ان كل ما عداه مخلوق فلا يكافئه والثانى
انه لذاته عالم بكل المعلومات ولا كذلك غيره بالاجماع ذلكم اشارة الى الموصوف بما سبق
من الصفات وهو مبتدأ الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شئ اخبار مترادفة ويجوز ان
يكون البعض بدلا او صفة والبعض خبرا فاعبدوه حكم مسبب عن مضمونها فان من استجمع
هذه الصفات استحق العبادة وهو على كل شئ وكيل اى وهو مع تلك الصفات متولى
اموركم فكلوها اليه وتوسلوا بعبادته الى انجاح ماربكم ورقيب على اعمالكم فيجازيكم
عليها لا تدركه الابصار لا تحيط به الابصار جمع بصر وهى حاسة النظر وقد يقال للعين من حيث انها
محلها واستدل به المعتزلة على امتناع الرؤية وهو ضعيف لانه ليس الادراك مطلق الرؤية
ولا النفى فى الاية عاما فى الاوقات فلعله مخصوص ببعض الحالات ولا فى الاشخاص
فانه فى قوة قولنا لا كل بصر يدركه مع ان النفى لا يوجب الامتناع وهو يدرك الابصار
يحيط علمه بها وهو اللطيف الخبير فيدرك ما لا تدركه الابصار كالابصار ويجوز ان
يكون من باب اللف اى لا تدركه الابصار لانه اللطيف وهو يدرك الابصار لانه الخبير
فيكون اللطيف مستعارا من مقابل الكثيف لما لا يدرك بالحاسة ولا ينطبع فيها قد جاءكم
بصائر من ربكم البصائر جمع بصيرة وهى للنفس كالبصر للبدن سميت به الدلالة لانها
تجلى لها الحق وتبصرها فمن ابصر فلنفسه اى ابصر الحق وآمن به ابصر لان نفعه لها ومن عمى

عن الحق وضل فعليها وباله وما انا عليكم بحفيظ وانما انا منذر والله هو الحفيظ عليكم
يحفظ اعمالكم ويجازيكم عليها وهذا كلام ورد على لسان الرسول عليه الصلوة والسلام
وكذلك نصرف الآيات ومثل ذلك التصريف نصرف وهو اجراء المعنى الدائر في المعاني
المتعاقبة من الصرف وهو نقل الشيء من حال الى حال وليقولوا درست اي وليقولوا
درست صرفنا واللام لام العاقبة والدرس القراءة والتعلم وقرأ ابن كثير وابو عمرو
دارست اي دارست اهل الكتاب وذاكرتهم وابن عامر ويعقوب درست من الدروس
اي قدمت هذه الآيات وعفت كقولهم اساطير الاولين وقرئ درست بضم الراء
مبالغة في درست ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت او عفيت ودارست بمعنى
درست او دارست اليهود محمدا وجاز اضمارهم بلا ذكر لشهرتهم بالدراسة ودرسن
اي عفون ودرس اي درس محمد ودارسات اي قديمات او ذات درس كقوله عيشة راضية
ولنبينه اللام على اصله لان التبيين مقصود التصريف والضمير للآيات باعتبار المعنى او القرآن
وان لم يذكر لكونه معلوما او للمصدر لقوم يعلمون فانهم المنتفعون به اتبع ما اوحي اليك
من ربك بالتدين به لا اله الا هو اعتراض اكد به ايجاب الاتباع او حال مؤكدة من ربك
بمعنى منفردا في الالوهية واعرض عن المشركين ولا تحتفل باقوالهم ولا تلتفت الى رأيهم
ومن جعله منسوخا باية السيف حمل الاعراض على ما يعم الكف عنهم ولو شاء الله
توحيدهم وعدم اشراكهم ما اشركوا وهو دليل على انه تعالى لا يريد ايمان الكافر وان مراده
واجب الوقوع وما جعلناك عليهم حفيظا رقيبا وما انت عليهم بوكيل تقوم بامورهم
ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله اي ولا تذكروا آلهتهم التي يعبدونها بما فيها من
القبائح فيسبوا الله عدوا تجاوزا عن الحق الى الباطل بغير علم على جهالة بالله وبما يجب
ان يذكر به وقرأ يعقوب عدوا يقال عدا فلان عدوا وعدوا وعداء وعدوانا
وروي انه عم كان يطعن في آلهتهم فقالوا لتنتهين عن سب آلهتنا او لنهجون الهك فنزلت
وقيل كان المسلمون يسبونها فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب الله وفيه دليل على ان الطاعة
اذا ادت الى معصية راجحة وجب تركها فان ما يؤدي الى الشر شر كذلك زينا لكل امة

عملهم من الخير والشر باحداث ما يمكنهم منه وحملهم عليه توفيقا وتخذيلا ويجوز تخصيص
العمل بالشر وكل امة بالكفرة لان الكلام فيهم والمشبه به تزيين سب الله لهم ثم الى ربهم
مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون بالمحاسبة والمجازاة عليه واقسموا بالله جهد ايمانهم مصدر
في موقع الحال والداعي لهم الى هذا القسم والتأكيد فيه التحكم على رسول الله عليه الصلوة
والسلام في طلب الآيات واستحقار ما رأوا منها لئن جاءتهم آية من مقترحاتهم ليؤمنن
بها قل انما الآيات عند الله هو قادر عليها يظهر منها ما يشاء وليس شيء منها بقدرتي وارادتي
وما يشعركم وما يدريكم استفهام انكار انها اي ان الآية المقترحة اذا جاءت لا يؤمنون
اي لا ادري انهم لا يؤمنون انكر السبب مبالغة في نفي المسبب وفيه تنبيه على انه تعالى
انما لم ينزلها لعلمه بانها اذا جاءت لا يؤمنون بها وقيل لا مزيدة وقيل ان بمعنى لعل
اذ قرئ لعلها وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر بخلاف عنه عن عاصم ويعقوب انها بالكسر
كانه قال وما يشعركم ما يكون منهم ثم اخبرهم بما علم منهم والخطاب للمؤمنين فانهم يتمنون
مجيء الآية طمعا في ايمانهم فنزلت وقيل للمشركين اذ قرأ ابن عامر وحمزة لا تؤمنون بالتاء
وقرئ وما يشعرهم انها اذا جاءت فيكون انكارا لهم على حلفهم اي وما يشعرهم ان قلوبهم
ح لم تكن مطبوعة كما كانت عند نزول القرآن من الآيات فيؤمنون بها ونقلب افئدتهم
وابصارهم عطف على لا يؤمنون اي وما يشعركم انا حينئذ نقلب افئدتهم عن الحق فلا يفقهونه
وابصارهم فلا يبصرونه فلا يؤمنون بها كما لم يؤمنوا به اي بما انزل من الآيات اول مرة
ونذرهم في طغيانهم يعمهون وندعهم متحيرين لا نهديهم هداية المؤمنين وقرئ ويقلب
ويذرهم على الغيبة وتقلب على البناء للمفعول والاسناد الى الافئدة ولو اننا نزلنا اليهم
الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا كما اقترحوا فقالوا لولا انزل علينا الملائكة
فاتوا بآبائنا او تأتي بالله والملائكة قبيلا وقبلا جمع قبيل بمعنى كفيل اي كفلاء بما بشروا
به وانذروا او جمع قبيل الذي هو القبيلة بمعنى جماعات او مصدر بمعنى مقابلة كقبلا
وهو قراءة نافع وابن عامر وهو على الوجوه حال من كل وانما جاز مجيئه من كل لعمومه
ما كانوا ليؤمنوا لما سبق عليهم القضاء بالكفر الا ان يشاء الله استثناء من اعم الاحوال

اي لا يؤمنون في حال الا حال مشية الله ايمانهم وقيل منقطع وهو حجة واضحة على المعتزلة
ولكن اكثرهم يجهلون انهم لو اتوا بكل اية لم يؤمنوا فيقسمون بالله جهد ايمانهم على ما لا يشعرون
ولذلك اسند الجهل الى الاكثر مع ان مطلق الجهل يعمهم او ولكن اكثر المسلمين يجهلون انهم لا يؤمنون
فيتمنون نزول الاية طمعا في ايمانهم وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا اي كما جعلنا لك عدوا
جعلنا لكل نبي سبقك عدوا وهو دليل على ان عداوة الكفرة للانبياء بفعل الله وخلقه
شياطين الانس والجن مردة الفريقين وهو بدل من عدوا او مفعول جعلنا وعدوا مفعوله
الثاني ولكل متعلق به او حال منه يوحي بعضهم الى بعض يوسوس شياطين الجن الى شياطين
الانس او بعض الجن الى بعض وبعض الانس الى بعض زخرف القول الاباطيل المموهة
من زخرفه اذا زينه غرورا مفعول له او مصدر في موقع الحال ولو شاء ربك ايمانهم
ما فعلوه اي ما فعلوا ذلك يعني معاداة الانبياء وايحاء الزخارف ويجوز ان يكون الضمير
للايحاء او الزخرف او الغرور وهو ايضا دليل على المعتزلة فذرهم وما يفترون
وكفرهم ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالاخرة عطف على غرورا ان جعل علة او
متعلق بمحذوف اي وليكون ذلك جعلنا لكل نبي عدوا والمعتزلة لما اضطروا فيه قالوا
اللام لام العاقبة او لام القسم كسرت لما لم يؤكد الفعل بالنون او لام الامر وضعفه
ظاهر والصغو الميل والضمير لما له الضمير في يوحي وليرضوه لانفسهم وليقترفوا اي ليكتسبوا
ما هم مقترفون من الاثام افغير الله ابتغي حكما على ارادة القول اي قل لهم يا محمد افغير الله
اطلب من يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل وغير مفعول ابتغي وحكما حال منه
ويحتمل عكسه وحكما ابلغ من حاكم ولذلك لا يوصف به غير العادل وهو الذي انزل اليكم
الكتاب القران المعجز مفصلا مبينا فيه الحق والباطل بحيث ينفي التخليط والالتباس وفيه
تنبيه على ان القران باعجازه وتقريره مغن عن سائر الايات والذين اتيناهم الكتاب يعلمون
انه منزل من ربك بالحق تاييد لدلالة الاعجاز على ان القران حق منزل من عند الله يعلم
اهل الكتاب به لتصديقه ما عندهم مع انه لم يمارس كتبهم ولم يخالط علماءهم
وانما وصف جميعهم بالعلم لان اكثرهم يعلمون ومن لم يعلم فهو متمكن منه بادنى تامل وقيل

اكابر مجرميها ليمكروا فيها وجعلنا بمعنى صيرنا ومفعولاه اكابر مجرميها على تقديم المفعول
الثاني او في كل قرية اكابر ومجرميها بدل ويجوز ان يكون مضافا اليه ان فسر الجعل بالتمكين
وافعل التفضيل اذا اضيف جاز فيه الافراد والمطابقة ولذلك قرئ اكبر مجرميها وتخصيص
الاكابر لانهم اقوى على استتباع الناس والمكر بهم وما يمكرون الا بانفسهم لان وباله
يحيق بهم وما يشعرون ذلك واذا جاءتهم اية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي
رسل الله يعني كفار قريش لما روي ان ابا جهل قال زاحمنا بنو عبد مناف حتى اذا صرنا
كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به الا ان يأتينا وحي كما يأتيه فنزلت
الله اعلم حيث يجعل رسالته استئناف للرد عليهم بان النبوة ليست بالنسب والمال وانما هي
بفضائل نفسانية يخص الله بها من يشاء من عباده فيجتبي لرسالته من علم انه يصلح لها وهو اعلم
بالمكان الذي يضعها فيه وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم رسالته سيصيب الذين اجرموا
صغار ذل وحقارة بعد كبرهم عند الله يوم القيمة وقيل تقديره من عند الله وعذاب
شديد بما كانوا يمكرون بسبب مكرهم او جزاء على مكرهم فمن يرد الله ان يهديه يعرفه
طريق الحق ويوفقه للايمان يشرح صدره للاسلام فيتسع له ويفسح فيه مجاله وهي كناية
عن جعل النفس قابلة للحق مهياة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه واليه اشار عليه السلام
حين سئل عنه فقال نور يقذفه الله في قلب المؤمن فينشرح له وينفسح فقالوا هل لذلك
امارة يعرف بها فقال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد
للموت قبل نزوله ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا بحيث ينبو عن قبول الحق فلا
يدخله الايمان وقرأ ابن كثير ضيقا بالتخفيف ونافع وابو بكر عن عاصم حرجا بالكسر
اي شديد الضيق والباقون بالفتح وصفا بالمصدر كانما يصعد في السماء شبهه مبالغة
في ضيق صدره بمن يزاول ما لا يقدر عليه فان صعود السماء مثل فيما يبعد عن الاستطاعة
ونبه به على ان الايمان يمتنع منه كما يمتنع عليه الصعود وقيل معناه كانما يتصاعد الى
السماء نبوا عن الحق وتباعدا في الهرب منه واصل يصعد يتصعد وقد قرئ به وقرأ
ابن كثير يصعد وابو بكر عن عاصم يصاعد بمعنى يتصاعد كذلك اي كما يضيق صدره

ويبعد قلبه عن الحق يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون يجعل العذاب والخذلان
عليهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتعليل وهذا اشارة الى البيان الذي جاء به القران
او الى الاسلام او الى ما سبق من التوفيق والخذلان صراط ربك الطريق الذي ارتضاه
او عادته وطريقه الذي اقتضته حكمته مستقيما لا عوج فيه او عادلا مطردا وهو حال
مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا او مقيدة والعامل فيها معنى الاشارة قد فصلنا الآيات
لقوم يذكرون فيعلمون ان القادر هو الله وان كل ما يحدث من خير او شر فهو بقضائه
وخلقه وانه عالم باحوال العباد حكيم عادل فيما يفعل بهم لهم دار السلام دار الله اضاف
الجنة الى نفسه تعظيما لها او دار السلامة من المكاره او دار تحيتهم فيها سلام عند ربهم
في ضمانه او ذخيرة لهم عنده لا يعلم كنهها غيره وهو وليهم مواليهم او ناصرهم بما كانوا
يعملون بسبب اعمالهم او متوليهم بجزائها فيتولى ايصاله اليهم ويوم يحشرهم جميعا نصب باضمار
اذكر او نقول والضمير لمن يحشر من الثقلين وقرأ حفص عن عاصم وروح عن يعقوب
بالياء يا معشر الجن يعني الشياطين قد استكثرتم من الانس اي من اغوائهم واضلالهم
او منهم بان جعلتموهم اتباعكم فحشر معكم كقولهم استكثر الامير من الجنود وقال اولياؤهم
من الانس الذين اطاعوهم ربنا استمتع بعضنا ببعض اي انتفع الانس بالجن بان دلوهم
على الشهوات وما يتوصل به اليها والجن بالانس بان اطاعوهم وحصلوا مرادهم وقيل
استمتاع الانس بهم انهم كانوا يعوذون بهم في المفاوز وعند المخاوف واستمتاعهم
بالانس اعترافهم بانهم يقدرون على اجارتهم وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا اي البعث
وهو اعتراف بما فعلوا من طاعة الشيطان واتباع الهوى وتكذيب البعث وتحسر على حالهم
قال النار مثواكم منزلكم او ذات مثواكم خالدين فيها حال والعامل فيها مثواكم ان جعل
مصدرا ومعنى الاضافة ان جعل مكانا الا ما شاء الله الا الاوقات التي ينقلون فيها
من النار الى الزمهرير وقيل الا ما شاء الله قبل الدخول كانه قيل النار مثواكم ابدا الا
ما امهلكم ان ربك حكيم في افعاله عليم باحوال الثقلين واعمالهم وكذلك نولي بعض الظالمين
بعضا نكل بعضهم الى بعض او نجعل بعضهم يتولى بعضا فيغويهم او اولياء بعض وقرناءهم

في العذاب كما كانوا في الدنيا بما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصي يا معشر الجن والانس
الم يأتكم رسل منكم الرسل من الانس خاصة لكن لما جمعوا مع الجن في الخطاب صح ذلك ونظيره
يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والمرجان يخرج من الملح دون العذب وتعلق بظاهره
قوم فقالوا بعث الى كل من الثقلين رسل من جنسهم وقيل الرسل من الجن رسل الرسل اليهم لقوله
ولوا الى قومهم منذرين يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا يعني يوم القيمة
قالوا شهدنا على انفسنا بالجرم والعصيان وهو اعتراف منهم بالكفر واستيجاب
للعذاب وغرتهم الحيوة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين ذم لهم على سوء
نظرهم وخطاء رأيهم فانهم اغتروا بالحيوة الدنيوية واللذات المخدجة واعرضوا عن
الآخرة بالكلية حتى كان عاقبة امرهم ان اضطروا الى الشهادة على انفسهم بالكفر والاستسلام
للعذاب المخلد تحذيرا للسامعين من مثل حالهم ذلك اشارة الى ارسال الرسل وهو خبر مبتدا
محذوف اي الامر ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون تعليل للحكم
وان مصدرية او مخففة من الثقيلة اي الامر ذلك لانتفاء كون ربك او لان الشان لم يكن
ربك مهلك اهل القرى بسبب ظلم فعلوه او متلبسين بظلم او ظالما وهم غافلون لم ينبهوا برسول
او بدل من ذلك ولكل من المكلفين درجات مراتب مما عملوا من اعمالهم او من جزائها او من اجلها
وما ربك بغافل عما يعملون فيخفى عليه عمل او قدر ما يستحق به من ثواب وعقاب وقرأ ابن عامر
بالتاء على تغليب الخطاب على الغيبة وربك الغني عن العباد والعبادة ذو الرحمة يترحم عليهم
بالتكليف تكميلا لهم ويمهلهم على المعاصي وفيه تنبيه على ان ما سبق ذكره من الارسال ليس
لنفعه بل لترحمه على العباد وتأسيس لما بعده وهو قوله ان يشأ يذهبكم اي ما به اليكم
حاجة ان يشأ يذهبكم ايها العصاة ويستخلف من بعدكم ما يشاء من الخلق كما انشأكم
من ذرية قوم آخرين اي قرنا بعد قرن لكنه ابقاكم ترحما عليكم ان ما توعدون
من البعث واحواله لآت لكائن لا محالة وما انتم بمعجزين طالبكم به قل يا قوم اعملوا
على مكانتكم على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن
او على ناحيتكم وجهتكم التي انتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة وقرأ

ابو بكر عن عاصم مكاناتكم بالجمع في كل القران وهو امر تهديد والمعنى اثبتوا على كفركم
وعداوتكم انى عامل ما كنت عليه من المصابرة والثبات على الاسلام والتهديد بصيغة الامر
مبالغة في الوعيد كان المهدد يريد تعذيبه مجمعا عليه فيحمل الامر على ما يفضى به اليه وتسجيل
بان المهدد لا يأتى منه الا الشر كالمأمور به الذى لا يقدر ان يتقضى عنه فسوف تعلمون
من تكون له عاقبة الدار ان جعل من استفهامية بمعنى اينا يكون له العاقبة الحسنى التى خلق
الله لها هذه الدار فمحلها الرفع وفضل العلم معلق عنه وان جعلت خبرية فالنصب بتعلمون
اى فسوف تعرفون الذى يكون له العاقبة وفيه مع الانذار انصاف فى المقال وحسن
الادب وتنبيه على وثوق المنذر بانه محق وقرا حمزة والكسائى هنا وفى القصص يكون
بالياء لان تانيث العاقبة غير حقيقى انه لا يفلح الظالمون وضع الظالمين موضع الكافرين
لانه اعم واكثر فائدة وجعلوا اى مشركوا العرب لله مما ذرأ خلق من الحرث والانعام نصيبا
فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله
فهو يصل الى شركائهم روى انهم كانوا يعينون شيا من حرث ونتاج لله ويصرفونه الى الضيفان
والمساكين وشيا منهما لالهتهم وينفقون على سدنتها ويذبحون عندها ثم ان راوا ما عينوه
لله ازكى بدلوه بما لالهتهم وان راوا ما لالهتهم ازكى تركوه حبا لالهتهم وفى قوله مما ذرأ
تنبيه على فرط جهالتهم فانهم اشركوا الخالق فى خلقه جمادا لا يقدر على شئ ثم رجحوه عليه بان
جعلوا الزاكى له وفى قوله بزعمهم تنبيه على ان ذلك مما اخترعوه لم يامرهم الله به وقرا الكسائى
بالضم فى الموضعين وهو لغة فيه وقد جاء فيه الكسر ايضا كالود ساء ما كانوا يحكمون
حكمهم هذا وكذلك ومثل ذلك التزيين فى قسمة القربان زين لكثير من المشركين قتل اولادهم
بالواد ونحرهم لالهتهم شركاؤهم من الجن او من السدنة وهو فاعل زين وقرا ابن عامر
زين على البناء للمفعول الذى هو القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء باضافة القتل اليه
مفصولا بينهما المفعول وهو ضعيف فى العربية معدود من ضرورات الشعر كقوله
فزججتها بمزجة زج القلوص ابى مزادة وقرئ على البناء للمفعول وجر اولادهم
ورفع شركاؤهم باضمار فعل دل عليه زين ليردوهم ليهلكوهم بالاغواء وليلبسوا عليهم

دينهم وليخلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين اسمعيل وما وجب عليهم ان يتدينوا
به واللام للتعليل ان كان التزيين من الشياطين وللعاقبة ان كان من السدنة ولو شاء
الله ما فعلوه ما فعل المشركون ما زين لهم او الشركاء او التزيين او الفريقان جميع ذلك
فذرهم وما يفترون افتراءهم او وما يفترونه من الافك وقالوا هذه اشارة الى ما جعل
لالهتهم انعام وحرث حجر حرام فعل بمعنى مفعول كالذبح يستوى فيه الواحد والكثير والذكر
والانثى وقرئ حجر بالضم وحرج اى مضيق لا يطعمها الا من نشاء يعنون خدم الاوثان
والرجال دون النساء بزعمهم من غير حجة وانعام حرمت ظهورها يعنى البحاير والسوائب
والحوامى وانعام لا يذكرون اسم الله عليها فى الذبح وانما يذكرون اسماء الاصنام عليها وقيل
لا يحجون على ظهورها افتراء عليه نصب على المصدر لان ما قالوه تقول على الله والجار متعلق
بقالوا او بمحذوف هو صفة له او على الحال او المفعول له والجار متعلق به او بالمحذوف
سيجزيهم بما كانوا يفترون بسببه او بدله وقالوا ما فى بطون هذه الانعام يعنون اجنة
البحائر والسوائب خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا حلال للذكور خاصة دون
الاناث ان ولد حيا لقوله وان يكن ميتة فهم فيه شركاء فالذكور والاناث فيه سواء
وتانيث الخالصة للمعنى فان ما فى معنى الاجنة ولذلك وافق عاصم فى رواية ابى بكر
وابن عامر فى تكن بالتاء وخالفهما ابن كثير فى ميتة فنصب كغيرهما والتاء فيه للمبالغة كما
فى رواية الشعر او هو مصدر كالعافية وقع موقع الخالص وقرئ بالنصب على انه مصدر
مؤكد والخبر لذكورنا او حال من الضمير الذى فى الظرف لا من الذى فى لذكورنا ولا من الذكور
لانها لا تتقدم على العامل المعنوى ولا على صاحبها المجرور وقرئ خالص بالرفع والنصب وخالصة
بالرفع والاضافة الى الضمير على انه بدل من ما او مبتدا ثان والمراد به ما كان حيا والتذكير
فى فيه لان المراد بالميتة ما يعم الذكر والانثى فغلب الذكر سيجزيهم وصفهم اى جزاء وصفهم
الكذب على الله فى التحريم والتحليل من قوله وتصف السنتهم الكذب انه حكيم عليم قد خسر الذين
قتلوا اولادهم سفها يريد بهم العرب الذين كانوا يقتلون بناتهم مخافة السبى والفقر
وقرا ابن كثير وابن عامر قتلوا بالتشديد بمعنى التكثير بغير علم لخفة عقلهم وجهلهم بان الله

رازق اولادهم لا هم ويجوز نصبه على الحال والمصدر وحرموا ما رزقهم الله من البحاير
ونحوها افتراء على الله يحتمل الوجوه المذكورة في مثله قد ضلوا وما كانوا مهتدين
الى الحق والصواب وهو الذي انشاء جنات من الكروم معروشات مرفوعات على ما يحملها
وغير معروشات ملقيات على وجه الارض وقيل المعروشات ما غرسه الناس فعرشوه وغير
معروشات ما نبت في البراري والجبال والنخل والزرع مختلفا اكله ثمره الذي يؤكل في
الهيئة والكيفية والضمير للزرع والباقي مقيس عليه او للنخل والزرع في حكمه لكونه معطوفا
عليه او للجميع على تقدير اكل ذلك او كل واحد منهما ومختلفا حال مقدرة لانه لم يكن
كذلك عند الانشاء والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه يتشابه بعض افرادهما
في اللون والطعم ولا يتشابه بعضها كلوا من ثمره من ثمر كل واحد من ذلك اذا اثمر وان
لم يدرك ولم يينع بعد وقيل فائدته رخصة المالك في الاكل منه قبل اداء حق الله
واتوا حقه يوم حصاده يريد به ما كان يتصدق به يوم الحصاد لا الزكوة المقدرة
فانها فرضت بالمدينة والاية مكية وقيل الزكوة والاية مدنية والامر باتيانها يوم
الحصاد ليهتم به حتى لا يوخر عن وقتنا الاداء وليعلم ان الوجوب بالادراك لا بالتنقية
وقراء ابن كثير ونافع وحمزة والكسائي حصاده بكسر الحاء وهو لغة فيه ولا تسرفوا
في التصدق كقوله ولا تبسطها كل البسط انه لا يحب المسرفين لا يرتضي فعلهم ومن الانعام
حمولة وفرشا عطف على جنات اي وانشاء من الانعام ما يحمل الاثقال وما يفرش للذبح
او ما يفرش المنسوج من شعره وصوفه ووبره وقيل الكبار الصالحة للحمل والصغار
الدانية من الارض مثل الفرش المفروش عليها كلوا مما رزقكم الله كلوا ما احل لكم منه
ولا تتبعوا خطوات الشيطان في التحليل والتحريم من عند انفسكم انه لكم عدو مبين
ظاهر العداوة ثمانية ازواج بدل من حمولة وفرشا او مفعول كلوا ولا تتبعوا معترض
بينهما او فعل دل عليه او حال من ما بمعنى مختلفة او متعددة والزوج ما معه اخر من
جنسه يزاوجه وقد يقال لمجموعهما والمراد الاول من الضان اثنين زوجين الكبش والنعجة
وهو بدل من ثمانية وقرئ اثنان على الابتداء والضان اسم جنس كالابل وجمعه

ضئين او جمع ضائن كتاجر وتجر وقرئ بفتح الهمزة وهو لغة فيه ومن المعز اثنين التيس
والعنز وقراء ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب بالفتح وهو جمع ماعز كصاحب
وصحب وحارس وحرس وقرئ معزى قل آلذكرين ذكر الضان وذكر المعز حرم
ام الانثيين ام انثييهما ونصب الذكر والانثيين بحرم اما اشتملت عليه ارحام الانثيين
او ما حملت اناث الجنسين ذكرا كان او انثى نبئوني بعلم بامر معلوم يدل على ان الله
حرم شيا من ذلك ان كنتم صادقين في دعوى التحريم عليه ومن الابل اثنين ومن البقر
اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين كما سبق
والمعنى انكار ان الله حرم من الاجناس الاربعة ذكرا او انثى او ما تحمل اناثها ردا عليهم
فانهم كانوا يحرمون ذكور الانعام تارة واناثها تارة واولادها كيف كانت تارة
زاعمين ان الله حرمها ام كنتم شهداء بل اكنتم حاضرين شاهدين اذ وصيكم الله بهذا
حين وصيكم بهذا التحريم اذ انتم لا تومنون بنبي فلا طريق لكم الى معرفة امثال ذلك الا
المشاهدة والسماع فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب اليه تحريم ما لم يحرم والمراد
كبراءهم المقررين لذلك او عمرو بن لحي المؤسس له ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي
القوم الظالمين قل لا اجد فيما يوحي الي اي في القران او فيما اوحي الي مطلقا وفيه تنبيه
على ان التحريم انما يعلم بالوحي لا بالهوى محرما طعاما محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون
ميتة الا ان يكون الطعام ميتة وقراء ابن كثير وابن عامر وحمزة تكون بالتاء لتانيث
الخبر وقراء ابن عامر بالتاء للتانيث ورفع ميتة على ان كان هي التامة وقوله او دما
مسفوحا عطف على ان مع ما في حيزه اي الا وجود ميتة او دما مسفوحا اي مصبوبا كالدم
في العروق لا كالكبد والطحال او لحم خنزير فانه رجس فان الخنزير او لحمه قذر لتعوده
اكل النجاسة او خبيث مخبث او فسقا عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض للتعليل
اهل لغير الله به صفة له موضحة وانما سمي ما ذبح على اسم الصنم فسقا لتوغله في الفسق
ويجوز ان يكون مفعولا له من اهل وهو عطف على يكون والمستكن فيه راجع الى ما رجع اليه
المستكن في يكون فمن اضطر فمن دعته الضرورة الى تناول شي من ذلك غير باغ على مضطر

سد الرمق ولا عاد قدر الضرورة فان ربك غفور رحيم لا يؤاخذه والآية محكمة لانها تدل
على انه لم يجد فيما اوحي الى تلك الغاية محرما غيرهن وذلك لا ينافي ورود التحريم
في شيء آخر فلا يصح الاستدلال بها على نسخ الكتاب بخبر الواحد ولا على حل الاشياء غيرها
الا مع الاستصحاب وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر كل ماله اصبع كالابل والسباع
والطيور وقيل كل ذي مخلب وحافر وسمي الحافر ظفرا مجازا ولعل المسبب عن الظلم تعميم
التحريم ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الثروب وشحوم الكلى والاضافة لزيادة
الربط الا ما حملت ظهورهما الا ما علقت بظهورهما او الحوايا او ما اشتمل على الامعاء
جمع حاوية او حاوياء كقاصعاء وقواصع او حوية كسفينة وسفائن وقيل هو عطف
على شحومهما واو بمعنى الواو او ما اختلط بعظم هو شحم الالية لاتصالها بالعصعص ذلك
التحريم او الجزاء جزيناهم ببغيهم بسبب ظلمهم وانا لصادقون في الاخبار او الوعد
والوعيد فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة يمهلكم على التكذيب فلا تغتروا بامهاله
فانه لا يهمل ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين حين ينزل او ذو رحمة واسعة للمطيعين وذو
بأس شديد للمجرمين فاقام مقامه ولا يرد بأسه لتضمنه التنبيه على انزال البأس عليهم مع
الدلالة على انه لا ريب به لا يمكن رده عنهم سيقول الذين اشركوا اخبار عن مستقبل ووقوع
مخبره يدل على اعجازه لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء اي لو شاء خلاف
ذلك مشيئة ارتضاء لقوله فلو شاء لهديكم اجمعين لما فعلنا نحن ولا آباؤنا ارادوا به ان
انهم على الحق المشروع المرضي عند الله لا الاعتذار عن ارتكاب هذه القبائح بارادة الله
اياها منهم حتى ينهض ذمهم به دليلا للمعتزلة ويؤيد ذلك قوله كذلك كذب الذين من
قبلهم اي مثل هذا التكذيب لك في ان الله منع من الشرك ولم يحرم ما حرموه كذب من قبلهم الرسل
وعطف آباؤنا على الضمير في اشركنا من غير تأكيد للفصل بلا حتى ذاقوا بأسنا الذي انزلنا
عليهم بتكذيبهم قل هل عندكم من علم من امر معلوم يصح الاحتجاج به على ما زعمتم فتخرجوه
لنا فتظهروه لنا ان تتبعون الا الظن ما تتبعون في ذلك الا الظن وان انتم الا تخرصون
تكذبون على الله وفيه دليل على المنع من اتباع الظن سيما في الاصول ولعل ذلك حيث يعارضه

قاطع اذ لا آية فيه قل فلله الحجة البالغة البينة الواضحة التي بلغت غاية المتانة والقوة
على الاثبات او بلغ بها صاحبها صحة دعواه وهي من الحج بمعنى القصد كأنها تقصد اثبات الحكم
وتطلبه فلو شاء لهديكم اجمعين بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن شاء هداية قوم وضلال
آخرين قل هلم شهداءكم احضروهم وهو اسم فعل لا يتصرف عند اهل الحجاز وفعل يؤنث
ويجمع عند بني تميم واصله عند البصريين ها لم من لم اذا قصد حذفت الالف لتقدير السكون
في اللام فانه الاصل وعند الكوفيين هل ام فحذفت الهمزة بالقاء حركتها على اللام وهو
بعيد لان هل لا يدخل الامر ويكون متعديا كما في الآية ولازما كقوله هلم الينا الذين
يشهدون ان الله حرم هذا يعني قدوتهم فيه استحضرهم ليلزمهم الحجة ويظهر بانقطاعهم ضلالتهم
وانه لا متمسك لهم كمن يقلدهم ولذلك قيد الشهداء بالاضافة ووصفهم بما يقتضي العهد بهم فان
شهدوا فلا تشهد معهم فلا تصدقهم فيه وبين لهم فساده فان تسليمه موافقة لهم في الشهادة
الباطلة ولا تتبع اهواء الذين كذبوا بآياتنا من وضع المظهر موضع المضمر للدلالة
على ان مكذب الآيات متبع الهوى لا غير وان متبع الحجة لا يكون الا مصدقا بها والذين
لا يؤمنون بالآخرة كعبدة الاوثان وهم بربهم يعدلون يجعلون له عديلا قل تعالوا
امر من التعالي واصله ان يقوله من كان في علو لمن كان في سفل فاتسع فيه للتعميم اتل اقرأ ما حرم
ربكم منصوب باتل وما تحتمل الخبرية والمصدرية ويجوز ان تكون استفهامية منصوبة بحرم
والجملة مفعول اتل لانه بمعنى اقل اي شيء حرم ربكم عليكم متعلق بحرم او اتل ان لا تشركوا به
اي لا تشركوا ليصح عطف الامر عليه ولا يمنعه تعليق الفعل المفسر بما حرم فان التحريم باعتبار
الاوامر يرجع الى اضدادها ومن جعل ان ناصبة فمحلها النصب بعليكم على انه للاغراء او البدل
من ما او من عائده المحذوف على ان لا زائدة او الجر بتقدير اللام او الرفع على تقدير المتلو
ان لا تشركوا او المحرم ان تشركوا شيئا يحتمل المصدر والمفعول وبالوالدين احسانا اي واحسنوا
بهما احسانا ووضعه موضع النهي عن الاساءة اليهما للمبالغة وللدلالة على ان ترك الاساءة
في شانهما غير كاف بخلاف غيرهما ولا تقتلوا اولادكم من املاق من اجل فقر ومن خشيته لقوله
خشية املاق نحن نرزقكم واياهم منع لموجبية ما كانوا يفعلون لاجله واحتجاج عليه

ولا تقربوا الفواحش كبائر الذنوب او الزنا ما ظهر منها وما بطن بدل منه وهو مثل قوله
ظاهر الاثم وباطنه ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق كالقود وقتل المرتد ورجم
المحصن ذلكم اشارة الى ما ذكر مفصلا وصيكم به بحفظه لعلكم تعقلون ترشدون فان العقل
هو الرشد ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن الا بالفعلة التي هي احسن ما يفعل بماله
كحفظه وتثميره حتى يبلغ اشده حتى يصير بالغا وهو جمع شدة كنعمة وانعم او شد كصر
واصر وقيل مفرد كآنك واوفوا الكيل والميزان بالقسط بالعدل والتسوية لا نكلف نفسا
الا وسعها الا ما يسعها ولا يعسر عليها وذكره عقيب الامر معناه ان ايفاء الحق عسر فعليكم
بما في وسعكم وما وراءه معفو عنكم واذا قلتم في حكومة ونحوها فاعدلوا فيه ولو كان
ذا قربى ولو كان المقول له او عليه من ذوي قرابتكم وبعهد الله اوفوا يعني ما عهد اليكم
من ملازمة العدل وتادية احكام الشرع ذلكم وصيكم به لعلكم تذكرون تتعظون به
وقرا حمزة والكسائي وحفص تذكرون بتخفيف الذال حيث وقع اذا كان بالتاء
والباقون بتشديدها وان هذا صراطي مستقيما الاشارة فيه الى ما ذكر في السورة فانها
باسرها في اثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة وقرا حمزة والكسائي ان بالكسر
على الاستيناف وابن عامر ويعقوب بالفتح والتخفيف والباقون به مشددا بتقدير اللام
على انه علة لقوله فاتبعوه وقرا ابن عامر صراطي بفتح الياء وقرئ وهذا صراطي
وهذا صراط ربكم وهذا صراط ربك ولا تتبعوا السبل الاديان المختلفة او الطرق
التابعة للهوى فان مقتضى الحجة واحد ومقتضى الهوى متعدد لاختلاف الطبائع والعادات
فتفرق بكم فتفرقكم وتزيلكم عن سبيله الذي هو اتباع الوحي واقتفاء البرهان ذلكم
الاتباع وصيكم به لعلكم تتقون الضلال والتفرق عن الحق ثم آتينا موسى الكتاب عطف على
وصيكم وثم للتراخي في الاخبار او التفاوت في الرتبة كانه قيل ذلكم وصيكم به قديما
وحديثا ثم اعظم من ذلك انا آتينا موسى الكتاب تماما للكرامة والنعمة على الذي احسن
على من احسن القيام به ويؤيده ان قرئ على الذين احسنوا او على الذي احسن تبليغه وهو
موسى او تماما على ما احسنه اي اجاده من العلم والشرائع اي زيادة على علمه اتماما له

وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف اي على الذي هو احسن او على الوجه الذي هو احسن
ما يكون عليه الكتب وتفصيلا لكل شيء وبيانا مفصلا لكل ما يحتاج اليه في الدين وهو
عطف على تماما ونصبهما يحتمل العلة والحال والمصدر وهدى ورحمة لعلهم لعل بني اسرائيل
بلقاء ربهم يؤمنون اي بلقائه للجزاء وهذا كتاب يعني القرآن انزلناه مبارك كثير النفع
فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون بواسطة اتباعه وهو العمل بما فيه ان تقولوا كراهة ان تقولوا
علة لانزلناه انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا اليهود والنصارى ولعل الاختصاص
في انما لان الباقي المشهور حينئذ من الكتب السماوية لم يكن غير كتبهم وان كنا ان هي المخففة
فلذلك دخلت اللام الفارقة في خبر كان اي وانه كنا عن دراستهم قراءتهم لغافلين
لا ندري ما هي او لا نعرف مثلها او تقولوا عطف على الاول لو انا انزل علينا الكتاب لكنا
اهدى منهم لحدة اذهاننا وثقابة افهامنا ولذلك تلقفنا فنونا من العلم كالقصص
والاشعار والخطب على انا اميون فقد جاءكم بينة من ربكم حجة واضحة تعرفونها وهدى
ورحمة لمن تامل فيه وعمل به فمن اظلم ممن كذب بآيات الله بعد ان عرف صحتها او تمكن من معرفتها
وصدف اعرض او صد عنها فضل واضل سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب شدته
بما كانوا يصدفون باعراضهم وصدهم هل ينظرون اي ما ينتظرون يعني اهل مكة وهم ما كانوا
منتظرين لذلك ولكن لما كان يلحقهم لحوق المنتظر شبهوا بالمنتظرين الا ان تاتيهم الملائكة ملائكة
الموت والعذاب وقرا حمزة والكسائي بالياء هنا وفي النحل او ياتي ربك اي امره بالعذاب
او كل آياته يعني آيات القيمة والهلاك الكلي لقوله او ياتي بعض آيات ربك يعني اشراط
الساعة وعن حذيفة والبراء بن عازب كنا نتذاكر الساعة اذ اشرف علينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ما تذاكرون قلنا نتذاكر الساعة قال انها لا تقوم حتى تروا قبلها
عشر آيات الدخان ودابة الارض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة
العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها وياجوج وماجوج ونزول عيسى ونارا
تخرج من عدن يوم ياتي بعض آيات ربك لا ينفع ايمانها كالمحتضر اذا صار الامر عيانا
والايمان برهاني وقرئ تنفع بالتاء لاضافة الايمان الى ضمير المؤنث لم تكن آمنت من قبل

صفة نفسا او كسبت فى ايمانها خيرا عطف على آمنت والمعنى انه لا ينفع الايمان حينئذ نفسا
غير مقدمة ايمانها او مقدمة ايمانها غير كاسبة فى ايمانها خيرا وهو دليل لمن لم يعتبر الايمان
المجرد عن العمل وللمعتبر تخصيص هذا الحكم بذلك اليوم وحمل الترديد على اشتراط النفع باحد الامرين
على معنى لا ينفع نفسا خلت عنهما ايمانها والعطف على لم تكن بمعنى لا ينفع نفسا ايمانها الذى
احدثته حينئذ وان كسبت فيه خيرا قل انتظروا انا منتظرون وعيد لهم اى انتظروا اتيان احد
الثلثة فانا منتظرون له وحينئذ لنا الفوز وعليكم الويل ان الذين فرقوا دينهم بددوه
فآمنوا ببعض وكفروا ببعض وافترقوا فيه قال عم افترقت اليهود على احدى وسبعين
فرقة كلهم فى الهاوية الا واحدة وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة كلهم
فى الهاوية الا واحدة وتفترق امتى على ثلث وسبعين فرقة كلها فى الهاوية الا واحدة
وقرأ حمزة والكسائى هنا وفى الروم فارقوا اى باينوا وكانوا شيعا فرقا تشيع
كل فرقة اماما لست منهم فى شيء اى من السؤال عنهم وعن تفرقهم او من عقابهم او انت
برئ منهم وقيل هو نهى عن التعرض لهم وهو منسوخ باية السيف انما امرهم الى الله يتولى جزاءهم
ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون بالعقاب من جاء بالحسنة فله عشر امثالها اى عشر حسنات امثالها
فضلا من الله وقرأ يعقوب عشر بالتنوين امثالها بالرفع على الوصف وهذا اقل ما وعد
من الاضعاف وقد جاء الوعد بسبعين وبسبعمائة وبغير حساب ولذلك قيل المراد بالعشر
الكثرة دون العدد ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها قضية للعدل وهم لا يظلمون بنقص
الثواب وزيادة العقاب قل اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم بالوحى والارشاد
الى ما نصب من الحجج دينا بدل من محل الى صراط اذ المعنى وهدانى صراطا لقوله ويهديكم
صراطا مستقيما او مفعول فعل مضمر دل عليه الملفوظ قيما فيعل من قام كسيد من ساد وهو ابلغ
من المستقيم باعتبار الزنة والمستقيم باعتبار الصيغة وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى
قيما على انه مصدر نعت به وكان قياسه قوما كعوض فاعل لاعلال فعله كالقيام
ملة ابرهيم عطف بيان لدينا حنيفا حال من ابرهيم وما كان من المشركين عطف عليه
قل ان صلوتى ونسكى عبادتى كلها او قربانى او حجى ومحياى ومماتى وما انا عليه فى حياتى

وامور عليه من الايمان والطاعة او طاعات الحيوة والخيرات المضافة الى الممات كالوصية
والتدبير او الحيوة والممات انفسهما وقرأ نافع محياى باسكان الياء اجراء للوصل
مجرى الوقف لله رب العلمين لا شريك له خالصة له لا اشرك فيها غيره وبذلك القول
او الاخلاص امرت وانا اول المسلمين لان اسلام كل نبى متقدم على اسلام امته قل اغير
الله ابغى ربا فاشركه فى عبادتى وهو جواب عن دعائهم له الى عبادة آلهتهم وهو رب
كل شيء حال فى موقع العلة للانكار والدليل له اى وكل ما سواه مربوب مثلى لا يصلح للربوبية
ولا تكسب كل نفس الا عليها فلا ينفعنى فى ابتغاء رب غيره ما انتم عليه من ذلك ولا تزر
وازرة وزر اخرى جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ثم الى ربكم مرجعكم
يوم القيمة فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون بتبيين الرشد من الغى وتمييز المحق من المبطل وهو
الذى جعلكم خلائف الارض يخلف بعضكم بعضا او خلفاء الله فى ارضه يتصرفون فيها على ان
الخطاب عام او خلفاء الامم السالفة على ان الخطاب للمؤمنين ورفع بعضكم فوق بعض
درجات فى الشرف والغنى ليبلوكم فيما آتيكم من الجاه والمال ان ربك سريع العقاب لان
ما آت قريب او لانه يسرع اذا اراده وانه لغفور رحيم وصف العقاب ولم يضفه
الى نفسه ووصف ذاته بالمغفرة وضم اليه الوصف بالرحمة واتى ببناء المبالغة واللام
المؤكدة تنبيها على انه تعالى غفور بالذات معاقب بالعرض كثير الرحمة مبالغ فيها قليل العقوبة
مسامح فيها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت على سورة الانعام جملة واحدة
يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأ الانعام صلى عليه واستغفر له
اولئك السبعون الف ملك بعدد كل آية من سورة الانعام يوما وليلة والله اعلم

سورة الاعراف مائتان وست آيات مكية

الا ثمان آيات من قوله فاسألهم الى قوله واذ نتقنا محكم كلها الا قوله واعرض
عن الجاهلين وآيها مائتان وخمس بسم الله الرحمن الرحيم المص سبق الكلام فى مثله
كتاب خبر محذوف اى هو كتاب او خبر المص والمراد به السورة او القرآن انزل اليك صفته

فلا يكن في صدرك حرج منه شك فان الشاك حرج الصدر او ضيق القلب من تبليغه
مخافة ان يكذبوك فيه او يقصر في القيام بحقه وتوجيه النهي اليه للمبالغة كقولهم لا ارينك
ههنا والفاء يحتمل العطف والجواب فكانه قيل اذا انزل اليك لتنذر فلا يحرج صدرك
لتنذر به متعلق بانزل او بلا يكن لانه اذا ايقن انه من عند الله جسر على الانذار وكذا
اذا لم يخفهم او علم انه موفق للقيام بتبليغه وذكرى للمؤمنين يحتمل النصب باضمار فعلها
اي لتنذر وتذكر ذكرى فانها بمعنى التذكير والجر عطفا على محل لان تنذر والرفع عطف
على كتاب او خبر لمحذوف اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم يعم القران والسنة لقوله وما
ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ولا تتبعوا من دونه اولياء يضلونكم من الجن والانس
وقيل الضمير في من دونه لما انزل اي ولا تتبعوا من دون دين الله دين اولياء وقرئ
ولا تبتغوا قليلا ما تذكرون اي تذكرا قليلا او زمانا قليلا تذكرون حيث تتركون
دين الله وتتبعون غيره وما مزيدة لتاكيد القلة وان جعلت مصدرية لم ينتصب قليلا
بتذكرون وقرا حمزة والكسائي وحفص عن عاصم تذكرون بحذف التاء وابن عامر
يتذكرون على ان الخطاب بعد مع النبي وكم من قرية وكثيرا من القرى اهلكناها اردنا اهلاكها
او اهلكنا اهلها فجاءها فجاء اهلها باسنا عذابنا بياتا بائتين كقوم لوط مصدر وقع موقع
الحال او هم قائلون عطف عليه اي قائلين نصف النهار كقوم شعيب وانما حذفت واو الحال
استثقالا لاجتماع حرفي عطف فانها واو عطف استعيرت للوصل لا اكتفاء بالضمير
فانه غير فصيح وفي التعبير بهما مبالغة في غفلتهم وامنهم عن العقاب ولذلك خص الوقتين
ولانهما وقت دعة واستراحة فيكون مجيء العذاب فيهما افظع فما كان دعويهم اي دعاءهم
اي استغاثتهم او ما كانوا يدعونه من دينهم اذ جاءهم باسنا الا ان قالوا انا كنا
ظالمين الا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه وبطلانه تحسرا عليه فلنسئلن الذين ارسل
اليهم عن قبول الرسالة واجابتهم الرسل ولنسئلن المرسلين عما اجيبوا به والمراد من هذا
السؤال توبيخ الكفرة وتقريعهم والمنفي في قوله ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون سؤال
الاستعلام او الاول في موقف الحساب وهذا عند حصولهم على العقوبة فلنقصن

عليهم على الرسل حين يقولون لا علم لنا انك انت علام الغيوب او على الرسل والمرسل اليهم ما
كانوا عليه بعلم عالمين بظواهرهم وبواطنهم او بعلومنا منهم وما كنا غائبين عنهم فيخفى
علينا شيء من احوالهم والوزن اي القضاء او وزن الاعمال وهو مقابلتها بالجزاء والجمهور
على ان صحائف الاعمال توزن بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق اظهارا للمعدلة
وقطعا للمعذرة كما يسألهم عن اعمالهم فيعترفون بها السنتهم ويشهد بها جوارحهم ويؤيده
ما روي ان الرجل يؤتى به الى الميزان فينشر عليه تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر
فيخرج له بطاقة فيها كلمتا الشهادة فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت
السجلات وثقلت البطاقة وقيل يوزن الاشخاص لما روي عنه عليه الصلوة والسلام
انه قال ليأتي العظيم السمين يوم القيمة لا يزن عند الله جناح بعوضة يومئذ خبر المبتدا
الذي هو الوزن الحق صفته او خبر محذوف ومعناه العدل السوي فمن ثقلت موازينه
حسناته وما يوزن به حسناته وجمعه باعتبار اختلاف الموزونات وتعدد الوزن
فهو جمع موزون او ميزان فاولئك هم المفلحون الفائزون بالنجاة والثواب ومن خفت
موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم بتضييع الفطرة السليمة التي فطرت عليها واقتراف
ما عرضها للعذاب بما كانوا باياتنا يظلمون فيكذبون بدل التصديق ولقد مكناكم
في الارض اي مكناكم من سكناها وزرعها والتصرف فيها وجعلنا لكم فيها معايش اسبابا
تعيشون بها جمع معيشة وعن نافع انه همزه تشبيها بما الياء فيه زائدة كصحائف
قليلا ما تشكرون فيما صنعت اليكم ولقد خلقناكم ثم صورناكم اي خلقنا اباكم ادم
طينا غير مصور ثم صورناه نزل خلقه وتصويره منزلة خلق الكل وتصويره او ابتدانا
خلقكم ثم تصويركم بان خلقنا ادم ثم صورناه ثم قلنا للملائكة اسجدوا لادم
وقيل ثم لتاخير الاخبار فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين ممن سجد لادم
قال ما منعك الا تسجد اي ان تسجد ولا صلة مثلها في لئلا يعلم مؤكدة معنى الفعل
الذي دخلت عليه ومنبهة على ان الموبخ عليه ترك السجود وقيل الممنوع عن الشيء
مضطر الى خلافه فكانه قيل ما اضطرك الى ان لا تسجد اذ امرتك دليل على ان مطلق الامر

للوجوب والفور قال انا خير منه جواب من حيث المعنى استأنف به استبعادا لان يكون
مثله مأمورا بالسجود لمثله كأنه قال المانع انى خير منه ولا يحسن للفاضل ان يسجد للمفضول
فكيف يحسن ان يؤمر به فهو الذى سن التكبر وقال بالحسن والقبح العقليين اولا خلقتنى
من نار وخلقته من طين تعليل لفضله عليه وقد غلط فى ذلك بان راى الفضل كله باعتبار
العنصر وغفل عما يكون باعتبار الفاعل كما اشار اليه بقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت
بيدى اى بغير واسطة وباعتبار الصورة كما نبه عليه بقوله ونفخت فيه من روحى
فقعوا له ساجدين وباعتبار الغاية وهو ملاك الامر ولذلك امر الملائكة بسجوده لما
بين لهم انه اعلم منهم وان له خواص ليست لغيره والاية دليل الكون والفساد وان الشياطين
اجسام كائنة ولعل اضافة خلق الانسان الى الطين والشيطان الى النار باعتبار الجزء
الغالب قال فاهبط منها من السماء او من الجنة فانها مكان الخاشع المطيع وفيه تنبيه
على ان التكبر لا يليق باهل الجنة وانه تعالى انما طرده واهبطه لتكبره لا لمجرد عصيانه
فما يكون لك فما يصح ان تتكبر فيها وتعصى قال ع م من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر
وضعه الله فاخرج انك من الصاغرين ممن اهانه الله لتكبره قال انظرنى الى يوم يبعثون
امهلنى الى يوم القيمة فلا تمتنى ولا تعجل عقوبتى قال انك من المنظرين يقتضى الاجابة
الى ما سأله ظاهرا لكنه محمول على ما جاء مقيدا بقوله الى يوم الوقت المعلوم وهو
النفخة الاولى او وقت يعلم الله تعالى انتهاء اجله فيه وفى اسعافه اليه ابتلاء العباد
وتعريضهم للثواب بمخالفته قال فبما اغويتنى اى بعد ان امهلتنى لاجتهدن فى اغوائهم
باى طريق يمكننى بسبب اغوائك اياى بواسطتهم تسمية او حملا على الغى او تكليفا
بما غويت لاجله والباء متعلقة بفعل القسم المحذوف لا باقعدن فان اللام يصد عنه
وقيل الباء للقسم لاقعدن لهم ترصدا بهم كما تقعد القطاع للسابلة صراطك المستقيم
طريق الاسلام ونصبه على الظرف كقوله كما عسل الطريق الثعلب وقيل تقديره على صراطك
كقولهم ضرب زيد الظهر والبطن ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم و
عن شمائلهم اى من جميع الجهات الاربع مثل قصده اياهم بالتسويل والاضلال من اى

وجه يمكنه باتيان العدو من الجهات الاربع ولذلك لم يقل من فوقهم ومن تحت
ارجلهم وقيل لم يقل من فوقهم لان الرحمة تنزل منه ولم يقل من تحتهم لان الاتيان منه يوحش
وعن ابن عباس رض من بين ايديهم من قبل الاخرة ومن خلفهم من قبل الدنيا وعن ايمانهم
وعن شمائلهم من جهة حسناتهم وسيئاتهم ويحتمل ان يقال من بين ايديهم من حيث
يعلمون ويقدرون التحرز عنه ومن خلفهم من حيث لا يعلمون ولا يقدرون وعن ايمانهم
وعن شمائلهم حيث يتيسر لهم ان يعلموا او يتحرزوا ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم
واحتياطهم وانما عدى الفعل الى الاولين بحرف الابتداء لانه منهما متوجه اليهم والى
الاخرين بحرف المجاوزة فان الاتى منهما كالمنحرف عنهم المار على عرضهم ونظيره قولهم
جلست عن يمينه ولا تجد اكثرهم شاكرين مطيعين وانما قاله ظنا لقوله ولقد صدق
ابليس ظنه لما راى فيهم مبدأ الشر متعددا ومبدأ الخير واحدا وقيل سمعه من الملائكة
قال اخرج منها مذءوما مذموما من ذأمه اذا ذمه وقرئ مذوما كمسول
فى مسئول وكمكول فى مكيل من ذامه يذيمه ذيما مدحورا مطرودا لمن تبعك منهم اللام فيه
لتوطئة القسم وجوابه لاملان جهنم منكم اجمعين وهو ساد مسد جواب الشرط وقرئ لمن
بكسر اللام على انه خبر لاملان على معنى لمن تبعك هذا الوعيد او علة لاخرج ولاملان
جواب قسم محذوف ومعنى منكم منك ومنهم فغلب المخاطب ويا ادم اى وقلنا يا ادم
اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة وقرئ هذى وهو
الاصل لتصغيره على ذيا والهاء بدل عن الياء فتكونا من الظالمين فتصيرا من الذين ظلموا
انفسهم وتكونا يحتمل الجزم على العطف والنصب على الجواب فوسوس لهما الشيطان
اى فعل الوسوسة لاجلهما وهى فى الاصل الصوت الخفى كالهينمة والخشخشة ومنه
وسوس الحلى وقد سبق فى البقرة كيفية وسوسته ليبدى لهما ليظهر لهما واللام للعاقبة
او للغرض على انه اراد ايضا بوسوسته ان يسوءهما بانكشاف عورتهما ولذلك عبر عنها
بالسوءة وفيه دليل على ان كشف العورة فى الخلوة وعند الزوج من غير حاجة قبيح
مستهجن فى الطباع ما ورى عنهما من سوآتهما ما غطى عنهما من عوراتهما وكانا لا يريانها

من انفسهما ولا احدهما من الاخر وانما لم تقلب الواو المضمومة همزة في المشهور كما قلب في
اويصل في تصغير واصل لان الثانية مدة وقرئ سوءاتهما بحذف الهمزة والقاء حركتها
على الواو وبقلبها واوا وادغام الواو الساكنة فيها وقال ما نهيكما ربكما عن هذه الشجرة الا
ان تكونا الا كراهة ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين الذين لا يموتون او يخلدون في الجنة
واستدل به على فضل الملائكة على الانبياء وجوابه انه كان من المعلوم ان الحقائق لا تنقلب
وانما كانت رغبتهما في ان يحصل لهما ايضا ما للملائكة من الكمالات الفطرية والاستغناء
عن الاطعمة والاشربة وذلك لا يدل على فضلهم مطلقا وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين
اي اقسم لهما على ذلك واخرجه على زنة المفاعلة للمبالغة وقيل اقسما له بالقبول وقيل اقسما
عليه بالله انه لمن الناصحين فاقسم لهما فجعل ذلك مقاسمة فدليهما فنزلهما الى الاكل من الشجرة
نبه به على انه اهبطهما بذلك من درجة عالية الى رتبة سافلة فان التدلية والادلاء ارسال الشيء
من اعلى الى اسفل بغرور بما غرهما به من القسم فانهما ظنا ان احدا لا يحلف بالله كاذبا او
ملتبسين بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما اي فلما وجدا طعمها اخذين في الاكل
منها اخذتهما العقوبة وشوم المعصية فتهافت عنهما لباسهما فظهرت لهما عوراتهما واختلف في ان
الشجرة كانت السنبلة او الكرم او غيرهما وان اللباس كان نورا او حلة او ظفرا وطفقا
يخصفان اخذا يرقعان ويلزقان ورقة فوق ورقة عليهما من ورق الجنة قيل كان
ورق التين وقرئ يخصفان من اخصف اي يخصفان انفسهما ويخصفان من خصف ويخصفان
واصله يختصفان وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان
لكما عدو مبين عتاب على مخالفة النهي وتوبيخ على الاغترار بقول العدو وفيه دليل على ان
مطلق النهي للتحريم قالا ربنا ظلمنا انفسنا اضررناها بالمعصية والتعريض للاخراج عن
الجنة وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين دليل على ان الصغائر معاقب عليها
ان لم تغفر وقالت المعتزلة لا يجوز المعاقبة عليها مع اجتناب الكبائر ولذلك قالوا انما
قالا ذلك على عادة المقربين في استعظام الصغير من السيئات واستحقار العظيم من الحسنات
قال اهبطوا الخطاب لادم وحوا وذريتهما او لهما ولابليس كرر الامر له تبعا ليعلم

ان تكونا

انهم قرناء ابدا او اخبر عما قال لهما مفرقا بعضكم لبعض عدو في موضع الحال اي متعادين
ولكم في الارض مستقر استقرار او موضع استقرار ومتاع وتمتع الى حين الى تقضي اجالكم
قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون للجزاء وقرا حمزة والكسائي وابن ذكوان
ومنها تخرجون وفي الزخرف وكذلك تخرجون بفتح التاء وضم الراء يا بني ادم قد انزلنا
عليكم لباسا اي خلقناه لكم بتدبيرات سماوية واسباب نازلة ونظيره وانزل لكم من
الانعام وقوله وانزلنا الحديد يواري سوءاتكم التي قصد الشيطان ابداءها ويغنيكم
عن خصف الورق روي ان العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ويقولون لا نطوف
في ثياب عصينا الله فيها فنزلت ولعله ذكر قصة ادم تقدمة لذلك حتى يعلم ان انكشاف
العورة اول سوء اصاب الانسان من الشيطان وانه اغواهم في ذلك كما اغوى ابويهم
وريشا ولباسا يتجملون به والريش الجمال وقيل مالا ومنه تريش الرجل اذا تمول
وقرئ رياشا وهو جمع ريش كشعب وشعاب ولباس التقوى اي خشية الله وقيل
الايمان وقيل السمت الحسن وقيل لباس الحرب ورفعه بالابتداء وخبره ذلك خير او خير
وذلك صفته كانه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير وقرا نافع وابن عامر والكسائي
ولباس بالنصب عطفا على لباسا ذلك اي انزال اللباس من ايات الله الدالة على فضله
ورحمته لعلهم يذكرون فيعرفون نعمته او يتعظون فيتورعون عن القبائح يا بني ادم
لا يفتننكم الشيطان لا يمحننكم بان يمنعكم دخول الجنة باغوائكم كما اخرج ابويكم
من الجنة كما محن ابويكم بان اخرجهما منها والنهي في اللفظ للشيطان والمعنى نهيهم عن اتباعه
والافتتان به ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما حال من ابويكم او من فاعل اخرج
واسناد النزع اليه للتسبب انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم تعليل للنهي
وتاكيد للتحذير من فتنته وقبيله جنوده ورؤيتهم ايانا من حيث لا نراهم في الجملة لا تقتضي
امتناع رؤيتهم وتمثلهم لنا انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون بما اوجدنا
بينهم من التناسب او بارسالهم عليهم وتمكينهم من خذلانهم وحملهم على ما سولوا لهم والاية
مقصود القصة وفذلكة الحكاية واذا فعلوا فاحشة فعلة متناهية في القبح كعبادة

الصنم وكشف العورة في الطواف قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها اعتذروا
واحتجوا بامرين تقليد الاباء والافتراء على الله فاعرض عن الاول لظهور فساده ورد
الثاني بقوله قل ان الله لا يأمر بالفحشاء لان عادته تعالى جرت على محاسن الافعال والحث
على مكارم الخصال ولا دلالة فيه على ان قبح الفعل بمعنى ترتب الذم عليه آجلا عقلي
فان المراد بالفاحشة ما ينفر عنه الطبع السليم ويستنقصه العقل المستقيم وقيل هما
جوابا سؤالين مترتبين كانه قيل لهم لما فعلوها لم فعلتم فقالوا وجدنا عليها آباءنا فقيل
ومن اين اخذ اباؤكم فقالوا الله امرنا بها وعلى الوجهين يمنع التقليد اذا قام الدليل
على خلافه لا مطلقا اتقولون على الله ما لا تعلمون انكار يتضمن النهي عن الافتراء على الله
قل امر ربي بالقسط بالعدل وهو الوسط من كل امر المتجافي عن طرفي الافراط والتفريط
واقيموا وجوهكم وتوجهوا الى عبادته مستقيمين غير عادلين الى غيرها او اقيموها نحو القبلة
عند كل مسجد في كل وقت سجود او مكانه وهو الصلوة او في اي مسجد حضرتكم الصلوة
ولا تؤخروها حتى تعودوا الى مساجدكم وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين اي الطاعة
فان اليه مصيركم كما بدأكم كما انشأكم ابتداء تعودون باعادته فيجازيكم على اعمالكم
وانما شبه الاعادة بالابداء تقريرا لامكانها والقدرة عليها وقيل كما بدأكم من التراب
تعودون اليه وقيل كما بدأكم حفاة عراة غرلا تعودون وقيل كما بدأكم مؤمنا وكافرا
يعيدكم فريقا هدى بان وفقهم للايمان وفريقا حق عليهم الضلالة بمقتضى القضاء السابق
وانتصابه بفعل يفسره ما بعده اي وخذل فريقا انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون
الله تعليل لخذلانهم او تحقيق لضلالتهم ويحسبون انهم مهتدون يدل على ان الكافر
المخطئ والمعاند سواء في استحقاق الذم وللفارق ان يحمله على المقصر في النظر يا بني
آدم خذوا زينتكم ثيابكم لمواراة عورتكم عند كل مسجد لطواف او صلوة ومن
السنة ان يأخذ الرجل احسن هيئته للصلوة وفيه دليل على وجوب ستر العورة في الصلوة
وكلوا واشربوا ما طاب لكم روي ان بني عامر في ايام حجهم كانوا لا يأكلون الطعام
الا قوتا ولا يأكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فهم المسلمون به فنزلت ولا تسرفوا

المراد بهم مؤمنوا اهل الكتاب وقرأ ابن عامر وحفص عن عاصم منزل بالتشديد فلا تكونن
من الممترين في انهم يعلمون ذلك او في انه منزل لجحود اكثرهم وكفرهم به فيكون من باب
التهييج كقوله ولا تكونن من المشركين او خطاب الرسول خطاب لامته وقيل الخطاب لكل احد
على معنى ان الادلة لما تعاضدت على صحته فلا ينبغي لاحد ان يمتري فيه وتمت كلمة ربك
بلغت الغاية اخباره واحكامه ومواعيده صدقا في الاخبار والمواعيد وعدلا في الاقضية
والاحكام ونصبهما يحتمل التمييز والحال والمفعول له لا مبدل لكلماته لا احد يبدل شيئا
منها بما هو اصدق واعدل او لا احد يقدر ان يحرفها شائعا ذائعا كما فعل في التوراة
على ان المراد بها القرآن فيكون ضمانا لها من الله بالحفظ كقوله وانا له لحافظون او لا نبي
ولا كتاب بعدها ينسخها ويبدل احكامها وقرأ الكوفيون ويعقوب كلمة ربك اي ما تكلم
به او القرآن وهو السميع لما يقولون العليم بما يضمرون فلا يهملهم وان تطع اكثر من في
الارض اي اكثر الناس يريد الكفار او الجهال او اتباع الهوى وقيل الارض مكة يضلوك
عن سبيل الله عن الطريق الموصل اليه فان الضال في غالب الامر لا يأمر الا بما فيه الضلال
ان يتبعون الا الظن وهو ظنهم ان اباءهم كانوا على الحق او جهالاتهم وآراءهم الفاسدة
فان الظن يطلق على ما يقابل العلم وان هم الا يخرصون يكذبون على الله فيما ينسبون اليه
كاتخاذ الولد وجعل عبادة الاوثان وصلة اليه وتحليل الميتة وتحريم البحائر او يقدرون
انهم على شيء وحقيقته ما يقال عن ظن وتخمين ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين
اي اعلم بالفريقين ومن موصولة او موصوفة في محل النصب بفعل دل عليه اعلم لا به فان افعل
لا ينصب الظاهر في مثل ذلك او استفهامية مرفوعة بالابتداء والخبر يضل والجملة معلق عنها
الفعل المقدر وقرئ من يضل اي يضله الله فيكون من منصوبة بالفعل المقدر او مجرورة باضافة
اعلم اليه اي اعلم المضلين من قوله من يضلل الله او من اضللته اذا وجدته ضالا والتفضيل
في العلم بكثرته واحاطته بالوجوه التي يمكن تعلق العلم بها ولزومه وكونه بالذات لا بالغير
فكلوا مما ذكر اسم الله عليه مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين يحرمون الحلال ويحللون
الحرام والمعنى كلوا مما ذكر اسم الله على ذبحه لا مما ذكر عليه اسم غيره او مات حتف انفه

ان كنتم بآياته مؤمنين فان الايمان بها يقتضي استباحة ما احله الله واجتناب ما حرمه
وما لكم الا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه واي غرض لكم في ان تتحرجوا عن اكله وما يمنعكم عنه وقد
فصل لكم ما حرم عليكم مما لم يحرم بقوله حرمت عليكم الميتة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر
فصل على البناء للمفعول ونافع ويعقوب وحفص حرم على البناء للفاعل الا ما اضطررتم
اليه مما حرم عليكم فانه ايضا حلال حال الضرورة وان كثيرا ليضلون بتحليل الحرام وتحريم
الحلال وقراءة الكوفيين بضم الياء والباقون بالفتح باهوائهم بغير علم بتشهيهم من غير تعلق
بدليل يفيد العلم ان ربك هو اعلم بالمعتدين المتجاوزين الحق الى الباطل والحلال الى الحرام
وذروا ظاهر الاثم وباطنه ما يعلن وما يسر او ما بالجوارح وما بالقلب وقيل الزنا في الحوانيت
واتخاذ الاخدان ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون يكتسبون ولا تأكلوا
مما لم يذكر اسم الله عليه ظاهر في تحريم متروك التسمية عمدا او نسيانا واليه ذهب داود وعن
احمد مثله وقال مالك والشافعي بخلافه لقوله عم ذبيحة المسلم حلال وان لم يذكر اسم الله عليه
وفرق ابو حنيفة بين العمد والنسيان واولوه بالميتة او بما ذكر اسم غير الله عليه لقوله وانه
لفسق فان الفسق ما اهل لغير الله به والضمير لما ويجوز ان يكون للاكل الذي دل عليه لا تأكلوا
وان الشياطين ليوحون ليوسوسون الى اوليائهم من الكفار ليجادلوكم بقولهم تأكلون ما قتلتم
انتم وجوارحكم وتدعون ما قتله الله وهو يؤيد التأويل بالميتة وان اطعتموهم في استحلال
ما حرم انكم لمشركون فان من ترك طاعة الله الى طاعة غيره واتبعه في دينه فقد اشرك
وانما حسن حذف الفاء فيه لان الشرط بلفظ الماضي اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له
نورا يمشي به في الناس مثل به من هداه الله وانقذه من الضلال وجعل له نور الحجج والآيات
يتأمل بها في الاشياء فيميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل وقرأ نافع ويعقوب ميتا على الاصل
كمن مثله صفته وهو مبتدأ خبره في الظلمات وقوله ليس بخارج منها حال من المستكن في الظرف
لا من الهاء في مثله للفصل وهو مثل لمن بقي على الضلالة لا يفارقها بحال كذلك كما زين
للمؤمنين ايمانهم زين للكافرين ما كانوا يعملون والآية في حمزة وابي جهل وقيل في عمر
وابي جهل وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها اي كما جعلنا في مكة

210

بتحريم الحلال او بالتعدي الى الحرام او بافراط الطعام والشره عليه وعن ابن عباس رض
كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطأتك خصلتان سرف ومخيلة وقال علي بن الحسين بن واقد
جمع الله الطب في نصف آية فقال كلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين اي لا يرتضي
فعلهم قل من حرم زينة الله من الثياب وسائر ما يتجمل به التي اخرج لعباده من النبات
كالقطن والكتان والحيوان كالحرير والصوف والمعادن كالدروع والطيبات من الرزق
المستلذات من المآكل والمشارب وفيه دليل على ان الاصل في المطاعم والملابس
وانواع التجملات الاباحة لان الاستفهام في من للانكار قل هي للذين آمنوا في الحيوة
الدنيا بالاصالة والكفرة وان شاركوهم فيها فتبع خالصة يوم القيمة لا يشاركهم
فيها غيرهم وانتصابها على الحال وقرأ نافع بالرفع على انها خبر بعد خبر كذلك نفصل الآيات
لقوم يعلمون اي كتفصيلنا هذا الحكم نفصل سائر الاحكام لهم قل انما حرم ربي الفواحش
ما تزايد قبحه وقيل ما يتعلق بالفروج ما ظهر منها وما بطن جهرها وسرها والاثم وما يوجب
الاثم تعميم بعد تخصيص وقيل شرب الخمر والبغي الظلم او الكبر افرده بالذكر للمبالغة بغير الحق
متعلق بالبغي مؤكد له معنى وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا تهكم بالمشركين وتنبيه
على تحريم اتباع ما لم يدل عليه برهان وان تقولوا على الله ما لا تعلمون بالالحاد في
صفاته والافتراء عليه كقولهم والله امرنا بها ولكل امة اجل مدة او وقت لنزول العذاب
بهم وهو وعيد لاهل مكة فاذا جاء اجلهم انقرضت مدتهم او حان وقتهم لا يستأخرون
ساعة ولا يستقدمون اي لا يتأخرون ولا يتقدمون اقصر وقت او لا يطلبون التأخر
والتقدم لشدة الهول يا بني آدم اما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي شرط ذكر
حرف الشك للتنبيه على ان اتيان الرسل امر جائز غير واجب كما ظنه اهل التعليم وضمت
اليها ما للتأكيد معنى الشرط ولذلك اكد فعلها بالنون وجوابه فمن اتقى واصلح فلا خوف
عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها
خالدون والمعنى فمن اتقى التكذيب واصلح عمله منكم والذين كذبوا بآياتنا منكم
وادخال الفاء في الجزاء الاول دون الثاني للمبالغة في الوعد والمسامحة في الوعيد

فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته فمن تقول على الله ما لم يقله أو كذب
ما قاله أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب مما كتب لهم من الأرزاق والآجال وقيل الكتاب
اللوح أي مما أثبت لهم فيه حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم أي يتوفون أرواحهم
وهو حال من الرسل وحتى غاية نيلهم وهي التي يبتدأ بعدها الكلام قالوا جواب إذا
أينما كنتم تدعون من دون الله أي أين الآلهة التي كنتم تعبدونها وما وصلت بأين في
خط المصحف وحقها الفصل لأنها موصولة قالوا ضلوا عنا غابوا عنا وشهدوا على أنفسهم
أنهم كانوا كافرين اعترفوا بأنهم كانوا ضالين فيما كانوا عليه قال ادخلوا أي قال الله
لهم ادخلوا يوم القيامة في أمم قد خلت من قبلكم أي كائنين في جملة أمم مصاحبين لهم يوم
القيامة من الجن والإنس يعني كفار الأمم الماضية من النوعين في النار متعلق بادخلوا
كلما دخلت أمة أي في النار لعنت أختها التي ضلت بالاقتداء بها حتى إذا اداركوا فيها جميعا
أي تداركوا وتلاحقوا في النار قالت أخراهم دخولا أو منزلة وهم الأتباع لأولاهم
أي لأجل أولاهم إذ الخطاب مع الله لا معهم ربنا هؤلاء أضلونا أي سنوا لنا الضلال
فاقتدينا بهم فآتهم عذابا ضعفا من النار مضاعفا لأنهم ضلوا وأضلوا قال لكل
ضعف أما القادة فبكفرهم وتضليلهم وأما الأتباع فبكفرهم وتقليدهم ولكن
لا تعلمون ما لكم أو ما لكل فريق وقرأ عاصم بالياء على الانفصال وقالت أولاهم لأخراهم
فما كان لكم علينا من فضل عطفوا كلامهم على جواب الله لأخراهم ورتبوا عليه أي
فقد ثبت أن لا فضل لكم علينا وأنا وإياكم متساوون في الضلال واستحقاق العذاب
فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون من قول القادة أو من قول الفريقين إن الذين كذبوا
بآياتنا واستكبروا عنها أي عن الإيمان بها لا تفتح لهم أبواب السماء لأدعيتهم وأعمالهم
أو لأرواحهم كما تفتح لأعمال المؤمنين وأرواحهم لتتصل بالملائكة والتاء في تفتح
لتأنيث الأبواب والتشديد لكثرتها وقرأ أبو عمرو بالتخفيف وحمزة والكسائي
به وبالياء لأن التأنيث غير حقيقي والفعل مقدم وقرئ على البناء للفاعل ونصب
الأبواب بالتاء على أن الفعل للآيات وبالياء على أن الفعل لله ولا يدخلون الجنة حتى يلج

أو أحد من الملائكة

الجمل في سم الخياط أي حتى يدخل ما هو مثل في عظم الجرم وهو البعير فيما هو مثل في ضيق
المسلك وهو ثقبة الإبرة وذلك مما لا يكون فكذا ما توقف عليه وقرئ الجُمَّل كالقُمَّل
والجُمْل كالنُّغْر والجُمُل كالقُفْل والجُمُل كالنُّصُب والجَمْل كالحَبْل وهو الحبل الغليظ من القنب
وقيل حبل السفينة وسم بالضم والكسر وفي سم المخيط وهو والخياط ما يخاط به
كالحزام والمحزم وكذلك ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي المجرمين لهم من جهنم مهاد
فراش ومن فوقهم غواش أغطية والتنوين فيه للبدل عن الإعلال عند سيبويه وللصرف
عند غيره وقرئ غواشٌ على إلغاء المحذوف وكذلك نجزي الظالمين عبر عنهم بالمجرمين
تارة وبالظالمين أخرى إشعارا بأنهم بتكذيبهم الآيات اتصفوا بهذه الأوصاف
الذميمة وذكر الجرم مع الحرمان من الجنة والظلم مع التعذيب بالنار تنبيها على أنه
أعظم الإجرام والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا إلا وسعها أولئك
أصحاب الجنة هم فيها خالدون على عادته سبحانه وتعالى في أن يشفع الوعيد بالوعد
ولا نكلف نفسا إلا وسعها اعتراض بين المبتدأ والخبر للترغيب في اكتساب النعيم
المقيم بما تسعه طاقتهم ويسهل عليهم وقرئ لا تكلف نفس ونزعنا ما في صدورهم من غل
أي نخرج من قلوبهم أسباب الغل أو نطهرها منه حتى لا يكون بينهم إلا التواد وعن علي
رضي الله عنه إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم تجري من تحتهم
الأنهار زيادة في لذتهم وسرورهم وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا لما جزاؤه هذا
وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لولا هداية الله وتوفيقه واللام لتوكيد
النفي وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله وقرأ ابن عامر ما كنا بغير واو على أنها
مبينة للأولى لقد جاءت رسل ربنا بالحق فاهتدينا بإرشادهم يقولون ذلك اغتباطا
وتبجحا بأن ما علموه يقينا في الدنيا صار لهم عين اليقين في الآخرة ونودوا أن تلكم
الجنة إذا رأوها من بعيد أو بعد دخولها والمنادي له بالذات أورثتموها بما كنتم
تعملون أي أعطيتموها بسبب أعمالكم وهو حال من الجنة والعامل فيها معنى الإشارة
أو خبر والجنة صفة تلكم وأن في المواضع الخمسة هي المخففة أو المفسرة لأن المناداة والتأذين

من القول ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا
فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا انما قالوه تبجحا بحالهم وشماتة باصحاب النار وتحسيرا
لهم وانما لم يقل ما وعدكم كما قال ما وعدنا لان ما ساءهم من الموعود لم يكن باسره
مخصوصا وعدهم كالبعث والحساب ونعيم اهل الجنة قالوا نعم وقرأ الكسائي بكسر العين
وهما لغتان فاذن مؤذن بينهم قيل هو صاحب الصور بين الفريقين ان لعنة الله على الظالمين
وقرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي ان لعنة الله بالتشديد والنصب وقرئ
ان بالكسر على ارادة القول او اجراء اذن مجرى قال الذين يصدون عن سبيل الله صفة
للظالمين مقررة او ذم مرفوع او منصوب ويبغونها عوجا زيغا وميلا عما هو عليه
والعوج بالكسر في المعاني والاعيان ما لم يكن منتصبة وبالفتح ما كان في المنتصبة كالحائط
والرمح وهم بالآخرة كافرون وبينهما حجاب اي بين الفريقين كقوله فضرب بينهم بسور او بين
الجنة والنار ليمنع وصول اثر احدهما الى الاخرى وعلى الاعراف وعلى اعراف الحجاب اي اعاليه
وهو السور المضروب بينهما جمع عرف مستعار من عرف الفرس وقيل العرف ما ارتفع من
الشيء فانه يكون بظهوره اعرف من غيره رجال طائفة من الموحدين قصروا في العمل فيحبسون
بين الجنة والنار حتى يقضي الله فيهم ما يشاء وقيل قوم علت درجاتهم كالانبياء او
الشهداء او خيار المؤمنين او علماؤهم او ملائكة يرون في صورة الرجال يعرفون كلا
من اهل الجنة والنار بسيماهم بعلامتهم التي اعلمهم الله تعالى بها كبياض الوجه وسواده فعلا
من سام ابله اذا ارسلها في المرعى معلمة او من وسم على القلب كالجاه من الوجه وانما
يعرفون ذلك بالالهام او تعليم الملائكة ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم اي
اذا نظروا اليهم سلموا عليهم لم يدخلوها وهم يطمعون حال من الواو على الوجه الاول
ومن الاصحاب على الوجوه الباقية واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا
تعوذوا بالله ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين اي في النار ونادى اصحاب الاعراف
رجالا يعرفونهم بسيماهم من رؤساء الكفرة قالوا ما اغنى عنكم جمعكم كثرتكم او جمعكم المال
وما كنتم تستكبرون عن الحق او على الخلق وقرئ تستكثرون من الكثرة اهؤلاء الذين اقسمتم

لا ينالهم الله برحمة من تتمة قولهم للرجال والاشارة الى ضعفاء اهل الجنة الذين كانت الكفرة
يحتقرونهم في الدنيا ويحلفون ان الله لا يدخلهم الجنة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم
تحزنون اي فالتفتوا الى اصحاب الجنة وقالوا لهم ادخلوا وهو اوفق للوجوه الاخيرة او فقيل
لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة بفضل الله بعد ان حبسوا حتى ابصروا الفريقين وعرفوهم
وقالوا لهم ما قالوا وقيل لما عيروا اصحاب النار اقسموا ان اصحاب الاعراف لا يدخلون
الجنة فقال الله او بعض الملائكة اهؤلاء الذين اقسمتم وقرئ ادخلوا ودخلوا على الاستئناف
وتقديره دخلوا الجنة مقولا لهم لا خوف عليكم ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا
علينا من الماء اي صبوه وهو دليل على ان الجنة فوق النار او مما رزقكم الله من سائر الاشربة
ليلايم الافاضة او من الطعام كقوله علفتها تبنا وماء باردا قالوا ان الله حرمهما على الكافرين
منعهما عنهم منع المحرم عن المكلف الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا كتحريم البحيرة والتصدية
حول البيت واللهو صرف الهم بما لا يحسن ان يصرف به واللعب طلب الفرح بما لا يطلب
وغرتهم الحيوة الدنيا فاليوم ننسيهم نفعل بهم فعل الناسين فنتركهم في النار كما نسوا
لقاء يومهم هذا فلم يخطروه ببالهم ولم يستعدوا له وما كانوا باياتنا يجحدون وكما كانوا
منكرين انها من عند الله ولقد جئناهم بكتاب فصلناه بينا معانيه من العقائد والاحكام
والمواعظ مفصلة على علم عالمين بوجه تفصيله حتى جاء حكيما وفيه دليل على انه تعالى
عالم بعلم او مشتملا على علم فيكون حالا من المفعول وقرئ فضلناه اي على سائر الكتب
عالمين بانه حقيق بذلك هدى ورحمة لقوم يؤمنون حال من الهاء هل ينظرون هل
ينتظرون الا تأويله الا ما يؤول اليه امره من تبيين صدقه بظهور ما نطق به من الوعد
والوعيد يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل تركوه ترك الناسي قد جاءت
رسل ربنا بالحق اي قد تبين انهم جاؤا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا
اليوم او نرد او هل نرد الى الدنيا وقرئ بالنصب عطفا على فيشفعوا او لان او
بمعنى الى ان فعلى الاول المسئول احد الامرين وعلى الثاني ان يكون لهم شفعاء اما لاحد
الامرين او لامر واحد وهو الرد فنعمل غير الذي كنا نعمل جواب الاستفهام الثاني وقرئ

يحسن ان

بالرفع اي فنحن نعمل قد خسروا انفسهم بصرف اعمارهم في الكفر وضل عنهم ما كانوا يفترون
بطل عنهم فلم ينفعهم ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام اي في ستة
اوقات كقوله ومن يولهم يومئذ دبره او في مقدار ستة ايام فان المتعارف زمان طلوع
الشمس الى غروبها ولم يكن حينئذ وفي خلق الاشياء مدرجا مع القدرة على ايجادها
دفعة دليل للاختيار واعتبار للنظار وحث على التأني في الامور ثم استوى على العرش
استوى امره او استولى وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش صفة لله تعالى بلا كيف
والمعنى ان له تعالى استواء على العرش على الوجه الذي عناه منزها عن الاستقرار والتمكن
والعرش الجسم المحيط بسائر الاجسام سمي به لارتفاعه او للتشبيه بسرير الملك فان الامور
والتدابير تنزل منه وقيل الملك يغشي الليل النهار يغطيه به ولم يذكر عكسه للعلم به او لان
اللفظ يحتملهما ولذلك قرئ يغشى الليل النهار بنصب الليل ورفع النهار وقرأ حمزة
والكسائي ويعقوب وابو بكر عن عاصم بالتشديد فيه وفي الرعد للدلالة على التكرير
يطلبه حثيثا يعقبه سريعا كالطالب له لا يفصل بينهما شيء والحثيث فعيل من الحث
وهو صفة مصدر محذوف او حال من الفاعل بمعنى حاثا او المفعول بمعنى محثوثا والشمس
والقمر والنجوم مسخرات بامره بقضائه وتصريفه ونصبها بالعطف على السموات ونصب
مسخرات على الحال وقرأ ابن عامر كلها بالرفع على الابتداء والخبر الا له الخلق والا
مر فانه الموجد والمتصرف تبارك الله رب العالمين تعالى بالوحدانية في الالوهية وتعظم
بالتفرد في الربوبية وتحقيق الاية والله اعلم ان الكفرة كانوا متخذين اربابا فبين لهم
ان المستحق للربوبية واحد وهو الله تعالى لانه الذي له الخلق والامر فانه تعالى خلق العالم
على ترتيب قويم وتدبير حكيم فابدع الافلاك ثم زينها بالكواكب كما اشار اليه بقوله
فقضاهن سبع سموات في يومين وعمد الى ايجاد الاجرام السفلية فخلق جسما قابلا للصور
المتبدلة والهيئات المختلفة ثم قسمها بصور نوعية متضادة الاثار والافعال واشار
اليه بقوله وخلق الارض في يومين اي ما في جهة السفل ثم انشأ انواع المواليد
الثلاثة بتركيب موادها اولا وتصويرها ثانيا كما قال بعد قوله وخلق الارض في

يومين

يومين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام اي
مع اليومين الاولين لقوله تعالى في سورة السجدة الله الذي خلق السموات والارض
وما بينهما في ستة ايام ثم لما تم له عالم الملك عمد الى تدبيره كالملك الجالس على عرشه
لتدبير المملكة فدبر الامر من السماء الى الارض بتحريك الافلاك وتسيير الكواكب
وتكوير الليالي والايام ثم صرح بما هو فذلكة التقرير ونتيجته فقال الا له الخلق
والامر تبارك الله رب العالمين ثم امرهم بان يدعوه متذللين مخلصين فقال ادعوا
ربكم تضرعا وخفية اي ذوي تضرع وخفية فان الاخفاء دليل الاخلاص انه لا يحب
المعتدين المتجاوزين ما امروا به في الدعاء وغيره نبه به على ان الداعي ينبغي ان لا يطلب
ما لا يليق به كرتبة الانبياء والصعود الى السماء وقيل هو الصياح في الدعاء والاسهاب
فيه وعن النبي عليه الصلوة والسلام سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء
ان يقول اللهم اني اسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار
وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرأ انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الارض بالكفر
والمعاصي بعد اصلاحها ببعث الانبياء وشرع الاحكام وادعوه خوفا وطمعا
ذوي خوف من الرد لقصور اعمالكم وعدم استحقاقكم وطمع في اجابته تفضلا واحسانا
لفرط رحمته ان رحمة الله قريب من المحسنين ترجيح للطمع وتنبيه على ما يتوسل به الى الاجابة
وتذكير قريب لان الرحمة بمعنى الرحم او لانه صفة محذوف اي امر قريب او على تشبيهه
بفعيل الذي بمعنى مفعول او الذي هو مصدر كالنقيض او للفرق بين القريب من النسب
والقريب من غيره وهو الذي يرسل الرياح وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي الريح
على الوحدة نشرا جمع نشور بمعنى ناشر وقرأ ابن عامر نشرا بالتخفيف حيث وقع وحمزة
والكسائي نشرا بفتح النون حيث وقع على انه مصدر في موقع الحال بمعنى ناشرات
وقرأ ابن عامر نشرا بالتخفيف حيث وقع وحمزة والكسائي نشرا بفتح النون حيث
وقع على انه مصدر في موقع الحال بمعنى ناشرات او مفعول مطلق فان الارسال
والنشر متقاربان وعاصم بشرا وهو تخفيف بشر جمع بشير وقد قرئ به وبشرا بفتح الباء

مصدر بشر بمعنى باشرات او البشارة وبشرى بين يدى رحمته قدام رحمته يعنى المطر فان
الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه حتى اذا اقلت
حملت واشتقاقه من القلة فان المقل للشيء يستقله سحابا ثقالا بالماء جمعه لان السحاب جمع
بمعنى السحائب سقناه اى السحاب وافراد الضمير باعتبار اللفظ لبلد ميت لاجله او لاحيائه
او لسقيه وقرئ ميت فانزلنا به الماء بالبلد او بالسحاب او بالسوق او بالريح وكذلك
فاخرجنا به ويحتمل فيه عود الضمير الى الماء واذا كان للبلد فالباء للالصاق فى الاول
وللظرفية فى الثانى واذا كان لغيره فهى للسببية من كل الثمرات من كل انواعها كذلك
نخرج الموتى الاشارة فيه الى اخراج الثمرات او الى احياء البلد الميت اى كما نحييه باحداث
القوة النامية فيه وتطريتها بانواع النبات والثمرات نخرج الموتى من الاجداث ونحييها
برد النفوس الى موادّ ابدانها بعد جمعها وتطريتها بالقوى والحواس لعلكم تذكرون
فتعلمون ان من قدر على ذلك قدر على هذا والبلد الطيب الارض الكريمة التربة يخرج نباته
باذن ربه بمشيئته وتيسيره عبر به عن كثرة النبات وحسنه وغزارة نفعه لانه اوقعه
فى مقابلة والذى خبث اى كالحرة والسبخة لا يخرج الا نكدا قليلا عديم النفع ونصبه
على الحال وتقدير الكلام والبلد الذى خبث لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه فصار مرفوعا مستترا وقرئ يخرج اى يخرجه البلد فيكون الا نكدا
مفعولا ونكدا على المصدر اى ذا نكد ونكدا بالاسكان للتخفيف كذلك نصرف الايات نرددها
ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله فيتفكرون فيها ويعتبرون بها والاية مثل لمن تدبر
الايات وانتفع بها ولمن لم يرفع اليها رأسا ولم يتأثر بها لقد ارسلنا نوحا الى قومه
جواب قسم محذوف ولا تكاد تطلق هذه اللام الا مع قد لانها مظنة التوقع فان
المخاطب اذا سمعها توقع وقوع ما صدرها به ونوح بن لمك بن متوشلخ بن ادريس اول
نبى بعده بعث وهو ابن خمسين سنة او اربعين فقال يا قوم اعبدوا الله اى اعبدوه وحده
لقوله ما لكم من اله غيره وقرأ الكسائى غيره بالكسر على اللفظ حيث وقع اذا قبله
من التى تخفض وقرئ بالنصب على الاستثناء انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم ان لم تؤمنوا

وهو

وهو وعيد وبيان للداعى الى عبادته واليوم يوم القيمة او يوم نزول
الطوفان قال الملأ من قومه اى الاشراف فانهم يملاون العيون رواء انا لنراك
فى ضلال زوال عن الحق مبين بين قال يا قوم ليس بى ضلالة اى شيء من الضلال بالغ
فى النفى كما بالغوا فى الاثبات وعرض لهم به ولكنى رسول من رب العالمين استدراك
باعتبار ما يلزمه وهو كونه على هدى كانه قال ولكنى على هدى فى الغاية لانى
رسول من الله ابلغكم رسالات ربى وانصح لكم واعلم من الله ما لا تعلمون صفات
لرسول او استيناف ومساقها على الوجهين لبيان كونه رسولا وقرأ ابو عمرو ابلغكم
بالتخفيف وجمع الرسالات لاختلاف اوقاتها او لتنوع معانيها كالعقائد والمواعظ
والاحكام او لان المراد بها ما اوحى اليه والى الانبياء قبله كصحف شيث وادريس
وزيادة اللام فى لكم للدلالة على امحاض النصح لهم وفى اعلم من الله تقرير لما
وعدهم به فان معناه اعلم من قدرته وشدة بطشه او من جهته بالوحى اشياء لا علم
لكم بها او عجبتم الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف اى اكذبتم وعجبتم
ان جاءكم من ان جاءكم ذكر من ربكم رسالة او موعظة على رجل على لسان رجل
منكم من جملتكم او من جنسكم فانهم كانوا يتعجبون من ارسال البشر ويقولون
لو شاء الله لانزل ملائكة ما سمعنا بهذا فى اباءنا الاولين لينذركم عاقبة الكفر
والمعاصى ولتتقوا منهما بسبب الانذار ولعلكم ترحمون بالتقوى وفائدة حرف الترجى
التنبيه على ان التقوى غير موجب والترحم من الله تفضل وان المتقى ينبغى ان لا يعتمد
على تقواه ولا يأمن من عذاب الله فكذبوه فانجيناه والذين معه وهم من امن به
وكانوا اربعين رجلا واربعين امراة وقيل تسعة بنوه سام وحام ويافث وستة
ممن امن به فى الفلك متعلق بمعه او بانجيناه او حال من الموصول او الضمير فى معه
واغرقنا الذين كذبوا باياتنا بالطوفان انهم كانوا قوما عمين عمى القلوب غير
مستبصرين واصله عميين فخفف وقرئ عامين والاول ابلغ لدلالته على الثبات
والى عاد اخاهم عطف على نوحا الى قومه هودا عطف بيان لاخاهم والمراد به الواحد

منهم كقولهم يا اخا العرب فانه هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص
بن ارم بن سام بن نوح وقيل هود بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن عم ابي عاد وانما
جعل منهم لانهم افهم لقوله واعرف بحاله وارغب في اقتفائه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم
من اله غيره افلا تتقون استانف به ولم يعطف كانه جواب سائل قال فما قال لهم حين ارسل
وكذلك جوابهم افلا تتقون عذاب الله وكان قومه كانوا اقرب من قوم نوح
ولذلك قال قال الملأ الذين كفروا من قومه اذ كان من اشرافهم من امن به كمرثد
ابن سعد انا لنراك في سفاهة متمكنا في خفة عقل وراسخا فيها حيث فارقت
دين قومك وانا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول
من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي وانا لكم ناصح امين او عجبتم ان جاءكم
ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم سبق تفسيره وفي اجابة الانبياء الكفرة عن
كلماتهم الحمقاء بما اجابوا والاعراض عن مقابلتهم كمال النصح والشفقة وهضم النفس
وحسن المجادلة وهكذا ينبغي لكل ناصح وفي قوله وانا لكم ناصح امين تنبيه على انهم
عرفوه بالامرين واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح اي في مساكنهم او في
الارض بان جعلكم ملوكا فان شداد بن عاد ممن ملك معمورة الارض من رمل عالج الى
شحر عمان خوفهم من عقاب الله ثم ذكرهم بانعامه وزادكم في الخلق بسطة قامة
وقوة فاذكروا الاء الله تعميم بعد تخصيص لعلكم تفلحون لكي يفضي بكم ذكر النعم الى
شكرها المؤدي الى الفلاح قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد
اباؤنا استبعدوا اختصاص الله بالعبادة والاعراض عما اشرك به اباؤهم انهماكا
في التقليد وحبا لما الفوه ومعنى المجيء في اجئتنا اما المجيء من مكان اعتزل به عن قومه
او من السماء على التهكم او القصد على المجاز كقولهم ذهب يسبني فاتنا بما تعدنا من العذاب
المدلول عليه بقوله افلا تتقون ان كنت من الصادقين فيه قال قد وقع عليكم قد وجب
او حق عليكم او نزل عليكم على ان المتوقع كالواقع من ربكم رجس عذاب من الارتجاس
وهو الاضطراب وغضب ارادة انتقام اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم واباؤكم

ما نزل

ما نزل الله بها من سلطان اي في اشياء سميتموها الهة وليس فيها معنى الالهية
لان المستحق للعبادة بالذات هو الموجد للكل وانها لو استحقت كان استحقاقها
بجعله تعالى اما بانزال اية او نصب حجة بين ان منتهى حجتهم وسندهم ان الاصنام
تسمى الهة من غير دليل يدل على تحقق المسمى واسناد الاطلاق الى من لا يؤبه بقوله
اظهارا لغاية جهالتهم وفرط غباوتهم واستدل به على ان الاسم هو المسمى وان اللغات
توقيفية اذ لو لم يكن كذلك لم يتوجه الذم والابطال بانها اسماء مخترعة لم ينزل الله
بها سلطانا وضعفهما ظاهر فانتظروا لما وضح الحق وانتم مصرون على العناد نزول
العذاب اني معكم من المنتظرين فانجيناه والذين معه في الدين برحمة منا عليهم وقطعنا
دابر الذين كذبوا باياتنا اي استاصلناهم وما كانوا مؤمنين تعريض بمن امن منهم
وتنبيه على ان الفارق بين من نجا وبين من هلك هو الايمان روي انهم كانوا يعبدون
الاصنام فبعث الله اليهم هودا فكذبوه وازدادوا عتوا فامسك الله عنهم القطر
ثلث سنين حتى جهدهم وكان الناس حينئذ مسلمهم ومشركهم اذا نزل بهم بلاء توجهوا
الى البيت الحرام وطلبوا من الله الفرج فجهزوا اليه قيل بن عنز ومرثد بن سعد في سبعين
من اعيانهم وكان اذ ذاك بمكة العمالقة اولاد عمليق بن لاوذ بن سام وسيدهم
معاوية بن بكر فلما قدموا عليه وهو بظاهر مكة انزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره
فلبثوا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان له فلما راى ذهولهم باللهو
عما بعثوا له اهمه ذلك واستحيى ان يكلمهم فيه مخافة ان يظنوا به ثقل مقامهم فعلم
القينتين الا يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله يسقينا غماما فيسقي ارض عاد ان عادا
قد امسوا لا يبينون الكلاما حتى غنتا به فازعجهم ذلك فقال مرثد والله لا يسقون
بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الى الله سقيتم فقالوا لمعاوية احبسه عنا لا يقدمن
معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم
اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشا الله سحابات ثلثا بيضا وحمرا وسودا ثم ناداه
مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها اكثرهن

تخب على عاد من وادي المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم
منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود ومن معه من المؤمنين فاتوا مكة وعبدوا الله فيها
حتى ماتوا والى ثمود قبيلة اخرى من العرب سموا باسم ابيهم الاكبر ثمود بن عابر بن ارم بن سام
وقيل سموا به لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل وقرئ مصروفا بتاويل الحي
او باعتبار الاصل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى اخاهم
صالحا صالح بن عبيد بن اسف بن ماشح بن عبيد بن حاذر بن ثمود قال يا قوم اعبدوا
الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم معجزة ظاهرة الدلالة على صحة نبوتي
وقوله هذه ناقة الله لكم آية استئناف لبيانها وآية نصب على الحال والعامل فيها
معنى الاشارة ولكم بيان لمن هي له آية ويجوز ان يكون ناقة الله بدلا او عطف
بيان ولكم خبرا عاملا في آية واضافة الناقة الى الله لتعظيمها ولانها جاءت من
عنده بلا وسائط واسباب معهودة ولذلك كانت آية فذروها تاكل في ارض الله
ولا تمسوها بسوء نهي عن المس الذي هو مقدمة الاصابة بالسوء الجامع لانواع الاذى
مبالغة في الامر وازاحة للعذر فياخذكم عذاب اليم جواب النهي واذكروا اذ جعلكم
خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الارض ارض الحجر تتخذون من سهولها قصورا اي
تبنون في سهولها او من سهولة الارض بما تعملون منها كاللبن والآجر وتنحتون الجبال
بيوتا وقرئ وتنحتون بالفتح وتنحاتون بالاشباع وانتصاب بيوتا على الحال المقدرة
او المفعول على ان التقدير بيوتا من الجبال او تنحتون بمعنى تتخذون فاذكروا آلاء الله
ولا تعثوا في الارض مفسدين قال الملأ الذين استكبروا من قومه اي عن الايمان للذين
استضعفوا اي للذين استضعفوهم واستذلوهم لمن آمن منهم بدل من الذين استضعفوا
بدل الكل ان كان الضمير لقومه وبدل البعض ان كان للذين اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه
قالوه على الاستهزاء قالوا انا بما ارسل به مؤمنون عدلوا به عن الجواب السوي الذي
هو نعم تنبيها على ان ارساله اظهر من ان يشك فيه عاقل ويخفى على ذي رأي وانما الكلام
فيمن آمن به ومن كفر فلذلك قال الذين استكبروا انا بالذي آمنتم به كافرون على مقابلة

ووضعوا آمنتم به موضع ارسل به ردا لما جعلوه معلوما مسلما فعقروا الناقة
فنحروها اسند الى جميعهم فعل بعضهم للملابسة او لانه كان برضاهم وعتوا عن امر ربهم
واستكبروا عن امتثاله وهو ما بلغهم صالح عليه السلام بقوله فذروها وقالوا يا
صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين فاخذتهم الرجفة الزلزلة فاصبحوا في دارهم
جاثمين خامدين لا يتحركون موتى روي انهم بعد عاد عمروا بلادهم وخلفوهم وكثروا
وعمروا اعمارا طوالا لا تفي بها الابنية فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في خصب
وسعة فعتوا وافسدوا في الارض وعبدوا الاصنام فبعث الله اليهم صالحا من
اشرافهم فانذرهم فسالوه آية فقال اية آية تريدون قالوا اخرج معنا الى عيدنا
فتدعو الهك وندعو الهتنا فمن استجيب له اتبع فخرج معهم فدعوا اصنامهم فلم تجبهم
ثم اشار سيدهم جندع بن عمرو الى صخرة منفردة يقال لها الكاثبة وقال له اخرج من هذه
الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء فان فعلت صدقناك فاخذ عليهم صالح
عليه السلام مواثيقهم لئن فعلت ذلك لتؤمنن فقالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت
الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا
وهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فآمن به جندع في جماعة ومنع الباقين من الايمان
ذؤاب بن عمرو والحباب صاحب اوثانهم ورباب كاهنهم فمكثت الناقة مع
ولدها ترعى الشجر وترد الماء غبا فما ترفع راسها من البئر حتى تشرب كل ما فيها ثم
تتفحج فيحلبون ما شاؤوا حتى تمتلئ اوانيهم فيشربون ويدخرون وكانت تصيف بظهر
الوادي فتهرب منها انعامهم الى بطنه وتشتو ببطنه فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك
عليهم وزينت عقرها لهم عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار فعقروها واقتسموا لحمها
فرقي سقبها جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا فقال صالح لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع
عنكم العذاب فلم يقدروا عليه اذ انفجرت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح
تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب
فلما رأوا العلامات طلبوا ان يقتلوه فانجاه الله الى ارض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع

تحنطوا وتكفنوا ايذانا بالانقطاع فاتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا فتولى عنهم
وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ظاهره ان توليه
عنهم كان بعد ان ابصرهم جاثمين ولعله خاطبهم به بعد هلاكهم كما خاطب رسول الله صلى الله
عليه وسلم اهل قليب بدر وقال انا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد
ربكم حقا او ذكر ذلك على سبيل التحسر عليهم ولوطا اي وارسلنا لوطا اذ قال لقومه
وقت قوله لهم او واذكروا لوطا واذ بدل منه اتاتون الفاحشة توبيخ وتقريع على
تلك الفعلة المتمادية في القبح ما سبقكم بها من احد من العالمين ما فعلها قبلكم احد قط والباء
للتعدية ومن الاولى لتاكيد النفي والاستغراق والثانية للتبعيض والجملة استيناف
مقررة للانكار كانه وبخهم اولا باتيان الفاحشة ثم باختراعها فانه اسوأ انكم
لتاتون الرجال شهوة من دون النساء بيان لقوله اتاتون الفاحشة وهو ابلغ في الانكار
والتوبيخ وقرأ نافع وحفص انكم على الاخبار المستانف وشهوة مفعول له او مصدر
في موقع الحال وفي التقييد بها وصفهم بالبهيمية الصرفة وتنبيه على ان العاقل ينبغي
ان يكون الداعي له الى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع لا قضاء الوطر بل انتم
قوم مسرفون اضراب عن الانكار الى الاخبار عن حالهم التي ادت بهم الى ارتكاب امثالها
وهي اعتياد الاسراف في كل شيء او عن الانكار عليها الى الذم على جميع معايبهم او عن محذوف
مثل لا عذر لكم فيه بل انتم قوم عادتكم الاسراف وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم
من قريتكم اي ما جاؤوا بما يكون جوابا عن كلامه ولكنهم قابلوا نصحه بالامر باخراجه
فيمن معه من المؤمنين من قريتهم والاستهزاء بهم فقالوا انهم اناس يتطهرون اي من الفواحش
فانجيناه واهله اي من امن به الا امراته استثناء من اهله فانها كانت تسر الكفر كانت من الغابرين
من الذين بقوا في ديارهم فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور وامطرنا عليهم مطرا اي نوعا من
المطر عجيبا وهو مبين بقوله وامطرنا عليهم حجارة من سجيل فانظر كيف كان عاقبة المجرمين
روي ان لوط بن هاران بن تارخ لما هاجر مع عمه ابرهيم عليه السلام الى الشام نزل
بالاردن فارسله الى اهل سدوم ليدعوهم الى الله وينهاهم عما اخترعوه من الفاحشة

فلم ينتهوا عنها فامطر الله عليهم الحجارة فهلكوا وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت
الحجارة على مسافريهم والى مدين اخاهم شعيبا اي وارسلنا اليهم وهم اولاد مدين
بن ابرهيم شعيب بن ميكيل بن يشجر بن مدين وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن
مراجعة قومه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم
يريد المعجزة التي كانت له وليس في القران انها ما هي وما روي من محاربة عصا
موسى التنين وولادة الغنم التي دفعها اليه الدرع خاصة وكانت الموعودة له من
اولادها ووقوع عصا آدم على يده في المرات السبع متاخرة عن هذه المقاولة
يحتمل ان يكون كرامة لموسى او ارهاصا لنبوته فاوفوا الكيل اي آلة الكيل على الاضمار
او اطلاق الكيل على المكيال كالعيش على المعاش لقوله والميزان كما قال في سورة هود
فاوفوا المكيال والميزان او واوفوا الكيل ووزن الميزان ويجوز ان يكون الميزان مصدرا
كالميعاد ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تنقصوهم حقوقهم وانما قال اشياءهم للتعميم
تنبيها على انهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير وقيل كانوا مكاسين لا يدعون شيئا
الا مكسوه ولا تفسدوا في الارض بالكفر والحيف بعد اصلاحها بعد ما اصلح امرها
واهلها الانبياء واتباعهم بالشرائع او اصلحوا فيها والاضافة اليها كالاضافة في
بل مكر الليل والنهار ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين اشارة الى العمل بما امرهم به
ونهاهم عنه ومعنى الخيرية اما الزيادة مطلقا او في الانسانية وحسن الاحدوثة
وجمع المال ولا تقعدوا بكل صراط توعدون بكل طريق من طرق الدين كالشيطان
وصراط الحق وان كان واحدا لكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام وكانوا اذا
راوا احدا يسعى في شيء منها منعوه وقيل كانوا يجلسون على المراصد فيقولون
لمن يريد شعيبا انه كذاب فلا يفتننك عن دينك ويوعدون لمن آمن به وقيل
كانوا يقطعون الطريق وتصدون عن سبيل الله يعني الذي قعدوا عليه فوضع الظاهر
موضع المضمر بيانا لكل صراط ودلالة على عظم ما يصدون عنه وتقبيحا لما كانوا
عليه او الايمان بالله من آمن به اي بالله او بكل صراط على الاول ومن مفعول تصدون

على اعمال الاقرب ولو كان تفعلون توعدون لغافل وتصدقون بهم وتوعدون بما
عليه في موضع الحال من الضمير في تقعدوا او تبغونها عوجا وتطلبون لسبيل الله عوجا
بالقاء الشبه او وصفها للناس بانها معوجة واذكروا اذ كنتم قليلا عددكم
او عددكم فكثركم بالبركة في النسل والمال وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين
من الامم قبلكم واعتبروا بهم وان كان طائفة منكم امنوا بالذي ارسلت به وطائفة
لم يؤمنوا فاصبروا فتربصوا حتى يحكم الله بيننا اي بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين
فهو وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين وهو خير الحاكمين اذ لا معقب لحكمه ولا حيف فيه
قال الملا الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين امنوا معك من قريتنا
او لتعودن في ملتنا اي ليكونن احد الامرين اما اخراجكم من القرية او عودكم في
الكفر وشعيب لم يكن في ملتهم قط لان الانبياء لا يجوز عليهم الكفر مطلقا لكن
غلبوا الجماعة على الواحد فخوطب هو وقومه بخطابهم وعلى ذلك اجرى الجواب في قوله
قال اولو كنا كارهين اي كيف نعود فيها ونحن كارهون لها او اتعيدوننا في
حال كراهتنا قد افترينا على الله كذبا قد اختلقنا عليه ان عدنا في ملتكم بعد اذ
نجانا الله منها شرط جوابه محذوف دليله قد افترينا وهو بمعنى المستقبل لانه لم يقع لكنه
جعل كالواقع للمبالغة وادخل عليه قد لتقريبه من الحال اي قد افترينا الان ان هممنا
بالعود بعد الخلاص منها حيث نزعم ان لله ندا وانه قد تبين لنا ان ما كنا عليه باطل
وما انتم عليه حق وقيل انه جواب قسم تقديره والله لقد افترينا وما يكون لنا
وما يصح لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا خذلاننا وارتدادنا وفيه دليل
على ان الكفر بمشيئته وقيل اراد به حسم طمعهم في العود بالتعليق على ما لا يكون وسع
ربنا كل شيء علما اي احاط علمه بكل شيء مما كان وما يكون منا ومنكم على الله توكلنا
في ان يثبتنا على الايمان ويخلصنا من الاشرار ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق احكم
بيننا والفتاح القاضي والفتاحة الحكومة او اظهر امرنا حتى ينكشف ما بيننا وبينهم
ويتميز المحق من المبطل من فتح المشكل اذا بينه وانت خير الفاتحين على المعنيين وقال الملا

الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا وتركتم دينكم انكم اذا لخاسرون لاستبدالكم ضلالته
بهداكم او لفوات ما يحصل لكم بالبخس والتطفيف وهو ساد مسد جواب الشرط والقسم
الموطأ باللام فاخذتهم الرجفة الزلزلة وفي سورة الحجر فاخذتهم الصيحة ولعلها
كانت من مباديها فاصبحوا في دارهم جاثمين اي في مدينتهم الذين كذبوا شعيبا مبتدأ
خبره كان لم يغنوا فيها اي استؤصلوا كان لم يقيموا بها والمغنى المنزل الذين كذبوا شعيبا
كانوا هم الخاسرين دينا ودنيا لا الذين صدقوه واتبعوه كما زعموا فانهم الرابحون
في الدارين وللتنبيه على هذا والمبالغة فيه كرر الموصول واستأنف بالجملتين وأتى بهما اسميتين
فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم قاله تأسفا بهم لشدة
حزنه عليهم ثم انكر على نفسه فقال فكيف اسى على قوم كافرين ليسوا اهل حزن
لاستحقاقهم ما نزل عليهم بكفرهم او قاله اعتذارا عن عدم شدة حزنه عليهم والمعنى
لقد بالغت في الابلاغ والانذار وبذلت وسعي في النصح والاشفاق فلم تصدقوا قولي
فكيف آسى عليكم وقرئ ايسى بامالتين وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا اهلها
بالبأساء والضراء بالبؤس والضر لعلهم يضرعون كي يتضرعوا ويتذللوا ثم بدلنا
مكان السيئة الحسنة اي اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والشدة السلامة والسعة
ابتلاء لهم بالامرين حتى عفوا كثروا عددا وعددا يقال عفا النبات اذا كثر ومنه
اعفاء اللحى وقالوا قد مس اباءنا الضراء والسراء كفرانا لنعمة الله ونسيانا لذكره
واعتقادا بانه من عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء وقد مس اباءنا
منه مثل ما مسنا فاخذناهم بغتة فجاءة وهم لا يشعرون بنزول العذاب ولو ان اهل
القرى يعني القرى المدلول عليها بقوله وما ارسلنا في قرية من نبي وقيل مكة وما حولها
امنوا واتقوا مكان كفرهم وعصيانهم لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض لوسعنا
عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب وقيل المراد المطر والنبات وقرأ ابن عامر لفتحنا
بالتشديد ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصي افامن اهل القرى
عطف على قوله فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون وما بينهما اعتراض والمعنى ابعد ذلك امن

اهل القرى ان ياتيهم باسنا بياتا تبييتا او وقت بيات او مبيتا او مبيتين وهو في
الاصل مصدر بمعنى البيتوتة ويجي بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم وهم نائمون
حال من ضميرهم البارز في بياتا او اس اهل القرى وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر او بالسكون
على الترديد ان ياتيهم باسنا ضحى ضحوة النهار وهو في الاصل ضوء الشمس اذا ارتفعت
وهم يلعبون يلهون من فرط الغفلة او يشتغلون بما لا ينفعهم افامنوا مكر الله تقرير لقوله
افامن اهل القرى ومكر الله استعارة لاستدراج العبد واخذه من حيث لا يحتسب فلا يامن
مكر الله الا القوم الخاسرون الذين خسروا بالكفر وترك النظر والاعتبار اولم يهد للذين
يرثون الارض من بعد اهلها اي يخلفون من خلا قبلهم ويرثون ديارهم وانما عدي يهد
باللام لانه بمعنى يبين ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ان الشان لو نشاء اصبناهم بجزاء
ذنوبهم كما اصبنا من قبلهم وهو فاعل يهد ومن قرا بالنون جعله مفعولا ونطبع على قلوبهم
عطف على ما دل عليه اولم يهد اي يغفلون عن الهداية او منقطع عنه بمعنى ونحن نطبع ولا يجوز
عطفه على اصبناهم على انه بمعنى وطبعنا لافضائه الى نفي الطبع عنهم لانه في سياقه
جواب لو فهم لا يسمعون سماع تفهم واعتبار تلك القرى يعني قرى الامم المار ذكرهم نقص
عليك من انبائها حال ان جعل القرى خبرا ويكون افادته بالتقييد بها وخبر ان جعلت
صفة ويجوز ان يكونا خبرين ومن للتبعيض اي نقص بعض انبائها ولها انباء غيرها لا نقصها
ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات فما كانوا ليؤمنوا عند مجيئهم بها بما كذبوا من قبل
بما كذبوه من قبل الرسل بل كانوا مستمرين على التكذيب او فما كانوا ليؤمنوا مدة عمرهم
بما كذبوا به اولا حين جاءتهم الرسل ولم يؤثر فيهم قط دعوتهم المتطاولة والايات المتتابعة
واللام لتاكيد النفي والدلالة على انهم ما صلحوا للايمان لمنافاته لحالهم في التصميم
على الكفر والطبع على قلوبهم كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين فلا يلين شكيمتهم بالايات
والنذر وما وجدنا لاكثرهم لاكثر الناس والاية اعتراض او لاكثر الامم المذكورين
من عهد من وفاء عهد فان اكثرهم نقضوا ما عهد الله اليهم في الايمان والتقوى بانزال الايات
ونصب الحجج او ما عهدوا اليه حين كانوا في ضر ومخافة مثل لئن انجيتنا من هذه لنكونن

او المستلزم

من الشاكرين وان وجدنا اكثرهم اي علمناهم لفاسقين من وجدت زيدا ذا الحفاظ لدخول
ان المخففة واللام الفارقة وذلك لا يسوغ الا في المبتدا والخبر والافعال الداخلة عليهما
وعند الكوفيين ان للنفي واللام بمعنى الا ثم بعثنا من بعدهم موسى الضمير للرسل في قوله
ولقد جاءتهم رسلهم او للامم باياتنا يعني المعجزات الى فرعون وملائه فظلموا بها بان
كفروا بها مكان الايمان الذي هو من حقها لوضوحها ولهذا المعنى وضع ظلموا موضع كفروا
وفرعون لقب لمن ملك مصر ككسرى لملك فارس وكان اسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب
بن الريان فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين
اليك وقوله حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق لعله جواب لتكذيبه اياه في دعوى
الرسالة وانما لم يذكره لدلالة قوله فظلموا بها عليه وكان اصله حقيق علي ان لا اقول كما
قرا نافع فقلب لامن الالباس كقوله وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر او لان ما لزمك فقد
لزمته او للاغراق في الوصف بالصدق والمعنى انه حق واجب على القول الحق ان اكون انا
قائله لا يرضى الا بمثلي ناطقا به او ضمن حقيق معنى حريص او وضع على مكان الباء
لافادة التمكن كقولهم رميت على القوس وجئت على حالة حسنة ويؤيده قراءة ابي بالباء
وقرئ حقيق ان لا اقول قد جئتكم ببينة من ربكم فارسل معي بني اسرائيل فخلهم حتى يرجعوا
معي الى الارض المقدسة التي هي وطن ابائهم وكان قد استعبدهم واستخدمهم في الاعمال
قال ان كنت جئت باية من عند من ارسلك فات بها فاحضرها عندي ليثبت بها
صدقك ان كنت من الصادقين في الدعوى فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ظاهر
امره لا يشك في انه ثعبان وهو الحية العظيمة روي انه لما القاها صارت ثعبانا
اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض والاعلى على
سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب منه واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات
منهم خمسة وعشرون الفا وصاح فرعون يا موسى انشدك بالذي ارسلك خذه وانا اومن
بك وارسل معك بني اسرائيل فاخذه فعاد عصا ونزع يده من جيبه او من تحت ابطه
فاذا هي بيضاء للناظرين بيضاء بياضا خارجا عن العادة يجتمع عليها النظارة

او بيضاء للنظار لا انها كانت بيضاء في جبلتها روي انه كان آدم شديد الادمة
فادخل يده في جيبه او تحت ابطه ثم نزعها فاذا هي بيضاء نورانية غلب شعاعها شعاع
الشمس قال الملا من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم قيل قاله هو واشراف قومه
على سبيل التشاور في امره فحكي عنه في سورة الشعراء وعنهم ههنا يريد ان يخرجكم من ارضكم
فماذا تامرون تشيرون في ان نفعل قالوا ارجه واخاه وارسل في المداين حاشرين
ياتوك بكل ساحر عليم كانه اتفقت عليه آراؤهم فاشاروا به الى فرعون والارجاء
التاخير اي اخر امره واصله ارجئه كما قرا ابو عمرو ويعقوب من ارجات وكذلك ارجئهو
على قراءة ابن كثير على الاصل في الضمير او ارجه من ارجيت كما قرا نافع في رواية ورش واسمعيل
والكسائي واما قرائته في رواية قالون ارجه بحذف الياء فللاكتفاء بالكسرة عنها وقراءة
حمزة وعاصم ارجه بسكون الهاء فلتشبيه المنفصل بالمتصل وجعل جه كابل في اسكان وسطه
واما قراءة ابن عامر ارجئه بالهمزة وكسر الهاء فلا يرتضيه النحاة فان الهاء لا تكسر الا اذا كان
قبلها كسرة او ياء ساكنة ووجهه ان الهمزة لما كانت تقلب ياء اجريت مجراها وقرا حمزة
والكسائي بكل سحار فيه وفي يونس ويؤيده اتفاقهم عليه في الشعراء وجاء السحرة فرعون
بعدما ارسل الشرط في طلبهم قالوا ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين استانف به كانه
جواب سائل قال ما قالوا اذ جاؤوا وقرا ابن كثير ونافع وحفص ان لنا على الاخبار و
ايجاب الاجر كانهم قالوا لا بد لنا من اجر والتنكير للتعظيم قال نعم وانكم لمن المقربين
عطف على ما سد مسده نعم وزيادة على الجواب لتحريضهم قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان
نكون نحن الملقين خيروا موسى مراعاة للادب او اظهارا للجلادة ولكن كانت رغبتهم في ان
يلقوا قبله فنبهوا عليها بتغيير النظم الى ما هو ابلغ وتعريف الخبر وتوسيط الفصل وتاكيد
ضميرهم المتصل بالمنفصل فلذلك قال القوا كرما وتسامحا او ازدراء بهم ووثوقا على شانه
فلما القوا سحروا اعين الناس بان خيلوا اليها ما الحقيقة بخلافه واسترهبوهم وارهبوهم
ارهابا شديدا كانهم طلبوا رهبتهم وجاؤوا بسحر عظيم في فنه روي انهم القوا حبالا غلاظا
وخشبا طوالا كانها حيات ملات الوادي وركب بعضها بعضا واوحينا الى موسى ان الق

عصاك فالقاها فصارت حية فاذا هي تلقف ما يافكون اي ما يزورونه من الافك
وهو الصرف وقلب الشيء عن وجهه ويجوز ان تكون ما مصدرية وهي مع الفعل بمعنى المفعول
روي انها لما تلقفت حبالهم وعصيهم وابتلعتها باسرها اقبلت على الحاضرين فهربوا وازدحموا
حتى هلك جمع عظيم ثم اخذها موسى فصارت عصا كما كانت فقالت السحرة لو كان هذا
سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فوقع الحق فثبت لظهور امره وبطل ما كانوا يعملون من السحر
والمعارضة فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين صاروا اذلاء مبهوتين او رجعوا الى المدينة
اذلاء مقهورين والضمير لفرعون وقومه والقي السحرة ساجدين جعلهم ملقين على وجوههم
تنبيها على ان الحق بهرهم واضطرهم الى السجود بحيث لم يبق لهم تمالك او ان الله الهمهم ذلك وحملهم
عليه حتى ينكسر فرعون بالذين اراد بهم كسر موسى وينقلب الامر عليه او مبالغة في سرعة خرورهم
وشدته قالوا امنا برب العالمين رب موسى وهرون ابدلوا الثاني من الاول لئلا يتوهم
انهم ارادوا به فرعون قال فرعون امنتم به بالله او بموسى والاستفهام فيه للانكار
وقرا حمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم وروح عن يعقوب بتحقيق الهمزتين على الاصل
وقرا حفص آمنتم به على الاخبار قبل ان آذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه اي ان هذا الصنيع
لحيلة احتلتموها انتم وموسى في المدينة في مصر قبل ان تخرجوا للميعاد لتخرجوا منها اهلها
يعني القبط وتخلص لكم ولبني اسرائيل فسوف تعلمون عاقبة ما فعلتم وهو تهديد مجمل
تفصيله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف من كل شق طرفا ثم لاصلبنكم اجمعين تفضيحا
لكم وتنكيلا لامثالكم قيل انه اول من سن ذلك فشرعه الله للقطاع تعظيما لجرمهم ولذلك
سماه محاربة الله ورسوله ولكن على التعاقب لفرط رحمته قالوا انا الى ربنا منقلبون
بالموت لا محالة فلا نبالي بوعيدك او انا منقلبون الى ربنا وثوابه ان فعلت بنا ذلك كانهم
استطابوه شغفا الى لقاء الله او مصيرنا ومصيرك الى ربنا فيحكم بيننا وما تنقم منا وما
تنكر منا الا ان امنا بايات ربنا لما جاءتنا وهو خير الاعمال واصل المناقب ليس مما يتاتى
لنا العدول عنه طلبا لمرضاتك ثم فزعوا الى الله فقالوا ربنا افرغ علينا صبرا افض علينا
صبرا يغمرنا كما يفرغ الماء او صب علينا ما يطهرنا من الآثام وهو الصبر على وعيد فرعون

وتوفنا مسلمين ثابتين على الاسلام قيل انه فعل بهم ما اوعدهم به وقيل انه لم يقدر عليهم
لقوله تعالى انتما ومن اتبعكما الغالبون وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه
ليفسدوا في الارض بتغيير الناس عليك ودعوتهم الى مخالفتك ويذرك عطف على يفسدوا
او جواب للاستفهام بالواو كقول الحطيئة ألم اك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة
والاخاء على معنى أيكون منك ترك موسى وتركه اياك وقرئ بالرفع على انه عطف على أتذر
او استيناف او حال وقرئ بالسكون كانه قيل يفسدوا ويذرك كقوله فاصدق واكن
وآلهتك معبوداتك قيل كان يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوها
تقربا اليه ولذلك قال انا ربكم الاعلى وقرئ الاهتك اى عبادتك قال فرعون سنقتل ابناءهم
ونستحيي نساءهم كما كنا نفعل من قبل ليعلم انا على ما كنا عليه من القهر والغلبة ولا يتوهم
انه المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده وقرأ ابن كثير ونافع سنقتل
بالتخفيف وانا فوقهم قاهرون غالبون وهم مقهورون تحت ايدينا قال موسى لقومه
استعينوا بالله واصبروا لما سمعوا قول فرعون وتضجروا منه تسكينا لهم ان الارض لله
يورثها من يشاء من عباده تسلية لهم وتقريرا للامر بالاستعانة بالله والتثبت في الامر
والعاقبة للمتقين وعد لهم بالنصرة وتذكير لما وعدهم من اهلاك القبط وتوريثهم ديارهم
وتحقيق له وقرئ والعاقبة بالنصب عطفا على اسم ان واللام في الارض تحتمل العهد والجنس
قالوا اى بنو اسرائيل اوذينا من قبل ان تأتينا بالرسالة بقتل الابناء ومن بعد ما جئتنا
باعادته قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض تصريحا بما كنى عنه اولا
لما رأى انهم لم يتسلوا بذلك ولعله اتى بفعل الطمع لعدم جزمه بانهم المستخلفون باعيانهم
او اولادهم وقد روي ان مصر انما فتح لهم في زمن داود عليه السلام فينظر كيف تعملون
فيرى ما تعملون من شكر وكفران وطاعة وعصيان ليجازيكم على حسب ما يوجد منكم ولقد
اخذنا آل فرعون بالسنين بالجدوب لقلة الامطار والمياه والسنة غلبت على عام
القحط لكثرة ما يذكر عنه ويؤرخ به ثم اشتق منها فقيل اسنتت القوم اذا قحطوا
ونقص من الثمرات بكثرة العاهات لعلهم يذكرون لكي يتنبهوا على ان ذلك بشؤم كفرهم

ومعاصيهم فيتعظوا او لترق قلوبهم بالشدائد فيفزعوا الى الله ويرغبوا فيما عنده
فاذا جاءتهم الحسنة من الخصب والسعة قالوا لنا هذه لاجلنا ونحن مستحقوها وان
تصبهم سيئة جدب وبلاء يطيروا بموسى ومن معه يتشاءموا بهم ويقولوا ما اصابتنا
الا بشؤمهم وهذا اغراق في وصفهم بالغباوة والقساوة فان الشدائد ترقق القلوب
وتذلل العرائك وتزيل التماسك سيما بعد مشاهدة الايات وهي لم تؤثر فيهم بل زادوا
عندها عتوا وانهماكا في الغي وانما عرف الحسنة وذكرها مع اداة التحقيق لكثرة وقوعها
وتعلق الارادة باحداثها بالذات ونكر السيئة واتى بها مع حرف الشك لندورها
وعدم القصد لها الا بالتبع الا انما طائرهم عند الله اى سبب خيرهم وشرهم عنده
وهو حكمه ومشيئته او سبب شؤمهم عند الله وهو اعمالهم المكتوبة عنده فانها التي ساقت
اليهم ما يسوءهم وقرئ انما طيرهم وهو اسم الجمع وقيل هو جمع ولكن اكثرهم لا يعلمون
ان ما يصيبهم من الله تعالى او من شؤم اعمالهم وقالوا مهما اصلها ما الشرطية ضمت اليها
ما المزيدة للتاكيد ثم قلبت الفها هاء استثقالا للتكرير وقيل مركبة من مه الذي
يصوت به الكاف وما الجزائية ومحلها الرفع بالابتداء او النصب بفعل يفسره تأتنا
اى ايما شيء تأتنا به من آية بيان لمهما وانما سموها آية على زعم موسى لا لاعتقادهم
ولذلك قالوا لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين اى لتسحر بها اعيننا وتشبه علينا والضمير في به وبها
لما ذكر قبل التبيين باعتبار اللفظ وانثه بعده باعتبار المعنى فارسلنا عليهم الطوفان
ما طاف بهم وغشي اماكنهم وحروثهم من مطر او سيل وقيل الجدري وقيل الموتان
وقيل الطاعون والجراد والقمل قيل هو كبار القردان وقيل اولاد الجراد قبل نبات
اجنحتها والضفادع والدم روي انهم مطروا ثمانية ايام في ظلمة شديدة لا يقدر احد
ان يخرج من بيته ودخل الماء في بيوتهم حتى قاموا فيه الى تراقيهم وكانت بيوت
بني اسرائيل مشتبكة ببيوتهم ولم يدخل فيها قطرة وركد على اراضيهم فمنعهم من الحرث
والتصرف فيها ودام ذلك عليهم اسبوعا فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن
نؤمن بك فدعا فكشف عنهم فنبت لهم من الكلأ والزرع ما لم يعهد مثله ولم يؤمنوا

فبعث الله عليهم الجراد فأكلت زروعهم وثمارهم ثم أخذت تأكل الأبواب والسقوف
والثياب ففزعوا إليه ثانيا فدعا وخرج إلى الصحراء وأشار بعصاه نحو المشرق
والمغرب فرجعت إلى النواحي التي جاءت منها فلم يؤمنوا فسلط الله عليهم القمل فأكل
ما أبقاه وكان يقع في أطعمتهم ويدخل بين أثوابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا إليه فرفع
عنهم فقالوا قد تحققنا الآن أنك ساحر ثم أرسل الله عليهم الضفادع بحيث لا يكشف
ثوب ولا طعام إلا وجدت فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم وتثب إلى قدورهم وهي
تغلي وأفواههم عند التكلم ففزعوا إليه وتضرعوا فأخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله
عنهم فنقضوا العهد ثم أرسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دما حتى كان
يجتمع القبطي مع الإسرائيلي على إناء فيكون ما يليه دما وما يلي الإسرائيلي ماء ويمص
الماء من فم الإسرائيلي فيصير دما في فيه وقيل سلط الله عليهم الرعاف آيات نصب
على الحال مفصلات مبينات لا يشكل على عاقل أنها آيات الله ونقمة عليهم أو مفصلات
لامتحان أحوالهم إذ كان كل آية منها شهرا وكان امتداد كل واحدة أسبوعا وقيل إن
موسى لبث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات على مهل فاستكبروا
عن الإيمان وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز يعني العذاب المفصل والطاعون
الذي أرسله الله عليهم بعد ذلك قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك بعهده عندك
وهو النبوة أو بالذي عهد إليك أن تدعوه به فيجيبك كما أجابك في آياتك وهو صلة لادع
أو حال من الضمير فيه بمعنى ادع الله متوسلا إليه بما عهد عندك أو متعلق بفعل محذوف دل
عليه التماسهم مثل أسعفنا إلى ما نطلب منك بحق ما عهد عندك أو قسم مجاب بقوله لئن
كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل أي أقسمنا بعهد الله عندك لئن
كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه إلى حد
من الزمان هم بالغوه فمعذبون فيه أو مهلكون وهو وقت الغرق أو الموت وقيل إلى أجل عينوه
لإيمانهم إذا هم ينكثون جواب لما أي فلما كشفنا عنهم فاجؤوا النكث من غير توقف وتأمل فيه
فانتقمنا منهم فأردنا الانتقام منهم فأغرقناهم في اليم أي البحر الذي لا يدرك قعره

وقيل لجته بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين أي كان إغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات
وعدم فكرهم فيها حتى صاروا كالغافلين عنها وقيل الضمير للنقمة المدلول عليها بقوله
فانتقمنا وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون بالاستعباد وذبح الأبناء من مستضعفيهم
مشارق الأرض ومغاربها يعني أرض الشام ملكها بنو إسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة
وتمكنوا في نواحيها التي باركنا فيها بالخصب وسعة العيش وتمت كلمة ربك الحسنى على بني
إسرائيل ومضت عليهم واتصلت بالإنجاز عدته إياهم بالنصر والتمكين وهو قوله تعالى
ونريد أن نمن إلى قوله ما كانوا يحذرون وقرئ كلمات ربك لتعدد المواعيد بما صبروا بسبب
صبرهم على الشدائد ودمرنا وخربنا ما كان يصنع فرعون وقومه من القصور والعمارات
وما كانوا يعرشون من الجنات أو ما كانوا يرفعون من البنيان كصرح هامان وقرأ
ابن عامر وأبو بكر يعرشون بالضم وهذا آخر قصة فرعون وقومه وقوله وجاوزنا
ببني إسرائيل البحر وما بعده ذكر ما أحدثه بنو إسرائيل من الأمور الشنيعة بعد أن من الله عليهم
بالنعم الجسام وأراهم من الآيات العظام تسلية لرسول الله عليه الصلاة والسلام مما رأى
منهم وإيقاظا للمؤمنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة أنفسهم ومراقبة أحوالهم روي أن
موسى عليه السلام عبر بهم يوم عاشوراء بعد مهلك فرعون وقومه فصاموه شكرا فأتوا على قوم
فمروا عليهم يعكفون على أصنام لهم يقيمون على عبادتها قيل كانت تماثيل بقر وذلك أول
شأن العجل والقوم كانوا من العمالقة الذين أمر موسى بقتالهم وقيل من لخم وقرأ حمزة
والكسائي يعكفون بالكسر قالوا يا موسى اجعل لنا إلها صنما نعبده كما لهم آلهة يعبدونها
وما كافة للكاف قال إنكم قوم تجهلون وصفهم بالجهل المطلق وأكده لبعد ما صدر عنهم
بعدما رأوا من الآيات الكبرى عن العقل إن هؤلاء إشارة إلى القوم متبر مكسر مدمر ما هم
فيه يعني أن الله يهدم دينهم الذي هم عليه ويحطم أصنامهم ويجعلها رضاضا وباطل مضمحل
ما كانوا يعملون من عبادتها وإن قصدوا بها التقرب إلى الله تعالى وإنما بالغ في هذا الكلام
بإيقاع هؤلاء اسم إن والإخبار عما هم فيه بالمتبر وعما فعلوا بالبطلان وتقديم الخبر
في الجملتين الواقعتين خبرا لإن للتنبيه على أن الدمار لاحق لما هم فيه لا محالة وأن الإحباط

الكلي لا رب لها مخض عنهم تنفيرا وتحذيرا عما طلبوا قال أغير الله أبغيكم إلها أطلب لكم معبودا
وهو فضلكم على العالمين والحال أنه خصكم بنعم لم يعطها غيركم وفيه تنبيه على سوء مقابلتهم
حيث قابلوا تخصيص الله إياهم من أمثالهم بما لم يستحقوه تفضيلا بأن قصدوا أن يشركوا
به أخس شيء من مخلوقاته وإذ أنجيناكم من آل فرعون واذكروا صنيعه معكم في هذا الوقت
وقرأ ابن عامر أنجاكم يسومونكم سوء العذاب استئناف لبيان ما أنجاهم أو حال من
المخاطبين أو من آل فرعون أو منهما يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم بدل منه مبين
وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم وفي الإنجاء أو العذاب نعمة أو محنة عظيمة وواعدنا
موسى ثلاثين ليلة ذا القعدة وقرأ أبو عمرو ويعقوب ووعدنا وأتممناها بعشر من
ذي الحجة فتم ميقات ربه أربعين ليلة بالغا أربعين روي أنه عليه الصلوة والسلام وعد
بني إسرائيل بمصر أن يأتيهم بعد مهلك فرعون بكتاب من الله فيه بيان ما يأتون
ويذرون فلما هلك سأل ربه فأمره بصوم ثلثين فلما أتم أنكر خلوف فيه فتسوك فقالت
الملائكة كنا نشم منك رائحة المسك فأفسدته بالسواك فأمره الله أن يزيد عليه
عشرا وقيل أمره أن يتخلى ثلثين بالصوم والعبادة ثم أنزل عليه التورية في العشر
وكلمه فيها وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم وأصلح ما يجب
أن يصلح في أمورهم أو كن مصلحا ولا تتبع سبيل المفسدين ولا تتبع من سلك الإفساد
ولا تطع من دعاك إليه ولما جاء موسى لميقاتنا لوقتنا الذي وقتناه واللام للاختصاص
أي اختص مجيئه لميقاتنا وكلمه ربه من غير وسط كما يكلم الملائكة وفيما روي أن موسى عم
كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة تنبيه على أن سماع كلامه القديم ليس من جنس سماع
كلام المحدثين قال رب أرني انظر إليك أرني نفسك بأن تمكنني من رؤيتك أو تتجلى لي
فأنظر إليك وأراك وهو دليل على أن رؤيته تعالى جائزة في الجملة لأن طلب المستحيل من الأنبياء
محال وخصوصا ما يقتضي الجهل بالله ولذلك رده بقوله لن تراني دون لن أرى أو لن
أريك أو لن تنظر إلي تنبيها على أنه قاصر عن رؤيته لتوقفها على معد في الرائي ولم يوجد فيه
بعد وجعل السؤال لتبكيت قومه الذين قالوا أرنا الله جهرة خطأ إذ لو كانت الرؤية

ممتنعة لوجب أن يجهلهم ويزيح شبهتهم كما فعل بهم حين قالوا اجعل لنا إلها ولا يتبع سبيلهم
كما قال لأخيه ولا تتبع سبيل المفسدين والاستدلال بالجواب على استحالتها أشد خطأ إذ لا
يدل الإخبار عن عدم رؤيته إياه على أن لا يراه أبدا وأن لا يراه غيره أصلا فضلا عن أن
يدل على استحالتها ودعوى الضرورة فيه مكابرة أو جهالة بحقيقة الرؤية قال لن تراني
ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني استدراك يريد أن يبين به أنه لا يطيقه
وفي تعليق الرؤية بالاستقرار أيضا دليل على الجواز ضرورة أن المعلق على الممكن ممكن والجبل
قيل جبل زبير فلما تجلى ربه للجبل ظهر له عظمته وتصدى له اقتداره وأمره وقيل أعطى له حيوة
ورؤية حتى رآه جعله دكا مدكوكا مفتتا والدك والدق أخوان كالشك والشق
وقرأ حمزة والكسائي دكاء أي أرضا مستوية ومنه ناقة دكاء للتي لا سنام لها وقرئ
دكا أي قطعا دكا جمع دكاء وخر موسى صعقا مغشيا عليه من هول ما رأى فلما أفاق
قال تعظيما لما رأى سبحانك تبت إليك من الجرأة والإقدام على السؤال بغير إذن وأنا
أول المؤمنين مر تفسيره وقيل معناه أنا أول من آمن بأنك لا ترى في الدنيا قال يا موسى
إني اصطفيتك اخترتك على الناس أي الموجودين في زمانك وهارون وإن كان نبيا
كان مأمورا باتباعه ولم يكن كليما ولا صاحب شرع برسالاتي يعني أسفار التورية وقرأ
ابن كثير ونافع برسالتي وبكلامي وبتكليمي إياك فخذ ما آتيتك أعطيتك من الرسالة وكن
من الشاكرين على النعمة فيه روي أن سؤال الرؤية كان يوم عرفة وإعطاء التورية
يوم النحر وكتبنا له في الألواح من كل شيء مما يحتاجون إليه من أمر الدين موعظة وتفصيلا
لكل شيء بدل من الجار والمجرور أي كتبنا كل شيء من المواعظ وتفصيل الأحكام واختلف
في أن الألواح كانت عشرة أو سبعة وكانت من زمرد أو زبرجد أو ياقوت أحمر أو صخرة
صماء لينها الله لموسى فقطعها بيده وشققها بأصابعه وكان فيها التورية أو غيرها فخذها
على إضمار القول عطفا على كتبنا أو بدل من قوله فخذ ما آتيتك والهاء للألواح أو لكل شيء فإنه
بمعنى الأشياء أو للرسالات بقوة بجد وعزيمة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها أي بأحسن ما فيها
كالصبر والعفو بالإضافة إلى الانتصار والاقتصاص على طريقة الندب والحث على الأفضل

كقوله واتبعوا احسن ما انزل اليكم او بواجباتها فان الواجب احسن من غيره ويجوز
ان يراد بالاحسن البالغ في الحسن مطلقا لا بالاضافة وهو المأمور به كقولهم الصيف احر
من الشتاء سأريكم دار الفاسقين دار فرعون وقومه بمصر خاوية على عروشها او منازل
عاد وثمود واضرابهم لتعتبروا فلا تفسقوا او دارهم في الآخرة وهي جهنم وقرئ
سأوريكم بمعنى سأبين لكم من اوريت الزند وسأورثكم ويؤيده قوله واورثنا القوم
سأصرف عن آياتي المنصوبة في الآفاق والانفس الذين يتكبرون في الارض بالطبع على
قلوبهم فلا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقيل سأصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا
كما فعل فرعون فعاد عليه باعلائها او باهلاكهم بغير الحق صلة يتكبرون اي يتكبرون بما ليس
بحق وهو دينهم الباطل وحال من فاعله وان يروا كل آية منزلة او معجزة لا يؤمنوا بها
لعنادهم واختلال عقلهم بسبب انهماكهم في الهوى والتقليد وهو يؤيد الوجه الاول
وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا لاستيلاء الشيطنة عليهم وقرأ حمزة والكسائي
الرشد بفتحتين وقرئ الرشاد وثلاثتها لغات كالسقم والسقم والسقام وان يروا
سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين اي ذلك الصرف
بسبب تكذيبهم وعدم تدبرهم للآيات ويجوز ان ينصب ذلك على المصدر اي سأصرف
ذلك الصرف بسببهما والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة اي ولقائهم الدار
الآخرة او ما وعد الله في الآخرة حبطت اعمالهم لا ينتفعون بها هل يجزون الا ما كانوا
يعملون الا جزاء اعمالهم واتخذ قوم موسى من بعده من بعد ذهابه للميقات من حليهم
التي استعاروا من القبط حين هموا بالخروج من مصر واضافتها اليهم لانها كانت في ايديهم
او ملكوها بعد هلاكهم وهو جمع حلي كثدي وثدي وقرأ حمزة والكسائي بالكسر للاتباع
كدلي ويعقوب على الافراد عجلا جسدا بدنا ذا لحم ودم او جسدا من الذهب خاليا من
الروح ونصبه على البدل له خوار صوت البقر روي ان السامري لما صاغ العجل القى
في فمه من تراب اثر فرس جبريل فصار حيا وقيل صاغه بنوع من الحيل فتدخل الريح
جوفه وتصوت وانما نسب الاتخاذ اليهم وهو فعله اما لانهم رضوا به او لان المراد

اتخاذهم اياه الها وقرئ جؤار اي صياح الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا تقريع
على فرط ضلالتهم واخلالهم بالنظر والمعنى الم يروا حين اتخذوه الها انه لا يقدر على كلام
ولا على ارشاد سبيل كآحاد البشر حتى حسبوا انه خالق الاجسام والقوى والقدر اتخذوه
تكرير للذم اي اتخذوه الها وكانوا ظالمين واضعين الاشياء في غير موضعها فلم يكن اتخاذ العجل
بدعا منهم ولما سقط في ايديهم كناية عن اشتداد ندمهم فان النادم المتحسر يعض يده
غما فتصير يده مسقوطا فيها وقرئ سقط على بناء الفاعل بمعنى وقع العض فيها وقيل معناه
سقط الندم في انفسهم وراوا وعلموا انهم قد ضلوا باتخاذ العجل قالوا لئن لم يرحمنا ربنا
بانزال التوبة ويغفر لنا بالتجاوز عن الخطيئة لنكونن من الخاسرين وقرأهما حمزة والكسائي
بالتاء وربنا على النداء ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا شديد الغضب وقيل حزينا
قال بئسما خلفتموني من بعدي فعلتم بعدي حيث عبدتم العجل والخطاب للعبدة او قمتم مقامي
فلم تكفوا العبدة والخطاب لهارون والمؤمنين معه وما نكرة موصوفة تفسر المستكن في بئس والمخصوص
بالذم محذوف وتقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم ومعنى من بعدي من بعد
انطلاقي او من بعد ما رأيتم مني من التوحيد والتنزيه والحمل عليه والكف عما ينافيه
اعجلتم امر ربكم اتركتموه غير تام كأنه ضمن عجل معنى سبق فعدي تعديته او اعجلتم وعد ربكم
الذي وعدنيه من الاربعين وقدرتم موتي وغيرتم بعدي كما غيرت الامم بعد انبيائهم
والقى الالواح اي طرحها من شدة الغضب وفرط الضجرة حمية للدين روي ان التوراة
كانت سبعة اسباع في سبعة الواح فلما القاها انكسرت فرفع ستة اسباعها وكان فيها
تفصيل كل شيء وبقي سبع كان فيه المواعظ والاحكام واخذ برأس اخيه بشعر رأسه
يجره اليه توهما بانه قصر في كفهم وهارون كان اكبر منه بثلاث سنين وكان حمولا لينا
ولذلك كان احب الى بني اسرائيل قال ابن ام ذكر الام ليرققه عليه وكانا من اب وام
وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم يا ابن ام بالكسر واصله يا ابن امي فحذف
الياء اكتفاء بالكسرة تخفيفا كالمنادى المضاف الى الياء والباقون بالفتح زيادة في
التخفيف لطوله او تشبيها بخمسة عشر ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني ازاحة

لتوهم التقصير في حقه والمعنى بذلك وسعى في كفهم حتى قهروني واستضعفوني وقاربوا قتلي
فلا تشمت بي الاعداء فلا تفعل بي ما تشمتون بي لاجله ولا تجعلني مع القوم الظالمين
معدودا في عدادهم بالمؤاخذة او نسبة التقصير قال رب اغفر لي ما صنعت باخي ولاخي ان
فرط في كفهم ضم اليه نفسه في الاستغفار ترضية له ودفعا للشماتة عنه وادخلنا في
رحمتك بمزيد الانعام علينا وانت ارحم الراحمين فانت ارحم بنا منا على انفسنا ان الذين
اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وهو ما امرهم به من قتل انفسهم وذلة في الحيوة
الدنيا وهي خروجهم من ديارهم وقيل الجزية وكذلك نجزي المفترين على الله ولا فرية
اعظم من فريتهم هذا الهكم واله موسى ولعله لم يفتر مثلها احد قبلهم ولا بعدهم والذين
عملوا السيئات من الكفر والعصيان ثم تابوا من بعدها من بعد السيئات وآمنوا واشتغلوا بالايمان
وما هو مقتضاه من الاعمال الصالحة ان ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور رحيم
وان عظم الذنب كجريمة عبدة العجل وكثر كجرائم بني اسرائيل ولما سكت سكن وقد قرئ به
عن موسى الغضب باعتذار هارون او بتوبتهم وفي هذا الكلام مبالغة وبلاغة من حيث
انه جعل الغضب الحامل له على ما فعل كالآمر به والمغري عليه حتى عبر عن سكونه بالسكوت وقرئ
سكت واسكت على ان المسكت هو الله او اخوه او الذين تابوا اخذ الالواح التي القاها
وفي نسختها وفيما نسخ اي كتب فعلة بمعنى مفعول كالخطبة وقيل فيما نسخ منها اي من
الالواح المنكسرة هدى بيان للحق ورحمة وارشاد الى الصلاح والخير للذين هم لربهم
يرهبون دخلت اللام على المفعول لضعف الفعل بالتأخير او حذف المفعول واللام للتعليل
والتقدير يرهبون معاصي الله لربهم واختار موسى قومه اي من قومه فحذف الجار واوصل
الفعل اليه سبعين رجلا لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة روي انه تعالى امره ان يأتيه في سبعين
من بني اسرائيل فاختار من كل سبط ستة فزاد اثنان فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاجروا
فقال ان لمن قعد اجر من خرج فقعد كالب ويوشع وذهب مع الباقين فلما دنوا من
الجبل غشيه غمام فدخل موسى بهم الغمام وخروا سجدا فسمعوه يكلم موسى يأمره وينهاه ثم
انكشف الغمام فاقبلوا اليه فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الرجفة اي

الصاعقة

الصاعقة او رجفة الجبل فصعقوا منها قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي
تمنى هلاكهم وهلاكه قبل ان يرى ما رأى او بسبب آخر وعنى به انك قدرت على اهلاكهم
قبل ذلك بحمل فرعون على اهلاكهم وباغراقهم في البحر وغيرهما فترحمت عليهم بالانقاذ منها
فان ترحمت عليهم مرة اخرى لم يبعد من عميم احسانك اتهلكنا بما فعل السفهاء منا من العناد
والتجاسر على طلب الرؤية وكان ذلك قاله بعضهم وقيل المراد بما فعل السفهاء عبادة العجل
والسبعون اختارهم موسى لميقات التوبة عنها فغشيتهم هيبة قلقوا منها ورجفوا حتى كادت
تبين مفاصلهم واشرفوا على الهلاك فخاف عليهم موسى فبكى ودعا فكشفها الله عنهم ان هي
الا فتنتك ابتلاؤك حين اسمعتهم كلامك حتى طمعوا في الرؤية او اوجدت في العجل خوارا
فزاغوا به تضل بها من تشاء ضلاله بالتجاوز عن حده او باتباع المخايل وتهدي
من تشاء هداه فيقوى بها ايمانه انت ولينا القائم بامرنا فاغفر لنا بمغفرة ما قارفنا
وارحمنا وانت خير الغافرين تغفر السيئة وتبدلها بالحسنة واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة
حسن معيشة وتوفيق طاعة وفي الآخرة الجنة انا هدنا اليك تبنا اليك من هاد
يهود اذا رجع وقرئ بالكسر من هاده يهيده اذا اماله ويحتمل ان يكون مبنيا للفاعل والمفعول
بمعنى املنا انفسنا واملنا اليك ويجوز ان يكون المضموم ايضا مبنيا للمفعول منه على لغة من يقول
عود المريض قال عذابي اصيب به من اشاء تعذيبه ورحمتي وسعت كل شيء في الدنيا المؤمن
والكافر بل المكلف وغيره فسأكتبها فسأثبتها في الآخرة او فأكتبها كتبة خاصة منكم
يا بني اسرائيل للذين يتقون الكفر والمعاصي ويؤتون الزكوة خصها بالذكر لانافتها ولانها
كانت اشق عليهم والذين هم بآياتنا يؤمنون فلا يكفرون بشيء منها الذين يتبعون الرسول
النبي مبتدأ خبره يأمرهم او خبر مبتدأ تقديره هم الذين او بدل من الذين يتقون بدل
البعض او الكل والمراد من آمن منهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وانما سماه رسولا بالاضافة الى
الله ونبيا بالاضافة الى العباد الامي الذي لا يكتب ولا يقرأ وصفه به تنبيها على ان
كمال علمه مع حاله احدى معجزاته الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل
اسما وصفة يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات مما حرم عليهم كالشحوم

ويحرم عليهم الخبائث كالدم ولحم الخنزير او كالربوا والرشوة ويضع عنهم اصرهم والاغلال
التي كانت عليهم ويخفف عنهم ما كلفوا به من التكاليف الشاقة كتعيين القصاص في العمد والخطاء
وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة واصل الاصر الثقل الذي يأصر صاحبه
اي يحبسه من الحراك لثقله فالذين امنوا به وعزروه وعظموه بالتقوية وقرئ بالتخفيف واصله
المنع ومنه التعزير ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اي مع نبوته يعني القران وانما
سماه نورا لانه باعجازه ظاهر امره مظهر غيره او لانه كاشف الحقايق مظهر لها ويجوز
ان يكون معه متعلقا باتبعوا اي واتبعوا النور المنزل مع اتباع النبي فيكون اشارة الى
اتباع الكتاب والسنة اولئك هم المفلحون الفائزون بالرحمة الابدية ومضمون الاية جواب
دعاء موسى قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم الخطاب عام وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم مبعوثا الى كافة الثقلين وسائر الرسل الى اقوامهم جميعا حال من اليكم الذي
له ملك السموات والارض صفة لله وان حيل بينهما بما هو متعلق المضاف اليه لانه كالمتقدم
عليه او منصوب او مرفوع على المدح او مبتداء خبره لا اله الا هو وهو على الوجوه الاول بيان لما قبله
فان من ملك العالم كان هو الاله لا غيره وفي يحيي ويميت مزيد تقرير لاختصاصه بالالوهية
فامنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته ما انزل عليه وعلى ساير الرسل
من كتبه ووحيه وقرئ وكلمته على ارادة الجنس او القران او عيسى تعريضا لليهود وتنبيها على ان من
لم يؤمن به لم يعتبر ايمانه وانما عدل عن التكلم الى الغيبة لاجراء هذه الصفات الداعية الى
الايمان به والاتباع له واتبعوه لعلكم تهتدون جعل رجاء الاهتداء اثر الامرين
تنبيها على ان من صدقه ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو بعد في خطط الضلالة ومن
قوم موسى يعني بني اسرائيل امة يهدون بالحق يهدون الناس محقين او بكلمة الحق وبه وبالحق
يعدلون بينهم في الحكم والمراد بها الثابتون على الايمان القائمون بالحق من اهل زمانه
اتبع ذكرهم ذكر اضدادهم على ما هو عادة القران تنبيها على ان تعارض الخير والشر
وتزاحم اهل الحق والباطل امر مستمر وقيل مؤمنوا اهل الكتاب وقيل قوم وراء الصين
راهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فامنوا به وقطعناهم وصيرناهم قطعا

متميزا بعضهم عن بعض اثنتي عشرة مفعول ثان لقطع فانه متضمن معنى صير او حال وتانيثه
للحمل على الامة او القطعة اسباطا بدل منه ولذلك جمع او تميز له على ان كل واحدة من اثنتي
عشرة اسباط فكانه قيل اثنتي عشرة قبيلة وقرئ بكسر الشين واسكانها امما على الاول
بدل بعد بدل او نعت اسباطا وعلى الثاني بدل من اسباطا واوحينا الى موسى اذ استسقيه
قومه في التيه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست اي فضرب فانبجست وحذفه للايماء
على ان موسى لم يتوقف في الامتثال وان ضربه لم يكن مؤثرا يتوقف عليه الفعل في ذاته
منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس كل سبط مشربهم وظللنا عليهم الغمام ليقيهم حر الشمس
وانزلنا عليهم المن والسلوى كلوا اي وقلنا لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا
ولكن كانوا انفسهم يظلمون سبق تفسيره في سورة البقرة واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية
باضمار اذكر والقرية بيت المقدس وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب
سجدا مثل ما في البقرة معنى غير ان قوله فكلوا فيها بالفاء افاد تسبب سكناهم للاكل
منها ولم يتعرض له هاهنا اكتفاء بذكره ثمة او بدلالة الحال عليه واما تقديم قوله
وقولوا حطة على وادخلوا فلا اثر له في المعنى لانه لا يوجب الترتيب وكذا الواو
العاطفة بينهما نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين وعد بالغفران والزيادة عليه بالاثابة
وانما اخرج الثاني مخرج الاستيناف للدلالة على انه تفضل محض ليس في مقابلة
ما امروا به وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب تغفر بالتاء والبناء للمفعول وخطيئاتكم
بالجمع والرفع غير ابن عامر فانه وحد وقرأ ابو عمرو خطاياكم فبدل الذين ظلموا
منهم قولا غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون مضى تفسيره
فيها واسالهم للتقرير والتقريع بقديم كفرهم وعصيانهم والاعلام بما هو من علومهم
التي لا تعلم الا بتعليم او وحي ليكون لك معجزة عليهم عن القرية عن خبرها وما وقع باهلها
التي كانت حاضرة البحر قريبة منه وهي ايلة قرية بين مدين والطور على شاطئ البحر وقيل
مدين وقيل طبرية اذ يعدون في السبت يتجاوزون حدود الله بالصيد يوم السبت
واذ ظرف لكانت او حاضرة او للمضاف المحذوف او بدل منه بدل الاشتمال اذ تاتيهم

حيتانهم ظرف ليعدون او بدل بعد بدل وقرئ يعدّون واصله يعتدون ويُعدّون
من الاعداد اي يعدّون آلات الصيد يوم السبت وقد نهوا ان يشتغلوا فيه بغير العبادة
يوم سبتهم شرعا يوم تعظيمهم امر السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها بالتجرد
للعبادة وقيل اسم لليوم والاضافة لاختصاصهم باحكام فيه ويؤيد الاول ان قرئ
يوم اسباتهم وقوله ويوم لا يسبتون لا تأتيهم وقرئ لا يُسبتون من اسبت ولا يُسبتون
على البناء للمفعول بمعنى لا يدخلون في السبت وشرعا حال من الحيتان ومعناه ظاهرة على وجه
الماء من شرع علينا اذا دنى واشرف كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون مثل ذلك البلاء
الشديد نبلوهم بسبب فسقهم وقيل كذلك متصل بما قبله اي لا تأتيهم مثل اتيانهم يوم السبت
والباء متعلقة بيعدون واذ قالت عطف على اذ يعدون امة منهم جماعة من اهل القرية
يعني صلحاءهم الذين اجتهدوا في موعظتهم حتى ايسوا من اتعاظهم لم تعظون قوما الله مهلكهم
مخترمهم او معذبهم عذابا شديدا في الآخرة لتماديهم في العصيان قالوه مبالغة في
ان الوعظ لا ينفع فيهم او سؤالا عن علة الوعظ ونفعه وكأنه تقاول بينهم او قول
من ارعوى عن الوعظ لمن لم يرعو منهم وقيل المراد طائفة من الفرقة الهالكة اجابوا
به وعاظهم ردا عليهم وتهكما بهم قالوا معذرة الى ربكم جواب للسؤال اي موعظتنا
انهاء عذر الى الله حتى لا ننسب الى تفريط في النهي عن المنكر وقرأ حفص معذرة بالنصب
على المصدر او العلة اي اعتذرنا به معذرة او وعظناهم معذرة ولعلهم يتقون
اذ اليأس لا يحصل الا بالهلاك فلما نسوا تركوا ترك الناسي ما ذكروا به لما ذكرهم
به صلحاؤهم انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بالاعتداء ومخالفة امر الله
بعذاب بئيس شديد فعيل من بؤس يبؤس بأسا اذا اشتد وقرأ ابو بكر بيئس على
انه فيعل كضيغم كما قرئ فخفف عينه بنقل حركتها الى الفاء ككبد في كبد ونافع بيس
على قلب الهمزة ياء كما قلبت في ذيب وعلى انه فعل الذم وصف به فجعل اسما وقرئ بيّس
كريّس على قلب الهمزة ياء ثم ادغامها وبيس على التخفيف كهين وبايس بما كانوا يفسقون
بسبب فسقهم فلما عتوا عما نهوا عنه تكبروا عن ترك ما نهوا عنه كقوله وعتوا عن امر

ربهم قلنا لهم كونوا قردة خاسئين كقوله انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن
فيكون والظاهر يقتضي ان الله تعالى عذبهم اولا بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم
ويجوز ان تكون الآية الثانية تقريرا وتفصيلا للاولى روي ان الناهين لما ايسوا
عن اتعاظ المعتدين كرهوا مساكنتهم فقسموا القرية بجدار فيه باب مطروق فاصبحوا
يوما ولم يخرج اليهم احد من المعتدين فقالوا ان لهم شأنا فدخلوا عليهم فاذا هم قردة
فلم يعرفوا انسباءهم ولكن القرود تعرفهم فجعلت تأتي انسباءهم وتشم ثيابهم وتدور
باكية حولهم ثم ماتوا بعد ثلاث وعن مجاهد مسخت قلوبهم لا ابدانهم واذ تأذن ربك اي اعلم
تفعل من الايذان بمعناه كالتوعد والايعاد او عزم لان العازم على الشيء يؤذن نفسه
بفعله واجري مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك اجيب بجوابه وهو ليبعثن عليهم
الى يوم القيامة والمعنى واذ اوجب ربك على نفسه ليسلطن على اليهود من يسومهم سوء
العذاب كالاذلال وضرب الجزية بعث الله عليهم بعد سليمان عليه السلام بخت نصر فخرب
ديارهم وقتل مقاتليهم وسبى نساءهم وذراريهم وضرب الجزية على من بقي منهم وكانوا
يؤدونها الى المجوس حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم ففعل ما فعل ثم ضرب عليهم الجزية
فلا تزال مضروبة الى آخر الدهر ان ربك لسريع العقاب عاقبهم في الدنيا وانه لغفور
رحيم لمن تاب وآمن وقطعناهم في الارض امما وفرقناهم فيها بحيث لا يكاد يخلو
قطر منهم تتمة لادبارهم حتى لا يكون لهم شوكة قط وامما مفعول ثان او حال منهم الصالحون
صفة او بدل منه وهم الذين آمنوا بالمدينة ونظراؤهم ومنهم دون ذلك تقديره
ومنهم ناس دون ذلك اي منحطون عن الصلاح وهم كفرتهم وفسقتهم وبلوناهم بالحسنات
والسيئات بالنعم والنقم لعلهم يرجعون ينتبهون فيرجعون عما كانوا عليه فخلف من بعدهم
من بعد المذكورين خلف بدل سوء مصدر نعت به ولذلك يقع على الواحد والجمع وقيل
جمع وهو شائع في الشر والخلف بالفتح في الخير والمراد به الذين كانوا في عصر رسول الله
صلى الله عليه وسلم ورثوا الكتاب التورية من اسلافهم يقرؤنها ويقفون على ما فيها
يأخذون عرض هذا الادنى حطام هذا الشيء الادنى يعني الدنيا وهو من الدنو او

او الدناءة وهو ما كانوا يأخذون من الرشى في الحكومة وعلى تحريف الكلم والجملة حال
من الواو ويقولون سيغفر لنا لا يؤاخذنا الله بذلك ويتجاوز عنه وهو يحتمل العطف
والحال والفعل مسند الى الجار والمجرور او مصدر يأخذون وان يأتهم عرض مثله يأخذوه
حال من الضمير في لنا اي يرجون المغفرة مصرين على الذنب عائدين الى مثله غير تائبين
عنه الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب اي في الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق عطف بيان
للميثاق او متعلق به اي بان لا يقولوا والمراد توبيخهم على البت بالمغفرة مع عدم التوبة
والدلالة على انه افتراء على الله وخروج عن ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه عطف على
الم يؤخذ من حيث المعنى فانه تقرير او على ورثوا وهو اعتراض والدار الآخرة خير للذين
يتقون مما يأخذ هؤلاء افلا تعقلون فيعلموا ذلك ولا يستبدلوا الادنى الدني المؤدي
الى العقاب بالنعيم المخلد وقرأ نافع وابن عامر وحفص ويعقوب بالتاء على التلوين والذين
يمسكون بالكتاب واقاموا الصلوة عطف على الذين يتقون وقوله افلا تعقلون
اعتراض او مبتدأ خبره انا لا نضيع اجر المصلحين على تقدير منهم او وضع الظاهر موضع
المضمر تنبيها على ان الاصلاح كالمانع من التضييع وقرأ ابو بكر يمسكون بالتخفيف
وافراد الاقامة لانافتها على سائر انواع التمسكات واذ نتقنا الجبل فوقهم اي قلعناه
ورفعناه فوقهم واصل النتق الجذب كأنه ظلة سقيفة وهي كل ما اظلك وظنوا وتيقنوا
انه واقع بهم ساقط عليهم لان الجبل لا يثبت في الجو لانهم كانوا يوعدون به وانما اطلق
الظن لانه لم يقع متعلقه وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام التورية لثقلها فرفع الله
الطور فوقهم وقيل لهم ان قبلتم ما فيها والا ليقعن عليكم خذوا على اضمار القول اي
وقلنا خذوا او قائلين خذوا ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزم على تحمل مشاقه وهو حال
من الواو واذكروا ما فيه بالعمل به ولا تتركوه كالمنسي لعلكم تتقون قبائح الاعمال
ورذائل الاخلاق واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم اي اخرج من اصلابهم
نسلهم على ما يتوالدون قرنا بعد قرن ومن ظهورهم بدل من بني آدم بدل البعض وقرأ نافع وابو عمرو
وابن عامر ويعقوب ذرياتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا اي نصب

لهم

لهم دلائل ربوبيته وركب في عقولهم ما يدعوهم الى الاقرار بها حتى صاروا بمنزلة من قيل
لهم الست بربكم قالوا بلى فنزل تمكينهم من العلم بها وتمكنهم منه منزلة الاشهاد والاعتراف على
طريقة التمثيل ويدل عليه قوله قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيمة اي كراهة ان تقولوا
انا كنا عن هذا غافلين لم ننبه عليه بدليل او تقولوا عطف على ان تقولوا وقرأ ابو عمرو
كليهما بالياء لان اول الكلام على الغيبة انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم
فاقتدينا بهم لان التقليد عند قيام الدليل والتمكن من العلم به لا يصلح عذرا افتهلكنا
بما فعل المبطلون يعني آباءهم المبطلين بتأسيس الشرك وقيل لما خلق الله آدم اخرج من ظهره ذريته
كالذر واحياهم وجعل لهم العقل والنطق والهمهم ذلك لحديث رواه عمر رض وقد حققت
الكلام فيه في شرحي لكتاب المصابيح والمقصود من ايراد هذا الكلام ههنا الزام اليهود بمقتضى
الميثاق العام بعدما الزمهم بالميثاق المخصوص بهم والاحتجاج عليهم بالحجج السمعية والعقلية
ومنعهم عن التقليد وحملهم على النظر والاستدلال كما قال وكذلك نفصل الآيات ولعلهم
يرجعون اي عن التقليد واتباع الباطل واتل عليهم اي على اليهود نبأ الذي آتيناه آياتنا
هو احد علماء بني اسرائيل او امية بن ابي الصلت فانه كان قد قرأ الكتب وعلم ان الله تعالى
مرسل رسولا في ذلك الزمان ورجا ان يكون هو فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم حسده
وكفر به او بلعم بن باعوراء من الكنعانيين اوتي علم بعض كتب الله فانسلخ منها من الآيات
بان كفر بها واعرض عنها فاتبعه الشيطان حتى لحقه وقيل استتبعه فكان من الغاوين فصار
من الضالين روي ان قومه سألوه ان يدعو على موسى ومن معه فقال كيف ادعو على من معه
الملائكة فالحوا عليه حتى دعا عليهم فبقوا في التيه ولو شئنا لرفعناه الى منازل الابرار
من العلماء بها بسبب تلك الآيات وملازمتها ولكنه اخلد الى الارض مال الى الدنيا
والى السفالة واتبع هواه في ايثار الدنيا واسترضاء قومه واعرض عن مقتضى الآيات
وانما علق رفعه بمشيئة الله ثم استدرك عنه بفعل العبد تنبيها على ان المشيئة سبب لفعله
الموجب لرفعه وان عدمه دليل عدمها دلالة انتفاء المسبب على انتفاء سببه وان
السبب الحقيقي هو المشيئة وان ما نشاهده من الاسباب وسائط معتبرة في حصول

المسبب من حيث السببية تعلقت به كذلك وكان من حقه ان يقول ولكنه اعرض عنها
فاوقع موقعه اخلد الى الارض واتبع هواه مبالغة وتنبيها على ما حمله عليه فان حب
الدنيا رأس كل خطيئة فمثله فصفته التي هي مثل في الخسة كمثل الكلب كصفته في اخس احواله
وهو ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث اي يلهث دائما سواء حمل عليه بالزجر والطرد
او ترك ولم يتعرض له بخلاف سائر الحيوانات لضعف فؤاده واللهث ادلاع اللسان
عن التنفس الشديد والشرطية في موضع الحال والمعنى لاهثا في الحالتين والتمثيل واقع
موقع لازم التركيب الذي هو نفي الرفع ووضع المنزلة للمبالغة والبيان وقيل
لما دعا على موسى خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كالكلب ذلك مثل القوم
الذين كذبوا باياتنا فاقصص القصص المذكورة على اليهود فانها نحو قصصهم لعلهم يتفكرون
تفكرا يؤدي بهم الى الاتعاظ ساء مثلا القوم اي مثل القوم وقرئ ساء مثل القوم
على حذف المخصوص بالذم الذين كذبوا باياتنا بعد قيام الحجة عليها وعلمهم بها وانفسهم
كانوا يظلمون اما ان يكون داخلا في الصلة معطوفا على كذبوا بمعنى الذين جمعوا بين
تكذيب الايات وظلم انفسهم او منقطعا عنها بمعنى وما ظلموا بالتكذيب الا انفسهم
فان وباله لا يتخطاها ولذلك قدم المفعول من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فاولئك
هم الخاسرون تصريح بان الهدى والضلال من الله وان هداية الله تختص ببعض دون بعض
وانها مستلزمة للاهتداء والافراد في الاول والجمع في الثاني لاعتبار اللفظ والمعنى
تنبيه على ان المهتدين كواحد لاتحاد طريقهم بخلاف الضالين والاقتصار في الاخبار عمن
هداه الله بالمهتدي تعظيم لشأن الاهتداء وتنبيه على انه في نفسه كمال جسيم ونفع عظيم
لو لم يحصل له غيره لكفاه وانه المستلزم للفوز بالنعم الاجلة والعنوان لها ولقد ذرأنا
لجهنم خلقنا كثيرا من الجن والانس يعني المصرين على الكفر في علمه تعالى لهم قلوب لا يفقهون
بها اذ لا يلقونها الى معرفة الحق والنظر في دلائله ولهم اعين لا يبصرون بها اي لا ينظرون
الى ما خلق الله نظر اعتبار ولهم اذان لا يسمعون بها الايات والمواعظ سماع تأمل
وتذكر اولئك كالانعام في عدم الفقه والابصار للاعتبار والاستماع للتدبر

او في ان مشاعرهم وقواهم متوجهة الى اسباب التعيش مقصورة عليها بل هم اضل فانها
تدرك ما يمكن لها ان تدرك من المنافع والمضار وتجتهد في جلبها ودفعها غاية جهدها
وهم ليسوا كذلك بل اكثرهم يعلم انه معاند فيقدم على النار اولئك هم الغافلون الكاملون
في الغفلة ولله الاسماء الحسنى لانها دالة على معان هي احسن المعاني والمراد بها الالفاظ
وقيل الصفات فادعوه بها فسموه بتلك الاسماء وذروا الذين يلحدون في اسمائه واتركوا
تسمية الزائغين فيها الذين يسمونه بما لا توقيف فيه او بما يوهم معنى فاسدا كقولهم يا ابا
المكارم يا ابيض الوجه او لا تبالوا بانكارهم ما سمى به نفسه كقولهم ما نعرف الا رحمن اليمامة
او ذروهم والحادهم فيها باطلاقها على الاصنام واشتقاق اسمائها منها كاللات
من الله والعزى من العزيز ولا توافقوهم عليه او اعرضوا عنهم فان الله مجازيهم كما قال
سيجزون ما كانوا يعملون وقرأ حمزة يلحدون بالفتح يقال لحد والحد اذا مال عن القصد
وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون ذكر ذلك بعدما بين انه خلق للنار طائفة
ضالين ملحدين عن الحق للدلالة على انه خلق ايضا للجنة امة هادين بالحق عادلين في الامر
واستدل به على صحة الاجماع لان المراد منه ان في كل قرن طائفة بهذه الصفة لقوله عليه السلام
لا تزال من امتي طائفة على الحق الى ان يأتي امر الله اذ لو اختص بعهد الرسول وغيره
لم يكن لذكره فائدة فانه معلوم والذين كذبوا باياتنا سنستدرجهم سنستدنيهم الى
الهلاك قليلا قليلا واصل الاستدراج الاستصعاد او الاستنزال درجة بعد درجة
من حيث لا يعلمون ما نريد بهم وذلك ان تتواتر عليهم النعم فيظنوا انها لطف من الله بهم
فيزدادوا بطرا وانهماكا في الغي حتى يحق عليهم كلمة العذاب واملي لهم وامهلهم عطف على
سنستدرجهم ان كيدي متين ان اخذي شديد وانما سماه كيدا لان ظاهره احسان وباطنه خذلان
اولم يتفكروا ما بصاحبهم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم من جنة جنون روي انه صلى الله عليه وسلم
صعد على الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم باس الله فقال قائلهم ان صاحبكم لمجنون بات
يهوت الى الصباح فنزلت ان هو الا نذير مبين موضح انذاره بصوت بحيث لا يخفى على ناظر
اولم ينظروا نظر استدلال في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء مما يقع عليه الشيء

من الاجناس التي لا يمكن حصرها ليدلهم على كمال قدرة صانعها ووحدة مبدعها وعظم شان
مالكها ومتولي امرها ليظهر لهم صحة ما يدعوهم اليه وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم
عطف على ملكوت وان مصدرية او مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان وكذا اسم يكون
والمعنى او لم ينظروا في اقتراب اجالهم وتوقع حلولها فيسارعوا الى طلب الحق والتوجه الى ما
ينجيهم قبل مفاجأة الموت ونزول العذاب فبأي حديث بعده بعد القرآن يؤمنون اذا لم
يؤمنوا به وهو النهاية في البيان كأنه اخبار عنهم بالطبع والتصميم على الكفر بعد الزام الحجة
والارشاد الى النظر وقيل هو متعلق بقوله عسى ان يكون كأنه قيل لعل اجلهم قد اقترب
فما بالهم لا يبادرون الايمان بالقرآن وماذا ينتظرون بعد وضوحه فان لم يؤمنوا به فبأي
حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا به وقوله من يضلل الله فلا هادي له كالتقرير والتعليل
له ويذرهم في طغيانهم بالرفع على الاستئناف وقرأ ابو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء
لقوله من يضلل وحمزة والكسائي به وبالجزم عطفا على محل فلا هادي له كأنه
قيل لا يهده احد غيره ويذرهم يعمهون حال من هم يسألونك عن الساعة عن القيامة
وهي من الاسماء الغالبة واطلاقها عليها اما لوقوعها بغتة او لسرعة حسابها او لانها
على طولها عند الله كساعة ايان مرساها متى ارساها اي اثباتها ورسو الشيء ثباته
واستقراره ومنه رسا الجبل وارسى السفينة واشتقاق ايان من اي لان معناه اي وقت
وهو من اويت لان البعض آو الى الكل قل انما علمها عند ربي استأثر به لم يطلع عليه
ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا لا يجليها لوقتها لا يظهر امرها في وقتها الا هو والمعنى ان الخفاء
بها مستمر على غيره الى وقت وقوعها واللام للتوقيت كاللام في قوله اقم الصلوة لدلوك
الشمس ثقلت في السموات والارض عظمت على اهلها من الملائكة والثقلين لهولها وكأنه
اشارة الى الحكمة في اخفائها لا تأتيكم الا بغتة فجأة على غفلة كما قال عليه الصلوة والسلام
ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته
في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه يسألونك كأنك حفي عنها عالم بها فعيل من حفي عن
الشيء اذا سأل عنه فان من بالغ في السؤال عن الشيء والبحث عنه استحكم علمه فيه ولذلك

عدي

عدي بعن وقيل هي صلة يسألونك وقيل هو من الحفاوة بمعنى الشفقة فان قريشا قالوا له
ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة والمعنى يسألونك عنها كأنك حفي تتحفى بهم
فتخصهم لاجل قرابتهم بتعليم وقتها وقيل معناه كأنك حفي بالسؤال عنها تحبه اي تكرهه لانه من الغيب
الذي استأثر الله بعلمه قل انما علمها عند الله كرره لتكرير يسألونك لما نيط به من هذه الزيادة
للمبالغة ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان علمها عند الله لم يؤته احدا من خلقه قل لا املك لنفسي
نفعا ولا ضرا جلب نفع ولا دفع ضر وهو اظهار للعبودية والتبري من ادعاء العلم بالغيوب
الا ما شاء الله من ذلك فيلهمني اياه ويوفقني له ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما
مسني السوء ولو كنت اعلم لخالفت حالي ما هي عليه من استكثار المنافع واجتناب المضار حتى لا
يمسني سوء ان انا الا نذير وبشير وما انا الا عبد مرسل للانذار والبشارة لقوم
يؤمنون فانهم المنتفعون بهما ويجوز ان يكون متعلقا بالبشير ومتعلق النذير محذوف
هو الذي خلقكم من نفس واحدة هو آدم وجعل منها من جسدها من ضلع من اضلاعها
او من جنسها كقوله جعل لكم من انفسكم ازواجا زوجها حواء ليسكن اليها ليستأنس بها ويطمئن
بها اطمئنان الشيء الى جزئه او جنسه وانما ذكر الضمير ذهابا الى المعنى ليناسب فلما تغشاها
اي جامعها حملت حملا خفيفا خف عليها ولم تلق منه ما تلقى منه الحوامل غالبا من الاذى او محمولا
خفيفا هو النطفة فمرت به فاستمرت به وقامت وقعدت وقرئ فمرت بالتخفيف وفاستمرت
وفمارت من المور وهو المجيء والذهاب او من المرية اي فظنت الحمل وارتابت به فلما اثقلت
صارت ذات ثقل بكبر الولد في بطنها وقرئ على البناء للمفعول اي اثقلها حملها دعوا الله
ربهما لئن آتيتنا صالحا ولدا سويا قد صلح بدنه لنكونن من الشاكرين لك على هذه النعمة
المجددة فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما اي جعل اولادهما له شركاء فيما آتى اولادهما
فسموه عبد العزى وعبد مناف على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ويدل عليه
قوله فتعالى الله عما يشركون أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون يعني الاصنام وقيل
لما حملت حواء اتاها ابليس في صورة رجل فقال لها ما يدريك ما في بطنك لعله بهيمة
او كلب وما يدريك من اين يخرج فخافت من ذلك وذكرته لآدم فهما منه

ثم عاد اليهما وقال انى من الله بمنزلة فان دعوتما الله ان يجعله خلقا مثلك ويسهل عليك
خروجه فسمياه عبد الحارث وكان اسمه حارثا فى الملائكة فقبلت فلما ولدت سمته عبد الحارث
وامثال ذلك لا تليق بالانبياء ويحتمل ان يكون الخطاب لآل قصى من قريش فانهم خلقوا من
قصى وكان له زوج من جنسها عربية قرشية وطلبا من الله الولد فاعطاهما اربعة
بنين فسمياهم عبد مناف وعبد شمس وعبد قصى وعبد الدار ويكون الضمير فى يشركون
لهما ولاعقابهما المقتدين بهما وقرأ نافع وابو بكر شركا اى شركة بان اشركا فيه غيره او
ذوى شرك وهم الشركاء وهم ضمير الاصنام عبر به على تسميتهم اياها آلهة ولا يستطيعون
لهم نصرا اى لعبدتهم ولا انفسهم ينصرون فيدفعون عنها ما يعتريها وان تدعوهم اى المشركين
الى الهدى الى الاسلام لا يتبعوكم وقرأ نافع بالتخفيف وقيل الخطاب للمشركين وهم
ضمير الاصنام اى ان تدعوهم الى ان يهدوكم لا يتبعوكم الى مرادكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم
الله سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون وانما لم يقل ام صمتم للمبالغة فى عدم افادة
الدعاء من حيث انه مسوى بالثبات على الصمات او لانهم كانوا لا يدعونها لحوائجهم فكانه
قيل سواء عليكم احداثكم دعاءهم واستمراركم على الصمات عن دعائهم ان الذين تدعون من دون
الله اى تعبدونهم وتسمونهم آلهة عباد امثالكم من حيث انها مملوكة مسخرة فادعوهم فليستجيبوا
لكم ان كنتم صادقين انهم آلهة ويحتمل انهم لما نحتوها بصور الاناسى قال لهم ان قصارى
امرهم ان يكونوا عقلاء امثالكم فلا يستحقون عبادتكم كما لا يستحق بعضكم عبادة بعض ثم
عاد عليه بالنقض فقال الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون
بها ام لهم آذان يسمعون بها وقرئ ان الذين بتخفيف ان ونصب عبادا على انها نافية
عملت عمل ما الحجازية ولم يثبت مثله ويبطشون بالضم ههنا وفى القصص والدخان قل
ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم فى عداوتى ثم كيدون فبالغوا فيما تقدرون عليه من مكر
وهى انتم وشركاؤكم فلا تنظرون فلا تمهلونى فانى لا ابالى بكم لوثوقى على ولاية الله وحفظه
ان وليى الله الذى نزل الكتاب القرآن وهو يتولى الصالحين اى ومن عادته ان يتولى الصالحين
من عباده فضلا عن انبيائه والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم

ينصرون من تمام التعليل لعدم مبالاته بهم وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتريهم ينظرون
اليك وهم لا يبصرون يشبهون الناظر اليك لانهم صوروا بصورة من ينظر الى من يواجهه
خذ العفو اى خذ ما عفى لك من افعال الناس وتسهل ولا تطلب ما يشق عليهم من العفو الذى
هو ضد الجهد او خذ العفو من المذنبين او الفضل وما يسهل من صدقاتهم وذلك قبل وجوب
الزكوة وامر بالعرف المعروف والمستحسن من الافعال واعرض عن الجاهلين فلا تمارهم ولا تكافئهم
بمثل افعالهم وهذه الآية جامعة لمكارم الاخلاق آمرة للرسول باستجماعها واما ينزغنك
من الشيطان نزغ ينخسك منه نخس اى وسوسة تحملك على خلاف ما امرت به كاعتراء غضب
وفكر والنزغ والنسغ والنخس الغرز شبه وسوسته للناس اغراء لهم على المعاصى وازعاجا
بغرز السائق ما يسوقه فاستعذ بالله انه سميع يسمع استعاذتك عليم يعلم ما فيه صلاح
امرك فيحملك عليه او سميع باقوال من آذاك عليم بافعاله فيجازيه عليها مغنيا اياك عن
الانتقام ومتابعة الشيطان ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان لمة منه
وهو اسم فاعل من طاف يطوف كأنها طافت بهم ودارت حولهم فلم تقدر ان تؤثر فيهم
او من طاف به الخيال يطيف طيفا وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائى ويعقوب طيف
على انه مصدر او تخفيف طيف كلين وهين والمراد بالشيطان الجنس ولذلك جمع ضميره تذكروا
ما امر الله به ونهى عنه فاذا هم مبصرون بسبب التذكر مواقع الخطاء ومكايد الشيطان فيتحرزون
عنها ولا يتبعونه فيها والآية تاكيد وتقرير لما قبلها وكذا قوله واخوانهم يمدونهم
اى واخوان الشياطين الذين لم يتقوا يمدهم الشياطين فى الغى بالتزيين والحمل عليه وقرأ نافع
يمدونهم من امد وقرئ يمادونهم كانهم يعينونهم بالتسهيل والاغراء وهؤلاء يعينونهم
بالاتباع والامتثال ثم لا يقصرون ثم لا يمسكون عن اغوائهم حتى يردوهم ويجوز
ان يكون الضمير للاخوان اى لا يكفون عن الغى ولا يقصرون كالمتقين ويجوز ان يراد بالاخوان
الشياطين ويرجع الضمير الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على من هو له واذا لم تأتهم
بآية من القرآن او مما اقترحوه قالوا لولا اجتبيتها هلا جمعتها تقولا من نفسك كسائر
ما تقرأه او هلا طلبتها من الله قل انما اتبع ما يوحى الى من ربى لست بمختلق للآيات او

بفترح لها هذا بصائر من ربكم هذا القرآن بصائر للقلوب بها يبصر الحق ويدرك
الصواب وهدى ورحمة لقوم يؤمنون سبق تفسيره وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له
وأنصتوا لعلكم ترحمون نزلت في الصلوة كانوا يتكلمون فيها فأمروا باستماع قراءة الإمام
والإنصات له وظاهر اللفظ يقتضي وجوبهما حيث يقرأ القرآن مطلقا وعامة العلماء على
استحبابهما خارج الصلوة واحتج به من لا يرى القراءة على المأموم وهو ضعيف واذكر ربك
في نفسك عام في الأذكار من القراءة والدعاء وغيرهما أو أمر للمأموم بالقراءة سرا بعد
فراغ الإمام عن قراءته كما هو مذهب الشافعي رحمه الله تضرعا وخيفة متضرعا وخائفا
ودون الجهر من القول متكلما كلاما فوق السر ودون الجهر فإنه أدخل في الخشوع
والإخلاص بالغدو والآصال بأوقات الغدو والعشيات وقرئ والإيصال وهو مصدر
آصل إذا دخل في الأصيل مطابق للغدو ولا تكن من الغافلين عن ذكر الله إن الذين عند
ربك يعني ملائكة الملأ الأعلى لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وينزهونه وله يسجدون
ويخصونه بالعبادة والتذلل لا يشركون به غيره وهو تعريض بمن عداهم من المكلفين ولذلك
شرع السجود لقراءته وعن النبي عليه الصلوة والسلام إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد
اعتزل الشيطان يبكي فيقول يا ويله أمر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فعصيت
فلي النار وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الأعراف جعل الله يوم القيامة
بينه وبين إبليس سترا وكان آدم عليه السلام شفيعا له يوم القيامة ۵

سورة الأنفال مدنية وآيها ست وسبعون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم يسألونك عن الأنفال أي الغنائم يعني حكمها وإنما سميت الغنيمة
نفلا لأنها عطية من الله وفضل كما سمي به ما يشرطه الإمام لمقتحم خطر عطية له وزيادة
على سهمه قل الأنفال لله والرسول أي أمرها مختص بهما يقسمها الرسول على ما يأمره الله به
وسبب نزوله اختلاف المسلمين في غنائم بدر أنها كيف تقسم ومن يقسم المهاجرون منهم
أو الأنصار وقيل شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن كان له غناء أن ينفل فتسارع

شبانهم حتى قتلوا سبعين وأسروا سبعين ثم طلبوا نفلهم وكان المال قليلا فقال الشيوخ والوجوه
الذين كانوا عند الرايات كنا ردءا لكم وفئة تنحازون إليها فنزلت فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم
على السواء ولهذا قيل لا يلزم الإمام أن يفي بما وعد وهو قول الشافعي رحمه الله وعن سعد بن أبي
وقاص قال لما كان يوم بدر قتل أخي عمير فقتلت به سعيد بن العاص وأخذت سيفه فأتيت به رسول
الله صلى الله عليه وسلم واستوهبته منه فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته
وبي ما لا يعلمه إلا الله من قتل أخي وأخذ سلبي فما جاوزت إلا قليلا حتى نزلت سورة الأنفال
فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم سألتني السيف وليس لي وإنه قد صار لي فاذهب
فخذه وقرئ يسألونك علنفال بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام وإدغام نون عن
فيها ويسألونك الأنفال أي يسألك الشبان ما شرطت لهم فاتقوا الله في الاختلاف والمشاجرة
وأصلحوا ذات بينكم الحال التي بينكم بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله وتسليم أمره
إلى الله والرسول وأطيعوا الله ورسوله فيه إن كنتم مؤمنين فإن الإيمان يقتضي ذلك أو إن كنتم
كاملي الإيمان فإن كمال الإيمان بهذه الثلاثة طاعة الأوامر والاتقاء عن المعاصي
وإصلاح ذات البين بالعدل والإحسان إنما المؤمنون أي الكاملون في الإيمان
الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله
وقيل هو الرجل يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع عنه خوفا من عقابه وقرئ
وجلت بالفتح وهي لغة وفرقت أي خافت وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا
لزيادة المؤمن به أو لاطمئنان النفس ورسوخ اليقين بتظاهر الأدلة أو بالعمل
بموجبها وهو قول من قال الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية بناء على أن
العمل داخل فيه وعلى ربهم يتوكلون يفوضون إليه أمورهم ولا يخشون ولا يرجون
إلا إياه الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا لأنهم
حققوا إيمانهم بأن ضموا إليه مكارم أعمال القلوب من الخشية والإخلاص والتوكل
ومحاسن أفعال الجوارح التي هي العيار عليها الصلوة والصدقة وحقا صفة مصدر
محذوف أو مصدر مؤكد كقوله هو عبد الله حقا لهم درجات عند ربهم كرامة

وعلو منزلة وقيل درجات الجنة يرتقونها باعمالهم ومغفرة لما فرط منهم ورزق
كريم اعد لهم في الجنة لا ينقطع عدده ولا ينتهي امده كما اخرجك ربك من بيتك بالحق
خبر مبتدا محذوف تقديره هذه الحال في كراهتهم لها كحال اخراجك للحرب
في كراهتهم له او صفة مصدر الفعل المقدر في قوله لله والرسول اي الانفال ثبتت
لله والرسول مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراجك ربك من بيتك يعني المدينة لانها
مهاجره ومسكنه او بيته فيها مع كراهتهم وان فريقا من المؤمنين لكارهون في موقع
الحال اي اخرجك في حال كراهتهم وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام وفيها تجارة
عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل
وعمرو بن هشام فاخبر جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر
المسلمين فاعجبهم تلقيها لكثرة المال وقلة الرجال فلما خرجوا بلغ الخبر اهل مكة
فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجا النجا على كل صعب وذلول عيركم
اموالكم ان اصابها محمد لن تفلحوا بعدها ابدا وقد رأت قبل ذلك بثلث عاتكة
بنت عبد المطلب ان ملكا نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت
في مكة الا اصابه شيء منها فحدثت بها العباس وبلغ ذلك ابا جهل فقال ما ترضى
رجالهم ان يتنبؤا حتى تتنبأ نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة ومضى بهم الى
بدر وهو ماء كانت العرب تجتمع عليه لسوقهم يوما في السنة وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم بوادي دفران فنزل عليه جبريل بالوعد باحدى الطائفتين اما العير
واما قريش فاستشار فيه اصحابه فقال بعضهم هلا ذكرت لنا القتال حتى نتأهب له
انا خرجنا للعير فردد عليهم وقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل
قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فغضب رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم فقال ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال
انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار
ثم قال مقداد بن عمرو امض لما امرك الله فانا معك حيثما احببت لا نقول لك كما قالت

بنوا اسرائيل

بنوا اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت
وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اشيروا
علي ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم كانوا عددهم وقد شرطوا حين بايعوه
بالعقبة انهم برآء من ذمامه عليه الصلوة والسلام حتى يصل الى ديارهم فتخوف ان لا يروا
نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ وقال لكأنك تريدنا يا رسول الله
قال اجل قال انا قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك
على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت
فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا
رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا وانا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء
ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله فنشطه قوله ثم قال سيروا
على بركة الله وابشروا فان الله قد وعدني احدى الطائفتين والله لكأني انظر الى
مصارع القوم وقيل انه صلى الله عليه وسلم لما فرغ من بدر قيل له عليك بالعير
فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال لم فقال لان الله وعدك احدى
الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك وكره بعضهم قوله يجادلونك في الحق في ايثار
الجهاد باظهار الحق لايثارهم تلقي العير عليه بعد ما تبين انهم ينصرون اينما توجهوا باعلام
الرسول كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون اي يكرهون القتال كراهة من يساق
الى الموت وهو يشاهد اسبابه وكان ذلك لقلة عددهم وعدم تأهبهم اذ روي
انهم كانوا رجالة وما كان فيهم الا فارسان وفيه ايماء الى ان مجادلتهم كان لفرط
فزعهم ورعبهم واذ يعدكم الله احدى الطائفتين على اضمار اذكر واحدى ثاني مفعولي
يعدكم وقد ابدل عنها انها لكم بدل الاشتمال وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم
يعني العير فانه لم يكن فيها الا اربعون فارسا ولذلك يتمنونها ويكرهون ملاقاة
النفير لكثرة عددهم وعددهم والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويريد
الله ان يحق الحق اي يثبته ويعليه بكلماته الموحى بها في هذه الحال او باوامره للملائكة

بالامداد وقرئ بكلمته ويقطع دابر الكافرين ويستأصلهم والمعنى انكم تريدون
ان تصيبوا مالا ولا تلقوا مكروها والله يريد اعلاء الدين واظهار الحق وما يحصل
لكم فوز الدارين ليحق الحق ويبطل الباطل اى فعل ما فعل وليس بتكرير لان الاول
لبيان المراد وما بينه وبين مرادهم من التفاوت والثانى لبيان الداعى الى حمل الرسول
على اختيار ذات الشوكة ونصره عليها ولو كره المجرمون ذلك اذ تستغيثون ربكم
بدل من اذ يعدكم او متعلق بقوله ليحق الحق او على اضمار اذكروا واستغاثتهم انهم لما علموا
ان لا محيص من القتال اخذوا يقولون اى رب انصرنا على عدوك اغثنا يا غياث
المستغيثين وعن عمر رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم نظر الى المشركين وهم الف والى
اصحابه وهم ثلثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لى ما وعدتنى
اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد فى الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه
فقال ابو بكر رضى الله عنه يا نبى الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك
فاستجاب لكم انى ممدكم بانى ممدكم فحذف الجار وسلط عليه الفعل وقرأ ابو عمرو
بالكسر على ارادة القول او اجراء استجاب مجرى قال لان الاستجابة من القول بالف
من الملائكة مردفين متبعين المؤمنين او بعضهم بعضا من اردفته اذا جئت بعده او
متبعين بعضهم بعضا المؤمنين او انفسهم المؤمنين من اردفته اياه فردفه وقرأ
نافع ويعقوب مردفين بفتح الدال اى متبعين او متبعين بمعنى انهم كانوا مقدمة
الجيش او ساقتهم وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها واصله مرتدفين بمعنى مترادفين
فادغمت التاء فى الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر على الاصل او بالضم على الاتباع
وقرئ بالاف ليوافق ما فى سورة آل عمران ووجه التوفيق بينه وبين المشهور ان
المراد بالالف الذين كانوا على المقدمة او الساقة او وجوههم واعيانهم او من قاتل
منهم واختلف فى مقاتلتهم وقد روى اخبار تدل عليها وما جعله الله اى الامداد
الا بشرى الا بشارة لكم بالنصر ولتطمئن به قلوبكم فيزول ما بها من الوجل لقلتكم وذلتكم
وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم وامداد الملائكة وكثرة العدد والاهب

ونحوهما وسائط لا تأثير لها فلا تحسبوا النصر منها ولا تيأسوا منه بفقدها اذ يغشيكم
النعاس بدل ثان من اذ يعدكم لاظهار نعمة ثالثة او متعلق بالنصر او بما فى عند الله
من معنى الفعل او بجعل او باضمار اذكر وقرأ نافع بالتخفيف من اغشيته الشئ اذا غشيته
اياه والفاعل على القرائتين هو الله تعالى وقرأ ابن كثير وابو عمرو يغشاكم النعاس
بالرفع امنة منه امنا من الله وهو مفعول له باعتبار المعنى فان قوله يغشيكم النعاس
متضمن معنى تنعسون ويغشاكم بمعناه والامنة فعل لفاعله ويجوز ان يراد بها
الايمان فيكون فعل المغشى وان يجعل على القراءة الاخيرة فعل النعاس على المجاز لانها
لاصحابه او لانه كان من حقه ان لا يغشاهم لشدة الخوف فلما غشيهم فكأنه حصلت
له امنة من الله لولاها لم يغشهم كقوله يهاب النوم ان يغشى عيونا تهابك فهو
نفار شرود وقرئ امنة كرحمة وهى لغة وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به من
الحدث والجنابة ويذهب عنكم رجز الشيطان يعنى الجنابة لانه من تخييله او وسوسته
وتخويفه اياهم من العطش روى انهم نزلوا فى كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير
ماء وناموا فاحتلم اكثرهم وقد غلب المشركون على الماء فوسوس اليهم الشيطان
وقال كيف تنصرون وقد غلبتم على الماء وانتم تصلون محدثين مجنبين وتزعمون
انكم اولياء الله وفيكم رسوله فاشفقوا فانزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى
الوادى واتخذوا الحياض على عدوته وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضأوا وتلبد
الرمل الذى بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وزالت الوسوسة وليربط على
قلوبكم بالوثوق على لطف الله بهم ويثبت به الاقدام اى بالمطر حتى لا تسوخ فى الرمل
او بالربط على القلوب حتى تثبت فى المعركة اذ يوحى ربك بدل ثالث او متعلق بيثبت
الى الملائكة انى معكم فى اعانتهم وتثبيتهم وهو مفعول يوحى وقرئ بالكسر على ارادة القول
او اجراء الوحى مجراه فثبتوا الذين آمنوا بالبشارة او بتكثير سوادهم او بمحاربة اعدائهم
فيكون قوله سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب كالتفسير لقوله انى معكم فثبتوا وفيه
دليل على انهم قاتلوا ومن منع ذلك جعل الخطاب فيه مع المؤمنين اما على تغيير الخطاب

او على ان قوله سألقي الى قوله كل بنان تلقين للملائكة ما يثبتون المؤمنين به كأنه قال
قولوا لهم قولي هذا فاضربوا فوق الاعناق اعاليها التي هي المذابح او الرؤوس واضربوا
منهم كل بنان اصابع اي جزوا رقابهم واقطعوا اطرافهم ذلك اشارة الى الضرب او الامر
به والخطاب للرسول او لكل احد من المخاطبين قبل بانهم شاقوا الله ورسوله بسبب مشاقتهم
لهما واشتقاقه من الشق لان كلا من المتعادين في شق خلاف شق الآخر كالمعاداة من العدوة
والمخاصمة من الخصم وهو الجانب ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب
تقرير للتعليل او وعيد بما اعد لهم في الآخرة بعد ما حاق بهم في الدنيا ذلكم الخطاب
فيه مع الكفرة على طريقة الالتفات ومحله الرفع اي الامر ذلكم او ذلكم واقع او نصب
بفعل دل عليه فذوقوه او غيره مثل باشروا او عليكم ليكون الفاء عاطفة وان للكافرين
عذاب النار عطف على ذلكم او نصب على المفعول معه والمعنى ذوقوا ما عجل لكم
مع ما اجل لكم في الآخرة ووضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على ان الكفر
سبب العذاب الآجل والجمع بينهما وقرئ وان بالكسر على الاستئناف يا ايها الذين
آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا كثيرا بحيث يرى لكثرتهم كانهم يزحفون وهو
مصدر زحف الصبي اذا دب على مقعده قليلا قليلا سمي به وجمع على زحوف وانتصابه
على الحال فلا تولوهم الادبار بالانهزام فضلا عن ان يكونوا مثلكم او اقل منكم والاظهر
انها محكمة لكنها مخصوصة بقوله حرض المؤمنين الآية ويجوز ان ينتصب زحفا حالا من
الفاعل والمفعول اي اذا لقيتموهم متزاحفين يدبون اليكم وتدبون اليهم فلا تنهزموا
او من الفاعل وحده ويكون اشعارا بما سيكون منهم يوم حنين حين تولوا وهم اثنا عشر
الفا ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال يريد الكر بعد الفر وتغرير العدو فانه
من مكايد الحرب او متحيزا الى فئة اي منحازا الى فئة اخرى من المسلمين على القرب
ليستعين بهم ومنهم من لم يعتبر القرب لما روى ابن عمر رضي الله عنهما انه كان في سرية
بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ففروا الى المدينة فقلت يا رسول الله نحن الفرارون
فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم وانتصاب متحرفا ومتحيزا على الحال والا لغو لا عمل له

او الاستثناء من المولين اي الا رجلا متحرفا او متحيزا ووزن متحيز متفيعل لا متفعل والا
لكان متحوزا لانه من حاز يحوز فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير هذا
اذا لم يزد العدد على الضعف لقوله الآن خفف الله عنكم الآية وقيل الآية مخصوصة
باهل بدر والحاضرين معه في الحرب فلم تقتلوهم بقوتكم ولكن الله قتلهم بنصركم وتسليطكم
عليهم والقاء الرعب في قلوبهم روي انه لما طلعت قريش من العقنقل قال صلى الله عليه
وسلم هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم اني اسألك ما وعدتني
فاتاه جبريل وقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان تناول كفا
من الحصباء فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينيه فانهزموا
وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم ثم لما انصرفوا اقبلوا على التفاخر فيقول الرجل
قتلت واسرت فنزلت والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم
ولكن الله قتلهم وما رميت يا محمد رميا توصلها الى اعينهم ولم تقدر عليه اذ رميت اي
اتيت بصورة الرمي ولكن الله رمى اتى بما هو غاية الرمي فاوصلها الى اعينهم جميعا حتى
انهزموا وتمكنتم من قطع دابرهم وقد عرفت ان اللفظ يطلق على المسمى وعلى ما هو كماله
والمقصود منه وقيل معناه ما رميت بالرعب اذ رميت بالحصباء ولكن الله رمى بالرعب
في قلوبهم وقيل انه نزل في طعنة طعن بها ابي بن خلف يوم احد ولم يخرج منه دم فجعل
يخور حتى مات او رمية سهم رماه يوم حنين نحو الحصن فاصاب كنانة بن الحقيق على
فراشه والجمهور على الاول وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ولكن بالتخفيف ورفع ما بعده
في الموضعين وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا ولينعم عليهم نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة ومشاهدة
الآيات ان الله سميع لاستغاثتهم ودعائهم عليم بنياتهم واحوالهم ذلكم اشارة الى
البلاء الحسن او القتل او الرمي ومحله الرفع اي المقصود او الامر ذلكم وقوله وان الله
موهن كيد الكافرين معطوف عليه اي المقصود ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وابطال
حيلهم وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو موهن بالتشديد وحفص موهن كيد بالاضافة
والتخفيف ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك

حين أنهم أرادوا الخروج تعلقوا بأستار الكعبة وقالوا اللهم انصر أعلى الجندين وأهدى
الفئتين وأكرم الحزبين وإن تنتهوا عن الكفر ومعاداة الرسول فهو خير لكم لتضمنه سلامة
الدارين وخير المنزلين وإن تعودوا لمحاربته نعد لنصره ولن تغني ولن تدفع عنكم
فئتكم جماعتكم شيئا من الإغناء أو المضار ولو كثرت فئتكم وأن الله مع المؤمنين بالنصر
والمعونة وقرأ نافع وابن عامر وحفص وأن بالفتح على ولأن الله مع المؤمنين كان
ذلك وقيل الآية خطاب للمؤمنين والمعنى إن تستنصروا فقد جاءكم النصر وإن تنتهوا
عن التكاسل في القتال والرغبة عما يستأثره الرسول فهو خير لكم وإن تعودوا إليه
نعد عليكم بالإنكار أو تهييج العدو ولن تغني حينئذ كثرتكم إذا لم يكن الله معكم بالنصر
فإنه مع الكاملين في إيمانهم ويؤيد ذلك يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله
ولا تولوا عنه ولا تتولوا عن الرسول فإن المراد من الآية الأمر بطاعته والنهي
عن الإعراض عنه وذكر طاعة الله للتوطئة والتنبيه على أن طاعة الله في طاعة
الرسول لقوله من يطع الرسول فقد أطاع الله وقيل الضمير للجهاد أو للأمر الذي دل
عليه الطاعة وأنتم تسمعون القرآن والمواعظ سماع فهم وتصديق ولا تكونوا كالذين
قالوا سمعنا كالكفرة أو المنافقين الذين ادعوا السماع وهم لا يسمعون سماعا ينتفعون
به فكأنهم لا يسمعون رأسا إن شر الدواب عند الله شر ما يدب على الأرض أو شر البهائم
الصم عن الحق البكم الذين لا يعقلون إياه عدهم من البهائم ثم جعلهم شرها لإبطالهم ما ميزوا
به وفضلوا لأجله ولو علم الله فيهم خيرا سعادة كتبت لهم أو انتفاعا بالآيات لأسمعهم
سماع تفهم ولو أسمعهم وقد علم أن لا خير فيهم لتولوا ولم ينتفعوا به أو ارتدوا بعد
التصديق والقبول وهم معرضون لعنادهم وقيل كانوا يقولون أحي لنا قصيا
فإنه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك ونؤمن بك والمعنى لأسمعهم كلام قصي يا أيها الذين
آمنوا استجيبوا لله وللرسول بالطاعة إذا دعاكم وحد الضمير لما سبق ولأن دعوة
الله تسمع من الرسول وروي أنه عليه الصلاة والسلام مر على أبي وهو يصلي فدعاه
فعجل في صلاته ثم جاء فقال ما منعك عن إجابتي قال كنت أصلي قال ألم تخبر فيما أوحي إلي

استجيبوا لله وللرسول واختلف فيه فقيل هذا لأن إجابته لا تقطع الصلاة فإن
الصلاة أيضا إجابة وقيل إن دعاءه كان لأمر لا يحتمل التأخير وللمصلي أن يقطع الصلاة
لمثله وظاهر الحديث يناسب الأول لما يحييكم من العلوم الدينية فإنها حياة القلب والجهل
موته قال لا تعجبن الجهول حلته فذاك ميت وثوبه كفن أو مما يورثكم الحياة الأبدية
في النعيم الدائم من العقائد والأعمال أو من الجهاد فإنه سبب بقائكم إذ لو تركوه لغلبهم
العدو وقتلهم أو الشهادة لقوله تعالى بل أحياء عند ربهم واعلموا أن الله يحول بين
المرء وقلبه تمثيل لغاية قربه من العبد لقوله ونحن أقرب إليه من حبل الوريد وتنبيه
على أنه مطلع على مكنونات القلوب مما عسى يغفل عنه صاحبها أو حث على المبادرة
إلى إخلاص القلوب وتصفيتها قبل أن يحول الله بينه وبين القلب بالموت أو غيره
أو تصوير وتخييل لتملكه على العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير مقاصده ويحول بينه وبين
الكفر إن أراد سعادته وبينه وبين الإيمان إن قضى شقاوته وقرئ بين المر بالتشديد
على حذف الهمزة وإلقاء حركتها على الراء وإجراء الوصل مجرى الوقف على لغة من يشدد
فيه وأنه إليه تحشرون فيجازيكم بأعمالكم واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة
اتقوا ذنبا يعمكم أثره كإقرار المنكر بين أظهركم والمداهنة في الأمر بالمعروف وافتراق الكلمة
وظهور البدع والتكاسل في الجهاد على أن قوله لا تصيبن إما جواب الأمر على معنى إن أصابتكم
لا تصيب الظالمين منكم خاصة وفيه أن جواب الشرط متردد فلا يليق به النون المؤكدة
لكنه لما تضمن معنى النهي ساغ فيه كقوله تعالى ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم وإما صفة لفتنة
ولا للنفي وفيه شذوذ لأن النون لا تدخل المنفي في غير القسم أو للنهي على إرادة القول
كقول الشاعر حتى إذا جن الظلام واختلط جاؤوا بمذق هل رأيت الذئب قط
وإما جواب قسم محذوف كقراءة من قرأ لتصيبن وإن اختلفا في المعنى ويحتمل أن يكون
نهيا بعد الأمر باتقاء الذنب عن التعرض للظلم فإن وباله يصيب الظالم خاصة ويعود
عليه ومن في منكم على الوجوه الأول للتبعيض وعلى الأخير للتبيين وفائدته التنبيه
على أن الظلم منكم أقبح من غيركم واعلموا أن الله شديد العقاب واذكروا إذ أنتم قليل

مستضعفون في الارض ارض مكة تستضعفكم قريش والخطاب للمهاجرين وقيل للعرب
كافة فانهم كانوا اذلاء في ايدي فارس والروم تخافون ان يتخطفكم الناس كفار
قريش او من عداهم فانهم كانوا جميعا معادين مضادين لهم فآواكم الى المدينة وجعل
لكم مأوى تتحصنون به عن اعدائكم وايدكم بنصره على الكفار او بمظاهرة الانصار
او بامداد الملائكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات من الغنائم لعلكم تشكرون
هذه النعم يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول بتعطيل الفرائض والسنن
او بان تضمروا خلاف ما تظهرون او بالغلول وروي انه صلى الله عليه وسلم حاصر بني
قريظة احدى وعشرين ليلة فسألوه الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير على ان يسيروا
الى اخوانهم باذرعات واريحا من ارض الشام فابى الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا
ارسل الينا ابا لبابة وكان مناصحا لهم لان عياله وماله في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا
ما ترى هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه انه الذبح فقال ابو لبابة فما زالت قدماي
حتى علمت اني قد خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية في المسجد وقال
والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام حتى
خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال والله لا احلها
حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده فقال ان من
تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال عليه السلام
يجزيك الثلث ان تتصدق به واصل الخون النقص كما ان اصل الوفاء التمام واستعماله
في ضد الامانة لتضمنه اياه وتخونوا اماناتكم فيما بينكم وهو مجزوم بالعطف على الاول
او منصوب على الجواب بالواو وانتم تعلمون انكم تخونون او وانتم علماء تميزون الحسن من القبيح
واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة لانهم سبب الوقوع في الاثم او العقاب او محنة
من الله ليبلوكم فيهم فلا يحملنكم حبهم على الخيانة كابي لبابة وان الله عنده اجر عظيم
لمن اثر رضاء الله عليهم وراعى حدوده فيهم فانيطوا هممكم بما يؤديكم اليه يا ايها الذين
امنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا هداية في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل

او نصرا يفرق بين المحق والمبطل باعزاز المؤمنين واذلال الكافرين او مخرجا من الشبهات
او نجاة عما تحذرون في الدارين او ظهورا يشهر امركم ويبث صيتكم من قولهم بت
افعل كذا حتى سطع الفرقان اي الصبح ويكفر عنكم سيئاتكم ويسترها ويغفر لكم
بالتجاوز والعفو عنه وقيل السيئات الصغائر والذنوب الكبائر وقيل المراد ما تقدم
وما تأخر لانها في اهل بدر وقد غفرهما الله لهم والله ذو الفضل العظيم تنبيه على ان ما
وعده لهم على التقوى تفضل منه واحسان وانه ليس مما يوجب تقويهم عليه كالسيد اذا وعد
عبده انعاما على عمل واذ يمكر بك الذين كفروا تذكار لما مكر قريش به حين كان
بمكة ليشكر نعمة الله في خلاصه من مكرهم واستيلائه عليهم والمعنى واذكر اذ يمكرون بك
ليثبتوك بالوثاق او الحبس او الاثخان بالجرح من قولهم ضربه حتى اثبته لا حراك به
ولا براح وقرئ ليثبتوك بالتشديد وليبيتوك من البيات وليقيدوك او يقتلوك
بسيوفهم او يخرجوك من مكة وذلك انهم لما سمعوا باسلام الانصار ومتابعتهم فرقوا
واجتمعوا في دار الندوة متشاورين في امره فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ وقال انا
من نجد سمعت اجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رايا ونصحا فقال ابو البختري
رايي ان تحبسوه في بيت وتسدوا منافذه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها حتى يموت
فقال الشيخ بئس الراي ياتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام
بن عمرو رايي ان تحملوه على جمل فتخرجوه من ارضكم فلا يضركم ما صنع فقال بئس الراي يفسد
قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا ارى ان تاخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه
سيفا فيضربوه ضربة واحدة فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش
كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه فقال صدق هذا الفتى فتفرقوا على رايه فاتى جبريل
النبي عليه الصلوة والسلام فاخبره بالخبر وامره بالهجرة فبيت عليا رضي الله عنه على مضجعه
وخرج مع ابي بكر الى الغار ويمكرون ويمكر الله برد مكرهم عليهم او بمجازاتهم عليه او
بمعاملة الماكرين معهم بان اخرجهم الى بدر وقلل المسلمين في اعينهم حتى حملوا عليهم
فقتلوا والله خير الماكرين اذ لا يؤبه بمكرهم دون مكره واسناد امثال هذا انما يحسن للمزاوجة

ولا يجوز اطلاقها ابتداء لما فيه من ايهام الذم واذا تتلى عليهم اياتنا قالوا قد سمعنا
لو نشاء لقلنا مثل هذا هو قول النضر بن الحارث واسناده الى الجميع اسناد ما فعله
رئيس القوم اليهم فانه كان قاصهم وقيل هو قول الذين ائتمروا في امره وهذا غاية
مكابرتهم وفرط عنادهم اذ لو استطاعوا ذلك فما منعهم ان يشاؤا وقد تحداهم
وقرعهم بالعجز عشر سنين ثم قارعهم بالسيف فلم يعارضوا سورة مع انفتهم وفرط استنكافهم
ان يغلبوا خصوصا في باب البيان ان هذا الا اساطير الاولين ما سطره الاولون من
القصص واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء
او ائتنا بعذاب اليم هذا ايضا من كلام ذلك القائل ابلغ في الجحود روي انه لما قال
النضر ان هذا الا اساطير الاولين قال له النبي عليه السلام ويلك انه كلام الله تعالى
فقال ذلك والمعنى ان كان هذا القرآن حقا منزلا فامطر علينا الحجارة عقوبة على انكاره
او ائتنا بعذاب اليم سواه والمراد منه التهكم واظهار اليقين والجزم التام على كونه
باطلا وقرئ الحق بالرفع على ان هو مبتدأ غير فصل وفائدة التعريف فيه الدلالة على ان
المعلق به كونه حقا بالوجه الذي يدعيه النبي صلى الله عليه وسلم وهو تنزيله لا الحق مطلقا لتجويزهم
ان يكون مطابقا للواقع غير منزل كاساطير الاولين وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما
كان الله معذبهم وهم يستغفرون بيان لما كان الموجب لامهالهم والتوقف في اجابة
دعائهم واللام لتاكيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم عذاب استيصال والنبي بين
اظهرهم خارج عن عادته غير مستقيم في قضائه والمراد باستغفارهم اما استغفار من
بقي فيهم من المؤمنين او قولهم اللهم غفرانك او فرضه على معنى لو استغفروا لم يعذبوا كقوله
وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون وما لهم الا يعذبهم الله وما لهم مما يمنع
تعذيبهم متى زال ذلك وكيف لا يعذبون وهم يصدون عن المسجد الحرام وحالهم ذلك
ومن صدهم عنه الجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الى الهجرة واحصارهم عام
الحديبية وما كانوا اولياءه مستحقين ولاية امره مع شركهم وهو رد لما كانوا يقولون
نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء ان اولياؤه الا المتقون
من الشرك الذين لا يعبدون فيه غيره وقيل الضميران لله ولكن اكثرهم لا يعلمون ان لا ولاية
لهم عليه كانه نبه بالاكثر ان منهم من يعلم ويعاند او اراد به الكل كما يراد بالقلة العدم
وما كان صلوتهم عند البيت اي دعاؤهم او ما يسمونه صلوة او ما يضعون موضعها الا مكاء
صفيرا فعال من مكا يمكو اذا صفر وقرئ بالقصر كالبكا وتصدية تصفيقا تفعلة من
الصد او من الصدى على ابدال احد حرفي التضعيف بالياء وقرئ صلوتهم بالنصب على انه
الخبر المقدم ومساق الكلام لتقرير استحقاقهم العذاب وعدم ولايتهم للمسجد فانها
لا تليق بمن هذه صلوته روي انهم كانوا يطوفون عراة الرجال والنساء مشبكين بين
اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وقيل كانوا يفعلون ذلك اذا اراد النبي ان يصلي
يخلطون عليه ويرون انهم يصلون ايضا فذوقوا العذاب يعني القتل والاسر يوم
بدر وقيل عذاب الاخرة واللام يحتمل ان يكون للعهد والمعهود ائتنا بعذاب اليم
بما كنتم تكفرون اعتقادا او عملا ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل
الله نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا من قريش يطعم كل واحد منهم
كل يوم عشر جزر او في ابي سفيان استاجر ليوم احد الفين من العرب سوى من استجاش
من العرب وانفق عليهم اربعين اوقية او في اصحاب العير فانه لما اصيب قريش ببدر
قيل لهم اعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك منه ثارنا ففعلوا والمراد بسبيل الله
دينه واتباع رسوله فسينفقونها بتمامها ولعل الاول اخبار عن انفاقهم في تلك
الحال وهو انفاق بدر والثاني اخبار عن انفاقهم فيما يستقبل وهو انفاق احد
ويحتمل ان يراد بهما واحد على ان مساق الاول لبيان غرض الانفاق ومساق الثاني
لبيان عاقبته وانه لم يقع بعد ثم تكون عليهم حسرة ندما وغما لفواتها من غير مقصود
جعل ذاتها تصير حسرة وهي عاقبة انفاقها مبالغة ثم يغلبون اخر الامر وان كان
الحرب بينهم سجالا قبل ذلك والذين كفروا اي الذين ثبتوا على الكفر منهم اذ اسلم بعضهم
الى جهنم يحشرون يساقون ليميز الله الخبيث من الطيب الكافر من المؤمن او الفساد من
الصلاح واللام متعلقة بيحشرون او يغلبون او ما انفقه المشركون في عداوة رسول الله

مما انفقه المسلمون في نصرته واللام متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وقرأ حمزة
والكسائي ويعقوب ليميز من التمييز وهو ابلغ من الميز ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه
جميعا فيجمعه ويضم بعضه على بعض حتى يتراكبوا لفرط ازدحامهم او يضم الى الكافر ما انفقه
لزيد به عذابه كمال الكافرين فيجعله في جهنم كله اولئك اشارة الى الخبيث لانه مقدر
بالفريق الخبيث او الى المنفقين هم الخاسرون الكاملون في الخسران لانهم خسروا انفسهم
واموالهم قل للذين كفروا يعني ابا سفيان واصحابه والمعنى قل لاجلهم ان ينتهوا عن معاداة
الرسول بالدخول في الاسلام يغفر لهم ما قد سلف من ذنوبهم وقرئ بالتاء والكاف
على انه خاطبهم ويغفر على البناء للفاعل وهو الله وان يعودوا الى قتاله فقد مضت
سنة الاولين الذين تحزبوا على الانبياء بالتدمير كما جرى على اهل بدر فليتوقعوا
مثل ذلك وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة لا يوجد فيهم شرك ويكون الدين كله لله وتضمحل
عنهم الاديان الباطلة فان انتهوا عن الكفر فان الله بما يعملون بصير فيجازيهم
على انتهائهم عنه واسلامهم وعن يعقوب تعملون بالتاء على معنى فان الله بما تعملون
من الجهاد والدعوة الى الاسلام والاخراج من ظلمة الكفر الى نور الايمان بصير
يجازيكم ويكون تعليقه بانتهائهم دلالة على انه كما يستدعي اثابتهم للمباشرة يستدعي
اثابة مقاتليهم للتسبب وان تولوا ولم ينتهوا فاعلموا ان الله مولاكم ناصركم فثقوا
به ولا تبالوا بمعاداتهم نعم المولى لا يضيع من تولاه ونعم النصير لا يغلب من نصره
واعلموا انما غنمتم اي الذي اخذتموه من الكفار قهرا من شيء مما يقع عليه اسم الشيء حتى
الخيط فان لله خمسه مبتدأ خبره محذوف اي فثابت ان لله خمسه وقرئ فان بالكسر
والجمهور على ان ذكر الله للتعظيم كما في قوله والله ورسوله احق ان يرضوه والمراد قسم
الخمس على الخمسة المعطوفين وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل
فكانه قال فان لله خمسه يصرف الى هؤلاء الاخصين به وحكمه بعد باق غير ان سهم الرسول
صلى الله عليه وسلم يصرف الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كما فعله الشيخان
وقيل الى الامام وقيل الى الاصناف الاربعة وقال ابو حنيفة رحمه الله سقط سهمه

وسهم ذوي القربى بوفاته وصار الكل مصروفا الى الثلاثة الباقية وعن مالك
الامر فيه مفوض الى راي الامام يصرفه الى ما يراه اهم وذهب ابو العالية الى ظاهر
الآية وقال يقسم ستة اقسام ويصرف سهم الله الى الكعبة لما روي انه عليه السلام
كان ياخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة ثم يقسم ما بقي على خمسة وقيل سهم الله لبيت المال
وقيل هو مضموم الى سهم الرسول وذوي القربى بنو هاشم وبنو المطلب لما روي
انه صلى الله عليه وسلم قسم سهم ذوي القربى عليهما فقال له عثمان وجبير بن مطعم هؤلاء
اخوانك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم ارأيت اخواننا من بني المطلب
اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة فقال صلى الله عليه وسلم انهم لم يفارقونا في
جاهلية ولا اسلام وشبك بين اصابعه وقيل بنو هاشم وحدهم وقيل جميع قريش
الغني والفقير فيه سواء وقيل هو مخصوص بفقرائهم كسهم ابن السبيل وقيل الخمس كله لهم
وقيل المراد باليتامى والمساكين وابن السبيل من كان منهم والعطف للتخصيص والآية
نزلت ببدر وقيل كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلثة ايام للنصف
من شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة ان كنتم آمنتم بالله متعلق بمحذوف دل عليه
واعلموا اي ان كنتم آمنتم بالله فاعلموا انه جعل الخمس لهؤلاء فسلموه اليهم واقتنعوا بالاخماس
الاربعة الباقية فان العلم العملي اذا امر به لم يرد منه العلم المجرد لانه مقصود بالعرض
والمقصود بالذات هو العمل وما انزلنا على عبدنا محمد من الآيات والملائكة والنصر
وقرئ عبدنا بضمتين اي الرسول والمؤمنين يوم الفرقان يوم بدر فانه فرق فيه بين
الحق والباطل يوم التقى الجمعان المسلمون والكفار والله على كل شيء قدير فيقدر على نصر
القليل على الكثير والامداد بالملائكة اذ انتم بالعدوة الدنيا بدل من يوم الفرقان
والعدوة بالحركات الثلاث شط الوادي وقد قرئ بها والمشهور الضم والكسر وهو
قراءة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب وهم بالعدوة القصوى البعدى من المدينة تأنيث
الاقصى وكان قياسه قلب الواو ياء كالدنيا والعليا تفرقة بين الاسم والصفة
فجاء على الاصل كالقود وهو اكثر استعمالا من القصيا والركب اي العير او قوادها اسفل

منكم في مكان أسفل من مكانكم يعني الساحل وهو منصوب على الظرف واقع موقع
الخبر والجملة حال من الظرف قبله وفائدتها الدلالة على قوة العدو واستظهارهم
بالركب وحرصهم على المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم على أن لا يخلوا مراكزهم و
يبذلوا منتهى جهدهم وضعف شأن المسلمين والتياث أمرهم واستبعاد غلبتهم عادة وكذا
ذكر مراكز الفريقين فإن العدوة الدنيا كانت رخوة تسوخ فيها الأرجل ولا يمشى
فيها إلا بتعب ولم يكن فيها ماء بخلاف العدوة القصوى وكذا قوله ولو تواعدتم
لاختلفتم في الميعاد أي لو تواعدتم أنتم وهم القتال ثم علمتم حالكم وحالهم لاختلفتم
أنتم في الميعاد هيبة منهم ويأسا من الظفر عليهم ليتحققوا أن ما اتفق لهم من الفتح
ليس إلا صنعا من الله خارقا للعادة فيزدادوا إيمانا وشكرا ولكن جمع بينكم على هذه
الحال من غير ميعاد ليقضي الله أمرا كان مفعولا حقيقا بأن يفعل وهو نصر أوليائه
وقهر أعدائه وقوله ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة بدل منه أو متعلق
بقوله مفعولا والمعنى ليموت من يموت عن بينة عاينها ويعيش من يعيش عن حجة شاهدها
لئلا يكون له حجة ومعذرة فإن وقعة بدر من الآيات الواضحة أو ليصدر كفر من كفر
وإيمان من آمن عن وضوح بينة على استعارة الهلاك والحياة للكفر والإسلام والمراد
من هلك ومن حي المشارف للهلاك والحياة أو من هذا حاله في علم الله وقضائه وقرئ
ليهلك بالفتح وقرأ ابن كثير ونافع وأبو بكر ويعقوب من حيي بفك الإدغام للحمل على
المستقبل وإن الله لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه وإيمان من آمن وثوابه ولعل الجمع
بين الوصفين لاشتمال الأمرين على القول والاعتقاد إذ يريكهم الله في منامك قليلا
مقدر باذكر أو بدل ثان من يوم الفرقان أو متعلق بعليم أي يعلم المصالح إذ يقللهم
في عينك في رؤياك وهو أن تخبر به أصحابك فيكون تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم
ولو أراكهم كثيرا لفشلتم لجبنتم ولتنازعتم في الأمر أمر القتال وتفرقت
آراؤكم بين الثبات والفرار ولكن الله سلم أنعم بالسلامة من الفشل والتنازع
إنه عليم بذات الصدور يعلم ما سيكون فيها وما يغير أحوالها وإذ يريكموهم إذ

التقيتم في أعينكم قليلا الضميران مفعولا يرى وقليلا حال من الثاني وإنما قللهم
في أعين المسلمين حتى قال ابن مسعود رضي الله عنه لمن إلى جنبه أتراهم سبعين فقال أراهم
مائة تثبيتا لهم وتصديقا لرؤيا الرسول ويقللكم في أعينهم حتى قال أبو جهل إن محمدا
وأصحابه أكلة جزور وقللهم في أعينهم قبل التحام القتال ليجترئوا عليهم ولا يستعدوا
لهم ثم كثرهم حتى يرونهم مثليهم لتفاجئهم الكثرة فتبهتهم وتكسر قلوبهم وهذا
من عظائم آيات تلك الواقعة فإن البصر وإن كان قد يرى الكثير قليلا والقليل كثيرا
لكن لا على هذا الوجه ولا إلى هذا الحد وإنما يتصور ذلك بصد الله الأبصار
عن إبصار بعض دون بعض مع التساوي في الشروط ليقضي الله أمرا كان مفعولا
كرره لاختلاف الفعل المعلل به أو لأن المراد بالأمر ثمة الالتقاء على الوجه المحكي
وههنا إعزاز الإسلام وأهله وإذلال الشرك وحزبه وإلى الله ترجع الأمور يا أيها
الذين آمنوا إذا لقيتم فئة حاربتم جماعة ولم يصفها لأن المؤمنين ما كانوا يلقون
إلا الكفار واللقاء مما غلب في القتال فاثبتوا للقائهم واذكروا الله كثيرا في مواطن
الحرب داعين له مستظهرين بذكره مترقبين لنصره لعلكم تفلحون تظفرون بمرادكم
من النصرة والمثوبة وفيه تنبيه على أن العبد ينبغي أن لا يشغله شيء عن ذكر الله وأن
يلتجئ إليه عند الشدائد ويقبل عليه بشراشره فارغ البال واثقا بأن لطفه
لا ينفك عنه في شيء من الأحوال وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا باختلاف
الآراء كما فعلتم ببدر أو أحد فتفشلوا جواب النهي وقيل عطف عليه ولذلك قرئ
وتذهب ريحكم بالجزم والريح مستعارة للدولة من حيث إنها في تمشي أمرها ونفاذه
شبهت بها في هبوبها ونفوذها وقيل المراد بها الحقيقة فإن النصرة لا تكون إلا بريح
يبعثها الله وفي الحديث نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور واصبروا إن
الله مع الصابرين بالكلاءة والنصر ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم يعني أهل
مكة حين خرجوا منها لحماية العير بطرا فخرا وأشرا ورئاء الناس ليثنوا عليهم
بالشجاعة والسماحة وذلك أنهم لما بلغوا جحفة وافاهم رسول أبي سفيان

ان ارجعوا فقد سلمت عيركم فقال ابو جهل لا والله حتى نقدم بدرا ونشرب
بها الخمور وتعزف علينا القيان ونطعم بها من حضرنا من العرب فوافوها
ولكن سقوا كاس المنايا وناحت عليهم النوائح فنهى المؤمنين ان يكونوا امثالهم
بطرين مرائين وامرهم بان يكونوا اهل تقوى واخلاص من حيث ان النهي عن الشيء
امر بضده ويصدون عن سبيل الله معطوف على بطرا ان جعل مصدرا في موضع
الحال وكذا ان جعل مفعولا له لكن على تاويل المصدر والله بما يعملون محيط
فيجازيكم عليه واذ زين لهم الشيطان مقدر باذكر اعمالهم في معاداة الرسول
وغيرها بان وسوس اليهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم
مقالة نفسانية والمعنى انه القى في روعهم وخيل اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون
لكثرة عددهم وعددهم واوهمهم ان اتباعهم اياه فيما يظنون انها قربات
مجير لهم حتى قالوا اللهم انصر اهدى الفئتين وافضل الدينين ولكم خبر لا
غالب او صفته وليس صلته والا لانتصب كقولك لا ضاربا زيدا عندنا
فلما تراءت الفئتان اي تلاقى الفريقان نكص على عقبيه رجع القهقرى اي بطل
كيده وعاد ما خيل اليهم انه مجيرهم سبب هلاكهم وقال اني بريء منكم اني ارى
ما لا ترون اني اخاف الله اي تبرأ منهم وخاف عليهم وايس من حالهم لما رأى
امداد الله المسلمين بالملائكة وقيل لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت ما بينهم
وبين كنانة من الاحنة وكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس بصورة سراقة بن مالك
الكناني وقال لا غالب لكم اليوم واني مجيركم من بني كنانة فلما رأى الملائكة تنزل
نكص وكان يده في يد الحارث بن هشام فقال له الى اين اتخذلنا في هذه الحالة
فقال اني ارى ما لا ترون ودفع في صدر الحارث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا
مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغه ذلك فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني
هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان وعلى هذا يحتمل ان يكون معنى قوله اني
اخاف ان يصيبني مكروه من الملائكة او يهلكني ويكون الوقت هو الوقت الموعود

اذ رأى فيه ما لم ير قبله والاول ما قاله الحسن واختاره ابن بحر والله شديد
العقاب يجوز ان يكون من كلامه وان يكون مستأنفا اذ يقول المنافقون والذين
في قلوبهم مرض والذين لم يطمئنوا الى الايمان بعد وبقي في قلوبهم شبهة وقيل
هم المشركون وقيل المنافقون والعطف لتغاير الوصفين غر هؤلاء يعنون المؤمنين
دينهم حتى تعرضوا لما لا يدي لهم به فخرجوا وهم ثلثمائة وبضعة عشر الى زهاء
الالف ومن يتوكل على الله جواب لهم فان الله عزيز غالب لا يذل من استجار به
وان قل حكيم يفعل بحكمته البالغة ما يستبعده العقل ويعجز عن ادراكه ولو ترى ولو رأيت
فان لو تجعل المضارع ماضيا عكس ان اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة ببدر واذ ظرف
ترى والمفعول محذوف اي ولو ترى الكفرة او حالهم حينئذ والملائكة فاعل يتوفى ويدل
عليه قراءة ابن عامر بالتاء ويجوز ان يكون الفاعل ضمير الله عز وجل وهو مبتدا خبره
يضربون وجوههم والجملة حال من الذين كفروا واستغنى فيه بالضمير عن الواو وهو
على الاول حال منهم او من الملائكة او منهما لاشتماله على الضميرين وادبارهم ظهورهم
واستاههم ولعل المراد تعميم الضرب يضربون ما اقبل منهم وما ادبر وذوقوا عذاب
الحريق عطف على يضربون باضمار القول اي ويقولون ذوقوا بشارة لهم بعذاب الاخرة
وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا التهبت النار منها وجواب لو محذوف
لتفظيع الامر وتهويله ذلك الضرب والعذاب بما قدمت ايديكم بسبب ما كسبت
من الكفر والمعاصي وهو خبر لذلك وان الله ليس بظلام للعبيد عطف عليه للدلالة
على ان سببيته مقيدة بانضمامه اليه اذ لولاه لامكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم
لا ان لا يعذبهم بذنوبهم فان ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم شرعا ولا عقلا
حتى ينتهض نفي الظلم سببا للتعذيب وظلام للتكثير لاجل العبيد كدأب آل فرعون
اي دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون وهو عملهم وطريقهم الذي دأبوا فيه اي داموا
عليه والذين من قبلهم من قبل آل فرعون كفروا بايات الله تفسير لدأبهم فاخذهم الله
بذنوبهم كما اخذ هؤلاء ان الله شديد العقاب لا يغلبه في دفعه شيء ذلك اشارة

الى ما حل بهم بان الله بسبب ان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم مبدلا اياها
بالنقمة حتى يغيروا ما بانفسهم يبدلوا ما بهم من الحال الى حال اسوأ كتغيير قريش
حالهم في صلة الرحم والكف عن تعرض الايات والرسل بمعاداة الرسول ومن تبعه
منهم والسعي في اراقة دمائهم والتكذيب بالايات والاستهزاء بها الى غير ذلك
مما احدثوه بعد البعث وليس السبب عدم تغيير الله ما انعم عليهم حتى يغيروا حالهم
بل ما هو المفهوم له وهو جري عادته على تغييره حتى يغيروا حالهم واصل يك يكون
فحذفت الحركة للجزم ثم الواو لالتقاء الساكنين ثم النون لشبهه بالحروف اللينة تخفيفا
وان الله سميع لما يقولون عليم بما يفعلون كداب ال فرعون والذين من قبلهم كذبوا
بايات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا ال فرعون تكرير للتاكيد ولما نيط به
من الدلالة على كفران النعم بقوله بايات ربهم وبيان ما اخذ به ال فرعون
وقيل الاول لتشبيه الكفر والاخذ به والثاني لتشبيه التغيير في النعمة بسبب تغييرهم
ما بانفسهم وكل من الفرق المكذبة او من غرقى القبط وقتلى قريش كانوا ظالمين
انفسهم بالكفر والمعاصي ان شر الدواب عند الله الذين كفروا اصروا على الكفر
ورسخوا فيه فهم لا يؤمنون فلا يتوقع منهم ايمان ولعله اخبار عن قوم مطبوعين
على الكفر بانهم لا يؤمنون والفاء للعطف والتنبيه على ان تحقق المعطوف عليه يستدعي
تحقق المعطوف وقوله الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة بدل
من الذين بدل البعض للبيان والتخصيص وهم يهود قريظة عاهدهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان لا يمالئوا عليه فاعانوا المشركين بالسلاح وقالوا نسينا
ثم عاهدهم فنكثوا ومالؤوهم عليه يوم الخندق وركب كعب بن الاشرف الى مكة
فحالفهم ومن لتضمين المعاهدة معنى الاخذ والمراد بالمرة مرة المعاهدة او المحاربة
وهم لا يتقون سبة الغدر ومغبته او لا يتقون الله فيه او نصره للمؤمنين
وتسليطه عليهم فاما تثقفنهم فاما تصادفنهم وتظفرن بهم في الحرب فشرد بهم
ففرق عن مناصبتك ونكل عنها بقتلهم والنكاية فيهم من خلفهم من وراءهم من الكفرة

والتشريد

والتشريد تفريق على اضطراب وقرئ شرذ بالذال المعجمة وكانه مقلوب شذر ومن
خلفهم والمعنى واحد فانه اذا شرد من وراءهم فقد فعل التشريد في الوراء لعلهم يذكرون
لعل المشردين يتعظون واما تخافن من قوم معاهدين خيانة نقض عهد بامارات
تلوح لك فانبذ اليهم فاطرح اليهم عهدهم على سواء على عدل وطريق قصد في العداوة
ولا تناجزهم الحرب فانه يكون خيانة منك او على سواء في الخوف او العلم بنقض العهد
وهو في موضع الحال من النابذ على الوجه الاول اي ثابتا على طريق سوي او منه
او من المنبوذ اليهم او منهما على غيره وقوله ان الله لا يحب الخائنين تعليل للامر
بالنبذ والنهي عن مناجزة القتال المدلول عليه بالحال على طريقة الاستيناف
ولا تحسبن خطاب للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقوله الذين كفروا سبقوا
مفعولاه وقرأ ابن عامر وحمزة وحفص بالياء على ان الفاعل ضمير احد او من خلفهم
او الذين كفروا والمفعول الاول انفسهم فحذف للتكرار او على تقدير ان سبقوا
وهو ضعيف لان ان المصدرية كالموصول فلا يحذف او على ايقاع الفعل على
انهم لا يعجزون بالفتح على قراءة ابن عامر وان لا صلة وسبقوا حال بمعنى سابقين
او مفلتين والاظهر انه تعليل للنهي اي لا تحسبنهم سبقوا فافلتوا لانهم لا يفوتون
الله ولا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم وكذا ان كسرت ان الا انه تعليل
على سبيل الاستيناف ولعل الاية ازاحة لما يحذر به من نبذ العهد وايقاظ
العدو وقيل نزلت فيمن افلت من فل المشركين واعدوا ايها المؤمنون لهم لناقضي
العهد او الكفار ما استطعتم من قوة من كل ما يتقوى به في الحرب وعن عقبة بن عامر
سمعته صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر الا ان القوة الرمي قالها ثلثا ولعله صلى الله
عليه وسلم خصه بالذكر لانه اقواه ومن رباط الخيل اسم للخيل التي تربط في سبيل الله
فعال بمعنى مفعول او مصدر سمي به يقال ربط ربطا ورباطا ورابط مرابطة
ورباطا او جمع ربيط كفصيل وفصال وقرئ ربط الخيل بضم الباء وسكونها
جمع رباط وعطفها على القوة كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة ترهبون به

تخوفون به وعن يعقوب ترهبون بالتشديد والضمير لما استطعتم او للاعداد عدو
عدو الله وعدوكم يعني كفار مكة وآخرين من دونهم من غيرهم من الكفرة قيل هم
اليهود وقيل المنافقون وقيل الفرس لا تعلمونهم لا تعرفونهم باعيانهم الله يعلمهم
يعرفهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم جزاؤه وانتم لا تظلمون بتضييع
العمل او نقص الثواب وان جنحوا مالوا ومنه الجناح وقد تعدى باللام والى
للسلم للصلح او الاستسلام وقرأ ابو بكر بالكسر فاجنح لها وعاهد معهم وتأنيث
الضمير لحمل السلم على نقيضها فيه قال السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب
يكفيك وقرئ فاجنح بالضم وتوكل على الله ولا تخف من ابطانهم خداعا فيه
فان الله يعصمك من مكرهم ويحيقه بهم انه هو السميع لاقوالهم العليم بنياتهم
والآية مخصوصة باهل الكتاب لاتصالها بقصتهم وقيل عامة نسخها آية
السيف وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله فان محسبك الله وكافيك
قال جرير اني وجدت من المكارم حسبكم هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين جميعا
والف بين قلوبهم مع ما فيهم من العصبية والضغينة في ادنى شيء والتهالك على الانتقام
بحيث لا يكاد يأتلف فيهم قلبان حتى صاروا كنفس واحدة وهذا من معجزاته
صلى الله عليه وسلم وبيانه لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم
اي تناهى عداوتهم الى حد لو انفق منفق في اصلاح ذات بينهم ما في الارض
من الاموال لم يقدر على الالفة والاصلاح ولكن الله الف بينهم بقدرته البالغة
فانه المالك للقلوب يقلبها كيف يشاء انه عزيز تام القدرة والغلبة لا يعصى
عليه ما يريده وقيل الآية في الاوس والخزرج كان بينهم احن لا امد لها
ووقايع هلكت فيها ساداتهم فانساهم الله ذلك والف بينهم بالاسلام
حتى تصافوا وصاروا انصارا يا ايها النبي حسبك الله كافيك ومن اتبعك
من المؤمنين اما في محل النصب على المفعول معه كقوله فحسبك والضحاك سيف مهند
اذا كانت الهيجاء واشتجر القنا والجر عطفا على المكني عند الكوفيين او الرفع

من انفاسها جرع

ان تلبسوا خز الثياب وتشبعوا

حكيم يعلم انه كيف ينبغي ان
يفعل ما يريده

عطفا

عطفا على اسم الله اي كفاك الله والمؤمنين والآية نزلت بالبيداء في غزوة بدر
وقيل اسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر رض
فنزلت ولذلك قال ابن عباس رض نزلت في اسلامه يا ايها النبي حرض
المؤمنين على القتال بالغ في حثهم عليه واصله الحرض وهو ان ينهكه المرض
حتى يشفي على الموت وقرئ حرص من الحرص ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا
مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا شرط في معنى الامر بمصابرة
الواحد للعشرة والوعد بانهم ان صبروا غلبوا بعون الله وتأييده وقرأ ابن
كثير ونافع وابن عامر تكن بالتاء في الآيتين ووافقهم البصريان في وان يكن
منكم مائة بانهم قوم لا يفقهون بسبب انهم جهلة بالله واليوم الآخر لا يثبتون
ثبات المؤمنين رجاء الثواب وعوالي الدرجات قتلوا او قتلوا ولا يستحقون
من الله الا الهوان والخذلان الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان
يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن
الله لما اوجب على الواحد مقاومة العشرة والثبات لهم وثقل ذلك عليهم
خفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة فامروا بذلك
ثم لما كثروا خفف عنهم وتكرير المعنى الواحد بذكر الاعداد المتناسبة للدلالة
على ان حكم القليل والكثير واحد والضعف ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة
وكانوا متفاوتين فيها وفيه لغتان الفتح وهو قراءة عاصم وحمزة والضم
وهو قراءة الباقين والله مع الصابرين بالنصر والمعونة فكيف لا يغلبون
ما كان لنبي وقرئ للنبي على العهد ان يكون له اسرى وقرأ البصريان بالتاء
حتى يثخن في الارض يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه
ويعز الاسلام ويستولي اهله من اثخنه المرض اذا اثقله واصله الثخانة
وقرئ يثخن بالتشديد للمبالغة تريدون عرض الدنيا حطامها باخذكم
الفداء والله يريد الآخرة يريد لكم ثواب الآخرة او سبب نيل الآخرة من اعزاز دينه

وقمع اعدائه وقرئ بجر الاخرة على اضمار المضاف كقوله: اكل امرئ تحسبين امرأ
ونار توقد بالليل نارا والله عزيز يغلب اولياءه على اعدائه حكيم يعلم
ما يليق بكل حال ويخصصها بها كما امر بالاثخان ومنع عن الافتداء حين كانت
الشوكة للمشركين وخير بينه وبين المن لما تحولت الحال وصارت الغلبة
للمؤمنين روي انه صلى الله عليه وسلم اتي يوم بدر بسبعين اسيرا فيهم العباس
وعقيل بن ابي طالب فاستشار فيهم فقال ابو بكر قومك واهلك استبقهم
لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوى بها اصحابك وقال عمر رضي الله عنه
اضرب اعناقهم فانهم ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكني من فلان
لنسيب له ومكن عليا وحمزة من اخويهما فلنضرب اعناقهم فلم يهو ذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن
وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل
ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر
مثل نوح قال لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فخير اصحابه فاخذوا الفداء
فنزلت فدخل عمر رض على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وابو بكر يبكيان
فقال يا رسول الله اخبرني فان اجد بكاء بكيت والا تباكيت فقال ابكي على
اصحابك في اخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة
لشجرة قريبة والاية دليل على ان الانبيا يجتهدون وانه قد يكون خطأ ولكن
لا يقرون عليه لولا كتاب من الله سبق لولا حكم من الله سبق اثباته في اللوح المحفوظ
وهو ان لا يعاقب المخطئ في اجتهاده او ان لا يعذب اهل بدر او قوما بما لم يصرح
لهم بالنهي عنه او ان الفدية التي اخذوها ستحل لهم لمسكم لنالكم فيما اخذتم
من الفداء عذاب عظيم روي انه صلى الله عليه وسلم قال لو نزل العذاب لما نجا
منه غير عمر وسعد بن معاذ وذلك لانه ايضا اشار بالاثخان فكلوا مما غنمتم
من الفدية فانها من جملة الغنائم وقيل امسكوا عن الغنائم فنزلت والفاء

للتسبب

للتسبب والسبب محذوف تقديره ابحت لكم الغنائم فكلوا وبنحوه تشبثت
من زعم ان الامر الوارد بعد الحظر للاباحة حلالا حال من المغنوم او صفة
للمصدر اي اكلا حلالا وفائدته ازاحة ما وقع في نفوسهم منه بسبب تلك المعاتبة
او حرمتها على الاولين ولذلك وصفه بقوله طيبا واتقوا الله في مخالفته
ان الله غفور رحيم غفر لكم ذنبكم رحيم اباح لكم ما اخذتم يا ايها النبي قل لمن في
ايديكم من الاسرى وقرأ ابو عمرو من الاسارى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا
ايمانا واخلاصا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من الفداء روي انها نزلت في العباس
كلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفدي نفسه وابني اخويه عقيل بن ابي طالب
ونوفل بن الحارث فقال يا محمد تركتني اتكفف قريشا ما بقيت فقال فاين
الذهب الذي دفعته الى ام الفضل وقت خروجك وقلت لها اني لا ادري
ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله
والفضل وقثم فقال وما يدريك قال اخبرني به ربي قال اشهد انك صادق
وان لا اله الا الله وانك لرسول الله والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد
دفعته اليها في سواد الليل قال العباس فابدلني الله خيرا من ذلك لي الآن
عشرون عبدا ان ادناهم ليضرب في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها
جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربكم يعني الموعود بقوله ويغفر لكم
والله غفور رحيم وان يريدوا يعني الاسرى خيانتك نقض ما عاهدوك
فقد خانوا الله بالكفر ونقض ميثاقه المأخوذ بالعقل من قبل فامكن منهم اي فامكنك
منهم كما فعل يوم بدر فان اعادوا الخيانة فسيمكنك منهم والله عليم حكيم
ان الذين آمنوا وهاجروا وهم المهاجرون هاجروا اوطانهم حبا لله ولرسوله
وجاهدوا باموالهم فصرفوها في الكراع والسلاح وانفقوها على المحاويج
وانفسهم في سبيل الله بمباشرة القتال والذين آووا ونصروا وهم الانصار
آووا المهاجرين الى ديارهم ونصروهم على اعدائهم اولئك بعضهم اولياء بعض

اخويه

في الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون
الاقارب حتى نسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض او بالنصرة
والمظاهرة والذين امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا
اي من توليهم في الميراث وقرأ حمزة ولايتهم بالكسر تشبيها لها بالعمل والصناعة
كالكتابة والامارة كانه بتوليه صاحبه يزاول عملا وان استنصروكم في الدين
فعليكم النصر فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق
عهد فانه لا ينقض عهدهم لنصرهم عليهم والله بما تعملون بصير والذين
كفروا بعضهم اولياء بعض في الميراث او الموازرة وهو بمفهومه يدل على منع
التوارث او الموازرة بينهم وبين المسلمين الا تفعلوه ان لا تفعلوا ما امرتم به
من التواصل بينكم وتولي بعضكم لبعض حتى في التوارث وقطع العلائق بينكم
وبين الكفار تكن فتنة في الارض تحصل فتنة فيها عظيمة وهي ضعف الايمان
وظهور الكفر وفساد كبير في الدين وقرئ كثير والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا
في سبيل الله والذين اووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا لما قسم المؤمنين
ثلثة اقسام بين ان الكاملين في الايمان منهم هم الذين حققوا ايمانهم بتحصيل
مقتضاه من الهجرة والجهاد وبذل المال ونصرة الحق ووعد لهم الموعد الكريم
فقال لهم مغفرة ورزق كريم لا تبعة له ولا منة فيه ثم الحق بهم في الامر
من سيلحق بهم ويتسم بسمتهم فقال والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا
معكم فاولئك منكم اي من جملتكم ايها المهاجرون والانصار واولوا الارحام
بعضهم اولى ببعض في التوارث من الاجانب في كتاب الله في حكمه او في اللوح
او في القرآن واستدل به على توريث ذوي الارحام ان الله بكل شيء عليم
من المواريث والحكمة في اناطتها بنسبة الاسلام والمظاهرة اولا واعتبار
القرابة ثانيا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الانفال وبراءة فانا
شفيع له يوم القيمة وشاهد انه برئ من النفاق واعطي عشر حسنات بعدد

كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له ايام حياته

سورة براءة مدنية وآيها مائة

وقيل الا آيتان من قوله لقد جاءكم رسول وهي آخر ما نزلت ولها اسماء اخر
التوبة والمقشقشة والبحوث والمبعثرة والمنقرة والمثيرة والحافرة والمخزية
والفاضحة والمنكلة والمشردة والمدمدمة وسورة العذاب لما فيها من التوبة
للمؤمنين والقشقشة من النفاق وهي التبري والبحث عن حال المنافقين واثارتها
والحفر عنها وما يخزيهم ويفضحهم وينكلهم ويشردهم ويدمدم عليهم وبذكر عذابهم

وثلثون وقيل تسع وعشرون

وانما تركت فيها التسمية لانها نزلت لرفع الامان وبسم الله امان وقيل
كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نزلت عليه سورة او آية بين موضعها وتوفي
ولم يبين موضعها وكانت قصتها تشابه قصة الانفال وتناسبها لان في الانفال
ذكر العهود وفي براءة نبذها فضمت اليها وقيل لما اختلفت الصحابة في انها
سورة واحدة هي سابعة السبع الطوال او سورتان تركت بينهما فرجة ولم تكتب
بسم الله الرحمن الرحيم براءة من الله ورسوله اي هذه براءة ومن ابتدائية
متعلقة بمحذوف تقديره واصلة من الله ورسوله ويجوز ان تكون براءة مبتدأ
لتخصصها بصفتها والخبر الى الذين عاهدتم من المشركين وقرئ بنصبها على
على اسمعوا براءة والمعنى ان الله ورسوله بريئا من العهد الذي عاهدتم به المشركين
وانما علقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين للدلالة على انه يجب
عليهم نبذ عهود المشركين اليهم وان كانت صادرة باذن الله واتفاق الرسول
فانهما برئا منها وذلك انهم عاهدوا مشركي العرب فنكثوا الا اناسا منهم
بني ضمرة وبني كنانة فامرهم بنبذ العهد الى الناكثين وامهل المشركين
اربعة اشهر ليسيروا اين شاؤا فقال فسيحوا في الارض اربعة اشهر شوال
وذي القعدة وذي الحجة والمحرم لانها نزلت في شوال وقيل هي عشرون

من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشر من ربيع الآخر لان التبليغ
كان يوم النحر لما روي انها لما نزلت ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا رضي
راكبا العضباء ليقرأها على اهل الموسم وكان قد بعث ابا بكر اميرا على الموسم فقيل
لو بعثت بها الى ابي بكر فقال لا يؤدي عني الا رجل مني فلما دنا علي سمع ابو بكر
الرغاء فوقف فقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال
امير او مأمور قال مأمور فلما كان قبل التروية خطب ابو بكر وحدثهم عن
مناسكهم وقام علي يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس اني رسول
رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلاثين او اربعين آية ثم قال امرت باربع
ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل
الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي عهد عهده ولعل قوله لا يؤدي
عني الا رجل مني ليس على العموم فانه صلى الله عليه وسلم بعث لان يؤدي عنه كثيرا
لم يكونوا من عترته بل هو مخصوص بالعهود فان عادة العرب ان لا يتولى العهد
ونقضه على القبيلة الا رجل منها ويدل عليه انه في بعض الروايات لا ينبغي لاحد
ان يبلغ هذا الا رجل من اهلي واعلموا انكم غير معجزي الله لا تفوتونه وان امهلكم
وان الله مخزي الكافرين بالقتل والاسر في الدنيا والعذاب في الآخرة واذان
من الله ورسوله الى الناس اي اعلام فعال بمعنى الافعال كالامان والعطاء
ورفعه كرفع براءة على الوجهين يوم الحج الاكبر يوم العيد لان فيه تمام الحج
ومعظم افعاله ولان الاعلام كان فيه ولما روي انه صلى الله عليه وسلم
وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وقيل
يوم عرفة لقوله صلى الله عليه وسلم الحج عرفة ووصف بالاكبر لان العمرة تسمى
الحج الاصغر او لان المراد بالحج ما يقع في ذلك اليوم من اعماله فانه اكبر من باقي
الاعمال او لان ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون والمشركون ووافق عيده اعياد اهل
الكتاب او لانه ظهر فيه عز المسلمين وذل الكافرين ان الله اي بان الله بريء

من المشركين اي من عهودهم ورسوله عطف على المستكن في بريء او على محل ان
واسمها في قراءة من كسرها اجراء للاذان مجرى القول وقرئ بالنصب عطفا على اسم
ان او لان الواو بمعنى مع ولا تكرير فيه فان قوله براءة من الله اخبار بثبوت
وهذا اخبار بوجوب الاعلام بذلك ولذلك علقه بالناس ولم يخص
بالمعاهدين فان تبتم من الكفر والغدر فهو فالتوب خير لكم وان توليتم عن
التوبة او ثبتم على التولي عن الاسلام والوفاء فاعلموا انكم غير معجزي الله
لا تفوتونه طلبا ولا تعجزونه هربا في الدنيا وبشر الذين كفروا بعذاب اليم
في الآخرة الا الذين عاهدتم من المشركين استثناء من المشركين او استدراك
فكأنه قيل لهم بعد ان امروا بنبذ العهد الى الناكثين ولكن الذين عاهدوا منهم
ثم لم ينقصوكم شيئا من شروط العهد ولم ينكثوه ولم يقتلوا منكم ولم يضروكم
قط ولم يظاهروا عليكم احدا من اعدائكم فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم الى تمام
مدتهم ولا تجروهم مجرى الناكثين ان الله يحب المتقين تعليل وتنبيه على ان
اتمام عهدهم من باب التقوى فاذا انسلخ انقضى واصل الانسلاخ خروج
مما لابسه من سلخ الشاة الاشهر الحرم التي ابيح للناكثين ان يسيحوا فيها وقيل
هي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وهذا مخل بالنظم مخالف للاجماع
فانه يقتضي بقاء حرمة الاشهر الحرم اذ ليس فيما نزل بعدها نسخها فاقتلوا المشركين
الناكثين حيث وجدتموهم من حل وحرم وخذوهم واسروهم والاخيذ
الاسير واحصروهم واحبسوهم او حيلوا بينهم وبين المسجد الحرام واقعدوا لهم
كل مرصد كل ممر لئلا ينبسطوا في البلاد وانتصابه على الظرف فان تابوا عن
الشرك بالايمان واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة تصديقا لتوبتهم وايمانهم
فخلوا سبيلهم فدعوهم ولا تتعرضوا لهم بشيء من ذلك وفيه دليل على ان تارك
الصلوة ومانع الزكوة لا يخلى سبيله ان الله غفور رحيم تعليل للامر اي
فخلوهم لان الله غفور رحيم غفر لهم ما سلف ووعدهم الثواب بالتوبة

وان احد من المشركين المأمور بالتعرض لهم استجارك استأمنك وطلب منك جوارك
فاجره فامنه حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر ثم ابلغه مأمنه
موضع امنه ان لم يسلم واحد رفع بفعل يفسره ما بعده لا بالابتداء لان ان من
عوامل الفعل ذلك الامن او الامر بانهم قوم لا يعلمون ما الايمان وما حقيقة
ما تدعوهم اليه فلا بد من امانهم ريثما يسمعون ويتدبرون الحق كيف يكون للمشركين
عهد عند الله وعند رسوله استفهام بمعنى الانكار والاستبعاد لان يكون لهم
عهد ولا ينكثوه مع وغرة صدورهم او لان يفي الله ورسوله بالعهد وهم نكثوه وخبر يكون
كيف وقدم للاستفهام او للمشركين او عند الله وهو على الاولين صفة للعهد او ظرف
له او ليكون وكيف على الاخيرين حال من العهد وللمشركين ان لم يكن خبرا فتبيين
الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام هم المستثنون قبل ومحله النصب على الاستثناء
او الجر على البدل او الرفع على ان الاستثناء منقطع اي ولكن الذين عاهدتم منهم
عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم اي فتربصوا امرهم فان استقاموا
على العهد فاستقيموا على الوفاء وهو كقوله فاتموا اليهم عهدهم غير انه مطلق
وهذا مقيد وما تحتمل الشرطية والمصدرية ان الله يحب المتقين سبق بيانه كيف
تكرار لاستبعاد ثباتهم على العهد او بقاء حكمه على العهد او بقاء حكمه مع التنبيه
على العلة وحذف الفعل للعلم به كما في قوله وخبرتماني انما الموت بالقرى
فكيف وهاتا هضبة وقليب اي فكيف مات وان يظهروا عليكم اي وحالهم
انهم ان يظفروا بكم لا يرقبوا فيكم لا يراعوا فيكم الا حلفا وقيل قرابة قال حسان
لعمرك ان الك من قريش • كال السقب من رأل النعام • وقيل ربوبية ولعله
اشتق للحلف من الال وهو الجؤار لانهم كانوا اذا تحالفوا رفعوا به اصواتهم وشهروه
ثم استعير للقرابة لانها تعقد بين الاقارب ما لا يعقده الحلف ثم للربوبية والتربية
وقيل اشتقاقه من ال الشيء اذا حدده او من ال البرق اذا لمع وقيل انه عبري بمعنى
الاله لانه قرئ ايلا كجبرائل وجبرئيل ولا ذمة عهدا او حقا يعاب على اغفاله

يرضونكم

يرضونكم بافواههم استئناف لبيان حالهم المنافية لثباتهم على العهد المؤدية الى
عدم مراقبتهم عند الظفر ولا يجوز جعله حالا من فاعل لا يرقبوا فانهم بعد ظهورهم
لا يرضون ولان المراد اثبات ارضائهم المؤمنين بوعد الايمان والطاعة والوفاء
بالعهد في الحال واستبطان الكفر والمعاداة بحيث ان ظفروا لم يبقوا عليهم والحالية
تنافيه وتأبى قلوبهم ما يتفوهون به واكثرهم فاسقون متمردون لا عقيدة
تزعهم ولا مروءة تردعهم وتخصيص الاكثر لما في بعض الكفرة من التفادي عن
الغدر والتعفف عما يجر احدوثة السوء اشتروا بايات الله استبدلوا بالقرآن
ثمنا قليلا عرضا يسيرا وهو اتباع الاهواء والشهوات فصدوا عن سبيله دينه الموصل اليه
او سبيل بيته بحصر الحجاج والعمار والفاء للدلالة على ان اشتراءهم اداهم
الى الصد انهم ساء ما كانوا يعملون عملهم هذا او ما دل عليه قوله لا يرقبون
في مؤمن الا ولا ذمة فهو تفسير لا تكرير وقيل الاول عام في الناقضين وهذا
خاص بالذين اشتروا وهم اليهود او الاعراب الذين جمعهم ابو سفيان واطعمهم
واولئك هم المعتدون في الشرارة فان تابوا عن الكفر واقاموا الصلوة
وآتوا الزكوة فاخوانكم فهم اخوانكم في الدين لهم ما لكم وعليهم ما عليكم ونفصل الايات
لقوم يعلمون اعتراض للحث على تأمل ما فصل من احكام المعاهدين او خصال التائبين
وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وان نكثوا ما بايعوا عليه من الايمان والوفاء
بالعهود وطعنوا في دينكم بصريح التكذيب وتقبيح الاحكام فقاتلوا ائمة الكفر
اي فقاتلوهم فوضع ائمة الكفر موضع الضمير للدلالة على انهم صاروا بذلك
ذوي الرياسة والتقدم في الكفر احقاء بالقتل وقيل المراد بالائمة رؤساء
المشركين فالتخصيص اما لان قتلهم اهم وهم احق به او للمنع من مراقبتهم وقرأ عاصم
وابن عامر وحمزة والكسائي وروح عن يعقوب ائمة بتحقيق الهمزتين على الاصل
واظهار الياء لحن انهم لا ايمان لهم اي لا ايمان لهم على الحقيقة والا لما طعنوا
ولم ينكثوا وفيه دليل على ان الذمي اذا طعن في الاسلام فقد نكث وتشهد به

الحنفية على ان يمين الكافر ليس يمينا وهو ضعيف لان المراد نفي الوثوق عليها
لا انها ليست بايمان لقوله تعالى وان نكثوا ايمانهم وقرأ ابن عامر لا ايمان
بمعنى لا امان او لا اسلام وتشبث به من لم يقبل توبة المرتدين وهو ضعيف
لجواز ان يكون بمعنى لا يؤمنون على الاخبار عن قوم معينين او ليس لهم ايمان
فيراقبوا لاجله لعلهم ينتهون متعلق بقاتلوا اي ليكن غرضكم في المقاتلة ان
ينتهوا عما هم عليه لا ايصال الاذية بهم كما هو طريقة المؤذين ألا تقاتلون
قوما تحريض على القتال لان الهمزة دخلت على النفي للانكار فافادت المبالغة
في الفعل نكثوا ايمانهم التي حلفوها مع الرسول والمؤمنين على ان لا يعاونوا
عليهم فعاونوا بني بكر على خزاعة وهموا باخراج الرسول حين تشاوروا
في امره بدار الندوة على ما ذكر في قوله واذ يمكر بك الذين كفروا وقيل هم اليهود
نكثوا عهد الرسول وهموا باخراجه من المدينة وهم بدؤكم اول مرة بالمعاداة والمقاتلة
لانه صلى الله عليه وسلم بدأهم بالدعوة والزام الحجة بالكتاب والتحدي به فعدلوا
عن معارضته الى المعاداة والمقاتلة فما يمنعكم ان تعارضوهم وتصادموهم
اتخشونهم اتتركون قتالهم خشية ان ينالكم مكروه منهم فالله احق ان تخشوه
فقاتلوا اعداءه ولا تتركوا امره ان كنتم مؤمنين فان قضية الايمان ان لا يخشى
الا منه قاتلوهم امر بالقتال بعد بيان موجبه والتوبيخ على تركه والتوعد عليه
يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم وعد لهم ان قاتلوهم بالنصر عليهم والتمكن
من قتلهم واذلالهم ويشف صدور قوم مؤمنين يعني بني خزاعة وقيل بطونا
من اليمن وسبأ قدموا مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى شديدا فشكوا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابشروا فان الفرج قريب ويذهب
غيظ قلوبهم لما لقوا منهم وقد اوفى الله بما وعدهم والآية من المعجزات ويتوب
الله على من يشاء ابتداء اخبار بان بعضهم يتوب عن كفره وقد كان ذلك ايضا
وقرئ ويتوب بالنصب على اضمار ان على انه من جملة ما اجيب به الامر فان

القتال كما تسبب لتعذيب قوم تسبب لتوبة آخرين والله عليم بما كان
وما يكون حكيم لا يفعل ولا يحكم الا على وفق الحكمة ام حسبتم خطاب
للمؤمنين حين كره بعضهم القتال وقيل للمنافقين وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها
التوبيخ على الحسبان ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتبين
الخلص منكم وهم الذين جاهدوا من غيرهم نفى العلم واراد نفي المعلوم للمبالغة
فانه كالبرهان عليه من حيث ان تعلق العلم به مستلزم لوقوعه ولم يتخذوا عطف
على جاهدوا داخل في الصلة من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة
بطانة يوالونهم ويفشون اليهم اسرارهم وما في لما من معنى التوقع منبهة على ان
تبين ذلك متوقع والله خبير بما تعملون يعلم غرضكم منه وهو كالمزيح لما يتوهم
من ظاهر قوله ولما يعلم الله ما كان للمشركين ما صح لهم ان يعمروا مساجد الله شيئا
من المساجد فضلا عن المسجد الحرام وقيل هو المراد وانما جمع لانه قبلة المساجد
وامامها فعامره كعامر الجميع ويدل عليه قراءة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب بالتوحيد
شاهدين على انفسهم بالكفر باظهار الشرك وتكذيب الرسول وهو حال من الواو
والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة بيت الله وعبادة غيره روي
انه لما اسر العباس عيره المسلمون بالشرك وقطيعة الرحم واغلظ له علي في القول
فقال تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة
ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت اولئك حبطت اعمالهم التي يفتخرون بها بما قارنها
من الشرك وفي النار هم خالدون لاجله انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم
الآخر واقام الصلوة وآتى الزكوة اي انما تستقيم عمارتها لهؤلاء الجامعين
للكمالات العلمية والعملية ومن عمارتها تزيينها بالفرش وتنويرها بالسرج
وادامة العبادة والذكر ودرس العلم فيها وصيانتها مما لم تبن له كحديث الدنيا
وعن النبي عليه الصلاة والسلام قال الله تعالى ان بيوتي في ارضي المساجد وان
زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور

ان يكرم من اثره وانما لم يذكر الايمان بالرسول لما علم ان الايمان بالله قرينه
وتمامه الايمان به ولدلالة قوله واقام الصلوة واتى الزكوة عليه ولم يخش
الا الله اى فى ابواب الدين فان الخشية عن المحاذير جبلية لا يكاد الرجل
يتمالك عنها فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين ذكره بصيغة التوقع قطعا
لاطماع المشركين فى الاهتداء والانتفاع باعمالهم وتوبيخا لهم بالقطع بانهم
مهتدون فان هؤلاء مع كمالهم اذا كان اهتداؤهم دائرا بين عسى ولعل فما ظنك
باضدادهم ومنعا للمؤمنين ان يغتروا باحوالهم ويتكلوا عليها اجعلتم سقاية
الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله
السقاية والعمارة مصدر اسقى وعمر فلا يشبهان بالجثث بل لا بد من اضمار تقديره
اجعلتم اهل سقاية الحاج كمن آمن او اجعلتم سقاية الحاج كايمان من آمن
ويؤيد الاول قراءة من قرأ سقاة الحاج وعمرة المسجد والمعنى انكار ان
يشبه المشركون واعمالهم المحبطة بالمؤمنين واعمالهم المثبتة ثم قرر ذلك بقوله
لا يستوون عند الله وبين عدم تساويهم بقوله والله لا يهدى القوم الظالمين
اى الكفرة ظلمة بالشرك ومعاداة الرسول صلى الله عليه وسلم منهمكون فى الضلالة
فكيف يساوون الذين هداهم الله ووفقهم للحق والصواب وقيل المراد بالظالمين
الذين يسوون بينهم وبين المؤمنين الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله
باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله اعلى رتبة واكثر كرامة ممن لم تستجمع عنده
الصفات او من اهل السقاية والعمارة عندكم واولئك هم الفائزون بالثواب
ونيل الحسنى عند الله دونكم يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم
فيها فى الجنات نعيم مقيم دائم وقرأ حمزة يبشرهم بالتخفيف وتنكير المبشر به
اشعار بانه وراء التعيين والتعريف خالدين فيها ابدا اكد الخلود بالتأبيد
لانه قد يستعمل للمكث الطويل ان الله عنده اجر عظيم يستحقر دونه ما استوجبوه
لاجله او نعم الدنيا يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء نزلت

فى المهاجرين فانهم لما امروا بالهجرة قالوا ان هاجرنا قطعنا آباءنا وابناءنا وعشائرنا
وذهبت تجاراتنا وبقينا ضايعين وقيل نزلت نهيا عن موالاة التسعة الذين
ارتدوا ولحقوا بمكة والمعنى لا تتخذوهم اولياء يمنعونكم عن الايمان ويصدونكم
عن الطاعة لقوله ان استحبوا الكفر على الايمان ان اختاروه وحرصوا عليه
ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون بوضعهم الموالاة فى غير محلها قل ان كان
آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم اقرباؤكم ماخوذ من العشرة
فان العشيرة جماعة ترجع الى عقد كعقد العشرة وقرأ ابو بكر وعشيراتكم وقرئ
وعشايركم واموال اقترفتموها اكتسبتموها وتجارة تخشون كسادها فوات
وقت نفاقها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله
الحب الاختيارى دون الطبيعى فانه لا يدخل تحت التكليف والتحفظ عنه فتربصوا
حتى يأتى الله بامره جواب ووعيد والامر عقوبة عاجلة او آجلة وقيل فتح مكة
والله لا يهدى القوم الفاسقين لا يرشدهم وفى الآية تشديد عظيم وقل
من يتخلص عنه لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة يعنى مواطن الحرب وهى مواقفها
ويوم حنين وموطن يوم حنين ويجوز ان يقدر فى ايام مواطن او يفسر الموطن
بالوقت كمقتل الحسين ولا يمنع ابدال قوله اذ اعجبتكم كثرتكم منه ان يعطف على
موضع فى مواطن فانه لا يقتضى تشاركهما فيما اضيف اليه المعطوف حتى يقتضى
كثرتهم واعجابها اياهم فى جميع المواطن وحنين واد بين مكة والطايف حارب
فيه رسول الله والمسلمون وكانوا اثنى عشر الفا العشرة الذين حضروا فتح مكة
والفان انضموا اليهم من الطلقاء هوازن وثقيفا وكانوا اربعة آلاف فلما
التقوا قال رسول الله او ابو بكر او غيره من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة
اعجابا بكثرتهم واقتتلوا قتالا شديدا فادرك المسلمين اعجابهم واعتمادهم
على كثرتهم فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مركزه
ليس معه الا عمه العباس آخذا بلجامه وابن عمه ابو سفيان بن الحارث وناهيك

هذا شهادة على تناهي شجاعته فقال للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادى
يا عباد الله يا اصحاب الشجرة يا اصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا يقولون
لبيك لبيك ونزلت الملائكة فالتقوا مع المشركين فقال عليه الصلوة والسلام
هذا حين حمي الوطيس ثم اخذ كفا من تراب فرماهم ثم قال انهزموا ورب الكعبة
فانهزموا فلم تغن عنكم اي الكثرة شيئا من الاغناء او من امر العدو وضاقت عليكم
الارض بما رحبت برحبها اي بسعتها لا تجدون فيها مقرا تطمئن اليه نفوسكم من
شدة الرعب او لا يثبتون فيها كمن لا يسعه مكانه ثم وليتم الكفار ظهوركم مدبرين
منهزمين والادبار الذهاب الى خلف خلاف الاقبال ثم انزل الله سكينته رحمته
التي سكنوا بها وامنوا على رسوله وعلى المؤمنين الذين انهزموا واعادة الجار للتنبيه
على اختلاف حاليهما وقيل هم الذين ثبتوا مع الرسول ولم يفروا وانزل جنودا لم تروها
باعينكم يعني الملائكة وكانوا خمسة آلاف او ثمانية او ستة عشر على اختلاف الاقوال
وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر والسبي وذلك جزاء الكافرين اي ما فعل بهم
جزاء كفرهم في الدنيا ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء منهم بالتوفيق للاسلام
والله غفور رحيم يتجاوز عنهم ويتفضل عليهم روي ان ناسا منهم جاؤا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وابرهم
وقد سبي اهلونا واولادنا واخذت اموالنا وقد سبيت يومئذ ستة آلاف
نفس واخذ من الابل والغنم ما لا يحصى فقال صلى الله عليه وسلم اختاروا اما
سبايكم واما اموالكم فقالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئا فقام رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال ان هؤلاء جاؤا مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري
والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيئا فمن كان بيده سبي وطابت نفسه ان
يرده فشانه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه
مكانه فقالوا رضينا وسلمنا فقال اني لا ادري لعل فيكم من لا يرضى فمروا
عرفاءكم فليرفعوا الينا فرفعوا انهم قد رضوا يا ايها الذين امنوا انما المشركون

نجس لخبث باطنهم او لانه يجب ان يجتنب عنهم كما يجتنب عن الانجاس او لانهم
لا يتطهرون ولا يتجنبون عن النجاسات فهم ملابسون لها غالبا وفيه دليل
على ان ما الغالب نجاسته نجس وعن ابن عباس رض ان اعيانهم نجسة كالكلاب
وقرئ نجس بالسكون وكسر النون وهو ككبد في كبد واكثر ما جاء تابعا لرجس
فلا يقربوا المسجد الحرام لنجاستهم وانما نهى عن الاقتراب للمبالغة او للمنع عن
دخول الحرم وقيل المراد به النهي عن الحج والعمرة لا عن الدخول مطلقا واليه ذهب
ابو حنيفة رح وقاس مالك سائر المساجد على المسجد الحرام في المنع وفيه دليل
على ان الكفار مخاطبون بالفروع بعد عامهم هذا يعني سنة براءة وهي التاسعة وقيل
سنة حجة الوداع وان خفتم عيلة فقرا بسبب منعهم من الحرم وانقطاع ما كان لكم
من قدومهم من المكاسب والارفاق فسوف يغنيكم الله من فضله من عطائه
او تفضله بوجه آخر وقد انجز وعده بان ارسل السماء عليهم مدرارا ووفق اهل
تبالة وجرش فاسلموا وامتاروا لهم ثم فتح عليهم البلاد والغنائم وتوجه اليهم
الناس من اقطار الارض وقرئ عائلة على انها مصدر كالعافية او حال ان شاء
قيده بالمشيئة لينقطع الامال الى الله ولينبه على انه متفضل في ذلك وان الغنى الموعود
يكون لبعض دون بعض وفي عام دون عام ان الله عليم باحوالكم حكيم فيما يعطي
ويمنع قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر لا يؤمنون بهما على ما
ينبغي كما بيناه في اول البقرة فان ايمانهم كلا ايمان ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله
ما ثبت تحريمه بالكتاب والسنة وقيل رسوله هو الذي يزعمون اتباعه والمعنى انهم
يخالفون اصل دينهم المنسوخ اعتقادا وعملا ولا يدينون دين الحق الثابت الذي
هو ناسخ سائر الاديان ومبطلها من الذين اوتوا الكتاب بيان للذين لا يؤمنون
حتى يعطوا الجزية ما تقرر عليهم ان يعطوه مشتق من جزى دينه اذا قضاه عن يد
حال من الضمير في يعطوا اي عن يد مواتية بمعنى منقادين او عن يدهم بمعنى مسلمين
بايديهم غير باعثين بايدي غيرهم ولذلك منع من التوكيل فيه او عن غنى ولذلك

قيل لا يوثق بالفقير او عن يد قاهرة عليهم بمعنى عاجزين اذلاء او بانعام عليهم
فان ابقاءهم بالجزية نعمة عظيمة او من الجزية بمعنى نقدا مسلمة عن يد الى يد وهم
صاغرون اذلاء وعن ابن عباس رضي الله عنهما تؤخذ الجزية من الذمي وتوجأ عنقه
ومفهوم الاية يقتضي تخصيص الجزية باهل الكتاب ويؤيده ان عمر رض لم يكن
ياخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف انه صلى الله عليه وسلم اخذها
من مجوس هجر وانه قال سنوا بهم سنة اهل الكتاب وذلك لان لهم شبهة كتاب
فالحقوا بالكتابيين واما سائر الكفرة فلا تؤخذ منهم الجزية عندنا وعند ابي حنيفة رح
تؤخذ منهم الا من مشركي العرب لما روى الزهري انه صلى الله عليه وسلم صالح عبدة الاوثان
الا من كان من العرب وعند مالك رح تؤخذ من كل كافر الا المرتد واقلها في كل سنة
دينار سواء فيه الغني والفقير وقال ابو حنيفة رح على الغني ثمانية واربعون درهما
وعلى المتوسط نصفها وعلى الفقير الكسوب ربعها ولا شيء على فقير غير كسوب وقالت
اليهود عزير ابن الله انما قاله بعضهم من متقدميهم او ممن كانوا بالمدينة وانما قالوا
ذلك لانه لم يبق فيهم بعد وقعة بخت نصر من يحفظ التورية وهو لما احياه الله
بعد مائة عام املى عليهم التورية حفظا فتعجبوا من ذلك وقالوا ما هذا الا لانه
ابن الله والدليل على ان هذا القول كان فيهم ان الاية قرئت عليهم فلم يكذبوا مع
تهالكهم على التكذيب وقرا عاصم والكسائي ويعقوب عزير بالتنوين على انه عربي
مخبر عنه بابن غير موصوف به وحذفه في القراءة الاخرى اما لمنع صرفه للعجمة والتعريف
او لالتقاء الساكنين تشبيها للنون بحروف اللين او لان الابن وصف والخبر
محذوف مثل معبودنا او صاحبنا وهو مزيف لانه يؤدي الى تسليم النسب وانكار
الخبر المقدر وقالت النصارى المسيح ابن الله هو ايضا قول بعضهم وانما قالوه استحالة
لان يكون ولد بلا اب او لان يفعل ما فعله من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى
من لم يكن الها ذلك قولهم بافواههم اما تاكيد لنسبة هذا القول اليهم ونفي للتجوز
عنها او اشعار بانه قول مجرد عن برهان وتحقيق مماثل للمهمل الذي يوجد في الافواه

ولا يوجد

ولا يوجد مفهومه في الاعيان يضاهؤن قول الذين كفروا اي يضاهي قولهم
قول الذين كفروا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه من قبل اي من قبلهم
والمراد قدماؤهم على ان الكفر قديم فيهم او المشركون الذين قالوا الملائكة بنات الله
او اليهود على ان الضمير للنصارى والمضاهاة المشابهة والهمزة لغة فيه وقد قرأ به
عاصم ومنه قولهم امرأة ضهياء على فعيل للتي شابهت الرجال في انها لا تحيض قاتلهم الله
دعاء عليهم بالاهلاك فان من قاتله الله هلك او تعجب من شناعة قولهم انى يؤفكون
كيف يصرفون عن الحق الى الباطل اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله
بان اطاعوهم في تحريم ما احل الله وتحليل ما حرم الله او بالسجود لهم والمسيح ابن مريم
بان جعلوه ابنا لله وما امروا اي وما امر المتخذون او المتخذون اربابا فيكون
كالدليل على بطلان الاتخاذ الا ليعبدوا ليطيعوا الها واحدا وهو الله تعالى
واما طاعة الرسل وسائر من امر الله بطاعته فهي على الحقيقة طاعة الله لا اله
صفة ثانية او استئناف مقرر للتوحيد سبحانه عما يشركون تنزيه له عن ان يكون
له شريك يريدون ان يطفئوا يخمدوا نور الله حجته الدالة على وحدانيته وتقدسه
عن الولد او القرآن او نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بافواههم بشركهم او تكذيبهم
ويابى الله لا يرضى الا ان يتم نوره باعلاء التوحيد واعزاز الاسلام وقيل
انه حالهم في طلبهم ابطال نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالتكذيب بحال من يطلب اطفاء نور
عظيم منبث في الافاق يريد الله ان يزيده بنفخه وانما صح الاستثناء المفرغ
والفعل موجب لانه في معنى النفي ولو كره الكافرون محذوف الجواب لدلالة ما قبله
عليه هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله كالبيان لقوله
ويابى الله الا ان يتم نوره ولذلك كرر ولو كره المشركون غير انه وضع المشركون
موضع الكافرون للدلالة على انهم ضموا الكفر بالرسول الى الشرك بالله والضمير في
ليظهره للدين الحق او للرسول واللام في الدين للجنس اي على سائر الاديان فينسخها
او على اهلها فيخذلهم يا ايها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان لياكلون

الا هو

اموال الناس بالباطل يأخذونها بالرشى في الاحكام سمي اخذ المال اكلا لانه الغرض
الاعظم منه ويصدون عن سبيل الله دينه والذين يكنزون الذهب والفضة ولا
ينفقونها في سبيل الله يجوز ان يراد به الكثير من الاحبار والرهبان فيكونان مبالغة
في وصفهم بالحرص على المال والضن بها وان يراد المسلمون الذين يجمعون المال ويقتنونه
ولا يؤدون حقه ويكون اقترانه بالمرتشين من اهل الكتاب للتغليظ ويدل عليه
انه لما نزل كبر على المسلمين فذكر عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله لم يفرض
الزكوة الا ليطيب بها ما بقي من اموالكم وقوله صلى الله عليه وسلم ما ادي زكوته فليس
بكنز اي بكنز اوعد عليه فان الوعيد على الكنز مع عدم الانفاق فيما امر الله ان ينفق
فيه واما قوله من ترك صفرا او بيضا كوي بها ونحوه فالمراد منها ما لم يؤد حقها لقوله
عليه الصلوة والسلام فيما اورده الشيخان مرويا عن ابي هريرة رض ما من صاحب
ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها الا اذا كان يوم القيمة صفحت له صفائح
من نار فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره فبشرهم بعذاب اليم هو الكي بها يوم يحمى
عليها في نار جهنم اي يوم توقد النار ذات حمي شديد عليها واصله تحمى بالنار
فجعل الاحماء للنار مبالغة ثم حذفت النار واسند الفعل الى الجار والمجرور
تنبيها على المقصود فانتقل من صيغة التانيث الى صيغة التذكير وانما قال عليها
والمذكور شيئان لان المراد بهما دراهم ودنانير كثيرة كما قال علي رض اربعة آلاف
وما دونها نفقة وما فوقها كنز وكذا قوله ولا ينفقونها وقيل الضمير فيهما
للكنوز او للاموال فان الحكم عام وتخصيصهما بالذكر لانهما قانون التمول او للفضة
وتخصيصها لقربها ودلالة حكمها على ان الذهب اولى بهذا الحكم فتكوى بها جباههم
وجنوبهم وظهورهم لان جمعهم وامساكهم كان بطلب الوجاهة بالغنى والتنعم
بالمطاعم الشهية والملابس البهية او لانهم ازوروا عن السائل واعرضوا عنه
وولوه ظهورهم او لانها اشرف الاعضاء الظاهرة فانها المشتملة على الاعضاء
الرئيسة التي هي الدماغ والقلب والكبد او لانها اصول الجهات الاربع التي هي مقاديم

البدن وما خيره وجبينه هذا ما كنزتم على ارادة القول لانفسكم لمنفعتها
وكان عين مضرتها وسبب تعذيبها فذوقوا ما كنتم تكنزون وبال كنزكم
او ما تكنزونه وقرئ تكنزون بضم النون ان عدة الشهور اي مبلغ عددها
عند الله معمول عدة لانها مصدر اثنا عشر شهرا في كتاب الله في اللوح المحفوظ
او في حكمه وهو صفة لاثني عشر وقوله يوم خلق السموات والارض متعلق بما فيه
من معنى الثبوت او بالكتاب ان جعل مصدرا والمعنى ان هذا امر ثابت في نفس الامر
منذ خلق الله الاجرام والازمنة منها اربعة حرم واحد فرد وهو رجب
وثلثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ذلك الدين القيم اي تحريم الاشهر
الاربعة هو الدين القويم دين ابراهيم واسمعيل عليهما السلام والعرب ورثوه
منهما فلا تظلموا فيهن انفسكم بهتك حرمتها وارتكاب حرامها والجمهور على ان
حرمة المقاتلة فيها منسوخة واولوا الظلم بارتكاب المعاصي فيهن فانه
اعظم وزرا كارتكابها في الحرم وحال الاحرام وعن عطا انه لا يحل للناس
ان يغزوا في الحرم والاشهر الحرم الا ان يقاتلوا ويؤيد الاول ما روي
انه صلى الله عليه وسلم حاصر الطائف وغزا هوازن بحنين في شوال وذي القعدة
وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة جميعا وهو مصدر كف عن الشيء
فان الجميع مكفوف عن الزيادة وقع موقع الحال واعلموا ان الله مع المتقين
بشارة وضمان لهم بالنصرة بسبب تقواهم انما النسيء اي تاخير حرمة الشهر الى
شهر آخر كانوا اذا جاء شهر حرام وهم محاربون احلوه وحرموا مكانه شهرا آخر
حتى رفضوا خصوص الاشهر واعتبروا مجرد العدد وعن نافع برواية ورش
انما النسي بقلب الهمزة ياء وادغام الياء فيها وقرئ النسء بحذفها والنسي والنسا
والنسوء وثلثتها مصادر نسأه اذا اخره زيادة في الكفر لانه تحريم ما احل الله
وتحليل ما حرمه فهو كفر آخر ضموه الى كفرهم يضل به الذين كفروا اضلالا زائدا
وقرأ حمزة والكسائي وحفص يضل على البناء للمفعول وعن يعقوب يضل على ان الفعل

لله يحلونه عاما يحلون النسيء من الاشهر الحرم سنة ويحرمون مكانه شهرا اخر ويحرمونه
عاما يتركونه على حرمته قيل اول من احدث ذلك جنادة بن عوف الكناني كان
يقوم على جمل في الموسم فينادي ان الهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم ينادي
في القابل ان الهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه والجملتان تفسير للضلال او حال
ليواطئوا عدة ما حرم الله اي ليوافقوا عدة الاربعة المحرمة واللام متعلقة
بيحرمونه او بما دل عليه مجموع الفعلين فيحلوا ما حرم الله بمواطأة العدة وحدها
من غير مراعاة الوقت زين لهم سوء اعمالهم وقرئ على البناء للفاعل وهو الله تعالى
والمعنى خذلهم واضلهم حتى حسبوا قبيح اعمالهم حسنا والله لا يهدي القوم الكافرين
هداية موصلة الى الاهتداء يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله
اثاقلتم تباطأتم وقرئ تثاقلتم على الاصل واثاقلتم على الاستفهام للتوبيخ
الى الارض متعلق به كأنه ضمن معنى الاخلاد والميل فعدي بالى وكان ذلك
في غزوة تبوك امروا بها بعد رجوعهم من الطائف في وقت عسرة وقحط مع بعد
الشقة وكثرة العدو فشق عليهم ارضيتم بالحيوة الدنيا ودعتها من الاخرة
بدل الاخرة ونعيمها فما متاع الحيوة الدنيا فما التمتع بها في الاخرة في جنب الاخرة
الا قليل مستحقر الا تنفروا ان لا تنفروا الى ما استنفرتم اليه يعذبكم عذابا
اليما بالاهلاك بسبب فظيع كقحط وظهور عدو ويستبدل قوما غيركم ويستبدل
بكم اخرين مطيعين كاهل اليمن وابناء فارس ولا تضروه شيئا لا يقدح تثاقلكم
اذ تثاقلتم في نصرة دينه شيئا فانه الغني عن كل شيء وفي كل امر وقيل الضمير للرسول
اي ولا تضروه فان الله وعد له بالعصمة والنصرة ووعده حق والله على كل شيء
قدير فيقدر على التبديل وتغيير الاسباب والنصرة بلا مدد كما قال الا تنصروه
فقد نصره الله اي ان لم تنصروه فسينصره الله كما نصره اذ اخرجه الذين كفروا
ثاني اثنين ولم يكن معه الا رجل واحد فحذف الجزاء واقيم ما هو كالدليل عليه مقامه
او ان لم تنصروه فقد اوجب الله له النصرة حتى نصره في مثل ذلك الوقت فلن يخذله

في غيره واسناد الاخراج الى الكفرة لان همهم باخراجه او قتله تسبب لاذن الله له
في الخروج وقرئ ثاني اثنين بالسكون على لغة من يجري المنقوص مجرى المقصور
في الاعراب ونصبه على الحال اذ هما في الغار بدل من اذ اخرجه بدل البعض
اذ المراد به زمان متسع والغار نقب في اعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة
ساعة مكثا فيه ثلثا اذ يقول بدل ثان او ظرف لثاني لصاحبه وهو ابو بكر لا تحزن
ان الله معنا بالعصمة والمعونة روي ان المشركين طلعوا فوق الغار فاشفق
ابو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه الصلوة والسلام ما ظنك
باثنين الله ثالثهما فاعماهم عن الغار فجعلوا يترددون حوله فلم يروه وقيل لما
دخل الغار بعث الله تعالى حمامتين فباضتا في اسفله والعنكبوت فنسجت عليه
فانزل الله سكينته امنته التي تسكن عندها القلوب عليه على النبي صلى الله عليه وسلم
او على صاحبه وهو الاظهر لانه كان منزعجا وايده بجنود لم تروها يعني الملائكة
انزلهم ليحرسوه في الغار او ليعينوه على العدو يوم بدر والاحزاب وحنين فيكون
الجملة معطوفة على قوله نصره الله وجعل كلمة الذين كفروا السفلى يعني الشرك
او دعوة الكفر وكلمة الله هي العليا يعني التوحيد او دعوة الاسلام والمعنى
وجعل ذلك بتخليص الرسول عن ايدي الكفار الى المدينة فانه المبدأ له او بتأييده
اياه بالملائكة في هذه المواطن او بحفظه ونصره له حيث حضر وقرأ يعقوب وكلمة
الله بالنصب عطفا على كلمة الذين والرفع ابلغ لما فيه من الاشعار بان كلمة الله عالية
في نفسها وان فاق غيرها فلا ثبات لتفوقه ولا اعتبار ولذلك وسط الفصل
والله عزيز حكيم في امره وتدبيره انفروا خفافا لنشاطكم له وثقالا عنه لمشقته
عليكم او لقلة عيالكم ولكثرتها او ركبانا ومشاة او خفافا وثقالا من السلاح
او صحاحا ومراضا ولذلك لما قال ابن ام مكتوم لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اعلي ان انفر قال نعم حتى نزل ليس على الاعمى حرج وجاهدوا باموالكم وانفسكم
في سبيل الله بما امكن لكم منهما كليهما او احدهما ذلكم خير لكم من تركه ان كنتم تعلمون

الخير علمتم انه خير او ان كنتم تعلمون انه خير اذ اخبار الله صدق فبادروا اليه
لو كان عرضا قريبا اي لو كان ما دعوا اليه نفعا دنيويا قريبا سهل المأخذ وسفرا
قاصدا متوسطا لاتبعوك لوافقوك ولكن بعدت عليهم الشقة المسافة التي تقطع
بمشقة وقرئ بكسر العين والشين وسيحلفون بالله اي المتخلفون اذا رجعت من تبوك
معتذرين لو استطعنا يقولون لو كان لنا استطاعة العدة او البدن وقرئ
لو استطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو الضمير في قوله اشتروا الضلالة لخرجنا معكم
ساد مسد جوابي القسم والشرط وهذا من المعجزات لانه اخبار عما وقع قبل وقوعه
يهلكون انفسهم بايقاعها في العذاب وهو بدل من سيحلفون لان الحلف
الكاذب ايقاع النفس في الهلاك او حال من فاعله والله يعلم انهم لكاذبون
في ذلك لانهم كانوا مستطيعين الخروج عفا الله عنك كناية عن خطائه في
الاذن فان العفو من روادفه لم اذنت لهم بيان لما كنى عنه بالعفو ومعاتبة
عليه والمعنى لاي شيء اذنت لهم في القعود حين استاذنوك واعتلوا باكاذيب
وهلا توقفت حتى يتبين لك الذين صدقوا في الاعتذار وتعلم الكاذبين
فيه قيل انما فعل رسول الله شيئين لم يؤمر بهما اخذه الفداء واذنه للمنافقين
فعاتبه الله عليهما لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا
باموالهم وانفسهم اي ليس من عادة المؤمنين ان يستاذنوك في ان يجاهدوا
فان الخلص منهم يبادرون اليه ولا يوقفونه على الاذن فيه فضلا ان يستاذنوك
في التخلف عنه او ان يستاذنوك في التخلف كراهة ان يجاهدوا والله عليم
بالمتقين شهادة لهم بالتقوى وعدة لهم بثوابه انما يستاذنك في التخلف الذين
لا يؤمنون بالله واليوم الآخر تخصيص الايمان بالله واليوم الآخر في الموضعين
للاشعار بان الباعث على الجهاد والوازع عنه الايمان وعدم الايمان بهما
وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون يتحيرون ولو ارادوا الخروج لاعدوا
له للخروج عدة اهبة وقرئ عده بحذف التاء عند الاضافة كقوله واخلفوك

عدة الامر الذي فعلوا وعده بكسر العين باضافة وغيرها ولكن كره الله انبعاثهم
استدراك عن مفهوم قوله ولو ارادوا الخروج كانه قال ما خرجوا ولكن تثبطوا
لانه تعالى كره انبعاثهم اي نهوضهم للخروج فثبطهم فحبسهم بالجبن والكسل وقيل
اقعدوا مع القاعدين تمثيل لالقاء الله كراهة الخروج في قلوبهم او وسوسة
الشيطان بالامر بالقعود او حكاية قول بعضهم لبعض او اذن الرسول لهم والقاعدين
يحتمل المعذورين وغيرهم وعلى الوجهين لا يخلو عن ذم لو خرجوا فيكم ما زادوكم
الا خبالا فسادا وشرا ولا يستلزم ذلك ان يكون لهم خبال حتى لو خرجوا زادوه
لان الزيادة باعتبار اعم العام الذي وقع منه الاستثناء ولاجل هذا
التوهم جعل الاستثناء منقطعا وليس كذلك لانه لا يكون مفرغا ولاوضعوا خلالكم
ولاسرعوا ركائبهم بينكم بالنميمة والتضريب او الهزيمة والتخذيل من وضع البعير
وضعا اذا اسرع يبغونكم الفتنة يريدون ان يفتنوكم بايقاع الخلاف فيما بينكم
او الرعب في قلوبكم والجملة حال من الضمير في اوضعوا وفيكم سماعون لهم ضعفة
يسمعون قولهم ويطيعونهم او نمامون يسمعون حديثكم للنقل اليهم والله عليم بالظالمين
فيعلم ضمائرهم وما يتاتى منهم لقد ابتغوا الفتنة تشتيت امرك وتفريق اصحابك
من قبل يعني يوم احد فان ابن ابي واصحابه كما تخلفوا عن تبوك بعد ما خرجوا
مع الرسول الى ذي جدة اسفل من ثنية الوداع انصرفوا يوم احد وقلبوا لك الامور
ودبروا لك المكايد والحيل ودوروا الآراء في ابطال امرك

حتى جاء الحق النصر والتأييد
الالهي وظهر امر الله علا دينه
وهم كارهون

اي على رغم منهم
والآيتان لتسلية الرسول والمؤمنين على تخلفهم وبيان ما ثبطهم الله لاجله وكره
انبعاثهم له وهتك استارهم وكشف اسرارهم وازاحة اعتذارهم تداركا لما
فوت الرسول بالمبادرة الى الاذن ولذلك عوتب عليه ومنهم من يقول ائذن لي في
القعود ولا تفتني ولا توقعني في الفتنة اي العصيان والمخالفة بان لا تاذن لي
وفيه اشعار بانه لا محالة متخلف اذن له او لم ياذن او في الفتنة بسبب ضياع
المال والعيال اذ لا كافل لهم بعدي او في الفتنة بنساء الروم لما روي ان جد

ابن قيس قال قد علمت الانصار اني مولع بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر ولكني
اعينك بمالي فاتركني الا في الفتنة سقطوا اي ان الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة
التخلف وظهور النفاق لا ما احترزوا عنه وان جهنم لمحيطة بالكافرين جامعة لهم
يوم القيمة او الآن لاحاطة اسبابها بهم ان تصبك في بعض غزواتك حسنة ظفر
وغنيمة تسؤهم لفرط حسدهم وان تصبك في بعضها مصيبة كسر او شدة كما اصاب
يوم احد يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل تبجحوا بانصرافهم واستحمدوا آراءهم في التخلف
ويتولوا عن متحدثهم ومجتمعهم او عن الرسول وهم فرحون مسرورون
قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا الا ما اختصنا باثباته وايجابه من النصرة او الشهادة
او ما كتب لاجلنا في اللوح لا يتغير بموافقتكم ولا بمخالفتكم وقرئ هل يصيبنا وهل
يصيّبنا وهو من فيعل لا من فعّل لانه من بنات الواو لقولهم صاب السهم يصوب
واشتقاقه من الصواب لانه وقوع الشيء فيما قصد به وقيل من الصوب هو مولانا
ناصرنا ومتولي امرنا وعلى الله فليتوكل المؤمنون لان حقهم ان لا يتوكلوا على غيره قل هل
تربصون بنا تنتظرون بنا الا احدى الحسنيين الا احدى العاقبتين اللتين كل منهما
حسنى العواقب النصرة والشهادة ونحن نتربص بكم ايضا احدى السوأيين ان يصيبكم
الله بعذاب من عنده بقارعة من السماء او بايدينا او بعذاب بايدينا وهو القتل على
الكفر فتربصوا ما هو عاقبتنا انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم قل انفقوا طوعا
او كرها لن يتقبل منكم امر في معنى الخبر اي لن يتقبل منكم نفقاتكم انفقتم طوعا او كرها
وفائدته المبالغة في تساوي الانفاقين في عدم القبول كانهم امروا بان يمتحنوا
فينفقوا وينظروا هل يتقبل منهم وهو جواب قول جد بن قيس واعينك بمالي
ونفي التقبل يحتمل امرين ان لا يؤخذ منهم وان لا يثابوا عليه وقوله انكم
كنتم قوما فاسقين تعليل له على سبيل الاستئناف وما بعده بيان وتقرير له
وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله اي وما منعهم
قبول نفقاتهم الا كفرهم وقرأ حمزة والكسائي ان يقبل بالياء لان تأنيث النفقات

غير حقيقي وقرئ يقبل على ان الفعل لله ولا يأتون الصلوة الا وهم كسالى متثاقلين
ولا ينفقون الا وهم كارهون لانهم لا يرجون بهما ثوابا ولا يخافون على تركهما
عقابا فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم فان ذلك استدراج ووبال لهم كما قال
انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا بسبب ما يكابدون لجمعها وحفظها من المتاعب
وما يرون فيها من الشدائد والمصائب وتزهق انفسهم وهم كافرون فيموتوا كافرين
مشتغلين بالتمتع عن النظر في العاقبة فيكون ذلك استدراجا لهم واصل الزهوق
الخروج بصعوبة ويحلفون بالله انهم لمنكم لمن جملة المسلمين وما هم منكم ولكنهم قوم
يفرقون يخافون منكم ان تفعلوا بهم ما تفعلون بالمشركين فيظهرون الاسلام تقية
لو يجدون ملجأ حصنا يلجؤون اليه او مغارات غيرانا او مدخلا نفقا ينجحرون فيه
مفتعل من الدخول وقرأ يعقوب مدخلا من دخل وقرئ مدخلا اي مكانا يدخلون
فيه انفسهم ومتدخلا ومندخلا من تدخل واندخل لولوا اليه لاقبلوا نحوه وهم
يجمحون يسرعون اسراعا لا يردهم شيء كالفرس الجموح وقرئ يجمزون ومنه الجمازة
ومنهم من يلمزك يعيبك وقرأ يعقوب يلمزك بالضم وابن كثير يلامزك في الصدقات
في قسمها فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون قيل انها نزلت
في ابي الجواظ المنافق قال الا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم
ويزعم انه يعدل وقيل في ابن ذي الخويصرة رأس الخوارج كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقسم غنائم حنين فاستعطف قلوب اهل مكة بتوفير الغنائم عليهم فقال
اعدل يا رسول الله فقال ويلك ان لم اعدل فمن يعدل واذا للمفاجأة نائب مناب
الفاء الجزائية ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله ما اعطاهم الرسول من الغنيمة
والصدقة وذكر الله للتعظيم وللتنبيه على ان ما فعل الرسول كان بامره وقالوا حسبنا
الله كفانا فضله سيؤتينا الله من فضله صدقة او غنيمة اخرى ورسوله فيؤتينا
اكثر مما آتانا انا الى الله راغبون في ان يغنينا من فضله والآية باسرها في حيز الشرط
والجواب محذوف تقديره لكان خيرا لهم ثم بين مصارف الصدقات تصويبا

وتخصيصا لما فعله الرسول فقال انما الصدقات للفقراء والمساكين اى الزكوات
لهؤلاء المعدودين دون غيرهم وهو دليل على ان المراد باللمز لمزهم فى قسم الزكوات
دون الغنائم والفقير من لا مال له ولا كسب يقع موقعا من حاجته من الفقار كأنه اصيب
فقاره والمسكين من له مال او كسب لا يكفيه من السكون كأن العجز اسكنه ويدل عليه قوله تعالى
اما السفينة فكانت لمساكين وانه صلى الله عليه وسلم سأل المسكنة وتعوذ من الفقر
وقيل بالعكس لقوله تعالى او مسكينا ذا متربة والعاملين عليها الساعين فى تحصيلها
وجمعها والمؤلفة قلوبهم قوم اسلموا ونيتهم ضعيفة فيه فتستألف قلوبهم او اشراف
يترقب باعطائهم ومراعاتهم اسلام نظرائهم وقد اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم
عيينة بن حصن والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس لذلك وقيل اشراف يستألفون
على ان يسلموا فانه صلى الله عليه وسلم كان يعطيهم خمس الخمس والاصح انه كان يعطيهم
من خمس الخمس الذى كان خاص ماله وقد عد منهم من يؤلف قلبه بشىء منها على قتال الكفار
ومانعى الزكوة وقيل كان سهم المؤلفة لتكثير سواد الاسلام فلما اعزه الله واكثر
اهله سقط وفى الرقاب وللصرف فى فك الرقاب بان يعاون المكاتب بشىء منها على
اداء النجوم وقيل بان تبتاع الرقاب فتعتق وبه قال مالك واحمد او بان يفدى
الاسارى والعدول عن اللام الى فى للدلالة على ان الاستحقاق للجهة لا للرقاب
وقيل للايذان بانهم احق بها والغارمين المديونين لانفسهم فى غير معصية اذا لم يكن
لهم وفاء او لاصلاح ذات البين وان كانوا اغنياء لقوله صلى الله عليه وسلم لا تحل الصدقة لغنى
الا لخمسة لغاز فى سبيل الله او لغارم او لرجل اشتراها بماله او لرجل له جار
مسكين فتصدق على المسكين فاهدى المسكين للغنى او لعامل عليها وفى سبيل الله
وللصرف فى الجهاد بالانفاق على المتطوعة وابتياع الكراع والسلاح وقيل فى بناء
القناطر والمصانع وابن السبيل المسافر المنقطع عن ماله فريضة من الله مصدر لما دل عليه
الآية اى فرض لهم الصدقات فريضة او حال من الضمير المستكن فى للفقراء وقرئ
بالرفع على تلك فريضة والله عليم حكيم يضع الاشياء فى مواضعها وظاهر الآية

الآية يقتضى تخصيص استحقاق الزكوة بالاصناف الثمانية ووجوب الصرف
الى كل صنف وجد منهم ومراعاة التسوية بينهم قضية الاشتراك واليه ذهب الشافعى
وعن عمر وحذيفة وابن عباس وغيرهم من الصحابة والتابعين جواز صرفها
الى صنف واحد وبه قال الائمة الثلثة واختاره بعض اصحابنا وبه كان يفتى
شيخى ووالدى رحمهما الله على ان الآية بيان ان الصدقة لا تخرج منهم لا ايجاب
قسمها عليهم ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو اذن يسمع كل ما يقال له
ويصدقه سمى بالجارحة للمبالغة كأنه من فرط استماعه صار جملته آلة السماع كما سمى
الجاسوس عينا لذلك او اشتق له فعل من اذن اذنا اذا استمع كأنف وشلل
روى انهم قالوا محمد اذن سامعة نقول ما شئنا ثم نأتيه فيصدقنا بما نقول
قل اذن خير لكم تصديق لهم بانه اذن ولكن لا على الوجه الذى ذموا به بل من
حيث انه يسمع الخير ويقبله ثم فسر ذلك بقوله يؤمن بالله يصدق به لما قام عنده
من الادلة ويؤمن للمؤمنين ويصدقهم لما علم من خلوصهم واللام مزيدة للتفرقة
بين ايمان التصديق فانه بمعنى التسليم وايمان الامان ورحمة اى وهو رحمة للذين
آمنوا منكم لمن اظهر الايمان حيث يقبله ولا يكشف سره وفيه تنبيه على انه ليس
يقبل قولكم جهلا بحالكم بل رفقا بكم وترحما عليكم وقرأ حمزة ورحمة بالجر
عطفا على خير وقرئ بالنصب على انها علة فعل دل عليه اذن خير اى يأذن
لكم رحمة وقرأ نافع اذن بالتخفيف فيهما وقرئ اذن خير على ان خير صفة له
او خبر ثان والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم بايذائه يحلفون بالله
لكم على معاذيرهم فيما قالوا او تخلفوا ليرضوكم لترضوا عنهم والخطاب للمؤمنين
والله ورسوله احق ان يرضوه احق بالارضاء بالطاعة والوفاق وتوحيد الضمير
لتلازم الرضاءين او لان الكلام فى ايذاء الرسول وارضائه او لان التقدير
والله احق ان يرضوه والرسول كذلك ان كانوا مؤمنين صدقا ألم يعلموا انه
ان الشأن وقرئ بالتاء من يحادد الله ورسوله يشاقق مفاعلة من الحد فان له

نار جهنم خالدين فيها على حذف الخبر اي فحق ان له او على تكرير ان للتاكيد ويحتمل
ان يكون معطوفا على انه ويكون الجواب محذوفا تقديره من يحادد الله ورسوله يهلك
وقرئ فان بالكسر ذلك الخزي العظيم يعني الاهلاك الدائم يحذر المنافقون
ان تنزل عليهم على المؤمنين سورة تنبئهم بما في قلوبهم وتهتك عليهم استارهم
ويجوز ان يكون الضماير للمنافقين فان النازل فيهم كالنازل عليهم من حيث انه مقروء
ومحتج به عليهم وذلك يدل على ترددهم ايضا في كفرهم وانهم لم يكونوا على بت
في امر الرسول بشيء وقيل انه خبر في معنى الامر وقيل كانوا يقولونه فيما بينهم
استهزاء بقوله قل استهزءوا ان الله مخرج مبرز او مظهر ما تحذرون اي ما تحذرونه
من انزال السورة فيكم او ما تحذرونه من اظهار مساويكم ولئن سالتهم ليقولن
انما كنا نخوض ونلعب روي ان ركب المنافقين مروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
في غزوة تبوك فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح قصور الشام وحصونه
هيهات هيهات فاخبر الله به نبيه فدعاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا لا والله
ما كنا في شيء من امرك وامر اصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر
بعضنا على بعض السفر قل ابالله واياته ورسوله كنتم تستهزؤن توبيخا
على استهزائهم بمن لا يصح الاستهزاء به والزاما للحجة عليهم ولا يعبأ باعتذارهم
الكاذب لا تعتذروا لا تشتغلوا باعتذاراتكم فانها معلومة الكذب قد كفرتم
قد اظهرتم الكفر بايذاء الرسول والطعن فيه بعد ايمانكم بعد اظهاركم الايمان
ان نعف عن طائفة منكم لتوبتهم واخلاصهم او لتجنبهم عن الايذاء والاستهزاء
نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين مصرين على النفاق او مقدمين على الايذاء
والاستهزاء وقرا عاصم بالنون فيهما وقرئ بالياء وبناء الفاعل فيهما وهو الله
وان تعف بالتاء والبناء على المفعول ذهابا الى المعنى كانه قال ان ترحم طائفة
المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض اي متشابهة في النفاق والبعد عن الايمان
كابعاض الشيء الواحد وقيل انه تكذيب لهم في حلفهم بالله انهم لمنكم وتقرير لقوله

وماهم

وما هم منكم وما بعده كالدليل عليه فانه يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين وهو
قوله يامرون بالمنكر بالكفر والمعاصي وينهون عن المعروف عن الايمان والطاعة
ويقبضون ايديهم عن المبار وقبض اليد كناية عن الشح نسوا الله اغفلوا ذكر الله
وتركوا طاعته فنسيهم فتركهم من لطفه وفضله ان المنافقين هم الفاسقون الكاملون
في التمرد والفسوق عن دائرة الخير وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار
جهنم خالدين فيها مقدرين الخلود هي حسبهم عقابا وجزاء وفيه دليل على عظم
عذابها ولعنهم الله ابعدهم من رحمته واهانهم ولهم عذاب مقيم لا ينقطع والمراد
ما وعدوه او ما يقاسونه من تعب النفاق كالذين من قبلكم اي انتم مثل الذين
او فعلتم مثل ما فعل الذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا
بيان لتشبيههم بهم وتمثيل حالهم بحالهم فاستمتعوا بخلاقهم نصيبهم من ملاذ
الدنيا واشتقاقه من الخلق بمعنى التقدير فانه ما قدر لصاحبه فاستمتعتم بخلاقكم
كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم ذم الاولين باستمتاعهم بحظوظهم المخدجة
من الشهوات الفانية والتهائهم بها عن النظر في العاقبة والسعي في تحصيل اللذائذ
الحقيقية تمهيدا لذم المخاطبين بمشابهتهم واقتفاء اثرهم وخضتم ودخلتم في
الباطل كالذي خاضوا كالذين خاضوا او كالفوج الذي خاضوا او كالخوض
الذي خاضوه اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة لم يستحقوا عليها ثوابا في الدارين
واولئك هم الخاسرون الذين خسروا الدنيا والاخرة الم ياتهم نبا الذين من قبلهم
قوم نوح اغرقوا بالطوفان وعاد اهلكوا بالريح وثمود اهلكوا بالرجفة
وقوم ابراهيم اهلك نمرود ببعوض واهلك اصحابه واصحاب مدين واهل مدين
وهم قوم شعيب اهلكوا بالنار يوم الظلة والمؤتفكات قريات قوم لوط ائتفكت
بهم اي انقلبت بهم فصار عاليها سافلها وامطروا حجارة من سجيل وقيل قريات
المكذبين المتمردين وائتفاكهن انقلاب احوالهن من الخير الى الشر اتتهم رسلهم
يعني الكل بالبينات فما كان الله ليظلمهم اي لم يكن من عادته ما يشابه ظلم الناس

كالعقوبة بالإجرام ولكن كانوا أنفسهم يظلمون حيث عرضوها للعقاب بالكفر
والتكذيب والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض في مقابلة قوله والمنافقون
والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة
ويؤتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله في سائر الأمور أولئك سيرحمهم الله لا محالة
فإن السين مؤكدة للوقوع إن الله عزيز غالب على كل شيء لا يمتنع عليه ما يريده حكيم
يضع الأشياء مواضعها وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار
خالدين فيها ومساكن طيبة تستطيبها النفس أو يطيب فيها العيش وفي الحديث أنها
قصور من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الأحمر في جنات عدن إقامة وخلود
وعنه صلى الله عليه وسلم عدن دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر
لا يسكنها غير ثلثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن
دخلك ومرجع العطف فيها يحتمل أن يكون إلى تعدد الموعود لكل واحد أو للجميع على
سبيل التوزيع أو إلى تغاير وصفه فكأنه وصفه أولا بأنه من جنس ما هو أبهى
الأماكن التي يعرفونها لتميل إليه طباعهم أول ما يقرع أسماعهم ثم وصفه بأنه محفوف
بطيب العيش معرى عن شوائب الكدورات التي لا تخلو عن شيء منها أماكن الدنيا
وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين ثم وصفه بأنه دار إقامة وثبات في جوار
العليين لا يعتريهم فيها فناء ولا تغير ثم وعدهم بما هو أكبر من ذلك فقال
ورضوان من الله أكبر لأنه المبدأ لكل سعادة وكرامة والمؤدي إلى نيل الوصول والفوز
باللقاء وعنه صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى يقول لأهل الجنة هل رضيتم فيقولون
ما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك فيقول أنا أعطيكم أفضل
من ذلك قالوا وأي شيء أفضل من ذلك قال أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم
أبدا ذلك أي الرضوان أو جميع ما تقدم هو الفوز العظيم الذي يستحقر دونه
الدنيا وما فيها يا أيها النبي جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بإلزام الحجة وإقامة
الحدود واغلظ عليهم في ذلك ولا تحابهم ومأواهم جهنم وبئس المصير مصيرهم

يحلفون بالله ما قالوا روي أنه صلى الله عليه وسلم أقام في غزوة تبوك شهرين
ينزل عليه القرآن ويعيب المتخلفين فقال الجلاس بن سويد لئن كان ما يقول
محمد لإخواننا حقا لنحن شر من الحمير فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحضره
فحلف بالله ما قاله فنزلت فتاب الجلاس وحسنت توبته ولقد قالوا كلمة الكفر
وكفروا بعد إسلامهم وأظهروا الكفر بعد إظهار الإسلام وهموا بما لم ينالوا
من قتل الرسول وهو أن خمسة عشر منهم توافقوا عند مرجعه من تبوك أن يدفعوه
عن راحلته إلى الوادي إذا تسنم العقبة بالليل فأخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته
يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينما هما كذلك إذ سمع حذيفة بوقع أخفاف
الإبل وبقعقعة السلاح فقال إليكم إليكم يا أعداء الله فهربوا أو إخراجهم وإخراج
المؤمنين من المدينة أو بأن يتوجوا عبد الله بن أبي وإن لم يرض رسول الله
وما نقموا وما أنكروا أو ما وجدوا ما يورث نقمتهم إلا أن أغناهم الله ورسوله
من فضله فإن أكثر أهل المدينة كانوا محاويج في ضنك من العيش فلما قدمهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم أثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فأمر رسول الله صلى الله عليه
وسلم بديته اثني عشر ألف درهم فاستغنى والاستثناء مفرغ من أعم المفاعيل
أو العلل فإن يتوبوا يك خيرا لهم هو الذي حمل الجلاس على التوبة والضمير في يك
للتوبة وإن يتولوا بالإصرار على النفاق يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا والآخرة
بالقتل والنار وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير فينجيهم من العذاب ومنهم
من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين نزلت في ثعلبة
بن حاطب أتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ادع الله أن يرزقني مالا فقال عليه
الصلوة والسلام يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال
والذي بعثك بالحق لئن رزقني مالا لأعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما
فنمت كما ينمو الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة
والجمعة فسأل عنه رسول الله فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة

فبعث مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة
فسألاه الصدقة واقرآه الكتاب الذي فيه الفرائض فقال ما هذه الا جزية ما هذه
الا اخت الجزية فارجعا حتى ارى رأيي فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال ان الله
منعني ان اقبل منك فجعل التراب يحثو على رأسه فقال هذا عملك قد امرتك فلم
تطعني فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء بها الى ابي بكر رض فلم يقبلها
ثم جاء بها عمر رض في خلافته فلم يقبلها وهلك في زمان عثمان رض فلما آتاهم
من فضله بخلوا به منعوا حق الله منه وتولوا عن طاعة الله تعالى وهم معرضون
وهم قوم عادتهم الاعراض عنها فاعقبهم نفاقا في قلوبهم ويجوز ان يكون
الضمير للبخل والمعنى فاورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم الى يوم يلقونه يلقون
الله بالموت او يلقون عمله اي جزاءه وهو يوم القيمة بما اخلفوا الله ما وعدوه
بسبب اخلافهم ما وعدوه من التصدق والصلاح وبما كانوا يكذبون وبكونهم
كاذبين فيه فان خلف الوعد متضمن للكذب مستقبح من الوجهين او المقال مطلقا
وقرئ يكذبون بالتشديد الم يعلموا اي المنافقون او من عاهد الله وقرئ
بالتاء على الالتفات ان الله يعلم سرهم ما اسروه في انفسهم من النفاق او العزم
على الاخلاف ونجواهم وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن او تسمية الزكوة
جزية وان الله علام الغيوب فلا يخفى عليه ذلك الذين يلمزون ذم مرفوع
او منصوب او بدل من الضمير في سرهم وقرئ يلمزون بالضم المطوعين المتطوعين
من المؤمنين في الصدقات روي انه صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة
فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة آلاف درهم وقال كان لي ثمانية آلاف فاقرضت
ربي اربعة وامسكت لعيالي اربعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله
لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك الله حتى صولحت احدى امرأتيه عن نصف
الثمن على ثمانين الف درهم وتصدق عاصم بن عدي بمائة وسق من تمر وجاء
ابو عقيل الانصاري بصاع تمر فقال بت ليلتي اجر بالجرير الى صاعين

صاعا

فتركت لعيالي وجئت بصاع فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينثره على
على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء
ولقد كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابي عقيل ولكنه احب ان يذكر
بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت والذين لا يجدون الا جهدهم الا طاقتهم
وقرئ بالفتح وهو مصدر جهد في الامر اذا بالغ فيه فيسخرون منهم يستهزؤن بهم
سخر الله منهم جازاهم على سخريتهم كقوله تعالى الله يستهزئ بهم ولهم عذاب اليم
على كفرهم استغفر لهم او لا تستغفر لهم يريد به التساوي بين الامرين في عدم
الافادة لهم كما نص عليه بقوله ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم روي
ان عبد الله بن عبد الله بن ابي وكان من المخلصين سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم
في مرض ابيه ان يستغفر له ففعل فنزلت فقال صلى الله عليه وسلم لازيدن على
السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وذلك لانه
صلى الله عليه وسلم فهم من السبعين العدد المخصوص لانه الاصل فجوز ان يكون ذلك حدا
يخالفه حكم ما وراءه فبين له ان المراد به التكثير دون التحديد وقد شاع استعمال
السبعة والسبعين والسبعمائة ونحوها في التكثير لاشتمال السبعة على جملة اقسام
العدد باسره ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله اشارة الى ان اليأس من المغفرة
وعدم قبول استغفارك ليس لبخل منا ولا لقصور فيك بل لعدم قابليتهم بسبب
الكفر الصارف عنها والله لا يهدي القوم الفاسقين المتمردين في كفرهم وهو كالدليل
على الحكم السابق فان مغفرة الكافر بالاقلاع عن الكفر والارشاد الى الحق والمنهمك
في كفره المطبوع عليه لا ينقلع ولا يهتدي والتنبيه على عذر الرسول صلى الله عليه وسلم
في استغفاره وهو عدم يأسه عن ايمانهم لم يعلم انهم مطبوعون على الضلالة والممنوع
هو الاستغفار بعد العلم لقوله ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين
ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم فرح المخلفون
بمقعدهم خلاف رسول الله بقعودهم عن الغزو خلفه يقال اقام خلاف الحي اي

بعدهم ويجوز ان يكون بمعنى المخالفة فيكون انتصابه على العلة او الحال وكرهوا
ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله ايثارا للدعة والخفض على طاعة الله تعالى
وفيه تعريض بالمؤمنين الذين آثروا عليها تحصيل رضاه ببذل الاموال والمهج
وقالوا لا تنفروا في الحر اي قال بعضهم لبعض او قالوه للمؤمنين تثبيطا قل نار جهنم
اشد حرا وقد آثرتموها بهذه المخالفة لو كانوا يفقهون ان مآبهم اليها او انها
كيف هي ما اختاروها بايثار الدعة على الطاعة فليضحكوا قليلا وليبكوا
كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون اخبار عما يؤول اليه حالهم في الدنيا والآخرة اخرجه
على صيغة الامر للدلالة على انه حتم واجب ويجوز ان يكون الضحك والبكاء
كنايتين عن السرور والغم والمراد من القلة العدم فان رجعك الله الى طايفة
منهم فان ردك الى المدينة وفيها طايفة من المتخلفين يعني منافقيهم فان كلهم
لم يكونوا منافقين او من بقي منهم وكان المتخلفون اثني عشر رجلا فاستأذنوك
للخروج الى غزوة اخرى بعد تبوك فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا
اخبار في معنى النهي للمبالغة انكم رضيتم بالقعود اول مرة تعليل له وكان اسقاطهم
عن ديوان الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم واول مرة هي الخرجة الى غزوة تبوك
فاقعدوا مع الخالفين اي المتخلفين لعدم لياقتهم للجهاد كالنساء والصبيان وقرئ
مع الخلفين على قصر الخالفين ولا تصل على احد منهم مات ابدا روي ان ابن ابي
دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه فلما دخل عليه ساله ان يستغفر له
ويكفنه في شعاره الذي يلي جسده ويصلي عليه فلما مات ارسل قميصه ليكفن فيه
وذهب ليصلي عليه فنزلت وقيل صلى عليه ثم نزلت وانما لم ينه عن التكفين في
قميصه ونهى عن الصلوة عليه لان الضنة بالقميص كان مخلا بالكرم ولانه كان
مكافاة لالباسه العباس قميصه حين اسر ببدر والمراد من الصلوة الدعاء
للميت والاستغفار له وهو ممنوع في حق الكافر ولذلك رتب النهي على قوله
مات ابدا يعني الموت على الكفر فان احياء الكافر للتعذيب دون التمتع فكانه

لم يحي ولا تقم على قبره ولا تقف عند قبره للدفن او للزيارة انهم كفروا بالله
ورسوله وماتوا وهم فاسقون تعليل للنهي او لتأبيد الموت ولا تعجبك اموالهم
واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون
تكرير للتاكيد والامر حقيق به فان الابصار طامحة الى الاموال والاولاد
والنفوس مغتبطة عليها ويجوز ان يكون هذه في فريق غير الاول واذا انزلت
سورة من القرآن ويجوز ان يراد بعضها ان آمنوا بالله اي بان آمنوا بالله ويجوز
ان يكون ان المفسرة وجاهدوا مع رسوله استاذنك اولوا الطول منهم ذوو الفضل
والسعة وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين الذين قعدوا لعذر رضوا بان يكونوا
مع الخوالف مع النساء جمع خالفة وقد يقال الخالفة للذي لا خير فيه وطبع
على قلوبهم فهم لا يفقهون ما في الجهاد وموافقة الرسول من السعادة وما في
التخلف عنه من الشقاوة لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا باموالهم
وانفسهم اي ان تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد من هو خير منهم
واولئك لهم الخيرات منافع الدارين النصر والغنيمة في الدنيا والجنة والكرامة
في الآخرة وقيل الحور لقوله فيهن خيرات حسان وهي جمع خيرة تخفيف خيرة
واولئك هم المفلحون الفائزون بالمطالب اعد الله لهم جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم بيان لما لهم من الخيرات الاخروية
وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم يعني اسدا وغطفان استاذنوا
في التخلف معتذرين بالجهد وكثرة العيال وقيل هم رهط عامر بن الطفيل
قالوا ان غزونا معك اغارت طي على اهالينا ومواشينا والمعذر اما من عذر
في الامر اذا قصر فيه موهما ان له عذرا ولا عذر له او من اعتذر اذا مهد العذر
بادغام التاء في الذال ونقل حركتها الى العين ويجوز كسر العين لالتقاء الساكنين
وضمها للاتباع لكن لم يقرأ بهما وقرأ يعقوب المعذرون من اعذر اذا اجتهد
في العذر وقرئ المعذرون بتشديد العين والذال على انه من تعذر بمعنى اعتذر وهو

لحن اذا التاء لانه عمم في العيب وقد اختلف في انهم كانوا معتذرين بالتصنع او بالصحة
فيكون قوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله في غيرهم وهم منافقوا الاعراب كذبوا
الله ورسوله في ادعاء الايمان وان كانوا هم الاولين فكذبهم بالاعتذار سيصيب
الذين كفروا منهم من الاعراب او من المعذرين فان منهم من اعتذر لكسله لا لكفره
عذاب اليم بالقتل والنار ليس على الضعفاء ولا على المرضى كالهرمى والزمنى ولا على
الذين لا يجدون ما ينفقون لفقرهم كجهينة ومزينة وبني عذرة حرج اثم في التأخر
اذا نصحوا لله ورسوله بالايمان والطاعة في السر والعلانية كما يفعل الموالي الناصح
او بما قدروا عليه فعلا او قولا يعود على الاسلام والمسلمين بالصلاح ما على
المحسنين من سبيل اى ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم سبيل وانما وضع المحسنين
موضع الضمير للدلالة على انهم منخرطون في سلك المحسنين غير معاتبين لذلك والله
غفور رحيم لهم او للمسيء فكيف للمحسن ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم عطف
على الضعفاء او على المحسنين وهم البكاؤون سبعة من الانصار معقل بن يسار
وصخر بن خنسا وعبد الله بن كعب وسالم بن عمير وثعلبة بن غنمة وعبد الله بن معقل
وعلبة بن زيد اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا انذرنا الخروج فاحملنا
على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة نغزو معك فقال لا اجد فتولوا وهم يبكون
وقيل هم بنو مقرن معقل وسويد والنعمان وقيل ابو موسى واصحابه قلت لا اجد
ما احملكم عليه حال من الكاف في اتوك باضمار قد تولوا جواب اذا واعينهم تفيض
تسيل من الدمع اى دمعا فان من للبيان وهي مع المجرور في محل النصب على التمييز
وهو ابلغ من تفيض دمعها لانه يدل على ان العين صارت دمعا فياضا حزنا
نصب على العلة او الحال او المصدر بفعل دل عليه ما قبله الا يجدوا اى لئلا يجدوا
متعلق بحزنا او بتفيض ما ينفقون في مغزاهم انما السبيل بالمعاتبة على الذين
يستاذنونك وهم اغنياء واجدون للاهبة رضوا بان يكونوا مع الخوالف
استيناف لبيان ما هو السبب لاستيذانهم من غير عذر وهو رضاهم بالدناءة والانتظام

في جملة الخوالف ايثارا للدعة وطبع الله على قلوبهم حتى غفلوا عن وخامة العاقبة
فهم لا يعلمون يعتذرون اليكم في التخلف اذا رجعتم اليهم من هذه السفرة قل لا تعتذروا
بالمعاذير الكاذبة لانه لن نؤمن لكم لن نصدقكم لانه قد نبأنا الله من اخباركم
اعلمنا بالوحي الى نبيه بعض اخباركم وهو ما في ضمائركم من الشر والفساد وسيرى الله
عملكم ورسوله اتتوبون عن الكفر ام تثبتون عليه وكانه استتابة وامهال للتوبة
ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة اى اليه فوضع الوصف موضع الضمير للدلالة على انه
مطلع على سرهم وعلنهم لا يفوت عن علمه شيء من ضمائرهم واعمالهم فينبئكم بما كنتم تعملون
بالتوبيخ والعقاب عليه سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فلا
تعاتبوهم فاعرضوا عنهم ولا توبخوهم انهم رجس لا ينفع فيهم التأنيب فان المقصود
منه التطهير بالحمل على الانابة وهؤلاء ارجاس لا تقبل التطهير فهو علة الاعراض
وترك المعاتبة ومأواهم جهنم من تمام التعليل وكانه قال انهم ارجاس من اهل النار
لا ينفع فيهم التوبيخ في الدنيا والآخرة او تعليل ثان والمعنى ان النار كفتهم عتابا
فلا تتكلفوا عتابهم جزاء بما كانوا يكسبون يجوز ان يكون مصدرا وان يكون علة
يحلفون لكم لترضوا عنهم بحلفهم فتستديموا عليهم ما كنتم تفعلون بهم فان ترضوا عنهم
فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين اى فان رضاءكم لا يستلزم رضاء الله تعالى
ورضاءكم وحدكم لا ينفعهم اذا كانوا في سخط الله وبصدد عقابه او ان امكنهم ان
يلبسوا عليكم لا يمكنهم ان يلبسوا على الله تعالى فلا يهتك سترهم ولا ينزل الهوان بهم
والمقصود من الآية النهي عن الرضاء عنهم والاغترار بمعاذيرهم بعد الامر بالاعراض
وعدم الالتفات نحوهم الاعراب اهل البدو اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر
لتوحشهم وقساوتهم وعدم مخالطتهم لاهل العلم وقلة استماعهم للكتاب والسنة
واجدر ان لا يعلموا واحق بان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله من الشرائع فرائضها
وسننها والله عليم يعلم حال كل واحد من اهل الوبر والمدر حكيم فيما يصيب به مسيئهم
ومحسنهم عقابا وثوابا ومن الاعراب من يتخذ يعد ما ينفق يصرفه في سبيل الله وتصدق

مغرما غرامة وخسرانا اذ هو لا يحتسبه عند الله ولا يرجو عليه ثوابا وانما ينفق رياء
او تقية ويتربص بكم الدوائر دوائر الزمان ونوبه لينقلب الامر عليكم فيتخلص
من الانفاق عليهم دائرة السوء اعتراض بالدعاء عليهم بنحو ما يتربصونه او الاخبار
عن وقوع ما يتربصون عليهم والدائرة في الاصل مصدر او اسم فاعل من دار ثم
يسمى بها عقبة الزمان والسوء بالفتح مصدر اضيف اليه للمبالغة كقولك
رجل صدق وقرأ ابن كثير وابو عمرو السوء هنا وفي الفتح بضم السين والله سميع
لما يقولون عند الانفاق عليم بما يضمرون ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم
الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله سبب قربات وهي ثاني مفعولي يتخذ وعند الله
صفتها او ظرف ليتخذ وصلوات الرسول وسبب صلواته لانه صلى الله عليه وسلم
كان يدعو للمتصدقين ويستغفر لهم ولذلك سن للمتصدق عليه ان يدعو للمتصدق
عند اخذ صدقته لكن ليس له ان يصلي عليه كما قال صلى الله عليه وسلم اللهم صل على
آل ابي اوفى لانه منصبه فله ان يتفضل به على غيره الا انها قربة لهم شهادة من
الله تعالى بصحة معتقدهم وتصديق لرجائهم على الاستيناف مع حرف التنبيه وان
المحققة للنسبة والضمير لنفقتهم وقرأ ورش قربة بضم الراء سيدخلهم الله في
رحمته وعد لهم باحاطة الرحمة عليهم والسين لتحقيقه وقوله ان الله غفور
رحيم لتقريره وقيل الاولى في اسد وغطفان وبني تميم والثانية في عبد الله
ذي البجادين وقومه والسابقون الاولون من المهاجرين هم الذين صلوا الى
القبلتين او الذين شهدوا بدرا او الذين اسلموا قبل الهجرة والانصار اهل بيعة
العقبة الاولى وكانوا سبعة واهل العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين آمنوا
حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير وقرئ بالرفع عطفا على والسابقون
والذين اتبعوهم باحسان اللاحقون بالسابقين من القبلتين او من اتبعوهم بالايمان
والطاعة الى يوم القيامة رضي الله عنهم بقبول طاعتهم وارتضاء اعمالهم ورضوا عنه
بما نالوا من نعمه الدينية والدنيوية واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار وقرأ

ابن

ابن كثير من تحتها كما هو في سائر المواضع خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم
وممن حولكم اي ممن حول بلدكم يعني المدينة من الاعراب منافقون وهم جهينة ومزينة
واسلم واشجع وغفار كانوا نازلين حولها ومن اهل المدينة عطف على ممن
حولكم او خبر لمحذوف صفته مردوا على النفاق ونظيره على حذف الموصوف
واقامة الصفة مقامه قوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا وعلى الاول صفة
للمنافقين فصل بينها وبينه بالمعطوف على الخبر او كلام مبتدأ لبيان تمرنهم
وتمهرهم في النفاق لا تعلمهم لا تعرفهم باعيانهم وهو تقرير لمهارتهم فيه
وتنوقهم في تحامي مواقع التهم الى حد اخفى عليك حالهم مع كمال فطنتك وصدق
فراستك نحن نعلمهم ونطلع على اسرارهم ان قدروا ان يلبسوا عليك لم يقدروا
ان يلبسوا علينا سنعذبهم مرتين بالفضيحة والقتل او باحدهما وعذاب القبر
او باخذ الزكوة ونهك الابدان ثم يردون الى عذاب عظيم الى عذاب النار
وآخرون اعترفوا بذنوبهم ولم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة
وهم طائفة من المتخلفين اوثقوا انفسهم على سواري المسجد لما بلغهم ما نزل في المتخلفين
فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد على عادته وصلى ركعتين فرآهم
فسأل عنهم فذكر له انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى تحلهم فقال وانا اقسم
ان لا احلهم حتى اومر فيهم فنزلت فاطلقهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا خلطوا
العمل الصالح الذي هو اظهار الندم والاعتراف بالذنب بآخر سيء هو التخلف
وموافقة اهل النفاق والواو اما بمعنى الباء كما في قولهم بعت الشاة شاة ودرهما
او للدلالة على ان كل واحد منهما مخلوط بالآخر عسى الله ان يتوب عليهم ان يقبل
توبتهم وهي مدلول عليها بقوله اعترفوا بذنوبهم ان الله غفور رحيم يتجاوز
عن التائب ويتفضل عليه خذ من اموالهم صدقة روي انهم لما اطلقوا قالوا يا
رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا فتصدق بها وطهرنا فقال ما امرت ان آخذ
من اموالكم شيئا فنزلت تطهرهم عن الذنوب او حب المال المؤدي بهم الى مثله وقرئ

تطهرهم من اطهره بمعنى طهره وتطهرهم بالجزم جوابا للامر وتزكيهم بها وتنمي بها
حسناتهم وترفعهم الى منازل المخلصين وصل عليهم واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار
لهم ان صلوتك سكن لهم تسكن اليها نفوسهم وتطمئن قلوبهم وجمعها لتعدد المدعو
لهم وقرا حمزة والكسائي وحفص بالتوحيد والله سميع باعترافهم عليم بندامتهم
الم يعلموا الضمير اما للمتوب عليهم والمراد ان يمكن في قلوبهم قبول توبتهم والاعتداد
بصدقاتهم او لغيرهم والمراد به التحضيض عليها ان الله هو يقبل التوبة عن عباده
اذا صحت وتعديته بعن لتضمنه معنى التجاوز ويأخذ الصدقات يقبلها قبول
من يأخذ شيئا ليؤدي بدله وان الله هو التواب الرحيم وان من شانه قبول توبة
التائبين والتفضل عليهم وقل اعملوا ما شئتم فسيرى الله عملكم فانه لا يخفى عليه
خيرا كان او شرا ورسوله والمؤمنون فانه تعالى لا يخفى عنهم كما رأيتم وتبين
لكم وستردون الى عالم الغيب والشهادة بالموت فينبئكم بما كنتم تعملون وآخرون
من المتخلفين مرجون مؤخرون اي موقوف امرهم من ارجأته اذا اخرته وقرا نافع
وحمزة والكسائي وحفص مرجون بالواو وهما لغتان لامر الله في شانهم اما يعذبهم
ان اصروا على النفاق واما يتوب عليهم ان تابوا والترديد للعباد وفيه دليل
على ان كلا الامرين بارادة الله تعالى والله عليم باحوالهم حكيم فيما يفعل بهم وقرئ
والله غفور رحيم والمراد بهؤلاء كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ان لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم فلما ابتلوا
بذلك اخلصوا نياتهم وفوضوا امورهم الى الله تعالى فرحمهم الله والذين
اتخذوا مسجدا عطف على وآخرون مرجون او مبتدا خبره محذوف اي وفيمن
وصفنا الذين اتخذوا او منصوب على الاختصاص وقرا نافع وابن عامر بغير
واو ضرارا مضارة للمؤمنين روي ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء سألوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتيهم فاتاهم فصلى فيه فحسدهم اخوانهم بنو غنم
بن عوف فبنوا مسجدا على قصد ان يؤمهم فيه ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام

فلما اتموه اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انا بنينا مسجدا لذي الحاجة
والعلة والليلة المطيرة والشاتية فصل فيه حتى نتخذه مصلى فاخذ ثوبه ليقوم معهم
فنزلت فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن والوحشي فقال
لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعل واتخذ مكانه
كناسة وكفرا وتقوية للكفر الذي يضمرونه وتفريقا بين المؤمنين يريد الذين
كانوا يجتمعون للصلوة في مسجد قباء وارصادا ترقبا لمن حارب الله ورسوله يعني
الراهب فانه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك
الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين حتى انهزم مع هوازن وهرب
الى الشام ليأتي من قيصر بجنود يحارب بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات
بقنسرين وحيدا وقيل كان يجمع الجيوش يوم الاحزاب فلما انهزموا خرج الى
الشام من قبل متعلق بحارب او باتخذوا اي اتخذوا مسجدا من قبل ان ينافق
هؤلاء بالتخلف لما روي انه بني قبيل غزوة تبوك فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يأتيه فقال انا على جناح سفر فاذا قدمنا ان شاء الله تعالى صلينا فيه فلما
قفل كرر عليه فنزلت وليحلفن ان اردنا الا الحسنى ما اردنا ببنائه الا الخصلة
الحسنى او الا الارادة الحسنى وهي الصلوة والذكر والتوسعة على المصلين والله يشهد
انهم لكاذبون في حلفهم لا تقم فيه ابدا للصلوة لمسجد اسس على التقوى يعني مسجد
قباء اسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه ايام مقامه بقباء من الاثنين
الى الجمعة لانه اوفق للقصة او مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هو مسجدكم
هذا مسجد المدينة من اول يوم من ايام وجوده ومن يعم الزمان والمكان
كقوله لمن الديار بقنة الحجر اقوين من حجج ومن دهر احق ان تقوم فيه اولى بان
تصلي فيه فيه رجال يحبون ان يتطهروا من المعاصي والخصال المذمومة طلبا
لمرضاة الله تعالى وقيل من الجنابة فلا ينامون عليها والله يحب المطهرين يرضى
عنهم ويدنيهم من جنابه ادناء المحب حبيبه قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم

ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قبا فاذا الانصار جلوس فقال امؤمنون
انتم فسكتوا فاعادها فقال عمر رض انهم مؤمنون وانا معهم فقال صلى الله عليه وسلم اترضون
بالقضا قالوا نعم قال اتصبرون على البلاء قالوا نعم قال اتشكرون في الرخا قالوا
نعم قال عليه الصلوة والسلام مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار
ان الله عز وجل قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا
يا رسول الله نتبع الغائط الاحجار الثلثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا رجال يحبون
ان يتطهروا افمن اسس بنيانه بنيان دينه على تقوى من الله ورضوان خير على
قاعدة محكمة هي التقوى من الله تعالى وطلب مرضاته بالطاعة ام من اسس بنيانه
على شفا جرف هار على قاعدة هي اضعف القواعد وارخاها فانهار به في نار جهنم
فادى به لخوره وقلة استمساكه الى السقوط في النار وانما وضع شفا الجرف وهو
ما جرفه الوادي الهائر في مقابلة التقوى تمثيلا لما بنوا عليه امر دينهم في البطلان
وسرعة الانطماس ثم رشحه بانهياره به في النار ووضعه في مقابلة الرضوان
تنبيها على ان تاسيس ذلك على امر يحفظ عن النار ويوصل الى رضوان الله تعالى
ومقتضياته التي الجنة ادناها وتاسيس هذا على ما هم بسببه على صدد الوقوع
في النار ساعة فساعة ثم ان مصيرهم الى النار لا محالة وقرا نافع وابن عامر
اسس على البناء للمفعول وقرئ اساس بنيانه واس بنيانه على الاضافة واسس
واساس بالكسر وثلثتها جمع اس وتقوى بالتنوين على ان الالف للالحاق
لا للتانيث وقرا ابن عامر وحمزة وابو بكر جرف بالتخفيف والله لا يهدي القوم
الظالمين الى ما فيه صلاحهم ونجاتهم لا يزال بنيانهم الذي بنوا بناؤهم الذي
بنوه مصدر اريد به المفعول وليس بجمع ولذلك قد تدخله التاء ووصف بالمفرد
واخبر عنه بقوله ريبة في قلوبهم اي شكا ونفاقا والمعنى ان بناءهم هذا لا يزال
سبب شكهم وتزايد نفاقهم فانه حملهم على ذلك ثم لما هدمه الرسول صلى الله عليه وسلم
رسخ ذلك في قلوبهم وازداد بحيث لا يزول رسمه عن قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم

كثرى م

قطعا

قطعا بحيث لا يبقى لها قابلية الادراك والاضمار وهو في غاية المبالغة والاستثناء
من اعم الازمنة والمراد بالتقطيع ما هو كاين بالقتل او في القبر او في النار وقيل
التقطيع بالتوبة ندما واسفا وقرا يعقوب الى بحرف الانتهاء وتقطع بمعنى تتقطع
وهو قراءة ابن عامر وحمزة وحفص وقرئ يقطع بالياء ويقطع بالتخفيف وتقطع
قلوبهم على خطاب الرسول عليه الصلوة والسلام او كل مخاطب ولو قطعت على البناء
للفاعل وللمفعول والله عليم بنياتهم حكيم فيما امر بهدم بنيانهم ان الله اشترى
من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة تمثيل لاثابة الله تعالى اياهم الجنة على بذل
انفسهم واموالهم في سبيله يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون استيناف
ببيان ما لاجله الشرى وقيل يقاتلون في معنى الامر وقرا حمزة والكسائي بتقديم
المبني للمفعول وقد عرفت ان الواو لا توجب الترتيب وان فعل البعض قد يسند
الى الكل وعدا عليه حقا مصدر مؤكد لما دل عليه الشرى فانه في معنى الوعد في
التورية والانجيل والقران مذكور فيهما كما اثبت في القران ومن اوفى بعهده
من الله مبالغة في الانجاز وتقرير لكونه حقا فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به
فافرحوا به غاية الفرح فانه اوجب لكم عظائم المطالب كما قال وذلك هو الفوز
العظيم التائبون رفع على المدح اي هم التائبون والمراد بهم المؤمنون
المذكورون ويجوز ان يكون مبتدا خبره محذوف تقديره التائبون من اهل
الجنة وان لم يجاهدوا لقوله وكلا وعد الله الحسنى او خبره ما بعده اي التائبون
عن الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه الخصال وقرئ بالياء نصبا على المدح او جرا
صفة للمؤمنين العابدون الذين عبدوا الله مخلصين له الدين الحامدون لنعمائه
او لما نابهم من السراء والضراء السائحون الصائمون لقوله صلى الله عليه وسلم
سياحة امتي الصوم شبه بها من حيث انه يعوق عن الشهوات او لانه رياضة
نفسانية يتوصل بها الى الاطلاع على خفايا الملك والملكوت او السائحون
للجهاد او لطلب العلم الراكعون الساجدون في الصلوة الامرون بالمعروف بالايمان

والطاعة والناهون عن المنكر عن الشرك والمعاصي والعاطف فيه للدلالة على
انه بما عطف عليه في حكم خصلة واحدة كانه قال الجامعون بين الوصفين وفي قوله تعالى
والحافظون لحدود الله اي فيما بينه وعينه من الحقايق والشرايع للتنبيه على ان ما
قبله مفصل الفضايل وهذا مجملها وقيل للايذان بان التعداد قد تم بالسابع
من حيث ان السبعة هو العدد التام والثامن ابتداء تعداد آخر معطوف عليه ولذلك
تسمى واو الثمانية وبشر المؤمنين يعني به هؤلاء الموصوفين بتلك الفضايل ووضع
المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه على ان ايمانهم دعاهم الى ذلك وان المؤمن الكامل من
كان كذلك وحذف المبشر به للتعظيم كانه قيل وبشرهم بما يجل عن احاطة الافهام
وتعبير الكلام ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين روي انه عليه الصلوة
والسلام قال لابي طالب لما حضره الوفاة قل كلمة احاج لك بها عند الله فابى فقال
لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزلت وقيل لما افتتح مكة خرج الى الابواء
فزار قبر امه ثم قام مستعبرا فقال اني استاذنت ربي في زيارة قبر امي فاذن
لي واستاذنته في الاستغفار لها فلم ياذن لي وانزل علي الآيتين ولو كانوا
اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم بان ماتوا على الكفر وفيه دليل على
جواز الاستغفار لاحيائهم فانه طلب توفيقهم للايمان وبه دفع النقض باستغفار
ابراهيم عليه السلام لابيه الكافر فقال وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة
وعدها اياه وعدها ابراهيم اباه بقوله لاستغفرن لك اي لاطلبن مغفرتك
بالتوفيق للايمان فانه يجب ما قبله ويدل عليه قراءة من قرأ اباه او وعدها ابراهيم
ابوه وهي الوعد بالايمان فلما تبين له انه عدو لله بان مات على الكفر او اوحي فيه
بان لن يؤمن تبرأ منه قطع استغفاره ان ابراهيم لاواه لكثير التأوه وهو كناية
عن فرط ترحمه ورقة قلبه حليم صبور على الاذى والجملة لبيان ما حمله على الاستغفار
له مع شكاسته عليه وما كان الله ليضل قوما اي ليسميهم ضلالا ويؤاخذهم
مؤاخذتهم بعد اذ هديهم للاسلام حتى يبين لهم ما يتقون حتى يبين لهم خطر ما يجب

اتقاؤه وكانه بيان عذر الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله لعمه او لمن استغفر
لاسلافه المشركين قبل المنع وقيل انه في قوم مضوا على الامر الاول في القبلة والخمر
ونحو ذلك وفي الجملة دليل على ان الغافل غير مكلف ان الله بكل شيء عليم فيعلم
امرهم في الحالين ان الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت وما لكم من دون الله
من ولي ولا نصير لما منعهم عن الاستغفار للمشركين وان كانوا اولي قربى
وتضمن ذلك وجوب التبرؤ عنهم راسا بين لهم ان الله مالك كل موجود ومتولي
امره والغالب عليه ولا يتاتى لهم ولاية ولا نصرة الا منه ليتوجهوا اليه بشراشرهم ويتبرؤا
عما عداه حتى لا يبقى لهم مقصود فيما ياتون ويذرون سواه لقد تاب الله على النبي
والمهاجرين والانصار من اذن المنافقين في التخلف او برأهم عن علقة الذنوب
كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وقيل هو بعث على التوبة والمعنى
ما من احد الا وهو محتاج الى التوبة حتى النبي والمهاجرون والانصار لقوله تعالى
وتوبوا الى الله جميعا اذ ما من احد الا وله مقام يستنقص دونه ما هو فيه والترقي
اليه توبة من تلك النقيصة واظهار لفضلها بانها مقام الانبياء والصالحين من
عباده الذين اتبعوه في ساعة العسرة في وقتها وهي حالهم في غزوة تبوك كانوا
في عسرة من الظهر يعتقب العشرة على بعير واحد والزاد حتى قيل ان الرجلين كانا يقتسمان
تمرة والماء حتى شربوا الفظ من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم عن الثبات
على الايمان او اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وفي كاد ضمير الشان او ضمير
القوم والعائد عليه الضمير في منهم وقرا حمزة وحفص يزيغ بالياء لان تانيث
القلوب غير حقيقي وقرئ من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يعني المتخلفين
ثم تاب عليهم تكرير للتاكيد وتنبيه على انه تاب عليهم من اجل ما كابدوا من العسرة او
المراد انه تاب عليهم لكيدودتهم انه بهم رؤف رحيم وعلى الثلثة وتاب
على الثلثة كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع الذين خلفوا تخلفوا
عن الغزو او خلف امرهم فانهم المرجؤن حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت

اي برحبها لاعراض الناس عنهم بالكلية وهو مثل لشدة الحيرة وضاقت عليهم انفسهم
قلوبهم من فرط الوحشة والغم بحيث لا يسعها انس وسرور وظنوا وعلموا ان لا ملجأ
من الله من سخطه الا اليه الا الى استغفاره ثم تاب عليهم بالتوفيق للتوبة ليتوبوا
او انزل قبول توبتهم ليعدوا من جملة التائبين او رجع عليهم بالقبول والرحمة
مرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم ان الله هو التواب لمن تاب ولو عاد في اليوم
مائة مرة الرحيم المتفضل عليهم بالنعم يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله فيما لا يرضاه وكونوا
مع الصادقين في ايمانهم وعهودهم او في دين الله نية وقولا وعملا وقرئ من
الصادقين اي في توبتهم وانابتهم فيكون المراد به هؤلاء الثلاثة واضرابهم
ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله نهي
عبر عنه بصيغة النفي للتأكيد ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه لا يصونوا انفسهم
عما لم يصن نفسه عنه ويكابدوا معه ما يكابده من الاهوال روي ان ابا خيثمة بلغ
بستانه وكانت له امرأة حسناء فرشت له في الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه
الرطب والماء البارد فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامرأة حسناء
ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته
واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفه الى الطريق
فاذا براكب يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة فكانه ففرح به رسول الله
صلى الله عليه وسلم واستغفر له وفي لا يرغبوا يجوز النصب والجزم ذلك اشارة
الى ما دل عليه قوله ما كان من النهي عن التخلف او وجوب المشايعة بانهم بسبب
انهم لا يصيبهم ظمأ شيء من العطش ولا نصب تعب ولا مخمصة مجاعة في سبيل
الله ولا يطؤن موطئا ولا يدوسون مكانا يغيظ الكفار يغضبهم وطؤه ولا
ينالون من عدو نيلا كالقتل والاسر والنهب الا كتب لهم به عمل صالح الا استوجبوا
به الثواب وذلك مما يوجب المشايعة ان الله لا يضيع اجر المحسنين على احسانهم
وهو تعليل لكتب وتنبيه على ان الجهاد احسان اما في حق الكفار فلانه سعي في تكميلهم

بما فيه ما يمكن كضرب الهادي للمجنون واما في حق المؤمنين فلانه صيانة لهم عن سطوة
الكفار واستيلائهم ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو علاقة ولا كبيرة مثل ما انفق
عثمان رضي الله عنه في جيش العسرة ولا يقطعون واديا في مسيرهم وهو كل منفرج ينفذ
فيه السيل اسم فاعل من ودى اذا سال فشاع بمعنى الارض الا كتب لهم اثبت
لهم ذلك ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون جزاء احسن اعمالهم او احسن جزاء اعمالهم
وما كان المؤمنون لينفروا كافة وما استقام لهم ان ينفروا جميعا لنحو غزو
وطلب علم كما لا يستقيم لهم ان يتثبطوا جميعا فانه يخل بامر المعاش فلولا نفر من
كل فرقة منهم طائفة فهلا نفر من كل جماعة كثيرة كقبيلة واهل بلدة جماعة قليلة
ليتفقهوا في الدين ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا مشاق تحصيلها ولينذروا قومهم
اذا رجعوا اليهم وليجعلوا غاية سعيهم ومعظم غرضهم من الفقاهة ارشاد القوم
وانذارهم وتخصيصه بالذكر لانه اهم وفيه دليل على ان التفقه والتذكير من فروض
الكفاية وانه ينبغي ان يكون غرض المتعلم فيه ان يستقيم ويقيم لا الترفع على
الناس والتبسط في البلاد لعلهم يحذرون ارادة ان يحذروا عما ينذرون
منه واستدل به على ان اخبار الآحاد حجة لان عموم كل فرقة يقتضي ان ينفر من
كل ثلاثة تفردوا بقرية طائفة الى التفقه لتنذر فرقتها كي يتذكروا ويحذروا فلو
لم يعتبر الاخبار ما لم يتواتر لم يفد ذلك وقد اشبعت القول فيه تقريرا
واعتراضا في كتابي المرصاد وقد قيل للآية معنى آخر وهو انه لما نزل في
المتخلفين ما نزل سبق المؤمنون الى النفير وانقطعوا عن التفقه فامروا ان ينفر
من كل فرقة طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم حتى لا ينقطع التفقه الذي هو الجهاد
الاكبر لان الجدال بالحجة هو الاصل والمقصود من البعثة فيكون الضمير في ليتفقهوا
ولينذروا للبواقي من الفرق بعد الطوائف النافرة للغزو وفي رجعوا للطوائف اي
ولينذر البواقي قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا ايام غيبتهم من العلوم
يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار امروا بقتال الاقرب

فالأقرب كما أمر الرسول أولاً بإنذار عشيرته فإن الأقرب أحق بالشفقة والإصلاح
وقيل هم يهود حوالي المدينة كقريظة والنضير وخيبر وقيل الروم فإنهم كانوا
يسكنون الشام وهو قريب من المدينة وليجدوا فيكم غلظة شدة وصبرا على
القتال وقرئ بفتح الغين وضمها وهما لغتان فيها واعلموا أن الله مع المتقين
بالحراسة والإعانة وإذا ما أنزلت سورة فمنهم فمن المنافقين من يقول إنكارا
أو استهزاء أيكم زادته هذه السورة إيمانا وقرئ أيكم بالنصب على إضمار فعل
يفسره زادته فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا بزيادة العلم الحاصل من تدبر
السورة وانضمام الإيمان بها وبما فيها إلى إيمانهم وهم يستبشرون بنزولها
لأنه سبب لزيادة كمالهم وارتفاع درجاتهم وأما الذين في قلوبهم مرض كفر
فزادتهم رجسا إلى رجسهم كفرا بها مضموما إلى الكفر بغيرها وماتوا وهم كافرون
واستحكم ذلك فيهم حتى ماتوا عليه أولا يرون يعني المنافقين وقرأ حمزة ويعقوب
بالتاء أنهم يفتنون يبتلون بأصناف البليات أو بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيعاينون ما يظهر عليهم من الآيات في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون
لا ينتهون ولا يتوبون من نفاقهم ولا هم يذكرون ولا يعتبرون وإذا ما أنزلت
سورة نظر بعضهم إلى بعض تغامزوا بالعيون إنكارا لها وسخرية أو غيظا لما
فيها من عيوبهم هل يراكم من أحد أي يقولون هل يراكم أحد إن قمتم من حضرة
الرسول فإن لم يرهم أحد قاموا وإن يرهم أحد أقاموا ثم انصرفوا عن حضرته
مخافة الفضيحة صرف الله قلوبهم عن الإيمان وهو يحتمل الإخبار والدعاء
بأنهم بسبب أنهم قوم لا يفقهون لسوء فهمهم أو عدم تدبرهم لقد جاءكم رسول
من أنفسكم من جنسكم عربي مثلكم وقرئ من أنفسكم أي من أشرفكم عزيز عليه شديد
شاق ما عنتم عنتكم ولقاؤكم المكروه حريص عليكم أي على إيمانكم وصلاح
شأنكم بالمؤمنين منكم ومن غيركم رؤوف رحيم قدم الأبلغ منهما وهو الرؤوف
فإن الرأفة شدة الرحمة محافظة على الفواصل فإن تولوا عن الإيمان بك فقل

حسبي الله فإنه يكفيك معرتهم ويعينك عليهم لا إله إلا هو كالدليل عليه عليه
توكلت فلا أرجو ولا أخاف إلا منه وهو رب العرش العظيم الملك العظيم أو الجسم
الأعظم المحيط الذي تنزل منه الأحكام والمقادير وقرئ العظيم بالرفع وعن
أبي أن آخر ما نزل الآيتان وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما نزل القرآن
علي إلا آية آية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله أحد
فإنهما أنزلتا علي ومعهما سبعون ألف صف من الملائكة

سورة يونس مكية وهي مائة وتسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم الر فخمها ابن كثير ونافع وحفص وأمالها
الباقون إجراء لألف الراء مجرى المنقلبة من الياء تلك آيات الكتاب الحكيم إشارة
إلى ما تضمنته السورة أو القرآن من الآي والمراد من الكتاب أحدهما ووصفه بالحكيم
لاشتماله على الحكم أو لأنه كلام حكيم أو محكم آياته لم ينسخ شيء منها أكان للناس
عجبا استفهام إنكار للتعجب وعجبا خبر كان واسمه أن أوحينا وقرئ بالرفع على
أن الأمر بالعكس أو على أن كان تامة وأن أوحينا بدل من عجبا واللام للدلالة
على أنهم جعلوه أعجوبة لهم يوجهون نحوه إنكارهم واستهزاءهم إلى رجل منهم من
أفناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم قيل كانوا يقولون العجب أن الله لم يجد رسولا
يرسله إلى الناس إلا يتيم أبي طالب وهو من فرط حماقتهم وقصور نظرهم على
الأمور العاجلة وجهلهم بحقيقة الوحي والنبوة هذا وإنه صلى الله عليه وسلم
لم يكن يقصر عن عظمائهم فيما يعتبرونه إلا في المال وخفة الحال أعون شيء في هذا
الباب ولذلك كان أكثر الأنبياء عليهم السلام قبله كذلك وقيل تعجبوا من أنه
بعث بشرا رسولا كما سبق ذكره في سورة الأنعام أن أنذر الناس أن هي المفسرة
أو المخففة من الثقيلة فتكون في موقع مفعول أوحينا وبشر الذين آمنوا عمم الإنذار
إذ قل ما من أحد ليس فيه ما ينبغي أن ينذر منه وخصص البشارة إذ ليس للكفار

ما يصح أن يخبروا به أن لهم قدم صدق عند ربهم سابقة ومنزلة رفيعة
سميت قدماً لأن السبق بها كما سميت النعمة يداً لأنها تعطى باليد وإضافتها إلى الصدق
لتحققها والتنبيه على أنهم إنما ينالونها بصدق القول والنية قال الكافرون إن هذا
يعنون الكتاب وما جاء به الرسول لسحر مبين وقرأ ابن كثير والكوفيون لساحر
على أن الإشارة إلى الرسول وفيه اعتراف بأنهم صادفوا من الرسول أموراً خارقة
للعادة معجزة إياهم عن المعارضة وقرئ ما هذا إلا سحر مبين إن ربكم الله الذي
خلق السموات والأرض التي هي أصول الممكنات في ستة أيام ثم استوى على العرش
يدبر الأمر يقدر أمر الكائنات على ما اقتضته حكمته وسبقت به كلمته ويهيئ بتحريكه
أسبابها وينزلها منه والتدبير النظر في أدبار الأمور لتجيء محمودة العاقبة ما من
شفيع إلا من بعد إذنه تقرير لعظمته وعز جلاله ورد على من زعم أن آلهتهم تشفع
لهم عند الله وفيه إثبات الشفاعة لمن أذن له ذلكم الله أي الموصوف بتلك الصفات
المقتضية للألوهية والربوبية ربكم لا غير إذ لا يشاركه أحد في شيء من ذلك
فاعبدوه وحدوه بالعبادة أفلا تذكرون تتفكرون أدنى تفكر فينبهكم على أنه
المستحق للربوبية والعبادة لا ما تعبدونه إليه مرجعكم جميعاً بالموت أو النشور
لا إلى غيره فاستعدوا للقائه وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لأن قوله تعالى إليه
مرجعكم وعد من الله تعالى حقاً مصدر آخر مؤكد لغيره وهو ما دل عليه وعد الله
إنه يبدأ الخلق ثم يعيده بعد بدئه وهلاكه ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات
بالقسط أي بعدله أو بعدالتهم وقيامهم على العدل في أمورهم أو بإيمانهم لأنه
العدل القويم كما أن الشرك ظلم عظيم وهو الأوجه لمقابلة قوله والذين كفروا
لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون فإن معناه ليجزي الذين كفروا
بشراب من حميم وعذاب أليم بسبب كفرهم لكنه غير النظم للمبالغة في استحقاقهم
للعقاب والتنبيه على أن المقصود بالذات من الإبداء والإعادة هو الإثابة والعقاب
واقع بالعرض وأنه تعالى يتولى إثابة المؤمنين بما يليق بلطفه وكرمه ولذلك

لم يعينه وأما عقاب الكفرة فكأنه داء ساقه إليهم سوء اعتقادهم وشؤم أفعالهم
والآية كالتعليل لقوله إليه مرجعكم جميعاً فإنه لما كان المقصود من الإبداء والإعادة
مجازاة الله المكلفين على أعمالهم كان مرجع الجميع إليه لا محالة ويؤيده قراءة من قرأ
أنه يبدأ بالفتح أي لأنه ويجوز أن يكون منصوباً أو مرفوعاً بما نصب وعد الله
أو بما نصب حقاً هو الذي جعل الشمس ضياء أي ذات ضياء وهو مصدر كقيام أو جمع
ضوء كسياط وسوط والياء فيه منقلبة عن الواو وعن ابن كثير ضئاء بهمزتين في كل
القرآن على القلب بتقديم اللام على العين والقمر نوراً أي ذا نور وسمي نوراً للمبالغة
وهو أعم من الضوء كما عرفت وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض نور وقد نبه سبحانه
وتعالى بذلك على أنه خلق الشمس نيرة في ذاتها والقمر نيراً بعرض مقابلة الشمس
والاكتساب منها وقدره منازل الضمير لكل واحد أي قدر مسير كل واحد منهما منازل
أو قدره ذا منازل أو للقمر وتخصيصه بالذكر لسرعة سيره ومعاينة منازله وإناطة
أحكام الشرع به ولذلك علله بقوله لتعلموا عدد السنين والحساب أي حساب الأوقات
من الأشهر والأيام في معاملاتكم وتصرفاتكم ما خلق الله ذلك إلا بالحق إلا ملتبساً
بالحق مراعياً فيه مقتضى الحكمة البالغة نفصل الآيات لقوم يعلمون فإنهم المنتفعون
بالتأمل فيها وقرأ ابن كثير والبصريان وحفص يفصل بالياء إن في اختلاف الليل
والنهار وما خلق الله في السموات والأرض من أنواع الكائنات لآيات على وجود
الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لقوم يتقون العواقب فإنه يحملهم على
التفكر والتدبر إن الذين لا يرجون لقاءنا لا يتوقعونه لإنكارهم البعث وذهولهم
بالمحسوسات عما وراءها ورضوا بالحياة الدنيا من الآخرة لغفلتهم عنها واطمأنوا
بها وسكنوا إليها مقصرين هممهم على لذائذها وزخارفها أو سكنوا فيها سكون
من لا يزعج عنها والذين هم عن آياتنا غافلون لا يتفكرون فيها لانهماكهم فيما
يضادها والعطف إما لتغاير الوصفين والتنبيه على أن الوعيد على الجمع بين الذهول
عن الآيات رأساً والانهماك في الشهوات بحيث لا تخطر الآخرة ببالهم أصلاً وإما

لتغاير الوصفين والمراد بالأولين من أنكر البعث ولم يرد إلا الحياة الدنيا وبالآخرين
من ألهاه حب العاجل عن التأمل في الآجل والإعداد له أولئك مأواهم النار بما
كانوا يكسبون بما واظبوا عليه وتمرنوا به من المعاصي إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات
يهديهم ربهم بإيمانهم بسبب إيمانهم إلى سلوك سبيل يؤدي إلى الجنة أو لإدراك
الحقائق كما قال صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم أو لما يريدونه
في الجنة ومفهوم الترتيب وإن دل على أن سبب الهداية هو الإيمان والعمل الصالح
لكن دل منطوق قوله بإيمانهم على استقلال الإيمان بالسببية وأن العمل الصالح
كالتتمة والرديف له تجري من تحتهم الأنهار استئناف وخبر ثان أو حال من الضمير
المنصوب على المعنى الأخير وقوله في جنات النعيم خبر أو حال آخر منه أو من الأنهار
أو متعلق بتجري أو بيهدي دعواهم فيها دعاؤهم سبحانك اللهم اللهم إنا نسبحك
تسبيحا وتحيتهم ما يحيي به بعضهم بعضا أو تحية الملائكة إياهم فيها سلام وآخر
دعواهم وآخر دعائهم أن الحمد لله رب العالمين أي أن يقولوا ذلك ولعل المعنى أنهم
إذا دخلوا الجنة وعاينوا عظمة الله تعالى وكبرياءه مجدوه ونعتوه بنعوت الجلال
ثم حياهم الملائكة بالسلامة عن الآفات والفوز بأصناف الكرامات أو الله تعالى
فحمدوه وأثنوا عليه بصفات الإكرام وأن هي المخففة من الثقيلة وقد قرئ بها
وبنصب الحمد ولو يعجل الله للناس الشر ولو يسرعه إليهم استعجالهم بالخير وضع
موضع تعجيله لهم بالخير إشعارا بسرعة إجابته لهم في الخير حتى كأن استعجالهم
به تعجيل لهم أو بأن المراد شر استعجلوه كقولهم فأمطر علينا حجارة من السماء وتقدير
الكلام ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله للخير حين استعجلوه استعجالا كاستعجالهم
بالخير فحذف منه ما حذف لدلالة الباقي عليه لقضي إليهم أجلهم لأميتوا وأهلكوا
وقرأ ابن عامر ويعقوب لقضى على البناء للفاعل وهو الله تعالى وقرئ لقضينا
فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون عطف على فعل محذوف دلت
عليه الشرطية كأنه قيل ولكن لا نعجل ولا نقضي فنذرهم إمهالا لهم واستدراجا

وإذا مس الإنسان الضر دعانا لإزالته مخلصا فيه لجنبه أي ملقيا لجنبه أي
مضطجعا أو قاعدا أو قائما وفائدة الترديد تعميم الدعاء لجميع الأحوال
أو لأصناف المضار فلما كشفنا عنه ضره مضى على طريقته واستمر على كفره أو مر
عن موقف الدعاء لا يرجع إليه كأن لم يدعنا كأنه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير
الشأن كما قال ونحر مشرق اللون كأن ثدياه حقان إلى ضر مسه
إلى كشف ضر كذلك مثل ذلك التزيين زين للمسرفين ما كانوا يعملون من الانهماك في الشهوات
والإعراض عن العبادات ولقد أهلكنا القرون من قبلكم يا أهل مكة لما ظلموا
حين ظلموا بالتكذيب واستعمال الجوارح والقوى لا على ما ينبغي وجاءتهم رسلهم
بالبينات بالحجج الدالة على صدقهم وهو حال من الواو بإضمار قد أو عطف على ظلموا
وما كانوا ليؤمنوا وما استقام لهم أن يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان
الله لهم وعلمه بأنهم يموتون على كفرهم واللام لتأكيد النفي كذلك مثل ذلك
الجزاء وهو إهلاكهم بسبب تكذيبهم للرسل وإصرارهم عليه بحيث تحقق أنه لا فائدة
في إمهالهم نجزي القوم المجرمين نجزي كل مجرم أو نجزيكم فوضع المظهر موضع الضمير
للدلالة على كمال جرمهم وأنهم أعلام فيه ثم جعلناكم خلائف في الأرض من
بعدهم استخلفناكم فيها بعد القرون التي أهلكناها استخلاف من يختبر لننظر
كيف تعملون أتعملون خيرا أو شرا فنعاملكم على مقتضى أعمالكم وكيف معمول
تعملون فإن معنى الاستفهام يحجب أن يعمل فيه ما قبله وفائدته الدلالة
على أن المعتبر في الجزاء جهات الأفعال وكيفياتها لا هي من حيث ذاتها ولذلك
يحسن الفعل تارة ويقبح أخرى وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين
لا يرجون لقاءنا يعني المشركين ائت بقرآن غير هذا بكتاب آخر نقرؤه ليس فيه
ما نستبعده من البعث والثواب والعقاب بعد الموت أو ما نكرهه من معايب
آلهتنا أو بدله بأن تجعل مكان الآية المشتملة على ذلك آية أخرى ولعلهم
سألوا ذلك كي يسعفهم إليه فيلزموه قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي

ما يصح لي م

من قبل نفسي وهو مصدر استعمل ظرفا وانما اكتفى بالجواب عن التبديل لاستلزام
امتناعه امتناع الاتيان بقرآن آخر ان اتبع الا ما يوحى الي تعليل لما يكون
فان المتبع لغيره في امر لم يستبد بالتصرف فيه بوجه وجواب للنقض بنسخ بعض
الآيات ببعض ورد لما عرضوا له بهذا السؤال من ان القرآن كلامه واختراعه
ولذلك قيد التبديل في الجواب وسماه عصيانا فقال اني اخاف ان عصيت
ربي اي بالتبديل عذاب يوم عظيم وفيه ايماء بانهم استوجبوا العذاب بهذا الاقتراح
قل لو شاء الله غير ذلك ما تلوته عليكم ولا ادريكم به ولا اعلمكم به على لساني
وعن ابن كثير ولادريكم به بلام التاكيد اي لو شاء الله ما تلوته عليكم ولاعلمكم
على لسان غيري والمعنى انه الحق الذي لا محيص عنه لو لم ارسل به لارسل به غيري
وقرئ ولا ادرأتكم ولا ادرأكم بالهمزة فيهما على لغة من يقلب الالف المبدلة
من الياء همزة او على انه من الدرء بمعنى الدفع اي ولا جعلتكم بتلاوته خصماء تدرؤنني
بالجدال والمعنى ان الامر بمشية الله تعالى لا بمشيتي حتى اجعله على نحو ما تشتهونه
ثم قرر ذلك بقوله فقد لبثت فيكم عمرا مقدار عمر اربعين سنة من قبله من قبل القرآن
لا اتلوه ولا اعلمه فانه اشارة الى ان القرآن معجز خارق للعادة فان من عاش
بين اظهرهم اربعين سنة لم يمارس علما ولم يشاهد عالما ولم ينشئ قريضا ولا خطبة
ثم قرأ عليهم كتابا بذت فصاحته فصاحة كل منطيق وعلا كل منثور ومنظوم
واحتوى على قواعد علمي الاصول والفروع واعرب عن اقاصيص الاولين واحاديث
الآخرين على ما هي عليه علم انه معلم به من عند الله افلا تعقلون افلا تستعملون
عقولكم بالتدبر والتفكر فيه لتعلموا انه ليس الا من الله تعالى فمن اظلم ممن افترى
على الله كذبا تفاد مما اضافوا اليه كناية او تظليم للمشركين بافترائهم على
الله تعالى في قولهم انه لذو شريك وذو ولد او كذب باياته فكفر بها انه لا يفلح
المجرمون ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم لانه جماد لا يقدر
على نفع ولا ضر والمعبود ينبغي ان يكون مثيبا ومعاقبا حتى يعود عبادته

170/

بجلب نفع ودفع ضر ويقولون هؤلاء الاوثان شفعاؤنا عند الله تشفع لنا
فيما يهمنا من امور الدنيا او في الآخرة ان يكن بعث وكانهم كانوا شاكين فيه
وهذا من فرط جهالتهم حيث تركوا عبادة الموجد الضار النافع الى عبادة ما يعلم
قطعا انه لا يضر ولا ينفع على توهم انه ربما يشفع لهم عنده قل اتنبئون الله
اتخبرونه بما لا يعلم وهو ان له شريكا وفيه تقريع وتهكم بهم او هؤلاء شفعاء
عنده تعالى وما لا يعلمه العالم بجميع المعلومات لا يكون له تحقق ما وفيه تقريع وتهكم
بهم في السموات ولا في الارض حال من العائد المحذوف مؤكدة للنفي منبهة على ان
ما يعبدون من دون الله اما سماوي واما ارضي ولا شيء من الموجودات فيهما الا وهو
حادث مقهور مثلهم لا يليق ان يشرك به سبحانه وتعالى عما يشركون عن اشراكهم
او عن الشركاء الذين يشركونهم به وقرأ حمزة والكسائي هنا وفي الموضعين من اول
النحل والروم بالتاء وما كان الناس الا امة واحدة موحدين على الفطرة
او متفقين على الحق وذلك في عهد آدم عليه السلام الى ان قتل قابيل هابيل
او بعد الطوفان او على الضلال في فترة من الرسل فاختلفوا باتباع الهوى
والاباطيل او ببعثة الرسل فتبعتهم طائفة واصرت اخرى ولولا كلمة سبقت
من ربك بتأخير الحكم او العذاب الفاصل بينهم الى يوم القيمة فانه يوم الفصل
والجزاء لقضي بينهم عاجلا فيما فيه يختلفون باهلاك المبطل وابقاء المحق
ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه اي من الآيات التي اقترحوها فقل انما
الغيب لله هو المختص بعلمه فلعله يعلم ما في انزال الآيات المقترحة من مفاسد
تصرف عن انزالها فانتظروا لنزول ما اقترحتموه اني معكم من المنتظرين
لما يفعل الله تعالى بكم لجحودكم ما نزل علي من الآيات العظام واقتراحكم
غيره واذا اذقنا الناس رحمة صحة وسعة من بعد ضراء مستهم كقحط ومرض
اذا لهم مكر في آياتنا بالطعن فيها والاحتيال في دفعها قيل قحط اهل مكة
سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم الله بالحيا فطفقوا يقدحون في آيات الله

ويكيدون رسوله قل الله اسرع مكرا منكم قد دبر عقابكم قبل ان تدبروا كيدكم
وانما دل على سرعتهم المفضل عليها كلمة المفاجاة الواقعة جوابا لاذا الشرطية
والمكر اخفاء الكيد وهو من الله اما الاستدراج او الجزاء على المكر ان رسلنا يكتبون
ما تمكرون تحقيق للانتقام وتنبيه على ان ما دبروا في اخفائه لم يخف على الحفظة فضلا
عن ان يخفى على الله تعالى وعن يعقوب يمكرون بالياء ليوافق ما قبله هو الذي يسيركم
يحملكم على السير ويمكنكم منه وقرأ ابن عامر ينشركم بالنون والشين من النشر في البر
والبحر حتى اذا كنتم في الفلك في السفن وجرين بهم بمن فيها عدل عن الخطاب الى الغيبة
للمبالغة كانه تذكرة لغيرهم ليتعجب من حالهم وينكر عليهم بريح طيبة لينة الهبوب
وفرحوا بها بتلك الريح جاءتها جواب اذا والضمير للفلك او للريح الطيبة بمعنى تلقتها
ريح عاصف ذات عصف شديد الهبوب وجاءهم الموج من كل مكان يجيء الموج
منه وظنوا انهم احيط بهم اهلكوا او سدت عليهم مسالك الخلاص كمن
احاط به العدو دعوا الله مخلصين له الدين من غير اشراك لتراجع الفطرة وزوال
المعارض من شدة الخوف وهو بدل من ظنوا بدل اشتمال لان دعاءهم من لوازم ظنهم
لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين على ارادة القول او مفعول دعوا لانه من جملة
القول فلما انجاهم اجابة لدعائهم اذا هم يبغون في الارض فاجاؤا الفساد فيها
وسارعوا الى ما كانوا عليه بغير الحق مبطلين فيه وهو احتراز عن تخريب المسلمين ديار
الكفرة واحراق زروعهم وقلع اشجارهم فانها افساد بحق يا ايها الناس انما بغيكم
على انفسكم فان وباله عليكم او انه على امثالكم وابناء جنسكم متاع الحيوة الدنيا
منفعة الحيوة الدنيا لا تبقى ويبقى عقابها ورفعه على انه خبر بغيكم وعلى انفسكم
صلته او خبر محذوف تقديره ذلك متاع الحيوة الدنيا وعلى انفسكم خبر بغيكم ونصبه
حفص على انه مصدر مؤكد اي تتمتعون متاع الحيوة الدنيا او مفعول البغي لانه بمعنى
الطلب فيكون الجار من صلته والخبر محذوف تقديره بغيكم متاع الحيوة الدنيا محذور
او ضلال او مفعول فعل دل عليه البغي وعلى انفسكم خبر بغيكم ثم الينا مرجعكم في القيمة

فينبئكم

فينبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء عليه انما مثل الحيوة الدنيا حالها العجيبة في سرعة تقضيها
وذهاب نعيمها بعد اقبالها واغترار الناس بها كماء انزلناه من السماء فاختلط به
نبات الارض فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا مما ياكل الناس والانعام
من الزروع والبقول والحشيش حتى اذا اخذت الارض زخرفها تزينت باصناف
النبات واشكالها والوانها المختلفة كعروس اخذت من الوان الثياب والزين
فتزينت بها وازينت اصله تزينت فادغم وقد قرئ على الاصل وازينت
على افعلت من غير اعلال كاغيلت والمعنى صارت ذات زينة وازيانت كابياضت
وظن اهلها انهم قادرون عليها متمكنون من حصدها ورفع غلتها اتيها امرنا
ضرب زرعها ما يجتاحه ليلا او نهارا فجعلناها فجعلنا زرعها حصيدا شبيها
بما حصد من اصله كان لم تغن كان لم يغن زرعها اي لم يلبث والمضاف محذوف في
الموضعين للمبالغة وقرئ بالياء على الاصل بالامس فيما قبيله وهو مثل في الوقت
القريب والممثل به مضمون الحكاية وهو زوال خضرة النبات فجاة وذهابه
حطاما بعد ما كان غضا والتف وزين الارض حتى طمع فيه اهله فظنوا انه قد سلم
من الجوائح لا الماء وان وليه حرف التشبيه لانه من التشبيه المركب كذلك نفصل الايات
لقوم يتفكرون فانهم المنتفعون به والله يدعو الى دار السلام دار السلامة من النقص
والافة او دار الله تعالى وتخصيص هذا الاسم ايضا للتنبيه على ذلك او دار يسلم
الله والملائكة فيها على من يدخلها والمراد الجنة ويهدي من يشاء بالتوفيق الى صراط
مستقيم هو طريقها وذلك الاسلام والتدرع بلباس التقوى وفي تعميم الدعوة
وتخصيص الهداية بالمشية دليل ان الامر غير الارادة وان المصر على الضلالة لم يرد الله تعالى
رشده للذين احسنوا الحسنى المثوبة الحسنى وزيادة وما يزيد على المثوبة تفضلا
لقوله ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر امثالها الى
سبعمائة ضعف واكثر وقيل الزيادة مغفرة من الله تعالى ورضوان وقيل الحسنى
الجنة والزيادة هو اللقاء ولا يرهق وجوههم لا يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة

هوان والمعنى ولا يرهقهم ما يرهق اهل النار او لا يرهقهم ما يوجب ذلك من حزن
وسوء حال اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون لا زوال فيها ولا انقراض
لنعيمها بخلاف الدنيا وزخارفها والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها عطف
على قوله للذين احسنوا الحسنى على مذهب من يجوز في الدار زيد والحجرة عمرو او الذين
مبتدأ والخبر جزاء سيئة على تقدير وجزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها اي
ان يجازى سيئة بسيئة مثلها لا يزاد عليها وفيه تنبيه على ان الزيادة هي الفضل
او التضعيف او كانما اغشيت واولئك اصحاب النار وما بينهما اعتراض فجزاء سيئة
مبتدأ خبره محذوف اي فجزاء سيئة بمثلها واقع او بمثلها على زيادة الباء او تقدير
مقدر بمثلها وترهقهم ذلة وقرئ بالياء ما لهم من الله من عاصم ما من احد يعصمهم من سخط
الله او من جهة الله او من عنده كما يكون للمؤمنين كانما اغشيت وجوههم قطعا من
الليل مظلما لفرط سوادها وظلمتها ومظلما حال من الليل والعامل فيه اغشيت لانه
العامل في قطعا وهو موصوف بالجار والمجرور والعامل في الموصوف عامل في الصفة
او معنى الفعل في من الليل وقرأ ابن كثير والكسائي ويعقوب قطعا بالسكون
فعلى هذا يصح ان يكون مظلما صفة له او حالا منه اولئك اصحاب النار هم فيها
خالدون مما يحتج به الوعيدية والجواب ان الآية في الكفار لاشتمال السيئات
على الشرك والكفر ولان الذين احسنوا يتناول اصحاب الكبيرة من اهل القبلة فلا
يتناولهم قسيمه ويوم نحشرهم جميعا يعني الفريقين جميعا ثم نقول للذين اشركوا
مكانكم الزموا مكانكم حتى تنظروا ما يفعل بكم انتم تاكيد للضمير المنتقل اليه
من عامله وشركاؤكم عطف عليه وقرئ بالنصب على المفعول معه فزيلنا بينهم ففرقنا
بينهم وقطعنا الوصل التي كانت بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون
مجاز عن براءة ما عبدوه من عبادتهم وانهم انما عبدوا في الحقيقة اهواءهم لانها
الآمرة بالاشراك لا ما اشركوا به وقيل ينطق الله الاصنام فتشافههم بذلك مكان
الشفاعة التي يتوقعون منها وقيل المراد بالشركاء الملائكة والمسيح وقيل

الشياطين فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم فانه العالم بكنه الحال ان كنا عن عبادتكم
لغافلين ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة هنالك في ذلك المقام تبلو كل نفس
ما اسلفت تختبر ما قدمت من عمل فتعاين نفعه وضره وقرأ حمزة والكسائي تتلو
من التلاوة اي تقرأ ذكر ما قدمت او من التلو اي تتبع عمله فيقوده الى الجنة او الى النار
وقرئ نبلو بالنون ونصب كل وابدال ما منه والمعنى نختبرها اي نفعل بها فعل
المختبر بحالها المتعرف لسعادتها وشقاوتها بتعرف ما اسلفت من اعمالها ويجوز
ان يراد به نصيب بالبلاء اي العذاب كل نفس عاصية بسبب ما اسلفت من الشر فيكون
ما منصوبة بنزع الخافض وردوا الى الله الى جزائه اياهم بما اسلفوا مولاهم الحق
ربهم ومتولي امرهم على الحقيقة لا ما اتخذوه مولى وقرئ الحق بالنصب على المدح
او المصدر المؤكد وضل عنهم وضاع عنهم ما كانوا يفترون من ان الهتهم تشفع لهم
او ما كانوا يدعون انها آلهة قل من يرزقكم من السماء والارض اي منهما جميعا فان
الارزاق تحصل باسباب سماوية ومواد ارضية او من كل واحدة منهما توسعة عليكم
وقيل من لبيان من على حذف المضاف اي من اهل السماء والارض امن يملك السمع
والابصار امن يستطيع خلقهما وتسويتهما او من يحفظهما من الآفات مع كثرتها
وسرعة انفعالها من ادنى شيء ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن
يحيي ويميت او من ينشئ الحيوان من النطفة والنطفة منه ومن يدبر الامر ومن يلي
تدبير امر العالم وهو تعميم بعد تخصيص فسيقولون الله اذ لا يقدرون على المكابرة
والعناد في ذلك لفرط وضوحه فقل افلا تتقون انفسكم عقابه باشراككم اياه ما
لا يشاركه في شيء من ذلك فذلكم الله ربكم الحق اي المتولي لهذه الامور المستحق للعبادة
هو ربكم الثابت ربوبيته لانه الذي انشأكم واحياكم ورزقكم ودبر اموركم
فماذا بعد الحق الا الضلال استفهام انكار اي ليس بعد الحق الا الضلال فمن تخطى
الحق الذي هو عبادة الله تعالى وقع في الضلال فانى تصرفون عن الحق الى الضلال
كذلك حقت كلمة ربك اي كما حقت الربوبية لله تعالى او ان الحق بعده الضلال

او انهم مصروفون عن الحق حقت كلمة الله وحكمه على الذين فسقوا تمردوا في كفرهم
وخرجوا عن حد الاستصلاح انهم لا يؤمنون بدل من الكلمة او تعليل لحقيتها والمراد
بها العدة بالعذاب قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده جعل الاعادة كالابداء
في الالزام بها لظهور برهانها وان لم يساعد عليها الخصم ولذلك امر الرسول عليه السلام
بان ينوب عنهم في الجواب فقال قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده لان لجاجهم لا يدعهم
ان يعترفوا بها فانى تؤفكون تصرفون عن قصد السبيل قل هل من شركائكم من يهدي
الى الحق بنصب الحجج وارسال الرسل والتوفيق للنظر والتدبر وهدى كما يعدى بالى
لتضمنه معنى الانتهاء يعدى باللام للدلالة على ان المنتهى غاية الهداية وانها
لم تتوجه نحوه على سبيل الاتفاق ولذلك عدي بها ما اسند الى الله تعالى قل
الله يهدي للحق افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدي الا ان يهدى ام الذي
لا يهتدي الا ان يهدى من قولهم هدى بنفسه اذا اهتدى او لا يهدي غيره الا ان يهديه
الله تعالى وهذا حال اشراف شركائهم كالملائكة والمسيح وعزير وقرأ ابن كثير وورش
عن نافع وابن عامر يهدّي بفتح الهاء وتشديد الدال ويعقوب وحفص بالكسر
والتشديد والاصل يهتدي فادغم وفتحت الهاء بحركة التاء او كسرت لالتقاء
الساكنين وروى ابو بكر يهدّي باتباع الياء الهاء وقرأ ابو عمرو بالادغام المجرد
ولم يبال بالتقاء الساكنين لان المدغم في حكم المتحرك وعن نافع مثله وقرئ الا ان
يهدى على المبالغة فما لكم كيف تحكمون بما يقتضي صريح العقل بطلانه وما يتبع اكثرهم
فيما يعتقدون الا ظنا مستندا الى خيالات فارغة واقيسة فاسدة كقياس
الغائب على الشاهد والخالق على المخلوق بادنى مشاركة موهومة والمراد بالاكثر
الجميع او من ينتمي منهم الى تمييز ونظر ولا يرضى بالتقليد الصرف ان الظن لا يغني
من الحق من العلم والاعتقاد الحق شيئا من الاغناء ويجوز ان يكون مفعولا به ومن الحق
حالا منه وفيه دليل على ان تحصيل العلم في الاصول واجب والاكتفاء بالتقليد
والظن غير جائز ان الله عليم بما يفعلون وعيد على اتباعهم للظن واعراضهم عن البرهان

وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله افتراء من الخلق ولكن تصديق
الذي بين يديه مطابق لما تقدمه من الكتب الالهية المشهود على صدقها ولا يكون
كذبا كيف وهو لكونه معجزا دونها عيار عليها شاهد على صحتها ونصبه بانه
خبر كان مقدرا او علة لفعل محذوف تقديره لكن انزله الله تعالى وقرئ بالرفع
على تقدير ولكن هو تصديق وتفصيل الكتاب وتفصيل ما حقق واثبت من العقائد
والشرائع لا ريب فيه منتفيا عنه الريب وهو خبر ثالث داخل في حكم الاستدراك
ويجوز ان يكون حالا من الكتاب فانه مفعول في المعنى وان يكون استئنافا من
رب العالمين خبر آخر تقديره كائنا من رب العالمين او متعلق بتصديق او بتفصيل
ولا ريب فيه اعتراض او بالفعل المعلل بهما ويجوز ان يكون حالا من الكتاب او الضمير
في فيه ومساق الآية بعد المنع عن اتباع الظن لبيان ما يجب اتباعه والبرهان
عليه ام يقولون بل ايقولون افتراه محمد صلى الله عليه وسلم ومعنى الهمزة فيه للانكار
قل فأتوا بسورة مثله في البلاغة وحسن النظم وقوة المعنى على وجه الافتراء
فانكم مثلي في العربية والفصاحة واشد تمرنا في النظم والعبارة وادعوا من استطعتم
ومع ذلك فاستعينوا بمن امكنكم ان تستعينوا به من دون الله سوى الله تعالى
فانه وحده قادر على ذلك ان كنتم صادقين انه اختلقه بل كذبوا بل سارعوا الى
التكذيب بما لم يحيطوا بعلمه بالقرآن اول ما سمعوه قبل ان يتدبروا آياته ويحيطوا
بالعلم بشأنه او بما جهلوه ولم يحيطوا به علما من ذكر البعث والجزاء وسائر ما يخالف
دينهم ولما يأتهم تأويله ولم يقفوا بعد على تأويله ولم تبلغ اذهانهم معانيه
او ولما يأتهم بعد تأويل ما فيه من الاخبار بالغيوب حتى يتبين لهم انه صدق ام كذب
والمعنى ان القرآن معجز من جهة اللفظ والمعنى ثم انهم فاجأوا تكذيبه قبل ان يتدبروا
نظمه ويتفحصوا معناه ومعنى التوقع في لما انه قد ظهر لهم بالآخرة اعجازه لما كرر
عليهم التحدي فراموا قواهم في معارضته فتضاءلت دونها او لما شاهدوا وقوع
ما اخبر به طبقا لاخباره مرارا فلم يقلعوا عن التكذيب تمردا وعنادا كذلك كذب

الذين من قبلهم انبياءهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين فيه وعيد لهم بمثل ما عوقب به من
قبلهم ومنهم ومن المكذبين من يؤمن به من يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكن يعاند
او من سيؤمن به ويتوب عن كفره ومنهم من لا يؤمن به في نفسه لفرط غباوته وقلة تدبره
او فيما يستقبل بل يموت على الكفر وربك اعلم بالمفسدين بالمعاندين او بالمصرين
وان كذبوك فان اصروا على تكذيبك بعد الزام الحجة فقل لي عملي ولكم عملكم فتبرأ منهم
فقد اعذرت والمعنى لي جزاء عملي ولكم جزاء عملكم حقا كان او باطلا انتم بريئون مما اعمل
وانا بريء مما تعملون لا تؤاخذون بعملي ولا اؤاخذ بعملكم ولما فيه من ايهام الاعراض
عنهم وتخلية سبيلهم قيل انه منسوخ باية السيف ومنهم من يستمعون اليك اذا قرأت
القرآن وعلمت الشرائع ولكن لا يقبلون كالاصم الذي لا يسمع اصلا افانت تسمع الصم
تقدر على اسماعهم ولو كانوا لا يعقلون اي ولو انضم الى صممهم عدم تعقلهم وفيه تنبيه
على ان حقيقة استماع الكلام فهم المعنى المقصود منه ولذلك لا توصف به البهائم
وهو لا يتأتى الا باستعمال العقل السليم في تدبره وعقولهم لما كانت مأوفة بمعارضة
الوهم ومتابعة الالف والتقليد تعذر افهامهم الحكم والمعاني الدقيقة فلم ينتفعوا
بسرد الالفاظ عليهم غير ما ينتفع به البهائم من كلام الناعق ومنهم من ينظر اليك ويعاينون
دلائل نبوتك ولكن لا يصدقون افانت تهدي العمي تقدر على هدايتهم ولو كانوا لا
يبصرون وان انضم الى عدم البصر عدم البصيرة فان المقصود من الابصار هو الاعتبار
والاستبصار والعمدة في ذلك البصيرة ولذلك يحدس الاعمى المستبصر ويتفطن
لما لا يدركه البصير الاحمق والاية كالتعليل للامر بالتبري والاعراض عنهم ان الله لا يظلم
الناس شيئا بسلب حواسهم وعقولهم ولكن الناس انفسهم يظلمون بافسادها وتفويت
منافعها عليهم وفيه دليل على ان للعبد كسبا وانه ليس مسلوب الاختيار بالكلية كما زعمت
المجبرة ويجوز ان يكون وعيدا لهم بمعنى ان ما يحيق بهم يوم القيامة من العذاب عدل من الله تعالى
لا يظلمهم به ولكنهم ظلموا انفسهم باقتراف اسبابه وقرأ حمزة والكسائي بالتخفيف ورفع
الناس ويوم يحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار يستقصرون مدة لبثهم في

الدنيا او في القبور لهول ما يرون والجملة التشبيهية في موقع الحال اي يحشرهم مشبهين
بمن لم يلبث الا ساعة او صفة ليوم والعائد محذوف تقديره كان لم يلبثوا قبله
او لمصدر محذوف اي حشرا كان لم يلبثوا قبله يتعارفون بينهم يعرف بعضهم
بعضا كانهم لم يتعارفوا الا قليلا وهذا اول ما نشروا ثم ينقطع التعارف
لشدة الامر عليهم وهو حال اخرى مقدرة او بيان لقوله كان لم يلبثوا او متعلق
الظرف والتقدير يتعارفون يوم يحشرهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله شهادة
على خسرانهم والتعجب منه ويجوز ان يكون حالا من الضمير في يتعارفون على
ارادة القول وما كانوا مهتدين لطرق استعمال ما منحوا من المعاون في تحصيل
المعارف فاستكسبوا بها جهالات ادت بهم الى الردى والعذاب الدائم
واما نرينك نبصرنك بعض الذي نعدهم من العذاب في حياتك كما اراه يوم بدر
او نتوفينك قبل ان نريك فالينا مرجعهم فنريكه في الاخرة وهو جواب نتوفينك
وجواب نرينك محذوف مثل فذاك ثم الله شهيد على ما يفعلون مجازٍ عليه
ذكر الشهادة واراد نتيجتها ومقتضاها ولذلك رتبها على الرجوع بثم
او مؤد شهادته على افعالهم يوم القيامة ولكل امة من الامم الماضية رسول
بعث اليهم ليدعوهم الى الحق فاذا جاء رسولهم بالبينات فكذبوه قضي بينهم بين
الرسول والمكذبين بالقسط بالعدل فانجي الرسول واهلك المكذبون وهم
لا يظلمون وقيل معناه لكل امة يوم القيامة رسول تنسب اليه فاذا جاء رسولهم
الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان قضي بينهم بانجاء المؤمن وعقاب الكافر
كقوله وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم ويقولون متى هذا الوعد استبعادا
له واستهزاء به ان كنتم صادقين خطاب منهم للنبي والمؤمنين قل لا املك
لنفسي ضرا ولا نفعا فكيف املك لكم فاستعجل في جلب العذاب اليكم الا ما شاء الله
ان املكه او لكن ما شاء الله من ذلك كائن لكل امة اجل مضروب لهلاكهم اذا
جاء اجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون لا يتأخرون ولا يتقدمون

فلا تستعجلوا سيحين وقتكم وينجز وعدكم قل ارايتم ان اتيكم عذابه الذي تستعجلون به
بياتا وقت بيات واشتغال بالنوم او نهارا حين كنتم مشتغلين بطلب معاشكم
ماذا يستعجل منه المجرمون اي شيء من العذاب يستعجلونه وكله مكروه لا يلائم
الاستعجال وهو متعلق بارايتم لانه بمعنى اخبروني والمجرمون وضع موضع
الضمير للدلالة على انهم لجرمهم ينبغي ان يفزعوا من مجيء الوعيد لا ان يستعجلوه
وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال او تعرفوا خطاه ويجوز
ان يكون الجواب ماذا كقولك ان اتيتك ماذا تعطيني وتكون الجملة متعلقة
بارايتم او قوله اثم اذا ما وقع امنتم به بمعنى ان اتيكم عذابه امنتم به بعد وقوعه
حين لا ينفعكم الايمان وماذا يستعجل اعتراض ودخول حرف الاستفهام على ثم
لانكار التاخير الآن على ارادة القول اي قيل لهم اذا امنوا بعد وقوع العذاب
الآن امنتم به وعن نافع الان بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقد
كنتم به تستعجلون تكذيبا واستهزاء ثم قيل للذين ظلموا عطف على قيل المقدر
ذوقوا عذاب الخلد المؤلم على الدوام هل تجزون الا بما كنتم تكسبون من الكفر
والمعاصي ويستنبئونك ويستخبرونك احق هو احق ما تقول من الوعد او ادعاء
النبوة تقوله بجد ام باطل تهزل به قاله حيي بن اخطب لما قدم مكة والاظهر
ان الاستفهام فيه على اصله لقوله ويستنبئونك وقيل انه للانكار ويؤيده
انه قرئ آلحق هو فان فيه تعريضا بانه باطل واحق مبتدا والضمير مرتفع به ساد
مسد الخبر او خبر مقدم والجملة في موضع النصب بيستنبئونك قل اي وربي انه لحق
ان العذاب لكائن او ما ادعيته لثابت وقيل كلا الضميرين للقران واي بمعنى نعم
وهو من لوازم القسم ولذلك يوصل بواوه في التصديق فيقال اي والله ولا
يقال اي وحده وما انتم بمعجزين فائتين العذاب ولو ان لكل نفس ظلمت بالشرك
او التعدي على الغير ما في الارض من خزائنها واموالها لافتدت به لجعلته فدية
لها من العذاب من قولهم افتداه بمعنى فداه واسروا الندامة لما راوا العذاب لانهم

بهتوا بما عاينوا مما لم يحتسبوه من فظاعة الامر وهوله فلم يقدروا ان ينطقوا
وقيل اسروا الندامة اخلصوها لان اخفاءها اخلاصها او لانه يقال سر الشيء
لخالصه من حيث انها تخفى ويضن بها وقيل اظهروها من قولهم سر الشيء واسره
اذا اظهره وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ليس تكريرا لان الاول قضاء
بين الانبياء ومكذبيهم والثاني مجازاة المشركين على الشرك او الحكومة بين الظالمين
والمظلومين والضمير انما يتناولهم لدلالة الظلم عليهم الا ان لله ما في السموات
والارض تقرير لقدرته تعالى على الاثابة والعقاب الا ان وعد الله حق
ما وعده من الثواب والعقاب كائن لا خلف فيه ولكن اكثرهم لا يعلمون لانهم لا يعلمون
لقصور عقلهم الا ظاهرا من الحيوة الدنيا هو يحيي ويميت في الدنيا فهو يقدر عليهما
في العقبى لان القادر لذاته لا تزول قدرته والمادة القابلة بالذات للحيوة والموت
قابلة لهما ابدا واليه ترجعون بالموت او النشور يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة
من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين قد جاءكم كتاب جامع
للحكمة العملية الكاشفة عن محاسن الاعمال ومقابحها المرغبة في المحاسن والزاجرة عن
المقابح والحكمة النظرية التي هي شفاء لما في الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد
وهدى الى الحق واليقين ورحمة للمؤمنين حيث انزلت عليهم فنجوا بها من ظلمات
الضلال الى نور الايمان وتبدلت مقاعدهم من طبقات النيران بمصاعد من
درجات الجنان والتنكير فيها للتعظيم قل بفضل الله وبرحمته بانزال القران
والباء متعلقة بفعل يفسره قوله فبذلك فليفرحوا فان اسم الاشارة بمنزلة
الضمير تقديره بفضل الله وبرحمته فليعتنوا او فليفرحوا وفائدة ذلك التكرير للتاكيد
والبيان بعد الاجمال وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح او بفعل دل عليه
قد جاءتكم وذلك اشارة الى مصدريهما فليفرحوا والفاء بمعنى الشرط كانه قيل
ان فرحوا بشيء فبهما ليفرحوا او للربط بما قبلها والدلالة على ان مجيء الكتاب الجامع
بين هذه الصفات موجب للفرح وتكريرها للتاكيد لقوله

لا تجزعي إن منفسا أهلكته • وإذا هلكت فعند ذلك فاجزعي • وعن يعقوب
فلتفرحوا بالتاء على الأصل المرفوض وقد روي مرفوعا ويؤيده أنه قرئ فافرحوا
هو خير مما يجمعون من حطام الدنيا فإنها إلى الزوال قريب وهو ضمير ذلك وقرأ
ابن عامر تجمعون على معنى فبذلك فليفرح المؤمنون فهو خير مما تجمعونه أيها المخاطبون
قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق جعل الرزق منزلا لأنه مقدر في السماء محصل
بأسباب منها وما في موضع النصب بأنزل أو بأرأيتم فإنه بمعنى أخبروني ولكم دل
على أن المراد منه ما حل ولذلك وبخ على التبعيض فقال فجعلتم منه حراما وحلالا مثل
هذه أنعام وحرث حجر ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على
أزواجنا قل آلله أذن لكم في التحريم والتحليل فتقولون ذلك بحكمه أم على الله تفترون
في نسبة ذلك إليه ويجوز أن يكون المنفصلة متصلة بأرأيتم وقل مكرر للتأكيد
وأن يكون الاستفهام للإنكار وأم منقطعة ومعنى الهمزة فيها تقرير لافترائهم
على الله تعالى وما ظن الذين يفترون على الله الكذب أي شيء ظنهم يوم القيامة
أيحسبون أن لا يجازوا عليه وهو منصوب بالظن ويدل عليه أنه قرئ بلفظ
الماضي لأنه كائن وفي إبهام الوعيد تهديد عظيم إن الله لذو فضل على الناس
حيث أنعم عليهم بالعقل وهداهم بإرسال الرسل وإنزال الكتب ولكن أكثرهم
لا يشكرون هذه النعمة وما تكون في شأن ولا تكون في أمر وأصله الهمز من شأنت
شأنه إذا قصدت قصده والضمير في وما تتلو منه له لأن تلاوة القرآن معظم
شأن الرسول أو لأن القراءة تكون لشأن فيكون التقدير من أجله ومفعول تتلو من
قرآن على أن من تبعيضية أو مزيدة لتأكيد النفي أو للقرآن وإضماره قبل الذكر ثم بيانه
تفخيم له أو لله ولا تعملون من عمل تعميم للخطاب بعد تخصيصه بمن هو رأسهم ولذلك
ذكر حيث خص ما فيه فخامة وذكر حيث عم ما يتناول الجليل والحقير إلا كنا عليكم
شهودا رقباء مطلعين عليه إذ تفيضون فيه تخوضون فيه وتندفعون وما يعزب
عن ربك وما يبعد عنه ولا يغيب عن علمه وقرأ الكسائي بكسر الزاي من مثقال ذرة موازن

نملة صغيرة أو هباء في الأرض ولا في السماء أي في الوجود والإمكان
فإن العامة لا تعرف ممكنا غيرهما ليس فيهما ولا متعلقا بهما وتقديم الأرض لأن
الكلام في حال أهلها والمقصود منه البرهان على إحاطة علمه بها ولا أصغر
من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين كلام برأسه مقرر لما قبله ولا نافية وأصغر
اسمها وفي كتاب خبرها وقرأ حمزة ويعقوب بالرفع على الابتداء والخبر
ومن عطف على لفظ مثقال وذرة وجعل الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف
أو على محله مع الجار جعل الاستثناء منقطعا والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ
ألا إن أولياء الله الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة لا خوف عليهم
من لحوق مكروه ولا هم يحزنون بفوات مأمول والآية مجملة فسرها قوله الذين آمنوا
وكانوا يتقون وقيل الذين آمنوا وكانوا يتقون بيان لتوليهم إياه لهم البشرى
في الحياة الدنيا وهو ما بشر به المتقين في كتابه وعلى لسان نبيه وما يريهم من الرؤيا
الصالحة وما يسنح لهم من المكاشفات وبشرى الملائكة عند النزع وفي الآخرة
بتلقي الملائكة إياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة بيان لتوليه لهم ومحل الذين
آمنوا النصب أو الرفع على المدح أو على وصف الأولياء أو على الابتداء وخبره لهم
البشرى لا تبديل لكلمات الله أي لا تغيير لأقواله ولا إخلاف لمواعيده ذلك إشارة إلى
كونهم مبشرين في الدارين هو الفوز العظيم هذه الجملة والتي قبلها اعتراض لتحقيق
المبشر به وتعظيم شأنه وليس من شرطه أن يقع بعده كلام متصل بما قبله ولا يحزنك
قولهم إشراكهم وتكذيبهم وتهديدهم وقرأ نافع يحزنك من أحزنه وكلاهما بمعنى
إن العزة لله جميعا استئناف بمعنى التعليل ويدل عليه القراءة بالفتح كأنه قيل
لا تحزن بقولهم ولا تبال بهم لأن الغلبة لله تعالى جميعا لا يملك غيره شيئا فهو يقهرهم
وينصرك عليهم هو السميع لأقوالهم العليم بعزماتهم فيكافئهم عليها ألا إن لله من
في السماوات ومن في الأرض من الملائكة والثقلين وإذا كان هؤلاء الذين هم أشرف
الممكنات عبيدا لا يصلح أحد منهم للربوبية فما لا يعقل منها أحق أن لا يكون له ندا

او صيركا فهو كالدليل على قوله وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء اى شركاء
على الحقيقة وان كانوا يسمونها شركاء ويجوز ان يكون شركاء مفعول يدعون ومفعول يتبع
محذوف دل عليه ان يتبعون الا الظن اى ما يتبعون يقينا وانما يتبعون ظنهم انها
شركاء ويجوز ان يكون ما استفهامية منصوبة بيتبع او موصولة معطوفة على من وقرئ
تدعون بالتاء والمعنى اى شىء يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين اى انهم
لا يتبعون الا الله ولا يعبدون غيره فما لكم لا تتبعونهم فيه كقوله تعالى اولئك الذين
يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة فيكون الزاما بعد برهان وما بعده مصروف
عن خطابهم لبيان سندهم ومنشأ رأيهم وان هم الا يخرصون يكذبون فيما ينسبون
الى الله تعالى او يحزرون ويقدرون انها شركاء تقديرا باطلا هو الذى جعل لكم
الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا تنبيه على كمال قدرته وعظم نعمته المتوحد هو بهما
ليدلهم على تفرده باستحقاق العبادة وانما قال مبصرا ولم يقل لتبصروا فيه تفرقة
بين الظرف المجرد والذى هو سبب ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون سماع تدبر واعتبار
قالوا اتخذ الله ولدا اى تبناه سبحانه تنزيه له عن التبنى فانه لا يصح الا ممن يتصور
له الولد وتعجب من كلمتهم الحمقاء هو الغنى علة لتنزيهه فان اتخاذ الولد مسبب عن الحاجة
له ما فى السموات وما فى الارض تقرير لغناه ان عندكم من سلطان بهذا نفى لمعارض
ما اقامه من البرهان مبالغة فى تجهيلهم وتحقيقا لبطلان قولهم وبهذا متعلق بسلطان
او نعت له او بعندكم كانه قيل ان عندكم فى هذا سلطان اتقولون على الله ما لا
تعلمون توبيخ وتقريع على اختلاقهم وجهلهم وفيه دليل على ان كل قول لا دليل عليه
فهو جهالة وان العقائد لا بد لها من قاطع وان التقليد فيها غير سائغ قل ان الذين
يفترون على الله الكذب باتخاذ الولد واضافة الشريك اليه لا يفلحون لا ينجون من
النار ولا يفوزون بالجنة متاع فى الدنيا خبر مبتدأ محذوف اى افتراؤهم متاع
فى الدنيا يقيمون به رياستهم فى الكفر او حياتهم او تقلبهم متاع او مبتدأ خبره محذوف
اى لهم تمتع فى الدنيا ثم الينا مرجعهم بالموت فيلقون الشقاء المؤبد ثم نذيقهم العذاب

الشديد

الشديد بما كانوا يكفرون بسبب كفرهم واتل عليهم نبأ نوح خبره مع قومه اذ قال
لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم عظم عليكم وشق مقامى نفسى كقولك فعلت كذا
لمكان فلان او كونى واقامتى بينكم مدة مديدة او قيامى على الدعوة وتذكيرى
اياكم بآيات الله فعلى الله توكلت وثقت به فاجمعوا امركم فاعزموا عليه وشركاءكم
اى مع شركائكم ويؤيده القراءة بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز من غير ان
يؤكد للفصل وقيل انه معطوف على امركم بحذف المضاف اى وامر شركائكم وقيل انه
منصوب بفعل محذوف تقديره وادعوا شركاءكم وقد قرئ به وعن نافع فاجمعوا
من الجمع والمعنى امرهم بالعزم او الاجتماع على قصده والسعى فى اهلاكه اى وجه
يمكنهم ثقة بالله تعالى وقلة مبالاة بهم ثم لا يكن امركم فى قصدى عليكم غمة مستورا واجعلوه
ظاهرا مكشوفا من غمه اذا ستره او ثم لا يكن حالكم عليكم غما اذا اهلكتمونى وتخلصتم
عن ثقل مقامى وتذكيرى ثم اقضوا الى ادوا الى ذلك الامر الذى تريدون بى وقرئ
ثم افضوا بالفاء اى انتهوا الى بشركم او ابرزوا الى من افضى اذا خرج الى الفضاء
ولا تنظرون ولا تمهلونى فان توليتم اعرضتم عن تذكيرى فما سألتكم من اجر يوجب
توليكم لثقله عليكم واتهامكم اياى لاجله او يفوتنى لتوليكم ان اجرى ما ثوابى على الدعوة
والتذكير الا على الله لا تعلق له بكم يثيبنى به آمنتم او توليتم وامرت ان اكون من المسلمين
المنقادين لحكمه لا اخالف امره ولا ارجو غيره فكذبوه فاصروا على تكذيبه بعد ما الزمهم
الحجة وبين ان توليهم ليس الا لعنادهم وتمردهم لا جرم حقت عليهم كلمة العذاب
فنجيناه ومن معه من الغرق فى الفلك وكانوا ثمانين وجعلناهم خلائف من الهالكين به
واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا بالطوفان فانظر كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم
لما جرى عليهم وتحذير لمن كذب الرسول وتسلية له ثم بعثنا ارسلنا من بعده من بعد
نوح رسلا الى قومهم كل رسول الى قومه فجاؤهم بالبينات المعجزات الواضحة المثبتة
لدعواهم فما كانوا ليؤمنوا فما استقام لهم ان يؤمنوا لشدة شكيمتهم فى الكفر وخذلان
الله تعالى اياهم بما كذبوا به من قبل بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة

الرسل كذلك نطبع على قلوب المعتدين بخذلانهم لانهماكهم في الضلال واتباع المألوف
وفي امثال ذلك دليل على ان الافعال واقعة بقدرة الله تعالى وكسب العبد وقد مر
تحقيق ذلك ثم بعثنا من بعدهم من بعد هؤلاء الرسل موسى وهرون الى فرعون وملائه
باياتنا بالايات التسع فاستكبروا عن اتباعها وكانوا قوما مجرمين معتادين
الاجرام فلذلك تهاونوا برسالة ربهم واجترؤوا على ردها فلما جاءهم الحق من عندنا
وعرفوه بتظاهر المعجزات القاهرة المزيحة للشك قالوا من فرط تمردهم ان هذا لسحر
مبين ظاهر انه سحر او فائق في فنه واضح فيما بين اخوانه قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم
انه لسحر فحذف المحكي المقول لدلالة ما قبله عليه ولا يجوز ان يكون اسحر هذا لانهم
بتوا القول بل هو استئناف بانكار ما قالوه اللهم الا ان يكون الاستفهام فيه للتقرير
والمحكي مفهوم قولهم ويجوز ان يكون معنى اتقولون للحق اتعيبونه من قولهم فلان
يخاف القالة كقوله سمعنا فتى يذكرهم فيستغنى عن المفعول ولا يفلح الساحرون
من تمام كلام موسى عليه السلام للدلالة على انه ليس بسحر فانه لو كان سحرا لاضمحل
ولم يبطل سحر السحرة ولان العالم بانه لا يفلح الساحر لا يسحر او من تمام قولهم
ان جعل اسحر هذا محكيا كانهم قالوا اجئتنا بالسحر تطلب به الفلاح ولا يفلح الساحرون
قالوا اجئتنا لتلفتنا لتصرفنا واللفت والفتل اخوان عما وجدنا عليه اباءنا من
عبادة الاصنام وتكون لكما الكبرياء في الارض الملك فيها سمي بها لاتصاف الملوك
بالكبر او التكبر على الناس باستتباعهم وما نحن لكما بمؤمنين بمصدقين فيما جئتما به
وقال فرعون ائتوني بكل ساحر وقرأ حمزة والكسائي بكل سحار عليم حاذق فيه
فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فلما القوا قال موسى ما جئتم به
السحر اي الذي جئتم به هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه سحرا وقرأ ابو عمرو السحر
على ان ما استفهامية مرفوعة بالابتداء وجئتم به خبرها والسحر بدل منه او خبر مبتدأ
محذوف تقديره اهو السحر او هو مبتدأ خبره محذوف اي السحر هو ويجوز ان ينتصب
ما بفعل يفسره ما بعده وتقديره اي شيء اتيتم ان الله سيبطله سيمحقه او سيظهر بطلانه

ان الله لا يصلح عمل المفسدين لا يثبته ولا يقويه وفيه دليل على ان السحر افساد
وتمويه لا حقيقة له ويحق الله الحق ويثبته بكلماته باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته
ولو كره المجرمون ذلك فما امن لموسى في مبدأ امره الا ذرية من قومه الا اولاد
من اولاد قومه بني اسرائيل دعاهم فلم يجيبوه خوفا من فرعون الا طائفة من
شبانهم وقيل الضمير لفرعون والذرية طائفة من شبانهم آمنوا به او مؤمن
آل فرعون وامرأته آسية وخازنه وزوجته وماشطته على خوف من فرعون
وملائهم اي مع خوف منهم والضمير لفرعون وجمعه على ما هو المعتاد في ضمير العظماء او على
ان المراد بفرعون آله كما يقال ربيعة ومضر او للذرية او للقوم ان يفتنهم يعذبهم
فرعون وهو بدل منه او مفعول خوف وافراده بالضمير للدلالة على ان الخوف من الملأ
كان بسببه وان فرعون لعال في الارض لغالب فيها وانه لمن المسرفين في الكبر والعتو
حتى ادعى الربوبية واسترق اسباط الانبياء وقال موسى لما رأى تخوف المؤمنين
يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا فثقوا به واعتمدوا عليه ان كنتم مسلمين
مستسلمين لقضاء الله تعالى مخلصين له وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين فان المعلق
بالايمان وجوب التوكل فانه المقتضي له والمشروط بالاسلام حصوله فانه
لا يوجد مع التخليط ونظيره ان دعاك زيد فاجبه ان قدرت فقالوا على الله
توكلنا لانهم كانوا مؤمنين مخلصين ولذلك اجيبت دعوتهم ربنا لا تجعلنا فتنة
موضع فتنة للقوم الظالمين اي لا تسلطهم علينا فيفتنونا ونجنا برحمتك من القوم
الكافرين من كيدهم وشؤم مشاهدتهم وفي تقديم التوكل على الدعاء تنبيه
على ان الداعي ينبغي ان يتوكل اولا لتجاب دعوته واوحينا الى موسى واخيه
ان تبوآ اي اتخذا مباءة لقومكما بمصر بيوتا يسكنون فيها او يرجعون اليها
للعبادة واجعلوا انتما وقومكما بيوتكم تلك البيوت قبلة مصلى وقيل مساجد
متوجهة نحو القبلة يعني الكعبة وكان موسى عليه السلام يصلي اليها واقيموا الصلوة
فيما امروا بذلك اول امرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة فيؤذوهم ويفتنوهم

عن دينهم وبشر المؤمنين بالنصرة في الدنيا والجنة في العقبى وانما ثنى الضمير
اولا لان التبوؤ للقوم واتخاذ المعابد مما يتعاطاه رؤس القوم بتشاور ثم جمع
لان جعل البيوت مساجد والصلوة مما ينبغي ان يفعله كل احد ثم وحد لان البشارة
في الاصل وظيفة صاحب الشريعة وقال موسى ربنا انك اتيت فرعون وملأه زينة
ما يتزين به من اللباس والمراكب ونحوهما واموالا في الحيوة الدنيا وانواعا من المال
ربنا ليضلوا عن سبيلك دعاء عليهم بلفظ الامر بما علم من ممارسة احوالهم انه لا يكون
غيره كقولك لعن الله ابليس وقيل اللام للعاقبة وهي متعلقة باتيت ويحتمل ان يكون
للعلة لان ايتاء النعم على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال ولانهم لما جعلوها
سببا في الضلال فكانهم اوتوها ليضلوا فيكون ربنا تكريرا للاول تأكيدا او
تنبيها على ان المقصود عرض ضلالهم وكفرانهم تقدمة لقوله ربنا اطمس على اموالهم
اهلكها والطمس المحق وقرئ واطمس بالضم واشدد على قلوبهم اي واقسها واطبع
عليها حتى لا تنشرح للايمان فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم جواب للدعاء او
دعاء بلفظ النهي او عطف على ليضلوا وما بينهما دعاء معترض قال قد اجيبت
دعوتكما يعني موسى وهارون عليهما السلام لانه كان يؤمن فاستقيما فاثبتا
على ما انتما عليه من الدعوة والزام الحجة ولا تتبعان فان ما طلبتما كائن ولكن في
وقته روي انه مكث فيهم بعد الدعاء اربعين سنة ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون
طريق الجهلة في الاستعجال او عدم الوثوق والاطمينان بوعد الله وعن ابن عامر برواية
ابن ذكوان ولا تتبعان بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين ولا تتبعان
من تبع ولا تتبعان ايضا وجاوزنا ببني اسرائيل البحر اي جاوزنا بهم في البحر حتى
بلغوا الشط حافظين لهم وقرئ جوزنا وهو من فعل المرادف لفاعل كضعف
وضاعف فاتبعهم فادركهم يقال تبعته حتى اتبعته فرعون وجنوده بغيا وعدوا
باغين وعادين او للبغي والعدو وقرئ وعدوا حتى اذا ادركه الغرق لحقه قال
آمنت انه اي بانه لا اله الا الذي آمنت به بنوا اسرائيل وانا من المسلمين وقرأ حمزة

والكسائي انه بالكسر على اضمار القول او الاستيناف بدلا وتفسيرا لآمنت فنكب عن الايمان
اوان القبول وبالغ فيه حين لا يقبل الآن اتؤمن الآن وقد أيست من نفسك ولم يبق
لك اختيار وقد عصيت قبل قبل ذلك مدة عمرك وكنت من المفسدين الضالين
المضلين عن الايمان فاليوم ننجيك ننقذك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك
طافيا او نلقيك على نجوة من الارض ليراك بنوا اسرائيل وقرأ يعقوب ننجيك من انجى
وقرئ ننحيك بالحاء اي نلقيك بناحية الساحل ببدنك في موضع الحال ببدنك
عاريا عن الروح او كاملا سويا او عريانا من غير لباس او بدرعك وكانت له درع
من الذهب يعرف بها وقرئ بابدانك اي باجزاء البدن كلها كقولهم هوى باجرامه
او بدروعك كانه كان مظاهرا بينها لتكون لمن خلفك آية لمن وراءك علامة وهم
بنوا اسرائيل اذ كان في نفوسهم من عظمته ما خيل اليهم انه لا يهلك حتى كذبوا موسى عم
حين اخبرهم بغرقه الى ان عاينوه مطروحا على ممرهم من الساحل او لمن يأتي بعدك
من القرون اذا اسمعوا مآل امرك ممن شاهدك عبرة ونكالا عن الطغيان
او حجة تدلهم على ان الانسان على ما كان عليه من عظم الشان وكبرياء الملك مملوك
مقهور بعيد عن مظان الربوبية وقرئ لمن خلقك اي لخالقك آية كسائر الآيات
فان افراده اياك بالالقاء الى الساحل دليل على انه تعمد منه لكشف تزويرك
واماطة الشبهة في امرك وذلك دليل على كمال قدرته وعلمه وارادته وهذا
الوجه ايضا محتمل على المشهور وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون لا يتفكرون
فيها ولا يعتبرون بها ولقد بوأنا انزلنا بني اسرائيل مبوأ صدق منزلا صالحا
مرضيا وهو الشام ومصر ورزقناهم من الطيبات من اللذائذ فما اختلفوا
حتى جاءهم العلم فما اختلفوا في امر دينهم الا من بعد ما قرؤا التورية وعلموا
احكامها او في امر محمد صلى الله عليه وسلم الا من بعد ما علموا صدقه بنعوته وتظاهر
معجزاته ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون فيميز المحق عن
المبطل بالانجاء والاهلاك فان كنت في شك مما انزلنا اليك من القصص

على سبيل الفرض والتقدير فسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك فانه محقق عندهم
ثابت في كتبهم على نحو ما القينا اليك والمراد تحقيق ذلك والاستشهاد بما في الكتب
المتقدمة وان القرآن مصدق لما فيها او وصف اهل الكتاب بالرسوخ في العلم بصحة
ما انزل اليه او تهييج الرسول وزيادة تثبيته لا امكان وقوع الشك له ولذلك
قال عليه السلام لا اشك ولا اسأل وقيل الخطاب للنبي عليه الصلوة والسلام والمراد
امته او لكل من يسمع اي ان كنت ايها السامع في شك مما انزلنا على لسان نبينا
اليك وفيه تنبيه على ان من خالجته شبهة في الدين ينبغي ان يسارع الى حلها بالرجوع
الى اهل العلم لقد جاءك الحق من ربك واضحا انه لا مدخل للمرية فيه بالآيات القاطعة
فلا تكونن من الممترين بالتزلزل عما انت عليه من الجزم واليقين ولا تكونن من الذين
كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين ايضا من باب التهييج والتثبيت وقطع الاطماع
عنه كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ان الذين حقت عليهم ثبتت عليهم كلمة ربك
بانهم يموتون على الكفر او يخلدون في العذاب لا يؤمنون اذ لا يكذب كلامه
ولا ينتقض قضاؤه ولو جاءتهم كل آية فان السبب الاصلي لايمانهم وهو تعلق ارادة
الله تعالى به مفقود حتى يروا العذاب الاليم وحينئذ لا ينفعهم كما لم ينفع فرعون
فلولا كانت قرية آمنت فهلا كانت قرية من القرى التي اهلكناها آمنت قبل معاينة
العذاب ولم تؤخر اليها كما اخر فرعون فنفعها ايمانها بان يقبله الله منها ويكشف
العذاب عنها الا قوم يونس لكن قوم يونس لما آمنوا اول ما رأوا امارة العذاب
ولم يؤخروه الى حلوله كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ويجوز ان يكون الجملة
في معنى النفي لتضمن حرف التحضيض معناه فيكون الاستثناء متصلا لان المراد من
القرى اهاليها كانه قال ما آمن اهل قرية من القرى العاصية فنفعهم ايمانهم الا قوم
يونس ويؤيده قراءة الرفع في قوم على البدل ومتعناهم الى حين الى آجالهم روي
ان يونس عليه السلام بعث الى نينوى من الموصل فكذبوه واصروا عليه فوعدهم بالعذاب
الى ثلث وقيل الى اربعين فلما دنا الموعد اغامت السماء غيما اسود ذا دخان شديد

فهبط حتى غشي مدينتهم فهابوا فطلبوا يونس عليه السلام فلم يجدوه فايقنوا صدقه
فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم
وفرقوا بين كل والدة وولدها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج
واخلصوا التوبة واظهروا الايمان وتضرعوا الى الله تعالى فرحمهم وكشف عنهم
وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم بحيث لا يشذ منهم
احد جميعا مجتمعين على الايمان لا يختلفون فيه وفيه دليل على القدرية في انه تعالى
لم يشأ ايمانهم اجمعين وان من شاء ايمانه يؤمن لا محالة والتقييد بمشيئة الالجاء
خلاف الظاهر افانت تكره الناس بما لم يشأ الله تعالى منهم حتى يكونوا مؤمنين
وترتيب الاكراه على المشيئة بالفاء وايلاؤها حرف الاستفهام للانكار وتقديم الضمير
على الفعل للدلالة على ان خلاف المشيئة مستحيل فلا يمكن تحصيله بالاكراه عليه فضلا
على الحث والتحريض عليه اذ روي انه كان حريصا على ايمان قومه شديد الاهتمام
به فنزلت ولذلك قرره بقوله وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله تعالى
الا بارادته والطافه وتوفيقه فلا تجهد نفسك في هداها فانه الى الله تعالى
ويجعل الرجس العذاب او الخذلان فانه سببه وقرئ بالزاء وقرأ ابو بكر ونجعل
بالنون على الذين لا يعقلون لا يستعملون عقولهم بالنظر في الحجج والآيات او لا يعقلون
دلائله واحكامه لما على قلوبهم من الطبع ويؤيد الاول قوله قل انظروا تفكروا
ماذا في السموات والارض من عجائب صنعه ليدلكم على وحدته وكمال قدرته وماذا
ان جعلت استفهامية علقت انظروا عن العمل وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون
في علم الله تعالى وحكمه وما نافية او استفهامية في موضع النصب فهل ينتظرون
الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم مثل وقائعهم ونزول بأس الله تعالى بهم
اذ لا يستحقون غيره من قولهم ايام العرب لوقائعها قل فانتظروا اني معكم
من المنتظرين لذلك او فانتظروا هلاكي اني معكم من المنتظرين هلاككم ثم ننجي رسلنا
والذين آمنوا عطف على محذوف دل عليه الا مثل ايام الذين خلوا كانه قيل نهلك الامم

ثم ننجي رسلنا ومن آمن بهم على حكاية الحال الماضية كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين
كذلك الانجاء او انجاء كذلك ننجي محمدا صلى الله عليه وسلم وصحبه حين نهلك المشركين
وحقا علينا اعتراض ونصبه بفعله المقدر وقيل بدل من كذلك وقرأ حفص والكسائي
ننجي مخففا قل يا ايها الناس خطاب لاهل مكة ان كنتم في شك من ديني وصحته
فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذي يتوفيكم فهذا خلاصة
ديني اعتقادا وعملا فاعرضوها على العقل الصرف وانظروا فيها بعين الانصاف
لتعلموا صحتها وهو اني لا اعبد ما تخلقونه وتعبدونه ولكن اعبد خالقكم الذي
يوجدكم ويتوفيكم وانما خص التوفي بالذكر للتهديد وامرت ان اكون من المؤمنين
بما دل عليه العقل ونطق به الوحي وحذف الجار من ان يكون من المطرد مع ان وان يكون

ان يجوز

من غيرهم كقوله امرتك الخير فافعل ما امرت به وان اقم وجهك للدين عطف على ان
اكون غير ان صلة ان محكية بصيغة الامر ولا فرق بينهما في الغرض لان المقصود
وصلها بما يتضمن معنى المصدر ليدل معه عليه وصيغ الافعال كلها كذلك سواء الخبر
منها والطلب والمعنى وامرت بالاستقامة في الدين والاستبداد فيه باداء الفرائض
والانتهاء عن القبائح او في الصلوة باستقبال القبلة حنيفا حال من الدين
او الوجه ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك
بنفسه ان دعوته او خذلته فان فعلت فان دعوته فانك اذا من الظالمين
جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر عن تبعة الدعاء وان يمسسك الله بضر وان
يصبك به فلا كاشف له يرفعه الا هو الا الله وان يردك بخير فلا راد فلا
دافع لفضله الذي ارادك به ولعله ذكر الارادة مع الخير والمس مع الضر
مع تلازم الامرين للتنبيه على ان الخير مراد بالذات وان الضر انما مسهم لا بالقصد
الاول ووضع الفضل موضع الضمير للدلالة على انه متفضل بما يريد بهم من الخير
لا استحقاق لهم عليه ولم يستثن لان مراد الله تعالى لا يمكن رده يصيب به بالخير
من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم فتعرضوا لرحمته بالطاعة ولا تيأسوا

من غره انه بالمعصية قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم رسوله او القرآن
ولم يبق لكم عذر فمن اهتدى بالايمان والمتابعة فانما يهتدي لنفسه لان نفعه لها
ومن ضل بالكفر بهما فانما يضل عليها لان وبال الضلال عليها وما انا عليكم
بوكيل بحفيظ موكول الي امركم وانما انا بشير ونذير واتبع ما يوحى اليك بالامتثال
والتبليغ واصبر على دعوتهم وتحمل اذيتهم حتى يحكم الله بالنصرة او بالامر بالقتال
وهو خير الحاكمين اذ لا يمكن الخطاء في حكمه لاطلاعه على السرائر اطلاعه على
الظواهر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة يونس اعطي من الاجر عشر حسنات
بعدد من صدق يونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون

سورة هود عليه السلام مائة واحدى وعشرون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب مبتدأ وخبر او كتاب خبر مبتدأ محذوف
احكمت آياته نظمت نظما محكما لا يعتريه اختلال من جهة اللفظ والمعنى او منعت
من الفساد والنسخ فان المراد آيات السورة وليس فيها منسوخ او احكمت بالحجج
والدلائل او جعلت حكيمة منقول من حكم بالضم اذا صار حكيما لانها مشتملة على
امهات الحكم النظرية والعملية ثم فصلت بالفوائد من العقائد والاحكام والمواعظ
والاخبار او بجعلها سورا او بالانزال نجما نجما او فصل فيها ولخص ما يحتاج
اليه وقرئ ثم فصلت اي فرقت بين الحق والباطل واحكمت آياته ثم فصلت على البناء
للمتكلم وثم للتفاوت في الحكم او للتراخي في الاخبار من لدن حكيم خبير صفة
اخرى لكتاب او خبر بعد خبر او صلة لاحكمت او فصلت وهو تقرير لاحكامها
وتفصيلها على كمل ما ينبغي باعتبار ما ظهر امره وما خفي الا تعبدوا الا الله لان
لا تعبدوا وقيل ان مفسرة لان في تفصيل الآيات معنى القول ويجوز ان يكون
كلاما مبتدأ للاغراء على التوحيد او الامر بالتبري عن عبادة الغير كانه قيل
ترك عبادة غير الله بمعنى الزموه او اتركوها تركا انني لكم منه من الله نذير وبشير

بالعقاب على الشرك والثواب على التوحيد وان استغفروا ربكم عطف على ان لا تعبدوا
ثم توبوا اليه ثم توصلوا الى مطلوبكم بالتوبة فان المعرض عن طريق الحق لا بد له من رجوع
وقيل استغفروا من الشرك ثم توبوا الى الله بالطاعة ويجوز ان يكون ثم لتفاوت
ما بين الامرين يمتعكم متاعا حسنا يعيشكم في امن ودعة الى اجل مسمى هو آخر اعماركم
المقدرة او لا يهلككم بعذاب الاستيصال والارزاق والآجال وان كانت متعلقة
بالاعمال لكنها مسماة بالاضافة الى كل احد فلا تتغير ويؤت كل ذي فضل فضله
ويعط كل ذي فضل في دينه جزاء فضله في الدنيا والآخرة وهو وعد للموحد
التائب بخير الدارين وان تولوا وان تتولوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير
يوم القيمة وقيل يوم الشدائد وقد ابتلوا بالقحط حتى اكلوا الجيف وقرئ
وان تولوا من ولي الى الله مرجعكم رجوعكم في ذلك اليوم وهو شاذ عن القياس
وهو على كل شيء قدير فيقدر على تعذيبهم اشد عذاب وكانه تقرير لكبر اليوم
الا انهم يثنون صدورهم يثنونها عن الحق وينحرفون عنه او يعطفونها على الكفر وعداوة
النبي صلى الله عليه وسلم او يولون ظهورهم وقرئ يثنوني بالياء والتاء من اثنوني
وهو بناء المبالغة وتثنون واصله تثنونن من الثن وهو الكلاء الضعيف اراد به ضعف
قلوبهم او مطاوعة صدورهم للثني وتثنئن من اثنان كابياض بالهمزة وتثنوي
ليستخفوا منه من الله تعالى بسرهم فلا يطلع رسوله والمؤمنين عليها قيل انها
نزلت في طائفة من المشركين قالوا اذا ارخينا ستورنا واستغشينا ثيابنا وطوينا
صدورنا على عداوة محمد صلى الله عليه وسلم كيف يعلم وقيل نزلت في المنافقين وفيه
نظر اذ الاية مكية والنفاق حدث بالمدينة الا حين يستغشون ثيابهم الا حين
ياوون الى فراشهم ويتغطون ثيابهم يعلم ما يسرون في قلوبهم وما يعلنون بافواههم
يستوي في علمه تعالى سرهم وعلنهم فكيف يخفى عليه ما عسى يظهر وانه عليم بذات
الصدور بالاسرار ذوات الصدور او بالقلوب واحوالها وما من دابة في الارض
الا على الله رزقها غذاؤها ومعاشها لتكفله اياه تفضلا ورحمة وانما اتى بلفظ

الوجوب تحقيقا لوصوله وحملا على التوكل فيه ويعلم مستقرها ومستودعها اماكنها
في الحيوة والممات او الاصلاب والارحام او مساكنها من الارض حين وجدت بالفعل
ومودعها من المواد والمقار حين كانت بعد بالقوة كل كل واحد من الدواب
واحوالها في كتاب مبين مذكور في اللوح المحفوظ وكانه اريد بالاية بيان كونه
عالما بالمعلومات كلها وبما بعدها بيان كونه قادرا على الممكنات باسرها تقريرا
للتوحيد ولما سبق من الوعد والوعيد وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام
اي خلقهما وما فيهما كما مر بيانه في الاعراف او ما في جهتي العلو والسفل وجمع السموات
دون الارض لاختلاف العلويات بالاصل والذات دون السفليات وكان عرشه
على الماء قبل خلقهما لم يكن حائل بينهما لا انه كان موضوعا على متن الماء واستدل به على
امكان الخلاء وان الماء اول حادث بعد العرش من اجرام هذا العالم وقيل كان
الماء على متن الريح والله اعلم بذلك ليبلوكم ايكم احسن عملا متعلق بخلق اي خلق ذلك
كخلق من خلق ليعاملكم معاملة المبتلي لاحوالكم كيف تعملون فان جملة ذلك اسباب
ومواد لوجودكم ومعاشكم وما يحتاج اليه اعمالكم ودلائل وامارات تستدلون
بها وتستنبطون منها وانما جاز تعليق فعل البلوى لما فيه من معنى العلم من حيث انه طريق
اليه كالنظر والاستماع وانما ذكر صيغة التفضيل والاختبار الشامل لفرق المكلفين
باعتبار الحسن والقبح للتحريض على احاسن المحاسن والتحضيض على الترقي دائما
في مراتب العلم والعمل وان المراد بالعمل ما يعم عمل القلب والجوارح ولذلك قال
النبي صلى الله عليه وسلم ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله تعالى واسرع
في طاعة الله تعالى والمعنى ايكم اكمل علما وعملا ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد
الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين اي ما البعث او القول به او القرآن
المتضمن لذكره الا كالسحر في الخديعة او البطلان وقرأ حمزة والكسائي الا ساحر على
ان الاشارة الى القائل وقرئ انكم بالفتح على تضمن قلت معنى ذكرت او يكون ان
بمعنى عل اي ولئن قلت علكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم ولا تبتوا بانكاره

لعدم من قبيل ما لا حقيقة له مبالغة في انكاره ولئن اخرنا عنهم العذاب الموعود
الى امة معدودة الى جماعة من الاوقات قليلة ليقولن استهزاء ما يحبسه ما يمنعه
من الوقوع الا يوم يأتيهم كيوم بدر ليس مصروفا عنهم ليس العذاب مدفوعا عنهم
ويوم منصوب بخبر ليس مقدم عليه وهو دليل على جواز تقديم خبرها عليها وحاق
بهم واحاط بهم وضع الماضي موضع المستقبل تحقيقا ومبالغة في التهديد ما كانوا به
يستهزؤن اي العذاب الذي كانوا به يستعجلون فوضع يستهزؤن موضع يستعجلون
لان استعجالهم كان استهزاء ولئن اذقنا الانسان منا رحمة ولئن اعطيناه
نعمة بحيث يجد لذتها ثم نزعناها منه ثم سلبنا تلك النعمة منه انه ليؤس قطوع رجاؤه
من فضل الله تعالى لقلة صبره وعدم ثقته به كفور مبالغ في كفران ما سلف له من
النعمة ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته كصحة بعد سقم وغنى بعد عدم وفي
اختلاف الفعلين نكتة لا تخفى ليقولن ذهب السيئات عني اي المصائب التي ساءتني انه
لفرح بطر بالنعم مغتر بها فخور على الناس مشغول عن الشكر والقيام بحقها وفي لفظ
الاذاقة والمس تنبيه على ان ما يجده الانسان من النعم والمحن كالانموذج لما يجده في
الاخرة وانه يقع في الكفران والبطر بادنى شيء لان الذوق ادراك الطعم والمس مبدأ
الوصول الا الذين صبروا على الضراء ايمانا بالله واستسلاما لقضائه وعملوا الصالحات
شكرا لالائه سابقها ولاحقها اولئك لهم مغفرة لذنوبهم واجر كبير اقله الجنة والاستثناء
من الانسان لان المراد به الجنس فاذا كان محلى باللام افاد الاستغراق ومن حمله على الكافر
لسبق ذكرهم جعل الاستثناء منقطعا فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك تترك تبليغ
بعض ما يوحى اليك وهو ما يخالف رأي المشركين مخافة ردهم واستهزائهم ولا
يلزم من توقع الشيء لوجود ما يدعو اليه وقوعه لجواز ان يكون ما يصرف عنه وهو
عصمة الرسول عن الخيانة في الوحي والتقية في التبليغ مانعا وضائق به صدرك
وعارض لك احيانا ضيق صدرك بان تتلوه عليهم مخافة ان يقولوا لولا انزل عليه
كنز ينفقه في الاستتباع كالملوك او جاء معه ملك يصدقه وقيل الضمير في به مبهم

يفسره ان يقولوا انما انت نذير ليس عليك الا الانذار بما اوحي اليك ولا عليك
ردوا او اقترحوا فما بالك يضيق به صدرك والله على كل شيء وكيل فتوكل عليه
فانه عالم بحالهم وفاعل بهم جزاء اقوالهم وافعالهم ام يقولون افتراه ام منقطعة
والهاء لما يوحى قل فأتوا بعشر سور مثله في البيان وحسن النظم تحداهم اولا بعشر سور
ثم لما عجزوا عنها سهل الامر عليهم وتحداهم بسورة وتوحيد المثل باعتبار كل واحد
مفتريات مختلقات من عند انفسكم ان صح اني اختلقته من عند نفسي فانكم عرب
فصحاء مثلي تقدرون على مثل ما اقدر عليه بل انتم اقدر لتعلمكم القصص والاشعار
وتعودكم القريض والنظم وادعوا من استطعتم من دون الله الى المعاونة على
المعارضة ان كنتم صادقين انه مفترى فان لم يستجيبوا لكم باتيان ما دعوتم
اليه وجمع الضمير اما لتعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم او لان المؤمنين ايضا كانوا
يتحدونهم وكان امر الرسول شاملا لهم من حيث انه يجب اتباعه عليهم في كل امر
الا ما خصه الدليل وللتنبيه على ان التحدي مما يوجب رسوخ ايمانهم وقوة
يقينهم فلا يغفلون عنه ولذلك رتب عليه قوله فاعلموا انما انزل بعلم الله ملتبسا
بما لا يعلمه الا الله ولا يقدر عليه سواه وان لا اله الا هو واعلموا ان لا اله الا الله
لانه العالم القادر بما لا يعلم ولا يقدر عليه غيره ولظهور عجز آلهتهم ولتنصيص
هذا الكلام الثابت صدقه باعجازهم عليه وفيه تهديد واقناط من ان يجيرهم
من بأس الله آلهتهم فهل انتم مسلمون ثابتون على الاسلام راسخون فيه مخلصون
اذا تحقق عندكم اعجازه مطلقا ويجوز ان يكون خطابا للمشركين والضمير في لم يستجيبوا
لمن استطعتم اي فان لم يستجيبوا لكم الى المظاهرة لعجزهم وقد عرفتم من انفسكم
القصور عن المعارضة فاعلموا انه نظم لا يعلمه الا الله تعالى وانه منزل من عنده
وان ما دعاكم اليه من التوحيد حق فهل انتم داخلون في الاسلام بعد قيام الحجة
القاطعة وفي مثل هذا الاستفهام ايجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبيه
على قيام الموجب وزوال العذر من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها باحسانه

ونرع نوف اليهم اعمالهم فيها نوصل اليهم جزاء اعمالهم في الدنيا من الصحة والرياسة
وسعة الرزق وكثرة الاولاد وقرئ يوف بالياء اي يوف الله تعالى ويوف
على البناء للمفعول ونوفي بالتخفيف والرفع لان الشرط ماض كقوله وان اتاه كريم
يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم وهم فيها لا يبخسون لا ينقصون شيئا
من اجورهم والاية في اهل الرياء وقيل في المنافقين وقيل في الكفرة وبرهم
اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار مطلقا في مقابلة ما عملوا لانهم
استوفوا ما يقتضيه صور اعمالهم الحسنة وبقيت لهم اوزار العزائم السيئة وحبط
ما صنعوا فيها لانه لم يبق له ثواب في الآخرة او لم يكن لانهم لم يريدوا به وجه الله
والعمدة في اقتضاء ثوابها هو الاخلاص ويجوز تعليق الظرف بصنعوا على ان الضمير
للدنيا وباطل في نفسه ما كانوا يعملون لانه لم يعمل على ما ينبغي وكان كل واحدة
من الجملتين علة لما قبلها وقرئ باطلا على انه مفعول يعملون وما ابهامية او في
معنى المصدر كقوله ولا خارجا من في زور كلام وبطل على الفعل افمن كان على
بينة من ربه برهان من الله يدله على الحق والصواب فيما ياتيه ويذره والهمزة لانكار
ان يعقب من هذا شانه هؤلاء المقصرين هممهم وافكارهم على الدنيا وان يقارب
بينهم في المنزلة وهو الذي اغنى عن ذكر الخبر وتقديره افمن كان على بينة كمن يريد
الحيوة الدنيا وهو حكم يعم كل مؤمن مخلص وقيل المراد به النبي صلى الله عليه وسلم
وقيل مؤمنو اهل الكتاب ويتلوه ويتبع ذلك البرهان الذي هو دليل العقل
شاهد منه شاهد من الله يشهد بصحته وهو القران ومن قبله ومن قبل القران
كتاب موسى يعني التورية فانها ايضا تتلوه في التصديق وقيل البينة هو القران
ويتلوه من التلاوة والشاهد جبرئيل او لسان الرسول على ان الضمير له او من التلو
والشاهد ملك يحفظه والضمير في يتلوه اما لمن او للبينة باعتبار المعنى ومن قبله
كتاب موسى جملة مبتداة وقرئ كتاب بالنصب عطفا على الضمير في يتلوه اي يتلو
القران شاهد ممن كان على بينة دالة على انه حق كقوله وشهد شاهد من بني

اسرائيل ويقرأ من قبل القران التورية اماما كتابا مؤتما به في الدين ورحمة على
المنزل عليهم لانه الوصلة الى الفوز بخير الدارين اولئك اشارة الى من كان على بينة
يؤمنون به بالقران ومن يكفر به من الاحزاب من اهل مكة ومن تحزب معهم على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فالنار موعده يردها لا محالة فلا تك في مرية منه من الموعد
او القران وقرئ مرية بالضم وهما الشك انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون
لقلة نظرهم واختلال فكرهم ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا كان اسند اليه ما لم
ينزله او نفى عنه ما نزله اولئك يعرضون على ربهم في الموقف بان يحبسوا وتعرض اعمالهم
ويقول الاشهاد من الملائكة والنبيين او من جوارحهم وهو جمع شاهد كاصحاب
او شهيد كاشراف هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين تهويل
عظيم مما يحيق بهم حينئذ لظلمهم بالكذب على الله تعالى الذين يصدون عن سبيل الله
عن دينه ويبغونها عوجا ويصفونها بالانحراف عن الحق والصواب او يبغون
اهلها ان يعوجوا بالردة وهم بالآخرة هم كافرون والحال انهم كافرون بالآخرة
وتكرير هم لتاكيد كفرهم واختصاصهم به اولئك لم يكونوا معجزين في الارض اي ما
كانوا معجزين الله تعالى في الدنيا ان يعاقبهم وما كان لهم من دون الله من
اولياء يمنعونهم من العقاب ولكنه اخر عقابهم الى هذا اليوم ليكون اشد وادوم
يضاعف لهم العذاب استيناف وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعف بالتشديد
ما كانوا يستطيعون السمع لتصامهم عن الحق وبغضهم له وما كانوا يبصرون
لتعاميهم عن آيات الله وكانه العلة لمضاعفة العذاب وقيل هو بيان ما نفاه
من ولاية الالهة بقوله وما كان لهم من دون الله من اولياء فان ما لا يسمع ولا يبصر
لا يصلح للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض اولئك الذين خسروا انفسهم
باشتراء عبادة الالهة بعبادة الله تعالى وضل عنهم ما كانوا يفترون من الالهة
وشفاعتها او خسروا بما بدلوا وضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة
والندامة لا جرم انهم في الآخرة هم الاخسرون لا احد ابين واكثر خسرانا منهم

ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم اطمأنوا اليه وخشعوا له من الخبت
وهي الارض المطمئنة اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون مثل الفريقين الكافر
والمؤمن كالاعمى والاصم والبصير والسميع يجوز ان يراد به تشبيه الكافر بالاعمى لتعاميه
عن آيات الله وبالاصم لتصامه عن استماع كلام الله تعالى وتابيه عن تدبر معانيه
وتشبيه المؤمن بالسميع والبصير لان امره بالضد فيكون كل منهما مشبها باثنين باعتبار
وصفين او تشبيه الكافر بالجامع بين العمى والصمم والمؤمن بالجامع بين ضديهما والعاطف
لعطف الصفة على الصفة كقوله الصابح فالغانم فالآيب وهذا من باب اللف والطباق
هل يستويان هل يستوي الفريقان مثلا اي تمثيلا او صفة او حالا افلا تذكرون بضرب
الامثال والتفكر فيها ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم باني لكم وقرأ نافع وعاصم
وابن عامر وحمزة بالكسر على ارادة القول نذير مبين ابين لكم موجبات العذاب ووجه
الخلاص ان لا تعبدوا الا الله بدل من اني لكم او مفعول مبين ويجوز ان تكون ان
مفسرة متعلقة بارسلنا او بنذير اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم مؤلم وهو في الحقيقة
صفة المعذب لكن يوصف به العذاب وزمانه على طريقة جد جده ونهاره صائم للمبالغة
فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا لا مزية لك علينا تخصك بالنبوة
ووجوب الطاعة وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا اخساؤنا جمع ارذل
فانه بالغلبة صار مثل الاسم كالاكبر او ارذل جمع رذل بادي الرأي ظاهر الرأي من غير
تعمق من البدو او اول الرأي من البدء والياء مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها وقرأ ابو عمرو
بالهمزة وانتصابه بالظرف على حذف المضاف اي وقت حدوث بادي الرأي والعامل فيه
اتبعك وانما استرذلوهم لذلك او لفقرهم فانهم لما لم يعلموا الا ظاهرا من الحيوة الدنيا
كان الاحظ بها اشرف عندهم والمحروم منها ارذل وما نرى لكم لك ولمتبعيك علينا
من فضل يؤهلكم للنبوة واستحقاق المتابعة بل نظنكم كاذبين اياك في دعوى النبوة
واياهم في دعوى العلم بصدقك فغلب المخاطب على الغائبين قال يا قوم ارأيتم اخبروني
ان كنت على بينة من ربي حجة شاهدة بصحة دعواي وآتاني رحمة من عنده بايتاء البينة

او النبوة

او النبوة فعميت عليكم فخفيت عليكم فلم تهدكم وتوحيد الضمير لان البينة في نفسها
هي الرحمة او لان خفاءها يوجب خفاء النبوة او على تقدير فعميت بعد البينة وحذفها
للاختصار او لانه لكل واحدة منهما وقرأ حمزة والكسائي وحفص فعميت اي اخفيت
وروي فعماها على ان الفعل لله تعالى انلزمكموها انكرهكم على الاهتداء بها
وانتم لها كارهون لا تختارونها ولا تتأملون فيها وحيث اجتمع ضميران وليس
احدهما مرفوعا وقدم الاعرف منهما جاز في الثاني الفصل والوصل ويا قوم
لا اسألكم عليه على التبليغ وهو وان لم يذكر فمعلوم مما ذكر مالا جعلا ان
اجري الا على الله فانه المأمول منه وما انا بطارد الذين آمنوا جواب لهم
حين سألوا طردهم انهم ملاقوا ربهم فيخاصمون طاردهم عنده او انهم
يلاقونه ويفوزون بقربه فكيف اطردهم ولكني اريكم قوما تجهلون بلقاء ربكم
او باقدارهم او في التماس طردهم او تتسفهون عليهم بان تدعوهم اراذل ويا قوم
من ينصرني من الله بدفع انتقامه ان طردتهم وهم بتلك الصفة والمثابة افلا تذكرون
لتعرفوا ان التماس طردهم وتوقيف الايمان عليه ليس بصواب ولا اقول لكم عندي
خزائن الله رزقه وامواله حتى جحدتم فضلي ولا اعلم الغيب عطف على عندي خزائن
الله اي ولا اقول لكم انا اعلم الغيب حتى تكذبوني استبعادا او حتى اعلم ان هؤلاء
اتبعوني بادي الرأي من غير بصيرة وعقد قلب وعلى الثاني يجوز عطفه على اقول
ولا اقول اني ملك حتى تقولوا ما انت الا بشر مثلنا ولا اقول للذين تزدري اعينكم
ولا اقول في شان من استرذلتموهم لفقرهم لن يؤتيهم الله خيرا فان ما اعد الله لهم
في الآخرة خير مما آتاكم في الدنيا الله اعلم بما في انفسهم اني اذا لمن الظالمين ان قلت
شيئا من ذلك والازدراء افتعال من زرى عليه اذا عابه قلبت تاؤه دالا لتجانس
الراء في الجهر واسناده الى الاعين للمبالغة والتنبيه على انهم استرذلوهم بادي
الرؤية من غير روية وبما عاينوا من رثاثة حالهم وقلة منالهم دون تأمل في
معانيهم وكمالاتهم قالوا يا نوح قد جادلتنا خاصمتنا فاكثرت جدالنا

فاطلته او اتيت بانواعه فاتنا بما تعدنا من العذاب ان كنت من الصادقين في الدعوى
والوعيد فان مناظرتك لا تؤثر فينا قال انما ياتيكم به الله ان شاء عاجلا او آجلا
وما انتم بمعجزين بدفع العذاب والهرب عنه ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم
شرط ودليل جواب والجملة دليل جواب قوله ان كان الله يريد ان يغويكم وتقدير
الكلام ان كان الله يريد ان يغويكم فان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحي ولذلك
نقول لو قال الرجل انت طالق ان دخلت الدار ان كلمت زيدا فدخلت ثم كلمت لم تطلق
وهو جواب لما اوهموا من ان جداله كلام بلا طائل وهو دليل على ان ارادة الله تعالى
يصح تعلقها بالاغواء وان خلاف مراده محال وقيل ان يغويكم ان يهلككم من
غوى الفصيل غوى اذا بشم فهلك هو ربكم خالقكم والمتصرف فيكم وفق ارادته
واليه ترجعون فيجازيكم على اعمالكم ام يقولون افتراه قل ان افتريته فعلي اجرامي
وقرئ اجرامي على الجمع وانا بريء مما تجرمون من اجرامكم في اسناد الافتراء الي
واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا
يفعلون اقنطه الله تعالى من ايمانهم ونهاه ان يغتم بما فعلوه من التكذيب
والايذاء واصنع الفلك باعيننا ملتبسا باعيننا عبر بكثرة آلة الحس الذي يحفظ به
الشيء ويراعى عن الاختلال والزيغ عن المبالغة في الحفظ والرعاية على طريق التمثيل
ووحينا اليك كيف تصنعها ولا تخاطبني في الذين ظلموا ولا تراجعني فيهم ولا تدعني
باستدفاع العذاب عنهم انهم مغرقون محكوم عليهم بالاغراق فلا سبيل الى كفه
ويصنع الفلك حكاية حال ماضية وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه استهزؤوا به لعمله
السفينة فانه كان يعملها في برية بعيدة من الماء اوان عزته وكانوا يضحكون منه
ويقولون صرت نجارا بعد ما كنت نبيا قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم
كما تسخرون اذا اخذكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة وقيل المراد بالسخرية
الاستجهال فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه يعني به اياهم وبالعذاب الغرق
ويحل عليه وينزل او يحل عليه حلول الدين الذي لا انفكاك عنه عذاب مقيم

دائم وهو عذاب النار حتى اذا جاء امرنا غاية لقوله ويصنع الفلك وما بينهما حال
من الضمير فيه او حتى هي التي يبتدأ بعدها الكلام وفار التنور نبع الماء فيه وارتفع
كالقدر تفور والتنور تنور الخبز ابتدأ منه النبوع على خرق العادة وكان في الكوفة
في موضع مسجدها او في الهند او بعين وردة من ارض الجزيرة وقيل التنور وجه
الارض او اشرف موضع فيها قلنا احمل فيها في السفينة من كل نوع من الحيوانات
المنتفع بها زوجين اثنين ذكرا وانثى هذا على قراءة حفص والباقون اضافوا على
احمل اثنين من كل زوجين اي من كل صنف ذكر وصنف انثى واهلك عطف على زوجين
او اثنين والمراد امرأته وبنوه ونساؤهم الا من سبق عليه القول بانه من المغرقين
يريد ابنه كنعان وامه واعلة فانهما كانا كافرين ومن آمن والمؤمنين من غيرهم
وما آمن معه الا قليل قيل كانوا تسعة وسبعين زوجته المسلمة وبنوه الثلاثة حام
وسام ويافث ونساؤهم واثنان وسبعون رجلا وامرأة من غيرهم روي ان نوحا
عليه السلام اتخذ السفينة في سنتين من الساج وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها
خمسين وسمكها ثلثين وجعل لها ثلثة بطون فحمل في اسفلها الدواب والوحوش
وفي اوسطها الانس وفي اعلاها الطير وقال اركبوا فيها اي صيروا فيها وجعل
ذلك ركوبا لانها في الماء كالمركوب في الارض بسم الله مجراها ومرسيها متصل
باركبوا حال من الواو اي اركبوا فيها مسمين الله تعالى او قائلين بسم الله وقت
اجرائها وارسائها او مكانهما على ان المجرى والمرسى للوقت او المكان او المصدر
والمضاف محذوف كقولهم اتيتك خفوق النجم وانتصابهما بما قدرناه حالا ويجوز
رفعهما ببسم الله على ان المراد بهما المصدر او جملة من مبتدأ وخبر اي اجراؤها بسم الله
على ان بسم الله خبر او صلة والخبر محذوف وهي اما جملة مقتضبة لا تعلق لها بما
قبلها او حال مقدرة من الواو او الهاء وروي انه كان اذا اراد ان تجري قال بسم الله
فجرت واذا اراد ان ترسو قال بسم الله فرست ويجوز ان يكون الاسم مقحما
كقوله ثم اسم السلام عليكما وقرأ حمزة والكسائي وعاصم برواية حفص مجراها

بالفتح من جرى وقرئ مرساها ايضا من رسا وكلاهما يحتمل الثلاثة ومجريها ومرسيها
بلفظ الفاعل صفتين لله تعالى ان ربي لغفور رحيم اي لولا مغفرته لفرطاتكم ورحمته
اياكم لما نجاكم وهي تجري بهم متصل بمحذوف دل عليه اركبوا اي فركبوا مسمين وهي تجري
وهم فيها في موج كالجبال في موج من الطوفان وهو ما يرتفع من الماء عند اضطرابه
كل موجة منها كجبل في تراكمها وارتفاعها وما قيل من ان الماء طبق ما بين السماء والارض
وكانت السفينة تجري في جوفه ليس بثابت والمشهور انه علا شوامخ الجبال خمسة عشر
ذراعا وان صح فلعل ذلك قبل التطبيق ونادى نوح ابنه كنعان وقرئ ابنها
وابنه بحذف الالف على ان الضمير لامرأته وكان ربيبه وقيل كان لغير رشدة لقوله تعالى
فخانتاهما وهو خطاء اذ الانبياء عليهم السلام عصمت من ذلك والمراد بالخيانة الخيانة
في الدين وقرئ ابناه على الندبة ولكونها حكاية سوغ حذف الحرف وكان في معزل
عزل فيه نفسه عن ابيه او عن دينه مفعل للمكان من عزله عنه اذا ابعده يا بني اركب
معنا اركب في السفينة والجمهور كسروا الياء ليدل على ياء الاضافة المحذوفة
في جميع القرآن غير ابن كثير فانه وقف عليها في لقمان في الموضع الاول باتفاق الرواة
وفي الثالث في رواية قنبل وعاصم فانه فتح ههنا اقتصارا على الفتح من الالف
المبدلة من ياء الاضافة واختلفت الرواية عنه في سائر المواضع وقد ادغم الباء
في الميم ابو عمرو والكسائي وحفص لتقاربهما ولا تكن مع الكافرين في الدين والاعتزال
قال سآوي الى جبل يعصمني من الماء ان يغرقني قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم
الا الراحم وهو الله تعالى او الا مكان من رحمهم الله وهم المؤمنون رد بذلك ان يكون
اليوم معتصم من جبل ونحوه يعصم اللائذ به الا معتصم المؤمنين وهو السفينة وقيل
لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة كقوله في عيشة راضية وقيل الاستثناء منقطع اي لكن من رحمه
الله يعصمه وحال بينهما الموج بين نوح وابنه او بين الجبل وابنه فكان من المغرقين
فصار من المهلكين بالماء وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي نوديا بما ينادى به
اولو العلم وامرا بما يؤمر به تمثيلا لكمال قدرته وانقيادهما لما يشاء تكوينه فيهما

بالامر المطاع الذي يأمر المنقاد لحكمه المبادر الى امتثال امره مهابة من عظمته
وخشية من اليم عقابه والبلع النشف والاقلاع الامساك وغيض الماء نقص
وقضي الامر وانجز ما وعد من اهلاك الكافرين وانجاء المؤمنين واستوت واستقرت
السفينة على الجودي جبل بالموصل وقيل بالشام وقيل بآمل روي انه ركب السفينة
عاشر رجب ونزل عنها عاشر المحرم فصام ذلك اليوم فصار سنة وقيل بعدا للقوم
الظالمين هلاكا لهم يقال بعد بعدا وبعدا اذا بعد بعدا بعيدا بحيث لا يرجى عوده
ثم استعير للهلاك وخص بدعاء السوء والآية في غاية الفصاحة لفخامة لفظها
وحسن نظمها والدلالة على كنه الحال مع الايجاز الخالي عن الاخلال وايراد
الاخبار على البناء للمفعول دلالة على تعظيم الفاعل وانه متعين في نفسه مستغن
عن ذكره اذ لا يذهب الوهم الى غيره للعلم بان مثل هذه الافعال لا يقدر عليه
سوى الواحد القهار ونادى نوح ربه واراد نداءه بدليل عطف قوله فقال رب
ان ابني من اهلي فانه النداء وان وعدك الحق وان كل وعد تعده حق لا يتطرق
اليه الخلف وقد وعدت ان تنجي اهلي فما حاله او فما له لم ينج ويجوز ان يكون هذا
النداء قبل غرقه وانت احكم الحاكمين لانك اعلمهم واعدلهم او لانك اكثر حكمة من
ذوي الحكم على ان الحاكم من الحكمة كالدارع من الدرع قال يا نوح انه ليس من
اهلك لقطع الولاية بين المؤمن والكافر واشار اليه بقوله انه عمل غير صالح فانه
تعليل لنفي كونه من اهله واصله انه ذو عمل فاسد فجعل ذاته ذات العمل للمبالغة
كقول الخنساء تصف ناقة ترتع شعر ما رتعت حتى اذا ذكرت ۞
فانما هي اقبال وادبار ۞ ثم بدل الفاسد بغير صالح تصريحا بالمناقضة بين
وصفيهما وانتفاء ما اوجب النجاة لمن نجا من اهله عنه وقرأ الكسائي ويعقوب
انه عمل غير صالح اي عمل عملا غير صالح فلا تسألني ما ليس لك به علم ما لم تعلم اصواب هو
ام ليس كذلك وانما سمي نداءه سؤالا لتضمن ذكر الوعد بنجاة اهله استنجازه في
شان ولده او استفسار المانع للانجاز في حقه وانما سماه جهلا وزجر عنه

بقوله اني اعظك ان تكون من الجاهلين لان استثناء من سبق عليه القول من اهله قد دله
على الحال واغناه عن السؤال لكن اشغله حب الولد عنه حتى اشتبه الامر عليه وقرأ ابن كثير
بفتح اللام والنون المشددة وكذا نافع وابن عامر غير انهما كسرا النون على ان اصله
تسألني فحذفت نون الوقاية لاجتماع النونات وكسرت الشديدة للياء ثم حذفت
اكتفاء بالكسرة وعن نافع اثباتها في الوصل برواية ورش قال رب اني اعوذ بك
ان اسألك فيما يستقبل ما ليس لي به علم ما لا علم لي بصحته والا تغفر لي وان لم تغفر لي
ما فرط مني من السؤال وترحمني بالتوبة والتفضل علي اكن من الخاسرين اعمالا قيل يا نوح
اهبط بسلام منا انزل من السفينة مسلما من المكاره من جهتنا او مسلما عليك وبركات
عليك ومباركا عليك او زيادات في نسلك حتى يصير آدما ثانيا وقرئ اهبط
بالضم وبركة على التوحيد وهي الخير النامي وعلى امم ممن معك وعلى امم هم الذين
معك سموا امما لتحزبهم او لتشعب الامم منهم او وعلى امم ناشئة ممن معك والمراد بهم
المؤمنون لقوله وامم سنمتعهم اي وممن معك امم سنمتعهم في الدنيا ثم يمسهم منا
عذاب اليم في الآخرة والمراد بهم الكفار من ذرية من معه وقيل هم قوم هود وصالح
ولوط وشعيب والعذاب ما نزل بهم تلك اشارة الى قصة نوح ومحلها الرفع
بالابتداء وخبرها من انباء الغيب اي بعضها نوحيها اليك خبران والضمير لها اي
موحاة اليك او حال من الانباء او هي الخبر ومن انباء متعلق به او حال من الهاء ما كنت
تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا خبر آخر اي مجهولة عندك وعند قومك من قبل
ايحائنا اليك او حال من الهاء في نوحيها او الكاف في اليك اي جاهلا انت وقومك
بها وفي ذكرهم تنبيه على انه لم يتعلمه اذ لم يخالط غيرهم وانهم مع كثرتهم لما لم يسمعوه
فكيف بواحد منهم فاصبر على مشاق الرسالة واذية القوم كما صبر نوح عليه السلام
ان العاقبة في الدنيا بالظفر وفي الآخرة بالفوز للمتقين عن الشرك والمعاصي والى
عاد اخاهم هودا عطف على قوله نوحا الى قومه وهودا عطف بيان قال يا قوم
اعبدوا الله وحده ما لكم من اله غيره وقرئ بالجر حملا على المجرور وحده ان انتم الا مفترون

على الله تعالى باتخاذ الاوثان شركاء وجعلها شفعاء يا قوم لا اسألكم عليه اجرا
ان اجري الا على الذي فطرني خاطب كل رسول به قومه ازاحة للتهمة وتمحيضا
للنصيحة فانها لا تنجع ما دامت مشوبة بالمطامع افلا تعقلون افلا تستعملون
عقولكم فتعرفوا المحق من المبطل والصواب من الخطأ ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه
اطلبوا مغفرة الله تعالى بالايمان ثم توسلوا اليها بالتوبة وايضا التبري عن الغير
انما يكون بعد الايمان بالله تعالى والرغبة فيما عنده يرسل السماء عليكم مدرارا كثير
الدر ويزدكم قوة الى قوتكم ويضاعف قوتكم وانما رغبهم بكثرة المطر وزيادة
القوة لانهم كانوا اصحاب زروع وعمارات وقيل حبس الله عنهم القطر واعقم ارحام
نسائهم ثلثين سنة فوعدهم هود عليه السلام على الايمان والتوبة بكثرة الامطار وتضاعف
القوة بالتناسل ولا تتولوا ولا تعرضوا عما ادعوكم اليه مجرمين مصرين على اجرامكم
قالوا يا هود ما جئتنا ببينة بحجة تدل على صحة دعواك وهو لفرط عنادهم وعدم
اعتدادهم بما جاءهم من المعجزات وما نحن بتاركي آلهتنا بتاركي عبادتهم عن قولك
صادرين عن قولك حال من الضمير في تاركي وما نحن لك بمؤمنين اقناط له من الاجابة
والتصديق ان نقول الا اعتراك ما نقول الا قولنا اعتراك اي اصابك من عراه يعروه
اذا اصابه بعض آلهتنا بسوء بجنون لسبك اياها وصدك عنها ومن ذلك تهذي
وتتكلم بالخرافات والجملة مقول القول والا لغو لان الاستثناء مفرغ قال اني اشهد الله
واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اجاب به عن
مقالتهم الحمقاء بان اشهد الله تعالى على براءته من آلهتهم وفراغه عن اضرارهم تأكيدا لذلك
وتثبيتا له وامرهم بان يشهدوا عليه استهانة بهم وان يجتمعوا على الكيد في اهلاكه من غير
انظار حتى اذا اجتهدوا فيه وراوا انهم عجزوا عن آخرهم وهم الاقوياء الاشداء
ان يضروه لم يبق لهم شبهة ان آلهتهم التي هي جماد لا يضر ولا ينفع لا تتمكن من اضراره انتقاما
منه وهذا من جملة معجزاته فان مواجهة الجم الغفير من الجبابرة الفتاك العطاش الى
اراقة دمه بهذا الكلام ليس الا لثقته بالله تعالى وتثبطهم عن اضراره ليس الا لعصمته

اياه ولذلك عقبه بقوله اني توكلت على الله ربي وربكم تقريرا له والمعنى انكم وان
بذلتم غاية وسعكم لم تضروني فاني متوكل على الله تعالى وواثق بكلاءته وهو مالكي
ومالككم لا يحيق بي ما لم يرده ولا تقدرون على ما لم يقدره ثم برهن عليه بقوله
ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها الا وهو مالك لها قادر عليها يصرفها على ما
يريد بها والاخذ بالنواصي تمثيل لذلك ان ربي على صراط مستقيم اي انه على
الحق والعدل لا يضيع عنده معتصم ولا يفوته ظالم فان تولوا فان تتولوا فقد
ابلغتكم ما ارسلت به اليكم فقد اديت ما علي من الابلاغ والزام الحجة فلا تفريط
مني ولا عذر لكم فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم ويستخلف ربي قوما غيركم
استئناف بالوعيد لهم بان الله تعالى يهلكهم ويستخلف قوما آخرين في ديارهم
واموالهم او عطف على الجواب بالفاء ويؤيده القراءة بالجزم على الموضع كانه قيل
وان تتولوا يعذرني ويستخلف ولا تضرونه بتوليكم شيئا من الضرر ومن جزم
يستخلف اسقط النون منه ان ربي على كل شيء حفيظ رقيب فلا تخفى عليه
اعمالكم ولا يغفل مجازاتكم او حافظ مستول عليه فلا يمكن ان يضره شيء ولما جاء
امرنا عذابنا او امرنا بالعذاب نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا وكانوا
اربعة آلاف ونجيناهم من عذاب غليظ تكرير لبيان ما نجاهم عنه وهو السموم
كانت تدخل في انوف الكفرة وتخرج من ادبارهم فتقطع اعضاءهم او المراد به
تنجيتهم من عذاب الآخرة ايضا والتعريض بان المهلكين كما عذبوا في الدنيا بالسموم
فهم يعذبون في الآخرة بالعذاب الغليظ وتلك عاد انث اسم الاشارة باعتبار
القبيلة او لان الاشارة الى قبورهم وآثارهم جحدوا بآيات ربهم كفروا بها
وعصوا رسله لانهم عصوا رسولهم ومن عصى رسولا فكانما عصى الكل لانهم امروا
بطاعة كل رسول واتبعوا امر كل جبار عنيد يعني كبراءهم الطاغين وعنيد من
عند عندا وعندا وعنودا اذا طغى والمعنى عصوا من دعاهم الى الايمان وما ينجيهم
واطاعوا من دعاهم الى الكفر وما يرديهم واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة

اي جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبهم في العذاب الا ان عادا كفروا ربهم
جحدوه او كفروا نعمه او كفروا به فحذف الجار الا بعدا لعاد دعاء عليهم بالهلاك
والمراد به الدلالة على انهم كانوا مستوجبين لما نزل عليهم بسبب ما حكى عنهم وانما كرر
الا واعاد ذكرهم تفظيعا لامرهم وحثا على الاعتبار بحالهم قوم هود عطف بيان
لعاد وفائدته تمييزهم عن عاد الثانية عاد ارم والايماء الى ان استحقاقهم
للبعد بما جرى بينهم وبين هود والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم
من اله غيره هو انشأكم من الارض هو كونكم منها لا غيره فانه خلق آدم ومواد النطف
التي خلق نسله منها من التراب واستعمركم فيها عمركم فيها واستبقاكم من العمر او اقدركم
على عمارتها وامركم بها وقيل هو من العمرى بمعنى اعمركم فيها دياركم ويرثها منكم بعد
انصرام اعماركم او جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لغيركم
فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب قريب الرحمة مجيب لداعيه قالوا يا صالح
قد كنت فينا مرجوا قبل هذا لما نرى فيك من مخائل الرشد والسداد ان يكون لنا
سيدا ومستشارا في الامور وان توافقنا في الدين فلما سمعنا هذا القول منك
انقطع رجاؤنا عنك اتنهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا على حكاية الحال الماضية
واننا لفي شك مما تدعونا اليه من التوحيد والتبري عن الاوثان مريب موقع في
الريبة من ارابه او ذي ريبة على الاسناد المجازي من اراب في الامر قال يا قوم
ارأيتم ان كنت على بينة من ربي بيان وبصيرة وحرف الشك باعتبار المخاطبين
وآتاني منه رحمة نبوة فمن ينصرني من الله فمن يمنعني من عذابه ان عصيته في تبليغ
رسالته والمنع عن الاشراك به فما تزيدونني اذا باستتباعكم اياي غير تخسير
غير ان تخسروني بابطال ما منحني الله تعالى به والتعرض لعذابه او فما تزيدونني
بما تقولون لي غير ان انسبكم الى الخسران ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية انتصب
آية على الحال وعاملها معنى الاشارة ولكم حال منها تقدمت عليها لتنكيرها فذروها
تأكل في ارض الله ترع نباتها وتشرب ماءها ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب

عاجل لا يتراخى عن مسكم لها بسوء الا يسيرا وهو ثلثة ايام فعقروها فقال تمتعوا فى
داركم عيشوا فى منازلكم او فى داركم الدنيا ثلثة ايام الاربعاء والخميس والجمعة
ثم تهلكون ذلك وعد غير مكذوب اى غير مكذوب فيه فاتسع فيه باجرائه مجرى
المفعول به كقوله ويوما شهدناه سليما وعامرا او غير مكذوب على المجاز وكان الواعد
قال له انى بك فان وفى به صدقه والا كذبه على انه مصدر كالمجلود والمعقول
فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزى يومئذ اى
ونجيناهم من خزى يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة او ذلهم وفضيحتهم يوم القيمة
وعن نافع والكسائى يومئذ بالفتح على اكتساب المضاف البناء من المضاف اليه هنا
وفى المعارج فى قوله من عذاب يومئذ ان ربك هو القوى العزيز القادر
على كل شىء والغالب عليه واخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا فى ديارهم جاثمين
قد سبق تفسير ذلك فى سورة الاعراف كان لم يغنوا فيها الا ان ثمودا كفروا ربهم نونه
ابو بكر هنا وفى النجم والكسائى فى جميع القرآن وابن كثير ونافع وابن عامر وابو عمرو فى قوله
الا بعدا لثمود ذهابا الى الحى او الاب الاكبر ولقد جاءت رسلنا ابراهيم يعنى الملائكة
قيل كانوا تسعة وقيل ثلثة جبرائيل وميكائيل واسرافيل عليهم السلام بالبشرى ببشارة
الولد وقيل بهلاك قوم لوط قالوا سلاما سلمنا عليك سلاما ويجوز نصبه بقالوا على
معنى ذكروا سلاما قال سلام اى امركم او جوابى سلام او وعليكم سلام رفعه اجابة
باحسن من تحيتهم وقرا حمزة والكسائى سلم وكذلك فى الذاريات وهما لغتان كحرم وحرام
وقيل المراد به الصلح فما لبث ان جاء بعجل حنيذ فما ابطا مجيئه به او فما ابطا فى
المجىء به او فما تاخر عنه والجار مقدر او محذوف والحنيذ المشوى بالرضف وقيل
الذى يقطر ودكه من حنذت الفرس اذا عرقته بالجلال لقوله بعجل سمين فلما راى
ايديهم لا تصل اليه لا يمدون اليه ايديهم نكرهم واوجس منهم خيفة انكر ذلك منهم
وخاف ان يريدوا به مكروها ونكر وانكر واستنكر بمعنى والايجاس الادراك وقيل
الاضمار قالوا له لما احسوا منه اثر الخوف لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط انا ملائكة

مرسلة اليهم بالعذاب وانما لم يمد اليه ايدينا لانا لا ناكل وامراته قائمة
وراء الستر تسمع محاورتهم او على رؤسهم للخدمة فضحكت سرورا بزوال الخيفة
او بهلاك اهل الفساد او باصابة رايها فانها كانت تقول لابراهيم اضمم اليك
لوطا فانى اعلم ان العذاب ينزل بهذا القوم وقيل فضحكت فحاضت قال وعهدى
بسلمى ضاحكا فى لبانة ولم يعد حقا ثديها ان تحلما ومنه ضحكت السمرة
اذا سال صمغها وقرئ بفتح الحاء فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب
نصبه ابن عامر وحمزة وحفص بفعل يفسره ما دل عليه الكلام وتقديره ووهبناها
من وراء اسحق يعقوب وقيل انه معطوف على موضع باسحق او لفظ اسحق وفتحته
للجر فانه غير مصروف ورد للفصل بينه وبين ما عطف به عليه بالظرف وقرا الباقون
بالرفع على انه مبتدا خبره الظرف اى ويعقوب مولود من بعده وقيل الوراء ولد
الولد ولعله سمى به لانه بعد الولد وعلى هذا يكون اضافته الى اسحق من حيث ان يعقوب
وراءه بل من حيث انه وراء ابراهيم من جهته وفيه نظر والاسمان يحتمل وقوعهما فى البشارة
كيحيى عليه السلام ويحتمل وقوعهما فى الحكاية بعد ان ولدا فسميا به وتوجيه البشارة
اليها للدلالة على ان الولد المبشر به يكون منها ولانها كانت عقيمة حريصة على الولد
قالت يا ويلتى يا عجبا واصله فى الشر فاطلق فى كل موضع فظيع وقرئ بالياء على الاصل
االد وانا عجوز ابنة تسعين او تسع وتسعين وهذا بعلى زوجى واصله القائم بالامر
شيخا ابن مائة وعشرين ونصبه على الحال والعامل فيها اسم الاشارة وقرئ بالرفع
اى هو شيخ او خبر بعد خبر او هو الخبر وبعلى بدل ان هذا لشىء عجيب يعنى الولد من
هرمين وهو استعجاب من حيث العادة دون القدرة ولذلك قالوا اتعجبين من امر الله
رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت منكرين عليها فان خوارق العادات باعتبار
اهل بيت النبوة ومهبط المعجزات وتخصيصهم بمزيد النعم والكرامات ليس ببدع ولا حقيق
بان يستغربه عاقل فضلا عمن نشات وشابت فى ملاحظة الآيات واهل البيت
نصب على المدح او النداء لقصد التخصيص كقولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة

انه حميد فاعل ما يستوجب به الحمد مجيد كثير الخير والاحسان فلما ذهب عن ابرهيم
الروع وما اوجس من الخيفة واطمأن قلبه بعرفانهم وجاءته البشرى بدل الروع
يجادلنا في قوم لوط يجادل رسلنا في شأنهم ومجادلته اياهم قوله ان فيها لوطا
وهو اما جواب لما جيء به مضارعا على حكاية الحال او لانه في سياق الجواب بمعنى
الماضي كجواب لو او دليل جوابه المحذوف مثل اجترأ على خطابنا او شرع في جدالنا
او متعلق به اقيم مقامه مثل اخذ او اقبل يجادلنا ان ابرهيم لحليم غير عجول
على الانتقام من المسيء اليه اواه كثير التأوه من الذنوب والتأسف على الناس
منيب راجع الى الله تعالى والمقصود من ذلك بيان الحامل له على المجادلة وهو رقة قلبه
وفرط ترحمه يا ابرهيم على ارادة القول اي قالت الملائكة يا ابرهيم اعرض عن هذا
الجدال انه قد جاء امر ربك قدره بمقتضى قضائه الازلي بعذابهم وهو اعلم بحالهم
وانهم آتيهم عذاب غير مردود مصروف بجدال ولا دعاء ولا غير ذلك ولما جاءت
رسلنا لوطا سيء بهم ساءه مجيئهم لانهم جاؤا في صورة غلمان فظن انهم اناس فخاف
عليهم ان يقصدهم قومه فيعجز عن مدافعتهم وقرأ نافع وابن عامر والكسائي سيء وسيئت
باشمام السين الضم هنا وفي العنكبوت والملك والباقون باخلاص حركة السين
وضاق بهم ذرعا وضاق بمكانهم صدره وهو كناية عن شدة الانقباض للعجز
عن مدافعة المكروه والاحتيال فيه وقال هذا يوم عصيب شديد من عصبه اذا شده
وجاءه قومه يهرعون اليه يسرعون اليه كأنهم يدفعون دفعا لطلب الفاحشة من
اضيافه ومن قبل ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون السيآت الفواحش فتمرنوا بها
ولم يستحيوا منها حتى جاؤا يهرعون لها مجاهرين قال يا قوم هؤلاء بناتي فدى بهن
اضيافه كرما وحمية والمعنى هؤلاء بناتي فتزوجوهن وكانوا يطلبونهن قبل فلا يجيبهم
لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لحرمة المسلمات على الكفار فانه شرع طار او مبالغة
في تناهي خبث ما يرومونه حتى ان ذلك اهون منه او اظهار لشدة امتعاضه من ذلك
كي يرقوا له وقيل المراد بالبنات نساؤهم وكل نبي ابو امته من حيث الشفقة والتربية

وفي حرف ابن مسعود رضه وازواجه امهاتهم وهو اب لهم هن اطهر لكم انظف
فعلا واقل فحشا كقولك الميتة اطيب من المغصوب واحل منه وقرئ اطهر بالنصب
على ان هن خبر بناتي كقولك هذا اخي هو فيما لا فصل فانه لا يقع بين الحال
وصاحبها فاتقوا الله بترك الفواحش او بايثارهن عليهم ولا تخزون
ولا تفضحوني من الخزي او ولا تخجلوني من الخزاية بمعنى الحياء في ضيفي في شأنهم فان
اخزاء ضيف الرجل اخزاؤه اليس منكم رجل رشيد يهتدي الى الحق ويرعوي عن القبيح
قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق من حاجة وانك لتعلم ما نريد وهو اتيان
الذكران قال لو ان لي بكم قوة لو قويت بنفسي على دفعكم او آوي الى ركن شديد
الى قوي اتمنع به عنكم شبهه بركن الجبل في شدته وعن النبي صلى الله عليه وسلم
رحم الله اخي لوطا كان يأوي الى ركن شديد وقرئ او آوي بالنصب باضمار ان
كأنه قال لو ان لي بكم قوة او آويا وجواب لو محذوف تقديره لدفعتكم وروي
انه اغلق بابه دون اضيافه واخذ يجادلهم من وراء الباب فتسوروا الجدار
فلما رأت الملائكة ما على لوط من الكرب قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا
اليك لن يصلوا الى اضرارك باضرارنا فهون عليك ودعنا واياهم فخلاهم ان
يدخلوا فضرب جبرائيل بجناحه وجوههم فطمس اعينهم فخرجوا يقولون النجا النجا
فان في بيت لوط سحرة فاسر باهلك بالقطع من الاسراء وقرأ ابن كثير ونافع
بالوصل حيث وقع في القرآن من السرى بقطع من الليل بطائفة منه ولا يلتفت منكم
احد ولا يتخلف او ولا ينظر الى ورائه والنهي في اللفظ لاحد وفي المعنى للوط عليه السلام
الا امرأتك استثناء من قوله فاسر باهلك ويدل عليه انه قرئ فاسر باهلك بقطع من
الليل الا امرأتك وهذا انما يصح على تأويل الالتفات بالتخلف فانه ان فسر
بالنظر الى الوراء في الذهاب ناقض ذلك قراءة ابن كثير وابي عمرو بالرفع على البدل
من احد ولا يجوز حمل القراءتين على الروايتين في انه خلفها مع قومها او اخرجها
فلما سمعت صوت العذاب التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها لان القواطع

لا يصح حملها على المعاني المتناقضة والاولى جعل الاستثناء في القرائتين عن قوله
ولا يلتفت مثله في قوله ما فعلوه الا قليل ولا يبعد ان يكون اكثر القراء على غير الافصح
ولا يلزم من ذلك امرها بالالتفات بل عدم نهيها عنه استصلاحا ولذلك علله
على طريقة الاستئناف فقال انه مصيبها ما اصابهم ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعا على
قراءة الرفع ان موعدهم الصبح كانه علة الامر بالاسراء اليس الصبح بقريب جواب
لاستعجال لوط واستبطائه العذاب فلما جاء امرنا عذابنا او امرنا به ويؤيده الاصل
وجعل التعذيب مسببا عنه بقوله جعلنا عاليها سافلها فانه جواب لما وكان حقه
جعلوا عاليها اي الملائكة المامورون به فاسنده الى نفسه من انه المسبب تعظيما
للامر فانه روي ان جبرائيل عليه السلام ادخل جناحه تحت مدائنهم ورفعها الى
السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم وامطرنا
عليها على المدن او على شذاذها حجارة من سجيل من طين متحجر لقوله تعالى حجارة من طين
واصله سنك كل فعرب وقيل انه من اسجله اذا ارسله او ادر عطيته والمعنى من مثل الشيء
المرسل او من مثل العطية في الادرار او من السجل اي مما كتب الله تعالى ان يعذبهم
به وقيل اصله من سجين اي من جهنم فابدلت لامه نونا منضود نضد معدا لعذابهم
او نضد في الارسال يتتابع بعضه بعضا كقطار الامطار او نضد بعضه على بعض
والصق به مسومة معلمة للعذاب وقيل معلمة ببياض او حمرة او بسيماء يتميز به عن
حجارة الارض او باسم من يرمى به عند ربك في خزائنه وما هي من الظالمين ببعيد
فانهم بظلمهم حقيق بان يمطر عليهم وفيه وعيد لكل ظالم وعنه عليه الصلوة والسلام
انه سال جبرائيل فقال يعني ظالمي امتك ما من ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط
من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى اي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في
اسفارهم الى الشام وتذكير البعيد على تاويل الحجر او المكان والى مدين اخاهم
شعيبا اراد اولاد مدين بن ابراهيم عليه السلام او اهل مدين فهو بلد بناه فسمي باسمه
قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان امرهم بالتوحيد

اولا

اولا فانه ملاك الامر ثم نهاهم عما اعتادوه من البخس المنافي للعدل المخل
بحكمة التعاوض اني اريكم بخير بسعة تغنيكم عن البخس او بنعمة حقها ان تتفضلوا
على الناس شكرا عليها لا ان تنقصوا حقوقهم او بسعة فلا تزيلوها بما انتم عليه وهو
في الجملة علة النهي واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط لا يشذ منه احد منكم وقيل عذاب
مهلك من قوله واحيط بثمره والمراد عذاب يوم القيمة او عذاب الاستيصال وتوصيف
اليوم بالاحاطة وهي صفة العذاب لاشتماله عليه ويا قوم اوفوا المكيال والميزان
صرح بالامر بالايفاء بعد النهي عن ضده مبالغة وتنبيها على انه لا يكفيهم الكف
عن تعمد التطفيف بل يلزمهم السعي في الايفاء ولو بزيادة لا يتاتى دونها بالقسط
بالعدل والتسوية من غير زيادة ونقصان فان الازدياد ايفاء وهو مندوب
غير مامور به وقد يكون محظورا ولا تبخسوا الناس اشياءهم تعميم بعد تخصيص فانه
اعم من ان يكون في المقدار او في غيره وكذا قوله ولا تعثوا في الارض مفسدين
فان العثو يعم تنقيص الحقوق وغيره من انواع الفساد وقيل المراد بالبخس المكس
كاخذ العشور في المعاملات والعثو السرقة وقطع الطريق والغارة وفائدة الحال
اخراج ما يقصد به الاصلاح كما فعله الخضر عليه السلام وقيل معناه ولا تعثوا في
الارض مفسدين امر دينكم ومصالح آخرتكم بقية الله ما ابقاه لكم من الحلال
بعد التنزه عما حرم عليكم خير لكم مما تجمعون بالتطفيف ان كنتم مؤمنين بشرط
ان تؤمنوا فان خيريتها باستتباع الثواب مع النجاة وذلك مشروط بالايمان
او ان كنتم مصدقين لي في قولي لكم وقيل البقية الطاعة كقوله والباقيات الصالحات
وقرئ تقية الله بالتاء وهو تقواه التي تكف عن المعاصي وما انا عليكم بحفيظ
احفظكم عن القبائح او احفظ عليكم اعمالكم فاجازيكم عليها وانما انا ناصح
مبلغ وقد اعذرت حين انذرت او لست بحافظ عليكم نعم الله تعالى لو لم تتركوا
سوء صنيعكم قالوا يا شعيب اصلوتك تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا من الاصنام
اجابوا به امرهم بالتوحيد على الاستهزاء به والتهكم بصلوته والاشعار بان مثله

لا يدعو اليه داع عقلي وانما دعاك اليه خطرات ووساوس من جنس ما تواظب
عليه وكان كثير الصلوة فلذلك جمعوا وخصوا بالذكر وقرا حمزة والكسائي وحفص
على الافراد والمعنى اصلوتك تامرك بتكليف ان نترك فحذف المضاف لان الرجل
لا يؤمر بفعل غيره او ان نفعل في اموالنا ما نشاء عطف على ما اي وان نترك فعلنا
ما نشاء في اموالنا وقرئ بالتاء فيهما على ان العطف على ان نترك وهو جواب
النهي عن التطفيف والامر بالايفاء وقيل كان ينهاهم عن تقطيع الدراهم والدنانير
فارادوا به ذلك انك لانت الحليم الرشيد تهكموا به وقصدوا وصفه بضد ذلك
او عللوا انكار ما سمعوا منه واستبعاده بانه موسوم بالحلم والرشد المانعين
عن المبادرة الى امثال ذلك قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي من العلم والنبوة
ورزقني منه رزقا حسنا اشارة الى ما اتاه الله تعالى من المال الحلال وجواب الشرط
محذوف تقديره فهل يسع لي مع هذا الانعام الجامع للسعادات الروحانية والجسمانية
ان اخون في وحيه واخالفه في امره ونهيه وهو اعتذار عما انكروا عليه من تغيير
المالوف والنهي عن دين الاباء والضمير في منه لله تعالى اي من عنده وباعانته بلا كد
مني في تحصيله وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه وما اريد ان اتي ما انهاكم
عنه لاستبد به فلو كان صوابا لاثرته ولم اعرض عنه فضلا عن ان انهى عنه يقال
خالفت زيدا الى كذا اذا قصدته وهو مول عنه وخالفته عنه اذا كان الامر
بالعكس ان اريد الا الاصلاح ما استطعت ما اريد الا ان اصلحكم بامري
بالمعروف ونهيي عن المنكر ما دمت استطيع الاصلاح فلو وجدت الاصلاح فيما
انتم عليه لما نهيتكم عنه ولهذه الاجوبة الثلثة على هذا النسق شان وهو التنبيه
على ان العاقل يجب ان يراعي في كل ما ياتيه ويذره احد حقوق ثلثة اهمها
واعلاها حق الله تعالى وثانيها حق النفس وثالثها حق الناس وكل ذلك يقتضي
ان امركم بما امرتكم به وانهيكم عما نهيتكم عنه وما مصدرية واقعة موقع الظرف
وقيل خبرية بدل من الاصلاح اي المقدار الذي استطعته او اصلاح ما استطعته

بحذف المضاف وما توفيقي الا بالله وما توفيقي لاصابة الحق والصواب الا بهدايته
ومعونته عليه توكلت فانه القادر المتمكن من كل شيء وما عداه عاجز في حد ذاته بل معدوم
ساقط عن درجة الاعتبار وفيه اشارة الى محض التوحيد الذي هو اقصى مراتب
العلم بالمبدا واليه انيب اشارة الى معرفة المعاد وهو ايضا يفيد الحصر بتقديم الصلة
على الفعل وفي هذه الكلمات طلب التوفيق لاصابة الحق فيما ياتيه ويذره من الله تعالى
والاستعانة به في مجامع امره والاقبال عليه بشراشره وحسم اطماع الكفار واظهار
الفراغ عنهم وعدم المبالاة بمعاداتهم وتهديدهم بالرجوع الى الله تعالى للجزاء
ويا قوم لا يجرمنكم لا يكسبنكم شقاقي معاداتي ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح
من الغرق او قوم هود من الريح او قوم صالح من الرجفة وان بصلتها ثاني مفعولي
جرم فانه يعدى الى واحد والى اثنين ككسب وعن ابن كثير يجرمنكم بالضم وهو
منقول من المتعدي الى مفعول واحد والاول افصح فان اجرم اقل دورا على السنة
الفصحاء وقرئ مثل بالفتح لاضافته الى المبني كقوله لم يمنع الشرب منها غير ان
نطقت حمامة في غصون ذات اوقال وما قوم لوط منكم ببعيد زمانا او مكانا
فان لم تعتبروا بمن قبلهم فاعتبروا بهم او ليسوا ببعيد منكم في الكفر والمساوي
فلا يبعد عنكم ما اصابهم وافراد البعيد لان المراد وما اهلاكهم او وما هم
بشيء بعيد ولا يبعد ان يسوى في امثاله بين المذكر والمؤنث لانها على زنة
المصادر كالصهيل والشهيق والنهيق واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه مما انتم
عليه ان ربي رحيم عظيم الرحمة للتائبين ودود فاعل بهم من اللطف والاحسان
ما يفعل البليغ المودة بمن يوده وهو وعد على التوبة بعد الوعيد على الاصرار
قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول كوجوب التوحيد وحرمة البخس
وما ذكرت دليلا عليهما وذلك لقصور عقلهم وعدم تفكرهم وقيل قالوا ذلك
استهانة بكلامه او لانهم لم يلقوا اليه اذهانهم لشدة نفرتهم عنه وانا لنراك
فينا ضعيفا لا قوة لك فتمتنع منا ان اردنا بك سوءا او مهينا لا عز لك وقيل

أعمى بلغة حمير وهو مع عدم مناسبته يرده التقييد بالظرف ومنع بعض المعتزلة
استنباء الأعمى قياسا على القضاء والشهادة والفرق بيّن ولولا رهطك قومك
وعزتهم عندنا لكونهم على ملتنا لا لخوف من شوكتهم فإن الرهط من الثلثة
إلى العشرة وقيل إلى السبعة لرجمناك لقتلناك برمي الحجارة أو بأصعب وجه
وما أنت علينا بعزيز فتمنعنا عزتك عن الرجم وهذا ديدن السفيه المحجوج يقابل
الحجج والآيات بالسب والتهديد وفي إيلاء ضميره حرف النفي تنبيه على أن الكلام فيه
لا في ثبوت العزة وأن المانع لهم عن إيذائه عزة قومه ولذلك قال يا قوم أرهطي
أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا وجعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر
بإشراككم به والإهانة برسوله فلا تبقون على الله وتبقون على رهطي وهو يحتمل
الإنكار والتوبيخ والرد والتكذيب والظهري منسوب إلى الظهر والكسر من تغييرات
النسب إن ربي بما تعملون محيط فلا يخفى عليه شيء منها فيجازي عليها ويا قوم اعملوا
على مكانتكم إني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه سبق مثله في سورة الأنعام
والفاء في فسوف تعلمون ثمة للتصريح بأن الإصرار والتمكن فيما هم عليه سبب لذلك وحذفها
هنا لأنه جواب سائل قال فماذا يكون بعد ذلك فهو أبلغ في التهويل ومن هو كاذب
عطف على من يأتيه لا لأنه قسيم له كقولك ستعلم الكاذب والصادق بل لأنهم
لما أوعدوه وكذبوه قال سوف تعلمون من المعذب والكاذب مني ومنكم وقيل
كان قياسه ومن هو صادق لينصرف الأول إليهم والثاني إليه لكنهم لما كانوا يدعونه
كاذبا قال ومن هو كاذب على زعمهم وارتقبوا وانتظروا ما أقول لكم إني معكم
رقيب منتظر فعيل بمعنى الراقب كالصريم والمراقب كالعشير أو المرتقب كالرفيع
ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا إنما ذكره بالواو كما في
قصة عاد إذ لم يسبقه ذكر وعد يجري مجرى السبب بخلاف قصتي صالح
ولوط عليهما السلام فإنه ذكر بعد الوعد وذلك قوله وعد غير مكذوب
وقوله إن موعدهم الصبح فلذلك جاء بفاء السببية وأخذت الذين ظلموا

الصيحة قيل صاح بهم جبرائيل عليه السلام فهلكوا فأصبحوا في ديارهم
جاثمين ميتين وأصل الجثوم اللزوم في المكان كأن لم يغنوا فيها كأن لم يقيموا فيها
ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود شبههم بهم لأن عذابهم كان أيضا بالصيحة غير أن
صيحتهم كانت من تحتهم وصيحة مدين كانت من فوقهم وقرئ بعدت بالضم على الأصل
فإن الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون سبب الهلاك والبعد مصدر لهما والبعد
مصدر المكسور ولقد أرسلنا موسى بآياتنا بالتوراة أو المعجزات وسلطان مبين
هو المعجزات القاهرة أو العصا وإفرادها بالذكر لأنها أبهرها ويجوز أن يراد بهما
واحد أي ولقد أرسلناه بالجامع بين كونه آياتنا وسلطانا له على نبوته
واضحا في نفسه أو موضحا إياها فإن أبان جاء لازما ومتعديا والفرق بينهما
أن الآية تعم الأمارة والدليل القاطع والسلطان يخص القاطع والمبين يخص
بما فيه جلاء إلى فرعون وملائه فاتبعوا أمر فرعون فاتبعوا أمره بالكفر
بموسى عليه السلام أو فما اتبعوا موسى الهادي إلى الحق المؤيد بالمعجزات القاهرة
الباهرة واتبعوا طريقة فرعون المنهمك في الضلال والطغيان الداعي إلى ما لا يخفى فساده
على من له أدنى مسكة من العقل لفرط جهالتهم وعدم استبصارهم وما أمر فرعون
برشيد مرشد أو ذي رشد وإنما هو غي محض وضلال صريح يقدم قومه
يوم القيامة إلى النار كما كان يقدمهم في الدنيا إلى الضلال يقال قدم بمعنى تقدم
فأوردهم النار ذكره بلفظ الماضي مبالغة في تحقيقه ونزل النار لهم منزلة
الماء فسمى إتيانها موردا ثم قال وبئس الورد المورود أي بئس المورد الذي
وردوه فإنه يراد لتبريد الأكباد وتسكين العطش والنار بالضد والآية
كالدليل على قوله وما أمر فرعون برشيد فإن من هذا عاقبته لم يكن في أمره رشيد
أو تفسير على أن المراد بالرشيد ما يكون مأمون العاقبة حميدها وأتبعوا في
هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة أي يلعنون في الدنيا والآخرة بئس الرفد المرفود
بئس العون المعان أو العطاء المعطى وأصل الرفد ما يضاف إلى غيره ليعمده

والمخصوص بالذم محذوف اى رفدهم وهو اللعنة فى الدارين ذلك من انباء
القرى المهلكة نقصه عليك مقصوص عليك منها قائم من تلك القرى باق كالزرع القائم
وحصيد ومنها عاف الاثر كالزرع المحصود والجملة مستانفة وقيل حال من الهاء
فى نقصه وليس بصحيح اذ لا واو ولا ضمير وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم ولكن
ظلموا انفسهم بان عرضوها له بارتكاب ما يوجبه فما اغنت عنهم فما نفعتهم ولا
قدرت ان تدفع عنهم آلهتهم التى يدعون من دون الله من شىء لما جاء امر ربك حين جاءهم
عذابه ونقمته وما زادوهم غير تتبيب هلاك او تخسير وكذلك ومثل ذلك الاخذ
اخذ ربك وقرى اخذ ربك بالفعل فيكون محل الكاف النصب على المصدر اذا اخذ
القرى اى اهلها وقرى اذ لان المعنى على المضى وهى ظالمة حال من القرى وهى فى الحقيقة
لاهلها لكنها لما اقيمت مقامها اجريت عليها وفائدتها الاشعار بانهم اخذوا
بظلمهم وانذار كل ظالم ظلم نفسه او غيره من وخامة العاقبة ان اخذه اليم شديد
وجيع غير مرجو الخلاص منه وهو مبالغة فى التهديد والتحذير ان فى ذلك فيما نزل
بالامم الهالكة او فيما قصه الله تعالى من قصصهم لاية لعبرة لمن خاف
عذاب الاخرة يعتبر به عظته لعلمه بان ما حاق بهم انموذج مما اعد الله تعالى
للمجرمين فى الاخرة او ينزجر به عن موجباته لعلمه بانها من اله مختار يعذب من يشاء
ويرحم من يشاء فان من انكر الاخرة واحال فناء هذا العالم لم يقل بالفاعل المختار
وجعل تلك الوقايع لاسباب فلكية اتفقت فى تلك الايام لا لذنوب المهلكين
بها ذلك اشارة الى يوم القيمة وعذاب الاخرة دل عليه يوم مجموع له الناس اى يجمع
له الناس والتغيير للدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وانه من شانه لا محالة وان
الناس لا ينفكون عنه وهو ابلغ من قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع ومعنى الجمع له الجمع
لما فيه من المحاسبة والمجازاة وذلك يوم مشهود اى مشهود فيه اهل السموات والارض
فاتسع فيه باجراء الظرف مجرى المفعول به كقوله فى محفل من نواصى الناس مشهود
اى كثير شاهدوه ولو جعل اليوم مشهودا فى نفسه لبطل الغرض من تعظيم اليوم وتمييزه

فان ساير الايام كذلك وما نؤخره اى اليوم الا لاجل معدود الا لانتهاء مدة
معدودة متناهية على حذف المضاف وارادة مدة التاجيل كلها بالاجل لانتهائها
فانه غير معدود يوم يأت اى الجزاء او اليوم كقوله تعالى ان تاتيهم الساعة على ان
يوم بمعنى حين او الله تعالى كقوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله ونحوه وقراء
ابن عامر وعاصم وحمزة يات بحذف الياء اجتزاء عنها بالكسرة لا تكلم نفس
لا تتكلم نفس بما ينفع وينجى من جواب او شفاعة وهو الناصب للظرف ويحتمل نصبه
باضمار اذكر او بالانتهاء المحذوف الا باذنه الا باذن الله تعالى كقوله لا يتكلمون
الا من اذن له الرحمن وهذا فى موقف وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن
لهم فيعتذرون فى موقف آخر او الماذون فيه الجوابات الحقة والممنوع عنه الاعذار
الباطلة فمنهم شقى وجبت له النار بمقتضى الوعيد وسعيد وجبت له الجنة بموجب
الوعد والضمير لاهل الموقف وان لم يذكر لانه معلوم مدلول عليه بقوله لا تكلم
نفس او للناس فاما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق الزفير اخراج
النفس والشهيق رده واستعمالهما فى اول النهيق وآخره والمراد بهما الدلالة على
شدة كربهم وغمهم وتشبيه حالهم بمن استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه روحه
او تشبيه صراخهم باصوات الحمير وقرى شقوا بالضم خالدين فيها ما دامت السموات
والارض ليس لارتباط دوامهم فى النار بدوامهما فان النصوص دالة على تابيد
دوامهم وانقطاع دوامهما بل التعبير عن التابيد والمبالغة بما كانت العرب
يعبرون به عنه على سبيل التمثيل ولو كان للارتباط لم يلزم ايضا من زوال السموات
والارض زوال عذابهم ولا من دوامه دوامهما الا من قبيل المفهوم لان دوامهما
كالملزوم لدوامه وقد عرفت ان المفهوم لا يقاوم المنطوق وقيل المراد سموات
الاخرة وارضها ويدل عليه قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات
وان اهل الاخرة لا بد لهم من مظل ومقل وفيه نظر لانه تشبيه بما لا يعرف اكثر الخلق
وجوده ودوامه ومن عرفه فانما يعرفه بما يدل على دوام الثواب والعقاب

فلا يجدي له التشبث الا ما شاء ربك استثناء من الخلود في النار لان بعضهم وهم
فساق الموحدين يخرجون منها وذلك كاف في صحة الاستثناء لان زوال الحكم عن
الكل يكفيه زواله عن البعض وهم المراد بالاستثناء الثاني فانهم مفارقون عن الجنة
ايام عذابهم فان التابيد من مبدأ معين ينتقض باعتبار الابتداء كما ينتقض
باعتبار الانتهاء وهؤلاء وان شقوا بعصيانهم فقد سعدوا بايمانهم ولا يقال
فعلى هذا لم يكن قوله فمنهم شقي وسعيد تقسيما صحيحا لان من شرطه ان يكون صفة
كل قسم منتفية عن قسيمه لان ذلك الشرط حيث التقسيم لانفصال حقيقي او مانع من
الجمع وهيهنا المراد ان اهل الموقف لا يخرجون عن القسمين وان حالهم لا يخلو عن السعادة
والشقاوة وذلك لا يمنع اجتماع الامرين في شخص باعتبارين او لان اهل النار
ينقلون منها الى الزمهرير وغيره من العذاب احيانا وكذلك اهل الجنة ينعمون بما
هو اعلى من الجنة كالاتصال بجناب القدس والفوز برضوان الله تعالى ولقائه
او من اصل الحكم والمستثنى زمان توقفهم في الموقف للحساب لان ظاهره يقتضي
ان يكونوا في النار حين ياتي اليوم او مدة لبثهم في الدنيا والبرزخ ان كان الحكم
مطلقا غير مقيد باليوم وعلى هذا التاويل يحتمل ان يكون الاستثناء من الخلود
على ما عرفت فهو من قوله لهم فيها زفير وشهيق وقيل الا هيهنا بمعنى سوى
كقولك علي الف الا الالفان القديمان والمعنى سوى ما شاء ربك من الزيادة
التي لا اخر لها على مدة بقاء السموات والارض ان ربك فعال لما يريد من
غير اعتراض واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض
الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ غير مقطوع وهو تصريح بان الثواب
لا ينقطع وتنبيه على ان المراد من الاستثناء في الثواب ليس الانقطاع ولاجله
فرق بين الثواب والعقاب في التابيد وقرا حمزة والكسائي وحفص سعدوا
على البناء للمفعول من سعده الله بمعنى اسعده وعطاء نصب على المصدر المؤكد اي
اعطوا عطاء او الحال من الجنة فلا تك في مرية شك بعد ما انزل عليك من مال

الناس مما يعبد هؤلاء من عبادة هؤلاء المشركين في انها ضلال مؤد الى مثل
ما حل بمن قبلهم ممن قصصت عليك سوء عاقبة عبادتهم او من حال ما يعبدونه
في انه يضر ولا ينفع ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم من قبل استئناف
معناه تعليل النهي عن المرية اي هم واباؤهم سواء في الشرك او ما يعبدون عبادة
الا كعبادة ابائهم او ما يعبدون شيئا الا مثل ما عبدوه من الاوثان وقد بلغك
ما لحق اباءهم من ذلك فسيلحقهم مثله لان التماثل في الاسباب يقتضي التماثل
في المسببات ومعنى كما يعبد كما كان يعبد فحذف لدلالة قبل عليه وانا لموفوهم
نصيبهم حظهم من العذاب كاباءهم او من الرزق فيكون عذرا لتاخر العذاب
عنهم مع قيام ما يوجبه غير منقوص حال من النصيب لتقييد التوفية فانك تقول
وفيته حقه وتريد به وفاء بعضه ولو مجازا ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف
فيه فامن به قوم وكفر به قوم كما اختلف هؤلاء في القران ولولا كلمة سبقت
من ربك يعني كلمة الانظار الى يوم القيمة لقضي بينهم بانزال ما يستحقه
المبطل ليتميز به عن المحق وانهم وان كفار قومك لفي شك منه من القران مريب
موقع للريبة وان كلا وان كل المختلفين المؤمنين منهم والكافرين والتنوين
بدل المضاف اليه وقرا ابن كثير ونافع وابو بكر بالتخفيف مع الاعمال اعتبارا
للاصل لما ليوفينهم ربك اعمالهم اللام الاولى موطئة للقسم والثانية للتاكيد
او بالعكس وما مزيدة بينهما للفصل وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة لما
بالتشديد على ان اصله لمن ما فقلبت النون ميما للادغام فاجتمعت ثلث ميمات
فحذفت اولاهن والمعنى لمن الذين يوفينهم ربك جزاء اعمالهم وقرئ لما بالتنوين
اي جميعا كقوله اكلا لما وان كل لما على ان ان نافية ولما بمعنى الا وقد قرئ به
انه بما يعملون خبير فلا يفوته شيء وان خفي فاستقم كما امرت لما بين امر المختلفين
في التوحيد والنبوة واطنب في شرح الوعد والوعيد امر رسوله بالاستقامة
مثل ما امر بها وهي شاملة للاستقامة في العقايد كالتوسط بين التشبيه

والتعطيل بحيث يبقى العقل مصونا من الطرفين والاعمال من تبليغ الوحي وبيان
الشرايع كما انزل والقيام بوظايف العبادات من غير تفريط وافراط مفوت
للحقوق ونحوها وهي في غاية العسر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم شيبتني
سورة هود ومن تاب معك اي تاب من الشرك والكفر وآمن معك وهو عطف
على المستكن في استقم وان لم يؤكد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه ولا تطغوا
ولا تخرجوا عما حد لكم انه بما تعملون بصير فهو مجازيكم عليه وهو في معنى التعليل
للامر والنهي وفي الآية دليل على وجوب اتباع النصوص من غير تصرف وانحراف
بنحو قياس واستحسان ولا تركنوا الى الذين ظلموا فلا تميلوا اليهم ادنى ميل
فان الركون هو الميل اليسير كالتزيي بزيهم وتعظيم ذكرهم فتمسكم النار بركونكم
اليهم واذا كان الركون الى من وجد منه ما يسمى ظلما كذلك فما ظنك بالركون
الى الظالمين اي الموسومين بالظلم ثم بالميل اليهم كل الميل ثم بالظلم نفسه والانهماك
فيه ولعل الآية ابلغ ما يتصور في النهي عن الظلم والتهديد عليه وخطاب الرسول
ومن معه من المؤمنين بها للتثبيت على الاستقامة التي هي العدل فان الزوال عنها
بالميل الى احد طرفي افراط وتفريط فانه ظلم على نفسه او غيره بل ظلم في نفسه
وقرئ تركنوا فتمسكم بكسر التاء على لغة تميم وتركنوا على البناء للمفعول من اركنه
وما لكم من دون الله من اولياء من انصار يمنعون العذاب عنكم والواو للحال
ثم لا تنصرون اي ثم لا ينصركم الله اذ سبق في حكمه ان يعذبكم ولا يبقي عليكم
وثم لاستبعاد نصره اياهم وقد اوعدهم بالعذاب عليه واوجبه لهم ويجوز
ان يكون منزلا منزلة الفاء بمعنى الاستبعاد فانه لما بين ان الله تعالى معذبهم
وان غيره لا يقدر على نصرهم انتج ذلك انهم لا ينصرون اصلا واقم الصلوة طرفي
النهار غدوة وعشية وانتصابه على الظرف لانه مضاف اليه وزلفا من الليل
وساعات منه قريبة من النهار فانه من ازلفه اذا قربه وهو جمع زلفة وصلوة
الغداة صلوة الصبح لانها اقرب الصلوات من اول النهار وصلوة العشية

العصر وقيل الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشي وصلوة الزلف المغرب والعشاء
وقرئ زلفا بضمتين وضمة وسكون كبسر وبسر في بسرة وزلفى بمعنى زلفة كقربى
وقربة ان الحسنات يذهبن السيئات يكفرنها وفي الحديث ان الصلوة الى الصلوة
كفارة ما بينهما ما اجتنبت الكبائر وفي سبب النزول ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال اني قد اصبت من امرأة غير اني لم آتها فنزلت ذلك اشارة الى قوله فاستقم
فما بعده وقيل الى القرآن ذكرى للذاكرين عظة للمتعظين واصبر على الطاعات وعن
المعاصي فان الله لا يضيع اجر المحسنين عدول عن الضمير ليكون كالبرهان على المقصود
ودليلا على ان الصبر والصلوة احسان وايماء بانه لا يعتد بهما دون الاخلاص
فلولا كان فهلا كان من القرون من قبلكم اولو بقية من العقل والرأي او اولو فضل
وانما سمي بقية لان الرجل يستبقي افضل ما يخرجه ومنه يقال فلان من بقية
القوم اي من خيارهم ويجوز ان يكون مصدرا كالبقية اي ذوي ابقاء على انفسهم
وصيانة لها من العذاب ويؤيده انه قرئ بقية وهي المرة من مصدر بقاه يبقيه
اذا راقبه ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم لكن قليلا ممن
انجيناهم لانهم كانوا كذلك ولا يصح اتصاله الا اذا جعل استثناء من النفي اللازم
للتحضيض واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه ما انعموا فيه من الشهوات فاهتموا بتحصيل
اسبابها واعرضوا عما وراء ذلك وكانوا مجرمين كافرين كانه اراد ان يبين
ما كان السبب لاستيصال الامم السالفة وهو فشو الظلم فيهم واتباعهم للهوى
وترك النهي عن المنكرات مع الكفر وقوله واتبع عطف على مضمر دل عليه الكلام
اذ المعنى فلم ينهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا وكانوا مجرمين عطف على اتبع او
اعتراض وقرئ واتبع اي واتبعوا جزاء ما اترفوا فيكون الواو للحال ويجوز
ان يفسر به المشهورة ويعضده تقدم الانجاء وما كان ربك ليهلك القرى بظلم
بشرك واهلها مصلحون فيما بينهم لا يضمون الى شركهم فسادا وتباغيا وذلك
لفرط رحمته ومسامحته في حقوقه ومن ذلك قدم الفقهاء عند تزاحم الحقوق

حقوق العباد وقيل الملك يبقى مع الشرك ولا يبقى مع الظلم ولو شاء ربك
لجعل الناس امة واحدة مسلمين كلهم وهو دليل ظاهر على ان الامر غير الارادة
وانه تعالى لم يرد الايمان من كل واحد وان ما اراده يجب وقوعه ولا يزالون
مختلفين بعضهم على الحق وبعضهم على الباطل لا يكاد اثنين يتفقان مطلقا الا من
رحم ربك الا ناسا هداهم الله تعالى من فضله فاتفقوا على ما هو اصول دين
الحق والعمدة فيه ولذلك خلقهم ان كان الضمير للناس فالاشارة الى الاختلاف
واللام للعاقبة او اليه او الى الرحمة وان كان لمن فالى الرحمة وتمت كلمة ربك
وعيده او قوله للملائكة لاملأن جهنم من الجنة والناس اى من عصاتهما اجمعين
لا من احدهما وكلا وكل نبأ نقص عليك من انباء الرسل نخبرك به ما نثبت به
فؤادك بيان لكلا او بدل منه وفائدته التنبيه على المقصود من الاقتصاص
وهو زيادة يقينه وطمأنينة قلبه وثبات نفسه على اداء الرسالة واحتمال
اذى الكفار او مفعول وكلا منصوب على المصدر بمعنى كل نوع من انواع الاقتصاص
نقص عليك ما نثبت به فؤادك من انباء الرسل وجاءك في هذه السورة او في
الانباء المقتصة عليك الحق ما هو حق وموعظة وذكرى للمؤمنين اشارة الى سائر
فوائده العامة وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم على حالكم انا عاملون
على حالنا وانتظروا بنا الدوائر انا منتظرون ان ينزل بكم نحو ما نزل على امثالكم
ولله غيب السموات والارض خاصة لا يخفى عليه خافية مما فيهما واليه يرجع
الامر كله فيرجع لا محالة امرهم وامرك اليه وقرأ نافع وحفص يرجع على البناء
للمفعول فاعبده وتوكل عليه فانه كافيك وفي تقديم الامر بالعبادة على التوكل
تنبيه على انه انما ينفع العابد وما ربك بغافل عما تعملون انت وهم فيجازي
ما تستحقونه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هود اعطي من الاجر
عشر حسنات بعدد من صدق بنوح ومن كذب به وهود وصالح وشعيب ولوط وابراهيم
وموسى عليه السلام وكان يوم القيمة من السعداء ان شاء الله تعالى

سورة هود عليه السلام مائة وثلاث وعشرون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات الكتاب المبين تلك اشارة الى آيات
السورة وهي المراد بالكتاب اى تلك الآيات آيات السورة الظاهر امرها في الاعجاز
او الواضحة معانيها او المبينة لمن تدبرها انها من عند الله تعالى او لليهود لما سألوا
اذ روي ان علماءهم قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام
الى مصر وعن قصة يوسف عليه السلام فنزلت انا انزلناه اى الكتاب قرآنا
عربيا سمي البعض قرآنا لانه في الاصل اسم جنس يقع على الكل والبعض وصار علما
للكل بالغلبة ونصبه على الحال وهو في نفسه اما توطئة للحال التي هي عربيا او حال
لانه مصدر بمعنى مفعول وعربيا صفة له او حال من الضمير فيه او حال بعد حال
وفي كل ذلك خلاف لعلكم تعقلون علة لانزاله بهذه الصفة اى انزلناه مجموعا
او مقروءا بلغتكم كي تفهموه وتحيطوا بمعانيه او تستعملوا فيه عقولكم فتعلموا
ان اقتصاصه كذلك ممن لم يتعلم القصص معجز لا يتصور الا بالايحاء نحن نقص
عليك احسن القصص احسن الاقتصاص لانه اقتص على ابدع الاساليب او احسن
ما يقص لاشتماله على العجائب والحكم والآيات والعبر فعل بمعنى مفعول كالنقض
والسلب واشتقاقه من قص اثره اذا اتبعه بما اوحينا اى بايحائنا اليك
هذا القرآن يعني السورة ويجوز ان يجعل هذا مفعول نقص على ان احسن نصب
على المصدر وان كنت من قبله لمن الغافلين عن هذه القصة لم تخطر ببالك
ولم تقرع سمعك قط وهو تعليل لكونه موحى وان هي المخففة من الثقيلة
واللام هي الفارقة اذ قال يوسف بدل من احسن القصص ان جعل مفعولا
بدل الاشتمال او منصوب باضمار اذكر ويوسف عبري ولو كان عربيا
لصرف وقرئ بفتح السين وكسرها على التلعب به لا على انه مضارع بني للمفعول
او الفاعل من آسف لان المشهورة شهدت بعجمته لابيه يعقوب بن اسحق بن ابراهيم

عليهم السلام وعنه صلى الله عليه وسلم الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم
يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم يا ابت اصله يا ابي فعوض عن الياء
تاء التانيث لتناسبهما في الزيادة ولذلك قلبها هاء في الوقف ابن كثير وابو عمرو
ويعقوب وكسرها لانها عوض حرف يناسبها وفتحها ابن عامر في كل القران
لانها حركة اصلها او لانه كان يا ابتا فحذف الالف وبقي الفتحة وانما جاز
يا ابتا ولم يجز يا ابتي لانه جمع بين العوض والمعوض وقرئ بالضم اجراء لها مجرى
الاسماء المؤنثة بالتاء من غير اعتبار التعويض وانما لم تسكن كاصلها لانها حرف
صحيح منزل منزلة الاسم فيجب تحريكها ككاف الخطاب اني رايت من الرؤيا
لا من الرؤية لقوله لا تقصص رؤياك ولقوله هذا تاويل رؤياي احد عشر
كوكبا والشمس والقمر روي عن جابر رضه ان يهوديا جاء الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال اخبرني يا محمد عن اسماء النجوم التي راهن يوسف فسكت فنزل
جبرئيل عليه السلام فاخبره بذلك فقال ان اخبرتك هل تسلم قال نعم قال
جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح
والفرغ ووثاب وذو الكتفين راها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء
وسجدن له فقال اليهودي اي والله انها لاسماؤها رايتهم لي ساجدين استيناف
لبيان حالهم التي راهم عليها فلا تكرير وانما اجريت مجرى العقلاء لوصفها بصفاتهم
قال يا بني تصغير ابن صغره للشفقة او لصغر السن لانه كان ابن اثني عشر سنة
وقرا حفص هنا وفي الصافات بفتح الياء لا تقصص رؤياك على اخوتك
فيكيدوا لك كيدا فيحتالوا لاهلاكك حيلة فهم يعقوب عليه السلام من رؤياه
ان الله يصطفيه لرسالته ويفوقه على اخوته فخاف عليه حسدهم وبغيهم والرؤيا
كالرؤية غير انها مختصة بما يكون في النوم ففرق بينهما بحرفي التانيث كالقربة
والقربى وهي انطباع الصورة المنحدرة من افق المتخيلة الى الحس المشترك والصادقة
منها انما تكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما من التناسب عند فراغها من تدبير

البدن

البدن ادنى فراغ فتتصور بما فيها مما يليق بها من المعاني الحاصلة هناك ثم ان المتخيلة
تحاكيه بصورة تناسبه فترسلها الى الحس المشترك فتصير مشاهدة ثم ان كانت
شديدة المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت الا بالكلية والجزئية
استغنت الرؤيا عن التعبير والا احتاجت اليه وانما عدي كاد باللام وهو
متعد بنفسه لتضمنه معنى فعل يعدى به تاكيدا ولذلك اكد بالمصدر وعلل بقوله
ان الشيطان للانسان عدو مبين ظاهر العداوة لما فعل بادم وحواء عليهما السلام
فلا يالوا جهدا في تسويلهم واثارة الحسد فيهم حتى يحملهم على الكيد وكذلك
اي وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا الدالة على شرف وعز وكمال نفس يجتبيك
ربك للنبوة والملك او لامور عظام والاجتباء من جبيت الشيء اذا حصلته لنفسك
ويعلمك كلام مبتدا خارج عن التشبيه كانه قيل وهو يعلمك من تاويل الاحاديث
من تعبير الرؤيا لانها احاديث الملك ان كانت صادقة واحاديث النفس او الشيطان
ان كانت كاذبة او من تاويل غوامض كتب الله تعالى وسنن الانبياء عليهم السلام
وكلمات الحكماء وهو اسم جمع للحديث كاباطيل اسم جمع للباطل ويتم نعمته
عليك بالنبوة او بان نصل نعمة الدنيا بنعمة الاخرة وعلى ال يعقوب يريد به
سائر بنيه ولعله استدل على نبوتهم بضوء الكواكب او نسله كما اتمها على ابويك
بالرسالة وقيل على ابراهيم بالخلة والانجاء من النار وعلى اسحق بانقاذه
من الذبح وفدائه بذبح عظيم من قبل من قبلك او من قبل هذا الوقت ابرهيم
واسحق عطف بيان لابويك ان ربك عليم بمن يستحق الاجتباء حكيم يفعل
الاشياء على ما ينبغي لقد كان في يوسف واخوته اي في قصتهم ايات دلائل قدرة
الله تعالى وحكمته او علامات نبوتك وقرا ابن كثير اية للسائلين لمن سال
عن قصتهم والمراد باخوته علاته العشرة وهم يهوذا وروبيل وشمعون
ولاوي وزبالون ويشجر ودينة من بنت خالته ليا تزوجها يعقوب
اولا فلما توفيت تزوج اختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف وقيل

جمع بينهما ولم يكن الجمع محرما حينئذ واربعة آخرون دان ونفتالی وجاد واشر
من سريتين زلفة وبلهة اذ قالوا ليوسف واخوه بنيامين وتخصيصه بالاضافة
لاختصاصه بالاخوة من الطرفين احب الى ابينا منا وحده لان افعل من لا يفرق
فيه بين الواحد وما فوقه والمذكر وما يقابله بخلاف اخويه فان الفرق
واجب فی المحلی جائز فی المضاف ونحن عصبة والحال انا جماعة اقويا احق بالمحبة
من صغيرين لا كفاية فيهما والعصبة والعصابة العشرة فصاعدا سموا بذلك
لان الامور تعصب بهم ان ابانا لفی ضلال مبين لتفضيله المفضول او لترك التعديل
فی المحبة روی انه كان احب اليه لما يرى فيه من المخايل وكان اخوته يحسدونه
فلما راى الرؤيا ضاعف له المحبة بحيث لم يصبر عنه فتضاعف حسدهم حتى
حملهم على التعرض له اقتلوا يوسف من جملة المحكی بعد قوله اذ قالوا كانهم اتفقوا
على ذلك الا من قال لا تقتلوه وقيل انما قاله شمعون وقيل دان ورضی به
الآخرون او اطرحوه ارضا منكورة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها وابهامها
ولذلك نصبت كالظروف المبهمة يخل لكم وجه ابيكم جواب الامر والمعنى يصف
لكم وجه ابيكم فيقبل بكليته عليكم ولا يلتفت عنكم الى غيركم ولا ينازعكم
فی محبته احد وتكونوا جزم بالعطف على يخل او نصب باضمار ان من بعده من بعد
يوسف او الفراغ من امره او قتله او طرحه قوما صالحين تائبين الى الله تعالى
عما جنيتم او صالحين مع ابيكم يصلح ما بينكم وبينه بعذر تمهدونه او صالحين
فی امور دنياكم فانه ينتظم لكم بعده بخلو وجه ابيكم قال قائل منهم يعنی يهوذا
وكان احسنهم فيه رايا وقيل روبيل لا تقتلوا يوسف فان القتل عظيم
والقوه فی غيابة الجب فی قعره سمی بها لغيبوبته عن عين الناظر وقرا نافع
فی غيابات الجب على الجمع كانه لتلك الجب غيابات وقرئ غيبة وغيابات
بالتشديد يلتقطه ياخذه بعض السيارة بعض الذين يسيرون فی الارض
ان كنتم فاعلين بمشورتی او ان كنتم على ان تفعلوا ما يفرق بينه وبين ابيه

قالوا يا ابانا ما لك لا تامنا على يوسف لم تخافنا عليه وانا له لناصحون
ونحن نشفق عليه ونريد له الخير ارادوا به استنزاله عن رايه فی حفظه منهم لما
تنسم من حسدهم والمشهور تامنا بالادغام باشمام وعن نافع بترك الاشمام
ومن الشواذ ترك الادغام لانهما من كلمتين وتيمنا بكسر التاء ارسله معنا غدا
الى الصحراء نرتع نتسع فی اكل الفواكه ونحوها من الرتعة وهو الخصب ونلعب
بالاستباق والانتضال وقرا ابن كثير نرتع بكسر العين على انه من ارتعى يرتعی
ونافع بالكسر والياء فيه وفی يلعب وقرا الكوفيون ويعقوب بالياء والسكون
على اسناد الفعل الى يوسف وقرئ يرتع من ارتع ماشيته ويرتع بكسر العين
ويلعب بالرفع على الابتداء وانا له لحافظون ان يناله مكروه قال انی
ليحزننی ان تذهبوا به لشدة مفارقته علی وقلة صبری عنه واخاف ان ياكله
الذئب لان الارض كانت مذابة وقيل راى فی المنام ان الذئب قد شد
على يوسف عليه السلام وكان يحذره وقد همزها على الاصل ابن كثير ونافع
فی رواية قالون وفی رواية اليزيدی وابو عمرو وقفا وعاصم وابن عامر وحمزة
درجا واشتقاقه من تذاءبت الريح اذا هبت من كل جهة وانتم عنه غافلون
لاشتغالكم بالرتع واللعب او لقلة اهتمامكم بحفظه قالوا لئن اكله الذئب
ونحن عصبة اللام موطئة للقسم وجوابه انا اذا لخاسرون ضعفا ومغبونون
او مستحقون لان يدعى عليهم بالخسار والواو فی ونحن للحال فلما ذهبوا به
واجمعوا ان يجعلوه فی غيابة الجب وعزموا على القائه فيها والبئر بئر بيت
المقدس او بئر بارض الاردن او بئر بمصر ومدين او على ثلثة فراسخ من مقام
يعقوب وجواب لما محذوف مثل فعلوا به ما فعلوا من الاذى فقد روی انهم
لما برزوا به الى الصحراء اخذوا يؤذونه ويضربونه حتى كادوا يقتلونه
فجعل يصيح ويستغيث فقال يهوذا اما عاهدتمونی ان لا تقتلوه فاتوا به
الى البئر فدلوه فيها فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم

فيحتالوا به على ابيهم وقال يا اخوتاه ردوا على قميصي اتوارى به فقالوا ادع
الاحد عشر كوكبا والشمس والقمر يلبسوك ويؤنسوك فلما بلغ نصفها القوه
وكان فيها ماء فسقط ثم اوى الى صخرة كانت فيها فقام عليها يبكي فجاءه جبريل
بالوحي كما قال واوحينا اليه وكان ابن عشرة سنة وقيل كان مراهقا اوحي اليه
في صغره كما اوحي الى يحيى وعيسى عليهما السلام وفي القصص ان ابرهيم عليه السلام
حين القي في النار جرد عن ثيابه فاتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فالبسه
اياه فدفعه ابرهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله في تميمة علقها بيوسف
فاخرجه جبريل والبسه يوسف لتنبئنهم بامرهم هذا لتحدثنهم بما فعلوا بك وهم
لا يشعرون انك يوسف لعلو شانك وبعده عن اوهامهم وطول العهد المغير
للحلى والهيات وذلك اشارة الى ما قال لهم بمصر حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم
له منكرون بشره بما يؤول اليه امره ايناسا له وتطييبا لقلبه وهم لا يشعرون
ذلك وجاءوا اباهم عشاء آخر النهار وقرئ عشيا وهو تصغير عشي وعشى بالضم
والقصر جمع اعشى اي عشوا من البكاء يبكون متباكين روي انه لما سمع بكاءهم
فزع وقال ما لكم يا بني واين يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق
نتسابق في العدو او في الرمي وقد يشترك الافتعال والتفاعل كالانتضال
والتناضل وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وما انت بمؤمن لنا بمصدق
لنا ولو كنا صادقين لسوء ظنك وفرط محبتك ليوسف وجاءوا على قميصه
بدم كذب اي ذي كذب بمعنى مكذوب فيه ويجوز ان يكون وصفا بالمصدر
للمبالغة وقرئ بالنصب على الحال من الواو اي جاءوا كاذبين وكذب بالدال
الغير المعجمة اي كدرا وطري وقيل اصله البياض الخارج على اظفار الاحداث
فشبه به الدم اللاصق على القميص وعلى قميصه في موضع النصب على الظرف اي
فوق قميصه او على الحال من الدم ان جوز تقديمها على المجرور روي انه لما سمع بخبر
يوسف صاح وسأل قميصه فاخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه

بدم القميص وقال ما رأيت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق
عليه قميصه ولذلك قال بل سولت لكم انفسكم امرا اي سهلت لكم وهونت
في اعينكم امرا عظيما من السول وهو الاسترخاء فصبر جميل اي فامري صبر
جميل او فصبر جميل اجمل وفي الحديث الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه اي الى
الخلق والله المستعان على ما تصفون على احتمال ما تصفونه من هلاك يوسف
وهذه الجريمة كانت قبل استنبائهم ان صح وجاءت سيارة رفقة يسيرون
من مدين الى مصر فنزلوا قريبا من الجب وكان ذلك بعد ثلث من القائه فيه
فارسلوا واردهم الذي يرد الماء ويستقي لهم وكان مالك بن ذعر الخزاعي فادلى
دلوه فارسلها في الجب ليملأها فتدلى بها يوسف فلما رآه قال يا بشرى هذا
غلام نادى البشرى بشارة لنفسه او لقومه كانه قال تعالى فهذا اوانك وقيل
هو اسم صاحب له ناداه ليعينه على اخراجه وقرأ غير الكوفيين يا بشراي بالاضافة
وقرئ يا بشري بالادغام وهو لغة وبشراي بالسكون على قصد الوقف
واسروه اي الوارد واصحابه من سائر الرفقة وقيل اخفوا امره وقالوا لهم
دفعه الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر وقيل الضمير لاخوة يوسف وذلك ان
يهوذا كان يأتيه كل يوم بالطعام فاتاه يومئذ فلم يجده فيها فاخبر اخوته
فاتوا الرفقة وقالوا هذا غلام ابق منا فاشتروه فسكت يوسف مخافة
ان يقتلوه بضاعة نصب على الحال اي اخفوه متاعا للتجارة واشتقاقه من
البضع فانه ما بضع من المال للتجارة والله عليم بما يعملون لم يخف عليه اسرارهم
او صنيع اخوة يوسف بابيهم واخيهم وشروه وباعوه وفي مرجع الضمير الوجهان
او اشتروه من اخوته بثمن بخس مبخوس لزيفه او نقصانه دراهم بدل
من الثمن معدودة قليلة فانهم كانوا يزنون ما بلغ الاوقية ويعدون
ما دونها قيل كان عشرين درهما وقيل اثنين وعشرين وكانوا فيه في يوسف
من الزاهدين الراغبين عنه والضمير في وكانوا ان كان للاخوة فظاهر

وشروه

وان كان للرفقة وكانوا باعين فزهدهم فيه لانهم التقطوه والملتقط
للشيء متهاون به خائف من انتزاعه مستعجل في بيعه وان كانوا مبتاعين فلانهم
اعتقدوا انه آبق وفيه متعلق بالزاهدين ان جعل اللام للتعريف وان جعل
بمعنى الذي فهو متعلق بمحذوف بينه الزاهدين لان متعلق الصلة لا يتقدم
على الموصول وقال الذي اشتراه من مصر وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر
واسمه قطفير او اطفير وكان الملك يومئذ ريان بن الوليد العمليقي وقد آمن
بيوسف عليه السلام ومات في حيوته وقيل كان فرعون موسى عاش اربعمائة
سنة بدليل قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات والمشهور انه من اولاد
فرعون يوسف والآية من قبيل خطاب الاولاد باحوال الآباء روي انه اشتراه
العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة ولبث في منزله ثلث عشرة سنة واستوزره
الريان وهو ابن ثلثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين واختلف
فيما اشتراه به من جعل شراه غير الاول فقيل عشرون دينارا وزوجا نعل
وثوبان ابيضان وقيل ملؤه فضة وقيل ذهبا لامرأته راعيل او زليخا
اكرمي مثواه اجعلي مقامه عندنا كريما اي حسنا والمعنى احسني تعهده عسى
ان ينفعنا في ضياعنا واموالنا ونستظهر به في مصالحنا او نتخذه ولدا
نتبناه وكان عقيما لما تفرس فيه من الرشد ولذلك قيل افرس الناس ثلثة عزيز
مصر وابنة شعيب التي قالت يا ابت استأجره وابو بكر حين استخلف عمر
وكذلك مكنا ليوسف في الارض وكما مكنا محبته في قلب العزيز او كما مكناه
في منزله او كما انجيناه وعطفنا عليه العزيز مكنا له فيها ولنعلمه من تاويل الاحاديث
عطف على مضمر تقديره ليتصرف فيها بالعدل ولنعلمه اي كان القصد في انجائه
وتمكينه الى ان يقيم العدل ويدبر امور الناس ويعلم معاني كتب الله تعالى واحكامه
فينفذها او يعبر المنامات المنبهة عن الحوادث الكائنة ليستعد لها ويشتغل
بتدبيرها قبل ان تحل كما فعل لسنيه والله غالب على امره لا يرده شيء ولا ينازعه

فيما يشاء او على امر يوسف اراد به اخوة يوسف شيئا واراد الله تعالى غيره فلم يكن
الا ما اراده ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الامر كله بيده او لطائف صنعه
وخفايا لطفه ولما بلغ اشده منتهى اشتداد جسمه وقوته وهو سن الوقوف
ما بين الثلثين والاربعين وقيل سن الشباب ومبدؤه بلوغ الحلم آتيناه حكما
حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل او حكما بين الناس وعلما يعني علم تاويل الاحاديث
وكذلك نجزي المحسنين تنبيه على انه تعالى انما آتاه ذلك جزاء على احسانه في عمله
واتقائه في عنفوان امره وراودته التي هو في بيتها عن نفسه طلبت منه وتمحلت
ان يواقعها من راد يرود اذا جاء وذهب لطلب شيء ومنها الرائد وغلقت
الابواب قيل كانت سبعة والتشديد للتكثير او للمبالغة في الايثاق وقالت
هيت لك اي اقبل وبادر او تهيأت والكلمة على الوجهين اسم فعل بني على الفتح
كاين واللام للتبيين كالتي في سقيا لك وقرأ ابن كثير بالضم تشبيها له بحيث ونافع
وابن عامر بالفتح وكسر الهاء من غير همز كعيط وهي لغة فيه وقرئ هيت كجير
وهئت كجيت من هاء يهئ اذا تهيأ وعلى هذا فاللام من صلته قال معاذ الله
اعوذ بالله معاذا انه ان الشان ربي احسن مثواي سيدي قطفير احسن تعهدي
اذ قال لك في اكرمي مثواه فما جزاؤه ان اخونه في اهله وقيل الضمير لله تعالى
اي انه خالقي واحسن منزلتي بان عطف علي قلبه فلا اعصيه انه لا يفلح الظالمون
المجاوزون الحسن بالسيء وقيل الزناة فان الزنا ظلم على الزاني والمزني باهله
ولقد همت به وهم بها قصدت مخالطته وقصد مخالطتها والهم بالشيء قصده
والعزم عليه ومنه الهمام وهو الذي اذا هم بشيء امضاه والمراد بهمه ميل الطبع
ومنازعة الشهوة لا القصد الاختياري وذلك مما لا يدخل تحت التكليف بل
الحقيق بالمدح والاجر الجزيل من الله تعالى من يكف نفسه عن الفعل عند قيام هذا
الهم او مشارفة الهم كقولك قتلته لو لم اخف الله لولا ان رأى برهان ربه في قبح
الزنا وسوء مغبته لخالطها لشبق الغلمة وكثرة المبالغة ولا يجوز ان يجعل وهم

بها جواب لولا فانها فى حكم ادوات الشرط فلا يتقدم عليها جوابها بل الجواب
محذوف يدل عليه وقيل راى جبرائيل وقيل تمثل له يعقوب عليه السلام
عاضا على انامله وقيل قطفير وقيل نودى يا يوسف انت مكتوب فى الانبياء
وتعمل عمل السفهاء كذلك اى مثل ذلك التثبيت ثبتناه او الامر مثل ذلك لنصرف عنه
السوء خيانة السيد والفحشاء الزنا انه من عبادنا المخلصين الذين اخلصهم الله تعالى
لطاعته وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب بالكسر فى كل القران اى الذين
اخلصوا دينهم لله تعالى واستبقا الباب اى تسابقا الى الباب فحذف الجار
او ضمن الفعل معنى الابتدار وذلك ان يوسف عليه السلام فر منها ليخرج
واسرعت وراءه لتمنعه الخروج وقدت قميصه من دبر اجتذبته من ورائه فانقد
قميصه والقد الشق طولا والقط الشق عرضا والفيا سيدها وصادفا زوجها
لدى الباب قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم ايهاما
بانها فرت منه تبرئة لساحتها عند زوجها وتحريضا على يوسف واغراء به انتقاما
منه وما نافية او استفهامية بمعنى اى شىء جزاؤه الا السجن قال هى راودتنى عن نفسى
طالبتنى بالمواتاة وانما قال ذلك دفعا لما عرضته له من السجن او العذاب الاليم
ولو لم تكذب عليه لما قاله وشهد شاهد من اهلها قيل ابن عمها وقيل ابن خال لها
صبيا فى المهد وعن النبى عليه الصلوة والسلام تكلم اربعة صغارا ابن ماشطة
فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى بن مريم عليهما السلام وانما
القى الله تعالى الشهادة على لسان اهلها ليكون الزم عليها ان كان قميصه قد من
قبل فصدقت وهو من الكاذبين لانه يدل على انها قدت قميصه من قدامه بالدفع
عن نفسها او انه اسرع خلفها فتعثر بذيله فانقد جيبه وان كان قميصه قد من دبر
فكذبت وهو من الصادقين لانه يدل على انها تبعته فاجتذبت ثوبه فقدته
والشرطية محكية على ارادة القول او على ان فعل الشهادة من القول وتسميتها شهادة
لانها ادت مؤداها والجمع بين ان وكان على تاويل ان يعلم انه كان ونحوه

ونظيره قولك ان احسنت الى فقد احسنت اليك من قبل فان معناه ان تمنن
على باحسانك امنن عليك باحسانى السابق وقرئ من قبل ومن دبر بالضم لانهما
قطعا عن الاضافة كقبل وبعد وبالفتح كانهما جعلا علمين للجهتين فمنعا الصرف
وبسكون العين فلما راى قميصه قد من دبر قال انه ان قولك ما جزاء من اراد باهلك
سوءا او ان السوء او ان هذا الامر من كيدكن من حيلتكن والخطاب لها ولامثالها
او لسائر النساء ان كيدكن عظيم فان كيد النساء الطف واعلق بالقلب واشد
تاثيرا فى النفس ولانهن يواجهن به الرجال والشيطان يوسوس به مسارقة
يوسف حذف منه حرف النداء لقربه وتفطنه للحديث اعرض عن هذا اكتمه
ولا تذكره واستغفرى لذنبك يا راعيل انك كنت من الخاطئين من القوم
المذنبين من خطئ اذا اذنب متعمدا والتذكير للتغليب وقال نسوة هى اسم
لجمع امراة وتانيثه بهذا الاعتبار غير حقيقى ولذلك جرد فعله وضم النون
لغة فيها فى المدينة ظرف لقال اى اشعن الحكاية فى مصر او صفة نسوة وكن
خمسا زوجة الحاجب والساقى والخباز والسجان وصاحب الدواب
امراة العزيز تراود فتاها عن نفسه تطلب مواقعة غلامها اياها والعزيز
بلسان العرب الملك واصل فتى فتى لقولهم فتيان والفتوة شاذة قد شغفها حبا
شق شغاف قلبها وهو حجابه حتى وصل الى فؤادها حبا ونصبها على التمييز
لصرف الفعل عنه وقرئ شعفها من شعف البعير اذا هناه بالقطران فاحرقه
انا لنراها فى ضلال مبين فى ضلال عن الرشد وبعد عن الصواب فلما سمعت
بمكرهن باغتيابهن وانما سماه مكرا لانهن اخفينه كما يخفى الماكر مكره
او قلن ذلك لتريهن يوسف او لانها استكتمتهن سرها فافشينه عليها
ارسلت اليهن تدعوهن قيل دعت اربعين امراة فيهن الخمس واعتدت
لهن متكا ما يتكئن عليه من الوسائد واتت كل واحدة منهن سكينا حتى يتكئن
والسكاكين بايديهن فاذا خرج عليهن بهتن ويشغلن عن نفوسهن فيقع

علي

أيديهن فيقطعنها فيبكتن بالحجة أو يهاب يوسف من مكرها إذا خرج وحده
على أربعين امرأة في أيديهن الخناجر وقيل متكأ طعاماً أو مجلس طعام فإنهم
كانوا يتكئون للطعام والشراب ترفاً ولذلك نهي عنه قال جميل فظللنا
بنعمة واتكأنا وشربنا الحلال من قلله وقيل المتكأ طعام يحز حزاً كأن القاطع
يتكئ عليه بالسكين وقرئ متكاً بحذف الهمزة ومتكاء بإشباع الفتحة كمنتزاح
ومتكاً وهو الأترج أو ما يقطع من متك الشيء إذا بتكه ومتكاً من تكئ يتكأ
إذا اتكأ وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه عظمنه وهبن حسنه الفائق
وعن النبي صلى الله عليه وسلم رأيت يوسف عليه الصلاة والسلام ليلة المعراج
كالقمر ليلة البدر وقيل كان يرى تلألؤ وجهه على الجدران وقيل أكبرن
بمعنى حضن من أكبرت المرأة إذا حاضت لأنها تدخل الكبر بالحيض والهاء ضمير للمصدر
أو ليوسف على حذف اللام أي حضن له من شدة الشبق كما قال المتنبي
خف الله واستر ذا الجمال ببرقع ... فإن لحت حاضت في الخدور العواتق
وقطعن أيديهن جرحنها بالسكاكين من فرط الدهشة وقلن حاش لله تنزيهاً
لله تعالى عن صفات العجز وتعجباً من قدرته على خلق مثله وأصله حاشا كما قرأه أبو عمرو
في الدرج فحذفت ألفه الأخيرة تخفيفاً وهو حرف يفيد معنى التنزيه في باب
الاستثناء فوضع موضع التنزيه واللام للبيان كما في قولك سقياً لك وقرئ
حاشا الله بغير لام بمعنى براءة الله وحاشاً لله بالتنوين على تنزيله منزلة المصدر
وقيل حاشا فاعل من الحشى الذي هو الناحية وفاعله ضمير يوسف أي صار في ناحية
لله مما يتوهم فيه ما هذا بشراً لأن هذا الجمال غير معهود للبشر وهو على لغة الحجاز
في إعمال ما عمل ليس لمشاركتها في نفي الحال وقرئ بشر بالرفع على لغة تميم وبشرى
أي بعبد مشترى لئيم إن هذا إلا ملك كريم فإن الجمع بين الجمال الرائق والكمال
الفائق والعصمة البالغة من خواص الملائكة أو لأن جماله فوق جمال البشر لا يفوقه
فيه إلا الملك قالت فذلكن الذي لمتنني فيه أي فهو ذلكم العبد الكنعاني الذي

لمتنني فيه في الافتتان به قبل أن تتصورنه حق تصوره ولو تصورتنه بما
عاينتن لعذرتنني أو فهذا الذي لمتنني فيه فوضع ذلك موضع هذا رفعاً
لمنزلة المشار إليه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم فامتنع طالباً للعصمة
أقرت لهن حين عرفت أنهن يعذرنها كي يعاونها على إلانة عريكته ولئن لم يفعل
ما آمره أي ما آمر به فحذف الجار أو أمري إياه بمعنى موجب أمري فيكون الضمير
ليوسف عليه السلام ليسجنن وليكوناً من الصاغرين من الأذلاء وهو من
صغر بالكسر يصغر صغراً وصغاراً والصغير من صغر بالضم صغراً وقرئ وليكونن
وهو يخالف خط المصحف لأن النون كتبت فيه بالألف كنسفعاً على حكم الوقف
وذلك في الخفيفة لشبهها بالتنوين قال رب السجن وقرأ يعقوب بالفتح على
المصدر أحب إلي مما يدعونني إليه أي آثر عندي من مؤاتاتها زناً نظراً إلى العاقبة
وإن كان هذا مما تشتهيه النفس وذلك مما تكرهه وإسناد الدعوة إليهن
جميعاً لأنهن خوفنه عن مخالفتها وزين له مطاوعتها أو دعونه إلى أنفسهن
وقيل إنما ابتلي بالسجن لقوله هذا وإنما كان الأولى به أن يسأل الله تعالى
العافية ولذلك رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على من كان يسأل الصبر
وإلا تصرف وإن لم تصرف عني كيدهن في تحبيب ذلك إلي وتحسينه عندي
بالتثبيت على العصمة أصب إليهن أمل إلى جانبهن أو إلى أنفسهن بطبعي ومقتضى
شهوتي والصبوة الميل إلى الهوى ومنه الصبا لأن النفس تستطيبها وتميل إليها
وقرئ أصب من الصبابة وهي الشوق وأكن من الجاهلين من السفهاء بارتكاب
ما يدعونني إليه فإن الحكيم لا يفعل القبيح أو من الذين لا يعملون بما يعلمون فإنهم
والجهال سواء فاستجاب له ربه فأجاب الله دعاءه الذي تضمنه قوله وإلا تصرف
فصرف عنه كيدهن فثبته بالعصمة حتى وطن نفسه على مشقة السجن وآثرها على
اللذة المتضمنة للعصيان إنه هو السميع لدعاء الملتجئين إليه العليم بأحوالهم
وما يصلحهم ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ثم ظهر للعزيز وأهله من بعد ما رأوا

الشواهد الدالة على براءة يوسف عليه السلام كشهادة الصبي وقد القميص
وقطع النساء ايديهن واستعصامه عنهن وفاعل بدا مضمر يفسره ليسجننه
حتى حين وذلك لانها خدعت زوجها وحملته على سجنه زمانا حتى تبصر
ما يكون منه او يحسب الناس انه المجرم فلبث في السجن بضع سنين وقرئ بالتاء
على ان بعضهم خاطب به العزيز على التعظيم او العزيز ومن يليه وعتى بلغة هذيل
ودخل معه السجن فتيان اي ادخل يوسف السجن واتفق انه ادخل حينئذ آخران
من عبيد الملك شرابيه وخبازه للاتهام بانهما يريدان ان يسماه قال
احدهما يعني الشرابي اني اراني في المنام وهي حكاية حال ماضية اعصر خمرا اي
عنبا وسماه بما يؤول اليه وقال الآخر اي الخباز اني اراني احمل فوق راسي خبزا
تاكل الطير منه تنهش منه نبئنا بتاويله انا نريك من المحسنين من الذين يحسنون
تاويل الرؤيا او من العالمين وانما قالا ذلك لانهما رأياه في السجن يذكر الناس
ويعبر رؤياهم او من المحسنين الى اهل السجن فاحسن الينا بتاويل ما رأينا ان كنت
تعرفه قال لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نباتكما بتاويله اي بتاويل ما قصصتما
علي او بتاويل الطعام يعني بيان ماهيته وكيفيته فانه يشبه تفسير المشكل كأنه
اراد ان يدعوهما الى التوحيد ويرشدهما الى الطريق القويم قبل ان يسعف
اليهما سؤالهما كما هو طريقة الانبياء والنازلين منازلهم من العلماء في الهداية
والارشاد فقدم ما يكون معجزة له من الاخبار بالغيب ليدلهما على صدقه في الدعوة
والتعبير قبل ان ياتيكما ذلكما اي ذلك التأويل مما علمني ربي بالالهام
والوحي ليس من قبيل التكهن والتنجيم اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله
وهم بالآخرة هم كافرون تعليل لما قبله اي علمني ذلك لاني تركت ملة اولئك
واتبعت ملة آبائي ابرهيم واسحق ويعقوب او كلام مبتدأ لتمهيد الدعوة
واظهار انه من بيت النبوة لتقوى رغبتهما في الاستماع اليه والوثوق عليه
ولذلك جوز للخامل ان يصف نفسه حتى يعرف فيقتبس منه وتكرير الضمير

للدلالة على اختصاصهم وتاكيد كفرهم بالآخرة ما كان لنا ما صح لنا
معشر الانبياء ان نشرك بالله من شيء اي شيء كان ذلك اي التوحيد من فضل الله
علينا بالوحي وعلى الناس وعلى سائر الناس ببعثنا لارشادهم وتنبيههم
عليه ولكن اكثر الناس المبعوث اليهم لا يشكرون هذا الفضل فيعرضون
عنه ولا ينتبهون او من فضل الله علينا وعليهم بنصب الدلائل وانزال
الآيات ولكن اكثرهم لا ينظرون اليها ولا يستدلون بها فيلغونها كمن
يكفر النعمة ولا يشكرها يا صاحبي السجن يا ساكنيه او يا صاحبي فيه فاضافهما
اليه على الاتساع كقوله يا سارق الليلة اهل الدار أأرباب متفرقون
شتى متعددة متساوية الاقدام خير ام الله الواحد المتوحد بالالوهية
القهار الغالب الذي لا يعادله ولا يقاومه غيره ما تعبدون من دونه
خطاب لهما ولمن على دينهما من اهل مصر الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم
ما انزل الله بها من سلطان اي الا اشياء باعتبار اسام اطلقتم عليها من
غير حجة تدل على تحقق مسمياتها فيها فكانكم لا تعبدون الا الاسماء المجردة
والمعنى انكم سميتم ما لم يدل على استحقاقه الالوهية عقل ولا نقل آلهة
ثم اخذتم تعبدونها باعتبار ما تطلقون عليها ان الحكم الا لله لانه المستحق
لها بالذات من حيث انه الواجب لذاته الموجب للكل والمالك لامره امر على
لسان انبيائه ان لا تعبدوا الا اياه الذي دلت عليه الحجج ذلك الدين القيم
الحق وانتم لا تميزون المعوج عن القويم وهذا من التدرج في الدعوة والزام
الحجة بين لهم اولا رجحان التوحيد على اتخاذ الآلهة على طريق الخطابة ثم
برهن على ان ما يسمونها آلهة لا يستحق الالهية فان استحقاق العبادة اما
بالذات واما بالغير وكلا القسمين منتف عنها ثم نص على ما هو الحق القويم والدين
المستقيم الذي لا يقتضي العقل غيره ولا يرتضي العلم دونه ولكن اكثر الناس
لا يعلمون فيخبطون في جهالاتهم يا صاحبي السجن اما احدكما يعني الشرابي فيسقي ربه

في امر العبادة م

وتعبدونها م

خمرا كما كان يسقيه قبل ويعود الى ما كان عليه واما الآخر فيريد به الخباز
فيصلب فتاكل الطير من رأسه فقالا كذبنا فقال قضي الامر الذي فيه تستفتيان
اي قطع الامر الذي تستفتيان فيه وهو ما يؤول اليه امركما ولذلك وحده
فانهما وان استفتيا في امرين لكنهما ارادا استبانة عاقبة ما نزل بهما وقال
للذي ظن انه ناج منهما الظان يوسف ان ذكر ذلك عن اجتهاد وان ذكره
عن وحي فهو الناجي الا ان يؤول الظن باليقين اذكرني عند ربك اذكر
حالي عند الملك كي يخلصني فانساه الشيطان ذكر ربه فانسى الشرابي ان
يذكره لربه فاضاف اليه المصدر لملابسته له او على تقدير ذكر اخبار ربه او
انسى يوسف عليه السلام ذكر الله تعالى حتى استعان بغيره ويؤيده قوله
صلى الله عليه وسلم اخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن
سبعا بعد الخمس والاستعانة بالعباد في كشف الشدائد وان كانت محمودة
في الجملة لكنها لا تليق بمنصب الانبياء فلبث في السجن بضع سنين البضع ما بين
الثلث الى التسع من البضع وهو القطع وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان
يأكلهن سبع عجاف لما دنا فرجه رأى الملك سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس
وسبع بقرات مهازيل فابتلعت المهازيل السمان وسبع سنبلات خضر قد انعقد
حبها واخر يابسات وسبعا اخر يابسات قد ادركت فالتوت اليابسات
على الخضر حتى غلبن عليها وانما استغنى عن بيان حالها بما قص من حال البقرات
واجرى السمان على المميز دون المميز لان التمييز بها ووصف السبع الثاني بالعجاف
لتعذر التمييز بها مجردا عن الموصوف فانه لبيان الجنس وقياسه عجف لانه
جمع عجفاء لكنه حمل على سمان لانه نقيضه يا ايها الملأ افتوني في رؤياي عبروها
ان كنتم للرؤيا تعبرون ان كنتم عالمين بعبارة الرؤيا وهي الانتقال من الصور
الخيالية الى المعاني النفسانية التي هي مثالها من العبور وهي المجاوزة وعبرت الرؤيا
عبارة اثبت من عبرتها تعبيرا واللام للبيان او لتقوية العامل فان الفعل لما اخر

عن مفعوله ضعف فتقوى باللام كاسم الفاعل او لتضمن تعبرون معنى فعل يتعدى
باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا قالوا اضغاث احلام اي هذه
اضغاث احلام وهي تخاليطها جمع ضغث واصله ما جمع من اخلاط النبات وحزم
فاستعير للرؤيا الكاذبة وانما جمعوا للمبالغة في وصف الحلم بالبطلان كقولهم
فلان يركب الخيل او لتضمنه اشياء مختلفة وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين
يريدون بالاحلام المنامات الباطلة خاصة اي ليس لها تأويل عندنا وانما
التأويل للمنامات الصادقة كانه مقدمة ثانية للعذر في جهلهم بتأويله
وقال الذي نجا منهما من صاحبي السجن وهو الشرابي وادكر بعد امة وتذكر يوسف
بعد جماعة من الزمان مجتمعة اي مدة طويلة وقرئ امة بكسر الهمزة وهي النعمة اي بعد
ما انعم عليه بالنجاة وامه اي نسيان يقال امه يامه امها اذا نسي والجملة اعتراض
ومقول القول انا انبئكم بتأويله فارسلون اي الى من عنده علمه او الى السجن يوسف
ايها الصديق اي فارسل الى يوسف فجاء وقال يا يوسف وانما وصفه بالصديق
وهو المبالغ في الصدق لانه جرب احواله وعرف صدقه في تأويل رؤياه ورؤيا
صاحبه افتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر
يابسات اي في رؤيا ذلك لعلي ارجع الى الناس اعود الى الملك ومن عنده او الى
اهل البلد اذ قيل ان السجن لم يكن فيه لعلهم يعلمون تأويلها او فضلك ومكانك
وانما لم يبت الكلام فيهما لانه لم يكن جازما بالرجوع فربما اخترم دونه ولا
من علمهم قال تزرعون سبع سنين دأبا اي على عادتكم المستمرة وانتصابه على الحال
بمعنى دائبين او المصدر باضمار فعله اي تدأبون دأبا ويكون الجملة حالا وقرأ
حفص دأبا بفتح الهمزة وكلاهما مصدر دأب في العمل وقيل تزرعون امر اخرجه
في صورة الخبر مبالغة لقوله فما حصدتم فذروه في سنبله كيلا يأكله السوس
وهو على الاول نصيحة خارجة عن العبارة الا قليلا مما تأكلون في تلك السنين
ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن اي يأكل اهلهن ما ادخرتم

لاجلهن فاسند الیهن على المجاز تطبیقا بین المعبر والمعبر به الا قلیلا مما تحصنون
تحرزون لبذور الزراعة ثم یاتی من بعد ذلک عام فیه یغاث الناس یمطرون
من الغیث او یغاثون من القحط من الغوث وفیه یعصرون ما یعصر کالعنب والزیتون
لکثرة الثمار وقیل یحلبون الضروع وقرا حمزة والکسائی بالتاء على تغلیب المستفتی
وقرئ على بناء المفعول من عصره اذا انجاه ویحتمل ان یکون المبنی للفاعل منه ای
یغیثهم الله تعالى ویغیث بعضهم بعضا او من اعصرت السحابة علیهم فعدی بنزع
الخافض او بتضمینه معنى المطر وهذه بشارة بشرهم بها بعد ان اول البقرات
السمان والسنبلات الخضر بسنین مخصبة والعجاف والیابسات بسنین مجدبة وابتلاع
العجاف السمان باکل ما جمع فی السنین المخصبة فی السنین المجدبة ولعله علم ذلک بالوحی
او بان انتهاء الجدب بالخصب او بان السنة الالهیة على ان یوسع على عباده بعد ما
ضیق علیهم وقال الملک ائتونی به بعد ما جاءه الرسول بالتعبیر فلما جاءه الرسول
لیخرجه قال ارجع الى ربک فاساله ما بال النسوة اللاتی قطعن ایدیهن انما تانی
فی الخروج وقدم سؤال النسوة وفحص حالهن لتظهر براءة ساحته ویعلم انه سجن ظلما
فلا یقدر الحاسد ان یتوسل به الى تقبیح امره وفیه دلیل على انه ینبغی ان یجتهد
فی نفی التهم ویتقی مواقعها وعن النبی علیه الصلوة والسلام لو کنت مکانه ولبثت
فی السجن ما لبث لاسرعت الاجابة وانما قال فاساله ما بال النسوة ولم یقل
فاساله ان یفتش عن حالهن تهییجا له على البحث وتحقیق الحال وانما لم یتعرض
لسیدته مع ما صنعت به کرما ومراعاة للادب وقرئ النسوة بضم النون
ان ربی بکیدهن علیم حین قلن لی اطع مولاتک وفیه استشهاد بعظیم کیدهن
والاستشهاد بعلم الله تعالى علیه وعلى انه بریء مما قرف به والوعید لهن على کیدهن
قال ما خطبکن قال الملک لهن ما شانکن والخطب امر یحق ان یخاطب فیه
صاحبه اذ راودتن یوسف عن نفسه قلن حاش لله تنزیه له وتعجب من قدرته
على خلق عفیف مثله ما علمنا علیه من سوء من ذنب قالت امراة العزیز الآن

حصحص الحق ثبت واستقر من حصحص البعیر اذا القى مبارکه لیناخ قال
فحصحص فی صم الصفا ثفناته وناء بسلمى نوءة ثم صمما او ظهر من حص شعره
اذا استاصله بحیث ظهر بشرة راسه وقرئ على البناء للمفعول انا راودته عن
نفسه وانه لمن الصادقین فی قوله هی راودتنی عن نفسی ذلک لیعلم قاله یوسف
لما عاد الیه الرسول واخبره بکلامهن ای ذلک التثبت لیعلم العزیز انی لم اخنه
بالغیب بظهر الغیب وهو حال من الفاعل او المفعول ای لم اخنه وانا غائب عنه
او هو غائب عنی او ظرف ای بمکان الغیب وراء الاستار والابواب المغلقة
وان الله لا یهدی کید الخائنین لا ینفذه ولا یسدده او لا یهدی الخائنین بکیدهم
فاوقع الفعل على الکید مبالغة وفیه تعریض براعیل فی خیانتها زوجها وتوکید
لامانته ولذلک عقبه بقوله وما ابرئ نفسی ای لا انزهها تنبیها على انه لم یرد
بذلک تزکیة نفسه والعجب بحاله بل اظهار ما انعم الله تعالى علیه من العصمة والتوفیق
وعن ابن عباس انه لما قال لیعلم انی لم اخنه قال له جبرئیل علیه السلام ولا حین
هممت فقال ذلک ان النفس لامارة بالسوء من حیث انها بالطبع مائلة الى الشهوات
فتهم بها وتستعمل القوى والجوارح فی اثرها کل الاوقات الا ما رحم ربی
الا وقت رحمة ربی او الا ما رحمه الله تعالى من النفوس فعصمه عن ذلک وقیل
الاستثناء منقطع ای ولکن رحمة ربی هی التی تصرف الاساءة وقیل الایة حکایة
قول راعیل والمستثنى نفس یوسف واضرابه وعن ابن کثیر ونافع بالسو
على قلب الهمزة واوا ثم الادغام ان ربی غفور رحیم یغفر هم النفس ویرحم
من یشاء بالعصمة او یغفر للمستغفر لذنبه المعترف على نفسه ویرحمه ما استغفره
واسترحمه مما ارتکبه وقال الملک ائتونی به استخلصه لنفسی اجعله خالصا لنفسی
فلما کلمه ای فلما اتوا به فکلمه وشاهد منه الرشد والدهاء قال انک الیوم لدینا
مکین ذو مکانة ومنزلة امین مؤتمن على کل شیء روی انه لما خرج من السجن
اغتسل وتنظف ولبس ثیابا جددا فلما دخل على الملک قال اللهم انی اسالک

من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية
فقال ما هذا اللسان قال لسان ابائي وكان الملك يعرف سبعين لسانا فكلمه بها
فاجابه بجميعها فتعجب فقال احب ان اسمع رؤياي منك فحكاها ونعت له البقرات
والسنابل واماكنها على ما راها فاجلسه على السرير وفوض اليه امره وقيل توفي
قطفير في تلك الليالي فنصبه منصبه وزوج منه راعيل فوجدها عذراء وولد
له منها افرايم وميشا قال اجعلني على خزائن الارض ولني على امرها والارض
ارض مصر اني حفيظ لها ممن لا يستحقها عليم بوجوه التصرف فيها ولعله
لما راى ان يستعمله في امر لا محالة آثر ما تعم فوائده وتجل عوائده وفيه دليل
على جواز طلب التولية واظهار انه مستعد لها والتولي من يد الكافر اذا علم انه لا سبيل
الى اقامة الحق وسياسة الخلق الا بالاستظهار به وعن مجاهد رضي ان الملك
اسلم على يده وكذلك مكنا ليوسف في الارض في ارض مصر يتبوأ منها حيث
يشاء ينزل من بلادها حيث يهوى وقرا ابن كثير نشاء بالنون نصيب برحمتنا
من نشاء في الدنيا والاخرة ولا نضيع اجر المحسنين بل نوفي اجورهم عاجلا
وآجلا ولاجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون الشرك والفواحش لعظمه
ودوامه وجاء اخوة يوسف روي انه لما استوزره الملك اقام العدل
واجتهد في تكثير الزراعات وضبط الغلات حتى دخلت السنون المجدبة وعم
القحط مصر والشام ونواحيهما في تكثير الزراعات وضبط الغلات فتوجه
الناس اليه فباعها اولا بالدراهم والدنانير حتى لم يبق معهم شيء منهما ثم بالحلي
والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا
ثم عرض الامر على الملك فقال الراي رايك فاعتقهم ورد عليهم اموالهم وكان
قد اصاب كنعان ما اصاب سائر البلاد فارسل يعقوب بنيه غير بنيامين
اليه للميرة فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون اي عرفهم يوسف ولم يعرفوه
لطول العهد ومفارقتهم اياه في سن الحداثة ونسيانهم اياه وتوهمهم انه هلك

وبعد حاله التي راوه عليها من حاله حين فارقوه وقلة تاملهم في حلاه من التهيب
والاستعظام ولما جهزهم بجهازهم اصلحهم بعدتهم واوقر ركائبهم بما جاؤوا
لاجله واصل الجهاز ما يعد من الامتعة للنقلة كعدد السفر وما يحمل من بلدة
الى اخرى وما تزف به المراة الى زوجها وقرئ بجهازهم بالكسر قال ائتوني
باخ لكم من ابيكم روي انهم لما دخلوا عليه قال من انتم وما امركم لعلكم عيون
قالوا معاذ الله نحن بنو اب واحد وهو شيخ صديق نبي من الانبياء واسمه
يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فذهب احدنا الى البرية وهلك
قال فكم انتم ههنا قالوا عشرة قال فاين الحادي عشر قالوا عند ابينا يتسلى به
من الهالك قال فمن يشهد لكم قالوا لا يعرفنا ههنا من يشهد لنا قال فدعوا
بعضكم عندي رهينة وائتوني باخيكم من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا فاصابت
شمعون وقيل كان يوسف يعطي لكل نفر حملا فسالوا حملا زائدا لاخ لهم
من ابيهم فاعطاهم وشرط عليهم ان يأتوه به ليعلم صدقهم الا ترون اني اوفي
الكيل اتمه وانا خير المنزلين للضيف والمضيفين لهم وكان احسن انزالهم
وضيافتهم فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون اي ولا تقربوني
ولا تدخلوا دياري وهو اما نهي او نفي معطوف على الجزاء قالوا سنراود عنه
اباه اي سنجتهد في طلبه من ابيه وانا لفاعلون ذلك لا نتوانى فيه وقال
لفتيانه لغلمانه الكيالين جمع فتى وقرا حمزة والكسائي وحفص لفتيانه
على جمع الكثرة ليوافق قوله اجعلوا بضاعتهم في رحالهم فانه وكل بكل رحل
واحدا يعبي فيه بضاعتهم التي شروا بها الطعام وكانت نعالا وادما وانما
فعل ذلك توسيعا وتفضلا عليهم وترفعا من ان يأخذ من الطعام منهم و
خوفا من ان لا يكون عند ابيه ما يرجعون به لعلهم يعرفونها لعلهم يعرفون
حق ردها او لكي يعرفوها اذا انقلبوا الى اهلهم وفتحوا اوعيتهم
لعلهم يرجعون لعل معرفتهم ذلك تدعوهم الى الرجوع فلما رجعوا الى ابيهم

قالوا يا ابانا منع منا الكيل حكم بمنعه بعد هذا ان لم نذهب ببنيامين
فارسل معنا اخانا نكتل نرفع المانع من الكيل ونكتل ما نحتاج وقراء
حمزة والكسائي بالياء على اسناده الى الاخ اي يكتل لنفسه فينضم اكتياله
الى اكتيالنا وانا له لحافظون عن ان يناله مكروه قال هل امنكم عليه
الا كما امنتكم على اخيه من قبل وقد قلتم في يوسف وانا له لحافظون
فالله خير حفظا فاتوكل عليه وافوض امري اليه وهو ارحم الراحمين فارجو
ان يرحمني بحفظه ولا يجمع على مصيبتين وانتصاب حفظا على التمييز وحافظا
في قراءة حمزة والكسائي وحفص يحتمله والحال كقولهم لله دره فارسا وقرئ خير
حافظ وخير الحافظين ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم
وقرئ ردت بنقل كسرة الدال المدغمة الى الراء نقلها في بيع وقيل قالوا
يا ابانا ما نبغي ماذا نطلب هل من مزيد على ذلك اكرمنا واحسن مثوانا وباع
منا ورد علينا متاعنا ولا نطلب وراء ذلك احسانا او لا نبغي في القول
ولا نزيد فيما حكينا لك من احسانه وقرئ ما تبغي على الخطاب اي اي شيء تطلب
وراء هذا من الاحسان او من الدليل على صدقنا هذه بضاعتنا ردت الينا
استئناف موضح لقوله ما نبغي ونمير اهلنا معطوف على محذوف اي ردت
الينا فنستظهر بها ونمير اهلنا بالرجوع الى الملك ونحفظ اخانا عن المخاوف
في ذهابنا وايابنا ونزداد كيل بعير وسق بعير باستصحاب اخينا هذا
اذا كانت ما استفهامية فاما اذا كانت نافية احتمل ذلك واحتمل ان تكون
الجمل معطوفة على ما نبغي اي لا نبغي فيما نقول ونمير اهلنا ونحفظ اخانا
ذلك كيل يسير اي مكيل قليل لا يكفينا استقلوا ما كيل لهم فارادوا ان
يضاعفوه بالرجوع الى الملك ويزدادوا اليه ما يكال لاخيهم ويجوز ان يكون
الاشارة الى كيل بعير اي ذلك شيء قليل لا يضايقنا فيه الملك ولا يتعاظمه وقيل
انه من كلام يعقوب عليه السلام ومعناه ان حمل بعير شيء يسير لا يخاطر لمثله بالولد

قال لن ارسله معكم اذ رايت منكم ما رايت حتى تؤتون موثقا من الله حتى تعطوني
ما اتوثق به من عند الله تعالى اي عهدا مؤكدا بذكر الله تعالى لتأتنني به جواب
القسم اذ المعنى حتى تحلفوا بالله تعالى لتأتنني به الا ان يحاط بكم الا ان تغلبوا
فلا تطيقوا ذلك او الا ان تهلكوا جميعا وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال
والتقدير لتأتنني به على كل حال الا حال الاحاطة بكم او من اعم العلل على ان
قوله لتأتنني به في تأويل النفي اي لا تمتنعون من الاتيان به الا للاحاطة
بكم كقولهم اقسمت بالله الا فعلت اي ما اطلب الا فعلك فلما اتوه موثقهم عهدهم
قال الله على ما نقول من طلب الموثق واتيانه وكيل رقيب مطلع وقال يا بني لا تدخلوا
من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة لانهم كانوا ذوي جمال وابهة
مشتهرين في مصر بالكرامة والقربة عند الملك فخاف عليهم ان يدخلوا كوكبة
واحدة فيعانوا ولعله لم يوصهم بذلك في الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين
حينئذ وكان الداعي اليها خوفه على بنيامين وللنفس اثار منها العين والذي
يدل عليه قوله عليه الصلوة والسلام في عوذته اللهم اني اعوذ بكلمات الله التامات
من كل هامة وعين لامة وما اغني عنكم من الله من شيء مما قضي عليكم بما اشرت
به اليكم فان الحذر لا يمنع القدر ان الحكم الا لله يصيبكم لا محالة ان قضى عليكم
سوء ولا ينفعكم ذلك عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون جمع بين الحرفين
في عطف الجملة على الجملة لتقدم الصلة للاختصاص كان الواو للعطف والفاء
لافادة التسبب فان فعل الانبياء سبب لان يقتدى بهم ولما دخلوا من حيث امرهم
ابوهم اي من ابواب متفرقة في البلد ما كان يغني عنهم راي يعقوب عليه السلام
واتباعهم له من الله من شيء مما قضاه عليهم كما قال يعقوب فسرقوا واخذ
بنيامين بوجدان الصواع في رحله وتضاعفت المصيبة على يعقوب عليه السلام
الا حاجة في نفس يعقوب استثناء منقطع اي ولكن حاجة في نفسه يعني شفقته
عليهم وحرازته من ان يعانوا قضاها اظهرها ووصى بها وانه لذو علم

لما علمناه بالوحي ونصب الحجج ولذلك قال وما اغني عنكم من الله من شيء ولم يعتد
بتدبيره ولكن اكثر الناس لا يعلمون سر القدر وانه لا يغني عنه الحذر ولما
دخلوا على يوسف اوى اليه اخاه ضم اليه بنيامين على الطعام او في المنزل
روي انه اضافهم فاجلسهم مثنى مثنى فبقي بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان
اخي يوسف حيا لجلس معي فاجلسه معه على مائدته ثم قال لينزل كل اثنين بيتا
وهذا لا ثاني له فيكون معي فبات عنده وقال له اتحب ان اكون اخاك بدل
اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل قال
اني انا اخوك فلا تبتئس فلا تحزن افتعال من البؤس بما كانوا يعملون في حقنا
فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية المشربة في رحل اخيه قيل كانت مشربة جعلت
صاعا يكال به وقيل كانت تسقى الدواب بها ويكال فيها وكانت من فضة وقيل
من ذهب وقرئ وجعل على حذف جواب فلما تقديره امهلهم حتى انطلقوا ثم اذن
مؤذن نادى مناد ايتها العير انكم لسارقون لعله لم يقله بامر يوسف او كان
تعبئة السقاية والنداء عليها برضاء بنيامين وقيل معناه انكم لسارقون يوسف
من ابيه او انكم لسارقون والعير القافلة وهو اسم الابل التي عليها الاحمال
لانها تعير اي تتردد فقيل لاصحابها كقوله عليه السلام يا خيل الله اركبي وقيل
جمع عير واصلها فعل كسقف فعل به ما فعل ببيض تجوز به لقافلة الحمير ثم استعير
لكل قافلة قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون اي شيء ضاع عنكم والفقد غيبة
الشيء عن الحس بحيث لا يعرف مكانه وقرئ تفقدون من افقدته اذا وجدته
فقيدا قالوا نفقد صواع الملك وقرئ صاع وصوع بالفتح والضم والعين
والغين وصواغ من الصياغة ولمن جاء به حمل بعير من الطعام جعل له وانا به زعيم
كفيل اؤديه الى من رده وفيه دليل على جواز الجعالة وضمان الجعل قبل تمام
العمل قالوا تالله قسم فيه معنى التعجب والتاء بدل من الباء مختصة باسم الله تعالى
لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين استشهدوا بعلمهم على براءة انفسهم

لما عرفوا منهم في كرتي مجيئهم ومداخلتهم للملك مما يدل على فرط امانتهم كرد البضاعة
التي جعلت في رحالهم وكعم الدواب لئلا تتناول زرعا او طعاما لاحد
قالوا فما جزاؤه فما جزاء السارق او السرق او الصواع على حذف المضاف
ان كنتم كاذبين في ادعاء البراءة قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه اي
جزاء سرقته اخذ من وجد في رحله واسترقاقه هكذا كان شرع يعقوب عليه السلام
وقوله فهو جزاؤه تقرير للحكم والزام له او خبر من والفاء لتضمنها معنى الشرط او
جواب لها على انها شرطية والجملة كما هي خبر جزاؤه على اقامة الظاهر فيها مقام
الضمير كانه قيل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو كذلك نجزي الظالمين
بالسرقة فبدا باوعيتهم فبدا المؤذن وقيل يوسف لانهم ردوا الى مصر
قبل وعاء اخيه بنيامين نفيا للتهمة ثم استخرجها اي السقاية او الصواع لانه
يذكر ويؤنث من وعاء اخيه وقرئ بضم الواو وبقلبها همزة كذلك مثل ذلك
الكيد كدنا ليوسف بان علمناه اياه واوحينا به اليه ما كان لياخذ اخاه في
دين الملك ملك مصر لان دينه الضرب وتغريم ضعف ما اخذ دون الاسترقاق
وهو بيان للكيد الا ان يشاء الله اي بجعل ذلك الحكم حكم الملك فالاستثناء
من اعم الاحوال ويجوز ان يكون منقطعا اي لكن اخذه بمشيئة الله تعالى واذنه
نرفع درجات من نشاء بالعلم كما رفعنا درجته وفوق كل ذي علم عليم ارفع
درجة منه واحتج به من زعم انه تعالى عالم بذاته اذ لو كان ذا علم لكان فوقه
من هو اعلم منه والجواب ان المراد كل ذي علم من الخلق لان الكلام فيهم ولان
العليم هو الله ومعناه الذي له العلم البالغ لغة ولانه لا فرق بينه وبين قولنا
فوق كل العلماء عليم وهو مخصوص قالوا ان يسرق بنيامين فقد سرق اخ له من
قبل يعنون يوسف عليه السلام قيل ورثت عمته من ابيها منطقة ابراهيم عليه السلام
وكانت تحضن يوسف عليه السلام وتحبه فلما شب اراد يعقوب ان ينتزعه فشدت
المنطقة على وسطه ثم اظهرت ضياعها فتفحص عنها فوجدت محزومة عليه فصارت

اخذ به فی حکمهم وقیل کان لابی امه صنم فسرقه وکسره والقاه فی الجیف وقیل
کان فی البیت عناق او دجاجة فاعطی للسائل فاسرها یوسف فی نفسه ولم یبدها
لهم اکنها ولم یظهرها لهم والضمیر للاجابة او المقالة او نسبة السرقة الیه وقیل
انها کنایة بشریطة التفسیر یفسرها قوله قال انتم شر مکانا فانه بدل من اسرها
والمعنی قال فی نفسها انتم شر مکانا ای منزلة فی السرقة لسرقتکم اخاکم او فی سوء
الصنیع مما کنتم علیه وتانیثها باعتبار الکلمة او الجملة وفیه نظر لذ المفسر بالجملة
لا یکون الا ضمیر الشان والله اعلم بما تصفون وهو یعلم ان الامر لیس کما تصفون
قالوا یا ایها العزیز ان له ابا شیخا کبیرا فی السن او القدر وذکروا له حاله
استعطافا له علیه فخذ احدنا مکانه بدله فان اباه ثکلان علی اخیه الهالک
مستانس به انا نریک من المحسنین الینا فاتمم احسانک او من المتعودین بالاحسان
فلا تغیر عادتک قال معاذ الله ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده فان
اخذ غیره ظلم علی فتواکم فلو اخذنا احدکم مکانه انا اذا لظالمون فی مذهبکم
هذا او ان مراده ان الله اذن اخذ من وجدنا الصاع فی رحله لمصلحته ورضاه
علیه فلو اخذت غیره کنت ظالما فلما استیئسوا منه یئسوا من یوسف واجابته
ایاهم وزیادة السین والتاء للمبالغة خلصوا انفردوا واعتزلوا وعن البزی
استایسوا بالالف وفتح الیاء من غیر همز والباقون بالهمزة علی الیاء علی اصله
نجیا متناجین وانما وحده لانه مصدر او بزنته کما قیل هم صدیق وجمعه
انجیة کندی واندیة قال کبیرهم فی السن وهو روبیل او فی الرای وهو شمعون
وقیل یهوذا الم تعلموا ان اباکم قد اخذ علیکم موثقا من الله عهدا وثیقا وانما
جعل حلفهم بالله تعالی موثقا منه لانه باذن منه وتاکید من جهته ومن قبل ومن
قبل هذا ما فرطتم فی یوسف قصرتم فی شانه وما مزیدة ویجوز ان یکون مصدریة
فی موضع النصب بالعطف علی مفعول تعلموا ولا باس بالفصل بین العاطف والمعطوف
بالظرف او علی اسم ان وخبره فی یوسف او من قبل او الرفع بالابتداء والخبر من قبل

وفیه نظر لان قبل اذا کان خبرا او صلة لا یقطع عن الاضافة حتی لا ینقص
وان یکون موصولا ای ما فرطتموه بمعنی ما قدمتموه فی حقه من الجنایة ومحله
ما تقدم فلن ابرح الارض فلن افارق ارض مصر حتی یاذن لی ابی فی الرجوع
الیه او یحکم الله لی او یقضی لی بالخروج منها او بخلاص اخی منهم او بالمقاتلة
معهم لتخلیصه روی انهم کلموا العزیز فی اطلاقه فقال روبیل ایها الملک والله
لتترکنا او لاصیحن صیحة تضع منها الحوامل ووقفت شعور جسده فخرجت
من ثیابه فقال یوسف لابنه قم الی جنبه فمسه وکان بنو یعقوب اذا غضب
احدهم فمسه الاخر ذهب غضبه فقال روبیل من هذا ان فی هذا البلد لبذرا
من بذر یعقوب وهو خیر الحاکمین لان حکمه لا یکون الا بالحق ارجعوا الی ابیکم
فقولوا یا ابانا ان ابنک سرق علی ما شهدنا من ظاهر الامر وقرئ سرق ای
نسب الی السرقة وما شهدنا علیه الا بما علمنا بان راینا ان الصاع استخرج
من وعائه وما کنا للغیب لباطن الحال حافظین فلا ندری انه سرق او سرق
ودس الصاع فی رحله او وما کنا للعواقب عالمین فلم ندر حین اعطیناک الموثق
انه سیسرق او انک تصاب به کما اصبت بیوسف واسال القریة التی کنا فیها
یعنی مصر او قریة من قربها لحقهم المنادی فیها والمعنی ارسل الی اهلها واسالهم
عن القصة والعیر التی اقبلنا فیها واصحاب العیر التی توجهنا فیهم وکنا معهم وانا
لصادقون تاکید فی محل القسم قال بل سولت ای فلما رجعوا الی ابیهم وقالوا
له ما قال لهم اخوهم قال بل سولت ای زینت وسهلت لکم انفسکم امرا
اردتموه فقدرتموه والا فما ادری الملک ان السارق یوخذ بسرقته فصبر جمیل
ای فامری صبر جمیل او فصبری جمیل اجمل عسی الله ان یاتینی بهم جمیعا بیوسف
وبنیامین واخیهما الذی توقف بمصر انه هو العلیم بحالی وحالهم الحکیم
فی تدبیرها وتولی عنهم واعرض عنهم کراهة لما صادف منهم وقال یا اسفی
علی یوسف ای یا اسفا تعال فهذا اوانک والاسف اشد الحزن والحسرة

والالف بدل من ياء المتكلم وانما تأسف على يوسف دون اخويه والحادث
رزؤهما لان رزءه كان قاعدة المصيبات وكان غضا آخذا بمجامع قلبه ولانه
كان واثقا بحياتهما دون حياته وفي الحديث لم تعط امة من الامم انا لله
وانا اليه راجعون عند المصيبة الا امة محمد صلى الله عليه وسلم الا ترى الى يعقوب
حين اصابه ما اصابه لم يسترجع وقال يا اسفا وابيضت عيناه من الحزن
لكثرة بكائه من الحزن كان العبرة محقت سوادهما وقيل ضعف بصره وقيل عمي
وقرئ من الحزن وفيه دليل على جواز التأسف والبكاء عند التفجع ولعل
امثال ذلك لا يدخل تحت التكليف فانه قل من يملك نفسه عند الشدائد ولقد
بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب يجزع والعين
تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون فهو كظيم
مملوء من الغيظ على اولاده ممسك له في قلبه لا يظهره فعيل بمعنى مفعول كقوله تعالى
وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملئه او بمعنى فاعل كقوله تعالى والكاظمين
الغيظ من كظم الغيظ اذا اجترعه واصله كظم البعير جرته اذا ردها في جوفه قالوا
تالله تفتؤ تذكر يوسف اي لا تفتؤ ولا تزال تذكره تفجعا عليه فحذف لا كما في
فقلت يمين الله ابرح قاعدا لانه لا يلتبس بالاثبات فان القسم اذا لم يكن
معه علامة الاثبات كان على النفي حتى تكون حرضا مريضا مشفيا على الهلاك
وقيل الحرض الذي اذابه هم او مرض وهو في الاصل مصدر ولذلك لا يؤنث
ولا يجمع والنعت بالكسر كدنف ودنف وقد قرئ به وبضمتين كجنب او تكون
من الهالكين من الميتين قال انما اشكو بثي وحزني همي الذي لا اقدر الصبر عليه
من البث بمعنى النشر الى الله لا الى احد منكم ومن غيركم فخلوني وشكايتي واعلم
من الله من صنعه ورحمته وانه لا يخيب داعيه ولا يدع الملتجئ اليه او من الله بنوع
من الالهام ما لا تعلمون من حياة يوسف قيل رأى ملك الموت في المنام فسأله
عنه فقال هو حي وقيل علم من رؤيا يوسف انه لا يموت حتى يخر له اخوته سجدا

يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه فتعرفوا منهما وتفحصوا عن حالهما
والتحسس طلب الاحساس ولا تيأسوا من روح الله لا تقنطوا من فرجه وتنفيسه
وقرئ من روح الله اي من رحمته التي يحيي بها العباد انه لا ييأس من روح الله
الا القوم الكافرون بالله تعالى وصفاته فان العارف لا يقنط من رحمته في شيء
من الاحوال فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز بعد ما رجعوا الى مصر
رجعة ثانية مسنا واهلنا الضر شدة الجوع وجئنا ببضاعة مزجاة رديئة
او قليلة ترد وتدفع رغبة عنها من ازجيته اذا دفعته ومنه تزجية الزمان
قيل كانت دراهم زيوفا وقيل صوفا وسمنا وقيل الصنوبر وحبة الخضراء
وقيل الاقط وسويق المقل فاوف لنا الكيل فاتمم لنا الكيل وتصدق علينا
برد اخينا او بالمسامحة وقبول المزجاة او بالزيادة على ما يساويها واختلف
في ان حرمة الصدقة تعم الانبياء او تختص بنبينا عليه وعليهم الصلاة والسلام
ان الله يجزي المتصدقين احسن الجزاء والتصدق التفضل مطلقا ومنه قوله عم
في القصر هذه صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته لكنه اختص عرفا
بما يبتغى به ثواب من الله تعالى قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اي هل
علمتم قبحه فتبتم عنه وفعلهم باخيه افراده عن يوسف واذلاله حتى كان لا يستطيع
ان يكلمهم الا بعجز وذلة اذ انتم جاهلون قبحه فلذلك اقدمتم عليه او عاقبته
وانما قال ذلك تنصيحا لهم وتحريضا على التوبة وشفقة عليهم لما رأى من عجزهم
وتمسكنهم لا معاتبة وتثريبا وقيل اعطوه كتاب يعقوب عليه السلام في تخليص
بنيامين وذكروا له ما هو فيه من الحزن على فقد يوسف واخيه فقال لهم ذلك
وانما جهلهم لان فعلهم كان فعل الجهال او لانهم كانوا حينئذ صبيانا طياشين
قالوا أانك لانت يوسف استفهام تقرير ولذلك حقق بان واللام عليه
وقرأ ابن كثير على الايجاب قيل عرفوه بروائه وشمائله حين كلمهم
به وقيل تبسم فعرفوه بثناياه وقيل رفع التاج عن رأسه فرأوا علامة

بقرنه تشبه الشامة البيضا وكانت لسارة ويعقوب مثلها قال انا يوسف
وهذا اخي من ابي وامي ذكره تعريفا لنفسه به وتفخيما لشانه وادخالا له
في قوله قد من الله علينا اي بالسلامة والكرامة انه من يتق اي من يتق الله تعالى
ويصبر على البليات او على الطاعات وعن المعاصي فان الله لا يضيع اجر المحسنين
وضع المحسنين موضع الضمير للتنبيه على ان المحسن من جمع بين التقوى والصبر قالوا
تالله لقد اثرك الله علينا اختارك علينا بحسن الصورة وكمال السيرة وان
كنا لخاطئين والحال ان شاننا انا كنا مذنبين بما فعلنا معك قال لا تثريب عليكم
لا تانيب عليكم تفعيل من الثرب وهو الشحم الذي يغشى الكرش للازالة كالتجليد
فاستعير للتقريع الذي يمزق العرض ويذهب ماء الوجه اليوم متعلق بالتثريب
او بالمقدر للجار الواقع خبرا للا تثريب والمعنى لا اثربكم اليوم الذي هو مظنته
فما ظنكم بسائر الايام او بقوله يغفر الله لكم لانه صفح عن جريمتهم حينئذ واعترفوا
بها حينئذ وهو ارحم الراحمين فانه يغفر الصغاير والكبائر ويتفضل على التائب
ومن كرم يوسف عليه السلام انهم لما عرفوه ارسلوا اليه وقالوا انك تد
تدعوننا بالبكرة والعشي الى الطعام ونحن نستحيي منك لما فرط منا فيك فقال
ان اهل مصر كانوا ينظرون الي بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا
بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت بكم وعظمت في عيونهم حيث علموا انكم
اخوتي واني من حفدة ابراهيم عليه السلام اذهبوا بقميصي هذا القميص الذي
كان عليه وقيل القميص المتوارث الذي كان في التعويذ فالقوه على وجه ابي
يات بصيرا يرجع بصيرا اي ذا بصر واتوني انتم وابي باهلكم اجمعين بنسائكم
وذرياتكم ومواليكم ولما فصلت العير من مصر وخرجت من عمرانها قال ابوهم
لمن حضره اني لاجد ريح يوسف اوجده الله تعالى ريح ما عبق بقميصه من ريحه حين اقبل
به يهوذا من ثمانين فرسخا لولا ان تفندون تنسبوني الى الفند وهو نقصان
عقل يحدث من هرم ولذلك لا يقال عجوز مفندة لان نقصان عقلها ذاتي وجواب

لولا محذوف تقديره لصدقتموني او لقلت انه قريب قالوا اي الحاضرون
تالله انك لفي ضلالك القديم لفي ذهابك عن الصواب قدما بالافراط في محبة
يوسف والاكثار من ذكره والتوقع للقائه فلما ان جاء البشير يهوذا روي انه قال
كما احزنته بحمل قميصه الملطخ بالدم فافرحه بحمل هذا اليه القاه على وجهه طرح
البشير القميص على وجه يعقوب او يعقوب نفسه فارتد بصيرا عاد بصيرا لما انتعش فيه
من القوة قال الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون من حياة يوسف وانزال الفرج
وقيل اني اعلم كلام مبتدأ والمقول لا تيأسوا من روح الله او اني لاجد ريح
يوسف قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين ومن حق المعترف
بذنبه ان يصفح عنه ويسال له المغفرة قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور
الرحيم اخره الى السحر او الى صلوة الليل او الى ليلة الجمعة تحريا لوقت الاجابة
او الى ان يستحل لهم من يوسف او يعلم انه عفا عنهم فان عفو المظلوم شرط المغفرة
ويؤيده ما روي انه استقبل القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن
وقاموا خلفهما اذلة خاشعين حتى نزل جبريل عليه السلام وقال ان الله تعالى
قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة وهو ان صح
فدليل على نبوتهم وان ما صدر عنهم كان قبل استنبائهم فلما دخلوا على يوسف
روي انه وجه اليه رواحل واموالا ليتجهز اليه بمن معه واستقبله يوسف
والملك باهل مصر وكان اولاده الذين دخلوا معه اثنين وسبعين رجلا وامراة
وكانوا حين خرجوا مع موسى ستمائة الف وخمسمائة وبضعة وسبعين
رجلا سوى الذرية والهرمى اوى اليه ابويه ضم اليه اباه وخالته واعتنقهما
نزلها منزلة الام تنزيل العم منزلة الاب في قوله واله ابائك ابراهيم
واسمعيل واسحق او لان يعقوب تزوجها بعد امه والرابة تدعى اما وقال
ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين من القحط واصناف المكاره والمشية متعلقة
بالدخول المكيف بالامن والدخول الاول كان في موضع خارج البلد حين

استعظموه ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا تحية وتكرمة فان السجود
كان عندهم يجري مجراها وقيل معناه خروا لاجله سجدا لله شكرا وقيل
الضمير لله تعالى والواو لابويه واخوته والرفع مؤخر عن الخرور وان قدم لفظا
للاهتمام بتعظيمه لهما وقال يا ابت هذا تاويل رؤياي من قبل التي رايتها
ايام الصبي قد جعلها ربي حقا صدقا وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن ولم يذكر
الجب لئلا يكون تثريبا عليهم وجاء بكم من البدو من البادية لانهم كانوا
اصحاب المواشي واهل البدو من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي
افسد بيننا وحرش من نزغ الرائض الدابة اذا نخسها وحملها على الجري
ان ربي لطيف لما يشاء لطيف التدبير له اذ ما من صعب الا وتنفذ فيه مشيئته
ويتسهل دونها انه هو العليم بوجوه المصالح والتدابير الحكيم الذي يفعل
كل شيء في وقته وعلى وجه يقتضي الحكمة روي ان يوسف عليه السلام طاف
بابيه في خزائنه فلما ادخله خزانة القرطاس قال يا بني ما اغفلك عندك
هذه القراطيس وما كتبت الي على ثمان مراحل قال امرني جبرئيل عليه السلام
قال اوما تساله قال انت ابسط مني اليه فساله قال جبرئيل عليه الله امرني
بذلك لقولك واخاف ان ياكله الذئب قال فهلا خفتني رب قد اتيتني
من الملك بعض الملك وهو ملك مصر وعلمتني من تاويل الاحاديث الكتب
او الرؤيا ومن ايضا للتبعيض لانه لم يؤت كل التاويل فاطر السموات والارض
مبدعهما وانتصابه على انه صفة المنادى او منادى براسه انت وليي ناصري
او متولي امري في الدنيا والاخرة او الذي يتولاني بالنعمة فيهما توفني مسلما
اقبضني والحقني بالصالحين من ابائي او بعامة الصالحين في الرتبة والكرامة
روي ان يعقوب اقام معه اربعا وعشرين سنة ثم توفي واوصى ان يدفن
بالشام الى جنب ابيه فذهب به ودفنه ثمة وعاش بعده ثلثا وعشرين سنة
ثم تاقت نفسه الى الملك المخلد فتمنى الموت وتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم اهل

مصر في مدفنه حتى هموا بالقتال فراوا ان يجعلوه في صندوق من مرمر
ويدفنوه في النيل بحيث يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا شرعا فيه ثم نقله
موسى عليه السلام الى مدفن ابائه وكان عمره مائة وعشرين سنة وقد ولد له
من راعيل افرايم وميشا وهو جد يوشع بن نون ورحمة امراة ايوب
ذلك اشارة الى ما ذكر من نبا يوسف والخطاب فيه للرسول عليه السلام
وهو مبتدا من انباء الغيب نوحيه اليك خبران له وما كنت لديهم اذ اجمعوا
امرهم وهم يمكرون كالدليل عليهما والمعنى ان هذا النبا غيب لم تعرفه الا بالوحي
لانك لم تحضر اخوة يوسف حين عزموا على ما هموا به من ان يجعلوه في غيابة
الجب وهم يمكرون به وبابيه ليرسله معهم ومن المعلوم الذي لا يخفى على مكذبيك
انك ما لقيت احدا سمع ذلك فتعلمته منه وانما حذف هذا الشق استغناء بذكره
في غير هذه القصة كقوله تعالى ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا وما
اكثر الناس ولو حرصت على ايمانهم وبالغت في اظهار الايات عليهم بمؤمنين
لعنادهم وتصميمهم على الكفر وما تسالهم عليه على الانباء او القران من اجر جعل
كما تفعله حملة الاخبار ان هو الا ذكر عظة من الله تعالى للعالمين عامة وكاين
من اية وكم من اية والمعنى وكاي عدد شئت من الدلائل الدالة على وجود الصانع
وحكمته وكمال قدرته وتوحيده في السموات والارض يمرون عليها على الايات
ويشاهدونها وهم عنها معرضون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقرئ
والارض بالرفع على انه مبتدا خبره يمرون فيكون لها الضمير في عليها وبالنصب على
ويطؤن الارض وقرئ يمشون عليها اي يترددون فيها فيرون اثار الامم الهالكة
وما يؤمن اكثرهم بالله في اقرارهم بوجوده وخالقيته الا وهم مشركون بعبادة غيره
او باتخاذ الاحبار اربابا ونسبة التبني اليه او القول بالنور والظلمة او النظر
الى الاسباب ونحو ذلك وقيل الاية في مشركي مكة وقيل في المنافقين وقيل
في اهل الكتاب افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله عقوبة تغشيهم وتشملهم

أو تأتيهم الساعة بغتة فجأة من غير سابقة علامة وهم لا يشعرون بإتيانها
غير مستعدين لها قل هذه سبيلي يعني الدعوة إلى التوحيد والإعداد للمعاد ولذلك
فسر السبيل بقوله أدعو إلى الله وقيل هو حال من الياء على بصيرة بيان وحجة واضحة
غير عمياء أنا تأكيد للمستتر في أدعو أو على بصيرة حال منه أو مبتدأ خبره على بصيرة
ومن اتبعني عطف عليه وسبحان الله وما أنا من المشركين وأنزهه تنزيها من الشركاء
وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا رد لقولهم لو شاء ربنا لأنزل ملائكة وقيل
معناه نفي استنباء النساء نوحي إليهم كما أوحي إليك ويمتازوا بذلك عن غيرهم
وقرأ حفص نوحي في كل القرآن ووافقه حمزة والكسائي في سورة الأنبياء من أهل
القرى لأن أهلها أعلم وأحلم من أهل البدو أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان
عاقبة الذين من قبلهم من المكذبين بالرسل والآيات فيحذروا تكذيبك أو من
المشغوفين بالدنيا المتهالكين عليها فيقلعوا عن حبها ولدار الآخرة ولدار الحال
أو الساعة أو الحياة الآخرة خير للذين اتقوا الشرك والمعاصي أفلا تعقلون يستعملون
عقولهم ليعرفوا أنها خير وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالتاء حملا على قوله
قل هذه سبيلي أي قل لهم أفلا تعقلون حتى إذا استيأس الرسل غاية محذوف دل
عليه الكلام أي لا يغررهم تمادي أيامهم فإن من قبلهم أمهلوا حتى أيس الرسل عن
النصر عليهم في الدنيا أو عن إيمانهم لانهماكهم في الكفر مترفهين متمادين فيه من
غير وازع وظنوا أنهم قد كذبوا أي كذبتهم أنفسهم حين حدثتهم بأنهم ينصرون
أو كذبهم القوم بوعد الإيمان وقيل الضمير للمرسل إليهم أي وظن المرسل إليهم أن الرسل
قد كذبوهم بالدعوة والوعيد وقيل الأول للمرسل إليهم والثاني للرسل أي
وظنوا أن الرسل قد كذبوا وأخلفوا فيما وعد لهم من النصر وخلط الأمر عليهم
وما روي عن ابن عباس رض أن الرسل ظنوا أنهم أخلفوا ما وعدهم الله من النصر إن
صح فقد أراد بالظن ما يهجس في القلب على طريق الوسوسة هذا وإن المراد به
المبالغة في التراخي والإمهال على سبيل التمثيل وقرأ غير الكوفيين بالتشديد أي وظن

الرسل أن القوم قد كذبوهم فيما أوعدوهم وقرئ كذبوا بالتخفيف وبناء
الفاعل أي وظنوا أنهم قد كذبوا فيما حدثوا به عند قومهم لما تراخى عنهم ولم يروا
له أثرا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء النبي والمؤمنين وإنما لم يعينهم للدلالة على أنهم
الذين يستأهلون أن ينجوا لا يشاركهم فيه غيرهم وقرأ ابن عامر وعاصم
ويعقوب على لفظ الماضي المبني للمفعول وقرئ فنجا ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين
إذا نزل بهم وفيه بيان المشيئين لقد كان في قصصهم في قصص الأنبياء وأممهم
أو في قصة يوسف وإخوته عبرة لأولي الألباب لذوي العقول المبرأة عن شوائب
الإلف والركون إلى الحس ما كان حديثا يفترى ما كان القرآن حديثا مفترى ولكن تصديق
الذي بين يديه من الكتب الإلهية وتفصيل كل شيء يحتاج إليه في الدين إذ ما
من أمر ديني إلا وله سند من القرآن بوسط أو بغير وسط وهدى من الضلال
ورحمة ينال بها خير الدارين لقوم يؤمنون يصدقونه وعن النبي عليه السلام
علموا أرقاءكم سورة يوسف فأيما مسلم تلاها وعلمها أهله وما ملكت
يمينه هون الله عليه سكرات الموت وأعطاه القوة أن لا يحسد مسلما

سورة يوسف آياتها مائة واحدى عشرة آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم المر قيل معناه أنا الله أعلم وأرى تلك آيات الكتاب
يعني بالكتاب السورة وتلك إشارة إلى آياتها أي تلك الآيات آيات السورة الكاملة
أو القرآن والذي أنزل إليك من ربك الحق هو القرآن كله ومحله الجر بالعطف
على الكتاب عطف العام على الخاص أو إحدى الصفتين على الأخرى أو الرفع بالابتداء
وخبره الحق والجملة كالحجة على الجملة الأولى وتعريف الخبر وإن دل على اختصاص
المنزل بكونه حقا فهو أعم من المنزل صريحا أو ضمنا كالمثبت بالقياس وغيره
مما نطق المنزل بحسن اتباعه ولكن أكثر الناس لا يؤمنون لإخلالهم بالنظر والتأمل
فيه الله الذي رفع السموات مبتدأ وخبر ويجوز أن يكون الموصول صفة والخبر

يدبر الامر بغير عمد اساطين جمع عماد كاهاب واهب او عمود كاديم وادم
وقرئ عمد كرسل ترونها صفة لعمد او استيناف للاستشهاد برؤيتهم السموات
كذلك وهو دليل على وجود الصانع الحكيم فان ارتفاعها على سائر الاجسام
المساوية لها في حقيقة الجرمية واختصاصها بما يقتضي ذلك لا بد وان يكون لمخصص
ليس بجسم ولا جسماني يرجح بعض الممكنات على بعض بارادته وعلى هذا المنهاج
سائر ما ذكر من الآيات ثم استوى على العرش بالحفظ والتدبير وسخر الشمس والقمر
ذللهما لما اراد منهما كالحركة المستمرة على حد من السرعة ينفع في حدوث الكائنات
وبقائها كل يجري لاجل مسمى لمدة معينة يتم فيها ادواره او لغاية مضروبة
ينقطع دونها سيره وهي اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت يدبر الامر امر
ملكوته من الايجاد والاعدام والاحياء والاماتة وغير ذلك يفصل الآيات
ينزلها ويبينها مفصلة او يحدث الدلائل واحدا بعد واحد لعلكم بلقاء ربكم
توقنون لكي تتفكروا فيها وتتحققوا كمال قدرته فتعلموا ان من قدر على خلق هذه
الاشياء وتدبيرها قدر على الاعادة والجزاء وهو الذي مد الارض بسطها
طولا وعرضا لتثبت عليها الاقدام ويتقلب عليها الحيوان وجعل فيها رواسي
جبالا ثوابت من رسا الشيء اذا ثبت جمع راسية والتاء للتانيث على انها صفة اجبل
او للمبالغة وانهارا ضمها الى الجبال وعلق بهما فعلا واحدا من حيث ان الجبال
اسباب لتولدها ومن كل الثمرات متعلق بقوله جعل فيها زوجين اثنين اي وجعل
فيها من جميع انواع الثمرات صنفين اثنين كالحلو والحامض والاسود والابيض
والصغير والكبير يغشي الليل النهار يلبسه مكانه فيصير الجو مظلما بعدما كان مضيئا
وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر يغشي بالتشديد ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون
فيها فان تكونها وتخصصها بوجه دون وجه دليل على وجود صانع حكيم
دبر امرها وهيأ اسبابها وفي الارض قطع متجاورات بعضها طيبة وبعضها
سبخة وبعضها رخوة وبعضها صلبة وبعضها يصلح للزرع دون الشجر وبعضها

ولولا تخصيص قادر موقع لافعاله على وجه دون وجه لم تكن كذلك لاشتراك
تلك القطع في الطبيعة الارضية وما يلزمها ويعرض لها بتوسط ما يعرض
من الاسباب السماوية من حيث انها متضامة متشاركة في النسب والاوضاع
وجنات من اعناب وزرع ونخيل وبساتين فيها انواع الاشجار والزروع
وتوحيد الزرع لانه مصدر في اصله وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحفص وزرع
ونخيل بالرفع عطفا على وجنات صنوان نخلات اصلها واحد وغير صنوان
ومتفرقات مختلفة الاصول وقرأ حفص بالضم وهو لغة تميم كقنوان جمع قنو
تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل في الثمر شكلا وقدرا
ورائحة وطعما وذلك ايضا مما يدل على الصانع الحكيم فان اختلافها مع
اتحاد الاصول والاسباب لا يكون الا بتخصيص قادر مختار وقرأ ابن عامر
وعاصم ويعقوب يسقى بالتذكير على تأويل ما ذكر وحمزة والكسائي يفضل
بالياء ليطابق قوله يدبر الامر ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون يستعملون
عقولهم بالتفكر وان تعجب يا محمد من انكارهم البعث فعجب قولهم حقيق بان
يتعجب منه فان من قدر على انشاء ما قص عليك كانت الاعادة ايسر شيء عليه
والآيات المعدودة كما هي دالة على وجود المبدأ فهي دالة على امكان الاعادة
من حيث انها تدل على كمال علمه وقدرته وقبول المواد لانواع تصرفاته ائذا
كنا ترابا ائنا لفي خلق جديد بدل من قولهم او مفعول له والعامل في اذا محذوف
دل عليه ائنا لفي خلق جديد اولئك الذين كفروا بربهم لانهم كفروا بقدرته على
البعث واولئك الاغلال في اعناقهم مقيدون بالضلال لا يرجى خلاصهم او
يغلون يوم القيمة واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لا ينفكون عنها
وتوسيط الفصل لتخصيص الخلود بالكفار ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة
بالعقوبة قبل العافية وذلك انهم استعجلوا بما هددوا به من عذاب الدنيا
استهزاء وقد خلت من قبلهم المثلات عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم

لم يعتبروا ولم يجوزوا حلول مثلها عليهم والمثلة بفتح الثاء وضمها كالصدقة
والصدقة العقوبة لانها مثل المعاقب عليه ومنه المثال للقصاص وامثلت الرجل
من صاحبه اذا اقتصصته منه وقرئ المثلات بالتخفيف والمثلات باتباع
الفاء العين والمثلات بالتخفيف بعد الاتباع والمثلات بفتح الميم على انها
جمع مثلة كركبة وركبات وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم مع ظلمهم
انفسهم ومحله النصب على الحال والعامل فيه المغفرة والتقييد به دليل جواز
العفو قبل التوبة فان التائب ليس على ظلمه ومن منع ذلك خص الظلم بالصغائر
المكفرة لمجتنب الكبائر او اول المغفرة بالستر والامهال وان ربك لشديد
العقاب للكفار او لمن شاء وعن النبي عليه السلام لولا عفو الله وتجاوزه
لما هنأ احدا العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد ويقول الذين
كفروا لولا انزل عليه اية من ربه لعدم اعتدادهم بالايات المنزلة عليه واقتراحا
لنحو ما اوتي موسى وعيسى عليهما السلام انما انت منذر مرسل للانذار
كغيرك من الرسل وما عليك الا الاتيان بما تصح به نبوتك من جنس المعجزات
لا بما يقترح عليك ولكل قوم هاد نبي مخصوص بمعجزات من جنس ما هو الغالب
عليهم يهديهم الى الحق ويدعوهم الى الصواب او قادر على هدايتهم وهو
الله تعالى لكن لا يهدي الا من يشاء هدايته بما ينزل من الايات ثم اردف
ذلك بما يدل على كمال علمه وقدرته وشمول قضائه وقدره تنبيها على انه تعالى
قادر على انزال ما اقترحوه وانما لم ينزل لعلمه بان اقتراحهم للعناد دون
الاسترشاد وانه قادر على هدايتهم وانما لم يهدهم لسبق قضائه عليهم بالكفر
فقال الله يعلم ما تحمل كل انثى اي حملها او ما تحمله انه على اي حال هو من الاحوال
الحاضرة والمترقبة وما تغيض الارحام وما تزداد وما تنقص وما تزداده
في الجثة والمدة والعدد واقصى مدة الحمل اربع سنين عندنا وخمس عند مالك
وسنتان عند ابي حنيفة رحمه الله روي ان الضحاك ولد لسنتين وهرم حيان

لاربع

لاربع سنين واعلى عدده لا حد له وقيل نهاية ما عرف اربعة واليه ذهب
ابو حنيفة رض وقال الشافعي رض اخبرني شيخ باليمن ان امرأته ولدت بطونا
في كل بطن خمسة وقيل المراد نقصان دم الحيض وازدياده وغاض جاء
متعديا ولازما وكذا ازداد قال الله تعالى وازدادوا تسعا فان جعلتهما
لازمين تعين ما ان يكون مصدرية واسنادهما الى الارحام على المجاز
فانهما لله تعالى او لما فيها وكل شيء عنده بمقدار بقدر لا يجاوزه ولا ينقص
عنه كقوله تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر فانه تعالى خص كل حادث بوقت
وحال معينين وهيأ له اسبابا مسوقة اليه تقتضي ذلك وقرأ ابن كثير
هاد ووال وواق وما عند الله باق بالتنوين في الوصل فاذا وقف
وقف بالياء في هذه الاربعة الاحرف حيث وقعت لا غير والباقون
يصلون بالتنوين ويقفون بغير ياء عالم الغيب الغائب عن الحس والشهادة
الحاضر له الكبير العظيم الشان الذي لا يخرج عن علمه شيء المتعال المستعلي
على كل شيء بقدرته او الذي كبر عن نعت المخلوقين وتعالى عنه سواء منكم من
اسر القول ومن جهر به لغيره ومن هو مستخف بالليل طالب للخفاء في مختباء
بالليل وسارب بالنهار بارز بالنهار يراه كل احد من سرب سروبا اذا برز
وهو عطف على من او مستخف على ان من في معنى الاثنين كقوله نكن مثل من
يا ذئب يصطحبان كانه قال سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب
بالنهار والاية متصلة بما قبلها مقررة لكمال علمه وشموله له او سرب معقبات
ملائكة تعتقب في حفظه جمع معقبة من عقبه مبالغة عقبه اذا جاء على عقبه
كان لمن اسر او جهر او استخفى كان بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون
اقواله وافعاله ويكتبونها او اعتقب فادغمت التاء في القاف والتاء للمبالغة
او لان المراد بالمعقبات جماعات وقرئ معاقيب جمع معقب ومعقبة
على تعويض الياء من احدى القافين من بين يديه ومن خلفه من جوانبه

في نفسه ٢

او من الاعمال ما قدم وما اخر يحفظونه من امر الله من بأسه متى اذنب
بالاستمهال او الاستغفار له او يحفظونه من المضار او يراقبون احواله من
اجل امر الله تعالى وقد قرئ به وقيل من بمعنى الباء وقيل من امر الله صفة
ثانية لمعقبات وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه
في توهمه من قضاء الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم من العافية والنعمة حتى
يغيروا ما بانفسهم من الاحوال الجميلة بالاحوال القبيحة واذا اراد الله
بقوم سوءا فلا مرد له فالعامل في اذا ما دل عليه الجواب وما لهم
من دونه من وال ممن يلي امرهم فيدفع عنهم السوء وفيه دليل على ان خلاف
مراد الله تعالى محال هو الذي يريكم البرق خوفا من اذاه وطمعا في الغيث
وانتصابهما على العلة بتقدير المضاف اي ارادة خوف وطمع او التاويل بالاخافة
والاطماع او الحال من البرق او المخاطبين على اضمار ذوي او اطلاق
المصدر بمعنى المفعول او الفاعل للمبالغة وقيل يخاف المطر من يضره ويطمع فيه
من ينفعه وينشئ السحاب الغيم المنسحب في الهواء الثقال وهو جمع ثقيلة
وانما وصف به السحاب لانه اسم جنس في معنى الجمع ويسبح الرعد ويسبح سامعوه
بحمده ملتبسين به فيصيحون سبحان الله والحمد لله او يدل الرعد بنفسه
على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته ملتبسا بالدلالة على فضله ونزول
رحمته وعن ابن عباس رض سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد فقال ملك
موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب والملائكة من خيفته
من خوف الله تعالى واجلاله وقيل الضمير للرعد ويرسل الصواعق فيصيب
بها من يشاء فيهلكه وهم يجادلون في الله حيث يكذبون رسول الله فيما يصفه به
من كمال القدرة والتفرد بالالوهية واعادة الناس ومجازاتهم والجدال
التشدد في الخصومة من الجدل وهو الفتل والواو اما لعطف الجملة على الجملة
او للحال فانه روي ان عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة اخا لبيد وفدا

وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قاصدين لقتله فاخذه عامر بالمجادلة
ودار اربد من خلفه ليضربه بالسيف فتنبه له الرسول وقال اللهم اكفنيهما
بما شئت فارسل الله تعالى على اربد صاعقة فقتلته ورمى عامرا بغدة فمات
في بيت سلولية وكان يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية فنزلت
وهو شديد المحال المماحلة المكايدة لاعدائه من محل بفلان اذا كاده وعرضه
للهلاك ومنه تمحل اذا تكلف استعمال الحيلة ولعل اصله المحل بمعنى القحط وقيل
فعال من المحل بمعنى القوة وقيل مفعل من الحول او الحيلة اعل على غير قياس ويعضده
انه قرئ بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول اذا احتال ويجوز ان يكون بمعنى الفقار
فيكون مثلا في القوة والقدرة كقولهم فساعد الله اشد وموساه احد له دعوة
الحق الدعاء الحق فانه الذي يحق ان يعبد او يدعى الى عبادته دون غيره او له
الدعوة المجابة فان من دعاه اجابه ويؤيده ما بعده والحق على الوجهين ما يناقض
الباطل واضافة الدعوة اليه لما بينهما من الملابسة او على تاويل دعوة المدعو
الحق وقيل هو الله تعالى وكل دعاء اليه دعوة الحق والمراد بالجملتين ان كانت
الآية في عامر واربد ان اهلاكهما من حيث لم يشعرا به محال من الله تعالى
واجابة لدعوة رسوله او دلالة على انه على الحق وان كانت عامة فالمراد وعيد
الكفرة على مجادلة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحلول محاله بهم وتهديدهم
باجابة دعاء الرسول عليهم او بيان ضلالهم وفساد رايهم والذين يدعون
اي والاصنام الذين يدعوهم المشركون فحذف الراجع او والمشركون الذين يدعون
الاصنام فحذف المفعول لدلالة من دونه عليه لا يستجيبون لهم بشيء من
الطلبات الا كباسط كفيه الا استجابة كاستجابة من بسط كفيه الى الماء
ليبلغ فاه يطلب منه ان يبلغه وما هو ببالغه لانه جماد لا يشعر بدعائه
ولا يقدر على اجابته والاتيان بغير ما جبل عليه وكذا آلهتهم وقيل شبهوا
في قلة جدوى دعائهم لها بمن اراد ان يغرف الماء ليشربه فبسط كفيه ليشربه

وقرئ تدعون بالتاء وباسط بالتنوين وما دعاء الكافرين الا في ضلال
الا في ضياع وخسار وباطل ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها
يحتمل ان يكون السجود على حقيقته فانه يسجد له الملائكة والمؤمنون من الثقلين
طوعا حالتي الشدة والرخاء والكفرة كرها حالة الشدة والضرورة وظلالهم
بالعرض وان يراد به انقيادهم لاحداث ما اراده فيهم شاؤا او كرهوا وانقياد
ظلالهم لتصريفه تعالى اياها بالمد والتقليص وانتصاب طوعا وكرها بالحال
او العلة او المفعول له وقوله بالغدو والآصال ظرف ليسجد والمراد بهما الدوام
او حال من الظلال وتخصيص الوقتين لان الظلال انما تعظم وتكثر فيهما والغدو
جمع غداة كقنى وقناة والآصال جمع اصيل وهو ما بين العصر والمغرب وقيل
الغدو مصدر ويؤيده انه قرئ والايصال وهو الدخول في الاصيل قل من
رب السموات والارض خالقهما ومتولي امرهما قل الله اجب عنهم بذلك اذ لا جواب
لهم سواه ولانه البين الذي لا يمكن المراء فيه او لقنهم الجواب به قل افاتخذتم
من دونه ثم الزمهم بذلك لان اتخاذهم منكر بعيد عن مقتضى العقل اولياء
لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا لا يقدرون ان يجلبوا اليها نفعا او يدفعوا
عنها ضرا فكيف يستطيعون انفاع الغير ودفع الضر عنه وهو دليل على
ضلالهم وفساد رايهم في اتخاذهم اولياء رجاء ان يشفعوا لهم قل هل يستوي الاعمى
والبصير المشرك الجاهل بحقيقة العبادة والموجب لها والموحد العالم بذلك وقيل
المعبود الغافل عنكم والمعبود المطلع على احوالكم ام هل تستوي الظلمات والنور
الشرك والتوحيد وقرا حمزة والكسائي وابو بكر بالياء ام جعلوا لله شركاء
بل اجعلوا والهمزة للانكار وقوله خلقوا كخلقه صفة لشركاء داخلة في حكم الانكار
فتشابه الخلق عليهم خلق الله وخلقهم والمعنى انهم ما اتخذوا لله شركاء خالقين
مثله حتى يتشابه الخلق عليهم فيقولوا هؤلاء خلقوا كما خلق الله فاستحقوا العبادة
كما استحقها ولكنهم اتخذوا شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق

فضلا عما يقدر عليه الخالق قل الله خالق كل شيء لا خالق غيره فيشاركه في
العبادة جعل الخلق موجب العبادة ولازم استحقاقها ثم نفاه عن سواه ليدل
على قوله وهو الواحد المتوحد بالالوهية القهار الغالب على كل شيء انزل من
السماء من السحاب او من جانب السماء او من السماء نفسها فان المبادي منها ماء فسالت
اودية انهار جمع واد وهو الموضع الذي يسيل الماء فيه بكثرة فاتسع فيه
واستعمل للماء الجاري فيه وتنكيرها لان المطر ياتي على تناوب بين البقاع بقدرها
اي بمقدارها الذي علم الله انه نافع غير ضار او بمقدارها في الصغر
والكبر فاحتمل السيل زبدا دفعه والزبد وضر الغليان رابيا عاليا
ومما توقدون عليه في النار يعم الفلزات كالذهب والفضة والحديد
والنحاس على وجه التهاون بها اظهارا لكبريائه ابتغاء حلية اي طلب حلية
او متاع كالاواني وآلات الحرب والحرث والمقصود من ذلك بيان منافعها
زبد مثله اي ومما توقدون عليه زبد مثل زبد الماء وهو خبثه ومن
للابتداء او التبعيض وقرا حمزة والكسائي وحفص بالياء على ان الضمير
للناس واضماره للعلم به كذلك يضرب الله الحق والباطل مثل الحق والباطل
فانه مثل الحق في افادته وثباته بالماء الذي ينزل من السماء فيسيل به الاودية
على قدر الحاجة والمصلحة فينتفع به انواع المنافع ويمكث في الارض بان يثبت
بعضه في منافعه ويسلك بعضه في عروق الارض الى العيون والقني
والابار وبالفلز الذي ينتفع به في صوغ الحلي واتخاذ الامتعة المختلفة
ويدوم ذلك مدة متطاولة والباطل في قلة نفعه وسرعة زواله
بزبدهما وبين ذلك بقوله فاما الزبد فيذهب جفاء يجفأ به اي يرمي
به السيل والفلز المذاب وانتصابه على الحال وقرئ جفالا والمعنى واحد
واما ما ينفع الناس كالماء وخلاصة الفلز فيمكث في الارض ينتفع به
اهلها كذلك يضرب الله الامثال لايضاح المشتبهات للذين استجابوا

للمؤمنين الذين استجابوا لربهم الحسنى الاستجابة الحسنى والذين لم يستجيبوا له
وهم الكفرة واللام متعلقة بيضرب على انه جعل ضرب المثل لشان الفريقين ضرب
المثل لهما وقيل للذين استجابوا خبر الحسنى وهي المثوبة والجنة والذين لم يستجيبوا
مبتداء خبره لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به وهو على الاول
كلام مبتداء لبيان مآل غير المستجيبين اولئك لهم سوء الحساب وهو المناقشة
بان يحاسب الرجل بذنبه ولا يغفر منه شيء ومأويهم جهنم مرجعهم وبئس
المهاد المستقر والمخصوص بالذم محذوف افمن يعلم انما انزل اليك من ربك
الحق فيستجيب كمن هو اعمى عمي القلب لا يستبصر فيستجيب والهمزة لانكار
ان يقع شبهة في تشابههما بعد ما ضرب من المثل انما يتذكر اولوا الالباب
ذووا العقول المبراة من مشايعة الالف ومعارضة الوهم الذين يوفون بعهد الله
ما عقدوه على انفسهم من الاعتراف بربوبيته حين قالوا بلى او ما عهد الله تعالى
عليهم في كتبه ولا ينقضون الميثاق ما وثقوه من المواثيق بينهم وبين الله تعالى
وبين العباد وهو تعميم بعد تخصيص والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل من
الرحم وموالاة المؤمنين والايمان بجميع الانبياء ويندرج في ذلك مراعاة
جميع حقوق الناس ويخشون ربهم وعيده عموما ويخافون سوء الحساب خصوصا
فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا والذين صبروا على ما تكرهه النفس ويخالفه
الهوى ابتغاء وجه ربهم طلبا لرضاه لا لجزاء او سمعة او نحوها واقاموا
الصلوة المفروضة وانفقوا مما رزقناهم بعضه الذي وجب عليهم انفاقه
سرا لمن لا يعرف بالمال وعلانية لمن عرف به ويدرؤن بالحسنة السيئة
ويدفعونها فيجازون الاساءة بالاحسان او يتبعون الحسنة السيئة فتمحوها
اولئك لهم عقبى الدار عاقبة الدنيا وما ينبغي ان يكون مآل اهلها وهي الجنة
والجملة خبر الموصولات ان رفعت بالابتداء وان جعلت صفات لاولي الالباب
فاستيناف بذكر ما استوجبوا بتلك الصفات جنات عدن بدل من عقبى الدار

او مبتداء خبره يدخلونها والعدن الاقامة اي جنات يقيمون فيها وقيل هو بطنان
الجنة ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم عطف على المرفوع في يدخلون
وانما ساغ للفصل بالضمير الآخر او مفعول معه والمعنى انه يلحق بهم من صلح من اهلهم
وان لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعا لهم وتعظيما لشانهم وهو دليل على ان الدرجة تعلو
بالشفاعة او ان الموصوفين بتلك الصفات يقرن بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة
والوصلة في دخول الجنة زيادة في انسهم وفي التقييد بالصلاح دلالة على ان
مجرد الانساب لا ينفع والملائكة يدخلون عليهم من كل باب من ابواب المنازل
او من ابواب الفتوح والتحف قائلين سلام عليكم بشارة بدوام السلامة
بما صبرتم متعلق بعليكم او بمحذوف اي هذا بما صبرتم لا بسلام فان الخبر فاصل
والباء للسببية او للبدلية فنعم عقبى الدار وقرئ فنعم بفتح النون والاصل
نعم فسكن العين بنقل كسرتها الى الفاء وبغيره والذين ينقضون عهد الله يعني
مقابلي الاولين من بعد ميثاقه من بعد ما اوثقوه به من الاقرار والقبول
ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض بالظلم وتهييج
الفتن اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار عذاب جهنم او سوء عاقبة الدنيا
لانه في مقابلة عقبى الدار الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسعه
ويضيقه وفرحوا اي اهل مكة بالحيوة الدنيا بما بسط لهم في الدنيا وما
الحيوة الدنيا في الآخرة في جنب الآخرة الا متاع الا متعة لا تدوم كعجالة
الراكب وزاد الراعي والمعنى انهم اشروا بما نالوا من الدنيا ولم يصرفوه فيما
يستوجبون به نعيم الآخرة واغتروا بما هو في جنبه نزر قليل النفع سريع
الزوال ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه قل ان الله يضل
من يشاء باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات ويهدي اليه من اناب اقبل
الى الحق ورجع عن العناد وهو جواب يجري مجرى التعجب من قولهم كانه قال
قل لهم ما اعظم عنادكم ان الله تعالى يضل من يشاء ممن كان على صفتكم فلا سبيل

الى اهتدائهم وان انزلت كل آية ويهدى اليه من اناب بما جئت به بل بادنى
منه من الآيات الذين آمنوا بدل من من او خبر مبتدا محذوف وتطمئن قلوبهم
بذكر الله انسا به واعتمادا عليه ورجاء منه او بذكر رحمته بعد القلق والاضطراب
من خشيته او بذكر دلائله الدالة على وجوده ووحدانيته او بكلامه يعنى القرآن
الذى هو اقوى المعجزات الا بذكر الله تطمئن القلوب تسكن اليه الذين آمنوا وعملوا
الصالحات مبتدا خبره طوبى لهم وهو فعلى من الطيب قلبت ياؤه واوا لضمة
ما قبلها مصدر لطاب كبشرى وزلفى ويجوز فيه الرفع والنصب ولذلك قرئ
وحسن مآب بالنصب كذلك مثل ذلك يعنى ارسال الرسل قبلك ارسلناك فى امة
قد خلت من قبلها امم تقدمتها امم ارسلوا اليهم فليس ببدع ارسالك اليها لتتلو عليهم
الذى اوحينا اليك لتقرأ عليهم الكتاب الذى اوحيناه اليك وهم يكفرون بالرحمن
وحالهم انهم يكفرون بالبليغ الرحمة الذى احاطت بهم نعمته ووسعت كل شىء
رحمته فلم يشكروا نعمه وخصوصا ما انعم عليهم بارسالك اليهم وانزال القرآن الذى
هو مناط المنافع الدينية والدنيوية عليهم وقيل نزلت فى مشركى مكة حين
قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن قل هو ربى اى الرحمن خالقى ومتولى
امرى لا اله الا هو لا مستحق للعبادة سواه عليه توكلت فى نصرتى عليكم
واليه متاب مرجعى ومرجعكم ولو ان قرآنا سيرت به الجبال شرط حذف جوابه
والمراد منه تعظيم شان القرآن او المبالغة فى عناد الكفرة وتصميمهم اى ولو ان
كتابا زعزعت به الجبال عن مقارها او قطعت به الارض تصدعت من خشية
الله تعالى عند قراءته او شققت فجعلت انهارا وعيونا او كلم به الموتى فتقرأه
او فتسمع وتجيب عند قراءته لكان هذا القرآن لانه الغاية فى الاعجاز والنهاية
فى التذكير والانذار او لما آمنوا به كقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الآية
وقيل ان قريشا قالوا يا محمد ان سرك ان نتبعك فسير بقراءتك الجبال عن مكة
حتى تتسع لنا فنتخذ فيها بساتين وقطائع او سخر لنا به الريح لنركبها ونتجر

الى الشام

الى الشام او ابعث لنا به قصى بن كلاب وغيره من آبائنا ليكلمونا فيك فنزلت
وعلى هذا فتقطيع الارض قطعها بالسير وقيل الجواب مقدم وهو قوله
وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما اعتراض وتذكير كلم خاصة لاشتمال الموتى
على المذكر الحقيقى بل لله الامر جميعا بل لله القدرة على كل شىء وهو اضراب عما
تضمنه لو من معنى النفى اى بل الله قادر على الاتيان بما اقترحوه من الآيات
الا ان ارادته لم تتعلق بذلك لعلمه بانه لا تلين له شكيمتهم ويؤيد ذلك
قوله افلم ييأس الذين آمنوا عن ايمانهم مع ما راوا من احوالهم وذهب اكثرهم
الى ان معناه افلم يعلم لما روى ان عليا وابن عباس وجماعة من الصحابة رض
والتابعين رض قرأوا افلم يتبين وهو تفسيره وانما استعمل اليأس بمعنى العلم لانه
مسبب عن العلم فان الميؤس عنه لا يكون الا معلوما ولذلك علقه بقوله
ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا فان معناه نفى هدى بعض الناس لعدم
تعلق المشية باهتدائهم وهو على الاول متعلق بمحذوف تقديره افلم ييأس
الذين آمنوا من ايمانهم علما منهم ان لو يشاء الله تعالى لهدى الناس جميعا او بآمنوا
ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا من الكفر وسوء الاعمال قارعة داهية
تقرعهم وتقلقهم او تحل قريبا من دارهم فيفزعون منها ويتطاير اليهم شررها
وقيل الآية فى كفار مكة فانهم لا يزالون مصابين بما صنعوا برسول الله صلى الله
عليه وسلم فانه صلى الله عليه وسلم كان لا يزال يبعث السرايا فتغير حواليهم و
تختطف مواشيهم وعلى هذا يجوز ان يكون تحل خطابا للرسول فانه حل
بجيشه قريبا من دارهم عام الحديبية حتى يأتى وعد الله الموت او القيامة
او فتح مكة ان الله لا يخلف الميعاد لامتناع الكذب فى كلامه ولقد استهزئ
برسل من قبلك فامليت للذين كفروا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ووعيد للمستهزئين والمقترحين عليه والاملاء ان يترك ملاوة من الزمان
فى دعة وامن ثم اخذتهم فكيف كان عقاب اى عقابى اياهم افمن هو قائم

على كل نفس رقيب عليه بما كسبت من خير او شر لا يخفى عليه شيء من اعمالهم ولا يفوت
عنده شيء من جزائهم والخبر محذوف تقديره كمن ليس كذلك وجعلوا لله شركاء
استيناف او عطف على كسبت ان جعل ما مصدرية او على الخبر المقدر للمبتدا
اي افمن هو بهذه الصفة لم يوحدوه وجعلوا له شركاء او يكون الظاهر فيه موضع الضمير
للتنبيه على انه المستحق للعبادة وقوله قل سموهم تنبيها على ان هؤلاء الشركاء
لا يستحقونها والمعنى صفوهم فانظروا هل لهم ما يستحقون به العبادة ويستاهلون
الشركة ام تنبؤنه بل اتنبؤنه وقرئ تنبؤنه بالتخفيف بما لا يعلم في الارض
شركاء يستحقون العبادة لا يعلمهم او بصفات لهم يستحقونها لاجلها لا يعلمها
وهو العالم بكل شيء ام بظاهر من القول ام تسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير
حقيقة واعتبار معنى كتسمية الزنجي كافورا وهذا احتجاج بليغ على اسلوب
عجيب ينادي على نفسه بالاعجاز بل زين للذين كفروا مكرهم تمويههم فتخيلوا
اباطيل ثم خالوها او كيدهم للاسلام بشركهم وصدوا عن السبيل سبيل الحق
وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر وصدوا بالفتح اي وصدوا الناس
عن الايمان وقرئ بالكسر وصد بالتنوين ومن يضلل الله يخذله فما له من هاد
يوفقه الى الهدى لهم عذاب في الحيوة الدنيا بالقتل والاسر وسائر ما يصيبهم
من المصائب ولعذاب الآخرة اشق لشدته ودوامه وما لهم من الله من عذابه
او من رحمته من واق حافظ مثل الجنة التي وعد المتقون صفتها التي هي مثل
في الغرابة وهو مبتدا خبره محذوف عند سيبويه اي فيما قصصنا عليكم مثل
الجنة وقيل خبره تجري من تحتها الانهار على طريقة قولك صفة زيد اسمر او على
حذف موصوف اي مثل الجنة جنة تجري من تحتها الانهار او على زيادة المثل
وهو على قول سيبويه حال من العائد المحذوف من الصلة اكلها دائم لا ينقطع
ثمرها وظلها اي وظلها كذلك لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس تلك اي الجنة
الموصوفة عقبى الذين اتقوا مآلهم ومنتهى امرهم وعقبى الكافرين النار لا غير

وفي ترتيب النظمين اطماع للمتقين واقناط للكافرين والذين آتيناهم الكتاب
كابن سلام واصحابه ومن آمن من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران
وثمانية باليمن واثنان وثلاثون بالحبشة او عامتهم فانهم كانوا يفرحون بما يوافق
كتبهم ومن الاحزاب يعني كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالعداوة ككعب بن الاشرف واصحابه والسيد والعاقب واشياعهما من ينكر بعضه
وهو ما يخالف شرائعهم او يوافق ما حرفوه منها قل انما امرت ان اعبد الله ولا
اشرك به جواب للمنكرين اي قل لهم اني امرت فيما انزل الي بان اعبد الله
واوحده وهو العمدة في الدين ولا سبيل لكم الى انكاره واما ما تنكرونه لما يخالف
شرائعكم فليس ببدع مخالفة الشرائع والكتب الالهية في جزئيات الاحكام
وقرئ ولا اشرك بالرفع على الاستيناف اليه ادعو لا الى غيره واليه مآب
واليه مرجعي للجزاء لا الى غيره وهذا هو القدر المتفق عليه بين الانبياء فاما ما
عدا ذلك من التفاريع فمما يختلف باختلاف الاعصار والامم فلا معنى لانكاركم
المخالفة فيه وكذلك ومثل هذا الانزال المشتمل على اصول الديانات
المجمع عليها انزلناه حكما يحكم في القضايا والوقائع بما تقتضيه الحكمة عربيا
مترجما بلسان العرب ليسهل لهم فهمه وحفظه وانتصابه على الحال ولئن اتبعت
اهواءهم التي يدعونك اليها كتقرير دينهم والصلوة الى قبلتهم بعدما حولت
عنها بعدما جاءك من العلم بنسخ ذلك ما لك من الله من ولي ولا واق ينصرك
ويمنع العقاب عنك وهو حسم لاطماعهم وتهييج للمؤمنين على الثبات في دينهم
ولقد ارسلنا رسلا من قبلك بشرا مثلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية نساء
واولادا كما هي لك وما كان لرسول وما صح له ولم يكن في وسعه ان يأتي باية
تقترح عليه وحكم يلتمس منه الا باذن الله فانه المليء بذلك لكل اجل كتاب
لكل وقت وامد حكم يكتب على العباد على ما يقتضيه استصلاحهم يمحو الله ما يشاء
ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت ما تقتضيه حكمته وقيل يمحو سيئات التائب

ويثبت الحسنات مكانها وقيل يمحو من كتاب الحفظة ما لا يتعلق به جزاء
ويترك غيره مثبتا او يثبت ما راه وحده في صميم قلبه وقيل يمحو قرنا ويثبت
اخرين وقيل يمحو الفاسدات ويثبت الكائنات وقرا نافع وابن عامر وحمزة
والكسائي ويثبت بالتشديد وعنده ام الكتاب اصل الكتاب وهو اللوح
المحفوظ اذ ما من كائن الا وهو مكتوب فيه واما نرينك بعض الذي
نعدهم او نتوفينك وكيف ما دارت الحال اريناك بعض ما وعدناهم
او توفيناك قبله فانما عليك البلاغ لا غير وعلينا الحساب للمجازاة لا عليك
فلا تحتفل باعراضهم ولا تستعجل بعذابهم فانا فاعلون له وهذا طلائعه
اولم يروا انا نأتي الارض ارض الكفرة ننقصها من اطرافها بما نفتحه على المسلمين
منها والله يحكم لا معقب لحكمه لا راد له وحقيقته الذي يعقب الشيء بالابطال
ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفو غريمه بالاقتضاء والمعنى انه حكم للاسلام
بالاقبال وعلى الكفر بالادبار وذلك كائن لا يمكن تغييره ومحل لا مع المنفي
النصب على الحال اي يحكم نافذا حكمه وهو سريع الحساب فيحاسبهم عما قليل في
الاخرة بعد ما عذبهم بالقتل والاجلاء في الدنيا وقد مكر الذين من قبلهم
بانبيائهم والمؤمنين منهم فلله المكر جميعا اذ لا يؤبه بمكر دون مكره فانه
القادر على ما هو المقصود منه دون غيره يعلم ما تكسب كل نفس فيعد جزاءها
وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار من الحزبين حينما يأتيهم العذاب المعد لهم
وهم في غفلة وهذا كالتفسير لمكر الله تعالى بهم واللام تدل على ان المراد
بالعقبى العاقبة المحمودة مع ما في الاضافة الى الدار كما عرفت وقرا ابن كثير
ونافع وابو عمرو الكافر على ارادة الجنس وقرئ الكافرون والذين كفروا
والكفر اي اهله وسيعلم من اعلمه اذا اخبره ويقول الذين كفروا لست مرسلا
قيل المراد بهم رؤساء اليهود قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم فانه اظهر
من الادلة على رسالتي ما يغني عن شاهد يشهد عليها ومن عنده علم الكتاب

علم القران وما الف عليه من النظم المعجز او علم التورية وهو ابن سلام واضرابه
او علم اللوح المحفوظ وهو الله تعالى اي كفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم
ما في اللوح الا هو شهيدا بيننا فيخزي الكاذب منا ويؤيده قراءة من قرا
ومن عنده بالكسر وعلم الكتاب على الاول مرتفع بالظرف فانه معتمد على الموصول
ويجوز ان يكون مبتدا والظرف خبره وهو متعين للثانية وقرئ ومن عنده علم
على الحرف والبناء للمفعول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الرعد
اعطي من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون
الى يوم القيمة وبعث يوم القيمة من الموفين بعهد الله تعالى

سورة ابرهيم مكية الا وهي احدى وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب اي هو كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس
بدعائك اياهم الى ما تضمنه من الظلمات من انواع الضلال الى النور الى الهدى
باذن ربهم بتوفيقه وتسهيله مستعار من الاذن الذي هو تسهيل الحجاب
وهو صلة لتخرج او حال من فاعله او مفعوله الى صراط العزيز الحميد بدل من
قوله الى النور بتكرير العامل او استئناف على انه جواب لمن يسال عنه واضافة
الصراط الى الله تعالى اما لانه مقصده او المظهر له وتخصيص الوصفين للتنبيه
على انه لا يذل سالكه ولا يخيب سابله الله الذي له ما في السموات وما في الارض
على قراءة نافع وابن عامر بالرفع مبتدا وخبر او خبر محذوف والذي صفته
وعلى قراءة الباقين عطف بيان للعزيز لانه كالعلم لاختصاصه بالمعبود على
الحق وويل للكافرين من عذاب شديد وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به
من الظلمات الى النور والويل نقيض الوال وهو النجاة واصله النصب لانه مصدر
الا انه لم يشتق منه لكنه رفع لافادة الثبات الذين يستحبون الحيوة الدنيا على
الاخرة يختارونها عليها فان المختار للشيء يطلب من نفسه ان يكون احب اليها

من غيرها ويصدون عن سبيل الله بتعويق الناس عن الايمان وقرئ ويصدون
من اصده وهو منقول من صد صدودا اذا تنكب وليس فصيحا لان في صده مندوحة
عن تكلف التعدية ويبغونها عوجا ويبغون لها زيغا ونكوبا عن الحق ليقدحوا فيه
فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير والموصول بصلته يحتمل الجر صفة للكافرين
والنصب على الذم والرفع عليه او على انه مبتدأ خبره اولئك في ضلال بعيد اي ضلوا
عن الحق ووقعوا عنه بمراحل والبعد في الحقيقة للضال فوصف به فعله للمبالغة
او للامر الذي به الضلال فوصف به للملابسة وما ارسلنا من رسول الا
بلسان قومه الا بلغة قومه الذي هو منهم وبعث فيهم ليبين لهم ما امروا به فيفقهوه
عنه بيسر وسرعة ثم ينقلوه ويترجموه لغيرهم فانهم اولى الناس اليه بان يدعوهم
واحق بان ينذرهم ولذلك امر النبي عليه الصلاة والسلام بانذار عشيرته اولا ولو نزل
على من بعث الى امم مختلفة كتب على السنتهم استقل ذلك بنوع من الاعجاز ولكن
ادى الى اختلاف الكلمة واضاعة فضل الاجتهاد في تعلم الالفاظ ومعانيها
والعلوم المتشعبة منها وما في اتعاب القرائح وكد النفس من القرب المقتضية
لجزيل الثواب وقرئ بلسن وهو لغة فيه كريش ورياش ولسن بضمتين وضمة
وسكون على الجمع كعمد وعمد وقيل الضمير في قومه لمحمد صلى الله عليه وسلم
وان الله تعالى انزل الكتب كلها بالعربية ثم ترجمها جبريل عليه السلام او كل نبي
بلغة المنزل عليهم وذلك يرده قوله ليبين لهم فانه ضمير القوم والتورية
والانجيل ونحوهما لم ينزل ليبين للعرب فيضل الله من يشاء فيخذله عن الايمان
ويهدي من يشاء بالتوفيق وهو العزيز فلا يغلب على مشيئته الحكيم الذي لا يضل
ولا يهدي الا لحكمة ولقد ارسلنا موسى باياتنا يعني اليد والعصا وسائر معجزاته
ان اخرج قومك من الظلمات الى النور بمعنى اي اخرج لان في الارسال معنى القول
او بان اخرج فان صيغ الافعال سواء في الدلالة على المصدر فيصح ان توصل
بها ان الناصبة وذكرهم بايام الله بوقائعه التي وقعت على الامم الدارجة

وايام

وايام العرب حروبها وقيل بنعمائه وبلائه ان في ذلك لايات لكل صبار شكور
يصبر على بلاء الله ويشكر لنعمائه فانه اذا سمع بما نزل على من قبله من البلاء وافيض
عليهم من النعماء اعتبر وتنبه لما يجب عليه من الصبر والشكر وقيل المراد لكل مؤمن
وانما عبر عنهم بذلك تنبيها على ان الصبر والشكر عنوان المؤمن واذ قال موسى
لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم من ال فرعون اي اذكروا نعمته
وقت انجائه اياكم ويجوز ان ينتصب بعليكم ان جعلت مستقرة غير صلة للنعمة
وذلك اذا اريدت بها العطية دون الانعام ويجوز ان يكون بدلا من نعمة
الله بدل الاشتمال يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون
نساءكم احوال من ال فرعون او من ضمير المخاطبين والمراد بالعذاب ههنا
غير المراد به في سورة البقرة والاعراف لانه مفسر بالتذبيح والقتل ثمة ومعطوف
عليه التذبيح ههنا وهو اما جنس العذاب او استعبادهم واستعمالهم بالاعمال
الشاقة وفي ذلكم من حيث انه باقدار الله تعالى اياهم وامهالهم فيه بلاء
من ربكم عظيم ابتلاء منه ويجوز ان تكون الاشارة الى الانجاء والمراد بالبلاء
النعمة واذ تاذن ربكم ايضا من كلام موسى عليه السلام وتاذن بمعنى اذن
كوتعد واوعد غير انه ابلغ لما في التفعل من معنى التكلف والمبالغة لئن شكرتم
يا بني اسرائيل ما انعمت عليكم من الانجاء وغيره بالايمان والعمل الصالح لازيدنكم
نعمة الى نعمة ولئن كفرتم ان عذابي لشديد فلعلي اعذبكم على الكفران عذابا
شديدا ومن عادة اكرم الاكرمين ان يصرح بالوعد ويعرض بالوعيد والجملة
مقول قول محذوف او مفعول تاذن على انه جرى مجرى قال لانه ضرب منه
وقال موسى ان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا من الثقلين فان الله لغني
عن شكركم حميد مستحق للحمد في ذاته محمود يحمده الملائكة وتنطق بنعمه ذرات
المخلوقات فما ضررتم بالكفران الا انفسكم حيث حرمتموها مزيد الانعام
وعرضتموها للعذاب الشديد الم ياتكم نبا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد

وتعود من كلام موسى عليه السلام او كلام مبتدأ من الله تعالى والذين من بعدهم
لا يعلمهم الا الله جملة اعتراضا او الذين من بعدهم عطف على ما قبله ولا يعلمهم
اعتراض والمعنى انهم لكثرتهم لا يعلم عددهم الا الله تعالى ولذلك قال ابن مسعود
كذب النسابون جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم في افواههم فعضوها
غيظا مما جاءت به الرسل كقوله عضوا عليكم الانامل من الغيظ او وضعوها
عليها تعجبا منه او استهزاء عليه كمن غلب عليه الضحك او اسكاتا للانبياء عليهم السلام
او امرا لهم باطباق الافواه او اشاروا بها الى السنتهم وما نطقت به من
قولهم انا كفرنا تنبيها على ان لا جواب لهم سواه او ردوها في افواه الانبياء
يمنعونهم من التكلم وعلى هذا يحتمل ان يكون تمثيلا وقيل الايدي بمعنى الايادي
اي ردوا ايادي الانبياء التي هي مواعظهم وما اوحي اليهم من الحكم والشرائع
في افواههم لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكانهم ردوها الى حيث جاءت
منه وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به على زعمكم وانا لفي شك مما تدعوننا اليه
من الايمان وقرئ تدعونا بالادغام مريب موقع في الريبة او ذي
ريبة وهي قلق النفس وان لا تطمئن الى الشيء قالت رسلهم افي الله شك ادخلت
همزة الاستفهام للانكار على الظرف لان الكلام في المشكوك فيه لا في الشك
اي انما ندعوكم الى الله وهو لا يحتمل الشك لكثرة الادلة وظهور دلالتها
عليه واشار الى ذلك بقوله فاطر السموات والارض وهو صفة او بدل
وشك مرتفع بالظرف يدعوكم الى الايمان ببعثه ايانا ليغفر لكم الى المغفرة
كقولك دعوته لينصرني على اقامة المفعول له مقام المفعول به من ذنوبكم
بعض ذنوبكم وهو ما بينكم وبينه تعالى فان الاسلام يجبه دون المظالم
وقيل جيء بمن في خطاب الكفرة دون المؤمنين في جميع القرآن تفرقة بين الخطابين
ولعل المعنى فيه ان المغفرة حيث جاءت في خطاب الكفار مرتبة على الايمان
وحيث جاءت في خطاب المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصي

او يدعوكم م

ونحو ذلك

ونحو ذلك فتتناول الخروج عن المظالم ويؤخركم الى اجل مسمى الى وقت سماه
الله تعالى وجعله آخر اعماركم قالوا ان انتم الا بشر مثلنا لا فضل لكم علينا فلم
تخصون بالنبوة دوننا ولو شاء الله ان يبعث الى البشر رسلا لبعث من جنس
افضل منهم وهم الملائكة تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آباؤنا بهذه
الدعوى فأتونا بسلطان مبين يدل على فضلكم واستحقاقكم لهذه المزية او
على صحة ادعائكم النبوة كانهم لم يعتبروا ما جاؤوا به من البينات والحجج واقترحوا
عليهم آية اخرى تعنتا ولجاجا قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن
الله يمن على من يشاء من عباده سلموا مشاركتهم في الجنس وجعلوا الموجب
لاختصاصهم بالنبوة فضل الله تعالى ومنه عليهم وفيه دليل على ان النبوة
عطائية وان ترجيح بعض الجائزات على بعض بمشيئة الله تعالى وما كان لنا
ان نأتيكم بسلطان الا باذن الله اي ليس الينا الاتيان بالآيات
ولا تستبد به استطاعتنا حتى نأتي بما اقترحتموه وانما هو امر يتعلق بمشيئة الله تعالى
فيخص كل نبي بنوع من الآيات وعلى الله فليتوكل المؤمنون فلنتوكل عليه في
الصبر على معاندتكم ومعاداتكم عمموا الامر للاشعار بما يوجب التوكل وقصدوا
به انفسهم قصدا اوليا الا ترى قوله وما لنا الا نتوكل على الله اي اي
عذر لنا في ان لا نتوكل وقد هدانا سبلنا التي بها نعرفه ونعلم ان الامور
كلها بيده وقرأ ابو عمرو بالتخفيف هنا وفي العنكبوت ولنصبرن على ما آذيتمونا
جواب قسم محذوف اكدوا به توكلهم وعدم مبالاتهم بما يجري من الكفار عليهم
وعلى الله فليتوكل المتوكلون فليثبت المتوكلون على ما استحدثوه من توكلهم
المسبب عن ايمانهم وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن
في ملتنا حلفوا على ان يكون احد الامرين اما اخراجهم للرسل او عودهم الى
ملتهم وهو بمعنى الصيرورة لانهم لم يكونوا على ملتهم قط ويجوز ان يكون
الخطاب لكل رسول ولمن آمن معه فغلبوا الجماعة على الواحد فاوحى اليهم ربهم

اى الى رسلهم لنهلكن الظالمين على اضمار القول او اجراء الايحاء مجراه
لانه نوع منه ولنسكننكم الارض من بعدهم اى ارضهم وديارهم كقوله تعالى
واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها وقرئ
ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا لاوحى كقولك اقسم زيد ليخرجن ذلك اشارة
الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين لمن خاف مقامى موقفى
وهو الموقف الذى يقيم فيه العباد للحكومة يوم القيمة او قيامى عليه وحفظى
لاعماله وقيل المقام مقحم وخاف وعيد اى وعيدى بالعذاب وعذابى الموعود
للكفار واستفتحوا سالوا من الله الفتح على اعدائهم او القضاء بينهم وبين
اعاديهم من الفتاحة كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وهو معطوف
على فاوحى والضمير للانبياء عليهم السلام وقيل للكفرة وقيل للفريقين
فان كلهم سالوه ان ينصر المحق ويهلك المبطل وقرئ بلفظ الامر عطفا على لنهلكن
وخاب كل جبار عنيد اى ففتح لهم فافلح المؤمنون وخاب كل جبار عنيد عات
متكبر على الله تعالى معاند للحق فلم يفلح ومعنى الخيبة اذا كان الاستفتاح
من الكفرة او من القبيلين كان اوقع من ورائه جهنم اى من بين يديه
فانه مترصد بها واقف على شفيرها فى الدنيا مبعوث اليها فى الاخرة وقيل من
وراء حيوته وحقيقته ما توارى عنك ويسقى من ماء صديد عطف على محذوف
تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى من ماء صديد عطف بيان
لماء وهو ما يسيل من جلود اهل النار يتجرعه يتكلف جرعه وهو صفة
لماء او حال من الضمير فى ويسقى ولا يكاد يسيغه ولا يقارب ان يسيغه
فكيف يسيغه بل يغص به فيطول عذابه والسوغ جواز الشراب على الحلق
بسهولة وقبول نفس ويأتيه الموت من كل مكان اى اسبابه من الشدائد
فتحيط به من جميع الجوانب وقيل من كل مكان من جسده حتى من اصول شعره
وابهام رجله وما هو بميت فيستريح ومن ورائه من بين يديه عذاب غليظ

اى

اى يستقبل فى كل وقت عذابا اشد مما هو عليه وقيل هو الخلود فى النار وقيل
حبس الانفاس وقيل الاية منقطعة عن قصة الرسل نازلة فى اهل مكة
طلبوا الفتح الذى هو المطر فى سنتهم التى ارسل الله تعالى عليهم بدعوة رسوله
فخيب رجاءهم فلم يسقهم ووعدهم ان يسقيهم فى جهنم بدل سقياهم صديد اهل
النار مثل الذين كفروا بربهم مبتدا خبره محذوف اى فيما يتلى عليكم صفتهم التى هى
مثل فى الغرابة او قوله اعمالهم كرماد وهى على الاول جملة مستانفة لبيان
مثلهم وقيل معناه اعمالهم بدل من المثل والخبر كرماد اشتدت به الريح حملته
واسرعت الذهاب به وقرأ نافع الرياح فى يوم عاصف العصف اشتداد الريح
وصف به زمانه للمبالغة كقولهم نهاره صائم وليله قائم شبه صنايعهم من الصدقة
وصلة الرحم واغاثة الملهوف وعتق الرقاب ونحو ذلك من مكارمهم فى
حبوطها لبنائها على غير اساس من معرفة الله تعالى والتوجه بها اليه او اعمالهم
للاصنام برماد طيرته الريح العاصفة لا يقدرون يوم القيمة مما كسبوا
من اعمالهم على شىء لحبوطه فلا يرون له اثرا فى الثواب وهو فذلكة التمثيل
ذلك اشارة الى ضلالهم مع حسبانهم انهم محسنون هو الضلال البعيد فانه
الغاية فى البعد عن طريق الحق الم تر خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به
امته وقيل لكل واحد من الكفرة على التلوين ان الله خلق السموات والارض بالحق
بالحكمة والوجه الذى يحق ان يخلق عليه وقرأ حمزة والكسائى خالق السموات
ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد يعدمكم ويخلق خلقا اخر مكانكم رتب ذلك
على كونه خالقا للسموات والارض استدلالا به عليه فان من خلق اصولهم
وما يتوقف عليه تخليقهم ثم كونهم بتبديل الصور وتغيير الطبايع قدر ان يبدلهم
بخلق اخر ولم يمتنع عليه ذلك كما قال وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر او متعسر
فانه قادر لذاته لا اختصاص له بمقدور دون مقدور ومن هذا شانه كان
حقيقا بان يؤمن به ويعبد رجاء لثوابه وخوفا من عقابه يوم الجزاء وبرزوا

لله جميعا اي يبرزون من قبورهم يوم القيمة لامر الله تعالى ومحاسبته او لله
على ظنهم فانهم كانوا يخفون ارتكاب الفواحش ويظنون انها تخفى على الله
فاذا كان يوم القيمة انكشفوا لله تعالى عند انفسهم وانما ذكر بلفظ الماضي لتحقق
وقوعه فقال الضعفا الاتباع جمع ضعيف يريد به ضعاف الراي وانما كتب
بالواو على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو للذين استكبروا لرؤسائهم
الذين استتبعوهم واستغووهم انا كنا لكم تبعا في تكذيب الرسل والاعراض عن
نصايحهم وهو جمع تابع كغايب وغيب او مصدر نعت به للمبالغة او على اضمار
مضاف فهل انتم مغنون عنا دافعون عنا من عذاب الله من شيء من الاولى
للبيان واقعة موقع الحال والثانية للتبعيض واقعة موقع المفعول اي بعض
الذي هو عذاب الله تعالى ويجوز ان يكونا للتبعيض اي بعض الشيء وبعض عذاب
الله تعالى والاعراب ما سبق ويحتمل ان يكون الاولى مفعولا والثانية مصدرا
اي فهل انتم مغنون بعض العذاب بعض الاغناء قالوا اي الذين استكبروا جوابا
عن معاتبة الاتباع واعتذارا عما فعلوا بهم لو هدانا الله للايمان ووفقنا له
لهديناكم ولكن ضللنا فاضللناكم اي اخترنا لكم ما اخترنا لانفسنا او لو هدانا
الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم واغنينا عنكم كما عرضناكم له لكن سد دوننا
طريق الخلاص سواء علينا اجزعنا ام صبرنا مستويان علينا الجزع والصبر
ما لنا من محيص منجى ومهرب من العذاب من الحيص وهو العدول على جهة الفرار
وهو يحتمل ان يكون مكانا كالمبيت ومصدرا كالمغيب ويجوز ان يكون قوله
سواء علينا كلام الفريقين ويؤيده ما روي انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون
خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون
سواء علينا وقال الشيطان لما قضي الامر احكم وفرغ منه ودخل اهل الجنة
الجنة واهل النار النار خطيبا في الاشقياء من الثقلين ان الله وعدكم وعد
الحق وعدا من حقه ان ينجز او وعدا انجزه وهو الوعد بالبعث والجزاء ووعدتكم

وعدا كباطل وهو ان لا بعث ولا حساب وان كانا فالاصنام تشفع لكم
فاخلفتكم جعل تبين خلف وعده كالاخلاف منه وما كان لي عليكم من سلطان
تسلط فالجئكم الى الكفر والمعاصي الا ان دعوتكم الا دعائي اياكم اليها بتسويلي
وهو ليس من جنس السلطان ولكنه على طريقة قولهم تحية بينهم ضرب وجيع ويجوز
ان يكون الاستثناء منقطعا فاستجبتم لي اسرعتم اجابتي فلا تلوموني
بوسوستي فان من صرح العداوة لا يلام بامثال ذلك ولوموا انفسكم
حيث اطعتموني اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم لما دعاكم واحتجت المعتزلة
بامثال ذلك على استقلال العبد بافعاله وليس فيها ما يدل عليه اذ يكفي
لصحتها ان يكون لقدرة العبد مدخل ما في فعله وهو الكسب الذي يقوله
اصحابنا ما انا بمصرخكم بمغيثكم من العذاب وما انتم بمصرخي بمغيثي وقرا
حمزة بكسر الياء على الاصل في التقاء الساكنين وهو اصل مرفوض في مثله لما فيه
من اجتماع ياءين وثلث كسرات مع ان حركة ياء الاضافة الفتح فاذا لم تكسر
وقبلها الف فبالحري ان لا تكسر وقبلها ياء او على لغة من يزيد ياء على ياء الاضافة
اجراء لها مجرى الهاء والكاف في ضربته واعطيتك وحذف الياء اكتفاء بالكسرة
اني كفرت بما اشركتمون من قبل ما اما مصدرية ومن متعلقة باشركتموني
اي كفرت اليوم باشراككم اياي من قبل هذا اليوم اي في الدنيا بمعنى تبرأت منه
واستنكرته كقوله ويوم القيمة يكفرون بشرككم او موصولة بمعنى من نحو ما
في قولهم سبحان ما سخركن لنا ومن متعلقة بكفرت اي كفرت بالذي اشركتمونيه
وهو الله تعالى بطاعتكم اياي فيما دعوتكم اليه من عبادة الاصنام وغيرها من
قبل اشراككم حين رددت امره بالسجود لادم عليه السلام واشرك منقول من شركت
زيدا للتعدية الى مفعول ثان ان الظالمين لهم عذاب اليم تتمة كلامه او ابتداء
كلام من الله تعالى وفي حكاية امثال ذلك لطف للسامعين وايقاظ لهم حتى
يحاسبوا انفسهم ويتدبروا عواقبهم وادخل الذين امنوا وعملوا الصالحات

جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم باذن الله تعالى وامره
والمدخلون هم الملائكة وقرئ ادخل على التكلم فيكون قوله باذن ربهم
متعلقا بقوله تحيتهم فيها سلام اي تحييهم الملائكة بالسلام باذن ربهم
الم تر الى ربك كيف ضرب الله مثلا كيف اعتمده ووضعه كلمة طيبة كشجرة طيبة
اي جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا ويجوز ان تكون
كلمة بدلا من مثلا وكشجرة صفتها او خبر مبتدا محذوف اي هي كشجرة وان يكون
اول مفعولي ضرب اجراءها مجرى جعل وقد قرئت بالرفع على الابتداء اصلها
ثابت في الارض ضارب بعروقه فيها وفرعها اعلاها في السماء ويجوز ان
يريد وفروعها اي افنانها على الاكتفاء بلفظ الجنس لاكتسابه الاستغراق
من الاضافة وقرئ ثابت اصلها والاول على اصله ولذلك قيل انه اقوى ولعل
الثاني ابلغ تؤتي اكلها تعطي ثمرها كل حين وقته الله تعالى لاثمارها
باذن ربها بارادة خالقها وتكوينه ويضرب الله الامثال للناس لعلهم
يتذكرون لان في ضربها زيادة افهام وتذكير فانه تصوير للمعاني
وادناها من الحس ومثل كلمة خبيثة كشجرة كمثل شجرة خبيثة اجتثت
استؤصلت واخذت جثتها بالكلية من فوق الارض لان عروقها قريبة منه
ما لها من قرار استقرار واختلف في الكلمة والشجرة ففسرت الكلمة الطيبة بكلمة
التوحيد ودعوة الاسلام والقرآن والكلمة الخبيثة بالاشراك بالله
والدعاء الى الكفر وتكذيب الحق ولعل المراد بهما ما يعم ذلك فالكلمة الطيبة
ما اعرب عن حق او دعا الى صلاح والكلمة الخبيثة ما كان على خلاف ذلك
وفسرت الشجرة الطيبة بالنخلة وروي مرفوعا وشجرة في الجنة والخبيثة
بالحنظلة والكشوث ولعل المراد بهما ايضا ما يعم ذلك يثبت الله الذين
امنوا بالقول الثابت الذي ثبت بالحجة عندهم وتمكن في قلوبهم في الحيوة الدنيا
فلا يزلون اذا افتتنوا في دينهم كزكريا ويحيى وجرجيس وشمسون

والذين

والذين فتنهم اصحاب الاخدود وفي الاخرة فلا يتلعثمون اذا سئلوا عن
معتقدهم في الموقف ولا تدهشهم اهوال القيمة وروي انه صلى الله عليه وسلم
ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم تعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه
في قبره ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني
الاسلام ونبيي محمد فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي فذلك قوله يثبت
الله الذين امنوا بالقول الثابت ويضل الله الظالمين الذين ظلموا انفسهم
بالاقتصار على التقليد فلا يهتدون الى الحق ولا يثبتون في مواقف الفتن
ويفعل الله ما يشاء من تثبيت بعض واضلال بعض من غير اعتراض عليه
الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا اي شكر نعمته كفرا بان وضعوه مكانه
او بدلوا نفس النعمة كفرا فانهم لما كفروها سلبت منهم فصاروا تاركين
لها محصلين الكفر بدلها كاهل مكة خلقهم الله واسكنهم حرمه وجعلهم
قوام بيته ووسع عليهم ابواب رزقه وشرفهم بمحمد صلى الله عليه وسلم
فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين واسروا وقتلوا يوم بدر وصاروا
اذلاء فبقوا مسلوبي النعمة موصوفين بالكفر وعن عمر رضي هم الافجران
من قريش بنو المغيرة وبنو امية اما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما
بنو امية فمتعوا الى حين واحلوا قومهم الذين شايعوهم في الكفر دار البوار
دار الهلاك بحملهم على الكفر جهنم عطف بيان لها يصلونها حال منها او من
القوم اي داخلين فيها مقاسين لحرها او مفسر لفعل مقدر ناصب لجهنم
وبئس القرار اي وبئس المقر جهنم وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله الذي
هو التوحيد وقرأ ابن كثير وابو عمرو ورويس عن يعقوب بفتح الياء وليس
الضلال ولا الاضلال غرضهم في اتخاذ الانداد لكن لما كان نتيجته جعل
ذلك كالغرض قل تمتعوا بشهواتكم او بعبادة الاوثان فانها من قبيل
الشهوات التي يتمتع بها وفي التهديد بصيغة الامر ايذان بان المهدد عليه

كالمطلوب لافضائه الى المهدد به وان الامرين كائنان لا محالة ولذلك
علله بقوله فان مصيركم الى النار وان المخاطب لانهماكه فيه كالمأمور به
من آمر مطاع قل لعبادي الذين آمنوا خصهم بالاضافة تنويها لهم وتنبيها
على انهم المقيمون لحقوق العبودية ومقول قل محذوف دل عليه جوابه
اى قل لعبادي الذين آمنوا اقيموا الصلوة وانفقوا يقيموا الصلوة وينفقوا
مما رزقناهم فيكون ايذانا بانهم لفرط مطاوعتهم الرسول بحيث لا ينفك
فعلهم عن امره وانه كالسبب الموجب له ويجوز ان يقدر بلام الامر ليصح
تعلق القول بهما وانما حسن ذلك ههنا ولم يحسن في قوله محمد تفد نفسك
كل نفس لدلالة قل عليه وقيل هما جوابا اقيموا وانفقوا مقامين مقامهما
وهو ضعيف لانه لا بد من مخالفة ما بين الشرط وجوابه ولان امر المواجهة
لا يجاب بلفظ الغيبة اذا كان الفاعل واحدا سرا وعلانية منتصبا
على المصدر اى انفاق سر وعلانية او على الحال اى ذوي سر وعلانية او على
الظرف اى وقتي سر وعلانية والاحب اعلان الواجب واخفاء المتطوع به
من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه فيبتاع المقصر ما يتدارك به تقصيره
او يفدي به نفسه ولا خلال ولا مخالة فيشفع لك خليل او من قبل ان يأتي
يوم لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله تع
وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب بالفتح فيهما على النفي العام الله الذي خلق
السموات والارض مبتدأ وخبر وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات
رزقا لكم تعيشون به وهو يشمل المطعوم والملبوس مفعول لاخرج ومن
الثمرات بيان له حال منه ويحتمل عكس ذلك ويجوز ان يراد به المصدر
فينتصب بالعلة او المصدر لان اخرج في معنى رزق وسخر لكم الفلك
لتجري في البحر بامره بمشيئته الى حيث توجهتم وسخر لكم الانهار فجعلها
معدة لانتفاعكم وتصرفكم وقيل تسخير هذه الاشياء تعليم كيفية اتخاذها

وسخر لكم الشمس والقمر دائبين يدأبان في سيرهما وانارتهما واصلاح
ما يصلحانه من المكونات وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان لسباتكم
ومعاشكم وآتاكم من كل ما سألتموه اى بعض جميع ما سألتموه يعني من كل
شيء سألتموه شيئا فان الموجود من كل صنف بعض ما في قدرة الله تعالى
ولعل المراد بما سألتموه ما كان حقيقا بان يسأل لاحتياج الناس اليه
سئل او لم يسأل وما يحتمل ان تكون موصولة وموصوفة ومصدرية
ويكون المصدر بمعنى المفعول وقرئ من كل بالتنوين اى وآتاكم من كل شيء ما
احتجتم اليه سألتموه بلسان الحال ويجوز ان تكون ما نافية في موضع
الحال اى وآتاكم من كل شيء غير سائليه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
لا تحصروها ولا تطيقوا عد انواعها فضلا عن افرادها فانها غير متناهية
وفيه دليل على ان المفرد يفيد الاستغراق بالاضافة ان الانسان لظلوم
يظلم النعمة باغفال شكرها او يظلم نفسه بان يعرضها للحرمان كفار شديد
الكفران وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع
واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد بلد مكة آمنا ذا امن لمن فيها
والفرق بينه وبين قوله اجعل هذا بلدا آمنا ان المسئول في الاول
ازالة الخوف عنه وتصييره آمنا وفي الثاني جعله من البلاد الآمنة واجنبني
وبني بعدني واياهم ان نعبد الاصنام واجعلنا منها في جانب وقرئ
واجنبني وهما على لغة نجد واما اهل الحجاز فيقولون جنبني شره
وفيه دليل على ان عصمة الانبياء بتوفيق الله تعالى وحفظه اياهم وهو
بظاهره لا يتناول احفاده وجميع ذريته وزعم ابن عيينة ان اولاد
اسماعيل عليه السلام لم يعبدوا الصنم محتجا به وانما كانت لهم حجارة
يدورون بها ويسمونها الدوار ويقولون البيت حجر فحيث ما نصبنا
حجرا فهو بمنزلته رب انهن اضللن كثيرا من الناس فلذلك سألت منك

العصمة واستعذت بك من اضلالهن واسناد الاضلال اليهن باعتبار
السببية كقوله وغرتهم الحيوة الدنيا فمن تبعني على ديني فانه مني اي بعضي
لا ينفك عني في امر الدين ومن عصاني فانك غفور رحيم تقدر ان تغفر له
وترحمه ابتداء وبعد التوفيق للتوبة وفيه دليل على ان كل ذنب فلله تعالى
ان يغفره حتى الشرك الا ان الوعيد فرق بينه وبين غيره ربنا اني اسكنت
من ذريتي اي بعض ذريتي او ذرية من ذريتي فحذف المفعول وهم
اسمعيل ومن ولد منه فان اسكانه متضمن لاسكانهم بواد غير ذي
زرع يعني وادي مكة فانها حجرية لا تنبت عند بيتك المحرم الذي حرمت
التعرض له والتهاون به او لم يزل معظما ممنعا به الجبابرة او منع منه الطوفان
فلم يستول عليه ولذلك سمي عتيقا اي اعتق منه ولو دعا بهذا الدعاء اول ما
قدم فلعله قال ذلك باعتبار ما كان او ما سيؤل اليه روي ان هاجر
كانت لسارة فوهبتها من ابرهيم عليه السلام فولدت منه اسمعيل عليه السلام
فغارت عليهما فناشدته ان يخرجهما من عندها فاخرجهما الى ارض مكة
فاظهر الله تعالى عين زمزم ثم ان جرهم رأوا اطيورا فقالوا لا طير الا
على الماء فقصدوه فرأوهما وعندهما عين فقالوا اشركينا في مائك نشركك
في الباننا ففعلت ربنا ليقيموا الصلوة اللام لام كي وهي متعلقة باسكنت
اي ما اسكنتهم بهذا الوادي البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا لاقامة الصلوة
عند بيتك المحرم وتكرير النداء وتوسيطه للاشعار بانها المقصودة بالذات
من اسكانهم ثمة والمقصود من الدعاء توفيقهم لها وقيل لام الامر والمراد
هو الدعاء لهم باقامة الصلوة كانه طلب منهم الاقامة وسأل من الله تعالى
ان يوفقهم لها فاجعل افئدة من الناس اي افئدة من افئدة الناس ومن
للتبعيض ولذلك قيل لو قال افئدة الناس لازدحمت عليهم فارس
والروم ولحجت اليهود والنصارى او للابتداء كقولك القلب مني سقيم

اى افئدة

اي افئدة ناس وقرأ هشام افئيدة بياء بعد الهمزة بخلاف عنه وقرئ آفدة
وهو يحتمل ان يكون مقلوبا افئدة كآدر في ادؤر وان يكون اسم فاعل
من افدت الرحلة اذا عجلت اي جماعة يعجلون نحوهم وافدة بطرح الهمزة
للتخفيف وان كان الوجه فيه اخراجها بين بين ويجوز ان يكون من افد
تهوي اليهم تسرع اليهم شوقا ووادا وقرئ تهوى على البناء للمفعول
من اهوى اليه غيره وتهوى من هوى يهوى اذا احب وتعديته بالى لتضمين معنى
النزوع وارزقهم من الثمرات مع سكناهم واديا لا نبات فيه لعلهم يشكرون
تلك النعمة فاجاب الله دعوته فجعله حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء
حتى توجد فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد
ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن تعلم سرنا كما تعلم علننا والمعنى انك اعلم
باحوالنا ومصالحنا وارحم بنا منا بانفسنا فلا حاجة لنا الى الطلب
لكنا ندعوك اظهارا لعبوديتنا وافتقارا الى رحمتك واستعجالا لنيل
ما عندك وقيل ما نخفي من وجد الفرقة وما نعلن من التضرع اليك والتوكل
عليك وتكرير النداء للمبالغة في التضرع واللجاء الى الله تعالى وما يخفى
على الله من شيء في الارض ولا في السماء لانه العالم بعلم ذاتي يستوي نسبته
الى كل معلوم ومن للاستغراق الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اي وهب
وانا كبير آيس عن الولد قيد الهبة بحال الكبر استعظاما للنعمة واظهارا
لما فيها من الآية اسمعيل واسحق روي انه ولد له اسمعيل لتسع
وتسعين سنة واسحق لمائة واثنتي عشرة سنة ان ربي لسميع الدعاء اي لمجيبه
من قولك سمع الملك كلامي اذا اعتد به وهو من ابنية المبالغة العاملة
عمل الفعل اضيف الى مفعوله او فاعله على اسناد السماع الى دعاء الله تعالى
على المجاز وفيه اشعار بانه دعا ربه وسأل منه الولد فاجابه ووهب
سؤله حين ما وقع اليأس منه ليكون من اجل النعم واجلاها رب اجعلني مقيم

الصلوة معدلا لها مواظبا عليها ومن ذريتي عطف على المنصوب في اجعلني
والتبعيض لعلمه باعلام الله تعالى او استقراء عادته في الامم الماضية ان يكون
في ذريته كفار ربنا وتقبل دعاء واستجب دعائي او وتقبل عبادتي ربنا
اغفر لي ولوالدي وقرئ ولابوي وقد تقدم عذر استغفاره لهما وقيل
اراد بهما آدم وحوا عليهما السلام وللمؤمنين يوم يقوم الحساب يثبت
مستعار من القيام على الرجل كقولهم قامت الحرب على ساق او يقوم اليه اهله
فحذف المضاف واسند اليه قيامهم مجازا ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون
خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد به تثبيته على ما كان عليه من انه
مطلع على احوالهم وافعالهم لا يخفى عليه خافية والوعيد بانه معاقبهم على قليله
وكثيره لا محالة او لكل من توهم غفلته جهلا بصفاته واغترارا بامهاله وقيل
انه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم انما يؤخرهم يؤخر عذابهم وعن ابي عمرو
بالنون ليوم تشخص فيه الابصار اي تشخص ابصارهم فلا تقر في اماكنها من
هول ما ترى مهطعين مسرعين الى الداعي او مقبلين بابصارهم لا يطرفون
هيبة وخوفا واصل الكلمة هو الاقبال على الشيء مقنعي رؤسهم رافعيها لا يرتد
اليهم طرفهم بل بقيت عيونهم شاخصة لا تطرف او لا يرجع اليهم نظرهم
فينظروا الى انفسهم وافئدتهم هواء خلاء اي خالية عن الفهم لفرط الحيرة
والدهشة ومنه يقال للاحمق والجبان قلبه هواء اي لا راي فيه ولا قوة قال
زهير من الظلمان جؤجؤه هواء وقيل خالية عن الخير خاوية عن الحق وانذر
الناس يا محمد يوم ياتيهم العذاب يعني يوم القيمة او يوم الموت فانه اول ايام
عذابهم وهو مفعول ثان لانذر فيقول الذين ظلموا بالشرك والتكذيب ربنا
اخرنا الى اجل قريب اخر العذاب عنا وردنا الى الدنيا وامهلنا الى حد من
الزمان قريب او اخر آجالنا وابقنا مقدار ما نؤمن بك ونجيب دعوتك
نجب دعوتك ونتبع الرسل جواب للامر ونظيره لولا اخرتني الى اجل قريب

فاصدق واكن من الصالحين او لم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال
على ارادة القول وما لكم جواب القسم جاء بلفظ الخطاب على المطابقة
دون الحكاية والمعنى اقسمتم انكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت
ولعلهم اقسموا بطرا وغرورا او دل عليه حالهم حيث بنوا شديدا واملوا
بعيدا وقيل اقسموا انهم لا ينتقلون الى دار اخرى وانهم اذا ماتوا لا يزالون
عن تلك الحالة الى حالة اخرى كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث
الله من يموت وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي
كعاد وثمود واصل سكن ان يعدى بفي كقر وغني واقام وقد يستعمل
بمعنى التبوء فيجري مجراه كقولك سكنت الدار وتبين لكم كيف فعلنا بهم
بما تشاهدونه في منازلهم من اثار ما نزل بهم وما تواتر عندكم من اخبارهم
وضربنا لكم الامثال من احوالهم اي بينا لكم انكم مثلهم في الكفر واستحقاق
العذاب او صفات ما فعلوا وفعل بهم التي هي في الغرابة كالامثال المضروبة
وقد مكروا مكرهم المستفرغ فيه جهدهم لابطال الحق وتقرير الباطل
وعند الله مكرهم ومكتوب عنده فعلهم فهو مجازيهم عليه او وعنده
ما يمكرهم به جزاء لمكرهم وابطالا له وان كان مكرهم في العظم والشدة
لتزول منه الجبال مسوى لازالة الجبال ومعدا لذلك وقيل ان نافية واللام
مؤكدة لها كقوله تعالى وما كان الله ليعذبهم على ان الجبال مثل لامر النبي
عليه الصلوة والسلام ونحوه وقيل مخففة من الثقيلة والمعنى انهم مكروا
ليزيلوا ما هو كالجبال الراسية ثباتا وتمكنا من آيات الله وشرائعه
وقرا الكسائي لتزول بالفتح والرفع على انها المخففة واللام هي الفاصلة
ومعناه تعظيم مكرهم وقرئ بالفتح والنصب على لغة من يفتح لام كي
وقرئ وان كاد مكرهم فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله مثل قوله
انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلي واصله مخلف رسله وعده

فتقدم المفعول الثاني ايذانا بانه لا يخلف الوعد اصلا كقوله ان الله لا يخلف
الميعاد واذا لم يخلف وعده احدا فكيف يخلف رسله ان الله عزيز غالب
لا يماكر قادر لا يدافع ذو انتقام لاوليائه من اعدائه يوم تبدل الارض
غير الارض بدل من يوم ياتيهم او ظرف للانتقام او مقدر باذكر او لا يخلف
وعده ولا يجوز ان ينتصب بمخلف لان ما قبل ان لا يعمل فيما بعده والسموات
عطف على الارض وتقديره والسموات غير السموات والتبديل يكون في الذات
كقولك بدلت الدراهم بالدنانير وعليه بدلناهم جلودا غيرها وفي الصفة
كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها وغيرت شكلها وعليه قوله يبدل الله
سيئاتهم حسنات والاية تحتملهما فعن علي رضي الله عنه تبدل ارضا من فضة
وسموات من ذهب وعن ابن مسعود رض وانس رض يحشر الناس على ارض بيضا
لم يخطئ احد عليها خطيئة وعن ابن عباس رض هي تلك الارض وانما تغير صفاتها
ويدل عليه ما روى ابو هريرة رض انه صلى الله عليه وسلم قال تبدل الارض
غير الارض فتبسط وتمد مد الاديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا امتا
واعلم انه لا يلزم على الوجه الاول ان يكون الحاصل بالتبديل ارضا وسماء
على الحقيقة ولا يبعد على الثاني ان يجعل الله تعالى الارض جهنم والسموات
الجنة على ما اشعر به قوله كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وقوله ان كتاب الفجار
لفي سجين وبرزوا من اجداثهم لله الواحد القهار لمحاسبته ومجازاته وتوصيفه
بالوصفين للدلالة على ان الامر في غاية الصعوبة كقوله تعالى لمن الملك
اليوم لله الواحد القهار فان الامر اذا كان لواحد غلاب لا يغالب
فلا مستغاث لاحد الى غيره ولا مستجار وترى المجرمين يومئذ مقرنين
قرن بعضهم مع بعض بحسب مشاركتهم في العقائد والاعمال كقوله واذا النفوس
زوجت وقرنوا مع الشياطين او مع ما اكتسبوا من العقائد الزائغة
والملكات الباطلة وقرنت ايديهم وارجلهم الى رقابهم بالاغلال وهو يحتمل

ان يكون

ان يكون تمثيلا لمؤاخذتهم على ما اقترفته ايديهم وارجلهم في الاصفاد متعلق
بمقرنين او حال من ضميره والصفد القيد وقيل الغل قال سلامة بن جندل
وزيد الخيل قد لاقى صفادا يعض بساعد ويعظم ساق واصله الشد
سرابيلهم قمصانهم من قطران وجاء قطران بفتح القاف وكسرها وهو ما يتحلب من الابهل
فيطبخ فتهنأ به الابل الجربى فيحرق الجرب بحدته وهو اسود منتن تشتعل
النار فيه بسرعة يطلى به جلود اهل النار حتى يكون طلاؤه لهم كالقمص ليجتمع
عليهم لذع القطران ووحشة لونه ونتن ريحه مع اسراع النار في جلودهم
على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين ويحتمل ان يكون تمثيلا
لما يحيط بجوهر النفس من الملكات الردية والهيئات الوحشية فيجلب اليها
انواعا من الغموم والالام وعن يعقوب قطر آن والقطر النحاس او الصفر
المذاب والآني المتناهي حره والجملة حال ثانية او حال من الضمير في مقرنين
وتغشى وجوههم النار اي وتتغشاها لانهم لم يتوجهوا بها الى الحق ولم يستعملوا
في تدبر مشاعرهم وحواسهم التي خلقت فيها لاجله كما تطلع على افئدتهم
يوم يسحبون في النار على وجوههم ليجزي الله كل نفس اي يفعل بهم ذلك
ليجزي كل نفس مجرمة ما كسبت او كل نفس مجرمة ومطيعة لانه اذا بين
ان المجرمين معاقبون لاجرامهم علم ان المطيعين مثابون لطاعتهم ويتعين
ذلك ان علق اللام ببرزوا ان الله سريع الحساب لانه لا يشغله حساب عن
حساب هذا اشارة الى القرآن او الى السورة او ما فيه من العظة والتذكير
او ما وصفه من قوله ولا تحسبن الله بلاغ للناس كفاية لهم في الموعظة
ولينذروا به عطف على محذوف اي لينصحوا ولينذروا بهذا البلاغ فيكون
اللام متعلقة بالبلاغ ويجوز ان يتعلق بمحذوف تقديره ولينذروا به انزل
او تلي وقرئ بفتح الياء من نذر به اذا علمه واستعد له وليعلموا
انما هو اله واحد بالنظر والتامل فيما فيه من الايات الدالة عليه او المنبهة

على ما يدل عليه وليذكر أولو الألباب فيرتدعوا عما يرديهم ويتدرعوا
بما يحظيهم واعلم انه سبحانه وتعالى ذكر لهذا البلاغ ثلث فوائد هي الغاية
والحكمة في انزال الكتب تكميل الرسل للناس واستكمالهم القوة النظرية التي هي
منتهى كمالها التوحيد واستصلاح القوة العملية الذي هو التدرع بلباس
التقوى جعلنا الله من الفائزين بهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة ابرهيم اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من عبد الاصنام ومن لم يعبد

سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين الاشارة
الى آيات السورة والكتاب هو السورة وكذا القرآن وتنكيره للتفخيم اي آيات
الجامع لكونه كتابا كاملا وقرآنا يبين الرشد من الغي بيانا غريبا ربما
يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين حين عاينوا حال المسلمين عند نزول النصر
وحلول الموت او يوم القيمة وقرأ نافع وعاصم ربما بالتخفيف وقرئ
ربما بالفتح والتخفيف وفيه ثمان لغات ضم الراء وفتحها مع التشديد والتخفيف
وبتاء التأنيث ودونها وما كافة تكفه عن الجر فيجوز دخوله على الفعل
وحقه ان يدخل الماضي لكن لما كان المترقب في اخبار الله تعالى كالماضي في تحققه
اجري مجراه وقيل ما نكرة موصوفة كقوله ربما تكره النفوس من الامر له فرجة
كحل العقال ومعنى التقليل فيه الايذان بانهم لو كانوا يودون الاسلام
مرة فبالحري ان يسارعوا اليه فكيف وهم يودونه كل ساعة وقيل تدهشهم
اهوال القيمة فان حانت منهم افاقة في بعض الاوقات تمنوا ذلك والغيبة
في حكاية ودادتهم كالغيبة في قولك حلف بالله ليفعلن ذرهم دعهم
يأكلوا ويتمتعوا بدنياهم ويلههم الامل ويشغلهم توقعهم لطول
الاعمار واستقامة الاحوال عن الاستعداد للمعاد فسوف يعلمون

سوء صنيعهم اذا عاينوا جزاءه والغرض اقناط الرسول من ارعوائهم
وايذانه بانهم من اهل الخذلان وان نصحهم بعد اشتغال بما لا طائل تحته
وفيه الزام للحجة وتحذير عن ايثار التنعم وما يؤدي اليه طول الامل
وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم اجل مقدر كتب في اللوح وهي
جملة واقعة صفة لقرية والاصل ان لا يدخلها الواو كقوله الا لها منذرون
لكن لما تشابهت صورتها وصورة الحال ادخلت عليها تأكيدا للصوقها
بالموصوف ما تسبق من امة اجلها وما يستأخرون اي وما يستأخرون
عنه وتذكير ضمير امة فيه للحمل على المعنى وقالوا يا ايها الذي نزل عليه
الذكر نادوا به النبي عليه السلام على التهكم الا ترى الى ما نادوه له وهو
قولهم انك لمجنون ونظيره ذلك قول فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم
لمجنون والمعنى انك لتقول قول المجانين حين تدعي ان الله نزل عليك الذكر
اي القرآن لو ما تأتينا ركب لو مع ما كما ركب مع لا لمعنيين امتناع الشيء
لوجود غيره والتحضيض بالملائكة ليصدقوك ويعضدوك على الدعوة
كقوله لولا انزل عليه ملك فيكون معه نذيرا او للعقاب على تكذيبنا لك
كما اتت الامم المكذبة قبل ان كنت من الصادقين في دعواك ما ننزل الملائكة
بالياء مسندا الى ضمير اسم الله وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالنون وابو بكر
بالتاء والبناء للمفعول ورفع الملائكة وقرئ تنزل بمعنى تتنزل الا بالحق
الا تنزيلا ملتبسا بالحق اي بالوجه الذي قدره واقتضته حكمته ولا حكمة في
ان يأتيكم بصور تشاهدونها فانه لا يزيدكم الا لبسا ولا في معاجلتكم
بالعقوبة فان منكم ومن ذراريكم من سبقت كلمتنا له بالايمان وقيل الحق
الوحي او العذاب وما كانوا اذا منظرين اذا جواب لهم وجزاء لشرط مقدر
اي ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين انا نحن نزلنا الذكر رد
لانكارهم واستهزائهم ولذلك اكده من وجوه وقرره بقوله وانا له لحافظون

اى من التحريف والزيادة والنقص بان جعلناه معجزا مباينا لكلام البشر
لا يخفى تغيير نظمه على اهل اللسان او نفى تطرق الخلل اليه فى الدوام بضمان
الحفظ له كما نفى ان يطعن فيه بانه المنزل له وقيل الضمير فى له للنبى صلى الله
عليه وسلم ولقد ارسلنا من قبلك فى شيع الاولين فى فرقهم جمع شيعة
وهى الفرقة المتفقة على طريق ومذهب من شاعه اذا تبعه واصله الشياع
وهو الحطب الصغار يوقد به الكبار والمعنى نبأنا رجالا فيهم وجعلناهم
رسلا فيما بينهم وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون كما يفعل
هؤلاء وهو تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم وما للحال لا يدخل الا مضارعا
بمعنى الحال او ماضيا قريبا منه وهذا على حكاية الحال الماضية كذلك نسلكه
ندخله فى قلوب المجرمين والسلك ادخال الشئ كالخيط فى المخيط والرمح فى
المطعون والضمير للاستهزاء وفيه دليل على انه تعالى يوجد الباطل فى
قلوبهم وقيل للذكر فان الضمير الآخر فى قوله لا يؤمنون به له وهو حال
من هذا الضمير والمعنى مثل ذلك السلك نسلك الذكر فى قلوب المجرمين
مكذبا غير مؤمن به او بيان للجملة المتضمنة له وهذا الاحتجاج ضعيف
اذ لا يلزم من تعاقب الضمائر توافقها فى المرجوع اليه ولا يتعين ان تكون
الجملة حالا من الضمير لجواز ان يكون حالا من المجرمين ولا ينافى كونها مفسرة
للمعنى الاول بل يقويه وقد خلت سنة الاولين اى سنة الله فيهم بان
خذلهم وسلك الكفر فى قلوبهم او باهلاك من كذب الرسل منهم فيكون وعيدا
لاهل مكة ولو فتحنا عليهم على هؤلاء المقترحين بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون
يصعدون اليها ويرون عجائبها طول نهارهم مستوضحين لما يرون او يصعد
الملائكة وهم يشاهدونهم لقالوا من غلوهم فى العناد وتشكيكهم فى
الحق انما سكرت ابصارنا سدت من الابصار بالسحر من السكر ويدل عليه قراءة
ابن كثير بالتخفيف وحيرت من السكر ويدل عليه قراءة من قرأ سكرت بل نحن

قوم مسحورون قد سحرنا محمد بذلك كما قالوه عند ظهور غيره من الآيات وفى
كلمتى الحصر والاضراب دلالة على البت بان ما يرونه لا حقيقة له بل هو
باطل خيل اليهم بنوع من السحر ولقد جعلنا فى السماء بروجا اثنى عشر
مختلفة الهيئات والخواص على ما دل عليه الرصد والتجربة مع بساطة السماء
وزيناها بالاشكال والهيئات البهية للناظرين المعتبرين المستدلين بها
على قدرة مبدعها وتوحيد صانعها وحفظناها من كل شيطان رجيم
فلا يقدر ان يصعد اليها ويوسوس اهلها ويتصرف فى امرها ويطلع على
احوالها الا من استرق السمع بدل من كل شيطان واستراق السمع اختلاسه
سرا شبه به خطفتهم اليسيرة من قطان السموات لما بينهم من المناسبة فى الجوهر
او بالاستدلال من اوضاع الكواكب وحركاتها وعن ابن عباس رضى الله عنهما انهم
كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلث سموات
فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من كلها بالشهب ولا يقدح فيه
تكونها قبل المولد لجواز ان يكون لها اسباب اخر وقيل الاستثناء منقطع
اى ولكن من استرق السمع فاتبعه فتبعه ولحقه شهاب مبين ظاهر للمبصرين
والشهاب شعلة نار ساطعة وقد تطلق للكوكب والسنان لما فيهما من البريق
والارض مددناها بسطناها والقينا فيها رواسى جبالا ثوابت وانبتنا فيها
فى الارض او فيها وفى الجبال من كل شئ موزون مقدر بمقدار معين تقتضيه حكمته
او مستحسن مناسب من قولهم كلام موزون او ما يوزن ويقدر له او له وزن
فى ابواب النعمة والمنفعة وجعلنا لكم فيها معايش تعيشون بها من المطاعم والملابس
وقرئ بالهمزة على التشبيه بشمائل ومن لستم له برازقين عطف على معايش او على محل
لكم ويريد به العيال والخدم والمماليك وسائر من يظنون انهم يرزقونهم
ظنا كاذبا فان الله تعالى يرزقهم واياهم وفذلكة الآية الاستدلال
بجعل الارض ممدودة بمقدار وشكل معين مختلفة الاجزاء فى الوضع محدثة

فيها انواع النبات والحيوان المختلفة خلقة وطبيعة مع جواز ان لا يكون
كذلك على كمال قدرته وتناهي حكمته والتفرد في الوهيته والامتنان على العباد
بما انعم عليهم في ذلك ليوحدوه ويعبدوه ثم بالغ في ذلك فقال وان من شيء
الا عندنا خزائنه اي وما من شيء الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه
اضعاف ما وجد منه فضرب الخزائن مثلا لاقتداره او شبه مقدوراته بالاشياء
المخزونة التي لا يحوج اخراجها الى كلفة واجتهاد وما ننزله من بقاع القدرة
الا بقدر معلوم حده الحكمة وتعلقت به المشية فان تخصيص بعضها بالايجاد
في بعض الاوقات على بعض الصفات والحالات لا بد له من مخصص حكيم وارسلنا
الرياح لواقح حوامل شبه الريح التي جاءت بخير من انشاء سحاب ماطر بالحامل
كما شبه ما لا يكون كذلك بالعقيم او ملقحات للشجر والسحاب ونظيره الطوائح
بمعنى المطيحات في قوله ومختبط مما تطيح الطوائح وقرئ وارسلنا الريح
على تاويل الجنس فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه فجعلناه لكم سقيا
وما انتم له بخازنين قادرين متمكنين من اخراجه نفى عنهم ما اثبته لنفسه
او حافظين في الغدران والعيون والابار وذلك ايضا يدل على المدبر الحكيم
كما تدل حركة الهواء في بعض الاوقات من بعض الجهات على وجه ينتفع به الناس
فان طبيعة الماء تقتضي الغور فوقوفه دون حد لا بد له من سبب مخصص وانا
لنحن نحيي بايجاد الحيوة في بعض الاجسام القابلة لها ونميت بازالتها وقد اول
الحيوة بما يعم الحيوان والنبات وتكرير الضمير للدلالة على الحصر ونحن الوارثون
الباقون اذا مات الخلائق كلها ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستاخرين
من استقدم ولادة وموتا ومن استاخر او من خرج من اصلاب الرجال
ومن لم يخرج بعد او من تقدم في الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة او تاخر
لا يخفى عليه شيء من احوالكم وهو بيان لكمال علمه بعد الاحتجاج على كمال قدرته
فان ما يدل على قدرته دليل على علمه وقيل رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم

على الصف

على الصف الاول فازدحموا عليه فنزلت وقيل ان امراة حسناء كانت تصلي
خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم بعض القوم لئلا ينظر اليها وتاخر
بعض ليبصرها فنزلت وان ربك هو يحشرهم لا محالة للجزاء وتوسيط الضمير
للدلالة على انه القادر والمتولي لحشرهم لا غير وتصدير الجملة بان لتحقيق
الوعد والتنبيه على ان ما سبق من الدلالة على كمال قدرته وعلمه بتفاصيل
الاشياء يدل على صحة الحكم كما صرح به بقوله انه حكيم باهر الحكمة متقن في
افعاله عليم وسع علمه كل شيء ولقد خلقنا الانسان من صلصال طين يابس يصلصل
اي يصوت اذا نقر وقيل هو من صلصال اللحم اذا انتن تضعيف صل من حماء طين
تغير واسود من طول مجاورة الماء وهو صفة صلصال اي كائن من حماء مسنون
مصور من سنة الوجه او مصبوب ليبس فيصور كالجواهر المذابة تصب في القوالب
من السن وهو الصب كانه افرغ الحماء فصور منها تمثال انسان اجوف فيبس
حتى اذا نقر صلصل ثم غيره ذلك طورا بعد طور حتى سواه ونفخ فيه من روحه
او منتن من سننت الحجر على الحجر اذا احككته به فان ما يسيل منهما يكون منتنا
ويسمى سنينا والجان ابا الجن وقيل ابليس ويجوز ان يراد به الجنس كما هو
الظاهر من الانسان لان تشعب الجنس لما كان من شخص واحد خلق من مادة
واحدة كان الجنس باسره مخلوقا منها وانتصابه بفعل يفسره خلقناه من قبل
من قبل خلق الانسان من نار السموم من نار الحر الشديد النافذ في المسام
ولا يمتنع خلق الحيوة في الاجرام البسيطة كما لا يمتنع خلقها في الجواهر المجردة
فضلا عن الاجساد المؤلفة التي الغالب فيها الجزء الناري فانها اقبل لها
من التي الغالب فيها الجزء الارضي وقوله من نار باعتبار الغالب كقوله
خلقكم من تراب ومساق الاية كما هو للدلالة على كمال قدرة الله تعالى
وبيان بدء خلق الثقلين فهو للتنبيه على المقدمة الثانية التي يتوقف عليها
امكان الحشر وهو قبول المواد للجمع والاحياء واذ قال ربك واذكر وقت

بقوله للملائكة انى خالق بشرا من صلصال من حما مسنون فاذا سويته عدلت
خلقته وهيأته لنفخ الروح فيه ونفخت فيه من روحى حتى جرى اثاره فى
تجاويف اعضائه فحيى واصل النفخ اجراء الريح فى تجويف جسم اخر ولما كان
الروح يتعلق اولا بالبخار اللطيف المنبعث من القلب ويفيض عليه القوة الحيوانية
فيسرى حاملا لها فى تجاويف الشرايين الى اعماق البدن جعل تعلقه بالبدن
نفخا واضافه الروح الى نفسه لما مر فى سورة النساء فقعوا له فاسقطوا له
ساجدين امر من وقع يقع فسجد الملائكة كلهم اجمعون اكد بتأكيدين للمبالغة
فى التعميم ومنع التخصيص وقيل اكد بالكل للاحاطة وباجمعين للدلالة على انهم
سجدوا مجتمعين دفعة وفيه نظر اذ لو كان الامر كذلك كان الثانى حالا لا
تأكيدا الا ابليس ان جعل منقطعا اتصل به قوله ابى ان يكون مع الساجدين
اى ولكن ابليس ابى وان جعل متصلا كان استئنافا على انه جواب سائل قال
هلا سجد قال يا ابليس ما لك الا تكون اى غرض لك فى ان لا تكون مع الساجدين
لآدم عليه الصلوة والسلام قال لم اكن لاسجد اللام لتأكيد النفى اى لا يصح
منى وينافى حالى ان اسجد لبشر جسمانى كثيف وانا ملك روحانى خلقته
من صلصال من حما مسنون وهو اخس العناصر وخلقتنى من نار وهى اشرفها
استنقص آدم عليه السلام النوع والاصل وقد سبق الجواب عنه فى سورة
الاعراف قال فاخرج منها من السماء او الجنة او زمر الملائكة فانك رجيم
مطرود من الخير والكرامة فان من يطرد يرجم بالحجر او شيطان يرجم بالشهب
وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته وان عليك اللعنة هذا الطرد والابعاد
الى يوم الدين فانه منتهى امد اللعن فانه يناسب ايام التكليف ومنه زمان
الجزاء وما فى قوله فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين بمعنى اخر
ينسى عنده هذه وقيل انما حد اللعن به لانه ابعد غاية يضربها الناس
او لانه يعذب بما ينسى اللعن معه فيصير كالزائل قال رب فانظرنى فاخرنى

والفاء متعلقة بمحذوف دل عليه فاخرج منها فانك رجيم الى يوم يبعثون
اراد ان يجد فسحة فى الاغواء ونجاة عن الموت اذ لا موت بعد وقت البعث
فاجابه الى الاول دون الثانى قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم
المسمى فيه اجلك عند الله تعالى او انقراض الناس كلهم وهو النفخة الاولى عند
الجمهور ويجوز ان يكون المراد بالايام الثلثة يوم القيمة واختلاف العبارات
لاختلاف الاعتبارات فعبر عنه اولا بيوم الجزاء لما عرفته وثانيا بيوم البعث
اذ به يحصل العلم بانقطاع التكليف واليأس عن التضليل وثالثا بالمعلوم
لوقوعه فى الكلامين ولا يلزم من ذلك ان لا يموت فلعله يموت اول اليوم
ويبعث الخلائق فى تضاعيفه وهذه المخاطبة وان لم تكن بواسطة لم تدل
على علو منصب ابليس لان خطاب الله تعالى له على سبيل الاهانة والاذلال
قال رب بما اغويتنى الباء للقسم وما مصدرية وجوابه لازينن لهم فى الارض
والمعنى اقسم باغوائك اياى لازينن لهم المعاصى فى الدنيا التى هى دار الغرور
كقوله اخلد الى الارض وفى انعقاد القسم بافعال الله تعالى خلاف وقيل
للسببية والمعتزلة اولوا الاغواء بالنسبة الى الغى او التسبب له
بامره اياه بالسجود لآدم عليه السلام او بالاضلال عن طريق الجنة
واعتذروا عن امهال الله تعالى علم منه وممن تبعه انهم يموتون على الكفر
ويصيرون الى النار امهل او لم يمهل وان فى امهاله تعريضا لمن خالفه لاستحقاق
مزيد الثواب وضعف ذلك لا يخفى على ذوى الالباب ولاغوينهم اجمعين
ولاحملنهم اجمعين على الغواية الا عبادك منهم المخلصين الذين اخلصتهم لطاعتك
وطهرتهم من الشوائب فلا يعمل فيهم كيدى وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو عمرو بالكسر
فى كل القرآن اى الذين اخلصوا نفوسهم لله تعالى قال هذا صراط على حق على
ان اراعيه مستقيم لا انحراف عنه والاشارة الى ما تضمنه الاستثناء وهو
تخلص المخلصين من اغوائه او الاخلاص على معنى انه طريق على يؤدى الى الوصول

الى من غير اعوجاج وضلال وقرئ علي من علو الشرف ان عبادي ليس لك
عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين تصديق لابليس فيما استثناه وتغيير
الوضع لتعظيم المخلصين ولان المقصود بيان عصمتهم وانقطاع مخالب الشيطان
عنهم او تكذيب له فيما اوهم ان له سلطانا على من ليس بمخلص من عباده فان
منتهى تزيينه التحريض والتدليس كما قال وما كان لي عليكم من سلطان الا ان
دعوتكم فاستجبتم لي وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعا وعلى الاول
يدفع قول من شرط ان يكون المستثنى اقل من الباقي لافضائه الى تناقض
الاستثناءين وان جهنم لموعدهم لموعد الغاوين او المتبعين اجمعين تاكيد
للضمير او حال والعامل فيها الموعد ان جعلته مصدرا على تقدير مضاف
ومعنى الاضافة ان جعلته اسم مكان فانه لا يعمل لها سبعة ابواب يدخلون
لكثرتهم او طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم في المتابعة وهي جهنم ثم لظى ثم
الحطمة ثم سقر ثم السعير ثم الجحيم ثم الهاوية ولعل تخصيص العدد لانحصار
مجامع المهلكات في الركون الى المحسوسات ومتابعة القوة الشهوية والغضبية
او لان اهلها سبع فرق لكل باب منهم من الاتباع جزء مقسوم افرز له فاعلاها
للموحدين العصاة والثاني لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين
والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وقرأ ابو بكر جزؤ
بالتثقيل وقرئ جز على حذف الهمزة والقاء حركتها على الزاء ثم الوقف عليه
بالتشديد ثم اجراء الوصل مجرى الوقف ومنهم حال منه او المستكن في الظرف
لا في مقسوم لان الصفة لا تعمل فيما تقدم موصوفها ان المتقين من اتباعه في
الكفر والفواحش فان غيرها مكفرة في جنات وعيون لكل واحد جنة وعين
او لكل عدة منهما كقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم قوله ومن دونهما
جنتان وقوله مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن وقرأ نافع
وابو عمرو وحفص وهشام وعيون والعيون بضم العين حيث وقع الباقون

بكسر العين ادخلوها على ارادة القول وقرئ بقطع الهمزة وكسر الخاء على انه ماض
فلا يكسر التنوين بسلام سالمين او مسلما عليكم آمنين من الآفة والزوال ونزعنا
في الدنيا عما الف او في الجنة بتطييب نفوسهم ما في صدورهم من غل من حقد
كان في الدنيا وعن علي رض ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم
او من التحاسد على درجات الجنة ومراتب القرب اخوانا حال من ضمير في جنات
او فاعل ادخلوها او الضمير في آمنين او الضمير المضاف اليه والعامل فيها معنى
الاضافة وكذا قوله على سرر متقابلين ويجوز ان يكونا صفتين لاخوانا
او حالين من ضميره لانه بمعنى متصافين وان يكون متقابلين حالا من المستقر في على
سرر لا يمسهم فيها نصب استيناف او حال بعد حال او حال من الضمير في متقابلين
وما هم منها بمخرجين فان تمام النعمة بالخلود نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم
وان عذابي هو العذاب الاليم فذلكة ما سبق من الوعد والوعيد وتقرير له
وفي ذكر المغفرة دليل على انه لم يرد بالمتقين من يتقي الذنوب باسرها
كبيرها وصغيرها وفي توصيف ذاته بالغفران والرحمة دون التعذيب ترجيح
الوعد وتاكيده وفي عطف ونبئهم عن ضيف ابراهيم على نبئ عبادي تحقيق
لهما بما يعتبرون به اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما اي نسلم عليك سلاما
او سلمنا سلاما قال انا منكم وجلون خائفون وذلك لانهم دخلوا بغير اذن
وبغير وقت او لانهم امتنعوا من الاكل والوجل اضطراب النفس لتوقع
ما يكره قالوا لا توجل وقرئ لا تاجل ولا توجل من اوجله ولا تواجل
من واجله بمعنى اوجله انا نبشرك استيناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل
فان المبشر لا يخاف منه وقرأ حمزة نبشرك من البشر بغلام هو اسحق لقوله
فبشرناها باسحق عليم اذا بلغ قال ابشرتموني على ان مسني الكبر تعجب
من ان يولد له مع مس الكبر اياه او انكار لان يبشر به في مثل هذه الحالة
وكذلك قوله فبم تبشرون فباي اعجوبة تبشرونني او باي شيء تبشرون

فان البشارة بما لا يتصور وقوعه عادة بشارة بغير شيء وقرأ ابن كثير
بكسر النون مشددة في كل القرآن على ادغام نون الجمع في نون الوقاية
ونافع بكسرها مخففة على حذف نون الجمع استثقالا لاجتماع المثلين ودلالة
بابقاء نون الوقاية على الياء. قالوا بشرناك بالحق بما يكون لا محالة او باليقين
الذي لا لبس فيه او بطريقة هي حق وهي قول الله تعالى وامره فلا تكن من القانطين
من الآيسين من ذلك فانه تعالى قادر على ان يخلق بشرا من غير ابوين فكيف
من شيخ فان وعجوز عاقر وكان استعجاب ابراهيم باعتبار العادة دون
القدرة ولذلك قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون اي المخطئون
طريق المعرفة فلا يعرفون سعة رحمة الله تعالى وكمال علمه وقدرته كما قال
الله تعالى لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقرأ ابو عمرو والكسائي
يقنط بالكسر وقرئ بالضم وماضيهما قنط بالفتح قال فما خطبكم ايها المرسلون
اي فما شأنكم الذي ارسلتم لاجله سوى البشارة ولعله علم ان كمال المقصود
ليس البشارة لانهم كانوا عددا والبشارة لا تحتاج الى عدد ولذلك اكتفى
بالواحد في بشارة زكريا ومريم او لانهم بشروه في تضاعيف الحال لازالة
الوجل ولو كانت تمام المقصود لابتدأوا بها قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين
يعني قوم لوط الا آل لوط ان كان استثناء من قوم كان منقطعا اذ القوم
مقيد بالاجرام وان كان استثناء من الضمير في مجرمين كان متصلا والقوم
والارسال شاملين للمجرمين وآل لوط المؤمنين به وكان المعنى انا ارسلنا
الى قوم اجرم كلهم الا آل لوط منهم لنهلك المجرمين وننجي آل لوط ويدل عليه
قوله انا لمنجوهم اجمعين اي مما يعذب به القوم وهو استئناف اذا اتصل
الاستثناء ومتصل بآل لوط جار مجرى خبر لكن اذا انقطع وعلى هذا
جاز ان يكون قوله الا امرأته استثناء من آل لوط او من ضميرهم وعلى الاول
لا يكون الا من ضميرهم لاختلاف الحكمين اللهم الا ان يجعل انا لمنجوهم

اعتراضا وقرأ حمزة والكسائي لمنجوهم مخففا قدرنا انها لمن الغابرين
الباقين مع الكفرة لتهلك معهم وقرأ ابو بكر عن عاصم قدرنا هنا وفي النمل
بالتخفيف وانما علق والتعليق من خواص افعال القلوب لتضمنه معنى العلم
ويجوز ان يكون قدرنا اجري مجرى قلنا لان التقدير بمعنى القضاء قول
واصله جعل الشيء على مقدار غيره واسنادهم اياه الى انفسهم وهو فعل الله
تعالى لما لهم من القرب والاختصاص فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم
منكرون تنكركم نفسي وتنفر عنكم مخافة ان تطرقوني بشر قالوا بل جئناك
بما كانوا فيه يمترون اي ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك بما يسرك ويشفي
لك من عدوك وهو العذاب الذي توعدتهم به فيمترون فيه واتيناك بالحق
باليقين من عذابهم وانا لصادقون فيما اخبرناك به فأسر باهلك فاذهب
بهم في الليل وقرأ الحجازيان بوصل الالف من السرى وهما بمعنى وقرئ
فسر من السير بقطع من الليل في طائفة من الليل وقيل في آخره قال
افتحي الباب وانظري في النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم واتبع ادبارهم
وكن على اثرهم تذودهم وتسرع بهم وتطلع على حالهم ولا يلتفت منكم احد لينظر
ما وراءه فيرى من الهول ما لا يطيقه او فيصيبه ما اصابهم او ولا ينصرف
احدكم ولا يتخلف لغرض فيصيبه ما اصابهم او ولا ينصرف احدكم ولا يتخلف
لغرض فيصيبه العذاب وقيل نهوا عن الالتفات ليوطنوا نفوسهم على المهاجرة
وامضوا حيث تؤمرون الى حيث امركم الله تعالى بالمضي اليه وهو الشام او مصر
فعدي وامضوا الى حيث وتؤمرون الى ضميره المحذوف على الاتساع وقضينا
اي اوحينا اليه مقضيا ولذلك عدي بالى ذلك الامر مبهم تفسيره ان دابر
هؤلاء مقطوع ومحله النصب على البدل منه وفي ذلك تفخيم للامر وتعظيم
له وقرئ بالكسر على الاستئناف والمعنى انهم يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى
احد منهم مصبحين داخلين في الصبح وهو حال من هؤلاء او من الضمير في مقطوع

وجمعه للحمل على المعنى فان دابر هؤلاء في معنى مدبري هؤلاء وجاء اهل
المدينة سدوم يستبشرون باضياف لوط طمعا فيهم قال ان هؤلاء ضيفي
فلا تفضحون بفضيحة ضيفي فان من اسيء الى ضيفه فقد اسيء اليه واتقوا الله في
ركوب الفاحشة ولا تخزون ولا تذلون بسببهم من الخزي وهو الهوان او ولا تخجلوني
فيهم من الخزاية وهو الحيا قالوا اولم ننهك عن العالمين عن ان تجير منهم احدا
وتمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل احد وكان لوط يمنعهم عنه بقدر
وسعه او عن ضيافة الناس وانزالهم قال هؤلاء بناتي يعني نساء القوم
فان نبي كل امة بمنزلة ابيهم وفيه وجوه ذكرت في سورة هود ان كنتم فاعلين
قضاء الوطر او ما اقول لكم لعمرك قسم بحيوة المخاطب وهو النبي عليه السلام
وقيل لوط قالت الملائكة له ذلك والتقدير لعمرك قسمي وهو لغة في العمر
يختص به القسم لايثار الاخف فيه لانه كثير الدور على السنتهم انهم لفي سكرتهم
لفي غوايتهم او شدة غلمتهم التي ازالت عقولهم وتمييزهم خطائهم والصواب الذي
يشار به اليهم يعمهون يتحيرون فكيف يسمعون نصحك وقيل الضمير لقريش
والجملة اعتراض فاخذتهم الصيحة يعني صيحة هائلة مهلكة وقيل صيحة جبريل
عليه السلام مشرقين داخلين في وقت شروق الشمس فجعلنا عاليها عالي المدينة
او عالي قراهم سافلها فصارت منقلبة بهم وامطرنا عليهم حجارة من سجيل
من طين متحجر او طين عليه كتاب من السجل وقد تقدم مزيد بيان لهذه القصة
في سورة هود ان في ذلك لآيات للمتوسمين للمتفكرين المتفرسين الذين
يتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشيء بسمته وانها وان المدينة او القرى
لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس ويرون آثارها ان في ذلك لآية للمؤمنين
بالله تعالى ورسله وان كان اصحاب الايكة لظالمين هم قوم شعيب كانوا يسكنون
الغيضة فبعثه الله تعالى اليهم فكذبوه فاهلكوا بالظلة والايكة الشجر المتكاثف فانتقمنا
منهم بالاهلاك وانهما يعني سدوم والايكة وقيل الايكة ومدين فانه كان

مبعوثا وكان ذكر احدهما منبها على الآخر لبامام مبين لبطريق واضح
والامام اسم ما يؤتم به فسمي به اللوح ومطمر البناء لانهما مما يؤتم به ولقد
كذب اصحاب الحجر المرسلين يعني ثمود كذبوا صالحا ومن كذب واحدا من الرسل
فكانما كذب الجميع ويجوز ان يراد بالمرسلين صالحا ومن معه من المؤمنين
والحجر واد بين المدينة والشام يسكنونه واتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين
يعني آيات الكتاب المنزل على نبيهم او معجزاته كالناقة وسقبها وشربها ودرها
او ما نصب لهم من الادلة وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين من الانهدام
ونقب اللصوص وتخريب الاعداء لوثاقتها او من العذاب لفرط غفلتهم
او حسبانهم ان الجبال تحميهم منه فاخذتهم الصيحة مصبحين فما اغنى عنهم ما كانوا
يكسبون من بناء البيوت الوثيقة واستكثار الاموال والعدد وما خلقنا
السموات والارض وما بينهما الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق لا يلائم استمرار
الفساد ودوام الشرور ولذلك اقتضت الحكمة اهلاك امثال هؤلاء وازاحة
فسادهم من الارض وان الساعة لآتية فينتقم الله لك فيها ممن كذبك
فاصفح الصفح الجميل ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح
الحليم وقيل هو منسوخ بآية السيف ان ربك هو الخلاق الذي خلقك
وخلقهم وبيده امرك وامرهم العليم بحالك وحالهم فهو حقيق بان تكل اليه
ليحكم بينكم او هو الذي خلقكم وعلم الاصلح لكم وقد علم ان الصفح اليوم
اصلح وفي مصحف عثمان وابي رض هو الخالق وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق
يختص بالكثير ولقد آتيناك سبعا سبع آيات وهي الفاتحة وقيل سبع سور
وهي الطوال وسابعتها الانفال والتوبة فانهما في حكم سورة ولذلك لم يفصل
بينهما بالتسمية وقيل التوبة وقيل يونس او الحواميم السبع وقيل سبع صحائف
وهي الاسباع من المثاني بيان للسبع والمثاني من التثنية او الثناء فان كل ذلك
مثنى تكرر قراءته او الفاظه او قصصه ومواعظه او مثنى عليه بالبلاغة

والاعجاز او مثنى على الله تعالى بما هو اهله من صفاته العظمى واسمائه الحسنى ويجوز ان يراد بالمثاني القرآن او كتب الله تعالى كلها فيكون من للتبعيض والقرآن العظيم ان اريد بالسبع الايات او السور فمن عطف الكل على البعض او العام على الخاص وان اريد به الاسباع فمن عطف احد الوصفين على الآخر لا تمدن عينيك ولا تطمح ببصرك طموح راغب الى ما متعنا به ازواجا منهم اصنافا من الكفار فانه مستحقر بالاضافة الى ما اوتيته فانه كمال مطلوب بالذات مفض الى دوام اللذات وفي حديث ابي بكر رضي الله عنه من اوتي القرآن فراى ان احدا اوتي من الدنيا افضل مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وروي انه صلى الله عليه وسلم وافى باذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب والجواهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها ولانفقناها في سبيل الله تعالى فقال لهم لقد اعطيتم سبع آيات هي خير من هذه القوافل السبع ولا تحزن عليهم انهم لم يؤمنوا وقيل انهم المتمتعون به واخفض جناحك للمؤمنين وتواضع لهم وارفق بهم وقل اني انا النذير المبين انذركم ببيان وبرهان ان عذاب الله تعالى نازل بكم ان لم تؤمنوا كما انزلنا على المقتسمين مثل العذاب الذي انزلنا عليهم فهو وصف لمفعول النذير اقيم مقامه والمقتسمون هم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم لينفروا الناس عن الايمان بالرسول عليه السلام فاهلكهم الله تعالى يوم بدر او الرهط الذين اقتسموا اي تقاسموا على ان يبيتوا صالحا عليه السلام وقيل هو صفة مصدر محذوف يدل عليه قوله ولقد آتيناك فانه بمعنى انزلنا اليك والمقتسمون الذين جعلوا القرآن عضين حيث قالوا عنادا بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما او قسموه الى شعر وسحر وكهانة واساطير الاولين او اهل الكتاب آمنوا ببعض كتبهم وكفروا ببعض على ان المراد بالقرآن ما يقرؤونه من كتبهم

فيكون ذلك تسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقوله لا تمدن الخ اعتراضا ممدودا بما الذين جعلوا القرآن عضين اجزاء جمع عضة واصلها عضوة من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء وقيل اسحارا وقيل فعلة من عضهته اذا بهته وفي الحديث لعن رسول الله العاضهة والمستعضهة وعن عكرمة رض العضة السحر وانما جمع جمع السلامة جبرا لما حذف منه والموصول بصلته صفة للمقتسمين او مبتدا خبره فوربك لنسئلنهم اجمعين عما كانوا يعملون من التقسيم او النسبة الى السحر فيجازيهم عليه وقيل عام في كل ما فعلوا من الكفر والمعاصي فاصدع بما تؤمر فاجهر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا او فافرق به بين الحق والباطل واصله الابانة والتمييز وما مصدرية او موصولة والراجع محذوف اي بما تؤمر به من الشرائع واعرض عن المشركين فلا تلتفت الى ما يقولون انا كفيناك المستهزئين بقمعهم واهلاكهم قيل كانوا خمسة من اشراف قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وعدي ابن قيس والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب يبالغون في ايذاء النبي عم والاستهزاء به فقال جبريل عليه السلام امرت ان اكفيكهم فاومى الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات واومى الى اخمص العاص فدخلت فيها شوكة فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات واشار الى انف حارث فامتخط قيحا ومات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح راسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات والى عيني الاسود بن المطلب فعمي الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون عاقبة امرهم في الدارين ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون من الشرك والطعن في القرآن والاستهزاء بك فسبح بحمد ربك فافزع الى الله تع فيما نابك بالتسبيح والتحميد يكفك ويكشف الغم عنك او فنزهه عما يقولون حامدا له على ان هداك للحق وكن

من الساجدين من المصلين وعنه عليه الصلوة والسلام انه كان اذا حزبه امر
فزع الى الصلوة واعبد ربك حتى يأتيك اليقين اي الموت فانه متيقن
لحاقه كل حي مخلوق والمعنى فاعبده ما دمت حيا ولا تخل بالعبادة لحظة
عن رسول الله صلعم من قرأ سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد

سورة النحل مكية غير ثلث آيات في آخرها وهي مائة وثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم اتى امر الله فلا تستعجلوه كانوا يستعجلون
ما اوعدهم الرسول من قيام الساعة او اهلاك الله اياهم كما فعل يوم بدر
استهزاء وتكذيبا ويقولون ان صح ما تقوله فالاصنام تشفع لنا وتخلصنا منه
فنزلت والمعنى ان الامر الموعود به بمنزلة الآتي المتحقق من حيث انه واجب
الوقوع فلا تستعجلوا وقوعه فانه لا خير لكم فيه ولا خلاص لكم عنه سبحانه
وتعالى عما يشركون تبرأ وجل عن ان يكون له شريك فيدفع ما اراد بهم وقرأ
حمزة والكسائي بالتاء على وفق قوله فلا تستعجلوه والباقون بالياء على تلوين
الخطاب للمؤمنين او على ان الخطاب للمؤمنين او لهم ولغيرهم لما روي انه نزلت
اتى امر الله فوثب النبي عليه الصلوة والسلام ورفع الناس رؤسهم فنزلت
فلا تستعجلوه ينزل الملائكة بالروح بالوحي او القرآن فانه يحيي به القلوب
الميتة بالجهل او يقوم في الدين مقام الروح في الجسد وذكره عقيب ذلك
اشارة الى الطريق الذي به علم الرسول تحقق ما توعدهم به ودنوه وازاحة
لاستبعادهم اختصاصه بالعلم وقرأ ابن كثير وابو عمرو ينزل من انزل وعن
يعقوب مثله وعنه تنزل بمعنى تتنزل وقرأ ابو بكر تنزل على المضارع المبني
للمفعول من التنزيل من امره بامره على من يشاء من عباده ان يتخذه
رسولا ان انذروا بان انذروا اي اعلموا من نذرت بكذا اذا علمته انه لا اله
الا انا فاتقون ان الشان لا اله الا انا فاتقون او خوفوا اهل الكفر والمعاصي

بانه لا اله الا انا وقوله فاتقون رجوع الى مخاطبتهم بما هو المقصود وان
مفسرة لان الروح بمعنى الوحي الدال على القول او مصدرية في موضع الجر بدلا
من الروح او النصب بنزع الخافض او مخففة من الثقيلة والآية تدل على ان
نزول الوحي بواسطة الملائكة وان حاصله التنبيه على التوحيد الذي هو كمال
القوة العلمية والامر بالتقوى الذي هو اقصى كمالات القوة العملية وان النبوة
عطائية والآيات التي بعدها دليل وحدانيته من حيث انها تدل على انه تعالى
هو الموجد لاصول العالم وفروعه على وفق الحكمة والمصلحة ولو كان له
شريك لقدر على ذلك فيلزم التمانع خلق السموات والارض بالحق اوجدهما
على مقدار وشكل واوضاع وصفات مختلفة قدرها وخصصها بحكمته تعالى
عما يشركون منهما او مما يفتقر في وجوده او بقائه اليهما ومما لا يقدر على خلقهما
وفيه دليل على انه تعالى ليس من قبيل الاجرام خلق الانسان من نطفة من جماد
لا حس لها ولا حراك سيالة لا تحفظ الوضع والشكل فاذا هو خصيم منطيق
مجادل مبين للحجة او خصيم مكافح لخالقه قائل من يحيي العظام وهي
رميم روي ان ابي بن خلف اتى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم رميم وقال
يا محمد اترى ان الله يحيي هذا بعد ما قد رم فنزلت والانعام الابل والبقر
والغنم وانتصابها بمضمر يفسره خلقها لكم او بالعطف على الانسان وخلقها
لكم بيان ما خلق لاجله وما بعده تفصيل له فيها دفء ما يدفأ به فيقي البرد
ومنافع نسلها ودرها وظهورها وانما عبر عنها بالمنافع ليتناول عوضها
ومنها تأكلون اي تأكلون ما يؤكل منها من اللحوم والشحوم والالبان وتقديم الظرف
للمحافظة على رؤس الآي او لان الاكل منها هو المعتاد المعتمد عليه في
المعاش واما الاكل من سائر الحيوانات المأكولة فعلى سبيل التداوي والتفكه
ولكم فيها جمال زينة حين تريحون تردونها من مراعيها الى مراحها بالعشي
وحين تسرحون تخرجونها بالغداة الى المراعي فان الافنية تتزين بها في

الوقتين ويجل اهلها في اعين الناظرين اليها وتقديم الاراحة لان الجمال فيها
اظهر فانها تقبل ملاء البطون حافلة الضروع ثم تاوى الى الحظاير حاضرة
لاهلها وقرئ حينا على ان تريحون وتسرحون وصف له بمعنى تريحون فيه
وتسرحون فيه وتحمل اثقالكم احمالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه ان لم تكن الانعام
ولم تخلق فضلا ان تحملوها على ظهوركم اليه الا بشق الانفس الا بكلفة ومشقة
وقرئ بالفتح وهو لغة فيه وقيل المفتوح مصدر شق الامر عليه واصله الصدع
والمكسور بمعنى النصف كانه ذهب نصف قوته بالتعب ان ربكم لرؤف
رحيم حيث رحمكم بخلقها لانتفاعكم وتيسير الامر عليكم والخيل والبغال
والحمير عطف على الانعام لتركبوها وزينة اي لتركبوها ولتتزينوا بها زينة
وقيل هي معطوفة على محل لتركبوها وتغيير النظم لان الزينة بفعل الخالق
والركوب ليس بفعله ولان المقصود من خلقها الركوب واما التزين بها
فحاصل بالعرض وقرئ بغير واو وعلى هذا يحتمل ان يكون علة لتركبوها
او مصدرا في موقع الحال من احد الضميرين اي متزينين او متزينا بها واستدل
بها على حرمة لحومها ولا دليل فيها اذ لا يلزم من تعليل الفعل بما يقصد منه
غالبا ان لا يقصد منه غيره اصلا ويدل عليه ان الاية مكية وعامة المفسرين
والمحدثين على ان الحمر الاهلية حرمت عام خيبر ويخلق ما لا تعلمون لما فصل
الحيوانات التي يحتاج اليها غالبا احتياجا ضروريا او غير ضروري اجمل
غيرها ويجوز ان يكون اخبارا بان له من الخلايق ما لا علم لنا به وان يراد به
ما خلق في الجنة والنار مما لم يخطر على قلب بشر وعلى الله قصد السبيل
بيان مستقيم الطريق الموصل الى الحق او اقامة السبيل وتعديلها رحمة
وتفضلا او عليه قصد السبيل يصل اليه من يسلكه لا محالة يقال سبيل قصد
وقاصد اي مستقيم كانه يقصد الوجه الذي يقصده السالك لا يميل عنه
والمراد من السبيل الجنس ولذلك اضاف اليها القصد وقال ومنها جائر

عن القصد او عن الله تعالى وتغيير الاسلوب لانه ليس بحق على الله تعالى
ان يبين طريق الضلالة او لان المقصود بيان سبيله وتقسيم السبيل الى القصد
والجائر انما جاء بالعرض وقرئ ومنكم جائر اي عن القصد ولو شاء
لهديكم اجمعين اي ولو شاء هدايتكم اجمعين لهديكم الى قصد السبيل هداية
مستلزمة للاهتداء هو الذي انزل من السماء ماء من السحاب او من جانب السماء
لكم منه شراب ما تشربونه ولكم صلة انزل او خبر شراب ومن تبعيضية
متعلقة به وتقديمها يوهم حصر المشروب فيه ولا باس به لان مياه العيون
والابار منه لقوله فسلكه ينابيع في الارض وقوله فاسكناه في الارض
ومنه شجر ومنه يكون شجر يعني الشجر الذي ترعاه المواشي وقيل كل ما ينبت
على وجه الارض شجر قال نعلفها اللحم اذا عز الشجر والخيل في اطعامها
اللحم ضرر فيه تسيمون ترعون من سامت الماشية واسامها صاحبها
واصلها السومة وهي العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات ينبت لكم به الزرع
وقرأ ابو بكر بالنون على التفخيم والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل
الثمرات وبعض كلها اذ لم ينبت في الارض كل ما يمكن من الثمار ولعل تقديم
ما يسام فيه على ما يؤكل منه لانه سيصير غذاء حيوانيا هو اشرف الاغذية
ومن هذا تقديم الزرع والتصريح بالاجناس الثلاثة وترتيبها ان في ذلك
لاية لقوم يتفكرون على وجود الصانع وحكمته فان من تامل ان الحبة
تقع في الارض وتصل اليها نداوة تنفذ فيها فينشق اعلاها ويخرج
منها ساق الشجرة وينشق اسفلها فيخرج منه عروقها ثم ينمو ويخرج منه الاوراق
والازهار والاكمام والثمار ويشتمل كل منها على اجسام مختلفة الاشكال
والطباع مع اتحاد المواد ونسبة الطبائع السفلية والتاثيرات الفلكية
الى الكل علم ان ذلك ليس الا بفعل فاعل مختار مقدس عن منازعة الاضداد
والانداد ولعل فصل الاية لذلك وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر

والنجوم بان هیاها لمنافعکم مسخرات بامره حال من الجمیع ای نفعکم بها حال کونها
مسخرات لله خلقها ودبرها کیف شاء او لما خلقن له بایجاده وتقدیره او لحکمه
وفیه ایذان بالجواب عما عسی ان یقال ان المؤثر فی تکوین النبات حرکات الکواکب
واوضاعها فان ذلک ان سلم فلا ریب ایضا فی انها ممکنة الذات والصفات
واقعة علی بعض الوجوه المحتملة فلا بد لها من موجد مخصص مختار واجب
الوجود دفعا للدور والتسلسل او مصدر میمی جمع لاختلاف الانواع وقرا
حفص والنجوم مسخرات علی الابتداء والخبر فیکون تعمیما للحکم بعد تخصیصه
ورفع ابن عامر الشمس والقمر ایضا ان فی ذلک لایات لقوم یعقلون جمع الایة
وذکر العقل لانها تدل انواعا من الدلالة ظاهرة لذوی العقول السلیمة غیر
محوجة الی استیفاء فکر کاحوال النبات وما ذرا لکم فی الارض عطف علی اللیل
ای وسخر لکم ما خلق لکم فیها من حیوان ونبات مختلفا الوانه اصنافه فانها
تتخالف باللون غالبا ان فی ذلک لایة لقوم یذکرون ان اختلافها فی الطباع
والهیئات والمناظر لیس الا بصنع صانع حکیم وهو الذی سخر البحر جعله بحیث
یتمکنون من الانتفاع به بالرکوب والاصطیاد والغوص لتاکلوا منه لحما
طریا هو السمک ووصفه بالطراوة لانه ارطب اللحوم فیسرع الیه الفساد
فیسارع الی اکله ولاظهار قدرته فی خلقه عذبا طریا فی ماء زعاق وتمسک
به مالک والثوری علی ان من حلف ان لا یاکل لحما حنث باکل السمک واجیب عنه
بان مبنی الایمان علی العرف وهو لا یفهم منه عند الاطلاق الا تری ان الله
سمی الکافر دابة ولا یحنث الحالف علی ان لا یرکب دابة برکوبه وتستخرجوا منه
حلیة تلبسونها کاللؤلؤ والمرجان ای تلبسها نساؤکم فاسند الیهم لانهن
من جملتهم ولانهن یتزین بها لاجلهم وتری الفلک السفن مواخر فیه
جواری فیه تشقه بحیزومها من المخر وهو شق الماء وقیل صوت جری الفلک
ولتبتغوا من فضله من سعة رزقه برکوبها للتجارة ولعلکم تشکرون

ای تعرفون نعم الله تعالی فتقومون بحقها ولعل تخصیصه بتعقیب الشکر لانه اقوی
فی باب الانعام من حیث انه جعل المهالک سببا للانتفاع وتحصیل المعاش والقی
فی الارض رواسی جبالا رواسی ان تمید بکم کراهة ان تمیل بکم وتضطرب
وذلک لان الارض قبل ان تخلق فیها الجبال کانت کرة خفیفة بسیطة الطبع
وکان من حقها ان تتحرک بالاستدارة کالافلاک او ان تتحرک بادنی سبب
للتحریک فلما خلقت الجبال علی وجهها تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال
بثقلها نحو المرکز فصارت کالاوتاد التی تمنعها عن الحرکة وقیل لما خلق الله
الارض جعلت تمور فقالت الملائکة ما هی بمقر احد علی ظهرها فاصبحت
وقد ارسیت بالجبال وانهارا وجعل فیها انهارا لان القی فیه معناه
وسبلا لعلکم تهتدون لمقاصدکم او الی معرفة الله تعالی وعلامات
معالم یستدل بها السابلة من جبل وسهل وریح ونحو ذلک وبالنجم
هم یهتدون باللیل فی البراری والبحار والمراد بالنجم الجنس ویدل علیه
قراءة بالنجم بضمتین وضمة وسکون علی الجمع وقیل الثریا والفرقدان وبنات نعش
والجدی ولعل الضمیر لقریش لانهم کانوا کثیرا الاسفار للتجارة مشهورین
بالاهتداء فی مسایرهم بالنجوم واخراج الکلام عن سنن الخطاب وتقدیم
النجم واقحام الضمیر للتخصیص کانه قیل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا یهتدون
فالاعتبار بذلک والشکر علیه الزم لهم واوجب علیهم افمن یخلق کمن لا یخلق
انکار بعد اقامة الدلائل المتکاثرة علی کمال قدرته وتناهی حکمته والتفرد
بخلق ما عدد من مبدعاته لان یساویه ویستحق مشارکته ما لا یقدر علی
خلق شیء من ذلک بل علی ایجاد شیء ما وکان حق الکلام افمن لا یخلق کمن
یخلق لکنه عکس تنبیها علی انهم بالاشراک بالله جعلوه من جنس المخلوقات
العجزة شبیها بها والمراد بمن لا یخلق کل ما عبد من دون الله تعالی مغلبا فیه
اولو العلم منهم او الاصنام واجراها مجری اولی العلم لانهم سموها آلهة

ومن حق الاله ان يعلم او للمشاكلة بينه وبين من يخلق او للمبالغة فكانه قيل
ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولي العلم فكيف بما لا علم عنده افلا تذكرون
فتعرفوا فساد ذلك فانه لجلائه كالحاصل للعقل الذي يحضر عنده بادنى
تذكر والتفات وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تضبطوا عددها فضلاً
ان تطيقوا القيام بشكرها اتبع ذلك تعداد النعم والزام الحجة على تفرده
باستحقاق العبادة تنبيهاً على ان وراء ما عدد نعماً لا تنحصر وان حق عبادته
غير مقدور ان الله لغفور حيث يتجاوز عن تقصيركم في اداء شكرها
رحيم لا يقطعها لتفريطكم فيه ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها والله يعلم
ما تسرون وما تعلنون من عقائدكم واعمالكم وهو وعيد وتزييف
للشرك باعتبار العلم والذين تدعون من دون الله اي والالهة الذين تعبدونهم
من دونه وقرأ ابو بكر بالياء وقرأ حفص ثلاثتها بالياء لا يخلقون شيئاً
لما نفى المشاركة بين من يخلق ومن لا يخلق بين انها لا تخلق شيئاً لينتج انهم
لا يشاركونه ثم اكد ذلك بان اثبت لهم صفات تنافي الالوهية فقال
وهم يخلقون لانها ذوات ممكنة مفتقرة الوجود الى التخليق والاله
ينبغي ان يكون واجب الوجود اموات هم اموات لا يعتريهم الحياة او اموات
حالاً او مآلاً غير احياء بالذات ليتناول كل معبود والاله ينبغي ان يكون حياً
بالذات لا يعتريه الممات وما يشعرون ايان يبعثون ولا يعلمون وقت بعثهم
او بعث عبدتهم فكيف يكون لهم وقت جزاء على عبادتهم والاله ينبغي ان يكون
عالماً بالغيوب مقدراً للثواب والعقاب وفيه تنبيه على ان البعث من توابع
التكليف الهكم اله واحد تكرير للمدعى بعد اقامة الحجج فالذين لا يؤمنون
بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون بيان لما اقتضى اصرارهم بعد وضوح
الحق وذلك عدم ايمانهم بالآخرة فان المؤمن بها يكون طالباً للدليل
متأملاً فيما يسمع فينتفع به والكافر بها يكون بالعكس وانكار قلوبهم

ما لا يعرف

ما لا يعرف الا بالبرهان اتباعاً للاسلاف وركوناً الى المألوف
فانه ينافي النظر والاستكبار عن اتباع الرسول وتصديقه والالتفات
الى قوله والاول هو العمدة في الباب ولذلك رتب عليه ثبوت الآخر
لا جرم حقاً ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون فيجازيهم وهو في موضع
الرفع بجرم لانه مصدر او فعل انه لا يحب المستكبرين فضلاً عن الذين
استكبروا عن توحيده او عن اتباع الرسول واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم
القائل بعضهم على التهكم او الوافدون عليهم او المسلمون قالوا اساطير الاولين
اي ما تدعون نزوله او المنزل اساطير الاولين وانما سموه منزلاً على التهكم
او على الفرض اي على تقدير انه منزل فهو اساطير الاولين لا تحقيق فيه والقائلون
له قيل هم المقتسمون ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة اي قالوا ذلك اضلالاً
للناس فحملوا اوزار ضلالهم كاملة فان اضلالهم نتيجة رسوخهم في الضلال
ومن اوزار الذين يضلونهم وبعض اوزار ضلال من يضلونهم وهو حصة
التسبب بغير علم حال من المفعول اي يضلون من لا يعلم انهم ضلال وفائدتها
الدلالة على ان جهلهم لا يعذرهم اذ كان عليهم ان يبحثوا ويميزوا بين المحق
والمبطل الا ساء ما يزرون بئس شيئاً يزرونه فعلهم قد مكر الذين من قبلهم
اي سووا منصوبات ليمكروا بها رسل الله صلى الله عليهم وسلم فاتى الله بنيانهم
من القواعد فاتاها امره من جهة العمد التي بنوا عليها بان ضعضعت
فخر عليهم السقف من فوقهم وصار سبب هلاكهم واتاهم العذاب من حيث
لا يشعرون لا يحتسبون ولا يتوقعون وهو على سبيل التمثيل وقيل المراد به
نمرود بن كنعان بنى الصرح ببابل سمكه خمسة آلاف ذراع ليترصد امر السماء
فاهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا ثم يوم القيمة يخزيهم يذلهم
او يعذبهم بالنار كقوله ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته ويقول اين
شركائي اضاف الى نفسه استهزاء او حكاية لاضافتهم زيادة في توبيخهم

الذين كنتم تشاقون فيهم تعادون المؤمنين في شانهم وقرأ نافع بكسر النون
بمعنى تشاقونني فان مشاقة المؤمنين كمشاقة الله قال الذين اوتوا العلم
اي الانبياء والعلماء الذين كانوا يدعونهم الى التوحيد فيشاقونهم ويتكبرون عليهم
او الملائكة ان الخزي اليوم والسوء الذلة والعذاب على الكافرين وفائدة قولهم
اظهار الشماتة وزيادة الاهانة وحكايته لان يكون وعظا لمن سمعه الذين
تتوفيهم الملائكة وقرأ حمزة بالياء وقرئ بادغام التاء في التاء وموضع الموصول
يحتمل الاوجه الثلثة ظالمي انفسهم بان عرضوها للعذاب المخلد فالقوا السلم
فسالموا واخبتوا حين عاينوا الموت ما كنا نعمل من سوء قائلين ما كنا نعمل من سوء
كفر وعدوان ويجوز ان يكون تفسيرا للسلم على ان المراد به القول الدال على الاستسلام
بلى اي فتجيبهم الملائكة بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه
وقيل قوله فالقوا السلم الى آخر الاية استيناف ورجوع الى شرح حالهم
يوم القيمة وعلى هذا اول من لم يجوز الكذب يومئذ ما كنا نعمل من سوء
بانا لم نكن في زعمنا واعتقادنا عاملين سوء واحتمل ان يكون الراد عليهم هو
الله تعالى او اولوا العلم فادخلوا ابواب جهنم كل صنف بابها المعد له وقيل
ابواب جهنم اصناف عذابها خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين جهنم وقيل للذين
اتقوا يعني المؤمنين ماذا انزل ربكم قالوا خيرا اي انزل خيرا وفي نصبه دليل على انهم
لم يتلعثموا في الجواب واطبقوه على السوال معترفين بالانزال على خلاف الكفرة
روي ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من ياتيهم بخبر النبي عليه السلام
فاذا جاء الوافد المقتسمين قالوا له ما قالوا واذا جاء المؤمنين قالوا له ذلك
للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة مكافاة في الدنيا ولدار الاخرة خير اي
ولثوابهم في الاخرة خير منها وهو عدة للذين اتقوا على تقواهم ويجوز ان يكون
بما بعده حكاية لقولهم بدلا وتفسيرا لخيرا على انه منتصب بقالوا ولنعم دار المتقين
دار الاخرة فحذف لتقدم ذكرها وقوله جنات عدن خبر مبتدا محذوف

ويجوز

ويجوز ان يكون المخصوص بالمدح يدخلونها تجري من تحتها الانهار لهم فيها
ما يشاؤون من انواع المشتهيات وفي تقديم الظرف تنبيه على ان الانسان
لا يجد جميع ما يريده الا في الجنة كذلك يجزي الله المتقين مثل هذا الجزاء
يجزيهم وهو يؤيد الوجه الاول الذين تتوفيهم الملائكة طيبين طاهرين
من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصي لانه في مقابلة ظالمي انفسهم وقيل فرحين
ببشارة الملائكة اياهم بالجنة او طيبين بقبض ارواحهم لتوجه نفوسهم
بالكلية الى حضرة القدس يقولون سلام عليكم لا يحيقكم بعد مكروه
ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون حين تبعثون فانها معدة لكم على اعمالكم
وقيل هذا التوفي وفاة الحشر لان الامر بالدخول حينئذ هل ينظرون ما ينتظر
الكفار المار ذكرهم الا ان تاتيهم الملائكة لقبض ارواحهم وقرأ حمزة
والكسائي بالياء او ياتي امر ربك القيمة او العذاب المستاصل كذلك مثل
ذلك الفعل من الشرك والتكذيب فعل الذين من قبلهم فاصابهم ما اصاب
وما ظلمهم الله بتدميرهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون بكفرهم ومعاصيهم
المؤدية اليه فاصابهم سيئات ما عملوا اي جزاء سيئات اعمالهم على حذف المضاف
او تسمية الجزاء باسمها وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن فاحاط بهم جزاؤه
والحيق لا يستعمل الا في الشر وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من
دونه من شيء نحن ولا اباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء انما قالوا ذلك
استهزاء ومنعا للبعثة والتكليف متمسكين بان ما شاء الله تعالى يجب وما
لم يشا يمتنع فما الفائدة فيهما او انكارا لقبح ما انكر عليهم من الشرك وتحريم
البحائر ونحوها محتجين بانها لو كانت مستقبحة لما شاء الله صدورها عنهم
ولشاء خلافه ملجئا اليه لا اعتذارا اذ لم يعتقدوا قبح اعمالهم وفيما بعده
تنبيه على الجواب عن الشبهتين كذلك فعل الذين من قبلهم فاشركوا بالله تعالى
وحرموا حله وردوا رسله فهل على الرسل الا البلاغ المبين الا الابلاغ

الموضح للحق وهو ان لم يوتى فى هدى من شاء اهتداءه لكنه يودى
اليه على سبيل التوسط وما شاء الله وقوعه انما يجب وقوعه لا مطلقا
بل باسباب قدرها ثم بين ان البعثة امر جرت به السنة الالهية فى الامم
كلها سببا لهدى من اراد اهتداءه وزيادة الضلال لمن اراد ضلاله كالغذاء
الصالح فانه ينفع المزاج السوى ويقويه ويضر المنحرف ويفنيه بقوله تعالى
ولقد بعثنا فى كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت يامرهم بعبادة
الله تعالى واجتناب الطاغوت فمنهم من هدى الله وفقهم للايمان بارشادهم
ومنهم من حقت عليه الضلالة اذ لم يوفقهم ولم يرد هدايتهم وفيه تنبيه
على فساد الشبهة الثانية لما فيه من الدلالة على ان تحقق الضلال وثباته
بفعل الله تعالى وارادته من حيث انه قسيم من هدى الله وقد صرح به
فى الاية الاخرى فسيروا فى الارض يا معشر قريش فانظروا كيف كان
عاقبة المكذبين من عاد وثمود وغيرهم لعلكم تعتبرون ان تحرص يا محمد
على هداهم فان الله لا يهدى من يضل من يريد ضلاله وهو المعنى بمن حقت
عليه الضلالة وقرأ غير الكوفيين لا يهدى من يضل من يريد ضلاله على
البناء للمفعول وهو ابلغ وما لهم من ناصرين من ينصرهم بدفع العذاب
عنهم واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت عطف على وقال
الذين اشركوا ايذانا بانهم كما انكروا التوحيد انكروا البعث مقسمين
عليه زيادة فى البت على فساده ولقد رد الله تعالى عليهم ابلغ رد فقال
بلى يبعثهم وعدا مصدر مؤكد لنفسه وهو ما دل عليه بلى فان يبعث
موعد من الله تعالى عليه انجازه لامتناع الخلف فى وعده او لان البعث
مقتضى حكمته حقا صفة اخرى للوعد ولكن اكثر الناس لا يعلمون انهم
يبعثون اما لعدم علمهم بانه من مواجب الحكمة التى جرت عادته بمراعاتها
واما لقصور نظرهم بالمالوف فيتوهمون امتناعه ثم انه تعالى بين الامرين

فقال

فقال ليبين لهم اى يبعثهم ليبين لهم الذى يختلفون فيه وهو الحق وليعلم
الذين كفروا انهم كانوا كاذبين فيما كانوا يزعمون وهو اشارة الى السبب
الداعى الى البعث المقتضى له من حيث الحكمة وهو التمييز بين الحق والباطل والمحق
والمبطل بالثواب والعقاب ثم قال انما قولنا لشىء اذا اردناه ان
نقول له كن فيكون وهو بيان امكانه وتقريره ان تكوين الله بمحض قدرته
ومشيئته لا توقف له على سبق المواد والمدد والا لزم التسلسل فكما امكن
تكوين الاشياء ابتداء بلا سبق مادة ومثال امكن تكوينها اعادة بعده ونصب
ابن عامر والكسائى فيكون عطفا على نقول او جوابا للامر والذين هاجروا
فى الله من بعد ما ظلموا هم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه المهاجرون
ظلمهم قريش فهاجر بعضهم الى الحبشة ثم الى المدينة وبعضهم الى المدينة او المحبوسون
المعذبون بمكة بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم بلال وصهيب
وخباب وعمار وعابس وابو جندل وسهيل وقوله فى الله اى فى حقه ولوجهه
لنبوئنهم فى الدنيا حسنة مباءة حسنة وهى المدينة او تبوئة حسنة
ولاجر الاخرة اكبر مما تعجل لهم فى الدنيا وعن عمر رضى الله عنه انه كان اذا اعطى
رجلا من المهاجرين عطاءه قال خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله تعالى
فى الدنيا وما ادخر لك فى الاخرة افضل لو كانوا يعلمون الضمير للكفار
اى لو علموا ان الله يجمع لهؤلاء المهاجرين خير الدارين لوافقوهم او للمهاجرين
اى لو علموا ذلك لزادوا فى اجتهادهم وصبرهم الذين صبروا على الشدائد
كاذى الكفرة ومفارقة الوطن ومحله النصب او الرفع على المدح وعلى ربهم
يتوكلون منقطعين الى الله تعالى مفوضين اليه الامر كله وما ارسلنا من قبلك
الا رجالا نوحى اليهم رد لقول قريش الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا
اى جرت السنة الالهية بان لا يبعث للدعوة العامة الا بشرا يوحى اليه على السنة
الملائكة والحكمة فى ذلك قد ذكرت فى سورة الانعام فان شككتم فاسئلوا

اهل الذكر اهل الكتاب او علماء الاخبار ليعلموكم ان كنتم لا تعلمون وفي
الآية دليل على انه تعالى لم يرسل امراة ولا ملكا للدعوة العامة واما
قوله تعالى جاعل الملائكة رسلا معناه رسلا الى الملائكة او الى الانبياء
وقيل لم يبعثوا الى الانبياء الا متمثلين بصورة الرجال ورد بما روي انه
راى جبريل عليه السلام على صورته التي هو عليها مرتين وعلى وجوب المراجعة
الى العلماء فيما لا يعلم بالبينات والزبر اي ارسلناهم بالبينات والزبر اي
المعجزات والكتب كانه جواب قائل قال بما ارسلوا ويجوز ان يتعلق بما ارسلنا
داخلا في الاستثناء مع رجالا اي وما ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك وما
ضربت الا زيدا بالسوط او صفة لهم اي رجالا ملتبسين بالبينات او بيوحي على
المفعولية او الحال من القائم مقام فاعله وهو اليهم على ان قوله فسئلوا اعتراض
او بلا تعلمون على ان الشرط للتبكيت والالزام وانزلنا اليك الذكر اي
القرآن وانما سمي ذكرا لانه موعظة وتنبيه لتبين للناس ما نزل اليهم في
الذكر بتوسط انزاله اليك مما امروا به ونهوا عنه او مما تشابه عليهم والتبيين
اعم من ان ينص بالمقصود او يرشد الى ما يدل عليه كالقياس ودليل العقل
ولعلهم يتفكرون وارادة ان يتاملوا فيه فيتنبهوا للحقائق افامن الذين
مكروا السيئات اي المكرات السيئات وهم الذين احتالوا لهلاك الانبياء
او الذين مكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وراموا صد اصحابه عن الايمان
ان يخسف الله بهم الارض كما خسف بقارون او ياتيهم العذاب من حيث لا
يشعرون بغتة من جانب السماء كما فعل بقوم لوط او ياخذهم في تقلبهم
اي متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم فما هم بمعجزين او ياخذهم على تخوف
على مخافة بان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فياتيهم العذاب وهم متخوفون
او على ان ينقصهم شيئا بعد شيء في انفسهم واموالهم حتى يهلكوا من تخوفته اذا
انتقصته روي ان عمر رض قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ

من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال هل تعرف العرب ذلك في
اشعارها قال نعم قال شاعرنا ابو كبير يصف ناقته   تخوف
الرحل منها تامكا قردا   كما تخوف عود النبعة السفن فقال عمر رض عليكم
بديوانكم لا تضلوا قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير
كتابكم ومعاني كلامكم فان ربكم لرؤف رحيم حيث لا يعاجلكم بالعقوبة
اولم يروا الى ما خلق الله من شيء استفهام انكار اي قد راوا امثال هذه الصنائع
فما بالهم لم يتفكروا فيه ليظهر لهم كمال قدرته وقهره فيخافوا منه وما موصولة
مبهمة بيانها يتفيؤا ظلاله اي اولم يروا الى المخلوقات التي لها ظلال
متفيئة وقرا حمزة والكسائي تروا بالتاء وابو عمرو تتفيؤا بالتاء عن اليمين
والشمائل عن ايمانها وشمائلها اي عن جانبي كل واحد منها استعارة من يمين
الانسان وشماله ولعل توحيد اليمين وجمع الشمائل لاعتبار اللفظ والمعنى
كتوحيد الضمير في ظلاله وجمعه في قوله سجدا لله وهم داخرون وهما حالان
من الضمير في قوله ظلاله والمراد من السجود الاستسلام سواء كان بالطبع
او بالاختيار يقال سجدت النخلة اذا مالت لكثرة الحمل وسجد البعير
اذا طاطا راسه ليركب او سجدا حال من الظلال وهم داخرون حال
من الضمير والمعنى ترجع الظلال بارتفاع الشمس وانحدارها او باختلاف
مشارقها ومغاربها بتقدير الله تعالى من جانب الى جانب منقادة لما قدر لها
من التفيؤ او واقعة على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجد والاجرام
في انفسها ايضا داخرة اي صاغرة منقادة لافعال الله تعالى فيها وجمع
داخرون بالواو لان من جملتها من يعقل او لان الدخور من اوصاف العقلاء
وقيل المراد باليمين والشمائل يمين الفلك وهو جانبه الشرقي لان الكواكب
تظهر منه آخذة في الارتفاع والسطوع وشماله وهو الجانب الغربي
المقابل له فان الظلال في اول النهار يبتدئ من المشرق واقعة على الربع الغربي

الربع ٣

من الارض وعند الزوال يبتدى من المغرب واقعة على الربع الشرقى
من الارض ولله يسجد ما فى السموات وما فى الارض اى ينقاد انقيادا
يعم الانقياد لارادته وتاثيره طبعا والانقياد لتكليفه وامره طوعا
ليصح اسناده الى عامة اهل السموات والارض وقوله من دابة بيان لهما
لان الدبيب هو الحركة الجسمانية سواء كان فى ارض او سماء والملائكة
عطف على المبين به عطف جبرئيل على الملائكة للتعظيم فى قوله وملائكته
ورسله وجبرئيل او عطف المجردات على الجسمانيات وبه احتج من قال ان
الملائكة ارواح مجردة او بيان لما فى الارض والملائكة تكرير لما فى
السموات وتعيين له اجلالا وتعظيما والمراد به ملائكتها من الحفظة وغيرهم
وما لما استعمل للعقلاء كما استعمل لغيرهم كان استعماله حيث اجتمع القبيلان
اولى من اطلاق من تغليبا للعقلاء وهم لا يستكبرون عن عبادته يخافون
ربهم من فوقهم يخافون ان يرسل عذابا من فوقهم او يخافونه وهو فوقهم
بالقهر كقوله وهو القاهر فوق عباده والجملة حال من الضمير فى لا يستكبرون
او بيان له وتقرير لان من خاف الله تعالى لم يستكبر عن عبادته ويفعلون
ما يؤمرون من الطاعة والتدبير فيه دليل على ان الملائكة مكلفون
مدارون بين الخوف والرجاء وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين ذكر
العدد مع ان المعدود يدل عليه دلالة على ان مساق النهى اليه او ايماء
بان الاثنينية تنافى الالوهية كما ذكر الواحد فى قوله انما هو اله واحد
للدلالة على ان المقصود اثبات الوحدانية دون الالهية او للتنبيه على ان الوحدة
من لوازم الالهية فاياى فارهبون نقل من الغيبة الى التكلم مبالغة فى الترهيب
وتصريحا بالمقصود كانه قال فانا ذلك الاله الواحد فاياى فارهبون
لا غير وله ما فى السموات والارض خلقا وملكا وله الدين اى الطاعة
واصبا لازما لما تقرر من انه الاله وحده والحقيق بان يرهب منه وقيل

واصبا من الوصب اى وله الدين اذا كلفه وقيل الدين الجزاء اى وله الجزاء
دائما لا ينقطع ثوابه لمن آمن وعقابه لمن كفر افغير الله تتقون ولا ضار سواه
كما لا نافع غيره كما قال الله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله اى واى شى اتصل
بكم من نعمة فهو من الله تعالى وما شرطية او موصولة متضمنة معنى الشرط
باعتبار الاخبار دون الحصول فان استقرار النعمة بهم يكون سببا
للاخبار بانها من الله تعالى لا لحصولها منه ثم اذا مسكم الضر فاليه تجارون
فما تتضرعون الا اليه والجؤار رفع الصوت فى الدعاء والاستغاثة
ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون وهم كفاركم
ليكفروا بعبادة غيره هذا اذا كان الخطاب عاما فان كان خاصا بالمشركين
كان من للبيان كانه قال فاذا فريق منهم وهم انتم ويجوز ان يكون من
للتبعيض على ان يعتبر بعضهم كقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد
بما آتيناهم من نعمة الكشف عنهم كانهم قصدوا بشركهم كفران النعمة
او انكار كونها من الله تعالى فتمتعوا امر تهديد فسوف تعلمون اغلظ
وعيده وقرئ فيمتعوا مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا وعلى هذا جاز
ان يكون اللام لام الامر الوارد للتهديد والفاء للجواب ويجعلون
لما لا يعلمون اى لالهتهم التى لا علم لها لانها جماد فيكون الضمير لما او التى
لا يعلمونها فيعتقدون فيها جهالات مثل انها تنفعهم وتشفع لهم
على ان العائد الى ما محذوف او لجهلهم على انها مصدرية والمجعول له محذوف
للعلم به نصيبا مما رزقناهم من الزرع والانعام تالله لتسألن عما كنتم
تفترون من انها آلهة حقيقة بالتقرب اليها وهو وعيد لهم عليه
ويجعلون لله البنات كانت خزاعة وكنانة يقولون ان الملائكة
بنات الله سبحانه تنزيه له من قولهم او تعجب منه ولهم ما يشتهون
يعنى البنين ويجوز فى ما يشتهون الرفع بالابتداء والنصب بالعطف

على البنات على ان الجعل بمعنى الاختيار وهو وان افضى الى ان يكون ضمير
الفاعل والمفعول لشىء واحد لكنه لا يبعد تجويزه في المعطوف واذا بشر
احدهم بالانثى اخبر بولادتها ظل وجهه صار ودام النهار كله مسودا
من الكآبة والحياء من الناس واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام
والتشوير وهو كظيم مملو غيظا من المرأة يتوارى من القوم يستخفى منهم
من سوء ما بشر به من سوء المبشر به عرفا ايمسكه محدثا نفسه متفكرا
في ان يتركه على هون ذل ام يدسه في التراب ام يخفيه فيه وتذكير الضمير
للفظ ما وقرئ بالتأنيث فيهما الا ساء ما يحكمون حيث يجعلون لمن تعالى
عن الولد ما هذا محله عندهم للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء صفة
السوء وهي الحاجة الى الولد المنادية بالموت واستبقاء الذكور استظهارا
بهم وكراهة الاناث ووأدهن خشية الاملاق ولله المثل الاعلى
وهو الوجوب الذاتي والغنى المطلق والجود الفائق والنزاهة عن صفة
المخلوقين وهو العزيز الحكيم المنفرد بكمال القدرة والحكمة ولو يؤاخذ الله
الناس بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم ما ترك عليها على الارض وانما اضمرها
من غير ذكر لدلالة الناس والدابة عليها من دابة قط بشؤم ظلمهم
وعن ابن مسعود رضه كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن آدم او من دابة
ظالمة وقيل لو اهلك الآباء بكفرهم لم يكن الابناء ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى
سماه لاعمارهم او لعذابهم كي يتوالدوا فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة
ولا يستقدمون بل هلكوا او عذبوا حينئذ لا محالة ولا يلزم من عموم
الناس واضافة الظلم اليهم ان يكونوا كلهم ظالمين حتى الانبياء عليهم السلام
لجواز ان يضاف اليهم ما شاع فيهم وصدر عن اكثرهم ويجعلون لله
ما يكرهون اي ما يكرهونه لانفسهم من البنات والشركاء في الرياسة والاستخفاف
بالرسل واراذل الاموال وتصف السنتهم الكذب مع ذلك وهو ان لهم

الحسنى

الحسنى اي عند الله تعالى كقوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى
وقرئ الكذب جمع كذوب صفة للالسنة لا جرم ان لهم النار رد لكلامهم
واثبات لضده وانهم مفرطون مقدمون الى النار من افرطته في طلب الماء
اذا قدمته وقرأ نافع بكسر الراء على انه من الافراط في المعاصي وقرئ بالتشديد
مفتوحا من فرطته في طلب الماء ومكسورا من التفريط في الطاعات تالله لقد
ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم فاصروا على قبائحها وكفروا
بالمرسلين فهو وليهم اليوم اي في الدنيا وعبر باليوم عن زمانها او هو وليهم
حين كان يزين لهم او يوم القيامة على انه حكاية حال ماضية او آتية ويجوز
ان يكون الضمير لقريش اي زين الشيطان للكفرة المتقدمين اعمالهم وهو ولي
هؤلاء اليوم يغويهم ويغريهم وان يقدر مضاف اي فهو ولي امثالهم والولي
القرين او الناصر فيكون نفيا للناصر لهم على ابلغ الوجوه ولهم عذاب اليم
في القيامة وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم للناس الذي اختلفوا فيه
من التوحيد والقدر واحوال المعاد واحكام الافعال وهدى ورحمة لقوم
يؤمنون معطوفان على محل لتبين فانهما فعلا المنزل بخلاف التبيين والله
انزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها انبت فيها انواع النبات
بعد يبسها ان في ذلك لآية لقوم يسمعون سماع تدبر وانصاف وان لكم
في الانعام لعبرة دلالة يعبر بها من الجهل الى العلم نسقيكم مما في بطونه
استئناف لبيان العبرة وانما ذكر الضمير ووحده هنا للفظ وانثه في سورة
المؤمنين للمعنى فان الانعام اسم جمع ولذلك عده سيبويه في المفردات
المبنية على افعال كاخلاق واكياش ومن قال انه جمع نعم جعل الضمير
للبعض فان اللبن لبعضها دون جميعها او لواحده او له على المعنى فان المراد
به الجنس وقرأ نافع وابن عامر وابو بكر ويعقوب نسقيكم بالفتح من بين فرث
ودم لبنا فانه يخلق من بعض اجزاء الدم المتولد من الاجزاء اللطيفة التي في الفرث

ومن الاشياء الماكولة المنهضمة بعض الانهضام في الكرش وعن ابن
عباس رضه ان البهيمة اذا اعتلفت وانطبخ العلف في كرشها كان اسفله
فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما ولعله ان صح فالمراد ان اوسطه يكون مادة
اللبن واعلاه مادة الدم الذي يغذي البدن لانهما لا يتكونان في الكرش
بل الكبد يجذب صفاوة الطعام المنهضم في الكرش ويبقى ثفله وهو الفرث
ثم يمسكها ريثما يهضمها هضما ثانيا فيحدث اخلاطا اربعة معها مائية فتميز
القوة المميزة تلك المائية بما زاد على قدر الحاجة من المرتين وتدفعها الى الكلية
والمرارة والطحال ثم يوزع الباقي على الاعضاء بحسبها فيجري الى كل حقه
على ما يليق به بتقدير العليم الحكيم ثم ان كان الحيوان انثى زاد اخلاطها
على قدر غذائها لاستيلاء البرد والرطوبة على مزاجها فيندفع الزائد اولا
الى الرحم لاجل الجنين فاذا انفصل انصب ذلك الزائد او بعضه الى
الضروع فيبيض لمجاورة لحومها الغددية البيض فيصير لبنا ومن تدبر
صنع الله تعالى في احداث الاخلاط والالبان واعداد مقارها ومجاريها
والاسباب المولدة لها والقوى المتصرفة فيها كل وقت على ما يليق به اضطر
الى الاقرار بكمال حكمته وتناهي رحمته ومن الاولى تبعيضية لان اللبن بعض
ما في بطونها والثانية ابتدائية كقولك سقيت من الحوض لان بين الفرث
والدم المحل الذي يبتدئ منه الاسقاء وهي متعلقة بنسقيكم او حال من لبنا
قدم عليه لتنكيره وللتنبيه على انه موضع العبرة خالصا صافيا لا يستصحبه
لون الدم ولا رائحة الفرث او مصفى عما يصحبه من الاجزاء الكثيفة بتضييق
مخرجه سائغا للشاربين سهل المرور في حلقهم وقرئ سيغا بالتشديد والتخفيف
ومن ثمرات النخيل والاعناب متعلق بمحذوف اي ونسقيكم من ثمرات النخيل
والاعناب من عصيرهما وقوله تتخذون منه سكرا استيناف لبيان الاسقاء
او بتتخذون ومنه تكرير للظرف تاكيدا وخبر لمحذوف صفته تتخذون اي ومن

ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه وتذكير الضمير على الوجهين الاولين
لانه للمضاف المحذوف الذي هو العصير او لان الثمرات بمعنى الثمر والسكر مصدر
سمي به الخمر ورزقا حسنا كالتمر والزبيب والدبس والخل والاية
ان كانت سابقة على تحريم الخمر فدالة على كراهتها والا فجامعة بين العتاب
والمنة وقيل السكر النبيذ وقيل الطعام قال جعلت اعراض الكرام سكرا
اي تنقلت باعراضهم وقيل ما يسد الجوع من السكر فيكون الرزق ما يحصل
من اثمانه ان في ذلك لاية لقوم يعقلون يستعملون عقولهم بالنظر والتامل
في الايات واوحى ربك الى النحل الهمها وقذف في قلوبها وقرئ الى النحل
بفتحتين ان اتخذي بان اتخذي ويجوز ان يكون مفسرة لان في الايحاء
معنى القول وتانيث الضمير على المعنى فان النحل مذكر من الجبال بيوتا ومن
الشجر ومما يعرشون ذكر بحرف التبعيض لانها لا تبني في كل جبل وكل شجر
وكل ما يعرش من كرم او سقف ولا في كل مكان منها وانما سمي ما تبنيه لتتعسل
فيه بيتا تشبيها ببناء الانسان لما فيه من حسن الصنعة وصحة القسمة التي
لا تقوى عليها حذاق المهندسين الا بالات وانظار دقيقة ولعل ذكره
للتنبيه على ذلك وقرئ بيوتا بكسر الباء لاجل الياء وقرا ابن عامر وابو بكر
يعرشون بكسر الراء ثم كلي من كل الثمرات من كل ثمرة تشتهيها مرها وحلوها
فاسلكي ما اكلت سبل ربك في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته النور المر
عسلا من اجوافك او فاسلكي الطرق التي الهمك في عمل العسل او فاسلكي
راجعة الى بيوتك سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تلتبس ذللا جمع ذلول
وهي حال من السبل اي مذللة ذللها الله تعالى وسهلها لك او من الضمير في
اسلكي اي وانت ذلل منقادة لما امرت به يخرج من بطونها عدل به
عن خطاب النحل الى خطاب الناس لانه محل الانعام عليهم والمقصود
من خلق النحل والهامه لاجلهم شراب يعني العسل لانه مما يشرب واحتج به

من زعم ان النحل تاكل الازهار والاوراق العطرة فيستحيل في بطنها
عسلا ثم يقيء ادخارا للشتاء ومن زعم انها تلتقط بافواهها اجزاء طلية
حلوة صغيرة متفرقة على الاوراق والازهار وتضعها في بيوتها ادخارا
فاذا اجتمع في بيوتها شيء كثير منها كان العسل فسر البطون بالافواه مختلف
الوانه ابيض واصفر واحمر واسود بسبب اختلاف سن النحل والفصل فيه
شفاء للناس اما بنفسه كما في الامراض البلغمية او مع غيره كما في سائر الامراض
اذ قلما يكون معجون الا والعسل جزء منه مع ان التنكير فيه مشعر
بالتبعيض ويجوز ان يكون للتعظيم وعن قتادة ان رجلا جاء الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال ان اخي يشتكي بطنه فقال اذهب فاسقه
العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب واسقه عسلا
فقد صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه الله تعالى فبرئ
كانما انشط من عقال وقيل الضمير للقرآن او لما بين الله تعالى من احوال
النحل ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون فان من تدبر اختصاص النحل
بتلك العلوم الدقيقة والافعال العجيبة حق التدبر علم قطعا انه لا بد
له من خالق قادر حكيم يلهمها ذلك ويحملها عليه والله خلقكم ثم يتوفيكم
بآجال مختلفة ومنكم من يرد يعاد الى ارذل العمر اخسه يعني الهرم
الذي يشابه الطفولية في نقصان القوة والعقل وقيل هو خمس وتسعون
سنة وقيل خمس وسبعون لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ليصير الى حالة شبيهة
بحال الطفولية في النسيان وسوء الفهم ان الله عليم بمقادير اعمارهم
قدير يميت الشاب النشيط ويبقي الهرم الفاني وفيه تنبيه على ان تفاوت
آجال الناس ليس الا بتقدير قادر حكيم ركب ابنيتهم وعدل امزجتهم
على قدر معلوم ولو كان ذلك مقتضى الطباع لم يبلغ التفاوت الى
هذا المبلغ والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فمنكم غني ومنكم

فقير

فقير ومنكم موال يتولون رزقهم ورزق غيرهم ومنكم مماليك على
خلاف ذلك فما الذين فضلوا برادي رزقهم بمعطي رزقهم على ما ملكت
ايمانهم على مماليكهم فانهم يردون عليهم رزقهم الذي جعله الله في ايديهم
فهم فيه سواء فالموالي والمماليك سواء في ان الله تعالى رزقهم فالجملة
لازمة للجملة المنفية او مقررة لها ويجوز ان يكون واقعة موقع الجواب
كانه قيل فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم فيستووا
في الرزق على انه رد وانكار على المشركين فانهم يشركون بالله تعالى بعض
مخلوقاته في الالوهية ولا يرضون ان يشاركهم عبيدهم فيما انعم الله
عليهم فيساووهم فيه افبنعمة الله يجحدون حيث يتخذون له شركاء فانه
يقتضي ان يضاف اليهم بعض ما انعم الله عليهم ويجحدوا انه من عند الله
تعالى او حيث انكروا امثال هذه الحجج بعدما انعم الله عليهم بايضاحها والباء
لتضمين الجحود معنى الكفر وقرا ابو بكر تجحدون بالتاء كقوله خلقكم وفضل
بعضكم والله جعل لكم من انفسكم ازواجا من جنسكم لتأنسوا بها ولتكون
اولادكم مثلكم وقيل هو خلق حواء من آدم عليه السلام وجعل لكم
من ازواجكم بنين وحفدة واولادا او اولاد اولاد او بنات فان الحافد هو المسرع
في الخدمة والبنات يخدمن في البيوت اتم خدمة وقيل هم الاختان على البنات
وقيل الربائب ويجوز ان يراد بها البنون انفسهم والعطف لتغاير
الوصفين ورزقكم من الطيبات من اللذائذ او الحلالات ومن للتبعيض
فان المرزوق في الدنيا انموذج منها افبالباطل يؤمنون وهو ان
الاصنام تنفعهم او ان من الطيبات ما يحرم عليهم كالبحائر والسوائب
وبنعمة الله هم يكفرون حيث اضافوا نعمه الى الاصنام وحرموا ما احل
الله تعالى لهم وتقديم الصلة على الفعل اما للاهتمام او لايهام التخصيص
مبالغة او للمحافظة على الفواصل ويعبدون من دون الله ما لا يملك

لهم رزقا من السموات والارض شيئا من مطر ونبات ورزقا ان جعلته مصدرا
فشيئا منصوب به والا فبدل عنه ولا يستطيعون ان يملكوه او لا استطاعة
لهم اصلا وجمع الضمير فيه وتوحيده في لا يملك لان ما مفرد في معنى الالهة
ويجوز ان يعود الى الكفار اي ولا يستطيع هؤلاء مع انهم احياء متصرفون
شيئا من ذلك فكيف بالجماد فلا تضربوا لله الامثال فلا تجعلوا له مثلا تشركونه
به او تقيسونه عليه فان ضرب المثل تشبيه حال بحال ان الله يعلم فساد ما تعولون
عليه من القياس على ان عبادة عبيد الملك ادخل في التعظيم من عبادته وعظم
جرمكم فيما تفعلون وانتم لا تعلمون ذلك ولو علمتموه لما جرأتم عليه فهو
تعليل للنهي او انه يعلم كنه الاشياء وانتم لا تعلمونه فدعوا رأيكم دون
نصه ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله الامثال فانه يعلم كيف تضرب
الامثال وانتم لا تعلمون ثم علمهم كيف تضرب فضرب مثلا لنفسه ولمن عبد
دونه فقال ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه
منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون مثل ما يشرك به
بالمملوك العاجز عن التصرف راسا ومثل نفسه بالحر المالك الذي رزقه
الله مالا كثيرا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف شاء واحتج بامتناع الاشتراك
والتسوية بينهما مع تشاركهما في الجنسية والمخلوقية على امتناع التسوية
بين الاصنام التي هي اعجز المخلوقات وبين الله تعالى الغني القادر على الاطلاق
وقيل هو تمثيل للكافر المخذول والمؤمن الموفق وتقييد العبد بالمملوك
ليميزه من الحر فانه ايضا عبد الله وسلب القدرة ليميزه عن المكاتب
والماذون وجعله قسيما للمالك المتصرف يدل على ان المملوك لا يملك والاظهر
ان من موصوفة ليطابق عبدا وجمع الضمير في يستوون لانه للجنس فان المعنى
هل يستوي الاحرار والعبيد الحمد لله كل الحمد له لا يستحقه غيره فضلا عن العبادة
لانه مولى النعم كلها بل اكثرهم لا يعلمون فيضيفون نعمه الى غيره ويعبدونه لاجلها

وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم ولد اخرس لا يفهم ولا يفهم لا يقدر على
شيء من الصنائع والتدابير لنقصان عقله وهو كل على مولاه عيال وثقل على من
يلي امره اينما يوجهه حيثما يرسله مولاه في امر وقرئ يوجه على البناء للمفعول
ويوجه بمعنى يتوجه كقوله اينما اوجه الق سعدا وتوجه بلفظ الماضي
لا يات بخير بنجح وكفاية مهم هل يستوي هو ومن يامر بالعدل وهو منطيق
فهم ذو كفاية ورشد ينفع الناس بحثهم على العدل الشامل لمجامع الفضائل
وهو على صراط مستقيم وهو في نفسه على طريق مستقيم لا يتوجه الى مطلب الا
ويبلغه باقرب سعي وانما قابل تلك الصفات بهذين الوصفين لانهما كمال
ما يقابلهما وهذا تمثيل ثان ضربه الله تعالى لنفسه وللاصنام لابطال
المشاركة بينه وبينها او المؤمن والكافر ولله غيب السموات والارض
يختص به علمه لا يعلمه غيره وهو ما غاب فيهما عن العباد بان لم يكن محسوسا
ولم يدل عليه محسوس وقيل يوم القيمة فان علمه غائب عن اهل السموات
والارض وما امر الساعة وما امر قيام القيمة في سرعته وسهولته الا كلمح
البصر الا كرجع الطرف من اعلى الحدقة الى اسفلها او هو اقرب او امرها اقرب
منه بان يكون في زمان نصف تلك الحركة بل في الآن الذي يبتدأ فيه فانه تعالى
يحيي الخلائق دفعة وما يوجد دفعة كان في آن واو للتخيير او بمعنى بل وقيل
معناه ان قيام الساعة وان تراخى فهو عند الله كالشيء الذي تقولون
فيه كلمح البصر او هو اقرب مبالغة في استقرابه ان الله على كل شيء قدير فيقدر
ان يحيي الخلائق دفعة كما قدر ان احياهم متدرجا ثم دل على قدرته فقال
والله اخرجكم من بطون امهاتكم وقرأ الكسائي بكسر الهمزة على انه لغة او
اتباع لما قبلها وحمزة بكسرها وكسر الميم والهاء مزيدة مثلها في اهراق لا تعلمون
شيئا جهالا مستصحبين جهل الجمادية وجعل لكم السمع والابصار لاداة تعلمون
بها فتحسون بمشاعركم جزئيات الاشياء فتدركونها ثم تتنبهون بقلوبكم

بشاركان ومباينات بينها بتكرار الاحساس حتى تحصل لكم العلوم البديهية
وتتمكنوا من تحصيل المعالم الكسبية بالنظر فيها لعلكم تشكرون كي تعرفوا
ما انعم عليكم طورا بعد طور فتشكروه الم يروا الى الطير قرأ ابن عامر وحمزة
ويعقوب بالتاء على انه خطاب للعامة مسخرات مذللات للطيران بما خلق
لها من الاجنحة والاسباب المواتية له في جو السماء في الهواء المتباعد عن الارض
ما يمسكهن فيه الا الله فان ثقل جسدها يقتضي سقوطها ولا علاقة فوقها
ولا دعامة تحتها تمسكها ان في ذلك تسخير الطير للطيران بان خلقها خلقة
يمكن معه الطيران وخلق الجو بحيث يمكن الطيران فيه وامساكها في الهواء على
خلاف طباعها لآيات لقوم يؤمنون لانهم هم المنتفعون بها والله جعل لكم
من بيوتكم سكنا موضعا تسكنون فيه وقت اقامتكم كالبيوت المتخذة من الحجر
والمدر فعل بمعنى مفعول وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا هي القباب المتخذة
من الادم ويجوز ان يتناول المتخذة من الوبر والصوف والشعر فانها من حيث
انها نابتة على جلودها يصدق عليها انها من جلودها تستخفونها تجدونها
خفيفة يخف عليكم حملها ونقلها يوم ظعنكم وقت ترحالكم ووضعها او ضربها
ويوم اقامتكم وقت الحضر او النزول وقرأ الحجازيان والبصريان يوم
ظعنكم بالفتح وهو لغة ومن اصوافها واوبارها واشعارها الصوف للضائنة
والوبر للابل والشعر للمعز واضافتها الى ضمير الانعام لانها من جملتها اثاثا ما يلبس
ويفرش ومتاعا ما يتجر به الى حين الى مدة من الزمان فانها لصلابتها تبقى مدة
مديدة او الى مماتكم او الى ان تقضوا منه اوطاركم والله جعل لكم مما خلق
من الشجر والجبل والابنية وغيرها ظلالا تتقون به حر الشمس وجعل لكم
من الجبال اكنانا مواضع تسكنون بها من الكهوف والبيوت المنحوتة فيها جمع كن
وجعل لكم سرابيل ثيابا من الصوف والكتان والقطن وغيرها تقيكم الحر
خصه بالذكر اكتفاء باحد الضدين او لان وقاية الحر كانت اهم عندهم

وسرابيل

وسرابيل تقيكم بأسكم يعني الدروع والجواشن والسربال يعم كل ما يلبس
كذلك كاتمام هذه النعم التي تقدمت يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون اي تنظرون
في نعمه فتؤمنون به وتنقادون لحكمه وقرئ تسلمون من السلامة اي تشكرون
فتسلمون من العذاب او تنظرون فيها فتسلمون من الشرك وقيل تسلمون من الجراح
بلبس الدروع فان تولوا اعرضوا ولم يقبلوا منك فانما عليك البلاغ المبين
فلا يضرك فانما عليك البلاغ وقد بلغت وهذا من اقامة السبب مقام
المسبب يعرفون نعمة الله اي يعرف المشركون نعمة الله التي عددها عليهم وغيرها
حيث يعترفون بانها من الله تعالى ثم ينكرونها بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم
انها بشفاعة آلهتنا او بسبب كذا او باعراضهم عن اداء حقوقها وقيل نعمة الله
نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم عرفوها بالمعجزات ثم انكروها عنادا وذكر
الاكثر اما لان بعضهم لم يعرفوا الحق لنقصان العقل او التفريط في النظر او لم تقم
عليه الحجة لانه لم يبلغ حد التكليف واما لانه يقام مقام الكل كما في قوله بل اكثرهم
لا يعلمون ويوم نبعث من كل امة شهيدا وهو نبيها يشهد لهم وعليهم بالايمان
والكفر ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار اذ لا عذر لهم وقيل في الرجوع
الى الدنيا وثم لزيادة ما يحيق بهم من شدة المنع عن الاعتذار لما فيه من الاقناط
الكلي على ما يمنعون به من شهادة الانبياء عليهم ولا هم يستعتبون ولا هم
يسترضون من العتبى وهو الرضا وانتصاب يوم بمحذوف تقديره اذكر او خوفهم
او يحيق بهم ما يحيق وكذا قوله واذا رأى الذين ظلموا العذاب عذاب جهنم فلا يخفف
عنهم اي العذاب ولا هم ينظرون يمهلون واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم
اوثانهم التي دعوها شركاء او الشياطين الذين شاركوهم في الكفر بالحمل عليه
قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك نعبدهم او نطيعهم وهو
اعتراف بانهم كانوا مخطئين في ذلك والتماس بان يشطر عذابهم فالقوا اليهم
القول انكم لكاذبون اي اجابوهم بالتكذيب في انهم شركاء الله او انهم عبدوهم

حقيقة وانما عبدوا اهواءهم كقوله كلا سيكفرون بعبادتهم ولا يمتنع
انطاق الله الاصنام به حينئذ فانهم حملوهم على الكفر والزموهم اياه كقوله
وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي والقوا الى
الذين ظلموا الى الله يومئذ السلم الاستسلام لحكمه بعد الاستكبار في الدنيا
وضل عنهم وضاع عنهم وبطل ما كانوا يفترون من ان الهتهم ينصرونهم ويشفعون
لهم حين كذبوهم وتبرؤوا منهم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله بالمنع عن
الاسلام والحمل على الكفر زدناهم عذابا لصدهم فوق العذاب المستحق بكفرهم
بما كانوا يفسدون بكونهم مفسدين بصدهم ويوم نبعث في كل امة شهيدا
عليهم من انفسهم يعني نبيهم فان نبي كل امة بعث منهم وجئنا بك يا محمد شهيدا
على هؤلاء على امتك ونزلنا عليك الكتاب استئناف او حال باضمار قد تبيانا
بيانا بليغا لكل شيء من امور الدين على التفصيل او الاجمال بالاحالة الى السنة
او القياس وهدى ورحمة للجميع وانما حرمان المحروم من تفريطه وبشرى
للمسلمين خاصة ان الله يامر بالعدل بالتوسط في الامور اعتقادا كالتوحيد
المتوسط بين التعطيل والتشريك والقول بالكسب المتوسط بين محض الجبر والقدر
وعملا كالتعبد باداء الواجبات المتوسط بين البطالة والترهب وخلقا
كالجود المتوسط بين البخل والتبذير والاحسان احسان الطاعات وهو اما
بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل او بحسب الكيفية كما قال عليه الصلوة والسلام
الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وايتاء ذي
القربى واعطاء الاقارب ما يحتاجون اليه وهو تخصيص بعد تعميم للمبالغة
وينهى عن الفحشاء عن الافراط في متابعة القوة الشهوية كالزنا فانه اقبح
احوال الانسان واشنعها والمنكر ما ينكر على متعاطيه في اثارة القوة الغضبية
والبغي والاستعلاء على الناس والتجبر عليهم فانها الشيطنة التي هي مقتضى
القوة الوهمية ولا يوجد من الانسان شر الا وهو مندرج في هذه

الاقسام

الاقسام صادر بتوسط احدى القوى الثلث ولذلك قال ابن مسعود رض
هي اجمع آية في القران للخير والشر وصارت سبب اسلام عثمان بن مظعون
ولو لم يكن في القران غير هذه الاية لصدق عليه انه تبيان لكل شيء وهدى
ورحمة للعالمين ولعل ايرادها عقيب قوله ونزلنا عليك الكتاب للتنبيه عليه
يعظكم بالامر والنهي والميز بين الخير والشر لعلكم تذكرون تتعظون واوفوا
بعهد الله يعني البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام لقوله تعالى
ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقيل كل امر يجب الوفاء به ولا
يلائم قوله اذا عاهدتم وقيل النذور وقيل الايمان بالله ولا تنقضوا
الايمان ايمان البيعة او مطلق الايمان بعد توكيدها بعد توثيقها بذكر
الله ومنه اكد بقلب الواو همزة وقد جعلتم الله عليكم كفيلا شاهدا بتلك
البيعة فان الكفيل مراع لحال المكفول به رقيب عليه ان الله يعلم ما تفعلون
في نقض الايمان والعهود ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها ما غزلته مصدر
بمعنى المفعول من بعد قوة متعلق بنقضت اي نقضت غزلها من بعد ابرام واحكام
انكاثا طاقات نكث فتلها جمع نكث وانتصابه على الحال من غزلها
او المفعول الثاني لنقضت فانه بمعنى صيرت والمراد به تشبيه الناقضين
هذا شانه وقيل هي ريطة بنت سعد بن تيم القرشية فانها كانت خرقاء
تفعل ذلك تتخذون ايمانكم دخلا بينكم حال من الضمير في ولا تكونوا او في
الجار والمجرور الواقع موقع الخبر اي ولا تكونوا متشبهين بامرأة هذا شانها
متخذي ايمانكم مفسدة ودخلا بينكم واصل الدخل ما يدخل الشيء ولم يكن منه
ان تكون امة هي اربى من امة بان تكون جماعة ازيد عددا واوفر مالا
من جماعة والمعنى لا تغدروا بقوم لكثرتكم وقلتهم او لكثرة منابذيهم وقوتهم
كقريش فانهم كانوا اذا راوا شوكة في اعادي حلفائهم نقضوا عهدهم
وحالفوا اعداءهم انما يبلوكم الله به الضمير لان تكون امة لانه بمعنى المصدر

اى نقضت ٣

اي مختبركم لينظر اتتمسكون بحبل الوفا بعهد الله وبيعة رسول الله
ام تغترون بكثرة قريش وشوكتهم وقلة المؤمنين وضعفهم وقيل الضمير
للاربى وقيل للامر بالوفا وليبينن لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون
اذا جازاكم على اعمالكم بالثواب والعقاب ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة
متفقة على الاسلام ولكن يضل من يشاء بالخذلان ويهدي من يشاء
بالتوفيق ولتسئلن عما كنتم تعملون سوال تبكيت ومجازاة ولا تتخذوا ايمانكم
دخلا بينكم تصريح بالنهي عنه بعد التضمين تاكيدا ومبالغة في قبح المنهي
فتزل قدم اي في محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها والمراد اقدامهم وانما وحد
ونكر للدلالة على ان زلل قدم واحدة عظيم فكيف باقدام كثيرة وتذوقوا
السوء العذاب في الدنيا بما صددتم عن سبيل الله بصدكم عن الوفا او صدكم
غيركم فان من نقض البيعة وارتد جعل ذلك سنة لغيره ولكم عذاب عظيم
في الاخرة ولا تشتروا بعهد الله ولا تستبدلوا عهد الله وبيعة رسوله
ثمنا قليلا عوضا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدون لضعاف المسلمين
ويشترطون لهم على الارتداد انما عند الله من النصر والتغنيم في الدنيا
والثواب في الاخرة هو خير لكم مما يعدونكم ان كنتم تعلمون ان كنتم من
اهل العلم والتمييز ما عندكم من اعراض الدنيا ينفد ينقضي ويفنى وما
عند الله من خزائن رحمته باق لا ينفد وهو تعليل الحكم السابق ودليل
على ان نعيم اهل الجنة باق ولنجزين الذين صبروا اجرهم على الفاقة واذى
الكفار او على مشاق التكاليف باحسن ما كانوا يعملون بما ترجح فعله
من اعمالهم كالواجبات والمندوبات او بجزاء احسن من اعمالهم من عمل صالحا
من ذكر او انثى بينه بالنوعين دفعا للتخصيص وهو مؤمن اذ لا اعتداد
باعمال الكفرة في استحقاق الثواب وانما المتوقع عليها تخفيف العقاب
فلنحيينه حيوة طيبة في الدنيا يعيش عيشا طيبا فانه ان كان موسرا

فظاهر

فظاهر وان كان معسرا كان يطيب عيشه بالقناعة والرضا بالقسمة
وتوقع الاجر العظيم في الاخرة بخلاف الكافر فانه ان كان معسرا فظاهر
وان كان موسرا لم يدعه الحرص وخوف الفوات ان يتهنا بعيشه وقيل في
الاخرة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون من الطاعة فاذا قرات
القران اذا اردت قراءته كقوله اذا قمتم الى الصلوة فاستعذ بالله من الشيطان
الرجيم فسال الله ان يعيذك من وساوسه لئلا يوسوسك في القراءة
والجمهور على انه للاستحباب وفيه دليل على ان المصلي يستعيذ في كل
ركعة لان الحكم المترتب على شرط يتكرر بتكرره قياسا وتعقيبه لذكر العمل
الصالح والوعد عليه ايذان بان الاستعاذة عند القراءة من هذا القبيل
وعن ابن مسعود قرات على رسول الله عليه الصلوة والسلام فقلت اعوذ
بالسميع العليم من الشيطان الرجيم فقال قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم
هكذا اقرانيه جبرئيل عن القلم عن اللوح المحفوظ انه ليس له سلطان
تسلط وولاية على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون على اولياء الله المؤمنين
والمتوكلين عليه فانهم لا يطيعون اوامره ولا يقبلون وساوسه الا فيما
يحتقرون على ندور وغفلة ولذلك امروا بالاستعاذة فذكر السلطنة
بعد الامر بالاستعاذة لئلا يتوهم منه ان له سلطانا انما سلطانه
على الذين يتولونه يحبونه ويطيعونه والذين هم به بالله او بسبب الشيطان
مشركون واذا بدلنا اية مكان اية بالنسخ فجعلنا الاية الناسخة
لفظا او حكما مكان المنسوخة والله اعلم بما ينزل من المصالح فلعل ما يكون
مصلحة في وقت يصير مفسدة بعده فينسخه وما لا يكون مصلحة
ح يصير مصلحة الان فيثبته مكانه وقرا ابن كثير وابو عمرو ينزل
بالتخفيف قالوا اي الكفرة انما انت مفتر متقول على الله تامر بشيء ثم يبدو
لك فتنهى عنه وهو جواب واذا والله اعلم بما ينزل اعتراض لتوبيخ الكفار

على قولهم والتنبيه على فساد سندهم ويجوز ان يكون حالا بل اكثرهم لا يعلمون
حكمة الاحكام ولا يميزون الخطا من الصواب قل نزله روح القدس
يعني جبرئيل واضافة الروح الى القدس وهو الطهر كقولهم حاتم الجود
وقرا ابن كثير روح القدس بالتخفيف وفي ينزل وننزله تنبيه على ان انزاله
مدرجا على حسب المصالح بما يقتضي التبديل من ربك بالحق ملتبسا بالحكمة
ليثبت الذين آمنوا على الايمان بانه كلامه فانهم اذا سمعوا الناسخ وتدبروا
ما فيه من رعاية الصلاح والحكمة رسخت عقائدهم واطمانت قلوبهم
وهدى وبشرى للمسلمين المنقادين لحكمه وهما معطوفان على محل ليثبت
اي تثبيتا وهداية وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد ذلك لغيرهم
وقرئ ليثبت بالتخفيف ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر يعنون جبرا
الرومي غلام عامر بن الحضرمي وقيل جبرا ويسارا كانا يصنعان السيف
بمكة ويقران التوراة والانجيل وكان الرسول عم يمر عليهما ويسمع ما يقرانه
وقيل عايشا غلام حويطب بن عبد العزى قد اسلم وكان صاحب
كتب وقيل سلمان الفارسي لسان الذي يلحدون اليه اعجمي لغة الرجل الذي
يميلون قولهم عن الاستقامة اليه ماخوذ من لحد القبر وقرا حمزة والكسائي
يلحدون بفتح اليا. لسان اعجمي غير بين وهذا وهو القرآن لسان عربي
مبين ذو بيان وفصاحة والجملتان مستأنفتان لابطال طعنهم وتقريره
يحتمل وجهين احدهما ان ما يسمعه منه كلام اعجمي لا يفهمه هو ولا انتم
والقرآن عربي تفهمونه بادنى تامل فكيف يكون ما تلقفه منه وثانيهما
هب انه تعلم منه المعنى باستماع كلامه لكن لم يتلقف منه اللفظ لان ذلك
اعجمي وهذا عربي والقرآن كما هو معجز باعتبار المعنى فهو معجز من حيث اللفظ
مع ان العلوم الكثيرة التي في القرآن لا يمكن تعلمها الا بملازمة معلم فايق
في تلك العلوم مدة متطاولة فكيف تعلم جميع ذلك من غلام سوقي سمع منه

بعض اوقات مروره عليه كلمات اعجمية لعلهما لم يعرفا معناها وطعنهم
في القرآن بامثال هذه الكلمات الركيكة دليل على غاية عجزهم ان الذين
لا يؤمنون بآيات الله لا يصدقون انها من عند الله لا يهديهم الله الى الحق
او الى سبيل النجاة وقيل الى الجنة ولهم عذاب اليم في الآخرة هددهم على كفرهم
بالقرآن بعد ما اماط شبهتهم ورد طعنهم فيه ثم قلب الامر عليهم
فقال انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله لانهم لا يخافون
عقابا يردعهم عنه واولئك اشارة الى الذين كفروا او الى قريش
هم الكاذبون اي الكاذبون على الحقيقة او الكاملون في الكذب لان
تكذيب آيات الله والطعن فيها بهذه الخرافات اعظم الكذب او الذين
عادتهم الكذب لا يصرفهم عنه دين ولا مروة او الكاذبون في
في قولهم انما انت مفتر انما يعلمه بشر من كفر بالله من بعد ايمانه بدل
من الذين لا يؤمنون وما بينهما اعتراض او من اولئك او من الكاذبون
او مبتدا خبره محذوف دل عليه قوله فعليهم غضب ويجوز ان ينتصب
بالذم وان يكون من شرطية محذوفة الجواب الا من اكره على الافتراء
او كلمة الكفر استثناء متصل لان الكفر لغة يعم القول والعقد كالايمان
وقلبه مطمئن بالايمان لم تتغير عقيدته وفيه دليل على ان الايمان
هو التصديق بالقلب ولكن من شرح بالكفر صدرا اعتقده وطابت به
نفسا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم اذ لا اعظم من جرمه
روي ان قريشا اكرهوا عمارا وابويه ياسرا وسمية على الارتداد فربطوا
سمية بين بعيرين ووجئ بحربة في قلبها وقالوا انك اسلمت من اجل
الرجال فقتلت وقتلوا ياسرا وهما اول قتيلين في الاسلام واعطاهم
عمار بلسانه ما ارادوا مكرها فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال
كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه

فأتى عمار رسول الله وهو يبكي فجعل رسول الله يمسح عينيه وقال ما لك
إن عادوا لك فعد لهم بما قلت وهو دليل على جواز التكلم بالكفر عند الإكراه
وإن كان الأفضل أن يتجنب عنه إعزازاً للدين كما فعله أبواه لما روي
أن مسيلمة أخذ رجلين فقال لأحدهما ما تقول في محمد قال رسول الله
قال فما تقول فيّ قال أنت أيضاً فخلاه وقال للآخر ما تقول في محمد
قال رسول الله قال فما تقول فيّ قال أنا أصم فأعاد عليه ثلثاً
فأعاد جوابه فقتله فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أما الأول
فقد أخذ برخصة الله وأما الثاني فقد صدع بالحق فهنيئاً له ذلك
إشارة إلى الكفر بعد الإيمان أو الوعيد بأنهم استحبوا الحيوة الدنيا
على الآخرة بسبب أنهم آثروها عليها وأن الله لا يهدي القوم الكافرين
أي الكافرين في علمه إلى ما يوجب ثبات الإيمان ولا يعصمهم عن الزيغ
أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم فأبت عن إدراك
الحق والتأمل فيه وأولئك هم الغافلون أي الكاملون في الغفلة إذ أغفلتهم
الحالة الراهنة عن تدبر العواقب لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون
إذ ضيعوا أعمارهم وصرفوها فيما أفضى بهم إلى العذاب المخلد ثم إن
ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا أي عذبوا كعمار بالولاية والنصر
وثم لتباعد حال هؤلاء عن حال أولئك وقرأ ابن عامر فتنوا بالفتح أي
بعد ما عذبوا المؤمنين كالحضرمي أكره مولاه جبراً حتى ارتد ثم أسلما
وهاجرا ثم جاهدوا وصبروا على الجهاد وما أصابهم من المشاق إن ربك
من بعدها من بعد الهجرة والجهاد والصبر لغفور لما فعلوا قبل رحيم ينعم
عليهم مجازاة على ما صنعوا يوم تأتي كل نفس منصوب برحيم أو باذكر
تجادل عن نفسها تجادل عن ذاتها وتسعى في خلاصها لا يهمها شأن غيرها
فتقول نفسي نفسي وتوفى كل نفس ما عملت جزاء ما عملت وهم لا يظلمون

لا ينقصون

لا ينقصون أجورهم وضرب الله مثلاً قرية أي جعلها مثلاً لكل قوم أنعم الله
عليهم فأبطرتهم النعمة فكفروا فأنزل الله بهم نقمته أو لمكة كانت آمنة مطمئنة
لا يزعج أهلها خوف يأتيها رزقها أقواتها رغداً واسعاً من كل مكان
من نواحيها فكفرت بأنعم الله جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع
وأدرع أو جمع نعم كبؤس وأبؤس فأذاقها الله لباس الجوع والخوف
استعار الذوق لإدراك أثر الضرر واللباس لما غشيهم واشتمل عليهم
من الجوع والخوف وأوقع الإذاقة عليه بالنظر إلى المستعار له كقول كثير
غمر الرداء إذا تبسم ضاحكاً غلقت بضحكته رقاب المال فإنه استعار
الرداء للمعروف لأنه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه
وأضاف إليه الغمر الذي هو وصف المعروف والنوال لا وصف الرداء
نظراً إلى المستعار له وقد ينظر إلى المستعار كقوله

ينازعني ردائي عبد عمرو ... رويدك يا أخا عمرو بن بكر
لي الشطر الذي ملكت يميني ... ودونك فاعتجر منه بشطر

استعار الرداء لسيفه ثم قال فاعتجر نظراً إلى المستعار بما كانوا يصنعون
بصنيعهم ولقد جاءهم رسول منهم يعني محمداً والضمير لأهل مكة عاد إلى
ذكرهم بعد ما ذكر مثلهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون
أي حال التباسهم بالظلم والعذاب ما أصابهم من الجدب الشديد
أو وقعة بدر فكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً واشكروا نعمة الله
أمرهم بأكل ما أحل الله لهم وشكر ما أنعم عليهم بعدما زجرهم عن الكفر
وهددهم عليه بما ذكر من التمثيل والعذاب الذي حل بهم صداً لهم عن صنيع
الجاهلية ومذاهبها الفاسدة إن كنتم إياه تعبدون تطيعون
أو إن صح زعمكم أنكم تقصدون بعبادة الآلهة عبادته إنما حرم
عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر

غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم لما امرهم بتناول ما احل الله لهم و
عدد عليهم محرماته ليعلم انما عداها حل لهم ثم اكد ذلك بالنهي عن
التحريم والتحليل باهوائهم فقال ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب
هذا حلال وهذا حرام كما قالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا
الاية ومساق الكلام وتصدير الجملة بانما حصر المحرمات في الاجناس
الاربعة الا ما ضم اليه دليل كالسباع والحمر الاهلية وانتصاب الكذب
بلا تقولوا وهذا حلال وهذا حرام بدل منه او متعلق بتصف على ارادة
القول اى ولا تقولوا الكذب لما تصف السنتكم فتقولوا هذا حلال
وهذا حرام او مفعول لا تقولوا والكذب منتصب بتصف وما مصدرية
اى ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب
اى لا تحرموا ولا تحللوا بمجرد قول تنطق به السنتكم من غير دليل ووصف
السنتهم الكذب مبالغة في وصف كلامهم بالكذب كان حقيقة الكذب
كانت مجهولة والسنتهم تصفها وتعرفها بكلامهم هذا ولذلك عد من فصيح
الكلام كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر وقرئ الكذب
بالجر بدلا من ما والكذب جمع كذوب او كذاب بالرفع صفة للالسنة
وبالنصب على الذم او بمعنى الكلم الكواذب لتفتروا على الله الكذب
تعليل لا يتضمن الغرض ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون
لما كان المفترى يفترى لتحصيل مطلوب نفى عنهم الفلاح وبينه
بقوله متاع قليل اى ما يفترون لاجله او ما هم فيه منفعة قليلة تنقطع
عن قريب ولهم عذاب اليم في الاخرة وعلى الذين هادوا حرمنا
ما قصصنا عليك اى في سورة الانعام في قوله وعلى الذين هادوا
حرمنا كل ذى ظفر من قبل متعلق بقصصنا او بحرمنا وما ظلمناهم
بالتحريم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث فعلوا ما عوقبوا به عليه وفيه

تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم في التحريم وانه كما يكون للمضرة
يكون للعقوبة ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة بسببها او ملتبسين
بها ليعم الجهل بالله وبعقابه وعدم التدبر في العواقب لغلبة الشهوة
والسوء يعم الافتراء على الله وغيره ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا ان
ربك من بعدها لغفور رحيم لذلك السوء رحيم يثيب على الانابة ان
ابراهيم كان امة لكماله واستجماعه فضائل لا تكاد توجد الا مفرقة
في اشخاص كثيرة كقوله ليس من الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد
وهو رئيس الموحدين وقدوة المحققين الذى جادل فرق المشركين وابطل
مذاهبهم الزائغة بالحجج الدامغة ولذلك عقب ذكره بتزييف مذاهب
المشركين من الشرك والطعن في النبوة وتحريم ما احله او لانه كان وحده
مؤمنا وكان سائر الناس كفارا وقيل هى فعلة بمعنى مفعول كالرحلة
والنخبة من امه اذا قصده او اقتدى به فان الناس كانوا يؤمونه
للاستفادة ويقتدون بسيرته لقوله انى جاعلك للناس اماما قانتا لله
مطيعا له قائما باوامره حنيفا مائلا عن الباطل ولم يك من المشركين
كما زعموا فان قريشا كانوا يزعمون انهم على ملة ابراهيم شاكرا لانعمه
ذكر بلفظ القلة للتنبيه على انه كان لا يخل بشكر النعم القليلة فكيف
بالكثيرة اجتباه للنبوة وهداه الى صراط مستقيم في الدعوة الى الله
آتيناه في الدنيا حسنة بان حببه الى الناس حتى ان ارباب الملل
يتولونه ويثنون عليه ورزقه اولادا طيبة وعمرا طويلا في السعة
والطاعة وانه في الاخرة لمن الصالحين لمن اهل الجنة كما سأله بقوله
والحقني بالصالحين ثم اوحينا اليك يا محمد وثم اما لتعظيمه والتنبيه
على ان اجل ما اوتي ابراهيم اتباع الرسول عليه السلام ملته او لتراخي
ايامه ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا في التوحيد والدعوة اليه بالرفق وايراد

من بعد التوبة م

الدلائل مرة بعد اخرى والمجادلة مع كل بحسب فهمه وما كان من
المشركين بل كان قدوة الموحدين انما جعل السبت تعظيم السبت
والتخلي فيه للعبادة على الذين اختلفوا فيه اى على نبيهم وهم اليهود
امرهم موسى ان يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة فابوا وقالوا نريد يوم السبت
لانه تعالى فرغ فيه من خلق السموات والارض فالزمهم الله السبت
وشدد الامر عليهم وقيل معناه انما جعل وبال السبت وهو المسخ
على الذين اختلفوا فيه فاحلوا الصيد فيه تارة وحرموه اخرى
واحتالوا له الحيل وذكرهم هنا لتهديد المشركين كذكر القرية التي كفرت
بانعم الله وان ربك ليحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون
بالمجازاة على الاختلاف او بمجازاة كل فريق بما يستحقه ادع من بعثت
اليهم الى سبيل ربك الى الاسلام بالحكمة بالمقالة المحكمة وهو الدليل
الموضح للحق المزيح للشبهة والموعظة الحسنة الخطابات المقنعة
والعبر النافعة فالاولى لدعوة خواص الامة الطالبين للحقائق
والثانية لدعوة عوامهم وجادلهم وجادل معانديهم بالتي هي احسن
بالطريقة التي هي احسن طرق المجادلة من الرفق واللين وايثار الوجه
الايسر والمقدمات التي هي اشهر فان ذلك انفع في تسكين لهبهم وتبيين
شغبهم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين اى انما
عليك البلاغ والدعوة واما حصول الهداية والضلال والمجازاة
عليهما فلا اليك بل الله اعلم بالضالين والمهتدين وهو المجازي لهم وان
عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به لما امره بالدعوة وبين طرقها
اشار اليه والى من يتابعه بترك المخالفة ومراعاة العدل مع من
يناصبهم فان الدعوة لا تنفك عنه من حيث انها تتضمن رفض العادات
وترك الشهوات والقدح في دين الاسلاف والحكم عليهم بالكفر

والضلال وقيل انه صلى الله عليه وسلم لما راى حمزة وقد مثل به
فقال والله لئن اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن
يمينه وفيه دليل على ان للمقتص ان يماثل الجاني وليس له ان يجاوز
وحث على العفو تعريضا بقوله وان عاقبتم وتصريحا على الوجه الاكد
بقوله ولئن صبرتم لهو اى الصبر خير للصابرين من الانتقام للمنتقمين
ثم صرح بالامر به لرسوله لانه اولى الناس به لزيادة علمه بالله
ووثوقه عليه فقال واصبر وما صبرك الا بالله الا بتوفيقه وتثبيته
ولا تحزن عليهم على الكافرين او على المؤمنين وما فعل بهم ولا تك في ضيق
مما يمكرون في ضيق صدر من مكرهم وقرا ابن كثير في ضيق هنا وفي
النمل وهما لغتان كالقول والقيل ويجوز ان يكون الضيق تخفيف ضيق
ان الله مع الذين اتقوا المعاصي والذين هم محسنون في اعمالهم بالولاية
والفضل او مع الذين اتقوا الله بتعظيم امره والذين هم محسنون بالشفقة
على خلقه عن النبي عم من قرا سورة النحل لم يحاسبه الله تعالى بما انعم عليه في دار
الدنيا وان مات في يوم تلاها او ليلته كان له من الاجر كالذي مات واحسن الوصية

سورة بني اسرائيل مكية الا قوله وهي مائة وعشر آيات

بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذي اسرى بعبده ليلا سبحان اسم
بمعنى التسبيح الذي هو التنزيه وقد يستعمل علما له فيقطع عن الاضافة
ويمنع الصرف قال قد قلت لما جاءني فخره سبحان من علقمة الفاخر
وانتصابه بفعل متروك اظهاره وتصدير الكلام به للتنزيه عن العجز
عما ذكر بعده واسرى وسرى بمعنى وليلا نصب على الظرف وفائدته
الدلالة بتنكيره على تقليل مدة الاسراء ولذلك قرئ من الليل
اى بعضه كقوله ومن الليل فتهجد من المسجد الحرام بعينه لما روى

انه صلى الله عليه وسلم قال بينا انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت
بين النائم واليقظان اذ اتاني جبريل بالبراق او من الحرم وسماه
المسجد الحرام لانه كله مسجد ولانه محيط به ليطابق المبدا المنتهى لما روي
انه كان نائما في بيت ام هاني بعد صلوة العشا فاسري به ورجع من ليلته
وقص القصة عليها وقال مثل لي النبيون فصليت بهم ثم خرج الى
المسجد واخبر به قريشا فتعجبوا منه استحالة وارتد ناس ممن امن به
وسعى رجال الى ابي بكر فقال ان كان قال ذلك لقد صدق قالوا اتصدقه
على ذلك قال اني لاصدقه على ابعد من ذلك فسمي الصديق واستنعته
طايفة سافروا الى بيت المقدس فجلي له فطفق ينظر اليه وينعته
لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم
بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها
جمل اورق فخرجوا يشتدون الى الثنية فصادفوا العير كما اخبر ثم لم يؤمنوا
وقالوا ما هذا الا سحر مبين وكان ذلك قبل الهجرة بسنة واختلف في انه
كان في المنام او في اليقظة بروحه او بجسده والاكثر على انه اسري بجسده
الى بيت المقدس ثم عرج به الى السموات حتى انتهى الى سدرة المنتهى ولذلك
تعجب قريش واستحالوه والاستحالة مدفوعة بما ثبت في الهندسة ان
ما بين طرفي قرص الشمس ضعف ما بين طرفي كرة الارض مائة ونيفا وستين
مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل موضع طرفها الاعلى في اقل من ثانية
وقد برهن في الكلام على ان الاجسام متساوية في قبول الاعراض
والله قادر على كل الممكنات فيقدر ان يخلق مثل هذه الحركة السريعة
في بدن النبي صلى الله عليه وسلم او فيما يحمله والتعجب من لوازم المعجزات
الى المسجد الاقصى بيت المقدس لانه لم يكن ح وراءه مسجد الذي باركنا حوله
ببركات الدين والدنيا لانه مهبط الوحي ومتعبد الانبياء من لدن موسى

ومحفوف بالانهار والاشجار لنريه من اياتنا كذهابه في برهة
من الليل مسيرة شهر ومشاهدته بيت المقدس وتمثل الانبيا له ووقوفه
على مقاماتهم وصرف الكلام من الغيبة الى التكلم لتعظيم تلك البركات
والايات وقرئ ليريه بالياء انه هو السميع لاقوال محمد البصير بافعاله
فيكرمه ويقربه على حسب ذلك وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى
لبني اسرائيل الا تتخذوا اي على ان لا تتخذوا كقولك كتبت اليك
ان افعل كذا وقرأ ابو عمرو بالياء على لئلا تتخذوا من دوني وكيلا
ربا تكلون اليه اموركم غيري ذرية من حملنا مع نوح نصب على
الاختصاص او النداء ان قرئ لا تتخذوا بالتاء او على انه احد مفعولي
لا تتخذوا ومن دوني حال من وكيلا فيكون كقوله ولا يامركم ان
تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف
او بدل من واو تتخذوا وذرية بكسر الذال وفيه تذكير بانعام الله
عليهم في انجاء ابائهم من الغرق بحملهم مع نوح في السفينة انه اي نوحا
كان عبدا شكورا يحمد الله على مجامع حالاته وفيه ايماء بان انجاءه ومن معه
كان ببركة شكره وحث للذرية على الاقتداء به وقيل الضمير لموسى وقضينا
الى بني اسرائيل واوحينا اليهم وحيا مقضيا مبتوتا في الكتاب في التورية
لتفسدن في الارض جواب قسم محذوف او قضينا على اجراء المبتوت
مجرى القسم مرتين افسادتين اولاهما مخالفة احكام التورية وقتل
شعيا وقتل ارميا وثانيهما قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عليه السلام
ولتعلن علوا كبيرا ولتستكبرن عن طاعة الله او لتظلمن الناس
فاذا جاء وعد اوليهما وعد عقاب اوليهما بعثنا عليكم عبادا لنا
بخت نصر عامل لهراسف على بابل وجنوده وقيل جالوت الجزري
وقيل سنحاريب من اهل نينوى اولي باس شديد ذوي قوة وبطش

في الحرب شديد فجاسوا ترددوا لطلبكم وقرئ بالحاء وهما اخوان
خلال الديار وسطها للقتل والغارة فقتلوا كبارهم وسبوا صغارهم
وحرقوا التورية وخربوا المسجد والمعتزلة لما منعوا تسليط الله الكافر
على ذلك اولوا البعث بالتخلية وعدم المنع وكان وعدا مفعولا
وكان وعد عقابهم لا بد ان يفعل ثم رددنا لكم الكرة اي الدولة والغلبة
عليهم على الذين بعثوا عليكم وذلك بان القى الله في قلب بهمن بن اسفنديار
لما ورث الملك من جده كشتاسف ابن لهراسف شفقة عليهم فرد اسراءهم
الى الشام وملك دانيال عليهم فاستولوا على من كان فيها من اتباع بخت نصر
او بان سلط داود على جالوت فقتله وامددناكم باموال وبنين
وجعلناكم اكثر نفيرا مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل
جمع نفر وهم المجتمعون للذهاب الى العدو ان احسنتم احسنتم لانفسكم
لان ثوابها لها وان اسأتم فلها فان وبالها عليها وانما ذكرها باللام
ازدواجا فاذا جاء وعد الآخرة وعد عقوبة المرة الآخرة ليسوءوا وجوهكم
اي بعثناهم ليسوءوا وجوهكم ليجعلوها بادية آثار المساءة فيها فحذف
لدلالة ذكره اولا عليه وقرأ ابن عامر وحمزة وابو بكر ليسوء على التوحيد
والضمير فيه للوعد او البعث او لله ويعضده قراءة الكسائي بالنون
وقرئ لنسوءن بالنون والياء والنون المخففة والمثقلة ولنسوءن بفتح اللام
على الاوجه الاربعة على انه جواب اذا واللام في قوله وليدخلوا المسجد
يتعلق بمحذوف هو بعثناهم كما دخلوه اول مرة وليتبروا ليهلكوا ما علوا
ما غلبوه واستولوا عليه او مدة علوهم تتبيرا وذلك بان سلط الله عليهم
الفرس مرة اخرى فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه جودرز
وقيل خردوش قيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما
يغلي فسألهم عنه فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال ما صدقوني فقتل

عليه الوفا منهم فلم يهدأ الدم ثم قال ان لم تصدقوني ما تركت منكم
احدا فقالوا انه دم يحيى عليه السلام فقال لمثل هذا ينتقم ربكم منكم
ثم قال يا يحيى قد علم ربي وربك ما اصاب قومك من اجلك فاهدأ باذن الله
قبل ان لا ابقي احدا منهم فهدأ عسى ربكم ان يرحمكم بعد المرة الآخرة
وان عدتم نوبة اخرى عدنا مرة ثالثة الى عقوبتكم وقد عادوا بتكذيب
محمد صلى الله عليه وسلم وقصدوا قتله فعاد الله بتسليطه عليهم فقتل
قريظة واجلى بني النضير وضرب الجزية على الباقين هذا في الدنيا وجعلنا
جهنم للكافرين حصيرا محبسا لا يقدرون ان يخرجوا منها ابد الآباد
وقيل بساطا كما يبسط الحصير ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم للحالة
او الطريقة التي هي اقوم الحالات او الطرق ويبشر المؤمنين الذين يعملون
الصالحات ان لهم اجرا كبيرا وقرأ حمزة والكسائي ويبشر بالتخفيف
وان الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا اليما عطف على ان لهم
اجرا كبيرا والمعنى انه يبشر المؤمنين ببشارتين ثوابهم وعقاب اعدائهم
او على يبشر باضمار يخبر ويدع الانسان بالشر ويدعو الله عند غضبه
بالشر على نفسه واهله وماله او يدعو بما يحسبه خيرا وهو شر دعاءه
بالخير مثل دعائه بالخير وكان الانسان عجولا يسارع الى كل ما يخطر
بباله لا ينظر عاقبته وقيل المراد آدم فانه لما انتهى الروح الى سرته
ذهب لينهض فسقط روي انه عليه السلام دفع اسيرا الى سودة بنت
زمعة فرحمت لانينه فارخت كتافه فهرب فدعا عليها بقطع اليد
ثم ندم فقال اللهم انما انا بشر فمن دعوت عليه فاجعل دعائي رحمة له
فنزلت ويجوز ان يريد بالانسان الكافر وبالدعاء استعجاله بالعذاب
استهزاء كقول النضر بن الحارث اللهم انصر خير الحزبين اللهم ان كان هذا
هو الحق من عندك الآية فاجيب له فضرب عنقه صبرا يوم بدر وجعلنا

الليل والنهار آيتين تدلان على القادر الحكيم بتعاقبهما على نسق واحد
بامكان غيره فمحونا آية الليل اي الآية التي هي الليل بالاشراق
والاضافة فيهما للتبيين كاضافة العدد الى المعدود وجعلنا
آية النهار مبصرة مضيئة او مبصرة للناس من ابصره فبصر او مبصرا
اهله كقولهم اجبن الرجل اذا كان اهله جبنا وقيل الآيتان القمر والشمس
وتقدير الكلام وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين او جعلنا الليل
والنهار ذوي آيتين ومحو آية الليل التي هي القمر جعلها مظلمة في نفسها
مطموسة النور او نقص نورها شيئا فشيئا الى المحاق وجعل آية النهار التي
هي الشمس مبصرة جعلها ذات شعاع تبصر الاشياء بضوئها لتبتغوا فضلا
من ربكم لتطلبوا في بياض النهار اسباب معاشكم وتتوصلوا به الى استبانة
اعمالكم ولتعلموا باختلافهما او حركاتهما عدد السنين والحساب وجنس الحساب
وكل شيء تفتقرون اليه في امر الدين والدنيا فصلناه تفصيلا بيناه بيانا
غير ملتبس وكل انسان الزمناه طائره عمله وما قدر له كانه طير اليه من
عش الغيب ووكر القدر لما كانوا يتيمنون ويتشاءمون بسنوح الطائر
وبروحه استعير لما هو سبب الخير والشر من قدر الله وعمل العبد في عنقه
لزوم الطوق في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا هي صحيفة عمله او نفسه
المنتقشة بآثار اعماله فان الافعال الاختيارية تحدث في النفس احوالا
ولذلك يفيد تكريرها ملكات ونصبه بانه مفعول او حال من مفعول
محذوف وهو ضمير الطائر ويعضده قراءة يعقوب ويخرج من خرج
وقرئ ويخرج اي الله يلقاه منشورا لكشف الغطاء وهما صفتان
للكتاب او يلقاه صفة ومنشورا حال من مفعوله وقرأ ابن عامر يلقاه
على البناء للمفعول من لقيته كذا اقرأ كتابك على ارادة القول كفى بنفسك
اليوم عليك حسيبا اي كفى نفسك والباء مزيدة وحسيبا تمييز وعلى صلته

لانه

لانه اما بمعنى الحاسب كالصريم بمعنى الصارم وضريب القداح بمعنى
ضاربها من حسب عليه كذا او بمعنى الكافي فوضع موضع الشهيد لانه يكفي
المدعي ما اهمه وتذكيره على ان الحساب والشهادة مما يتولاه الرجال او
على تأويل النفس بالشخص من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما
يضل عليها لا ينجي اهتداؤه غيره ولا يردي ضلاله سواه ولا تزر وازرة
وزر اخرى ولا تحمل نفس حاملة وزرا وزر نفس اخرى بل انما تحمل وزرها
وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا يبين الحجج ويمهد الشرائع فيلزمهم
الحجة وفيه دليل على ان لا وجوب قبل الشرع واذا اردنا ان نهلك
قرية واذا تعلقت ارادتنا باهلاك قوم لانفاذ قضائنا السابق
او دنا وقته المقدر كقولهم اذا اراد المريض ان يموت ازداد مرضه
شدة امرنا مترفيها متنعميها بالطاعة على لسان رسول بعثناه اليهم
ويدل على ذلك ما قبله وما بعده فان الفسق هو الخروج عن الطاعة
والتمرد في العصيان فيدل على الطاعة من طريق المقابلة وقيل امرناهم
بالفسق لقوله ففسقوا فيها كقولك امرته فقرأ فانه لا يفهم منه الا الامر
بالقراءة على ان الامر مجاز من الحمل عليه او التسبب له بان صب عليهم
من النعم ما ابطرهم وافضى بهم الى الفسوق ويحتمل ان لا يكون له مفعول
منوي كقولهم امرته فعصاني وقيل معناه كثرنا يقال امرت الشيء فامر
اذا كثرته وفي الحديث خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة اي كثيرة
النتاج وهو ايضا مجاز من معنى الطلب ويؤيده قراءة يعقوب آمرنا
ورواية امّرنا عن ابي عمرو ويحتمل ان يكون منقولا من امر بالضم
امارة اي جعلناهم امراء وتخصيص المترفين لان غيرهم يتبعهم ولانهم
اسرع الى الحماقة واقدر على الفجور فحق عليها القول يعني كلمة العذاب
السابق بحلوله او بظهور معاصيهم او بانهماكهم في المعاصي فدمرناها

تدميرا اهلكناها باهلاك اهلها وتخريب ديارهم وكم اهلكنا
وكثيرا اهلكنا من القرون بيان لكم وتمييز له من بعد نوح كعاد وثمود
وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا يدرك ظواهرها وبواطنها
فيعاقب عليها وتقديم الخبير لتقدم متعلقه من كان يريد العاجلة مقصورا
عليها همه عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد قيد المعجل والمعجل له بالمشية
والارادة لانه لا يجد كل متمن ما يتمناه ولا كل واحد جميع ما هواه
وليعلم ان الامر بالمشية والهم فضل ولمن نريد بدل من له بدل البعض
وقرئ يشاء والضمير فيه لله تعالى ليطابق المشهورة وقيل لمن فيكون مخصوصا
بمن اراد الله به ذلك وقيل الاية في المنافقين كانوا يراؤون المسلمين
ويغزون معهم ولم يكن غرضهم الا مساهمتهم في الغنائم ونحوها
ثم جعلنا له جهنم يصليها مذموما مدحورا مطرودا من رحمة الله
ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها حقها من السعي وهو الاتيان بما امر
والانتهاء عما نهى لا التقرب بما يخترعون بآرائهم وفائدة اللام
اعتبار النية والاخلاص وهو مؤمن ايمانا صحيحا لا شرك معه ولا تكذيب
فانه العمدة فاولئك الجامعون للشرائط الثلثة كان سعيهم مشكورا
من الله اي مقبولا عنده مثابا عليه فان شكر الله الثواب على الطاعة
كلا كل واحد من الفريقين والتنوين بدل من المضاف اليه نمد بالعطاء
مرة بعد اخرى ونجعل آنفه مددا لسالفه هؤلاء وهؤلاء بدل من كلا
من عطاء ربك من معطاه متعلق بنمد وما كان عطاء ربك محظورا
ممنوعا لا يمنعه في الدنيا من مؤمن ولا كافر تفضلا انظر كيف فضلنا
بعضهم على بعض في الرزق وانتصاب كيف بفضلنا على الحال وللاخرة
اكبر لان التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها والنار ودركاتها لا تجعل
مع الله الها آخر الخطاب للرسول والمراد به امته او لكل احد فتقعد

فتصير من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كانها حربة او فتعجز من قولهم
قعد عن الشيء اذا عجز عنه مذموما مخذولا جامعا على نفسك الذم من
الملائكة والمؤمنين والخذلان من الله ومفهومه ان الموحد يكون ممدوحا
منصورا وقضى ربك وامر امرا مقطوعا به ان لا تعبدوا بان لا تعبدوا
الا اياه لان غاية التعظيم لا تحق الا لمن له غاية العظمة ونهاية الانعام
وهو كالتفصيل لسعي الاخرة ويجوز ان تكون ان مفسرة ولا ناهية وبالوالدين
احسانا وبان تحسنوا او احسنوا بالوالدين احسانا لانهما السبب الظاهر
للوجود والتعيش ولا يجوز ان يتعلق الباء بالاحسان لان صلته لا تتقدم
عليه اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما اما هي ان الشرطية زيدت
عليها ما تاكيدا ولذلك صح لحوقها النون المؤكدة للفعل واحدهما
فاعل يبلغن او بدل على قراءة حمزة والكسائي من الف يبلغان الراجع الى الوالدين
وكلاهما عطف على احدهما فاعلا او بدلا ولذلك لم يجز ان يكون تاكيدا
للالف ومعنى عندك ان يكونا في كنفك وكفالتك فلا تقل لهما اف فلا
تضجر عما يستقذر منهما ويستثقل من مؤنهما وهو صوت يدل على تضجر
وقيل اسم الفعل الذي هو اتضجر وهو مبني على الكسر لالتقاء الساكنين
وتنوينه في قراءة نافع وحفص للتنكير وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب
بالفتح على التخفيف وقرئ به منونا وبالضم للاتباع كمنذ منونا وغير منون
والنهي عن ذلك يدل على المنع من ساير انواع الايذاء قياسا بطريق الاولى
وقيل عرفا كقولك فلان لا يملك النقير ولا القطمير ولذلك منع رسول الله
حذيفة من قتل ابيه وهو في صف المشركين نهى عما يؤذيهما بعد الامر
بالاحسان بهما ولا تنهرهما ولا تزجرهما عما لا يعجبك باغلاظ وقيل النهي
والنهر والنهم اخوات وقل لهما بدل التأفيف والنهر قولا كريما جميلا
لا شراسة فيه واخفض لهما جناح الذل تذلل لهما وتواضع فيهما جعل للذل

جناحا كما جعل لبيد في قوله   وغداة ريح قد كشفت وقرة
اذ اصبحت بيد الشمال زمامها   اثبت للشمال يدا وللقرة زماما وامره
بخفضها مبالغة او اراد جناحه كقوله واخفض جناحك للمؤمنين واضافته
الى الذل للبيان والمبالغة كما اضيف حاتم الى الجود والمعنى واخفض لهما
جناحك الذليل وقرئ الذل بالكسر وهو الانقياد والنعت منه ذلول
من الرحمة من فرط رحمتك عليهما لافتقارهما الى من كان افقر خلق الله
اليهما وقل رب ارحمهما وادع الله ان يرحمهما برحمته الباقية ولا تكتف
برحمتك الفانية وان كانا كافرين لان من الرحمة ان يهديهما كما ربياني
صغيرا رحمة مثل رحمتهما علي وتربيتهما وارشادهما لي في صغري وفاء
بوعدك للراحمين روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ان ابوي بلغا من الكبر اني الي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما
قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك
وانت تريد موتهما ربكم اعلم بما في نفوسكم من قصد البر اليهما واعتقاد
ما يجب لهما من التوقير وكانه تهديد على ان يضمر لهما كراهة واستثقالا
ان تكونوا صالحين قاصدين للصلاح فانه كان للاوابين للتوابين
غفورا ما فرط منهم عند حرج الصدر من اذية او تقصير وفيه تشديد
عظيم ويجوز ان يكون عاما لكل تائب ويندرج فيه الجاني
على ابويه التائب من جنايته لوروده على اثره وآت ذا القربى حقه
من صلة الرحم وحسن المعاشرة والبر عليهم وقال ابو حنيفة رضي الله عنه
حقهم اذا كانوا محارم فقراء ان ينفق عليهم وقيل المراد بذي القربى
اقارب الرسول والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا بصرف المال فيما
لا ينبغي وانفاقه على وجه الاسراف واصل التبذير التفريق وعن النبي
صلى الله عليه وسلم قال لسعد رض وهو يتوضأ ما هذا السرف فقال

افي الوضوء

افي الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جار ان المبذرين كانوا
اخوان الشياطين امثالهم في الشرارة فان التضييع والاتلاف شر
او اصدقاؤهم واتباعهم لانهم يطيعونهم في الاسراف والصرف
روي انهم كانوا ينحرون الابل ويتياسرون عليها ويبذرون
اموالهم في السمعة فنهاهم الله عن ذلك وامرهم بالانفاق في القربات
وكان الشيطان لربه كفورا مبالغا في الكفر فينبغي ان لا يطاع
واما تعرضن عنهم وان اعرضت عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل
حياء من الرد ويجوز ان يكون يراد بالاعراض عنهم ان لا ينفعهم
على سبيل الكناية ابتغاء رحمة من ربك ترجوها لانتظار رزق
من الله ترجوه ان يأتيك فتعطيه او منتظرين له وقيل معناه لفقد
رزق من ربك ترجو ان يفتح لك فوضع الابتغاء موضعه لانه
مسبب عنه ويجوز ان يتعلق بالجواب الذي هو قوله فقل لهم
قولا ميسورا اي فقل لهم قولا لينا ابتغاء رحمة الله برحمتك عليهم
باجمال القول لهم والميسور من يسر الامر مثل سعد الرجل ونحس وقيل
القول الميسور الدعاء لهم بالميسور وهو اليسر مثل اغناكم الله تعالى
ورزقنا الله واياكم ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها
كل البسط تمثيلان لمنع الشحيح واسراف المبذر نهى عنهما امرا بالاقتصاد
بينهما الذي هو الكرم فتقعد ملوما فتصير ملوما عند الله وعند الناس
بالاسراف وسوء التدبير محسورا نادما او منقطعا بك لا شيء عندك
من حسره السفر اذا بلغ منه وعن جابر بينا رسول الله اذ جاء صبي
فقال ان امي تستكسيك درعا فقال من ساعة الى ساعة فعد الينا
فذهب الى امه فقالت قل له ان امي تستكسيك الدرع الذي عليك
فدخل داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا واذن بلال

وانتظروه للصلوة فلم يخرج فانزل الله ذلك ثم سلاه بقوله ان ربك
يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسعه ويضيقه بمشيئته التابعة للحكمة
فليس ما يرهقك من الاضاقة الا لمصلحتك انه كان بعباده خبيرا بصيرا
يعلم سرهم وعلنهم فيعلم من مصالحهم ما يخفى عليهم ويجوز ان يريد
ان البسط والقبض من امر الله العالم بالسرائر والظواهر فاما العباد
فعليهم ان يقتصدوا او انه تعالى يبسط تارة ويقبض اخرى فاستنوا
بسنته فلا تقبضوا كل القبض ولا تبسطوا كل البسط وان يكون تمهيدا
لقوله ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق مخافة الفاقة وقتلهم
اولادهم هو وادهم بناتهم مخافة الفقر فنهاهم عنه وضمن لهم ارزاقهم
فقال نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا ذنبا كبيرا لما فيه من
قطع التناسل وانقطاع النوع والخطاء والاثم يقال خطئ خطأ
كأثم اثما وقرأ ابن عامر خطأ وهو اسم من اخطأ يضاد الصواب
وقيل لغة فيه كمثل ومثل وحذر وحذر وقرأ ابن كثير خطاء بالمد والكسر
وهو اما لغة او مصدر خاطأ وهو وان لم يسمع لكنه جاء تخاطأ
في قوله تخاطأه القناص حتى وجدته وخرطومه في منقع الماء راسب
وهو مبني عليه وقرئ خطاء بالفتح والمد وخطا بحذف الهمزة مفتوحا
ومكسورا ولا تقربوا الزنا بالقصد واتيان المقدمات فضلا
ان تباشروه انه كان فاحشة فعلة ظاهرة القبح زائدة وساء سبيلا
وبئس طريقا طريقه وهو الغصب على الابضاع المؤدي الى قطع الانساب
وهيج الفتن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق الا باحدى ثلث
كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل مؤمن معصوم عمدا ومن
قتل مظلوما غير مستوجب القتل فقد جعلنا لوليه للذي يلي امره
بعد وفاته وهو الوارث سلطانا تسلطا بالمؤاخذة بمقتضى القتل

على من عليه او بالقصاص على القاتل فان قوله مظلوما يدل على ان
القتل عمدا عدوان فان الخطاء لا يسمى ظلما فلا يسرف اي القاتل في القتل
بان يقتل من لا يحق قتله فان العاقل لا يفعل ما يعود اليه بالهلاك او الولي في
بالمثلة او قتل غير القاتل ويؤيد الاول قراءة ابي فلا تسرفوا وقرأ حمزة
والكسائي فلا تسرف على خطاب احدهما انه كان منصورا علة النهي على
الاستيناف والضمير اما للمقتول فانه منصور في الدنيا بثبوت القصاص
بقتله وفي الآخرة بالثواب واما لوليه فان الله نصره حيث اوجب القصاص
له وامر الولاة بمعونته واما للذي يقتله الولي سرفا بايجاب القصاص
والتعزير والوزر على المسرف ولا تقربوا مال اليتيم فضلا عن ان
تتصرفوا فيه الا بالتي هي احسن الا بالطريقة التي هي احسن حتى يبلغ اشده
غاية لجواز التصرف الذي عليه الاستثناء واوفوا بالعهد بما عاهدكم
الله من تكاليفه او ما عاهدتموه وغيره ان العهد كان مسئولا مطلوبا
يطلب من العاهد ان لا يضيعه ويفي به او مسئولا عنه يسأل الناكث
ويعاقب عليه او يسأل العهد لم نكثت تبكيتا للناكث كما يقال للموؤدة
باي ذنب قتلت فيكون تخييلا ويجوز ان يراد ان صاحب العهد كان
مسئولا واوفوا الكيل اذا كلتم ولا تبخسوا فيه وزنوا بالقسطاس
المستقيم بالميزان السوي وهو رومي عرب ولا يقدح ذلك في عربية
القرآن لان العجمي اذا استعملته العرب واجرته مجرى كلامهم في الاعراب
والتعريف والتنكير ونحوها صار عربيا وقرأ حمزة والكسائي وحفص
بكسر القاف ذلك خير واحسن تاويلا واحسن عاقبة تفعيل من آل
اذا رجع ولا تقف ولا تتبع وقرئ ولا تقف من قاف اثره اذا قفاه
ومنه القافة ما ليس لك به علم ما لم يتعلق به علمك تقليدا او رجما بالغيب
واحتج به من منع اتباع الظن وجوابه ان المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح

المستقل من سند سواء كان قطعيا او ظنيا واستعماله بهذا المعنى شايع
وقيل انه مخصوص بالعقايد وقيل بالرمي وشهادة الزور ويؤيده
قوله صلى الله عليه وسلم من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله في ردغة
الخبال حتى يأتي بالمخرج وقول الكميت ولا ارمي البري بغير ذنب ولا
اقفوا الحواصن ان قفينا ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك اى كل هذه
الاعضاء فاجراها مجرى العقلاء لما كانت مسئولة عن احوالها شاهدة
على صاحبها هذا وان اولاء وان غلب في العقلاء لكنه من حيث انه اسم
جمع لذا وهو يعم القبيلين جاء لغيرهم كقوله والعيش بعد اولئك
الايام كان عنه مسئولا في ثلثتها ضمير كل اى كان كل واحد منها مسئولا عن
نفسه يعني عما فعل به صاحبه ويجوز ان يكون الضمير في عنه لمصدر لا تقف
او لصاحب السمع والبصر وقيل مسئولا مسند الى عنه كقوله غير المغضوب
عليهم والمعنى يسأل صاحبه عنه وهو خطاء لان الفاعل وما يقوم مقامه
لا يتقدم وفيه دليل على ان العبد مؤاخذ بعزمه على المعصية وقرئ
والفواد بقلب الهمزة واوا بعد الضمة ثم ابدالها بالفتح ولا تمش في الارض
مرحا اى ذا مرح وهو الاختيال وقرئ مرحا وهو باعتبار الحكم ابلغ
وان كان المصدر اكد من صريح النعت انك لن تخرق الارض لن تجعل
فيها خرقا بشدة وطأتك ولن تبلغ الجبال طولا بتطاولك وهو تهكم
بالمختال وتعليل للنهي بان الاختيال حماقة مجردة لا تعود بجدوى
ليس في التذلل كل ذلك اشارة الى الخصال الخمسة والعشرين المذكورة
من قوله ولا تجعل مع الله الها آخر وعن ابن عباس رض انها المكتوبة
في الواح موسى عليه السلام كان سيئه يعني المنهي عنه فان المذكورات مأمورات
ومنهيات وقرأ الحجازيان والبصريان سيئة على انه خبر كان والاسم
ضمير كل وذلك اشارة الى ما نهي عنه خاصة وعلى هذا قوله عند ربك

مكروها بدل من سيئه او صفة لها محمولة على المعنى فانه بمعنى سيئا وقد قرئ
به ويجوز ان ينتصب مكروها على الحال من المستكن في كان او في الظرف
على انه صفة سيئة والمراد به المبغوض المقابل للمرضي لا ما يقابل المراد
لقيام القاطع على ان الحوادث كلها واقعة بارادته ذلك اشارة الى الاحكام
المتقدمة مما اوحى اليك ربك من الحكمة التي هي معرفة الحق لذاته والخير
للعمل به ولا تجعل مع الله الها آخر كرره للتنبيه على ان التوحيد مبدأ الامر
ومنتهاه فان من لا قصد له بطل عمله ومن قصد بفعله او تركه غيره ضاع
سعيه وانه رأس الحكمة وملاكها ورتب عليه اولا ما هو عايدة الشرك
في الدنيا وثانيا ما هو نتيجته في العقبى فقال فتلقى في جهنم ملوما تلوم نفسك
مدحورا مبعدا من رحمة الله تعالى افاصفيكم ربكم بالبنين خطاب
لمن قال الملائكة بنات الله والهمزة للانكار والمعنى افخصكم ربكم بافضل
الاولاد وهم البنون واتخذ من الملائكة اناثا بناتا لنفسه هذا خلاف
ما عليه عقولكم وعادتكم انكم لتقولون قولا عظيما باضافة الاولاد
اليه وهي خاصة بعض الاجسام لسرعة زوالها ثم بتفضيل انفسكم عليه حيث
تجعلون له ما تكرهون ثم بجعل الملائكة الذين هم من اشرف خلق الله
دونهم ولقد صرفنا كررنا هذا المعنى بوجوه من التقرير في هذا القرآن
في مواضع منه ويجوز ان يراد بهذا القرآن ابطال اضافة البنات اليه
بتقدير ولقد صرفنا القول في هذا المعنى واوقعنا التصريف فيه وقرئ
صرفنا بالتخفيف ليذكروا ليتذكروا وقرأ حمزة والكسائي هنا وفي الفرقان
ليذكروا من الذكر الذي هو بمعنى التذكر وما يزيدهم الا نفورا عن الحق
وقلة طمانينة اليه قل لو كان معه آلهة كما تقولون ايها المشركون وقرأ
ابن كثير وحفص بالياء فيه وفيما بعده على ان الكلام مع الرسول صلى الله
عليه وسلم ووافقهما نافع وابن عامر وابو عمرو وابو بكر ويعقوب

في الثانية على ان الاولى مما امر الرسول ان يخاطب المشركين والثانية مما
نزه به نفسه عن مقالهم اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا جواب عن قولهم
وجزاء للو والمعنى لطلبوا الى من هو مالك الملك سبيلا بالمعازة كما يفعل
الملوك بعضهم مع بعض او بالتقرب اليه والطاعة لعلمهم بقدرته تعالى
وعجزهم كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة سبحانه
تنزه تنزيها وتعالى عما يقولون علوا تعاليا كبيرا متباعدا غاية البعد
عما يقولون فانه في اعلى مراتب الوجود وهو كونه واجب الوجود والبقاء
لذاته واتخاذ الولد من ادنى مراتبه فانه من خواص ما يمتنع بقاؤه تسبح
له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ينزهه
مما هو من لوازم الامكان وتوابع الحدوث بلسان الحال حيث تدل
بامكانها وحدوثها على الصانع القديم الواجب لذاته ولكن لا تفقهون
تسبيحهم ايها المشركون لاخلالكم بالنظر الصحيح الذي به يفهم تسبيحهم
ويجوز ان يحمل التسبيح المشترك بين اللفظ والدلالة لاسناده الى ما
يتصور منه اللفظ والى ما لا يتصور منه وعليهما عند من جوز اطلاق
اللفظ على معنييه وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وابو بكر يسبح بالياء
انه كان حليما حين لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وشرككم غفورا لمن
تاب منكم واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون
بالآخرة حجابا يحجبهم عن فهم ما تقرأه عليهم مستورا ذا ستر كقوله وعده
مأتيا وقولهم سيل مفعم اي ذو افعام او مستورا عن الحس او بحجاب آخر
لا يفهمون ولا يفهمون انهم لا يفهمون نفى عنهم ان يفهموا ما انزل عليهم من
الآيات بعدما نفى عنهم التفقه للدلالات المنصوبة في الانفس والآفاق
تقريرا له وبيانا لكونهم مطبوعين على الضلالة كما صرح به بقوله
وجعلنا على قلوبهم اكنة تكنها وتحول دونها عن ادراك الحق وقبوله

ايفقهوه

ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه ويجوز ان يكون مفعولا لما دل عليه قوله
وجعلنا على قلوبهم اكنة اي منعناهم ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا
يمنعهم عن استماعه ولما كان القرآن معجزا من حيث اللفظ والمعنى
اثبت لمنكريه ما يمنع عن فهم المعنى وادراك اللفظ واذا ذكرت ربك
في القرآن وحده واحدا غير مشفوع به آلهتهم مصدر وقع موقع الحال واصله
يحد وحده بمعنى واحدا وحده ولوا على ادبارهم نفورا هربا من استماع
التوحيد ونفرة او تولية ويجوز ان يكون جمع نافر كقاعد وقعود نحن
اعلم بما يستمعون به بسببه ولاجله من الهزء بك وبالقرآن اذ يستمعون
اليك ظرف لاعلم وكذا واذ هم نجوى اي نحن اعلم بغرضهم من الاستماع
حين هم مستمعون اليك مضمرون له وحين هم ذوو نجوى يتناجون به
ونجوى مصدر ويحتمل ان يكون جمع نجي اذ يقول الظالمون ان تتبعون
الا رجلا مسحورا مقدر باذكر او بدل من اذ هم نجوى على وضع الظالمين
موضع الضمير للدلالة على ان تناجيهم بقولهم هذا والمسحور هو الذي
سحر به فزال عقله وقيل الذي له سحر وهو الرئة اي الا رجلا يتنفس
ويأكل ويشرب مثلكم انظر كيف ضربوا لك الامثال مثلوك بالشاعر
والساحر والكاهن والمجنون فضلوا عن الحق في جميع ذلك فلا يستطيعون
سبيلا اي طعن موجه فيتهافتون ويخبطون كالمتحير في امره لا يدري
ما يصنع او الى الرشاد وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا حطاما
ائنا لمبعوثون خلقا جديدا على الانكار والاستبعاد لما بين غضاضة
الحي ويبوسة الرميم من المباعدة والمنافاة والعامل في اذا ما دل عليه
مبعوثون لا نفسه لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها وخلقا مصدر او حال
قل جوابا لهم كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم اي
مما يكبر عندكم عن قبول الحياة لكونه ابعد شيء منها فان قدرته تعالى لا تقصر

عن احيائكم لاشتراك الاجسام في قبول الاعراض فكيف اذا كنتم عظاما
مرفوتة وقد كانت غضة موصوفة بالحيوة قبل والشيء اقبل لما عهد فيه
مما لم يعهد فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة وكنتم ترابا وما
هو ابعد منه من الحيوة فسينغضون اليك رؤسهم فسيحركونها نحوك
تعجبا واستهزاء ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا فان كل ما هو آت
قريب وانتصابه على الخبر او الظرف اي يكون في زمان قريب وان يكون
اسم عسى او خبره والاسم مضمر يوم يدعوكم فتستجيبون اي يوم يبعثكم
فتنبعثون استعار لهما الدعاء والاستجابة للتنبيه على سرعتهما وتيسير
امرهما وان المقصود منهما الاحضار للمحاسبة والجزاء بحمده حال منهم
اي حامدين لله على كمال قدرته كما قيل انهم ينفضون التراب عن رؤسهم
ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك او منقادين لبعثه انقياد الحامدين
عليه وتظنون ان لبثتم الا قليلا وتستقصرون مدة لبثكم في القبور
كالذي مر على قرية او مدة حيوتكم لما ترون من الهول وقل لعبادي يعني
المؤمنين يقولوا التي هي احسن الكلمة التي هي احسن ولا يخاشنوا المشركين
ان الشيطان ينزغ بينهم يهيج بينهم المراء والشر فلعل المخاشنة بهم يفضي
الى العناد وازدياد الفساد ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا
ظاهر العداوة ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم وان يشأ يعذبكم تفسير للتي
هي احسن وما بينهما اعتراض اي قولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا تصرحوا
بانهم من اهل النار فانه يهيجهم على الشر مع ان ختام امرهم غيب لا يعلمه
الا الله تعالى وما ارسلناك عليهم وكيلا موكولا اليك امرهم تقسرهم
على الايمان وانما ارسلناك مبشرا ونذيرا فدارهم ومر اصحابك
بالاحتمال منهم وروي ان المشركين افرطوا في ايذائهم فشكوا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل شتم عمر رض رجل منهم فهم به فامره الله تعالى

بالعفو

بالعفو وربك اعلم بمن في السموات والارض وباحوالهم فيختار منهم
لنبوته وولايته من يشاء وهو رد لاستبعاد قريش ان يكون يتيم
ابي طالب نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه ولقد فضلنا بعض
النبيين على بعض بالفضائل النفسانية والتبري عن العلائق الجسمانية
لا بكثرة الاموال والاتباع حتى داود عليه السلام فان شرفه بما
اوحي اليه من الكتاب لا بما اوتي من الملك وقيل هو اشارة الى تفضيل
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقوله واتينا داود زبورا تنبيه على وجه
تفضيله وهو انه خاتم الانبياء وامته خير الامم المدلول عليه بما كتب في
الزبور من ان الارض يرثها عبادي الصالحون وتنكيره هنا وتعريفه
في قوله ولقد كتبنا في الزبور لانه في الاصل فعول للمفعول كالحلوب
او المصدر كالقبول ويؤيده قراءة حمزة بالضم وهو كالعباس والفضل
او لان المراد آتينا داود بعض الزبر او بعضا من الزبور فيه ذكر الرسول
صلى الله عليه وسلم قل ادعوا الذين زعمتم انها آلهة من دونه كالملائكة
والمسيح وعزير فلا يملكون فلا يستطيعون كشف الضر عنكم كالمرض
والفقر والقحط ولا تحويلا ولا تحويله الى غيركم اولئك
الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة هؤلاء الآلهة يبتغون الى الله
القربة بالطاعة ايهم اقرب بدل من واو يبتغون اي يبتغي من هو اقرب منهم
الى الله الوسيلة فكيف بغير الاقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه
كساير العباد فكيف يزعمون انهم آلهة ان عذاب ربك كان محذورا
حقيقا بان يحذره كل احد حتى الرسل والملائكة وان من قرية الا نحن
مهلكوها قبل يوم القيمة بالموت والاستيصال او معذبوها عذابا
شديدا بالقتل وانواع البلية كان ذلك في الكتاب في اللوح المحفوظ
مسطورا مكتوبا وما منعنا ان نرسل بالآيات وما صرفنا عن ارسال

الايات التى اقترحها قريش الا ان كذب بها الاولون الا تكذيب الاولين
الذين هم امثالهم فى الطبع كعاد وثمود وانها لو ارسلت لكذبوا بها
تكذيب اولئك واستوجبوا الاستيصال على ما مضت به سنتنا وقد
قضينا ان لا نستاصلهم لان فيهم من يؤمن او يلد من يؤمن ثم ذكر بعض الامم
المهلكة بتكذيب الايات المقترحة فقال وآتينا ثمود الناقة بسوالهم
مبصرة بينة ذات ابصار او بصاير او جاعلتهم ذوى بصاير وقرئ
بالفتح فظلموا بها فكفروا بها او فظلموا انفسهم بسبب عقرها وما نرسل
بالايات اى بالايات المقترحة الا تخويفا من نزول العذاب المستاصل
فان لم يخافوا نزل او بغير المقترحة كالمعجزات وايات القران الا تخويفا
بعذاب الاخرة فان امر من بعثت اليهم موخر الى يوم القيمة والباء مزيدة
او فى موقع الحال والمفعول محذوف واذ قلنا لك واذكر اذ اوحينا
اليك ان ربك احاط بالناس فهم فى قبضة قدرته او احاط بقريش بمعنى
اهلكهم من احاط بهم العدو فهو بشارة بوقعة بدر والتعبير بلفظ الماضى
لتحقق وقوعه وما جعلنا الرويا التى اريناك ليلة المعراج وتعلق به
من قال انه كان فى المنام ومن قال انه فى اليقظة فسر الرويا بالروية
او عام الحديبية حين راى انه دخل مكة وفيه ان الاية مكية الا ان يقال
رآها بمكة وحكاها حينئذ ولعله رويا راها فى وقعة بدر لقوله تعالى
اذ يريكهم الله فى منامك قليلا ولما روى انه لما ورد ماءه قال لكانى
الى مصارع القوم هذا مصرع فلان فتسامعت به قريش واستسخروا
منه وقيل راى قوما من بنى امية يرقون منبره وينزون عليه نزو القردة
فقال هذا حظهم من الدنيا يعطونه باسلامهم وعلى هذا كان المراد بقوله
الا فتنة للناس ما حدث فى ايامهم والشجرة الملعونة فى القران كذلك
ونخوفهم بانواع التخويف فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا الا عتوا متجاوز

الحد واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس قال
ءاسجد لمن خلقت طينا لمن خلقته وهو طين او منه اى اسجد له واصله
طين وفيه على الوجوه ايماء بعلة الانكار قال ارايتك هذا الذى
كرمت على الكاف لتاكيد الخطاب لا محل له من الاعراب وهذا مفعول
اول والذى صفته والمفعول الثانى محذوف لدلالة صلته عليه والمعنى
اخبرنى عن هذا الذى كرمته على بامرى بالسجود له لم كرمته على لئن
اخرتنى الى يوم القيمة كلام مبتدا واللام موطئة للقسم وجوابه
لاحتنكن ذريته الا قليلا اى لاستاصلنهم بالاغواء الا قليلا لا
اقدر ان اقاوم شكيمتهم من احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها
اكلا ماخوذ من الحنك وانما علم ان ذلك يتسهل له اما استنباطا
من قول الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها مع التقرير او تفرسا من
خلقه ذا وهم وشهوة وغضب قال اذهب امض لما قصدته وهو طرد
وتخلية بينه وبين ما سولت له نفسه فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم
جزاؤك وجزاؤهم فغلب المخاطب على الغائب ويجوز ان يكون الخطاب
للتابعين على الالتفات جزاء موفورا مكملا من قولهم فر لصاحبك
عرضه فرة وانتصاب جزاء على المصدر باضمار فعله او بما فى جزاؤكم
من معنى تجازون او حال موطئة لقوله موفورا واستفزز واستخفف
من استطعت منهم ان تستفزه والفز الخفيف بصوتك بدعائك الى
الفساد واجلب عليهم وصح عليهم من الجلبة وهى الصياح بخيلك ورجلك
باعوانك من راكب وراجل والخيل الخيالة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
يا خيل الله اركبى والرجل اسم الراجل كالصحب والركب ويجوز ان يكون
تمثيلا لتسلطه على من يغويه بمغوار وقع على قوم فاستفزهم
من اماكنهم واجلب عليهم بجنده حتى استاصلهم وقرا حفص ورجلك

بالكسر وغيره بالضم وهما لغتان كندس وندس ومعناه وجمعك الرجل
وقرئ ورجالك وشاركهم في الأموال بحملهم على كسبها وجمعها
من الحرام والتصرف فيها على ما لا ينبغي والأولاد بالحث على التوصل
إلى الولد بالسبب المحرم والإشراك فيه بتسميته عبد العزى والتضليل
بالحمل على الأديان الزائغة والحرف الذميمة والأفعال القبيحة وعدهم
المواعيد الباطلة كشفاعة الآلهة والاتكال على كرامة الآباء
وتأخير التوبة لطول الأمل وما يعدهم الشيطان إلا غرورا اعتراض
لبيان مواعيده الباطلة والغرور تزيين الخطاء بما يوهم أنه صواب
إن عبادي يعني المخلصين وتعظيم الإضافة والتقييد في قوله إلا عبادك
منهم المخلصين يخصصهم ليس لك عليهم سلطان أي على إغوائهم قدرة
وكفى بربك وكيلا يتوكلون به في الاستعاذة منك على الحقيقة ربكم
الذي يزجي هو الذي يجري لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله الربح
وأنواع الأمتعة التي لا تكون عندكم إنه كان بكم رحيما حيث هيأ لكم
ما تحتاجون إليه وسهل عليكم ما تعسر من أسبابه وإذا مسكم الضر
في البحر خوف الغرق ضل من تدعون ذهب عن خواطركم كل من تدعونه
في حوادثكم إلا إياه وحده فإنكم ح لا يخطر ببالكم سواه ولا تدعون
لكشفه إلا إياه أو ضل كل من تدعونه عن إغاثتكم إلا الله تعالى
فلما نجاكم من الغرق إلى البر أعرضتم عن التوحيد وقيل اتسعتم في
كفران النعمة كقول ذي الرمة عطاء فتى تمكن في المعالي فأعرض في
المكارم واستطالا وكان الإنسان كفورا كالتعليل للإعراض
أفأمنتم الهمزة فيه للإنكار والفاء للعطف على محذوف تقديره أنجوتم
فأمنتم فحملكم ذلك على الإعراض فإن من قدر أن يهلككم في البحر بالغرق
قادر أن يهلككم في البر بالخسف وغيره أن يخسف بكم جانب البر أن يقلبه

الله تعالى وأنتم عليه أو يقلبه بسببكم وبكم حال أو صلة وقرأ ابن كثير
وأبو عمرو بالنون فيه وفي الأربعة التي بعده وفي ذكر الجانب تنبيه
على أنهم كما وصلوا الساحل كفروا وأعرضوا وأن الجوانب في الجهات في قدرته
سواء لا معقل يؤمن فيه من أسباب الهلاك أو يرسل عليكم حاصبا ريحا
تحصب أي ترمي بالحصباء ثم لا تجدوا لكم وكيلا يحفظكم من ذلك فإنه
لا راد لفعله أم أمنتم أن يعيدكم فيه في البحر تارة أخرى بخلق دواعي تلجئكم
إلى أن ترجعوا فتركبوه فيرسل عليكم قاصفا من الريح لا تمر بشيء إلا قصفته
أي كسرته فيغرقكم وعن يعقوب بالتاء على إسناده إلى ضمير الريح بما كفرتم
بسبب إشراككم وكفرانكم نعمة الإنجاء ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا
مطالبا يتبعنا بانتصار أو صرف ولقد كرمنا بني آدم بحسن الصورة
والمزاج الأعدل واعتدال القامة والتمييز بالعقل والإفهام بالنطق
والإشارة والخط والتهدي إلى أسباب المعاش والمعاد والتسلط على ما في
الأرض والتمكن من الصناعات وانسياق الأسباب والمسببات العلوية
والسفلية إلى ما يعود عليهم بالمنافع إلى غير ذلك مما يقف الحصر دون إحصائه
ومن ذلك ما ذكره ابن عباس رضـ وهو أن كل حيوان يتناول طعامه بفيه إلا
الإنسان فإنه يرفعه إليه بيده وحملناهم في البر والبحر على الدواب
والسفن من حملته حملا إذا جعلت له ما يركبه أو حملناهم فيهما حتى لم تخسف
بهم الأرض ولم يغرقهم الماء ورزقناهم من الطيبات المستلذات مما يحصل
بفعلهم وبغير فعلهم وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا بالغلبة والاستيلاء
أو بالشرف والكرامة والمستثنى جنس الملائكة أو الخواص منهم ولا يلزم
من عدم تفضيل الجنس عدم تفضيل بعض أفراده والمسألة موضع نظر وقد
أول الكثير بالكل وفيه تعسف يوم ندعو نصب بإضمار اذكر أو ظرف
لما دل عليه ولا يظلمون وقرئ يدعو ويدعى ويدعو على قلب الألف

واوا في لغة من يقول افعوا وعلى ان الواو علامة الجمع كما في قوله واسروا
النجوى الذين ظلموا او ضمير وكل بدل منه والنون محذوفة لقلة المبالاة
بها فانها ليست الا علامة الرفع وهو قد يقدر كما في يدعى كل اناس بامامهم
بمن ائتموا به من نبي او مقدم في الدين او كتاب او دين وقيل بكتاب اعمالهم
التي قدموها فيقال يا صاحب كتاب كذا اي ينقطع علقة الانساب وتبقى
نسبة الاعمال وقيل بالقوى الحاملة لهم على عقائدهم وافعالهم وقيل بامهاتهم
جمع ام كخف وخفاف والحكمة في ذلك اجلال عيسى عليه السلام واظهار
شرف الحسن والحسين رض وان لا يفتضح اولاد الزنا فمن اوتي كتابه بيمينه
اي كتاب عمله فاولئك يقرؤون كتابهم ابتهاجا وتبجحا بما يرون فيه ولا يظلمون
فتيلا ولا ينقصون من اجورهم ادنى شيء وجمع اسم الاشارة والضمير لان
من اوتي في معنى الجمع وتعليق القراءة بايتاء الكتاب باليمين يدل على من اوتي
كتابه بشماله اذا اطلع على ما فيه غشيهم من الخجل والحيرة ما يحبس السنتهم
عن القراءة ولذلك لم يذكرهم مع ان قوله ومن كان في هذه اعمى فهو في
الآخرة اعمى ايضا مشعر بذلك فان الاعمى لا يقرأ الكتاب والمعنى ومن كان
في هذه الدنيا اعمى القلب لا يبصر رشده كان في الآخرة اعمى لا يرى طريق
النجاة واضل سبيلا منه في الدنيا لزوال الاستعداد وفقدان الآلة
والمهلة وقيل لان الاهتداء بعد لا ينفعه والاعمى مستعار من فاقد الحاسة
وقيل الثاني للتفضيل من عمي بقلبه كالاجهل والابله ولذلك لم يمله ابو عمرو
ويعقوب فان افعل التفضيل تمامه بمن فكانت الفه في حكم المتوسطة كما
في اعمالكم بخلاف النعت فان الفه واقعة في الطرف لفظا وحكما فكانت
معرضة للامالة من حيث انها تصير ياء وقد امالهما حمزة والكسائي وابو بكر
وقرأ ورش بين بين فيهما وان كادوا ليفتنونك نزلت في ثقيف قالوا
لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر

ولا نحشى في صلواتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع
عنا وان تمتعنا باللات سنة وان تحرم وادينا كما حرمت مكة فان قالت
العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله امرني وقيل في قريش قالوا لا نمكنك
من استلام الحجر حتى تلم بآلهتنا وتمسها بيدك وان هي المخففة واللام هي الفارقة
والمعنى ان الشان قاربوا بمبالغتهم ان يوقعوك في الفتنة بالاستنزال
عن الذي اوحينا اليك من الاحكام لتفتري علينا غيره غير ما اوحينا
اليك واذا لاتخذوك خليلا ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك بافتتانك
وليا لهم بريئا من ولايتي ولولا ان ثبتناك ولولا تثبيتنا اياك لقد كدت
تركن اليهم شيئا قليلا لقاربت ان تميل الى اتباع مرادهم والمعنى انك
كنت على صدد الركون اليهم لقوة خدعهم وشدة احتيالهم لكن ادركتك
عصمتنا فمنعت ان تقرب من الركون فضلا من ان تركن اليه وهو صريح
في انه صلى الله عليه وسلم ما هم باجابتهم مع قوة الداعي اليها ودليل على
ان العصمة بتوفيق الله تعالى وحفظه اذا لاذقناك اي لو قاربت
لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات اي عذاب الدنيا وعذاب الآخرة
ضعف ما يعذب به في الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لان خطأ الخطير
اخطر وكان اصل الكلام عذابا ضعفا في الحيوة وعذابا ضعفا في الممات
بمعنى مضاعفا ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه ثم اضيفت
كما يضاف موصوفها وقيل الضعف من اسماء العذاب وقيل المراد بضعف
الحيوة عذاب الآخرة وبضعف الممات عذاب القبر ثم لا تجد لك علينا
نصيرا يدفع العذاب عنك وان كادوا اي وان كاد اهل مكة
ليستفزونك ليزعجونك بمعاداتهم من الارض ارض مكة ليخرجوك
الا قليلا الا زمنا قليلا وقد كان كذلك فانهم اهلكوا ببدر بعد هجرته
بسنة وقيل الآية نزلت في اليهود حسدوا مقام النبي بالمدينة فقالوا

منها واذا لا يلبثون خلافك
ولو خرجت لا يبقون بعد خروجك م

الشام مقام الانبيا فان كنت نبيا فالحق بها حتى نؤمن بك فوقع ذلك
في قلبه فخرج مرحلة فنزلت فرجع ثم قتل منهم بني قريظة واجلى بني النضير
بقليل وقرئ لا يلبثوا منصوبا باذن على انه معطوف على جملة قوله
وان كادوا ليستفزونك لا على خبر كاد فان اذن لا يعمل اذا كان معتمدا
ما بعدها على ما قبلها وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب وحفص
خلافك وهو لغة فيه قال عفت الديار خلافهم فكانما بسط الشواطب
بينهن حصيرا سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا نصب على المصدر اي
سن الله تعالى ذلك سنة وهو ان يهلك كل امة اخرجوا رسولهم من بين
اظهرهم فالسنة لله تعالى واضافتها الى الرسل لانها من اجلهم ويدل عليه
ولا تجد لسنتنا تحويلا اي تغييرا اقم الصلوة لدلوك الشمس لزوالها
ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم اتاني جبريل عليه السلام لدلوك
الشمس حين زالت فصلى بي الظهر وقيل لغروبها واصل التركيب للانتقال
ومنه الدلك فان الدالك لا تستقر يده وكذا ما تركب من الدال واللام
كدلج ودلح ودلع ودلف ودله وقيل الدلوك من الدلك لان
الناظر اليها يدلك عينيه لدفع شعاعها واللام للتاقيت مثلها في لثلاث
خلون الى غسق الليل الى ظلمته وهو وقت صلوة العشاء الاخيرة وقران
الفجر وصلوة الصبح سميت قرانا لانه ركنها كما سميت ركوعا وسجودا
واستدل به على وجوب القراءة فيها ولا دليل فيه لجواز ان يكون التجوز
لكونها مندوبة فيها نعم لو فسر بالقراءة في صلوة الفجر دل الامر باقامتها
على الوجوب فيها نصا وفي غيرها قياسا ان قران الفجر كان مشهودا
يشهده ملائكة الليل والنهار او شواهد القدرة من تبدل الظلمة بالضياء
والنوم الذي هو اخو الموت بالانتباه او كثير من المصلين او من حقه ان يشهده
الجم الغفير والاية جامعة للصلوات الخمس ان فسر الدلوك بالزوال

والصلوات

والصلوات الليل وحدها ان فسر بالغروب وقيل المراد بالصلوة صلوة المغرب
وقوله لدلوك الشمس الى غسق الليل بيان لمبدا الوقت ومنتهاه واستدل به
على ان الوقت يمتد الى غروب الشفق ومن الليل فتهجد به وبعض الليل
فاترك الهجود للصلوة والضمير للقران نافلة لك فريضة زائدة لك
على الصلوة المفروضة او فضيلة لك لاختصاص وجوبه بك عسى ان يبعثك
ربك مقاما محمودا مقاما يحمده القائم فيه وكل من عرفه وهو مطلق في كل
مقام يتضمن كرامة والمشهور انه مقام الشفاعة لما روى ابو هريرة رضي الله عنه
انه صلى الله عليه وسلم قال هو المقام الذي اشفع فيه لامتي ولاشعاره
بان الناس يحمدونه لقيامه فيه وما ذاك الا مقام الشفاعة وانتصابه
على الظرف باضمار فعله اي فيقيمك مقاما او بتضمين يبعثك ذا مقام وقل
رب ادخلني اي في القبر مدخل صدق ادخالا مرضيا واخرجني اي منه عند البعث
مخرج صدق اخراجا ملقى بالكرامة وقيل المراد ادخال المدينة والاخراج
من مكة وقيل ادخاله مكة ظاهرا عليها واخراجه منها آمنا من المشركين
وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله فيما حمله من اعباء
الرسالة واخراجه منه مؤديا حقه وقيل ادخاله في كل ما يلابسه من مكان
او امر واخراجه منه وقرئ مدخل ومخرج بالفتح على معنى ادخلني فادخل
دخولا واخرجني فاخرج خروجا واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا حجة
تنصرني على من خالفني او ملكا ينصر الاسلام على الكفر فاستجاب له بقوله
فان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم في الارض
وقل جاء الحق الاسلام وزهق الباطل وذهب وهلك الشرك من زهق
روحه اذا خرج ان الباطل كان زهوقا مضمحلا غير ثابت عن ابن مسعود
انه صلى الله عليه وسلم دخل مكة يوم الفتح وفيها ثلثمائة وستون صنما
فجعل ينكت بمخصرة في عين واحد واحد منها ويقول جاء الحق وزهق الباطل

فينكب لوجهه حتى القى جميعها وبقى صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من
صفر فقال يا على ارم به فصعد فرمى به فكسره وننزل من القران ما هو شفاء
ورحمة للمؤمنين ما هو فى تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم كالدواء
الشافى للمرضى ومن للبيان فان كله كذلك وقيل انه للتبعيض والمعنى
ان منه ما يشفى من المرض كالفاتحة وآيات الشفاء وقرا البصريان ننزل
بالتخفيف ولا يزيد الظالمين الا خسارا لتكذيبهم وكفرهم به واذا
انعمنا على الانسان بالصحة والسعة اعرض عن ذكر الله تعالى ونأى
بجانبه لوى عطفه وبعد بنفسه عنه كانه مستغن مستبد بامره ويجوز
ان يكون كناية عن الاستكبار لانه من عادة المستكبرين وقرا ابن عامر
برواية ابن ذكوان هنا وفى فصلت وناء على القلب او على انه بمعنى
نهض واذا مسه الشر من مرض او فقر كان يؤسا شديد اليأس من روح
الله تعالى قل كل يعمل على شاكلته قل كل احد يعمل على طريقته التى تشاكل
حاله فى الهدى والضلالة او جوهر روحه واحواله التابعة لمزاج بدنه
فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا اسد طريقا وابين منهجا وقد فسرت الشاكلة
بالطبيعة والعادة والدين ويسألونك عن الروح الذى يحيى به بدن الانسان
ويدبره قل الروح من امر ربى من الابداعيات الكائنة بكن من غير مادة
وتولد من اصل كاعضاء جسده او وجد بامره وحدث بتكوينه على ان
السؤال من قدمه وحدوثه وقيل مما استاثر بعلمه لما روى ان اليهود
قالوا لقريش سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح
فان اجاب عنها او سكت فليس بنبى وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض
فهو نبى فبين لهم القصتين وابهم امر الروح وهو مبهم فى التورية وقيل
الروح جبريل عليه السلام وقيل خلق اعظم من الملك وقيل القران
ومن امر ربى معناه من وحيه وما اوتيتم من العلم الا قليلا تستفيدونه

بطريق حواسكم فان اكتساب العقل للمعارف النظرية انما هو من الضروريات
المستفادة من احساس الجزئيات ولذلك قيل من فقد حسا فقد علما ولعل
اكثر الاشياء لا يدركه الحس ولا شيئا من احواله المعرفة لذاته وهو اشارة
الى ان الروح مما لا يمكن معرفة ذاته الا بعوارض تميزه عما يلتبس به فلذلك
اقتصر على هذا الجواب كما اقتصر موسى عليه السلام فى جواب وما رب
العالمين بذكر بعض صفاته روى انه صلى الله عليه وسلم لما قال لهم
ذلك قالوا نحن مختصون بهذا الخطاب فقال بل نحن وانتم فقالوا ما اعجب
شانك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا وساعة تقول
هذا فنزلت ولو ان ما فى الارض من شجرة اقلام وما قالوه لسوء فهمهم
لان الحكمة الانسانية ان يعلم من الخير والحق ما تسعه الطاقة البشرية بل ما
ينتظم به معاشه ومعاده وهو بالاضافة الى معلومات الله تعالى
التى لا نهاية لها قليل ينال به خير الدارين وهو بالاضافة اليه كثير
ولئن شئنا لنذهبن بالذى اوحينا اليك اللام الاولى موطئة للقسم
ولنذهبن جوابه النائب مناب جزاء الشرط والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقران
ومحوناه عن المصاحف والصدور ثم لا تجد لك به علينا وكيلا من يتوكل
علينا باسترداده مسطورا محفوظا الا رحمة من ربك فانها ان
نالتك فلعلها تسترده عليك ويجوز ان يكون استثناء منقطعا بمعنى
ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به فيكون امتنانا بابقائه بعد
المنة فى تنزيله ان فضله كان عليك كبيرا كارساله وانزال الكتاب عليه
وابقائه فى حفظه قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل
هذا القران فى البلاغة وحسن النظم وكمال المعنى لا يأتون بمثله وفيهم
العرب العرباء وارباب البيان واهل التحقيق وهو جواب قسم محذوف
دل عليه اللام الموطئة ولولا هى لكان جواب الشرط بلا جزم لكون الشرط

ماضيا كقول زهير وان اتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم
ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ولو تظاهروا على الاتيان به ولعله لم يذكر
الملائكة لان اتيانهم بمثله لا يخرجه عن كونه معجزا ولانهم كانوا وسائط
في اتيانه ويجوز ان تكون الآية تقريرا لقوله ثم لا تجد لك به علينا وكيلا
ولقد صرفنا كررنا بوجوه مختلفة زيادة في التقرير والبيان للناس في
هذا القرآن من كل مثل من كل معنى هو كالمثل في غرابته ووقوعه موقعا
في الانفس فابى اكثر الناس الا كفورا الا جحودا وانما جاز ذلك ولم يجز
ضربت الا زيدا لانه متأول بالنفي وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا
من الارض ينبوعا تعنتا واقتراحا بعد ما لزمتهم الحجة ببيان اعجاز القرآن
وانضمام غيره من المعجزات اليه وقرأ الكوفيون ويعقوب تفجر بالتخفيف
والارض ارض مكة والينبوع عين لا ينضب ماؤها يفعول من نبع الماء
كيعبوب من عب الماء اذا زخر او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار
خلالها تفجيرا او يكون لك بستان يشتمل على ذلك او تسقط السماء كما زعمت
علينا كسفا من السماء يعنون قوله تعالى او نسقط عليهم كسفا من السماء وهو
كقطع لفظا ومعنى وقد سكنه ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب
في جميع القرآن الا في الروم وابن عامر الا في هذه السورة وابو بكر
ونافع في غيرهما وحفص فيما عدا الطور وهي اما مخففة من المفتوح
كسدر وسدر او فعل بمعنى مفعول كالطحن او تأتي بالله والملائكة
قبيلا كفيلا بما تدعيه اي شاهدا على صحته ضامنا لدركه او مقابلا كالعشير
بمعنى المعاشر وهو حال من الله وحال الملائكة محذوفة لدلالتها عليها
كما حذف الخبر في قوله فاني وقيار بها لغريب او جماعة فيكون حالا من الملائكة
او يكون لك بيت من زخرف من ذهب وقد قرئ به واصله الزينة
او ترقى في السماء في معارجها ولن نؤمن لرقيك وحده حتى تنزل علينا

كتابا نقرؤه وكان فيه تصديقك قل سبحان ربي تعجبا من اقتراحاتهم
او تنزيها لله تعالى من ان يأتي او يتحكم عليه او يشاركه احد في القدرة وقرأ
ابن كثير وابن عامر قال سبحان ربي اي قال الرسول هل كنت الا بشرا كسائر
الناس رسولا كسائر الرسل وكانوا لا يأتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم
على ما يلائم حال قومهم ولم يكن امر الآيات اليهم ولا لهم ان يتحكموا على الله
حتى يتخيروها على هذا هو الجواب المجمل واما التفصيل فقد ذكر في آيات
اخر كقوله تعالى ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا
وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى اي وما منعهم الايمان بعد
نزول الوحي وظهور الحق الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا الا قولهم هذا
والمعنى انه لم يبق لهم شبهة تمنعهم عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن
الا انكارهم ان يرسل الله بشرا قل جوابا لشبهتهم لو كان في الارض
ملائكة يمشون كما يمشي بنو آدم مطمئنين ساكنين فيها لنزلنا عليهم من السماء
ملكا رسولا لتمكنهم من الاجتماع به والتلقي منه واما الانس فعامتهم
عماة عن ادراك الملك والتلقف منه فان ذلك مشروط بنوع من التناسب
والتجانس وملكا يحتمل ان يكون حالا من رسولا وان يكون موصوفا به
وكذلك بشرا والاول اوفق قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم على اني رسول
الله اليكم باظهار المعجزة على وفق دعواي او على اني بلغت ما ارسلت به
اليكم وانكم عاندتم وشهيدا نصب على الحال او التمييز انه كان بعباده
خبيرا بصيرا يعلم احوالهم الباطنة منها والظاهرة فيجازيهم عليها وفيه
تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتهديد للكفار ومن يهد الله فهو
المهتدي ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه يهدونهم ونحشرهم
يوم القيامة على وجوههم يسحبون عليها او يمشون عليها روي انه قيل
لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم قال ان الذي

اسناهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم عميا وبكما وصما
لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا يسمعون ما يلذ اسماعهم ولا ينطقون بما
يقبل منهم لانهم في دنياهم لم يستبصروا بالايات والعبر وتصاموا من
استماع الحق وابوا ان ينطقوا بالصدق ويجوز ان يحشروا بعد الحساب
من الموقف الى النار مؤوفي القوى والحواس مأويهم جهنم كلما خبت سكن
لهبها بان اكلت جلودهم ولحومهم زدناهم سعيرا توقدا بان يبدل جلودهم
ولحومهم فتعود ملتهبة مستعرة كانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء
جزاهم الله بان لا يزالوا على الاعادة والافناء واليه اشار بقوله ذلك
جزاؤهم بانهم كفروا باياتنا وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا
لمبعوثون خلقا جديدا لان الاشارة الى ما تقدمه من عذابهم اولم يروا
اولم يعلموا ان الله الذي خلق السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم فانهم
ليسوا اشد خلقا منهن ولا الاعادة اصعب عليه من الابداء وجعل لهم اجلا
لا ريب فيه هو الموت او القيمة فابى الظالمون مع وضوح الحق الا كفورا
الا جحودا قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي خزائن رزقه وسائر نعمه وانتم
مرفوع بفعل يفسره ما بعده كقول حاتم لو ذات سوار لطمتني وفائدة هذا
الحذف والتفسير المبالغة مع الايجاز والدلالة على الاختصاص اذا لامسكتم
خشية الانفاق لبخلتم مخافة النفاد بالانفاق اذ لا احد الا ويختار
النفع لنفسه ولو آثر غيره بشيء فانما يؤثره لعوض يفوقه فهو اذا بخيل بالاضافة
الى جود الله تعالى وكرمه هذا وان البخلاء اغلب فيهم وكان الانسان قتورا
بخيلا لان بناء امره على الحاجة والضنة بما يحتاج اليه وملاحظة العوض
فيما يبذل ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات هي العصا واليد والجراد والقمل
والضفادع والدم وانفجار الماء من الحجر وانفلاق البحر ونتق الطور على
بني اسرائيل وقيل الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الثلثة الاخيرة

وعن صفوان

وعن صفوان ان يهوديا سال النبي صلى الله عليه وسلم عنها فقال ان لا تشركوا
بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق
ولا تسحروا ولا تاكلوا الربوا ولا تمشوا ببريء الى ذي سلطان ليقتله
ولا تقذفوا المحصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا
في السبت فقبل اليهودي يده ورجله فعلى هذا المراد بالايات الاحكام
العامة للملل الثابتة في كل الشرائع سميت بذلك لانها تدل على حال من
يتعاطى متعلقها من الاخرة في السعادة والشقاوة وقوله وعليكم خاصة
اليهود ان لا تعدوا حكم مستانف زايد على الجواب ولذلك غير فيه سياق
الكلام فاسال بني اسرائيل اذ جاءهم فقلنا له ارسلهم من فرعون ليرسلهم
او سلهم من حال دينهم ويؤيده قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسال
على لفظ المضي بغير همز وهو لغة قريش واذ متعلق بقلنا او سال
على هذه القراءة او فسل يا محمد بني اسرائيل عما جرى بين موسى عليه السلام وفرعون
اذ جاءهم او عن الايات ليظهر للمشركين صدقك او لتسلى نفسك او لتعلم
انه تعالى لو اتى بما اقترحوه لاصروا على العناد والمكابرة كمن قبلهم
او ليزداد يقينك لان تظاهر الادلة توجب قوة اليقين وطمانينة القلب
وعلى هذا كان اذ نصبا باتينا او باضمار يخبروك على انه جواب الامر
او باضمار اذكر على الاستيناف فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى
مسحورا سحرت فتخبط عقلك قال لقد علمت يا فرعون وقرا الكسائي
بالضم على اخباره عن نفسه ما انزل هؤلاء يعني الايات الا رب السموات
والارض بصائر بينات تبصرك صدقي ولكنك تعاند وانتصابه على
الحال واني لاظنك يا فرعون مثبورا مصروفا عن الخير مطبوعا على الشر
من قولهم ما ثبرك عن هذا اي ما صرفك او هالكا فارع ظنه بظنه
وشتان ما بين الظنين فان ظن فرعون كذب بحت وظن موسى عليه السلام

يحوم حول اليقين من تظاهر اماراته وقرئ وان اخالك يا فرعون
لمثبورا على ان المخففة واللام هي الفارقة فاراد فرعون ان يستفزهم
ان يستخف موسى عليه السلام وقومه وينفيهم من الارض ارض مصر
او الارض مطلقا بالقتل والاستيصال فاغرقناه ومن معه جميعا
فعكسنا عليه مكره فاستفززناه وقومه بالاغراق وقلنا من بعده من بعد
فرعون واغراقه لبني اسرائيل اسكنوا الارض التي اراد ان يستفزكم
منها فاذا جاء وعد الآخرة الكرة او الحيوة او الساعة او الدار الآخرة
يعني قيام القيمة جئنا بكم لفيفا مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم
ونميز سعداءكم من اشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى وبالحق
انزلناه وبالحق نزل وما انزلنا القرآن الا ملتبسا بالحق المقتضي لانزاله
وما نزل الا ملتبسا بالحق الذي اشتمل عليه وقيل وما انزلناه من
السماء الا محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول الا محفوظا
بهم من تخليط الشياطين ولعله اراد به نفي اعتراء البطلان له اول
الامر وآخره وما ارسلناك الا مبشرا للمطيع بالثواب ونذيرا للعاصي
من العقاب فلا عليك الا التبشير والانذار وقرآنا فرقناه نزلناه
مفرقا منجما وقيل فرقنا فيه الحق من الباطل فحذف الجار كما في قوله تعالى
ويوم شهدناه وقرئ بالتشديد لكثرة نجومه فانه نزل في تضاعيف
عشرين سنة لتقرأه على الناس على مكث على مهل وتؤدة فانه ايسر
للحفظ واعون في الفهم وقرئ بالفتح وهو لغة فيه ونزلناه
تنزيلا على حسب الحوادث قل آمنوا به او لا تؤمنوا فان ايمانكم بالقرآن
لا يزيده كمالا وامتناعكم عنه لا يورثه نقصانا ان الذين اوتوا العلم
من قبله تعليل له اي ان لم تؤمنوا به فقد آمن به من هو خير منكم وهم العلماء
الذين قرؤوا الكتب السابقة وعرفوا حقيقة الوحي وامارات النبوة وتمكنوا

من الميز بين المحق والمبطل او رأوا نعتك وصفة ما انزل اليك في تلك الكتب
ويجوز ان يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية كانه قيل تسل بايمان العلماء
عن ايمان الجهلة ولا تكترث بايمانهم واعراضهم اذا يتلى عليهم القرآن يخرون
للاذقان سجدا يسقطون على وجوههم تعظيما لامر الله تعالى وشكرا لانجاز
وعده في تلك الكتب ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم على فترة من الرسل وانزال
القرآن عليه ويقولون سبحان ربنا عن خلف الوعد ان كان وعد ربنا
لمفعولا انه كان وعده كائنا لا محالة ويخرون للاذقان يبكون كرره
لاختلاف الحال او السبب فان الاول الشكر عند انجاز الوعد والثاني لما
اثر فيهم من مواعظ القرآن حال كونهم باكين من خشية الله تعالى وذكر الذقن
لانه اول ما يلقى الارض من وجه الساجد واللام فيه لاختصاص الخرور به
ويزيدهم سماع القرآن خشوعا كما يزيدهم علما ويقينا بالله تعالى قل ادعوا
الله او ادعوا الرحمن نزلت حين سمع المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول يا الله يا رحمن فقالوا انه ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو الها آخر
وقالت اليهود انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثره الله في التورية والمراد
على الاول هو التسوية بين اللفظين بانهما يطلقان على ذات واحدة وان اختلف
اعتبار اطلاقهما والتوحيد انما هو للذات الذي هو المعبود وعلى الثاني
انهما سيان في حسن الاطلاق والافضاء الى المقصود وهو اجود لقوله
اياما تدعوا فله الاسماء الحسنى والدعاء في الآية بمعنى التسمية وهو
يتعدى الى مفعولين حذف اولهما استغناء عنه واو للتخيير والتنوين في ايا
عوض عن المضاف اليه وما صلة لتأكيد ما في اي من الابهام والضمير
في له للمسمى لان التسمية له لا للاسم وكان اصل الكلام اياما تدعوا
فهو حسن فوضع موضعه فله الاسماء الحسنى للمبالغة والدلالة على ما هو
الدليل عليه وكونها حسنى لدلالتها على صفات الجلال والاكرام ولا تجهر

بصلوتك بقراءة صلوتك حتى تسمع المشركون فان ذلك يحملهم على السب
واللغو فيها ولا تخافت بها حتى لا تسمع من خلفك من المؤمنين وابتغ بين
ذلك سبيلا بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا فان الاقتصاد فى جميع الامور
محبوب روى ان ابا بكر رض كان يخفت ويقول اناجى ربى وقد علم حاجتى
وعمر رض كان يجهر ويقول اطرد الشيطان واوقظ الوسنان فلما نزلت
امر الرسول صلى الله عليه وسلم ابا بكر رض ان يرفع قليلا وعمر رض ان يخفض قليلا
وقيل معناه لا تجهر بصلوتك كلها ولا تخافت بها باسرها وابتغ بين ذلك
سبيلا بالاخفاء نهارا والجهر ليلا وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له
شريك فى الملك فى الالوهية ولم يكن له ولى من الذل ولى يواليه من اجل مذلة
ليدفعها بموالاته نفى عنه ان يكون ما يشاركه من جنسه ومن غير جنسه اختيارا
او اضطرارا او ما يعاونه ويقويه ورتب الحمد عليه للدلالة على انه الذى
يستحق جنس الحمد لانه الكامل الذات المتفرد بالايجاد المنعم على الاطلاق
وما عداه ناقص مملوك نعمة او منعم عليه ولذلك عطف عليه قوله
وكبره تكبيرا وفيه تنبيه على ان العبد وان بالغ فى التنزيه والتحميد
واجتهد فى العبادة والتمجيد ينبغى ان يعترف بالقصور عن حقه فى
ذلك روى انه صلى الله عليه وسلم كان اذا افصح الغلام من بنى عبد المطلب علمه هذه
الآية وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة بنى اسرائيل فرق قلبه عند ذكر
الوالدين كان له قنطار فى الجنة والقنطار الف اوقية ومائتا اوقية

سورة الكهف مكية الا ايتها مائة وعشر ايات

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب يعنى القرآن
رتب استحقاق الحمد على انزاله تنبيها على انه اعظم نعمائه وذلك لانه الهادى
الى ما فيه كمال العباد والداعى الى ما فيه ينتظم صلاح المعاش والمعاد

ولم يجعل له عوجا شيئا من العوج باختلال فى اللفظ وتناف فى المعنى او
انحراف فى الدعوة الى جانب الحق وهو فى المعانى كالعوج فى الاعيان قيما
مستقيما معتدلا لا افراط فيه ولا تفريط او قيما بمصالح العباد فيكون
وصفا له بالتكميل بعد وصفه بالكمال او على الكتب السابقة ليشهد بصحتها
وانتصابه بمضمر تقديره جعله قيما او على الحال من الضمير فى له او من الكتاب
على ان الواو فى ولم يجعل للحال دون العطف اذ لو كان للعطف لكان
المعطوف فاصلا بين ابعاض المعطوف عليه ولذلك قيل فيه تقديم وتاخير
وقرئ قيما لينذر بأسا شديدا اى لينذر الذين كفروا عذابا شديدا
فحذف المفعول الاول اكتفاء بدلالة القرينة واقتصارا على الغرض المسوق
اليه من لدنه صادرا من عنده وقرأ ابو بكر باسكان الدال اسكان الباء
من سبع مع الاشمام ليدل على اصله وكسر النون لالتقاء الساكنين وكسر الهاء
للاتباع ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا
هو الجنة ماكثين فيه فى الاجر ابدا بلا انقطاع وينذر الذين قالوا
اتخذ الله ولدا خصهم بالذكر وكرر الانذار متعلقا بهم استعظاما لكفرهم
وانما لم يذكر المنذر به استغناء بتقدم ذكره ما لهم به من علم اى بالولد او
باتخاذه او بالقول والمعنى انهم يقولونه عن جهل مفرط وتوهم كاذب
او تقليد لما سمعوه من اوائلهم من غير علم بالمعنى الذى ارادوا به فانهم
كانوا يطلقون الاب والابن بمعنى المؤثر والاثر او بالله اذ لو علموه
لما جوزوا نسبة الاتخاذ اليه ولا لابائهم الذين تقولوه بمعنى التبنى
كبرت كلمة عظمت مقالتهم هذه فى الكفر لما فيها من التشبيه والتشريك وايهام
احتياجه تعالى الى ولد يعينه ويخلفه الى غير ذلك من الزيغ وكلمة نصب
على التمييز وقرئ بالرفع على الفاعلية والاول ابلغ وادل على المقصود
تخرج من افواههم صفة لها تفيد استعظام اجترائهم على اخراجها من

من افواههم والخارج بالذات هو الهواء الحامل لها وقيل صفة محذوف
هو المخصوص بالذم لان كبر هنا بمعنى بئس وقرئ كبرت بالسكون مع الاشمام
ان يقولون الا كذبا فلعلك باخع نفسك قاتلها على اثارهم اذا ولوا
عن الايمان شبهه لما تداخله من الوجد على توليهم بمن فارقته اعزته وهو
يتحسر على اثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم وقرئ باخع نفسك على الاضافة
ان لم يؤمنوا بهذا الحديث بهذا القران اسفا للتاسف عليهم او متاسفا
عليهم والاسف فرط الحزن والغضب وقرئ ان بالفتح على لان فلا يجوز
اعمال باخع الا اذا جعل حكاية حال ماضية انا جعلنا ما على الارض
من الحيوان والنبات والمعادن زينة لها ولاهلها لنبلوهم ايهم احسن عملا
في تعاطيه وهو من زهد فيه ولم يغتر به وقنع منه بما يزجي به ايامه وصرفه
على ما ينبغي وفيه تسكين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وانا لجاعلون
ما عليها صعيدا جرزا تزهيد فيه والجرز الارض التي قطع نباتها من الجرز
وهو القطع والمعنى انا لنعيد ما عليها من الزينة ترابا مستويا بالارض
ونجعله كصعيد املس لا نبات فيه ام حسبت بل احسبت ان اصحاب الكهف
والرقيم في ابقاء حياتهم مدة مديدة كانوا من اياتنا عجبا وقصتهم
بالاضافة الى خلق ما على الارض من الاجناس والانواع الفائتة للحصر
على طبايع متباعدة وهيئات متخالفة تعجب الناظرين من مادة واحدة
ثم ردها اليها ليس بعجيب مع انه من ايات الله كالنزر الحقير والكهف
الغار الواسع في الجبل والرقيم اسم الجبل او الوادي الذي فيه كهفهم
او اسم قريتهم او كلبهم قال امية بن الصلت وليس بها الا الرقيم مجاورا
وصيدهم والقوم في الكهف همدا او لوح رصاصي او حجري رقمت فيه
اسماؤهم وجعلت على باب الكهف وقيل اصحاب الرقيم قوم اخرون
كانوا ثلثة خرجوا يرتادون لاهليهم فاخذتهم السماء فاووا الى الكهف

فانحطت صخرة وسدت بابه فقال احدهم اذكروا ايكم عمل حسنة
لعل الله يرحمنا ببركته فقال واحد استعملت اجراء ذات يوم فجاء رجل
وسط النهار وعمل في بقيته مثل عملهم فاعطيته مثل اجرهم فغضب احدهم
وترك اجره فوضعته في جانب البيت ثم مر بي بقر فاشتريت به فصيلة فبلغت
ما شاء الله فرجع الي بعد حين شيخا ضعيفا لا اعرفه فقال ان لي عندك
حقا وذكره حتى عرفته فدفعتها اليه جميعا اللهم ان كنت فعلت ذلك
لوجهك فافرج عنا فانصدع الجبل حتى راوا الضوء وقال اخر كان لي
فضل واصابت الناس شدة فجاءتني امراة فطلبت مني معروفا فقلت
لا والله ما هو دون نفسك فابت وعادت ثم رجعت ثلثا ثم
ذكرت لزوجها فقال اجيبي له واغيثي عيالك فاتت وسلمت الي نفسها
فلما كشفتها وهممت بها ارتعدت فقلت ما لك فقالت اخاف الله تعالى
فقلت لها خفته في الشدة ولم اخفه في الرخاء فتركتها واعطيتها ملتمسها
اللهم ان كنت فعلته لوجهك فافرج عنا فانصدع حتى تعارفوا وقال
الثالث كان لي ابوان همان وكانت لي غنم وكنت اطعمهما واسقيهما
ثم ارجع الى غنمي فحبسني ذات يوم غيث فلم ارح حتى امسيت فاتيت
اهلي واخذت محلبي فحلبت فيه ومضيت اليهما فوجدتهما نائمين فشق
علي ان اوقظهما فوقفت جالسا ومحلبي على يدي حتى ايقظهما الصبح
فسقيتهما اللهم ان كنت فعلته لوجهك فافرج عنا ففرج الله عنهم
فخرجوا وقد رفع ذلك نعمان بن بشير اذ اوى الفتية الى الكهف يعني
فتية من اشراف الروم ارادهم دقيانوس على الشرك فابوا وهربوا
الى الكهف فقالوا ربنا اتنا من لدنك رحمة توجب لنا المغفرة والرزق
والامن من العدو وهيئ لنا من امرنا من الامر الذي نحن عليه من مفارقة
الكفار رشدا نصير بسببه راشدين مهتدين او اجعل امرنا كله رشدا

كقولك رأيت منك اسدا او اصل التهيئة احداث هيئة الشيء فضربنا
على اذانهم اي ضربنا عليهم حجابا يمنع السماع بمعنى انمناهم انامة
لا تنبههم فيها الاصوات فحذف المفعول كما حذف في قولهم بنى على امرأته
في الكهف سنين ظرفان لضربنا عددا اي ذوات عدد ووصف السنين به
يحتمل التكثير والتقليل فان مدة لبثهم كبعض يوم عنده تعالى ثم بعثناهم
ايقظناهم لنعلم ليتعلق علمنا تعلقا حاليا مطابقا لتعلقه اولا تعلقا
استقباليا اي الحزبين المختلفين منهم او من غيرهم في مدة لبثهم احصى لما لبثوا
امدا ضبط امد الزمان لبثهم وما في اي من معنى الاستفهام علق عنه لنعلم فهو
مبتدأ واحصى خبره وهو فعل ماض وامدا مفعوله ولما لبثوا حال منه او مفعول له
وقيل انه المفعول واللام مزيدة وما موصولة وامدا تمييز وقيل احصى
اسم تفضيل من الاحصاء بحذف الزوائد كقولهم هو احصى للمال وافلس
من ابن المذلق وامدا نصب بفعل دل عليه كقوله واضرب منا بالسيوف
القوانسا نحن نقص عليك نبأهم بالحق بالصدق انهم فتية شبان جمع فتى
كصبي وصبية آمنوا بربهم وزدناهم هدى بالتثبيت وربطنا على قلوبهم
وقويناها بالصبر على هجر الوطن والاهل والمال والجرأة على اظهار الحق
والرد على دقيانوس الجبار اذ قاموا بين يديه فقالوا ربنا رب السموات
والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا والله لقد قلنا
قولا ذا شطط اي ذا بعد عن الحق مفرط في الظلم هؤلاء مبتدأ قومنا عطف بيان
اتخذوا من دونه آلهة خبره وهو اخبار في معنى الانكار لولا يأتون
هلا يأتون عليهم على عبادتهم بسلطان بين ببرهان ظاهر فان الدين
لا يؤخذ الا به وفيه دليل على ان ما لا دليل عليه من الديانات مردود
وان التقليد فيه غير جائز فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا بنسبة الشريك
اليه واذ اعتزلتموهم خطاب بعضهم لبعض وما يعبدون الا الله عطف

على الضمير المنصوب اي واذ اعتزلتم القوم ومعبوديهم الا الله فانهم كانوا
يعبدون الله تعالى ويعبدون الاصنام كسائر المشركين ويجوز ان يكون
ما مصدرية على تقدير واذ اعتزلتموهم وعبادتهم الا عبادة الله تعالى
وان يكون نافية على انه يكون اخبارا من الله تعالى عن الفتية بالتوحيد معترضا
بين اذ وجوابه لتحقيق اعتزالهم فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم يبسط لكم
ويوسع عليكم من رحمته في الدارين ويهيئ لكم من امركم مرفقا ما ترتفقون به
اي تنتفعون به وجزمهم بذلك لنصوع يقينهم وقوة وثوقهم بفضل الله
وقرأ نافع وابن عامر مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء وهو مصدر جاء شاذا
كالمرجع والمحيض فان قياسه الفتح وترى الشمس لو رأيتهم والخطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد اذا طلعت تزاور عن كهفهم
تميل عنه ولا يقع شعاعها عليهم فيؤذيهم لان الكهف كان جنوبيا او لان
الله تعالى زورها عنهم واصله تتزاور فادغمت التاء في الزاي وقرأ
الكوفيون بحذفها وابن عامر ويعقوب تزور كتحمر وقرئ تزوار كتحمار
وكلها من الزور بمعنى الميل ذات اليمين جهة اليمين وحقيقتها الجهة ذات
اسم اليمين واذا غربت تقرضهم تقطعهم وتصرم عنهم ذات الشمال يعني
يمين الكهف وشماله لقوله وهم في فجوة منه اي وهم في متسع من الكهف يعني في وسطه
بحيث ينالهم روح الهواء ولا يؤذيهم كرب الغار ولا حر الشمس وذلك
لان باب الكهف في مقابلة بنات النعش واقرب المشارق والمغارب
الى محاذاته مشرق رأس السرطان ومغربه والشمس اذا كان مدارها
مداره تطلع مائلة عنه مقابلة لجانبه الايمن وهو يلي المغرب وتغرب
محاذية لجانبه الايسر فيقع شعاعها على جنبيه ويحلل عفونته ويعدل
هواءه ولا يقع عليهم فيؤذي اجسادهم ويبلي ثيابهم ذلك من آيات الله
اي شأنهم وايواؤهم الى كهف كذلك او اخبارك قصتهم او ازورار الشمس

وقرضها طالعة وغاربة من آياته من يهد الله بالتوفيق فهو المهتدى
الذى أصاب الفلاح والمراد به إما الثناء عليهم أو التنبيه على أن أمثال
هذه الآيات كثيرة ولكن المنتفع بها من وفقه الله تعالى للتأمل فيها
والاستبصار بها ومن يضلل ومن يخذله فلن تجد له وليا مرشدا
من يليه ويرشده وتحسبهم أيقاظا لانفتاح عيونهم أو لكثرة تقلبهم
وهم رقود نيام ونقلبهم فى رقدتهم ذات اليمين وذات الشمال
كيلا تأكل الأرض ما يليها من أبدانهم على طول الزمان وقرئ ويقلبهم
بالياء والضمير لله تعالى وتقلبهم على المصدر منصوبا بفعل يدل عليه
وتحسبهم أى وترى تقلبهم وكلبهم هو كلب مروا به فتبعهم فطردوه
وأنطقه الله تعالى فقال أنا أحب أحباء الله تعالى فناموا وأنا أحرسكم
أو كلب راع مروا به فتبعهم وتبعه الكلب ويؤيده قراءة من قرأ وكالبهم
أى وصاحب كلبهم باسط ذراعيه حكاية حال ماضية ولذلك أعمل اسم
الفاعل بالوصيد بفناء الكهف وقيل الوصيد الباب وقيل العتبة
لو اطلعت عليهم فنظرت إليهم وقرئ لو اطلعت بضم الواو لوليت منهم فرارا
لهربت منهم وفرارا يحتمل المصدر لأنه نوع من التولية والعلة والحال
ولملئت منهم رعبا خوفا يملأ صدرك لما ألبسهم الله تعالى من الهيبة أو لعظم
أجرامهم وانفتاح عيونهم أو لوحشة مكانهم وعن معاوية أنه غزا
الروم فمر بالكهف فقال لو كشف الله لنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم فقال
له ابن عباس رض ليس لك ذلك قد منع الله تعالى من هو خير منك فقال
لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فلم يسمع وبعث ناسا فلما دخلوا
جاءت ريح فأحرقتهم وقرأ الحجازيان لملئت بالتشديد للمبالغة وابن عامر
والكسائى ويعقوب رعبا بالتثقيل وكذلك بعثناهم وكما أنمناهم
آية على كمال قدرتنا كذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم أى ليسأل بعضهم

بعضا فيتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيزدادوا يقينا على كمال قدرة
الله تعالى ويستبصروا به أمر البعث ويشكروا ما أنعم الله به عليهم قال
قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم بناء على غالب ظنهم
لأن النائم لا يحصى مدة نومه ولذلك أحالوا العلم إلى الله تعالى قالوا
ربكم أعلم بما لبثتم ويجوز أن يكون ذلك قول بعضهم وهذا إنكار الآخرين
عليهم وقيل إنهم دخلوا الكهف غدوة وانتبهوا ظهيرة فظنوا أنهم
فى يومهم أو اليوم الذى بعده قالوا ذلك فلما نظروا إلى طول أظفارهم
وأشعارهم قالوا هذا ثم لما علموا أن الأمر ملتبس لا طريق لهم إلى علمه
أخذوا فيما يهمهم وقالوا فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة
والورق الفضة مضروبة كانت أو غيرها وقرأ أبو بكر وحمزة وأبو عمرو
وروح عن يعقوب بالتخفيف وقرئ بالتثقيل وإدغام القاف
فى الكاف وبالتخفيف مكسور الواو ومدغما أو غير مدغم ورد المدغم
لالتقاء الساكنين على غير حده وحملهم له دليل على أن التزود رأى
المتوكلين والمدينة طرسوس فلينظر أيها أى أهلها أزكى طعاما أحل وأطيب
أو أكثر وأرخص فليأتكم برزق منه وليتلطف وليتكلف اللطف فى المعاملة
حتى لا يغبن أو فى التخفى حتى لا يعرف ولا يشعرن بكم أحدا ولا يفعلن ما يؤدى
إلى الشعور إنهم إن يظهروا عليكم إن يطلعوا عليكم أو يظفروا بكم
والضمير للأهل المقدر فى أيها يرجموكم يقتلوكم بالرجم أو يعيدوكم فى ملتهم
أو يصيروكم إليها كرها من العود بمعنى الصيرورة وقيل كانوا أولا على دينهم
فأسلموا ولن تفلحوا إذا أبدا إن دخلتم فى ملتهم وكذلك أعثرنا عليهم
وكما أنمناهم وبعثناهم لتزداد بصيرتهم أطلعنا عليهم ليعلموا ليعلم الذين
أطلعناهم على حالهم أن وعد الله بالبعث أو الموعود الذى هو البعث حق
لأن نومهم وانتباههم كحال من يموت ثم يبعث وأن الساعة لا ريب فيها

وان القيمة لا ريب في امكانها فان من توفى نفوسهم وامسكها ثلثمائة سنة
حافظا ابدانها عن التحلل والتفتت ثم ارسلها اليها قدر ان يتوفى نفوسهم
اذ يتنازعون ظرف لاعثرنا اي اعثرنا عليهم حين يتنازعون بينهم امرهم
امر دينهم وكان بعضهم يقولون تبعث الارواح مجردة وبعضهم يقولون
تبعثان معا ليرتفع الخلاف وتبين انهما يبعثان معا او امر الفتية حين
اماتهم الله تعالى ثانيا بالموت فقال بعضهم ماتوا وقال آخرون ناموا نومهم
اول مرة وقال بعضهم ابنوا عليهم بنيانا يسكنه الناس ويتخذونه قرية
وقال آخرون لنتخذن عليهم مسجدا يصلى فيه كما قال الله تعالى فقالوا ابنوا
عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا
وقوله ربهم اعلم بهم اعتراض اما من الله تعالى ردا على الخائضين في امرهم
من اولئك المتنازعين او المتنازعين فيهم على عهد الرسول او من المتنازعين
للرد الى الله تعالى بعدما تذاكروا امرهم وتناقلوا الكلام في انسابهم
واحوالهم فلم يتحقق لهم ذلك وحكى ان المبعوث لما دخل في السوق واخرج الدرهم
وكان على الدرهم اسم دقيانوس اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك
وكان نصرانيا موحدا فقص عليه القصص فقال بعضهم ان اباءنا اخبرونا
ان فتية فروا بدينهم من دقيانوس فلعلهم هؤلاء فانطلق الملك واهل المدينة
من مؤمن وكافر وابصروهم وكلموهم ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله
ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم فماتوا فدفنهم
الملك في الكهف وبنى عليهم مسجدا وقيل لما انتهوا الى الكهف قال لهم الفتى
مكانكم حتى ادخل اولا لئلا يفزعوا فدخل فعمي عليهم المدخل فبنوا ثم مسجدا
سيقولون اي الخائضون في قصتهم في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم
من اهل الكتاب والمؤمنين ثلثة رابعهم كلبهم اي هم ثلثة رجال يربعهم
كلبهم بانضمامه اليهم قيل هو قول اليهود وقيل قول السيد من نصارى

نجران كان يعقوبيا ويقولون خمسة سادسهم كلبهم قاله النصارى
او العاقب منهم وكان نسطوريا رجما بالغيب يرمون رميا بالخبر الخفي
الذي لا مطلع لهم عليه واتيانا به او ظنا بالغيب من قولهم رجم بالظن اذا
ظن وانما لم يذكر بالسين اكتفاء بعطفه على ما هو فيه ويقولون سبعة
وثامنهم كلبهم انما قاله المسلمون باخبار الرسول صلى الله عليه وسلم لهم عن
جبرئيل عليه السلام وايماء الله اليه بان اتبعه قوله قل ربي اعلم بعدتهم
ما يعلمهم الا قليل واتبع الاولين قوله رجما بالغيب وبان اتبع العلم بهم
لطائفة بعدما حصر اقوال الطوائف في الثلثة المذكورة فان عدم ايراد
رابع في هذا المحل دليل العدم مع ان الاصل ينفيه ثم رد الاولين بان
اتبعهما قوله رجما بالغيب ليتعين الثالث وبان ادخل فيه الواو على الجملة
الواقعة صفة للنكرة تشبيها لها بالواقعة حالا عن المعرفة لتاكيد لصوق
الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه بها امر ثابت وعن علي رض
سبعة وثامنهم كلبهم اسماؤهم يمليخا ومكشلينا ومشلينا هؤلاء اصحاب
يمين الملك ومرنوش ودبرنوش وشاذنوش اصحاب يساره وكان
يستشيرهم والسابع الراعي الذي وافقهم واسم كلبهم قطمير واسم مدينتهم
افسوس وقيل الاقوال الثلثة لاهل الكتاب والتقليل منهم فلا تمار فيهم
الا مراء ظاهرا فلا تجادل في شان الفتية الا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه
وهو ان تقص عليهم ما في القران من غير تجهيل لهم والرد عليهم ولا تستفت
فيهم منهم احدا ولا تسأل احدا منهم عن قصتهم سؤال مسترشد فان فيما
اوحي اليك لمندوحة عن غيره مع انه لا علم لهم بها ولا سؤال متعنت يريد
تفضيح المسؤول عنه وتزييف ما عنده فانه يخل بمكارم الاخلاق
ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله نهي تاديب
من الله لنبيه حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن اصحاب الكهف

ودّ ذي القرنين فسألوه فقال ائتوني غدا أخبركم ولم يستثن فأبطأ عليه
الوحي بضعة عشر يوما حتى شق عليه وكذبته قريش والاستثناء من النهي
أي لا تقولن لأجل شيء تعزم عليه إني فاعله فيما يستقبل إلا بأن يشاء الله
أي إلا ملتبسا بمشيئته قائلا إن شاء الله أو إلا وقت أن يشاء الله أن تقوله
بمعنى أن يأذن لك فيه ولا يجوز تعليقه بفاعل لأن استثناء اقتران المشيئة
بالفعل غير سديد واستثناء اعتراض دونه لا يناسب النهي واذكر ربك
مشيئة ربك وقل إن شاء الله كما روي أنه لما نزل قال صلى الله عليه وسلم
إن شاء الله تعالى إذا نسيت إذا فرط منك نسيان لذلك ثم تذكرته
وعن ابن عباس رض ولو بعد سنة ما لم يحنث ولذلك جوز تأخير الاستثناء
عنه وعامة الفقهاء على خلافه إذ لو صح ذلك لم يتقرر إقرار ولا طلاق
ولا عتاق ولم يعلم صدق ولا كذب وليس في الآية والخبر أن الاستثناء
المتدارك به من القول السابق بل هو مقدر مدلول به عليه ويجوز أن يكون
المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار إذا نسيت الاستثناء مبالغة
في الحث عليه أو اذكر ربك وعقابه إذا تركت بعض ما أمرك به ليبعثك
على التدارك أو اذكره إذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي
وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا لأقرب رشدا
وأظهر دلالة على أني نبي من نبأ أصحاب الكهف وقد هداه لأعظم من ذلك
كقصص الأنبياء المتباعدة عنه أيامهم والإخبار بالغيوب والحوادث
النازلة في الأعصار المستقبلة إلى قيام الساعة أو لأقرب رشدا
وأدنى خيرا من المنسي ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا
يعني لبثهم فيه أحياء مضروبا على آذانهم وهو بيان لما أجمل قبله وقيل
إنه حكاية كلام أهل الكتاب فإنهم اختلفوا في مدة لبثهم كما اختلفوا
في عدتهم فقال بعضهم ثلاثمائة وقال بعضهم ثلاثمائة وتسع سنين وقرأ

حمزة والكسائي ثلاثمائة سنين بالإضافة على وضع الجمع موضع الواحد
ويحسنه أن علامة الجمع ههنا فيها جبر لما حذف من الواحد وأن الأصل في العدد
إضافته إلى الجمع ومن لم يضف أبدل السنين من ثلاث قل الله أعلم بما لبثوا
له غيب السموات والأرض له ما غاب فيهما وخفي من أحوال أهلهما فلا خلق
يخفى عليه علما أبصر به وأسمع ذكر بصيغة التعجب للدلالة على أن أمره في
الإدراك خارج عما عليه إدراك السامعين والمبصرين إذ لا يحجبه شيء
ولا يتفاوت دونه لطيف وكثيف وصغير وكبير وخفي وجلي والهاء
يعود إلى الله تعالى ومحله الرفع على الفاعلية والباء زائدة عند سيبويه
وكان أصله أبصر أي صار ذا بصر ثم نقل إلى صيغة الأمر بمعنى الإنشاء
فبرز الضمير لعدم لياقة الصيغة له أو لزيادة الباء كما في قوله وكفى به
والنصب على المفعولية عند الأخفش والفاعل ضمير المأمور وهو كل أحد
والباء مزيدة إن كانت الهمزة للتعدية ومعدية إن كانت للصيرورة ما لهم
الضمير لأهل السموات والأرض من دونه من ولي من يتولى أمورهم ولا يشرك
في حكمه في قضائه أحدا منهم ولا يجعل له فيه مدخلا وقرأ ابن عامر وقالون
عن يعقوب بالتاء والجزم على نهي كل أحد عن الإشراك ثم لما دل اشتمال
القرآن على قصة أهل الكهف من حيث إنها من المغيبات بالإضافة إلى
الرسول صلى الله عليه وسلم على أنه وحي معجز أمره بأن يداوم درسه ويلازم
أصحابه فقال واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك من القرآن ولا تسمع
لقولهم ائت بقرآن غير هذا أو بدله لا مبدل لكلماته لا أحد يقدر على تبديلها
وتغييرها غيره ولن تجد من دونه ملتحدا ملتجأ تعدل إليه إن هممت به
واصبر نفسك واحبسها وثبتها مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي
في مجامع أوقاتهم أو في طرفي النهار وقرأ ابن عامر بالغدوة وفيه أن
غدوة علم في الأكثر فيكون اللام فيه على تأويل التنكير يريدون وجهه

رضاء الله وطاعته ولا تعد عيناك اي ولا تجاوزهم نظرك الى غيرهم
وتعديته بعن لتضمينه معنى نبا وقرئ ولا تعد عينيك ولا تعد من اعداه
وعداه والمراد نهي الرسول صلى الله عليه وسلم ان يزدري بفقراء المؤمنين
وتعدو عيناه عن رثاثة زيهم طموحا الى طراوة زي الاغنياء تريد زينة
الحيوة الدنيا حال من الكاف في المشهور ومن المستكن في الفعل في
غيره ولا تطع من اغفلنا قلبه من جعلنا قلبه غافلا عن ذكرنا كامية
بن خلف في دعائك الى طرد الفقراء عن مجلسك بصناديد قريش وفيه
تنبيه على ان الداعي له الى هذا الاستدعاء غفلة قلبه عن المعقولات
وانهماكه في المحسوسات حتى خفي عليه ان الشرف بتحلية النفس لا بزينة الجسد
وانه لو اطاعه كان مثله في الغباوة والمعتزلة لما غاظهم اسناد الاغفال
الى الله تعالى قالوا انه مثل احبسته اذا وجدته كذلك او نسبته اليه
او من اغفل ابله اذا تركها بغير سمة اي لم نسمه بذكرنا كقلوب الذين كتبنا
في قلوبهم الايمان واحتجوا على ان المراد ليس ظاهر ما ذكروا ولا بقوله
واتبع هواه وجوابه ما مر غير مرة وقرئ واغفلنا باسناد الفعل الى
القلب على معنى حسبنا قلبه غافلين عن ذكرنا اياه بالمؤاخذة وكان
امره فرطا اي متقدما على الحق ونبذا له وراء ظهره يقال فرس فرط اي متقدم
للخيل ومنه الفرط وقل الحق من ربكم الحق ما يكون من جهة الله لا ما يقتضيه
الهوى ويجوز ان يكون الحق خبر مبتدأ محذوف ومن ربكم حالا فمن شاء
فليؤمن ومن شاء فليكفر لا ابالي بايمان من آمن وكفر من كفر وهو لا يقتضي
استقلال العبد بفعله فانه وان كان بمشيئته فمشيئته ليست بمشيئته
انا اعتدنا هيأنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها فسطاطها شبه به
ما يحيط بهم من النار وقيل السرادق الحجرة التي تكون حول الفسطاط وقيل
سرادقها دخانها وحائط من نار وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل كالنحاس

المذاب

المذاب وقيل كدردي الزيت وهو على طريقة قوله فاعتبوا بالصيلم
يشوي الوجوه اذا قدم ليشرب من فرط حرارته وهو صفة ثانية لماء
او حال من المهل والضمير في الكاف بئس الشراب المهل وساءت النار
مرتفقا متكأ واصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد وهو لمقابلة
قوله وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار ان الذين امنوا وعملوا
الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا خبر ان الاولى هي الثانية بما في
حيزها والراجع محذوف تقديره من احسن عملا منهم او مستغنى عنه لعموم
من احسن عملا كما هو مستغنى عنه في قولك نعم الرجل زيد او واقع موقعه
الظاهر فان من احسن عملا على الحقيقة لا يحسن اطلاقه الا على الذين
امنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الانهار
وما بينهما اعتراض وعلى الاستيناف لبيان الاجر وخبر ثان يحلون
فيها من اساور من ذهب من الاولى للابتداء والثانية للبيان صفة
لاساور وتنكيرها لتعظيم حسنها من الاحاطة به وهو جمع اسورة او اسور
في جمع سوار ويلبسون ثيابا خضرا لان الخضرة احسن الالوان واكثرها
طراوة من سندس واستبرق مما رق من الديباج وما غلظ منه جمع
بين النوعين للدلالة على ان فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين متكئين
فيها على الارائك على السرر كما هو هيئة المتنعمين نعم الثواب الجنة ونعيمها
وحسنت الارائك مرتفقا متكأ واضرب لهم مثلا للكافر والمؤمن رجلين
حال رجلين مقدرين او موجودين هما اخوان من بني اسرائيل كافر اسمه قطروس
ومؤمن اسمه يهوذا ورثا من ابيهما ثمانية الاف دينار فتشاطرا
فاشترى الكافر بها ضياعا وعقارا وصرف المؤمن في وجوه الخير وآل
امرهما الى ما حكاه الله تعالى وقيل الممثل لهما اخوان من بني مخزوم
كافر وهو الاسود بن عبد الاسد ومؤمن وهو ابو سلمة عبد الله زوج

ام سلمة

قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلنا لاحدهما جنتين بستانين من اعناب
من الكروم والجملة بتمامها بيان للتمثيل او صفة للرجلين وحففناهما بنخل
وجعلنا النخل محيطة بهما مؤزرا بها كرومهما يقال حفه القوم اذا طافوا
به وحففته بهم اذا جعلتهم حافين حوله فتزيده الباء مفعولا ثانيا كقولك
غشيته به وجعلنا بينهما وسطهما زرعا ليكون كل منهما جامعا للاقوات
والفواكه متواصل العمارة على الشكل الحسن والترتيب الانيق كلتا الجنتين
آتت اكلها ثمرها وافراد الضمير لافراد كلتا وقرئ كل الجنتين آتى اكله ولم تظلم
ولم تنقص من اكلها شيئا يعهد في سائر البساتين فان الثمار تتم في عام وتنقص
في عام غالبا وفجرنا خلالهما نهرا ليدوم شربهما فانه الاصل ويزيد بهاؤهما
وعن يعقوب وفجرنا بالتخفيف وكان له ثمر انواع من المال سوى الجنتين من ثمر
ماله اذا كثره وقرأ عاصم بفتح الثاء والميم وابو عمرو بضم الثاء واسكان
الميم والباقون بضمهما وكذلك في قوله واحيط بثمره فقال لصاحبه وهو
يحاوره يراجعه في الكلام من حار اذا رجع انا اكثر منك مالا واعز نفرا حشما
واعوانا وقيل اولادا ذكورا لانهم الذين ينفرون معه ودخل جنته بصاحبه
يطوف به فيها ويفاخره بها وافراد الجنة بعد التثنية لان المراد ما هو جنته
وهي ما متع به من الدنيا تنبيها على انه لا جنة له غيرها ولا حظ له في الجنة
التي وعد المتقون او لاتصال كل واحدة من جنتيه بالاخرى او لان الدخول
يكون في واحدة واحدة وهو ظالم لنفسه ضار لها بعجبه وكفره قال ما اظن
ان تبيد ان تفنى هذه اي الجنة ابدا لطول امله وتمادي غفلته واغتراره
بمهلته وما اظن الساعة قائمة كائنة ولئن رددت الى ربي بالبعث
كما زعمت لاجدن خيرا منها من جنته وقرأ الحجازيان والشامي منهما اي من
الجنتين منقلبا مرجعا وعاقبة لانها فانية وتلك باقية وانما اقسم على
ذلك لاعتقاده انه تع انما اولاه ما اولاه لاستئهاله واستحقاقه اياه

لذاته وهو معه اينما يلقاه قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت
بالذي خلقك من تراب لانه اصل مادتك او مادة اصلك ثم من نطفة
فانها مادتك القريبة ثم سواك رجلا ثم عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا
مبلغ الرجال جعل كفره بالبعث كفرا بالله تعالى لان منشأه الشك في كمال
قدرة الله ولذلك رتب الانكار على خلقه اياه من التراب فان من قدر
على بدء خلقه منه قدر ان يعيده منه لكنا هو الله ربي ولا اشرك
بربي احدا اصله لكن انا فحذفت الهمزة بنقل الحركة او دونه فتلاقت
النونان فكان الادغام واجبا وقرأ ابن عامر ويعقوب في رواية
بالالف في الوصل لتعويضها من الهمزة او لاجراء الوصل مجرى الوقف
وقد قرئ لكن انا على الاصل وهو ضمير الشأن وهو بالجملة الواقعة خبرا
له خبر انا او ضمير الله والله بدله وربي خبره والجملة خبر انا والاستدراك
من اكفرت كانه قال انت كافر بالله لكني مؤمن به وقد قرئ لكن هو الله
ربي ولكن انا لا اله الا هو ربي ولولا اذ دخلت جنتك قلت وهلا
قلت عند دخولها ما شاء الله الامر ما شاء الله او ما شاء الله كائن على ان
ما موصولة او اي شيء شاء الله كان على انها شرطية والجواب محذوف
اقرارا بانها وما فيها بمشيئة الله ان شاء ابقاها وان شاء ابادها
لا قوة الا بالله وقلت لا قوة الا بالله اعترافا بالعجز على نفسك والقدرة
لله تعالى وان ما تيسر لك من عمارتها وتدبير امرها فبمعونته واقداره
عن النبي صلى الله عليه وسلم من رأى شيئا فاعجبه فقال ما شاء الله لا قوة
الا بالله لم يضره ان ترن انا اقل منك مالا وولدا يحتمل ان يكون
انا فصلا وان يكون تأكيدا للمفعول الاول وقرئ اقل بالرفع على
انه خبر انا والجملة مفعول ثان لترن وفي قوله وولدا دليل لمن فسر
النفر بالاولاد فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك في الدنيا او في الآخرة

لا يأتي وهو جواب الشرط ويرسل عليها على جنتك لكفرك حسبانا من السماء
مرامي جمع حسبانة وهي الصواعق وقيل هو مصدر بمعنى الحساب والمراد به
التقدير بتخريبها او عذاب حساب الاعمال السيئة فتصبح صعيدا زلقا
ارضا ملساء تزلق عليها باستيصال نباتها واشجارها او يصبح ماؤها
غورا غائرا في الارض مصدر وصف به كالزلق فلن تستطيع له طلبا
للماء الغائر ترددا في رده واحيط بثمره واهلك امواله حسب ما توقعه
صاحبه وانذره منه وهو مأخوذ من احاط به العدو فانه اذا احاط به
غلبه واذا غلبه اهلكه ونظيره اتى عليه اذا اهلكه من اتى عليه العدو
اذا جاءهم مستعليا عليهم فاصبح يقلب كفيه ظهرا لبطن تلهفا وتحسرا
على ما انفق فيها في عمارتها وهو متعلق بيقلب لان تقليب الكفين
كناية عن الندم فكانه قيل فاصبح يندم او حال اي متحسرا على ما انفق فيها
وهي خاوية ساقطة على عروشها بان سقطت عروشها على الارض وسقطت
الكروم فوقها ويقول عطف على يقلب او حال من ضميره يا ليتني لم اشرك
بربي احدا كانه تذكر موعظة اخيه وعلم انه اتى من قبل شركه فتمنى لو لم يكن
مشركا فلم يهلك الله بستانه ويحتمل ان يكون توبة من الشرك او ندما على
ما سبق منه ولم تكن له فئة وقرأ حمزة والكسائي بالياء ينصرونه
يقدرون على نصره بدفع الاهلاك او رد المهلك او الاتيان بمثله
من دون الله فانه القادر على ذلك وحده وما كان منتصرا وما كان
ممتنعا بقوته عن انتقام الله تعالى منه هنالك في ذلك المقام وتلك الحال
الولاية لله الحق النصرة له وحده لا يقدر عليها غيره تقرير لقوله
ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله او ينصر فيها اولياءه المؤمنين على
الكفرة كما نصر فيما فعل بالكافر اخاه المؤمن ويعضده قوله هو خير
ثوابا وخير عقبا اي لاوليائه وقرأ حمزة والكسائي الولاية بالكسر

ومعناها السلطان والملك اي هنالك السلطان له لا يغلب ولا
يمنع منه او لا يعبد غيره كقوله تعالى واذا ركبوا في الفلك دعوا الله
مخلصين له الدين فيكون تنبيها على ان قوله يا ليتني لم اشرك كان عن
اضطرار وجزع مما دهاه وقيل هنالك اشارة الى الاخرة وقرأ
حمزة والكسائي الحق بالرفع صفة للولاية وقرئ بالنصب على المصدر
المؤكد وقرأ حمزة وعاصم عقبا بالسكون وقرئ عقبى وكلها بمعنى
العاقبة واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا اذكر لهم ما تشبه الحيوة الدنيا
في زهرتها وسرعة زوالها او صفتها الغريبة كماء هو كماء ويجوز ان يكون
مفعولا ثانيا لاضرب على انه بمعنى صير انزلناه من السماء فاختلط به
نبات الارض فالتف بسببه وخالط بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه
او نجع في النبات حتى روي ورف وعلى هذا كان حقه فاختلط
بنبات الارض لكن لما كان كل من المختلطين موصوفا بصفة صاحبه
عكس للمبالغة في كثرته فاصبح هشيما مهشوما مكسورا تذروه
الرياح تفرقه وقرئ تذريه من اذرى والمشبه به ليس الماء ولا حاله
بل الكيفية المنتزعة من الجملة وهي حال النبات المنبت بالماء يكون اخضر
ثم هشيما فتطيره الرياح فيصير كان لم يكن وكان الله على كل شيء من
الافناء والانشاء مقتدرا قادرا المال والبنون زينة الحيوة الدنيا
يتزين بها الانسان في دنياه ويفنى عنه عما قريب والباقيات
الصالحات واعمال الخيرات التي تبقى له ثمرتها ابد الآباد ويندرج
فيما فسرت به من الصلوات الخمس واعمال الحج وصيام رمضان وسبحان الله
والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر والكلام الطيب خير عند ربك
من المال والبنين ثوابا عائدة وخير املا لان صاحبها ينال بها في الآخرة
ما كان يأمل بها في الدنيا ويوم نسير الجبال واذكر يوم نقلعها ونسيرها

في الجو او يذهب بها فيجعلها هباء منبثا ويجوز عطفه على عند ربك
اي الباقيات الصالحات خير عند ربك ويوم القيمة وقرأ ابن كثير وابو عمرو
وابن عامر بالتاء والبناء للمفعول وقرئ تسير من سارت وترى الارض
بارزة بادية برزت من تحت الجبال ليس عليها ما يسترها وقرئ ترى
على بناء المفعول وحشرناهم وجمعناهم الى الموقف ومجيئه ماضيا بعد نسير
وترى لتحقيق الحشر او للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير ليعاينوا ويشاهدوا
ما وعد لهم وعلى هذا يكون الواو للحال باضمار قد فلم نغادر فلم نترك
منهم احدا يقال غادره واغدره اذا تركه ومنه الغدر لترك الوفاء
والغدير لما غادره السيول وقرئ بالياء وعرضوا على ربك شبه حالهم بحال
الجند المعروضين على السلطان لا ليعرفهم بل ليأمر فيهم صفا مصطفين
لا يحجب احد احدا لقد جئتمونا على اضمار القول على وجه يكون حالا
او عاملا في يوم نسير كما خلقناكم اول مرة عراة لا شيء معكم من المال
والولد لقوله ولقد جئتمونا فرادى او احياء كخلقتكم الاولى لقوله
بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا وقتا لانجاز الوعد بالبعث والنشور
وان الانبياء عليهم السلام كذبوكم به وبل للخروج من قصة الى اخرى
ووضع الكتاب صحائف الاعمال في الايمان والشمائل او في الميزان وقيل
هو كناية عن وضع الحساب فترى المجرمين مشفقين خائفين مما فيه من الذنوب
ويقولون يا ويلتنا ينادون هلكتهم التي هلكوها من بين الهلكات
ما لهذا الكتاب تعجب من شأنه لا يغادر صغيرة معصية ولا كبيرة
الا احصاها الا عدها واحاط بها ووجدوا ما عملوا حاضرا مكتوبا
في الصحف ولا يظلم ربك احدا فيكتب عليه ما لم يفعل او يزيد في عقابه
الملائم لعمله واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس
كرر في مواضع لكونه مقدمة للامور المقصود بيانها في تلك المحال

او هنا

أو هنا لما شنع على المفتخرين واستقبح صنيعهم قرر ذلك بانه من سنن
ابليس او لما بين حال المغرور بالدنيا والمعرض عنها وكان سبب الاغترار بها
حب الشهوات وتسويل الشيطان زهدهم اولا في زخارف الدنيا بانها
عرضة الزوال والاعمال الصالحة خير وابقى من انفسها واعلاها ثم نفرهم
بتذكير ما بينهم من العداوة القديمة وهكذا مذهب كل تكرير في القرآن
كان من الجن حال باضمار قد او استئناف للتعليل كأنه قيل ما له لم يسجد
فقيل كان من الجن ففسق عن امر ربه فخرج عن امره بترك السجود والفاء
للتسبيب وفيه دليل على ان الملك لا يعصى البتة وانما عصى ابليس لانه
كان جنيا في اصله والكلام المستقصى فيه في سورة البقرة افتتخذونه
اعقيب ما وجد منه تتخذونه والهمزة للانكار والتعجب وذريته اولاده
او اتباعه وسماهم ذريته مجازا اولياء من دوني فتستبدلونهم فتطيعونهم
بدل طاعتي وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا من الله ابليس وذريته ما اشهدتهم
خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم نفي احضار ابليس وذريته خلق السموات
والارض واحضار بعضهم خلق بعض ليدل على نفي الاعتضاد بهم في ذلك
كما صرح به بقوله وما كنت متخذ المضلين عضدا اي اعوانا ردا لاتخاذهم
اولياء من دون الله شركاء له في العبادة فان استحقاق العبادة من توابع
الخالقية والاشتراك فيه يستلزم الاشتراك فيها فوضع المضلين موضع
الضمير ذما لهم واستبعادا للاعتضاد بهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى
ما اشهدتهم خلق ذلك وما خصصتهم بعلوم لا يعرفها غيرهم حتى لو امنوا
تبعهم الناس كما يزعمون فلا يلتفت الى قولهم طمعا في نصرتهم للدين فانه
لا ينبغي لي ان اعتضد بالمضلين لديني ويعضده قراءة من قرأ وما كنت على خطاب
الرسول صلى الله عليه وسلم وقرئ متخذا المضلين على الاصل وعضدا بالتخفيف
وعضدا بالاتباع وعضدا كخدم جمع عاضد من عضده اذا قواه ويوم

عن الشيطان ٣

يقول اى الله للكافر وقرأ حمزة بالنون نادوا شركائى الذين زعمتم انهم
شركائى او شفعاؤكم ليمنعوكم من عذابى واضافة الشركاء على زعمهم
للتوبيخ والمراد ما عبد من دونه وقيل ابليس وذريته فدعوهم فنادوهم
للاغاثة فلم يستجيبوا لهم فلم يغيثوهم وجعلنا بينهم بين الكفار وآلهتهم
موبقا مهلكا يشتركون فيه وهو النار او عداوة هى فى شدتها هلاك
كقول عمر رض لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا اسم مكان او مصدر
من وبق يوبق وبقا اذا هلك وقيل البين الوصل اى وجعلنا تواصلهم
فى الدنيا هلاكا يوم القيمة ورأى المجرمون النار فظنوا فايقنوا انهم
مواقعوها مخالطوها واقعون فيها ولم يجدوا عنها مصرفا انصرافا او
مكانا ينصرفون اليه ولقد صرفنا فى هذا القران للناس من كل مثل من
كل جنس يحتاجون اليه وكان الانسان اكثر شئ يتأتى منه الجدل جدلا
خصومة بالباطل وانتصابه على التمييز وما منع الناس ان يؤمنوا من الايمان
اذ جاءهم الهدى وهو الرسول الداعى او القران المبين ويستغفروا ربهم
ومن الاستغفار عن الذنوب الا ان تأتيهم سنة الاولين الا طلب
او انتظار ان تأتيهم سنة الاولين وهو الاستيصال فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه او يأتيهم العذاب عذاب الآخرة قبلا عيانا
وقرأ الكوفيون قبلا بضمتين وهو لغة فيه او جمع قبيل بمعنى انواع وقرئ
بفتحتين وهو ايضا لغة يقال لقيته مقابلة وقبلا وقبلا وقبلا وقبليا وانتصابه
على الحال من الضمير او العذاب وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين
للمؤمنين والكافرين ويجادل الذين كفروا بالباطل باقتراح الآيات
بعد ظهور المعجزات والسؤال عن قصة اصحاب الكهف ونحوها تعنتا ليدحضوا به
ليزيلوا بالجدال الحق عن مقره ويبطلوه من ادحاض القدم وهو ازلاقها
وذلك قولهم للرسل عليهم السلام ما انتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل

ملائكة

ملائكة ونحو ذلك واتخذوا آياتى يعنى القران وما انذروا وانذارهم
او والذى انذروا به من العقاب هزوا استهزاء وقرئ هزوا بالسكون
وهو ما استهزئ به ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه بالقران فاعرض عنها لم يتدبرها
ولم يتذكر بها ونسى ما قدمت يداه من الكفر والمعاصى فلم يتفكر فى عاقبتها
انا جعلنا على قلوبهم اكنة تعليل لاعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع
على قلوبهم ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه وتذكير الضمير وافراده للمعنى
وفى آذانهم وقرا يمنعهم ان يستمعوه حق استماعه وان تدعهم الى الهدى فلن
يهتدوا اذا ابدا تحقيقا ولا تقليدا لانهم لا يفقهون ولا يسمعون واذا
كما عرفت جزاء وجواب للرسول على تقدير قوله مالى لا ادعوهم فان حرصه
على اسلامهم يدل عليه وربك الغفور البليغ المغفرة ذو الرحمة الموصوف
بالرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب استشهاد على ذلك بامهال قريش
مع افراطهم فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم بل لهم موعد وهو يوم بدر
او يوم القيمة لن يجدوا من دونه موئلا ملجأ يقال وأل اذا نجا ووأل اليه
اذا لجأ اليه وتلك القرى يعنى قرى عاد وثمود واشباههم واضرابهم وتلك
مبتدأ خبره اهلكناهم او مفعول مضمر مفسر به والقرى صفته ولا بد من
تقدير مضاف فى احدهما ليكون مرجع الضمائر لما ظلموا كقريش بالتكذيب
والمراد انواع المعاصى وجعلنا لمهلكهم موعدا لاهلاكهم وقتا معلوما
لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون فليعتبروا بهم ولا يغتروا بتأخير
العذاب عنهم وقرأ ابو بكر لمهلكهم بفتح الميم واللام اى هلاكهم وحفص
بكسر اللام حملا على ما شذ من مصادر يفعل كالمرجع والمحيض واذ قال
موسى مقدر باذكر لفتاه يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف عليهم السلام
فانه كان يخدمه ويتبعه ولذلك سماه فتاه وقيل لعبده لا ابرح لا ازال
اسير فحذف الخبر لدلالة حاله عليه وهو السفر وقوله حتى ابلغ مجمع البحرين

من حيث انها تشتمل على ذلك وعلى غاية عليه ويجوز ان يكون اصله لا يبرح مسيرى
حتى ابلغ هو الخبر فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب
الضمير والفعل وان يكون لا ابرح بمعنى لا ازول عما انا عليه من السير والطلب
ولا افارقه فلا يستدعى الخبر ومجمع البحرين ملتقى بحرى فارس والروم مما
يلى المشرق وعد موسى لقاء الخضر فيه وقيل البحران موسى والخضر عليهما السلام
فان موسى كان بحر علم الظاهر والخضر كان بحر علم الباطن وقرئ مجمع بكسر
الميم على الشذوذ من يفعل كالمشرق والمطلع او امضى حقبا او اسير
زمانا طويلا والمعنى حتى يقع اما بلوغ المجمع او مضى الحقب او حتى ابلغ
الا ان امضى زمانا اتيقن فوات المجمع والحقب الدهر وقيل ثمانون سنة
وقيل سبعون روى ان موسى عليه السلام خطب الناس بعد هلاك القبط
ودخوله مصر خطبة بليغة فاعجب بها فقيل له هل تعلم احدا اعلم منك
فقال لا فاوحى الله تعالى اليه بل عبدنا الخضر وهو بمجمع البحرين وكان
الخضر فى ايام افريدون وكان على مقدمة ذى القرنين الاكبر وبقى الى
ايام موسى وقيل ان موسى عليه السلام سأل ربه اى عبادك احب اليك قال
الذى يذكرنى ولا ينسانى قال فاى عبادك اقضى قال الذى يقضى
بالحق ولا يتبع الهوى قال فاى عبادك اعلم قال الذى يبتغى علم الناس
الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى او ترده عن ردى فقال
ان كان فى عبادك اعلم منى فادللنى عليه قال اعلم منك الخضر قال اين
اطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال كيف لى به قال تاخذ حوتا فى
مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرنى
فذهبا يمشيان فلما بلغا مجمع بينهما اى مجمع البحرين وبينهما ظرف اضيف اليه
على الاتساع او بمعنى الوصل نسيا حوتهما نسى موسى عليه السلام ان يطلبه
ويتعرف حاله ويوشع ان يذكر له ما رأى من حيوته ووقوعه فى البحر

روى ان موسى عليه السلام رقد فاضطرب الحوت المشوى ووثب
فى البحر معجزة لموسى عليه السلام او الخضر وقيل توضأ يوشع من عين الحيوة
فانتضح الماء عليه فعاش ووثب فى الماء وقيل نسيا تفقد امره وما يكون
منه امارة على الظفر بالمطلوب فاتخذ سبيله فى البحر سربا فاتخذ الحوت
طريقه فى البحر مسلكا من قوله وسارب بالنهار وقيل امسك الله جرية الماء
على الحوت فصار كالطاق عليه ونصبه على المفعول الثانى وفى البحر حال منه
او من السبيل ويجوز تعلقه باتخذ فلما جاوزا مجمع البحرين قال لفتاه آتنا
غداءنا ما نتغدى به لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قيل لم ينصب حتى جاوز الموعد
فلما جاوزه وسار الليلة والغد الى الظهر القى عليه الجوع والنصب
وقيل لم يعى موسى فى سفر غيره ويؤيده التقييد باسم الاشارة قال
ارأيت اذ اوينا ارأيت ما دهانى اذ اوينا الى الصخرة يعنى الصخرة التى
رقد عندها موسى عليه السلام وقيل هى الصخرة التى دون نهر الزيت
فانى نسيت الحوت فقدته او نسيت ذكره بما رأيت منه وما انسانيه
الا الشيطان ان اذكره اى وما انسانى ذكره الا الشيطان فان ان اذكره
بدل من الضمير وقرئ ان اذكركه وهو اعتذار عن نسيانه بشغل
الشيطان بوساوسه والحال وان كانت عجيبة لا ينسى مثلها لكنه لما
ضرى بمشاهدة امثالها عند موسى عليه السلام والفها قل اهتمامه بها
ولعله نسى ذلك لاستغراقه فى الاستبصار وانجذاب شراشره الى جناب
القدس بما عراه من مشاهدة الآيات الباهرة وانما نسبه الى الشيطان
هضما لنفسه او لان عدم احتمال القوة للجانبين واشتغالها باحدهما
عن الآخر يعد من نقصان صاحبها واتخذ سبيله فى البحر عجبا سبيلا
عجبا وهو كونه كالسرب او اتخاذا عجبا والمفعول الثانى هو الظرف
وقيل هو مصدر فعله المضمر اى قال فى آخر كلامه او موسى عليه السلام

في جوابه عجبا تعجبا من تلك الحال وقيل الفعل لموسى عليه السلام اي
اتخذ موسى سبيل الحوت في البحر عجبا قال ذلك اي امر الحوت ما كنا نبغي
نطلب لانه امارة المطلوب فارتدا على آثارهما فرجعا في الطريق الذي
جاءا فيه قصصا يقصان قصصا اي يتبعان آثارهما اتباعا او مقتصين
حتى اتيا الصخرة فوجدا عبدا من عبادنا الجمهور على انه الخضر واسمه
بليا بن ملكان وقيل اليسع وقيل الياس آتيناه رحمة من عندنا هي الوحي
والنبوة وعلمناه من لدنا علما مما يختص بنا ولا يعلم الا بتوفيقنا وهو علم
الغيوب قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن على شرط ان تعلمني وهو في
موضع الحال من الكاف مما علمت رشدا علما ذا رشد وهو اصابة الخير
وقرأ البصريان بفتحتين وهما لغتان كالبخل والبخل وهو مفعول تعلمني
ومفعول علمت العائد المحذوف وكلاهما منقولان من علم الذي له مفعول
واحد ويجوز ان يكون علة لاتبعك او مصدرا باضمار فعله ولا ينافي
نبوته وكونه صاحب شريعة ان يتعلم من غيره ما لم يكن شرطا من ابواب الدين
فان الرسول ينبغي ان يكون اعلم ممن ارسل اليه فيما بعث به من اصول الدين
وفروعه لا مطلقا وقد راعى في ذلك غاية التواضع والادب فاستجهل
نفسه واستأذن ان يكون تابعا له وسأل منه ان يرشده وينعم عليه
بتعليم بعض ما انعم الله تعالى عليه قال انك لن تستطيع معي صبرا نفى عنه
استطاعة الصبر معه على وجوه من التاكيد كانه مما لا يصح ولا يستقيم
وعلل ذلك واعتذر عنه بقوله وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا اي كيف
تصبر وانت نبي على ما اتولى من امور ظاهرها مناكير وبواطنها لم يحط به
خبرك وخبرا تمييز او مصدر لان لم تحط به بمعنى لم تخبره قال ستجدني ان
شاء الله صابرا معك غير منكر عليك ولا اعصي لك امرا عطف على صابرا
اي ستجدني صابرا وغير عاص او على ستجدني وتعليق الوعد بالمشيئة

اما للتيمن او لعلمه بصعوبة الامر فان مشاهدة الفساد والصبر على خلاف
المعتاد شديد فلا يتخلف فيه وفيه دليل على ان افعال العباد واقعة
بمشيئة الله تعالى قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء فلا تفاتحني بالسؤال
عن شيء انكرته مني ولم تعلم وجه صحته حتى احدث لك منه ذكرا حتى ابتدئ
بك ببيانه وقرأ نافع وابن عامر فلا تسألني بالنون الثقيلة فانطلقا
على الساحل يطلبان السفينة حتى اذا ركبا في السفينة خرقها اخذ الفأس
الخضر فخرق السفينة بان قلع لوحين من الواحها قال اخرقتها لتغرق
اهلها فان خرقها سبب لدخول الماء فيها المفضي الى غرق اهلها وقرئ
لتغرق بالتشديد للتكثير وقرأ حمزة والكسائي ليغرق اهلها على اسناده
الى الاهل لقد جئت شيئا امرا اتيت امرا عظيما من امر الامر اذا عظم
قال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا تذكير لما ذكره قبل قال لا تؤاخذني
بما نسيت بالذي نسيته او بشيء نسيته يعني وصيته بان لا يعترض عليه او
بنسياني اياها وهو اعتذار بالنسيان اخرجه عن معرض النهي عن المؤاخذة
مع قيام المانع لها وقيل اراد بالنسيان الترك اي لا تؤاخذني بما تركت
من وصيتك اول مرة وقيل انه من معاريض الكلام والمراد شيء آخر نسيه
ولا ترهقني من امري عسرا ولا تغشني عسرا بالمضايقة والمؤاخذة على
المنسي فان ذلك يعسر علي متابعتك وعسرا مفعول ثان لترهق فانه يقال
رهقه اذا غشيه وارهقه اياه وقرئ عسرا بضمتين فانطلقا بعدما
خرجا من السفينة حتى اذا لقيا غلاما فقتله قيل فتل عنقه وقيل ضرب
براسه الحائط وقيل اضجعه فذبحه والفاء للدلالة على انه لما لقيه قتله
من غير تروٍ واستكشاف حال ولذلك قال اقتلت نفسا زكية بغير نفس
اي طاهرة من الذنوب وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ورويس
عن يعقوب زاكية والاول ابلغ قال ابو عمرو والزاكية التي لم تذنب

قط واو زكية التي اذنبت ثم غفرت ولعله اختار الاولى لذلك فانها
كانت صغيرة ولم تبلغ الحلم او انه لم يرها قد اذنبت ذنبا يقتضي قتلها
او قتلت نفسا فتقاد بها نبه به على ان القتل انما يباح حدا او قصاصا
وكلا الامرين منتف ولعل تغيير النظم بان جعل خرقها جزاء واعتراض
موسى مستانفا وفي الثانية قتله من جملة الشرط واعتراضه جزاء لان
القتل اقبح والاعتراض عليه ادخل فكان جديرا بان يجعل عمدة الكلام
ولذلك فصله بقوله لقد جئت شيئا نكرا اي منكرا وقرا نافع في رواية
قالون وورش ويعقوب وابو بكر نكرا بضمتين قال الم اقل لك انك
لن تستطيع معي صبرا زاد فيه لك مكافحة بالعتاب على رفض الوصية
ووسما بقلة الصبر والثبات لما تكرر منه الاشمئزاز والاستنكار
ولم يرعو بالتذكير اول مرة حتى زاد في الاستنكار ثاني مرة قال ان
سالتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني وان سالت صحبتك وعن يعقوب
فلا تصحبني اي فلا تجعلني صاحبك قد بلغت من لدني عذرا قد وجدت
عذرا من قبلي لما خالفتك ثلث مرات وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
رحم الله اخي موسى استحيى فقال ذلك لو لبث مع صاحبه لابصر اعجب
الاعاجيب وقرا نافع لدني بضم الدال وتخفيف النون والاكتفاء
بها عن نون الدعامة كقوله قدني من نصر الخبيبين قدي وابو بكر لدني
بتحريك النون واسكان الدال اسكان الضاد من عضد مع الاشمام
فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية قرية انطاكية وقيل ابلة بصرة وقيل
باجروان ارمينية استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما وقرئ يضيفوهما
من اضافه يقال ضافه اذا نزل به ضيفا واضافه وضيفه انزله واصل
التركيب للميل يقال ضاف السهم عن الغرض اذا مال فوجدا فيها جدارا
يريد ان ينقض يداني ان يسقط فاستعيرت الارادة للمشارفة كما استعير

لها

لها الهم والعزم قال يريد الرمح صدر ابي براء ويعدل عن دماء بني عقيل
وقال ان دهرا يلف شملي بجمل لزمان يهم بالاحسان وانقض
انفعل من قضضته اذا كسرته ومنه انقضاض الطير والكواكب لهويه
او افعل من النقض وقرئ ان ينقض وان ينقاص بالصاد المهملة من
انقاصت السن اذا انشقت طولا فاقامه بعمارته او بعمود عمده به وقيل
مسحه بيده فقام وقيل نقضه وبناه قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا
تحريضا على اخذ الجعل ليتعشيا به او تعريضا بانه فضول لما في لو
من النفي كانه لما راى الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه
لم يتمالك نفسه واتخذ افتعل من تخذ كاتبع من تبع وليس من الاخذ
عند البصريين وقرا ابن كثير والبصريان لتخذت اي لاخذت واظهر
ابن كثير ويعقوب وحفص الذال وادغمه الباقون قال هذا
فراق بيني وبينك الاشارة الى الفراق الموعود بقوله فلا تصاحبني
او الى الاعتراض الثالث او الوقت اي هذا الاعتراض سبب
فراقنا او هذا الوقت وقته واضافة الفراق الى البين اضافة
المصدر الى الظرف على الاتساع وقد قرئ على الاصل سانبئك
بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا بالخبر الباطن فيما لم تستطع الصبر عليه
لكونه منكرا من حيث الظاهر اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في
البحر لمحاويج وهو دليل على ان المسكين يطلق على من يملك شيئا اذا لم
يكفه وقيل سموا مساكين لعجزهم عن دفع الملك او لزمانتهم فانها
كانت لعشرة اخوة خمسة زمنى وخمسة يعملون في البحر فاردت ان اعيبها
اجعلها ذات عيب وكان وراءهم ملك قدامهم او خلفهم وكان
رجوعهم عليه واسمه جلندى بن كركر وقيل منولة بن جلندي الازدي
ياخذ كل سفينة غصبا من اصحابها وكان حق النظم ان يتاخر قوله

فاردت ان اعيبها عن قوله وكان وراءهم ملك لان ارادة التعييب
مسببة عن خوف الغصب وانما قدم للعناية او لان السبب لما كان
مجموع الامرين خوف الغصب ومسكنة الملاك رتبه على اقوى الجزئين
واهمهما وادعاهما وعقبه بالاخر على سبيل التقييد والتتميم وقرئ
كل سفينة صالحة والمعنى عليها واما الغلام فكان ابواه مؤمنين
فخشينا ان يرهقهما ان يغشيهما طغيانا وكفرا لنعمتهما بعقوقه
فيلحقهما شرا او يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان
وطاغ كافر او يعديهما بعلته فيرتدا باضلاله او بممالاته على طغيانه
وكفره حبا وانما خشي ذلك لان الله تعالى اعلمه وعن ابن عباس رض
ان نجدة الحروري كتب اليه كيف قتله وقد نهى النبي عليه السلام عن قتل
الولدان فكتب اليه ان علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك ان تقتل
وقرئ فخاف ربك اي فكره كراهة من خاف سوء عاقبته ويجوز ان يكون
قوله فخشينا حكاية قول الله تعالى فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه
اي يرزقهما بدله ولدا خيرا منه زكوة طهارة من الذنوب والاخلاق
الردية واقرب رحما رحمة وعطفا على والديه قيل ولدت لهما جارية
فتزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله به امة من الامم وقرأ نافع وابو عمرو
يبدلهما بالتشديد وابن عامر ويعقوب رحما بالتثقيل وانتصابه على التمييز
والعامل اسم التفضيل وكذلك زكوة واما الجدار فكان لغلامين يتيمين
في المدينة قيل اسمهما اصرم وصريم واسم المقتول جيسور وكان تحته
كنز لهما من ذهب وفضة روى ذلك مرفوعا والذم على كنزهما في قوله تعالى
والذين يكنزون الذهب والفضة لمن لا يؤدي زكوتهما وما تعلق بهما
من الحقوق وقيل من كتب العلم وقيل كان لوحا من ذهب مكتوب فيه عجبت
لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت

لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل
وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله
محمد رسول الله وكان ابوهما صالحا تنبيه على ان سعيه في ذلك كان
لصلاحه قيل كان بينهما وبين الاب الذي حفظا فيه سبعة اباء وكان
سياحا واسمه كاشح فاراد ربك ان يبلغا اشدهما اي الحلم وكمال الرأي
ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك مرحومين من ربك ويجوز ان يكون علة
او مصدرا لاراد فان ارادة الخير رحمة وقيل متعلق بمحذوف تقديره
فعلت ما فعلت رحمة من ربك ولعل اسناد الارادة اولا الى نفسه لانه
المباشر للتعييب وثانيا الى الله تعالى والى نفسه لان التبديل باهلاك الغلام
وايجاد الله تعالى بدله وثالثا الى الله وحده لانه لا مدخل له في بلوغ
الغلامين او لان الاول في نفسه شر والثالث خير والثاني ممتزج او
لاختلاف حال العارف في الالتفات الى الوسائط وما فعلته وما فعلت
ما رأيته عن امري عن رأيي وانما فعلته بامر الله تعالى ومبنى ذلك على انه
اذا تعارض ضرران يجب تحمل اهونهما لدفع اعظمهما وهو اصل ممهد
غير ان الشرايع في تفاصيله مختلفة ذلك تاويل ما لم تسطع عليه صبرا اي
ما لم تستطع فحذف التاء تخفيفا ومن فوائد هذه القصة ان لا يعجب المرء
بعلمه ولا يبادر الى انكار ما لا يستحسنه فلعل فيه سرا لا يعرف
وان يداوم على التعلم ويتذلل للمعلم ويراعي الادب في المقال وان ينبه
المجرم على جرمه ويعفو عنه حتى يتحقق اصراره ثم يهاجر عنه ويسئلونك عن
ذي القرنين يعني اسكندر الرومي ملك فارس والروم وقيل المشرق والمغرب
ولذلك سمي ذا القرنين او لانه طاف قرني الدنيا شرقها وغربها وقيل لانه
انقرض في ايامه قرنان من الناس وقيل كان له قرنان اي ضفيرتان وقيل
كان لتاجه قرنان ويحتمل انه لقب بذلك لشجاعته كما يقال الكبش للشجاع

كانه ينطح اقرانه واختلف فى نبوته مع الاتفاق على ايمانه وصلاحه والسائلون
هم اليهود سألوه امتحانا او مشركو مكة قل سأتلو عليكم منه ذكرا خطاب
للسائلين والهاء لذى القرنين وقيل لله تعالى انا مكنا له فى الارض
اى مكنا له امره من التصرف فيها كيف شاء فحذف المفعول وآتيناه من كل شئ
اراده وتوجه اليه سببا وصلة توصله اليه من العلم والقدرة والآلة
فاتبع سببا اى فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه وقرأ الكوفيون
وابن عامر بقطع الالف مخففة التاء حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب
فى عين حمئة ذات حمأة من حمئت البئر اذا صارت ذا حمأة وقرأ ابن عامر وحمزة
والكسائى وابو بكر حامية اى حارة ولا تنافى بينهما لجواز ان يكون العين
جامعة للوصفين او حمية على ان ياءها مقلوبة عن الهمزة لكسرة ما قبلها ولعله
بلغ ساحل المحيط فرآها كذلك اذ لم يكن فى مطمح بصره غير الماء ولذلك قال
وجدها تغرب ولم يقل كانت تغرب وقيل ان ابن عباس رض سمع معاوية
يقرأ حامية فقال حمئة فبعث معاوية الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس
تغرب قال فى ماء وطين كذلك نجده فى التورية ووجد عندها عند تلك
العين قوما قيل كان لباسهم جلود الوحش وطعامهم ما لفظه البحر وكانوا
كفارا فخيره الله بين ان يعذبهم او يدعوهم الى الايمان كما حكى بقوله
قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب اى بالقتل على كفرهم واما ان تتخذ فيهم
حسنا بالارشاد وتعليم الشرائع وقيل خيره الله بين القتل والاسر وسماه
احسانا فى مقابلة القتل ويؤيد الاول قوله قال اما من ظلم فسوف
نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا اى فاختار الدعوة وقال اما
من دعوته فظلم نفسه بالاصرار على الكفر واستمر على ظلمه الذى هو الشرك
فنعذبه انا ومن معى فى الدنيا بالقتل ثم يعذبه الله تعالى فى الآخرة عذابا منكرا
لم يعهد مثله واما من آمن وعمل صالحا وهو ما يقتضيه الايمان فله فى الدارين

جزاء الحسنى فعلته الحسنى وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب وحفص جزاء منونا
منصوبا على الحال اى فله المثوبة الحسنى مجزيا بها او على المصدر لفعله
المقدر حالا اى يجزى بها جزاء او التمييز وقرئ منصوبا غير منون على ان تنوينه
حذف لالتقاء الساكنين ومنونا مرفوعا على انه المبتدأ والحسنى بدله ويجوز
ان يكون اما واما للتقسيم دون التخيير اى ليكن شأنك معهم اما التعذيب
واما الاحسان فالاول لمن اصر على الكفر والثانى لمن تاب عنه ونداء الله
اياه ان كان نبيا فبوحى وان كان غيره فبالهام او على لسان نبى وسنقول
له من امرنا مما نأمر به يسرا سهلا ميسرا غير شاق وتقديره ذا يسر وقرئ
بضمتين ثم اتبع سببا ثم اتبع طريقا يوصله الى المشرق وقرأ الكوفيون
وابن عامر بقطع الالف مخففة التاء وكذا ما بعده حتى اذا بلغ مطلع الشمس
يعنى الموضع الذى تطلع الشمس عليه اولا من معمورة الارض وقرئ بفتح
اللام على اضمار مضاف اى مكان مطلع الشمس فانه مصدر وجدها تطلع
على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا من اللباس او البناء فان ارضهم
لا تمسك الابنية او انهم اتخذوا الاسراب بدل الابنية كذلك اى امر
ذى القرنين كما وصفناه فى رفعة المكان وبسطة الملك او امره فيهم كامره
فى اهل المغرب من التخيير والاختيار ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف
لوجد او نجعل او صفة قوم اى على قوم مثل ذلك القبيل الذى تغرب
عليهم الشمس فى الكفر والحكم وقد احطنا بما لديه من الجنود والآلات
والعدد والاسباب خبرا علما تعلق بظواهره وخفاياه والمراد ان كثرة
ذلك بلغت مبلغا لا يحيط به الا علم اللطيف الخبير ثم اتبع سببا
يعنى طريقا ثالثا معترضا بين المشرق والمغرب آخذا من الجنوب الى الشمال
حتى اذا بلغ بين السدين بين الجبلين المبنى بينهما سده وهما جبلا ارمينية
واذربيجان وقيل جبلان فى اواخر الشمال فى منقطع ارض الترك منيفان

من قرأهما يأجوج ومأجوج وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي
وأبو بكر ويعقوب بين السدين بالضم وهما لغتان وقيل المضموم لما خلقه
الله تعالى والمفتوح لما عمل الناس لأنه في الأصل مصدر سمي به حدث
يحدثه الناس وقيل بالعكس وبين ها هنا مفعول به وهو من الظروف
المتصرفة وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولاً لغرابة لغتهم
وقلة فطنتهم وقرأ حمزة والكسائي لا يُفقِهون أي لا يُفهمون السامع
كلامهم ولا يبينونه لتلعثمهم فيه قالوا يا ذا القرنين أي قال مترجمهم
وفي مصحف ابن مسعود قال الذين من دونهم إن يأجوج ومأجوج قبيلتان
من ولد يافث بن نوح عليه السلام وقيل يأجوج من الترك ومأجوج
من الجيل وهما اسمان أعجميان بدليل منع الصرف وقيل عربيان من أج الظليم
إذا أسرع وأصلهما الهمز كما قرأ عاصم ومنع صرفهما للتعريف والتأنيث
مفسدون في الأرض في أرضنا بالقتل والتخريب وإتلاف الزروع
قيل كانوا يخرجون أيام الربيع فلا يتركون لهم خضراً إلا أكلوه ولا يابساً
احتملوه وقيل كانوا يأكلون الناس فهل نجعل لك خرجاً جعلاً نخرجه
من أموالنا وقرأ حمزة والكسائي خراجاً وكلاهما واحد كالنول والنوال وقيل
الخراج على الأرض والذمة والخرج المصدر على أن تجعل بيننا وبينهم
سداً يحجز دون خروجهم علينا وقد ضمه من ضم السدين غير حمزة والكسائي
قال ما مكني فيه ربي خير ما جعلني فيه مكيناً من المال والملك خير مما تبذلون
لي من الخراج فلا حاجة لي إليه وقرأ ابن كثير مكنني على الأصل فأعينوني
بقوة بفعلة أو بما أتقوى به من الآلات أجعل بينكم وبينهم ردماً حاجزاً
حصيناً وهو أكبر من السد من قولهم ثوب مردم إذا كان رقاع فوق رقاع
آتوني زبر الحديد قطعه والزبرة القطعة الكبيرة وهو لا ينافي رد الخراج
والاقتصار على المعونة لأن الإيتاء بمعنى المناولة على جيئوني بزبر

الحديد والباء محذوفة حذفها في أمرتك الخير ولأن إعطاء الآلة
من الإعانة بالقوة دون الخراج على العمل حتى إذا ساوى بين الصدفين
بين جانبي الجبلين بتنضيدها وقرأ ابن كثير وابن عامر والبصريان
بضمتين وأبو بكر بضم الصاد وسكون الدال وقرئ بفتح الصاد وضم
الدال وكلها لغات من الصدف وهو الميل لأن كلاً منهما منعزل عن الآخر
ومنه التصادف للتقابل قال انفخوا أي قال للعملة انفخوا في الأكوار
والحديد حتى إذا جعله جعل المنفوخ فيه ناراً كالنار بالإحماء قال
آتوني أفرغ عليه قطراً أي آتوني قطراً أي نحاساً مذاباً أفرغ عليه
قطراً فحذف الأول لدلالة الثاني عليه وبه تمسك البصريون على أن
إعمال الثاني من العاملين المتوجهين نحو معمول واحد أولى إذ لو كان
قطراً مفعول آتوني لأضمر مفعول أفرغ حذراً من الإلباس وقرأ
حمزة وأبو بكر قال ائتوني موصولة الألف فما اسطاعوا بحذف التاء
حذراً من تلاقي متقاربين وقرأ حمزة بالإدغام جامعاً بين الساكنين
على غير حده وقرئ بقلب السين صاداً أن يظهروه أي يعلوه بالصعود
لارتفاعه وانملاسه وما استطاعوا له نقباً لثخنه وصلابته قيل
حفر للأساس حتى بلغ الماء وجعله من الصخر والنحاس المذاب والبنيان
من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى ساوى الجبلين ثم وضع المنافيخ حتى
صارت كالنار فصب النحاس المذاب عليه فاختلط والتصق بعضه
ببعض وصار جبلاً صلداً وقيل بناه من الصخور مرتبطاً بعضها ببعض
بكلاليب من حديد ونحاس مذاب في تجاويفها قال هذا السد أو الإقدار
على تسويته رحمة من ربي على عباده فإذا جاء وعد ربي وقت وعده
بخروج يأجوج ومأجوج أو بقيام الساعة بأن شارف يوم القيامة
جعله دكاً مدكوكاً مبسوطاً مسوى بالأرض مصدر بمعنى مفعول ومنه

جمل ادك لمنبسط السنام وقرأ الكوفيون دكاء بالمد اى ارضا مستوية
وكان وعد ربي حقا كائنا لا محالة وهو آخر حكاية ذى القرنين
وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض وجعلنا بعض يأجوج ومأجوج
حين يخرجون مما وراء السد يموجون في بعض مزدحمين في البلاد او يموج
بعض الخلق في بعض فيضطربون ويختلطون انسهم وجنهم حيارى ويؤيده
ونفخ في الصور لقيام الساعة فجمعناهم جمعا للحساب والجزاء وعرضنا
جهنم يومئذ للكافرين عرضا وابرزناها واظهرناها لهم عرضا الذين
كانت اعينهم في غطاء عن ذكري عن آياتي التي ينظر اليها فاذكر بالتوحيد
والتعظيم وكانوا لا يستطيعون سمعا استماعا لذكرى وكلامى لافراط
صممهم عن الحق فان الاصم قد يستطيع السمع اذا صيح به وهؤلاء كأنهم
اصمت مسامعهم بالكلية افحسب الذين كفروا افظنوا والاستفهام للانكار ان
يتخذوا عبادي اتخاذهم الملائكة والمسيح من دوني اولياء معبودين
نافعهم او لا اعذبهم به فحذف المفعول الثاني كما يحذف الخبر للقرينة
او سد ان يتخذوا مسد مفعوليه وقرئ افحسب الذين كفروا اى افكافيهم
في النجاة وان بما في حيزه مرتفع بانه فاعل حسب فان النعت اذا اعتمد
على الهمزة ساوى الفعل في العمل او خبر له انا اعتدنا جهنم للكافرين
نزلا ما يقام للنزيل وفيه تهكم وتنبيه على ان لهم وراءها من العذاب
ما يستحقرونه قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا نصب على التمييز وجمع
لانه من اسماء الفاعلين او لتنوع اعمالهم الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا
ضاع وبطل لكفرهم وعجبهم كالرهبانية فانهم خسروا دنياهم واخراهم
ومحله الرفع على خبر المحذوف فانه جواب السؤال او الجر على البدل
او النصب على الذم وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا لعجبهم واعتقادهم
انهم على الحق اولئك الذين كفروا بآيات ربهم بالقرآن او بدلائله

المنصوبة على التوحيد والنبوة ولقائه بالبعث على ما هو عليه ولقائه
عذابه فحبطت اعمالهم بكفرهم فلا يثابون عليها فلا نقيم لهم يوم القيمة
وزنا فنزدري بهم ولا نجعل لهم مقدارا واعتبارا او لا نضع لهم ميزانا
يوزن به اعمالهم لانحباطها ذلك اى الامر ذلك وقوله جزاؤهم
جهنم جملة مبينة له ويجوز ان يكون ذلك مبتدأ والجملة خبره والعائد
محذوف اى جزاؤهم به او جزاؤهم بدله وجهنم خبره او جزاؤهم خبره
وجهنم عطف بيان للخبر بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا اى بسبب
ذلك ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس
نزلا فيما سبق من حكم الله تعالى ووعده والفردوس اعلى درجات الجنة
واصله البستان الذي يجمع الكرم والنخل خالدين فيها حال مقدرة
لا يبغون عنها حولا تحولا اذ لا يجد وراء اطيب منها حتى تنازعهم اليه
انفسهم ويجوز ان يراد به تأكيد الخلود قل لو كان البحر مدادا
ما يكتب به وهو اسم ما يمد به الشيء كالحبر للدواة والسليط للسراج
لكلمات ربي لكلمات علمه وحكمته لنفد البحر لنفد جنس البحر باسره لان
كل جسم متناه قبل ان تنفد كلمات ربي فانها غير متناهية لا تنفد كعلمه
ولو جئنا بمثله بمثل البحر الموجود مددا زيادة ومعونة لان مجموع
المتناهيين متناه بل مجموع ما يدخل في الوجود من الاجسام لا يكون
الا متناهيا للدلائل القاطعة على تناهي الابعاد والمتناهي ينفد
قبل ان ينفد غير المتناهي لا محالة وقرئ ينفد بالياء ومددا بكسر الميم
جمع مدة وهي ما يستمده الكاتب ومدادا وسبب نزولها ان اليهود
قالوا في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وتقرؤون
وما اوتيتم من العلم الا قليلا قل انما انا بشر مثلكم لا ادعي الاحاطة
على كلماته يوحى الي انما الهكم اله واحد وانما تميزت عنكم بذلك

فمن كان يرجوا لقاء ربه يأمل حسن لقائه فليعمل عملا صالحا يرتضيه
الله تعالى ولا يشرك بعبادة ربه احدا بان يرائيه او يطلب منه اجرا
روي ان جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعمل
العمل لله تعالى فاذا اطلع عليه احد سرني فقال ان الله تعالى لا يقبل
ما شورك فيه فنزلت تصديقا له وعنه صلى الله عليه وسلم اتقوا الشرك
الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء والاية جامعة لخلاصة
العلم والعمل وهما التوحيد والاخلاص في الطاعة وعن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرا عند مضجعه قل انما انا بشر مثلكم كان له نورا في
مضجعه يتلألأ الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى
يقوم وان كان مضجعه بمكة كان له نورا يتلألأ من مضجعه الى البيت
المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ
وعنه صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الكهف من اخرها كانت له نورا
من قرنه الى قدمه ومن قراها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء

سورة مريم عليها السلام مكية وهي ثمان وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص امال ابو عمرو الهاء لان الفات اسماء
التهجي ياآت وابن عامر وحمزة الياء والكسائي وابو بكر كليهما ونافع
بين بين وابن كثير وعاصم بفتحهما واظهر دال الهجاء عند الذال والباقون
يدغمونه ذكر رحمة ربك خبر ما قبله ان اول السورة او القرآن فانه
مشتمل عليه او خبر محذوف اي هذا المتلو ذكر رحمة ربك او مبتدا حذف
خبره اي فيما يتلى عليك ذكرها وقرئ ذكر رحمة ربك على الماضي وذكر
على الامر عبده مفعول الرحمة او الذكر على ان الرحمة فاعله على الاتساع
كقولك ذكرني جود زيد زكريا بدل منه او عطف بيان له اذ نادى ربه

نداء خفيا لان الاخفاء والجهر عند الله سيان والاخفاء اشد اخباتا واكثر
اخلاصا او لئلا يلام على طلب الولد في ايان الكبر او لئلا يطلع عليه مواليه
الذين خافهم او لان ضعف الهرم اخفى صوته واختلف في سنه حينئذ فقيل
ستون وقيل سبعون وخمس وسبعون وخمس وثمانون قال رب اني وهن
العظم مني تفسير للنداء والوهن الضعف وتخصيص العظم لانه دعامة
البدن واصل بنائه ولانه اصلب ما فيه فاذا وهن كان ما وراءه
اوهن منه وتوحيده لان المراد به الجنس وقرئ وهن بالضم والكسر ونظيره
كمل في الحركات الثلث واشتعل الراس شيبا شبه الشيب في بياضه وانارته بشواظ
النار وانتشاره وفشوه في الشعر باشتعالها ثم اخرجه مخرج الاستعارة
واسند الاشتعال الى الراس الذي هو مكان الشيب مبالغة وجعل تمييزا
ايضاحا للمقصود واكتفى باللام عن الاضافة للدلالة على ان علم المخاطب
بتعين المراد يغني عن التقييد ولم اكن بدعائك رب شقيا بل كلما دعوتك
استجبت لي وهو توسل بما سلف منه من الاستجابة وتنبيه على ان المدعو
وان لم يكن معتادا فاجابته معتادة وانه تعالى عوده بالاجابة واطمعه
فيها ومن حق الكريم ان لا يخيب من اطمعه واني خفت الموالي يعني بني عمه وكانوا
اشرار بني اسرائيل فخاف ان لا يحسنوا خلافته على امته ويبدلوا عليهم
دينهم من ورائي بعد موتي وعن ابن كثير بالمد والقصر بفتح الياء وهو
متعلق بمحذوف او بمعنى الولاية في الموالي اي خفت فعل الموالي من ورائي
او الذين يلون الامر من ورائي وقرئ خفت الموالي من ورائي اي قلوا
وعجزوا عن اقامة الدين بعدي او خفوا ودرجوا قدامي فعلى هذا كان
الظرف متعلقا بخفت وكانت امراتي عاقرا لا تلد فهب لي من لدنك فان
مثله لا يرجى الا من فضلك وكمال قدرتك فاني وامراتي لا نصلح للولادة
وليا من صلبي يرثني ويرث من آل يعقوب صفتان له وجزمهما ابو عمرو

والكسائي على انهما جواب الدعاء والمراد وراثة الشرع والعلم فان الانبياء
لا يورثون المال وقيل يرثني الحبورة فانه كان حبرا ويرث من آل يعقوب
الملك وهو يعقوب بن اسحق عليهما السلام وقيل كان يعقوب اخا زكريا او عمران
بن ماثان من نسل سليمان وقرئ يرثني وارث آل يعقوب على الحال
من احد الضميرين او يورث بالتصغير لصغره ووارث من آل يعقوب على انه فاعل
يرثني وهذا يسمى التجريد في علم البيان لانه جرد عن المذكور اولا مع انه
المراد واجعله رب رضيا ترضاه قولا وعملا يا زكريا انا نبشرك بغلام
اسمه يحيى جواب لندائه ووعد باجابة دعائه وانما تولى تسميته تشريفا له
لم نجعل له من قبل سميا لم يسم احد بيحيى قبله وهو شاهد بان التسمية بالاسامي
الغريبة تنويه بالمسمى وقيل سميا شبيها كقوله هل تعلم له سميا لان المتماثلين
يتشاركان في الاسم والاظهر انه اعجمي وان كان عربيا فمنقول عن فعل
كيعيش ويعمر قيل سمي به لانه حيي به رحم امه او لان دين الله حيي بدعوته
قال رب انى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا
جساوة وقحولا في المفاصل واصله عتو كقعود فاستثقلوا توالي الضمتين
والواوين فكسروا التاء فانقلبت الواو الاولى ياء ثم قلبت الثانية وادغمت
وقرأ حمزة والكسائي وحفص عتيا بالكسر وانما استعجب الولد من شيخ فان
وعجوز عاقر اعترافا بان المؤثر فيه كمال قدرته وان الوسائط عند التحقيق
ملغاة ولذلك قال اي الله قال او الملك المبلغ للبشارة تصديقا له
كذلك اي الامر كذلك ويجوز ان تكون الكاف منصوبة بقال في قال ربك
وذلك اشارة الى مبهم يفسره هو علي هين ويؤيد الاول قراءة من قرأ
وهو علي هين اي الامر كما قلت او كما وعدت وهو على ذلك يهون علي
او كما وعدت وهو علي هين لا احتاج فيما اريد ان افعله الى الاسباب
ومفعول قال الثاني محذوف وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا بل كنت

معدوما صرفا وفيه دليل على ان المعدوم ليس بشيء وقرأ حمزة والكسائي
وقد خلقناك قال رب اجعل لي آية علامة اعلم بها وقوع ما
بشرتني به قال آيتك الا تكلم الناس ثلث ليال سويا سوي الخلق ما بك
من خرس ولا بكم وانما ذكر الليالي هنا والايام في آل عمران للدلالة
على انه استمر عليه المنع من كلام الناس والتجرد للذكر والشكر ثلثة ايام
ولياليهن فخرج على قومه من المحراب من المصلى او من الغرفة فاوحى اليهم
فاومى اليهم لقوله الا رمزا وقيل كتب لهم على الارض ان سبحوا صلوا
وتنزهوا بكرة وعشيا طرفي النهار ولعله كان مأمورا بان يسبح ويأمر
قومه بان يوافقوه وان يحتمل ان تكون مصدرية وان تكون مفسرة
يا يحيى على تقدير القول خذ الكتاب التورية بقوة بجد واستظهار بالتوفيق
وآتيناه الحكم صبيا يعني الحكمة وفهم التورية وقيل النبوة احكم الله
عقله في صباه واستنباه وحنانا من لدنا ورحمة منا عليه او رحمة
وتعطفا في قلبه على ابويه وغيرهما عطف على الحكم وزكوة وطهارة
من الذنوب او صدقة تصدق الله به على ابويه او مكنه ووفقه للتصدق
على الناس وكان تقيا مطيعا متجنبا عن المعاصي وبرا بوالديه
وبارا بهما ولم يكن جبارا عصيا عاقا او عاصي ربه وسلام عليه من
الله يوم ولد من ان يناله الشيطان بما ينال به بني آدم ويوم يموت
من عذاب القبر ويوم يبعث حيا من عذاب النار وهول يوم القيمة
واذكر في الكتاب في القرآن مريم يعني قصتها اذ انتبذت اعتزلت
بدل من مريم بدل الاشتمال لان الاحيان مشتملة على ما فيها او بدل الكل
اولان المراد بمريم قصتها وبالظرف الامر الواقع فيه وهما واحد او ظرف
لمضاف مقدر وقيل اذ بمعنى ان المصدرية كقولك لا اكرمنك
اذ لم تكرمني فيكون بدلا لا محالة من اهلها مكانا شرقيا شرقي

بيت المقدس

او شرقي دارها ولذلك اتخذ النصارى المشرق قبلة ومكانا ظرف
او مفعول لانتبذت لتضمنه معنى اتت فاتخذت من دونهم حجابا ستر
فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا قيل قعدت في مشرقة للاغتسال
من الحيض محتجبة بشيء يسترها وكانت تتحول من المسجد الى بيت خالتها اذا حاضت
وتعود اليه اذا طهرت فبينا هي في مغتسلها اتاها جبريل متمثلا في صورة
شاب امرد سوي الخلق لتستانس بكلامه ولعله ليهيج شهوتها فتنحدر نطفتها
الى رحمها قالت اني اعوذ بالرحمن منك من غاية عفافها ان كنت تقيا
تتقي الله وتحتفل بالاستعاذة وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله
اي فاني عائذة منك او فتتعظ بتعوذي او فلا تتعرض لي ويجوز
ان يكون للمبالغة اي ان كنت تقيا متورعا فاني اعوذ منك فكيف
اذا لم يكن كذلك قال انما انا رسول ربك الذي استعذت به لاهب
لك غلاما زكيا لاكون سببا في هبته بالنفخ في الدرع ويجوز ان يكون
حكاية لقول الله سبحانه وتعالى ويؤيده قراءة ابي عمرو والاكثر عن نافع
ويعقوب بالياء زكيا طاهرا من الذنوب او ناميا على الخير اي مترقيا من سن
الى سن على الخير والصلاح قالت انى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر
ولم يباشرني رجل بالحلال فان هذه الكنايات انما تطلق فيه اما الزنا
فانما يقال فيه خبث بها وفجر ونحو ذلك ويعضده عطف قوله ولم اك
بغيا عليه وهو فعول من البغي قلبت واوه ياء وادغمت ثم كسرت الغين
اتباعا ولذلك لم تلحقه التاء او فعيل بمعنى فاعل ولم تلحقه التاء لانه
للمبالغة او للنسب كطالق قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله
اي ونفعل ذلك لنبين به قدرتنا ولنجعله وقيل عطف على لنهب على
طريقة الالتفات اية للناس علامة لهم وبرهانا على كمال قدرتنا ورحمة
على العباد يهتدون بارشاده وكان امرا مقضيا تعلق به قضاء الله في الازل

ولنجعله صح

او قدر وسطر في اللوح المحفوظ او كان امرا حقيقيا بان يقضي ويفعل
لكونه اية ورحمة فحملته بان نفخ في درعها فدخلت النفخة في جوفها وكانت
مدة حملها سبعة اشهر وقيل ستة وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع
لثمانية غيره وقيل ساعة كما حملته نبذته وسنها ثلث عشرة سنة وقيل
عشر سنين وقد حاضت حيضتين فانتبذت به فاعتزلت وهو في بطنها
كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا والجار والمجرور في موضع الحال مكانا
قصيا بعيدا من اهلها وراء الجبل وقيل اقصى الدار فاجاءها المخاض
فالجاها وهو في الاصل منقول من جاء لكنه خص به في الاستعمال كاتى
في اعطى وقرئ المخاض بالكسر وهما مصدر مخضت المراة اذا تحرك الولد
في بطنها للخروج الى جذع النخلة لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة
وهو ما بين العرق والغصن وكانت نخلة يابسة لا راس لها ولا خضرة وكان
الوقت شتاء والتعريف اما للجنس او للعهد اذ لم يكن ثم غيرها وكانت
كالمتعالم عند الناس ولعله تعالى الهمها ذلك ليريها من اياتها ما يسكن
روعها ويطعمها الرطب الذي هو خرسة النفساء الموافقة لها قالت يا ليتني
مت قبل هذا استحياء من الناس ومخافة لومهم وقرا ابن كثير وابو عمرو
وابو بكر وابن عامر مت من مات يموت وكنت نسيا ما من شانه ان ينسى
ولا يطلب ونظيره الذبح لما يذبح وقراءة حمزة وحفص بالفتح وهو لغة
فيه او مصدر سمي به وقرئ به وبالهمزة وهو الحليب المخلوط بالماء ينسؤه
اهله لقلته منسيا منسي الذكر بحيث لا يخطر ببالهم وقرئ بكسر الميم على الاتباع
فناداها من تحتها عيسى وقيل جبريل عليه السلام كان يقبل الولد وقيل
تحتها اسفل من مكانها وقرا نافع وحمزة والكسائي وحفص وروح
من تحتها بالكسر والجر على ان في نادى ضمير احدهما وقيل الضمير في تحتها
للنخلة الا تحزني اي لا تحزني او بان لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا

جد ولا نهكذا روي مرفوعًا وقيل سيدًا من السرو وهو عيسى وهزي
اليك بجذع النخلة وامليه اليك والباء مزيدة للتأكيد او افعلي الهز
والامالة به او هزي الثمرة بهزه والهز التحريك بجذب ودفع تساقط عليك
يتساقط فادغمت التاء الثانية في السين وحذفها حمزة وقرأ يعقوب بالياء
وحفص تساقط من ساقطت بمعنى اسقطت وقرئ تتساقط وتسقط ويسقط
فالتاء للنخلة والياء للجذع رطبًا جنيًا تمييز او مفعول روي انها كانت
نخلة يابسة لا رأس لها ولا ثمر وكان الوقت شتاء فهزتها فجعل الله تعالى
لها رأسًا وخوصًا ورطبًا وتسليتها بذلك لما فيه من المعجزات الدالة
على براءة ساحتها فان مثلها لا يتصور لمن يرتكب الفواحش والمنبهة لمن
رآها على ان من قدر ان يثمر النخلة اليابسة في الشتاء قدر ان يحبلها
من غير فحل وانه ليس ببدع من شانها مع ما فيه من الشراب والطعام
ولذلك رتب عليه الامرين فقال فكلي واشربي اي من الرطب وماء السري
او من الرطب وعصيره وقري عينا وطيبي نفسك وارفضي عنها ما احزنك
وقرئ وقري بالكسر وهو لغة نجد واشتقاقه من القرار فان العين اذا
رأت ما يسر النفس سكنت اليه من النظر الى غيره او من القر فان دمعة
السرور باردة ودمعة الحزن حارة ولذلك يقال قرة العين وسخنتها
للمحبوب والمكروه فاما ترين من البشر احدًا فان ترى آدميا وقرئ
ترئن على لغة من يقول لبأت بالحج لتآخ بين الهمزة وحرف اللين فقولي
اني نذرت للرحمن صومًا صمتا وقد قرئ به او صيامًا وكانوا لا يتكلمون
في صيامهم فلن اكلم اليوم انسيا بعد ان اخبرتكم بنذري وانما اكلم الملائكة
واناجي ربي وقيل اخبرتهم بنذرها بالاشارة وامرها بذلك لكراهة
المجادلة والاكتفاء بكلام عيسى فانه قاطع في قطع الطاعن فأتت
به قومها راجعة اليهم بعد ما طهرت من النفاس تحمله حاملة اياه

قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا بديعا منكرا من فري الجلد يا اخت هارون
يعنون هارون النبي وكانت من اعقاب من كان معه في طبقة الاخوة
وقيل كانت من نسله وكان بينهما الف سنة وقيل هو رجل صالح
او طالح كان في زمانهم شبهوها به تهكما او لما رأوا قبل من صلاحها
او شتموها به ما كان ابوك امرأ سوء وما كانت امك بغيا تقرير
لان ما جاءت به فري وتنبيه على ان الفواحش من اولاد الصالحين
افحش فاشارت اليه الى عيسى اي كلموه ليجيبكم قالوا كيف نكلم من
كان في المهد صبيا ولم نعهد صبيا في المهد كلمه عاقل وكان زائدة
والظرف صلة من وصبيا حال من المستكن فيه او تامة او دائمة كقوله
وكان الله عليما حكيما او بمعنى صار قال اني عبد الله انطقه الله به
اولا لانه اول المقامات وللرد على من يزعم ربوبيته آتاني الكتاب
الانجيل وجعلني نبيا وجعلني مباركا نفاعا معلما للخير والتعبير
بلفظ الماضي اما باعتبار ما سبق في قضائه او بجعل المحقق وقوعه
كالواقع وقيل اكمل الله عقله واستنبأه طفلا اينما كنت حيث كنت
واوصاني وامرني بالصلوة والزكوة زكوة المال ان ملكته او تطهير
النفس عن الرذائل ما دمت حيا وبرا بوالدتي وبارا بها عطف
على مباركا وقرئ بالكسر على انه مصدر وصف به او منصوب
بفعل دل عليه اوصاني اي وكلفني برا ويؤيده القراءة بالكسر
والجر عطفا على الصلوة ولم يجعلني جبارا شقيا عند الله من فرط
تكبره والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا
كما هو على يحيى والتعريف للعهد والاظهر انه للجنس والتعريض
باللعن على اعدائه فانه لما جعل جنس السلام على نفسه عرض
بان ضده عليهم كقوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى فانه

تعريض بان العذاب على من كذب وتولى ذلك عيسى بن مريم
اى الذى تقدم نعته هو عيسى بن مريم لا ما يصفه النصارى
وهو تكذيب لهم فيما يصفونه على الوجه الابلغ والطريق البرهانى
حيث جعله موصوفا باضداد ما يصفونه ثم عكس الحكم قول الحق
خبر محذوف اى هو قول الحق الذى لا ريب فيه والاضافة للبيان
والضمير للكلام السابق او لتمام القصة وقيل صفة عيسى او بدله
او خبر ثان ومعناه كلمة الله وقرأ عاصم وابن عامر ويعقوب قول بالنصب
على انه مصدر مؤكد وقرئ قال الحق وهو بمعنى القول الذى فيه
يمترون فى امره يشكون او يتنازعون فقالت اليهود ساحر وقالت
النصارى ابن الله وقرئ بالتاء على الخطاب ما كان لله ان يتخذ من
ولد سبحانه تكذيب للنصارى وتنزيه لله عما بهتوه اذا قضى
امرا فانما يقول له كن فيكون تبكيت لهم بان من اذا اراد شيئا اوجده
بكن كان منزها من شبه الخلق والحاجة فى اتخاذ الولد باحبال الاناث
وقرأ ابن عامر فيكون بالنصب على الجواب وان الله ربى وربكم
فاعبدوه هذا صراط مستقيم سبق تفسيره فى آل عمران وقرأ الحجازيان
والبصريان ان بالفتح على ولانه وقيل معطوف على الصلوة فاختلف
الاحزاب من بينهم اليهود والنصارى او فرق النصارى نسطورية
قالوا ابن الله ويعقوبية قالوا هو الله هبط الى الارض ثم صعد
الى السماء وملكانية قالوا هو عبد الله ونبيه فويل للذين كفروا من
مشهد يوم عظيم من شهود يوم عظيم هوله وحسابه وجزاؤه
وهو يوم القيمة او من وقت الشهود او من مكانه فيه او من شهادة
ذلك اليوم عليهم وهو ان يشهد عليهم الملائكة والانبياء والسنتهم
وارجلهم بالكفر والفسوق او من وقت الشهادة او من مكانها وقيل

هو ما شهدوا به فى عيسى وامه اسمع بهم وابصر تعجب معناه ان اسماعهم
وابصارهم يوم يأتوننا اى يوم القيمة جدير بان يتعجب منهما بعد ما كانوا صما
وعميا فى الدنيا او التهديد بما سيسمعون ويبصرون يومئذ وقيل
امر بان يسمعهم ويبصرهم مواعيد ذلك اليوم وما يحيق بهم فيه والجار
والمجرور على الاول فى موضع الرفع وعلى الثانى فى محل النصب لكن
الظالمون اليوم فى ضلال مبين اوقع الظالمين موقع الضمير اشعارا
بانهم ظلموا انفسهم حيث اغفلوا الاستماع والنظر حين ينفعهم وسجل
على اغفالهم بانه ضلال بين وانذرهم يوم الحسرة يوم يتحسر الناس المسئ
على اساءته والمحسن على قلة احسانه اذ قضى الامر فرغ من الحساب
وتصادر الفريقان الى الجنة والنار واذ بدل من اليوم او ظرف للحسرة
وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون حال متعلقة بقوله فى ضلال مبين وما بينهما
اعتراض او بانذرهم اى انذرهم غافلين غير مؤمنين فيكون حالا متضمنة
للتعليل انا نحن نرث الارض ومن عليها لا يبقى لاحد غيرنا عليها وعليهم
ملك ولا ملك او نتوفى الارض ومن عليها بالافناء والاهلاك
توفى الوارث لارثه والينا يرجعون يردون للجزاء واذكر فى الكتاب
ابرهيم انه كان صديقا ملازما للصدق كثير التصديق لكثرة ما صدق
به من غيوب الله واياته وكتبه ورسله نبيا استنبأه الله اذ قال
بدل من ابرهيم وما بينهما اعتراض او متعلق بكان او بصديقا نبيا
لابيه يا ابت التاء معوضة من ياء الاضافة ولذلك لا يقال يا ابتى
ويقال يا ابتا وانما يذكر للاستعطاف ولذلك كررها لم تعبد
ما لا يسمع ولا يبصر فيعرف حالك ويسمع ذكرك ويرى خضوعك
ولا يغنى عنك شيئا فى جلب نفع ودفع ضر دعاه الى الهدى وبين
ضلاله واحتج عليه ابلغ احتجاج وارشده برفق وحسن ادب حيث

لم يصرح بضلاله بل طلب العلة التي تدعوه الى عبادة ما يستخف به العقل الصريح ويأبى الركون اليه فضلا عن عبادته التي هي غاية التعظيم ولا تحق الا لمن له الاستغناء التام والانعام العام وهو الخالق الرازق المحيي المميت المعاقب المثيب ونبه على ان العاقل ينبغي ان يفعل ما يفعل لغرض صحيح والشيء لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا على النفع والضر ولكن ممكنا لاستنكف العقل القويم عن عبادته وان كان اشرف الخلق كالملائكة والنبيين لما يراه مثله في الحاجة والانقياد للقدرة الواجبة فكيف اذا كان جمادا لا يسمع ولا يبصر ثم دعاه الى ان يتبعه ليهديه الحق القويم والصراط المستقيم لما لم يكن محظوظا من العلم الالهي مستقلا بالنظر السوي فقال يا ابت اني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني اهدك صراطا سويا ولم يسم اباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق بل جعل نفسه كرفيق له في مسير يكون اعرف بالطريق ثم ثبطه عما كان عليه بانه مع خلوه عن النفع مستلزم للضر فانه في الحقيقة عبادة الشيطان من حيث انه الامر به فقال يا ابت لا تعبد الشيطان واستهجن ذلك وبين وجه الضر فيه بان الشيطان من حيث مستعص على ربك المولي للنعم كلها بقوله ان الشيطان كان للرحمن عصيا ومعلوم ان المطاوع للعاصي عاص وكل عاص حقيق بان يسترد منه النعم وينتقم ولذلك عقبه بتخويفه سوء عاقبته وما يجر اليه فقال يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا قرينا في اللعن او العذاب تليه ويليك او ثابتا في موالاته فانه اكبر من العذاب كما ان رضوان الله اكبر من الثواب وذكر الخوف والمس وتنكير العذاب اما للمجاملة او لخفاء العاقبة ولعل اقتصاره على عصيان الشيطان من جناياته لارتقاء همته في الربانية او لانه ملاكها او لانه من حيث انه نتيجة معاداته لآدم وذريته منبه عليها قال اراغب انت عن الهتي يا ابرهيم قابل استعطافه ولطفه

في الارشاد بالفظاظة وغلظة العناد فناداه باسمه ولم يقابل يا ابت بيا بني واخره وقدم الخبر على المبتدأ وصدره بالهمزة لانكار نفس الرغبة على ضرب من التعجب كانها مما لا يرغب عنها عاقل ثم هدده فقال لئن لم تنته عن مقالك فيها او الرغبة عنها لارجمنك بلساني يعني الشتم والذم او بالحجارة حتى تموت او تبعد مني واهجرني عطف على ما دل عليه لارجمنك اي فاحذرني واهجرني مليا زمانا طويلا من الملاوة او مليا بالذهاب عني قال سلام عليك توديع ومتاركة ومقابلة للسيئة بالحسنة اي لا اصيبك بمكروه ولا اقول لك بعد ما يؤذيك ولكن سأستغفر لك ربي لعله يوفقك للتوبة والايمان فان حقيقة الاستغفار للكافر استدعاء التوفيق لما يوجب مغفرته وقد مر تقريره في سورة التوبة انه كان بي حفيا بليغا في البر والالطاف واعتزلكم وما تدعون من دون الله بالمهاجرة بديني وادعو ربي واعبده وحده عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا خائبا ضائع السعي مثلكم في دعاء الهتكم وفي تصدير الكلام بعسى التواضع وهضم النفس والتنبيه على ان الاجابة والاثابة تفضل غير واجب وان ملاك الامر خاتمته وهو غيب فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله بالهجرة الى الشام وهبنا له اسحق ويعقوب بدل من فارقهم من الكفرة وقيل انه لما قصد الشام اتى اولا حران وتزوج بسارة وولدت له اسحق وولد منه يعقوب ولعل تخصيصهما بالذكر لانهما شجرتا الانبياء او لانه اراد ان يذكر اسمعيل بفضله على انفراده وكلا جعلنا نبيا وكلا منهما او منهم ووهبنا لهم من رحمتنا النبوة والاموال والاولاد وجعلنا لهم لسان صدق عليا يفتخر بهم الناس ويثنون عليهم استجابة لدعوته واجعل لي لسان

صدق في الآخرين والمراد باللسان ما يوجد به ولسان العرب لغتهم
واضافته الى الصدق وتوصيفه بالعلو للدلالة على انهم احقاء بما يثنون
عليهم وان محامدهم لا تخفى على تباعد الاعصار وتحول الدول
وتبدل الملل واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا موحدا اخلص عبادته
عن الشرك والرياء او اسلم وجهه لله واخلص نفسه عما سواه وقرأ الكوفيون
بالفتح على ان الله اخلصه وكان رسولا نبيا ارسله الله الى الخلق فانباهم
عنه ولذلك قدم رسولا مع انه اخص واعلى وناديناه من جانب الطور
الايمن من ناحيته اليمنى من اليمين وهي التي تلي يمين موسى او من جانبه
الميمون من اليمن بان تمثل له الكلام من تلك الجهة وقربناه تقريب تشريف
شبهه بمن قربه الملك لمناجاته نجيا مناجيا حال من احد الضميرين وقيل
مرتفعا من النجوة وهو الارتفاع لما روي انه رفع فوق السموات
حتى سمع صرير القلم ووهبنا له من رحمتنا من اجل رحمتنا او بعض رحمتنا
اخاه معاضدة اخيه وموازرته اجابة لدعوته واجعل لي وزيرا
من اهلي فانه كان اسن من موسى وهو مفعول او بدل هارون عطف
بيان نبيا حال منه واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد
ذكره بذلك لانه المشهور به والموصوف باشياء في هذا الباب لم يعهد من غيره
وناهيك انه وعد الصبر على الذبح فقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين
فوفى ابرهيم وكان رسولا نبيا يدل على ان الرسول لا يلزم ان يكون
صاحب شريعة لان اولاد ابرهيم كانوا على شريعته وكان يأمر اهله
بالصلوة والزكوة اشتغالا بالاهم وهو ان يقبل الرجل على نفسه
ومن هو اقرب الناس اليه بالتكميل قال وانذر عشيرتك الاقربين
وأمر اهلك بالصلوة قوا انفسكم واهليكم نارا وقيل اهله امته فان
الانبياء اباء الامم وكان عند ربه مرضيا لاستقامة احواله واقواله

وافعاله

وافعاله واذكر في الكتاب ادريس هو سبط شيث وجد ابي نوح واسمه
اخنوخ واشتقاق ادريس من الدرس يرده منع صرفه نعم لا يبعد ان يكون
معناه في تلك اللغة قريبا من ذلك فلقب به لكثرة درسه اذ روي انه تعالى
انزل عليه ثلثين صحيفة وانه اول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم
والحساب انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا يعني شرف النبوة
والزلفى عند الله وقيل الجنة وقيل السماء السادسة او الرابعة اولئك
اشارة الى المذكورين في السورة من زكريا الى ادريس الذين انعم الله عليهم
بانواع النعم الدينية والدنيوية من النبيين بيان للموصول من ذرية
آدم بدل منه باعادة الجار ويجوز ان يكون من فيه للتبعيض لان المنعم
عليهم اعم من الانبياء واخص من الذرية وممن حملنا مع نوح اي من ذرية
من حملنا خصوصا وهم من عدا ادريس فان ابرهيم كان من ذرية سام
ابن نوح ومن ذرية ابرهيم الباقون واسرائيل عطف على ابرهيم اي ومن ذرية
اسرائيل وكان منهم موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى وفيه دليل
على ان اولاد البنات من الذرية وممن هدينا ومن جملة من هديناه الى
الحق واجتبينا للنبوة والكرامة اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا
خبر لاولئك ان جعلت الموصول صفته واستئناف ان جعلته خبره لبيان
خشيتهم من الله واخباتهم له مع ما لهم من علو الطبقة في شرف النسب
وكمال النفس والزلفى من الله عز وجل وعن النبي صلى الله عليه وسلم
اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا والبكي جمع باك كالسجود في
جمع ساجد وقرئ يتلى بالياء لان التأنيث غير حقيقي وقرأ حمزة والكسائي
بكيا بكسر الباء فخلف من بعدهم خلف فعقبهم وجاء بعدهم عقب سوء
يقال خلف صدق بالفتح وخلف سوء بالسكون اضاعوا الصلوة تركوها
او اخروها عن وقتها واتبعوا الشهوات كشرب الخمر واستحلال نكاح

والاخذ من الادب والانهماك في المعاصي وعن علي رض واتبعوا الشهوات
من بنى المشيد وركب المنظور ولبس المشهور فسوف يلقون غيا كقوله
فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما او جزاء
غي كقوله يلق اثاما او غيا عن طريق الجنة وقيل هو واد في جهنم
تستعيذ منه اوديتها الا من تاب وامن وعمل صالحا يدل على ان الاية
في الكفرة فاولئك يدخلون الجنة وقرا ابن كثير وابو عمرو وابو بكر ويعقوب
على البناء للمفعول من ادخل ولا يظلمون شيئا ولا ينقصون شيئا من
جزاء اعمالهم ويجوز ان ينتصب شيئا على المصدر وفيه تنبيه بان كفرهم
السابق لا يضرهم ولا ينقص اجورهم جنات عدن بدل من الجنة بدل البعض
لاشتمالها عليها او منصوب على المدح وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف
وعدن علم لانه المضاف اليه في العلم او علم للعدن بمعنى الاقامة كبرة ولذلك
صح وصف ما اضيف اليه بقوله التي وعد الرحمن عباده بالغيب اي وعدها
اياهم وهي غائبة عنهم او وهم غائبون عنها او وعدهم بايمانهم بالغيب
انه ان الله كان وعده الذي هو الجنة مأتيا ياتيها اهلها الموعود لهم
لا محالة وقيل هو من اتى اليه احسانا اي مفعولا منجزا لا يسمعون فيها
لغوا فضول كلام الا سلاما ولكن يسمعون قولا يسلمون فيه من العيب
والنقيصة او الا تسليم الملائكة عليهم او تسليم بعضهم على بعض على الاستثناء
المنقطع او على معنى ان التسليم ان كان لغوا فلا يسمعون لغوا سواه كقوله
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم او على ان معناه الدعاء بالسلامة واهلها
اغنياء عنه فهو من باب اللغو ظاهرا وانما فائدته الاكرام ولهم رزقهم
فيها بكرة وعشيا على عادة المتنعمين والتوسط بين الزهادة والرغابة وقيل
المراد دوام الرزق ودروره تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان
تقيا نبقيها عليهم من ثمرة تقواهم كما يبقى على الوارث مال مورثه والوراثة

اقوى لفظ يستعمل في التمليك والاستحقاق من حيث انها لا تعقب بفسخ
ولا استرجاع ولا تبطل برد واسقاط وقيل يورث المتقون من الجنة
المساكن التي كانت لاهل النار لو اطاعوا زيادة في كرامتهم وعن يعقوب
نورث بالتشديد وما نتنزل الا بامر ربك حكاية قول جبريل حين استبطاه
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما سئل عن قصة اصحاب الكهف وذي
القرنين والروح ولم يدر ما يجيب ورجى ان يوحى اليه فابطا عليه خمسة عشر يوما
وقيل اربعين حتى قال المشركون ودعه وقلاه ثم نزل ببيان ذلك والتنزل
النزول على مهل لانه مطاوع نزل وقد يطلق بمعنى النزول مطلقا كما
يطلق نزل بمعنى انزل والمعنى وما ننزل وقتا غب وقت الا بامر الله
على ما تقتضيه حكمته وقرئ وما يتنزل بالياء والضمير للوحي له ما بين
ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وهو ما نحن فيه من الاماكن والاحايين
لا ننتقل من مكان الى مكان او لا ننزل في زمان دون زمان الا بامره
ومشيئته وما كان ربك نسيا تاركا لك اي ما كان عدم النزول الا لعدم
الامر به ولم يكن ذلك عن ترك الله لك وتوديعه اياك كما زعمت الكفرة
وانما كان لحكمة راها فيه وقيل اول الاية حكاية قول المتقين حين يدخلون
الجنة والمعنى وما ننزل الجنة الا بامر الله ولطفه وهو مالك الامور كلها
السالفة والمترقبة والحاضرة فما وجدناه وما نجده من لطفه وفضله
وقوله وما كان ربك نسيا تقرير من الله لقولهم اي وما كان تاركا لاعمال
العاملين وما وعد لهم من الثواب عليها وقوله رب السموات والارض وما
بينهما بيان لامتناع النسيان عليه وهو خبر محذوف او بدل من ربك
فاعبده واصطبر لعبادته خطاب للرسول مرتب عليه اي لما عرفت ربك بانه
لا ينبغي له ان ينساك او اعمال العمال فاقبل على عبادته واصطبر عليها ولا
تتشوش بابطاء الوحي وهزء الكفرة وانما عدي باللام لتضمنه معنى الثبات

للعبادة فيما يورده عليه من الشدائد والمشاق كقولك للمحارب واصطبر
لقرنك هل تعلم له سميا مثلا يستحق ان يسمى الها او احدا يسمى الله فان
المشركين وان سموا الصنم الها لم يسموه الله قط وذلك لظهور احديته
وتعالي ذاته عن المماثلة بحيث لم يقبل اللبس والمكابرة وهو تقرير للامر
اي اذا صح ان لا احد مثله ولا يستحق العبادة غيره لم يكن بد من التسليم
لامره والاشتغال بعبادته والاصطبار على مشاقها ويقول الانسان
المراد به الجنس باسره فان المقول مقول فيما بينهم وان لم يقل كلهم كقولك
بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم او بعضهم المعهود وهم الكفرة
او ابي بن خلف فانه اخذ عظاما بالية ففتها فقال يزعم محمد انا نبعث
بعدما نموت ائذا ما مت لسوف اخرج حيا من الارض او من حال الموت
وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار لان المنكر كون ما بعد الموت
وقت الحياة وانتصابه بفعل دل عليه اخرج لا به فان ما بعد اللام
لا يعمل فيما قبلها وهي هاهنا مخلصة للتوكيد مجردة عن معنى الحال كما
خلصت الهمزة واللام في يا الله للتعويض فساغ اقترانها بحرف الاستقبال
اولا يذكر الانسان عطف على يقول وتوسيط همزة الانكار بينه وبين
العاطف مع ان الاصل ان يتقدمهما للدلالة على ان المنكر بالذات
هو المعطوف وان المعطوف عليه انما نشأ منه فانه لو تذكر وتأمل
انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا بل كان عدما صرفا لم يقل ذلك فانه اعجب
من جمع المواد بعد التفريق وايجاد مثل ما كان فيها من الاعراض وقرأ
نافع وابن عامر وعاصم وقالون عن يعقوب يذكر من الذكر الذي يراد
به التفكر وقرئ يتذكر على الاصل فوربك لنحشرنهم اقسام باسمه
مضافا الى نبيه تحقيقا للامر وتفخيما لشأن الرسول والشياطين عطف
او مفعول معه لما روي ان الكفرة يحشرون مع قرنائهم من الشياطين

وروي عن ابن ذكوان اذا ما مت بهمزة واحدة مكسورة على الخبر م

الذين اغووهم كل مع شيطانه في سلسلة وهذا وان كان مخصوصا بهم
ساغ نسبته الى الجنس باسره فانهم اذا حشروا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين
فقد حشروا جميعا معهم ثم لنحضرنهم حول جهنم ليرى السعداء ما نجاهم
الله منه فيزدادوا غبطة وسرورا وينال الاشقياء ما ادخروا
لمعادهم عدة ويزدادوا غيظا من رجوع السعداء عنهم الى دار الثواب
وشماتتهم عليهم جثيا على ركبهم لما يدهمهم من هول المطلع او لانه من توابع
التواقف للحساب قبل التواصل الى الثواب والعقاب واهل الموقف
جاثون لقوله تعالى وترى كل امة جاثية على العادة في مواقف التقاول
وان كان المراد بالانسان الكفرة فلعلهم يساقون جثاة من الموقف الى
شاطئ جهنم اهانة بهم او لعجزهم عن القيام لما عراهم من الشدة وان فسر الانسان
بالعموم فالمعنى انهم يتجاثون عند موافاة شاطئ جهنم على ان جثيا حال
مقدرة وقرأ حمزة والكسائي وحفص جثيا بكسر الجيم ثم لننزعن من كل
شيعة من كل امة شاعت دينا ايهم اشد على الرحمن عتيا من كان اعصى واعتى
منهم فنطرحهم فيها وفي ذكر الاشد تنبيه انه تعالى يعفو كثيرا من اهل العصيان
ولو خص ذلك بالكفرة فالمراد انه يميز طوائفهم اعتاهم فاعتاهم ويطرحهم
في النار على الترتيب او يدخل كلا طبقتها التي تليق به وايهم مبني على الضم
عند سيبويه لان حقه ان يبنى كسائر الموصولات لكنه اعرب حملا على كل
وبعض للزوم الاضافة فاذا حذف صدر صلته زاد نقصه فعاد الى
حقه منصوب المحل بننزعن ولذلك قرئ منصوبا ومرفوع عند غيره
اما بالابتداء على انه استفهامي وخبره اشد والجملة محكية وتقدير الكلام
لننزعن من كل شيعة الذين يقال فيهم ايهم اشد او معلق عنها لننزعن
لتضمنه معنى التمييز اللازم للعلم او مستأنفة والفعل واقع على من كل
شيعة على زيادة من او على معنى لننزعن بعض كل شيعة واما نشيعة لانها

اشد م

عتيا تمييز وعلى للبيان ومتعلق بافعل وكذا الباء في قوله ثم لنحن اعلم بالذين
هم اولى بها صليا اى نحن اعلم بالذين هم اولى بالصلي او صليهم اولى بالنار
وهم المنتزعون ويجوز ان يراد بهم وباشدهم عتيا رؤساء الشيع فان
عذابهم مضاعف لضلالتهم واضلالهم وان منكم وما منكم التفات
الى الانسان ويؤيده انه قرئ وان منهم الا واردها الا واصلها
وحاضر دونها يمر بها المؤمنون وهي خامدة وتنهار بغيرهم وعن جابر
انه صلى الله عليه وسلم سئل عنه فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال
بعضهم لبعض اليس قد وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال لهم قد وردتموها
وهي خامدة واما قوله تعالى اولئك عنها مبعدون فالمراد عن عذابها
وقيل ورودها الجواز على الصراط فانه ممدود عليها كان على ربك
حتما مقضيا كان ورودهم واجبا اوجبه الله على نفسه وقضى
بان وعد به وعدا لا يمكن خلفه وقيل اقسم عليه ثم ننجي الذين اتقوا
فيساقون الى الجنة وقرأ الكسائي ويعقوب ننجي بالتخفيف وقرئ بفتح الثاء
اى هناك ونذر الظالمين فيها جثيا منهارا بهم كما كانوا وهو دليل
على ان المراد بالورود الجثو حواليها وان المؤمنين يفارقون الفجرة الى الجنة
بعد تجاثيهم وتبقى الفجرة فيها منهارا بهم على هيئاتهم واذا تتلى عليهم
آياتنا بينات مرتلات الالفاظ مبينات المعاني بنفسها او ببيان الرسول
او واضحات الاعجاز قال الذين كفروا للذين آمنوا لاجلهم او معهم
اى الفريقين المؤمنين والكافرين خير مقاما موضع قيام او مكانا
وقرأ ابن كثير بالضم اى موضع اقامة ومنزل واحسن نديا مجلسا
ومجتمعا والمعنى انهم لما سمعوا الآيات الواضحات وعجزوا عن معارضتها
والدخل عليها اخذوا في الافتخار بما لهم من حظوظ الدنيا والاستدلال
بزيادة حظهم فيها على فضلهم وحسن حالهم عند الله تعالى لقصور نظرهم على

وقرأ حمزة والكسائي وحفص صليا بالكسر انضمام

الحال

الحال وعلمهم بظاهر من الحيوة الدنيا فرد عليهم ذلك ايضا مع التهديد
نقضا بقوله وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورئيا وكم مفعول
اهلكنا ومن قرن بيانه وانما سمي اهل كل عصر قرنا لانه يتقدم من
هو بعدهم وهم احسن صفة لكم واثاثا تمييز عن النسبة وهو متاع البيت
وقيل ما جد منه والخرثي ما رث والرئي المنظر فعل من الرؤية لما يرى
كالطحن والخبز وقرأ نافع وابن عامر ريا على قلب الهمزة وادغامها
او على انه من الري الذي هو النعمة وابو بكر رييا على القلب وقرئ ريا
بحذف الهمزة وزيا من الزي وهو الجمع فانه محاسن مجموعة ثم بين ان تنعيم
استدراج ليس باكرام وانما العيار على الفضل والنقص ما يكون في
الآخرة بقوله قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا فيمده
ويمهله بطول العمر والتمتع به وانما اخرجه على لفظ الامر ايذانا
بان امهاله مما ينبغي ان يفعله استدراجا وقطعا لمعاذيره كقوله
انما نملي لهم ليزدادوا اثما وكقوله اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر
حتى اذا راوا ما يوعدون غاية المد وقيل غاية قول الذين كفروا
للذين آمنوا اى الفريقين خير حتى اذا راوا ما يوعدون اما العذاب
واما الساعة تفصيل للموعود فانه اما العذاب وهو غلبة المسلمين عليهم
وتعذيبهم اياهم قتلا واسرا واما يوم القيمة وما ينالهم فيه من الخزي
والنكال فسيعلمون من هو شر مكانا من الفريقين بان عاينوا الامر على
عكس ما قدروه وعاد ما متعوا به خذلانا ووبالا عليهم وهو جواب
الشرط والجملة محكية بعد حتى واضعف جندا اى فئة وانصارا قابل به
احسن نديا من حيث ان حسن النادي باجتماع وجوه القوم واعيانهم
وظهور شوكتهم واستظهارهم ويزيد الله الذين اهتدوا هدى
عطف على الشرطية المحكية بعد القول كانه لما بين ان امهال الكافر وتمتيعه

بالحظوظ الدنيا ليس لفضله اراد ان يبين ان قصور حظ المؤمن منها ليس
لنقصه بل لان الله عز وجل اراد به ما هو خير له وعوضه منه وقيل عطف
على فليمدد لانه في معنى الخبر كانه قيل من كان في الضلالة يزيد الله في
ضلالته ويزيد المقابل له هدايته والباقيات الصالحات الطاعات التي
تبقى عائدتها ابد الآباد ويدخل فيها ما قيل من الصلوة الخمس وقول
سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر خير عند ربك ثوابا
عائدة مما متع الكفرة من النعم المخدجة الفانية التي يفتخرون بها سيما وما
لها النعيم المقيم ومآل هذه الحسرة والعذاب الدائم كما اشار اليه بقوله
وخير مردا والخير هنا اما لمجرد الزيادة او على طريقة قولهم الصيف احر
من الشتاء اي ابلغ في حره منه في برده افرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لاوتين
مالا وولدا نزلت في العاص بن وائل كان لخباب عليه مال فتقاضاه فقال
له لا حتى تكفر بمحمد فقال لا والله لا اكفر بمحمد حيا ولا ميتا ولا حين تبعث
قال واذا بعثت جئني فيكون لي ثم مال وولد فاعطيك ولما كانت الرؤية
اقوى سند الاخبار استعمل أرأيت بمعنى الاخبار والفاء على اصلها والمعنى
اخبر بقصة هذا الكافر عقيب حديث اولئك وقرأ حمزة والكسائي ولدا
وهو جمع ولد كاسد في اسد او لغة فيه كالعرب والعرب اطلع الغيب
اي قد بلغ من عظمة شانه الى ان ارتقى الى علم الغيب الذي توحد به الواحد
القهار حتى ادعى ان يؤتاه في الآخرة مالا وولدا وتألى عليه ام اتخذ عند
الرحمن عهدا او اتخذ من عالم الغيب عهدا بذلك فانه لا يتوصل الى العلم به
الا باحد هذين الطريقين وقيل العهد كلمة الشهادة والعمل الصالح فان
وعد الله بالثواب عليهما كالعهد عليه كلا ردع وتنبيه على انه مخطئ فيما
تصوره لنفسه سنكتب ما يقول سنظهر له انا كتبنا قوله على طريقة قوله
اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة اي تبين اني لم تلدني لئيمة او سننتقم منه

انتقام من كتب جريمة العدو وحفظها عليه فان نفس الكتبة لا تتأخر عن
القول لقوله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد ونمد له من العذاب
مدا ونطول له من العذاب ما يستأهله او نزيد عذابه ونضاعفه لكفره
وافترائه واستهزائه على الله ولذلك اكده بالمصدر دلالة على فرط غضبه
عليه ونرثه بموته ما يقول يعني المال والولد ويأتينا يوم القيمة فردا لا يصحبه
مال ولا ولد كان له في الدنيا فضلا ان يؤتى ثم زائدا وقيل فردا رافضا
لهذا القول منفردا عنه واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا ليتعززوا
بهم حيث يكونون لهم وصلة الى الله تعالى وشفعاء عنده كلا ردع وانكار
لتعززهم بها سيكفرون بعبادتهم ستجحد الآلهة عبادتهم ويقولون
ما عبدتمونا لقوله اذ تبرأ الذين اتبعوا او سينكر الكفرة لسوء العاقبة
انهم عبدوها لقوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين
ويكونون عليهم ضدا يؤيد الاول اذا فسر الضد بضد العز اي ويكونون
عليهم ذلا او بضدهم على معنى انها تكون معونة في عذابهم بان توقد بها
نيرانهم او جعل الواو للكفرة اي ويكونون كافرين بهم بعد ان كانوا يعبدونها
وتوحيده لوحدة المعنى الذي به مضادتهم فانهم بذلك كالشيء الواحد
ونظيره قوله صلى الله عليه وسلم وهم يد على من سواهم وقرئ كلا بالتنوين
على قلب الالف نونا في الوقف قلب الف الاطلاق في قوله اقلي اللوم
عاذل والعتابن او على معنى كل هذا الرأي كلا وكلا على اضمار فعل يفسره
ما بعده اي سيجحدون كلا سيكفرون بعبادتهم الم تر انا ارسلنا الشياطين
على الكافرين بان سلطناهم عليهم او قيضنا لهم قرناء تؤزهم ازا تهزهم
وتغريهم على المعاصي بالتسويلات وتحبيب الشهوات والمراد تعجيب
رسول الله صلى الله عليه من اقاويل الكفرة وتماديهم في الغي وتصميمهم
على الكفر بعد وضوح الحق على ما نطقت به الآيات المتقدمة فلا تعجل عليهم

بان يهلكوا حتى تستريح انت والمؤمنون من شرورهم ويطهر الارض من
فسادهم انما نعد لهم عدا والمعنى لا تعجل بهلاكهم فانه لم يبق لهم الا ايام
محصورة وانفاس معدودة يوم نحشر المتقين نجمعهم الى الرحمن الى ربهم الذى
غمرهم برحمته ولاختيار هذا الاسم فى هذه السورة شان ولعله لان
مساق الكلام فيها لتعداد نعمه الجسام وشرح حال الشاكرين لها والكافرين
وفدا وافدين عليه كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين لكرامتهم وانعامهم
ونسوق المجرمين كما تساق البهائم الى جهنم وردا عطاشا فان من يرد الماء
لا يرده الا لعطش او كالدواب التى ترد الماء لا يملكون الشفاعة الضمير
فيه للعباد المدلول عليها بذكر القسمين وهو الناصب ليوم الا من اتخذ
عند الرحمن عهدا الا من تحلى بما يستعد به ويستاهل ان يشفع للعصاة
من الايمان والعمل الصالح على ما وعد الله او الا من اتخذ من الله اذنا
فيها لقوله لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن من قولهم عهد الامير الى
فلان بكذا اذا امره به ومحله الرفع على البدل من الضمير او النصب على تقدير
مضاف اى الا شفاعة من اتخذ او على الاستثناء وقيل الضمير للمجرمين والمعنى
لا يملكون الشفاعة فيهم الا من اتخذ عند الرحمن عهدا يستعد به ان يشفع له
بالاسلام وقالوا اتخذ الرحمن ولدا الضمير يحتمل الوجهين لان هذا لما كان
مقولا فيما بين الناس جاز ان ينسب اليهم لقد جئتم شيئا ادا على الالتفات
للمبالغة فى الذم والتسجيل عليهم بالجراة على الله تعالى والاد بالفتح
والكسر العظيم المنكر والادة الشدة وادنى الامر وآدنى اثقلنى وعظم على
تكاد السموات وقرأ نافع والكسائى بالياء يتفطرن منه يتشققن مرة بعد
اخرى وقرأ ابو عمرو وابن عامر وحمزة وابو بكر ويعقوب ينفطرن
والاول ابلغ لان التفعل مطاوع فعل والانفعال مطاوع فعل ولان
اصل التفعل للتكلف وتنشق الارض وتخر الجبال هدا تهد هدا

او مهدودة او لانها هدت اى كسرت وهو تقرير لكونه ادا والمعنى ان هول
هذه الكلمة وعظمها بحيث لو تصور بصورة محسوسة لم يتحملها هذه الاجرام
العظام وتفتت من شدتها او ان فظاعتها مجلبة لغضب الله بحيث لولا
حلمه لخرب العالم وبدد قوائمه غضبا على من تفوه بها ان دعوا للرحمن
ولدا يحتمل النصب على العلة لتكاد او لهدا على حذف اللام وافضاء الفعل
اليه والجر باضمار اللام او بالابدال من الهاء فى منه والرفع على انه خبر محذوف
تقديره الموجب لذلك ان دعوا او فاعل هدا اى هدها دعاء الولد للرحمن
وهو من دعى بمعنى سمى المتعدى الى مفعولين وانما اقتصر على المفعول الثانى
ليحيط بكل ما دعى له ولدا او من دعا بمعنى نسب الذى مطاوعه ادعى
الى فلان اذا انتسب اليه وما ينبغى للرحمن ان يتخذ ولدا ولا يليق به
اتخاذ الولد ولا يتطلب له لو طلب مثلا لانه مستحيل ولعل ترتيب
الحكم بصفة الرحمانية للاشعار بان كل ما عداه نعمة ومنعم عليه فلا
يجانس من هو مبدا النعم كلها ومولى اصولها وفروعها فكيف يمكن ان
يتخذ ولدا ثم صرح به فى قوله ان كل من فى السموات والارض اى وما منهم
الا آتى الرحمن عبدا الا وهو مملوك له ياوى اليه بالعبودية والانقياد
وقرئ آت الرحمن على الاصل لقد احصيهم حصرهم واحاط بهم بحيث
لا يخرجون عن حوزة علمه وقبضة قدرته وعدهم عدا عد اشخاصهم
وانفاسهم وافعالهم فان كل شئ عنده بمقدار وكلهم آتيه يوم القيمة
فردا منفردا عن الاتباع والانصار فلا يجانسه شئ من ذلك ليتخذه
ولدا ولا يناسبه ليشرك به ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل
لهم الرحمن ودا سيحدث لهم فى القلوب مودة من غير تعرض منهم لاسبابها
وعن النبى صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا يقول لجبريل احببت
فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادى فى اهل السماء ان الله قد احب

فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع له المحبة في الارض والسين
لان السورة مكية وكانوا ممقوتين حينئذ بين الكفرة فوعدهم ذلك اذا دجا
الاسلام او لان الموعود في القيمة حين يعرض حسناتهم على رؤس الاشهاد
فينزع ما في صدورهم من الغل فانما يسرناه بلسانك بان انزلناه بلغتك
والباء بمعنى على او على اصله لتضمن يسرناه معنى انزلناه اى انزلناه
بلغتك لتبشر به المتقين الصائرين الى التقوى وتنذر به قوما لدا
اشداء الخصومة آخذين في كل لديد اى شق من المراء لفرط لجاجهم فبشر به
وانذر وكم اهلكنا قبلهم من قرن تخويف للكفرة وتجسير للرسول على انذارهم
هل تحس منهم من احد هل تشعر باحد منهم وتراه او تسمع لهم ركزا وقرئ
تسمع من اسمعت والركز الصوت الخفي واصل التركيب هو الخفاء ومنه
ركز الرمح اذا غيب طرفه في الارض والركاز للمال المدفون وعن
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة مريم اعطى عشر حسنات
بعدد من كذب زكريا وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وسائر
الانبياء المذكورين فيها وبعدد من دعا الله في الدنيا ومن لم يدع الله والله اعلم

سورة طه وهي مائة واربع وثلثون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم طه فخمهما قالون وابن كثير وابن عامر وحفص
ويعقوب على الاصل وفخم الطاء وحده ابو عمرو وورش لاستعلائه
وامالهما الباقون وهما من اسماء الحروف وقيل معناه يا رجل على
ان صح فلعل اصله يا هذا فتصرفوا فيه بالقلب والاختصار والاستشهاد
بقوله ان السفاهة طه في خلائقكم لا قدس الله اخلاق الملاعين ضعيف
لجواز ان يكون قسما كقوله حم لا ينصرون وقرئ طه على انه امر للرسول
بان يطأ الارض بقدميه فانه كان يقوم في تهجده على احدى رجليه

وان اصله طأ فقلبت همزته هاء او قلبت في يطأ الفا كقوله لا هناك المرتع
ثم بنى عليه الامر وضم اليه هاء السكت وعلى هذا يحتمل ان يكون اصله طه
طأها والالف مبدلة من الهمزة والهاء كناية الارض لكن يرد ذلك كتبتهما
على صورة الحروف وكذا التفسير بيا رجل او اكتفى بشطري الكلمتين وعبر
عنهما باسمهما ما انزلنا عليك القرآن لتشقى خبر طه ان جعلته مبتدأ على انه مؤول
بالسورة او القرآن والقرآن فيه واقع موقع العائد وجواب ان جعلته مقسما به
ومنادى له ان جعلته نداء واستئناف ان كانت جملة فعلية او اسمية باضمار
مبتدأ او طائفة من الحروف محكية والمعنى ما انزلنا عليك القرآن لتتعب
بفرط تأسفك على كفر قريش اذ ما عليك الا ان تبلغ او بكثرة الرياضة
وكثرة التهجد والقيام على ساق والشقاء شائع بمعنى التعب ومنه اشقى من
رائض المهر وسيد القوم اشقاهم ولعله عدل اليه للاشعار بانه انزل عليه
ليسعد وقيل رد وتكذيب للكفرة فانهم لما راوا كثرة عبادته قالوا انك
لتشقى بترك ديننا وان القرآن انزل اليك لتشقى به الا تذكرة لكن تذكيرا
وانتصابها على الاستثناء المنقطع ولا يجوز ان يكون بدلا من محل لتشقى
لاختلاف الجنسين ولا مفعولا له لانزلنا فان الفعل الواحد لا يتعدى
الى علتين وقيل هو مصدر في موقع الحال من الكاف والقرآن او مفعول له
على ان لتشقى متعلق بمحذوف هو صفة القرآن اى ما انزلنا عليك القرآن
المنزل لتتعب بتبليغه الا تذكرة لمن يخشى لمن في قلبه خشية ورقة يتأثر
بالانذار او لمن علم الله منه انه يخشى بالتخويف منه فانه المنتفع به تنزيلا
نصب باضمار فعله او بيخشى او على المدح او البدل من تذكرة ان جعل حالا
وان جعل مفعولا له لفظا او معنى فلا لان الشيء لا يعلل بنفسه ولا بنوعه
ممن خلق الارض والسموات العلى مع ما بعده الى قوله له الاسماء الحسنى
تفخيم لشأن المنزل لعرض تعظيم المنزل بذكر افعاله وصفاته على الترتيب

الذي هو عند العقل مبدأ الخلق الأرض والسموات التي هي أصول العالم
وقدم الأرض لأنها أقرب إلى الحس وأظهر عنده من السموات العلى وهو جمع
العليا تأنيث الأعلى ثم أشار إلى وجه إحداث الكائنات وتدبير أمرها
بأن قصد العرش فأجرى منه الأحكام والتقادير وأنزل منه الأسباب
على ترتيب ومقادير حسب ما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيئته فقال الرحمن
على العرش استوى له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت
الثرى ليدل بذلك على كمال قدرته وإرادته ولما كانت القدرة تابعة
للإرادة وهي لا تنفك عن العلم عقب ذلك بإحاطة علمه تعالى بجليات الأمور
وخفياتها على سواء فقال وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى أي وإن
تجهر بذكر الله ودعائه فاعلم أنه غني عن جهرك فإنه يعلم السر وأخفى منه
وهو ضمير النفس وفيه تنبيه على أن شرع الذكر والدعاء والجهر فيهما ليس
لإعلام الله بل لتصوير النفس بالذكر ورسوخه فيها ومنعها عن الاشتغال
بغيره وهضمها بالتضرع والجؤار ثم إنه لما ظهر بذلك أنه المستجمع لصفات
الألوهية بين أنه المتفرد بها والمتوحد بمقتضاها فقال الله لا إله إلا هو
له الأسماء الحسنى ومن في محل خلق صلة لتنزيلا أو صفة له والانتقال
من التكلم إلى الغيبة للتفنن في الكلام وتفخيم المنزل من وجهين إسناد إنزاله
إلى ضمير الواحد العظيم الشأن ونسبته إلى المختص بصفات الجلال والإكرام
والتنبيه على أنه واجب الإيمان والانقياد من حيث إنه كلام من هذا
شأنه ويجوز أن يكون أنزلنا حكاية كلام جبريل والملائكة النازلين
معه وقرئ الرحمن بالجر صفة لمن خلق فيكون على العرش استوى خبر محذوف
وكذا إن رفع الرحمن على المدح على تقدير هو الرحمن دون الابتداء
ويجوز أن يكون خبرا ثانيا والثرى الطبقة الترابية من الأرض وهي
آخر طبقاتها والحسنى تأنيث الأحسن وفضل أسماء الله على سائر الأسماء

في الحسن

في الحسن لدلالتها على معان هي أشرف المعاني وأفضلها وهل أتاك حديث
موسى قفّى تمهيد نبوته بقصة موسى ليأتم به في تحمل أعباء النبوة وتبليغ
الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد فإن هذه السورة من أوائل ما
نزل إذ رأى نارا ظرف للحديث لأنه حدث أو مفعول لاذكر قيل إنه استأذن
شعيبا عليه السلام في الخروج إلى أمه وخرج بأهله فلما وافى وادي
طوى وفيه الطور ولد له ابن في ليلة شاتية مظلمة مثلجة وكانت ليلة الجمعة
وقد أضل الطريق وتفرقت ماشيته إذ رأى من جانب الطور نارا فقال
لأهله امكثوا أقيموا مكانكم إني آنست نارا أبصرتها إبصارا لا شبهة
فيه وقيل الإيناس إبصار ما يؤنس به لعلي آتيكم منها بقبس بشعلة
من النار وقيل جمرة أو أجد على النار هدى هاديا يدلني على الطريق أو
يهديني أبواب الدين فإن أفكار الأبرار مائلة إليها في كل ما يعن لهم ولما
كان حصولهما مترقبا بنى الأمر فيهما على الرجاء بخلاف الإيناس فإنه كان
متحققا ولذلك حققه لهم ليوطنوا أنفسهم عليه ومعنى الاستعلاء
في على النار أن أهلها مشرفون عليها أو مستعلون المكان القريب منها كما قال
سيبويه في مررت بزيد إنه لصوق بمكان يقرب منه فلما أتاها أي النار
وجد نارا بيضاء تتقد في شجرة خضراء نودي يا موسى إني أنا ربك
فتحه ابن كثير وأبو عمرو أي بأني وكسره الباقون بإضمار القول أو إجراء
النداء مجراه وتكرير الضمير للتوكيد والتحقيق قيل إنه لما نودي
قال من المتكلم قال إني أنا الله فوسوس إليه إبليس لعلك تسمع كلام
الشيطان فقال أنا عرفت أنه كلام الله فإني أسمعه من جميع الجهات
وبجميع الأعضاء وهو إشارة إلى أنه عليه السلام تلقى من ربه
كلامه تلقيا روحانيا ثم تمثل ذلك الكلام لبدنه وانتقل إلى الحس المشترك
فانتقش به من غير اختصاص بعضو وجهة فاخلع نعليك أمره بذلك

لان الحفوة تواضع وادب ولذلك طاف السلف حافين وقيل لنجاسة
نعليه فانهما كانتا من جلد حمار غير مدبوغ وقيل معناه فرغ قلبك
من الاهل والمال انك بالواد المقدس تعليل للامر باحترام البقعة
والمقدس يحتمل المعنيين طوى عطف بيان للوادي ونونه ابن عامر
والكوفيون بتاويل المكان وقيل هو كثنى من الطي مصدر لنودي او المقدس
اي نودي نداءين او قدس مرتين وانا اخترتك اصطفيتك للنبوة وقرا حمزة
وانا اخترناك فاستمع لما يوحى للذي يوحى اليك واللام يحتمل
التعلق بكل من الفعلين انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني بدل مما يوحى
دال على انه مقصور على تقرير التوحيد الذي هو منتهى العلم والامر بالعبادة
التي هي كمال العمل واقم الصلوة لذكري خصها بالذكر وافردها بالامر للعلة
التي اناط بها اقامتها وهو تذكر المعبود وشغل القلب واللسان بذكره
وقيل لذكري لاني ذكرتها في الكتب وامرت بها او لان اذكرك بالثناء او لذكري
خاصة لا تراني بها ولا تشوبها بذكر غيري وقيل لاوقات ذكري وهي
مواقيت الصلوة او لذكر صلوتي لما روي انه عليه السلام قال من نام عن صلوة
او نسيها فليقضها اذا ذكرها ان الله تعالى يقول واقم الصلوة لذكري
ان الساعة آتية كائنة لا محالة اكاد اخفيها اريد اخفاء وقتها او اقرب
ان اخفيها فلا اقول انها آتية ولولا ما في الاخبار باتيانها من اللطف
وقطع الاعذار لما اخبرت به او اكاد اظهرها من اخفاه اذا سلب خفاءه
ويؤيده القراءة بالفتح من خفاه اذا اظهره لتجزى كل نفس بما تسعى متعلق
بآتية او باخفيها على المعنى الاخير فلا يصدنك عنها عن تصديق الساعة
او عن الصلوة من لا يؤمن بها نهي الكافر ان يصد موسى عنها والمراد نهيه
ان ينصد عنها كقوله لا ارينك ههنا تنبيها على ان فطرته السليمة لو خليت
بحالها اختارها ولم يعرض عنها وانه ينبغي ان يكون راسخا في دينه فان

صد الكافر يكون بسبب ضعفه فيه واتبع هواه ميل نفسه الى اللذات المحسوسة
المخدجة فقصر نظره عن غيرها فتردى فتهلك بالانصداد بصده وما تلك
استفهام يتضمن استيقاظا لما يريه فيها من العجائب بيمينك حال من معنى
الاشارة وقيل صلة تلك يا موسى تكرير لزيادة الاستيناس والتنبيه
قال هي عصاي وقرئ عصي على لغة هذيل اتوكا عليها اعتمد عليها اذا
اعييت او وقفت على راس القطيع واهش بها على غنمي واخبط الورق
بها على رؤس غنمي وقرئ اهس وكلاهما من هش الخبز يهش اذا انكسر
لهشاشته وقرئ بالسين من الهس وهو زجر الغنم اي انحي عليها زاجرا لها
ولي فيها مآرب اخرى حاجات اخر مثل ان كان اذا سار القاها على عاتقه
فعلق بها اداوته وعرض الزندين على شعبتيها والقى عليها الكساء واستظل به
واذا قصر الرشا وصله بها واذا تعرضت السباع لغنمه قاتل بها وكانه
فهم ان المقصود من السؤال ان يذكر حقيقتها وما يرى من منافعها حتى اذا
راها بعد ذلك على خلاف تلك الحقيقة ووجد منها خصائص اخرى خارقة
للعادة مثل ان تشتعل شعبتاها بالليل كالشمع وتصير دلوا عند الاستقاء
وتطول بطول البئر وتحارب عنه اذا ظهر عدو وينبع الماء بركزها وينضب
بنزعها وتورق وتثمر اذا اشتهى ثمرة فركزها علم ان ذلك ايات
باهرة ومعجزات قاهرة احدثها الله فيها لاجله وليست من خواصها فذكر
حقيقتها ومنافعها مفصلا ومجملا على انها من جنس العصا ينتفع بها منافع
امثالها ليطابق جوابه الغرض الذي فهمه قال القها يا موسى فالقاها
فاذا هي حية تسعى قيل لما القاها انقلبت حية صفراء بغلظ العصا ثم تورمت
وعظمت فلذلك سماها جانا تارة نظرا الى المبدا وثعبانا مرة باعتبار
المنتهى وحية اخرى بالاسم الذي يعم الحالين وقيل كانت في ضخامة الثعبان
وجلادة الجان ولذلك قال كانها جان قال خذها ولا تخف فانه لما راها

حية تسرع وتبتلع الحجر والشجر خاف وهرب سنعيدها سيرتها الاولى هيئتها
وحالتها المتقدمة وهي فعلة من السير تجوز بها للطريقة والهيئة وانتصابها على نزع
الخافض او على ان اعاد منقول من عاده بمعنى عاد اليه او على الظرف اي
سنعيدها في طريقتها او على تقدير فعلها اي سنعيد العصا بعد ذهابها
تسير سيرتها الاولى فتنتفع بها ما كنت تنتفع قبل قيل لما قال له ربه
ذلك اطمأنت نفسه حتى ادخل يده في فمها واخذ بلحييها واضمم يدك
الى جناحك الى جنبك تحت العضد يقال لكل ناحيتين جناحان كجناحي
العسكر استعارة من جناحي الطائر سميا بذلك لانه يجنحهما عند الطيران
تخرج بيضاء من غير سوء من غير عاهة وقبح كني به عن البرص كما كني بالسوء
عن العورة لان الطباع تعافه وتنفر عنه آية اخرى معجزة ثانية وهي
حال من ضمير تخرج كبيضاء او من ضميرها او مفعول باضمار خذ او دونك
لنريك من آياتنا الكبرى متعلق بهذا المضمر او بما دل عليه آية او القصة
اي دللنا بها او فعلنا ذلك لنريك والكبرى صفة آياتنا او مفعول
نريك ومن آياتنا حال منها اذهب الى فرعون بهاتين الآيتين وادعه
الى العبادة انه طغى عصى وتكبر قال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري
لما امره الله بخطب عظيم وامر جسيم سأله ان يشرح صدره ويفسح قلبه لتحمل
اعبائه والصبر على مشاقه والتلقي لما ينزل عليه ويسهل الامر عليه باحداث
الاسباب ورفع الموانع وفائدة لي ابهام المشروح والميسر اولا ثم رفعه
بذكر الصدر والامر تأكيدا ومبالغة واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي
فانما يحسن التبليغ من البليغ وكان في لسانه رتة من جمرة ادخلها فاه وذلك
ان فرعون حمله يوما فاخذ لحيته ونتفها فغضب وامر بقتله فقالت
آسية انه صبي لا يفرق بين الجمر والياقوت فاحضرا بين يديه فاخذ الجمرة
ووضعها في فيه ولعل تبيض يده كان لذلك وقيل احترقت يده فاجتهد

كانها شمعة م

فرعون في علاجها فلم تبرأ فلما دعاه قال الى اي رب تدعوني قال الى
الذي ابرأ يدي وقد عجزت عنه واختلف في زوال العقدة بكمالها فمن
قال به تمسك بقوله قد اوتيت سؤلك ومن لم يقل احتج بقوله هو افصح
مني لسانا وقوله ولا يكاد يبين واجاب عن الاول بانه لم يسأل حل عقدة لسانه
مطلقا بل عقدة تمنع الافهام ولذلك نكرها وجعل يفقهوا جواب الامر
ومن لساني يحتمل ان يكون صفة عقدة وان يكون صلة احلل واجعل لي
وزيرا من اهلي هارون اخي يعينني على ما كلفتني به واشتقاق الوزير
من الوزر لانه يحمل الثقل عن اميره او من الوزر وهو الملجأ لان الامير
يعتصم برأيه ويلتجئ اليه في اموره ومنه الموازرة وقيل اصله ازير
من الازر بمعنى القوة فعيل بمعنى فاعل كالعشير والجليس قلبت همزتها
كقلبها في موازر ومفعولا اجعل وزيرا وهارون قدم ثانيهما للعناية
به ولي صلة او حال او لي وزيرا وهارون عطف بيان للوزير او وزيرا
من اهلي ولي تبيين كقوله ولم يكن له كفوا احد واخي على الوجوه بدل
من هارون او مبتدأ خبره اشدد به ازري واشركه في امري على لفظ
الامر وقرأهما ابن عامر بلفظ الخبر على انهما جواب الامر كي نسبحك
كثيرا ونذكرك كثيرا فان التعاون يهيج الرغبات ويؤدي الى تكاثر
الخير وتزايده انك كنت بنا بصيرا عالما باحوالنا وان التعاون
مما يصلحنا وان هارون نعم المعين لي فيما امرتني به قال قد اوتيت
سؤلك يا موسى اي مسؤولك فعل بمعنى مفعول كالخبز والاكل بمعنى
المخبوز والمأكول ولقد مننا عليك مرة اخرى انعمنا عليك في وقت
آخر اذ اوحينا الى امك بالهام او في منام او على لسان نبي في وقتها
او ملك لا على وجه النبوة كما اوحي الى مريم ما يوحى ما لا يعلم الا
بالوحي او مما ينبغي ان يوحى ولا يخل به لعظم شأنه وفرط الاهتمام

ان اقذفيه في التابوت بان اقذفيه او اي اقذفيه لان الوحي بمعنى القول
فاقذفيه في اليم والقذف يقال للالقاء وللوضع لقوله تعالى وقذف
في قلوبهم الرعب وكذلك الرمي كقوله غلام رماه الله بالحسن يافعا
فليلقه اليم بالساحل لما كان القاء البحر اياه الى الساحل امرا واجب
الحصول لتعلق الارادة به جعل البحر كانه ذو تمييز مطيع امره بذلك
واخرج الجواب مخرج الامر والاولى ان تجعل الضماير كلها لموسى مراعاة
للنظم والمقذوف في البحر والملقى الى الساحل فان كان التابوت
بالذات فموسى بالعرض يأخذه عدو لي وعدو له جواب فليلقه وتكرير
عدو للمبالغة او لان الاول باعتبار الواقع والثاني باعتبار المتوقع قيل
انها جعلت في التابوت قطنا ووضعته فيه ثم قيرته والقته في اليم وكان
يشرع منه الى بستان فرعون نهر فدفعه الماء اليه فاداه الى بركة في
البستان وكان فرعون جالسا على راسها مع امراته آسية بنت مزاحم
فامر به فاخرج ففتح فاذا صبي اصبح الناس وجها فاحبه حبا شديدا
كما قال والقيت عليك محبة مني اي محبة كائنة مني قد زرعتها في القلوب
بحيث لا يكاد يصبر عنك من رآك فلذلك احبك فرعون ويجوز ان
يتعلق مني بالقيت اي احببتك ومن احبه الله احبته القلوب وظاهر اللفظ
ان اليم القاه بساحله وهو شاطيه لان الماء يسحله فالتقط منه لكن
لا يبعد ان يؤول الساحل بجنب فوهة نهره ولتصنع على عيني ولتربى
ويحسن اليك وانا راعيك وراقبك والعطف على علة مضمرة مثل
ليتعطف عليك او على الجملة السابقة باضمار فعل معلل مثل فعلت ذلك
ولتصنع بكسر اللام وسكونها والجزم على انه امر ولتصنع بالنصب
وفتح التاء اي وليكون عملك على عين مني لئلا تخالف به عن امري
اذ تمشي اختك ظرف لالقيت او لتصنع او بدل من اذ اوحينا على ان المراد

بهما وقت متسع فتقول هل ادلكم على من يكفله وذلك انه كان لا يقبل
ثدي المراضع فجاءت اخته مريم متفحصة امره فصادفتهم يطلبون له مرضعة
يقبل ثديها فقالت هل ادلكم فجاءت بامه فقبل ثديها فرجعناك الى
امك وفاء بقولنا انا رادوه اليك كي تقر عينها بلقائك ولا تحزن
هي بفراقك او انت على فراقها او فقد اشفاقها وقتلت نفسا نفس القبطي
الذي استغاثه عليه الاسرائيلي فنجيناك من الغم غم قتله خوفا من عقاب
الله واقتصاص فرعون بالمغفرة والامن منه بالهجرة الى مدين وفتناك
فتونا وابتليناك ابتلاء او انواعا من الابتلاء على انه جمع فتن او فتنة
على ترك الاعتداد بالتاء كحجوز وبدور في حجزة وبدرة فخلصناك
مرة بعد اخرى وهو اجمال ما ناله في سفره من الهجرة عن الوطن ومفارقة الالاف
والمشي راجلا على حذر وفقد الزاد واجر نفسه الى غير ذلك اوله ما سبق
ذكره فلبثت سنين في اهل مدين لبثت فيهم عشر سنين قضاء لاوفى الاجلين
ومدين على ثماني مراحل من مصر ثم جئت على قدر قدرته لان اكلمك
واستنبئك غير مستقدم وقته المعين ولا مستاخر او على مقدار من السن
يوحى فيه الى الانبياء يا موسى كرره عقيب ما هو غاية الحكاية للتنبيه
على ذلك واصطنعتك لنفسي واصطفيتك لمحبتي مثله فيما خوله من الكرامة
بمن قربه الملك واستخلصه لنفسه اذهب انت واخوك باياتي بمعجزاتي ولا
تنيا ولا تفترا ولا تقصرا وقرئ تنيا بكسر التاء في ذكري لا تنسياني حيثما
تقلبتما وقيل في تبليغ ذكري والدعاء الي اذهبا الى فرعون انه طغى
امر به اولا موسى وحده وههنا اياه واخاه فلا تكرير قيل اوحي الى هارون
ان يتلقى موسى وقيل سمع بمقبله فاستقبله فقولا له قولا لينا مثل هل لك
الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى فانه دعوة في صورة عرض ومشورة
حذرا ان تحمله الحماقة على ان يسطو عليكما او احتراما لما له من حق التربية عليك

وقيل كنيا وكان له ثلث كنى ابو العباس وابو الوليد وابو مرة وقيل عدله
شبابا لا يهرم بعده وملكا لا يزول الا بالموت لعله يتذكر او يخشى يتعلق
باذهبا او قولا اي باشرا الامر على رجائكما وطمعكما انه يثمر ولا يخيب سعيكما
فان الراجي مجتهد والآيس متكلف والفائدة في ارسالهما والمبالغة عليهما في
الاجتهاد مع العلم بانه لا يؤمن الزام الحجة وقطع المعذرة واظهار ما حدث
في تضاعيف ذلك من الآيات والتذكر للمتحقق والخشية للمتوهم ولذلك
قدم الاول اي ان لم يتحقق صدقكما ولم يتذكر فلا اقل من ان يتوهمه فيخشى
قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا ان يعجل علينا بالعقوبة ولا يصبر الى
اتمام الدعوة واظهار المعجزة من فرط اذا تقدم ومنه الفارط وفرس فرط
يسبق الخيل وقرئ يفرط من افرطته اذا حملته على العجلة اي نخاف ان يحمله
حامل من استكبار او خوف على الملك او شيطان انسي او جني على المعاجلة بالعقاب
ويفرط من الافراط في الاذية او ان يطغى يزداد طغيانا فيتخطى الى ان يقول
فيك ما لا ينبغي لجرأته وقساوته واطلاقه من حسن الادب قال لا تخافا
انني معكما بالحفظ والنصرة اسمع وارى ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل
فاحدث في كل حال ما يصرف شره عنكما ويوجب نصرتي لكما ويجوز ان لا يقدر
شيء على معنى انني حافظكما سامعا مبصرا والحافظ اذا كان قادرا سميعا
بصيرا تم الحفظ فأتياه فقولا انا رسولا ربك فارسل معنا بني اسرائيل
اطلقهم ولا تعذبهم بالتكاليف الصعبة وقتل الولدان فانهم كانوا في
ايدي القبط يستخدمونهم ويتعبونهم في العمل ويقتلون اولادهم في عام دون
عام وتعقيب الاتيان بذلك دليل على ان تخليص المؤمنين من الكفرة اهم
من دعوتهم الى الايمان ويجوز ان يكون للتدريج في الدعوة قد جئناك
باية من ربك جملة مقررة لما تضمنه الكلام السابق من دعوى الرسالة
وانما وحد الاية وكان معه ايتان لان المراد اثبات الدعوى ببرهانها

لا الاشاع

لا الاشارة الى وحدة الحجة وتعددها وكذلك قوله قد جئتكم ببينة
فأت باية او لو جئتك بشيء مبين والسلام على من اتبع الهدى وسلام الملائكة
وخزنة الجنة على المهتدين او السلامة في الدارين لهم انا قد اوحي الينا ان العذاب
على من كذب وتولى ان عذاب المشركين على المكذبين للرسل ولعل تغيير
النظم والتصريح بالوعيد والتوكيد فيه لان التهديد في اول الامر اهم
وانجع وبالواقع اليق قال فمن ربكما يا موسى اي بعدما اتياه وقالا له
ما امرا به ولعله حذف لدلالة الحال فان المطيع اذا امر بشيء فعله لا محالة
وانما خاطب الاثنين وخص موسى بالنداء لانه الاصل وهارون وزيره
وتابعه او لانه عرف ان له رتة ولاخيه فصاحة فاراد ان يفحمه ويدل عليه
قوله ام انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين قال ربنا الذي اعطى
كل شيء خلقه من الانواع خلقه صورته وشكله الذي يطابق كماله الممكن له
او اعطى خليقته كل شيء يحتاجون اليه ويرتفقون به فقدم المفعول الثاني
لانه المقصود ببيانه وقيل اعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة زوجا
وقرئ خلقه صفة للمضاف اليه او المضاف على شذوذ فيكون المفعول الثاني
محذوفا اي اعطى كل مخلوق ما يصلحه ثم هدى ثم عرفه كيف يرتفق بما اعطى
وكيف يتوصل به الى بقائه وكماله اختيارا او طبعا وهو جواب في غاية البلاغة
لاختصاره واعرابه عن الموجودات باسرها على مراتبها ودلالته على ان الغني
القادر بالذات المنعم على الاطلاق هو الله تعالى وان جميع ما عداه
مفتقر اليه منعم عليه في حد ذاته وصفاته وافعاله ولذلك بهت الذي
كفر وافحم عن الدخل عليه فلم ير الا صرف الكلام عنه قال فما بال القرون
الاولى فما حالهم بعد موتهم في السعادة والشقاوة قال علمها عند ربي
اي انه غيب لا يعلمه الا الله وانما انا عبد مثلك لا اعلم منه الا ما اخبرني به
في كتاب مثبت في اللوح المحفوظ ويجوز ان يكون تمثيلا لتمكنه في علمه

بما استحفظه العالم وقيده بالكتبة ويؤيده لا يضل ربي ولا ينسى والضلال
أن تخطئ الشيء في مكانه فلم تهتد إليه والنسيان أن تذهب عنه بحيث لا يخطر
ببالك وهما محالان على العالم بالذات ويجوز أن يكون سؤاله دخلا على إحاطة
قدرة الله بالأشياء كلها وتخصيصه أبعاضها بالصور والخواص المختلفة بأن ذلك
يستدعي علمه بتفاصيل الأشياء وجزئياتها والقرون الخالية مع كثرتهم وتمادي
مدتهم وتباعد أطرافهم كيف أحاط علمه بهم وبأجزائهم وأحوالهم فيكون معنى
الجواب أن علمه تعالى محيط بذلك كله وأنه مثبت عنده ولا يضل ولا ينسى
الذي جعل لكم الأرض مهادا مرفوع صفة لربي أو خبر لمحذوف أو منصوب
على المدح وقرأ الكوفيون مهدا أي كالمهد تتمهدونها وهو مصدر سمي
به والباقون مهادا وهو اسم ما يمهد كالفراش أو جمع مهد وسلك لكم
فيها سبلا وحصل لكم فيها سبلا بين الجبال والأودية والبراري تسلكونها
من أرض إلى أرض لتبلغوا منافعها وأنزل من السماء ماء مطرا فأخرجنا به
عدل به من لفظ الغيبة إلى صيغة التكلم على الحكاية لكلام الله عز وجل
تنبيها على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال القدرة والحكمة وإيذانا بأنه
مطاع ينقاد الأشياء المختلفة لمشيئته وعلى هذا نظائره كقوله ألم تر
أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها أمن خلق
السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا
ألوانها أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به
حدائق أزواجا أصنافا سميت بذلك لازدواجها واقتران بعضها ببعض
من نبات بيان أو صفة لأزواجا وكذلك شتى ويحتمل أن يكون صفة
للنبات فإنه من حيث إنه مصدر في الأصل يستوي فيه الواحد والجمع وهو
جمع شتيت كمريض ومرضى أي متفرقات في الصور والأغراض والمنافع
يصلح بعضها للناس وبعضها للبهائم فلذلك قال كلوا وارعوا أنعامكم

وهو حال من ضمير فأخرجنا على إرادة القول أي أخرجنا أصناف النبات قائلين
كلوا وارعوا أنعامكم والمعنى معديها لانتفاعكم بالأكل والعلف آذنين
فيه إن في ذلك لآيات لأولي النهى لذوي العقول الناهية عن اتباع الباطل
وارتكاب القبائح جمع نهية منها خلقناكم فإن التراب أصل خلقة أول آبائكم
وأول مواد أبدانكم وفيها نعيدكم بالموت وتفكيك الأجزاء ومنها
نخرجكم تارة أخرى بتأليف أجزائكم المتفتتة المختلطة بالتراب على الصورة
السابقة ورد الأرواح إليها ولقد أريناه آياتنا بصرناه إياها أو عرفناه
صحتها كلها تأكيد لشمول الأنواع أو لشمول الأفراد على أن المراد بآياتنا
آيات معهودة هي الآيات التسع المختصة بموسى أو أنه عم أراه آياته وعدد عليه ما أوتي
غيره من المعجزات فكذب موسى من فرط عناده وأبى الإيمان والطاعة لعتوه
قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا أرض مصر بسحرك يا موسى هذا تعلل وتحير
ودليل على أنه علم كونه محقا حتى خاف منه على ملكه فإن الساحر لا يقدر
أن يخرج ملكا مثله من أرضه فلنأتينك بسحر مثله مثل سحرك فاجعل بيننا
وبينك موعدا وعدا لقوله لا نخلفه نحن ولا أنت فإن الإخلاف لا يلائم
الزمان والمكان وانتصاب مكانا سوى بفعل دل عليه المصدر لا به فإنه
موصوف أو بأنه بدل من موعدا على تقدير مكان مضاف إليه وعلى هذا
يكون طباق الجواب في قوله قال موعدكم يوم الزينة من حيث المعنى
فإن يوم الزينة يدل على مكان مشتهر باجتماع الناس فيه في ذلك اليوم
أو بإضمار مثل مكان موعدكم مكان يوم الزينة كما هو على الأول
أو وعدكم يوم الزينة وقرئ يوم بالنصب وهو ظاهر في أن المراد بهما
المصدر ومعنى سوى منتصفا يستوي مسافته إلينا وإليك وهو في النعت
كقولهم قوم عدى في الشذوذ وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة ويعقوب
بالضم وقيل يوم الزينة يوم عاشوراء أو يوم النيروز أو يوم عيد

كان لهم في كل عام وانما عينه ليظهر الحق ويزهق الباطل على رؤوس الاشهاد
ويشيع ذلك في الاقطار وان يحشر الناس ضحى عطف على اليوم او الزينة
وقرئ على بناء الفاعل بالتاء على خطاب فرعون والياء على ان فيه ضمير اليوم
او ضمير فرعون على ان الخطاب لقومه فتولى فرعون فجمع كيده ما يكاد به
يعني السحرة وآلاتهم ثم اتى بالموعد قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله
كذبا بان تدعوا آياته سحرا فيسحتكم بعذاب فيهلككم ويستأصلكم وقرأ
حمزة والكسائي وحفص ويعقوب بالضم من الاسحات وهو لغة نجد وتميم
والسحت لغة الحجاز وقد خاب من افترى كما خاب فرعون فانه افترى
واحتال ليبقى الملك عليه فلم ينفعه فتنازعوا امرهم بينهم اي تنازعت السحرة
في امر موسى حين سمعوا كلامه فقال بعضهم ليس هذا من كلام السحرة واسروا
النجوى بان موسى ان غلبنا اتبعناه او تنازعوا واختلفوا فيما يعارضون
به موسى وتشاوروا في السر وقيل الضمير لفرعون وقومه وقوله
قالوا ان هذان لساحران تفسير لاسروا النجوى كانهم تشاوروا في
تلفيقه حذرا من ان يغلبا فيتبعهما الناس وهذان اسم ان على لغة الحارث
ابن كعب فانهم جعلوا الالف للتثنية واعربوا المثنى تقديرا وقيل اسمها
ضمير الشان المحذوف وهذان لساحران خبرها وقيل ان بمعنى نعم وما
بعدها مبتدأ وخبر وفيهما ان اللام لا تدخل خبر المبتدأ وقيل اصله
انه هذان لهما ساحران فحذف الضمير وفيه ان المؤكد باللام لا يليق به
الحذف وقرأ ابو عمرو ان هذين وابن كثير وحفص ان هذان على انها
هي المخففة واللام هي الفارقة او النافية واللام بمعنى الا يريدان
ان يخرجاكم من ارضكم بالاستيلاء عليها بسحرهما ويذهبا بطريقتكم
المثلى بمذهبكم الذي هو افضل المذاهب باظهار مذهبه واعلاء دينه
لقوله اني اخاف ان يبدل دينكم وقيل ارادوا اهل طريقتكم وهم

بنو

بنو اسرائيل فانهم كانوا ارباب علم فيما بينهم لقول موسى ارسل معنا بني اسرائيل
وقيل الطريقة اسم لوجوه القوم واشرافهم من حيث انهم قدوة لغيرهم
فاجمعوا كيدكم فازمعوه واجعلوه مجمعا عليه لا يتخلف عنه واحد منكم وقرأ
ابو عمرو فاجمعوا ويعضده قوله فجمع كيده والضمير في قالوا ان كان للسحرة
فهو قول بعضهم لبعض ثم ائتوا صفا مصطفين لانه اهيب في صدور الرائين
قيل كانوا سبعين الفا مع كل منهم حبل وعصا واقبلوا عليه اقبالة واحدة
وقد افلح اليوم من استعلى فاز بالمطلوب من غلب وهو اعتراض قالوا يا موسى
اما ان تلقي واما ان نكون اول من القى اي بعد ما اتوا مراعاة للادب
وان بما بعده منصوب بفعل مضمر او مرفوع بخبر محذوف اي اختر القاءك
اولا او القاءنا او الامر القاؤك او القاؤنا قال بل القوا مقابلة ادب
بادب وعدم مبالاة بسحرهم واسعافا الى ما اوهموا من الميل الى البدء بذكر
الاول في شقهم وتغيير النظم الى وجه ابلغ ولان يبرزوا ما معهم ويستنفدوا
اقصى وسعهم ثم يظهر الله سلطانه فيقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا
حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى اي فالقوا فاذا حبالهم وهي
للمفاجأة والتحقيق انها ايضا ظرفية تستدعي متعلقا ينصبها وجملة تضاف
اليها لكنها خصت بان يكون المتعلق فعل المفاجأة والجملة ابتدائية والمعنى
فالقوا ففاجأ موسى وقت تخييل سعي حبالهم وعصيهم من سحرهم وذلك
لانهم لطخوها بالزيبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت فخيل اليه انها تتحرك
وقرأ ابن عامر وروح تخيل بالتاء على اسناده الى ضمير الحبال والعصي
وابدال انها تسعى منه بدل الاشتمال وقرئ يخيل على اسناده الى الله وتخيل
بمعنى تتخيل فاوجس في نفسه خيفة موسى فاضمر فيها خوفا من مفاجأته
على ما هو مقتضى الجبلة البشرية او من ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه قلنا
لا تخف انك انت الاعلى تعليل للنهي وتقرير لغلبته مؤكدا بالاستيناف

وحرف التحقيق وتكرير الضمير وتعريف الخبر ولفظ العلو الدال على الغلبة
الظاهرة وصيغة التفضيل والق ما في يمينك ابهمه ولم يقل عصاك تحقيرا
لها اى لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم والق العويدة التي في يدك او تعظيما
اى لا تحتفل بكثرة هذه الاجرام وعظمها فان في يمينك ما هو اعظم منها
اثرا فالقه تلقف ما صنعوا تبتلعه بقدرة الله تعالى واصله تتلقف فحذف
احدى التائين وتاء المضارعة تحتمل التانيث والخطاب على اسناد الفعل
الى المسبب وقرأ ابن عامر بالرفع على الحال او الاستيناف وحفص بالجزم
والتخفيف على انه من لقفه بمعنى تلقفه انما صنعوا ان الذي زوروا وافتعلوا
كيد ساحر وقرئ بالنصب على ان ما كافة وهو مفعول صنعوا وقرأ حمزة والكسائي
سحر بمعنى ذي سحر او بتسمية الساحر سحرا على المبالغة او باضافة الكيد الى السحر
للبيان كقولهم علم فقه وانما وحد الساحر لان المراد به الجنس المطلق ولذلك
قال ولا يفلح الساحر اى هذا الجنس وتنكير الاول لتنكير المضاف كقول العجاج
يوم ترى النفوس ما اعدت في سعى دنيا طالما قد مدت كانه قيل انما صنعوا
كيد سحرى حيث اتى حيث كان واين اقبل فالقى السحرة سجدا اى فالقى فتلقف
فتحقق عند السحرة انه ليس بسحر وانما هو آية من آيات الله ومعجزة من معجزاته فالقاهم
ذلك على وجوههم سجدا لله توبة عما صنعوا واعتابا وتعظيما لما راوا قالوا
آمنا برب هارون وموسى قدم هرون لكبر سنه او لروى الآية او لان
فرعون ربى موسى في صغره فلو اقتصر على موسى او قدم ذكره فربما توهم
ان المراد فرعون وذكر هرون على الاستتباع روى انهم راوا في سجودهم
الجنة ومنازلهم فيها قال آمنتم له اى لموسى واللام لتضمين الفعل معنى
الاتباع قبل ان آذن لكم في الايمان له انه لكبيركم لعظيمكم في فنكم
واعلمكم به او لاستاذكم الذي علمكم السحر وانتم تواطأتم على ما فعلتم
فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اليد اليمنى والرجل اليسرى ومن ابتدائية

كان القطع

كان القطع ابتدئ من مخالفة العضو للعضو وهي مع المجرور بها في حيز النصب
على الحال اى لاقطعنها مختلفات وقرئ لاقطعن ولاصلبن بالتخفيف
ولاصلبنكم في جذوع النخل شبه تمكن المصلوب بالجذع بتمكن المظروف بالظرف
وهو اول من صلب ولتعلمن اينا يريد نفسه وموسى لقوله آمنتم له واللام
مع الايمان في كتاب الله لغير الله اراد به توضيع موسى والهزء به فانه
لم يكن من التعذيب في شيء وقيل رب موسى الذين آمنوا به اشد عذابا وابقى
وادوم عقابا قالوا لن نؤثرك لن نختارك على ما جاءنا موسى به ويجوز
ان يكون الضمير فيه لما من البينات المعجزات الواضحات والذي فطرنا عطف
على ما جاءنا او قسم فاقض ما انت قاض لما انت قاضيه اى صانعه او حاكم به
انما تقضى هذه الحيوة الدنيا انما تصنع ما تهواه او تحكم ما تراه في هذه الدنيا
والآخرة خير وابقى فهو كالتعليل لما قبله والتمهيد لما بعده وقرئ تقضى
هذه الحيوة الدنيا كقولك صيم يوم الجمعة انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا
من الكفر والمعاصي وما اكرهتنا عليه من السحر في معارضة المعجزة روى انهم
قالوا لفرعون ارنا موسى نائما فوجدوه تحرسه العصا فقالوا ما هذا بسحر
فان الساحر اذا نام بطل سحره فابى الا ان يعارضوه والله خير وابقى جزاء
او خير ثوابا وابقى عقابا انه ان الامر من يات ربه مجرما بان يموت على كفره
وعصيانه فان له جهنم لا يموت فيها فيستريح ولا يحيى حيوة مهناة ومن
ياته مؤمنا قد عمل الصالحات في الدنيا فاولئك لهم الدرجات العلى
المنازل الرفيعة جنات عدن بدل من الدرجات تجرى من تحتها الانهار
خالدين فيها حال والعامل فيها معنى الاشارة او الاستقرار وذلك جزاء
من تزكى تطهر من ادناس الكفر والمعاصي والآيات الثلث يحتمل ان تكون
من كلام السحرة وان تكون ابتداء كلام من الله ولقد اوحينا الى موسى
ان اسر بعبادي اى من مصر فاضرب لهم طريقا فاجعل لهم من قولهم

ضرب له في ماله سهما او فاتخذ من ضرب اللبن اذا عمله في البحر يبسا يابسا
مصدر وصف به يقال يبس يبسا ويبسا كسقم سقما وسقما ولذلك وصف به
المؤنث يقال شاة يبس للتي جف لبنها وقرئ يبسا وهو اما مخفف منه او وصف
على فعل كصعب او جمع يابس كصحب وصف به الواحد مبالغة كقوله كان
قتود رحلي حين ضمت حوالبي غرزا ومعاجيا عا او لتعدده معنى فانه
جعل لكل سبط منهم طريقا لا تخاف دركا حال من المأمور اي آمنا من ان يدرككم
العدو او صفة ثانية والعائد محذوف وقرأ حمزة لا تخف على انه جواب
الامر ولا تخشى استئنافا اي وانت لا تخشى او عطف عليه والالف فيه
للاطلاق كقوله وتظنون بالله الظنونا او حال بالواو والمعنى لا تخشى
الغرق فاتبعهم فرعون بجنوده وذلك ان موسى خرج بهم اول الليل
فاخبر فرعون بذلك فقص اثرهم والمعنى فاتبعهم فرعون نفسه ومعه
جنوده فحذف المفعول الثاني وقيل فاتبعهم بمعنى فاتبعهم ويؤيده القراءة
به والباء للتعدية وقيل الباء مزيدة والمعنى فاتبعهم جنوده وزادهم
خلفهم فغشيهم من اليم ما غشيهم الضمير لجنوده او له ولهم وفيه مبالغة
ووجازة اي غشيهم ما سمعت قصته ولا يعرف كنهه الا الله وقرئ فغشاهم
ما غشاهم اي غطاهم ما غطاهم والفاعل هو الله تعالى او ما غشاهم
او فرعون لانه الذي ورطهم للهلاك واضل فرعون قومه وما هدى
اي اضلهم في الدين وما هداهم وهو تهكم به في قوله وما اهديكم الا سبيل
الرشاد او اضلهم في البحر وما نجاهم يا بني اسرائيل خطاب لهم بعد انجائهم
من البحر واهلاك فرعون على اضمار قلنا او للذين منهم في عهد النبي
بما فعل بآبائهم قد انجيناكم من عدوكم فرعون وقومه وواعدناكم جانب
الطور الايمن لمناجاة موسى وانزال التوراة عليه وانما عدى المواعدة
اليهم وهي لموسى عليه السلام او له وللسبعين المختارين للملابسة ونزلنا

في قوله ٤

عليك

عليكم المن والسلوى يعني في التيه كلوا من طيبات ما رزقناكم لذائذه او حلاله
وقرأ حمزة والكسائي انجيتكم وواعدتكم ما رزقتكم على التاء وقرئ ووعدتكم
ووعدناكم والايمن بالجر على الجوار مثل جحر ضب خرب ولا تطغوا فيه
فيما رزقناكم بالاخلال بشكره والتعدي لما حد الله لكم فيه كالسرف والبطر
والمنع عن المستحق فيحل عليكم غضبي فيلزمكم عذابي ويجب لكم من حل الدين
اذا وجب اداؤه ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى فقد تردى وهلك وقيل
وقع في الهاوية وقرأ الكسائي يحل ويحلل بالضم من حل يحل اذا نزل
واني لغفار لمن تاب عن الشرك وآمن بما يجب الايمان به وعمل صالحا
ثم اهتدى ثم استقام على الهدى المذكور وما اعجلك عن قومك يا موسى
سؤال عن سبب العجلة يتضمن انكارها من حيث انها نقيصة في نفسها انضم
اليها اغفال القوم وايهام التعظم عليهم فلذلك اجاب موسى عن الامرين
وقدم جواب الانكار لانه اهم قال هم اولاء على اثري ما تقدمتهم الا
بخطى يسيرة لا يعتد بها عادة وليس بيني وبينهم الا مسافة قريبة يتقدم
بها الرفقة بعضهم بعضا وعجلت اليك رب لترضى فان المسارعة الى امتثال
امرك والوفاء بعهدك يوجب مرضاتك قال فانا قد فتنا قومك من
بعدك ابتليناهم بعبادة العجل بعد خروجك من بينهم وهم الذين خلفهم
مع هارون وكانوا ستمائة الف ما نجا من عبادة العجل منهم الا اثنى عشر الفا
واضلهم السامري باتخاذ العجل والدعاء الى عبادته وقرئ واضلهم
اي اشدهم ضلالة لانه كان ضالا مضلا وان صح انهم اقاموا على
الدين بعد ذهابه عشرين ليلة وحسبوها باياما اربعين وقالوا قد اكملنا
العدة ثم كان امر العجل وان هذا الخطاب كان له عند مقدمه اذ ليس
في الآية ما يدل عليه كان ذلك اخبارا من الله تعالى له عن المترقب بلفظ
الواقع على عادته فان اصل وقوع الشيء ان يكون في علمه ومقتضى مشيئته

والسامري منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل يقال لها السامرة وقيل كان
علجا من كرمان وقيل من اهل باجرما واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا
فرجع موسى الى قومه بعدما استوفى الاربعين واخذ التوراة غضبان
عليهم اسفا حزينا بما فعلوا قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا
بان يعطيكم التوراة فيها هدى ونور افطال عليكم العهد اي الزمان
يعني زمان مفارقته لهم ام اردتم ان يحل عليكم يجب عليكم غضب من ربكم
بعبادة ما هو مثل في الغباوة فاخلفتم موعدي وعدكم اياي بالثبات
على الايمان بالله والقيام على ما امرتكم به وقيل هو من اخلفت وعده اذا
وجدت الخلف فيه اي فوجدتم الخلف في وعدي لكم بالعود بعد الاربعين
وهو لا يناسب الترتيب على الترديد ولا على الشق الذي يليه واجابوه
قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا بان ملكنا امرنا اذ لو خلينا وامرنا ولم
يسول لنا السامري لما اخلفناه وقرا نافع وعاصم بملكنا بالفتح وحمزة
والكسائي بالضم وثلثها في الاصل لغات في مصدر ملكت الشيء ولكنا
حملنا اوزارا من زينة القوم احمالا من حلي القبط التي استعرناها منهم
حين هممنا بالخروج من مصر باسم العرس وقيل استعاروا لعيد كان
لهم ثم لم يردوا عند الخروج مخافة ان يعلموا به وقيل هي ما القاه
البحر على الساحل بعد اغراقهم فاخذوه ولعلهم سموها اوزارا لانها
اثام فان الغنائم لم تكن تحل بعد ولانهم كانوا مستامنين وليس للمستامن
ان ياخذ مال الحربي فقذفناها اي في النار فكذلك القى السامري اي
ما كان معه منها روي انهم لما حسبوا ان العدة قد كملت قال لهم السامري
انما اخلف موسى ميعادكم لما معكم من حلي القوم وهو حرام عليكم فالراي
ان نحفر حفيرة ونسجر فيها نارا ونقذف كل ما معنا فيها ففعلوا وقرا
ابن عمرو وحمزة والكسائي وابو بكر وروح حملنا بالفتح والتخفيف

فاخرج لهم عجلا جسدا من تلك الحلي المذابة له خوار صوت العجل فقالوا
يعني السامري ومن افتتن به اول ما راه هذا الهكم واله موسى فنسي اي فنسيه
موسى وذهب يطلبه عند الطور او فنسي السامري اي ترك ما كان عليه
من اظهار الايمان افلا يرون افلا يعلمون ان لا يرجع اليهم قولا انه لا يرجع
اليهم كلاما ولا يرد عليهم جوابا وقرئ يرجع بالنصب وفيه ضعف لان ان الناصبة
لا تقع بعد افعال اليقين ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولا يقدر على انفاعهم
واضرارهم ولقد قال لهم هرون من قبل من قبل رجوع موسى او قول السامري
كانه اول ما وقع عليه بصره حين طلع من الحفرة توهم ذلك وبادر تحذيرهم
يا قوم انما فتنتم به اي بالعجل وان ربكم الرحمن لا غير فاتبعوني واطيعوا
امري في الثبات على الدين قالوا لن نبرح عليه على العجل وعبادته عاكفين
مقيمين حتى يرجع الينا موسى وهذا الجواب يؤيد الوجه الاول قال يا هرون
اي قال له موسى لما رجع ما منعك اذ رايتهم ضلوا بعبادة العجل الا تتبعن
ان تتبعني في الغضب لله والمقاتلة مع من كفر به او ان تاتي عقبي وتلحقني
ولا مزيدة كما في قوله ما منعك ان لا تسجد افعصيت امري بالصلابة في الدين
والمحاماة عليه قال يا ابن ام خص الام استعطافا وترقيقا وقيل لانه
كان اخاه من الام والجمهور على انهما كانا من اب وام لا تاخذ بلحيتي ولا براسي
اي بشعر راسي قبض عليهما يجره اليه من شدة غيظه وفرط غضبه لله وكان
عليه السلام حديدا خشنا متصلبا في كل شيء فلم يتمالك حين راهم يعبدون
العجل اني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل لو قاتلت او فارقت
بعضهم ببعض ولم ترقب قولي حين قلت اخلفني في قومي واصلح فان الاصلاح
كان في حفظ الدهماء والمداراة بهم الى ان ترجع اليهم فتدارك الامر برايك
قال فما خطبك يا سامري اي ثم اقبل عليه وقال له منكرا ما خطبك اي ما
طلبك له وما الذي حملك عليه وهو مصدر خطب الشيء اذا طلبه قال بصرت

بما لم يبصروا به وقرأ حمزة والكسائى بالتاء على الخطاب اى علمت بما لم تعلموه
وفطنت لما لم تفطنوا له وهو ان الرسول الذى جاءك روحانى محض لا يمس
اثره شيئا الا احياه او رأيت ما لم تروه وهو ان جبريل عليه السلام جاءك على
فرس الحيوة قيل انما عرفه لان امه القته حين ولدته خوفا من فرعون وكان
جبريل عليه السلام يغذوه حتى استقل فقبضت قبضة من اثر الرسول من
تربة موطئه والقبضة المرة من القبض فاطلق على المقبوض كضرب الامير
وقرئ بالصاد والاول للاخذ بجميع الكف والثانى للاخذ باطراف الاصابع
ونحوهما الخضم والقضم والرسول جبريل عليه السلام ولعله لم يسمه لانه لم يعرف
انه جبريل او اراد ان ينبه على الوقت وهو حين ما ارسل اليه ليذهب به
الى الطور فنبذتها فى الحلى المذاب او فى جوف العجل حتى حيى وكذلك سولت
لى نفسى زينته وحسنته لى قال فاذهب فان لك فى الحيوة عقوبة على ما
فعلت ان تقول لا مساس خوفا من ان يمسك احد فيأخذك الحمى ومن مسك
فتحامى الناس ويتحاموك وتكون طريدا وحيدا كالوحشى النافر وقرئ لا مساس
كفجار وهو علم للمسة وان لك موعدا فى الآخرة لن تخلفه لن يخلفك الله وينجزه
لك فى الآخرة بعدما عاقبك فى الدنيا وقرأ ابن كثير والبصريان بكسر اللام اى
لن تخلف الواعد اياه وسيأتيك لا محالة فحذف المفعول الاول لان المقصود
هو الموعد ويجوز ان يكون من اخلفت الموعد اذا وجدته خلفا وقرئ بالنون
على حكاية قوله وانظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا ظللت على عبادته
مقيما فحذفت اللام الاولى تخفيفا وقرئ بكسر الظاء على نقل حركة اللام اليها
لنحرقنه اى بالنار ويؤيده قراءة لنحرقنه او بالمبرد على انه مبالغة فى حرق
اذا برد بالمبرد ويعضده قراءة لنحرقنه ثم لننسفنه لنذرينه رمادا او مبرودا
فى اليم نسفا فلا يصادف منه شئ وقرئ بضم السين والمقصود من ذلك
زيادة عقوبته واظهار غباوة المفتتنين به لمن له ادنى نظر انما الهكم

المستحق لعبادتكم الله الذى لا اله الا هو اذ لا احد يماثله او يدانيه فى كمال
العلم والقدرة وسع كل شئ علما وسع علمه كل ما يصح ان يعلم لا العجل الذى
يصاغ ويحرق وان كان حيا فى نفسه كان مثلا فى الغباوة وقرئ وسّع
فيكون انتصاب علما على المفعولية لانه وان انتصب على التمييز فى المشهور لكنه فاعل
فى المعنى فلما عدى الفعل بالتضعيف الى مفعولين صار مفعولا كذلك مثل ذلك
الاقتصاص يعنى اقتصاص قصة موسى نقص عليك من انباء ما قد سبق من اخبار
الامور الماضية والامم الدارجة تبصرة لك وزيادة فى علمك وتكثيرا لمعجزاتك
وتنبيها وتذكيرا للمستبصرين من امتك وقد آتيناك من لدنا ذكرا كتابا مشتملا
على هذه الاقاصيص والاخبار حقيقا بالتفكر والاعتبار والتنكير فيه
للتعظيم وقيل ذكرا جميلا وصيتا عظيما بين الناس من اعرض عنه عن الذكر
الذى هو القرآن الجامع لوجوه السعادة والنجاة وقيل عن الله فانه يحمل يوم القيمة
وزرا عقوبة ثقيلة فادحة على كفره وذنوبه سماها وزرا تشبيها فى ثقلها
على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذى يفدح الحامل وينقض ظهره او اثما
عظيما خالدين فيه فى الوزر او فى حمله والجمع فيه والتوحيد فى اعرض للحمل على
المعنى واللفظ وساء لهم يوم القيمة حملا اى بئس لهم ففيه ضمير مبهم يفسره حملا
والمخصوص بالذم محذوف اى ساء حملا وزرهم واللام فى لهم للبيان كما فى هيت
لك ولو جعلت ساء بمعنى احزن والضمير الذى فيه للوزر اشكل امر اللام
ونصب حملا ولم يفد مزيد معنى يوم ينفخ فى الصور وقرأ ابو عمرو بالنون
على اسناد النفخ الى الآمر به تعظيما له او للنافخ وقرئ بالياء المفتوحة على ان فيه
ضمير الله او ضمير اسرافيل وان لم يجر ذكره لانه المشهور بذلك وقرئ فى الصور
وهو جمع صورة وقد سبق بيان ذلك ونحشر المجرمين يومئذ وقرئ ويحشر
المجرمون زرقا زرق العيون وصفوا بذلك لان الزرقة اسوأ الوان العين
وابغضها الى العرب لان الروم كانوا اعدى اعدائهم وهم زرق ولذلك

قالوا في صفة العدو اسود الكبد اصهب السبال ازرق العين او عميا فان
حدقة الاعمى تزراق يتخافتون بينهم يخفضون اصواتهم لما يملاء صدورهم
من الرعب والهول والخفت خفض الصوت واخفاؤه ان لبثتم الا عشرا اي في
الدنيا يستقصرون مدة لبثهم فيها لزوالها او لاستطالتهم مدة الآخرة او لتاسفهم
عليها لما عاينوا الشدائد وعلموا انهم استحقوها على اضاعتها في قضاء الاوطار
واتباع الشهوات او في القبر لقوله ويوم تقوم الساعة الى آخر الايات نحن
اعلم بما يقولون وهو مدة لبثهم اذ يقول امثلهم طريقة اعدلهم رايا او عملا
ان لبثتم الا يوما استرجاح لقول من يكون اشد تقالا منهم ويسألونك
عن الجبال عن مآل امرها وقد سال عنها رجل من ثقيف فقل ينسفها ربي نسفا
يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فيفرقها فيذرها فيذر مقارها
او الارض واضمارها من غير ذكر لدلالة الجبال عليها كقوله ما ترك على ظهرها
من دابة قاعا خاليا صفصفا مستويا كان اجزاءها على صف واحد لا ترى
فيها عوجا ولا امتا اعوجاجا ولا نتوا ان تاملت فيها بالقياس الهندسي
وثلثتها احوال مترتبة فالاولان باعتبار الاحساس والثالث باعتبار
المقياس ولذلك ذكر العوج بالكسر وهو يخص المعاني والامت وهو النتو
اليسير وقيل لا ترى استيناف مبين للحالين يومئذ اي يوم اذ نسفت
على اضافة اليوم الى وقت النسف ويجوز ان يكون بدلا ثانيا من يوم القيمة
يتبعون الداعي داعي الله الى المحشر وقيل هو اسرافيل يدعو الناس قائما على
صخرة بيت المقدس فيقبلون من كل اوب الى صوبه لا عوج له لا يعوج له
مدعو ولا يعدل عنه وخشعت الاصوات للرحمن خفضت لمهابته فلا تسمع
الا همسا صوتا خفيا ومنه الهميس لصوت اخفاف الابل وقد فسر الهمس
بخفق اقدامهم ونقلها الى المحشر يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له
الرحمن الاستثناء من الشفاعة اي الا شفاعة من اذن له او من اعم المفاعيل

الا من

٤١٤

اي الا من اذن في ان يشفع له فان الشفاعة تنفعه فمن على الاول مرفوع
بالبدلية وعلى الثاني منصوب على المفعولية واذن يحتمل ان يكون من الاذن
ومن الاذن ورضي له قولا اي ورضي لمكانه عند الله قوله في الشفاعة
او رضي لاجله قول الشافع في شانه او قوله لاجله وفي شانه يعلم ما بين ايديهم
ما تقدمهم من الاحوال وما خلفهم وما بعدهم مما يستقبلونه ولا يحيطون به
علما ولا يحيط علمهم بمعلوماته وقيل بذاته وقيل الضمير لاحد الموصولين
او لمجموعهما فانهم لم يعلموا جميع ذلك ولا تفصيل ما علموا منه وعنت الوجوه
للحي القيوم ذلت وخضعت له خضوع العناة وهم الاسارى في يد الملك
القهار وظاهرها يقتضي العموم ويجوز ان يراد بها وجوه المجرمين فيكون
اللام بدل الاضافة ويؤيده وقد خاب من حمل ظلما وهو يحتمل الحال
والاستيناف لبيان ما لاجله عنت وجوههم ومن يعمل من الصالحات
بعض الطاعات وهو مؤمن اذ الايمان شرط في صحة الطاعات وقبول الخيرات
فلا يخاف ظلما منع ثواب مستحق بالوعد ولا هضما ولا كسرا منه بنقصان
او جزاء ظلم وهضم لانه لم يظلم غيره ولم يهضم حقه وقرئ فلا يخف على
النهي وكذلك عطف على كذلك نقص اي مثل ذلك الانزال او مثل هذه
الايات المتضمنة للوعيد انزلناه قرآنا عربيا كله على هذه الوتيرة
وصرفنا فيه من الوعيد مكررين فيه آيات الوعيد لعلهم يتقون المعاصي
فتصير التقوى لهم ملكة او يحدث لهم ذكرا عظة واعتبارا حين يسمعونها فيثبطهم
عنها ولهذه النكتة اسند التقوى اليهم والاحداث الى القرآن فتعالى
الله في ذاته وصفاته عن مماثلة المخلوقين لا يماثل كلامه كلامهم كما لا يماثل
ذاته ذاتهم الملك النافذ امره ونهيه الحقيق بان يرجى وعده ويخشى وعيده
الحق في ملكوته يستحقه لذاته او الثابت في ذاته وصفاته ولا تعجل بالقرآن
من قبل ان يقضى اليك وحيه نهي عن الاستعجال في تلقي الوحي عن جبريل

انزال

ومساوقته فی القراءة حتی یتم وحیه بعد ذکر الانزال علی سبیل الاستطراد
وقیل نهی عن تبلیغ ما کان مجملا قبل ان یاتی بیانه وقل رب زدنی علما
ای سل الله زیادة العلم بدل الاستعجال فان ما اوحی الیک تناله لا محالة
ولقد عهدنا الی آدم ولقد امرناه یقال تقدم الملک الیه واوعز الیه وعزم
علیه وعهد الیه اذا امره واللام جواب قسم محذوف وانما عطف قصة آدم
صلی الله علیه وسلم علی قوله وصرفنا فیه من الوعید للدلالة علی ان اساس
بنی آدم علی العصیان وعرقهم راسخ علی النسیان من قبل من قبل هذا الزمان
فنسی العهد ولم یعن به حتی غفل عنه او ترک ما وصی به من الاحتراز عن الشجرة ولم
نجد له عزما تصمیم رای وثباتا علی الامر اذ لو کان ذا عزیمة وتصلب لم یزله
الشیطان ولم یستطع تغریره ولعل ذلک کان فی بدء امره قبل ان یجرب الامور
ویذوق شریها واریها وعن النبی صلی الله علیه وسلم لو وزنت احلام بنی آدم
بحلم آدم لرجح حلمه وقد قال الله تعالی ولم نجد له عزما وقیل عزما علی الذنب
لانه اخطا ولم یتعمد ولم نجد ان کان من الوجود العلمی فله عزما مفعولاه
وان کان من الوجود المناقض للعدم فله حال من عزما او متعلق بنجد واذ قلنا
للملائکة اسجدوا لآدم مقدر باذکر ای اذکر حاله فی ذلک الوقت لیتبین
لک انه نسی ولم یکن من اولی العزیمة والثبات فسجدوا الا ابلیس قد سبق
القول فیه ابی جملة مستانفة لبیان ما منعه من السجود وهو الاستکبار وعلی
هذا لا یقدر له مفعول مثل السجود المدلول علیه بقوله فسجدوا لان معنی
اظهر الاباء عن المطاوعة فقلنا یا آدم ان هذا عدو لک ولزوجک فلا یخرجنکما
فلا یکونن سببا لاخراجکما والمراد نهیهما عن ان یکونا بحیث یتسبب الشیطان
الی اخراجهما من الجنة فتشقی افرده باسناد الشقاء الیه بعد اشراکهما فی الخروج
اکتفاء باستلزام شقائها من حیث انه قیم علیها ومحافظة علی الفواصل او
لان المراد بالشقاء التعب فی طلب المعاش وذلک وظیفة الرجال ویؤیده قوله

ان لک الا تجوع فیها ولا تعری وانک لا تظمأ فیها ولا تضحی فانه بیان
وتذکیر لما له فی الجنة من اسباب الکفایة واقطاب الکفاف التی هی الشبع والری
والکسوة والکن مستغنیا عن اکتسابها والسعی فی تحصیل اعواض ما عسی ینقطع
ویزول منها بذکر نقائضها لیطرق سمعه باصناف الشقوة المحذر منها وقرأ
نافع وابو بکر وانک لا تظمأ بکسر الهمزة والباقون بفتحها والعاطف وان
ناب عن ان لکنه نائب من حیث انه عامل لا من حیث انه حرف تحقیق فلا یمتنع
دخوله علی ان امتناع دخول ان علیه فوسوس الیه الشیطان فانهی الیه
وسوسته قال یا آدم هل ادلک علی شجرة الخلد الشجرة التی من اکل منها
خلد ولم یمت اصلا فاضافها الی الخلد وهو الخلود لانه سببه بزعمه وملک
لا یبلی لا یزول ولا یضعف فاکلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا یخصفان
علیهما
من ورق الجنة اخذا یلزقان الورق علی سوآتهما للتستر وهو ورق التین
وعصی آدم ربه باکل الشجرة فغوی فضل عن المطلوب وخاب حیث
طلب الخلد باکل الشجرة او عن المأمور به او عن الرشد حیث اغتر بقول العدو
وقری فغوی من غوی الفصیل اذا اتخم من اللبن وفی النعی علیه بالعصیان
والغوایة مع صغر زلته تعظیم للزلة وزجر بلیغ لاولاده عنها ثم اجتباه ربه
اصطفاه وقربه بالحمل علی التوبة والتوفیق له من جبی الی کذا فاجتبیته مثل
جلیت علی العروس فاجتلیتها واصل الکلمة الجمع فتاب علیه فقبل توبته لما تاب
وهدی الی الثبات علی التوبة والتشبث باسباب العصمة قال اهبطا منها جمیعا
الخطاب لآدم وحواء او له ولابلیس ولما کانا اصل الذریة خاطبهما مخاطبتهم
فقال بعضکم لبعض عدو عدو لامر المعاش کما علیه الناس من التجاذب
والتحارب والاختلاف او لضلال کل من النوعین بواسطة الآخر ویؤید الاول
قوله فاما یاتینکم منی هدی کتاب ورسول فمن اتبع هدای فلا یضل
فی الدنیا ولا یشقی فی الآخرة ومن اعرض عن ذکری عن الهدی الذاکر لی

والداعي الى عبادتي فان له معيشة ضنكا ضيقا مصدر وصف به ولذلك يستوي
فيه المذكر والمؤنث وقرئ ضنكى كسكرى وذلك لان مجامع همته ومطامح
نظره تكون الى اعراض الدنيا متهالكا على ازديادها خائفا على انتقاصها
بخلاف المؤمن الطالب للآخرة مع انه تعالى قد يضيق بشؤم الكفر ويوسع
ببركة الايمان كما قال وضربت عليهم الذلة والمسكنة ولو انهم اقاموا
التورية والانجيل ولو ان اهل القرى آمنوا الآيات وقيل هو الضريع
والزقوم في النار وقيل عذاب القبر ونحشره وقرئ بسكون الهاء على لفظ الوقف
وبالجزم عطفا على محل فان له معيشة لانه جواب الشرط يوم القيمة اعمى اعمى البصر
او القلب ويؤيد الاول قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا وقد اما لهما
حمزة والكسائي لان الالف منقلبة من الياء وفرق ابو عمرو بان الاول راس
الآية ومحل الوقف فهو جدير بالتغيير قال كذلك اي مثل ذلك فعلت ثم فسره
فقال اتتك آياتنا واضحة نيرة فنسيتها فعميت عنها وتركتها غير منظور اليها
وكذلك ومثل تركك اياها اليوم تنسى تترك في العمى والعذاب وكذلك نجزي
من اسرف بالانهماك في الشهوات والاعراض عن الآيات ولم يؤمن بآيات ربه
بل كذبها وخالفها ولعذاب الآخرة وهو الحشر على العمى وقيل عذاب النار
اي وللنار بعد ذلك اشد وابقى من ضنك العيش او منه ومن العمى ولعله
اذا دخل النار زال عماه ليرى محله وحاله او مما فعله من ترك الآيات
والكفر بها افلم يهد لهم مسند الى الله او الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم
او ما دل عليه كم اهلكنا قبلهم من القرون اي اهلاكنا اياهم او الجملة بمضمونها
والفعل على الاولين معلق يجري مجرى اعلم ويدل عليه القراءة بالنون يمشون
في مساكنهم ويشاهدون آثار هلاكهم ان في ذلك لآيات لاولي النهى لذوي
العقول الناهية عن التغافل والتعامي ولولا كلمة سبقت من ربك وهي
العدة بتاخير عذاب هذه الامة الى الآخرة لكان لزاما لكان مثل ما نزل

بعاد وثمود لازما لهؤلاء الكفرة وهو مصدر وصف به او اسم آلة سمي به
للازمه لفرط لزومه كقولهم لزاز خصم واجل مسمى عطف على كلمة اي ولولا
العدة بتاخير العذاب واجل مسمى لاعمارهم او لعذابهم وهو يوم القيامة
او يوم بدر لكان العذاب لزاما والفصل للدلالة على استقلال كل منهما بنفي
لزوم العذاب ويجوز عطفه على المستكن في كان اي لكان الاخذ العاجل
واجل مسمى لازمين له فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك وصل وانت حامد
لربك على هدايته وتوفيقه او نزهه عن الشرك وسائر ما يضيفون اليه
من النقائص حامدا له على ما ميزك بالهدى معترفا بانه المولى للنعم كلها
قبل طلوع الشمس يعني الفجر وقبل غروبها يعني الظهر والعصر لانهما في آخر
النهار او العصر وحده ومن آناء الليل ساعاته جمع انى بالكسر والقصر
او اناء بالفتح والمد فسبح يعني المغرب والعشاء وانما قدم زمان الليل
لاختصاصه بمزيد الفضل فان القلب فيه اجمع والنفس اميل الى الاستراحة
فكانت العبادة فيه احمز ولذلك قال تعالى ان ناشئة الليل هي اشد وطأ
واقوم قيلا واطراف النهار تكرير لصلاتي الصبح والمغرب ارادة الاختصاص
ومجيئه بلفظ الجمع لامن الالتباس كقوله شعر ظهراهما مثل ظهور الترسين
او امر بصلاة الظهر فانه نهاية النصف الاول من النهار وبداية النصف الآخر
وجمعه باعتبار النصفين او لان النهار جنس او بالتطوع في اجزاء النهار
لعلك ترضى متعلق بسبح اي سبح في هذه الاوقات طمعا ان تنال عند الله
ما به ترضى نفسك وقرأ الكسائي وابو بكر بالبناء للمفعول اي يرضيك ربك
ولا تمدن عينيك اي نظر عينيك الى ما متعنا به استحسانا له وتمنيا ان يكون
لك مثله ازواجا منهم اصنافا من الكفرة ويجوز ان يكون حالا من الضمير
والمفعول منهم اي الى الذي متعنا به وهو اصناف بعضهم وناسا منهم زهرة
الحيوة الدنيا منصوب بمحذوف دل عليه متعنا او به على تضمينه معنى اعطينا

او بالبدل من محل به او من ازواجا بتقدير مضاف ودونه او بالذم وهي
الزينة والبهجة وقرا يعقوب بالفتح وهي لغة كالجهرة في الجهر او جمع زاهر
وصف لهم بانهم زاهروا الدنيا لتنعمهم وبهاء زيهم بخلاف ما عليه المؤمنون
الزهاد لنفتنهم فيه لنبلوهم ونختبرهم فيه او لنعذبهم في الآخرة بسببه
ورزق ربك وما ادخر لك في الآخرة او ما رزقك من الهدى والنبوة خير
مما منحهم في الدنيا وابقى فانه لا ينقطع وأمر اهلك بالصلوة امره بان يامر
اهل بيته او التابعين له من امته بالصلوة بعدما امره بها ليتعاونوا على الاستعانة
على خصاصتهم ولا يهتموا بامر المعيشة ولا يلتفتوا لفت ارباب الثروة واصطبر
عليها وداوم عليها لا نسألك رزقا ان ترزق نفسك ولا اهلك نحن نرزقك
واياهم ففرغ بالك لامر الآخرة والعاقبة المحمودة للتقوى لذوي التقوى
روي انه عليه الصلوة والسلام اذا اصاب اهله ضر امرهم بالصلوة وتلا هذه
الآية وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه بآية تدل على صدقه في ادعاء النبوة
او بآية مقترحة انكارا لما جاء به من الآيات او للاعتداد به تعنتا وعنادا
فالزمهم باتيانه بالقرآن الذي هو ام المعجزات وانفعها لان حقيقة المعجز اختصاص
مدعي النبوة بنوع من العلم او العمل على وجه خارق للعادة ولا شك ان العلم
اصل العمل واعلى منه قدرا وابقى اثرا فكذا ما كان من هذا القبيل ونبههم
ايضا على وجه ابين من وجوه الاعجاز المختصة بهذا الباب فقال اولم تأتهم
بينة ما في الصحف الاولى من التورية والانجيل وسائر الكتب السماوية فان
اشتمالها على زبدة ما فيها من العقائد والاحكام الكلية مع ان الآتي بها امي
لم يرها ولم يتعلم ممن علمها اعجاز بين وفيه اشعار بانه كما يدل على نبوته برهان
لما تقدمه من الكتب من حيث انه معجز وتلك ليست كذلك بل هي مفتقرة الى ما
يشهد على صحتها وقرأ نافع وابو عمرو وحفص اولم تأتهم بالتاء والباقون
بالياء وقرئ الصحف بالتخفيف ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله من قبل محمد

او البعثة والتذكير لانها في معنى البرهان او المراد بها القرآن لقالوا ربنا لولا ارسلت
الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل ان نذل بالقتل والسبي في الدنيا ونخزى
بدخول النار يوم القيمة وقد قرئ نذل ونخزى بالبناء للمفعول قل كل واحد
منا ومنكم متربص منتظر لما يؤول اليه امرنا وامركم فتربصوا وقرئ فتمتعوا
فستعلمون من اصحاب الصراط السوي المستقيم وقرئ السواء اي الوسط
الجيد والسوءى والسوء اي الشر والسوي وهو تصغيره ومن اهتدى من
الضلالة ومن في الموضعين للاستفهام ومحلها الرفع بالابتداء ويجوز ان يكون
الثانية موصولة بخلاف الاولى لعدم العائد فتكون معطوفة على
محل الجملة الاستفهامية المعلق عنها الفعل على ان العلم بمعنى المعرفة او على
اصحاب او على الصراط على ان المراد به النبي صلى الله عليه وسلم
وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ طه اعطي يوم القيمة ثواب المهاجرين والانصار

سورة الانبيا مكية وهي ماية واثنى عشر آية

بسم الله الرحمن الرحيم اقترب للناس حسابهم بالاضافة الى ما مضى
او عند الله لقوله انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا وقوله ويستعجلونك بالعذاب
ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون او لان
كل ما هو آت قريب وانما البعيد ما انقرض ومضى واللام صلة لاقترب
او تأكيد للاضافة واصله اقترب حساب الناس ثم اقترب للناس الحساب
ثم اقترب للناس حسابهم وخص الناس بالكفار لتقييدهم بقوله وهم في
غفلة معرضون اي في غفلة من الحساب معرضون عن التفكر فيه وهما
خبران للضمير ويجوز ان يكون الظرف حالا من المستكن في معرضون ما يأتيهم
من ذكر ينبههم عن سنة الغفلة والجهالة من ربهم صفة لذكر او صلة ليأتيهم
محدث تنزيله ليكرر على اسماعهم التنبيه كي يتعظوا وقرئ بالرفع حملا

على الحال {الا استمعوه وهم يلعبون} يستهزءون به ويستسخرون منه لتناهي غفلتهم
وفرط اعراضهم عن النظر في الامور والتفكر في العواقب وهم يلعبون حال من
الواو وكذلك {لاهية قلوبهم} اي استمعوه جامعين بين الاستهزاء به والتلهي
والذهول عن التفكر فيه ويجوز ان يكون من واو يلعبون وقرئت بالرفع على انه خبر
آخر للضمير {واسروا النجوى} بالغوا في اخفائها او جعلوها بحيث خفي تناجيهم بها
{الذين ظلموا} بدل من واو واسروا للايماء بانهم ظالمون فيما اسروا به او فاعل له
والواو لعلامة الجمع او مبتدأ والجملة المتقدمة خبره واصله وهؤلاء اسروا النجوى
فوضع الموصول موضعه تسجيلا على فعلهم بانه ظلم او منصوب على الذم {هل هذا
الا بشر مثلكم افتأتون السحر وانتم تبصرون} بأسره في موضع النصب بدلا من النجوى او
مفعولا لقول مقدر كأنهم استدلوا بكونه بشرا على كذبه في ادعاء الرسالة
لاعتقادهم ان الرسول صلى الله عليه وسلم لا يكون الا ملكا واستلزموا منه
ان ما جاء به من الخوارق كالقرآن سحر فانكروا حضوره وانما اسروا به تشاورا
في استنباط ما يهدم امره ويظهر فساده للناس {قل ربي يعلم القول في السماء
والارض} جهرا كان او سرا فضلا عما اسروا به فهو آكد من قوله قل انزله
الذي يعلم السر في السموات والارض ولذلك اختير ههنا وليطابق قوله
واسروا النجوى وقرأ حمزة والكسائي وحفص قال بالاخبار عن الرسول صلى الله
عليه وسلم {وهو السميع العليم} فلا يخفى عليه ما يسرون ولا ما يضمرون {بل قالوا
اضغاث احلام بل افتراه بل هو شاعر} اضراب لهم عن قولهم هو سحر الى انه تخاليط
الاحلام ثم الى انه كلام افتراه ثم الى انه قول شاعر والظاهر ان بل الاولى
لتمام حكايته والابتداء باخرى او للاضراب عن تحاورهم في شأن الرسول
وما ظهر عليه من الآيات الى تقاولهم في امر القرآن والثانية والثالثة لاضرابهم
عن كونه اباطيل خيلت اليه وخلطت عليه الى كونه مفتريات اختلقها من تلقاء
نفسه ثم الى انه كلام شعري يخيل الى السامع معاني لا حقيقة لها ويرغبه فيها

ويجوز ان يكون الكل من الله تنزيلا لاقوالهم في درج الفساد لان كونه شعرا
ابعد من كونه مفترى لانه مشحون بالحقائق والحكم وليس فيه ما يناسب قول الشعراء
وهو من كونه احلاما لانه مشتمل على مغيبات كثيرة طابقت الواقع والمفترى لا يكون
كذلك بخلاف الاحلام ولانهم جربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نيفا واربعين سنة
وما سمعوا منه كذبا قط وهو من كونه سحرا لانه يجانسه من حيث انهما من الخوارق
{فليأتنا باية كما ارسل الاولون} اي كما ارسل الاولون مثل اليد البيضاء والعصا
وابراء الاكمه واحياء الموتى وصحة التشبيه من حيث ان الارسال يتضمن الاتيان
بالآية {ما آمنت قبلهم من قرية} من اهل قرية {اهلكناها} باقتراح الآيات لما جاءتهم
{افهم يؤمنون} لو جئتهم بها وهم اعتى منهم وفيه تنبيه على ان عدم الاتيان بالمقترح
للابقاء عليهم اذ لو اتى به لم يؤمنوا واستوجبوا عذاب الاستئصال كمن
قبلهم {وما ارسلنا قبلك الا رجالا يوحى اليهم فاسألوا اهل الذكر ان كنتم
لا تعلمون} جواب لقولهم هل هذا الا بشر مثلكم يأمرهم ان يسألوا اهل
الكتاب عن حال الرسل المتقدمة ليزول عنهم الشبهة والاحالة اليهم اما
للالزام فان المشركين كانوا يشاورونهم في امر النبي صلى الله عليه وسلم
ويثقون بقولهم او لان اخبار الجم الغفير يوجب العلم وان كانوا كفارا
وقرأ حفص رحمه الله تعالى نوحي بالنون {وما جعلناهم جسدا لا يأكلون
الطعام وما كانوا خالدين} نفي لما اعتقدوا انها من خواص الملك عن الرسل
تحقيقا لانهم كانوا ابشارا مثلهم وقيل جواب لقولهم ما لهذا الرسول
يأكل الطعام ويمشي في الاسواق وما كانوا خالدين تأكيد وتقرير له
فان التعيش بالطعام من توابع التحليل المؤدي الى الفناء وتوحيد الجسد
لارادة الجنس او لانه مصدر في الاصل او على حذف المضاف او تأويل
الضمير بكل واحد وهو جسم ذو لون ولذلك لا يطلق على الماء والهواء
ومنه المجسد للزعفران وقيل جسم ذو تركيب لان اصله لجمع الشيء واشتداده

ثم صدقناهم الوعد اي في الوعد فانجيناهم ومن نشاء يعني المؤمنين بهم
ومن في ابقائه حكمة كمن سيؤمن هو او واحد من ذريته ولذلك حميت العرب
عن عذاب الاستيصال واهلكنا المسرفين في الكفر والمعاصي لقد انزلنا
اليكم يا قريش كتابا يعني القران فيه ذكركم صيتكم لقوله وانه لذكر لك
ولقومك او موعظتكم او ما تطلبون به حسن الذكر من مكارم الاخلاق
افلا تعقلون فتؤمنون وكم قصمنا من قرية واردة على غضب عظيم لان
القصم كسر يبين تلاؤم الاجزاء بخلاف الفصم كانت ظالمة صفة لاهلها وصفت
بها لما اقيمت مقامه وانشانا بعدها بعد اهلاك اهلها قوما اخرين
مكانهم فلما احسوا باسنا فلما ادركوا شدة عذابنا ادراك المشاهد
المحسوس والضمير للاهل المحذوف اذا هم منها يركضون يهربون مسرعين راكضين
دوابهم او مشبهين بهم من فرط اسراعهم لا تركضوا على ارادة القول اي قيل لهم
استهزاء لا تركضوا اما بلسان الحال او المقال والقائل ملك او من ثم من
المؤمنين وارجعوا الى ما اترفتم فيه من التنعم والتلذذ والاتراف ابطار
النعمة ومساكنكم التي كانت لكم لعلكم تسألون غدا عن اعمالكم او تعذبون
فان السؤال من مقدمات العذاب او تقصدون للسؤال والتشاور في المهام
والنوازل قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين لما راوا العذاب ولم يروا وجه النجاة
فلذلك لم ينفعهم وقيل ان اهل حضور من قرى اليمن بعث اليهم نبي فقتلوه
فسلط الله تعالى عليهم بختنصر فوضع السيف فيهم فنادى مناد من السماء يا
لثارات الانبياء فندموا وقالوا ذلك فما زالت تلك دعواهم فما زالوا
يرددون ذلك وانما سماه دعوى لان المولول كانه يدعو الويل ويقول
يا ويل تعال فهذا اوانك وكل من تلك ودعواهم يحتمل الاسمية والخبرية
حتى جعلناهم حصيدا وهو النبت المحصود ولذلك لم يجمع خامدين ميتين من
خمدت النار وهو مع حصيدا بمنزلة المفعول الثاني كقولك جعلته حلوا حامضا

اذ المعنى

اذ المعنى جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود او صفة له او
حال من ضميره وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين وانما خلقناهما
مشحونة بضروب البدائع تبصرة للنظار وتذكرة لذوي الاعتبار
وتسبيبا لما ينتظم به امور العباد في المعاش والمعاد فينبغي ان
يتسلقوا بها الى تحصيل الكمال ولا يغتروا بزخارفها فانها سريعة
الزوال لو اردنا ان نتخذ لهوا ما يتلهى به ويلعب لاتخذناه من لدنا
من جهة قدرتنا او مما عندنا مما يليق بحضرتنا من المجردات لا من الاجسام
المرفوعة والاجرام المبسوطة كعادتكم في رفع السقوف وتزويقها
وتسوية الفرش في ترتيبها وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل الزوجة
والمراد الرد على النصارى ان كنا فاعلين ذلك ويدل على جوابه
الجواب المتقدم وقيل ان نافية والجملة كالنتيجة للشرطية بل نقذف
بالحق على الباطل اضراب عن اتخاذ اللهو وتنزيه لذاته من اللعب
اي بل من شاننا ان نغلب الحق الذي من جملته الجد على الباطل الذي
من عداده اللهو فيدمغه فيمحقه وانما استعار لذلك القذف
وهو الرمي البعيد المستلزم لصلابة المرمي والدمغ الذي هو كسر
الدماغ بحيث يشق غشاءه المؤدي الى زهوق الروح تصويرا
لابطاله به ومبالغة فيه وقرئ فيدمغه بالنصب كقوله
سأترك منزلي لبني تميم   والحق بالحجاز فاستريحا ووجهه مع بعده
الحمل على المعنى والعطف على الحق فاذا هو زاهق هالك والزهوق
ذهاب الروح وذكره لترشيح المجاز ولكم الويل مما تصفون
مما تصفونه به مما لا يجوز عليه وهو في موضع الحال وما مصدرية
او موصولة او موصوفة وله من في السموات والارض خلقا وملكا
ومن عنده يعني الملائكة المنزلين منه لكرامتهم عليه منزلة المقربين

عند الملوك وهو معطوف على من في السموات وافراده للتعظيم او لانه
اعم منه من وجه او المراد به نوع من الملائكة متعال عن التبوء في السماء
والارض او مبتدأ خبره لا يستكبرون عن عبادته لا يتعظمون عنها
ولا يستحسرون ولا يعيون منها وانما جيء بالاستحسار الذي هو ابلغ من
الحسور تنبيها على ان عبادتهم بثقلها ودوامها حقيقة بان يستحسر منها
ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار ينزهونه ويعظمونه دائما
لا يفترون حال من الواو في يسبحون وهو استئناف او حال من ضمير قبله
ام اتخذوا آلهة بل اتخذوا والهمزة لانكار اتخاذهم من الارض صفة
لآلهة او متعلقة بالفعل على معنى الابتداء وفائدتها التحقير
دون التخصيص هم ينشرون الموتى وهم وان لم يصرحوا بذلك لزم
ادعاؤهم لها الالهية فان من لوازمها الاقتدار على جميع الممكنات والمراد به
تجهيلهم والتهكم بهم وللمبالغة في ذلك زيد الضمير الموهم لاختصاص
الانشار بهم لو كان فيهما آلهة الا الله غير الله وصف بالا لما تعذر
الاستثناء لعدم شمول ما قبلها لما بعدها ودلالته على ملازمة الفساد
لكون الآلهة فيهما دونه والمراد ملازمته لكونها مطلقا او معه
حملا لها على غير كما استثني بغير حملا عليها ولا يجوز الرفع على
البدل لانه متفرع على الاستثناء ومشروط بان يكون في كلام غير
موجب لفسدتا لبطلتا لما يكون بينهما من الاختلاف والتمانع فانها
ان توافقت في المراد تطاردت عليه القدر وان تخالفت فيه تعاوقت عنه
فسبحان الله رب العرش المحيط بجميع الاجسام الذي هو محل التدابير
ومنشأ التقادير عما يصفون من اتخاذ الشريك والصاحبة والولد
لا يسأل عما يفعل لعظمته وقوة سلطانه وتفرده بالالوهية والسلطنة
الذاتية وهم يسألون لانهم مملوكون مستعبدون والضمير للآلهة او للعباد

ام اتخذوا

ام اتخذوا من دونه آلهة كرره استعظاما لكفرهم واستفظاعا لامرهم
وتبكيتا واظهارا لجهلهم او ضما لانكار ما يكون لهم سندا من النقل الى انكار ما
يكون لهم دليلا من العقل يعني اوجدوا آلهة ينشرون الموتى فاتخذوهم
آلهة لما وجدوا فيهم من خواص الالوهية او وجدوا في الكتب الالهية
الامر باشراكهم فاتخذوهم متابعة للامر ويعضد ذلك انه رتب
على الاول ما يدل على فساده عقلا وعلى الثاني ما يدل على فساده نقلا قل
هاتوا برهانكم على ذلك اما من العقل او من النقل فانه لا يصح القول
بما لا دليل عليه كيف وقد تطابقت الحجج على بطلانه عقلا ونقلا
هذا ذكر من معي وذكر من قبلي من الكتب السماوية فانظروا هل تجدون
فيها الا الامر بالتوحيد والنهي عن الاشراك والتوحيد لما لم يتوقف
على صحته بعثة الرسل وانزال الكتب صح الاستدلال فيه بالنقل
ومن معي امته ومن قبلي الامم المتقدمة واضافة الذكر اليهم لانه
عظتهم وقرئ بالتنوين على الاعمال وبه وبمن الجارة على ان مع اسم هو ظرف
كقبل وبعد وشبههما بل اكثرهم لا يعلمون الحق ولا يميزون بين الحق والباطل
وقرئ الحق بالرفع على انه خبر محذوف وسط للتأكيد بين السبب والمسبب
فهم معرضون عن التوحيد واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وما ارسلنا
من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون تعميم بعد
تخصيص فان ذكر من قبلي من حيث انه خبر لاسم الاشارة مخصوص بالموجود بين
اظهرهم وهو الكتب الثلاثة وقالوا اتخذ الرحمن ولدا نزلت في خزاعة
حيث قالوا الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له عن ذلك بل عباد بل هم
عباد من حيث انهم مخلوقون وليسوا باولاد مكرمون مقربون وفيه
تنبيه على مدحض القوم وقرئ بالتشديد لا يسبقونه بالقول لا يقولون
شيئا حتى يقوله كما هو ديدن العبيد المؤدبين وأصله لا يسبق قولهم

وقرأ حمزة والكسائي وحفص بكسر الحاء
وضم النون والباقون بضم الياء
وفتح الحاء ٣

وقوله فنسب السبق اليه وجعل القول محله واداته تنبيها على استهجان السبق
المعرض به للقائلين على الله ما لم يقله وانيب اللام عن الاضافة اختصارا
وتجافيا عن تكرير الضمير وقرئ لا يسبقونه بالضم من سابقته فسبقته اسبقه
وهم بامره يعملون لا يعملون قط ما لم يامرهم به يعلم ما بين ايديهم وما
خلفهم لا يخفى عليه خافية مما قدموا واخروا وهو كالعلة لما قبله والتمهيد
لما بعده فانهم لاحاطتهم بذلك يضبطون انفسهم ويراقبون احوالهم ولا يشفعون
الا لمن ارتضى ان يشفع له مهابة منه وهم من خشيته عظمته ومهابته
واصل الخشية خوف مع تعظيم ولذلك خص بها العلماء والاشفاق خوف
مع اعتناء فان عدي بمن فمعنى الخوف فيه اظهر وان عدي بعلى فبالعكس
مشفقون مرتعدون ومن يقل منهم من الملائكة او من الخلائق اني اله من
دونه فذلك نجزيه جهنم يريد به نفي النبوة وادعاء ذلك عن الملائكة
وتهديد المشركين بتهديد مدعي الربوبية كذلك نجزي الظالمين من ظلم
بالاشراك وادعاء الربوبية اولم ير الذين كفروا اولم يعلموا وقرا ابن كثير
رضي الله عنه بغير واو ان السموات والارض كانتا رتقا ذات رتق
او مرتوقتين وهو الضم والالتحام اي كانتا شيئا واحدا وحقيقة متحدة
ففتقناهما بالتنويع والتمييز او كانت السموات واحدة ففتقت بالتحريكات
المختلفة حتى صارت افلاكا وكانت الارضون واحدة فجعلت باختلاف
كيفياتها واحوالها طبقات او اقاليم وقيل كانتا بحيث لا فرجة بينهما
ففرج وقيل كانتا رتقا لا تمطر ولا تنبت ففتقناهما بالمطر والنبات
فيكون المراد بالسموات سماء الدنيا وجمعها باعتبار الآفاق او السموات
باسرها على ان لها مدخلا ما في الامطار والكفرة وان لم يعلموا ذلك
فهم متمكنون من العلم به نظرا بان الفتق عارض مفتقر الى مؤثر واجب
ابتداء او بوسط او استفسارا من العلماء ومطالعة للكتب وانما قال كانتا

دون كن لان المراد جماعة السموات وجماعة الارض وقرئ رتقا
بالفتح على تقدير شيئا رتقا اي مرتوقا كالرفض بمعنى المرفوض وجعلنا
من الماء كل شيء حي وجعلنا من الماء كل حيوان كقوله والله خلق كل دابة
من ماء وذلك لانه اعظم مواده او لفرط احتياجه اليه وانتفاعه به
بعينه او صيرنا كل شيء حي بسبب من الماء لا يحيى دونه وقرئ حيا على انه صفة
كل او مفعول ثان والظرف لغو والشيء مخصوص بالحيوان افلا يؤمنون
مع ظهور الآيات وجعلنا في الارض رواسي ثابتات من رسا اذا ثبت
ان تميد بهم كراهة ان تميد بهم وتضطرب وقيل لان لا تميد فحذف لا
لامن الالتباس وجعلنا فيها في الارض او الرواسي فجاجا سبلا مسالك
واسعة وانما قدم فجاجا وهو وصف له ليصير حالا فيدل على انه حين خلقها
خلقها كذلك او ليبدل منها سبلا فيدل ضمنا على انه خلقها ووسعها للسابلة
مع ما يكون فيه من التوكيد لعلهم يهتدون الى مصالحهم وجعلنا السماء
سقفا محفوظا عن الوقوع بقدرته او الفساد والانحلال الى الوقت
المعلوم بمشيئته او استراق السمع بالشهب وهم عن آياتها احوالها الدالة على
وجود الصانع ووحدته وكمال قدرته وتناهي حكمته التي يحس بعضها
ويبحث عن بعضها في علمي الطبيعة والهيئة معرضون غير متفكرين وهو الذي
خلق الليل والنهار والشمس والقمر بيان لبعض تلك الآيات كل في فلك
اي كل واحد منهما والتنوين بدل المضاف اليه والمراد بالفلك الجنس كقولهم
كساهم الامير حلة يسبحون يسرعون على الفلك اسراع السابح على سطح
الماء وهو خبر كل والجملة حال من الشمس والقمر وجاز انفرادهما لعدم
اللبس والضمير لهما وانما جمع باعتبار المطالع وجعل واو العقلاء لان
السباحة فعلهم وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افان مت فهم الخالدون
نزلت حين قالوا نتربص به ريب المنون وفي معناه قوله فقل للشامتين بنا

ابيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا والفاء لتعلق الشرط بما قبله والهمزة
لانكاره بعد ما تقرر ذلك كل نفس ذائقة الموت ذائقة مرارة مفارقتها
جسدها وهو برهان على ما انكروه ونبلوكم ونعاملكم معاملة المختبر
بالشر والخير بالبلايا والنعم فتنة ابتلاء مصدر من غير لفظه والينا ترجعون
فنجازيكم بحسب ما يوجد منكم من الصبر والشكر وفيه ايماء بان المقصود من هذه
الحياة الابتلاء والتعريض للثواب والعقاب تقريرا لما سبق واذا راك الذين
كفروا ان يتخذونك الا هزوا الا مهزوا به ويقولون اهذا الذي يذكر
الهتكم اي بسوء وانما اطلقه لدلالة الحال فان ذكر العدو لا يكون الا بسوء
وهم بذكر الرحمن بالتوحيد او بارشاد الخلق ببعث الرسل وانزال الكتب
رحمة عليهم او بالقران هم كافرون منكرون فهم احق بان يهزأ بهم وتكرير
الضمير للتاكيد والتخصيص وحيلولة الصلة بينه وبين الخبر خلق الانسان
من عجل كانه خلق منه لفرط استعجاله وقلة تانيه كقولك خلق زيد من الكرم
جعل ما طبع عليه بمنزلة المطبوع هو منه مبالغة في لزومه له ولذلك
قيل انه على القلب ومن عجلته مبادرته الى الكفر واستعجال الوعيد روي
انها نزلت في النضر بن الحارث حين استعجل سأريكم آياتي نقماتي في الدنيا
كوقعة بدر وفي الاخرة عذاب النار فلا تستعجلون بالاتيان بها والنهي
عما جبلت عليه نفوسهم ليقعدوها عن مرادها ويقولون متى هذا الوعد
وقت وعد العذاب او القيمة ان كنتم صادقين يعنون النبي صلى الله عليه وسلم
واصحابه لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم
ولا هم ينصرون محذوف الجواب وحين مفعول به اي لو يعلمون الوقت الذي
يستعجلون منه بقولهم متى هذا الوعد وهو حين تحيط بهم النار من كل جانب
بحيث لا يقدرون على دفعها ولا يجدون ناصرا يمنعها لما استعجلوا ويجوز
ان يترك مفعول يعلم ويضمر لحين فعل بمعنى لو كان لهم علم لما استعجلوا

يعلمون

يعلمون بطلان ما عليهم حين لا يكفون وانما وضع الظاهر فيه موضع الضمير
للدلالة على ما اوجب لهم ذلك بل تاتيهم العدة او النار او الساعة بغتة
فجاة مصدر او حال وقرئ بفتح الغين فتبهتهم فتغلبهم او تحيرهم وقرئ
الفعلان بالياء والضمير للوعد او الحين وكذا في قوله فلا يستطيعون ردها
لان الوعد بمعنى النار او العدة والحين بمعنى الساعة ويجوز ان يكون للنار او
للبغتة ولا هم ينظرون ولا يمهلون وفيه تذكير بامهالهم في الدنيا ولقد
استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فحاق بالذين
سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن وعد له بان ما يفعلونه به يحيق بهم كما
حاق بالمستهزئين بالانبياء ما فعلوا يعني جزاءه قل يا محمد للمستهزئين
من يكلؤكم يحفظكم بالليل والنهار من الرحمن من باسه ان اراد بكم وفي
لفظ الرحمن تنبيه على ان لا كالئ غير رحمته العامة وان اندفاعه بها
بل هم عن ذكر ربهم معرضون لا يخطرونه ببالهم فضلا ان يخافوا باسه
حتى اذا كلئوا منه عرفوا الكالئ وصلحوا للسؤال عنه ام لهم آلهة تمنعهم
من دوننا بل الهم آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا او من عذاب يكون
من عندنا والاضراب الاول عن الامر بالسؤال على الترتيب فانه عن المعرض
الغافل عن الشيء بعيد وعن المعتقد لنقيضه ابعد لا يستطيعون نصر انفسهم
ولا هم منا يصحبون استيناف بابطال ما اعتقدوه فان ما لا يقدر على نصر نفسه
ولا يصحبه نصر من الله كيف ينصر غيره بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال
عليهم العمر اضراب عما توهموا ببيان ما هو الداعي الى حفظهم وهو الاستدراج
والتمتيع بما قدر لهم من الاعمار او عن الدلالة على بطلانه ببيان ما اوهمهم
ذلك وهو انه تعالى متعهم بالحيوة الدنيا وامهلهم حتى طالت اعمارهم فحسبوا
ان لا يزالوا كذلك وانه بسبب ما هم عليه ولذلك عقبه بما يدل على انه امل
كاذب فقال افلا يرون انا نأتي الارض ارض الكفرة ننقصها من اطرافها

بتسليط المسلمين عليها وهو تصوير لما يجريه الله تعالى على ايدي المسلمين
افهم الغالبون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين قل انما انذركم بالوحي بما
اوحي الي ولا يسمع الصم الدعاء وقرأ ابن عامر رحمة الله عليه ولا تسمع الصم
على خطاب النبي صلى الله عليه وسلم وقرئ بالياء على ان فيه ضميره وانما سماهم الصم
ووضعه موضع ضميرهم للدلالة على تصامهم وعدم انتفاعهم بما يسمعون
اذا ما ينذرون منصوب بيسمع او بالدعاء والتقييد به لان الكلام في الانذار
او للمبالغة في تصامهم وتجاسرهم ولئن مستهم نفحة ادنى شيء وفيه مبالغات
ذكر المس وما في النفحة من معنى القلة فان اصل النفح هبوب رائحة الشيء
والبناء الدال على المرة من عذاب ربك من الذي ينذرون به ليقولن يا ويلنا
انا كنا ظالمين لدعوا على انفسهم بالويل واعترفوا عليها بالظلم ونضع
الموازين القسط العدل توزن بها صحائف الاعمال وقيل وضع الميزان تمثيل
لارصاد الحساب السوي والجزاء على الاعمال بالعدل وافراد القسط لانه مصدر
وصف به للمبالغة ليوم القيمة لجزاء يوم القيامة او لاهله او فيه كقولك جئت
لخمس خلون من الشهر فلا تظلم نفس شيئا من حقها او من الظلم وان كان مثقال حبة من
خردل اي وان كان العمل او الظلم مقدار حبة ورفع نافع مثقال على كان التامة
اتينا بها احضرناها وقرئ آتينا بمعنى جازينا بها من الايتاء فانه قريب
من اعطينا او من المواتاة فانهم اتوه بالاعمال واتاهم بالجزاء او اثبنا
من الثواب وقرئ جئنا والضمير للمثقال وتانيثه لاضافته الى الحبة وكفى بنا
حاسبين اذ لا مزيد على علمنا وعدلنا ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان
وضياء وذكرا للمتقين اي الكتاب الجامع لكونه فارقا بين الحق والباطل وضياء
يستضاء به في ظلمات الحيرة والجهالة وذكرا يتعظ به المتقون او ذكر ما يحتاجون
اليه من الشرائع وقيل الفرقان النصر وقيل فلق البحر وقرئ ضياء بغير واو
على انه حال من الفرقان الذين يخشون ربهم صفة للمتقين او مدح لهم منصوب

او مرفوع بالمدح بالغيب حال من الفاعل او المفعول وهم من الساعة مشفقون
خائفون وفي تصدير الضمير وبناء الحكم عليه مبالغة وتعريض وهذا ذكر
يعني القرآن مبارك كثير خيره انزلناه على محمد صلى الله عليه وسلم افانتم له
منكرون استفهام توبيخ ولقد آتينا ابراهيم رشده الاهتداء لوجوه الصلاح
واضافته ليدل على انه رشد مثله وان له شانا وقرئ رشده وهو لغة
من قبل من قبل موسى وهرون او محمد عليهم الصلاة والسلام وقيل من قبل
استنبائه او بلوغه حيث قال اني وجهت وكنا به عالمين علمنا انه اهل لما آتيناه
او جامع لمحاسن الاوصاف ومكارم الخصال وفيه اشارة الى ان فعله تعالى
باختيار وحكمة وانه عالم بالجزئيات اذ قال لابيه وقومه متعلق بآتينا او
برشده او بمحذوف اي اذكر من اوقات رشده وقت قوله ما هذه التماثيل التي
انتم لها عاكفون تحقير لشانها وتوبيخ على اجلالها فان التمثال صورة لا
روح فيها لا يضر ولا ينفع واللام للاختصاص لا للتعدية فان تعديته
العكوف بعلى والمعنى انتم فاعلون العكوف لها ويجوز ان يأول بعلى او
تضمين العكوف معنى العبادة قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين فقلدناهم
وهو جواب عما لزم الاستفهام من السؤال عما اقتضى عبادتها وحملهم عليها
قال لقد كنتم انتم وآباؤكم في ضلال مبين منخرطون في سلك ضلال لا يخفى
على عاقل لعدم استناد الفريقين الى دليل والتقليد وان جاز فانما يجوز
لمن علم في الجملة انه على حق قالوا اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين كانهم
لاستبعادهم تضليل آبائهم ظنوا ان ما قاله على وجه الملاعبة فقالوا
اجد تقوله ام تلعب به قال بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن
اضراب عن كونه لاعبا باقامة البرهان على ما ادعاه وهن للسموات والارض
او للتماثيل وهو ادخل في تضليلهم والزام الحجة عليهم وانا على ذلكم المذكور
من التوحيد من الشاهدين المحققين له والمبرهنين عليه فان الشاهد من تحقق الشيء

تحقيقه وتالله وقرئ بالباء وهي الاصل والتاء بدل من الواو المبدلة منها
وفيها تعجب لاكيدن اصنامكم لاجتهدن في كسرها ولفظ الكيد وما في التاء
من التعجب لصعوبة الامر وتوقفه على نوع من الحيل بعد ان تولوا عنها مدبرين
الى عيدكم ولعله قال ذلك سرا فجعلهم جذاذا قطاعا فعال بمعنى مفعول كالحطام
من الجذ وهو القطع وقرأ الكسائي بالكسر وهو لغة او جمع جذيذ كخفاف وخفيف
وقرئ بالفتح وجذذا جمع جذيذ وجذذا جمع جذة الا كبيرا لهم للاصنام كسر غيره
واستبقاه وجعل الفاس على عنقه لعلهم اليه يرجعون لانه غلب على ظنه انهم
لا يرجعون الا اليه لتفرده واشتهاره بعداوة الهتهم فيحاجهم بقوله بل فعله
كبيرهم فيحجهم او لانهم يرجعون الى الكبير فيسالونه عن كاسرها اذ من شان
المعبود ان يرجع اليه في حل العقد فيبكتهم بذلك او الى الله اي يرجعون
الى توحيده عند تحققهم عجز الهتهم قالوا حين رجعوا من فعل هذا بالهتنا
انه لمن الظالمين بجرأته على الالهة الحقيقة بالاعظام او بافراطه في حطمها
او بتوريط نفسه للهلاك قالوا سمعنا فتى يذكرهم يعيبهم فلعله فعله ويذكر
ثاني مفعولي سمع او صفة لفتى مصححة لان يتعلق به السمع وهو ابلغ في نسبة
الذكر اليه يقال له ابرهيم هو ابرهيم وتجوز رفعه بالفعل لان المراد به الاسم
قالوا فاتوا به على اعين الناس بمرأى منهم بحيث تتمكن صورته في اعينهم تمكن
الراكب على المركوب لعلهم يشهدون بفعله او قوله او يحضرون عقوبتنا له
قالوا اانت فعلت هذا بالهتنا يا ابرهيم حين احضروه قال بل فعله كبيرهم
هذا فاسئلوهم ان كانوا ينطقون اسند الفعل اليه تجوزا لان غيظه لما
راى من زيادة تعظيمهم له تسبب لمباشرته اياه او تقريرا لنفسه مع الاستهزاء
والتبكيت على اسلوب تعريضي كما لو قال لك من لا يحسن الخط فيما كتبته بخط
رشيق اانت كتبت هذا فقلت بل كتبته او حكاية لما يلزم من مذهبهم جوازه
وقيل انه في المعنى متعلق بقوله ان كانوا ينطقون وما بينهما اعتراض

اوالى

او الى ضمير فتى او ابرهيم وقوله كبيرهم هذا مبتدا وخبر ولذلك وقف
على فعله وما روي انه عليه الصلاة والسلام قال لم يكذب ابرهيم الا ثلث
كذبات تسمية للمعاريض كذبا لما شابهت صورتها صورته فرجعوا الى انفسهم
فراجعوا عقولهم فقالوا فقال بعضهم لبعض انكم انتم الظالمون بهذا السؤال
او بعبادة ما لا ينطق ولا يضر ولا ينفع لا من ظلمتموه بقولكم انه لمن الظالمين
ثم نكسوا على رؤسهم انقلبوا الى المجادلة بعد ما استقاموا بالمراجعة شبه
عودهم الى الباطل بصيرورة اسفل الشيء مستعليا على اعلاه وقرئ نكسوا
بالتشديد ونكسوا اي نكسوا انفسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فكيف تامرنا
بسؤالها وهو على ارادة القول قال افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم
شيئا ولا يضركم انكار لعبادتهم لها بعد اعترافهم بانها جمادات لا ينفع ولا
يضر فانه ينافي الالهية اف لكم ولما تعبدون من دون الله تضجر منه على
اصرارهم بالباطل البين واف صوت المتضجر ومعناه قبحا ونتنا واللام لبيان
المتأفف له افلا تعقلون قبح صنيعكم قالوا اخذا في المضارة لما عجزوا عن المحاجة
حرقوه فان النار اهول ما يعاقب به وانصروا الهتكم بالانتقام لها ان كنتم
فاعلين ان كنتم ناصريها نصرا مؤزرا او القائل منهم رجل من اكراد فارس
اسمه هيون خسف به الارض وقيل نمرود قلنا يا نار كوني بردا وسلاما
ذات برد وسلام اي ابردي بردا غير ضار وفيه مبالغات جعل النار المسخرة
لقدرته مامورة مطيعة واقامة كوني ذات برد مقام ابردي ثم حذف المضاف
واقامة كوني ذات برد مقام ابردي المضاف اليه مقامه وقيل نصب سلاما
بفعله اي وسلمنا سلاما عليه روي انهم بنوا حظيرة بكوثى وجمعوا فيها نارا
عظيمة ثم وضعوه في المنجنيق مغلولا فرموا فيها فقال له جبريل عليهما السلام
هل لك حاجة فقال اما اليك فلا فقال فسل ربك فقال حسبي من سؤالي علمه
بحالي فجعل الله ببركته قوله الحظيرة روضة لم يحترق منه الا وثاقه فاطلع عليه

نمرود من الصرح فقال اني مقرب الى الهك فذبح اربعة الاف بقرة وكف
عن ابرهيم وكان اذ ذاك ابن ست عشرة سنة وانقلاب النار هواء طيبة
ليس ببدع غير انه هكذا على خلاف المعتاد فهو اذن من معجزاته وقيل كانت
النار بحالها لكنه تعالى دفع عنه اذاها كما ترى في السمندل ويشعر به قوله
على ابرهيم وارادوا به كيدا مكرا في اضراره فجعلناهم الاخسرين اخسر من كل
خاسر لما عاد سعيهم برهانا قاطعا على انهم على الباطل وابرهيم على الحق
وموجبا لمزيد درجته واستحقاقهم اشد العذاب ونجيناه ولوطا الى
الارض التي باركنا فيها للعالمين اي من العراق الى الشام وبركاته العامة
ان اكثر الانبياء بعثوا فيه فانتشرت في العالمين شرايعهم التي هي مبادي الكمالات
والخيرات الدينية والدنياوية وقيل كثرة النعم والخصب الغالب روي انه
نزل بفلسطين ولوط بالموتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة ووهبنا له اسحق
ويعقوب نافلة عطية فهي حال منهما او ولد ولد او زيادة على ما سال وهو
اسحق فتختص بيعقوب ولا باس به للقرينة وكلا يعني الاربعة جعلنا صالحين
بان وفقناهم للصلاح وحملناهم عليه فصاروا كاملين وجعلناهم ايمة يقتدى
بهم يهدون الناس الى الحق بامرنا لهم بذلك وارسالنا اياهم حتى صاروا
مكملين واوحينا اليهم فعل الخيرات ليحثوا عليه فيتم كمالهم بانضمام العمل
الى العلم واصله ان تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات وكذلك
قوله واقام الصلوة وايتاء الزكوة وهو من عطف الخاص على العام للتفضيل
وحذف تاء الاقامة المعوضة من احدى الالفين لقيام المضاف اليه مقامها
وكانوا لنا عابدين موحدين مخلصين في العبادة ولذلك قدم الصلة ولوطا
اتيناه حكما حكمة او نبوة او فصلا بين الخصوم وعلما بما ينبغي علمه للانبياء
ونجيناه من القرية قرية سدوم التي كانت تعمل الخبائث يعني اللواطة وصفها
بصفة اهلها واسندها اليها على حذف المضاف واقامتها مقامه ويدل عليه

انهم كانوا قوم سوء فاسقين فانه كالتعليل له وادخلناه في رحمتنا في اهل
رحمتنا او في جنتنا انه من الصالحين الذين سبقت منا الحسنى ونوحا اذ نادى
اذ دعا الله على قومه بالهلاك من قبل المذكورين فاستجبنا له دعاءه
فنجيناه واهله من الكرب العظيم من الطوفان او اذى قومه والكرب الغم
الشديد ونصرناه مطاوع انتصر اي جعلناه منتصرا من القوم الذين كذبوا
باياتنا انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين لاجتماع الامرين تكذيب الحق
والانهماك في الشر فانهما لم يجتمعا في قوم الا واهلكهم الله وداود وسليمان
اذ يحكمان في الحرث في الزرع وقيل في كرم تدلت عناقيده اذ نفشت
فيه غنم القوم رعته ليلا وكنا لحكمهم شاهدين لحكم الحاكمين والمتحاكمين عالمين
ففهمناها سليمان الضمير للحكومة او الفتوى وقرئ فافهمناها روي ان داود
صلى الله عليه وسلم حكم بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمان وهو ابن احدى عشرة سنة
غير هذا ارفق بهما فامر بدفع الغنم الى اهل الحرث ينتفعون بالبانها واولادها
واشعارها والحرث الى ارباب الغنم يقومون عليه حتى يعود الى ما كان ثم يترادان
ولعلهما قالا اجتهادا والاول نظير قول ابي حنيفة في العبد الجاني والثاني
مثل قول الشافعي بغرم الحيلولة للعبد المغصوب اذا ابق وحكمه في شرعنا
عند الشافعي وجوب ضمان المتلف بالليل اذ المعتاد ضبط الدواب ليلا
وكذلك قضى النبي عليه الصلوة والسلام لما دخلت ناقة البراء حايطا وافسدته
فقال على اهل الاموال حفظها بالنهار وعلى اهل الماشية حفظها بالليل
وعند ابي حنيفة رحمه الله لا ضمان الا ان يكون معها حافظ لقوله عليه الصلوة
والسلام جرح العجماء جبار وكلا اتيناه حكما وعلما دليل على ان خطاء
المجتهد لا يقدح فيه وقيل على ان كل مجتهد مصيب وهو يخالف مفهوم
قوله ففهمناها ولولا النقل لاحتمل توافقهما على ان قوله ففهمناها لاظهار
ما تفضل عليه في صغره وسخرنا مع داود الجبال يسبحن يقدسن الله معه

اما بلسان الحال او بصوت يتمثل له او يخلق الله فيها وقيل يسرن معه من
السباحة وهو حال او استيناف لبيان وجه التسخير ومع متعلقة بسخرنا او
بيسبحن والطير معطوف على الجبال او مفعول معه وقرئ بالرفع على الابتداء
او العطف على الضمير على ضعف وكنا فاعلين لامثاله فليس ببدع منا وان كان
عجيبا عندكم وعلمناه صنعة لبوس عمل الدرع وهو في الاصل اللباس
قال البس لكل حالة لبوسها اما نعيمها واما بوسها قيل كانت صفائح فحلقها
وسردها لكم متعلق بعلم او صفة للبوس لتحصنكم من باسكم بدل منه بدل
الاشتمال باعادة الجار والضمير لداود عليه السلام او للبوس وفي قراءة
ابن عامر وحفص بالتاء للصنعة او للبوس على تاويل الدرع وفي قراءة
ابي بكر ورويس بالنون لله عز وجل فهل انتم شاكرون ذلك امر اخرجه في
صورة الاستفهام للمبالغة او التقريع ولسليمان الريح وسخرنا له ولعل
اللام فيه دون الاول لان الخارق فيه عائد الى سليمان نافع له وفي الاول
امر يظهر في الجبال والطير مع داود عليه السلام وبالاضافة اليه عاصفة
شديدة الهبوب من حيث انها تبعد بكرسيه في مدة يسيرة كما قال غدوها شهر
ورواحها شهر وكانت رخاء في نفسها طيبة وقيل كانت رخاء تارة وعاصفة
اخرى حسب ارادته تجري بامره بمشيئته حال ثانية او بدل من الاولى او حال
من ضميرها الى الارض التي باركنا فيها الى الشام رواحا بعدما سارت به
منه بكرة وكنا بكل شيء عالمين فنجريه على ما تقتضيه الحكمة ومن الشياطين
من يغوصون له في البحار ويخرجون نفائسه ومن عطف على الريح او مبتدأ
خبره ما قبله وهي نكرة موصوفة ويعملون عملا دون ذلك ويتجاوزون ذلك
الى اعمال اخر كبناء المدن والقصور واختراع الصنائع الغريبة كقوله تعالى
يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وكنا لهم حافظين ان يزيغوا عن
امره او يفسدوا على ما هو مقتضى جبلتهم وايوب اذ نادى ربه اني مسني الضر

باني مسني

باني مسني الضر وقرئ بالكسر على اضمار القول او تضمين النداء معناه
والضر بالفتح شائع في كل ضرر وبالضم خاص بما في النفس كمرض وهزال
وانت ارحم الراحمين وصف ربه بغاية الرحمة بعدما ذكر نفسه بما يوجبها
واكتفى بذلك عن عرض المطلوب لطفا في السؤال وكان روميا من ولد
عيص بن اسحق استنباه الله وكثر اهله وماله فابتلاه الله بهلاك اولاده
بهدم بيت عليهم وذهاب امواله والمرض في بدنه ثمانية عشر سنة او ثلث عشر
او سبعا وسبعة اشهر وسبع ساعات روي ان امراته ماخير بنت ميشا
ابن يوسف او رحمة بنت افرائيم بن يوسف قالت له يوما لو دعوت الله فقال
لها كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال استحي من الله ان ادعوه
وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر بالشفاء
من مرضه واتيناه اهله ومثلهم معهم بان ولد له ضعف ما كان او احيي
ولده وولد له منهم نوافل رحمة من عندنا وذكرى للعابدين رحمة
على ايوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر فيثابوا كما اثيب
او لرحمتنا العابدين فانا نذكرهم بالاحسان ولا ننساهم واسماعيل وادريس
وذا الكفل يعني الياس وقيل يوشع وقيل زكريا سمي به لانه ذا حظ
من الله وتكفل او ضعف عمل انبياء زمانه وثوابهم والكفل يجيء بمعنى النصيب
والكفالة والضعف كل كل هؤلاء من الصابرين على مشاق التكاليف وشدائد
النوب وادخلناهم في رحمتنا يعني النبوة او نعمة الآخرة انهم من الصالحين
الكاملين في الصلاح وهم الانبياء فان صلاحهم معصوم عن كدر الفساد
وذا النون وصاحب الحوت يونس بن متى اذ ذهب مغاضبا لما برم
بطول دعوتهم وشدة شكيمتهم مهاجرا عنهم قبل ان يؤمر وقيل وعدهم
بالعذاب فلم ياتهم لميعادهم بتوبتهم ولم يعرف الحال فظن انه كذبهم
وغضب من ذلك وهو من بناء المغالبة للمبالغة او لانه اغضبهم بالمهاجرة

لحوقهم لخوف العذاب عندها وقرئ مغضبا فظن ان لن نقدر عليه لن
نضيق عليه او لن نقضي عليه بالعقوبة من القدر ويعضده انه قرئ مثقلا او لن نعمل
فيه قدرتنا وقيل هو تمثيل لحاله بحال من ظن ان لن نقدر عليه في مراغمته قومه
من غير انتظار لامرنا او خطرة شيطانية سبقت الى وهمه فسمي ظنا وقرئ بالياء
وقرأ يعقوب على البناء للمفعول وقرئ به مثقلا فنادى في الظلمات في الظلمة
الشديدة المتكاثفة او ظلمات بطن الحوت والبحر والليل ان لا اله الا انت
بانه لا اله الا انت سبحانك ان يعجزك شيء اني كنت من الظالمين لنفسي بالمبادرة
الى المهاجرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء
الا استجيب فاستجبنا له ونجيناه من الغم بان قذفه الحوت الى الساحل بعد
اربع ساعات كان في بطنه وقيل ثلاثة ايام والغم غم الالتقام وقيل غم
الخطيئة وكذلك ننجي المؤمنين من غموم دعوا الله فيها بالاخلاص وفي الامام
نجي ولذلك اخفى النون الثانية فانها تخفى مع حروف الفم وقرأ ابن
عامر وابو بكر بتشديد الجيم على ان اصله ننجي فحذفت النون الثانية كما حذفت
التاء في تظاهرون وهي وان كانت فاء فحذفها اوقع من حرف المضارعة
التي لمعنى ولا يقدح فيه اختلاف حركتي النونين فان الداعي الى الحذف
اجتماع المثلين مع تعذر الادغام وامتناع الحذف في تتجافى لخوف
اللبس وقيل هو ماض مجهول اسند الى ضمير المصدر وسكن آخره تخفيفا
ورد بانه لا يسند الى المصدر والمفعول مذكور والماضي لا يسكن آخره وزكريا
اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وحيدا بلا ولد يرثني وانت خير الوارثين
فان لم ترزقني من يرثني فلا ابالي به فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا
له زوجه اي اصلحناها للولادة بعد عقرها او لزكريا بتحسين خلقها وكانت
حردة انهم يعني المتوالدين او المذكورين من الانبياء كانوا يسارعون في الخيرات
يبادرون الى ابواب الخير ويدعوننا رغبا ورهبا ذوي رغب ورهب او راغبين

في الثواب راجين الاجابة او في الطاعة او خائفين العقاب او المعصية
وكانوا لنا خاشعين مخبتين او ذوي وجل والمعنى انهم نالوا من الله
ما نالوا بهذه الخصال والتي احصنت فرجها من الحلال والحرام يعني مريم
فنفخنا فيها في عيسى فيها اي احييناه في جوفها وقيل فعلنا النفخ فيها
من روحنا من الروح الذي هو بامرنا وحده او من جهة روحنا جبرئيل
وجعلناها وابنها اي قصتهما او حالهما ولذلك وحد قوله آية للعالمين
فان من تأمل حالهما تحقق كمال قدرة الصانع ان هذه امتكم اي ملة التوحيد
ملتكم التي يجب عليكم ان تكونوا عليها فكونوا عليها امة واحدة غير مختلفة
فيما بين الانبياء ولا مشاركة لغيرها في صحة الاتباع وقرئ امتكم
بالنصب على البدل وامة بالرفع على الخبر وقرئتا بالرفع على انهما خبران
وانا ربكم لا اله لكم غيري فاعبدون لا غير وتقطعوا امرهم بينهم
صرفه الى الغيبة التفاتا لينعى على الذين تفرقوا في الدين وجعلوا امره
قطعا موزعة بقبيح فعلهم الى غيرهم كل من الفرق المتحزبة الينا راجعون
فنجازيهم فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن بالله ورسوله فلا كفران
لسعيه فلا تضييع لسعيه استعير لمنع الثواب كما استعير الشكر لاعطائه
ونفي نفي الجنس للمبالغة وانا له لسعيه كاتبون مثبتون في صحيفة عمله
لا يضيع بوجه وحرام على قرية وممتنع على اهلها غير متصور منهم اهلكناها
حكمنا باهلاكها او وجدناها هالكة انهم لا يرجعون رجوعهم الى
التوبة او الحياة ولا صلة او عدم رجوعهم للجزاء وهو مبتدأ خبره حرام
او فاعل له ساد مسد خبره او دليل عليه وتقديره توبتهم او حياتهم
او عدم بعثهم او لانهم لا يرجعون ولا يتوبون وحرام خبر محذوف
اي وحرام عليها ذاك وهو المذكور في الآية المتقدمة ويؤيده
القراءة بالكسر وقيل حرام عزم وموجب عليهم انهم لا يرجعون حتى اذا

فتحت يأجوج ومأجوج متعلق بحرام او بمحذوف دل الكلام عليه او
بلا يرجعون اى يستمر الامتناع او الهلاك او عدم الرجوع الى قيام
الساعة وظهور اماراتها وهو فتح سد يأجوج ومأجوج وهى حتى
التى يحكى الكلام بعدها والمحكى هى الجملة الشرطية وقرأ ابن عامر ويعقوب
فتحت بالتشديد وهم يعنى يأجوج ومأجوج او الناس كلهم من كل حدب
نشز من الارض وقرئ جدث وهو القبر ينسلون يسرعون من نسلان
الذئب وقرئ بضم السين واقترب الوعد الحق وهو القيمة فاذا هى شاخصة
ابصار الذين كفروا جواب الشرط واذا للمفاجاة تسد مسد الفاء الجزائية
كقوله تعالى اذا هم يقنطون فاذا جاءت معها تظاهرتا على وصل الجزاء بالشرط
فيتأكد والضمير للقصة او مبهم يفسره الابصار يا ويلنا مقدر بالقول واقع
موقع الحال من الموصول قد كنا فى غفلة من هذا لم نعلم انه حق بل كنا ظالمين
لانفسنا بالاخلال بالنظر وعدم الاعتداد بالنذر انكم وما تعبدون من دون الله
يحتمل الاوثان وابليس واعوانه لانهم بطاعتهم لهم فى حكم عبدتهم لما
روى انه صلى الله عليه وسلم لما تلا الآية على المشركين قال له ابن الزبعرى
قد خصمتك ورب الكعبة اليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى المسيح وبنو
مليح الملائكة فقال صلى الله عليه وسلم بل هم عبدوا الشياطين التى امرتهم
بذلك فانزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية وعلى هذا يعم
الخطاب ويكون ما مأولا بمن او بما يعم ويدل عليه ان ابن الزبعرى
قال هذا شئ لآلهتنا خاصة او لكل من عبد من دون الله فقال صلى الله عليه وسلم
بل لكل من عبد من دون الله ويكون قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى بيانا
للتجوز او التخصيص متأخرا عن الخطاب حصب جهنم ما يرمى به اليها وتهيج به
من حصبه يحصبه اذا رماه بالحصباء وقرئ بسكون الصاد وصفا بالمصدر
انتم لها واردون استئناف او بدل من حصب جهنم واللام معوضة من على

للاختصاص والدلالة على ان ورودهم لاجلها لو كان هؤلاء آلهة
ما وردوها لان المواخذ المعذب لا يكون الها وكل فيها خالدون لا خلاص
لهم عنها لهم فيها زفير انين وتنفس شديد وهو من اضافة فعل البعض الى الكل
للتغليب ان اريد بما تعبدون الاصنام وهم فيها لا يسمعون من الهول وشدة
العذاب وقيل لا يسمعون ما يسرهم ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الخصلة
الحسنى وهى السعادة او التوفيق للطاعة او البشرى بالجنة اولئك عنها
مبعدون لانهم يرفعون الى اعلى عليين روى ان عليا رضى الله عنه خطب
وقرأ هذه الآية ثم قال انا منهم وابو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير
وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وابن الجراح ثم اقيمت الصلوة
فقام يجر رداءه ويقول لا يسمعون حسيسها وهو بدل من مبعدون
او حال من ضميره سيق للمبالغة فى ابعادهم عنها والحسيس صوت يحس
به وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون دائمون فى غاية التنعم وتقديم
الظرف للاختصاص والاهتمام به لا يحزنهم الفزع الاكبر النفخة
الاخيرة لقوله يوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الارض
او الانصراف الى النار او حين يطبق على النار او يذبح الموت وتتلقيهم
الملائكة تستقبلهم مهنئين هذا يومكم يوم ثوابكم وهو مقدر بالقول
الذى كنتم توعدون فى الدنيا يوم نطوى السماء مقدر باذكر او ظرف
لا يحزنهم او تتلقيهم او حال مقدرة من العايد المحذوف من توعدون
والطى ضد النشر او المحو من قولك اطو عنى هذا الحديث وذلك لانها
نشرت مظلة لبنى آدم فاذا انتقلوا قوضت عنهم وقرئ بالياء
وبالتاء والبناء للمفعول كطى السجل للكتاب طيا كطى الطومار لاجل
الكتابة او لما يكتب او كتب فيه ويدل عليه قراءة حمزة والكسائى وحفص
على الجمع اى للمعانى الكثيرة المكتوبة فيه وقيل السجل ملك يطوى كتب الاعمال

لذا رقعت اليه او كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ السجل كالدلو والسجل كالعتل وهما لغتان فيه كما بدأنا اول خلق نعيده اى نعيد ما خلقناه مبتدأ اعادة مثل ما بدأناه اياه فى كونهما ايجادا من العدم او جمعا من الاجزاء المتبددة والمقصود بيان صحة الاعادة بالقياس على الابداء لشمول الامكان الذاتى المصحح للمقدورية وتناول القدرة القديمة لهما على السواء وما كافة او مصدرية واول مفعول لبدأنا او لفعل يفسره نعيده او موصولة والكاف متعلقة بمحذوف يفسره نعيده اى نعيد مثل الذى بدأناه واول خلق ظرف لبدأنا او حال من ضمير الموصول المحذوف وعدا مقدر بفعله تأكيدا لنعيده او منتصب به لانه عدة بالاعادة علينا اى علينا انجازه انا كنا فاعلين ذلك لا محالة ولقد كتبنا فى الزبور فى كتاب داود عليه السلام من بعد الذكر اى التورية وقيل المراد بالزبور جنس الكتب المنزلة وبالذكر اللوح المحفوظ ان الارض ارض الجنة او الارض المقدسة يرثها عبادى الصالحون يعنى عامة المؤمنين او الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها او امة محمد صلى الله عليه وسلم ان فى هذا فيما ذكر من الاخبار والمواعظ والمواعيد لبلاغا لكفاية او لسبب بلوغ الى البغية لقوم عابدين همهم العبادة دون العادة وما ارسلناك الا رحمة للعالمين لان ما بعثت به سبب لاسعادهم وموجب لصلاح معاشهم ومعادهم وقيل كونه رحمة للكفار امنهم به من الخسف والمسخ وعذاب الاستئصال قل انما يوحى الى انما الهكم اله واحد اى ما يوحى الى الا انه لا اله لكم الا اله واحد وذلك لان المقصود الاصلى من بعثته مقصور على التوحيد والاولى لقصر الحكم على الشئ والثانية على العكس فهل انتم مسلمون مخلصون العبادة لله على مقتضى الوحى المصدق بالحجة وقد عرفت ان التوحيد مما يصح اثباته بالسمع فان تولوا عن التوحيد

فقل آذنتكم

فقل آذنتكم اعلمتكم ما امرت به او حربى لكم على سواء مستوين فى الاعلام او مستوين انا وانتم فى العلم بما اعلمتكم به او فى المعاداة او ايذانا على سواء وقيل اعلمتكم انى على سواء اى عدل واستقامة رأى بالبرهان النير وان ادرى وما ادرى اقريب ام بعيد ما توعدون من غلبة المسلمين او الحشر لكنه كائن لا محالة انه يعلم الجهر من القول ما تجاهرون به من الطعن فى الاسلام ويعلم ما تكتمون من الاحن والاحقاد للمسلمين فيجازيكم عليه وان ادرى لعله فتنة لكم وما ادرى لعل تأخير جزائكم استدراج لكم وزيادة فى افتتانكم او امتحان لينظر كيف تعملون ومتاع الى حين وتمتيع الى اجل مقدر تقتضيه مشيته قل رب احكم بالحق اقض بيننا وبين اهل مكة بالعدل المقتضى لاستعجال العذاب والتشديد عليهم وقرأ حفص قال على حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ رب بالضم وربى احكم على بناء التفضيل واحكم من الاحكام وربنا الرحمن كثير الرحمة على خلقه المستعان المطلوب منه المعونة على ما تصفون من الحال بان الشوكة تكون لهم لكم وان راية الاسلام تخفق ايام ثم تسكن وان الموعد به لو كان حقا لنزل بهم فاجاب الله دعوة رسوله صلى الله عليه وسلم فخيب امانيهم ونصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ اقترب حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبى ذكر اسمه فى القرآن

سورة الحج مكية وهى ثمان وسبعون آية

الا ست آيات من هذان خصمان الى صراط الحميد وهى ثمان وسبعون آية بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة تحريكها للاشياء على الاسناد المجازى او تحريك الاشياء فيها فاضيفت اليها اضافة معنوية بتقدير فى واضافة المصدر الى الظرف على اجرائه مجرى المفعول به وقيل هى

والزلزلة تكون قبيل طلوع الشمس من مغربها واضافتها الى الساعة لانها
من اشراطها شيء عظيم هائل علل امرهم بالتقوى بفظاعة الساعة ليتصوروها
بعقولهم ويعلموا انه لا يؤمنهم منها سوى التدرع بلباس التقوى فيبقوا على
انفسهم ويتقوها بملازمة التقوى يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت
تصوير لهولها والضمير للزلزلة ويوم منتصب بتذهل وقرئ تُذهل
وتُذهِل مجهولا ومعروفا اي تذهلها الزلزلة والذهول الذهاب عن الامر
بدهشة والمقصود الدلالة على ان هولها بحيث اذا دهشت التي القمت الرضيع
ثديها نزعته عن فيه وذهلت عنه وما موصولة او مصدرية وتضع
كل ذات حمل حملها جنينها وترى الناس سكارى كانهم سكارى وما هم
بسكارى على الحقيقة ولكن عذاب الله شديد فارهقهم هوله بحيث
طير عقولهم واذهب تمييزهم وقرئ تُرى من اريتك اي تظنك قائما
او رؤيتك قائما بنصب الناس ورفعه على انه نائب مناب الفاعل وتانيثه
على تاويل الجماعة وافراده بعد جمعه لان الزلزلة يراها الجميع واثر السكر
انما يراه كل احد على غيره وقرا حمزة والكسائي سكرى كعطشى اجراء للسكر
مجرى العلل ومن الناس من يجادل في الله بغير علم نزلت في النضر بن الحرث
وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن اساطير متجرد للفساد واصله
العري كتب عليه على الشيطان انه من تولاه تبعه والضمير للشان فانه يضله
خبر لمن او جواب له يكون بعد تمام الكلام وقرئ بالكسر في الموضعين على
حكاية المكتوب واضمار القول وتضمين الكتب معناه ويهديه الى عذاب
السعير بالحمل على ما يؤدي اليه يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث
من امكانه وكونه مقدورا وقرئ من البعث كالجلب فانا خلقناكم اي
فانظروا في بدء خلقكم فانه يزيح ريبكم فانا خلقناكم من تراب
بخلق آدم منه او الاغذية التي تتكون منها المني ثم من نطفة مني من النطف

الاولين ولا بعث بعد الموت
ومن تبعه واضرابه ويتبع
في المجادلة او في عامة احواله
كل شيطان مريد متجرد م

والعري كتب عليه اضلالا من تولاه او حيلا عليه وقرئ
بالفتح على تقدير فشانه انه يضله لا على العطف فانه م

وهو الصب

وهو الصب ثم من علقة قطعة من الدم جامدة ثم من مضغة قطعة من اللحم
وهي في الاصل قدر ما يمضغ مخلقة وغير مخلقة مسواة لا نقص فيها ولا عيب
وغير مسواة او تامة وساقطة او مصورة وغير مصورة لنبين لكم
بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا وان ما قبل التغير والفساد والتكون
مرة قبلها اخرى وان من قدر على تغييره وتصويره اولا قدر على ذلك ثانيا
وحذف المفعول ايماء على ان افعاله هذه يتبين بها من قدرته وحكمته ما لا
يحيط به الذكر ونقر في الارحام ما نشاء اي نقره الى اجل مسمى هو وقت
الوضع وادناه بعد ستة اشهر واقصاه آخر اربع سنين وقرئ ونقر
بالنصب وكذا قوله ثم نخرجكم طفلا عطفا على نبين كان خلقهم مدرجا
لغرض تبيين القدرة وتقريرهم في الارحام حتى يولدوا وينشأوا
ويبلغوا حد التكليف وقرئا بالياء رفعا ونصبا ويقر بالياء ونقر من
قررت الماء اذا صببته وطفلا حال اجريت على تاويل كل واحد او للدلالة
على الجنس او لانه في الاصل مصدر ثم لتبلغوا اشدكم كمالكم في القوة
والعقل جمع شدة كالانعم جمع نعمة كانها شدة في الامور ومنكم
من يتوفى عند بلوغ الاشد او قبله وقرئ يتوفى اي يتوفاه الله
ومنكم من يرد الى ارذل العمر الهرم والخرف وقرئ بسكون الميم لكيلا
يعلم من بعد علم شيئا ليعود كهيئته الاولى في اوان الطفولية من سخافة العقل
وقلة الفهم فينسى ما علمه وينكر من عرفه والآية استدلال ثان على امكان
البعث بما يعتري الانسان في اسنانه من الامور المختلفة والاحوال المتضادة
فان من قدر على ذلك قدر على نظائره وترى الارض هامدة ميتة يابسة
من همدت النار اذا صارت رمادا فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت تحركت
بالنبات وربت وانتفخت وقرئ ربأت اي ارتفعت وانبتت من كل زوج
من كل صنف بهيج حسن رائق وهذه دلالة ثالثة كررها في كتابه لظهورها

ثانيا

وكونها مشاهدة ذلك اشارة الى ما ذكر من خلق الانسان فى اطوار مختلفة
وتحويله على احوال متضادة واحياء الارض بعد موتها وهو مبتدأ خبره
بان الله هو الحق اى بسبب انه الثابت فى نفسه الذى به تتحقق الاشياء وانه يحيى
الموتى وانه يقدر على احيائها والا لما احيى النطفة والارض الميتة وانه
على كل شىء قدير لان قدرته لذاته الذى نسبته الى الكل على سواء فلما دلت
المشاهدة على قدرته على احياء بعض الاموات لزم اقتداره على احياء كلها
وان الساعة آتية لا ريب فيها فان التغير من مقدمات الانصرام وطلايعه
وان الله يبعث من فى القبور بمقتضى وعده الذى لا يقبل الخلف ومن الناس
من يجادل فى الله بغير علم تكرير للتاكيد ولما نيط به من الدلالة بقوله
ولا هدى ولا كتاب منير على انه لا سند له من استدلال او وحى او الاول
فى المقلدين وهذا فى المقلدين والمراد بالعلم العلم الفطرى ليصح عطف الهدى
والكتاب عليه ثانى عطفه متكبرا وثنى العطف كناية عن التكبر كلى الجيد
او معرضا عن الحق استخفافا به وقرئ بفتح العين اى مانع تعطفه ليضل عن سبيل
الله علة للجدال وقرا ابن كثير وابو عمرو ورويس بفتح الياء على ان اعراضه
عن الهدى المتمكن منه بالاقبال على الجدال الباطل خروج عن الهدى
الى الضلال وانه من حيث هو مؤداه كالغرض له له فى الدنيا خزى وهو
ما اصابه يوم بدر ونذيقه يوم القيمة عذاب الحريق المحرق وهو النار
ذلك بما قدمت يداك على الالتفات او ارادة القول اى يقال له يوم القيمة
ذلك الخزى والتعذيب بسبب ما اقترفته من الكفر والمعاصى وان الله ليس
بظلام للعبيد وانما هو مجازيهم على اعمالهم والمبالغة لكثرة العبيد ومن
الناس من يعبد الله على حرف على طرف من الدين لا ثبات له فيه كالذى يكون
على طرف الجيش فان احس بظفر قر والا فر فان اصابه خير اطمان به
وان اصابته فتنة انقلب على وجهه روى انها نزلت فى اعاريب قدموا

ليضل

الى المدينة

الى المدينة وكان احدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت
امرأته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته قال ما اصبت منذ دخلت فى دينى
هذا الا خيرا واطمان وان كان الامر بخلافه قال ما اصبت الا شرا
وانقلب وعن ابى سعيد ان يهوديا اسلم فاصابته مصائب فتشاءم بالاسلام
فاتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال اقلنى فقال ان الاسلام لا يقال فنزلت
خسر الدنيا والآخرة بذهاب عصمته وحبوط عمله بالارتداد وقرئ خاسرا
بالنصب على الحال والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير
تنصيصا على خسرانه او على انه خبر محذوف ذلك هو الخسران المبين اذ لا
خسران مثله يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه يعبد جمادا لا يضر
نفسه ولا ينفع ذلك هو الضلال البعيد عن المقصود مستعار من ضلال
من ابعد فى التيه ضلالا يدعو لمن ضره بكونه معبودا لانه يوجب القتل فى الدنيا
والعذاب فى الآخرة اقرب من نفعه الذى يتوقع بعبادته وهو الشفاعة والتوسل
الى الله واللام معلقة ليدعو من حيث انه بمعنى يزعم والزعم قول مع اعتقاد
او داخلة على الجملة الواقعة مقولا اجراء له مجرى يقول اى يقول الكافر ذلك
بدعاء وصراخ حين يرى استضراره به او مستانفة على ان يدعو تكرير للاول
ومن مبتدأ خبره لبئس المولى الناصر ولبئس العشير الصاحب ان الله يدخل
الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار ان الله يفعل
ما يريد من اثابة الموحد الصالح وعقاب المشرك لا دافع له ولا مانع من كان
يظن ان لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة كلام فيه اختصار والمعنى ان الله
ناصر رسوله فى الدنيا والآخرة فمن كان يظن خلاف ذلك ويتوقعه من
غيظه او جزعه بان يفعل كل ما يفعله الممتلى غضبا او المبالغ جزعا حتى
يمد حبلا الى سماء بيته فيختنق من قطع اذا اختنق لان المختنق يقطع نفسه
بحبس مجاريه اى فليمدد حبلا الى سماء الدنيا ثم ليقطع به المسافة حتى يبلغ

وقيل المراد بالنصر الرزق والضمير لمن
فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع
فليستقص فى ازالة غيظه صح

عنادا فيجتهد في دفع نصره او تحصيل رزقه فلينظر وليتصور في نفسه هل يذهبن
كيده فعله ذلك وسماه على الاول كيدا لانه منتهى ما يقدر عليه ما يغيظ غيظه
او الذي يغيظه من نصر الله وقيل نزلت في قوم مسلمين استبطؤا نصر الله لاستعجالهم
وشدة غيظهم على المشركين وكذلك ومثل ذلك الانزال انزلناه انزلنا القرآن
كله آيات بينات واضحات وان الله يهدي ولان الله يهدي به او يثبت
على الهدى من يريد هدايته او ثباته انزله كذلك مبينا ان الذين آمنوا
والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل
بينهم يوم القيمة بالحكومة بينهم واظهار المحق منهم عن المبطل او الجزاء فيجازي
كلا ما يليق به ويدخله المحل المعد له وانما ادخلت ان على كل واحد من طرفي
الجملة لمزيد التأكيد ان الله على كل شيء شهيد عالم به مراقب لاحواله الم تر
ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض يتسخر لقدرته ولا يتأتى
عن تدبيره او يدل بذلته على عظمة مدبره ومن يجوز ان يعم اولي العقل وغيرهم
على التغليب فيكون قوله والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب افرادا
لها بالذكر لشهرتها واستبعاد ذلك منها وقرئ والدواب بالتخفيف كراهة التضعيف
او الجمع بين ساكنين وكثير من الناس عطف عليها ان جوز اعمال اللفظ الواحد
في كل واحد من مفهوميه واسناده باعتبار احدهما الى امر وباعتبار الآخر الى آخر
فان تخصيص الكثير يدل على خصوص المعنى المسند اليهم او مبتدأ خبره محذوف
دل عليه خبر قسيمه نحو حق له الثواب او فاعل فعل مضمر اي ويسجد له كثير
من الناس سجود طاعة وكثير حق عليه العذاب بكفره وابائه عن الطاعة ويجوز
ان يجعل وكثير تكريرا للاول مبالغة في تكثير المحقوقين بالعذاب وان يعطف
على الساجدين بالمعنى العام موصوفا بما بعده وقرئ حق بالضم وحقا باضمار
فعله ومن يهن الله بالشقاوة فما له من مكرم يكرمه بالسعادة وقرئ بالفتح
بمعنى الاكرام ان الله يفعل ما يشاء من الاكرام والاهانة هذان خصمان

اي فوجان مختصمان ولذلك قال اختصموا حملا على المعنى ولو عكس جاز والمراد
بهما المؤمنون والكافرون في ربهم في دينه او في ذاته وصفاته وقيل تخاصمت
اليهود والمؤمنون فقال اليهود نحن احق بالله واقدم منكم كتابا ونبينا قبل
نبيكم وقال المؤمنون نحن احق بالله آمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبنبيكم
وبما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم كفرتم به حسدا
فنزلت فالذين كفروا فصل لخصومتهم وهو المعني بقوله ان الله يفصل
بينهم يوم القيمة قطعت لهم قدرت لهم على مقادير جثتهم وقرئ بالتخفيف
ثياب من نار نيران تحيط بهم احاطة الثياب يصب من فوق رؤسهم الحميم حال
من الضمير في لهم او خبر ثان والحميم الماء الحار يصهر به ما في بطونهم والجلود
اي تؤثر من فرط حرارته في باطنهم تأثيره في ظاهرهم فيذاب به احشاؤهم
كما يذاب به جلودهم والجملة حال من الحميم او من ضميرهم وقرئ بالتشديد للتكثير
ولهم مقامع من حديد سياط منه يجلدون بها جمع مقمعة وحقيقتها ما يقمع به
اي يكف بعنف كلما ارادوا ان يخرجوا منها من النار من غم من غمومها بدل
من الهاء باعادة الجار اعيدوا فيها اي فخرجوا اعيدوا لان الاعادة
لا يكون الا بعد الخروج وقيل يضربهم لهيب النار فيرفعهم الى اعلاها
فيضربون بالمقامع فيهوون فيها وذوقوا اي وقيل لهم ذوقوا عذاب
الحريق النار البالغة في الاحراق ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات
جنات تجري من تحتها الانهار غير الاسلوب فيه واسند الادخال الى الله تعالى
واكده بان احمادا لحال المؤمنين وتعظيما لشانهم يحلون فيها من حليت
المرأة اذا لبست الحلي وقرئ بالتخفيف والمعنى واحد من اساور صفة
مفعول محذوف واساور جمع اسورة وهي جمع سوار من ذهب بيان له
ولؤلؤا عطف عليها لا على ذهب لانه لم يعهد السوار منه الا ان يراد
المرصعة به ونصبه نافع وعاصم عطفا على محلها او باضمار الناصب مثل

ولؤلؤ وروى حفص بهمز ثم وقرئ لولؤا بقلب الثانية واوا ولوليا
بقلبهما واوين ثم قلب الثانية ياء وليليا بقلبهما ياءين ولول كأدل ولباسهم
فيها حرير غير اسلوب الكلام فيه للدلالة على ان الحرير ثيابهم المعتادة
او للمحافظة على هيئة الفواصل وهدوا الى الطيب من القول وهو قولهم
الحمد لله الذي صدقنا وعده او كلمة التوحيد وهدوا الى صراط الحميد
المحمود نفسه او عاقبته وهو الجنة او الحق او المستحق لذاته وهو الله تعالى
وصراطه الاسلام ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله لا يريد به حالا
ولا استقبالا وانما يريد استمرار الصد منهم كقولهم فلان يعطي ويمنع
ولذلك حسن عطفه على الماضي وقيل هو حال من فاعل كفروا وخبر ان
محذوف دل عليه آخر الآية اي معذبون والمسجد الحرام عطف على اسم الله
واوله الحنفية بمكة واستشهدوا بقوله الذي جعلناه للناس سواء العاكف
فيه والباد اي المقيم والطارئ على عدم جواز بيع دورها واجارتها وهو
مع ضعفه معارض بقوله تعالى الذين اخرجوا من ديارهم وشرى عمر رضي الله عنه
دار السجن فيها من غير نكير وسواء خبر مقدم والجملة مفعول ثان لجعل
للناس حالا من الهاء والا فحال من المستكن فيه ونصبه حفص على انه المفعول
او الحال والعاكف مرتفع به وقرئ العاكف بالجر على انه بدل من الناس
ومن يرد فيه مما ترك مفعوله ليتناول كل متناول وقرئ بالفتح
من الورود بالحاد عدول عن القصد بظلم بغير حق وهما حالان مترادفان
او الثاني بدل من الاول باعادة الجار او صلة له اي ملحدا بسبب الظلم
كالاشراك واقتراف الآثام نذقه من عذاب اليم جواب لمن واذ بوأنا
لابرهيم مكان البيت اي واذكر اذ عيناه وجعلناه له مباءة وقيل
اللام زائدة ومكان ظرف اي واذ انزلناه فيه قيل رفع البيت
الى السماء وانطمس ايام الطوفان فاعلم الله مكانه بريح ارسلها فكنست

الحمد

ما حولها

ما حولها فبناه على اسه القديم ان لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين
والعاكفين والركع السجود ان مفسرة لبوأنا من حيث انه تضمن معنى تعبدنا
لان التبوئة من اجل العبادة او مصدرية موصولة بالنهي اي فعلنا ذلك
لئلا تشرك بعبادتي وتطهر بيتي من الاوثان والاقذار لمن يطوف به
ويصلي فيه ولعله عبر عن الصلوة باركانها للدلالة على ان كل واحد منها
مستقل باقتضاء ذلك كيف وقد اجتمعت وقرئ يشرك بالياء واذن
في الناس ناد فيهم وقرئ وآذن بالحج بدعوة الحج والامر به روي انه
صعد ابا قبيس فقال يا ايها الناس حجوا بيت ربكم فاسمعه الله من في
اصلاب الرجال وارحام النساء فيما بين المشرق والمغرب ممن سبق في علمه ان
يحج وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم امر بذلك في حجة الوداع
يأتوك رجالا مشاة جمع راجل كقائم وقيام وقرئ بضم الراء مخففة
الجيم ومثقلة ورجالى كعجالى وعلى كل ضامر اي ركبانا على كل بعير
مهزول اتعبه بعد السفر فهزله يأتين صفة لضامر محمولة على معناه او استئناف
فيكون الضمير للناس وقرئ يأتون صفة للرجال والركبان من كل فج
عميق بعيد وقرئ معيق يقال بئر بعيدة العمق والمعق بمعنى ليشهدوا
ليحضروا منافع لهم دينية ودنياوية وتنكيرها لان المراد بها نوع من
المنافع مخصوص بهذه العبادة ويذكروا اسم الله عند اعداد الهدايا والضحايا
وذبحها وقيل كنى بالذكر عن النحر لان ذبح المسلمين لا ينفك عنه تنبيها على
انه المقصود مما يتقرب به الى الله في ايام معلومات هي عشر ذي الحجة وقيل
ايام النحر على ما رزقهم من بهيمة الانعام علق الفعل بالمرزوق وبينه
بالبهيمة تحريضا على التقرب وتنبيها على مقتضى الذكر فكلوا منها من لحومها
امر بذلك اباحة وازاحة لما عليه اهل الجاهلية من التحرج فيه او ندبا الى
مواساة الفقراء ومساواتهم وهذا في التطوع دون الواجب واطعموا

طريق م

البائس الذى اصابه بوس اى شدة الفقير المحتاج والامر فيه للوجوب
وقد قيل به فى الاول ثم ليقضوا تفثهم ثم ليزيلوا وسخهم بقص الشارب
والاظفار ونتف الابط والاستحداد عند الاحلال وليوفوا نذورهم
ما ينذرون من البر فى حجهم وقيل مواجب الحج وليطوفوا طواف الركن
الذى به تمام التحلل فانه قرينة قضاء التفث وقيل طواف الوداع
بالبيت العتيق القديم لانه اول بيت وضع للناس او المعتق من تسلط
الجبابرة فكم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله واما الحجاج فانما قصد
اخراج ابن الزبير رضى الله عنهما منه دون التسلط عليه ذلك خبر محذوف
اى الامر ذلك وهو وامثاله تطلق للفصل بين كلامين ومن يعظم حرمات
الله احكامه وسائر ما لا يحل هتكه او الحرم وما يتعلق بالحج من التكاليف
وقيل الكعبة والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمحرم فهو خير له
فالتعظيم خير له عند ربه ثوابا واحلت لكم الانعام الا ما يتلى عليكم
الا المتلو عليكم تحريمه وهو ما حرم منها لعارض كالميتة وما اهل به لغير الله
فلا تحرموا منها غير ما حرمه الله كالبحيرة والسائبة فاجتنبوا الرجس
من الاوثان فاجتنبوا الرجس الذى هو الاوثان كما تجتنب الانجاس
وهو غاية المبالغة فى النهى عن تعظيمها والتنفير عن عبادتها واجتنبوا
قول الزور تعميم بعد تخصيص فان عبادة الاوثان راس الزور كانه
لما حث على تعظيم الحرمات اتبعه ذلك ردا لما كانت الكفرة عليه من تحريم
البحائر والسوائب وتعظيم الاوثان والافتراء على الله بانه حكم بذلك
وقيل شهادة الزور لما روى انه صلى الله عليه وسلم قال عدلت شهادة
الزور الاشراك بالله ثلثا ثم تلا هذه الاية والزور من الزور وهو الانحراف
كما ان الافك من الافك وهو الصرف فان الكذب منحرف مصروف عن
الواقع حنفاء لله مخلصين له غير مشركين به وهما حالان من الواو ومن

يشرك

يشرك بالله فكانما خر من السماء لانه سقط من اوج الايمان الى حضيض
الكفر فتخطفه الطير فان الاهواء المردية توزع افكاره وقرأ نافع
بفتح الخاء وتشديد الطاء او تهوى به الريح فى مكان سحيق بعيد فان
الشيطان قد طوح به فى الضلالة واو للتخيير كما فى قوله او كصيب او
للتنويع فان من المشركين من لا خلاص له اصلا ومنهم من يمكن خلاصه
بالتوبة ولكن على بعد ويجوز ان يكون من التشبيهات المركبة فيكون المعنى
ومن يشرك بالله هلكت نفسه هلاكا يشبه احد الهلاكين ذلك ومن يعظم
شعائر الله دين الله او فرائض الحج ومواضع نسكه او الهدايا لانها
من معالم الحج وهو اوفق لظاهر ما بعده وتعظيمها ان يختارها حسانا
سمانا غالية الاثمان روى انه صلى الله عليه وسلم اهدى مائة بدنة
فيها جمل لابى جهل فى انفه برة من ذهب وان عمر رضى الله تعالى عنه
اهدى نجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار فانها من تقوى القلوب فان
تعظيمها منه من افعال ذوى تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات
والعائد الى من وذكر القلوب لانها منشأ التقوى والفجور والامر بهما
لكم فيها منافع الى اجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق اى لكم فيها منافع
درها ونسلها وصوفها وظهرها الى ان تنحر ثم وقت نحرها منتهية الى
البيت اى ما يليه من الحرم وثم تحتمل التراخى من الوقت والتراخى فى الرتبة
اى لكم فيها منافع دنيوية الى وقت النحر وبعده منافع دينية اعظم
منها وهو على الاولين اما متصل بحديث الانعام والضمير فيه لها او
المراد على الاول لكم فيها منافع دينية تنتفعون بها الى اجل مسمى هو الموت
ثم محلها منتهية الى البيت الذى ترفع اليه الاعمال او يكون فيه ثوابها
وهو البيت المعمور او الجنة وعلى الثانى لكم فيها منافع التجارات فى
الاسواق الى وقت المراجعة ثم وقت الخروج منها منتهية الى الكعبة

بالرجال لبطواف الزيارة ولكل امة ولكل اهل دين جعلنا منسكا متعبدا
او قربانا يتقربون به الى الله تعالى وقرأ حمزة والكسائي رحمهما الله تعالى
بالكسر اي موضع نسك ليذكروا اسم الله دون غيره ويجعلوا نسيكتهم
لوجهه علل الجعل به تنبيها على ان المقصود من المناسك تذكر المعبود
على ما رزقهم الله من بهيمة الانعام عند ذبحها وفيه تنبيه على ان القربان
يجب ان يكون نعما فالهكم اله واحد فله اسلموا اخلصوا التقرب او
الذكر فلا تشوبوه بالاشراك وبشر المخبتين المتواضعين او المخلصين
فان الاخبات صفتهم الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم هيبة منه لاشراق
اشعة جلاله عليها والصابرين على ما اصابهم من الكلف والمصائب
والمقيمي الصلاة في اوقاتها وقرئ والمقيمين الصلوة على الاصل ومما رزقناهم
ينفقون في وجوه الخير والبدن جمع بدنة كخشب وخشبة واصله الضم
وقد قرئ به وانما سميت بها الابل لعظم بدنها ماخوذ من بدن بدانة
ولا يلزم من مشاركة البقر لها في اجزائها على سبعة لقوله صلى الله عليه وسلم
البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة تناول اسم البدنة لها شرعا بل الحديث
يمنع ذلك وانتصابه بفعل يفسره جعلناها لكم وقرئ بالرفع على الابتداء
من شعائر الله من اعلام دينه التي شرعها الله لكم فيها خير منافع دينية
ودنيوية فاذكروا اسم الله عليها بان يقولوا عند ذبحها الله اكبر لا اله
الا الله والله اكبر اللهم منك واليك صواف قائمات قد صففن
ايديهن وارجلهن وقرئ صوافن من صفن الفرس اذا قام على ثلث وطرف
سنبك الرابعة لان البدنة تعقل احدى يديها فتقوم على ثلث وقرئ صوافنا
بابدال التنوين من حرف الاطلاق عند الوقف وصوافي اي خوالص
لوجه الله وصوافي على لغة من يسكن الياء مطلقا كقولك اعط القوس
باريها فاذا وجبت جنوبها سقطت على الارض وهو كناية عن الموت

فكلوا منها واطعموا القانع الراضي بما عنده وبما يعطى من غير مسئلة ويؤيده
انه قرئ القنع او السائل من قنعت اليه قنوعا اذا خضعت له في السؤال
والمعتر والمعترض بالسؤال وقرئ والمعتري يقال عره وعراه واعتره واعتراه
كذلك مثل ما وصفنا من نحرها قياما سخرناها لكم مع عظمها وقوتها حتى
تأخذوها منقادة فتعقلونها وتحبسونها صافة قوائمها ثم تطعنون
في لباتها لعلكم تشكرون انعامنا عليكم بالتقرب والاخلاص لن ينال الله
لن يصيب رضاه ولن يقع منه موقع القبول لحومها المتصدق بها ولا
دماؤها المهراقة بالنحر من حيث انها لحوم ودماء ولكن يناله التقوى منكم
ولكن يصيبه ما يصحبه من تقوى قلوبكم التي يدعوكم الى تعظيم امر الله
والتقرب اليه والاخلاص له وقيل كان اهل الجاهلية اذا ذبحوا القرابين
لطخوا الكعبة بدمائها قربة الى الله تعالى فهم به المسلمون فنزلت
كذلك سخرها لكم كرره تذكيرا للنعمة وتعليلا بقوله لتكبروا الله اي لتعرفوا
عظمته باقتداره على ما لا يقدر عليه غيره فتوحدوه بالكبرياء وقيل هو
التكبير عند الاحلال او الذبح على ما هداكم ارشدكم الى طريق تسخيرها
وكيفية التقرب بها وما يحتمل المصدرية والخبرية وعلى متعلقة بتكبروا
لتضمنه معنى الشكر وبشر المحسنين المخلصين فيما يأتونه ويذرونه ان الله
يدفع عن الذين آمنوا غائلة المشركين وقرأ نافع وابن عامر والكوفيون يدافع
اي يبالغ في الدفع مبالغة من يغالب فيه ان الله لا يحب كل خوان في امانة الله
كفور لنعمته كمن يتقرب الى الاصنام بذبيحته فلا يرتضي فعلهم ولا ينصرهم
اذن رخص وقرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي على البناء للفاعل
وهو الله تعالى للذين يقاتلون المشركين والمأذون فيه محذوف لدلالته
عليه وقرأ نافع وابن عامر وحفص بفتح التاء اي للذين يقاتلهم المشركون
بانهم ظلموا بسبب انهم ظلموا وهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان

المشركون يؤذونهم وكانوا يأتونه من بين مضروب ومشجوج يتظلمون اليه
فيقول لهم اصبروا فاني لم اومر بالقتال حتى هاجر فانزلت وهي اول آية
نزلت في القتال بعدما نهي عنه في نيف وسبعين آية وان الله على نصرهم
لقدير وعد لهم بالنصر كما وعد بدفع اذى الكفار عنهم الذين اخرجوا
من ديارهم يعني مكة بغير حق بغير موجب استحقوا به الا ان يقولوا
ربنا الله على طريقة قول النابغة   ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن
فلول من قراع الكتائب وقيل منقطع ولولا دفع الله الناس بعضهم
ببعض بتسليط المؤمنين منهم على الكافرين لهدمت لخربت باستيلاء المشركين
على اهل الملل وقرأ نافع دفاع ولهدمت بالتخفيف صوامع صوامع الرهبانية
وبيع وبيع النصارى وصلوات وكنائس اليهود سميت بها لانها يصلى فيها
وقيل اصلها صلوثا بالعبرانية فعربت ومساجد ومساجد المسلمين يذكر فيها
اسم الله كثيرا صفة للاربع او لمساجد خصت بها تفضيلا ولينصرن الله
من ينصره من ينصر دينه وقد انجز وعده بان سلط المهاجرين والانصار
على صناديد العرب واكاسرة العجم وقياصرتهم واورثهم ارضهم وديارهم
ان الله لقوي على نصرهم عزيز لا يمانعه شيء الذين ان مكناهم في الارض
اقاموا الصلوة واتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وصف للذين
اخرجوا وهو ثناء قبل بلاء وفيه دليل على صحة امر الخلفاء الراشدين
اذ لم يستجمع ذلك غيرهم من المهاجرين وقيل بدل ممن ينصره ولله عاقبة
الامور فان مرجعها الى حكمه وفيه تأكيد لما وعده وان يكذبوك
فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابرهيم وقوم لوط
واصحاب مدين تسلية له بان قومه ان كذبوه فهو ليس باوحدي في التكذيب
فان هؤلاء كذبوا رسلهم قبل قومه وكذب موسى غير فيه النظم وبنى
الفعل للمفعول لان قومه بنو اسرائيل ولم يكذبوه وانما كذبه القبط ولان

تكذيبه

تكذيبه كان اشنع وآياته كانت اعظم واشيع فامليت للكافرين فامهلتهم
حتى انصرمت آجالهم المقدرة ثم اخذتهم فكيف كان نكير انكاري عليهم بتغيير
النعمة محنة والحيوة هلاكا والعمارة خرابا فكاين من قرية اهلكناها
باهلاك اهلها وقرأ البصريان بغير لفظ التعظيم وهي ظالمة اي اهلها فهي
خاوية على عروشها ساقطة حيطانها على سقوفها بان تعطلت بنيانها
فخرت سقوفها ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف او خالية مع
بقاء عروشها وسلامتها فيكون الجار متعلقا بخاوية ويجوز ان يكون خبرا
بعد خبر اي هي خالية وهي على عروشها اي مطلة عليها بان سقطت و
بقيت الحيطان مائلة مشرفة عليها والجملة معطوفة على اهلكناها لا على
وهي ظالمة فانها حال والاهلاك ليس حال خوائها فلا محل لها ان نصبت
كاين بمقدر يفسره اهلكناها وان رفعته بالابتداء فمحلها الرفع وبئر معطلة
عطف على قرية اي وكم بئر عامرة في البوادي تركت لا يستقى منها لهلاك
اهلها وقرئ بالتخفيف من اعطله بمعنى عطله وقصر مشيد مرفوع او مجصص
اخليناه عن ساكنيه وذلك يقوي ان معنى خاوية على عروشها خالية
مع بقاء عروشها وقيل المراد ببئر بئر على سفح جبل بحضرموت وبقصر
قصر مشرف على قلته كانا لقوم حنظلة بن صفوان من بقايا قوم صالح
فلما قتلوه اهلكهم الله وعطلهما افلم يسيروا في الارض حث لهم على ان
يسافروا ليروا مصارع المهلكين فيعتبروا وهم وان كانوا قد سافروا فلم
يسافروا لذلك فتكون لهم قلوب يعقلون بها ما يجب ان يعقل من
التوحيد بما يحصل لهم من الاستبصار والاستدلال او آذان يسمعون
بها ما يجب ان يسمع من الوحي والتذكير بحال من شاهدوا آثارهم فانها
الضمير للقصة او مبهم يفسره الابصار وفي تعمى راجع اليه والظاهر
اقيم مقامه لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور عن الاعتبار

أي ليس الخلل في مشاعرهم وإنما أيفت عقولهم باتباع الهوى والانهماك
في التقليد وذكر الصدور للتأكيد ونفي التجوز وفضل التنبيه على أن العمى الحقيقي
ليس المتعارف الذي يخص البصر قيل لما نزل ومن كان في هذه قال ابن أم مكتوم
يا رسول الله أنا في الدنيا أعمى أفأكون في الآخرة أعمى فنزلت ويستعجلونك
بالعذاب المتوعد به ولن يخلف الله وعده لامتناع الخلف في خبره فيصيبهم
ما أوعدهم به ولو بعد حين لكنه صبور لا يعجل بالعقوبة وإن يوما عند ربك
كألف سنة مما تعدون بيان لتناهي صبره وتأنيه حتى استقصر المدد الطوال
أو لتمادي عذابه وطول أيامه أو من حيث أن أيام الشدائد مستطالة وكأين
من قرية وكم من أهل قرية فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه في الإعراب
ورجع الضمائر والأحكام مبالغة في التعميم والتهويل وإنما عطف الأولى
بالفاء وهذه بالواو لأن الأولى بدل عن قوله فكيف كان نكير وهذه
في حكم ما تقدمها من الجملتين لبيان أن المتوعد به يحيق بهم لا محالة وأن تأخره
لعادته تعالى أمليت لها كما أمهلتكم وهي ظالمة مثلكم ثم أخذتها بالعذاب
وإلي المصير وإلى حكمي مرجع الجميع قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين
أوضح لكم ما أنذركم به والاقتصار على الإنذار مع عموم الخطاب وذكر
الفريقين لأن صدر الكلام ومساقه للمشركين وإنما ذكر المؤمنين وثوابهم
زيادة في غيظهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة لما بدر منهم
ورزق كريم هي الجنة والكريم من كل نوع ما يجمع فضائله والذين
سعوا في آياتنا بالرد والإبطال معاجزين مسابقين مشاقين للساعين
فيها بالقبول والتحقيق من عاجزه فأعجزه وعجزه إذا سابقه فسبقه لأن
كلا من المتسابقين يطلب إعجاز الآخر عن اللحاق به وقرأ ابن كثير وأبو عمرو
معجزين على أنه حال مقدرة أولئك أصحاب الجحيم النار الموقدة وقيل اسم
دركة وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الرسول من بعثه الله بشريعة

مجددة يدعو الناس إليها والنبي يعمه ومن بعثه لتقرير شرع سابق كأنبياء
بني إسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام ولذلك
شبه النبي صلى الله عليه وسلم علماء أمته بهم فالنبي أعم من الرسول ويدل
عليه أنه عليه السلام سئل عن الأنبياء فقال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا
قيل فكم الرسل منهم فقال ثلاثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا وقيل الرسول
من جمع إلى المعجزة كتابا منزلا عليه والنبي غير الرسول من لا كتاب له وقيل
الرسول من يأتيه الملك بالوحي والنبي يقال له ولمن يوحى إليه في المنام إلا
إذا تمنى إذا زور في نفسه ما يهواه ألقى الشيطان في أمنيته في تشهيه
ما يوجب اشتغاله بالدنيا كما قال صلى الله عليه وسلم . وإنه ليغان
على قلبي فأستغفر الله في اليوم سبعين مرة فينسخ الله ما يلقي الشيطان
فيبطله ويذهب به بعصمته عن الركون إليه والإرشاد إلى ما يزيحه ثم
يحكم الله آياته ثم يثبت آياته الداعية إلى الاستغراق في أمر الآخرة والله
عليم بأحوال الناس حكيم فيما يفعله بهم قيل حدث نفسه بزوال المسكنة فنزلت
وقيل تمنى لحرصه على إيمان قومه أن ينزل عليه ما يقربهم إليه واستمر به
ذلك حتى كان في ناديهم فنزلت عليه سورة والنجم فأخذ يقرأها فلما بلغ
ومناة الثالثة الأخرى وسوس إليه الشيطان حتى سبق لسانه سهوا إلى أن
قال تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى ففرح به المشركون حتى
شايعوه بالسجود لما سجد في آخرها بحيث لم يبق في المسجد مؤمن ولا مشرك
إلا سجد ثم نبهه جبريل عليه السلام فاغتم به فعزاه الله بهذه الآية وهو
مردود عند المحققين وإن صح فابتلاء يتميز به الثابت على الإيمان عن
المتزلزل فيه وقيل تمنى قرأ كقوله تمنى كتاب الله أول ليلة تمنى داود
الزبور على رسل فأمنيته قراءته وإلقاء الشيطان فيها أن تكلم بذلك
رافعا صوته بحيث ظن السامعون أنه من قراءة النبي صلى الله عليه وسلم

وقد رد بانه ايضا يخل بالوثوق على القرآن ولا يندفع بقوله فينسخ الله
ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته لانه ايضا يحتمله والآية تدل على جواز
السهو على الانبياء وتطرق الوسوسة اليهم ليجعل ما يلقي الشيطان علة لتمكين
الشيطان منه وذلك يدل على ان الملقى امر ظاهر عرفه المحق والمبطل فتنة
للذين في قلوبهم مرض شك ونفاق والقاسية قلوبهم المشركين وان الظالمين
يعني الفريقين فوضع الظاهر موضع ضميرهم قضاء عليهم بالظلم لفي شقاق بعيد
عن الحق او عن الرسول والمؤمنين وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك
ان القرآن هو الحق النازل من عند الله او تمكين الشيطان من الالقاء
هو الحق الصادر من الله لانه مما جرت به عادته في جنس الانس من لدن
آدم عليه الصلوة والسلام فيؤمنوا به بالقرآن او بالله فتخبت له قلوبهم
بالانقياد والخشية وان الله لهادي الذين آمنوا فيما اشكل الى صراط
مستقيم هو نظر صحيح يوصلهم الى ما هو الحق فيه ولا يزال الذين كفروا
في مرية في شك منه من القرآن او الرسول صلى الله عليه وسلم او مما القى الشيطان
في امنيته يقولون ما باله ذكرها ثم رجع عنها حتى تأتيهم الساعة القيامة
او اشراطها او الموت بغتة فجأة او يأتيهم عذاب يوم عقيم يوم حرب يقتلون فيه
كيوم بدر سمي به لان اولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كالعقم او لان
المقاتلين ابناء الحرب فاذا قتلوا صارت عقيما فوصف اليوم بوصفها اتساعا
او لانه لا خير لهم فيه ومنه الريح العقيم لما لم تنشئ مطرا او لم تلقح شجرا او لانه
لا مثل له لقتال الملائكة فيه او يوم القيمة على ان المراد بالساعة غيره او
على وضعه موضع ضميرها للتهويل الملك يومئذ لله التنوين فيه ينوب عن
الجملة التي دلت عليها الغاية اي يوم تزول مريتهم يحكم بينهم بالمجازاة والضمير
يعم المؤمنين والكافرين لتفصيله بقوله فالذين آمنوا وعملوا الصالحات
في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فاولئك لهم عذاب مهين وادخال

الفاء في خبر الثاني دون الاول تنبيه على ان اثابة المؤمنين بالجنات
تفضل من الله تعالى وان عقاب الكافرين مسبب من اعمالهم ولذلك قال
لهم عذاب ولم يقل هم في عذاب والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا
في الجهاد او ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا الجنة ونعيمها وانما سوى
بين من قتل في الجهاد ومن مات حتف انفه في الوعد لاستوائهما في القصد
واصل العمل روي ان بعض الصحابة قالوا يا نبي الله هؤلاء الذين
قتلوا قد علمنا ما اعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا
فما لنا ان متنا فنزلت وان الله لهو خير الرازقين فانه يرزق بغير حساب
ليدخلنهم مدخلا يرضونه هو الجنة فيها ما يحبونه وان الله لعليم باحوالهم
واحوال معاديهم حليم لا يعاجل في العقوبة ذلك الامر ذلك ومن
عاقب بمثل ما عوقب به ولم يزد في الاقتصاص وانما سمي الابتداء بالعقاب
الذي هو الجزاء للازدواج او لانه سببه ثم بغي عليه بالمعاودة الى العقوبة
لينصرنه الله لا محالة ان الله لعفو غفور للمنتصر حيث اتبع هواه في الانتقام
واعرض عما ندب الله اليه بقوله ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور
وفيه تعريض بالحث على العفو والمغفرة فانه تعالى مع كمال قدرته وتعالي
شأنه لما كان يعفو ويغفر فغيره بذلك اولى وتنبيه على انه قادر على العقوبة
اذ لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده ذلك اي ذلك النصر بان الله
يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل بسبب ان الله قادر على تغليب
بعض الامور على بعض جار عادته في المداولة بين الاشياء المتعاندة
ومن ذلك ايلاج احد الملوين في الآخر بان يزيد فيه ما ينقص منه او
بتحصيل ظلمة الليل في مكان ضوء النهار بتغييب الشمس وعكس ذلك باطلاعها
وان الله سميع يسمع قول المعاقب والمعاقب بصير يرى افعالهما فلا يهملهما
ذلك الوصف بكمال القدرة والعلم بان الله هو الحق الثابت في نفسه الواجب

لذاته وحده فان وجوب وجوده و وحدته يقتضيان ان يكون مبدأ لكل
ما يوجد سواه عالما بذاته و بما عداه او الثابت الالهية ولا يصلح لها الا
من كان عالما قادرا وان ما يدعون من دونه الها وقرأ ابن كثير ونافع و ابن عامر
وابو بكر بالتاء على مخاطبة المشركين وقرئ بالبناء للمفعول فيكون الواو لما
فانه في معنى الالهة هو الباطل المعدوم في حد ذاته او باطل الالوهية
وان الله هو العلي على الاشياء الكبير عن ان يكون له شريك لا شيء اعلى منه شأنا
واكبر سلطانا الم تر ان الله انزل من السماء ماء استفهام تقرير و لذلك رفع
فتصبح الارض مخضرة عطفا على انزل اذ لو نصب جوابا لدل على نفي الاخضرار
كما في قولك الم تر اني جئتك فتكرمني والمقصود اثباته وانما عدل به عن
صيغة الماضي للدلالة على بقاء اثر المطر زمانا بعد زمان ان الله لطيف
يصل علمه او لطفه الى كل ما جل ودق خبير بالتدابير الظاهرة والباطنة
له ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا وان الله لهو الغني في ذاته
عن كل شيء الحميد المستوجب للحمد بصفاته وافعاله الم تر ان الله سخر لكم
ما في الارض جعلها مذللة لكم معدة لمنافعكم والفلك عطف على ما او على
اسم ان وقرئ بالرفع على الابتداء تجري في البحر بامره حال منها او خبر ويمسك
السماء ان تقع على الارض من ان تقع او كراهة ان تقع بان خلقها على صورة
متداعية الى الاستمساك الا باذنه الا بمشيئته وذلك يوم القيمة وفيه رد
لاستمساكها بذاتها فانها مساوية لسائر الاجسام في الجسمية فتكون قابلة للميل
الهابط قبول غيرها ان الله بالناس لرؤف رحيم حيث هيأ لهم اسباب الاستدلال
وفتح عليهم ابواب المنافع ودفع عنهم انواع المضار وهو الذي احياكم
بعد ان كنتم جمادا عناصر ونطفا ثم يميتكم اذا جاء آجالكم ثم يحييكم في الآخرة
ان الانسان لكفور لجحود للنعم مع ظهورها لكل امة اهل دين جعلنا منسكا
متعبدا او شريعة تعبدوا بها وقيل عيدا هم ناسكوه ينسكونه فلا ينازعنك

سائر ارباب الملل في الامر في امر الدين او النسائك لانهم بين جهال واهل عناد
او لان امر دينك اظهر من ان يقبل النزاع وقيل المراد نهي الرسول صلى الله عليه
عن الالتفات الى قولهم وتمكينهم من المناظرة المؤدية الى نزاعهم فانها
انما تنفع طالب الحق وهؤلاء اهل مراء او عن منازعتهم كقولك لا يضاربنك
زيد وهذا انما يجوز في افعال المغالبة للتلازم وقيل نزلت في كفار
خزاعة قالوا للمسلمين ما لكم تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتله الله وقرئ
فلا ينزعنك على تهييج الرسول صلى الله عليه وسلم والمبالغة في تثبيته على دينه
على انه من نازعته فنزعته اذا غلبته فادع الى ربك الى توحيده وعبادته
انك لعلى هدى مستقيم طريق الى الحق سوي وان جادلوك وقد ظهر الحق
ولزمت الحجة فقل الله اعلم بما تعملون من المجادلة الباطلة وغيرها فمجازيكم
عليها وهو وعيد فيه رفق الله يحكم بينكم يفصل بين المؤمنين منكم والكافرين
بالثواب والعقاب يوم القيمة كما فصل في الدنيا بالحجج والآيات فيما كنتم فيه
تختلفون من امر الدين الم تعلم ان الله يعلم ما في السماء والارض فلا يخفى عليه
شيء ان ذلك في كتاب هو اللوح كتبه فيه قبل حدوثه فلا يهمنك امرهم
مع علمنا به وحفظنا له ان ذلك اي الاحاطة به واثباته في اللوح او
الحكم بينكم على الله يسير لان علمه مقتضى ذاته المتعلق بكل المعلومات على سواء
ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا حجة تدل على جواز عبادته
وما ليس لهم به علم حصل لهم من ضرورة العقل او استدلاله وما للظالمين
وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم من نصير يقرر مذهبهم او يدفع العذاب عنهم
واذا تتلى عليهم آياتنا من القرآن بينات واضحات الدلالة على العقائد الحقة
والاحكام الالهية تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر الانكار لفرط نكيرهم للحق
وغيظهم لاباطيل اخذوها تقليدا وهذا منتهى الجهالة وللاشعار بذلك وضع
الذين كفروا موضع الضمير او ما يقصدونه من الشر يكادون يسطون بالذين

يتلون عليهم آياتنا يثبون ويبطشون بهم قل أفأنبئكم بشر من ذلكم من غيظكم
على التالين وسطوكم عليهم أو مما أصابكم من الضجر بسبب ما تلوا عليكم النار أي
هو النار كأنه جواب سائل قال ما هو ويجوز أن يكون مبتدأ خبره وعدها
الله الذين كفروا وقرئ بالنصب على الاختصاص وبالجر بدلا من شر فتكون الجملة
استئنافا كما إذا رفعت خبرا أو حالا منها وبئس المصير النار يا أيها الناس
ضرب مثل بين لكم حال مستغربة أو قصة رائعة ولذلك سماها مثلا أو جعل
لله مثل أي مثل في استحقاق العبادة فاستمعوا له للمثل أو لشأنه استماع
تدبر وتفكر إن الذين تدعون من دون الله يعني الأصنام وقرأ يعقوب
بالياء وقرئ به مبنيا للمفعول والراجع إلى الموصول محذوف على الأولين
لن يخلقوا ذبابا لا يقدرون على خلقه مع صغره لأن لن بما فيها من تأكيد النفي
دالة على منافاة ما بين المنفي والمنفي عنه والذباب من الذب لأنه يذب وجمعه
أذبة وذبان ولو اجتمعوا له بجوابه المقدر في موضع حال جيء بها للمبالغة
أي لا يقدرون على خلقه مجتمعين له متعاونين عليه فكيف إذا كانوا منفردين
وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه جهلهم غاية التجهيل بأن أشركوا إلها
قدر على المقدورات كلها وتفرد بإيجاد الموجودات بأسرها تماثيل هي أعجز الأشياء
وبين ذلك بأنها لا تقدر على خلق أقل الأحياء وأذلها ولو اجتمعوا له بل لا تقوى
على مقاومة هذا الأقل الأذل وتعجز عن ذبه عن نفسها واستنقاذ ما
يختطفه من عندها قيل كانوا يطلونها بالطيب والعسل ويغلقون عليها الأبواب
فيدخل الذباب من الكوى فيأكله ضعف الطالب والمطلوب عابد الصنم ومعبوده
أو الذباب يطلب ما يسلب عن الصنم من الطيب والصنم يطلب الذباب منه
السلب أو الصنم والذباب كأنه يطلبه ليستنقذ منه ما سلبه ولو حققت
وجدت الصنم أضعف بدرجات ما قدروا الله حق قدره ما عرفوه حق معرفته
حيث أشركوا به وسموا باسمه ما هو أبعد الأشياء عنه مناسبة إن الله لقوي

على خلق الممكنات بأسرها عزيز لا يغلبه شيء وآلهتهم التي يدعونها عاجزة عن أقلها
مقهورة عن أذلها الله يصطفي من الملائكة رسلا يتوسطون بينه وبين الأنبياء
بالوحي ومن الناس يدعون سائرهم إلى الحق ويبلغون إليهم ما نزل عليهم كأنه
لما قرر وحدانيته في الألوهية ونفى أن يشاركه غيره في صفاتها بين أن له
عبادا مصطفين للرسالة يتوسل بإجابتهم والاقتداء بهم إلى عبادة الله تعالى
وهو أعلى المراتب ومنتهى الدرجات لمن عداه من الموجودات تقريرا للنبوة وتزييفا
لقولهم ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى والملائكة بنات الله ونحو ذلك إن الله سميع بصير
مدرك للأشياء كلها يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم عالم بواقعها ومترقبها وإلى
الله ترجع الأمور وإليه مرجع الأمور كلها لأنه مالكها بالذات لا يسأل عما يفعل
من الاصطفاء وغيره وهم يسألون يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا في
صلواتكم أمرهم بهما لأنهم ما كانوا يفعلونهما أول الإسلام أو صلوا وعبر عن
الصلاة بهما لأنهما أعظم أركانها واخضعوا لله وخروا له سجدا واعبدوا
ربكم بسائر ما تعبدكم به وافعلوا الخير وتحروا ما هو خير وأصلح فيما تأتون
وتذرون كنوافل الطاعات وصلة الأرحام ومكارم الأخلاق لعلكم
تفلحون أي افعلوا هذه كلها وأنتم راجون الفلاح غير متيقنين له واثقين
على أعمالكم والآية آية سجدة عندنا لظاهر ما فيها من الأمر بالسجود ولقوله
صلى الله عليه وسلم فضلت سورة الحج بسجدتين من لم يسجدهما فلا يقرأها
وجاهدوا في الله لله ومن أجله أعداء دينه الظاهرة كأهل الزيغ والباطنة
كالهوى والنفس وعنه صلى الله عليه وسلم أنه رجع عن غزوة تبوك فقال
رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر حق جهاده أي جهادا فيه حقا
خالصا لوجهه فعكس وأضيف الحق إلى الجهاد مبالغة كقولك هو حق عالم وأضيف
الجهاد إلى الضمير اتساعا أو لأنه مختص بالله من حيث إنه مفعول لوجه الله
ومن أجله هو اجتباكم اختاركم لدينه ولنصرته وفيه تنبيه على المقتضي للجهاد

والداعي اليه. وفي قوله وما جعل عليكم في الدين من حرج اي ضيق بتكليف
ما يشتد القيام به عليكم اشارة الى انه لا مانع لهم عنه ولا عذر لهم في تركه
او الى الرخصة في اغفال بعض ما امرهم به حيث شق عليهم لقوله صلى الله عليه
وسلم اذا امرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وقيل ذلك بان جعل لهم من
كل ذنب مخرجا بان رخص لهم في المضايق وفتح لهم ابواب التوبة وشرع لهم
الكفارات في حقوقه والاروش والديات في حقوق العباد ملة ابيكم
ابرهيم منتصب على المصدر بفعل دل عليه مضمون ما قبلها بحذف المضاف
اي وسع دينكم توسعة ملة ابيكم ابرهيم او على الاغراء او على الاختصاص
وانما جعله اباهم لانه ابو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كالاب لامته
من حيث انه سبب لحيوتهم الابدية ووجودهم على الوجه المعتد به في الاخرة
او لان اكثر العرب كانوا من ذريته فغلبوا على غيرهم هو سماكم المسلمين
من قبل من قبل القران في الكتب المتقدمة وفي هذا وفي القران والضمير
لله ويدل عليه انه قرئ الله سماكم او لابرهيم وتسميتهم مسلمين في القران
وان لم يكن منه كان بسبب تسميته من قبل في قوله ومن ذريتنا امة مسلمة لك
وقيل وفي هذا تقديره وفي هذا بيان تسميته اياكم مسلمين ليكون الرسول
يوم القيمة متعلق بسماكم شهيدا عليكم بانه بلغكم فيدل على
قبول شهادته لنفسه اعتمادا على عصمته او بطاعة من اطاع وعصيان من
عصى وتكونوا شهداء على الناس بتبليغ الرسل اليهم فاقيموا الصلوة
واتوا الزكوة فتقربوا الى الله بانواع الطاعات لما خصكم بهذا الفضل
والشرف واعتصموا بالله وثقوا به في مجامع اموركم ولا تطلبوا الاعانة
والنصرة الا منه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحج اعطي من الاجر

هو مولاكم ناصركم ومتولي اموركم فنعم المولى ونعم النصير هو اذ لا مثل له في الولاية والنصرة بل لا مولى ولا نصير سواه في الحقيقة م

سورة المؤمنون وهي مائة وتسع عشرة آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قد افلح المؤمنون قد فازوا بامانيهم
وقد تثبت المتوقع كما ان لما تنفيه وتدل على ثباته اذا دخل الماضي ولذلك
يقربه من الحال ولما كان المؤمنون متوقعين ذلك من فضل الله صدرت بها
بشارتهم وقرئ قد افلح بالقاء حركة الهمزة على الدال وحذفها وافلحوا
على لغة اكلوني البراغيث او على الابهام والتفسير وافلح اجتزاء بالضمة عن
الواو وافلح على البناء للمفعول الذين هم في صلاتهم خاشعون خائفون
من الله متذللون له ملزمون ابصارهم مساجدهم روي انه صلى الله عليه
وسلم كان يصلي رافعا بصره الى السماء فلما نزلت رمى ببصره نحو مسجده
وانه راى رجلا يعبث بلحيته فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه والذين هم
عن اللغو عما لا يعنيهم من قول او فعل معرضون لما بهم من الجد ما شغلهم عنه وهو
ابلغ من الذين لا يلهون من وجوه جعل الجملة اسمية وبناء الحكم على الضمير والتعبير عنه
بالاسم وتقديم الصلة عليه واقامة الاعراض مقام الترك ليدل على بعدهم
عنه راسا مباشرة وتسببا وميلا وحضورا فان اصله ان يكون في عرض غير عرضه
وكذلك قوله والذين هم للزكوة فاعلون وصفهم بذلك بعد وصفهم بالخشوع
في الصلوة ليدل على انهم بلغوا الغاية في القيام على الطاعات البدنية والمالية
والتجنب عن المحرمات وسائر ما يوجب المروة اجتنابه والزكوة تقع على المعنى
والعين والمراد الاول لان الفاعل فاعل الحدث لا المحل الذي هو موقعه
او الثاني على تقدير مضاف والذين هم لفروجهم حافظون الا على
ازواجهم او ما ملكت ايمانهم زوجاتهم او سرياتهم وعلى صلة لحافظون
من قولك احفظ على عنان فرسي او حال اي حفظوها في كافة الاحوال
الا في حال التزوج او التسري وانما قال ما اجراء للمماليك مجرى غير العقلاء
اذ الملك اصل شائع فيه وافراد ذلك بعد تعميم قوله والذين هم عن اللغو معرضون
لان المباشرة اشهى الملاهي الى النفس واعظمها خطرا فانهم غير ملومين الضمير

لحافظون او لمن دل عليه الاستثناء اى فان بذلوها لازواجهم او امائهم
فانهم غير ملومين على ذلك فمن ابتغى وراء ذلك المستثنى فاولئك هم العادون
الكاملون في العدوان والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون لما يؤتمنون عليه
ويعاهدون من جهة الحق او الخلق قائمون بحفظها واصلاحها وقرأ ابن كثير هنا
لامانتهم على الافراد لامن الالباس ولانها في الاصل مصدر والذين هم
على صلواتهم يحافظون يواظبون عليها ويؤدونها في اوقاتها ولفظ الفعل
فيه لما في الصلوة من التجدد والتكرر ولذلك جمعه غير حمزة والكسائي وليس ذلك
تكريرا لما وصفهم به اولا فان الخشوع في الصلوة غير المحافظة عليها وفي تصدير
الاوصاف وختمها بامر الصلوة تعظيم لشانها اولئك الجامعون لهذه الصفات
هم الوارثون الاحقاء بان يسموا وراثا دون غيرهم الذين يرثون الفردوس
بيان لما يرثونه وتقييد للوراثة بعد اطلاقها تفخيما لها وتأكيدا وهي
مستعارة لاستحقاقهم الفردوس من اعمالهم وان كان بمقتضى وعده مبالغة فيه
وقيل انهم يرثون من الكفار منازلهم فيها حيث فوتوها على انفسهم لانه تعالى
خلق لكل انسان منزلا في الجنة ومنزلا في النار هم فيها خالدون انث الضمير
لانه اسم للجنة او لطبقتها العليا ولقد خلقنا الانسان من سلالة من خلاصة
سلت من بين الكدر من طين متعلق بمحذوف لانه صفة لسلالة او من بيانية
او بمعنى سلالة لانها في معنى مسلولة فتكون ابتدائية كالاولى والانسان
آدم صلى الله عليه وسلم خلق من صفوة سلت من الطين او الجنس فانهم خلقوا
من سلالات جعلت نطفا بعد ادوار وقيل المراد بالطين آدم لانه خلق منه
والسلالة نطفته ثم جعلناه ثم جعلنا نسله على حذف المضاف نطفة بان
خلقناه منها او ثم جعلنا السلالة نطفة وتذكير الضمير على تأويل الجوهر
او المسلول او الماء في قرار مكين مستقر حصين يعني الرحم وهي في الاصل
صفة للمستقر وصف به المحل مبالغة كما عبر عنه بالقرار ثم خلقنا النطفة

علقة بان احلنا النطفة البيضاء علقة حمراء فخلقنا العلقة مضغة
فصيرناها قطعة لحم فخلقنا المضغة عظاما بان صلبناها فكسونا العظام
لحما مما بقي من المضغة او مما انبتنا عليها مما يصل اليها واختلاف العواطف
لتفاوت الاستحالات والجمع لاختلافها في الهيئة والصلابة وقرأ ابن عامر
وابو بكر على التوحيد فيهما اكتفاء باسم الجنس عن الجمع وقرئ بافراد احدهما
وجمع الآخر ثم انشأناه خلقا آخر وهو صورة البدن او الروح او القوى
بنفخه فيه او المجموع وثم لما بين الخلقين من التفاوت واحتج به ابو حنيفة رضي الله عنه
على ان من غصب بيضة فافرخت عنده لزمه ضمان البيضة لا الفرخ لانه خلق
آخر فتبارك الله فتعالى شأنه في قدرته وحكمته احسن الخالقين المقدرين تقديرا
فحذف المميز لدلالة الخالقين عليه ثم انكم بعد ذلك لميتون لصائرون الى
الموت لا محالة ولذلك ذكر النعت الذي للثبوت دون اسم الفاعل وقد قرئ
به ثم انكم يوم القيمة تبعثون للمحاسبة والمجازاة ولقد خلقنا فوقكم سبع
طرائق سبع سموات لانها طورق بعضها فوق بعض مطارقة النعل وكل ما
فوقه مثله فهو طريقة او لانها طرق الملائكة او الكواكب فيها مسيرها وما كنا
عن الخلق عن ذلك المخلوق الذي هو السموات او عن جميع المخلوقات غافلين
مهملين امرها بل نحفظها عن الزوال والاختلال وندبر امرها حتى يبلغ منتهى ما
قدر لها من الكمال حسبما اقتضته الحكمة وتعلقت به المشية وانزلنا من السماء ماء
بقدر بتقدير يكثر نفعه ويقل ضرره او بمقدار ما علمنا من صلاحهم فاسكناه
فجعلناه ثابتا مستقرا في الارض وانا على ذهاب به على ازالته بالافساد
او التصعيد او التعميق بحيث يتعذر استنباطه لقادرون كما كنا قادرين على
انزاله في تنكير ذهاب ايماء الى كثرة طرقه ومبالغة في الايعاد به ولذلك
جعل ابلغ من قوله قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين
فانشأنا لكم به بماء جنات من نخيل واعناب لكم فيها في الجنات فواكه كثيرة

يتفكهون بها ومنها ومن الجنات ثمارها وزروعها تأكلون تغذيا او ترتزقون
وتحصلون معايشكم من قولهم فلان يأكل من حرفته ويجوز ان يكون الضميران
للنخيل والاعناب اي لكم في ثمراتهما انواع من الفواكه الرطب والعنب
والتمر والزبيب والعصير والدبس وغير ذلك وطعام تأكلونه وشجرة عطف
على جنات وقرئت بالرفع على الابتداء اي ومما انشئ لكم به شجرة تخرج
من طور سيناء جبل موسى بين مصر وايلة وقيل بفلسطين وقد يقال له طور
سينين ولا يخلو من ان يكون الطور للجبل وسيناء اسم بقعة اضيف اليها
او المركب منهما علم له كامرئ القيس ومنع صرفه للتعريف والعجمة او التأنيث
على تأويل البقعة لا للالف لانه فيعال كديماس من السناء بالمد وهو
الرفعة او بالقصر وهو النور او ملحق بفعلال كعلباء من السين اذ لا فعلاء
بالف التأنيث بخلاف سيناء على قراءة الكوفيين والشامي ويعقوب فانه
فيعال ككيسان او فعلاء كصحراء لا فعلال اذ ليس في كلامهم وقرئ بالكسر
والقصر تنبت بالدهن اي تنبت ملتبسا بالدهن ومستصحبا له ويجوز ان يكون
الباء صلة معدية لتنبت كما في قولك ذهبت بزيد وقرأ ابن كثير وابو عمرو
ويعقوب في رواية تُنبت وهو اما من انبت بمعنى نبت كقول زهير
رأيت ذوي الحاجات عند بيوتهم قطينا لهم حتى اذا انبت البقل او على تقدير
تنبت زيتونها ملتبسا بالدهن وقرئ على البناء للمفعول وهو كالاول
وتثمر بالدهن وتخرج بالدهن وتخرج الدهن وتنبت بالدهان وصبغ للآكلين
معطوف على الدهن جار على اعرابه عطف احد وصفي الشيء على الآخر اي
تنبت بالشيء الجامع بين كونه دهنا يدهن به ويسرج منه وكونه اداما
يصبغ فيه الخبز اي يغمس فيه للائتدام وقرئ وصباغ كدباغ في دبغ
وان لكم في الانعام لعبرة تعتبرون بحالها وتستدلون بها نسقيكم مما في بطونها
من الالبان او من العلف فان اللبن يتكون منه فمن للتبعيض او للابتداء

ولكم فيها منافع كثيرة في ظهورها واصوافها واشعارها ومنها تأكلون
فتنتفعون باعيانها وعليها وعلى الانعام فان منها ما يحمل عليه كالابل
والبقر وقيل المراد الابل لانها هي المحمول عليها عندهم والمناسب للفلك
فانها سفائن البر قال ذو الرمة   سفينة برٍّ تحت خدي زمامها
فيكون الضمير فيه كالضمير في وبعولتهن احق بردهن وعلى الفلك تحملون
في البر والبحر ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله الى
آخر القصص مسوق لبيان كفران الناس ما عدد عليهم من النعم المتلاحقة
وما حاق بهم من زوالها ما لكم من اله غيره استئناف لتعليل الامر بالعبادة
وقرئ غيره بالجر على اللفظ افلا تتقون افلا تخافون ان يزيل عنكم نعمه
فيهلككم ويعذبكم برفضكم عبادته الى عبادة غيره وكفرانكم نعمه التي لا
تحصونها فقال الملأ الاشراف الذين كفروا من قومه لعوامهم ما هذا الا
بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم ان يطلب الفضل عليكم ويسودكم ولو
شاء الله ان يرسل رسولا لانزل ملائكة رسلا ما سمعنا بهذا في آبائنا
الاولين يعنون نوحا اي ما سمعنا به انه نبي او بما كلمهم به من الحث على عبادة
الله ونفي اله غيره او من دعوى النبوة وذلك اما من فرط عنادهم او لانهم
كانوا في فترة متطاولة ان هو الا رجل به جنة اي جنون ولاجله يقول ذلك
فتربصوا به فاحتملوه وانتظروا حتى حين لعله يفيق من جنونه قال بعدما
ايس من ايمانهم رب انصرني باهلاكهم او بانجاز ما وعدتهم من العذاب
بما كذبون بدل تكذيبهم اياي او بسببه فاوحينا اليه ان اصنع الفلك
باعيننا بحفظنا نحفظه ان تخطئ فيه او يفسده عليك مفسد ووحينا وامرنا
وتعليمنا كيف تصنع فاذا جاء امرنا بالركوب او نزول العذاب وفار التنور
روي انه قيل لنوح عليه السلام اذا فار الماء من التنور اركب انت ومن
معك فلما نبع الماء منه اخبرته امرأته فركب ومحله في مسجد الكوفة عن يمين

الداخل مما يلي باب كندة وقيل عين وردة من الشام وفيه وجوه اخر ذكرتها
في هود فاسلك فيها فادخل فيها يقال سلك فيه وسلك غيره قال تعالى ما
سلككم في سقر من كل زوجين اثنين من كل امتي الذكر والانثى واحدين مزدوجين
وقرا حفص من كل بالتنوين اي من كل نوع زوجين واثنين تاكيد واهلك
واهل بيتك او ومن آمن معك الا من سبق عليه القول منهم اي القول من الله
بهلاكه لكفره وانما جيء بعلى لان السابق ضار كما جيء باللام حيث كان نافعا
في قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ولا تخاطبني في الذين ظلموا بالدعاء لهم
بالانجاء انهم مغرقون لا محالة لظلمهم بالاشراك والمعاصي ومن هذا شانه
لا يشفع ولا يشفع فيه كيف وقد امر بالحمد على النجاة منهم بهلاكهم بقوله
فاذا استويت انت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم
الظالمين كقوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وقل رب
انزلني في السفينة او في الارض منزلا مباركا يتسبب لمزيد الخير في الدارين
وقرئ منزلا بمعنى انزالا او موضع انزال وانت خير المنزلين ثناء مطابق
لدعائه امره بان يشفعه به مبالغة فيه وتوسلا به الى الاجابة وانما افرده
بالامر والمعلق به ان يستوي هو ومن معه اظهارا لفضله واشعارا بان في
دعائه مندوحة عن دعائهم فانه يحيط بهم ان في ذلك فيما فعل بنوح وقومه
لآيات يستدل بها ويعتبر اولو الاستبصار والاعتبار وان كنا لمبتلين لمصيبين
قوم نوح ببلاء عظيم او ممتحنين عبادنا بهذه الآيات وان هي المخففة واللام
هي الفارقة ثم انشانا من بعدهم قرنا آخرين هم عاد او ثمود فارسلنا فيهم
رسولا منهم هو هود او صالح وانما جعل القرن موضع الارسال ليدل على انه
لم ياتهم من مكان غير مكانهم وانما اوحي اليه وهو بين اظهرهم ان اعبدوا الله
ما لكم من اله غيره تفسير لارسلنا اي قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله
افلا تتقون عذاب الله وقال الملا من قومه الذين كفروا لعله ذكر بالواو

لان كلامهم

لان كلامهم لم يتصل بكلام الرسول بخلاف قول قوم نوح وحيث استونف
به فعلى تقدير سؤال وكذبوا بلقاء الآخرة بلقاء ما فيها من الثواب والعقاب
او بمعادهم الى الحيوة الثانية بالبعث واترفناهم نعمناهم في الحيوة الدنيا
بكثرة الاموال والاولاد ما هذا الا بشر مثلكم في الصفة والحال ياكل مما
تاكلون منه ويشرب مما تشربون تقرير للمماثلة وما خبرية والعائد الى الثاني
منصوب محذوف او مجرور حذف مع الجار لدلالة ما قبله عليه ولئن اطعتم
بشرا مثلكم فيما يامركم انكم اذا لخاسرون حيث اذللتم انفسكم واذن
جزاء للشرط وجواب للذين قاولوهم من قومهم ايعدكم انكم اذا متم وكنتم
ترابا وعظاما مجردة عن اللحوم والاعصاب انكم مخرجون من الاجداث
او من العدم تارة اخرى الى الوجود وانكم تكرير للاول اكد به لما طال
الفصل بينه وبين خبره او انكم مخرجون مبتدا خبره الظرف المقدم او فاعل
للفعل المقدر جوابا للشرط والجملة خبر الاول اي انكم اخراجكم اذا متم
او انكم اذا متم وقع اخراجكم ويجوز ان يكون خبر الاول محذوفا لدلالة
خبر الثاني عليه لا ان يكون الظرف لان اسمه جثة هيهات هيهات بعد التصديق
او الصحة لما توعدون او بعد ما توعدون واللام للبيان كما في هيت لك
كانهم لما صوتوا بكلمة الاستبعاد قيل فما له هذا الاستبعاد قالوا لما توعدون
وقيل هيهات بمعنى البعد وهو مبتدا خبره لما توعدون وقرئ بالفتح منونا
للتنكير وبالضم منونا على انه جمع هيهة وغير منون تشبيها بقبل وبالكسر
على الوجهين وبالسكون على لفظ الوقف وبابدال التاء هاء ان هي الا حيوتنا
الدنيا اصله ان الحيوة الا حيوتنا الدنيا فاقيم الضمير مقام الاولى لدلالة
الثانية عليها حذرا عن التكرير واشعارا بان تعينها مغن عن التصريح
كقوله هي النفس ما حملتها تتحمل معناه لا حيوة الا هذه الحياة لان ان
نافية دخلت على هي التي في معنى الحياة الدالة على الجنس فكانت مثل لا التي

تنفى ما بعدها نفى الجنس نموت ونحيا يموت بعضنا ويولد بعض وما نحن بمبعوثين
بعد الموت ان هو الا رجل افترى على الله كذبا فيما يدعيه من ارساله له وفيما
يعدنا من البعث وما نحن له بمؤمنين بمصدقين قال رب انصرني عليهم وانتقم لي
منهم بما كذبون بسبب تكذيبهم اياي قال عما قليل عن زمان قليل وما صلة
لتوكيد معنى القلة او نكرة موصوفة ليصبحن نادمين على التكذيب اذا عاينوا
العذاب فاخذتهم الصيحة صيحة جبريل صاح عليهم صيحة هائلة تصدعت
منها قلوبهم فماتوا واستدل به على ان القرن قوم صالح صلى الله عليه وسلم
بالحق بالوجه الثابت الذي لا دافع له او بالعدل من الله كقولك فلان يقضي
بالحق او بالوعد الصدق فجعلناهم غثاء شبههم في دمارهم بغثاء السيل وهو
حميله كقول العرب سال به الوادي لمن هلك فبعدا للقوم الظالمين يحتمل الاخبار
والدعاء وبعدا مصدر بعد اذا هلك وهو من المصادر التي تنصب بافعال
لا يستعمل اظهارها واللام لبيان من دعي عليه بالبعد ووضع الظاهر موضع ضميرهم
للتعليل ثم انشأنا من بعدهم قرونا آخرين يعني قوم صالح ولوط وشعيب
صلى الله على نبينا وعليهم وسلم وغيرهم ما تسبق من امة اجلها الوقت الذي حد
لهلاكها ومن مزيدة للاستغراق وما يستأخرون الاجل ثم ارسلنا رسلنا
تترى متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد والتاء بدل من الواو
كتولج وتيقور والالف للتأنيث لان الرسل جماعة وقرأ ابو عمرو بالتنوين
على انه مصدر بمعنى المتواترة وقع حالا كلما جاء امة رسولها كذبوه اضاف الرسول
مع الارسال الى المرسل ومع المجيء الى المرسل اليهم لان الارسال الذي هو مبدأ الامر
منه والمجيء الذي هو منتهاه اليهم فاتبعنا بعضهم بعضا في الاهلاك وجعلناهم
احاديث لم يبق منهم الا حكايات يسمر بها وهو اسم جمع للحديث او جمع احدوثة
وهي ما يتحدث به تلهيا فبعدا لقوم لا يؤمنون ثم ارسلنا موسى واخاه هرون
باياتنا بالآيات التسع وسلطان مبين وحجة واضحة ملزمة للخصم ويجوز ان يراد به

ماهو ص

العصا

العصا وافرادها لانها اول المعجزات وامها تعلقت بها معجزات شتى
كانقلابها حية وتلقفها ما افكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون
من الحجر بضربهما بها وحراستها ومصيرها شمعة وشجرة خضراء مثمرة ورشاء ودلوا
وان يراد به المعجزات وبالآيات الحجج وان يراد بهما المعجزات فانها آيات للنبوة
وحجة بينة على ما يدعيه النبي الى فرعون وملائه فاستكبروا عن الايمان
والمتابعة وكانوا قوما عالين متكبرين فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا ثنى
البشر لانه يطلق للواحد كقوله بشرا سويا كما يطلق للجمع كقوله فاما ترين
من البشر احدا ولم يثن المثل لانه في حكم المصدر وهذه القصص كما ترى تشهد
بان قصارى شبهة المنكرين للنبوة قياس حال الانبياء على احوالهم لما بينهم
من المماثلة في الحقيقة وفساده يظهر للمستبصر بادنى تأمل فان النفوس البشرية
وان تشاركت في اصل القوى والادراك لكنها متباينة الاقدام فيهما وكما
ترى في جانب النقصان اغبياء لا يعود عليهم الفكر برادة يمكن ان يكون
في طرف الزيادة اغنياء عن التعلم والتفكر في اكثر الاشياء واغلب الاحوال فيدركون
ما لا يدرك غيرهم ويعلمون ما لا ينتهي اليه علمهم واليه اشار بقوله تعالى قل
قل انما بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد وقومهما يعني بني اسرائيل
لنا عابدون خادمون منقادون كالعباد فكذبوهما فكانوا من المهلكين
بالغرق في بحر قلزم ولقد آتينا موسى الكتاب التوراة لعلهم لعل بني اسرائيل
ولا يجوز عود الضمير الى فرعون وقومه لان التوراة نزلت بعد اغراقهم
يهتدون الى المعارف والاحكام وجعلنا ابن مريم وامه آية بولادتها
اياه من غير مسيس فالآية امر واحد مضاف اليهما وجعلنا ابن مريم بان تكلم
في المهد وظهرت منه معجزات اخر وامه آية بان ولدت من غير مسيس فحذفت
الاولى لدلالة الثانية عليها وآويناهما الى ربوة ارض بيت المقدس
فانها مرتفعة او دمشق او رملة فلسطين او مصر فان قراها على الربا وقرأ

ابن عامر وعاصم بفتح الراء وقرئ رباوة بالضم والكسر ذات قرار مستقر من ارض
منبسطة وقيل ذات ثمار وزروع فان ساكنيها يستقرون فيها لاجلها
ومعين وماء معين ظاهر جار فعيل من معن الماء اذا جرى واصله الابعاد في
الشيء او من الماعون وهو المنفعة لانه نفاع او مفعول من عانه اذا ادركه
بعينه لانه لظهوره مدرك بالعين وصف ماءها بذلك لانه الجامع لاسباب
التنزه وطيب المكان يا ايها الرسل كلوا من الطيبات نداء وخطاب لجميع الانبياء
لا على انهم خوطبوا بذلك دفعة لانهم ارسلوا في ازمنة مختلفة بل على معنى ان
كلا منهم خوطب به في زمانه فيدخل تحته عيسى دخولا اوليا ويكون ابتداء
كلام ذكر تنبيها على ان تهيئة اسباب التنعم لم تكن له خاصة وان اباحة الطيبات
حكاية لما ذكر لعيسى وامه عند ايوائهما الى الربوة ليقتديا بالرسل في
تناول ما رزقا وقيل النداء له ولفظ الجمع للتعظيم والطيبات ما يستلذ من
المباحات وقيل الحلال الصافي القوام فالحلال ما لا يعصى الله فيه والصافي
ما لا ينسى الله فيه والقوام ما يمسك النفس ويحفظ العقل واعملوا صالحا
فانه المقصود منكم والنافع عند ربكم اني بما تعملون عليم فاجازيكم عليه
وان هذه اي ولان هذه والمعلل به فاتقون او واعلموا ان هذه وقيل انه
معطوف على ما تعملون وقرأ ابن عامر بالتخفيف والكوفيون بالكسر على الاستئناف
امتكم امة واحدة ملتكم ملة واحدة اي متحدة في العقائد واصول الشرائع
او جماعتكم جماعة واحدة متفقة على الايمان والتوحيد في العبادة ونصب
امة على الحال وانا ربكم فاتقون في شق العصا ومخالفة الكلمة فتقطعوا
امرهم بينهم فتقطعوا امر دينهم وجعلوه اديانا مختلفة او فتفرقوا وتحزبوا
وامرهم منصوب بنزع الخافض او التمييز والضمير لما دل عليه الامة من
اربابها او لها زبرا قطعا جمع زبور الذي بمعنى الفرقة ويؤيده القراءة
بفتح الباء فانه جمع زبرة وهو حال من امرهم او من الواو او مفعول ثان

لتقطعوا

لتقطعوا فانه متضمن معنى جعل وقيل كتبا من زبرت الكتاب فيكون
مفعولا ثانيا او حالا من امرهم على تقدير مثل كتب وقرئ بتخفيف الباء كرسل
في رسل كل حزب بما لديهم من الدين فرحون معجبون معتقدون
انهم على الحق فذرهم في غمرتهم في جهالتهم شبهها بالماء الذي يغمر القامة لانهم
مغمورون فيها او لاعبون بها وقرئ في غمراتهم حتى حين الى ان يقتلوا او
يموتوا ايحسبون انما نمدهم به ان ما نعطيهم ونجعله مددا لهم من مال وبنين
بيان لما وليس خبرا له فانه غير معاتب عليه وانما المعاتب عليه اعتقادهم
ان ذلك خير لهم فخبره نسارع لهم في الخيرات والراجع محذوف والمعنى
ايحسبون ان الذي نمدهم به نسارع به لهم فيما فيه خيرهم واكرامهم بل لا يشعرون
بل هم كالبهائم لا فطنة لهم ولا شعور ليتأملوا فيعلموا ان ذلك الامداد
استدراج لا مسارعة في الخير وقرئ يمدهم على الغيبة وكذلك يسارع ويسرع
ويحتمل ان يكون فيهما ضمير الممد به ويسارع مبنيا للمفعول ان الذين هم من
خشية ربهم من خوف عذابه مشفقون حذرون والذين هم بآيات ربهم المنصوبة
والمنزلة يؤمنون بتصديق مدلولها والذين هم بربهم لا يشركون شركا جليا
ولا خفيا والذين يؤتون ما آتوا يعطون ما اعطوه من الصدقات وقرئ
يأتون ما أتوا اي يفعلون ما فعلوه من الطاعات وقلوبهم وجلة خائفة
ان لا تقبل منهم وان لا يقع على الوجه اللائق فيؤاخذ به انهم الى ربهم راجعون
لان مرجعهم اليه او من ان مرجعهم وهو يعلم ما يخفى عليهم اولئك يسارعون
في الخيرات يرغبون في الطاعات اشد الرغبة فيبادرونها او يسارعون
في نيل الخيرات الدنيوية الموعودة على صالح الاعمال بالمبادرة اليها كقوله
فآتاهم الله ثواب الدنيا فيكون اثباتا لهم ما نفي عن اضدادهم وهم لها
سابقون لاجلها فاعلون السبق او سابقون الناس الى الطاعة او الثواب
او الجنة او سابقوها اي ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم في الدنيا

كقولهم لها عاملون ولا نكلف نفسا الا وسعها قدر طاقتها يريد به التحريض
على ما وصف به الصالحين وتسهيله على النفوس ولدينا كتاب يعني اللوح
او صحيفة الاعمال ينطق بالحق بالصدق لا يوجد فيه ما يخالف الواقع وهم لا يظلمون
بزيادة عقاب ونقصان ثواب بل قلوبهم قلوب الكفرة في غمرة في غفلة
غامرة لها من هذا الذي وصف به هؤلاء او من كتاب الحفظة ولهم اعمال
خبيثة من دون ذلك متجاوزة لما وصفوا به او متخطية عما هم عليه من الشرك
هم لها عاملون معتادون فعلها حتى اذا اخذنا مترفيهم متنعميهم بالعذاب يعني القتل يوم
بدر او الجوع حين دعا عليهم الرسول فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر
واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فقحطوا حتى اكلوا الكلاب والجيف والعظام
المحترقة اذا هم يجأرون فاجأوا الصراخ بالاستغاثة وهو جواب الشرط
والجملة مبتدأة بعد حتى ويجوز ان يكون الجواب لا تجأروا اليوم فانه مقدر
بالقول اي قيل لهم لا تجأروا انكم منا لا تنصرون تعليل للنهي اي لا تجأروا فانه
لا ينفعكم اذ لا تمنعون منا او لا يلحقكم نصر ومعونة من جهتنا قد كانت
آياتي تتلى عليكم يعني القرآن فكنتم على اعقابكم تنكصون تعرضون مدبرين عن
سماعها وتصديقها والعمل بها والنكوص الرجوع قهقرى مستكبرين به الضمير
للتكذيب او للبيت وشهرة استكبارهم وافتخارهم بانهم قوامه اغنت عن سبق
ذكره او لآياتي فانها بمعنى كتابي والباء متعلقة بمستكبرين لانه بمعنى مكذبين
او لان استكبارهم على المسلمين حدث بسبب استماعه او بقوله سامرا اي تسمرون
بذكر القرآن والطعن فيه وهو في الاصل مصدر جاء على لفظ الفاعل كالعاقبة
وقرئ سمرا جمع سامر وسمارا تهجرون من الهجر بالفتح اما بمعنى القطيعة او الهذيان اي تعرضون
عن القرآن او تهذون في شأنه والهجر بالضم الفحش ويؤيد الثاني قراءة نافع تهجرون
من اهجر وقرئ تهجرون على المبالغة افلم يدبروا القول اي القرآن ليعلموا انه الحق
من ربهم باعجاز لفظه ووضوح مدلوله ام جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين من

الرسول

الرسول والكتاب او من الامن من عذاب الله فلم يخافوا كما خاف آباؤهم الاقدمون
كاسمعيل واعقابه فآمنوا بالله وكتبه ورسله واطاعوه ام لم يعرفوا رسولهم
بالامانة والصدق وحسن الخلق وكمال العلم مع عدم التعلم الى غير ذلك
مما هو صفة الانبياء فهم له منكرون دعواه لاحد هذه الوجوه اذ لا وجه له
غيرها فان انكار الشيء قطعا او ظنا انما يتجه اذا ظهر امتناعه بحسب النوع
او الشخص وبحث عما يدل عليه اقصى ما يمكن فلم يوجد ام يقولون به جنة فلا
يبالون بقوله وكانوا يعلمون انه ارجحهم عقلا واتقنهم نظرا بل جاءهم بالحق واكثرهم
للحق كارهون لانه يخالف شهواتهم واهواءهم فلذلك انكروه وانما قيد الحكم
بالاكثر لانه كان منهم من ترك الايمان استنكافا من توبيخ قومه او لقلة فطنته
وعدم فكرته لا كراهة للحق ولو اتبع الحق اهواءهم بان كان في الواقع آلهة شتى
لفسدت السموات والارض ومن فيهن كما سبق تقريره في قوله تعالى لو كان فيهما
آلهة الا الله لفسدتا وقيل لو اتبع الحق اهواءهم وانقلب باطلا لذهب ما قام به العالم
او لو اتبع الحق الذي جاء به محمد اهواءهم بان انزل ما يشتهونه من الشرك والمعاصي
لخرج عن الالوهية ولم يقدر ان يمسك السموات والارض وهو على اصل المعتزلة
بل اتيناهم بذكرهم بالكتاب الذي هو ذكرهم اي وعظهم او صيتهم او الذكر
الذي تمنوه بقولهم لو ان عندنا ذكرا من الاولين وقرئ بذكراهم فهم عن ذكرهم
معرضون لا يلتفتون اليه ام تسألهم قيل انه قسيم قوله ام به جنة خرجا اجرا على اداء
الرسالة فخراج ربك رزقه في الدنيا او ثوابه في العقبى خير لسعته ودوامه
ففيه مندوحة لك عن عطائهم والخرج بازاء الدخل يقال لكل ما تخرجه الى غيرك
والخراج غالب في الضريبة على الارض ففيه اشعار بالكثرة واللزوم فيكون
ابلغ ولذلك عبر به عن عطاء الله اياه وقرأ ابن عامر خرجا فخرج وحمزة
والكسائي خراجا فخراج للمزاوجة وهو خير الرازقين تقرير لخيرية خراجه وانك
لتدعوهم الى صراط مستقيم تشهد العقول السليمة على استقامته لا عوج فيه يوجب

انما اتاهم له واعلم انه سبحانه الزمهم الحجة وازاح العلة في هذه الايات
بان اقسام ما يؤدي الى الانكار والاتهام وبين انتفاءها ما عدا كراهة الحق
وقلة الفطنة وان الذين لا يؤمنون بالاخرة عن الصراط عن الصراط السوي
لناكبون لعادلون عنه فان خوف الاخرة اقوى البواعث على طلب الحق وسلوك
طريقه ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر يعني القحط للجوا لثبتوا واللجاج
التمادي في الشيء في طغيانهم افراطهم في الكفر والاستكبار عن الحق وعداوة الرسول
والمؤمنين يعمهون عن الهدى روي انهم قحطوا حتى اكلوا العلهز فجاء ابو سفيان
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انشدك الله والرحم الست تزعم انك بعثت
رحمة للعالمين قتلت الاباء بالسيف والابناء بالجوع فنزلت ولقد اخذناهم
بالعذاب يعني القتل يوم بدر فما استكانوا لربهم وما يتضرعون بل اقاموا
على عتوهم واستكبارهم واستكان استفعل من الكون لان المفتقر انتقل من كون
الى كون او افتعل من السكون اشبعت فتحته وليس من عادتهم التضرع وهو استشهاد
على ما قبله حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد يعني الجوع فانه اشد من الاسر
والقتل اذا هم فيه مبلسون متحيرون آيسون من كل خير حتى جاءك اعتاهم يستعطفك
وهو الذي انشا لكم السمع والابصار لتحسوا بها ما نصبت من الايات والافئدة
لتتفكروا فيها وتستدلوا بها الى غير ذلك من المنافع الدينية والدنيوية قليلا
ما تشكرون تشكرونها شكرا قليلا لان العمدة في شكرها استعمالها فيما خلقت
لاجلها والاذعان لمانحها من غير اشراك وما صلة للتاكيد وهو الذي ذراكم
في الارض خلقكم وبثكم فيها بالتناسل واليه تحشرون تجمعون يوم القيمة بعد تفرقكم
وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار ويختص به تعاقبهما لا يقدر عليه
غيره فيكون ردا لنسبته الى الشمس حقيقة او لامره وقضائه تعاقبهما او انتقاص
احدهما وازدياد الاخر افلا تعقلون بالنظر والتامل ان الكل منا وان قدرتنا
تعم الممكنات كلها وان البعث من جملتها وقرئ بالياء على ان الخطاب السابق لتغليب

المؤمنين بل قالوا اي كفار مكة مثل ما قال الاولون اباؤهم ومن دان بدينهم
قالوا ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون استبعادا ولم يتاملوا انهم
كانوا قبل ذلك ايضا ترابا فخلقوا لقد وعدنا نحن واباؤنا هذا من قبل
ان هذا الا اساطير الاولين الا اكاذيبهم التي كتبوها جمع اسطورة لانه يستعمل
فيما يتلهى به كالاعاجيب والاضاحيك وقيل جمع اسطار جمع سطر قل لمن الارض
ومن فيها ان كنتم تعلمون ان كنتم من اهل العلم او من العالمين بذلك فيكون
استهانة بهم وتقريرا لفرط جهالتهم حتى جهلوا مثل هذا الجلي الواضح
والزاما بما لا يمكن لمن له مسكة من العلم انكاره ولذلك اخبر عن جوابهم قبل
ان يجيبوا فقال سيقولون لله لان العقل الصريح قد اضطرهم بادنى نظر الى الاقرار
بانه خالقها قل اي بعد ما قالوه افلا تذكرون فتعلموا ان من فطر الارض ومن
فيها ابتداء قدر على ايجادها ثانيا فان بدء الخلق ليس باهون من اعادته
وقرئ تتذكرون على الاصل قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم
فانها اعظم من ذلك سيقولون لله قرا ابو عمرو ويعقوب بغير لام فيه وفيما
بعده على ما يقتضيه لفظ السؤال قل افلا تتقون عقابه فلا تشركوا به
بعض مخلوقاته ولا تنكروا قدرته على بعض مقدوراته قل من بيده ملكوت كل شيء
ملكه غاية ما يمكن وقيل خزائنه وهو يجير يغيث من يشاء ويحرسه ولا يجار عليه
ولا يغاث احد ولا يمنع منه وتعديته بعلى لتضمين معنى النصرة ان كنتم تعلمون
سيقولون لله قل فانى تسحرون فمن اين تخدعون فتصرفون عن الرشد
مع ظهور الامر وتظاهر الادلة بل اتيناهم بالحق من التوحيد والوعد
بالنشور وانهم لكاذبون حيث انكروا ذلك ما اتخذ الله من ولد لتقدسه
عن مماثلة احد وما كان معه من اله يساهمه في الالوهية اذا لذهب كل اله
بما خلق ولعلا بعضهم على بعض جواب محاجتهم وجزاء شرط حذف لدلالة
ما قبله عليه اي لو كان معه آلهة كما تقولون لذهب كل واحد منهم بما خلقه

واستبد به وامتاز ملكه عن ملك الآخر ووقع بينهم التحارب والتغالب
كما هو حال ملوك الدنيا فلم يكن بيده وحده ملكوت كل شيء واللازم باطل
بالاجماع والاستقراء وقيام البرهان على استناد جميع الممكنات الى واجب
واحد سبحان الله عما يصفون من الولد والشريك لما سبق من الدليل على فساده
عالم الغيب والشهادة خبر مبتدأ محذوف وقد جره ابن كثير وابن عامر وابو عمرو
ويعقوب وحفص على الصفة وهو دليل آخر على نفي الشريك بناء على توافقهم
في انه المتفرد بذلك ولهذا رتب عليه فتعالى عما يشركون بالفاء قل رب اما
تريني ان كان لا بد من ان تريني لان ما والنون للتاكيد ما يوعدون من
العذاب في الدنيا والآخرة رب فلا تجعلني في القوم الظالمين قرينا لهم
في العذاب وهو اما لهضم النفس او لان شوم الظلم قد يحيق بمن وراءهم
كقوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة عن الحسن ان الله تعالى
اخبر نبيه ان له في امته نقمة ولم يطلعه على وقتها فامره بهذا الدعاء وتكرير النداء
وتصدير كل واحد من الشرط والجزاء به فضل تضرع وجؤار وانا على ان نريك ما
نعدهم لقادرون لكنا نؤخره علما بان بعضهم او بعض اعقابهم يؤمنون او لانا
لا نعذبهم وانت فيهم ولعله رد لانكارهم الموعود واستعجالهم له استهزاء به
وقيل قد اراه وهو قتل بدر او فتح مكة ادفع بالتي هي احسن السيئة وهو الصفح
عنها والاحسان في مقابلتها لكن بحيث لم يؤد الى وهن في الدين وقيل هي كلمة
التوحيد والسيئة الشرك وقيل هو الامر بالمعروف والسيئة المنكر وهو ابلغ من
ادفع بالحسنة السيئة لما فيه من التنصيص على التفضيل نحن اعلم بما يصفون
بما يصفونك به او بوصفهم اياك على خلاف حالك واقدر على جزائهم
حثهم الناس على المعاصي بهمز الرائض الدواب على المشي والجمع للمرات او لتنوع الوساوس
او لتعدد المضاف اليه واعوذ بك رب ان يحضرون يحوموا حولي في شيء من الاحوال
وتخصيص حال الصلوة وقراءة القرآن وحلول الاجل لانه احرى الاحوال بان يخاف عليه

فكل الينا امرهم وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين وساوسهم واصل الهمز النخس ومنه مهماز الرائض

حتى اذا جاء احدهم الموت متعلق بيصفون وما بينهما اعتراض لتاكيد الاغضاء
بالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم ان ينزله عن الحلم ويغريه على الانتقام او
بقوله انهم لكاذبون قال تحسرا على ما فرط فيه من الايمان والطاعة لما اطلع على
الامر رب ارجعون ردوني الى الدنيا والواو لتعظيم المخاطب وقيل لتكرير
قوله ارجعني كما قيل في قفا واطرقا لعلي اعمل صالحا فيما تركت في الايمان الذي
تركته اي لعلي آتي بالايمان واعمل فيه وقيل في المال او في الدنيا وعنه صلى الله
عليه وسلم اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا انرجعك الى الدنيا فيقول الى دار
الهموم والاحزان بل قدوما الى الله واما الكافر فيقول رب ارجعون كلا ردع
عن طلب الرجعة واستبعاد لها انها كلمة يعني قوله رب ارجعون الخ والكلمة الطائفة
من الكلام المنتظم بعضها مع بعض هو قائلها لا محالة لتسلط الحسرة عليه ومن
ورائهم امامهم والضمير للجماعة برزخ حائل بينهم وبين الرجعة الى يوم يبعثون
يوم القيمة وهو اقناط كلي عن الرجوع الى الدنيا لما علم انه لا رجعة يوم
البعث الى الدنيا وانما الرجوع فيه الى حيوة تكون في الآخرة فاذا نفخ في
الصور لقيام الساعة والقراءة بفتح الواو وبه وبكسر الصاد تؤيد ان الصور
ايضا جمع الصورة فلا انساب بينهم تنفعهم لزوال التعاطف والتراحم من فرط
الحيرة واستيلاء الدهشة بحيث يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه
او يفتخرون بها يومئذ كما يفعلون اليوم ولا يتساءلون ولا يسال بعضهم بعضا
لاشتغاله بنفسه وهو لا يناقض قوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون لانه
عند النفخة وذلك بعد المحاسبة او دخول اهل الجنة الجنة او النار النار
فمن ثقلت موازينه موزونات عقائده واعماله اي فمن كانت له عقائد واعمال
صالحة يكون لها وزن عند الله وقدر فاولئك هم المفلحون الفائزون بالنجاة
والدرجات ومن خفت موازينه ومن لم يكن له ما يكون له وزن وهم الكفار
لقوله فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا فاولئك الذين خسروا انفسهم غبنوها

حيث ضيعوا زمان استكمالها وأبطلوا استعدادها لنيل كمالها في جهنم خالدون
بدل من الصلة أو خبر ثان لأولئك تلفح وجوههم النار تحرقها واللفح كالنفح
إلا أنه أشد تأثيرا وهم فيها كالحون من شدة الاحتراق والكلوح تقلص
الشفتين عن الأسنان وقرئ كلحون ألم تكن آياتي تتلى عليكم على إضمار القول أي
يقال لهم ألم تكن فكنتم بها تكذبون تأنيب وتذكير لهم بما استحقوا هذا العذاب
لأجله قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا ملكتنا بحيث صارت أحوالنا مؤدية
إلى سوء العاقبة وقرأ حمزة والكسائي شقاوتنا بالفتح كالسعادة وقرئ
بالكسر كالكتابة وكنا قوما ضالين عن الحق ربنا أخرجنا منها من النار فإن عدنا
إلى التكذيب فإنا ظالمون لأنفسنا قال اخسئوا فيها اسكتوا سكوت هوان فإنها
ليست مقام سؤال من خسأت الكلب إذا زجرته فخسأ ولا تكلمون في رفع العذاب
أو لا تكلمون رأسا قيل إن أهل النار يقولون ألف سنة ربنا أبصرنا وسمعنا فيجابون
حق القول مني فيقولون ألفا ربنا أمتنا اثنتين فيجابون ذلكم بأنه إذا دعي الله
فيقولون ألفا يا مالك ليقض علينا ربك فيجابون إنكم ماكثون فيقولون ألفا
ربنا أخرجنا فيجابون أولم تكونوا أقسمتم الآية فيقولون ألفا ربنا أخرجنا
نعمل صالحا فيجابون أولم نعمركم فيقولون ألفا رب ارجعون فيجابون اخسئوا فيها
ثم لا يكون لهم فيها إلا زفير وشهيق وعواء إنه إن الشأن وقرئ بالفتح أي لأنه
كان فريق من عبادي يعني المؤمنين وقيل الصحابة وقيل أهل الصفة يقولون
ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا هزؤا وقرأ
نافع وحمزة والكسائي بالضم وهما مصدر سخر زيدت فيهما ياء النسبة للمبالغة
وعند الكوفيين المكسور بمعنى الهزء والمضموم من السخرة بمعنى الانقياد والعبودية
حتى أنسوكم ذكري من فرط تشاغلكم بالاستهزاء بهم فلم تخافوني في أوليائي وكنتم
منهم تضحكون استهزاء بهم إني جزيتهم اليوم بما صبروا على أذاكم أنهم هم الفائزون
فوزهم بمجامع مراداتهم مخصوصين به وهو ثاني مفعولي جزيتهم وقرأ حمزة والكسائي

بالكسر استئنافا قال أي الله أو الملك المأمور بسؤالهم وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي
على الأمر للملك أو لبعض رؤساء أهل النار كم لبثتم في الأرض أحياء أو
أمواتا في القبور عدد سنين تمييز لكم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم استقصارا
لمدة لبثهم فيها بالنسبة إلى خلودهم في النار أو لأنها كانت أيام سرورهم وأيام
السرور قصار أو لأنها منقضية والمنقضي في حكم المعدوم فسئل العادين الذين
يتمكنون من عد أيامها إن أردت تحقيقها فإنا لما نحن فيه من العذاب مشغولون
عن تذكرها وإحصائها أو الملائكة الذين يعدون أعمار الناس ويحصون أعمالهم
وقرئ العادين بالتخفيف أي الظلمة فإنهم يقولون ما نقول والعاديين أي القدماء
المعمرين فإنهم أيضا يستقصرون قال وفي قراءة الكوفيين قل إن لبثتم إلا قليلا
لو أنكم كنتم تعلمون تصديق لهم في مقالهم أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا توبيخ على
تغافلهم وعبثا حال بمعنى عابثين أو مفعول له أي لم نخلقكم تلهيا بكم وإنما
خلقناكم لنتعبدكم ونجازيكم على أعمالكم وهو كالدليل على البعث وأنكم إلينا
لا ترجعون معطوف على أنما خلقناكم أو عبثا وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب
بفتح التاء وكسر الجيم فتعالى الله الملك الحق الذي يحق له الملك مطلقا فإن من عداه
مملوك بالذات مالك بالعرض من وجه دون وجه وفي حال دون حال لا إله
إلا هو فإن ما عداه عبيده رب العرش الكريم الذي يحيط بالأجرام وينزل منه
محكمات الأقضية والأحكام ولذلك وصفه بالكرم أو لنسبته إلى أكرم الأكرمين
وقرئ بالرفع على أنه صفة الرب ومن يدع مع الله إلها آخر يعبده إفرادا أو
إشراكا لا برهان له به صفة أخرى لإلها لازمة فإن الباطل لا برهان به
جيء بها للتأكيد وبناء الحكم عليه تنبيها على أن التدين بما لا دليل عليه ممنوع
فضلا عما دل الدليل على خلافه أو اعتراض بين الشرط والجزاء لذلك فإنما حسابه
عند ربه فهو مجاز له مقدار ما يستحقه إنه لا يفلح الكافرون إن الشأن وقرئ
بالفتح على التعليل أو الخبر أي حسابه عدم الفلاح بدأ السورة بتقديم فلاح

المؤمنين وختمها بنفي الفلاح عن الكافرين ثم أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بأن
يستغفره ويسترحمه فقال وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين عن النبي صلى
الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمنين بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقر به
عينه عند نزول ملك الموت وعنه أنه قال أنزلت علي عشر آيات من أقامهن دخل الجنة
ثم قرأ قد أفلح المؤمنون حتى ختم العشر وروي أن أولها وآخرها من كنوز الجنة
من عمل بثلاث آيات من أولها واتعظ بأربع من آخرها فقد نجا وأفلح

سورة النور وهي مدنية أربع وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم سورة أي هذه سورة أو فيما أوحينا إليك سورة
أنزلناها صفتها ومن نصبها جعله مفسرا لناصبها فلا يكون له محل إلا إذا قدر
أتل أو دونك أو نحوه وفرضناها وفرضنا ما فيها من الأحكام وشدده ابن كثير
وأبو عمرو لكثرة فرائضها أو المفروض عليهم أو للمبالغة في إيجابها وأنزلنا فيها
آيات بينات واضحات الدلالة لعلكم تذكرون فتتقون المحارم وقرئ بتخفيف
الذال الزانية والزاني أي فيما فرضنا أو أنزلنا حكمهما وهو الجلد ويجوز أن
يرفعا بالابتداء والخبر فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة والفاء لتضمنهما
معنى الشرط إذ اللام بمعنى الذي وقرئا بالنصب على إضمار فعل يفسره الظاهر
وهو أحسن من نصب سورة للأمر والزان بلا ياء وإنما قدم الزانية لأن الزنا
في الأغلب يكون بتعرضها للرجل وعرض نفسها عليه ولأن مفسدته تتحقق بالإضافة
إليها والجلد ضرب الجلد وهو حكم يخص بمن ليس بمحصن لما دل على أن حد المحصن
هو الرجم وزاد الشافعي عليه تغريب الحر سنة لقوله صلى الله عليه وسلم البكر بالبكر
جلد مائة وتغريب عام وليس في الآية ما يدفعه لينسخ أحدهما بالآخر نسخا
مقبولا أو مردودا وله في العبد ثلاثة أقوال والإحصان بالحرية والبلوغ
والعقل والإصابة في نكاح صحيح واعتبرت الحنفية الإسلام أيضا وهو

مردود برجمه صلى الله عليه وسلم يهوديين ولا يعارضه من أشرك بالله
فليس بمحصن إذ المراد بالمحصن الذي يقتص له من المسلم ولا تأخذكم بهما رأفة رحمة
في دين الله في طاعته وإقامة حده فتعطلوه أو تسامحوا فيه ولذلك قال صلى الله
عليه وسلم لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها وقرأ ابن كثير بفتح الهمزة وقرئت
بالمد على فعالة إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر فإن الإيمان يقتضي
الجد في طاعة الله والاجتهاد في إقامة أحكامه وهو من باب التهييج وليشهد
عذابهما طائفة من المؤمنين زيادة في التنكيل فإن التفضيح قد ينكل أكثر مما
ينكل التعذيب والطائفة فرقة يمكن أن تكون حافة حول شيء من الطوف وأقلها
ثلاثة وقيل واحد أو اثنان والمراد جمع يحصل به التشهير الزاني لا ينكح إلا
زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك إذ الغالب أن المائل
إلى الزنا لا يرغب في نكاح الصوالح والمسافحة لا يرغب فيها الصلحاء
فإن المشاكلة علة الألفة والتضام والمخالفة سبب للنفرة والافتراق
وكان حق المقابلة أن يقال والزانية لا تنكح إلا من زان أو مشرك
لكن المراد بيان أحوال الرجال في الرغبة فيهن لأن الآية نزلت في ضعفة
المهاجرين لما هموا أن يتزوجوا بغايا يكرين أنفسهن لينفقن عليهم من أكسابهن
على عادة الجاهلية ولذلك قدم الزاني وحرم ذلك على المؤمنين لأنه
تشبه بالفساق وتعرض للتهمة وتسبب لسوء المقالة والطعن في النسب
وغير ذلك من المفاسد ولذلك عبر عن التنزيه بالتحريم مبالغة وقيل النفي
بمعنى النهي وقد قرئ به والحرمة على ظاهرها والحكم مخصوص بالسبب الذي
ورد فيه أو منسوخ بقوله وأنكحوا الأيامى منكم فإنه يتناول المسافحات
ويؤيده أنه صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك فقال أوله سفاح وآخره
نكاح والحرام لا يحرم الحلال وقيل المراد بالنكاح الوطء فيؤول إلى نهي الزاني
عن الزنا إلا بزانية والزانية أن يزني بها إلا زان وهو فاسد والذين

يرمون المحصنات يقذفونهن بالزنا لوصف المقذوفات بالاحصان وذكرهن
عقيب الزواني واعتبار اربعة شهداء بقوله ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم
ثمانين جلدة والقذف بغير الزنا مثل يا فاسق ويا شارب الخمر يوجب التعزير كقذف
غير المحصن والاحصان ههنا بالحرية والبلوغ والعقل والاسلام والعفة
عن الزنا ولا فرق فيه بين الذكر والانثى وتخصيص المحصنات لخصوص الواقعة
او لان قذف النساء اغلب واشنع ولا يشترط اجتماع الشهود عند الاداء
ولا يعتبر شهادة زوج المقذوفة خلافا لابي حنيفة رضي الله عنه وليكن
ضربه اخف من ضرب الزنا لضعف سببه واحتماله ولذلك نقص عدده ولا
تقبلوا لهم شهادة اي شهادة كانت لانه مفتر وقيل شهادتهم في القذف
ولا يتوقف ذلك على استيفاء الجلد خلافا لابي حنيفة رضي الله عنه
فان الامر بالجلد والنهي عن القبول سيان في وقوعهما جوابا للشرط
لا ترتيب بينهما فيترتبان عليه دفعة كيف وحاله قبل الحد اسوأ مما بعده
ابدا ما لم يتب وعند ابي حنيفة رض الى اخر عمره واولئك هم الفاسقون
المحكوم بفسقهم الا الذين تابوا من بعد ذلك عن القذف واصلحوا اعمالهم
بالتدارك ومنه الاستسلام للحد او الاستحلال عن المقذوف والاستثناء
راجع الى اصل الحكم وهو اقتضاء الشرط لهذه الامور ولا يلزمه سقوط
الحد به كما قيل لان من تمام التوبة الاستسلام له او الاستحلال ومحل
المستثنى النصب على الاستثناء وقيل راجع الى النهي ومحله الجر على البدل من
هم في لهم وقيل الى الاخيرة ومحله النصب لانه عن موجب وقيل منقطع لا
متصل بما بعده فان الله غفور رحيم علة للاستثناء والذين يرمون
ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم نزلت في هلال بن امية راى رجلا
على فراشه وانفسهم بدل من شهداء او صفة لهم على ان الا بمعنى غير فشهادة
احدهم اربع شهادات بالله فالواجب شهادة احدهم او فعليهم شهادة احدهم

واربع

واربع نصب على المصدر وقد رفعه حمزة والكسائي وحفص على انه خبر
شهادة بالله متعلق بشهادات لانها اقرب وقيل بشهادة لتقدمها انه
لمن الصادقين فيما رماها به من الزنا واصله على انه فحذف الجار وكسرت
ان وعلق العامل عنه باللام تاكيدا والخامسة والشهادة الخامسة ان لعنت
الله عليه ان كان من الكاذبين في الرمي وقرا نافع ويعقوب بالتخفيف في
الموضعين هذا لعان الرجل وحكمه سقوط حد القذف عنه وحصول الفرقة
بينهما بنفسه فرقة فسخ عندنا لقوله صلى الله عليه وسلم المتلاعنان لا يجتمعان
ابدا وبتفريق الحاكم فرقة طلاق عند ابي حنيفة ونفي الولد ان تعرض له فيه
وثبوت حد الزنا على المرأة لقوله ويدرؤا عنها العذاب اي الحد ان تشهد
اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين فيما رماني به والخامسة ان غضب الله
عليها ان كان من الصادقين في ذلك ورفع الخامسة بالابتداء وما بعدها
الخبر او بالعطف على ان تشهد ونصبها حفص عطفا على اربع وقرا نافع
ان غضب الله ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم متروك
الجواب للتعظيم اي لفضحكم وعاجلكم بالعقوبة ان الذين جاؤا بالافك بابلغ
ما يكون من الكذب من الافك وهو الصرف لانه مافوك عن وجهه والمراد
ما افك به على عائشة وذلك انه صلى الله عليه وسلم استصحبها في بعض الغزوات
فاذن ليلة في القفول بالرحيل فمشت لقضاء حاجة ثم عادت الى الرحل فلمست
صدرها فاذا عقد من جزع ظفار قد انقطع فرجعت لتلتمسه فظن الذي
كان يرحلها انها دخلت الهودج فرحله على مطيتها وسار فلما عادت الى
منزلها لم تجد ثم احدا فجلست كي يرجع اليها منشد وكان صفوان بن المعطل
السلمي قد عرس وراء الجيش فادلج فاصبح عند منزلها فعرفها واناخ
راحلته فركبتها فقادها حتى اتيا الجيش فاتهمت به عصبة منكم جماعة
وهي من العشرة الى الاربعين وكذلك العصابة يريد عبد الله بن ابي وزيد

بن رفاعه

وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم وهي خبر
ان وقوله لا تحسبوه شرا لكم مستأنف والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وابي بكر وعايشة وصفوان والهاء للافك بل هو خير لكم لاكتسابكم به
الثواب العظيم وظهور كرامتكم على الله بانزال ثماني عشرة آية في براءتكم
وتعظيم شانكم وتهويل الوعيد لمن تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم خيرا
لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم لكل جزاء ما اكتسب بقدر ما خاض فيه
مختصا به والذي تولى كبره معظمه وقرأ يعقوب بالضم وهو لغة فيه منهم
من الخائضين وهو ابن ابي فانه بدأ به واذاعه عداوة لرسول الله صلى الله
عليه وسلم او هو وحسان ومسطح فانهما شايعاه بالتصريح به والذي بمعنى
الذين له عذاب عظيم في الاخرة او في الدنيا بان جلدوا وصار ابن ابي مطرودا
مشهورا بالنفاق وحسان اعمى اشل اليدين ومسطح مكفوف البصر لولا هلا
اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات
كقوله ولا تلمزوا انفسكم وانما عدل فيه عن الخطاب الى الغيبة مبالغة في التوبيخ
واشعارا بان الايمان يقتضي ظن الخير بالمؤمنين والكف عن الطعن فيهم وذب
الطاعنين عنهم كما يذبونهم عن انفسهم وانما جاز الفصل بين لولا وفعله
بالظرف لانه منزل منزلته من حيث انه لا ينفك عنه ولذلك يتسع فيه ما لا يتسع
في غيره وذلك لان ذكر الظرف اهم فان التخصيص على ان لا يخلوا باوله وقالوا
هذا افك مبين كما يقول المستيقن المطلع على الحال لولا جاؤوا عليه باربعة شهداء
فاذ لم ياتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون من جملة المقول
تقرير لكونه كذبا فان ما لا حجة عليه مكذب عند الله اي في حكمه ولذلك
رتب الحكم عليه ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والاخرة لولا هذه لامتناع
الشيء لوجود غيره والمعنى لولا فضل الله عليكم في الدنيا بانواع النعم التي
من جملتها الامهال للتوبة ورحمته في الاخرة بالعفو والمغفرة المقدران لكم

لمسكم عاجلا فيما افضتم خضتم فيه عذاب عظيم يستحقر دونه اللوم والجلد
اذ ظرف لمسكم او افضتم تلقونه بالسنتكم والمعنى يأخذه بعضكم من بعض بالسؤال
يقال تلقى القول وتلقفه وتلقنه وقرئ تتلقونه على الاصل وتلقونه من لقيه
اذا لقفه وتلقونه بكسر حرف المضارعة وتلقونه من القائه بعضهم على بعض
وتلقونه وتالقونه من الولق والالق وهو الكذب وتثقفونه من تثقفته
اذا طلبته فوجدته وتقفونه اي تتبعونه وتقولون بافواهكم ما ليس
لكم به علم اي وتقولون كلاما مختصا بالافواه بلا مساعدة من القلوب لانه
لانه ليس تعبيرا عن علم به في قلوبكم كقوله تعالى يقولون بافواههم ما ليس
في قلوبهم وتحسبونه هينا سهلا لا تبعة له وهو عند الله عظيم في الوزر
استجرار العذاب فهذه ثلاثة آثام مترتبة علق بها مس العذاب العظيم
تلقي الافك بالسنتهم والتحدث من غير تحقق واستصغارهم لذلك وهو عند الله
عظيم ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا ما ينبغي وما يصح لنا
سبحانك هذا يجوز ان يكون الاشارة الى القول المخصوص وان يكون الى نوعه
فان قذف آحاد الناس محرم شرعا فضلا عن تعرض الصديقة ابنة الصديق
حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم بهتان عظيم تعجب ممن يقول ذلك واصله ان
يذكر عند كل متعجب تنزيها لله تعالى من ان يصعب عليه مثله ثم كثر فاستعمل لكل
متعجب او تنزيه لله تعالى من ان يكون حرمة نبيه صلى الله عليه وسلم فاجرة
فان فجورها تنفير عنه ومخل بمقصود الزواج بخلاف كفرها فيكون تقريرا لما
قبله وتمهيدا لقوله يعظكم الله لعظم المبهوت عليه فان حقارة الذنوب
وعظمها باعتبار متعلقاتها ان تعودوا لمثله كراهة ان تعودوا او في ان
تعودوا ابدا ما دمتم احياء مكلفين ان كنتم مؤمنين فان الايمان يمنع عنه
وفيه تهييج وتقريع ويبين الله لكم الآيات الدالة على الشرائع ومحاسن الآداب
كي تتعظوا وتتأدبوا والله عليم بالاحوال كلها حكيم في تدابيره ولا يجوز ان

الكشحة على بطنه ولا يفترى عليها ان الذين يحبون يريدون ان تشيع ان تنتشر
الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب اليم في الدنيا والآخرة بالحد والسعير الى غير ذلك
والله يعلم وانتم لا تعلمون فعاقبوا في الدنيا على ما دل عليه الظاهر والله سبحانه
يعاقب على ما في القلوب من حب الاشاعة ولولا فضل الله عليكم ورحمته تكرير
للمنة بترك المعاجلة بالعقاب للدلالة على عظم الجريمة ولذا عطف قوله
وان الله رؤف رحيم على حصول فضله ورحمته عليهم وحذف الجواب وهو مستغنى
عنه بذكره مرة يا ايها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان باشاعة الفاحشة
وقرأ نافع والبزي وابو بكر وابو عمرو وحمزة بسكونها وقرئ بفتح الطاء ومن
يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر بيان لعلة النهي عن اتباعه
والفحشاء ما افرط قبحه والمنكر ما انكره الشرع ولولا فضل الله عليكم ورحمته
بتوفيق التوبة الماحية للذنوب وشرع الحدود المكفرة لها ما زكى منكم ما طهر
من دنسها منكم من احد ابدا آخر الدهر ولكن الله يزكي من يشاء بحمله على التوبة
وقبولها والله سميع لمقالتهم عليم بنياتهم ولا يأتل ولا يحلف افتعال من الالية
او لا يقصر من الالو ويؤيد الاول انه قرئ ولا يتأل وانه نزل في ابي بكر
وقد حلف ان لا ينفق على مسطح بعد وكان ابن خالته وكان من فقراء المهاجرين
اولوا الفضل منكم في الدين والسعة في المال وفيه دليل على فضل ابي بكر وشرفه
ان يؤتوا على ان لا يؤتوا او في ان يؤتوا وقرئ بالتاء على الالتفات اولي
القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله صفات لموصوف واحد اي ناسا
جامعين لها لان الكلام فيمن كان كذلك او لموصوفات اقيمت مقامها فيكون
ابلغ في تعليل المقصود وليعفوا لما فرط منهم وليصفحوا بالاغماض عنه الا تحبون
ان يغفر الله لكم على عفوكم وصفحكم واحسانكم الى من اساء اليكم والله غفور
رحيم مع كمال قدرته فتخلقوا باخلاقه روي انه صلى الله عليه وسلم قرأها على
ابي بكر فقال بلى احب ورجع الى مسطح نفقته ان الذين يرمون المحصنات الغافلات

الغافلات

الغافلات مما قذفن به المؤمنات بالله ورسوله استباحة لعرضهن وطعنا في الرسول
صلى الله عليه وسلم والمؤمنين كابن ابي لعنوا في الدنيا والآخرة كما طعنوا فيهن
ولهم عذاب عظيم لعظم ذنوبهم وقيل هو حكم كل قاذف ما لم يتب وقيل مخصوص
بمن قذف ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك قال ابن عباس لا توبة له ولو
فتشت وعيدات القرآن لم تجد اغلظ مما نزل في افك عائشة رضي الله عنها يوم
تشهد عليهم ظرف لما في لهم من معنى الاستقرار لا للعذاب لانه موصوف وقرأ حمزة
والكسائي بالياء للتقدم والفصل السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون
يعترفون بها بانطاق الله اياها بغير اختيارهم او بظهور آثاره عليها وفي ذلك
مزيد تهويل للعذاب يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق جزاءهم المستحق ويعلمون
لمعاينتهم الامر ان الله هو الحق المبين الثابت بذاته الظاهر الوهيته لا يشاركه
في ذلك غيره ولا يقدر على الثواب والعقاب سواه او ذو الحق البين اي العادل
الظاهر عدله ومن كان هذا شانه ينتقم من الظالم للمظلوم لا محالة الخبيثات
للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات اي الخبائث
يتزوجن الخبائث وبالعكس وكذلك اهل الطيب فيكون كالدليل على قوله اولئك
يعني اهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم او الرسول صلى الله عليه وسلم وعائشة وصفوان
مبرؤن مما يقولون اذ لو صدق لم تكن زوجته ولم يقرر عليه وقيل الخبيثات والطيبات
من الاقوال والاشارة الى الطيبين والضمير في يقولون للآفكين اي مبرؤن مما
يقولون فيهم او للخبيثين والخبيثات اي مبرؤن من ان يقولوا مثل قولهم لهم مغفرة
ورزق كريم يعني الجنة ولقد برأ الله اربعة باربعة برأ يوسف عليه السلام بشاهد
من اهلها وبرأ موسى عليه السلام من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه
ومريم عليها السلام بانطاق ولدها وعائشة بهذه الآيات مع هذه المبالغات
وما ذلك الا لاظهار منصب الرسول صلى الله عليه وسلم واعلاء منزلته يا ايها
الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم التي تسكنونها فان الآجر والمعير ايضا

لا يدخلان الا باذن حتى تستأنسوا حتى تستأذنوا من الاستئناس بمعنى الاستعلام
من آنس الشيء اذا ابصره فان المستأذن مستعلم للحال مستكشف انه هل يراد دخوله
او يؤذن له او من الاستئناس الذي هو خلاف الاستيحاش فان المستأذن مستوحش
خائف ان لا يؤذن له فاذا اذن له استأنس او تتعرفوا هل ثمة انسان من الانس
وتسلموا على اهلها بان تقولوا السلام عليكم أأدخل وعنه صلى الله عليه وسلم
التسليم ان يقول السلام عليكم أأدخل ثلث مرات فان اذن له دخل والا
رجع ذلكم خير لكم اي الاستئذان والتسليم خير لكم من ان تدخلوا بغتة او من
تحية الجاهلية فان الرجل منهم اذا دخل بيتا غير بيته قال حييتم صباحا وحييتم
مساء فيدخل فربما اصاب الرجل مع امرأته في لحاف وروي ان رجلا قال
للنبي صلى الله عليه وسلم أأستأذن على امي قال نعم فقال لا خادم لها غيري
أأستأذن عليها كلما دخلت قال أتحب ان تراها عريانة قال لا قال فاستأذن
لعلكم تذكرون متعلق بمحذوف اي انزل عليكم او قيل لكم هذا ارادة ان تذكروا
وتعملوا بما هو اصلح لكم فان لم تجدوا فيها احدا يأذن لكم فلا تدخلوها حتى
يؤذن لكم حتى يأتي من يأذن لكم فان المانع من الدخول ليس الاطلاع على
العورات فقط بل وعلى ما يخفيه الناس عادة مع ان التصرف في ملك الغير
بغير اذنه محظور واستثنى ما اذا عرض فيه حرق او غرق او كان فيه منكر
ونحوها وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا ولا تلحوا هو ازكى لكم الرجوع
اطهر لكم عما لا يخلو الالحاح والوقوف على الباب عنه من الكراهة وترك المروءة
او انفع لدينكم ودنياكم والله بما تعملون عليم فيعلم ما تأتون وما تذرون
مما خوطبتم به فيجازيكم عليه ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة كالربط
والخانات والحوانيت فيها متاع استمتاع لكم كالاستكنان من الحر والبرد وايواء
الامتعة والجلوس للمعاملة وذلك استثناء من الحكم السابق لشموله البيوت
المسكونة وغيرها والله يعلم ما تبدون وما تكتمون وعيد لمن دخل مدخلا

لفساد او تطلع على عورات قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم اي ما يكون
نحو محرم ويحفظوا فروجهم الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم ولما كان
المستثنى منه كالشاذ النادر بخلاف الغض اطلقه وقيد الغض بحرف التبعيض
وقيل حفظ الفروج ههنا خاصة سترها ذلك ازكى لهم انفع لهم واطهر
لما فيه من البعد عن الريبة ان الله خبير بما يصنعون لا يخفى عليه اجالة ابصارهم
واستعمال سائر حواسهم وتحريك جوارحهم وما يقصدون بها فليكونوا
على حذر منه في كل حركة وسكون وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن
فلا ينظرن الى ما لا يحل لهن النظر اليه من الرجال ويحفظن فروجهن بالتستر
او التحفظ عن الزنا وتقديم الغض لان النظر بريد الزنا ولا يبدين زينتهن
كالحلي والثياب والاصباغ فضلا عن مواضعها لمن لا يحل ان تبدى له الا ما
ظهر منها عند مزاولة الاشياء كالثياب والخاتم فان في سترها حرجا وقيل المراد
بالزينة مواقعها على حذف المضاف او ما يعم المحاسن الخلقية والتزيينية والمستثنى
هو الوجه والكفان لانها ليست بعورة والاظهر ان هذا في الصلوة لا في النظر
فان كل بدن الحرة عورة لا يحل لغير الزوج والمحرم النظر الى شيء الا لضرورة
كالمعالجة وتحمل الشهادة وليضربن بخمرهن على جيوبهن سترا لاعناقهن ولا يبدين
زينتهن كرره لبيان من يحل له الابداء ومن لا يحل له الا لبعولتهن فانهم المقصودون
بالزينة ولهم ان ينظروا الى جميع بدنهن حتى الفرج بكره او آبائهن او آباء بعولتهن
او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن لكثرة مداخلتهم
عليهن واحتياجهن الى مداخلتهم وقلة توقع الفتنة من قبلهم لما في الطباع من
النفرة عن مماسة القرائب ولهم ان ينظروا منهن ما يبدو عند المهنة والخدمة وانما
لم يذكر الاعمام والاخوال لانهم في معنى الاخوان او لان الاحوط ان يتسترن عنهم
حذرا ان يصفوهن لابنائهم او نسائهن يعني المؤمنات فان الكوافر لا يتحرجن
عن وصفهن للرجال او النساء كلهن وللعلماء في ذلك خلاف او ما ملكت ايمانهن

يعم الاماء والعبيد لما روي انه صلى الله عليه وسلم اتى فاطمة رضي الله عنها بعبد
وهبه لها وعليها ثوب اذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها واذا غطت رجليها لم يبلغ رأسها
فقال صلى الله عليه وسلم انه ليس عليك بأس انما هو ابوك وغلامك وقيل المراد بها
الاماء وعبد المرأة كالاجنبي او التابعين غير اولي الاربة من الرجال اي اولي الحاجة
الى النساء وهم الشيوخ الهم والممسوحون وفي المجبوب والخصي خلاف وقيل البله
الذين يتبعون الناس لفضل طعامهم ولا يعرفون شيئا من امور النساء وقرأ ابن عامر
وابو بكر غير بالنصب على الحال او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء لعدم
تميزهم من الظهور بمعنى الاطلاع او لعدم بلوغهم حد الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة
والطفل جنس وضع موضع الجمع اكتفاء بدلالة الوصف ولا يضربن بارجلهن
ليعلم ما يخفين من زينتهن ليتقعقع خلخالها فيعلم انها ذات خلخال فان ذلك يورث
ميلا في الرجال وهو ابلغ من النهي عن اظهار الزينة وادل على المنع من رفع الصوت
وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون اذ لا يكاد يخلو احد منكم من تفريط سيما
في الكف عن الشهوات وقيل توبوا مما كنتم تفعلونه في الجاهلية فانه وان جب بالاسلام
لكنه يجب الندم عليه والعزم على الكف عنه كلما يتذكر لعلكم تفلحون بسعادة الدارين
وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم لما نهى عما عسى يفضي الى السفاح
المخل بالنسب المقتضي للالفة وحسن التربية ومزيد الشفقة المؤدية الى بقاء النوع
بعد الزجر عنه مبالغة فيه امر بالنكاح الحافظ له والخطاب للاولياء والسادة
وفيه دليل على وجوب تزويج المولية والمملوكة وذلك عند طلبها واشعار بان
المرأة والعبد لا يستبدان به اذ لو استبدا لما وجب على الولي والمولى وايامى مقلوب
ايائم كيتامى جمع يتيم وهو العزب ذكرا كان او انثى بكرا او ثيبا قال
فان تنكحي انكح وان تتأيمي وان كنت افتى منكم اتأيم وتخصيص الصالحين لاحصان
دينهم وللاهتمام بشأنهم وقيل المراد الصالحون للنكاح والقيام بحقوقه
ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله رد لما عسى يمنع من النكاح والمعنى لا يمنعن

فقر

فقر الخاطب والمخطوبة من المناكحة فان في فضل الله غنية عن المال فانه غاد
ورائح او وعد من الله بالاغناء لقوله صلى الله عليه وسلم اطلبوا الغنى في هذه الآية
لكن مشروط بالمشيئة لقوله تعالى وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء
والله واسع ذو سعة لا تنفد نعمته اذ لا ينتهي قدرته عليم يبسط الرزق ويقدر
على ما تقتضيه حكمته وليستعفف وليجتهد في العفة وقمع الشهوة الذين لا يجدون
نكاحا اسبابه ويجوز ان يراد بالنكاح ما ينكح به او بالوجدان التمكن منه حتى يغنيهم الله
من فضله فيجدوا ما يتزوجون به والذين يبتغون الكتاب المكاتبة وهو ان يقول الرجل
لمملوكه كاتبتك على كذا من الكتاب لان السيد كتب على نفسه عتقه اذا ادى المال او لانه
مما يكتب لتأجيله او من الكتب بمعنى الجمع لان العوض فيه يكون منجما بنجوم يضم بعضها
الى بعض مما ملكت ايمانكم عبدا كان او امة والموصول بصلته مبتدأ خبره فكاتبوهم
او مفعول مضمر هذا تفسيره والفاء لتضمن معنى الشرط والامر فيه للندب عند
اكثر العلماء لان الكتابة معاوضة تتضمن الارفاق فلا يجب كغيرها واحتجاج
الحنفية باطلاقه على جواز الكتابة الحالة ضعيف لان المطلق لا يعم مع ان
العجز عن الاداء في الحال يمنع صحتها كما في السلم فيما لا يوجد عند المحل ان علمتم
فيهم خيرا امانة وقدرة على اداء المال بالاحتراف وقد روي مثله مرفوعا وقيل
صلاحا في الدين وقيل مالا وضعفه ظاهر لفظا ومعنى وهو شرط الامر فلا يلزم
من عدمه عدم الجواز وآتوهم من مال الله الذي آتاكم امر للموالي كما قبله بان يبذلوا
لهم شيئا من اموالهم وفي معناه حط شيء من مال الكتابة وهو للوجوب عند الاكثر
ويكفي اقل ما يتمول وعن علي رضي الله عنه يحط الربع وعن ابن عباس الثلث
وقيل ندب لهم الى الانفاق عليهم بعد ان يؤدوا ويعتقوا وقيل امر لعامة المسلمين
باعانة المكاتبين واعطائهم سهمهم من الزكوة ويحل للمولى وان كان غنيا لانه لا يأخذه
صدقة كالدائن والمشتري ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم في حديث بريرة هو
لها صدقة ولنا هدية ولا تكرهوا فتياتكم اماءكم على البغاء على الزنا كانت

لعبد الله بن ابى سلول ست جوار يكرههن على الزنا وضرب عليهن الضرائب فشكا بعضهن
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اردن تحصنا تعففا شرط للاكراه فانه لا يوجد
دونه وان جعل شرطا للنهى لم يلزم من عدمه جواز الاكراه لجواز ان يكون ارتفاع
النهى بامتناع المنهى عنه وايثار ان على اذا لان ارادة التحصن من الاماء كالشاذ
النادر لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور
رحيم اى لهن او له ان تاب والاول اوفق للظاهر ولما فى مصحف ابن مسعود من
بعد اكراههن لهن غفور رحيم ولا يرد عليه ان المكرهة غير آثمة فلا حاجة الى
المغفرة لان الاكراه لا ينافى المؤاخذة بالذات ولذلك حرم على المكره القتل واوجب
عليه القصاص ولقد انزلنا اليكم آيات مبينات يعنى الآيات التى بينت فى هذه
السورة واوضحت فيها الاحكام والحدود وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى
وحفص بالكسر لانها واضحات تصدقها الكتب المتقدمة والعقول المستقيمة
من بين بمعنى تبين او لانها بينت الاحكام والحدود ومثلا من الذين خلوا من
قبلكم اى قصة عجيبة مثل قصصهم وهى قصة عائشة فانها كقصة يوسف
عليه السلام ومريم وموعظة للمتقين يعنى ما وعظ به فى تلك الآيات
وتخصيص المتقين لانهم المنتفعون بها وقيل المراد بالآيات القرآن والصفات
المذكورة صفاته الله نور السموات والارض النور فى الاصل كيفية تدركها
الباصرة اولا وبوساطتها سائر المبصرات كالكيفية الفائضة عن النيرين
على الاجرام الكثيفة المحاذية لهما وهو بهذا المعنى لا يصح اطلاقه على الله تعالى
الا بتقدير مضاف كقولك زيد كرم بمعنى ذو كرم او على تجوز بمعنى منور
السموات والارض وقد قرئ به فانه تعالى نورها بالكواكب وما يفيض
عنها من الانوار وبالملائكة والانبياء او مدبرها من قولهم للرئيس الفائق
فى التدبير نور القوم لانهم يهتدون به فى الامور او موجدها فان النور
ظاهر بذاته مظهر لغيره واصل الظهور هو الوجود كما ان اصل الخفاء هو العدم

والله سبحانه موجود بذاته موجد لما عداها او الذى به تدرك او يدرك اهلها من
حيث انه يطلق على الباصرة لتعلقها به او لمشاركتها له فى توقف الادراك عليه ثم
على البصيرة لانها اقوى ادراكا فانها تدرك نفسها وغيرها من الكليات والجزئيات
الموجودات والمعدومات وتغوص فى بواطنها وتتصرف فيها بالتركيب والتحليل
ثم ان هذه الادراكات ليست لذاتها والا لما فارقتها فهى اذن من سبب يفيضها
عليها وهو الله سبحانه وتعالى ابتداء او بتوسط من الملائكة والانبياء ولذلك
سموا انوارا ويقرب منه قول ابن عباس معناه هادى من فيها فهم بنوره يهتدون
واضافته اليهما للدلالة على سعة اشراقه او لاشتمالهما على الانوار الحسية
والعقلية وقصور الادراكات البشرية عليهما وعلى المتعلق بهما والمدلول عليهما
مثل نوره صفة نوره العجيبة الشان واضافته الى ضميره سبحانه وتعالى دليل
على ان اطلاقه عليه لم يكن على ظاهره كمشكوة كصفة مشكوة وهى الكوة الغير النافذة
فيها مصباح سراج ضخم ثاقب وقيل المشكوة الانبوبة فى وسط القنديل
والمصباح الفتيلة المشتعلة المصباح فى زجاجة فى قنديل من الزجاج الزجاجة
كأنها كوكب درى مضىء متلألئ كالزهرة فى صفائه وزهرته منسوب الى الدر
او فعيل كمريق من الدرء فانه يدفع الظلام بضوئه او بعض ضوئه بعضا من لمعانه
الا انه قلبت همزته ياء ويدل عليه قراءة حمزة وابى بكر على الاصل وقراءة ابى عمرو
والكسائى درىء كشريب وقد قرئ به مقلوبا يوقد من شجرة مباركة زيتونة
اى ابتداء ثقوب المصباح من شجرة الزيتون المتكاثر نفعه بان رويت ذبالته بزيتها
وفى ابهام الشجرة ووصفها بالبركة ثم ابدال الزيتونة عنها تفخيم لشانها وقرأ
نافع وابن عامر وحفص بالياء والبناء للمفعول من اوقد وحمزة والكسائى وابو بكر
بالتاء كذلك على اسناده الى الزجاجة بحذف المضاف وقرئ توقد بمعنى تتوقد
ويوقد بحذف التاء لاجتماع زيادتين وهو غريب لا شرقية ولا غربية تقع الشمس
عليها حينا دون حين بل بحيث تقع عليها طول النهار كالتى تكون على قلة او صحراء

واسعة فان ثمرتها تكون انضج وزيتها اصفى او لا نابتة في شرف المشرق ولا غربها بل
في وسطها وهو الشام فان زيتونه اجود الزيتون او لا في مضحى تشرق الشمس عليها
دائما فتحرقها او في مقناة تغيب عنها دائما فتتركها نيا وفي الحديث لا خير في شجرة
ولا في نبات في مقناة ولا خير فيهما في مضحى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار اي يكاد
يضيء بنفسه من غير نار لتلألؤه وفرط وبيصه نور على نور نور متضاعف فان نور
المصباح زاد في انارته صفاء الزيت وزهرة القنديل وضبط المشكاة لاشعته
وقد ذكر في معنى التمثيل وجوه الاول انه تمثيل للهدى الذي دل عليه الآيات
البينات في جلاء مدلولها وظهور ما تضمنته من الهدى بالمشكاة المنعوتة او تشبيه
للهدى من حيث انه محفوف بظلمات اوهام الناس وخيالاتهم بالمصباح وانما ولي الكاف
المشكاة لاشتمالها عليه وتشبيهه بها اوفق من تشبيهه بالشمس او تمثيل لما نور الله به قلب
المؤمن من المعارف والعلوم بنور المشكاة المنبث فيها من مصباحها ويؤيده قراءة ابي
رضي الله عنه مثل نور المؤمن او تمثيل لما منح الله به عباده من القوى الدراكة
الخمس المترتبة التي نيط بها المعاش والمعاد وهي الحساسة التي تدرك المحسوسات
بالحواس الخمس والخيالية التي تحفظ صور تلك المحسوسات لتعرضها على القوة العقلية
متى شاءت والعقلية التي تدرك الحقائق الكلية والمفكرة وهي التي تؤلف المعقولات
ليستنتج منها علم ما لم يعلم والقوة القدسية التي يتجلى فيها لوائح الغيب واسرار
الملكوت المختصة بالانبياء والاولياء المعنية بقوله تعالى ولكن جعلناه نورا نهدي
به من نشاء من عبادنا بالاشياء الخمسة المذكورة في الآية وهي المشكاة والزجاجة
والمصباح والشجرة والزيت فان الحساسة كالمشكاة لان محلها كالكوى ووجهها
الى الظاهر لا يدرك ما وراءها واضاءتها بالمعقولات لا بالذات والخيالية
كالزجاجة في قبول صور المدركات من الجوانب وضبطها للانوار العقلية وانارتها
بما يشتمل عليها من المعقولات والعاقلة كالمصباح لاضاءتها بالادراكات الكلية
والمعارف الالهية والمفكرة بالشجرة المباركة لتأديتها الى ثمرات لا نهاية لها الزيتونة

المثمرة للزيت الذي هو مادة المصابيح التي لا تكون شرقية ولا غربية لتجردها
عن اللواحق الجسمية او لوقوعها بين الصور والمعاني متصرفة في القبيلين منتفعة
من الجانبين والقوة القدسية كالزيت فانها لصفائها وشدة ذكائها تضيء بالمعاني
من غير تفكر ولا تعليم او تمثيل للقوة العقلية في مراتبها بذلك فانها في بدء امرها
خالية عن العلوم مستعدة لقبولها كالمشكاة ثم تنتقش بالعلوم الضرورية فتراه
بتوسط احساس الجزئيات بحيث تتمكن من تحصيل النظريات فتصير كالزجاجة متلألئة
في نفسها قابلة للانوار وذلك التمكن ان كان بفكر واجتهاد فكالشجرة الزيتونة
وان كان بالحدس فكالزيت وان كان بقوة قدسية فكالذي يكاد زيتها يضيء
لانها تكاد تعلم ولو لم يتصل بملك الوحي والالهام الذي مثله النار من حيث ان
العقول تشتعل عنها ثم اذا حصلت لها العلوم بحيث تتمكن من استحضارها متى شاءت
كان كالمصباح فاذا استحضرها كان نورا على نور يهدي الله لنوره لهذا النور
الثاقب من يشاء فان الاسباب دون مشيئته لاغية اذ بها تمامها ويضرب الله
الامثال للناس ادناء للمعقول من المحسوس توضيحا وبيانا والله بكل شيء عليم معقولا
كان او محسوسا ظاهرا كان او خفيا وفيه وعد ووعيد لمن تدبرها ولمن لم يكترث
بها في بيوت متعلق بما قبله اي كمشكاة في بعض بيوت او توقد في بيوت فيكون
تقييدا للممثل به بما يكون تحبيرا او مبالغة فيه فان قناديل المساجد تكون اعظم
او تمثيلا لصلوة المؤمنين او ابدانهم بالمساجد ولا ينافي جمع البيوت وحدة المشكاة اذ
المراد بها ما له هذا الوصف بلا اعتبار وحدة ولا كثرة او بما بعده وهو يسبح
وفيها تكرير مؤكد لا يذكر لانه من صلة ان فلا يعمل فيما قبله او بمحذوف مثل
سبحوا في بيوت والمراد بها المساجد لان الصفة تلائمها وقيل المساجد الثلثة
والتنكير للتعظيم اذن الله ان ترفع بالبناء او التعظيم ويذكر فيها اسمه عام فيما
يتضمن ذكره حتى المذاكرة في افعاله والمباحثة في احكامه يسبح له فيها بالغدو
والاصال ينزهونه او يصلون له فيها بالغدوات والعشايا والغدو مصدر

الحلول للوقت ولذلك حسن اقترانه بالاصال وهو جمع اصيل وقرئ والايصال
وهو الدخول في الاصيل وقرأ ابن عامر وعاصم يسبح بالفتح على اسناده الى
احد الظروف الثلاثة ورفع رجال بما يدل عليه وقرئ بالتاء مكسورة لتانيث
الجمع ومفتوحا على اسناده الى اوقات الغدو لا تلهيهم تجارة لا يشغلهم معاملة رابحة
ولا بيع عن ذكر الله مبالغة بالتعميم بعد التخصيص ان اريد به مطلق المعاوضة او بافراد
ما هو اهم من قسمي التجارة فان الربح يتحقق بالبيع ويتوقع بالشرى وقيل المراد بالتجارة
الشرى فانه اصلها ومبدؤها وقيل الجلب لانه الغالب فيها ومنه يقال تجر في كذا اذا
جلبه وفيه ايماء بانهم تجار واقام الصلوة عوض فيه الاضافة من التاء المعوضة عن
العين الساقطة بالاعلال كقوله وأخلفوك عِدَ الامر الذي وعدوا وايتاء الزكوة
ما يجب اخراجه من المال للمستحقين يخافون يوما مع ما هم عليه من الذكر والطاعة
تتقلب فيه القلوب والابصار تضطرب وتتغير من الهول او تتقلب احوالها فتفقه
القلوب ما لم تفقه وتبصر الابصار ما لم تبصر او تتقلب القلوب من توقع النجاة وخوف
الهلاك والابصار من اي ناحية يؤخذ بهم ويؤتى كتابهم ليجزيهم الله متعلق بيسبح
او لا تلهيهم او يخافون احسن ما عملوا احسن جزاء ما عملوا الموعود لهم من الجنة ويزيدهم
من فضله اشياء لم يعدهم على اعمالهم ولم يخطر ببالهم والله يرزق من يشاء بغير حساب
تقرير للزيادة وتنبيه على كمال القدرة ونفاذ المشيئة وسعة الاحسان والذين كفروا
اعمالهم كسراب بقيعة والذين كفروا حالهم على ضد ذلك فان اعمالهم التي يحسبونها
صالحة نافعة عند الله يجدونها لاغية مخيبة في العاقبة كالسراب وهو ما يرى
في الفلاة من لمعان الشمس عليها وقت الظهيرة فيظن انه ماء يسرب اي يجري والقيعة
بمعنى القاع وهو الارض المستوية وقيل جمعه كجار وجيرة وقرئ بقيعات كديمات
في ديمة يحسبه الظمآن ماء اي العطشان وتخصيصه لتشبيه الكافر به في شدة
الخيبة عند مسيس الحاجة حتى اذا جاءه جاء ما توهمه ماء او موضعه لم يجده
شيئا مما ظنه ووجد الله عنده عقابه او زبانيته او وجده محاسبا اياه فوفيه

حسابه

حسابه استعراضا او مجازاة والله سريع الحساب لا يشغله حساب عن حساب
روي انها نزلت في عتبة بن ربيعة بن امية تعبد في الجاهلية والتمس الدين فلما جاء
الاسلام كفر او كظلمات عطف على كسراب واو للتخيير فان اعمالهم لكونها لاغية لا منفعة
لها كالسراب ولكونها خالية عن نور الحق كالظلمات المتراكمة من لج البحر والامواج
والسحاب او للتنويع فان اعمالهم ان كانت حسنة فكالسراب وان كانت قبيحة فكالظلمات
او للتقسيم باعتبار وقتين فانها كالظلمات في الدنيا والسراب في الآخرة في بحر
لجي عميق منسوب الى اللج وهو معظم الماء يغشيه يغشى البحر موج من فوقه موج
اي امواج مترادفة متراكمة من فوقه من فوق الموج سحاب غطى النجوم وحجب
انوارها والجملة صفة اخرى للبحر ظلمات اي هذه ظلمات بعضها فوق بعض وقرأ
ابن كثير ظلمات بالجر على ابدالها من الاولى وباضافة السحاب اليها في رواية البزي
اذا اخرج يده وهي اقرب ما يرى اليه لم يكد يراها لم يقرب ان يراها فضلا
ان يراها كقوله اذا غير النأي المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب مية
يبرح والضماير للواقع في البحر وان لم يجر ذكره لدلالة المعنى عليه ومن
لم يجعل الله له نورا ومن لم يقدر له الهداية ولم يوفقه لاسبابها فما له من نور
خلاف الموفق الذي له نور على نور الم تر الم تعلم علما يشبه المشاهدة في اليقين
والوثاقة بالوحي او الاستدلال ان الله يسبح له من في السموات والارض
ينزه ذاته عن كل نقص وآفة اهل السموات والارض ومن لتغليب العقلاء او
الملائكة والثقلان بما يدل عليه من مقال او دلالة حال والطير على الاول
تخصيص لما فيها من الصنع الظاهر والدليل الباهر ولذلك قيدها بقوله
صافات فان اعطاء الاجرام الثقيلة ما به يقوى على الوقوف في الجو
صافة باسطة اجنحتها بما فيها من القبض والبسط حجة قاطعة على كمال قدرة
الصانع ولطف تدبيره كل كل واحد مما ذكر او من الطير قد علم صلاته وتسبيحه
اي قد علم الله دعاءه وتنزيهه اختيارا او طبعا لقوله والله عليم بما يفعلون

او علم كل على تشبيه حاله في الدلالة على الحق والميل الى النفع على وجه يخصه
بحال من علم ذلك مع انه لا يبعد ان يلهم الله الطير دعاء وتسبيحا كما الهمها علوما
دقيقة في اسباب تعيشها لا يكاد يهتدي اليها العقلاء ولله ملك السموات
والارض فانه الخالق لهما ولما فيهما من الذوات والصفات والافعال من حيث
انها ممكنة واجبة الانتهاء الى الواجب والى الله المصير مرجع الجميع الم تر ان
الله يزجي سحابا يسوق ومنه البضاعة المزجاة فانها يزجيها كل احد ثم
يؤلف بينه بان يكون قزعا فيضم بعضه الى بعض وبهذا الاعتبار صح بينه
اذ المعنى بين اجزائه وقرأ نافع برواية ورش يولف غير مهموز ثم يجعله
ركاما متراكما بعضه فوق بعض فترى الودق المطر يخرج من خلاله من
فتوقه جمع خلل كجبال في جبل وقرئ من خلله وينزل من السماء من الغمام وكل
ما علاك فهو سماء من جبال فيها من قطع عظام تشبه الجبال في عظمها او جمودها
من برد بيان للجبال والمفعول محذوف اي ينزل مبتدئا من السماء من جبال
فيها من برد بردا ويجوز ان يكون من الثانية او الثالثة للتبعيض واقعة
موقع المفعول وقيل المراد بالسماء المظلة وفيها جبال من برد كما في الارض
جبال من حجر وليس في العقل قاطع يمنعه والمشهور ان الابخرة اذا تصاعدت
ولم تحللها حرارة فبلغت الطبقة الباردة من الهواء البخارية وقوي البرد
هناك اجتمع وصار سحابا فان لم يشتد البرد تقاطر مطرا وان اشتد فان
وصل الى الاجزاء قبل اجتماعها نزل ثلجا والا نزل بردا وقد يبرد الهواء
بردا مفرطا فينقبض وينعقد سحابا وينزل منه المطر او الثلج وكل ذلك لابد
وان يستند الى ارادة الواجب الحكيم لقيام الدليل على انها الموجبة لاختصاص
الحوادث بمحالها واوقاتها واليه اشار بقوله فيصيب به من يشاء ويصرفه
عمن يشاء والضمير للبرد يكاد سنا برقه ضوء برقه وقرئ بالمد بمعنى العلو
وبادغام الدال في السين وبرقه بفتح الراء وهو جمع برقة وهي المقدار

من البرق

من البرق كالغرفة وبضمها للاتباع يذهب بالابصار بابصار الناظرين اليه
من فرط الاضاءة وذلك اقوى دليل على كمال القدرة من حيث انه توليد
الضد من الضد وقرئ يذهب على زيادة الباء يقلب الله الليل والنهار
بالمعاقبة بينهما او بنقص احدهما وزيادة الآخر او بتغيير احوالهما بالحر والبرد
والظلمة والنور او بما يعم ذلك ان في ذلك فيما تقدم ذكره لعبرة لاولي
الابصار لدلالة على وجود الصانع القديم وكمال قدرته واحاطة علمه ونفاذ
مشيئته وتنزهه عن الحاجة وما يفضي اليها لمن يرجع الى بصيرة والله خلق كل دابة
حيوان يدب على الارض وقرأ حمزة والكسائي خالق كل دابة بالاضافة من ماء
هو جزء مادته او ماء مخصوص هو النطفة فيكون تنزيلا للغالب منزلة الكل
اذ من الحيوانات ما يتولد لا عن النطفة وقيل من ماء متعلق بدابة وليس
صلة لخلق فمنهم من يمشي على بطنه كالحية وانما سمي الزحف مشيا على الاستعارة
للمشاكلة ومنهم من يمشي على رجلين كالانس والطير ومنهم من يمشي على اربع
كالنعم والوحش ويندرج فيه ما له اكثر من اربع كالعناكب فان اعتمادها
اذا مشت على اربع وتذكير الضمير لتغليب العقلاء والتعبير بمن عن الاصناف
ليوافق التفصيل الجملة والترتيب لتقديم ما هو اعرق في القدرة يخلق الله
ما يشاء مما ذكر ومما لم يذكر بسيطا ومركبا على اختلاف الصور وفي الاعضاء
والهيئات والحركات والطبائع والقوى والافعال مع اتحاد العنصر بمقتضى
مشيئته ان الله على كل شيء قدير فيفعل ما يشاء لقد انزلنا آيات مبينات
للحقائق بانواع الدلائل والله يهدي من يشاء بالتوفيق للنظر فيها والتدبر
لمعانيها الى صراط مستقيم هو دين الاسلام الموصل الى درك الحق والفوز
بالجنة ويقولون آمنا بالله وبالرسول نزلت في بشر المنافق خاصم يهوديا
فدعاه الى كعب بن الاشرف وهو يدعوه الى النبي صلى الله عليه وسلم وقيل في
مغيرة بن وائل خاصم عليا رضي الله عنه في ارض فابى ان يحاكمه الى الرسول

صلى الله عليه وسلم واطعنا واطعناهما ثم يتولى بالامتناع عن قبول حكمه
فريق منهم من بعد ذلك بعد قولهم هذا وما اولئك بالمؤمنين اشارة الى
القائلين باسرهم فيكون اعلاما من الله بان جميعهم وان آمنوا بالسنتهم لم تؤمن
قلوبهم او الى الفريق منهم وسلب الايمان عنهم لتوليهم والتعريف فيه للدلالة
على انهم ليسوا بالمؤمنين الذين عرفتهم وهم المخلصون في الايمان والثابتون
عليه واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اى ليحكم النبي صلى الله عليه وسلم
فانه الحاكم ظاهرا والمدعو اليه وذكر الله لتعظيمه والدلالة على ان حكمه في
الحقيقة حكم الله اذا فريق منهم معرضون فاجاء فريق منهم الاعراض
اذا كان الحق عليهم لعلمهم بانك لا تحكم لهم وهو شرح للتولي ومبالغة فيه
وان يكن لهم الحق ياتوا اليه مذعنين منقادين لعلمهم بانه يحكم لهم والى صلة ياتوا
او لمذعنين وتقديمه للاختصاص افي قلوبهم مرض كفر او ميل الى الظلم
ام ارتابوا بان راوا منك تهمة فزالت ثقتهم ويقينهم بك ام يخافون ان يحيف
الله عليهم ورسوله في الحكومة بل اولئك هم الظالمون اضراب عن القسمين
الاخيرين لتحقق القسم الاول ووجه التقسيم ان امتناعهم اما لخلل فيهم او في
الحاكم والثاني اما ان يكون محققا عندهم او متوقعا وكلاهما باطل لان
منصب نبوته وفرط امانته يمنعه فتعين الاول وظلمهم يعم خلل عقيدتهم
وميل نفوسهم الى الحيف والفصل لنفي ذلك عن غيرهم سيما المدعو الى حكمه
انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا
واطعنا واولئك هم المفلحون على عادته تعالى في اتباع ذكر المحق المبطل والتنبيه
على ما ينبغي بعد انكاره لما لا ينبغي وقرئ قول بالرفع ويحكم على البناء للمفعول
واسناده الى ضمير مصدره على معنى ليفعل الحكم ومن يطع الله ورسوله فيما يامرانه
في الفرائض والسنن ويخش الله على ما صدر عنه من الذنوب ويتقه فيما بقي
من عمره وقرأ يعقوب وقالون عن نافع بلا ياء وابو عمرو وابو بكر بسكون الهاء

وحفص

وحفص بسكون القاف فشبه تقه بكتف وخفف فاولئك هم الفائزون بالنعيم
المقيم واقسموا بالله جهد ايمانهم انكار للامتناع عن حكمه لئن امرتهم بالخروج
عن ديارهم واموالهم ليخرجن على الحكاية قل لا تقسموا على الكذب طاعة معروفة
اى المطلوب منكم طاعة معروفة لا اليمين والطاعة النفاقية المنكرة او طاعة
معروفة امثل منها او لتكن طاعة وقرئ بالنصب على اطيعوا طاعة ان الله خبير
بما تعملون فلا يخفى عليه سرائركم قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول امر بتبليغ ما
خاطبهم الله به على الحكاية مبالغة في تبكيتهم فان تولوا فانما عليه على محمد
صلى الله عليه وسلم ما حمل من التبليغ وعليكم ما حملتم من الامتثال وان تطيعوه
في حكمه تهتدوا الى الحق وما على الرسول الا البلاغ المبين التبليغ الموضح لما
كلفتم وقد ادى وانما بقي ما حملتم فان اديتم فلكم وان توليتم فعليكم وعد
الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والامة
او له ولمن معه ومن للبيان ليستخلفنهم في الارض ليجعلنهم خلفاء متصرفين في الارض
تصرف الملوك في ممالكهم وهو جواب قسم مضمر تقديره وعدهم واقسم ليستخلفنهم
او الوعد لتحققه منزلة القسم كما استخلف الذين من قبلهم يعني بني اسرائيل
استخلفهم في مصر والشام بعد الجبابرة وقرأ ابو بكر بضم التاء وكسر اللام واذا
ابتدأ ضم الالف والباقون بفتحهما واذا ابتدؤوا كسروا الالف من الاعلاء وقرأ
ابن كثير وابو بكر بالتخفيف آمنا منهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه
مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ثم هاجروا الى المدينة وكانوا يصبحون في
السلاح ويمسون فيه حتى انجز الله وعده فاظهرهم على العرب كلهم وفتح لهم
بلاد الشرق والغرب وفيه دليل على صحة النبوة بالاخبار عن الغيب على ما هو به
وخلافة الخلفاء الراشدين اذ لم يجتمع الموعود والموعود عليه لغيرهم بالاجماع
وقيل الخوف من العذاب والامن منه في الآخرة يعبدونني حال من الذين لتقييد
الوعد بالثبات على التوحيد او استئناف ببيان المقتضي للاستخلاف والامن

وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم
وهو الاسلام بالتقوية والتثبيت
وليبدلنهم من بعد خوفهم

لا يشركون بي شيئا حال من الواو اى يعبدوننى غير مشركين ومن كفر ومن ارتد او كفر
هذه النعمة بعد ذلك بعد الوعد او حصول الخلافة فاولئك هم الفاسقون
الكاملون في فسقهم حيث ارتدوا بعد وضوح مثل هذه الايات او كفروا تلك
النعمة العظيمة واقيموا الصلوة واتوا الزكوة واطيعوا الرسول في سائر ما امركم
به ولا يبعد عطف ذلك على اطيعوا الله فان الفاصل وعد على المامور به
فيكون تكرير الامر بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم للتاكيد وتعليق الرحمة بها
او بالمدرجة هي فيه بقوله لعلكم ترحمون كما علق به الهدى لا تحسبن الذين
كفروا معجزين في الارض لا تحسبن يا محمد الكفار معجزين الله عن ادراكهم واهلاكهم
وفي الارض صلة معجزين وقرا ابن عامر وحمزة بالياء على ان الضمير فيه لمحمد صلى الله
عليه وسلم والمعنى كما هو في القراءة بالتاء او الذين كفروا فاعل والمعنى لا يحسبن
الكفار في الارض احدا معجز الله فيكون معجزين في الارض مفعوليه او ولا يحسبونهم
معجزين فحذف المفعول الاول لان الفاعل والمفعولين لشيء واحد فاكتفى بذكر
اثنين عن الثالث وقرا ابن عامر وحمزة بالياء وهو كالاول في الاحتمالات ومأويهم
النار عطف عليه من حيث المعنى كانه قيل الذين كفروا ليسوا معجزين ومأويهم
النار لان المقصود من النهي عن الحسبان تحقيق نفي الاعجاز ولبئس المصير
المأوى التي يصيرون اليها يا ايها الذين آمنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم
رجوع الى تتمة الاحكام السالفة بعد الفراغ عن الالهيات الدالة على وجوب
الطاعة فيما سلف من الاحكام وغيرها والوعد عليها والوعيد على الاعراض
عنها والمراد به خطاب الرجال والنساء غلب فيه الرجال لما روي ان غلام
اسماء بنت مرثد دخل عليها في وقت كرهته فنزلت وقيل ارسل رسول الله صلى
الله عليه وسلم مدلج بن عمرو الانصاري وكان غلاما وقت الظهيرة ليدعو عمر
فدخل وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر لوددت ان الله عز وجل نهى
اباءنا وابناءنا وخدمنا ان لا يدخلوا هذه الساعات علينا الا باذن ثم

انطلق

انطلق معه الى النبي صلى الله عليه وسلم فوجده وقد انزلت عليه هذه الاية
والذين لم يبلغوا الحلم منكم والصبيان الذين لم يبلغوا من الاحرار فعبر عن البلوغ
بالاحتلام لانه اقوى دلائله ثلث مرات في اليوم والليلة مرة من قبل صلوة
الفجر لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ثياب النوم ولبس ثياب اليقظة
ومحلها النصب بدلا من ثلث مرات او الرفع خبر المحذوف اى هي من قبل صلوة الفجر
وحين تضعون ثيابكم اى ثياب اليقظة للقيلولة من الظهيرة بيان للحين ومن بعد صلوة
العشاء لانه وقت التجرد عن اللباس والالتحاف باللحاف ثلث عورات لكم
اى هي ثلث اوقات يختل فيها تستركم ويجوز ان يكون مبتدا وخبره ما بعده
واصل العورة الخلل ومنها اعور المكان ورجل اعور وقرا حمزة والكسائي وابوبكر
بالنصب بدلا من ثلث مرات ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن بعد هذه الاوقات
في ترك الاستيذان وليس فيه ما ينافي اية الاستيذان فينسخها لانه في الصبيان
ومماليك المدخول عليه وتلك في الاحرار البالغين طوافون عليكم اى هم طوافون
عليكم استيناف ببيان العذر المرخص في ترك الاستيذان وهو المخالطة وكثرة
المداخلة وفيه دليل على تعليل الاحكام وكذا في الفرق بين الاوقات الثلثة
وغيرها بانها عورات بعضكم على بعض بعضكم طائف على بعض او يطوف بعضكم
على بعض كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله لكم الايات اى الاحكام والله
عليم باحوالكم حكيم فيما شرع لكم واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستاذنوا
كما استاذن الذين من قبلهم الذين بلغوا من قبلهم في الاوقات كلها واستدل به
من اوجب استيذان العبد البالغ على سيدته وجوابه ان المراد بهم المعهودون
الذين جعلوا قسيما للمماليك فلا يندرجون فيهم كذلك يبين الله لكم اياته
والله عليم حكيم كرره تاكيدا ومبالغة في الامر بالاستيذان والقواعد
من النساء العجائز اللاتي قعدن عن الحيض والحمل اللاتي لا يرجون نكاحا لا يطمعن
فيه لكبرهن فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن اى الثياب الظاهرة كالجلباب

والفاء فيه لان اللام في القواعد بمعنى اللاتي او لوصفها بها غير متبرجات
بزينة غير مظهرات زينة مما امرن باخفائه في قوله ولا يبدين زينتهن واصل
التبرج التكلف في اظهار ما يخفى من قولهم سفينة بارجة لا غطاء عليها والبرج
سعة العين بحيث يرى بياضها محيطا بسوادها كله لا يغيب منه شيء الا انه خص
بكشف المرأة زينتها ومحاسنها للرجال وان يستعففن خير لهن من الوضع لانه
ابعد من التهمة والله سميع لمقالتهن للرجال عليم بمقصودهن ليس على الاعمى حرج
ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج نفي لما كانوا يتحرجون من مؤاكلة
الاصحاء حذرا من استقذارهم او اكلهم من بيت من يدفع اليهم المفتاح ويبيح
لهم التبسط فيه اذا خرج الى الغزو وخلفهم على المنازل مخافة ان لا يكون ذلك
من طيبة قلب او من اجابة من يدعوهم الى بيوت آبائهم او اولادهم واقاربهم
فيطعمونهم كراهة ان يكونوا كلا عليهم وهذا انما يكون اذا علم رضا صاحب
البيت باذن او قرينة او كان في اول الاسلام ثم نسخ بنحو قوله تعالى لا تدخلوا
بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام وقيل نفي الحرج عنهم في القعود عن الجهاد
وهو لا يلائم ما قبله وما بعده ولا على انفسكم ان تأكلوا من بيوتكم من البيوت
التي فيها ازواجكم وعيالكم فيدخل فيها بيوت الاولاد لان بيت الولد
كبيته لقوله صلى الله عليه وسلم انت ومالك لابيك وقوله ان اطيب ما يأكل
المرء من كسبه وان ولده من كسبه او بيوت آبائكم او بيوت امهاتكم او بيوت اخوانكم
او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت
خالاتكم او ما ملكتم مفاتحه وهو ما يكون تحت ايديكم وتصرفكم من ضيعة او
ماشية وكالة او حفظا وقيل بيوت المماليك والمفاتح جمع مفتح وهو ما يفتح به
وقرئ مفتاحه او صديقكم او بيوت صديقكم فانهم ارضى بالتبسط في اموالهم
واسر به وهو يقع على الواحد والجمع كالخليط هذا كله انما يكون اذا علم رضا
صاحب البيت باذن او قرينة ولذلك خصص هؤلاء فانه يعتاد التبسط بينهم

اوكان

او كان في اول الاسلام فنسخ فلا احتجاج للحنفية به على ان لا قطع بسرقة مال
المحرم ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعا او اشتاتا مجتمعين او متفرقين نزلت في
بني ليث بن عمرو من كنانة كانوا يتحرجون ان يأكل الرجل وحده او في قوم من
الانصار اذا نزل بهم ضيف لا يأكلون الا معه او في قوم تحرجوا عن الاجتماع
على الطعام لاختلاف الطبائع في القزازة والنهمة فاذا دخلتم بيوتا من هذه
البيوت فسلموا على انفسكم على اهلها الذين هم منكم دينا وقرابة تحية من عند الله
ثابتة بامره مشروعة من لدنه ويجوز ان يكون صلة للتحية فانه طلب الحيوة وهي من
عنده وانتصابها بالمصدر لانها بمعنى التسليم مباركة لانها يرجى بها زيادة الخير
والثواب طيبة تطيب بها نفس المستمع وعن انس انه صلى الله عليه وسلم قال متى لقيت
احدا من امتي فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك
وصل صلوة الضحى فانها صلوة الابرار الاوابين كذلك يبين الله لكم الآيات
كرره ثلاثا لمزيد التأكيد وتفخيم الاحكام المختتمة به وفصل الاولين بما هو
المقتضي لذلك وهذا بما هو المقصود منه فقال لعلكم تعقلون اي الحق والخير
في الامور انما المؤمنون اي الكاملون في الايمان الذين آمنوا بالله ورسوله
من صميم قلوبهم واذا كانوا معه على امر جامع كالجمعة والاعياد والحروب
والمشاورة في الامور ووصف الامر بالجمع للمبالغة وقرئ امر جميع لم يذهبوا
حتى يستأذنوه يستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير اذنه ولذلك
اعاده مؤكدا على اسلوب ابلغ فقال ان الذين يستأذنونك اولئك الذين
يؤمنون بالله ورسوله فانه يفيد ان المستأذن مؤمن لا محالة وان الذاهب
بغير اذن ليس كذلك فاذا استأذنوك لبعض شأنهم ما يعرض لهم من المهام
وفيه ايضا مبالغة وتضييق للامر فأذن لمن شئت منهم تفويض للامر الى الرسول
صلى الله عليه وسلم واستدل به على ان بعض الاحكام مفوضة الى رأيه ومن
منع ذلك قيد المشيئة بان تكون تابعة لعلمه بصدقهم فكان المعنى فأذن لمن علمت

ان كان عذر او استغفر لهم الله بعد الاذن فان الاستيذان ولو لعذر قصور
لانه تقديم لامر الدنيا على امر الدين ان الله غفور لفرطات العباد رحيم
بالتيسير عليهم لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا لا تقيسوا
دعاءه اياكم على دعاء بعضكم بعضا في جواز الاعراض والمساهلة في الاجابة
والرجوع بغير اذن فان المبادرة الى اجابته واجبة والمراجعة بغير اذنه محرمة
وقيل لا تجعلوا نداءه وتسميته كنداء بعضكم بعضا باسمه ورفع الصوت
به والنداء وراء الحجرة ولكن بلقبه المعظم مثل يا نبي الله ويا رسول الله مع التوقير
والتواضع وخفض الصوت او لا تجعلوا دعاءه عليكم كدعاء بعضكم على بعض
فلا تبالوا بسخطه فان دعاءه موجب او لا تجعلوا دعاءه ربه كدعاء صغيركم
كبيركم يجيبه مرة ويرده اخرى فان دعاءه مستجاب قد يعلم الله الذين يتسللون
منكم يتسللون قليلا قليلا من الجماعة ونظير تسلل تدرج وتدخل لواذا
ملاوذة بان يستتر بعضهم ببعض حتى يخرج او يلوذ بمن يؤذن له فينطلق معه
كانه تابعه وانتصابه على الحال وقرئ بالفتح فليحذر الذين يخالفون
عن امره يخالفون امره بترك مقتضاه ويذهبون سمتا خلاف سمته وعن
لتضمنه معنى الاعراض او يصدون عن امره دون المؤمنين من خالفه عن الامر اذا
صد عنه دونه وحذف المفعول لان المقصود بيان المخالف والمخالف عنه والضمير
لله فان الامر له في الحقيقة او للرسول فانه المقصود بالذكر ان تصيبهم فتنة
محنة في الدنيا او يصيبهم عذاب اليم في الاخرة واستدل به على ان الامر
للوجوب فانه يدل على ان ترك مقتضى الامر مقتض لاحد العذابين فان الامر
بالحذر عنه يدل على حسنه المشروط بقيام المقتضي له وذلك يستلزم
الوجوب الا ان لله ما في السموات والارض قد يعلم ما انتم عليه ايها
المكلفون من المخالفة والموافقة والنفاق والاخلاص وانما اكد علمه بقد
لتاكيد الوعيد ويوم يرجعون اليه يوم يرجع المنافقون اليه للجزاء

ويجوز

ويجوز ان يكون الخطاب ايضا مخصوصا بهم على طريق الالتفات فينبئهم بما عملوا
من سوء الاعمال بالتوبيخ والمجازاة عليه والله بكل شيء عليم لا يخفى عليه
خافية عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النور اعطي
من الاجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي

سورة الفرقان مكية وآيها سبع وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذي نزل الفرقان على عبده تكاثر خيره
من البركة وهي كثرة الخير او تزايد عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته وافعاله
فان البركة تتضمن معنى الزيادة وترتيبه على انزال الفرقان لما فيه من كثرة الخير
او لدلالته على تعاليه وقيل دام من بروك الطير على الماء ومنه البركة لدوام
الماء فيها وهو لا يتصرف فيه ولا يستعمل الا في الله تعالى والفرقان مصدر
فرق بين الشيئين اذا فصل بينهما سمي به القرآن لفصله بين الحق والباطل بتقريره
او المحق والمبطل باعجازه او لكونه مفصولا بعضه عن بعض في الانزال وقرئ
على عباده وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وامته كقوله لقد انزلنا اليكم
او الانبياء على ان الفرقان اسم جنس للكتب السماوية ليكون العبد او الفرقان
للعالمين نذيرا للجن والانس منذرا او انذارا كالنكير بمعنى الانكار وهذه الجملة
وان لم تكن معلومة لكنها لقوة دليلها اجريت مجرى المعلوم وجعلت صلة الذي
له ملك السموات والارض بدل من الاول او مدح مرفوع او منصوب ولم
يتخذ ولدا كزعم النصارى ولم يكن له شريك في الملك كقول الثنوية اثبت
له الملك مطلقا ونفى ما يقوم مقامه وما يقاومه فيه ثم نبه على ما يدل عليه
فقال وخلق كل شيء احدثه احداثا مراعى فيه التقدير حسب ارادته كخلقه الانسان
من مواد مخصوصة وصور واشكال معينة فقدره تقديرا فقدره وهيأه لما
اراد منه من الخصائص والافعال كتهيئة الانسان للادراك والفهم والنظر

والتدبير واستنباط الصنائع المتنوعة ومزاولة الاعمال المختلفة الى غير
ذلك او فقدره للبقاء الى اجل مسمى وقد يطلق الخلق لمجرد الايجاد من غير
نظر الى وجه الاشتقاق فيكون المعنى واوجد كل شىء فقدره فى ايجاده حتى لا يكون
متفاوتا واتخذوا من دونه الهة لما تضمن الكلام اثبات التوحيد والنبوة
اخذ فى الرد على المخالفين فيهما لا يخلقون شيئا وهم يخلقون لان عبدتهم
ينحتونهم ويصورونهم ولا يملكون ولا يستطيعون لانفسهم ضرا دفع ضر
ولا نفعا ولا جلب نفع ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا نشورا ولا يملكون
اماتة احد واحياءه اولا وبعثه ثانيا ومن كان كذلك فبمعزل عن الالوهية
لعرائه عن لوازمها واتصافه بما ينافيها وفيه تنبيه على ان الاله يجب ان يكون
قادرا على البعث والجزاء وقال الذين كفروا ان هذا الا افك كذب مصروف
عن وجهه افتريه اختلقه واعانه عليه قوم اخرون اى اليهود فانهم يلقون
اليه اخبار الامم وهو يعبر عنه بعبارته وقيل جبر ويسار وعداس
وقد سبق فى قوله انما يعلمه بشر فقد جاؤا ظلما بجعل الكلام المعجز افكا مختلقا
متلقفا من اليهود وزورا بنسبة ما هو برى منه اليه واتى وجاء يطلقان
بمعنى فعل فيعديان تعديته وقالوا اساطير الاولين ما سطره المتقدمون
اكتتبها كتبها لنفسه او استكتبها وقرئ على البناء للمفعول لانه امى واصله
اكتتبها كاتب له فحذف اللام وافضى الفعل الى الضمير فصار اكتتبها اياه كاتب
ثم حذف الفاعل وبنى الفعل للضمير فاستتر فيه فهى تملى عليه بكرة واصيلا
ليحفظها فانه امى لا يقدر ان يكرر من الكتاب او لتكتب قل انزله الذى يعلم السر
فى السموات والارض لانه اعجزكم عن اخركم بفصاحته وتضمن اخبارا عن مغيبات
مستقبلة واشياء مكنونة لا يعلمها الا عالم الاسرار فكيف تجعلونه اساطير
الاولين انه كان غفورا رحيما فلذلك لا يعجل فى عقوبتكم على ما تقولون
مع كمال قدرته عليها واستحقاقكم ان يصب عليكم وقالوا ما لهذا الرسول

مالهذا

ما لهذا الذى يزعم الرسالة وفيه استهانة وتهكم ياكل الطعام كما ناكل
ويمشى فى الاسواق لطلب المعاش كما نمشى والمعنى ان صح دعواه فما باله لم يخالف
حاله حالنا وذلك لعمههم وقصور نظرهم على المحسوسات فان تميز الرسل عمن
عداهم ليس بامور جسمانية وانما هو باحوال نفسانية كما اشار اليه بقوله
تعالى انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد لولا انزل اليه ملك
فيكون معه نذيرا ليعلم صدقه بتصديق الملك او يلقى اليه كنز فيستظهر به ويستغنى
عن تحصيل المعاش او تكون له جنة ياكل منها هذا على سبيل التنزل اى ان لم يلق
اليه كنز فلا اقل ان يكون له بستان كما للدهاقين والمياسير فيتعيش بريعه وقرأ
حمزة والكسائى بالنون وقال الظالمون وضع الظالمين موضع ضميرهم تسجيلا عليهم
بالظلم فيما قالوه ان تتبعون ما تتبعون الا رجلا مسحورا سحر فغلب على عقله
وقيل ذا سحر وهو الرئة اى بشرا لا ملكا انظر كيف ضربوا لك الامثال اى قالوا
فيك الاقوال الشاذة واخترعوا لك الاحوال النادرة فضلوا عن الطريق
الموصل الى معرفة خواص النبى والمميز بينه وبين المتنبى فخبطوا خبط عشواء
فلا يستطيعون سبيلا الى القدح فى نبوتك او الى الرشد والهدى تبارك
الذى ان شاء جعل لك فى الدنيا خيرا من ذلك مما قالوه ولكن اخره الى الاخرة
لانه خير وابقى جنات تجرى من تحتها الانهار بدل من خيرا ويجعل لك قصورا
عطف على محل الجزاء وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو بكر بالرفع لان الشرط اذا
كان ماضيا جاز فى جزائه الجزم والرفع كقوله وان اتاه خليل يوم مسغبة
يقول لا غائب مالى ولا حرم ويجوز ان يكون استينافا بوعد ما يكون له فى
الاخرة وقرئ بالنصب على انه جواب بالواو بل كذبوا بالساعة فقصرت انظارهم
على الحطام الدنيوية وظنوا ان الكرامة انما هى بالمال وطعنوا فيك لفقرك
او فلذلك كذبوك لا لما تمحلوا من المطاعن الفاسدة او فكيف يلتفتون
الى هذا الجواب ويصدقونك بما وعد الله لك فى الاخرة او فلا تعجب من تكذيبهم

ایاك فانه اعجب منه واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا نارا شديدة الاستعال
وقيل هو اسم لجهنم فيكون صرفه باعتبار المكان اذا رأتهم اذا كانت بمرأى
منهم كقوله صلى الله عليه وسلم لا ترائى ناراهما اى لا تتقاربان بحيث تكون
احديهما بمرأى من الاخرى على المجاز والتأنيث لانه بمعنى النار او جهنم من
مكان بعيد هو اقصى ما يمكن ان يرى منه سمعوا لها تغيظا وزفيرا صوت
تغيظ شبه صوت غليانها بصوت المغتاظ وزفيره وهو صوت يسمع من جوفه
هذا وان الحيوة لما لم تكن مشروطة عندنا بالبنية امكن ان يخلق الله فيها حيوة فترى
وتتغيظ وتزفر وقيل ان ذلك لزبانيتها فنسب اليها على حذف المضاف
واذا القوا منها مكانا في مكان ومنها بيان تقدم فصار حالا ضيقا لزيادة
العذاب فان الكرب مع الضيق والروح مع السعة ولذلك وصف الجنة
بان عرضها كعرض السموات والارض مقرنين قرنت ايديهم الى اعناقهم بالسلاسل
دعوا هنالك في ذلك المكان ثبورا هلاكا اى يتمنون الهلاك وينادونه
فيقولون يا ثبوراه تعال فهذا حينك لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا اى يقال
لهم ذلك وادعوا ثبورا كثيرا لان عذابكم انواع كثيرة كل نوع منها
ثبور لشدته او لانه يتجدد لقوله تعالى كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا
غيرها ليذوقوا العذاب او لانه لا ينقطع فهو في كل وقت ثبور قل اذلك
خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون الاشارة الى العذاب والاستفهام
والتفضيل والترديد للتقريع مع التهكم او الى الكنز والجنة والراجع الى
الموصول محذوف واضافة الجنة الى الخلد للمدح او الدلالة على خلودها
او التمييز عن جنات الدنيا كانت لهم في علم الله او اللوح او لان ما وعده الله
تعالى في تحققه كالواقع جزاء على اعمالهم بالوعد ومصيرا ينقلبون اليه ولا
يمنع كونها جزاء لهم ان يتفضل بها ما يشاؤنه من النعيم ولعله تقصر همم
كل طائفة على ما يليق برتبته اذ الظاهر ان الناقص لا يدرك شأو الكامل

على غيرهم برضاهم مع جواز
ان يراد بالمتقين من يتقي الكفر
والتكذيب لانهم في مقابلتهم
لهم فيها ما يشاؤن

بالمنتهى

بالمنتهى وفيه تنبيه على ان كل المرادات لا تحصل الا في الجنة خالدين حال من
احد ضمائرهم كان على ربك وعدا مسؤلا الضمير في كان لما يشاؤن والوعد بمعنى الموعود
اى كان ذلك موعودا حقيقا بان يسأل ويطلب او مسؤلا سأله الناس في
دعائهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك او الملائكة بقولهم ربنا وادخلهم
جنات عدن وما في على من معنى الوجوب لامتناع الخلف في وعده ولا يلزم
منه الالجاء الى الانجاز فان تعلق الارادة بالموعود مقدم على الوعد الموجب
للانجاز ويوم يحشرهم للجزاء وقرئ بكسر الشين وقرأ ابن كثير ويعقوب وحفص
بالياء وما يعبدون من دون الله يعم كل معبود سواه واستعمال ما لان وضعه
اعم ولذلك يطلق لكل شبح يرى ولا يعرف او لانه اريد به الوصف كانه
قيل ومعبوديهم او لتغليب الاصنام تحقيرا او اعتبارا لغلبة عبادها او يخص
الملائكة وعزيرا والمسيح بقرينة السؤال والجواب او الاصنام ينطقها الله
او تتكلم بلسان الحال كما قيل في كلام الايدي والارجل فيقول اى للمعبودين
وهو على تلوين الخطاب وقرأ ابن عامر بالنون أأنتم اضللتم عبادي هؤلاء
ام هم ضلوا السبيل لاخلالهم بالنظر الصحيح واعراضهم عن المرشد النصيح وهو
استفهام تقريع وتبكيت للعبدة واصله أأضللتم ام ضلوا فغير النظم ليلي حرف
الاستفهام المقصود بالسؤال وهو المتولي للفعل دونه لانه لا شبهة فيه والا
لما توجه العتاب وحذف صلة ضل للمبالغة قالوا سبحانك تعجبا مما قيل لهم
لانهم اما ملائكة او انبياء معصومون او جمادات لا تقدر على شيء او اشعارا
بانهم الموسومون بتسبيحه وتوحيده فكيف يليق بهم اضلال عبيده او تنزيها
لله عن الانداد ما كان ينبغي لنا ما يصح لنا ان نتخذ من دونك من اولياء للعصمة
او لعدم القدرة فكيف يصح لنا ان ندعو غيرنا ان يتولى احدا دونك وقرئ
نتخذ بالبناء للمفعول من اتخذ الذي له مفعولان كقوله تعالى واتخذ الله ابراهيم
خليلا ومفعوله الثاني من اولياء ومن للتبعيض وعلى الاول مزيدة لتأكيد

النعمى ولكن متعتهم وآباءهم بأنواع النعم فاستغرقوا في الشهوات حتى نسوا الذكر حتى
غفلوا عن ذكرك أو التذكر لآلائك والتدبر في آياتك وهو نسبة للضلال إليهم
من حيث إنه بكسبهم وإسناد له إلى ما فعل الله بهم فحملهم عليه وهو عين ما ذهبنا
إليه فلا ينتهض حجة علينا للمعتزلة وكانوا في قضائك قوماً بوراً هالكين
مصدر وصف به ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع أو جمع بائر كعائذ وعوذ
فقد كذبوكم التفات إلى العبدة بالاحتجاج والإلزام على حذف القول والمعنى
فقد كذبكم المعبودون بما تقولون في قولكم إنهم آلهة أو هؤلاء أضلونا والباء
بمعنى في أو مع المجرور بدل من الضمير وعن ابن كثير بالياء أي كذبوكم بقولهم سبحانك
ما كان ينبغي لنا فما يستطيعون أي المعبودون وقرأ حفص بالتاء على خطاب العابدين
صرفاً دفعاً للعذاب عنكم وقيل حيلة من قولهم إنه ليتصرف أي يحتال ولا نصراً
فيعينكم عليه ومن يظلم منكم أيها المكلفون نذقه عذاباً كبيراً هي النار والشرط
وإن عم كل من كفر أو فسق لكنه في اقتضاء الجزاء مقيد بعدم المزاحم وفاقاً وهو
التوبة والإحباط بالطاعة إجماعاً وبالعفو عندنا وما أرسلنا قبلك من
المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق أي إلا رسلاً إنهم فحذف
الموصوف لدلالة المرسلين عليه وأقيمت الصفة مقامه كقوله وما منا إلا
له مقام معلوم ويجوز أن يكون حالاً اكتفي فيها بالضمير وهو جواب لقولهم
ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق وقرئ يمشون أي تمشيهم
حوائجهم أو الناس وجعلنا بعضكم أيها الناس لبعض فتنة ابتلاء ومن ذلك
ابتلاء الفقراء بالأغنياء والمرسلين بالمرسل إليهم ومناصبتهم لهم العداوة
وإيذائهم لهم وهو تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما قالوه بعد نقضه
وفيه دليل على القضاء والقدر أتصبرون علة للجعل والمعنى وجعلنا
بعضكم لبعض فتنة لنعلم أيكم يصبر ونظيره قوله ليبلوكم أيكم أحسن عملاً أو
حث على الصبر على ما افتتنوا به وكان ربك بصيراً بمن يصبر أو بالصواب

فيما

فيما يبتلي به وغيره وقال الذين لا يرجون لا يأملون لقاءنا بالخير لكفرهم
بالبعث أو لا يخافون لقاءنا بالشر على لغة تهامة وأصل اللقاء الوصول إلى
الشيء ومنه الرؤية فإنه وصول إلى المرئي والمراد به الوصول إلى جزائه ويمكن أن
يراد به الرؤية على الأول لولا هلا أنزل علينا الملائكة فيخبرونا بصدق محمد
صلى الله عليه وسلم وقيل فيكونون رسلاً إلينا أو نرى ربنا فيأمرنا بتصديقه
واتباعه لقد استكبروا في أنفسهم أي في شأنها حتى أرادوا لها ما يتفق للأفراد
من الأنبياء الذين هم أكمل خلق الله في أكمل أوقاتهم وما هو أعظم من ذلك وعتوا
وتجاوزوا الحد في الظلم عتواً كبيراً بالغاً أقصى مراتبه حيث عاينوا المعجزات
القاهرة وأعرضوا عنها واقترحوا لأنفسهم الخبيثة ما سدت دونه مطامح النفوس
القدسية واللام جواب قسم محذوف وفي الاستئناف بالجملة حسن وإشعار
بالتعجب من استكبارهم وعتوهم كقوله وجارة جساس أبأنا بنابها
كليباً غلت ناب كليب بواؤها يوم يرون الملائكة ملائكة الموت أو العذاب
ويوم نصب باذكر أو بما دل عليه لا بشرى يومئذ للمجرمين فإنه بمعنى يمنعون
البشرى أو يعدمونها ويومئذ تكرير أو خبر وللمجرمين تبيين أو خبر ثان أو
ظرف لما يتعلق به اللام أو لبشرى إن قدرت منونة غير مبنية مع لا فإنها
لا تعمل وللمجرمين إما عام يتناولهم حكمه من طريق البرهان ولا يلزم من نفي
البشرى لعامة المجرمين حينئذ نفي البشرى بالعفو والشفاعة في وقت آخر وإما
خاص وضع موضع ضميرهم تسجيلاً على جرمهم وإشعاراً بما هو المانع للبشرى
والموجب لما يقابلها ويقولون حجراً محجوراً عطف على المدلول أي ويقول
الكفرة حينئذ هذه الكلمة استعاذة وطلباً من الله أن يمنع لقاءهم وهي مما كانوا
يقولون عند لقاء عدو أو هجوم مكروه أو يقولها الملائكة بمعنى حراماً
محرماً عليكم الجنة أو البشرى وقرئ حجراً بالضم وأصله الفتح غير أنه لما اختص
بموضع مخصوص كقعدك وعمرك ولذلك لا يتصرف فيه ولا يظهر ناصبه ووصفه

محجوراً للتأكيد كقولهم موت مائت وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء
منثورا اى وعمدنا الى ما عملوا فى كفرهم من المكارم كقرى الضيف وصلة الرحم
واغاثة الملهوف فاحبطناه لفقد ما هو شرط وهو تشبيه حالهم واعمالهم بحال
قوم استعصوا سلطانهم فقدم الى اشيائهم فمزقها وابطلها ولم يبق لها اثر والهباء
غبار يرى فى شعاع الشمس يطلع من الكوة من الهبوة وهى الغبار ومنثورا صفته
شبه به عملهم المحبط فى حقارته وعدم نفعه ثم بالمنثور منه فى انتشاره بحيث
لا يمكن نظمه او تفرقه نحو اغراضهم التى كانوا يتوجهون به نحوها او مفعول
ثالث من حيث انه كالخبر بعد الخبر كقوله كونوا قردة خاسئين اصحاب الجنة يومئذ
خير مستقرا مكانا يستقر فيه فى اكثر الاوقات للتجالس والتحادث واحسن
مقيلا مكانا يؤوى اليه للاسترواح بالازواج والتمتع بهن تجوزا له من
مكان القيلولة على التشبيه او لانه لا يخلو من ذلك غالبا اذ لا نوم فى الجنة
وفى احسن رمز الى ما تتزين به مقيلهم من حسن الصور وغيره من التحاسين ويحتمل
ان يراد باحدهما المصدر او الزمان اشارة الى ان مكانهم وزمانهم اطيب ما
يتخيل من الامكنة والازمان والتفضيل اما لارادة الزيادة مطلقا او بالاضافة
الى ما للمترفين فى الدنيا روى انه يفرغ من الحساب فى نصف ذلك اليوم
فيقيل اهل الجنة فى الجنة واهل النار فى النار ويوم تشقق السماء اصله
تتشقق فحذفت التاء وادغمها ابن كثير ونافع وابن عامر ويعقوب بالغمام
بسبب طلوع الغمام منها وهو الغمام المذكور فى قوله هل ينظرون الا ان
ياتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة ونزل الملائكة تنزيلا فى ذلك الغمام
بصحايف اعمال العباد وقرا ابن كثير وننزل وقرئ ونزلت وانزل ونزل
ونزل الملائكة ونزل الملائكة بحذف نون الكلمة الملك يومئذ الحق للرحمن
الثابت له لان كل ملك يبطل يومئذ ولا يبقى الا ملكه فهو الخبر وللرحمن
صلة او تبيين ويومئذ معمول الملك لا الحق لانه متاخر او صفة والخبر يومئذ

او للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا شديدا ويوم يعض الظالم
على يديه من فرط الحسرة وعض اليدين واكل البنان وحرق الاسنان ونحوها
كنايات عن الغيظ والحسرة لانها من روادفها والمراد بالظالم الجنس وقيل عقبة
ابن ابى معيط كان يكثر مجالسة النبى صلى الله عليه وسلم فدعاه الى ضيافة فابى
ان ياكل طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان ابى بن خلف صديقه فعاتبه
فقال صبات فقال لا ولكن آلى ان لا ياكل من طعامى وهو فى بيتى فاستحييت
منه فشهدت له فقال لا ارضى منك الا ان تاتيه فتطا قفاه وتبزق فى وجهه
فوجده ساجدا فى دار الندوة ففعل ذلك فقال صلى الله عليه وسلم لا القاك
خارجا من مكة الا علوت راسك بالسيف فاسر يوم بدر فامر عليا رضى الله عنه
بقتله وطعن ابيا باحد فى المبارزة فرجع الى مكة ومات يقول يا ليتنى اتخذت
مع الرسول سبيلا طريقا الى النجاة او طريقا واحدا وهو طريق الحق ولم يتشعب
فى طرق الضلالة يا ويلتى وقرئ بالياء على الاصل ليتنى لم اتخذ فلانا خليلا
يعنى من اضله وفلان كناية عن الاعلام كما ان هنا كناية عن الاجناس لقد
اضلنى عن الذكر عن ذكر الله او كتابه او موعظة الرسول او كلمة الشهادة بعد
اذ جاءنى وتمكنت منه وكان الشيطان يعنى الخليل المضل او ابليس لانه حمله على
مخالته ومخالفة الرسول او كل من تشيطن من جن او انس للانسان خذولا يواليه
حتى يؤديه الى الهلاك ثم يتركه ولا ينفعه فعول من الخذلان وقال الرسول
محمد صلى الله عليه وسلم يومئذ او فى الدنيا بثا الى الله يا رب ان قومى قريشا
اتخذوا هذا القرآن مهجورا بان تركوه وصدوا عنه وعنه صلى الله عليه وسلم
من تعلم القرآن وعلق مصحفه لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيمة متعلقا به
يقول يا رب عبدك هذا اتخذنى مهجورا اقض بينى وبينه او هجروا ولغوا فيه
اذا سمعوه او زعموا انه هجر واساطير الاولين فيكون اصله مهجورا فيه فحذف
الجار ويجوز ان يكون بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول وفيه تخويف لقومه لان الا

اذا شكوا الى الله تعالى قومهم عجل لهم العذاب وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا
من المجرمين كما جعلناه لك فاصبر كما صبروا وفيه دليل على انه خالق الشر والعدو يحتمل
الواحد والجمع وكفى بربك هاديا الى طريق قهرهم ونصيرا لك عليهم وقال الذين
كفروا لولا نزل عليه القرآن اي انزل عليه كخبر بمعنى اخبر لئلا يناقض قوله
جملة واحدة كالكتب الثلثة وهو اعتراض لا طائل تحته لان الاعجاز لا يختلف
بنزوله جملة او مفرقا مع ان للتفريق فوائد منها ما اشار اليه بقوله كذلك لنثبت
به فؤادك اي كذلك انزلناه مفرقا لنقوي بتفريقه فؤادك على حفظه وفهمه
لان حاله يخالف حال موسى وداود وعيسى حيث كان اميا وكانوا يكتبون
فلو القي اليه جملة لتعيا بحفظه ولعله لم يستتب له فان التلقف لا يتأتى الا شيئا
فشيئا ولان نزوله بحسب الوقائع يوجب مزيد بصيرة وغوص في المعنى ولانه اذا
نزل منجما وهو يتحدى بكل نجم فيعجزون عن معارضته زاد ذلك قوة قلبه ولانه
اذا نزل به جبرئيل حالا بعد حال يثبت به فؤاده ومنها معرفة الناسخ والمنسوخ
ومنها انضمام القرائن الحالية الى الدلالات اللفظية فانه يعين على البلاغة وكذلك
صفة مصدر محذوف والاشارة الى انزاله مفرقا فانه مدلول عليه بقوله
لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة ويحتمل ان يكون من تمام كلام الكفرة ولذلك
وقف عليه فيكون حالا والاشارة الى الكتب السابقة واللام على الوجهين متعلق
بمحذوف ورتلناه ترتيلا وقرأناه عليك شيئا بعد شيء على تؤدة وتمهل في عشرين سنة
او ثلث وعشرين واصل الترتيل في الاسنان وهو تفليجها ولا يأتونك بمثل
سؤال عجيب كانه مثل في البطلان يريدون به القدح في نبوتك الا جئناك
بالحق الدافع له في جوابه واحسن تفسيرا وبما هو احسن بيانا او معنى من سؤالهم
او لا يأتونك بحال عجيبة يقولون هلا كانت هذه حاله الا اعطيناك من
الاحوال ما يحق لك في حكمتنا وما هو احسن كشفا لما بعثت له الذين يحشرون على
وجوههم الى جهنم اي مقلوبين او مسحوبين اليها او متعلقة قلوبهم بالسفليات

مشتهية وجوههم اليها وعنه صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيمة
على ثلثة اصناف صنف على الدواب وصنف على الاقدام وصنف على الوجوه
وهو ذم منصوب او مرفوع او مبتدأ خبره اولئك شر مكانا واضل سبيلا
والمفضل عليه هو الرسول صلى الله عليه وسلم على طريقة قوله قل هل انبئكم
بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه كانه قيل ان حاملهم
على هذه الاسولة تحقير مكانه وتضليل سبيله ولا يعلمون حالهم ليعلموا انهم
شر مكانا واضل سبيلا وقيل انه متصل بقوله اصحاب الجنة يومئذ خير
مستقرا ووصف السبيل بالضلال من الاسناد المجازي للمبالغة ولقد آتينا
موسى الكتاب وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا يوازره في الدعوة واعلاء الكلمة
ولا ينافي ذلك مشاركته في النبوة لان المتشاركين في الامر متوازرون عليه
فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا يعني فرعون وقومه فدمرناهم
تدميرا اي فذهبا اليهم فكذبوهما فدمرناهم فاختصر على حاشيتي القصة
اكتفاء بما هو المقصود منها وهو الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير
بتكذيبهم والتعقيب باعتبار الحكم لا الوقوع وقرئ فدمرتهم فدمراهم
فدمرانهم على التأكيد بالنون الثقيلة وقوم نوح لما كذبوا الرسل كذبوا
نوحا ومن قبله او نوحا وحده ولكن تكذيب واحد من الرسل كتكذيب الكل
او بعثة الرسل مطلقا كالبراهمة اغرقناهم بالطوفان وجعلناهم وجعلنا
اغراقهم او قصتهم للناس آية عبرة واعتدنا للظالمين عذابا اليما يحتمل
التعميم والتخصيص فيكون وضعا للظاهر موضع المضمر تظليما لهم وعادا وثمودا
عطف على هم في جعلناهم او على للظالمين لان المعنى ووعدنا الظالمين وقرئ
وثمود على تأويل القبيلة واصحاب الرس قوم كانوا يعبدون الاصنام
فبعث الله اليهم شعيبا فكذبوه فبيناهم حول الرس وهي البئر الغير المطوية فانهارت
فخسفت بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة كان فيها بقايا ثمود

فبعث اليهم نبي فقتلوه فهلكوا او قبل الاخدود وقيل بئر بانطاكية قتلوا فيها
حبيبا النجار وقيل هم اصحاب حنظلة بن صفوان النبي ابتلاهم الله بطير عظيم
كان فيها من كل لون وسموها عنقاء لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي
يقال فتخ او دمخ وتنقض على صبيانهم فتخطفهم اذا اعوزها الصيد ولذلك
سميت مغربا فدعا عليها حنظلة فاصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوه فاهلكوا
وقيل قوم كذبوا نبيهم ورسوه اي دسوه في بئر وقرونا واهل اعصار
قيل القرن اربعون سنة وقيل سبعون وقيل مائة وعشرون بين ذلك
اشارة الى ما ذكر كثيرا لا يعلمها الا الله وكلا ضربنا له الامثال بينا له
القصص العجيبة من قصص الاولين انذارا واعذارا فلما اصروا اهلكوا كما
قال وكلا تبرنا تتبيرا فتتناه تفتيتا ومنه التبر لفتات الذهب والفضة وكلا
الاول منصوب بما دل عليه ضربنا كانذرنا والثاني بتبرنا لانه فارغ ولقد
اتوا يعني قريشا مروا مرارا في متاجرهم الى الشام على القرية التي امطرت
مطر السوء يعني سدوم عظمى قرى قوم لوط امطرت عليها الحجارة افلم يكونوا
يرونها في مرار مرورهم فيتعظون بما يرون فيها من آثار عذاب الله بل كانوا لا يرجون
نشورا بل كانوا كفرة لا يتوقعون نشورا ولا عاقبة فلذلك لم ينظروا
ولم يتعظوا فمروا بها كما مرت ركابهم او لا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون
طمعا في الثواب او لا يخافونه على اللغة التهامية واذا راوك ان
يتخذونك الا هزوا ما يتخذونك الا موضع هزؤ او مهزوا به اهذا الذي
بعث الله رسولا محكي بعد قول مضمر والاشارة للاستحقار واخراج بعث
الله رسولا في معرض التسليم بجعله صلة وهم على غاية الانكار تهكم واستهزاء
ولولاه لقالوا هذا الذي زعم انه بعثه الله رسولا ان كاد انه كاد ليضلنا عن
آلهتنا ليصرفنا عن عبادتها بفرط اجتهاده في الدعاء الى التوحيد وكثرة ما
يورد مما يسبق الى الذهن انها حجج ومعجزات لولا ان صبرنا عليها ثبتنا عليها

واستمسكنا

واستمسكنا بعبادتها ولولا في مثله تقييد للحكم المطلق من حيث المعنى دون
اللفظ وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا كالجواب لقولهم ان كاد
ليضلنا فانه يفيد نفي ما يلزمه ويكون الموجب له وفيه وعيد ودلالة على
انه لا يهملهم وان امهلهم ارأيت من اتخذ الهه هواه بان اطاعه وبنى عليه
دينه لا يسمع حجة ولا يتبصر دليلا وانما قدم المفعول الثاني للعناية به
افانت تكون عليه وكيلا حفيظا تمنعه عن الشرك والمعاصي وحاله هذا فالاستفهام
الاول للتقرير والتعجيب والثاني للانكار ام تحسب بل اتحسب ان اكثرهم يسمعون او
يعقلون فتجدي لهم الآيات والحجج فتهتم بشأنهم وتطمع في ايمانهم وهو اشد مذمة
مما قبله حتى حق بالاضراب عنه اليه وتخصيص الاكثر لانه كان منهم من آمن و
من عقل الحق وكابر استكبارا وخوفا على الرياسة ان هم الا كالانعام
في عدم انتفاعهم بقرع الآيات آذانهم وعدم تدبرهم فيما شاهدوا من الدلائل
والمعجزات بل هم اضل سبيلا من الانعام لانها تنقاد لمن يتعهدها وتميز من يحسن
اليها ممن يسيء اليها وتطلب ما ينفعها وتتجنب ما يضرها وهؤلاء لا ينقادون
لربهم ولا يعرفون احسانه من اساءة الشيطان ولا يطلبون الثواب الذي
هو اعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو اشد المضار ولانها ان لم تعتقد
حقا ولم تكتسب خيرا لم تعتقد باطلا ولم تكتسب شرا بخلاف هؤلاء ولان
جهالتها لا تضر باحد وجهالة هؤلاء تؤدي الى هيج الفتن وصد الناس
عن الحق ولانها غير متمكنة على الكمال فلا تقصير منها ولا ذم وهؤلاء
مقصرون ومستحقون اعظم العقاب على تقصيرهم الم تر الى ربك الم تنظر
الى صنعه كيف مد الظل كيف بسطه او الم تنظر الى الظل كيف مده ربك
فغير النظم اشعارا بانه المعقول من هذا الكلام لوضوح برهانه وهو دلالة
حدوثه وتصرفه على الوجه النافع باسباب ممكنة على ان ذلك فعل الصانع
الحكيم كالمشاهد المرئي فكيف بالمحسوس منه او الم ينته علمك الى ان ربك كيف

مد الظل وهو فيما بين طلوع الفجر والشمس وهو اطيب الاحوال فان الظلمة الخالصة
تنفر الطبع وتسد النظر وشعاع الشمس يسخن الجو ويبهر البصر ولذلك وصف به
الجنة فقال وظل ممدود ولو شاء لجعله ساكنا ثابتا من السكنى او غير متقلص
من السكون بان يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد ثم جعلنا الشمس عليه دليلا
فانه لا يظهر للحس حتى تطلع فيقع ضوءها على بعض الاجرام او لا يوجد ولا يتفاوت
الا بسبب حركتها ثم قبضناه الينا اى ازلناه بايقاع الشعاع موقعه لما عبر عن
احداثه بالمد بمعنى التسيير عبر عن ازالته بالقبض الى نفسه الذى هو فى معنى الكف
قبضا يسيرا قليلا قليلا حسبما ترتفع الشمس لينتظم بذلك مصالح الكون ويتحصل به
ما لا يحصى من منافع الخلق وثم فى الموضعين لتفاضل الامور او لتفاضل مبادى
اوقات ظهورها وقيل مد الظل لما بنى السماء بلا نير ودحى الارض تحتها
فالقت عليها ظلها ولو شاء لجعله ثابتا على تلك الحال ثم خلق الشمس عليه دليلا
اى مسلطا عليه مستتبعا اياه كما يستتبع الدليل المدلول او دليل الطريق من
يهديه فانه يتفاوت بحركتها ويتحول بتحولها ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا شيئا
فشيئا الى ان ينتهى غاية نقصانه او قبضا سهلا عند قيام الساعة بقبض اسبابه
من الاجرام المظلة والمظل عليها وهو الذى جعل لكم الليل لباسا شبه ظلامه
باللباس فى ستره والنوم سباتا راحة للابدان بقطع المشاغل واصل السبت
القطع او موتا كقوله وهو الذى يتوفيكم بالليل لانه قطع الحيوة ومنه
المسبوت للميت وجعل النهار نشورا ذا نشور اى انتشار ينتشر فيه الناس للمعاش
او بعث من النوم بعث الاموات فيكون اشارة الى ان النوم واليقظة انموذج
للموت والنشور وعن لقمان يا بنى كما تنام فتوقظ كذلك تموت وتنشر وهو
الذى ارسل الرياح وقرأ ابن كثير على التوحيد ارادة للجنس نشرا ناشرات
للسحاب جمع نشور وقرأ ابن عامر بالسكون على التخفيف وحمزة والكسائى به
وبفتح النون على انه مصدر وصف به وعاصم بشرا تخفيف بشرا جمع بشور

بمعنى مبشر بين يدى رحمته يعنى قدام المطر وانزلنا من السماء ماء طهورا
مطهرا لقوله ليطهركم به وهو اسم لما يتطهر به كالوضوء والوقود لما يتوضأ به ويوقد به
قال صلى الله عليه وسلم التراب طهور المؤمن طهور اناء احدكم اذا ولغ الكلب فيه
ان يغسل سبعا احديهن بالتراب وقيل بليغا فى الطهارة وفعول وان غلب
فى المعنيين لكنه قد جاء للمفعول كالضبوب وللمصدر كالقبول وللاسم كالذنوب
وتوصيف الماء به اشعار بالنعمة فيه وتتميم للمنة فيما بعده فان الماء الطهور
اهنأ وانفع مما خالطه ما يزيل طهوريته وتنبيها على ان ظواهرهم لما كانت
مما ينبغى ان يطهروها فبواطنهم بذلك اولى لنحيى به بلدة ميتا بالنبات وتذكير
ميتا لان البلدة فى معنى البلد ولانه غير جار على الفعل كسائر ابنية المبالغة
فاجرى مجرى الجامد ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسى كثيرا يعنى اهل البوادى
الذين يعيشون بالحيا ولذلك نكر الانعام والاناسى وتخصيصهم لان
اهل المدن والقرى يقيمون بقرب الانهار والمنابع فبهم وبما حولهم من
الانعام غنية عن سقيا السماء وسائر الحيوانات تبعد فى طلب الماء فلا يعوزها
الشرب غالبا مع ان مساق هذه الايات كما هو للدلالة على عظم القدرة
فهو لتعداد انواع النعمة والانعام قنية الانسان وعامة منافعهم وعلية
معايشهم منوطة بها ولذلك قدم سقيها على سقيهم كما قدم عليها احياء الارض
فانه سبب لحيوتها وتعيشها وقرئ ونسقيه وسقى واسقى لغتان وقيل
اسقاه جعل له سقيا واناسى بحذف ياء وهو جمع انسى او انسان كظرابى
فى ظربان على ان اصله اناسين فقلبت النون ياء ولقد صرفناه بينهم صرفنا
هذا القول بين الناس فى القرآن وسائر الكتب او المطر بينهم فى البلدان
المختلفة والاوقات المتغايرة والصفات المتفاوتة من وابل وطل وغيرهما
وعن ابن عباس ما عام امطر من عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده
على ما شاء وتلا هذه الاية او فى الانهار والمنابع ليذكروا

ليفكروا ويعرفوا كمال القدرة وحق النعمة في ذلك ويقوموا بشكره
او ليعتبروا بالصرف عنهم واليهم فابى اكثر الناس الا كفورا الا كفران
النعمة وقلة الاكتراث لها او جحودها بان يقولوا مطرنا بنوء كذا ومن لا
يرى الامطار الا من الانواء كان كافرا بخلاف من يرى انها من خلق الله
والانواء وسائط وامارات بجعله تعالى ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا
نبيا ينذر اهلها فتخف عليك اعباء النبوة لكن قصرنا الامر عليك اجلالا
لك وتعظيما لشأنك وتفضيلا لك على سائر الرسل فقابل ذلك بالثبات
والاجتهاد في الدعوة واظهار الحق فلا تطع الكافرين فيما يريدونك
عليه وهو تهييج له وللمؤمنين وجاهدهم به بالقرآن او بترك طاعتهم الذي
يدل عليه فلا تطع والمعنى انهم يجتهدون في ابطال حقك فقابلهم بالاجتهاد
في مخالفتهم وازاحة باطلهم جهادا كبيرا لان مجاهدة السفهاء بالحجج اكبر من
مجاهدة الاعداء بالسيف او لان مخالفتهم ومعاداتهم فيما بين اظهرهم
مع عتوهم وظهورهم او لانه جهاد مع كل الكفرة لانه مبعوث الى كافة
القرى وهو الذي مرج البحرين خلاهما متجاورين متلاصقين بحيث لا يتمازجان
من مرج دابته اذا خلاها هذا عذب فرات قامع للعطش من فرط عذوبته
وهذا ملح اجاج بليغ الملوحة وقرئ ملح على فعل ولعل اصله مالح فخفف
كبرد في بارد وجعل بينهما برزخا حاجزا من قدرته وحجرا محجورا وتنافرا بليغا
كأن كلا منهما يقول للآخر ما يقوله المتعوذ عنه وقيل حدا محدودا وذلك
كدجلة تدخل البحر فتشقه فتجري في خلاله فراسخ لا يتغير طعمها وقيل المراد
بالبحر العذب النهر العظيم مثل النيل وبالبحر الملح البحر الكبير وبالبرزخ ما يحول
بينهما من الارض فيكون القدرة في الفصل واختلاف الصفة مع ان مقتضى
طبيعة اجزاء كل عنصر ان تضامت وتلاصقت وتشابهت في الكيفية
وهو الذي خلق من الماء بشرا يعني الذي خمر به طينة آدم او جعله جزءا

من مادة

من مادة البشر ليجتمع ويتسلسل ويقبل الاشكال والهيئات بسهولة او من النطفة
فجعله نسبا وصهرا اي فقسمه قسمين ذوي نسب اي ذكورا ينسب اليهم وذوات
صهر اي اناثا يصاهر بهن لقوله فجعل منه الزوجين الذكر والانثى وكان
ربك قديرا حيث خلق من مادة واحدة بشرا ذا اعضاء مختلفة وطباع متباعدة
وجعله قسمين متقابلين وربما يخلق من نطفة واحدة توأمين ذكرا وانثى
ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم يعني الاصنام او كل ما عبد
من دون الله اذ ما من مخلوق يستقل بالنفع والضر وكان الكافر على ربه
ظهيرا يظاهر الشيطان بالعداوة والشرك والمراد بالكافر الجنس او ابو جهل
وقيل هينا مهينا لا وقع له عنده من قولهم ظهرت به اذا نبذته خلف ظهرك
فيكون كقوله ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا
للمؤمنين والكافرين قل ما اسألكم عليه من اجر على تبليغ الرسالة الذي يدل
عليه الا مبشرا ونذيرا الا اجر من شاء الا فعل من شاء ان يتخذ الى ربه
سبيلا ان يتقرب اليه ويطلب الزلفى عنده بالايمان والطاعة فصوره
بصورة الاجر من حيث انه مقصود فعله واستثناه منه قلعا لشبهة الطمع واظهارا
لغاية الشفقة حيث اعتد بانتفاعك نفسك بالتعرض للثواب والتخلص
عن العقاب اجرا وافيا مرضيا مقصورا عليه واشعارا بان طاعتهم تعود
عليه بالثواب من حيث انها بدلالته وقيل الاستثناء منقطع معناه لكن من
شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا فليفعل وتوكل على الحي الذي لا يموت في استكفاء
شرورهم والاغناء عن اجورهم فانه الحقيق بان يتوكل عليه دون الاحياء
الذين يموتون فانهم اذا ماتوا ضاع من توكل عليهم وسبح بحمده ونزهه
عن صفات النقصان مثنيا عليه باوصاف الكمال طالبا لمزيد الانعام بالشكر
على سوابغه وكفى به بذنوب عباده ما ظهر منها وما بطن خبيرا مطلعا فلا عليك
ان آمنوا او كفروا الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام

ثم استوى على العرش قد سبق الكلام فيه ولعل ذكره زيادة تقرير لكونه
حقيقا بان يتوكل عليه من حيث انه الخالق للكل والمتصرف فيه وتحريض على
الثبات والتأني في الامر فانه تعالى مع كمال قدرته وسرعة نفاذ امره في
كل مراد خلق الاشياء على تؤدة وتدرج الرحمن خبر للذي ان جعلته مبتدأ
ولمحذوف ان جعلته صفة للحي او بدل من المستكن في استوى وقرئ بالجر صفة
للحي فسئل به خبيرا فاسأل عما ذكر من الخلق والاستواء عالما يخبرك بحقيقته
وهو الله تعالى او جبريل او من وجده في الكتب المتقدمة ليصدقك فيه وقيل
الضمير للرحمن والمعنى ان انكروا اطلاقه على الله فاسأل عنه من يخبرك من اهل
الكتاب ليعرفوا مجيء ما يرادفه في كتبهم وعلى هذا يجوز ان يكون الرحمن مبتدأ
والخبر ما بعده والسؤال كما يعدى بعن لتضمنه معنى التفتيش يعدى بالباء لتضمنه
معنى الاعتناء وقيل انه صلة خبيرا واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما
الرحمن لانهم ما كانوا يطلقونه على الله او لانهم ظنوا انه اراد به غيره ولذلك
قالوا انسجد لما تأمرنا اي للذي تأمرناه يعني تأمرنا بسجوده او لامرك لنا
من غير عرفان وقيل لانه كان معربا لم يسمعوه وقرأ حمزة والكسائي يأمرنا
بالياء على انه قول بعضهم لبعض وزادهم اي الامر بالسجود للرحمن نفورا عن الايمان
تبارك الذي جعل في السماء بروجا يعني البروج الاثني عشر سميت به وهي القصور
العالية لانها للكواكب السيارة كالمنازل لسكانها واشتقاقه من التبرج لظهوره
وجعل فيها سراجا يعني الشمس لقوله وجعل الشمس سراجا وقرأ حمزة والكسائي
سرجا وهي الشمس والكواكب الكبار وقمرا منيرا مضيئا بالليل وقرئ قمرا اي ذا قمر
وهو جمع قمراء ويحتمل ان يكون بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب
وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة اي ذوي خلفة يخلف كل منهما الآخر
بان يقوم مقامه فيما ينبغي ان يعمل فيه او بان يعتقبا كقوله واختلاف الليل
والنهار وهي للحالة من خلف كالركبة والجلسة لمن اراد ان يذكر اي يتذكر

آلاء الله تعالى ويتفكر في صنعه فيعلم ان لا بد له من صانع حكيم واجب الذات
رحيم بالعباد او اراد شكورا ان يشكر الله على ما فيه من النعم او ليكونا وقتين
للمتذكرين والشاكرين من فاته ورده في احدهما تداركه في الآخر وقرأ حمزة
ان يذكر من ذكر بمعنى تذكر وكذلك ليذكروا ووافقه الكسائي فيه وعباد
الرحمن مبتدأ خبره اولئك يجزون الغرفة او الذين يمشون على الارض
واضافتهم الى الرحمن للتخصيص والتفضيل او لانهم الراسخون في عبادته على
ان عباد جمع عابد كتاجر وتجار هونا هينين او مشيا هينا مصدر وصف به
والمعنى انهم يمشون بسكينة وتواضع واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما
تسلما منكم ومتاركة لكم لا خير بيننا ولا شر او سدادا من القول يسلمون فيه
من الايذاء والاثم ولا ينافيه آية القتال لتنسخه فان المراد به الاغضاء
عن السفهاء وترك مقابلتهم في الكلام والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما
في الصلوة وتخصيص البيتوتة لان العبادة بالليل احمز وابعد من الرياء وتأخير
القيام للروي وهو جمع قائم او مصدر اجري مجراه والذين يقولون
ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما لازما ومنه الغريم لملازمته وهو
ايذان بانهم مع حسن مخالقتهم مع الخلق واجتهادهم في عبادة الحق وجلون من العذاب
مبتهلون الى الله في صرفه عنهم لعدم اعتدادهم باعمالهم ووثوقهم على استمرار
احوالهم انها ساءت مستقرا ومقاما اي بئست مستقرا وفيها ضمير مبهم يفسره
المميز والمخصوص بالذم ضمير محذوف به يرتبط الجملة باسم ان او احزنت وفيها
ضمير اسم ان ومستقرا حال او تمييز والجملة تعليل للعلة الاولى او تعليل ثان وكلاهما
يحتملان الحكاية والابتداء من الله والذين اذا انفقوا لم يسرفوا لم يجاوزوا
حد الكرم ولم يقتروا ولم يضيقوا تضييق الشحيح وقيل الاسراف هو الانفاق
في المحارم والتقتير منع الواجب وقرأ الكوفيون بفتح الياء وضم التاء ونافع
وابن عامر ولم يقتروا بضم الياء من اقتر وقرئ بالتشديد والكل واحد

وكان بين ذلك قواما وسطا وعدلا سمي به لاستقامة الطرفين كما سمي سواء
لاستوائهما وقرئ بالكسر وهو ما يقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص
وهو خبر ثان او حال مؤكدة ويجوز ان يكون الخبر بين ذلك لغوا وقيل انه
اسم كان لكنه بني لاضافته الى غير متمكن وهو ضعيف لانه بمعنى القوام
فيكون كالاخبار بالشيء عن نفسه والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا
يقتلون النفس التي حرم الله اي حرمها بمعنى حرم قتلها الا بالحق متعلق بالقتل
المحذوف او بلا يقتلون ولا يزنون نفى عنهم امهات المعاصي بعدما اثبت لهم
اصول الطاعات اظهارا لكمال ايمانهم واشعارا بان الاجر المذكور موعود
للجامع بين ذلك وتعريضا للكفرة باضداده ولذلك عقبه الوعيد تهديدا
لهم فقال ومن يفعل ذلك يلق اثاما جزاء اثم او اثاما باضمار الجزاء وقرئ اياما
اي شدائد يقال يوم ذو ايام اي صعب يضاعف له العذاب يوم القيمة بدل
من يلق لانه في معناه كقوله   متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا   تجد حطبا
جزلا ونارا تاججا   وقرا ابو بكر بالرفع على الاستئناف او الحال وكذلك ويخلد
فيه مهانا وابن كثير ويعقوب يضعف بالجزم وابن عامر بالرفع فيهما بالتشديد
وقرا ابو عمرو ويخلد على البناء للمفعول مخففا وقرئ مثقلا وتضعيف العذاب
ومضاعفة العذاب لانضمام المعصية الى الكفر ويدل عليه قوله الا من تاب
وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات بان يمحو سوابق
معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم او يبدل ملكة الطاعة
وقيل بان يوفقه لاضداد ما سلف منه او بان يثبت له بدل كل عقاب ثوابا
وكان الله غفورا رحيما فلذلك يعفو عن السيئات ويثيب على الحسنات ومن
تاب عن المعاصي بتركها والندم عليها وعمل صالحا يتلافى به ما فرط او خرج
عن المعاصي ودخل في الطاعة فانه يتوب الى الله يرجع الى الله بذلك متابا
مرضيا عند الله ماحيا للعقاب محصلا للثواب او يتوب متابا الى الله الذي

يحب التائبين ويصطنع بهم او فانه يرجع الى الله والى ثوابه مرجعا حسنا وهذا
تعميم بعد تخصيص والذين لا يشهدون الزور لا يقيمون الشهادة الباطلة او لا يحضرون
محاضر الكذب فان مشاهدة الباطل شركة فيه واذا مروا باللغو ما يجب
ان يلغى ويطرح مروا كراما معرضين عنه مكرمين انفسهم عن الوقوف عليه
والخوض فيه ومن ذلك الاغضاء عن الفواحش والصفح عن الذنوب والكناية
عما يستهجن التصريح به والذين اذا ذكروا بآيات ربهم بالوعظ او القراءة
لم يخروا عليها صما وعميانا لم يقيموا عليها غير واعين ولا متبصرين بما فيها كمن
لا يسمع ولا يبصر بل اكبوا عليها سامعين باذان واعية مبصرين بعيون راعية
فالمراد من النفي نفي الحال دون الفعل كقولك لا يلقاني زيد مسلما وقيل الهاء
للمعاصي المدلول عليها باللغو والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا
قرة اعين بتوفيقهم للطاعة وحيازة الفضائل فان المؤمن اذا شاركه اهله
في طاعة الله سر بهم قلبه وقرت بهم عينه لما يرى من مساعدتهم له في الدين
وتوقع لحوقهم به في الجنة ومن ابتدائية كقولك رايت منك اسدا وقرا
ابو عمرو وحمزة والكسائي وابو بكر وذريتنا وتنكير الاعين لارادة تنكير
القرة تعظيما وتقليلها لان المراد اعين المتقين وهي قليلة بالاضافة الى عيون
غيرهم واجعلنا للمتقين اماما يقتدون بنا في امر الدين باضافة العلم والتوفيق
للعمل وتوحيده للدلالة على الجنس وعدم اللبس كقوله ثم يخرجكم طفلا او لانه مصدر
في اصله او لان المراد واجعل كل واحد منا او لانهم كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم واتفاق
كلمتهم وقيل جمع آم كصائم وصيام ومعناه قاصدين لهم مقتدين بهم اولئك يجزون
الغرفة اعلى مواضع الجنة وهي اسم جنس اريد به الجمع كقوله وهم في الغرفات آمنون
والقراءة بها وقيل هي من اسماء الجنة بما صبروا بصبرهم على المشاق من مضض الطاعات
ورفض الشهوات وتحمل المجاهدات ويلقون فيها تحية وسلاما دعاء بالتعمير
والسلامة اي تحييهم الملائكة ويسلمون عليهم او يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه او

تلقيهم دائمة وسلامة من كل آفة وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر يلقون من لقي
خالدين فيها لا يموتون ولا يخرجون حسنت مستقرا ومقاما مقابل ساءت مستقرا
معنى ومثله اعرابا قل ما يعبأ بكم ربي ما يصنع بكم من عبأت الجيش اذا هيأته
او لا يعتد بكم لولا دعاؤكم لولا عبادتكم فان شرف الانسان وكرامته بالمعرفة
والطاعة والا فهو وسائر الحيوانات سواء وقيل معناه ما يصنع بعذابكم
لولا دعاؤكم آلهة وما ان جعلت استفهامية فمحلها النصب على المصدر فكانه
قيل اي عبء يعبأ بكم فقد كذبتم بما اخبرتكم به حيث خالفتموه وقيل فقد قصرتم
في العبادة من قولهم كذب القتال اذا لم يبالغ فيه وقرئ فقد كذب الكافرون اي
الكافرون منكم لان توجه الخطاب الى الناس عامة بما وجد في جنسهم من العبادة
والتكذيب فسوف يكون لزاما يكون جزاء التكذيب لازما يحيق بكم لا محالة او اثره
لازما بكم حتى يكبكم في النار وانما اضمر من غير ذكر للتهويل والتنبيه على انه مما لا يكتنهه الوصف وقيل
المراد قتل يوم بدر وانه لوزم بين القتلى لزاما وقرئ لزاما بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة الفرقان لقي الله وهو مؤمن بان الساعة آتية لا ريب فيها وادخل الجنة بغير نصب

سورة الشعراء مكية وهي مائتان وست او سبع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم طسم قرأ حمزة والكسائي وابو بكر بالامالة ونافع بين بين
كراهة العود الى الياء المهروب منها واظهر نونه حمزة لانه في الاصل منفصل عما بعده تلك
آيات الكتاب المبين الظاهر اعجازه وصحته والاشارة الى السورة او القرآن على ما مر في اول
البقرة لعلك باخع نفسك قاتل نفسك واصل البخع ان تبلغ بالذبح البخاع وهو
عرق مستبطن في الفقار وذلك اقصى حد الذبح وقرئ باخع نفسك بالاضافة
ولعل للاشفاق اي اشفق على نفسك ان تقتلها الا يكونوا مؤمنين لئلا يؤمنوا او
خيفة ان لا يؤمنوا ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية دلالة ملجئة الى الايمان او
بلية قاسرة عليه فظلت اعناقهم لها خاضعين منقادين واصله فظلوا لها خاضعين

فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الخبر على اصله وقيل لما وصفت الاعناق
بصفات العقلاء اجريت مجراهم وقيل المراد بها الرؤساء او الجماعات من قولهم جاءنا
عنق من الناس لفوج منهم وقرئ خاضعة وظلت عطف على ننزل عطف واكن على فاصدق
لانه لو قيل انزلنا بدله لصح وما يأتيهم من ذكر موعظة او طائفة من القرآن من الرحمن
بوحيه الى نبيه محدث مجدد انزاله لتكرير التذكير وتنويع التقرير الا كانوا عنه
معرضين الا جددوا اعراضا عنه واصرارا على ما كانوا عليه فقد كذبوا اي بالذكر
بعد اعراضهم وامعنوا في تكذيبه بحيث ادى بهم الى الاستهزاء به المخبر به عنهم ضمنا
في قوله فسيأتيهم اي اذا مسهم عذاب الله يوم بدر او يوم القيامة انباء ما كانوا به يستهزئون
من انه كان حقا او باطلا وكان حقيقا بان يصدق ويعظم قدره او يكذب فيستخف امره
اولم يروا الى الارض او لم ينظروا الى عجائبها كم انبتنا فيها من كل زوج صنف
كريم محمود كثير المنفعة وهو صفة لكل ما يحمد ويرضى وههنا يحتمل ان تكون مقيدة
لما يتضمن الدلالة على القدرة وان تكون مبينة منبهة على انه ما من نبت الا وله فائدة
اما وحده او مع غيره وكل للاحاطة بالازواج وكم لكثرتها ان في ذلك اي في انبات
تلك الاصناف او في كل واحد لآية على ان منبتها تام القدرة والحكمة سابغ النعمة
دائم الرحمة وما كان اكثرهم مؤمنين في علم الله وقضائه فلذلك لا ينفعهم امثال
هذه الآيات العظام وان ربك لهو العزيز الغالب القادر على الانتقام من
الكفرة الرحيم حيث امهلهم او العزيز في انتقامه ممن كفر الرحيم لمن تاب وآمن
واذ نادى ربك موسى مقدر باذكر او ظرف لما بعده ان ائت اي ائت او بان ائت
القوم الظالمين بالكفر واستعباد بني اسرائيل وذبح اولادهم قوم فرعون بدل
من الاول او عطف بيان له ولعل الاقتصار على القوم للعلم بان فرعون
كان اولى بذلك الا يتقون استئناف اتبعه ارساله اليهم للانذار تعجيبا له
من افراطهم في الظلم واجترائهم عليه وقرئ بالتاء على الالتفات اليهم زجرا
لهم وغضبا عليهم وهم وان كانوا غيبا حين الخطاب اجروا مجرى الحاضرين في كلام المرسل

اليهم من حيث انه مبلغه اليهم واسماعه مبتدا اسماعهم مع ما فيه من مزيد الحث
على التقوى لمن تدبر وتامل وتاهل وقرئ بكسر النون اكتفاء بها عن ياء الاضافة
ويحتمل ان يكون بمعنى الا يا ناس اتقون كقوله الا يا اسجدوا قال رب اني اخاف
ان يكذبون ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فارسل الى هرون رتب استدعاء
ضم اخيه اليه واشراكه في الامر على الامور الثلثة خوف التكذيب وضيق الصدر
انفعالا عنه وازدياد الحبسة في اللسان بانقباض الروح الى باطن القلب
عند ضيقه بحيث لا ينطلق لانها اذا اجتمعت مست الحاجة الى معين يقوي قلبه
وينوب منابه متى تعتريه حبسة حتى لا تختل دعوته ولا تنبتر حجته وليس ذلك
تعللا منه وتوقفا في تلقي الامر بل طلبا لما يكون معونة على امتثاله وتمهيد عذره فيه
وقرا يعقوب ويضيق ولا ينطلق بالنصب عطفا على يكذبون فيكونان من جملة ما خاف
عنه ولهم علي ذنب اي تبعة ذنب فحذف المضاف او سمي باسمه والمراد قتل القبطي وانما سماه
ذنبا على زعمهم وهذا اختصار قصته المبسوطة في مواضع فاخاف ان يقتلون به قبل
اداء الرسالة وهو ايضا ليس تعللا وانما هو استدفاع للبلية المتوقعة كما ان
ذاك استمداد واستظهار في امر الدعوة وقوله قال كلا فاذهبا باياتنا اجابة
له الى الطلبتين بوعده لدفع بلائهم اللازم ردعه عن الخوف وضم اخيه اليه في الارسال
والخطاب في فاذهبا على تغليب الحاضر لانه معطوف على الفعل الذي يدل عليه كلا
كانه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب انت والذي طلبته انا معكم يعني موسى
وهرون وفرعون مستمعون سامعون لما يجري بينكما وبينه فاظهركما عليه مثل نفسه بمن
حضر مجادلة قوم استماعا لما يجري بينهم وترقبا لامداد اوليائه منهم مبالغة في
الوعد بالاعانة ولذلك تجوز بالاستماع الذي هو بمعنى الاصغاء للسمع الذي هو مطلق
ادراك الحروف والاصوات وهو خبر ثان او الخبر وحده ومعكم لغو فاتيا فرعون
فقولا انا رسول رب العالمين افراد الرسول لانه مصدر وصف به فانه مشترك
بين المرسل والرسالة قال الشاعر لقد كذب الواشون ما فهت عندهم

بسر ولا ارسلتهم برسول ولذلك ثني تارة وافرد اخرى او لاتحادهما للاخوة
او لوحدة المرسل والمرسل به او لانه اراد ان كل واحد منا ان ارسل معنا بني اسرائيل
اي ارسل لتضمن الرسول معنى الارسال المتضمن معنى القول والمراد خلهم يذهبوا معنا
الى الشام قال اي فرعون لموسى بعدما اتياه فقالا له ذلك الم نربك فينا في
منازلنا وليدا طفلا سمي به لقربه من الولادة ولبثت فينا من عمرك سنين قيل
لبث فيهم ثلثين سنة ثم خرج الى مدين عشر سنين ثم عاد اليهم يدعوهم الى الله
ثلثين ثم بقي بعد الغرق خمسين وفعلت فعلتك التي فعلت يعني قتل القبطي وبخه
به معظما اياه بعدما عدد عليه نعمته وقرئ فعلتك بالكسر لانها كانت قتلة بالوكز
وانت من الكافرين بنعمتي حتى عمدت الى قتل خواصي او ممن تكفرهم الان فانه كان
عليه السلام يعايشهم بالتقية فهو حال من احدى التائين ويجوز ان يكون حكما
مبتدا عليه بانه من الكافرين بالهيته او بنعمته لما عاد عليه بالمخالفة او من الذين كانوا
يكفرون في دينهم قال فعلتها اذا وانا من الضالين من الجاهلين وقد قرئ به
والمعنى من الفاعلين فعل اولي الجهل والسفه او من المخطئين لانه لم يتعمد قتله او الذاهبين
عما يؤول اليه الوكز لانه اراد به التاديب او الناسين من قوله ان تضل احديهما
ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما حكمة وجعلني من المرسلين رد اولا
بذلك ما وبخه به قدحا في نبوته ثم كر على ما عد عليه من النعمة ولم يصرح برده لانه كان
صدقا غير قادح في دعواه بل نبه على انه كان في الحقيقة نقمة لكونه مسببا عنها فقال
وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل اي وتلك التربية نعمة تمنها علي ظاهرا
وهي في الحقيقة تعبيدك بني اسرائيل وقصدهم بذبح ابنائهم فانه السبب في وقوعي
اليك وحصولي في تربيتك وقيل انه مقدر بهمزة الانكار اي او تلك نعمة تمنها علي
وهي ان عبدت ومحل ان عبدت الرفع على انه خبر محذوف او بدل نعمة او الجر باضمار
الباء او النصب بحذفها وقيل تلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة وان عبدت عطف
بيانها والمعنى تعبيدك بني اسرائيل نعمة تمنها علي وانما وحد الخطاب في تمنها وجمع فيما

قبله لان المنة كانت منه وجده والخوف والفرار منه ومن ملائه قال فرعون وما
رب العالمين لما سمع جواب ما طعن به فيه ورأى انه لم يرعو بذلك شرع في الاعتراض
على دعواه فبدا بالاستفسار عن حقيقة المرسل قال رب السموات والارض وما بينهما
عرفه باظهر خواصه وآثاره لما امتنع تعريف الافراد الا بذكر الخواص والافعال
واليه اشار بقوله ان كنتم موقنين اي ان كنتم موقنين الاشياء محققين لها علمتم ان هذه
الاجرام المحسوسة ممكنة لتركبها وتعددها وتغير احوالها فلها مبدا واجب لذاته
وذلك المبدا لا بد وان يكون مبدا لسائر الممكنات ما يمكن ان يحس بها وما لا يمكن
والا لزم تعدد الواجب او استغناء بعض الممكنات عنه وكلاهما محال ثم ذلك الواجب
لا يمكن تعريفه الا بلوازمه الخارجية لامتناع التعريف بنفسه وبما هو داخل فيه
لاستحالة التركيب في ذاته قال لمن حوله الا تستمعون جوابه سالته عن حقيقته
وهو يذكر افعاله او يزعم انه رب السموات وهي واجبة متحركة لذواتها كما هو
مذهب الدهرية او غير معلوم افتقارها الى موثر قال ربكم ورب اباءكم الاولين
عدولا الى ما لا يمكن ان يتوهم فيه مثله ويشك في افتقاره الى موثر حكيم ويكون
اقرب الى الناظر واوضح عند المتامل قال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون
اساله عن شيء ويجيبني عن آخر وسماه رسولا على السخرية قال رب المشرق والمغرب
وما بينهما تشاهدون كل يوم انه ياتي بالشمس من المشرق ويحركها على مدار اليوم
الذي قبله حتى يبلغها الى المغرب على وجه نافع ينتظم به امور الكائنات ان كنتم
تعقلون ان كان لكم عقل علمتم ان لا جواب لكم فوق ذلك لاينهم اولا ثم لما راى
شدة شكيمتهم خاشنهم وعارضهم بمثل مقالهم قال لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك
من المسجونين عدولا الى التهديد عن المحاجة بعد الانقطاع وهكذا ديدن
المعاند المحجوج واستدل به على ادعائه الالوهية وانكاره للصانع وان
تعجبه بقوله الا تستمعون من نسبة الربوبية الى غيره ولعله كان دهريا
اعتقد ان من ملك قطرا او تولى امره بقوة طالعه استحق العبادة من اهله

واللام في من المسجونين للعهد اي ممن عرفت حالهم في سجوني فانه كان يطرحهم
في هوة عميقة حتى يموتوا ولذلك جعل ابلغ من لاسجننك قال اولو جئتك بشيء
مبين اي اتفعل ذلك ولو جئتك بشيء يبين صدق دعواي يعني المعجزة فانها الجامعة
بين الدلالة على وجود الصانع وحكمته والدلالة على صدق مدعي نبوته فالواو
للحال وليها الهمزة بعد حذف الفعل قال فات به ان كنت من الصادقين في ان لك
بينة او في دعواك فان مدعي النبوة لا بد له من حجة فالقى عصاه فاذا هي ثعبان
مبين ظاهر ثعبانيته واشتقاق الثعبان من ثعبت الماء فانثعب اذا فجرته فانفجر ونزع
يده فاذا هي بيضاء للناظرين روي ان فرعون لما راى الآية الاولى قال فهل غيرها
فاخرج يده فقال ما فيها فادخلها في ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشي الابصار
ويسد الافق قال للملا حوله مستقرين حوله فهو ظرف وقع موقع الحال
ان هذا لساحر عليم فائق في علم السحر يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا
تامرون بهره سلطان المعجزة حتى حطه عن دعوى الربوبية الى مؤامرة القوم وائتمارهم
وتنفيرهم عن موسى واظهار الاستشعار عن ظهوره واستيلائه على ملكه قالوا ارجه
واخاه اخر امرهما وقيل احبسهما وابعث في المدائن حاشرين شرطا يحشرون السحرة
ياتوك بكل سحار عليم يفضلون عليه في هذا الفن وقرئ بكل ساحر فجمع السحرة لميقات
يوم معلوم لما وقت فيه من ساعات يوم معين وهو وقت الضحى من يوم الزينة
وقيل للناس هل انتم مجتمعون فيه استبطاء لهم في الاجتماع حثا على مبادرتهم
اليه كقول تابط شرا هل انت باعث دينار لحاجتنا او عبد رب اخا عون
ابن مخراق اي ابعث احدهما الينا سريعا لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين
لعلنا نتبعهم في دينهم ان غلبوا والترجي لاعتبار الغلبة المقتضية للاتباع
ومقصودهم الاصلي ان لا يتبعوا موسى لا ان يتبعوا السحرة فساقوا الكلام
مساق الكناية لانهم اذا اتبعوهم لم يتبعوا موسى فلما جاء السحرة قالوا لفرعون
ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا لمن المقربين التزم لهم

بنى اسرائيل فاتبعوهم مشرقين داخلين فى وقت شروق الشمس فلما تراءى الجمعان
تقاربا بحيث ترى كل منهما الآخر وقرئ تراءت الفئتان قال اصحاب موسى
انا لمدركون لملحقون وقرئ لمدّركون من ادّرك الشىء اذا تتابع ففنى اى
لتتابعون فى الهلاك على ايديهم قال كلا لن يدركوكم فان الله وعدكم
الخلاص منهم ان معى ربى بالحفظ والنصرة سيهدين طريق النجاة منهم روى
ان مؤمن آل فرعون كان بين يدى موسى فقال اين امرت فهذا البحر امامك
وقد غشيك آل فرعون قال امرت بالبحر ولعلى اومر بما اصنع فاوحينا
الى موسى ان اضرب بعصاك البحر القلزم او النيل فانفلق اى فضرب فانفلق
وصار اثنى عشر فرقا بينها مسالك فكان كل فرق كالطود العظيم كالجبل المنيف
الثابت فى مقره فدخلوا فى شعابها كل سبط فى شعب وازلفنا وقربنا ثم الآخرين
فرعون وقومه حتى دخلوا على اثرهم مداخلهم وانجينا موسى ومن معه اجمعين بحفظ
البحر على تلك الهيئة الى ان عبروا ثم اغرقنا الآخرين باطباقه عليهم ان فى ذلك
لآية واية آية وما كان اكثرهم مؤمنين وما تنبه عليها اكثرهم اذ لم يؤمن بها
احد ممن بقى فى مصر من القبط وبنو اسرائيل بعدما نجوا سألوا بقرة يعبدونها
واتخذوا العجل فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة وان ربك لهو العزيز المنتقم
من اعدائه الرحيم باوليائه واتل عليهم على مشركى العرب نبأ ابرهيم اذ قال
لابيه وقومه ما تعبدون سألهم ليريهم ان ما يعبدونه لا يستحق العبادة قالوا نعبد
اصناما فنظل لها عاكفين فاطالوا جوابهم بشرح حالهم معه تبجحا به وافتخارا ونظل
هنا بمعنى ندوم وقيل كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل قال هل يسمعونكم
يسمعون دعاءكم او يسمعونكم تدعون فحذف ذلك لدلالة اذ تدعون
عليه وقرئ يسمعونكم اى يسمعونكم الجواب عن دعائكم ومجيئه مضارعا مع اذ
على حكاية الحال الماضية استحضارا لها او ينفعونكم على عبادتكم لها او يضرون
من اعرض عنها قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون اضربوا عن ان يكون

لهم سمع او يتوقع منهم ضر او نفع والتجأوا الى التقليد قال افرأيتم ما كنتم تعبدون
انتم وآباؤكم الاقدمون فان التقدم لا يدل على الصحة ولا ينقلب به الباطل
حقا فانهم عدو لى يريد انهم اعداء لعابديهم من حيث انهم يتضررون من جهتهم
فوق ما يتضرر الرجل من جهة عدوه او ان المغرى بعبادتهم اعدى اعدائهم وهو
الشيطان لكنه صور الامر فى نفسه تعريضا لهم فانه انفع فى النصح من التصريح
واشعارا بانها نصيحة بدأها بنفسه ليكون ادعى الى القبول وافراد العدو لانه
فى الاصل مصدر او بمعنى النسب الا رب العالمين استثناء منقطع او متصل
على ان الضمير لكل معبود عبدوه وكان من آبائهم من عبد الله الذى خلقنى
فهو يهدين لانه يهدى كل مخلوق لما خلق له من امور المعاش والمعاد كما قال
والذى قدر فهدى هداية مدرجة من مبدأ الايجاد الى منتهى اجله يتمكن بها
من جلب المنافع ودفع المضار مبدأها بالنسبة الى الانسان هداية الجنين
الى امتصاص دم الطمث من الرحم ومنتهاها الهداية الى طريق الجنة والتنعم بلذائذها
والفاء للسببية ان جعل الموصول مبتدأ وللعطف ان جعل صفة رب العالمين
فيكون اختلاف النظم لتقدم الخلق واستمرار الهداية وقوله والذى هو يطعمنى
ويسقين على الاول مبتدأ محذوف الخبر لدلالة ما قبله عليه وكذا اللذان
بعده وتكرير الموصول على الوجهين للدلالة على ان كل واحدة من الصلات مستقلة
باقتضاء الحكم واذا مرضت فهو يشفين عطف على يطعمنى ويسقين لانه من
روادفهما من حيث ان الصحة والمرض فى الاغلب يتبعان الماكول والمشروب
وانما لم ينسب المرض اليه لان مقصوده تعديد النعم ولا ينتقض باسناد الاماتة
اليه فان الموت من حيث انه لا يحس به لا ضرر فيه انما الضرر فى مقدماته وهى
المرض ثم انه لاهل الكمال وصلة الى نيل المحاب التى يستحقر دونها الحياة الدنيوية
وخلاص من انواع المحن والبلية ولان المرض فى غالب الامر انما يحدث بتفريط
من الانسان فى مطاعمه ومشاربه وبما بين الاخلاط والاركان من التنافى والتباين

والصحة انما تحصل باستحفاظ اجتماعها والاعتدال المخصوص عليها قهرا بقدرة
العزيز الحكيم والذي يميتني ثم يحيين في الاخرة والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي
يوم الدين ذكر ذلك هضما لنفسه وتعليما للامة ان يجتنبوا المعاصي ويكونوا
على حذر وطلب لان يغفر لهم ما يفرط منهم واستغفارا لما عسى يندر منه من الصغائر
وحمل الخطيئة على كلماته الثلاث اني سقيم بل فعله كبيرهم وقوله هي اختي ضعيف
لانها معاريض وليست خطايا رب هب لي حكما كمالا في العلم والعمل استعد به
لخلافة الحق ورياسة الخلق والحقني بالصالحين ووفقني للكمال في العمل لانتظم
في عداد الكاملين في الصلاح الذين لا يشوب صلاحهم كبير ذنب ولا صغيره
واجعل لي لسان صدق في الاخرين جاها وحسن صيت في الدنيا يبقى اثره
الى يوم الدين ولذلك ما من امة الا وهم محبون له مثنون عليه او صادقا في
ذريتي يجدد اصل ديني يدعو الناس الى ما كنت ادعوهم اليه وهو محمد صلى
الله عليه وسلم واجعلني من ورثة جنة النعيم في الاخرة وقد مر معنى الوراثة
فيها واغفر لابي بالهداية والتوفيق للايمان انه كان من الضالين طريق الحق وان
كان هذا الدعاء بعد موته فلعله كان لظنه انه كان يخفي الايمان تقية من نمرود
ولذلك وعده به او لانه لم يمنع بعد من الاستغفار للكفار ولا تخزني بمعاتبتي
على ما فرطت او بنقص رتبتي عن رتبة بعض الوراث او بتعذيبي لخفاء العاقبة
وجواز التعذيب عقلا او بتعذيب والدي او ببعثه في عداد الضالين وهو
من الخزي بمعنى الهوان او من الخزاية بمعنى الحياء يوم يبعثون الضمير للعباد
لانهم معلومون او للضالين يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب
سليم اي لا ينفعان احدا الا مخلصا سليم القلب عن الكفر وميل المعاصي وسائر
آفاته ولا ينفعان الا مال من هذا شانه وبنوه حيث انفق ماله في سبيل البر
وارشد بنيه الى الحق وحثهم على الخير وقصد بهم ان يكونوا عباد الله مطيعين
شفعاء له يوم القيمة وقيل الاستثناء مما دل عليه المال والبنون اي لا ينفع

غنى الا غناه وقيل منقطع والمعنى ولكن سلامة من اتى الله بقلب سليم تنفعه
وازلفت الجنة للمتقين بحيث يرونها من الموقف فيتبجحون بانهم المحشورون اليها
وبرزت الجحيم للغاوين فيرونها مكشوفة ويتحسرون على انهم المسوقون اليها وفي
اختلاف الفعلين ترجيح لجانب الوعد وقيل لهم اين ما كنتم تعبدون من دون الله
اين آلهتكم الذين تزعمون انهم شفعاؤكم هل ينصرونكم بدفع العذاب عنكم
او ينتصرون بدفعه عن انفسهم لانهم وآلهتهم يدخلون النار كما قال فكبكبوا فيها
هم والغاوون اي الآلهة وعبدتهم والكبكبة تكرير الكب لتكرير معناه كان من القي
في النار ينكب مرة بعد اخرى حتى يستقر في قعرها وجنود ابليس متبعوه من عصاة
الثقلين او شياطينه اجمعون تاكيد للجنود ان جعل مبتدا خبره ما بعده والا فللضمير
وما عطف عليه وكذا الضمير المنفصل وما يعود اليه في قوله قالوا وهم فيها
يختصمون تالله ان كنا لفي ضلال مبين على ان الله ينطق الاصنام فتخاصم العبدة
ويؤيده الخطاب في قوله اذ نسويكم برب العالمين اي في استحقاق العبادة ويجوز
ان يكون الضماير للعبدة كما في قالوا والخطاب للمبالغة في التحسر والندامة والمعنى
انهم مع تخاصمهم في مبدا ضلالهم معترفون بانهماكهم في الضلالة متحسرون عليها
وما اضلنا الا المجرمون فما لنا من شافعين كما للمؤمنين من الملائكة والانبياء ولا
صديق حميم اذ الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين او فما لنا من شافعين
ولا صديق ممن نعدهم شفعاء واصدقاء او وقعنا في مهلكة لا يخلصنا منها شافع
ولا صديق وجمع الشافع ووحدة الصديق لكثرة الشفعاء في العادة وقلة
الصديق ولان الصديق الواحد يسعى اكثر مما يسعى الشفعاء او لاطلاق الصديق
على الجمع كالعدو لانه في الاصل مصدر كالحنين والصهيل فلو ان لنا كرة تمني
للرجعة واقيم فيه لو مقام ليت لتلاقيهما في معنى التقدير او شرط حذف جوابه فنكون
من المؤمنين جواب التمني او عطف على كرة اي لو ان لنا ان نكر فنكون ان في ذلك
فيما ذكر من قصة ابرهيم لآية لحجة وعظة لمن اراد ان يستبصر بها ويعتبر فانها

جارٍ على النظر ترتيب واحسن تقرير يتفطن المتأمل فيها لغزارة علمها فيها من
الاشارة الى اصول العلوم الدينية والتنبيه على دلائلها وحسن دعوته للقوم
وحسن مخالقته معهم وكمال اشفاقه عليهم وتصويره الامر في نفسه واطلاق الوعد
والوعيد على سبيل الحكاية تعريضا وايقاظا لهم ليكون ادعى لهم الى الاستماع
والقبول وما كان اكثرهم اكثر قومه مؤمنين به وان ربك لهو العزيز القادر على
تعجيل الانتقام الرحيم بالامهال لكي يؤمنوا هم او واحد من ذريتهم كذبت قوم
نوح المرسلين القوم مؤنثة ولذلك تصغر على قويمة وقد مر الكلام في تكذيبهم
المرسلين اذ قال لهم اخوهم نوح الا تتقون الله فتتركوا عبادة غيره اني لكم
رسول امين مشهور بالامانة فيكم فاتقوا الله واطيعون فيما آمركم به من التوحيد
والطاعة لله وما اسألكم عليه على ما انا عليه من الدعاء والنصح من اجر ان اجري
الا على رب العالمين فاتقوا الله واطيعون كرره للتأكيد والتنبيه على دلالة كل
واحد من امانته وحسم طمعه على وجوب طاعته فيما يدعوهم اليه فكيف اذا اجتمعا
قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون الاقلون جاها ومالا جمع الارذل على
الصحة وقرأ يعقوب واتباعك وهو جمع تابع كشاهد واشهاد او تبع كبطل
وابطال وهذا من سخافة عقلهم وقصور رأيهم على الحطام الدنيوية حتى جعلوا
اتباع المقلين فيها مانعا عن اتباعهم وايمانهم بما يدعوهم اليه دليلا على بطلانه
واشاروا بذلك الى ان اتباعهم ليس عن نظر وبصيرة وانما هو لتوقع مال ورفعة
فلذلك قال قال وما علمي بما كانوا يعملون انهم عملوه اخلاصا او طمعا في طعمة وما
علي الا اعتبار الظاهر ان حسابهم الا على ربي وما حسابهم على بواطنهم الا على
الله فانه المطلع عليها لو تشعرون لعلمتم ذلك ولكنكم تجهلون فتقولون ما لا تعلمون
وما انا بطارد المؤمنين جواب لما اوهم قولهم من استدعاء طردهم وتوقيف
ايمانهم عليه حيث جعلوا اتباعهم المانع عنه وقوله ان انا الا نذير مبين
كالعلة له اي ما انا الا رجل مبعوث لانذار المكلفين عن الكفر والمعاصي سواء

كانوا اعزاء او اذلاء فكيف يليق بي طرد الفقراء لاستتباع الاغنياء او ما علي
الا انذاركم انذارا بينا بالبرهان الواضح فلا علي ان اطردهم لاسترضائكم
قالوا لئن لم تنته يا نوح عما تقول لتكونن من المرجومين من المشتومين او المضروبين
بالحجارة قال رب ان قومي كذبون اظهار لما يدعو عليهم لاجله وهو تكذيب الحق
لا تخويفهم له واستخفافهم عليه فافتح بيني وبينهم فتحا فاحكم بيني وبينهم من الفتاحة
ونجني ومن معي من المؤمنين من قصدهم او شؤم عملهم فانجيناه ومن معه في الفلك المشحون
المملوء ثم اغرقنا بعد بعد انجائه الباقين من قومه ان في ذلك لآية شاعت وتواترت
وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت عاد المرسلين انثه
باعتبار القبيلة وهو في الاصل اسم ابيهم اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون
اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على
رب العالمين تصدير القصص بها دلالة على ان البعثة مقصورة على الدعاء الى معرفة
الحق والطاعة فيما يقرب المدعو الى ثوابه ويبعده عن عقابه وكان الانبياء
متفقين على ذلك وان اختلفوا في بعض التفاريع مبرئين عن المطامع الدنيئة
والاغراض الدنيوية اتبنون بكل ريع بكل مكان مرتفع ومنه ريع الارض
لارتفاعها آية علما للمارة تعبثون ببنائها اذ كانوا يهتدون بالنجوم في اسفارهم
فلا يحتاجون اليها او بروج الحمام او بنيانا يجتمعون اليها للعبث بمن يمر عليهم
او قصورا يفتخرون بها وتتخذون مصانع مآخذ الماء وقيل قصورا مشيدة وحصونا
لعلكم تخلدون فتحكمون بنيانها واذا بطشتم بسوط او سيف بطشتم جبارين
متسلطين غاشمين بلا رأفة ولا قصد تأديب ونظر في العاقبة فاتقوا الله بترك
هذه الاشياء واطيعون فيما ادعوكم اليه فانه انفع لكم واتقوا الذي امدكم
بما تعلمون كرره مرتبا على امداد الله اياهم بما يعرفونه من انواع النعم تعليلا وتنبيها
على الوعد عليه بدوام الامداد والوعيد على تركه بالانقطاع ثم فصل بعض
تلك النعم كما فصل بعض مساويهم المدلول عليها اجمالا بالانكار في الا تتقون

مبالغة في الايقاظ والحث على التقوى فقال امدكم بانعام وبنين وجنات وعيون
ثم اوعدهم فقال اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم في الدنيا وفي الآخرة فانه
كما قدر على الانعام قدر على الانتقام قالوا سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين
فانا لا نرعوي عما نحن عليه وتغيير شق النفي عما تقتضيه المقابلة للمبالغة في قلة
اعتدادهم بوعظه ان هذا الا خلق الاولين ما هذا الذي جئتنا به الا كذب
الاولين وما خلقنا هذا الا خلقهم نحيا ونموت مثلهم ولا بعث ولا حساب
وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة خلق بضمتين اي وما هذا الذي جئت به
الا عادة الاولين كانوا يلفقون مثله او ما هذا الذي نحن عليه من الدين الا
خلق الاولين وعادتهم ونحن بهم مقتدون او ما هذا الذي نحن عليه من الحياة
والموت الا عادة قديمة لم يزل الناس عليها وما نحن بمعذبين على ما نحن عليه
فكذبوه فاهلكناهم بسبب التكذيب بريح صرصر ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم
مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح
الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان
اجري الا على رب العالمين أتتركون فيما ههنا آمنين انكار لان يتركوا كذلك او تذكير
بالنعمة في تخلية الله اياهم واسباب تنعمهم آمنين ثم فسره بقوله في جنات وعيون
وزروع ونخل طلعها هضيم لطيف لين للطف الثمر او لان النخل انثى وطلع اناث
النخل الطف وهو ما يطلع منها كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو او متدل من كثرة
الحمل وافراد النخل لفضله على سائر اشجار الجنات او لان المراد بها غيرها
من الاشجار وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين بطرين او حاذقين من الفراهة
وهي النشاط فان الحاذق يعمل بنشاط وطيب قلب وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو
فرهين وهو ابلغ فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين استعير الطاعة
التي هي انقياد الآمر لامتثال الامر او نسب حكم الآمر الى امره مجازا الذين
يفسدون في الارض وصف موضح لاسرافهم ولذلك عطف ولا يصلحون

على يفسدون دلالة على خلوص فسادهم قالوا انما انت من المسحرين الذين سحروا
كثيرا حتى غلب على عقلهم او من ذوي السحر وهي الرئة اي من الاناسي فيكون ما انت
الا بشر مثلنا تأكيدا له فات بآية ان كنت من الصادقين في دعواك قال هذه
ناقة اي بعدما اخرجها الله من الصخرة بدعائه كما اقترحوها لها شرب نصيب
من الماء كالسقي والقيت للحظ من السقي والقوت وقرئ بالضم ولكم شرب يوم
معلوم فاقتصروا على شربكم ولا تزاحموها في شربها ولا تمسوها بسوء كضرب
وعقر فيأخذكم عذاب يوم عظيم عظم اليوم لعظم ما يحل فيه وهو ابلغ من تعظيم
العذاب فعقروها اسند العقر الى كلهم لان عاقرها انما عقر برضاهم ولذلك
اخذوا جميعا فاصبحوا نادمين على عقرها خوفا من حلول العذاب لا توبة او عند
معاينة العذاب ولذلك لم ينفعهم فاخذهم العذاب اي العذاب الموعود ان في
ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم في نفي الايمان
عن اكثرهم في هذا المعرض ايماء بانه لو آمن اكثرهم او شطرهم لما اخذوا بالعذاب
وان قريشا انما عصموا عن مثله ببركة من آمن منهم كذبت قوم لوط المرسلين
اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون
وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتأتون الذكران من العالمين
اي اتأتون من بين من عداكم من العالمين الذكران لا يشارككم فيه غيركم او اتأتون
الذكران من اولاد آدم مع كثرتهم وغلبة الاناث فيهم كانهن قد اعوزتكم
فالمراد بالعالمين على الاول كل من ينكح وعلى الثاني الناس وتذرون ما خلق لكم
ربكم لاجل استمتاعكم من ازواجكم للبيان ان اريد به جنس الاناث او للتبعيض
ان اريد به العضو المباح منهن فيكون تعريضا بانهم كانوا يفعلون مثل ذلك
بنسائهم ايضا بل انتم قوم عادون متجاوزون عن حد الشهوة حيث زادوا على
سائر الناس بل الحيوانات او مفرطون في المعاصي وهذا من جملة ذاك او احقاء
بان توصفوا بالعدوان لارتكابكم هذه الجريمة قالوا لئن لم تنته يا لوط عما تدعيه

أو عن نهينا أو تقبيح أمرنا لتكونن من المخرجين من المنفيين من بين أظهرنا ولعلهم
كانوا يخرجون من أخرجوه على عنف وسوء حال قال إني لعملكم من القالين من المبغضين
غاية البغض لا أقف عن الإنكار عليه بالإيعاد وهو أبلغ من أن يقول إني لعملكم
قال لدلالته على أنه معدود في زمرتهم مشهور بأنه من جملتهم رب نجني وأهلي
مما يعملون أي من شؤمه وعذابه فنجيناه وأهله أجمعين أهل بيته والمتبعين له على دينه
بإخراجهم من بينهم وقت حلول العذاب بهم إلا عجوزا هي امرأة لوط عليه السلام
في الغابرين مقدرة في الباقين في العذاب إذ أصابها حجر في الطريق فأهلكها لأنها
كانت مائلة إلى القوم راضية بفعلهم وقيل كانت فيمن بقي في القرية فإنها
لم تخرج مع لوط ثم دمرنا الآخرين أهلكناهم وأمطرنا عليهم مطرا قيل أمطر الله
على شذاذ القوم حجارة فأهلكهم فساء مطر المنذرين اللام فيه للجنس حتى يصح
وقوع المضاف إليه فاعل ساء والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم إن في ذلك
لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم كذب أصحاب الأيكة
المرسلين الأيكة غيضة تنبت ناعم الشجر يريد غيضة بقرب مدين تسكنها طائفة
فبعث الله إليهم شعيبا كما بعث إلى مدين وكان أجنبيا منهم فلذلك قال إذ قال
لهم شعيب ألا تتقون ولم يقل أخوهم شعيب وقيل الأيكة شجر ملتف وكان
شجرهم الدوم وهو المقل وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر بحذف الهمزة وإلقاء
حركتها على اللام وقرئت كذلك مفتوحة على أنها ليكة وهي اسم بلدهم وإنما كتبت
ههنا وفي ص بغير ألف اتباعا للفظ إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون
وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين أوفوا الكيل أتموه ولا تكونوا
من المخسرين حقوق الناس بالتطفيف وزنوا بالقسطاس المستقيم بالميزان السوي وهو
إن كان عربيا فإن كان من القسط ففعلاس بتكرير العين وإلا ففعلال وقرأ
حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تنقصوا شيئا
من حقوقهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين بالقتل والغارة وقطع الطريق واتقوا

الذي خلقكم والجبلة الأولين وذوي الجبلة الأولين يعني من تقدمهم من الخلائق
قالوا إنما أنت من المسحرين وما أنت إلا بشر مثلنا أتوا بالواو للدلالة على أنه جامع
بين وصفين منافيين للرسالة مبالغة في تكذيبه وإن نظنك لمن الكاذبين في دعواك
فأسقط علينا كسفا من السماء قطعة منها ولعله جواب لما أشعر به الأمر بالتقوى
من التهديد وقرأ حفص بفتح السين إن كنت من الصادقين في دعواك قال
ربي أعلم بما تعملون وبعذاب منزل عليكم ما أوجبه لكم عليه في وقته المقدر له لا محالة
فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة على نحو ما اقترحوا بأن سلط الله عليهم
الحر سبعة أيام حتى غلت أنهارهم فأظلتهم سحابة فاجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم
نارا فاحترقوا إنه كان عذاب يوم عظيم إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين
وإن ربك لهو العزيز الرحيم هذا آخر القصص السبع المذكورة على الاختصار
تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتهديدا للمكذبين به واطراد نزول العذاب
على تكذيب الأمم بعد إنذار الرسل به واقتراحهم له استهزاء وعدم مبالاتهم به يدفع
أن يقال إنه كان بسبب اتصالات فلكية أو كان ابتلاء لا مؤاخذة على تكذيبهم وإنه
لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك تقرير لحقية تلك القصص وتنبيه
على إعجاز القرآن ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم فإن الإخبار عنها ممن لم يتعلمها لا يكون
إلا وحيا من الله عز وجل والقلب إن أراد به الروح فذاك وإن أراد به العضو
فتخصيصه لأن المعاني الروحانية إنما تنزل أولا على الروح ثم تنتقل منه إلى القلب
لما بينهما من التعلق ثم تتصعد منه إلى الدماغ فينتقش بها لوح المتخيلة والروح
الأمين جبرئيل فإنه أمين الله تعالى على وحيه وقرأ ابن عامر وأبو بكر وحمزة
والكسائي بتشديد الزاي ونصب الروح والأمين لتكون من المنذرين عما يؤدي
إلى عذاب من فعل أو ترك بلسان عربي مبين واضح المعنى لئلا يقولوا ما نصنع بما لا
نفهمه فهو متعلق بنزل ويجوز أن يتعلق بالمنذرين أي لتكون ممن أنذروا بلغة العرب
وهم هود وصالح وإسماعيل وشعيب ومحمد صلى الله عليه وسلم وإنه لفي زبر الأولين

وان ذكره او معناه لفي الكتب المتقدمة اولم يكن لهم آية على صحة القرآن او نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم ان يعلمه علماء بني اسرائيل ان يعرفوه بنعته المذكور في كتبهم
وهو تقرير لكونه دليلا وقرا ابن عامر تكن بالتاء وآية بالرفع على انها الاسم والخبر
لهم وان يعلمه بدل او الفاعل وان يعلمه بدل ولهم حال او ان الاسم ضمير القصة وآية
خبر ان يعلمه والجملة خبر تكن ولو نزلناه على بعض الاعجمين كما هو زيادة في اعجاز
او بلغة العجم فقراه عليهم ما كانوا به مؤمنين لفرط عنادهم واستكبارهم او لعدم
فهمهم واستنكافهم من اتباع العجم والاعجمين جمع اعجمي على التخفيف ولذلك جمع جمع
السلامة كذلك سلكناه ادخلناه في قلوب المجرمين والضمير للكفر المدلول عليه
بقوله ما كانوا به مؤمنين فتدل الآية على انه بخلق الله وقيل للقرآن اي ادخلناه
فيها فعرفوا معانيه واعجازه ثم لم يؤمنوا به عنادا لا يؤمنون به حتى يروا العذاب
الاليم الملجئ الى الايمان فياتيهم بغتة في الدنيا وفي الآخرة وهم لا يشعرون باتيانه
فيقولوا هل نحن منظرون تحسرا وتأسفا افبعذابنا يستعجلون فيقولون امطر
علينا حجارة من السماء فائتنا بما تعدنا وحالهم عند نزول العذاب طلب النظرة
افرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا
يمتعون لم يغن عنهم تمتعهم المتطاول في دفع العذاب وتخفيفه وما اهلكنا
من قرية الا لها منذرون انذروا اهلها الزاما للحجة ذكرى تذكرة ومحلها النصب
على العلة او المصدر لانها في معنى الانذار او الرفع على انه صفة منذرون باضمار
ذوو او بجعلهم ذكرى لامعانهم في التذكرة او خبر محذوف والجملة اعتراضية
وما كنا ظالمين فنهلك غير الظالمين وقبل الانذار وما تنزلت به الشياطين
كما زعم المشركون انه من قبيل ما يلقي الشياطين على الكهنة وما ينبغي لهم ان ينزلوا به وما
يستطيعون وما يقدرون انهم عن السمع لكلام الملائكة لمعزولون لانه مشروط
بمشاركة في صفاء الذات وقبول فيضان الحق والانتقاش بالصور الملكوتية ونفوسهم
خبيثة ظلمانية شريرة بالذات لا تقبل ذلك والقرآن مشتمل على حقائق ومغيبات

لا يمكن

لا يمكن تلقيها الا من الملائكة فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين تهييج
لازدياد الاخلاص ولطف لسائر المكلفين وانذر عشيرتك الاقربين الاقرب منهم
فالاقرب فان الاهتمام بشانهم اهم روي انه لما نزلت صعد الصفا وناداهم
فخذا فخذا حتى اجتمعوا اليه فقال لو اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقي
قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد واخفض جناحك لمن اتبعك
من المؤمنين لين جانبك لهم مستعار من خفض الطائر جناحه اذا اراد ان ينحط ومن
للتبيين لان من اتبع اعم ممن اتبع لدين او غيره او للتبعيض على ان المراد من المؤمنين
المشارفون للايمان او المصدقون باللسان فان عصوك ولم يتبعوك فقل اني
بريء مما تعملون مما تعملونه او من اعمالكم وتوكل على العزيز الرحيم الذي يقدر
على قهر اعدائه ونصر اوليائه يكفيك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم وقرا
نافع وابن عامر فتوكل على الابدال من جواب الشرط الذي يراك حين تقوم
الى التهجد وتقلبك في الساجدين وترددك في تصفح احوال المتهجدين كما روي
انه لما نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت اصحابه لينظر ما يصنعون
حرصا على كثرة طاعاتهم فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع لها من دندنتهم بذكر الله
تعالى والتلاوة او تصرفك فيما بين المصلين بالقيام والركوع والسجود والقعود
اذا اممتهم وانما وصفه الله تعالى بعلمه بحاله التي بها يستاهل ولايته بعد وصفه
بان من شانه قهر اعدائه ونصر اوليائه تحقيقا للتوكل وتطمينا لقلبه عليه انه هو
السميع لما تقوله العليم بما تنويه هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل
افاك اثيم لما بين ان القرآن لا يصح ان يكون مما تنزلت به الشياطين اكد ذلك بان
بين ان محمدا صلى الله عليه وسلم لا يصلح ان ينزلوا عليه من وجهين احدهما انه انما يكون
على شرير كذاب كثير الاثم فان اتصال الانسان بالغائبات لما بينهما من التناسب
والتوادد وحال محمد صلى الله عليه وسلم على خلاف ذلك وثانيهما قوله يلقون السمع
واكثرهم كاذبون اي الافاكون يلقون السمع الى الشياطين فيتلقون منهم ظنونا

وأمارات لنقصان علمهم فيضمون عليها على حسب تخيلاتهم أشياء لا يطابق أكثرها كما جاء
في الحديث الكلمة يخطفها الجني فيقرها في أذن وليه فيزيد فيها أكثر من مائة كذبة ولا
كذلك محمد صلى الله عليه وسلم فإنه أخبر عن مغيبات كثيرة لا تحصى وقد طابق كلها
وقد فسر الأكثر بالكل لقوله كل أفاك والأظهر أن الأكثرية باعتبار أقوالهم
على معنى أن هؤلاء قل من يصدق منهم فيما يحكي عن الجني وقيل الضماير للشياطين
أي يلقون السمع إلى الملأ الأعلى قبل أن رجموا فيختطفون منهم بعض المغيبات
ويوحون إلى أوليائهم أو يلقون مسموعهم منهم إلى أوليائهم وأكثرهم كاذبون
فيما يوحون به إليهم إذ يسمعونهم لا على نحو ما تكلمت به الملائكة لشرارتهم أو لقصور
فهمهم أو ضبطهم أو إفهامهم والشعراء يتبعهم الغاوون وأتباع محمد صلى الله عليه
وسلم ليسوا كذلك وهو استئناف أبطل كونه شاعرا وقرره بقوله ألم تر أنهم في
كل واد يهيمون لأن أكثر مقدماتهم خيالات لا حقيقة لها وأغلب كلماتهم في النسيب
بالحرم والغزل والابتهار وتمزيق الأعراض والقدح في الأنساب والوعد
الكاذب والافتخار الباطل ومدح من لا يستحقه والإطراء فيه وإليه أشار بقوله
وأنهم يقولون ما لا يفعلون وكأنه لما كان إعجاز القرآن من جهة المعنى واللفظ وقد
قدحوا في المعنى بأنه مما تنزلت به الشياطين وفي اللفظ بأنه من جنس كلام الشعراء
تكلم في القسمين وبين منافاة القرآن لهما ومضادة حال الرسول صلى الله عليه وسلم
لحال أربابهما وقرأ نافع يتبعهم على التخفيف وقرئ بالتشديد وتسكين العين تشبيها
لبعه بعضد إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من
بعد ما ظلموا استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله ويكون أكثر
أشعارهم في التوحيد والثناء على الله تعالى والحث على طاعته ولو قالوا هجوا أرادوا
به الانتصار ممن هجاهم ومكافحة هجاة المسلمين كعبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت
والكعبين وكان عليه الصلاة والسلام يقول لحسان قل وروح القدس معك وعن
كعب بن مالك رضي الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال له اهجهم فوالذي نفسي

بيده

بيده لهو أشد عليهم من النبل وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون تهديد شديد
لما في سيعلم من الوعيد البليغ وفي الذين ظلموا من الإطلاق والتعميم وفي أي منقلب
ينقلبون أي بعد الموت من الإبهام والتهويل وقد تلاهما أبو بكر لعمر حين عهد إليه
وقرئ أي منفلت ينفلتون من الانفلات وهو النجاة والمعنى أن الظالمين يطمعون أن
ينفلتوا من عذاب الله وسيعلمون أن ليس لهم وجه من وجوه الانفلات عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة الشعراء كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود
وصالح وشعيب وإبرهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد صلى الله عليه وسلم

سورة النمل وهي ثلث أو أربع وعشرون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين الإشارة إلى آي
السورة والكتاب المبين إما اللوح وإبانته أنه خط فيه ما هو كائن فهو يبينه للناظرين
فيه وتأخيره باعتبار تعلق علمنا به وتقديمه في الحجر باعتبار الوجود أو القرآن
وإبانته لما أودع فيه من الحكم والأحكام أو لصحته بإعجازه وعطفه على القرآن
كعطف إحدى الصفتين على الأخرى وتنكيره للتعظيم وقرئ وكتاب بالرفع على حذف
المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه هدى وبشرى للمؤمنين حالان من الآيات
والعامل فيهما معنى الإشارة أو بدلان منها أو خبران آخران أو خبران لمحذوف
الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة الذين يعملون الصالحات من الصلوة والزكوة
وهم بالآخرة هم يوقنون من تتمة الصلة والواو للحال أو للعطف وتغيير النظم
للدلالة على قوة يقينهم وثباته وأنهم الأوحدون فيه أو جملة اعتراضية كأنه
قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات هم الموقنون بالآخرة فإن تحمل
المشاق إنما يكون لخوف العاقبة والوثوق على المحاسبة وتكرير الضمير للاختصاص
إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم زين لهم أعمالهم القبيحة بأن جعلها مشتهاة
للطبع محبوبة للنفس أو الأعمال الحسنة التي وجب عليهم أن يعملوها بترتيب المثوبات

عليها فهم يعمهون عنها لا يدركون ما يتبعها من ضر او نفع اولئك الذين لهم سوء العذاب
كالقتل والاسر يوم بدر وهم في الآخرة هم الاخسرون اشد الناس خسرانا لفوات المثوبة
واستحقاق العقوبة وانك لتلقى القرآن لتؤتاه من لدن حكيم عليم اي حكيم واي عليم
والجمع بينهما مع ان العلم داخل في الحكمة لعموم العلم ودلالة الحكمة على اتقان الفعل
والاشعار بان علوم القرآن منها ما هي حكمة كالعقائد والشرائع ومنها ما ليس
كذلك كالقصص والاخبار عن المغيبات ثم شرع في بيان بعض تلك العلوم بقوله
اذ قال موسى لاهله اني آنست نارا اي اذكر قصته اذ قال ويجوز ان يتعلق بعليم
سآتيكم منها بخبر اي عن حال الطريق لانه قد ضله وجمع الضمير ان صح انه لم يكن معه
غير امرأته لما كنى عنها بالاهل والسين للدلالة على بعد المسافة او الوعد بالاتيان
وان ابطأ او آتيكم بشهاب قبس شعلة نار مقبوسة واضافة الشهاب اليه لانه
يكون قبسا وغير قبس ونونه الكوفيون ويعقوب على ان القبس بدل منه او وصف
له لانه بمعنى المقبوس والعدتان على سبيل الظن ولذلك عبر عنهما بصيغة الترجي
في طه والترديد للدلالة على انه ان لم يظفر بهما لم يعدم احدهما بناء على ظاهر الامر
وثقة بعادة الله انه لا يكاد يجمع حرمانين على عبده لعلكم تصطلون رجاء ان تستدفئوا
بها والصلاء النار العظيمة فلما جاءها نودي ان بورك اي بورك فان النداء فيه معنى
القول او بان بورك على انها مصدرية او مخففة من الثقيلة والتخفيف وان اقتضى
التعويض بلا او قد او السين او سوف لكنه دعاء وهو يخالف غيره في احكام كثيرة
من في النار ومن حولها من في مكان النار وهو البقعة المباركة المذكورة في قوله
نودي من شاطئ الوادي الايمن في البقعة المباركة ومن حول مكانها والظاهر انه
عام في كل من في تلك الوادي وحواليها من ارض الشام الموسومة بالبركات لكونها
مبعث الانبياء وكفاتهم احياء وامواتا وخصوصا تلك البقعة التي كلم الله فيها
موسى وقيل المراد موسى والملائكة الحاضرون وتصدير الخطاب بذلك بشارة
بانه قد قضي له امر عظيم تنتشر بركته في اقطار الشام وسبحان الله رب العالمين

من تمام ما نودي به لئلا يتوهم من سماع كلامه تشبيها وللتعجب من عظمة ذلك الامر
او تعجب من موسى لما دهاه من عظمته يا موسى انه انا الله الهاء للشأن وانا الله
جملة مفسرة له او للمتكلم وانا خبره والله بيان له العزيز الحكيم صفتان لله ممهدتان
لما اراد الله ان يظهره يريد انا القوي الغالب القادر على ما يبعد من الاوهام
كقلب العصا حية الفاعل كل ما يفعله بحكمة وتدبير والق عصاك
عطف على بورك اي نودي ان بورك من في النار وان الق عصاك ويدل عليه
ان الق عصاك بعد قوله ان يا موسى اني انا الله بتكرير ان فلما رآها تهتز
تتحرك باضطراب كانها جان حية خفيفة سريعة وقرئ جأن على لغة من جد في الهرب
من التقاء الساكنين ولى مدبرا ولم يعقب ولم يرجع من عقب المقاتل اذا كر بعد الفرار
وانما رعب لظنه ان ذلك الامر اريد به ويدل عليه قوله يا موسى لا تخف اي
من غيري ثقة بي او مطلقا لقوله اني لا يخاف لدي المرسلون حين يوحى اليهم من
فرط الاستغراق فانهم اخوف الناس اي من الله او لا يكون لهم عندي سوء عاقبة
فيخافون منه الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم استثناء منقطع
استدرك به ما يختلج في الصدر من نفي الخوف عن كلهم وفيهم من فرطت منه صغيرة
فانهم ان فعلوها اتبعوا فعلها ما يبطلها ويستحقون به من الله مغفرة ورحمة
وقصد تعريض موسى بوكزه القبطي وقيل متصل وثم بدل مستأنف معطوف على محذوف
اي من ظلم ثم بدل ذنبه بالتوبة وادخل يدك في جيبك لانه كان مدرعة صوف
لا كم لها وقيل الجيب القميص لانه يجاب اي يقطع تخرج بيضاء من غير سوء آفة
كبرص في تسع آيات في جملتها او معها على ان التسع هي الفلق والطوفان والجراد
والقمل والضفادع والدم والطمس والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم
ولمن عد العصا واليد من التسع ان يعد الاخيرين واحدا ولا يعد الفلق لانه
لم يبعث به الى فرعون او اذهب في تسع آيات على انه استئناف بالارسال فيتعلق
الى فرعون وقومه وعلى الاول يتعلق بنحو مبعوثا ومرسلا انهم كانوا قوما

فاستقر تعليل للارسال فلما جاءتهم آياتنا بان جاءهم موسى بها مبصرة بينة
اسم فاعل اطلق للمفعول اشعارا بانها لفرط اجتلائها للابصار بحيث تكاد تبصر
نفسها لو كانت مما يبصر او ذات تبصر من حيث انها تهدي والعمي لا تهتدي فضلا
ان تهدي او مبصرة كل من نظر اليها وتأمل فيها وقرئ مبصرة اي مكانا يكثر فيه
التبصر قالوا هذا سحر مبين واضح سحريته وجحدوا بها وكذبوا بها واستيقنتها
انفسهم وقد استيقنتها لان الواو للحال ظلما لانفسهم وعلوا ترفعا عن الايمان
وانتصابهما على العلة من جحدوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وهو الاغراق
في الدنيا والاحراق في الاخرى ولقد آتينا داود وسليمان علما طائفة من العلم وهو علم
الحكم والشرائع او علما اي علم وقالا الحمد لله عطفه بالواو اشعارا بان ما قالاه بعض
ما اتيا به في مقابلة هذه النعمة كانه قال ففعلا شكرا له ما فعلا وقالا الحمد لله
الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين يعني من لم يؤت علما او مثل علمهما وفيه دليل
على فضل العلم وشرف اهله حيث شكرا على العلم وجعلاه اساس الفضل ولم يعتبرا
دونه ما اوتيا من الملك الذي لم يؤت غيرهما وتحريض للعالم على ان يحمد الله على ما
آتاه من فضله وان يتواضع وان يعتقد انه وان فضل على كثير فقد فضل عليه كثير
وورث سليمان داود النبوة او العلم او الملك بان قام مقامه في ذلك دون سائر
بنيه وكانوا تسعة عشر وقال يا ايها الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل شيء
تشهيرا لنعمة الله وتنويها بها ودعاء للناس الى التصديق بذكر المعجزة التي هي
علم منطق الطير وغير ذلك من عظائم ما اوتيه والنطق والمنطق في المتعارف كل لفظ
يعبر به عما في الضمير مفردا كان او مركبا وقد يطلق لكل ما يصوت به على التشبيه
او التبع كقولهم نطقت الحمامة ومنه الناطق والصامت للحيوان والجماد فان الاصوات
الحيوانية من حيث انها تابعة للتخيلات منزلة منزلة العبارات سيما وفيها ما يتفاوت
باختلاف الاغراض بحيث يفهمها ما هو من جنسه ولعل سليمان عليه السلام مهما سمع صوت
حيوان علم بقوته القدسية التخيل الذي صوته والغرض الذي توخاه به ومن ذلك

ما حكي

ما حكي انه مر ببلبل يصوت ويترقص فقال يقول اذا اكلت نصف تمرة فعلى
الدنيا العفا وصاحت فاختة فقال انها تقول ليت الخلق لم يخلقوا فلعله كان
صوت البلبل عن شبع وفراغ بال وصياح الفاختة عن مقاساة شدة وتألم قلب
والضمير في علمنا واوتينا له ولابيه او له وحده على عادة الملوك لمراعاة قواعد
السياسة والمراد من كل شيء كثرة ما اوتي كقولك فلان يقصده كل احد ويعلم كل شيء
ان هذا لهو الفضل المبين الذي لا يخفى على احد وحشر وجمع لسليمن جنوده من الجن
والانس والطير فهم يوزعون يحبسون بحبس اولهم على آخرهم ليتلاحقوا حتى اذا اتوا
على واد النمل واد بالشام كثير النمل وتعدية الفعل اليه بعلى اما لان اتيانهم
كان من عال او لان المراد قطعه من قولهم اتى على الشيء اذا انفده وبلغ آخره كانهم
ارادوا ان ينزلوا اخريات الوادي قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم
كانها لما رأتهم متوجهين الى الوادي فرت عنهم مخافة حطمهم فتبعها غيرها وصاحت
صيحة تنبهت بها ما بحضرتها من النمال فتبعتها فشبه ذلك بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم
ولذلك اجروا مجراهم مع انه لا يمتنع خلق الله فيها العقل والنطق لا يحطمنكم
سليمان وجنوده نهي لهم عن الحطم والمراد نهيها عن التوقف بحيث يحطمونها كقولهم
لا ارينك ههنا فهو استيناف او بدل من الامر لا جواب له فان النون لا يدخله في
السعة وهم لا يشعرون انهم يحطمونكم اذ لو شعروا لم يفعلوا كانها شعرت عصمة الانبيا
من الظلم والايذاء وقيل استيناف اي فهم سليمن والقوم لا يشعرون فتبسم ضاحكا من قولها
تعجبا من حذرها وتحذيرها واهتدائها الى مصالحها او سرورا بما خصه الله تعالى به
من ادراك همسها وفهم غرضها ولذلك سأل توفيق شكره وقال رب اوزعني ان اشكر
نعمتك اجعلني ازع شكر نعمتك عندي اي اكفه وارتبطه لا ينفلت عني بحيث لا انفك
عنه التي انعمت علي وعلى والدي ادرج فيه ذكر والديه تكثيرا للنعمة او تعميما
لها فان النعمة عليهما نعمة عليه والنعمة عليه يرجع نفعها اليهما سيما الدينية وان اعمل
صالحا ترضيه تماما للشكر واستدامة للنعمة وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين

في عدادهم الجنة وتفقد الطير وتعرف الطير فلم يجد فيها الهدهد فقال ما لي لا أرى
الهدهد أم كان من الغائبين أم منقطعة كأنه لما لم يره ظن أنه حاضر ولا يراه لساتر
أو غيره فقال ما لي لا أراه ثم احتاط فلاح له أنه غائب فأضرب عن ذلك وأخذ
يقول أهو غائب كأنه يسأل عن صحة ما لاح له لأعذبنه عذابا شديدا كنتف ريشه
وإلقائه في الشمس أو حيث النمل تأكله أو جعله مع ضده في قفص أو لأذبحنه ليعتبر
أبناء جنسه أو ليأتيني بسلطان مبين بحجة تبين عذره والحلف في الحقيقة على أحد
الأولين بتقدير عدم الثالث لكن لما اقتضى ذلك وقوع أحد الأمور الثلاثة ثلث
المحلوف عليه بعطفه عليهما وقرأ ابن كثير أو ليأتينني بنونين الأولى مفتوحة مشددة
فمكث غير بعيد زمانا غير مديد يريد به الدلالة على سرعة رجوعه خوفا منه وقرأ
عاصم بفتح الكاف فقال أحطت بما لم تحط به يعني حال سبأ وفي مخاطبته إياه بذلك
تنبيه على أن في أدنى خلق الله من أحاط علما بما لم يحط به لتتحاقر إليه نفسه ويتصاغر
لديه علمه وقرئ بإدغام الطاء في التاء بإطباق وبغير إطباق وجئتك من سبإ وقرأ
ابن كثير برواية البزي وأبو عمرو غير مصروف على تأويل القبيلة أو البلدة بنبإ يقين
بخبر محقق روي أنه عليه السلام لما أتم بناء بيت المقدس تجهز للحج فوافى الحرم وأقام به
ما شاء ثم توجه إلى اليمن فخرج من مكة صباحا فوافى صنعاء ظهرا فأعجبته نزاهة أرضها
فنزل بها ثم لم يجد الماء وكان الهدهد رائده لأنه يحس الماء فتفقده لذلك فلم يجده
إذ حلق حين نزل سليمان فرأى هدهدا واقعا فانحط إليه فتواصفا وطار معه لينظر
ما وصف له ثم رجع بعد العصر وحكى ما حكى ولعل في عجائب قدرة الله وما خص به
خاصة عباده أشياء أعظم من ذلك يستكبرها من يعرفها ويستنكرها من ينكرها
إني وجدت امرأة تملكهم يعني بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن ريان والضمير لسبإ أو لأهلها
وأوتيت من كل شيء يحتاج إليه الملوك ولها عرش عظيم عظمه بالنسبة إليها أو إلى عروش
أمثالها وقيل كان ثلاثين ذراعا في ثلاثين عرضا وسمكا أو ثمانين من ذهب
وفضة مكللا بالجواهر وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله كأنهم كانوا يعبدونها

وزين لهم الشيطان أعمالهم عبادة الشمس وغيرها من مقابح أعمالهم فصدهم
عن السبيل سبيل الحق والصواب فهم لا يهتدون إليه ألا يسجدوا لله فصدهم لئلا يسجدوا
أو زين لهم أن لا يسجدوا على أنه بدل من أعمالهم أو لا يهتدون إلى أن يسجدوا بزيادة لا
وقرأ الكسائي ويعقوب ألا بالتخفيف على أنها للتنبيه ويا للنداء ومناداه محذوف
أي ألا يا قوم اسجدوا كقوله وقالت ألا يا اسمع نعظك بخطة فقلت سميعا
فانطق وأصب فعلى هذا صح أن يكون استئنافا من الله أو من سليمان والوقف على
لا يهتدون ويكون أمرا بالسجود وعلى الأول ذما على تركه وعلى الوجهين يقتضي وجوب
السجود في الجملة لا عند قراءتها وقرئ هلا وهلا بقلب الهمزة هاء وألا تسجدون
وهلا تسجدون على الخطاب الذي يخرج الخبء في السماوات والأرض ويعلم ما تخفون
وما تعلنون وصفه له بما يوجب اختصاصه باستحقاق السجود من التفرد بكمال
القدرة والعلم حثا على سجوده وردا على من يسجد لغيره والخبء ما خفي في غيره وإخراجه
إظهاره وهو يعم إشراق الكواكب وإنزال الأمطار وإنبات النبات بل الإنشاء
فإنه إخراج ما في الشيء بالقوة إلى الفعل والإبداع فإنه إخراج ما في
الإمكان والعدم إلى الوجوب والوجود ومعلوم أنه يختص بالواجب
لذاته وقرأ حفص والكسائي ما تخفون وما تعلنون بالتاء الله لا إله إلا
هو رب العرش العظيم الذي هو أول الأجرام وأعظمها والمحيط بجملتها فبين
العظيمين بون عظيم قال سننظر سنتعرف من النظر بمعنى التأمل أصدقت أم كنت
من الكاذبين أي أم كذبت والتغيير للمبالغة ومحافظة الفواصل اذهب بكتابي
هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم ثم تنح عنهم إلى مكان قريب تتوارى فيه
فانظر ماذا يرجعون ماذا يرجع بعضهم إلى بعض من القول قالت أي بعد ما ألقي
إليها يا أيها الملأ إني ألقي إلي كتاب كريم لكرم مضمونه أو مرسله أو لأنه
كان مختوما أو لغرابة شأنه إذ كانت مستلقية في بيت مغلقة الأبواب
فدخل الهدهد من كوة وألقاه على نحرها بحيث لم تشعر به إنه من سليمان استئناف

كانه قيل لها ممن هو وما هو فقالت انه اي الكتاب او العنوان من سليمان
وانه اي المكتوب او المضمون وقرئ بالفتح على الابدال من كتاب او التعليل
لكرمه بسم الله الرحمن الرحيم ان لا تعلوا على ان مفسرة او مصدرية فيكون
بصلته خبر محذوف اي هو او المقصود ان لا تعلوا وبدل كتاب واتوني مسلمين
مؤمنين او منقادين وهذا كلام في غاية الوجازة مع كمال الدلالة على المقصود
لاشتماله على البسملة الدالة على ذات الصانع وصفاته صريحا او التزاما
والنهي عن الترفع الذي هو ام الرذائل والامر بالاسلام الجامع لامهات
الفضائل وليس الامر فيه بالانقياد قبل اقامة الحجة على رسالته حتى يكون
استدعاء للتقليد فان القاء الكتاب اليها على تلك الحالة من اعظم الدلالة قالت
يا ايها الملأ افتوني في امري اجيبوني في امري والفتيا واذكروا ما تستصوبون
فيه ما كنت قاطعة امرا ما ابت امرا حتى تشهدون الا بمحضركم استعطفتهم بذلك
ليمالئوها على الاجابة قالوا نحن اولو قوة بالاجساد والعدد واولو باس شديد
نجدة وشجاعة والامر اليك موكول فانظري ماذا تامرين من المقاتلة والصلح
نطعك ونتبع رايك قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها تزييف لما
احست منهم من الميل الى المقاتلة بادعائهم القوى الذاتية والعرضية واشعار
بانها ترى الصلح مخافة ان يتخطى سليمن خططهم فيسرع الى افساد ما يصادفه
من اموالهم وعماراتهم ثم ان الحرب سجال لا يدرى عاقبتها وجعلوا اعزة اهلها اذلة
بنهب اموالهم وتخريب ديارهم الى غير ذلك من الاهانة والاسر وكذلك يفعلون
تاكيد لما وصفت من حالهم وتقرير بان ذلك من عاداتهم الثابتة المستمرة او
تصديق لها من الله تعالى واني مرسلة اليهم بهدية بيان لما ترى تقديمه في المصالحة
والمعنى اني مرسلة رسلا بهدية ادفعه بها عن ملكي فناظرة بم يرجع المرسلون
من حاله حتى اعمل بحسب ذلك روي انها بعثت منذر بن عمرو في وفد وارسلت
معهم غلمانا على زي الجواري وجواري على زي الغلمان وحقا فيه درة عذراء

وجزعة معوجة الثقب وقالت ان كان نبيا ميز بين الغلمان والجواري
وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك في الخرزة خيطا فلما وصلوا الى معسكره وراوا
عظمة شانه تقاصرت اليهم نفوسهم فلما وقفوا بين يديه وقد سبقهم جبريل بالحال فطلب
الحق واخبر عما فيه فامر الارضة فاخذت شعرة ونفذت في الدرة وامر دودة بيضاء
فاخذت الخيط ونفذت في الجزعة ودعا بالماء فكانت الجارية تاخذ الماء بيدها
فتجعله في الاخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما ياخذه يضرب به وجهه
ثم رد الهدية فلما جاء سليمان اي الرسول او ما اهدت اليه وقرئ فلما جاؤا
قال اتمدونن بمال خطاب للرسول ومن معه او للرسول والمرسل على تغليب المخاطب
وقرأ حمزة ويعقوب بالادغام وقرئ بنون واحدة وبنونين وحذف الياء فما
آتاني الله من النبوة والملك الذي لا مزيد عليه خير مما آتاكم فلا حاجة الى هديتكم
ولا وقع لها عندي بل انتم بهديتكم تفرحون لانكم لا تعلمون الا ظاهرا من الحياة
الدنيا فتفرحون بما يهدى اليكم حبا لزيادة اموالكم او بما تهدونه افتخارا
على امثالكم والاضراب عن انكار الامداد بالمال عليه وتعليله الى بيان السبب
الذي حملهم عليه وهو قياس حاله على حالهم في قصور الهمة بالدنيا والزيادة
فيها ارجع ايها الرسول اليهم الى بلقيس وقومها فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم
بها لا طاقة لهم بمقاومتها ولا قدرة بهم على مقاتلتها وقرئ بهم ولنخرجنهم منها
من سبا اذلة بذهاب ما كانوا فيه من العز وهم صاغرون اسراء مهانون قال
يا ايها الملأ ايكم ياتيني بعرشها اراد بذلك ان يريها بعض ما خصه الله به من
العجائب الدالة على عظيم القدرة وصدقه في دعوى النبوة ويختبر عقلها بان ينكر
عرشها فينظر اتعرفه ام تنكره قبل ان ياتوني مسلمين فانها اذا اتت مسلمة لم يحل
اخذه الا برضاها قال عفريت خبيث مارد من الجن بيان له لانه يقال للرجل
الخبيث المنكر المعفر اقرانه وكان اسمه ذكوان او صخرا انا آتيك به قبل ان تقوم
من مقامك مجلسك للحكومة وكان يجلس الى نصف النهار واني عليه على حمله لقوي

امر لا اختص به شيا ولا ابدله قال الذي عنده علم من الكتاب آصف بن برخيا وزيره
او الخضر او جبرئيل او ملك ايده الله به او سليمان نفسه فيكون التعبير عنه بذلك
للدلالة على شرف العلم وان هذه الكرامة كانت بسببه والخطاب في انا آتيك
به قبل ان يرتد اليك طرفك للعفريت كانه استبطأه فقال له ذلك او اراد
اظهار معجزة في نقله فتحداهم اولا ثم اراهم انه يتأتى له ما لا يتهيا لعفاريت الجن
فضلا عن غيرهم والمراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة او اللوح وآتيك في الموضعين
صالح للفعلية والاسمية والطرف تحريك الاجفان للنظر فوضع موضعه ولما كان
يوصف الناظر بارسال الطرف كما في قوله وكنت اذا ارسلت طرفك رائدا
لقلبك يوما اتعبتك المناظر وصف برد الطرف والطرف بالارتداد والمعنى
انك ترسل طرفك نحو شي فقبل ان ترده احضر عرشها بين يديك وهذا غاية في الاسراع
ومثل فيه فلما رآه اي العرش مستقرا عنده حاضرا بين يديه قال تلقيا للنعمة
بالشكر على شاكلة المخلصين من عباد الله تعالى هذا من فضل ربي تفضل به
علي من غير استحقاق والاشارة الى التمكن من احضار العرش في مدة ارتداد الطرف
من مسيرة شهرين بنفسه او غيره والكلام في امكان مثله قد مر في اية الاسرا ليبلوني
ءاشكر بان اراه فضلا من الله بلا حول مني ولا قوة واقوم بحقه ام اكفر بان اجد نفسي في
البين او اقصر في اداء مواجبه ومحلها النصب على البدل من اليا ومن شكر فانما يشكر
لنفسه لانه به يستجلب لها دوام النعمة ومزيدها ويحط عنها عبء الواجب ويحفظها
عن وصمة الكفران ومن كفر فان ربي غني عن الشكر كريم بالانعام عليه ثانيا
قال نكروا لها عرشها بتغيير هيئته وشكله ننظر جواب الامر وقرئ بالرفع على
الاستيناف اتهتدي ام تكون من الذين لا يهتدون الى معرفته او الجواب الصواب
وقيل الى الايمان بالله ورسوله اذا رأت تقدم عرشها وقد خلفته مغلقة عليه
الابواب موكلة عليه الحراس فلما جاءت قيل اهكذا عرشك تنبيها عليها زيادة
في امتحان عقلها اذ ذكرت عنده بسخافة العقل قالت كانه هو ولم تقل هو

لاحتمال

لاحتمال ان يكون مثله وذلك من كمال عقلها واوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين
من تتمة كلامها كانها ظنت انه اراد بذلك اختبار عقلها واظهار معجزة لها فقالت
اوتينا العلم بكمال قدرة الله وصحة نبوتك قبل هذه الحالة او المعجزة بما تقدم
من الايات وقيل انه كلام سليمان وقومه عطفوه على جوابها لما فيه من الدلالة على
ايمانها بالله ورسوله حيث جوزت ان يكون ذلك عرشها تجويزا غالبا واحضاره
ثم من المعجزات التي لا يقدر عليها غير الله ولا تظهر الا على يد الانبياء اي واوتينا
العلم بالله وقدرته وصحة ما جاء من عنده قبلها وكنا منقادين لحكمه لم نزل على
دينه ويكون غرضهم فيه التحدث بما انعم الله عليهم من التقدم في ذلك شكرا له
وصدها ما كانت تعبد من دون الله اي وصدها عبادتها الشمس عن التقدم الى
الاسلام او صدها الله عن عبادتها بالتوفيق للايمان انها كانت من قوم كافرين
وقرئ بالفتح على الابدال من فاعل صد على الاول اي صدها نشوها بين اظهر
الكفار او التعليل له قيل لها ادخلي الصرح القصر وقيل عرصة الدار فلما رأته
حسبته لجة وكشفت عن ساقيها روي انه امر قبل قدومها فبني قصر صحنه من
زجاج ابيض واجري من تحته الماء والقي فيه حيوانات البحر ووضع سريره في
صدره فجلس عليه فلما ابصرته ظنته ماء راكدا فكشفت عن ساقيها وعن ابن كثير
سأقيها بالهمزة حملا على جمعه سؤق واسؤق قال انه ان ما تظنينه ماء صرح ممرد
مملس من قوارير من الزجاج قالت رب اني ظلمت نفسي بعبادتي الشمس وقيل بظني
بسليمان فانها حسبت انه يغرقها في اللجة واسلمت مع سليمان لله رب العالمين فيما امر به
عباده وقد اختلف في انه تزوجها او زوجها من ذي تبع ملك همدان ولقد
ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا الله بان اعبدوه وقرئ بضم النون
على اتباعها الباء فاذا هم فريقان يختصمون ففاجؤا التفرق والاختصام فآمن
فريق وكفر فريق والواو لمجموع الفريقين قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة بالعقوبة
فتقولون ائتنا بما تعدنا قبل الحسنة قبل التوبة فتؤخرونها الى نزول العقاب

فانهم كانوا يقولون ان صدق ايعاده تبنا ح لولا تستغفرون الله قبل نزوله
لعلكم ترحمون بقبولها فانها لا تقبل ح قالوا اطيرنا تشاءمنا بك وبمن معك
اذ تتابعت علينا الشدائد او وقع بيننا الافتراق منذ اخترعتم دينكم قال
طائركم سببكم الذي جاء منه شركم عند الله وهو قدره او عملكم المكتوب عنده بل
انتم قوم تفتنون تختبرون بتعاقب السراء والضراء والاضراب من بيان طائرهم الذي
هو مبدأ ما يحيق بهم الى ذكر ما هو الداعي اليه وكان في المدينة تسعة رهط تسعة
انفس وانما وقع تمييزا للتسعة باعتبار المعنى والفرق بينه وبين النفر انه من الثلثة
او السبعة الى العشرة والنفر من الثلثة الى التسعة يفسدون في الارض ولا يصلحون
اي شانهم الافساد الخالص عن شوب الصلاح قالوا اي قال بعضهم لبعض تقاسموا
بالله امر مقول او خبر وقع بدلا او حالا باضمار قد لنبيتنه واهله لنباغتن
صالحا واهله ليلا وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على خطاب بعضهم لبعض وقرئ
بالياء على ان تقاسموا خبر ثم لنقولن فيه القراآت الثلث لوليه لولي دمه ما
شهدنا مهلك اهله فضلا ان تولينا اهلاكهم وهو يحتمل المصدر والزمان
والمكان وكذا مهلك في قراءة حفص فان مفعل قد جاء مصدرا كمرجع وقرأ ابو بكر
بالفتح فيكون مصدرا وانا لصادقون ونحلف انا لصادقون او والحال انا
لصادقون فيما ذكرنا لان الشاهد للشيء غير المباشر له عرفا او لانا ما شهدنا
مهلكهم وحده بل مهلكه ومهلكهم كقولك ما رأيت ثمة رجلا بل رجلين ومكروا
مكرا بهذه المواضعة ومكرنا مكرا بان جعلناها سببا لاهلاكهم وهم لا يشعرون
بذلك روي انه كان لصالح في الحجر مسجد في شعب يصلي فيه فقالوا زعم انه يفرغ
منا الى ثلث فنفرغ منه ومن اهله قبل الثلث فذهبوا الى الشعب ليقتلوه
فوقع عليهم صخرة حيالهم فطبقت عليهم فم الشعب فهلكوا ثم وهلك الباقون
في اماكنهم بالصيحة كما اشار اليه قوله فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم
وقومهم اجمعين وكان ان جعلت ناقصة فخبرها كيف وانا دمرناهم استيناف

اوخبر

او خبر محذوف لا خبر كان لعدم العائد وان جعلت تامة فكيف حال وقرأ
الكوفيون ويعقوب انا دمرناهم بالفتح على انه خبر محذوف او بدل من اسم كان
او خبر له وكيف حال فتلك بيوتهم خاوية من خوى البطن اذا خلى او ساقطة
منهدمة من خوى النجم اذا سقط وهي حال عمل فيها معنى الاشارة وقرئ
بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف بما ظلموا بسبب ظلمهم ان في ذلك لآية
لقوم يعلمون فيتعظون وانجينا الذين آمنوا صالحا ومن معه وكانوا يتقون
الكفر والمعاصي فلذلك خصوا بالنجاة ولوطا واذكر لوطا او وارسلنا
لوطا لدلالة ولقد ارسلنا عليه اذ قال لقومه بدل على الاول او ظرف
على الثاني اتأتون الفاحشة وانتم تبصرون تعلمون فحشها من بصر القلب
واقتراف القبائح من العالم بقبحها اقبح او يبصرها بعضكم من بعض لانهم
كانوا يعلنون بها فيكون افحش ائنكم لتأتون الرجال شهوة بيان لاتيانهم
الفاحشة وتعليله بالشهوة للدلالة على قبحه والتنبيه على ان الحكمة في المواقعة
طلب النسل لا قضاء الوطر من دون النساء اللاتي خلقن لذلك بل انتم قوم
تجهلون تفعلون فعل من يجهل قبحها او يكون سفيها لا يميز بين الحسن والقبيح
او تجهلون العاقبة والتاء فيه لكون الموصوف به في معنى المخاطب فما كان
جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون
يتنزهون عن افعالنا او عن الاقذار ويعدون فعلنا قذرا فانجيناه
واهله الا امرأته قدرناها من الغابرين قدرنا كونها من الباقين في العذاب
وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين مر مثله قل الحمد لله وسلام على
عباده الذين اصطفى امر رسوله صلى الله عليه وسلم بعدما قص عليه القصص
الدالة على كمال قدرته وعظم شانه وما خص به رسله من الآيات الكبرى والانتصار
من العدى بتحميده والسلام على المصطفين من عباده شكرا على ما انعم عليهم وعلمه
ما جهل من احوالهم وعرفانا لفضلهم وحق تقدمهم واجتهادهم في الدين او لوطا

بان يحمد على هلاك كفرة قومه ويسلم على من اصطفاه بالعصمة من الفواحش
والنجاة من الهلاك آلله خير اما يشركون الزامهم وتهكم بهم وتسفيه
لرأيهم اذ من المعلوم ان لا خير فيما اشركوه رأسا حتى يوازن بينه وبين من هو مبدأ
كل خير وقرأ ابو عمرو وعاصم ويعقوب بالتاء أمن بل امن خلق السموات والارض
التي هي اصول الكائنات ومبادئ المنافع وقرئ امن بالتخفيف على انه بدل من الله
وانزل لكم لاجلكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة عدل به عن الغيبة
الى التكلم لتأكيد اختصاص الفعل بذاته والتنبيه على ان انبات الحدائق البهية
المختلفة الانواع المتباعدة الطباع من المواد المتشابهة لا يقدر عليه غيره
كما اشار اليه بقوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها شجر الحدائق وهي البساتين
من الاحداق وهو الاحاطة أإله مع الله أغيره يقرن به ويجعل له شريكا وهو
المنفرد بالخلق والتكوين وقرئ أإلها باضمار فعل مثل اتدعون او اتشركون
وبتوسيط مدة بين الهمزتين واخراج الثانية بين بين بل هم قوم يعدلون عن الحق
الذي هو التوحيد أمن جعل الارض قرارا بدل من أمن خلق السموات
وجعلها قرارا ابدا بعضها من الماء وتسويتها بحيث يتأتى استقرار الانسان
والدواب عليها وجعل خلالها وسطها انهارا جارية وجعل لها رواسي
جبالا تتكون فيها المعادن وتنبع من حضيضها المنابع وجعل بين البحرين
العذب والمالح او خليجي فارس والروم حاجزا برزخا وقد مر بيانه في الفرقان
أإله مع الله بل اكثرهم لا يعلمون الحق فيشركون به أمن يجيب المضطر اذا دعاه
المضطر الذي احوجه شدة ما به الى اللجاء الى الله من الاضطرار وهو افتعال
من الضرورة واللام فيه للجنس لا للاستغراق فلا يلزم منه اجابة كل مضطر
ويكشف السوء ويدفع عن الانسان ما يسوءه ويجعلكم خلفاء الارض خلفاء
فيها بان ورثكم سكناها والتصرف فيها ممن قبلكم أإله مع الله الذي
خصكم بهذه النعم العامة والخاصة قليلا ما تذكرون اي تذكرون آلاءه

تذكرا قليلا وما مزيدة والمراد بالقلة العدم او الحقارة المزيحة للفائدة وقرأ
ابو عمرو وروح بالياء وحمزة والكسائي وحفص بالتاء وبتخفيف الذال أمن
يهديكم في ظلمات البر والبحر بالنجوم وعلامات الارض والظلمات ظلمات الليالي
اضافها الى البر والبحر للملابسة او مشتبهات الطرق يقال طريقة ظلماء وعمياء
للتي لا منار بها ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته يعني المطر ولو صح ان
السبب الاكثري في تكون الريح معاودة الادخنة الصاعدة من الطبقة الباردة
لانكسار حرها وتموجها للهواء ولا شك ان الاسباب الفاعلية والقابلية لذلك
من خلق الله والفاعل للسبب فاعل للمسبب أإله مع الله يقدر على شيء من ذلك تعالى
الله عما يشركون تعالى القادر الخالق عن مشاركة العاجز المخلوق أمن يبدؤا
الخلق ثم يعيده والكفرة وان انكروا الاعادة فهم محجوجون بالحجج الدالة
عليها ومن يرزقكم من السماء والارض اي باسباب سماوية وارضية أإله
مع الله يفعل مثل ذلك قل هاتوا برهانكم على ان غيره يقدر على شيء من ذلك
ان كنتم صادقين في اشراككم فان كمال القدرة من لوازم الالوهية قل لا يعلم
من في السموات والارض الغيب الا الله لما بين اختصاصه بالقدرة التامة الفائقة
العامة اتبعه بما هو كاللازم له وهو التفرد بعلم الغيب والاستثناء منقطع ورفع
المستثنى على اللغة التميمية للدلالة على انه تعالى ان كان ممن في السموات
والارض ففيها من يعلم الغيب مبالغة في نفيه عنهم او متصل على ان المراد
بمن في السموات والارض من تعلق علمه بها واطلع عليها اطلاع الحاضر فيها
(فانه) يعم الله تعالى واولي العلم من خلقه وهو موصول او موصوف وما يشعرون
ايان يبعثون متى ينشرون مركبة من اي وآن وقرئ بكسر الهمزة والضمير لمن
وقيل للكفرة بل ادارك علمهم في الآخرة لما نفى عنهم علم الغيب واكد ذلك
بنفي شعورهم بما هو مآلهم لا محالة بالغ فيه بان اضرب عنه وبين ان ما انتهى
وتكامل فيه اسباب علمهم من الحجج والآيات وهو ان القيامة كائنة لا محالة لا يعلمونه

كما ينبغي بل هم في شك منها كمن تحير في امر لا يجد عليه دليلا بل هم منها عمون
لا يدركون دلائلها لاختلال بصيرتهم وهذا وان اختص بالمشركين ممن في
السموات والارض نسب الى جميعهم كما يسند فعل البعض الى الكل والاضرابات
الثلث تنزيل لاحوالهم وقيل الاول اضراب عن نفي الشعور بوقت القيمة عنهم
ووصفهم باستحكام علمهم في امر الآخرة تهكما بهم وقيل ادرك بمعنى انتهى
واضمحل من قولهم ادركت الثمرة لانها تلك غايتها التي عندها تعدم وقرأ
نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وحفص بل ادارك بمعنى تتابع حتى استحكم
او تتابع حتى انقطع من تدارك بنو فلان اذا تتابعوا في الهلاك وابو بكر ادرك
واصلهما تفاعل وافتعل وقرئ أادرك بهمزتين وآادرك بالف بينهما وبل
ادرك وبل تدارك وبلى ادرك وبلى ادرك وام ادرك وام تدارك وما فيه
استفهام صريح او مضمن من ذلك فانكار وما فيه بلى فاثبات لشعورهم وتفسير له
بالادراك على التهكم وما بعده اضراب عن التفسير مبالغة في نفيه ودلالة على ان
شعورهم بها انهم شاكون فيها بل انهم منها عمون او رد وانكار لشعورهم
وقال الذين كفروا ائذا كنا ترابا وآباؤنا ائنا لمخرجون كالبيان لعمههم
والعامل في اذا ما دل عليه ائنا لمخرجون وهو نخرج لا مخرجون لان كلا من
الهمزة وان واللام مانعة من عمله فيما قبلها وتكرير الهمزة للمبالغة في الانكار والمراد
بالاخراج الاخراج من الاجداث او من حال الفناء الى الحيوة لقد وعدنا هذا
نحن وآباؤنا من قبل من قبل وعد محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وتقديم هذا
على نحن لان المقصود بالذكر هو البعث وحيث اخر فالمقصود به المبعوث
ان هذا الا اساطير الاولين التي هي كالاسمار قل سيروا في الارض فانظروا
كيف كان عاقبة المجرمين تهديد لهم على التكذيب وتخويف بان ينزل بهم
مثل ما نزل بالمكذبين قبلهم والتعبير عنهم بالمجرمين ليكون لطفا للمؤمنين
في ترك الجرائم ولا تحزن عليهم على تكذيبهم واعراضهم ولا تكن في ضيق في

حرج صدر وقرأ ابن كثير بكسر الضاد وهما لغتان وقرئ ضيق اي امر
ضيق مما يمكرون من مكرهم فان الله يعصمك من الناس ويقولون متى هذا
الوعد العذاب الموعود ان كنتم صادقين قل عسى ان يكون ردف لكم
تبعكم ولحقكم واللام مزيدة للتأكيد او الفعل مضمن معنى فعل يتعدى باللام
مثل دنى وقرئ بالفتح وهو لغة فيه بعض الذي تستعجلون حلوله وهو عذاب
يوم بدر وعسى ولعل وسوف في مواعيد الملوك كالجزم بها وانما يطلقونها
اظهارا لوقارهم واشعارا بان الرمز منهم كالتصريح من غيرهم وعليه
جرى وعد الله ووعيده وان ربك لذو فضل على الناس بتأخير عقوبتهم
على المعاصي والفضل والفاضلة الافضال وجمعهما الفضول والفواضل
ولكن اكثرهم لا يشكرون لا يعرفون حق النعمة فيه فلا يشكرونه بل يستعجلون
بجهلهم وقوعه وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم ما تخفيه وقرئ بفتح التاء
من كننت اي سترت وما يعلنون من عداوتك فيجازيهم عليه وما من غائبة
في السماء والارض خافية فيهما وهما من الصفات الغالبة والتاء فيهما للمبالغة
كما في الراوية او اسمان لما يغيب ويخفى كالتاء في عاقبة وعافية الا في كتاب
مبين بين او مبين ما فيه لمن يطالعه والمراد اللوح او القضاء على الاستعارة
ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون كالتشبيه
والتنزيه واحوال الجنة والنار وعزير والمسيح وانه لهدى ورحمة للمؤمنين
فانهم المنتفعون به ان ربك يقضي بينهم بين بني اسرائيل بحكمه بما يحكم به وهو
الحق او بحكمته ويدل عليه انه قرئ بحكمه وهو العزيز فلا يرد قضاؤه العليم
بحقيقة ما يقضي فيه وحكمه فتوكل على الله ولا تبال بمعاداتهم انك على
الحق المبين وصاحب الحق حقيق بالوثوق بحفظ الله ونصره انك لا تسمع
الموتى تعليل آخر للامر بالتوكل من حيث انه يقطع طمعه عن متابعتهم
ومعاضدتهم رأسا وانما شبهوا بالموتى لعدم انتفاعهم باستماع ما يتلى عليهم

كما شبهوا بالصم في قوله ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين فان
اسماعهم في هذه الحالة ابعد وقرأ ابن كثير ولا يسمع الصم وما انت بهادي
العمي عن ضلالتهم حيث الهداية لا تحصل الا بالبصر ان تسمع اي ما يجدي اسماعك
الا من يؤمن باياتنا من هو في علم الله كذلك فهم مسلمون مخلصون من اسلم
وجهه لله واذا وقع القول عليهم اذا دنا وقوع معناه وهو ما وعدوا به
من البعث والعذاب اخرجنا لهم دابة من الارض وهي الجساسة روي ان طولها
ستون ذراعا ولها قوائم وزغب وريش وجناحان لا يفوتها هارب
ولا يدركها طالب وروي انه عليه الصلوة والسلام سئل عن مخرجها فقال
من اعظم المساجد حرمة على الله يعني المسجد الحرام تكلمهم من الكلام وقيل
من الكلم اذ قرئ تكلمهم وروي انها تخرج ومعها عصا موسى وخاتم سليمان
فتنكت بالعصا في مسجد المؤمن نكتة بيضاء فتبيض وجهه وبالخاتم في انف
الكافر نكتة سوداء فتسود وجهه ان الناس كانوا باياتنا خروجها
وسائر احوالها فانها من ايات الله تعالى وقيل القران لا يوقنون لا يتيقنون
وهو حكاية معنى قولها او حكايتها لقول الله او علة خروجها او تكلمها
على حذف الجار وقرأ الكوفيون ان بالكسر ويوم نحشر من كل امة فوجا
يعني يوم القيمة ممن يكذب باياتنا بيان للفوج اي فوجا مكذبين ومن الاولى
للتبعيض لان امة كل نبي واهل كل قرن شامل للمصدقين والمكذبين فهم
يوزعون يحبس اولهم على اخرهم ليتلاحقوا وهو عبارة عن كثرة عددهم وتباعد
اطرافهم حتى اذا جاؤا الى المحشر قال اكذبتم باياتي ولم تحيطوا بها علما الواو
للحال اي اكذبتم بها بادي الراي غير ناظرين فيها نظرا يحيط علمكم بكنهها
وانها حقيقة بالتصديق او التكذيب او للعطف اي اجمعتم بين التكذيب بها
وعدم القاء الاذهان لتحققها اما ذا كنتم تعملون ام اي شيء كنتم تعملون
بعد ذلك وهو للتبكيت اذ لم يفعلوا غير التكذيب من الجهل فلا يقدرون

ان يقولوا فعلنا غير ذلك ووقع القول عليهم حل بهم العذاب الموعود وهو
كبهم في النار بعد ذلك بما ظلموا بسبب ظلمهم وهو التكذيب بايات الله فهم
لا ينطقون باعتذار لشغلهم بالعذاب الم يروا ليتحقق لهم التوحيد ويرشدهم
الى تجويز الحشر وبعثة الرسل لان تعاقب النور والظلمة على وجه مخصوص
غير متعين بذاته لا يكون الا بقدرة قاهرة وان من قدر على ابدال الظلمة
بالنور في مادة واحدة قدر على ابدال الموت بالحيوة في مواد الابدان
وان من جعل النهار ليبصروا فيه سببا من اسباب معاشهم لعله لا يخل
بما هو مناط جميع مصالحهم في معاشهم ومعادهم انا جعلنا الليل
ليسكنوا فيه بالنوم والقرار والنهار مبصرا فان اصله ليبصروا فيه
فبولغ فيه بجعل الابصار حالا من احواله المجعول عليها بحيث لا ينفك عنها
ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون لدلالتها على الامور الثلثة النوم
والقرار والابصار ويوم ينفخ في الصور في الصور او القرن وقيل انه
تمثيل لانبعاث الموتى بانبعاث الجيش اذا نفخ في البوق ففزع من في
السموات ومن في الارض من الهول وعبر عنه بالماضي لتحقق وقوعه
الا من شاء الله ان لا يفزع بان يثبت قلبه قيل هم جبرئيل وميكائيل
واسرافيل وعزرائيل وقيل الحور والخزنة وحملة العرش وقيل الشهداء
وقيل موسى لانه صعق مرة ولعل المراد ما يعم ذلك وكل اتوه
حاضرون الموقف بعد النفخة الثانية او راجعون الى امره وقرأ حمزة وحفص
اتوه على الفعل وقرئ اتاه للتوحيد لفظ الكل داخرين صاغرين وقرئ
دخرين وترى الجبال تحسبها جامدة ثابتة في مكانها وهي تمر مر السحاب
في السرعة وذلك لان الاجرام الكبار اذا تحركت في سمت واحد لا تكاد
تتبين حركتها صنع الله مصدر مؤكد لنفسه وهو لمضمون الجملة المتقدمة
كقوله وعد الله الذي اتقن كل شيء احكم خلقه وسواه على ما ينبغي انه خبير

بما تفعلون عالم بظواهر الافعال وبواطنها فيجازيهم عليها كما قال من جاء
بالحسنة فله خير منها اذ ثبت له الرفيع بالخسيس والباقي بالفاني وسبعمائة
بواحدة وقيل خير منها اي خير حاصل من جهتها وهو الجنة وقرأ ابن كثير وهشام
خبير بما يفعلون بالياء والباقون بالتاء وهم من فزع يومئذ آمنون يعني
به خوف عذاب يوم القيمة وبالاول ما يلحق الانسان من التهيب لما يرى من
الاهوال والعظائم ولذلك يعم الكافر والمؤمن وقرأ الكوفيون بالتنوين
لان المراد فزع واحد من افزاع ذلك اليوم وآمن يعدى بالجار وبنفسه
كقوله افأمنوا مكر الله وقرأ الكوفيون ونافع يومئذ بفتح الميم والباقون
بجرها ومن جاء بالسيئة قيل بالشرك فكبت وجوههم في النار فكبوا فيها
على وجوههم ويجوز ان يراد بالوجوه انفسهم كما اريدت بالايدي في قوله
ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة هل تجزون الا ما كنتم تعملون على الالتفات
او باضمار القول اي قيل لهم ذلك انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذي
حرمها امر الرسول ان يقول لهم ذلك بعد ما بين المبدأ والمعاد وشرح
احوال القيمة اشعارا بانه قد اتم الدعوة وقد كملت وما عليه بعد
الا الاشتغال بشانه والاستغراق في عبادة ربه وتخصيص مكة بهذه الاضافة
تشريفا لها وتعظيم لشانها وقرئ التي حرمها وله كل شيء خلقا وملكا
وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين او الثابتين على ملة الاسلام وان اتلو
القرآن وان اواظب على تلاوته لينكشف لي حقايقه في تلاوته شيئا فشيئا
او اتباعه وقرئ واتل عليهم وان اتل فمن اهتدى باتباعه اياي في ذلك
فانما يهتدي لنفسه فان منافعه عائدة اليه ومن ضل بمخالفتي فقل انما انا
من المنذرين فلا علي من وبال ضلاله شيء اذ ما على الرسول الا البلاغ
وقد بلغت وقل الحمد لله على نعمة النبوة او على ما علمني ووفقني للعمل به
سيريكم آياته القاهرة في الدنيا كوقعة بدر وخروج دابة الارض او في

الآخرة فتعرفونها فتعرفون انها آيات الله ولكن حين لا ينفعكم المعرفة
وما ربك بغافل عما تعملون فلا تحسبوا ان تاخير عذابكم لغفلته عن اعمالكم
وقرئ بالياء عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة طس كان له من الاجر
عشر حسنات بعدد من صدق سليمان وكذب به وهودا وصالحا وابرهيم وشعيب ويخرج من قبره وهو ينادي لا اله الا الله

القصص مكية وهي ثمان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك نقرؤه
بقراءة جبرئيل ويجوز ان يكون بمعنى ننزله مجازا من نبأ موسى وفرعون بعض
نبأهما مفعول نتلو بالحق محقين لقوم يؤمنون لانهم المنتفعون به ان فرعون
علا في الارض استكبر وطغى وتجبر فيها والارض ارض مصر وجعل
اهلها شيعا فرقا يشيعونه فيما يريد او يشيع بعضهم بعضا في طاعته او اصنافا
في استخدامه استعمل كل صنف في عمل او احزابا بان اغرى بينهم العداوة كيلا
يتفقوا عليه يستضعف طائفة منهم وهم بنو اسرائيل والجملة حال من فاعل جعل
او صفة شيعا او استيناف وقوله يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم بدل منها
وكان ذلك لان كاهنا قال له يولد مولود في بني اسرائيل يذهب ملكك على يديه
وذلك كان من غاية حمقه فانه لو صدق لم يندفع بالقتل وان كذب فما وجهه
انه كان من المفسدين فلذلك اجترأ على قتل خلق كثير من اولاد الانبياء لتخيل فاسد
ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ان نتفضل عليهم بانقاذهم
من بأسه ونريد حكاية حال ماضية معطوفة على ان فرعون علا من حيث انهما
واقعان تفسير للنبأ او حال من يستضعف ولا يلزم من مقارنة الارادة
للاستضعاف مقارنة المراد له لجواز ان يكون تعلق الارادة به حينئذ تعلقا
استقباليا مع ان منة الله تعالى بخلاصهم لما كانت قريبة الوقوع منه جاز

ان يجري مجرى المقارن ونجعلهم ائمة مقدمين في امر الدين ونجعلهم الوارثين
لما كان في ملك فرعون وقومه ونمكن لهم في الارض ارض مصر والشام واصل
التمكين ان يجعل للشيء مكانا يتمكن فيه ثم استعير للتسليط واطلاق الامر ونري
فرعون وهامان وجنودهما منهم من بني اسرائيل ما كانوا يحذرون من ذهاب
ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم وقرئ ويرى بالياء وفرعون وهامان
وجنودهما بالرفع واوحينا الى ام موسى بالهام او رؤيا ان ارضعيه ما امكنك
اخفاؤه فاذا خفت عليه بان يحس به فالقيه في اليم في البحر يريد النيل ولا
تخافي عليه ضيعة ولا شدة ولا تحزني لفراقه انا رادوه اليك عن قريب بحيث
تامنين عليه وجاعلوه من المرسلين روي انها لما ضربها الطلق دعت قابلة
من الموكلات بحبالى بني اسرائيل فعالجتها فلما وقع موسى على الارض هالها نور
بين عينيه وارتعشت مفاصلها ودخل حبه قلبها بحيث منعها من السعاية فارضعته
ثلثة اشهر ثم الح فرعون في طلب المواليد واجتهد العيون في تفحصها فاتخذت له
تابوتا فقذفته في النيل فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا تعليل
لالتقاطهم اياه بما هو عاقبته ومؤداه تشبيها له بالغرض الحامل عليه وقرأ حمزة
والكسائي حزنا ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين في كل شيء
فليس ببدع منهم ان قتلوا الوفا لاجله ثم اخذوه يربونه ليكبر ويفعل
بهم ما كانوا يحذرون او مذنبين فعاقبهم الله بان ربي عدوهم على ايديهم
فالجملة اعتراض لتاكيد خطائهم او لبيان الموجب لما ابتلوا به وقرئ
خاطين تخفيف خاطئين او خاطين الصواب الى الخطاء وقالت امرأة فرعون
اي لفرعون حين اخرجته من التابوت قرة عين لي ولك هو قرة عين لنا
لانهما لما راياه اخرج من التابوت احباه او لانه كانت لها ابنة برصاء
وعالجها الاطباء بريق حيوان بحري يشبه الانسان فلطخت برصها
بريقه فبرأت وفي الحديث انه قال لك لا لي ولو قال لي كما هو لك لهداه

الله كما هداها لا تقتلوه خطاب بلفظ الجمع للتعظيم عسى ان ينفعنا فان
فيه مخايل اليمن ودلائل النفع وذلك لما رات من نور بين عينيه وارتضاعه
ابهامه لبنا وبرء البرصاء بريقه او نتخذه ولدا او نتبناه فانه اهل له وهم
لا يشعرون حال من الملتقطين او من القائلة والمقول له اي وهم لا يشعرون
انهم على الخطاء في التقاطه او في طمع النفع منه والتبني له او من احد
ضميري نتخذه على ان الضمير للناس اي وهم لا يشعرون انه لغيرنا وقد تبنيناه
واصبح فؤاد ام موسى فارغا صفرا من العقل لما دهمها من الخوف والحيرة
حين سمعت بوقوعه في يد فرعون كقوله وافئدتهم هواء اي خلاء لا عقول
فيها ويؤيده انه قرئ فرغا من قولهم دماؤهم بينهم فرغ اي هدر او من
الهم لفرط وثوقها بوعد الله او سماعها ان فرعون عطف عليه وتبناه
ان كادت لتبدي به انها كادت لتظهر بموسى اي بامره وقصته من فرط الضجر
او الفرح بتبنيه لولا ان ربطنا على قلبها بالصبر والثبات لتكون من المؤمنين
من المصدقين بوعد الله او الواثقين بحفظه لا بتبني فرعون وعطفه وقرئ
مؤسى اجراء للضمة في جار الواو مجرى ضمتها في استدعاء همزها همز واو
وجوه وهو علة الربط وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله وقالت
لاخته مريم قصيه اتبعي اثره وتتبعي خبره فبصرت به عن جنب عن بعد وقرئ
عن جانب وعن جنب وهو بمعناه وهم لا يشعرون انها تقص او انها اخته
وحرمنا عليه المراضع ومنعناه ان يرتضع من المرضعات جمع مرضع او مرضع
وهو الرضاع او موضعه يعني الثدي من قبل قصها اثره فقالت هل
ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم لاجلكم وهم له ناصحون لا يقصرون
في ارضاعه وتربيته روي ان هامان لما سمعه قال انها لتعرفه واهله
خذوها حتى تخبر بحاله فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون فامرها فرعون
بان تاتي بمن يكفله فاتت بامها وموسى على يد فرعون يبكي وهو يعلله

فلما وجد ريحها استأنس والتقم ثديها فقال لها من انت منه فقد ابى كل ثدي
الا ثديك فقالت اني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا اوتى بصبي الا قبلني
فدفعه اليها واجرى عليها فرجعت به الى بيتها من يومها وهو قوله
فرددناه الى امه كي تقر عينها بولدها ولا تحزن بفراقه ولتعلم ان وعد الله حق
علم مشاهدة ولكن اكثرهم لا يعلمون ان وعده حق فيرتابون فيه او ان الغرض
الاصلي من الرد علمها بذلك وما سواه تبع وفيه تعريض بما فرط منها حين سمعت
بوقوعه في يد فرعون ولما بلغ اشده مبلغه الذي لا يزيد عليه نشوؤه وذلك
من ثلثين الى اربعين سنة فان العقل يكمل حينئذ وروي انه لم يبعث نبي الا على
راس الاربعين واستوى قده او عقله آتيناه حكما نبوة وعلما بالدين او علم الحكماء
والعلماء وسمتهم قبل استنبائه فلا يقول ولا يفعل ما يستجهل فيه وهو اوفق
لنظم القصة لان استنباءه بعد الهجرة في المراجعة وكذلك ومثل ذلك الذي
فعلنا بموسى وامه نجزي المحسنين على احسانهم ودخل المدينة ودخل مصر آتيا من
قصر فرعون وقيل منف او حابين او عين شمس من نواحيها
على حين غفلة من اهلها في وقت لا يعتاد دخولها ولا يتوقعونه فيه قيل كان
وقت القيلولة وقيل بين العشائين فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من
شيعته وهذا من عدوه احدهما ممن شايعه على دينه وهم بنو اسرائيل والآخر
من مخالفيه وهم القبط والاشارة على الحكاية فاستغاثه الذي من شيعته على الذي
من عدوه فسأله ان يغيثه بالاعانة ولذلك عدي بعلى وقرئ فاستعانه
فوكزه موسى فضرب القبطي بجمع كفه وقرئ فلكزه اي فضرب به صدره فقضى عليه
فقتله واصله انهى حياته من قوله وقضينا اليه ذلك الامر قال هذا من عمل
الشيطان لانه لم يؤمر بقتل الكفار او لانه كان مأمونا فيهم فلم يكن له
اغتيالهم ولا يقدح ذلك في عصمته لكونه خطأ وانما عده من عمل الشيطان
وسماه ظلما واستغفر منه على عادتهم في استعظام محقرات فرطت منه انه عدو

مضل

تابعه ٤

مضل مبين ظاهر العداوة قال رب اني ظلمت نفسي بقتله فاغفر لي ذنبي فغفر له
لاستغفاره انه هو الغفور لذنوب عباده الرحيم بهم قال رب بما انعمت علي
قسم محذوف الجواب اي اقسم بانعامك علي بالمغفرة وغيرها لاتوبن
فلن اكون ظهيرا للمجرمين او استعطاف اي بحق انعامك علي اعصمني فلن اكون
معينا لمن ادت معاونته الى جرم وعن ابن عباس رض لم يستثن فابتلي به
مرة اخرى وقيل معناه بما انعمت علي من القوة اعين اولياءك فلن استعملها
في مظاهرة اعدائك فاصبح في المدينة خائفا يترقب يترصد الاستقادة
فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه يستغيثه مشتق من الصراخ قال له
موسى انك لغوي مبين بين الغواية لانك لم تكن على دينهما ولان القبط
كانوا اعداء بني اسرائيل قال يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا
بالامس قاله الاسرائيلي لانه لما سماه غويا ظن انه يبطش عليه او القبطي
وكانه توهم من قوله انه الذي قتل القبطي بالامس لهذا الاسرائيلي ان تريد
ما تريد الا ان تكون جبارا في الارض تتطاول على الناس ولا تنظر العواقب
وما تريد ان تكون من المصلحين بين الناس فتدفع التخاصم بالتي هي احسن
ولما قال هذا انتشر الحديث وارتقى الى فرعون وملائه فهموا بقتله فخرج
مؤمن آل فرعون وهو ابن عمه ليخبره كما قال وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى
يسرع صفة الرجل او حال منه اذا جعل من اقصى المدينة صفة له لا صلة
لجاء لان تخصيصها يلحقه بالمعارف قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك
ليقتلوك يتشاورون بسببك وانما سمي التشاور ايتمارا لان كلا من المتشاورين
يأمر الآخر ويأتمر فاخرج اني لك من الناصحين اللام للبيان وليس صلة
للناصحين لان معمول الصلة لا يتقدم على الموصول فخرج منها من المدينة
خائفا يترقب لحوق طالب قال رب نجني من القوم الظالمين خلصني منهم
واحفظني من لحوقهم ولما توجه تلقاء مدين قبالة مدين قرية شعيب سميت

باسم مدين بن ابراهيم ولم يكن في سلطان فرعون وكان بينها وبين مصر مسيرة
ثمان قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل توكلا على الله وحسن ظن به
وكان لا يعرف الطرق فعن له ثلث طرق فاخذ في اوسطها وجاء الطلاب
عقيبه فاخذوا في الاخرين ولما ورد ماء مدين وصل اليه وهو بئر كانوا
يسقون منها وجد عليه وجد فوق شفيرها امة من الناس جماعة كثيرة مختلفين
يسقون مواشيهم ووجد من دونهم في مكان اسفل من مكانهم امرأتين
تذودان تمنعان اغنامهما عن الماء كيلا تختلط باغنامهم قال ما خطبكما
ما شأنكما تذودان قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء يصرف الرعاء مواشيهم
عن الماء حذرا عن مزاحمة الرجال وحذف المفعول لان الغرض هو بيان ما يدل
على عفتهما ويدعوه الى السقي لهما ثم دونه وقرأ ابو عمرو وابن عامر يصدر
اي ينصرف وقرئ الرعاء بالضم وهو اسم جمع كالرخال وابونا شيخ كبير كبير
السن لا يستطيع ان يخرج للسقي فيرسلنا اضطرارا فسقى لهما مواشيهما رحمة
عليهما قيل كانت الرعاة يضعون على رأس البئر حجرا لا يقله الا سبعة رجال
او اكثر فاقله وحده مع ما كان به من الوصب والجوع وجراحة القدم وقيل
كانت بئرا اخرى عليها صخرة فرفعها واستقى منها ثم تولى الى الظل فقال
رب اني لما انزلت الي لاي شئ انزلت الي من خير قليل او كثير وحمله الاكثرون
على الطعام فقير محتاج سائل ولذلك عدي باللام وقيل معناه اني لما
انزلت الي من خير الدين صرت فقيرا في الدنيا لانه كان في سعة عند فرعون
والغرض منه اظهار التبجح والشكر على ذلك فجاءته احديهما تمشي على استحياء
اي مستحيية متخفرة قيل كانت الصغرى منهما وقيل الكبرى واسمها صفوراء
او صفراء وهي التي تزوجها موسى قالت ان ابي يدعوك ليجزيك ليكافيك
اجر ما سقيت لنا جزاء سقيك لنا ولعل موسى انما اجابها ليتبرك برؤية
الشيخ ويستظهر بمعرفته لا طمعا في الاجر بل روي انه لما جاءه قدم اليه طعاما

فامتنع

فامتنع عنه وقال انا اهل بيت لا نبيع ديننا بالدنيا حتى قال شعيب هذه عادتنا
مع كل من ينزل بنا هذا وان من فعل معروفا فاهدي بشيء لم يحرم اخذه فلما جاءه
وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين يريد فرعون وقومه
قالت احديهما يعني التي استدعته يا ابت استأجره لرعي الغنم ان خير من استأجرت
القوي الامين تعليل شائع يجري مجرى الدليل على انه حقيق بالاستيجار وللمبالغة
فيه جعل خير اسما وذكر الفعل بلفظ الماضي للدلالة على انه امر مجرب معروف
روي ان شعيبا قال لها وما اعلمك بقوته وامانته فذكرت اقلال الحجر وانه
صوب رأسه حتى بلغته رسالته وامرها بالمشي خلفه قال اني اريد ان انكحك
احدى ابنتي هاتين على ان تأجرني تأجر نفسك مني او تكون لي اجيرا او
تثيبني من أجرك الله ثماني حجج ظرف على الاولين ومفعول به على الثالث باضمار
مضاف اي رعية ثماني حجج فان اتممت عشرا عمل عشر حجج فمن عندك فتمامه
من عندك تفضلا لا من عندي الزاما عليك وهذا استدعاء العقد لا نفسه
فلعله جرى على اجرة معينة وبمهر آخر او برعية الاجل الاول ووعد له ان يوفي
الاخير ان تيسر له قبل العقد وكانت الاغنام للمزوجة مع انه يمكن اختلاف
الشرايع في ذلك وما اريد ان اشق عليك بالزام اتمام العشر او المناقشة
في مراعاة الاوقات واستيفاء الاعمال واشتقاق المشقة من الشق فان ما
يصعب عليك يشق عليك اعتقادك في اطاقته ورايك في مزاولته ستجدني
ان شاء الله من الصالحين في حسن المعاملة ولين الجانب والوفاء بالمعاهدة
قال ذلك بيني وبينك اي ذلك الذي عاهدتني فيه قائم بيننا لا يخرج عنه
ايما الاجلين اطولهما او اقصرهما قضيت وفيتك اياه فلا عدوان علي
لا يعتدى علي بطلب الزيادة فكما لا اطالب بالزيادة على العشر لا اطالب بالزيادة
على الثمان او فلا اكون معتديا بترك الزيادة عليه كقولك لا اثم علي وهو
ابلغ في اثبات الخيرة وتساوي الاجلين في القضاء من ان يقال ان قضيت الاقصر

فلا عدوان علي وقرئ ايما كقوله   تنظرت نصرا والسماكين ايهما علي من
الغيث استهلت مواطره   واي الاجلين ما قضيت فيكون ما مزيدة لتاكيد الفعل
اي اي الاجلين جردت عزمي لقضائه وعدوان بالكسر والله على ما نقول من المشارطة
وكيل شاهد حفيظ فلما قضى موسى الاجل وسار باهله بامراته روي انه قضى اقصى
الاجلين ومكث بعده عندهم عشرا اخر ثم عزم على الرجوع آنس من جانب الطور
نارا ابصر من الجهة التي تلي الطور قال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم
منها بخبر بخبر الطريق او جذوة عود غليظ سواء كان في راسه نار او لم يكن قال
باتت حواطب ليلى يلتمسن لها   جزل الجذى غير خوار ولا دعر والقى على قبس
من النار شديد عليها حرها والتهابها ولذلك بينه بقوله من النار وقرأ عاصم
بالفتح وحمزة بالضم وكلها لغات لعلكم تصطلون تستدفئون بها فلما اتيها نودي
من شاطئ الوادي الايمن اتاه النداء من الشاطئ الايمن لموسى في البقعة المباركة
متصل بالشاطئ او صلة لنودي من الشجرة بدل من شاطئ بدل الاشتمال لانها كانت
نابتة على الشاطئ ان يا موسى اي يا موسى اني انا الله رب العالمين هذا وان خالف
ما في طه والنمل لفظا فهو طبقه في المقصود وان الق عصاك فلما رآها تهتز
اي فالقاها فصارت ثعبانا واهتزت فلما رآها تهتز كانها جان في الهيئة
والجثة او في السرعة ولى مدبرا منهزما من الخوف ولم يعقب ولم يرجع يا موسى
نودي يا موسى اقبل ولا تخف انك من الآمنين من المخاوف فانه لا يخاف لدي
المرسلون اسلك يدك في جيبك ادخلها تخرج بيضاء من غير سوء عيب واضمم
اليك جناحك يديك المبسوطتين تتقي بهما الحية كالخائف الفزع بادخال اليمنى
تحت عضد اليسرى وبالعكس او بادخالهما في الجيب فيكون تكريرا لغرض آخر وهو
ان يكون ذلك في وجه العدو واظهار جراءة ومبدأ لظهور معجزة ويجوز ان يراد
بالضم التجلد والثبات عند انقلاب العصا حية استعارة من حال الطائر فانه
اذا خاف نشر جناحيه واذا امن واطمان ضمهما اليه من الرهب من اجل الرهب

اي اذا عراك الخوف فافعل ذلك تجلدا وضبطا لنفسك وقرأ ابن عامر
وحمزة والكسائي وابو بكر بضم الراء وسكون الهاء وقرئ بضمهما وقرأ حفص
بالفتح والسكون والكل لغات فذانك اشارة الى العصا واليد وشدده
ابن كثير وابو عمرو ورويس برهانان حجتان وبرهان فعلان لقولهم ابره
الرجل اذا جاء بالبرهان من قولهم بره الرجل اذا ابيض ويقال برهاء وبرهرهة
للمرأة البيضاء وقيل فعلال لقولهم برهن من ربك مرسلا بهما الى فرعون وملائه
انهم كانوا قوما فاسقين وكانوا احقاء ان نرسل اليهم قال رب اني قتلت منهم
نفسا فاخاف ان يقتلون بها واخي هرون هو افصح مني لسانا فارسله معي
ردءا معينا وهو في الاصل اسم ما يعان به كالدفء وقرأ نافع ردا بالتخفيف
يصدقني بتلخيص الحق وتقرير الحجة وتزييف الشبهة اني اخاف ان يكذبون ولساني
لا يطاوعني عند المحاجة وقيل المراد تصديق القوم لتقريره وتوضيحه لكنه اسند
اليه اسناد الفعل الى السبب وقرأ عاصم وحمزة يصدقني بالرفع على انه صفة
والجواب محذوف قال سنشد عضدك باخيك سنقويك به فان قوة الشخص بشدة
اليد على مزاولة الامور ولذلك يعبر عنه باليد وشدتها بشدة العضد
ونجعل لكما سلطانا غلبة او حجة فلا يصلون اليكما باستيلاء او حجاج
باياتنا متعلق بمحذوف اي اذهبا باياتنا او بنجعل اي نسلطكما بها او بمعنى لا
يصلون اي تمتنعون منهم او قسم جوابه لا يصلون او بيان للغالبون في قوله
انتما ومن اتبعكما الغالبون بمعنى انه صلة لما بينه او صلة له على ان اللام
فيه للتعريف لا بمعنى الذي فلما جاءهم موسى باياتنا بينات قالوا ما هذا الا سحر
مفترى سحر تختلقه لم يفعل قبل مثله او سحر تعلمه ثم تفتريه على الله او سحر موصوف
بالافتراء كسائر انواع السحر وما سمعنا بهذا يعنون السحر او ادعاء النبوة
في اباءنا الاولين كائنا في ايامهم وقال موسى ربي اعلم بمن جاء بالهدى من عنده
فيعلم اني محق وانتم مبطلون وقرأ ابن كثير قال بغير واو لانه قال جوابا

لمقالهم ووجه العطف ان المراد حكاية القولين ليوازن الناظر بينهما فيميز صحيحهما
من الفاسد ومن تكون له عاقبة الدار العاقبة المحمودة فان المراد بالدار الدنيا
وعاقبتها الاصلية هي الجنة لانها خلقت مجازا الى الآخرة والمقصود منها
بالذات هو الثواب والعقاب وانما قصدت بالعرض وقرأ حمزة والكسائي
يكون بالياء انه لا يفلح الظالمون لا يفوزون بالهدى في الدنيا وحسن
العاقبة في العقبى وقال فرعون يا ايها الملأ ما علمت لكم من اله غيري
نفى علمه باله غيره دون وجوده اذ لم يكن عنده ما يقتضي الجزم بعدمه ولذلك
امر ببناء الصرح ليصعد اليه ويتطلع على الحال بقوله فاوقد لي يا هامان
على الطين فاجعل لي صرحا لعلي اطلع الى اله موسى كانه توهم انه لو كان
لكان جسما في السماء يمكن الترقي اليه ثم قال واني لاظنه من الكاذبين او اراد
ان يبني له رصدا يترصد منها اوضاع الكواكب فيرى هل فيها ما يدل على بعثة
رسول وتبدل دولة وقيل المراد بنفي العلم نفي المعلوم كقوله تعالى اتنبئون الله
بما لا يعلم في السموات ولا في الارض فان معناه بما ليس فيهن وهذا من خواص
العلوم الفعلية فانها لازمة لتحقق معلوماتها فيلزم من انتفائها انتفاؤها
ولا كذلك العلوم الانفعالية قيل اول من اتخذ الآجر فرعون ولذلك امر
باتخاذه على وجه يتضمن تعليم الصنعة مع ما فيه من تعظيم ولذلك نادى هامان
باسمه بيا في وسط الكلام واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق بغير
استحقاق وظنوا انهم الينا لا يرجعون بالنشور وقرأ نافع وحمزة والكسائي
بفتح الياء وكسر الجيم فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم كما مر بيانه وفيه
فخامة وتعظيم لشان الاخذ واستحقار للماخوذين كانه اخذهم مع كثرتهم
في كف وطرحهم في اليم ونظيره وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا
قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه فانظر يا محمد كيف كان عاقبة
الظالمين وحذر قومك عن مثلها وجعلناهم ائمة قدوة للضلال بالحمل

على الاضلال وقيل بالتسمية كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن
اناثا او بمنع الالطاف الصارفة عنه يدعون الى النار الى موجباتها
من الكفر والمعاصي ويوم القيامة لا ينصرون بدفع العذاب عنهم واتبعناهم
في هذه الدنيا لعنة طردا عن الرحمة او لعن اللاعنين يلعنهم الملائكة
والمؤمنون ويوم القيمة هم من المقبوحين من المطرودين وممن قبح وجوههم
ولقد آتينا موسى الكتاب التورية من بعد ما اهلكنا القرون الاولى
اقوام نوح وهود وصالح ولوط بصائر للناس انوارا لقلوبهم تتبصر بها
الحقائق وتميز بين الحق والباطل وهدى الى الشرائع التي هي سبل الله
ورحمة لانهم لو عملوا بها نالوا رحمة الله لعلهم يتذكرون ليكونوا على حال
يرجى منهم التذكر وقد فسر بارادة وفيه ما عرفت وما كنت بجانب الغربي
يريد الوادي او الطور فانه كان في شق الغرب من مقام موسى او الجانب
الغربي منه والخطاب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اي ما كنت حاضرا
اذ قضينا الى موسى الامر اذ اوحينا اليه الامر الذي اردنا تعريفه
وما كنت من الشاهدين للحاضرين للوحي اليه او على الوحي اليه وهم السبعون
المختارون للميقات والمراد الدلالة على ان اخباره عن ذلك من قبيل الاخبار
عن المغيبات التي لا تعرف الا بالوحي ولذلك استدرك عنه بقوله ولكنا
انشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر اي ولكنا اوحيناه اليك لانا انشأنا
قرونا مختلفة بعد موسى فتطاولت عليهم المدد فحرفت الاخبار وتغيرت
الشرائع واندرست العلوم فحذف المستدرك واقام سببه مقامه وما كنت ثاويا
مقيما في اهل مدين شعيب والمؤمنين به تتلو عليهم تقرأ عليهم تعلما منهم
آياتنا التي فيها قصصهم ولكنا كنا مرسلين اياك ومخبرين لك بها وما كنت
بجانب الطور اذ نادينا لعل المراد به وقت ما ناداه واعطاه التورية
وبالاول حين ما استنباه لانهما المذكوران في القصة ولكن رحمة من ربك

ولكن علمناك رحمة وقرئت بالرفع على هذه رحمة لتنذر قوما متعلق بالفعل
المحذوف ما اتيهم من نذير من قبلك لوقوعهم في فترة بينك وبين عيسى وهي خمسمائة
وخمسون سنة او بينك وبين اسمعيل على ان دعوة موسى وعيسى كانت مختصة
ببني اسرائيل وما حواليهم لعلهم يتذكرون يتعظون ولولا ان تصيبهم مصيبة
بما قدمت ايديهم فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا لولا الاولى امتناعية
والثانية تحضيضية واقعة في سياقها لانها مما اجيبت بالفاء تشبيها لها بالامر
مفعول يقولوا المعطوف على تصيبهم بالفاء المعطية معنى السببية المنبهة
على ان القول هو المقصود بان يكون سببا لانتفاء ما يجاب به وانه لا يصدر
عنهم حتى تلجاهم العقوبة والجواب محذوف والمعنى لولا قولهم اذا اصابتهم
عقوبة بسبب كفرهم ومعاصيهم ربنا هلا ارسلت الينا رسولا يبلغنا اياتك
فنتبعها ونكون من المصدقين ما ارسلناك اي انما ارسلناك قطعا لعذرهم
والزاما للحجة عليهم فنتبع اياتك يعني الرسول المصدق بنوع من المعجزات
ونكون من المؤمنين فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي
موسى من الكتاب جملة واليد والعصا وغيرها اقتراحا وتعنتا اولم يكفروا بما
اوتي موسى من قبل يعني ابناء جنسهم في الرأي والمذهب وهم كفرة زمان موسى
وكان فرعون عربيا من اولاد عاد قالوا سحران يعنون موسى وهرون
او موسى ومحمدا عليهما الصلوة والسلام تظاهرا تعاونا باظهار تلك الخوارق
او بتوافق الكتابين وقرأ الكوفيون سحران بتقدير مضاف او جعلهما سحرين
مبالغة او اسناد تظاهرهما الى فعلهما دلالة على سبب الاعجاز وقرئ اظّاهرا
على الادغام وقالوا انا بكل كافرون اي بكل منهما او بكل الانبياء قل
فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما مما نزل على موسى وعلى واضمارهما
لدلالة المعنى وهو يؤيد ان المراد بالساحرين موسى ومحمد عليهما الصلوة
والسلام اتبعه ان كنتم صادقين انا ساحران مختلفان وهذا من الشروط

التي

التي يراد بها الالزام والتبكيت ولعل مجيء حرف الشك للتهكم بهم فان لم يستجيبوا
لك دعاءك الى الاتيان بالكتاب الاهدى فحذف المفعول للعلم به ولان فعل
الاستجابة يتعدى بنفسه الى الدعاء وباللام الى الداعي فاذا عدي اليه حذف
الدعاء غالبا كقوله وداع دعا يا من يجيب الى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب
فاعلم انما يتبعون اهواءهم اذ لو اتبعوا حجة لاتوا بها ومن اضل ممن اتبع هواه
استفهام بمعنى النفي بغير هدى من الله في موضع الحال للتوكيد او التقييد
فان هوى النفس قد يوافق الحق ان الله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا
انفسهم بالانهماك في اتباع الهوى ولقد وصلنا لهم القول اتبعنا بعضه بعضا
في الانزال ليتصل التذكير او في النظم لتقرر الدعوة بالحجة والمواعظ بالمواعيد
والنصائح بالعبر لعلهم يتذكرون فيؤمنون ويطيعون الذين آتيناهم الكتاب
من قبله هم به يؤمنون نزلت في مؤمني اهل الكتاب وقيل في اربعين من اهل
الانجيل اثنان وثلثون جاؤوا مع جعفر من الحبشة وثمانية من الشام والضمير في
من قبله للقرآن كالمستكن في واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به اي بانه كلام الله
انه الحق من ربنا استئناف لبيان ما اوجب ايمانهم به انا كنا من قبله مسلمين
استئناف آخر للدلالة على ان ايمانهم به ليس مما احدثوه حينئذ وانما هو امر تقادم
عهده لما رأوا ذكره في الكتب المتقدمة وكونهم على دين الاسلام قبل نزول
القرآن او تلاوته عليهم باعتقادهم صحته في الجملة اولئك يؤتون اجرهم مرتين
مرة على ايمانهم بكتابهم ومرة على ايمانهم بالقرآن بما صبروا بصبرهم وثباتهم
على الايمانين او على الايمان بالقرآن قبل النزول وبعده او على اذى من هاجرهم
من اهل دينهم ويدرؤن بالحسنة السيئة ويدفعون بالطاعة المعصية لقوله
عليه الصلوة والسلام اتبع الحسنة السيئة تمحها ومما رزقناهم ينفقون في سبيل الخير
واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه تكرما وقالوا للاغين لنا اعمالنا ولكم اعمالكم
سلام عليكم متاركة لهم وتوديعا ودعاء لهم بالسلامة عما هم فيه لا نبتغي الجاهلين

لا تطلب صحبتهم ولا تريدها انك لا تهدى من احببت لا تقدر ان تدخله فى الاسلام
ولكن الله يهدى من يشاء فيدخله فى الاسلام وهو اعلم بالمهتدين بالمستعدين لذلك
والجمهور على انها نزلت فى ابى طالب فانه لما احتضر جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال يا عم قل لا اله الا الله كلمة احاج بها لك عند الله قال يا ابن اخى قد علمت
انك لصادق ولكنى اكره ان يقال جزع عند الموت وقالوا ان نتبع الهدى معك
نتخطف من ارضنا نخرج منها نزلت فى الحرث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف اتى النبى
صلى الله عليه وسلم فقال نحن نعلم انك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا
العرب وانما نحن اكلة رأس ان يتخطفونا من ارضنا فرد الله عليهم بقوله اولم نمكن
لهم حرما آمنا اولم نجعل مكانهم حرما ذا امن بحرمة البيت الذى فيه يتناحر
العرب حوله وهم آمنون فيه يجبى اليه يحمل اليه ويجمع فيه وقرأ نافع ويعقوب فى
رواية بالتاء ثمرات كل شئ من كل اوب رزقا من لدنا فاذا كان هذا حالهم وهم
عبدة الاصنام فكيف نعرضهم للخوف والتخطف اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة
التوحيد ولكن اكثرهم لا يعلمون جهلة لا يتفطنون له ولا يتفكرون ليعلموا وقيل
انه متعلق بقوله من لدنا اى قليل منهم يتدبرون فيعلمون ان ذلك رزق من عند الله
اذ لو علموا لما خافوا غيره وانتصاب رزقا على المصدر من معنى يجبى او الحال
من الثمرات لتخصصها بالاضافة ثم بين ان الامر بالعكس فانهم احقاء بان يخافوا
من بأس الله على ما هم عليه بقوله وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها اى وكم
من اهل قرية كانت حالهم كحالكم فى الامن وخفض العيش حتى اشروا فدمر الله
عليهم وخرب ديارهم فتلك مساكنهم خاوية لم تسكن من بعدهم من السكنى
اذ لا يسكنها الا المارة يوما او بعض يوم او لا يبقى من يسكنها الا قليلا
من شؤم معاصيهم وكنا نحن الوارثين منهم اذ لم يخلفهم احد يتصرف تصرفهم
فى ديارهم وسائر متصرفاتهم وانتصاب معيشتها بنزع الخافض او بجعلها ظرفا
بنفسها كقولك زيد ظنى مقيم او باضمار زمان مضاف اليها او مفعولا على تضمين

بطرت معنى كفرت وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى امها
فى اصلها التى هى اعمالها لان اهلها يكونون افطن وانبل رسولا يتلو عليهم آياتنا
لالزام الحجة وقطع المعذرة وما كنا مهلكى القرى الا واهلها ظالمون بتكذيب
الرسل والعتو فى الكفر وما اوتيتم من شئ من اسباب الدنيا فمتاع الحيوة الدنيا
وزينتها تتمتعون وتتزينون به مدة حيوتكم المنقضية وما عند الله وهو ثوابه
خير فى نفسه من ذلك لانه لذة خالصة وبهجة كاملة وابقى لانه ابدى افلا تعقلون
فتستبدلون الذى هو ادنى بالذى هو خير وقرأ ابو عمرو بالياء وهو ابلغ فى
الموعظة افمن وعدناه وعدا حسنا وعدا بالجنة فان حسن الوعد بحسن الموعود
فهو لاقيه مدركه لا محالة لامتناع الخلف فى وعده ولذلك عطفه بالفاء
المعطية معنى السببية كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا الذى هو مشوب بالآلام
مكدر بالمتاعب مستعقب للتحسر على الانقطاع ثم هو يوم القيمة من المحضرين
للحساب او العذاب وثم للتراخى فى الزمان او الرتبة وقرأ نافع وابن عامر
فى رواية والكسائى ثم هو بسكون الهاء تشبيها للمنفصل بالمتصل وهذه الآية كالنتيجة
التى قبلها ولذلك رتب عليها بالفاء ويوم يناديهم عطف على يوم القيمة او منصوب
باذكر فيقول اين شركائى الذين كنتم تزعمون اى الذين كنتم تزعمونهم شركائى
فحذف المفعولان لدلالة الكلام عليهما قال الذين حق عليهم القول بثبوت مقتضاه
وحصول مؤداه وهو قوله لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وغيره من آيات الوعيد
ربنا هؤلاء الذين اغوينا اى هؤلاء هم الذين اغويناهم فحذف
الراجع الى الموصول اغويناهم كما غوينا اى اغويناهم فغووا غيا مثل ما غوينا
وهو استئناف للدلالة على انهم غووا باختيارهم فانهم لم يفعلوا بهم الا وسوسة
وتسويلا ويجوز ان يكون الذين صفة واغويناهم الخبر لاجل ما اتصل به فافاد
زيادة على الصفة وهو وان كان فضلة لكنه صار من اللوازم تبرأنا اليك
منهم ومما اختاروه من الكفر هوى منهم وهى تقرير للجملة المتقدمة ولذلك خلت عن العاطف

فكذا ما كانوا إيانا يعبدون أي ما كانوا يعبدوننا وإنما كانوا يعبدون
أهواءهم وقيل ما مصدرية متصلة بتبرأنا أي تبرأنا من عبادتهم إيانا
وقيل ادعوا شركاءكم من فرط الحيرة فلم يستجيبوا لهم لعجزهم عن الإجابة
والنصرة ورأوا العذاب لازما بهم لو أنهم كانوا يهتدون لوجه من الحيل يدفعون
به العذاب أو إلى الحق لما رأوا العذاب وقيل لو للتمني أي تمنوا أنهم كانوا مهتدين
ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين عطف على الأول فإنه تعالى
يسأل أولا عن إشراكهم به ثم عن تكذيبهم الأنبياء فعميت عليهم الأنباء يومئذ
فصارت الأنباء كالعمى عليهم لا تهتدي إليهم وأصله فعموا عن الأنباء لكنه عكس
مبالغة ودلالة على أن ما يحضر الذهن إنما يفيض ويرد عليه من خارج
فإذا أخطأه لم يكن له حيلة إلى استحضاره والمراد بالأنباء ما أجابوا به الرسل
أو ما يعمها وإذا كانت الرسل يتتعتعون في الجواب عن مثل ذلك من الهول
ويفوضون إلى علم الله تعالى فما ظنك بالضلال من أممهم وتعدية الفعل بعلى لتضمنه
معنى الخفاء فهم لا يتساءلون لا يسأل بعضهم بعضا عن الجواب لفرط الدهشة أو العلم
بأنه مثله فأما من تاب من الشرك وآمن وعمل صالحا جمع بين الإيمان والعمل فعسى
أن يكون من المفلحين عند الله وعسى تحقيق على عادة الكرام أو ترج
من التائب بمعنى فليتوقع أن يفلح وربك يخلق ما يشاء ويختار لا موجب عليه
ولا مانع له ما كان لهم الخيرة أي التخير كالطيرة بمعنى التطير وظاهره نفي الاختيار
عنهم رأسا والأمر كذلك عند التحقيق فإن اختيار العباد مخلوق باختيار الله
تعالى منوط بدواع لا اختيار لهم فيها وقيل المراد أنه ليس لأحد من خلقه أن
يختار عليه ولذلك خلا عن العاطف ويؤيده ما روي أنه نزل في قولهم لولا نزل
هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وقيل ما موصول مفعول ليختار والراجع
محذوف والمعنى ويختار الذي كان لهم فيه الخيرة أي الخير والصلاح سبحان الله
تنزيها له أن ينازعه أحد أو يزاحم اختياره وتعالى عما يشركون عن إشراكهم

او مشاركته

أو مشاركته لما يشركون به وربك يعلم ما تكن صدورهم كعداوة الرسول صلى الله
عليه وسلم وحقده وما يعلنون كالطعن فيه وهو الله المستحق للعبادة لا إله
إلا هو لا أحد يستحقها إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة لأنه المولي للنعم كلها
عاجلها وآجلها يحمده المؤمنون في الآخرة كما حمدوه في الدنيا بقولهم الحمد لله الذي
أذهب عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده ابتهاجا بفضله والتذاذا بحمده
وله الحكم القضاء النافذ في كل شيء وإليه ترجعون بالنشور قل أرأيتم إن جعل الله
عليكم الليل سرمدا دائما من السرد وهو المتابعة والميم مزيدة كميم دلامص إلى يوم القيامة
بإسكان الشمس تحت الأرض أو تحريكها حول الأفق الغائر من إله غير الله يأتيكم
بضياء كان حقه هل إله غير الله فذكر بمن على زعمهم أن غيره آلهة وعن ابن كثير
بضئاء بهمزتين أفلا تسمعون سماع تدبر واستبصار قل أرأيتم إن جعل الله عليكم
النهار سرمدا إلى يوم القيامة بإسكانها في وسط السماء أو تحريكها على مدار فوق الأفق
من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه استراحة عن متاعب الأشغال ولعله
لم يصف الضياء بما يقابله لأن الضوء نعمة في ذاته مقصود بنفسه ولا كذلك الليل
ولأن منافع الضوء أكثر مما يقابله ولذلك قرن به أفلا تسمعون وبالليل أفلا
تبصرون لأن استفادة العقل من السمع أكثر من استفادته من البصر ومن رحمته جعل
لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه في الليل ولتبتغوا من فضله في النهار بأنواع المكاسب
ولعلكم تشكرون ولكي تعرفوا نعمة الله في ذلك فتشكروه عليها ويوم يناديهم
فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون تقريع بعد تقريع للإشعار بأنه لا شيء
أجلب لغضب الله من الإشراك به أو الأول لتقرير فساد رأيهم والثاني لبيان أنه
لم يكن عن سند وإنما كان محض تشه وهوى ونزعنا وأخرجنا من كل أمة شهيدا
وهو نبيهم يشهد عليهم بما كانوا عليه فقلنا للأمم هاتوا برهانكم على صحة ما كنتم
تدينون به فعلموا أن الحق لله في الإلهية لا يشاركه فيها أحد وضل عنهم وغاب
عنهم غيبة الضائع ما كانوا يفترون من الباطل إن قارون كان من قوم موسى

حينئذ ٥

كان ابن عمه يصهر بن قاهث بن لاوي وكان ممن آمن به فبغى عليهم فطلب الفضل
وان يكونوا تحت امره او تكبر عليهم او ظلمهم قيل وذلك حين ملكه فرعون على بني اسرائيل
او حسدهم لما روي انه قال لموسى لك الرسالة ولهرون الحبورة وانا في غير شيء
الى متى اصبر وآتيناه من الكنوز من الاموال المدخرة ما ان مفاتحه مفاتح صناديقه
جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به وقيل خزائنه وقياس واحدها المفتح لتنوء بالعصبة
اولي القوة خبر ان والجملة صلة ما وهو ثاني مفعولي آتى وناء به الحمل اذا اثقله
حتى اماله والعصبة والعصابة الجماعة الكثيرة واعصوصبوا اجتمعوا وقرئ
لينوء بالياء على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه اذ قال له قومه منصوب بتنوء لا تفرح
لا تبطر والفرح بالدنيا مذموم مطلقا لانه نتيجة حبها والرضى بها والذهول
عن ذهابها فان العلم بان ما فيها من اللذة مفارقة لا محالة يوجب الترح كما قال
اشد الغم عندي في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا ولذلك قال تعالى ولا تفرحوا
بما آتيكم وعلل النهي ههنا بكونه مانعا من محبة الله فقال ان الله لا يحب الفرحين
اي بزخارف الدنيا وابتغ فيما آتيك الله من الغنى الدار الآخرة بصرفه فيما يوجبها
لك فان المقصود منه ان يكون وصلة اليها ولا تنس ولا تترك ترك المنسي نصيبك
من الدنيا وهو ان تحصل بها آخرتك او تأخذ منها ما يكفيك واحسن الى عباد الله
كما احسن الله اليك فيما انعم عليك وقيل احسن بالشكر والطاعة كما احسن اليك بالانعام
ولا تبغ الفساد في الارض بامر يكون علة للظلم والبغي ان الله لا يحب المفسدين
لسوء افعالهم قال انما اوتيته على علم عندي فضلت به الناس واستوجبت به التفوق
عليهم بالجاه والمال وعلى علم في موضع الحال وهو علم التورية وكان اعلمهم بها وقيل
علم الكيميا وقيل علم التجارة والدهقنة وسائر المكاسب وقيل علم بكنوز يوسف
وعندي صفة له او متعلق باوتيته كقولك جاز هذا عندي اي في ظني واعتقادي
اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا تعجب وتوبيخ
على اغتراره بقوته وكثرة ماله مع علمه بذلك لانه قراه في التورية وسمعه من حفاظ

التوارخ او رد لادعائه العلم وتعظمه به بنفي هذا العلم منه اي اعنده مثل ذلك العلم
الذي ادعاه ولم يعلم هذا حتى يقي به نفسه مصارع الهالكين ولا يسأل عن
ذنوبهم المجرمون سؤال استعلام فانه تعالى مطلع عليها او معاتبة فانهم يعذبون
بها بغتة كانه لما هدد قارون بذكر اهلاك من قبله ممن كانوا اقوى منه واغنى
اكد ذلك بان بين انه لم يكن مما يخصهم بل الله مطلع على ذنوب المجرمين كلهم معاقبهم
عليها لا محالة فخرج على قومه في زينته كما قيل انه خرج على بغلة شهباء عليه الارجوان
وعليها سرج من ذهب ومعه اربعة آلاف على زيه قال الذين يريدون الحيوة الدنيا
على ما هو عادة الناس من الرغبة فيها يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون تمنوا مثله لا عينه
حذرا عن الحسد انه لذو حظ عظيم من الدنيا وقال الذين اوتوا العلم باحوال الآخرة
للمتمنين ويلكم دعاء بالهلاك استعمل للزجر عما لا يرتضى ثواب الله في الآخرة خير لمن آمن
وعمل صالحا مما اوتي قارون بل من الدنيا وما فيها ولا يلقيها الضمير فيه للكلمة التي
تكلم بها العلماء او للثواب فانه بمعنى المثوبة او الجنة او للايمان والعمل الصالح
فانهما في معنى السيرة والطريقة الا الصابرون على الطاعات وعن المعاصي فخسفنا
به وبداره الارض روي انه كان يؤذي موسى عليه السلام كل وقت وهو
يداريه لقرابته حتى نزلت الزكوة فصالحه عن كل الف على واحد فحسبه فاستكثره
فعمد الى ان يفضح موسى بين بني اسرائيل ليرفضوه فبرطل بغية لترميه بنفسها
فلما كان يوم العيد قام موسى خطيبا فقال من سرق قطعناه ومن زنى غير محصن
جلدناه ومن زنى محصنا رجمنا فقال قارون ولو كنت قال ولو كنت قال ان
بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها موسى بالله ان تصدق
فقالت جعل لي قارون جعلا على ان ارميك بنفسي فخر موسى شاكيا منه الى ربه
فاوحى اليه ان مر الارض بما شئت فقال يا ارض خذيه فاخذته الى ركبتيه
ثم قال خذيه فاخذته الى وسطه ثم قال خذيه فاخذته الى عنقه ثم قال خذيه
فخسفت به وكان قارون يتضرع اليه في هذه الاحوال فلم يرحمه فاوحى الله اليه

ما افظك استغاث بك مرارا فلم ترحمه فعزتي وجلالي لو دعاني مرة لاجبته
ثم قال بنو اسرائيل انما فعله ليرثه فدعا الله حتى خسف بداره وامواله فما كان له
من فئة اعوان مشفقة من فاوت رأسه اذا ميلته ينصرونه من دون الله فيدفعون
عنه عذابه وما كان من المنتصرين الممتنعين منه من قولهم نصره من عدوه فانتصر اذا منعه
فامتنع واصبح الذين تمنوا مكانه منزلته بالامس منذ زمان قريب يقولون
ويكان الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر يبسط ويقدر بمقتضى
مشيئته لا لكرامة تقتضي البسط ولا لهوان يوجب القبض وي كان عند البصريين
مركبة من وي للتعجب وكان للتشبيه والمعنى ما اشبه الامر ان الله يبسط وقيل من
ويك بمعنى ويلك وان وتقديره ويك اعلم ان الله لولا ان من الله علينا فلم يعطنا
ما تمنينا لخسف بنا لتوليده فينا ما ولده فيه فخسف به لاجله وقرأ حفص بفتح الخاء
والسين ويكانه لا يفلح الكافرون لنعمة الله او المكذبون برسله وبما وعدوا لهم
من ثواب الآخرة تلك الدار الآخرة اشارة تعظيم كانه قال تلك التي سمعت خبرها
وبلغك وصفها والدار صفة والخبر نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض
غلبة وقهرا ولا فسادا ظلما على الناس كما اراد فرعون وقارون والعاقبة
المحمودة للمتقين من لا يرضاه الله من جاء بالحسنة فله خير منها ذاتا وقدرا ووصفا
ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات وضع فيه الظاهر موضع المضمر
تهجينا لحالهم بتكرير اسناد السيئة اليهم الا ما كانوا يعملون الا مثل ما كانوا
يعملون فحذف المثل واقام مقامه ما كانوا يعملون مبالغة في المماثلة ان الذي
فرض عليك القرآن اوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه لرادك الى معاد
اي معاد وهو المقام المحمود الذي وعدك ان يبعثك فيه او مكة التي اعتدت
بها على ان اللام للعهد رده اليها يوم الفتح كانه لما حكم بان العاقبة للمتقين اكد
ذلك بوعد المحسنين ووعيد المسيئين وعده بالعاقبة الحسنى في الدارين روي
انه لما بلغ جحفة في مهاجره اشتاق الى مولده ومولد آبائه فنزلت قل ربي

اعلم من جاء بالهدى وما يستحقه من الثواب والنصر ومن منتصب بفعل يفسره
اعلم ومن هو في ضلال مبين وما استحقه من العذاب والاذلال يعني به نفسه
والمشركين وهو تقرير للوعد السابق وكذا قوله وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب
اي سيردك الى معاد كما القى اليك الكتاب وما كنت ترجوه الا رحمة من ربك
ولكن القاه رحمة منه ويجوز ان يكون استثناء محمولا على المعنى كانه قال وما
القى اليك الكتاب الا رحمة اي لاجل الترحم فلا تكونن ظهيرا للكافرين بمداراتهم
والتحمل عنهم والاجابة الى طلبتهم ولا يصدنك عن آيات الله عن قراءتها
والعمل بها بعد اذ انزلت اليك وقرئ يصدنك من اصده وادع الى ربك
الى عبادته وتوحيده ولا تكونن من المشركين بمساعدتهم ولا تدع مع الله
الها آخر هذا وما قبله للتهييج وقطع اطماع المشركين عن مساعدته لهم لا اله
الا هو كل شيء هالك الا وجهه الا ذاته فان ما عداه ممكن هالك في حد ذاته
معدوم له الحكم القضاء النافذ في الخلق واليه ترجعون للجزاء بالحق عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرأ طسم القصص كان له من الاجر بعدد من صدق موسى
وكذب ولم يبق ملك في السموات والارض الا شهد له يوم القيمة انه كان صادقا

سورة العنكبوت مكية وهي تسع وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الم سبق القول فيه ووقوع الاستفهام بعده
دليل استقلاله بنفسه او بما يضمر معه احسب الناس الحسبان مما يتعلق بمضامين
الجمل للدلالة على جهة ثبوتها ولذلك اقتضى مفعولين متلازمين او ما يسد مسدهما
كقوله ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون فان معناه احسبوا
تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا فالترك اول مفعوليه وغير مفتونين من تمامه
ولقولهم هو الثاني كقولك حسبت ضربه للتأديب وانفسهم متروكين
غير مفتونين لقولهم آمنا بل يمتحنهم الله بمشاق التكاليف كالمهاجرة والمجاهدة

ورفض الشهوات ووظايف الطاعات وانواع المصايب في الانفس والاموال
ليتميز المخلص من المنافق والثابت في الدين من المضطرب فيه ولينالوا بالصبر
عليها عوالي الدرجات فان مجرد الايمان وان كان عن خلوص لا يقتضي غير الخلاص
من الخلود في العذاب روي انها نزلت في ناس من الصحابة جزعوا من اذى المشركين
وقيل في عمار وقد عذب في الله وقيل في مهجع مولى عمر بن الخطاب رماه
عامر بن الحضرمي بسهم يوم بدر فقتله فجزع عليه ابواه وامرأته ولقد فتنا
الذين من قبلهم متصل باحسب او بلا يفتنون والمعنى ان ذلك سنة قديمة جارية
في الامم كلها فلا ينبغي ان يتوقع خلافه فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن
الكاذبين فليتعلقن علمه بالامتحان تعلقا حاليا يتميز به الذين صدقوا في
الايمان والذين كذبوا فيه وينوط به ثوابهم وعقابهم ولذلك قيل المعنى
وليميزن او ليجازين وقرئ وليعلمن من الاعلام اي وليعرفنهم الناس
او ليسمنهم بسمة يعرفون بها يوم القيمة كبياض الوجوه وسوادها ام حسب الذين
يعملون السيئات الكفر والمعاصي فان العمل يعم افعال القلوب والجوارح
ان يسبقونا ان يفوتونا فلا نقدر ان نجازيهم على مساويهم وهو ساد مسد
مفعولي حسب وام منقطعة والاضراب فيها لان هذا الحسبان ابطل من الاول
ولهذا عقبه بقوله ساء ما يحكمون اي بئس الذي يحكمونه او حكما يحكمونه حكمهم هذا
فحذف المخصوص بالذم من كان يرجو لقاء الله في الجنة وقيل المراد بلقاء الله
الوصول الى ثوابه او الى العاقبة من الموت والبعث والحساب والجزاء على تمثيل
حاله بحال عبد قدم على سيده بعد زمان مديد وقد اطلع السيد على احواله
فاما ان يلقاه ببشر لما رضي من افعاله او بسخط لما سخط منها فان اجل الله
فان الوقت المضروب للقائه لآت لجاء واذا كان وقت اللقاء آتيا كان
اللقاء كائنا لا محالة فليبادر ما يحقق امله ويصدق رجاءه او ما يستوجب
القربة والرضا وهو السميع لاقوال العباد العليم بعقايدهم وافعالهم

ومن جاهد نفسه بالصبر على مضض الطاعة والكف عن الشهوات فانما
يجاهد لنفسه لان منفعته لها ان الله لغني عن العالمين فلا حاجة به الى طاعتهم
وانما كلف عباده رحمة عليهم ومراعاة لصلاحهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات
لنكفرن عنهم سيئاتهم الكفر بالايمان والمعاصي بما يتبعها من الطاعات ولنجزينهم
احسن الذي كانوا يعملون اي احسن جزاء اعمالهم ووصينا الانسان بوالديه
حسنا بايتائه فعلا ذا حسن او كانه في ذاته حسن لفرط حسنه ووصى يجري
مجرى امر معنى وتصرفا وقيل هو بمعنى قال اي وقلنا له احسن بوالديك حسنا
وقيل حسنا منتصب بفعل مضمر على تقدير قول مفسر للتوصية اي قلنا اولهما
او افعل بهما حسنا وهو اوفق لما بعده وعليه يحسن الوقف على بوالديه وقرئ حسنا
واحسانا وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم بالهيئة عبر عن نفيها بنفي
العلم بها اشعارا بان ما لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه وان لم يعلم بطلانه فضلا
عما علم بطلانه فلا تطعهما في ذلك فانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ولابد
من اضمار القول ان لم يضمر قبل الي مرجعكم مرجع من آمن منكم ومن اشرك ومن بر
بوالديه ومن عق فانبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء عليه والآية نزلت في سعد بن
ابي وقاص وامه حمنة فانها لما سمعت باسلامه حلفت ان لا تنتقل من الضح
ولا تطعم ولا تشرب حتى يرتد ولبثت ثلاثة ايام كذلك وكذا التي في لقمان
والاحقاف والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين في جملتهم
والكمال في الصلاح منتهى درجات المؤمنين ومتمنى انبياء الله المرسلين او في
مدخلهم وهي الجنة ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا اوذي في الله بان عذبهم
الكفرة على الايمان جعل فتنة الناس ما يصيبه من اذيتهم في الصرف عن الايمان
كعذاب الله في الصرف عن الكفر ولئن جاء نصر من ربك فتح وغنيمة ليقولن
انا كنا معكم في الدين فاشركونا فيه والمراد المنافقون او قوم ضعف ايمانهم
فارتدوا من اذى المشركين ويؤيد الاول او ليس الله باعلم بما في صدور العالمين

من الإخلاص والنفاق وليعلمن الله الذين آمنوا بقلوبهم وليعلمن المنافقين فيجازي
الفريقين وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا الذي نسلكه في ديننا
ولنحمل خطاياكم إن كان ذلك خطيئة أو إن كان بعث ومؤاخذة وإنما أمروا أنفسهم
بالحمل عاطفين على أمرهم بالاتباع مبالغة في تعليق الحمل بالاتباع والوعد بتخفيف
الأوزار عنهم إن كانت تشجيعا لهم عليه وبهذا الاعتبار رد عليهم وكذبهم بقوله
وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء إنهم لكاذبون من الأولى للتبيين والثانية
مزيدة والتقدير وما هم بحاملين شيئا من خطاياهم وليحملن أثقالهم أثقال ما اقترفته
أنفسهم وأثقالا مع أثقالهم وأثقالا أخر معها لما تسببوا له بالإضلال والحمل على
المعاصي من غير أن ينقص من أثقال من تبعهم شيء وليسألن يوم القيامة سؤال تقريع
وتبكيت عما كانوا يفترون من الأباطيل التي أضلوا بها ولقد أرسلنا نوحا
إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما بعد المبعث إذ روي أنه
بعث على رأس أربعين ودعا قومه تسعمائة وخمسين وعاش بعد الطوفان ستين
ولعل اختيار هذه العبارة للدلالة على كمال العدد فإن تسعمائة وخمسين قد يطلق
على ما يقرب منه ولما في ذكر الألف من تخييل طول المدة إلى السامع فإن المقصود من
القصة تسلية رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتثبيته على ما يكابده من الكفرة
واختلاف المميزين لما في التكرير من البشاعة فأخذهم الطوفان طوفان الماء وهو
لما طاف بكثرة من سيل أو ظلام أو نحوهما وهم ظالمون بالكفر فأنجيناه أي نوحا
وأصحاب السفينة ومن ركب معه من أولاده وأتباعه وكانوا ثمانين وقيل ثمانية
وسبعين وقيل عشرة نصفهم ذكور ونصفهم إناث وجعلناها أي السفينة
أو الحادثة آية للعالمين يتعظون ويستدلون بها وإبراهيم عطف على نوحا
أو نصب بإضمار اذكر وقرئ بالرفع على تقدير ومن المرسلين إبراهيم إذ قال لقومه
اعبدوا الله واتقوه ظرف لأرسلنا أي أرسلناه حين كمل عقله وتم نظره بحيث عرف الحق وأمر
الناس به أو بدل منه بدل الاشتمال إن قدر باذكر واتقوه ذلكم خير لكم مما أنتم

عليه

عليه إن كنتم تعلمون الخير والشر وتميزون ما هو خير مما هو شر أو كنتم تنظرون في الأمور
بنظر العلم دون نظر الجهل إنما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون إفكا
وتكذبون كذبا في تسميتها آلهة وادعاء شفاعتها عند الله أو تعملونها وتنحتونها
للإفك وهو استدلال على شرارة ما هم عليه من حيث إنه زور وباطل وقرئ تخلقون
من خلق للتكثير وتخلقون من تخلق للتكلف وأفكا على أنه مصدر كالكذب أو نعت
بمعنى خلقا ذا إفك إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا دليل ثان
على شرارة ذلك من حيث إنه لا يجدي بطائل ورزقا يحتمل المصدر بمعنى لا يستطيعون
أن يرزقوكم وأن يريد المرزوق وتنكيره للتعميم فابتغوا عند الله الرزق كله فإنه
المالك له واعبدوه واشكروا له متوسلين إلى مطالبكم بعبادته مقيدين لما حفكم
من النعم بشكره أو مستعدين للقائه بهما فإنه إليه ترجعون وقرئ بفتح التاء وإن
تكذبوا وإن تكذبوني فقد كذب أمم من قبلكم من قبلي من الرسل فلم يضرهم تكذيبهم وإنما
ضر أنفسهم حيث تسبب لما حل بهم من العذاب فكذا تكذيبكم وما على الرسول إلا البلاغ
المبين الذي زال معه الشك وما عليه أن يصدق ولا يكذب فالآية وما بعدها
من جملة قصة إبراهيم إلى قوله فما كان جواب قومه ويحتمل أن يكون اعتراضا بذكر
شأن النبي صلى الله عليه وسلم وقريش وهدم مذهبهم والوعيد على سوء صنيعهم
توسط بين طرفي قصته من حيث إن مساقها لتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم
والتنفيس عنه بأن أباه خليل الله كان ممنوا بنحو ما مني به من شرك القوم وتكذيبهم
وتشبيه حاله فيهم بحال إبراهيم عليه السلام في قومه أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق
من مادة ومن غيرها وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر بالتاء على تقدير القول وقرئ
يبدأ ثم يعيده إخبار بالإعادة بعد الموت معطوف على أولم يروا لا على يبدئ
فإن الرؤية غير واقعة عليه ويجوز أن يؤول الإعادة بأن ينشئ في كل سنة مثل ما
كان في السنة السابقة من النبات والثمار ونحوهما ويعطف على يبدئ إن ذلك
الإشارة إلى الإعادة أو إلى ما ذكر من الأمرين على الله يسير إذ لا يفتقر في فعله إلى شيء

قل سيروا في الارض حكاية كلام الله تعالى لابرهيم او محمد عليهما الصلوة والسلام
فانظروا كيف بدأ الخلق على اختلاف الاجناس والاحوال ثم الله ينشئ النشأة الآخرة
بعد النشأة الاولى التي هي الابداء فانه والاعادة نشأتان من حيث ان
كلا اختراع واخراج من العدم والافصاح باسم الله تعالى مع ايقاعه مبتدأ
بعد اضماره في بدأ والقياس الاقتصار عليه للدلالة على ان المقصود بيان الاعادة
وان من عرف بالقدرة على الابداء ينبغي ان يحكم له بالقدرة على الاعادة لانها
اهون والكلام في العطف على ما مر وقرأ ابن كثير وابو عمرو النشاءة كالرأفة
ان الله على كل شيء قدير لان قدرته لذاته ونسبة ذاته الى كل الممكنات على سواء فيقدر
على النشأة الاخرى كما قدر على النشأة الاولى يعذب من يشاء تعذيبه ويرحم
من يشاء رحمته واليه تقلبون تردون وما انتم بمعجزين ربكم عن ادراككم في الارض
ولا في السماء ان فررتم من قضائه بالتواري في الارض او الهبوط في مهاويها
والتحصن في السماء او القلاع الذاهبة فيها وقيل ولا من في السماء كقول حسان
امن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير
يحرسكم عن بلاء يظهر من الارض او ينزل من السماء ويدفعه عنكم والذين كفروا بايات
الله بدلائل وحدانيته او بكتبه ولقائه بالبعث اولئك يئسوا من رحمتي اي ييأسون
منها يوم القيمة فعبر عنه بالماضي للتحقيق والمبالغة او ايسوا في الدنيا لانكار البعث
والجزاء واولئك لهم عذاب اليم بكفرهم فما كان جواب قومه قوم ابرهيم له وقرئ
بالرفع على انه الاسم والخبر الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه وكان ذلك قول بعضهم
لكن لما قيل فيهم ورضي به الباقون اسند الى كلهم فانجيه الله من النار اي فقذفوه
في النار فانجاه الله منها بان جعلها عليه بردا وسلاما ان في ذلك في انجائه منها
لآيات هي حفظه من اذى النار واخمادها مع عظمها في زمان يسير وانشاء روض
مكانها لقوم يؤمنون لانهم المنتفعون بالتفحص عنها والتأمل فيها وقال انما
اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا اي لتتوادوا بينكم وتتواصلوا

الاجتماعكم

لاجتماعكم على عبادتها وثاني مفعولي اتخذتم محذوف ويجوز ان تكون المفعول الثاني
بتقدير مضاف او بتأويلها بالمودة اي اتخذتم اوثانا سبب المودة بينكم وقرأها
نافع وابن عامر وابو بكر منونة ناصبة بينكم والوجه ما سبق وابن كثير وابو عمرو والكسائي
ورويس مرفوعة مضافة على انها خبر مبتدأ محذوف اي هي مودة او سبب
مودة بينكم والجملة صفة اوثانا او خبر ان على ان ما مصدرية او موصولة والعائد
محذوف وهو المفعول الاول وقرئ مرفوعة منونة ومضافة بفتح بينكم كما قرئ
لقد تقطع بينكم وقرئ انما مودة بينكم ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن
بعضكم بعضا اي يقوم التناكر والتلاعن بينكم او بينكم وبين الاوثان على
تغليب المخاطبين كقوله ويكونون عليهم ضدا وماويكم النار وما لكم من ناصرين
يخلصونكم منها فآمن له لوط هو ابن اخته واول من آمن به وقيل انه آمن به
حين رأى النار لم تحرقه وقال اني مهاجر من قومي الى ربي الى حيث امرني ربي
انه هو العزيز الذي يمنعني من اعدائي الحكيم الذي لا يأمرني الا بما فيه صلاحي
روي انه هاجر من كوثى من سواد الكوفة مع لوط وامرأته سارة ابنة عمه الى حران
ثم منها الى الشام فنزل فلسطين ونزل لوط سدوم ووهبنا له اسحق ويعقوب
ولدا ونافلة حين ايس من الولادة من عجوز عاقر ولذلك لم يذكر اسمعيل
وجعلنا في ذريته النبوة فكثر منهم الانبياء والكتاب يريد به الجنس ليتناول
الكتب الاربعة وآتيناه اجره على هجرته الينا في الدنيا باعطاء الولد في غير اوانه
والذرية الطيبة واستمرار النبوة فيهم وانتماء اهل الملل اليه والثناء والصلوة
عليه آخر الدهر وانه في الآخرة لمن الصالحين لفي عداد الكاملين في الصلاح
ولوطا عطف على ابرهيم او على ما عطف عليه اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة
الفعلة البالغة في القبح وقرأ الحرميان وابن عامر وحفص بهمزة مكسورة
على الخبر والباقون على الاستفهام واجمعوا على الاستفهام في الثاني ما سبقكم
بها من احد من العالمين استئناف مقرر لفاحشتها من حيث انها مما اشمأزت منه الطباع

وتحاشت عنه النفوس حتى اقدموا عليها لخبث طينتهم ائنكم لتأتون الرجال
وتقطعون السبيل وتتعرضون للسابلة بالقتل واخذ المال او بالفاحشة
حتى انقطعت الطرق او تقطعون سبيل النسل بالاعراض عن الحرث واتيان ما ليس
بحرث وتأتون في ناديكم المنكر في مجالسكم الغاصة ولا يقال النادي الا
لما فيه اهله المنكر كالجماع والضراط وحل الازار وغيرها من القبائح عدم
مبالاة بها وقيل الخذف بالحصى ورمي البنادق فما كان جواب قومه
الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين في استقباح ذلك او في
دعوى النبوة او المفهوم من التوعد قال رب انصرني بانزال العذاب على القوم
المفسدين بابتداع الفاحشة وسنها فيمن بعدهم وصفهم بذلك مبالغة في استنزال
العقاب واشعارا بانهم احقاء بان يعجل لهم العذاب ولما جاءت رسلنا ابرهيم
بالبشرى بالبشارة بالولد والنافلة قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية قرية
سدوم والاضافة لفظية لان المعنى الاستقبال ان اهلها كانوا ظالمين تعليل
لاهلاكهم باصرارهم وتماديهم في ظلمهم الذي هو الكفر وانواع المعاصي قال ان
فيها لوطا اعتراض عليهم بان فيها من لم يظلم او معارضة للموجب بالمانع
وهو كون النبي بين اظهرهم قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله تسليم لقوله
مع ادعاء مزيد العلم به وانهم ما كانوا غافلين عنه وجواب عنه بتخصيص الاهل
بمن عداه واهله او تأقيت الاهلاك باخراجهم عنها وفيه تأخير البيان عن
الخطاب الا امرأته كانت من الغابرين الباقين في العذاب او القرية ولما
ان جاءت رسلنا لوطا سيء بهم جاءته المساءة والغم بسببهم مخافة ان يقصدهم
قومه بسوء وان صلة لتأكيد الفعلين واتصالهما وضاق بهم ذرعا وضاق
بشأنهم وتدبير امرهم ذرعه اي طاقته كقولهم ضاقت يده وبازائه رحب
ذرعه بكذا اذا كان مطيقا له وذلك لان طويل الذراع ينال ما لا يناله
قصير الذراع وقالوا لما راوا فيه اثر الضجرة لا تخف ولا تحزن على تمكنهم منا

انا

انا منجوك واهلك الا امرأتك كانت من الغابرين وقرأ حمزة وابن كثير والكسائي
ويعقوب لننجينه ومنجوك بالتخفيف ووافقهم ابو بكر وابن كثير في الثاني وموضع
الكاف الجر على المختار ونصب اهلك باضمار فعل او بالعطف على محلها باعتبار
الاصل انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا من السماء عذابا منها سمي بذلك
لانه يقلق المعذب من قولهم ارتجز اذا ارتجس اي اضطرب وقرأ ابن عامر منزلون
بالتشديد بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم ولقد تركنا منها اية بينة هي
حكايتها الشائعة او اثار الديار الخربة وقيل الحجارة الممطرة فانها كانت باقية
بعد وقيل بقية انهارها المسودة لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في الاستبصار
والاعتبار وهو متعلق بتركنا او اية والى مدين اخاهم شعيبا فقال يا قوم
اعبدوا الله وارجوا اليوم الاخر وافعلوا ما ترجون به ثوابه فاقيم المسبب
مقام السبب وقيل انه من الرجاء بمعنى الخوف ولا تعثوا في الارض مفسدين
فكذبوه فاخذتهم الرجفة الزلزلة الشديدة وقيل صيحة جبريل لان القلوب
ترجف لها فاصبحوا في دارهم في بلدهم او دورهم والجمع لان اللبس جاثمين
باركين على الركب ميتين وعادا وثمود منصوبان باضمار اذكر او فعل دل
عليه ما قبله مثل اهلكنا وقرأ حمزة وحفص ويعقوب وثمود غير مصروف
على تأويل القبيلة وقد تبين لكم من مساكنهم اي تبين لكم بعض مساكنهم
او اهلاككم من جهة مساكنهم اذا نظرتم اليها عند مروركم بها وزين لهم
الشيطان اعمالهم من الكفر والمعاصي فصدهم عن السبيل السبيل السوي
الذي بينه الرسل لهم وكانوا مستبصرين متمكنين من النظر والاستبصار ولكنهم
لم يفعلوا او متبينين ان العذاب لاحق بهم باخبار الرسل لهم ولكنهم لجوا حتى
هلكوا وقارون وفرعون وهامان معطوف على عادا وتقديم قارون
لشرف نسبه ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض وما كانوا
سابقين فائتين بل ادركهم امر الله من سبق طالبه اذا فاته فكلا من المذكورين

أخذنا بذنبه عاقبنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ريحا عاصفا فيها حصباء
أو ملكا رماهم بها كقوم لوط ومنهم من أخذته الصيحة كمدين وثمود ومنهم من
خسفنا به الأرض كقارون ومنهم من أغرقنا كقوم نوح وفرعون وقومه
وما كان الله ليظلمهم ليعاملهم معاملة الظالم فيعاقبهم بغير جرم إذ ليس ذلك
من عادته ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بالتعريض للعذاب مثل الذين اتخذوا
من دون الله أولياء فيما اتخذوه معتمدا ومتكلا كمثل العنكبوت اتخذت
بيتا فيما نسجه في الوهن والخور بل ذلك أوهن فإن لهذا حقيقة وانتفاعا ما
أو مثلهم بالإضافة إلى الموحد كمثله بالإضافة إلى رجل بنى بيتا من حجر وجص والعنكبوت
تقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والتاء فيه كتاء طاغوت وتجمع على عناكيب
وعناكب وعكاب وعكبة وأعكب وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لا بيت
أوهن وأقل وقاية للحر والبرد منه لو كانوا يعلمون يرجعون إلى علم لعلموا أن
هذا مثلهم أو أن دينهم أوهن من ذلك ويجوز أن يكون المراد ببيت العنكبوت
دينهم سماه به تحقيقا للتمثيل فيكون المعنى وإن أوهن ما يعتمد به في الدين
دينهم إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء على إضمار القول أي قل للكفرة إن الله
يعلم وقرأ البصريان وعاصم وأبو عمرو ويعقوب بالياء حملا على ما قبله وما استفهامية
منصوبة بيدعون ويعلم معلقة عنها ومن للتبيين أو نافية ومن زائدة وشيء
مفعول يدعون عائده المحذوف والكلام على الأولين تجهيل لهم وتوكيد للمثل
وعلى الأخيرين وعيد لهم وهو العزيز الحكيم تعليل على المعنيين فإن من فرط الغباوة
إشراك ما لا يعد شيئا بمن هذا شأنه وإن الجماد بالإضافة إلى القادر القاهر
على كل شيء البالغ في العلم وإتقان الفعل الغاية كالمعدوم وإن من هذا
صفته قادر على مجازاتهم وتلك الأمثال يعني هذا المثل ونظائره نضربها
للناس تقريبا لما بعد عن أفهامهم وما يعقلها ولا يعقل حسنها وفائدتها
إلا العالمون الذين يتدبرون الأشياء على ما ينبغي وعنه عليه الصلاة والسلام

إنه تلا هذه الآية فقال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه
خلق الله السموات والأرض بالحق محقا غير قاصد به باطلا فإن المقصود
بالذات من خلقهما إفاضة الخير والدلالة على ذاته وصفاته كما أشار إليه بقوله
إن في ذلك لآية للمؤمنين لأنهم المنتفعون بها اتل ما أوحي إليك من الكتاب
تقربا إلى الله تعالى بقراءته وتحفظا لألفاظه واستكشافا لمعانيه فإن القارئ
المتأمل قد ينكشف له بالتكرار ما لم ينكشف له أول ما قرع سمعه وأقم
الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر بأن تكون سببا للانتهاء عن
المعاصي حال الاشتغال بها وغيرها من حيث إنها تذكر الله وتورث للنفس خشية
منه روي أن فتى من الأنصار كان يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
الصلوات ولا يدع شيئا من الفواحش إلا ركبه فوصف له فقال إن صلاته
ستنهاه فلم يلبث أن تاب ولذكر الله أكبر والصلاة أكبر من سائر الطاعات وإنما
عبر عنها به للتعليل بأن اشتمالها على ذكره هو العمدة في كونها مفضلة على الحسنات
ناهية عن السيئات أو ولذكر الله إياكم برحمته أكبر من ذكركم إياه بطاعته والله
يعلم ما تصنعون منه ومن سائر الطاعات فيجازيكم بها أحسن المجازاة ولا تجادلوا
أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا بالخصلة التي هي أحسن كمعارضة الخشونة باللين
والغضب بالكظم والمشاغبة بالنصح وقيل هو منسوخ بآية السيف إذ لا مجادلة أشد منه
وجوابه أنه آخر الدواء وقيل المراد به ذوو العهد منهم إلا الذين ظلموا منهم بالإفراط
في الاعتداء والعناد أو بإثبات الولد وقولهم يد الله مغلولة أو بنبذ العهد ومنع
الجزية وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم هو من المجادلة بالتي هي أحسن وعن
النبي صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله
وبكتبه ورسله فإن قالوا باطلا لم تصدقوهم وإن قالوا حقا لم تكذبوهم وإلهنا
وإلهكم واحد ونحن له مسلمون مطيعون له خاصة وفيه تعريض باتخاذهم أحبارهم
ورهبانهم أربابا من دون الله وكذلك ومثل ذلك الإنزال أنزلنا إليك الكتاب

وحيا مصدقا لسائر الكتب الالهية وهو تحقيق لقوله فالذين آتيناهم الكتاب
يؤمنون به هم عبد الله بن سلام واضرابه او من تقدم عهد الرسول من اهل الكتاب
ومن هؤلاء ومن العرب او من اهل مكة او ممن في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم
من اهل الكتاب من يؤمن به بالقرآن وما يجحد بآياتنا مع ظهورها وقيام
الحجة عليها الا الكافرون الا المتوغلون في الكفر فان جزمهم به يمنعهم عن التأمل
فيما يفيد لهم صدقها لكونها معجزة بالاضافة الى الرسول كما اشار اليه بقوله وما كنت
تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك فان ظهور هذا الكتاب الجامع لانواع
العلوم الشريفة على امي لم يعرف بالقراءة والتعلم خارق للعادة وذكر اليمين زيادة
تصوير للمنفي ونفي للتجوز في الاسناد اذا لارتاب المبطلون اي لو كنت ممن يخط
ويقرأ لقالوا لعله تعلمه او التقطه من كتب الاقدمين وانما سماهم مبطلين لكفرهم
او لارتيابهم بانتفاء وجه واحد من وجوه الاعجاز المتكاثرة وقيل لارتاب اهل
الكتاب لوجدانهم نعتك على خلاف ما في كتبهم فيكون ابطالهم باعتبار الواقع دون
المقدر بل هو بل القرآن آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم يحفظونه لا يقدر
احد على تحريفه وما يجحد بآياتنا الا الظالمون الا المتوغلون في الظلم بالمكابرة
بعد وضوح دلائل اعجازها حتى لم يعتدوا بها وقالوا لولا انزل عليه آية
من ربه مثل ناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى وقرأ نافع وابن عامر والبصريان
وحفص آيات قل انما الآيات عند الله ينزلها كما يشاء لست املكها فآتيكم
بما تقترحونه وانما انا نذير مبين ليس من شأني الا الانذار وابانته بما اعطيت
من الآيات اولم يكفهم آية مغنية عما اقترحوه انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم تدوم
تلاوته عليهم متحديا به فلا يزال معهم آية ثابتة لا تضمحل بخلاف سائر الآيات او يتلى
عليهم يعني اليهود بتحقيق ما في ايديهم من نعتك ونعت دينك ان في ذلك
الكتاب الذي هو آية مستمرة وحجة مبينة لرحمة لنعمة عظيمة وذكرى لقوم يؤمنون
وتذكرة لمن همه الايمان دون التعنت وقيل ان ناسا من المسلمين اتوا رسول الله صلى الله

عليه وسلم بكتف كتب فيها بعض ما يقول اليهود فقال كفى بها ضلالة قوم
ان يرغبوا عما جاءهم به نبيهم الى ما جاء به غير نبيهم فنزلت قل كفى بالله بيني
وبينكم شهيدا بصدقي وقد صدقني بالمعجزات او بتبليغي ما ارسلت به اليكم ونصحي
ومقابلتكم اياي بالتكذيب والتعنت يعلم ما في السموات والارض فلا يخفى عليه
حالي وحالكم والذين آمنوا بالباطل وهو ما يعبد من دون الله وكفروا بالله
منكم اولئك هم الخاسرون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان ويستعجلونك
بالعذاب بقولهم امطر علينا حجارة من السماء ولولا اجل مسمى لكل عذاب او قوم
لجاءهم العذاب عاجلا وليأتينهم بغتة فجأة في الدنيا كوقعة بدر او الآخرة عند
نزول الموت بهم وهم لا يشعرون باتيانه يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة
بالكافرين ستحيط بهم يوم يأتيهم العذاب او هي كالمحيطة بهم الآن لاحاطة الكفر
والمعاصي التي توجبها بهم واللام للعهد على وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة
على موجب الاحاطة او للجنس فيكون استدلالا بحكم الجنس على حكمهم يوم يغشاهم
العذاب ظرف لمحيطة او مقدر مثل كان كيت وكيت من فوقهم ومن تحت ارجلهم
من جميع جوانبهم ويقول اي الله او بعض ملائكته بامره وقرأ ابن كثير وابن عامر والبصريان
بالنون ذوقوا ما كنتم تعملون اي جزاءه يا عبادي الذين آمنوا ان ارضي واسعة فاياي
فاعبدون اي اذا لم يتسهل لكم العبادة في بلدة ولم يتيسر لكم اظهار دينكم فهاجروا
الى حيث يتمشى لكم ذلك وعنه عليه الصلاة والسلام من فر بدينه من ارض الى ارض
ولو كان شبرا استوجب الجنة وكان رفيق ابراهيم ومحمد صلى الله تعالى عليهما وسلم
والفاء جواب شرط محذوف اذ المعنى ان ارضي واسعة ان لم تخلصوا العبادة لي في ارض
فاخلصوها في غيرها كل نفس ذائقة الموت تناله لا محالة ثم الينا ترجعون
للجزاء ومن هذا عاقبته ينبغي ان يجتهد في الاستعداد له وقرأ ابو بكر بالياء
والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم لننزلنهم من الجنة غرفا علالي وقرأ حمزة
والكسائي لنثوينهم اي لنقيمنهم من الثواء فيكون انتصاب غرفا لاجرائه مجرى

لنثوينهم او بنزع الخافض او تشبيه الظرف الموقت بالمبهم تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها نعم اجر العاملين وقرئ فنعم والمخصوص بالمدح محذوف دل عليه ما قبله
الذين صبروا على اذية المشركين والهجرة للدين الى غير ذلك من المحن والمشاق وعلى ربهم
يتوكلون ولا يتوكلون الا على الله وكأين من دابة لا تحمل رزقها لا تطيق حمله لضعفها
او لا تدخره وانما تصبح لا معيشة عندها الله يرزقها واياكم ثم انها مع ضعفها وتوكلها
واياكم مع قوتكم واجتهادكم سواء في انه لا يرزقها واياكم الا الله لان رزق الكل باسباب
هو المسبب لها وحده فلا تخافوا على معاشكم بالهجرة فانهم لما امروا بالهجرة قال بعضهم
كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة فنزلت وهو السميع لقولكم هذا العليم بضميركم
ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر المسؤول عنهم اهل مكة
ليقولن الله لما تقرر في العقول من وجوب انتهاء الممكنات الى واحد واجب الوجود
فانى يؤفكون يصرفون عن توحيده بعد اقرارهم بذلك الله يبسط الرزق لمن يشاء
من عباده ويقدر له يحتمل ان يكون الموسع له والمضيق عليه واحدا على ان البسط والقبض
على التعاقب وان لا يكون واحدا على وضع الضمير موضع من يشاء وابهامه لان
من يشاء مبهم ان الله بكل شيء عليم يعلم مصالحهم ومفاسدهم ولئن سألتهم من نزل
من السماء ماء فاحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله معترفين بانه الموجد للممكنات
باسرها اصولها وفروعها ثم انهم يشركون به بعض مخلوقاته الذي لا يقدر على شيء من ذلك
قل الحمد لله على ما عصمك من مثل هذه الضلالة او على تصديقك واظهار حجتك بل اكثرهم
لا يعقلون فيتناقضون حيث يقرون بانه المبدأ لكل ما عداه ثم انهم يشركون به
الصنم وقيل لا يعقلون ما تريد بتحميدك عند مقالهم وما هذه الحيوة الدنيا
اشارة تحقير وكيف لا وهي لا تزن عند الله جناح بعوضة الا لهو ولعب الا كما
يلهى ويلعب به الصبيان يجتمعون عليه ويبتهجون به ساعة ثم يتفرقون متعبين
وان الدار الآخرة لهي الحيوان لهي دار الحيوة الحقيقية لامتناع طريان الموت عليها او هي
في ذاتها حيوة للمبالغة والحيوان مصدر حي سمي به ذو الحيوة واصله حييان فقلبت

الياء الثانية واوا وهو ابلغ من الحيوة لما في بناء فعلان من الحركة والاضطراب
اللازم للحيوة ولذلك اختير عليها ههنا لو كانوا يعلمون لم يؤثروا عليها الدنيا
التي اصلها عدم الحيوة والحيوة فيها عارضة سريعة الزوال فاذا ركبوا في الفلك
متصل بما دل عليه شرح حالهم اي هم على ما وصفوا به من الشرك فاذا ركبوا البحر
دعوا الله مخلصين له الدين كائنين في صورة من اخلص دينه من المؤمنين حيث لا يذكرون
الا الله ولا يدعون سواه لعلمهم بانه لا يكشف الشدائد الا هو فلما نجيهم الى
البر اذا هم يشركون فاجاؤا المعاودة الى الشرك ليكفروا بما آتيناهم اللام فيه
لام كي اي يشركون ليكونوا كافرين بشركهم نعمة النجاة وليتمتعوا باجتماعهم على عبادة
الاصنام وتوادهم عليها او لام الامر على التهديد ويؤيده قراءة ابن كثير وحمزة
والكسائي وقالون عن نافع وليتمتعوا بالسكون فسوف يعلمون عاقبة ذلك
حين يعاقبون اولم يروا يعني اهل مكة انا جعلنا حرما آمنا اي جعلنا بلدهم
مصونا عن النهب والتعدي آمنا اهله عن القتل والسبي ويتخطف الناس من حولهم
يختلسون قتلا وسبيا اذ كانت العرب حواليهم في تغاور وتناهب افبالباطل
يؤمنون ابعد هذه النعمة المكشوفة وغيرها مما لا يقدر عليها الا الله بالصنم او الشيطان
يؤمنون وبنعمة الله يكفرون حيث اشركوا به غيره وتقديم الصلتين للاهتمام
او الاختصاص على طريق المبالغة ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا بان زعم ان له
شريكا او كذب بالحق لما جاءه يعني الرسول او الكتاب وفي لما تسفيه لهم بان لم يتوقفوا
ولم يتاملوا قط حين جاءهم بل سارعوا الى التكذيب اول ما سمعوه اليس في جهنم
مثوى للكافرين تقرير لثوائهم كقوله الستم خير من ركب المطايا اي لا يستوجبون
الثواء فيها وقد افتروا مثل هذا الكذب على الله وكذبوا بالحق مثل هذا التكذيب
او لاجترائهم اي الم يعلموا ان في جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤا هذه الجراءة والذين
جاهدوا فينا في حقنا واطلاق المجاهدة ليعم جهاد الاعادي الظاهرة والباطنة
بانواعه لنهدينهم سبلنا سبل السير الينا والوصول الى جنابنا او لنزيدنهم هداية

الى سبيل الخير وتوفيقا لسلوكها كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وفي
الحديث من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وان الله لمع المحسنين بالنصرة والاعانة قال
عليه الصلوة والسلام من قرأ سورة العنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين

سورة الروم مكية وهي ستون او تسع وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الم غلبت الروم في ادنى الارض ارض العرب منهم لانها
الارض المعهودة عند العرب او في ادنى ارضهم من العرب على ان اللام بدل من الاضافة وهم من بعد
غلبهم من اضافة المصدر الى المفعول وقرئ غلبهم وهو لغة كالحلب والحلب سيغلبون
في بضع سنين روي ان فارس غزوا الروم فوافوهم باذرعات وبصرى وقيل بالجزيرة
وهي ادنى ارض الروم من الفرس فغلبوا عليهم وبلغ الخبر مكة ففرح المشركون وشمتوا
بالمسلمين وقالوا انتم والنصارى اهل كتاب ونحن وفارس اميون وقد ظهر اخواننا
على اخوانكم ولنظهرن عليكم فنزلت فقال لهم ابو بكر لا يقرر الله اعينكم فوالله ليظهرن
الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له ابي بن خلف كذبت اجعل بيننا اجلا اناحبك
عليه فناحبه على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعلا الاجل ثلث سنين فاخبر ابو بكر
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم البضع ما بين الثلث
الى التسع فزايده في الخطر ومادّه في الاجل فجعلاها مائة الى تسع سنين ومات
ابي من جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قفوله من احد فظهرت الروم على فارس
يوم الحديبية فاخذ ابو بكر الخطر من ذرية ابي وجاء به الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال تصدق به واستدل به الحنفية على جواز العقود الفاسدة في دار الحرب
واجيب بانه كان قبل تحريم القمار والآية من دلائل النبوة لانها اخبار عن الغيب
وقرئ غلبت بالفتح وسيغلبون بالضم ومعناه ان الروم غلبوا على ريف الشام
والمسلمين سيغلبونهم وفي السنة التاسعة من نزوله غزاهم المسلمون وفتحوا بعض بلادهم
وعلى هذا يكون اضافة الغلب الى الفاعل لله الامر من قبل ومن بعد من قبل

كونهم

كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت
كونهم غالبين اي له الامر حين غلبوا وحين يغلبون ليس شيء منهما الا بقضائه
وقرئ من قبل ومن بعد من غير تقدير مضاف اليه كانه قيل قبلا وبعدا اي اولا
وآخرا ويومئذ ويوم يغلب الروم يفرح المؤمنون بنصر الله من له كتاب على
من لا كتاب له لما فيه من انقلاب التفاؤل وظهور صدقهم فيما اخبروا به المشركين
وغلبتهم في رهانهم وازدياد يقينهم وثباتهم في دينهم وقيل بنصر الله المؤمنين
باظهار صدقهم او بان ولى بعض اعدائهم بعضا حتى تفانوا ينصر من يشاء فينصر
هؤلاء تارة وهؤلاء اخرى وهو العزيز الرحيم ينتقم من عباده بالنصر عليهم
تارة ويتفضل عليهم بنصرهم اخرى وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لان ما قبله في معنى
الوعد لا يخلف الله وعده لامتناع الكذب عليه ولكن اكثر الناس لا يعلمون وعده
ولا صحته وعدم جهلهم وعدم تفكرهم يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا ما يشاهدونه
منها والتمتع بزخارفها وهم عن الآخرة التي هي غايتها والمقصود منها هم غافلون
لا تخطر ببالهم وهم الثانية تكرير للاولى او مبتدأ وغافلون خبره والجملة خبر الاولى
وهو على الوجهين مناد على تمكن غفلتهم عن الآخرة المحققة لمقتضى الجملة المتقدمة
المبدلة من قوله لا يعلمون تقريرا لجهالتهم وتشبيها لهم بالحيوانات المقصور ادراكها
من الدنيا ببعض ظاهرها فان من العلم بظاهرها معرفة حقائقها وصفاتها
وخصائصها وافعالها واسبابها وكيفية صدورها منها وكيفية التصرف فيها
ولذلك نكر ظاهرا واما باطنها فانها مجاز الى الآخرة ووصلة الى نيلها وانموذج
لاحوالها واشعارا بانه لا فرق بين عدم العلم والعلم الذي يختص بظاهر الدنيا اولم
يتفكروا في انفسهم اولم يحدثوا التفكر فيها او لم يتفكروا في امر انفسهم فانها
اقرب اليهم من غيرها ومرآة يجتلي فيها للمستبصر ما يجتلي له في الممكنات باسرها
ليتحقق له قدرة مبدعها على اعادتها في قدرته على ابدائها ما خلق الله السموات والارض
وما بينهما الا بالحق متعلق بقول او علم محذوف يدل الكلام عليه واجل مسمى تنتهي

عنده ولا تبقى بعده وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم بلقاء جزائه عند انقضاء
الاجل المسمى او قيام الساعة لكافرون جاحدون يحسبون ان الدنيا ابدية وان
الآخرة لا تكون اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم تقرير لسيرهم
في اقطار الارض ونظرهم الى آثار المدمرين قبلهم كانوا اشد منهم قوة كعاد وثمود واثاروا
الارض وقلبوا وجهها لاستنباط المياه واستخراج المعادن وزرع البذور وغيرها وعمروها
وعمروا الارض اكثر مما عمروها من عمارة اهل مكة اياها فانهم اهل واد غير ذي
زرع لا تبسط لهم في غيرها وفيه تهكم بهم من حيث انهم مغترون بالدنيا مفتخرون بها
وهم اضعف حالا فيها اذ مدار امرها على التبسط في البلاد والتسلط على العباد
والتصرف في اقطار الارض بانواع العمارة وهم ضعفاء ملجؤون الى واد لا نفع لها
وجاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات او الآيات الواضحات فما كان الله ليظلمهم ليفعل
بهم ما يفعل الظلمة فيدمرهم من غير جرم ولا تذكير ولكن كانوا انفسهم يظلمون
حيث عملوا ما ادى الى تدميرهم ثم كان عاقبة الذين اساؤوا السوأى اي ثم كان عاقبتهم
العقوبة او الخصلة السوأى فوضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على ما اقتضى ان يكون
تلك عاقبتهم وانهم جاؤوا بمثل افعالهم والسوأى تانيث الاسوأ كالحسنى او مصدر كالبشرى
نعت بها ان كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون علة او بدل او عطف بيان
للسوأى او خبر كان والسوأى مصدر اساؤوا او مفعوله بمعنى ثم كان عاقبة الذين
اقترفوا الخطيئة ان طبع الله على قلوبهم حتى كذبوا الآيات واستهزؤوا بها ويجوز
ان يكون السوأى صلة الفعل وان كذبوا تابعها والخبر محذوف للابهام والتهويل
وان يكون ان مفسرة لان الاساءة اذا كانت مفسرة بالتكذيب والاستهزاء كانت
متضمنة معنى القول وقرا ابن عامر والكوفيون عاقبة بالنصب على ان الاسم السوأى وان
كذبوا على الوجوه المذكورة الله يبدؤا الخلق ينشئهم ثم يعيده يبعثهم ثم اليه ترجعون
للجزاء والعدول الى الخطاب للمبالغة في المقصود وقرا ابو عمرو وابو بكر وروح
بالياء على الاصل ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون يسكتون متحيرين آيسين

من قبلهم

يقال

يقال ناظرته فابلس اذا سكت وايس من ان يحتج ومنه الناقة المبلاس التي لا ترغو
وقرئ بفتح اللام من ابلسه اذا اسكته ولم يكن لهم من شركائهم ممن اشركوهم بالله شفعاء
يجيرونهم من عذاب الله ومجيئه بلفظ الماضي لتحققه وكانوا بشركائهم كافرين يكفرون
بآلهتهم حين يئسوا منهم وقيل كانوا في الدنيا كافرين بسببهم وكتب في المصحف شفعاؤ
وعلماؤ بني اسرائيل بالواو والسوأى بالالف اثباتا للهمزة على صورة الحرف الذي منه
حركتها ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون اي المؤمنون والكافرون لقوله فاما
الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة ارض ذات ازهار وانهار يحبرون
يسرون سرورا تهللت له وجوههم واما الذين كفروا وكذبوا باياتنا ولقاء
الآخرة فاولئك في العذاب محضرون مدخلون لا يغيبون عنه فسبحان الله حين تمسون
وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون اخبار في معنى
الامر بتنزيه الله تعالى والثناء عليه في هذه الاوقات التي تظهر فيها قدرته وتتجدد
فيها نعمته او دلالة على ان ما يحدث فيها من الشواهد الناطقة بتنزيهه واستحقاقه
الحمد ممن له تمييز من اهل السموات والارض وتخصيص التسبيح بالمساء والصباح لان
آثار القدرة والعظمة فيهما اظهر وتخصيص الحمد بالعشي الذي هو آخر النهار من عشي العين
اذا نقص نورها والظهيرة التي هي وسطه لان تجدد النعم فيهما اكثر ويجوز ان يكون
عشيا معطوفا على حين تمسون وقوله وله الحمد في السموات والارض اعتراضا
وعن ابن عباس ان الآية جامعة للصلوات الخمس تمسون صلاتا المغرب والعشاء
وتصبحون صلوة الفجر وعشيا صلوة العصر وتظهرون صلوة الظهر ولذلك زعم
الحسن انها مدنية لانه كان يقول كان الواجب بمكة ركعتين في اي وقت اتفقت
وانما فرضت الخمس بالمدينة والاكثر انها فرضت بمكة وعنه عليه الصلوة والسلام
من سره ان يكال له بالقفيز الاوفى فليقل فسبحان الله حين تمسون الآية وعنه عليه الصلوة
والسلام من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون الى قوله وكذلك تخرجون ادرك
ما فاته في ليلته ومن قال حين يمسي ادرك ما فاته في يومه وقرئ حينا تمسون وحينا

تصبحون اي تمسون فيه وتصبحون فيه يخرج الحي من الميت كالانسان من النطفة والطاير
من البيضة ويخرج الميت من الحي النطفة والبيضة او يعقب الحيوة الموت وبالعكس ويحيي
الارض بالنبات بعد موتها يبسها وكذلك ومثل ذلك الاخراج تخرجون من
قبوركم فانه ايضا تعقيب الحيوة الموت وقرا حمزة والكسائي بفتح التاء ومن
آياته ان خلقكم من تراب اي في اصل الانشاء لانه خلق اصلهم منه ثم اذا انتم
بشر تنتشرون ثم فاجاتم وقت كونكم بشرا منتشرين في الارض ومن آياته ان خلق
لكم من انفسكم ازواجا لان حوا خلقت من ضلع آدم وسائر النسا خلقن من نطفة
الرجال او لانهن من جنسهم لا من جنس آخر لتسكنوا اليها لتميلوا اليها وتالفوا بها
فان الجنسية علة للضم والاختلاف سبب للتنافر وجعل بينكم اي بين الرجال والنسا
او بين افراد الجنس مودة ورحمة بواسطة الزواج حال الشبق وغيرها بخلاف سائر
الحيوان نظما لامر المعاش او بان تعيش الانسان متوقف على التعارف والتعاون
المحوج الى التواد والتراحم وقيل المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد لقوله
ورحمة منا ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون فيعلمون ما في ذلك من الحكم ومن
آياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم لغاتكم بان علم كل صنف لغة او
الهمه وضعها واقدره عليها او اجناس نطقكم واشكاله فانه لا تكاد تسمع منطقين
متساويين في الكيفية والوانكم بياض الجلد وسواده او تخطيطات الاعضاء
وهيئاتها والوانها وحلاها بحيث وقع التمايز والتعارف حتى ان التوامين مع
توافق موادهما واسبابهما والامور الملاقية لهما في التخليق يختلفان في شيء من
ذلك لا محالة ان في ذلك لآيات للعالمين لا يكاد يخفى على عاقل من ملك او انس
او جن وقرا حفص بكسر اللام ويؤيده قوله وما يعقلها الا العالمون ومن آياته
منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله منامكم في الزمانين لاستراحة
القوى النفسانية وتقوية القوى الطبيعية وطلب معاشكم فيهما او منامكم بالليل
وابتغاؤكم بالنهار فلف وضم بين الزمانين والفعلين بعاطفين اشعارا بان كلا من

الزمانين وان اختص باحدهما فهو صالح للآخر عند الحاجة ويؤيده سائر
الآيات الواردة فيه ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون سماع تفهم واستبصار
فان الحكمة فيه ظاهرة ومن آياته يريكم البرق مقدر بان كقوله ألا ايهذا
الزاجري احضر الوغا وان اشهد اللذات هل انت مخلدي او الفعل فيه منزل
منزلة المصدر كقولهم تسمع بالمعيدي خير من ان تراه او صفة لمحذوف تقديره
آية يريكم بها البرق كقوله فما الدهر الا تارتان فمنهما اموت واخرى
ابتغي العيش اكدح خوفا من الصاعقة وللمسافر وطمعا في الغيث وللمقيم
ونصبهما على العلة لفعل يلزم المذكور فان اراءتهم تستلزم رؤيتهم او له
على تقدير مضاف نحو ارادة خوف وطمع او تاويل الخوف والطمع بالاخافة
والاطماع كقولك فعلته رغما للشيطان او على الحال مثل كلمته شفاها وينزل
من السماء ماء وقرئ بالتشديد فيحيي به الارض بالنبات بعد موتها ان في ذلك
لآيات لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في استنباط اسبابها وكيفية تكونها
ليظهر لهم كمال قدرة الصانع وحكمته ومن آياته ان تقوم السماء والارض بامره
قيامهما باقامته لهما وارادته لقيامهما في حيزيهما المعينين من غير مقيم محسوس
والتعبير بالامر للمبالغة في كمال القدرة والغنى عن الآلة ثم اذا دعاكم دعوة
من الارض اذا انتم تخرجون عطف على ان تقوم على تاويل مفرد كانه قيل ومن
آياته قيام السموات والارض بامره ثم خروجكم من القبور اذا دعاكم دعوة
واحدة فيقول ايها الموتى اخرجوا والمراد تشبيه سرعة ترتب حصول ذلك
على تعلق ارادته بلا توقف واحتياج الى تجشم عمل بسرعة ترتب اجابة
الداعي المطاع على دعائه وثم اما للتراخي زمانه او لعظم ما فيه ومن الارض
متعلق بدعاكم كقوله دعوته من اسفل الوادي فطلع الي لا بتخرجون
لان ما بعد اذا لا يعمل فيما قبلها واذا الثانية للمفاجاة ولذلك ناب
مناب الفاء في جواب الاولى وله من في السموات والارض كل له قانتون

سيقال فمن لعجلته فيهم لا يشفعون عليه وهو الذي يبدء الخلق ثم يعيده بعد هلاكهم
وهو اهون عليه والاعادة اسهل عليه من الاصل بالاضافة الى قدركم والقياس
على اصولكم والا فهما عليه سواء ولذلك قيل الهاء للخلق وقيل اهون بمعنى هين
وتذكير هو لاهون او لان الاعادة بمعنى ان يعيد وله المثل الاعلى الوصف العجيب الشان
كالقدرة العامة والحكمة التامة ومن فسره بقول لا اله الا الله اراد به الوصف
بالوحدانية الاعلى الذي ليس لغيره ما يساويه او يدانيه في السموات والارض
يصف به ما فيهما دلالة ونطقا وهو العزيز الغالب القادر الذي لا يعجز عن ابداء
ممكن واعادته الحكيم الذي يجري الافعال على مقتضى حكمته ضرب لكم مثلا من انفسكم
منتزعا من احوالها التي هي اقرب الامور اليكم هل لكم مما ملكت ايمانكم من مماليكم
من شركاء فيما رزقناكم من الاموال وغيرها فانتم فيه سواء فتكونون انتم وهم فيه
شرع يتصرفون فيه كتصرفكم مع انهم بشر مثلكم وانها معارة لكم ومن الاولى
للابتداء والثانية للتبعيض والثالثة مزيدة لتاكيد الاستفهام الجاري مجرى
النفي تخافونهم ان تستبدوا بتصرف فيه كخيفتكم انفسكم كما يخاف الاحرار
بعضهم بعضا كذلك مثل ذلك التفصيل نفصل الآيات نبينها فان التمثيل
مما يكشف المعاني ويوضحها لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في تدبر الامثال
بل اتبع الذين ظلموا بالاشراك اهواءهم بغير علم جاهلين لا يكفهم شيء فان العالم
اذا اتبع هواه ربما ردعه علمه فمن يهدي من اضل الله فمن يقدر على هدايته وما لهم
من ناصرين يخلصونهم من الضلالة ويحفظونهم عن آفاتها فاقم وجهك للدين حنيفا
فقومه له غير ملتفت او ملتفت عنه وهو تمثيل للاقبال والاستقامة عليه والاهتمام به
فطرة الله خلقته نصب على الاغراء او المصدر لما دل عليه ما بعدها التي فطر
الناس عليها خلقهم عليها وهي قبولهم للحق وتمكنهم من ادراكه او ملة الاسلام
فانهم لو خلوا وما خلقوا عليه ادى بهم اليها وقيل العهد الماخوذ من آدم وذريته
لا تبديل لخلق الله لا يقدر احد ان يغيره او ما ينبغي ان يغير ذلك اشارة الى الدين

المأمور

المأمور باقامة الوجه له او الفطرة ان فسرت بالملة الدين القيم المستوي الذي
لا عوج فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون استقامته لعدم تدبرهم منيبين اليه راجعين
اليه من اناب اذا رجع مرة بعد اخرى وقيل منقطعين اليه من الناب وهو حال من الضمير
في الناصب المقدر لفطرة الله او في اقم لان الآية خطاب للرسول والامة لقوله
واتقوه واقيموا الصلوة ولا تكونوا من المشركين غير انها صدرت بخطاب الرسول
تعظيما له من الذين فرقوا دينهم بدل من المشركين وتفريقهم اختلافهم فيما يعبدونه
على اختلاف اهوائهم وقرأ حمزة والكسائي فارقوا بمعنى تركوا دينهم الذي امروا به
وكانوا شيعا فرقا تشايع كل امامها الذي اضل دينها كل حزب بما لديهم فرحون
مسرورون ظنا بانه الحق ويجوز ان يجعل فرحون صفة كل على ان الخبر من الذين فرقوا
واذا مس الناس ضر شدة دعوا ربهم منيبين اليه راجعين اليه من دعاء غيره
ثم اذا اذاقهم منه رحمة خلاصا من تلك الشدة اذا فريق منهم بربهم يشركون
فاجاء فريق منهم بالاشراك بربهم الذي عافاهم ليكفروا بما آتيناهم اللام فيه
للعاقبة وقيل للامر بمعنى التهديد لقوله فتمتعوا غير انه التفت فيه مبالغة
وقرئ وليتمتعوا فسوف تعلمون عاقبة تمتعكم وقرئ بالياء على ان تمتعوا ماض
ام انزلنا عليهم سلطانا حجة وقيل ذا سلطان اي ملكا معه برهان فهو يتكلم
تكلم دلالة كقوله كتابنا ينطق عليكم بالحق او نطق بما كانوا به يشركون
باشراكهم وصحته او بالامر الذي بسببه يشركون به في الوهيته واذا اذقنا الناس رحمة
نعمة من صحة وسعة فرحوا بها بطروا بسببها وان تصبهم سيئة شدة بما قدمت ايديهم
بشؤم معاصيهم اذا هم يقنطون فاجؤا القنوط من رحمته وقرأ ابو عمرو والكسائي
بكسر النون اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر فما لهم لم يشكروا ولم يحتسبوا
في السراء والضراء كالمؤمنين ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون فيستدلون بها
على كمال القدرة والحكمة فآت ذا القربى حقه كصلة الرحم واحتج به الحنفية في
وجوب النفقة للمحارم وهو غير مشعر به والمسكين وابن السبيل ما وظف لهما

من الزكوة والخطاب للنبي عليه الصلوة والسلام او لمن بسط له ولذلك رتب على ما قبله
بالفاء ذلك خير للذين يريدون وجه الله ذاته او جهته اي يقصدون بمعروفهم اياه خالصا
او جهة التقرب اليه لا جهة اخرى واولئك هم المفلحون حيث حصلوا بما بسط لهم النعيم
المقيم وما آتيتم من ربا زيادة محرمة في المعاملة او عطية يتوقع بها مزيد مكافاة
وقرأ ابن كثير بالقصر بمعنى ما جئتم به من اعطاء ربا ليربوا في اموال الناس ليزيد
ويزكوا في اموالهم فلا يربوا عند الله فلا يزكو عنده ولا يبارك فيه وقرأ نافع ويعقوب
لتربوا اي لتزيدوا او لتصيروا ذا ربوا وما آتيتم من زكوة تريدون وجه الله
تبتغون به وجهه خالصا فاولئك هم المضعفون ذوو الاضعاف من الثواب ونظير
المضعف المقوي والموسر لذي القوة واليسار او الذين ضعفوا ثوابهم واموالهم
ببركة الزكوة وقرئ بفتح العين وتغييره عن سنن المقابلة عبارة ونظما للمبالغة
والالتفات فيه للتعظيم كأنه خاطب به الملائكة وخواص الخلق تعريفا لحالهم او للتعميم
كأنه قال فمن فعل ذلك فاولئك هم المضعفون والراجع محذوف ان جعلت ما موصولة
تقديره المضعفون به او فمؤتوه اولئك هم المضعفون الله الذي خلقكم ثم رزقكم
ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء اثبت له لوازم الالوهية
ونفاها رأسا عما اتخذوه شركاء له من الاصنام وغيرها مؤكدا بالانكار على ما دل
عليه البرهان والعيان ووقع عليه الوفاق ثم استنتج من ذلك تقدسه عن ان يكون
له شركاء فقال سبحانه وتعالى عما يشركون ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر من
شركائكم والرابط من ذلكم لانه بمعنى من افعاله ومن الاولى والثانية تفيدان
شيوع الحكم في جنسي الشركاء والافعال والثالثة مزيدة لتعميم المنفي وكل منها
مستقلة بتأكيد لتعجيز الشركاء ظهر الفساد في البر والبحر كالجدب والموتان وكثرة
الحرق والغرق واخفاق الغاصة ومحق البركات وكثرة المضار او الضلالة او الظلم
وقيل المراد بالبحر قرى السواحل وقرئ والبحور بما كسبت ايدي الناس بشؤم معاصيهم
او بكسبهم اياها وقيل ظهر الفساد في البر بقتل قابيل اخاه وفي البحر بان جلندى

كان يأخذ كل سفينة غصبا ليذيقهم بعض الذي عملوا بعض جزائه فان تمامه
في الآخرة واللام للعلة او العاقبة وعن ابن كثير ويعقوب لنذيقهم بالنون
لعلهم يرجعون عما هم عليه قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين
من قبل لتشاهدوا مصداق ذلك وتتحققوا صدقه كان اكثرهم مشركين استئناف
للدلالة على ان سوء عاقبتهم كان لفشو الشرك وغلبته فيهم او كان الشرك في
اكثرهم وما دونه من المعاصي في قليل منهم فاقم وجهك للدين القيم البليغ الاستقامة
من قبل ان يأتي يوم لا مرد له لا يقدر ان يرده احد وقوله من الله متعلق بيأتي ويجوز
ان يتعلق بمرد لانه مصدر على معنى لا يرده الله لتعلق ارادته القديمة بمجيئه يومئذ
يصدعون يتصدعون اي يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير كما قال من كفر
فعليه كفره اي وباله وهو النار المؤبدة ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون
يسوون منزلا في الجنة وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة على الاختصاص ليجزي
الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله علة ليمهدون او ليصدعون والاقتصار
على جزاء المؤمنين للاشعار بانه المقصود بالذات والاكتفاء على فحواه فان قوله انه لا يحب
الكافرين فان فيه اثبات البغض لهم والمحبة للمؤمنين وتأكيد اختصاص الصلاح
المفهوم من ترك ضميرهم الى التصريح بهم تعليل له ومن فضله دال على ان الاثابة
تفضل محض وتأويله بالعطاء والزيادة على الثواب عدول عن الظاهر ومن آياته
ان يرسل الرياح الشمال والصبا والجنوب فانها رياح الرحمة واما الدبور فريح
العذاب ومنه قوله عليه الصلوة والسلام اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا
وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي الريح على ارادة الجنس مبشرات بالمطر وليذيقكم
من رحمته يعني المنافع التابعة لها وقيل الخصب التابع لنزول المطر المسبب عنها او الروح
الذي هو مع هبوبها والعطف على علة محذوفة دل عليها مبشرات او عليها باعتبار
المعنى او على يرسل باضمار فعل معلل دل عليه ولتجري الفلك بامره ولتبتغوا من فضله يعني
تجارة البحر ولعلكم تشكرون ولتشكروا نعمة الله فيها ولقد ارسلنا من قبلك

رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فانتقمنا من الذين اجرموا بالتدمير وكان حقا
علينا نصر المؤمنين اشعار بان الانتقام لهم واظهار لكرامتهم حيث جعلهم مستحقين
على الله ان ينصرهم وعنه عليه الصلوة والسلام ما من امرئ مسلم يرد عن عرض اخيه
الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم ثم تلا ذلك وقد يوقف على حقا على انه
متعلق بالانتقام الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه متصلة تارة في السماء
في سمتها وناحيتها كيف يشاء سائرا وواقفا مطبقا وغير مطبق من جانب دون جانب
الى غير ذلك ويجعله كسفا قطعا تارة اخرى وقرأ ابن عامر بالسكون على انه مخفف
او جمع كسفة او مصدر وصف به فترى الودق المطر يخرج من خلاله في التارتين
فاذا اصاب به من يشاء من عباده يعني بلادهم واراضيهم اذا هم يستبشرون لمجيء
الخصب وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم المطر من قبله تكرير للتاكيد والدلالة على تطاول
عهدهم بالمطر واستحكام يأسهم وقيل الضمير للمطر او السحاب او الارسال لمبلسين
لآيسين فانظر الى آثار رحمة الله اثر الغيث من النبات والاشجار وانواع الثمار
ولذلك جمعه ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص كيف يحيي الارض بعد موتها وقرئ
بالتاء على اسناده الى ضمير الرحمة ان ذلك يعني الذي قدر على احياء الارض بعد موتها
لمحيي الموتى لقادر على احيائهم فانه احداث لمثل ما كان في مواد ابدانهم من القوى
كما ان احياء الارض احداث لمثل ما كان فيها من القوى النباتية هذا ومن المحتمل ان يكون
من الكائنات الذاهبة ما يكون مواد لما تتفتت وتبددت من جنسها في بعض الاعوام
السالفة وهو على كل شيء قدير لان نسبة قدرته الى جميع الكائنات الممكنات على سوية
ولئن ارسلنا ريحا فرأوه مصفرا فرأوا الاثر والزرع فانه مدلول عليه بما تقدم
وقيل السحاب لانه اذا كان مصفرا لم يمطر واللام موطئة للقسم دخلت على حرف الشرط
وقوله لظلوا من بعده يكفرون جواب سد مسد الجزاء ولذلك فسر بالاستقبال وهذه
الآيات ناعية على الكفار بقلة تثبتهم وعدم تدبرهم وسرعة تزلزلهم لعدم
تفكرهم وسوء رأيهم فان النظر السوي يقتضي ان يتوكلوا على الله ويلتجئوا اليه

بالاستغفار اذا احتبس القطر عنهم ولم ييأسوا من رحمته وان يبادروا الى الشكر
والاستدامة بالطاعة اذا اصابهم برحمته ولم يفرطوا في الاستبشار وان يصبروا
على بلائه اذا ضرب زروعهم بالاصفرار ولم يكفروا نعمه فانك لا تسمع الموتى وهم
مثلهم لما سدوا عن الحق مشاعرهم ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين قيد الحكم
ليكون اشد استحالة فان الاصم المقبل وان لم يسمع الكلام تفطن منه بواسطة الحركات
شيئا وما انت بهاد العمي عن ضلالتهم سماهم عميا لفقدهم المقصود الحقيقي من الابصار
او لعمي قلوبهم ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فان ايمانهم يدعوهم الى تلقي اللفظ
وتدبر المعنى ويجوز ان يراد بالمؤمن المشارف للايمان فهم مسلمون لما تأمرهم به
الله الذي خلقكم من ضعف اي ابتدأكم ضعفاء وجعل الضعف اساس امركم كقوله
خلق الانسان من عجل او خلقكم من اصل ضعيف وهو النطفة ثم جعل من بعد ضعف
قوة وذلك اذا بلغتم الحلم او تعلق بابدانكم الروح ثم جعل من بعد قوة ضعفا
وشيبة اذا اخذ منكم السن وفتح عاصم وحمزة الضاد في جميعها والضم اقوى لقول
ابن عمر قرأتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضعف فاقرأني من ضعف وهما
لغتان كالفقر والفقر والتنكير مع التكرير لان المتأخر ليس عين المتقدم يخلق
ما يشاء من ضعف وقوة وشبيبة وشيبة وهو العليم القدير فان الترديد في الاحوال
المختلفة مع امكان غيره دليل العلم والقدرة ويوم تقوم الساعة القيمة سميت
بها لانها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا او لانها تقع بغتة وصارت علما لها
بالغلبة كالكوكب للزهرة يقسم المجرمون ما لبثوا في الدنيا او في القبور او فيما بين فناء
الدنيا والبعث وانقطاع عذابهم وفي الحديث ما بين فناء الدنيا والبعث اربعون
وهو محتمل للساعات والايام والاعوام غير ساعة استقلوا مدة لبثهم اضافة
الى مدة عذابهم في الآخرة او نسيانا كذلك مثل ذلك الصرف عن الصدق والتحقيق
كانوا يؤفكون يصرفون في الدنيا وقال الذين اوتوا العلم والايمان من الملائكة
والانس لقد لبثتم في كتاب الله في علمه او قضائه او ما كتبه لكم اي اوجبه او اللوح

الله

او القرآن وهو قوله ومن ورائهم برزخ الى يوم البعث ردّوا بذلك ما قالوه
وحلفوا عليه فهذا يوم البعث الذي انكرتموه ولكنكم كنتم لا تعلمون انه حق لتفريطكم
في النظر والفاء لجواب شرط محذوف تقديره ان كنتم منكرين البعث فهذا يومه اي فقد تبين
بطلان انكاركم فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم وقرأ الكوفيون بالياء لان
المعذرة بمعنى العذر او لان تأنيثها غير حقيقي وقد فصل بينهما ولا هم يستعتبون لا يدعون
الى ما يقتضي اعتابهم اي ازالة عتبهم من التوبة والطاعة كما دعوا اليه في الدنيا
من قولهم استعتبني فلان فاعتبته اي استرضاني فارضيته ولقد ضربنا للناس في هذا
القرآن من كل مثل ولقد وصفنا لهم فيه بانواع الصفات التي هي في الغرابة كالامثال
مثل صفة المبعوثين يوم القيمة وما يقولون وما يقال لهم وما لا يكون لهم من الانتفاع
بالمعذرة والاستعتاب او بيّنا لهم من كل مثل ينبههم على التوحيد والبعث وصدق الرسول
عليه الصلوة والسلام ولئن جئتهم بآية من آيات القرآن ليقولن الذين كفروا من فرط
عنادهم وقساوة قلوبهم ان انتم يعنون الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
الا مبطلون مزورون كذلك مثل ذلك الطبع يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون
لا يطلبون العلم ويصرون على خرافات اعتقدوها فان الجهل المركب يمنع ادراك
الحق ويوجب تكذيب المحق فاصبر على اذاهم ان وعد الله بنصرتك واظهار دينك على الدين
كله حق لا بد من انجازه ولا يستخفنك ولا يحملنك على الخفة والقلق الذين لا يوقنون
بتكذيبهم وايذائهم فانهم شاكون ضالون لا يستبدع منهم ذلك وعن يعقوب بتخفيف
النون وقرئ ولا يستحقنك اي لا يزيغنك فيكونوا احق بك من المؤمنين عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الروم كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل
ملك سبح الله بين السماء والارض وادرك ما ضيع في يومه وليلته

[illegible]
[illegible]

وهي الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة فان وجوبهما بالمدينة وهو ضعيف لانه لا ينافي

شرعيتهما بمكة وقيل الا ثلثا من قوله ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام

سورة لقمان مكية وآيها اربع وثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الم تلك آيات الكتاب الحكيم سبق بيانه في يونس هدى
ورحمة للمحسنين حالان من الآيات والعامل فيهما معنى الاشارة ورفعهما حمزة على الخبر
بعد الخبر او الخبر المحذوف الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم
يوقنون بيان لاحسانهم او تخصيص لهذه الثلثة من شعبه لفضل اعتدادها وتكرير
الضمير للتوكيد ولما حيل بينه وبين خبره اولئك على هدى من ربهم واولئك هم
المفلحون لاستجماعهم العقيدة الحقة والعمل الصالح ومن الناس من يشتري لهو
الحديث ما يلهي عما يعني كالاحاديث التي لا اصل لها والاساطير التي لا اعتبار فيها
والمضاحيك وفضول الكلام والاضافة بمعنى من وهي تبيينية ان اراد بالحديث
المنكر وتبعيضية ان اراد به الاعم وقيل نزلت في النضر بن الحارث اشترى كتب
الاعاجم وكان يحدث بها قريشا ويقول ان كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود فانا
احدثكم بحديث رستم واسفنديار والاكاسرة وقيل كان يشتري القيان ويحملهن
على معاشرة من اراد الاسلام ومنعه عنه ليضل عن سبيل الله دينه او قراءة كتابه
وقرأ ابن كثير وابو عمرو بفتح الياء بمعنى ليثبت على ضلاله ويزيد فيه بغير علم
بحال ما يشتريه او بالتجارة حيث استبدل اللهو بقراءة القرآن ويتخذها هزوا ويتخذ
السبيل سخرية وقد نصبه حمزة والكسائي ويعقوب وحفص عطفا على ليضل
اولئك لهم عذاب مهين لاهانتهم الحق باستيثار الباطل عليه واذا تتلى عليه آياتنا
ولى مستكبرا متكبرا لا يعبأ بها كأن لم يسمعها مشابها حاله حال من لم يسمعها كأن
في اذنيه وقرا مشابها من في اذنيه ثقل لا يقدر ان يسمع والاولى حال من المستكن
في ولى او مستكبرا والثانية بدل منها او حال من المستكن في لم يسمعها ويجوز ان يكون
استئنافين فبشره بعذاب اليم اعلمه بان العذاب يحيقه لا محالة وقرأ نافع

في اذنيه وذكر البشارة على التهكم ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم
اي لهم نعيم جنات فعكس للمبالغة خالدين فيها حال من الضمير في لهم او من جنات
والعامل ما تعلق به اللام وعد الله حقا مصدران مؤكدان الاول لنفسه والثاني
لغيره لان قوله لهم جنات وعد وليس كل وعد حقا وهو العزيز الذي لا يغلبه شيء فيمنعه
عن انجاز وعده ووعيده الحكيم الذي لا يفعل الا ما يستدعيه حكمته خلق السموات
بغير عمد ترونها مر تقريره في الرعد والقى في الارض رواسي جبالا شوامخ ان تميد
بكم كراهة ان تميل بكم فان تشابه اجزائها يقتضي تبدل احيازها واوضاعها
لامتناع اختصاص كل منها لذاته او لشيء من لوازمه بحيز ووضع معينين وبث
فيها من كل دابة وانزلنا من السماء ماء فانبتنا فيها من كل زوج كريم من كل صنف كثير
المنفعة وكانه استدل بذلك على عزته التي هي كمال القدرة وحكمته التي هي كمال العلم
ومهد به قاعدة التوحيد وقررها بقوله هذا خلق الله فاروني ماذا خلق
الذين من دونه هذا الذي ذكر مخلوقه فماذا خلق الهتكم حتى استحقوا مشاركته
وماذا نصب بخلق او ما مرتفع بالابتداء وخبره ذا بصلته واروني معلق عنه
بل الظالمون في ضلال مبين اضراب عن تبكيتهم الى التسجيل عليهم بالضلال الذي
لا يخفى على ناظر ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على انهم ظالمون باشراكهم
ولقد اتينا لقمن الحكمة يعني لقمن بن باعورا من اولاد ازر ابن اخت ايوب او خالته
وعاش حتى ادرك داود واخذ منه العلم وكان يفتي قبل مبعثه والجمهور على انه كان حكيما
ولم يكن نبيا والحكمة في عرف العلماء استكمال النفس الانسانية باقتباس العلوم
النظرية واكتساب الملكة التامة على الافعال الفاضلة على قدر طاقتها ومن حكمته
انه صحب داود شهورا وكان يسرد الدرع فلم يسأله عنها فلما اتمها لبسها وقال نعم
لبوس الحرب انت فقال الصمت حكم وقليل فاعله وان داود قال له يوما كيف اصبحت
فقال اصبحت في يدي غيري فتفكر داود فيه فصعق صعقة وانه امره بان يذبح
شاة ويأتي باطيب مضغتين منها فاتى باللسان والقلب ثم بعد ايام امره بان يأتي باخبث

مضغتين

مضغتين منها فاتى بهما ايضا فسأله عن ذلك فقال هما اطيب شيء اذا طابا واخبث
شيء اذا خبثا ان اشكر لله لان اشكر او اي اشكر فان ايتاء الحكمة في معنى القول
ومن يشكر فانما يشكر لنفسه لان نفعه عائد اليها وهو دوام النعمة واستحقاق
مزيدها ومن كفر فان الله غني لا يحتاج الى الشكر حميد حقيق بالحمد وان لم يحمد
او محمود ينطق بحمده جميع مخلوقاته بلسان الحال واذ قال لقمن لابنه انعم او اشكم
او ماتان وهو يعظه يا بني تصغير اشفاق وعن ابن كثير يا بني لا تشرك بالله
باسكان الياء وقنبل يا بني اقم الصلوة باسكان الياء وحفص فيهما وفي يا بني
انها ان تك بفتح الياء والبزي مثله في الاخير وقرأ الباقون في الثلثة بكسر الياء
ولا تشرك بالله قيل كان كافرا فلم يزل به حتى اسلم ومن وقف على لا تشرك
جعل بالله قسما ان الشرك لظلم عظيم لانه تسوية بين من لا نعمة الا منه ومن لا نعمة
منه ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا ذات وهن او تهن وهنا
على وهن اي تضعف ضعفا فوق ضعف فانها لا تزال يتضاعف ضعفها والجملة
موضع الحال وقرئ بالتحريك يقال وهن يهن وهنا ووهن يوهن وهنا
وفصاله في عامين وفطامه في انقضاء عامين وكانت ترضعه في تلك المدة وقرئ
وفصله وفيه دليل على ان اقصى مدة الرضاع حولان ان اشكر لي ولوالديك
تفسير لوصينا او علة له او بدل من والديه بدل الاشتمال وذكر الحمل والفصال
في البين اعتراض مؤكد للتوصية في حقها خصوصا ومن ثم قال عليه السلام
لمن قال له من ابر امك ثم امك ثم قال بعد ذلك ثم اباك الي المصير فاحاسبك
على شكرك وكفرك وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم باستحقاقه الاشراك
تقليدا لهما وقيل اراد بنفي العلم به نفيه فلا تطعهما في ذلك وصاحبهما في الدنيا
معروفا صحابا معروفا يرتضيه الشرع ويقتضيه الكرم واتبع في الدين سبيل من اناب
الي بالتوحيد والاخلاص في الطاعة ثم الي مرجعكم مرجعك ومرجعهما فانبئكم
بما كنتم تعملون بان اجازيك على ايمانك واجازيهما على كفرهما والايتان معترضتان

في تضاعيف وصية لقمن تأكيداً لما فيها من النهي عن الشرك كأنه قال وقد وصينا
بمثل ما وصى به وذكر الوالدين للمبالغة في ذلك فانهما مع انهما تلوا الباري في
استحقاق التعظيم والطاعة لا يجوز ان يستحقا في الاشراك فما ظنك بغيرهما ونزولهما
في سعد بن ابي وقاص وامه مكثت الاسلام ثلثا لم تطعم فيها شيئا ولذلك قيل من اناب
اليه ابو بكر فانه اسلم بدعوته يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل اي ان الخصلة
من الاساءة او الاحسان ان تك مثلا في الصغر كحبة الخردل ورفع نافع مثقال
على ان الهاء ضمير القصة وكان تامة وتأنيثها لاضافة المثقال الى الحبة كقوله
كما شرقت صدر القناة من الدم او لان المراد به الحسنة او السيئة فتكن في صخرة
او في السموات او في الارض في اخفى مكان واحرزه كجوف صخرة او اعلاه كمحدب
السموات او اسفله كمقعر الارض وقرئ بكسر الكاف من وكن الطائر اذا استقر
في وكنته يأت بها الله يحضرها فيحاسب عليها ان الله لطيف يصل علمه الى كل
خفي خبير عالم بكنهه يا بني اقم الصلوة تكميلا لنفسك وأمر بالمعروف وانه
عن المنكر تكميلا لغيرك واصبر على ما اصابك من الشدائد سيما في ذلك ان ذلك
اشارة الى الصبر او الى كل ما امر به من عزم الامور مما عزمه الله تعالى من الامور اي قطعه
قطع ايجاب مصدر اطلق للمفعول ويجوز ان يكون بمعنى الفاعل من قوله فاذا عزم
الامر اي جد ولا تصعر خدك للناس لا تمله عنهم ولا تولهم صفحة وجهك كما يفعله
المتكبرون من الصعر وهو الصيد داء يعتري البعير فيلوي عنقه وقرأ نافع وابو عمرو
وحمزة والكسائي ولا تصاعر وقرئ ولا تصعر والكل واحد مثل علاه واعلاه
وعالاه ولا تمش في الارض مرحا اي فرحا مصدر وقع موقع الحال او تمرح
مرحا او لاجل المرح وهو البطر ان الله لا يحب كل مختال فخور علة للنهي وتأخير
الفخور وهو مقابل للمصعر خده والمختال للماشي مرحا لتوافق رؤس الآي واقصد
في مشيك توسط فيه بين الدبيب والاسراع وعنه عليه الصلوة والسلام سرعة المشي
تذهب بهاء المؤمن وقول عائشة كان اذا مشى اسرع فالمراد ما فوق دبيب المتماوت

وقرئ

وقرئ بقطع الهمزة من اقصد الرامي اذا سدد سهمه نحو الرمية واغضض من صوتك
وانقص منه واقصر ان انكر الاصوات اوحشها لصوت الحمير والحمار مثل في الذم
سيما نهاقه ولذلك يكنى عنه فيقال طويل الاذنين وفي تمثيل الصوت المرتفع
بصوته ثم اخراجه مخرج الاستعارة مبالغة شديدة وتوحيد الصوت لان المراد
تفضيل الجنس في النكر دون الآحاد او لانه مصدر في الاصل الم تروا ان
الله سخر لكم ما في السموات بان جعله اسبابا محصلة لمنافعكم وما في الارض
بان مكنكم من الانتفاع به بوسط او غير وسط واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة
محسوسة ومعقولة ما تعرفونه وما لا تعرفونه وقد مر شرح النعمة وتفصيلها في
الفاتحة وقرئ واصبغ بالابدال وهو جار في كل سين اجتمع مع الغين او الخاء
او القاف كصلخ وصقر وقرأ نافع وابو عمرو وحفص نعمه بالجمع والاضافة ومن الناس
من يجادل في الله في توحيده وصفاته بغير علم مستفاد من دليل ولا هدى راجع
الى رسول ولا كتاب منير انزله الله بل بالتقليد كما قال واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل
الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا وهو منع صريح من التقليد في الاصول
اولو كان الشيطان يدعوهم يحتمل ان يكون الضمير لهم ولآبائهم الى عذاب السعير
الى ما يؤول اليه من التقليد او الاشراك وجواب لو محذوف مثل لاتبعوه والاستفهام
للانكار والتعجب ومن يسلم وجهه الى الله بان فوض امره اليه واقبل بشراشره عليه
من اسلمت المتاع الى الزبون ويؤيده القراءة بالتشديد وحيث عدي باللام فلتضمن
معنى الاخلاص وهو محسن في عمله فقد استمسك بالعروة الوثقى تعلق باوثق ما يتعلق به
وهو تمثيل للمتوكل المشتغل بالطاعة بمن اراد ان يترقى شاهق جبل فتمسك باوثق
عرى الحبل المتدلي منه والى الله عاقبة الامور اذ الكل صائر اليه ومن كفر فلا يحزنك
كفره فانه لا يضرك في الدنيا والآخرة وقرئ ولا يحزنك من احزنه وليس بمستفيض
الينا مرجعهم في الدارين فننبئهم بما عملوا بالاهلاك والتعذيب ان الله عليم بذات
الصدور فمجاز عليه فضلا عما في الظاهر نمتعهم قليلا تمتيعا قليلا او زمانا قليلا

فان ما يزول بالنسبة الى ما لا يزول قليل ثم نضطرهم الى عذاب غليظ يثقل عليهم ثقل
الاجرام الغلاظ او يضم الى الاحراق الضغط ولئن سألتهم من خلق السموات والارض
ليقولن الله لوضوح الدليل المانع من اسناد الخلق الى غيره بحيث اضطروا الى اذعانه
قل الحمد لله على الزامهم والجائهم الى الاعتراف بما يوجب بطلان معتقدهم بل اكثرهم
لا يعلمون ان ذلك يلزمهم لله ما في السموات والارض لا يستحق العبادة فيهما غيره ان
الله هو الغني عن حمد الحامدين الحميد المستحق للحمد وان لم يحمد ولو ان ما في الارض
من شجرة اقلام ولو ثبت كون الاشجار اقلاما وتوحيد شجرة لان المراد تفصيل الآحاد
والبحر يمده من بعده سبعة ابحر والبحر المحيط بسعته مداد ممدود بسبعة ابحر فاغنى
عن ذكر المداد بمده لانه من مد الدواة وامدها ورفعه للعطف على محل ان ومعمولها
ويمده حال او للابتداء على انه مستأنف والواو للحال ونصبه البصريان بالعطف
على اسم ان او اضمار فعل يفسره يمده وقرئ تمده ويمده بالياء والتاء ما نفدت
كلمات الله بكتبها بتلك الاقلام بذلك المداد وايثار جمع القلة للاشعار بان
ذلك لا يفي بالقليل فكيف بالكثير ان الله عزيز لا يعجزه شيء حكيم لا يخرج عن علمه
وحكمته امر والآية جواب لليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم او امروا
وفد قريش ان يسألوه عن قوله وما اوتيتم من العلم الا قليلا وقد انزل التورية
وفيها علم كل شيء ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة الا كخلقها وبعثها
اذ لا يشغله شأن عن شأن لانه يكفي لوجود الكل تعلق ارادته الواجبة مع قدرته
الذاتية كما قال انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ان الله سميع
يسمع كل مسموع بصير يبصر كل مبصر لا يشغله ادراك بعضها عن بعض فكذلك
الخلق الم تر ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر
الشمس والقمر كل يجري كل من النيرين يجري في فلكه الى اجل مسمى الى منتهى معلوم
الشمس الى آخر السنة والقمر الى آخر الشهر وقيل الى يوم القيمة والفرق بينه وبين
قوله لاجل مسمى ان الاجل ههنا منتهى الجري وثمة غرضه حقيقة او مجازا وكلا المعنيين

حاصل في الغايات وان الله بما تعملون خبير عالم بكنهه ذلك اشارة الى الذي ذكر من
سعة العلم وشمول القدرة وعجائب الصنع واختصاص البارئ بها بان الله هو الحق
بسبب انه الثابت في ذاته الواجب من جميع جهاته او الثابت الهيته وان ما يدعون
من دونه الباطل المعدوم في حد ذاته لا يوجد ولا يتصف الا بجعله او الباطل الهيته
وقرأ البصريان والكوفيون غير ابي بكر بالياء وان الله هو العلي الكبير مترفع على كل شيء
متسلط عليه الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله باحسانه في تهيئة اسبابه
وهو استشهاد آخر على باهر قدرته وكمال حكمته وشمول انعامه والباء للصلة او للحال
وقرئ الفلك بالتثقيل وبنعمات الله بسكون العين وقد جوز في مثله الكسر والفتح
والسكون ليريكم من آياته دلائله ان في ذلك لآيات لكل صبار على المشاق
فيتعب نفسه بالتفكر في الآفاق والانفس شكور يعرف النعم ويتعرف مانحها او للمؤمنين
فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر واذا غشيهم علاهم وغطاهم موج
كالظلل كما يظل من جبل او سحاب او غيرهما وقرئ كالظلال جمع ظلة كقلة
وقلال دعوا الله مخلصين له الدين لزوال ما ينازع الفطرة من الهوى والتقليد بما
دهاهم من الخوف الشديد فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد مقيم على الطريق القصد
الذي هو التوحيد او متوسط في الكفر لانزجاره بعض الانزجار وما يجحد بآياتنا
الا كل ختار غدار فانه نقض للعهد الفطري او لما كان في البحر والختر اشد الغدر
كفور للنعم يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده
لا يقضي عنه وقرئ لا يجزئ من اجزأ اذا اغنى والراجع الى الموصوف محذوف
اي لا يجزي فيه ولا مولود عطف على والد او مبتدأ خبره هو جاز عن والده
شيئا وتغيير النظم للدلالة على ان المولود اولى بان لا يجزي وقطع طمع من توقع
من المؤمنين ان ينفع اباه الكافر في الآخرة ان وعد الله بالثواب والعقاب
حق لا يمكن خلفه فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور الشيطان
بان يرجيكم التوبة والمغفرة فيجسركم على المعاصي ان الله عنده علم الساعة علم وقت

قيامها لما روي ان الحرث بن عمرو اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال متى قيام
الساعة واني قد القيت حباتي في الارض فمتى السماء تمطر وحمل امراتي ذكر ام (انثى)
وما اعمل غدا واين اموت فنزلت وعنه عليه الصلوة والسلام مفاتح الغيب
خمس وتلا هذه الاية وينزل الغيث في ابانه المقدر له والمحل المعين له في علمه
وقرا نافع وابن عامر وعاصم بالتشديد ويعلم ما في الارحام أذكر ام انثى أتام
ام ناقص وما تدري نفس ماذا تكسب غدا من خير او شر وربما تعزم على شيء وتفعل
خلافه وما تدري نفس باي ارض تموت كما لا تدري في اي وقت تموت روي
ان ملك الموت مر على سليمن فجعل ينظر الى رجل من جلسائه فقال الرجل من هذا فقال
ملك الموت فقال كانه يريدني فمر الريح ان تحملني وتلقيني بالهند ففعل فقال
الملك كان دوام نظري اليه تعجبا منه اذ امرت ان اقبض روحه بالهند وهو عندك
وانما جعل العلم لله والدراية للعبد لان فيها معنى الحيلة فيشعر بالفرق بين
العلمين ويدل على انه ان اعمل حيلة وانفذ فيها وسعه لم يعرف ما هو الحق به من
كسبه وعاقبته فكيف بغيره مما لم ينصب له دليلا عليه وقرئ باية ارض وشبه
سيبويه تانيثها بتانيث كل في كلتهن ان الله عليم يعلم الاشياء كلها خبير يعلم بواطنها كما يعلم
ظواهرها وعنه عليه الصلوة والسلام من قرا سورة لقمن كان لقمن رفيقا له
يوم القيمة واعطي من الحسنات عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر

سورة السجدة تسع وعشرون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم الم ان جعل اسما للسورة او القرآن فمبتدأ خبره تنزيل
الكتاب على ان التنزيل بمعنى المنزل وان جعل تعديدا للحروف كان تنزيل خبر محذوف
او مبتدأ خبره لا ريب فيه فيكون من رب العالمين حالا من الضمير في فيه لان المصدر
لا يعمل فيما بعد الخبر ويجوز ان يكون خبرا ثانيا ولا ريب فيه حال من الكتاب
او اعتراض والضمير في فيه لمضمون الجملة ويؤيده قوله ام يقولون افتريه فانه

انكار لكونه من رب العالمين وقوله بل هو الحق من ربك فانه تقرير له ونظم الكلام
على هذا انه اشار اولا الى اعجازه ثم رتب عليه ان تنزيله من رب العالمين وقرر
ذلك بنفي الريب عنه ثم اضرب عن ذلك الى ما يقولون فيه على خلاف ذلك انكارا
له وتعجبا منه فان ام منقطعة ثم اضرب عنه الى اثبات انه الحق
المنزل من الله وبين المقصود من تنزيله فقال لتنذر قوما ما اتيهم من نذير من قبلك
اذ كانوا اهل الفترة لعلهم يهتدون بانذارك اياهم الله الذي خلق السموات
والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش مر بيانه في الاعراف
ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع ما لكم اذا جاوزتم رضاه احد ينصركم
ويشفع لكم او ما لكم سواه ولي ولا شفيع بل هو الذي يتولى مصالحكم وينصركم
في مواطن نصركم على ان الشفيع متجوز به للناصر فاذا خذلكم لم يبق لكم ولي ولا ناصر
افلا تتذكرون بمواعظ الله يدبر الامر من السماء الى الارض يدبر امر الدنيا
باسباب سماوية كالملائكة وغيرها نازلة اثارها الى الارض ثم يعرج اليه
يصعد اليه ويثبت في علمه موجودا في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون في
برهة من الزمان متطاولة يعني بذلك استطالة ما بين التدبير والوقوع وقيل يدبر
الامر باظهاره في اللوح فينزل به الملك ثم يعرج اليه في زمان هو كالف سنة
لان مسافة نزوله وعروجه مسيرة الف سنة فان ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة عام
وقيل يقضي قضاء الف سنة فينزل به الملك ثم يعرج بعد الالف لالف اخر وقيل
يدبر الامر الى قيام الساعة ثم يعرج اليه الامر كله يوم القيمة وقيل يدبر المأمور به
من الطاعات منزلا من السماء الى الارض بالوحي ثم لا يعرج اليه خالصا كما يرتضيه
الا في مدة متطاولة لقلة المخلصين والاعمال الخلص وقرئ يعرج ويعدون
ذلك عالم الغيب والشهادة فيدبر امرها على وفق الحكمة العزيز الغالب على امره
الرحيم على العباد في تدبيره وفيه ايماء بانه يراعي المصالح تفضلا واحسانا
الذي احسن كل شيء خلقه خلقه موفرا عليه ما يستعده ويليق به على وفق الحكمة

والمصلحة وخلقه بدل من كل شيء بدل الاشتمال وقيل علم كيف يخلقه من قوله
قيمة المرء ما يحسنه اي يحسن معرفته وخلقه مفعول ثان وقرأ نافع والكوفيون
بفتح اللام على الوصف فالشيء على الاول مخصوص بمنفصل وعلى الثاني بمتصل
وبدأ خلق الانسان يعني آدم من طين ثم جعل نسله ذريته سميت به لانها تنسل منه
اي تنفصل من سلالة من ماء مهين ممتهن ثم سواه قومه بتصوير اعضائه على ما ينبغي
ونفخ فيه من روحه اضافه الى نفسه تشريفا واشعارا بانه خلق عجيب وان له شأنا له مناسبة ما
الى الحضرة الربوبية ولاجله من عرف نفسه فقد عرف ربه وجعل لكم السمع والابصار
والافئدة خصوصا لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا قليلا ما تشكرون تشكرون
شكرا قليلا وقالوا أئذا ضللنا في الارض اي صرنا ترابا مخلوطا بتراب الارض
لا نتميز منه او غبنا فيها وقرئ ضللنا بالكسر من ضل يضل وصللنا من صل اللحم
اذا انتن وقرأ ابن عامر اذا على الخبر والعامل فيه ما دل عليه ائنا لفي خلق جديد
وهو نبعث او يجدد خلقنا وقرأ نافع والكسائي ويعقوب انا على الخبر
والقائل ابي بن خلف واسناده الى جميعهم لرضاهم به بل هم بلقاء ربهم بالبعث
او بتلقي ملك الموت وما بعده كافرون جاحدون قل يتوفاكم يستوفي نفوسكم
لا يترك منها شيئا او لا يبقي منكم احدا والتفعل والاستفعال يلتقيان كثيرا
كتقصيته واستقصيته وتعجلته واستعجلته ملك الموت الذي وكل بكم بقبض ارواحكم
واحصاء آجالكم ثم الى ربكم ترجعون للحساب والجزاء ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا
رؤسهم عند ربهم من الحياء والخزي ربنا فيقولون ربنا ابصرنا ما وعدتنا وسمعنا
منك تصديق رسلك فارجعنا الى الدنيا نعمل صالحا انا موقنون اذ لم يبق لنا
شك بما شاهدنا وجواب لو محذوف تقديره لرأيت امرا فظيعا ويجوز ان يكون للتمني
والمضي فيها وفي اذ لان الثابت في علم الله بمنزلة الواقع ولا يقدر لترى مفعول
لان المعنى لو تكون منك رؤية في هذا الوقت او يقدر ما دل عليه صلة اذ والخطاب
للرسول او لكل احد ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ما تهتدي به الى الايمان

والعمل

والعمل الصالح بالتوفيق له ولكن حق القول مني ثبت قضائي وسبق وعيدي
وهو لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وذلك تصريح بعدم ايمانهم لعدم
المشيئة المسبب عن سبق الحكم بانهم من اهل النار ولا يدفعه جعل ذوق العذاب مسببا
عن نسيانهم العاقبة وعدم تفكرهم فيها بقوله فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم
هذا فانه من الوسائط والاسباب المقتضية له انا نسيناكم تركناكم من الرحمة او في
العذاب ترك المنسي وفي استئناف وبناء الفعل على ان واسمها تشديد في الانتقام
منهم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون كرر الامر للتأكيد ولما نيط به من
التصريح بمفعوله وتعليله بافعالهم السيئة من التكذيب والمعاصي كما علله بتركهم
تدبر امر العاقبة والتفكر فيها دلالة على ان كلا منهما يقتضي ذلك انما يؤمن
باياتنا الذين اذا ذكروا بها وعظوا بها خروا سجدا خوفا من عذاب الله
وسبحوا نزهوه عما لا يليق به كالعجز عن البعث بحمد ربهم حامدين له شكرا على ما
وفقهم للاسلام وآتاهم الهدى وهم لا يستكبرون عن الايمان والطاعة كما يفعل
من يصر مستكبرا تتجافى جنوبهم ترتفع وتتنحى عن المضاجع الفرش ومواضع النوم
يدعون ربهم داعين اياه خوفا من سخطه وطمعا في رحمته وعن النبي صلى الله
عليه وسلم في تفسيرها قيام العبد من الليل وعنه صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله
الاولين والاخرين جاء مناد ينادي بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم اهل الجمع اليوم
من اولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع
فيقومون وهم قليل ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانوا يحمدون الله في البأساء
والضراء فيقومون فيسرحون جميعا الى الجنة ثم يحاسب سائر الناس وقيل
كان ناس من الصحابة يصلون من المغرب الى العشاء فنزلت فيهم ومما رزقناهم
ينفقون في وجوه الخير فلا تعلم نفس ما اخفي لهم لا ملك مقرب ولا نبي مرسل
من قرة اعين مما تقر به عيونهم وعنه عليه الصلوة والسلام يقول الله اعددت
لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر

وهم قليل صح

بكذا مما اطلعتم عليه او تذوق ان شيتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم وقرا حمزة ويعقوب
اخفي على انه مضارع اخفيت وقرئ نخفي واخفي والفاعل للكل هو الله تعالى
وقرات اعين لاختلاف انواعها والعلم بمعنى المعرفة وما موصولة او استفهامية
معلق عنها الفعل جزاء بما كانوا يعملون اي جزوا جزاء او اخفي للجزاء فان اخفاه
لعلو شانه وقيل هذا لقوم اخفوا اعمالهم فاخفى الله ثوابهم افمن كان مؤمنا
كمن كان فاسقا خارجا عن الايمان لا يستوون في الشرف والمثوبة تاكيد وتصريح
والجمع للحمل على المعنى اما الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات الماوى فانها
الماوى الحقيقي والدنيا منزل مرتحل عنها لا محالة وقيل الماوى جنة من الجنان
نزلا سبق في ال عمران بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم او على اعمالهم واما الذين
فسقوا فماويهم النار مكان جنة الماوى للمؤمنين كلما ارادوا ان يخرجوا منها
اعيدوا فيها عبارة عن خلودهم فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم
به تكذبون اهانة لهم وزيادة في غيظهم ولنذيقنهم من العذاب الادنى عذاب
الدنيا يريد ما محنوا به من السنة سبع سنين والقتل والاسر ودون العذاب الاكبر
عذاب الاخرة لعلهم لعل من بقي منهم يرجعون يتوبون عن الكفر روي ان الوليد
بن عقبة فاخر عليا رضي يوم بدر فنزلت هذه الاية ومن اظلم ممن ذكر بايات
ربه ثم اعرض عنها فلم يتفكر فيها وثم لاستبعاد الاعراض عنها مع فرط وضوحها
وارشادها الى اسباب السعادة بعد التذكير بها عقلا كما في بيت الحماسة
لا يكشف الغماء الا ابن حرة يرى غمرات الموت ثم يزورها انا من المجرمين منتقمون
فكيف بمن كان اظلم من كل ظالم ولقد اتينا موسى الكتاب كما اتيناك فلا تكن في
مرية شك من لقائه من لقائك الكتاب لقوله وانك لتلقى القران فانا اتيناك
من الكتاب مثل ما اتيناه منه فليس ذلك ببدع لم يكن قط حتى ترتاب فيه او من
لقاء موسى الكتاب او من لقائك موسى وعنه عليه الصلوة والسلام رايت
اسرى بي موسى عليه السلام رجلا ادم طوالا جعدا كانه من رجال شنوءة وجعلناه

اي المنزل على موسى هدى لبني اسرائيل وجعلنا منهم ائمة يهدون يهدون
الناس الى ما فيه من الحكم والاحكام بامرنا اياهم به او بتوفيقنا له لما صبروا
وقرا حمزة والكسائي ورويس لما صبروا اي لصبرهم على الطاعة او عن الدنيا
وكانوا باياتنا يوقنون لامعانهم فيها النظر ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيمة
يقضي فيميز الحق من الباطل بتمييز المحق من المبطل فيما كانوا فيه يختلفون من امر الدين
اولم يهد لهم الواو للعطف على منوي من جنس المعطوف والفاعل ضمير ما دل عليه
كم اهلكنا من قبلهم من القرون اي كثرة من اهلكناهم من القرون الماضية او ضمير الله
بدلالة القراءة بالنون يمشون في مساكنهم يعني اهل مكة يمرون في متاجرهم
على ديارهم وقرئ يمشون بالتشديد ان في ذلك لايات افلا يسمعون
سماع تدبر واتعاظ اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز التي جرز نباتها
اي قطع وازيل لا التي لا تنبت لقوله فنخرج به زرعا وقيل اسم موضع باليمن
تاكل منه من الزرع انعامهم كالتبن والورق وانفسهم كالحب والثمر افلا
يبصرون فيستدلون به على كمال قدرته وفضله ويقولون متى هذا الفتح
النصر او الفصل بالحكومة من قوله ربنا افتح بيننا ان كنتم صادقين في الوعد
قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون وهو يوم القيمة
فانه يوم نصر المسلمين على الكفرة والفصل بينهم وقيل يوم بدر او يوم فتح مكة
والمراد بالذين كفروا المقتولون منهم فيه فانه لا ينفعهم ايمانهم حال القتل
ولا يمهلون وانطباقه جوابا على سؤالهم من حيث المعنى باعتبار ما عرف من غرضهم
فانهم لما ارادوا به الاستعجال تكذيبا واستهزاء اجيبوا بما يمنع الاستعجال
فاعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم وقيل هو منسوخ باية السيف وانتظر
النصرة عليهم انهم منتظرون الغلبة عليك وقرئ بالفتح على معنى انهم احقاء
بان ينتظر هلاكهم او ان الملائكة ينتظرونه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا
الم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك اعطي من الاجر كانما احيى ليلة القدر وعنه

صلى الله عليه وسلم من قرأ الم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة أيام

سورة الأحزاب مدنية وهي ثلاث وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها النبي اتق الله ناداه بالنبي وأمره بالتقوى
تعظيما له وتفخيما لشأن التقوى والمراد به الأمر بالثبات عليه ليكون مانعا
عما نهى عنه بقوله ولا تطع الكافرين والمنافقين فيما يعود بوهن في الدين
روي أن أبا سفيان وعكرمة بن أبي جهل وأبا الأعور السلمي قدموا عليه في
الموادعة التي كانت بينه وبينهم وقام معهم ابن أبي ومعتب بن قشير والجد بن قيس
فقالوا له ارفض ذكر آلهتنا وقل إن لها شفاعة وندعك وربك فنزلت إن الله
كان عليما بالمصالح والمفاسد حكيما لا يحكم إلا بما تقتضيه الحكمة واتبع ما يوحى
إليك من ربك كالنهي عن طاعتهم إن الله كان بما تعملون خبيرا فموح إليك ما يصلحه
ويغني عن الاستماع إلى الكفرة وقرأ أبو عمرو بالياء على أن الواو ضمير الكفرة
والمنافقين أي إن الله خبير بمكائدهم فيدفعها عنك وتوكل على الله وكل أمرك
إلى تدبيره وكفى بالله وكيلا موكولا إليه الأمور كلها ما جعل الله لرجل من
قلبين في جوفه أي ما جمع قلبين في جوف لأن القلب معدن الروح الحيواني
المتعلق للنفس الإنساني أولا ومنبع القوى بأسرها وذلك يمنع التعدد وما جعل
أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم وما
جمع الزوجية والأمومة في امرأة ولا الدعوة والبنوة في رجل والمراد بذلك
رد ما كانت العرب تزعم من أن اللبيب الأريب له قلبان ولذلك قيل لأبي معمر
جميل بن أسيد الفهري ذو القلبين والزوجة المظاهر عنها كالأم ودعي الرجل ابنه
ولذلك كانوا يقولون لزيد بن حارثة الكلبي عتيق رسول الله صلى الله عليه
وسلم ابن محمد أو المراد نفي الأمومة والبنوة عن المظاهر عنها والمتبنى ونفي القلبين
لتمهيد أصل يحمل أن عليه والمعنى كما لم يجعل الله قلبين في جوف لأدائه إلى تناقض

وهو أن يكون كل منهما أصلا لكل القوى وغير أصل لم يجعل الزوجة والدعي اللذين
لا ولادة بينهما وبينه أمه وابنه اللذين بينهما وبينه ولادة وقرأ أبو عمرو اللاي بالياء
وحده على أن أصله اللاء بهمزة فخففت وعن الحجازيين مثله وعنهما وعن يعقوب
بالهمز وحده وأصل تظهرون تتظهرون فأدغمت التاء الثانية في الظاء وقرأ ابن عامر
تظاهرون بالإدغام وحمزة والكسائي بالحذف وعاصم تظاهرون من ظاهر وقرئ
تظهرون من ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد وتظهرون من الظهور ومعنى الظهار
أن يقول للزوجة أنت علي كظهر أمي مأخوذ من الظهر باعتبار اللفظ كالتلبية
من لبيك وتعديته بمن لتضمنه معنى التجنب لأنه كان طلاقا في الجاهلية وهو في
الإسلام يقتضي الطلاق والحرمة إلى أداء الكفارة كما عدي آلى بها وهو بمعنى
حلف وذكر الظهر للكناية عن البطن الذي هو عموده فإن ذكره يقارب ذكر
الفرج أو للتغليظ في التحريم فإنهم كانوا يحرمون إتيان المرأة وظهرها إلى السماء
وأدعياء جمع دعي على الشذوذ وكأنه شبه بفعيل بمعنى فاعل فجمع جمعه ذلكم
إشارة إلى كل ما ذكر أو إلى الأخير قولكم بأفواهكم لا حقيقة له في الأعيان
كقول الهاذي والله يقول الحق ما له حقيقة عينية مطابقة له وهو يهدي
السبيل سبيل الحق ادعوهم لآبائهم انسبوهم إليهم وهو إفراد للمقصود من أقواله
الحقة وقوله هو أقسط عند الله تعليل له والضمير لمصدر ادعوا وأقسط
أفعل تفضيل قصد به الزيادة مطلقا من القسط بمعنى العدل ومعناه البالغ
في الصدق فإن لم تعلموا آباءهم فتنسبوهم إليهم فإخوانكم في الدين فهم إخوانكم
في الدين ومواليكم وأولياؤكم فيه فقولوا هذا أخي ومولاي بهذا التأويل
وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولا إثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين
قبل النهي أو بعده على النسيان أو سبق اللسان ولكن ما تعمدت قلوبكم ولكن
الجناح فيما تعمدت أو ولكن فيما تعمدت فيه الجناح وكان الله غفورا رحيما
لعفوه عن المخطئ واعلم أن التبني لا عبرة به عندنا وعند أبي حنيفة يوجب عتق

مؤكد مثبت للنسب المجهول الذي يكون الحاقه به النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم
في الامور كلها فانه لا يامرهم ولا يرضى منهم الا بما فيه صلاحهم ونجاحهم بخلاف
النفس فلذلك اطلق فيجب عليهم ان يكون احب اليهم من انفسهم وامره انفذ عليهم من امرها
وشفقتهم عليه اتم من شفقتهم عليها روي انه عليه الصلوة والسلام اراد غزوة
تبوك فامر الناس بالخروج فقال ناس نستاذن آباءنا وامهاتنا فنزلت وقرئ
وهو اب لهم اي في الدين فان كل نبي اب لامته من حيث انه اصل فيما به الحيوة الابدية
ولذلك صار المؤمنون اخوة وازواجه امهاتهم منزلات منزلتهن في التحريم واستحقاق
التعظيم وفيما عدا ذلك فكالاجنبيات ولذلك قالت عائشة لسنا امهات النساء
واولوا الارحام وذووا القرابات بعضهم اولى ببعض في التوارث وهو نسخ
لما كان في صدر الاسلام من التوارث بالهجرة والموالاة في الدين في كتاب الله
في اللوح او فيما انزل وهو هذه الآية او آية المواريث او فيما فرض الله من المؤمنين
والمهاجرين بيان لاولي الارحام او صلة لاولى اي اولوا الارحام بحق القرابة اولى
بالميراث من المؤمنين بحق الدين والمهاجرين بحق الهجرة الا ان تفعلوا الى اوليائكم
معروفا استثناء عن عموم ما يقدر الاولوية فيه من النفع والمراد بفعل المعروف
التوصية او منقطع كان ذلك في الكتاب مسطورا كان ما ذكر في الآيتين ثابتا
في اللوح او القرآن وقيل في التورية واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم مقدر باذكر
ميثاقهم عهودهم بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين القيم ومنك ومن نوح
وابرهيم وموسى وعيسى بن مريم خصهم بالذكر لانهم مشاهير ارباب الشرائع
وقدم نبينا عليه الصلوة والسلام تعظيما له واخذنا منهم ميثاقا غليظا
عظيم الشان او مؤكدا باليمين والتكرير لبيان هذا الوصف ليسأل الصادقين
عن صدقهم اي فعلنا ذلك ليسأل الله يوم القيمة الانبياء الذين صدقوا عهدهم
عما قالوه لقومهم او تصديقهم اياهم تبكيتا لهم او المصدقين لهم عن تصديقهم فان
مصدق الصادق صادق او المؤمنين الذين صدقوا عهدهم حين اشهدهم على

انفسهم

انفسهم عن صدقهم عهدهم واعد للكافرين عذابا اليما عطف على اخذنا من
حيث ان بعثة الرسل واخذ الميثاق منهم لاثابة المؤمنين او على ما دل عليه ليسأل
كانه قال فاثاب المؤمنين واعد للكافرين يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله
عليكم اذ جاءتكم جنود يعني الاحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة
والنضير وكانوا زهاء اثني عشر الفا فارسلنا عليهم ريحا ريح الصبا وجنودا لم
تروها الملائكة روي انه لما سمع باقبالهم ضرب الخندق على المدينة ثم خرج
اليهم في ثلثة آلاف والخندق بينه وبينهم ومضى على الفريقين قريب شهر لا حرب
بينهم الا الترامي بالنبل والحجارة حتى بعث الله عليهم صبا باردة في ليلة شاتية
فاخصرتهم وسفت التراب في وجوههم واطفأت نيرانهم وقلعت خيامهم وماجت
الخيل بعضها في بعض وكبرت الملائكة في جوانب العسكر فقال طلحة بن خويلد
الاسدي اما محمد فقد بداكم بالسحر فالنجا النجاء فانهزموا من غير قتال وكان
الله بما تعملون من حفر الخندق وقرأ البصريان بالياء اي بما يعمل المشركون من
التحزب والمحاربة بصيرا رائيا اذ جاؤكم بدل من اذ جاءتكم من فوقكم من اعلى
الوادي من قبل المشرق بنو غطفان ومن اسفل منكم من اسفل الوادي من قبل
المغرب قريش واذ زاغت الابصار مالت عن مستوى نظرها حيرة وشخوصا
وبلغت القلوب الحناجر رعبا فان الرية تنتفخ من شدة الروع فترتفع بارتفاعها
الى راس الحنجرة وهي منتهى الحلقوم مدخل الطعام والشراب وتظنون بالله الظنونا
الانواع من الظن فظن المخلصون الثبت ان الله منجز وعده في اعلاء دينه او ممتحنهم
فخافوا الزلل وضعف الاحتمال والضعاف القلوب والمنافقون ما حكي عنهم والالف
مزيدة في امثاله تشبيها للفواصل بالقوافي وقد اجرى نافع وابن عامر وابو بكر
فيها الوصل مجرى الوقف ولم يزدها ابو عمرو وحمزة ويعقوب مطلقا وهو القياس
هنالك ابتلي المؤمنون اختبروا فظهر المخلص من المنافق والثابت من المتزلزل
وزلزلوا زلزالا شديدا من شدة الفزع وقرئ زلزالا بالفتح واذ يقول

المنافقون والذين في قلوبهم مرض ضعف اعتقاد ما وعدنا الله ورسوله من الظفر
واعلاء الدين الا غرورا وعدا باطلا قيل قائله معتب بن قشير قال يعدنا محمد صلى الله
عليه وسلم فتح فارس والروم واحدنا لا يقدر ان يتبرز فرقا ما هذا الا وعد
غرور واذ قالت طائفة منهم يعني اوس بن قيظي واتباعه يا اهل يثرب اهل المدينة
وقيل هو اسم ارض وقعت المدينة في ناحية منها لا مقام لكم لا موضع قيام لكم
ههنا وقرا حفص بالضم على انه مكان او مصدر من اقام فارجعوا الى منازلكم
هاربين وقيل المعنى لا مقام لكم على دين محمد فارجعوا الى الشرك واسلموه لتسلموا
او لا مقام لكم بيثرب فارجعوا كفارا ليمكنكم المقام بها ويستاذن فريق منهم
النبي للرجوع يقولون ان بيوتنا عورة غير حصينة واصلها الخلل ويجوز
ان يكون تخفيف العورة من عورت الدار اذا اختلت وقد قرئ بها وما هي
بعورة بل هي حصينة ان يريدون الا فرارا وما يريدون بذلك الا الفرار من
القتال ولو دخلت عليهم دخلت المدينة او بيوتهم من اقطارها من جوانبها وحذف
الفاعل للايماء بان دخول هؤلاء المتحزبين عليهم ودخول غيرهم من العساكر
سيان في اقتضاء الحكم المرتب عليه ثم سئلوا الفتنة الردة ومقاتلة المسلمين
لآتوها لاعطوها وقرأ الحجازيان بالقصر بمعنى لجاؤوها وفعلوها وما تلبثوا
بها بالفتنة اي باعطائها الا يسيرا ريثما السؤال والجواب وقيل وما لبثوا
في المدينة بعد الارتداد الا يسيرا ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون
الادبار يعني بني حارثة عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد حين
فشلوا ثم تابوا ان لا يعودوا لمثله وكان عهد الله مسؤولا مسؤولا عن الوفاء به
مجازى عليه قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل فانه لا بد لكل
شخص من حتف انف او قتل في وقت معين سبق به القضاء وجرى عليه القلم
واذا لا تمتعون الا قليلا اي وان نفعكم الفرار مثلا فمتعتم بالتاخير لم يكن
ذلك التمتع الا تمتيعا او زمانا قليلا قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد بكم

سوءا او اراد بكم رحمة اي او يصيبكم بسوء ان اراد بكم رحمة فاختصر الكلام
كما في قوله متقلدا سيفا ورمحا او حمل الثاني على الاول لما في العصمة من معنى
المنع ولا يجدون لهم من دون الله وليا ينفعهم ولا نصيرا يدفع الضر عنهم قد يعلم
الله المعوقين منكم المثبطين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم المنافقون
والقائلين لاخوانهم من ساكني المدينة هلم الينا قربوا انفسكم الينا وقد ذكر
اصله في الانعام ولا ياتون البأس الا قليلا الا اتيانا او زمانا او بأسا
قليلا فانهم يعتذرون ويتثبطون ما امكن لهم او يخرجون مع المؤمنين ولكن
لا يقاتلون الا قليلا كقوله وما قاتلوا الا قليلا وقيل انه من تتمة كلامهم
ومعناه ولا ياتي اصحاب محمد حرب الاحزاب ولا يقاومونهم الا قليلا
اشحة عليكم بخلاء عليكم بالمعاونة او النفقة في سبيل الله او الظفر او الغنيمة
جمع شحيح ونصبها على الحال من فاعل ياتون او المعوقين او على الذم فاذا جاء
الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور اعينهم في احداقهم كالذي يغشى عليه كنظر
المغشي عليه او كدوران عينيه او مشبهين به او مشبهة بعينه من الموت من معالجة
سكرات الموت خوفا ولواذا بك فاذا ذهب الخوف وحيزت الغنائم سلقوكم
ضربوكم بالسنة حداد ذربة يطلبون الغنيمة والسلق البسط بقهر باليد او باللسان
اشحة على الخير نصب على الحال او الذم ويؤيده قراءة الرفع وليس بتكرير لان كلا
منهما مقيد من وجه اولئك لم يؤمنوا اخلاصا فاحبط الله اعمالهم فاظهر بطلانها
اذ لم تثبت لهم اعمال فتبطل او ابطل تصنعهم ونفاقهم وكان ذلك الاحباط
على الله يسيرا هينا لتعلق الارادة به وعدم ما يمنعه عنه يحسبون الاحزاب
لم يذهبوا اي هؤلاء لجبنهم يظنون ان الاحزاب لم ينهزموا وقد انهزموا
ففروا الى داخل المدينة وان يأت الاحزاب كرة ثانية يودوا لو انهم بادون
في الاعراب تمنوا انهم خارجون الى البدو حاصلون بين الاعراب يسألون كل
قادم من جانب المدينة عن انبائكم عما جرى عليكم ولو كانوا فيكم هذه الكرة

ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال لما قاتلوا الا قليلا رياء وخوفا عن التعيير
لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة خصلة حسنة من حقها ان يؤتسى بها
كالثبات في الحرب ومقاساة الشدائد او هو في نفسه قدوة يحسن التأسي به
كقولك في البيضة عشرون منا حديدا اي هي في نفسها هذا القدر من الحديد
وقرأ عاصم بضم الهمزة وهو لغة فيه لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر اي ثواب
الله ولقاءه ونعيم الآخرة او ايام الله واليوم الآخر خصوصا وقيل هو كقولك
ارجو زيدا وفضله فان اليوم الآخر داخل فيه والرجاء يحتمل الامل والخوف ولمن
كالصلة لحسنة او صفة لها وقيل بدل من لكم والاكثر على ان ضمير المخاطب لا يبدل
منه وذكر الله كثيرا وقرن بالرجاء كثرة الذكر المؤدية الى ملازمة الطاعة
فان المؤتسي بالرسول من كان كذلك ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا
الله ورسوله بقوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا
من قبلكم الآية وقوله عليه الصلوة والسلام سيشتد الامر باجتماع الاحزاب
عليكم والعاقبة لكم عليهم وقوله انهم سائرون اليكم بعد تسع او عشر وصدق
الله ورسوله وظهر صدق خبر الله ورسوله او صدقا في النصرة والثواب كما صدقا
في البلاء واظهار الاسم للتعظيم وما زادهم فيه ضمير لما رأوا او الخطب او البلاء
الا ايمانا بالله ومواعيده وتسليما لاوامره ومقاديره من المؤمنين رجال صدقوا
ما عاهدوا الله عليه من الثبات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والمقاتلة لاعلاء
الدين من صدقني اذا قال لك الصدق فان المعاهد اذا وفى بعهده فقد صدق
فيه فمنهم من قضى نحبه نذره بان قاتل حتى استشهد كحمزة ومصعب بن عمير وانس
بن النضر والنحب النذر استعير للموت لانه كنذر لازم في رقبة كل حيوان ومنهم
من ينتظر الشهادة كعثمان وطلحة وما بدلوا العهد ولا غيروه تبديلا شيئا
من التبديل روي ان طلحة ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد حتى
اصيبت يده فقال عليه الصلوة والسلام اوجب طلحة وفيه تعريض لاهل النفاق

ومرض القلب بالتبديل وقوله ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين
ان شاء او يتوب عليهم تعليل للمنطوق والمعرض به فكان المنافقين قصدوا
بالتبديل عاقبة السوء كما قصد المخلصون بالثبات والوفاء العاقبة الحسنى
والتوبة عليهم مشروطة بتوبتهم او المراد بها التوفيق للتوبة ان الله كان غفورا
رحيما لمن تاب ورد الله الذين كفروا يعني الاحزاب بغيظهم متغيظين لم ينالوا
خيرا غير ظافرين وهما حالان بتداخل او تعاقب وكفى الله المؤمنين القتال بالريح
والملائكة وكان الله قويا على احداث ما يريده عزيزا غالبا على كل شيء وانزل
الذين ظاهروهم ظاهروا الاحزاب من اهل الكتاب يعني قريظة من صياصيهم
من حصونهم جمع صيصية وهي ما يتحصن به ولذلك يقال لقرن الثور والظبي
وشوكة الديك وقذف في قلوبهم الرعب الخوف وقرئ بالضم فريقا تقتلون
وتأسرون فريقا وقرئ بضم السين روي ان جبريل اتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم صبيحة الليلة التي انهزم فيها الاحزاب فقال اتنزع لامتك والملائكة
لم يضعوا السلاح ان الله يامرك بالسير الى بني قريظة وانا عامد اليهم فاذن
في الناس ان لا يصلوا العصر الا ببني قريظة فحاصرهم احدى وعشرين او خمسا
وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم تنزلون على حكمي فابوا فقال على
حكم سعد بن معاذ فرضوا به فحكم سعد بقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم ونسائهم
فكبر النبي صلى الله عليه وسلم وقال حكمت بحكم الله فوق سبعة ارقعة فقتل منهم
ستمائة او اكثر واسر سبعمائة واورثكم ارضهم مزارعهم وديارهم حصونهم
واموالهم نقودهم ومواشيهم واثاثهم روي انه عليه الصلوة والسلام جعل
عقارهم للمهاجرين فتكلم فيه الانصار فقال انكم في منازلكم فقال عمر اما تخمس
كما خمست يوم بدر فقال لا انما جعلت هذه لي طعمة وارضا لم تطؤها كفارس والروم
وقيل خيبر وقيل كل ارض تفتح الى يوم القيمة وكان الله على كل شيء قديرا
فيقدر على ذلك يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا السعة

والتمتع فيها ومن زينتها ومن زخارفها فتعالين امتعكن اعطكن المتعة واسرحكن
سراحا جميلا طلاقا من غير ضرار وبدعة روي انهن سألنه ثياب الزينة وزيادة
النفقة فنزلت فبدأ بعائشة فخيرها فاختارت الله ورسوله ثم اختارت
الباقيات اختيارها فشكر لهن الله ذلك فانزل لا يحل لك النساء من بعد وتعليق
التسريح بارادتهن الدنيا وجعلها قسيما لارادتهن الرسول صلى الله عليه وسلم
يدل على ان المخيرة اذا اختارت زوجها لم تطلق خلافا لزيد والحسن ومالك
واحدى الروايتين عن علي رض ويؤيده قول عائشة خيرنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاخترناه ولم يعده طلاقا وتقديم التمتيع على التسريح المسبب عنه من الكرم
وحسن الخلق وقيل لان الفرقة كانت بارادتهن كاختيار المخيرة نفسها فانه
طلقة رجعية عندنا وبائنة عند ابي حنيفة رض واختلف في وجوبه للمدخول
بها وليس فيها ما يدل عليه وقرئ امتعكن واسرحكن بالرفع على الاستيناف
وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله اعد للمحسنات منكن
اجرا عظيما يستحقر دونه الدنيا وزينتها ومن للتبيين لانهن كلهن كن محسنات
يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة بكبيرة مبينة ظاهر قبحها يضاعف
لها العذاب ضعفين ضعفي عذاب غيرهن اي مثليه لان الذنب منهن اقبح
فزيادة قبحه تتبع زيادة فضل المذنب والنعمة عليه ولذلك جعل حد الحر ضعفي
حد العبد وعوتب الانبياء بما لا يعاتب به غيرهم وقرأ البصريان يضعف
وابن كثير وابن عامر نضعف بالنون وبناء الفاعل ونصب العذاب وكان ذلك
على الله يسيرا لا يمنعه عن التضعيف كونهن نساء النبي وكيف وهو سببه ومن يقنت
منكن ومن يدم على الطاعة لله ورسوله ولعل ذكر الله للتعظيم او لقوله
وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين مرة على الطاعة ومرة على طلبهن رضا النبي
بالقناعة وحسن المعاشرة وقرأ حمزة والكسائي ويعمل بالياء ايضا حملا على
لفظ من ويؤتها على ان فيه ضمير اسم الله واعتدنا لها رزقا كريما في الجنة زيادة

على اجرها يا نساء النبي لستن كاحد من النساء اصل احد وحد بمعنى الواحد ثم
وضع في النفي العام مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد والكثير والمعنى لستن
كجماعة من جماعات النساء في الفضل ان اتقيتن مخالفة حكم الله ورضاء رسوله
فلا تخضعن بالقول فلا تجبن بقولكن خاضعا لينا مثل قول المريبات
فيطمع الذي في قلبه مرض فجور وقرئ بالجزم عطفا على محل فعل النهي على انه
نهي مريض القلب عن الطمع عقيب نهيهن عن الخضوع بالقول وقلن قولا معروفا
حسنا بعيدا عن الريبة وقرن في بيوتكن من وقر يقر وقارا او من قر يقر حذفت
الاولى من رائي اقررن ونقلت كسرتها الى القاف فاستغني به عن همزة الوصل
ويؤيده قراءة نافع وعاصم بالفتح من قررت اقر لغة فيه ويحتمل ان يكون من قار
يقار اذا اجتمع ولا تبرجن ولا تتبخترن في مشيتكن تبرج الجاهلية الاولى
تبرجا مثل تبرج النساء في ايام الجاهلية القديمة وقيل هي ما بين آدم ونوح
وقيل الزمان الذي ولد فيه ابرهيم كانت المرأة تلبس درعا من اللؤلؤ فتمشي
وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال والجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد
عليهما الصلوة والسلام وقيل الجاهلية الاولى جاهلية الكفر قبل الاسلام
والجاهلية الاخرى جاهلية الفسوق في الاسلام ويعضده قوله عليه الصلوة
والسلام لابي الدرداء ان فيك جاهلية قال جاهلية كفر او اسلام قال جاهلية
كفر او اسلام قال جاهلية كفر واقمن الصلوة وآتين الزكوة واطعن الله ورسوله
في سائر ما امركن به ونهاكن عنه انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس الذنب المدنس
لعرضكم وهو تعليل لامرهن ونهيهن على الاستيناف ولذلك عمم الحكم اهل البيت
نصب على النداء او المدح ويطهركم عن المعاصي تطهيرا واستعارة الرجس
للمعصية والترشيح بالتطهير للتنفير عنها وتخصيص الشيعة اهل البيت بفاطمة وعلي
وابنيهما رضي الله عنهم لما روي انه عليه الصلوة والسلام خرج ذات غدوة
وعليه مرط مرجل من شعر اسود فجلس فاتت فاطمة فادخلها فيه ثم جاء علي فادخله فيه ثم جاء الحسن

والحسين خادمهما فيه ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت والاحتجاج
بذلك على عصمتهم وكون اجماعهم حجة ضعيف لان التخصيص بهم لا يناسب ما قبل الآية
وما بعدها والحديث يقتضي انهم اهل البيت لا انه ليس غيرهم واذكرن
ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة من الكتاب الجامع بين الامرين وهو تذكير
بما انعم عليهن حيث جعلهن اهل بيت النبوة ومهبط الوحي وما شاهدن
من برحاء الوحي مما يوجب قوة الايمان والحرص على الطاعة حثا على الانتهاء
والائتمار فيما كلفن به ان الله كان لطيفا خبيرا يعلم ويدبر ما يصلح في
الدين ولذلك خيركن ووعظكن او يعلم من يصلح لنبوته ومن يصلح ان يكون
اهل بيته ان المسلمين والمسلمات الداخلين في السلم المنقادين لحكم الله والمؤمنين
والمؤمنات المصدقين بما يجب ان يصدق والقانتين والقانتات المداومين
على الطاعة والصادقين والصادقات في القول والعمل والصابرين والصابرات
على الطاعات وعن المعاصي والخاشعين والخاشعات المتواضعين لله بقلوبهم
وجوارحهم والمتصدقين والمتصدقات بما وجب في مالهم والصائمين والصائمات
الصوم المفروض والحافظين فروجهم والحافظات عن الحرام والذاكرين
الله كثيرا والذاكرات بقلوبهم والسنتهم اعد الله لهم مغفرة لما اقترفوا من
الصغائر لانهن مكفرات واجرا عظيما على طاعاتهم والآية وعد لهن ولا
مثالهن على الطاعة والتدرع بهذه الخصال روي ان ازواج النبي صلى الله
عليه وسلم قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القرآن بخير فما فينا خير
نذكر به فنزلت وقيل لما نزل فيهن ما نزل قال نساء المسلمين فما نزل فينا شيء
فنزلت وعطف الاناث على الذكور لاختلاف الجنسين وهو ضروري وعطف
الزوجين لتغاير الوصفين فليس بضروري ولذلك ترك في قوله مسلمات مؤمنات
وفائدته الدلالة على ان اعداد المعد لهم للجمع بين هذه الصفات وما كان لمؤمن
ولا مؤمنة ما صح له اذا قضى الله ورسوله امرا اي قضى رسول الله صلى الله

عليه

عليه وسلم وذكر الله لتعظيم امره وللاشعار بان قضاءه قضاء الله لانه
نزل في زينب بنت جحش بنت عمته اميمة خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم
لزيد بن حارثة فابت هي واخوها عبد الله وقيل في ام كلثوم بنت عقبة
وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فزوجها من زيد ان يكون لهم الخيرة من
امرهم ان يختاروا من امرهم شيئا بل يجب عليهم ان يجعلوا اختيارهم تبعا
لاختيار الله ورسوله والخيرة ما يتخير وجمع الضمير الاول لعموم مؤمن ومؤمنة
من حيث انهما في سياق النفي وجمع الثاني للتعظيم وقرأ الكوفيون وهشام
تكون بالتاء ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا بين الانحراف
عن الصواب واذ تقول للذي انعم الله عليه بتوفيقه للاسلام وتوفيقك
لعتقه واختصاصه وانعمت عليه بما وفقك الله فيه وهو زيد بن حارثة امسك
عليك زوجك زينب وذلك انه صلى الله عليه وسلم ابصرها بعدما انكحها
اياه فوقعت في نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرت
لزيد ففطن ذلك ووقع في نفسه كراهة صحبتها فاتى النبي صلى الله عليه وسلم
قال اريد ان افارق صاحبتي فقال ما لك اربك منها شيء قال لا والله ما رأيت
منها الا خيرا ولكنها لشرفها تتعظم علي فقال له امسك عليك زوجك واتق الله
في امرها فلا تطلقها ضرارا وتعللا بتكبرها وتخفي في نفسك ما الله مبديه وهو
نكاحها ان طلقها او ارادة طلاقها وتخشى الناس تعييرهم اياك به والله احق ان تخشيه
ان كان فيه ما يخشى والواو للحال وليست المعاتبة على الاخفاء وحده فانه حسن
بل على الاخفاء مخافة مقالة الناس واظهار ما ينافي اضماره فان الاولى في
امثال ذلك ان يصمت او يفوض الامر الى ربه فلما قضى زيد منها وطرا حاجة
بحيث ملها ولم يبق له فيها حاجة وطلقها وانقضت عدتها زوجناكها وقيل قضاء
الوطر كناية عن الطلاق مثل لا حاجة لي فيك وقرئ زوجتكها والمعنى انه امر
تزويجها منه او جعلها زوجته بلا واسطة عقد ويؤيده انها كانت تقول

لسائر نساء النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تولى انكاحي وانتن زوجكن
اولياؤكن وقيل كان السفير في خطبتها وذلك ابتلاء عظيم وشاهد بين على قوة
ايمانه لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن
وطرا علة للتزويج وهو دليل على ان حكمه وحكم الامة واحد الا ما خصه الدليل
وكان امر الله امره الذي يريده مفعولا مكونا لا محالة كما كان تزويج زينب
ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له قسم له وقدر من قولهم فرض له في الديوان
ومنه فروض العسكر لارزاقهم سنة الله سن ذلك سنة في الذين خلوا من قبل
من الانبياء وهو نفي الحرج عنهم فيما اباح لهم وكان امر الله قدرا مقدورا قضاء
مقضيا وحكما مبتوتا الذين يبلغون رسالات الله صفة للذين خلوا او مدح لهم
منصوب او مرفوع وقرئ رسالة الله ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله
تعريض بعد تصريح وكفى بالله حسيبا كافيا للمخاوف او محاسبا فينبغي ان لا يخشى
الا منه ما كان محمد ابا احد من رجالكم على الحقيقة فيثبت بينه وبينكم ما بين
الوالد وولده من حرمة المصاهرة وغيرها ولا ينتقض عمومه بكونه ابا للطاهر
والطيب والقاسم وابرهيم لانهم لم يبلغوا مبلغ الرجال ولو بلغوا كانوا رجاله
لا رجالهم ولكن رسول الله وكل رسول ابو امته لا مطلقا بل من حيث انه شفيق ناصح
لهم واجب التوقير والطاعة عليهم وزيد منهم ليس بينه وبينه ولادة وقرئ رسول
بالرفع على انه خبر محذوف ولكن بالتشديد على حذف الخبر اي ولكن رسول الله من
عرفتموه انه لم يعش له ولد ذكر وخاتم النبيين وآخرهم الذي ختمهم او ختموا به
على قراءة عاصم بالفتح ولو كان له ابن بالغ لاق منصبه ان يكون نبيا كما قال عليه
الصلوة والسلام في ابرهيم حين توفي لو عاش لكان نبيا ولا يقدح فيه نزول
عيسى بعده لانه اذا نزل كان على دينه مع ان المراد انه اخر من نبئ وكان الله
بكل شيء عليما فيعلم من يليق بان يختم به النبوة وكيف ينبغي شانه يا ايها الذين
آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا يغلب الاوقات ويعم انواع ما هو اهله من

التقديس

التقديس والتمجيد والتهليل والتحميد وسبحوه بكرة واصيلا اول النهار وآخره خصوصا
وتخصيصهما بالذكر للدلالة على فضلهما على سائر الاوقات لكونهما مشهودين
كافراد التسبيح من جملة الاذكار لانه العمدة فيها وقيل الفعلان موجهان اليهما
وقيل المراد بالتسبيح الصلوة هو الذي يصلي عليكم بالرحمة وملائكته بالاستغفار
لكم والاهتمام بما يصلحكم والمراد بالصلوة المشترك وهو العناية بصلاح امركم
وظهور شرفكم مستعار من الصلوة وقيل الترحم والانعطاف المعنوي مأخوذ من
الصلوة المشتملة على الانعطاف الصوري الذي هو الركوع والسجود واستغفار
الملائكة ودعاؤهم للمؤمنين ترحم عليهم سيما وهو سبب للرحمة من حيث انهم مجابو
الدعوة ليخرجكم من الظلمات الى النور من ظلمات الكفر والمعصية الى نور الايمان
والطاعة وكان بالمؤمنين رحيما حيث اعتنى بصلاح امرهم وانافة قدرهم
واستعمل في ذلك ملائكته المقربين تحيتهم من اضافة المصدر الى المفعول اي يحيون
يوم يلقونه يوم لقائه عند الموت او الخروج عن القبر او دخول الجنة سلام
اخبار بالسلامة عن كل مكروه وآفة واعد لهم اجرا كريما هي الجنة ولعل اختلاف
النظم لمحافظة الفواصل والمبالغة فيما هو اهم يا ايها النبي انا ارسلناك
شاهدا على من بعثت اليهم بتصديقهم وتكذيبهم ونجاتهم وضلالهم وهو حال
مقدرة ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله الى الاقرار به وبتوحيده وما يجب
الايمان به من صفاته باذنه بتيسيره اطلق له من حيث انه من اسبابه وقيد به الدعوة
ايذانا بانه امر صعب لا يتأتى الا بمعونة من جناب قدسه وسراجا منيرا
يستضاء به عن ظلمات الجهالة ويقتبس من نوره انوار البصائر وبشر المؤمنين بان لهم
من الله فضلا كبيرا على سائر الامم او على اجر اعمالهم ولعله معطوف على محذوف
مثل فراقب احوال امتك ولا تطع الكافرين والمنافقين تهييج له على ما هو عليه
من مخالفتهم ودع اذاهم ايذاءهم اياك ولا تحتفل به او ايذاءك اياهم مجازاة
او مؤاخذة على كفرهم ولذلك قيل انه منسوخ وتوكل على الله فانه يكفيكهم

وكفى بالله وكيلا موكولا اليه الامر في الاحوال كلها ولعله تعالى لما وصفه بخمس صفات
قابل كلا منها بخطاب يناسبه فحذف مقابل الشاهد وهو الامر بالمراقبة لان ما بعده
كالتفصيل له وقابل المبشر بالامر ببشارة المؤمنين والنذير بالنهي عن مراقبة الكفار
والمبالاة باذاهم والداعي الى الله تعالى بتيسيره بالامر بالتوكل عليه والسراج المنير
بالاكتفاء به فان من اناره الله برهانا على جميع خلقه كان حقيقا بان يكتفى به عن غيره
يا ايها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن تجامعوهن
فما لكم عليهن من عدة ايام يتربصن فيها بانفسهن تعتدونها تستوفون عددها
من عددت الدراهم فاعتدها كقولك كلته فاكتاله او تعدونها والاسناد
الى الرجال للدلالة على ان العدة حق الازواج كما اشعر به فما لكم وعن ابن كثير
تعتدونها مخففا على ابدال احدى الدالين بالتاء او على انه من الاعتداء بمعنى
تعتدون فيها وظاهره يقتضي عدم وجوب العدة بمجرد الخلوة وتخصيص المؤمنات
والحكم عام للتنبيه على ان من شان المؤمن ان لا ينكح الا مؤمنة تخيرا لنطفته وفائدة
ثم ازاحة ما عسى يتوهم ان تراخي الطلاق ريثما يمكن الاصابة كما يؤثر في النسب
يؤثر في العدة فمتعوهن اي ان لم يكن مفروضا لها فان الواجب للمفروض لها نصف
المفروض دون المتعة ويجوز ان يأول التمتيع بما يعمهما او الامر بالمشترك بين الوجوب
والندب فان المتعة سنة للمفروض لها وسرحوهن اخرجوهن من منازلكم اذ ليس
عليهن عدة سراحا جميلا من غير ضرار ولا منع حق ولا يجوز تفسيره بالطلاق
السني لانه مرتب على الطلاق والضمير لغير المدخول بهن يا ايها النبي انا احللنا
لك ازواجك اللاتي آتيت اجورهن مهورهن لان المهر اجر على البضع وتقييده
الاحلال باعطائها معجلة لا لتوقف الحل عليه بل لايثار الافضل له كتقييد احلال
المملوكة بكونها مسبية بقوله وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك فان المشتراة
لا يتحقق بدو امرها وما جرى عليها وتقييد القرائب بكونها مهاجرات معه في
قوله وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن

وهي سنة م

معك يحتمل تقييد الحل بذلك في حقه خاصة ويعضده قول ام هانئ بنت
ابي طالب خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرني ثم انزل الله
هذه الآية فلم احل له لاني لم اهاجر معه كنت من الطلقاء وامرأة مؤمنة ان وهبت
نفسها للنبي نصب بفعل يفسره ما قبله او عطف على ما سبق ولا يدفعه التقييد
بان التي للاستقبال فان المعنى بالاحلال الاعلام بالحل اي اعلمناك حل امرأة
مؤمنة تهب لك نفسها ولا تطلب مهرا ان اتفق ولذلك نكرها واختلف
في اتفاق ذلك والقائل به ذكر اربعا ميمونة بنت الحارث وزينب بنت
خزيمة الانصارية وام شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم وقرئ ان بالفتح
اي لان وهبت اي مدة ان وهبت كقولك اجلس ما دام زيد جالسا ان
اراد النبي ان يستنكحها شرط للشرط الاول في استيجاب الحل فان هبتها نفسها
منه لا يوجب حلها له الا بارادته نكاحها فانها جارية مجرى القبول والعدول
عن الخطاب الى الغيبة بلفظ النبي مكررا ثم الرجوع اليه في قوله خالصة لك
من دون المؤمنين ايذان بانه مما خص به لشرف نبوته وتقرير لاستحقاق الكرامة
لاجله واحتج به اصحابنا على ان النكاح لا ينعقد بلفظ الهبة لان اللفظ تابع
للمعنى وقد خص عليه الصلوة والسلام بالمعنى فيختص باللفظ والاستنكاح
طلب النكاح والرغبة فيه وخالصة مصدر مؤكد اي خلص احلالها او الاحلال
ما احللنا لك على القيود المذكورة خلوصا لك او حال من الضمير في وهبت
او صفة لمصدر محذوف اي هبة خالصة قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم
من شرائط العقد ووجوب القسم والمهر بالوطي حيث لم يسم وما ملكت ايمانهم
من توسيع الامر فيها انه كيف ينبغي ان يفرض عليهم والجملة اعتراض بين قوله
لكيلا يكون عليك حرج ومتعلقه وهو خالصة للدلالة على ان الفرق بينه
وبين المؤمنين في نحو ذلك لا لمجرد قصد التوسيع عليه بل لمعان تقتضي التوسيع
عليه والتضييق عليهم تارة وبالعكس اخرى وكان الله غفورا لما يعسر التحرز عنه

رحيما بالتوسعة في مظان الحرج ترجي من تشاء منهن تؤخرها وتترك مضاجعتها
وتؤوي اليك من تشاء وتضم اليك وتضاجعها او تطلق من تشاء وتمسك من تشاء
وقرأ حمزة والكسائي وحفص ترجي بالياء والمعنى واحد ومن ابتغيت ممن عزلت
طلبت بالرجعة فلا جناح عليك في شيء من ذلك ذلك ادنى ان تقر اعينهن
ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن ذلك التفويض الى مشيئتك اقرب الى قرة عيونهن
وقلة حزنهن ورضاهن جميعا لان حكم كلهن فيه سواء ثم ان سويت بينهن وجدن
ذلك تفضلا منك وان رجحت بعضهن علمن انه بحكم الله فتطمئن نفوسهن وقرئ
تقر بضم التاء واعينهن بالنصب وتقر على البناء للمفعول وكلهن تاكيد نون
يرضين وقرئ بالنصب تاكيدا لهن والله يعلم ما في قلوبكم فاجتهدوا في احسانه
وكان الله عليما بذات الصدور حليما لا يعاجل بالعقوبة فهو حقيق بان يتقى
لا يحل لك النساء بالياء لان تانيث الجمع غير حقيقي وقرأ البصريان بالتاء من بعد
من بعد التسع وهو في حقه كالاربع في حقنا او من بعد اليوم حتى لو ماتت واحدة
لم يحل له نكاح اخرى ولا ان تبدل بهن من ازواج فتطلق واحدة وتنكح مكانها
اخرى ومن مزيدة لتاكيد الاستغراق ولو اعجبك حسنهن حسن الازواج المستبدلة
وهو حال من فاعل تبدل دون مفعوله وهو من ازواج لتوغله في التنكير وتقديره
مفروضا اعجابك بهن واختلف في ان الآية محكمة او منسوخة بقوله ترجي من تشاء
منهن وتؤوي اليك من تشاء على المعنى الثاني فانه وان تقدمها قراءة فهو مسبوق
بها نزولا وقيل المعنى لا يحل لك النساء من بعد الاجناس الاربعة اللاتي نص على
احلالهن لك ولا ان تبدل بهن ازواجا من اجناس اخر الا ما ملكت يمينك استثناء
من النساء لانه يتناول الازواج والاماء وقيل منقطع وكان الله على كل شيء
رقيبا فتحفظوا امركم ولا تتخطوا ما حد لكم يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت
النبي الا ان يؤذن لكم الا وقت ان يؤذن لكم او الا ماذونا لكم الى طعام
متعلق بيؤذن لانه متضمن معنى يدعى للاشعار بانه لا يحسن الدخول على

الطعام

الطعام من غير دعوة وان اذن كما اشعر به قوله غير ناظرين اناه غير منتظرين
وقته او ادراكه حال من فاعل لا تدخلوا او المجرور في لكم وقرئ بالجر صفة لطعام
فيكون جاريا على غير من هو له بلا ابراز الضمير وهو غير جائز عند البصريين
وقد امال حمزة والكسائي اناه لانه مصدر انى الطعام اذا ادرك ولكن
اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا تفرقوا ولا تمكثوا والآية خطاب
لقوم كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون ويقعدون
منتظرين لادراكه مخصوصة بهم وبامثالهم والا لما جاز لاحد ان يدخل بيوته
بالاذن لغير الطعام ولا اللبث بعد الطعام لمهم ولا مستانسين لحديث
لحديث بعضكم بعضا او لحديث اهل البيت بالتسمع له عطف على ناظرين
او مقدر بفعل اي ولا تدخلوا او ولا تمكثوا مستانسين ان ذلكم اللبث كان
يؤذي النبي لتضييق المنزل عليه وعلى اهله واشتغاله فيما لا يعنيه فيستحيي منكم من
اخراجكم والله لا يستحيي من الحق يعني ان اخراجكم حق فينبغي ان لا يترك حياء
كما لم يتركه الله ترك الحيي فامركم بالخروج وقرئ لا يستحي بحذف الياء الاولى
والقاء حركتها على الحاء واذا سألتموهن متاعا شيئا ينتفع به فاسألوهن المتاع
من وراء حجاب ستر روي ان عمر قال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو
امرت امهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وقيل انه عليه الصلوة والسلام كان
يطعم ومعه بعض اصحابه فاصابت يد رجل يد عائشة فكره النبي صلى الله عليه وسلم
ذلك فنزلت ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن من الخواطر الشيطانية وما كان لكم وما
صح لكم ان تؤذوا رسول الله ان تفعلوا ما يكرهه ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده
ابدا من بعد وفاته او فراقه وخص التي لم يدخل بها لما روي ان الاشعث بن قيس
تزوج المستعيذة في ايام عمر فهم برجمها فاخبر بانه عليه الصلوة والسلام
فارقها قبل ان يمسها فترك من غير نكير ان ذلكم يعني ايذاءه ونكاح نسائه
كان عند الله عظيما ذنبا عظيما وفيه تعظيم من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم

وللحجاب بحرمتهن حيا وميتا ولذلك بالغ في الوعيد عليه فقال ان تبدوا شيئا كنكاحهن
على السنتكم او تخفوه في صدوركم فان الله كان بكل شيء عليما فيعلم ذلك فيجازيكم به
وفي هذا التعميم مع البرهان على المقصود مزيد تهويل ومبالغة في الوعيد لا جناح
عليهن في آبائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن
استيناف لمن لا يجب الاحتجاب عنهم روي انه لما نزلت آية الحجاب قال الآباء
والابناء والاقارب يا رسول الله او نكلمهن ايضا من وراء حجاب فنزلت وانما
لم يذكر العم والخال لانهما بمنزلة الوالدين ولذلك سمي العم ابا في قوله واله
آبائك ابرهيم واسمعيل واسحق او لانه كره ترك الاحتجاب عنهما مخافة ان يصفا
لابنائهما ولا نسائهن يعني النساء المؤمنات ولا ما ملكت ايمانهن من العبيد
والاماء وقيل من الاماء خاصة وقد مر في سورة النور واتقين الله فيما امرتن به
ان الله كان على كل شيء شهيدا لا تخفى عليه خافية ان الله وملائكته يصلون على
النبي يعتنون باظهار شرفه وتعظيم شانه يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه اعتنوا انتم
ايضا فانكم اولى بذلك وقولوا اللهم صل على محمد وسلموا تسليما وقولوا السلام
عليك ايها النبي وقيل وانقادوا لاوامره والآية تدل على وجوب الصلوة والسلام
عليه في الجملة وقيل تجب الصلوة كلما ذكر لقوله عليه الصلوة والسلام رغم انف رجل
ذكرت عنده فلم يصل علي وقوله من ذكرت عنده فلم يصل علي فدخل النار
فابعده الله ويجوز الصلوة على غيره تبعا وتكره استقلالا لانه في العرف صار
شعارا لذكر الرسل ولذلك كره ان يقال محمد عز وجل وان كان عزيزا جليلا
ان الذين يؤذون الله ورسوله يرتكبون ما يكرهانه من الكفر والمعاصي او يؤذون
رسول الله صلى الله عليه وسلم بكسر رباعيته وقولهم شاعر مجنون ونحو ذلك وذكر
الله للتعظيم له ومن جوز اطلاق اللفظ الواحد على معنيين فسره بالمعنيين
باعتبار المعمولين لعنهم الله ابعدهم الله من رحمته في الدنيا والآخرة واعد لهم
عذابا مهينا يهينهم مع الايلام والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير

ما اكتسبوا

ما اكتسبوا بغير جناية استحقوا بها فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا ظاهرا قيل انها نزلت
في منافقين يؤذون عليا رض وقيل في اهل الافك وقيل في زناة كانوا يتبعون
النساء وهن كارهات يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين
يدنين عليهن من جلابيبهن يغطين وجوههن وابدانهن بملاحفهن اذا برزن
لحاجة ومن للتبعيض فان المرأة ترخي بعض جلبابها وتتلفع ببعض ذلك ادنى
ان يعرفن يميزن من الاماء والقينات فلا يؤذين فلا يؤذيهن اهل الريبة بالتعرض لهن وكان الله
غفورا لما سلف رحيما بعباده حيث يراعي مصالحهم حتى الجزئيات منها لئن لم ينته
المنافقون عن نفاقهم والذين في قلوبهم مرض ضعف ايمان وقلة ثبات عليه
او فجور عن تزلزلهم في الدين او فجورهم والمرجفون في المدينة يرجفون اخبار السوء
عن سرايا المسلمين ونحوها من ارجافهم واصله التحريك من الرجفة وهي الزلزلة
سمي به الاخبار الكاذبة لكونها متزلزلة غير ثابتة لنغرينك بهم لنأمرنك بقتالهم
واجلائهم او ما يضطرهم الى طلب الجلاء ثم لا يجاورونك عطف على لنغرينك
وثم للدلالة على ان الجلاء ومفارقة جوار الرسول صلى الله عليه وسلم اعظم
ما يصيبهم فيها في المدينة الا قليلا زمانا او جوارا قليلا ملعونين نصب
على الشتم او الحال والاستثناء شامل له ايضا اي لا يجاورونك الا ملعونين
ولا يجوز ان ينتصب عن قوله اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا لان ما
بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها سنة الله في الذين خلوا من قبل مصدر
مؤكد اي سن الله ذلك في الامم الماضية وهو ان يقتل الذين نافقوا
الانبياء وسعوا في وهنهم بالارجاف ونحوه اينما ثقفوا ولن تجد لسنة الله
تبديلا لانه لا يبدلها او لا يقدر احد ان يبدلها يسألك الناس عن الساعة
عن وقت قيامها استهزاء او تعنتا او امتحانا قل انما علمها عند الله
لم يطلع عليه ملكا ولا نبيا وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا
شيئا قريبا او تكون الساعة عن قريب وانتصابه على الظرف ويجوز ان يكون

بالتذكير لان الساعة في معنى اليوم وفيه تهديد للمستعجلين واسكات للمتعنتين
ان الله لعن الكافرين واعد لهم سعيرا نارا شديدة الايقاد خالدين فيها ابدا
لا يجدون وليا يحفظهم ولا نصيرا يدفع العذاب عنهم يوم تقلب وجوههم
في النار تصرف من جهة الى جهة كاللحم يشوى بالنار او من حال الى حال وقرئ
تقلب بمعنى تتقلب وتقلب ومتعلق الظرف يقولون يا ليتنا اطعنا الله
واطعنا الرسولا فلن نبتلى بهذا العذاب وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا
وكبراءنا يعنون قادتهم الذين لقنوهم الكفر وقرأ ابن عامر ويعقوب
ساداتنا على جمع الجمع للدلالة على الكثرة فاضلونا السبيلا بما زينوا
لنا ربنا آتهم ضعفين من العذاب مثلي ما آتيتنا منه لانهم ضلوا واضلوا
والعنهم لعنا كبيرا كثير العدد وقرأ عاصم بالباء اي لعنا هو اشد اللعن
واعظمه يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله
مما قالوا فاظهر براءته من مقولهم يعني مؤداه ومضمونه وذلك ان قارون
حرض امرأة على قذفه بنفسها فعصمه الله كما مر في القصص او اتهمه ناس بقتل
هرون لما خرج معه الى الطور فمات هناك فحملته الملائكة ومروا بهم حتى
رأوه غير مقتول وقيل احياه الله فاخبرهم ببراءته فقذفوه بعيب في بدنه من برص
او ادرة لفرط تستره حياء فاطلعهم الله على انه برئ منه وكان عند الله وجيها
ذا قربة ووجاهة وقرئ وكان عبدا لله وجيها يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله
في ارتكاب ما يكرهه فضلا عما يؤذي رسوله وقولوا قولا سديدا قاصدا
الى الحق من سد يسد سدادا والمراد النهي عن ضده كحديث زينب من غير قصد
يصلح لكم اعمالكم يوفقكم للاعمال الصالحة او يصلحها بالقبول والاثابة عليها
ويغفر لكم ذنوبكم ويجعلها مكفرة باستقامتكم في القول والعمل ومن يطع الله
ورسوله في الاوامر والنواهي فقد فاز فوزا عظيما يعيش في الدنيا حميدا
وفي الآخرة سعيدا انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال

فابين

فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان تقرير للوعد السابق
بتعظيم الطاعة وسماها امانة من حيث انها واجبة الاداء والمعنى انها
لعظمة شأنها بحيث لو عرضت على هذه الاجرام العظام وكانت ذات شعور
وادراك لابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان مع ضعف بنيته
ورخاوة قوته لا جرم فاز الراعي لها والقائم بحقوقها بخير الدارين انه كان
ظلوما حيث لم يف بها ولم يراع حقها جهولا بكنه عاقبتها وهذا وصف
للجنس باعتبار الاغلب وقيل المراد بالامانة الطاعة التي تعم الطبيعية
والاختيارية وبعرضها استدعاؤها الذي يعم طلب الفعل من المختار وارادة
صدوره من غيره وبحملها الخيانة فيها والامتناع عن ادائها ومنه قولهم
حامل للامانة ومحتمل لها لمن لا يؤديها فتبرأ ذمته فيكون الاباء عنه اتيانا
بما يمكن ان يتأتى منه والظلم والجهالة للخيانة والتقصير وقيل انه تعالى
لما خلق هذه الاجرام خلق فيها فهما وقال لها اني فرضت فريضة وخلقت
جنة لمن اطاعني فيها ونارا لمن عصاني فقلن نحن مسخرات على ما خلقتنا
لا نحتمل فريضة ولا نبغي ثوابا ولا عقابا ولما خلق آدم عرض عليه مثل ذلك
فحمله وكان ظلوما لنفسه بتحمله ما يشق عليها جهولا بوخامة عاقبته ولعل المراد
بالامانة العقل او التكليف وبعرضها عليهن اعتبارها بالاضافة الى استعدادهن
وباباهن الاباء الطبيعي الذي هو عدم اللياقة والاستعداد وبحمل الانسان
قابليته واستعداده لها وكونه ظلوما جهولا لما غلب عليه من القوة الغضبية
والشهوية وعلى هذا يحسن ان يكون علة للحمل عليه فان من فوائد العقل ان يكون
مهيمنا على القوتين حافظا لهما عن التعدي ومجاوزة الحد ومعظم مقصود
التكليف تعديلهما وكسر سورتهما ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين
والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات تعليل للحمل من حيث انه نتيجته
كالتأديب للضرب في ضربته تأديبا وذكر التوبة في الوعد اشعار بان كونهم

ظلومًا جهولًا في جبلتهم لا عليهم عن فرطاتهم وكان الله غفورا رحيما حيث تاب
على فرطاتهم واثاب بالعفو على طاعاتهم قال عليه الصلوة والسلام من قرأ سورة
الاحزاب وعلمها اهله وما ملكت يمينه اعطي الامان من عذاب القبر والنشاد

سورة السبا مكية وآيها خمس وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض
خلقا ونعمة فله الحمد في الدنيا لكمال قدرته وعلى تمام نعمته وله الحمد في الآخرة
لأن ما في الآخرة ايضا كذلك وليس هذا من عطف المقيد على المطلق فان الوصف
بما يدل على انه المنعم بالنعم الدنيوية قيد الحمد بها وتقديم الصلة للاختصاص
فان النعم الدنيوية قد يكون بوساطة من يستحق الحمد لاجلها ولا كذلك نعم الآخرة
وهو الحكيم الذي احكم امور الدارين الخبير ببواطن الاشياء يعلم ما يلج في الارض
كالغيث ينفذ في موضع وينبع في آخر وكالكنوز والدفائن والاموات وما يخرج
منها كالحيوان والنبات والفلزات وماء العيون وما ينزل من السماء كالملائكة
واعمال العباد والابخرة والادخنة وهو الرحيم الغفور للمفرطين في شكر نعمته
مع كثرتها او في الآخرة مع ما له من سوابق هذه النعم الفائتة للحصر وقال الذين
كفروا لا تأتينا الساعة انكار لمجيئها او استبطاء استهزاء بالوعد به قل بلى
رد لكلامهم واثبات لما نفوه وربي لتأتينكم عالم الغيب تكرير لايجابه
مؤكدا بالقسم مقررا لوصف المقسم به بصفات تقرر امكانه وتنفي استبعاده
على ما مر غير مرة وقرأ حمزة والكسائي علام الغيب للمبالغة ونافع وابن عامر
ورويس عالم الغيب بالرفع على انه خبر محذوف او مبتدأ خبره لا يعزب عنه
مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وقرأ الكسائي لا يعزب بالكسر ولا
اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين جملة مؤكدة لنفي العزوب ورفعهما
بالابتداء ويؤيده القراءة بالفتح على نفي الجنس ولا يجوز عطف المرفوع على مثقال

كالملائكة والكتب والمقادير والارزاق والانداء والصواعق وما يعرج فيها ٣

والمفتوح

والمفتوح على ذرة بانه فتح في موضع الجر لامتناع الصرف لان الاستثناء
يمنعه اللهم الا اذا جعل الضمير في عنه للغيب وجعل المثبت في اللوح خارجا عنه
لظهوره على المطالعين له فيكون المعنى لا ينفصل عن الغيب شيء الا مسطورا في اللوح
ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات علة لقوله لتأتينكم وبيان لما يقتضي
اتيانها اولئك لهم مغفرة ورزق كريم لا تعب فيه ولا من عليه والذين سعوا
في آياتنا بالابطال وتزهيد الناس فيها معاجزين مسابقين كي يفوتونا
وقرأ ابن كثير وابو عمرو معجزين اي مثبطين عن الايمان من اراده اولئك لهم
عذاب من رجز من سيء العذاب اليم مؤلم ورفعه ابن كثير ويعقوب وحفص
ويرى الذين اوتوا العلم اولو العلم من الصحابة ومن شايعهم من الامة او من
مسلمي اهل الكتاب الذي انزل اليك من ربك القرآن هو الحق ومن رفع
الحق جعل هو ضميرا مبتدأ والحق خبره والجملة ثاني مفعولي يرى وهو مرفوع
مستأنف للاستشهاد باولي العلم على الجهلة الساعين في الآيات وقيل منصوب
معطوف على ليجزي اي وليعلم اولو العلم عند مجيء الساعة انه الحق عيانا
كما علموه الآن برهانا ويهدي الى صراط العزيز الحميد الذي هو التوحيد والتدرع
بلباس التقوى وقال الذين كفروا قال بعضهم لبعض هل ندلكم على رجل
يعنون محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم ينبئكم يحدثكم باعجب الاعاجيب اذا
مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد انكم تنشؤون خلقا جديدا بعد ان تمزق
اجسادكم كل تمزيق وتفريق بحيث تصير ترابا وتقديم الظرف للدلالة
على البعد والمبالغة فيه وعامله محذوف دل عليه ما بعده فان ما قبله لم يقارنه
وما بعده مضاف اليه او محجوب بينه وبينه بان وممزق يحتمل ان يكون مكانا
بمعنى اذا مزقتم وذهبت بكم السيول كل مذهب وطرحتكم كل مطرح وجديد
بمعنى فاعل من جد كحديد من حد وقيل بمعنى مفعول من جد النساج الثوب
اذا قطعه افترى على الله كذبا ام به جنة جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه

واستدل بجعله اياه قسيم الافتراء غير معتقد بصدقه على ان بين الصدق والكذب
واسطة وهو كل خبر لا يكون عن بصيرة بالمخبر عنه وضعفه بين لان الافتراء اخص
من الكذب بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد رد من الله عليهم
ترديدهم واثبات لهم ما هو افظع من القسمين وهو الضلال البعيد عن الصواب بحيث
لا يرجى الخلاص منه وما هو مؤداه من العذاب وجعله رسيلا له في الوقوع
ومقدما عليه في اللفظ للمبالغة في استحقاقهم له والبعد في الاصل صفة الضال
ووصف الضلال به على الاسناد المجازي افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم
من السماء والارض ان نشا نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء
تذكير بما يعاينونه مما يدل على كمال قدرة الله تعالى وما يحتمل فيه ازاحة لاستحالتهم
الاحياء حتى جعلوه افتراء وهزوا وتهديدا عليها والمعنى اعموا فلم ينظروا الى
ما احاط بجوانبهم من السماء والارض ولم يتفكروا اهم اشد خلقا ام هي وانا
ان نشا نخسف بهم او نسقط عليهم كسفا لتكذيبهم بالايات بعد ظهور البينات
وقرا حمزة والكسائي يشا ويخسف ويسقط بالياء لقوله افترى على الله وحفص
كسفا بالتحريك ان في ذلك النظر والفكر فيهما وما يدلان عليه لاية لكل عبد منيب
راجع الى ربه فانه يكون كثير التامل في امره ولقد آتينا داود منا فضلا
اي على سائر الانبياء وهو ما ذكر بعد او على سائر الناس فيندرج فيه
النبوة والكتاب والملك والصوت الحسن يا جبال اوبي معه رجعي معه التسبيح
على النوحة او الذنب وذلك اما بخلق صوت مثل صوته فيها او بحملها اياه
على التسبيح اذا تامل ما فيها او سيري معه حيث سار وقرئ اوبي من الاوب
اي ارجعي في التسبيح كلما رجع فيه وهو بدل من فضلا او من آتينا باضمار قولنا
او قلنا والطير عطف على محل الجبال ويؤيده القراءة بالرفع عطفا على لفظها
تشبيها للحركة البنائية العارضة بالحركة الاعرابية او على فضلا او مفعول
معه لاوبي وعلى هذا يجوز ان يكون الرفع بالعطف على ضميره وكان الاصل

النظم ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال اوبي والطير فبدل به هذا
النظم لما فيه من الفخامة والدلالة على عظمة شانه وكبرياء سلطانه حيث جعل
الجبال والطيور كالعقلاء المنقادين لامره في نفاذ مشيئته فيها والنا له الحديد
جعلناه في يده كالشمع يصرفه كيف يشاء من غير احماء وطرق بالآلات او بقوته
ان اعمل امرنا ان اعمل وان مفسرة او مصدرية سابغات دروعا واسعات
وقرئ صابغات وهو اول من اتخذها وقدر في السرد وقدر في نسجها
بحيث يتناسب حلقها او قدر مساميرها فلا تجعلها دقاقا فتقلق ولا غلاظا
فتخرق ورد بان دروعه لم تكن مسمرة ويؤيده قوله والنا له الحديد واعملوا
صالحا الضمير فيه لداود واهله اني بما تعملون بصير فاجازيكم عليه ولسليمان
الريح اي وسخرنا له الريح وقرا ابو بكر الريح بالرفع اي ولسليمان الريح مسخرة
وقرئ الرياح غدوها شهر ورواحها شهر جريها بالغداة مسيرة شهر وبالعشي كذلك
وقرئ غدوتها وروحتها واسلنا له عين القطر النحاس المذاب اسال له من
معدنه فنبع منه نبوع الماء من الينبوع ولذلك سماه عينا وكان ذلك باليمن
ومن الجن من يعمل بين يديه عطف على الريح ومن الجن حال متقدمة او جملة من
مبتدا وخبر باذن ربه بامره ومن يزغ منهم عن امرنا ومن يعدل منهم عما
امرناه من طاعة سليمان وقرئ يزغ من ازاغه نذقه من عذاب السعير عذاب
الآخرة يعملون له ما يشاء من محاريب قصورا حصينة ومساكن شريفة سميت
بها لانها يذب عنها ويحارب عليها وتماثيل صورا وتماثيل للملائكة والانبياء
على ما اعتادوا من العبادات ليراها الناس فيعبدوا نحو عبادتهم وحرمة
التصاوير شرع مجدد وروي انهم عملوا اسدين في اسفل كرسيه ونسرين
فوقه فاذا اراد ان يصعد بسط الاسدان له ذراعيهما واذا قعد اظله
النسران باجنحتهما وجفان وصحاف كالجواب كالحياض الكبار جمع جابية
من الجباية وهي من الصفات الغالبة كالدابة وقدور راسيات ثابتات على الاثافي

لا تنزل عنها لعظمها اعملوا آل داود شكرا حكاية لما قيل لهم وشكرا نصب على
العلة اى اعملوا له واعبدوه شكرا او المصدر لان العمل له شكر او الوصف له
او الحال او المفعول به وقليل من عبادى الشكور المتوفر على اداء الشكر بقلبه
ولسانه وجوارحه اكثر اوقاته ومع ذلك لا يوفى حقه لان توفيقه للشكر
نعمة يستدعى شكرا آخر لا الى نهاية ولذلك قيل الشكور من يرى عجزه عن الشكر
فلما قضينا عليه الموت اى على سليمن ما دلهم على موته ما دل الجن وقيل اله
الا دابة الارض اى الارضة اضيفت الى فعلها وقرئ بفتح الراء وهو تأثر
الخشبة من فعلها يقال ارضت الارضة الخشبة ارضا فارضت ارضا مثل اكلت
القوادح الاسنان اكلا فاكلت اكلا تاكل منساته عصاه من نسأت
البعير اذا طردته لانها تطرد بها وقرئ بفتح الميم وبتخفيف الهمزة قلبا وحذفا
على غير قياس اذ القياس اخراجها بين بين ومنساءته على مفعالة كميضاءة في
ميضاة ومن سأته اى طرف عصاه مشتقا من سأة القوس وفيه لغتان
كما في قحة وقحة وقرأ نافع وابو عمرو منساته بالف ساكنة بدلا من الهمزة
وابن ذكوان بهمزة ساكنة وحمزة اذا وقف جعلها بين بين فلما خر تبينت الجن
علمت الجن بعد التباس الامر عليهم ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب
المهين انهم لو كانوا يعلمون الغيب كما يزعمون لعلموا موته حينما وقع فلم يلبثوا
بعده حولا في تسخيره الى ان خر او ظهرت الجن وان بما في حيزه بدل منه اى ظهر
ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب وذلك ان داود اسس بيت
المقدس في موضع فسطاط موسى عليهما السلام فمات قبل تمامه فوصى به
الى سليمن عليه السلام فاستعمل الجن فيه فلم يتم بعد اذ دنى اجله فاعلم به فاراد
ان يعمى عليهم موته ليتموه فدعاهم فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام
يصلى متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها فبقى كذلك حتى اكلتها
الارضة فخر ثم فتحوا عنه وارادوا ان يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة

على العصا

على العصا فاكلت يوما وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك فوجدوه قد مات منذ سنة
وكان عمره ثلثا وخمسين سنة وملك وهو ابن ثلث عشرة سنة وابتدأ عمارة بيت المقدس
لاربع مضين من ملكه لقد كان لسبأ لاولاد سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان ومنع
الصرف عنه ابن كثير وابو عمرو لانه صار اسم القبيلة وعن ابن كثير قلب همزته
الفا ولعله اخرجه بين بين فلم يؤده الراوى كما وجب في مسكنهم في مواضع
سكناهم وهى باليمن يقال لها مأرب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلث وقرأ حمزة
وحفص بالافراد والفتح والكسائى بالكسر حملا على ما شذ من القياس كالمسجد
والمطلع آية علامة دالة على وجود الصانع المختار وانه قادر على ما يشاء
من الامور العجيبة مجازى المحسن والمسئ معاضدة للبرهان السابق كما في قصتى
داود وسليمن عليهما السلام جنتان بدل من آية او خبر محذوف تقديره الآية
جنتان وقرئ بالنصب على المدح والمراد جماعتان من البساتين عن يمين
وشمال جماعة عن يمين بلدهم وجماعة عن شمال بلدهم كل واحدة منهما في
تقاربها وتضايقها كانها جنة واحدة او بستانا كل رجل منهم عن يمين مسكنه
وعن شماله كلوا من رزق ربكم واشكروا له حكاية لما قال لهم نبيهم او لسان
الحال او دلالة بانهم كانوا احقاء بان يقال لهم ذلك بلدة طيبة ورب غفور
استيناف للدلالة على موجب الشكر اى هذه البلدة التى فيها رزقكم بلدة طيبة
وربكم الذى رزقكم وطلب شكركم رب غفور فرطات من يشكره وقرئ الكل
بالنصب على المدح قيل كان احصب البلاد واطيبها لم يكن فيها عاهة ولا هامة
فاعرضوا عن الشكر فارسلنا عليهم سيل العرم سيل الامر العرم اى الصعب من
عرم الرجل فهو عارم وعرم اذا شرس خلقه وصعب او المطر الشديد او الجرذ
اضاف اليه السيل لانه نقبه وكان ذلك بين عيسى ومحمد عليهما الصلوة والسلام
وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى اكل خمط ثمر بشع فان الخمط كل نبت اخذ طعما
من مرارة وقيل الاراك او كل شجر لا شوك له والتقدير اكل خمط فحذف

لانه نقب عليهم سكرا ضربت لهم بلقيس
فحفت بهما البحر وتركت به نقبا
على مقدار ما يحتاجون اليه او المسناة
التى عقدت سكرا على انه جمع عرمة
وهى الحجارة المركومة وقيل اسم وادى
جاء السيل م

المضاف او اقيم المضاف اليه مقامه في كونه بدلا او عطف بيان واثل وشيء من سدر
قليل معطوفان على اكل لا على خمط فان الاثل هو الطرفاء ولا ثمر له وقرئا بالنصب
عطفا على جنتين ووصف السدر بالقلة فان جناه وهو النبق مما يطيب اكله ولذلك
يغرس في البساتين وتسمية البدل جنتين للمشاكلة والتهكم وقرأ ابو عمرو ويعقوب
اكل خمط بغير تنوين اللام وقرأ الحرميان بتخفيف اكل ذلك جزيناهم بما كفروا
بكفرانهم النعمة او بكفرهم بالرسل اذ روي انه بعث اليهم ثلاثة عشر نبيا فكذبوهم
وتقديم المفعول للتعظيم لا للتخصيص وهل يجازى الا الكفور وهل يجازى
بمثل ما فعلنا بهم الا البليغ في الكفران او الكفر وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب
وحفص نجازي بالنون والكفور بالنصب وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا
فيها بالتوسعة على اهلها وهي قرى الشام قرى ظاهرة متواصلة يظهر بعضها
لبعض او راكبة متن الطريق ظاهرة لابناء السبيل وقدرنا فيها السير بحيث يقيل
الغادي في قرية ويبيت الرائح في قرية الى ان يبلغ الشام سيروا فيها على ارادة القول
بلسان المقال او الحال ليالي واياما متى شئتم من ليل او نهار آمنين لا يختلف الامن
فيها باختلاف الاوقات او سيروا آمنين وان طالت مدة سفركم فيها او سيروا فيها
ليالي اعماركم واياماها لا تلقون فيها الا الامن فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا
اشروا النعمة وملوا العافية كبني اسرائيل فسألوا الله ان يجعل بينهم وبين الشام
مفاوز ليتطاولوا فيها على الفقراء بركوب الرواحل وتزود الازواد فاجابهم
الله تعالى بتخريب القرى المتوسطة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وهشام بعّد ويعقوب
ربنا باعد بلفظ الخبر على انه شكوى منهم لبعد سفرهم افراطا في الترفيه وعدم
الاعتداد بما انعم الله عليهم فيه ومثله قراءة من قرأ ربنا بعّد وبعد على النداء
واسناد الفعل الى بين وظلموا انفسهم حيث بطروا النعمة ولم يعتدوا بها فجعلناهم
احاديث يتحدث الناس بهم تعجبا وضرب مثل فيقولون تفرقوا ايدي سبا ومزقناهم
كل ممزق وفرقناهم غاية التفريق حتى لحق غسان منهم بالشام وانمار بيثرب

الترفيه

وجذام

وجذام بتهامة والازد بعمان ان في ذلك فيما ذكر لآيات لكل صبار عن
المعاصي شكور على النعم ولقد صدق عليهم ابليس ظنه اي صدق في ظنه او صدق
يظن ظنا مثل فعلته جهدك ويجوز ان يعدى الفعل اليه بنفسه كما في صدق وعده
لانه نوع من القول وشدده الكوفيون بمعنى حقق ظنه او وجده صادقا
وقرئ بنصب ابليس ورفع الظن مع التشديد بمعنى وجده ظنه صادقا ومع التخفيف
بمعنى قال له ظنه الصدق حين خيله اغواءهم وبرفعهما والتخفيف على الابدال وذلك
اما ظنه بسبا حين راى انهماكهم في الشهوات او ببني آدم حين راى اباهم النبي ضعيف
العزم او ما ركب فيهم من الشهوة والغضب او سمع من الملائكة اتجعل فيها من يفسد
فيها فقال لاضلنهم لاغوينهم فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين الا فريقا هم المؤمنون
لم يتبعوه وتقليلهم بالاضافة الى الكفار او الا فريقا من فرق المؤمنين لم يتبعوه
في العصيان وهم المخلصون وما كان له عليهم على المتبعين من سلطان تسلط واستيلاء
بالوسوسة والاستغواء الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك الا ليتعلق
علمنا بذلك تعلقا يترتب عليه الجزاء او ليتميز المؤمن من الشاك او المؤمن من قدر
ايمانه والشاك من قدر ضلاله والمراد من حصول العلم حصول متعلقه مبالغة وفي
نظم الصلتين نكتة لا تخفى وربك على كل شيء حفيظ محافظ والزنتان متآخيتان
قل للمشركين ادعوا الذين زعمتم اي زعمتموهم آلهة وهما مفعولا زعم حذف الاول
لطول الموصول بصلته والثاني لقيام صفته وهي من دون الله مقامه ولا يجوز
ان يكون هو مفعوله الثاني لانه لا يلتئم مع الضمير كلاما ولا لا يملكون لانهم لا يزعمونه
من دون الله والمعنى ادعوهم فيما يهمكم من جلب نفع او دفع ضر لعلهم يستجيبون لكم
ان صح دعواكم ثم اجاب عنهم اشعارا بتعين الجواب وانه لا يقبل المكابرة فقال
لا يملكون مثقال ذرة من خير او شر في السموات ولا في الارض في امر ما وذكرهما
للعموم العرفي او لان آلهتهم بعضها سماوية كالملائكة والكواكب وبعضها ارضية
كالاصنام او لان الاسباب القريبة للشر والخير سماوية وارضية والجملة استئناف

لبيان حالهم وما لهم فيهما من شرك من شركة لا خلقا ولا ملكا وما له منهم من ظهير
يعينه على تدبير امرهما ولا تنفع الشفاعة عنده فلا ينفعهم شفاعة ايضا كما يزعمون
اذ لا تنفع الشفاعة عند الله الا لمن اذن له اذن له ان يشفع او اذن ان
يشفع له لعلو شأنه ولم يثبت ذلك واللام على الاول كاللام في قولك الكرم
لزيد وعلى الثاني كاللام في قولك جئتك لزيد وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي
بضم الهمزة على البناء للمفعول حتى اذا فزع عن قلوبهم غاية لمفهوم الكلام من
ان ثمة توقفا وانتظارا للاذن اي يتربصون فزعين حتى اذا كشف الفزع
عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بالاذن وقيل الضمير للملائكة وقد تقدم ذكرهم
ضمنا وقرأ ابن عامر ويعقوب فزع على البناء للفاعل وقرئ فرغ اي نفي الوجل
من فرغ الزاد اذا فني قالوا قال بعضهم لبعض ماذا قال ربكم في الشفاعة قالوا
الحق قالوا قال القول الحق وهو الاذن في الشفاعة لمن ارتضى وهم المؤمنون
وقرئ بالرفع اي مقوله الحق وهو العلي الكبير ذو العلو والكبرياء ليس لملك
ولا نبي ان يتكلم ذلك اليوم الا باذنه قل من يرزقكم من السماء والارض يريد به
تقرير قوله لا يملكون قل الله اذ لا جواب سواه وفيه اشعار بانهم ان سكتوا او
تلعثموا في الجواب مخافة الالزام فهم مقرون به بقلوبهم وانا او اياكم لعلى هدى
او في ضلال مبين اي وان احد الفريقين من الموحدين المتوحد بالرزق والقدرة الذاتية
بالعبادة والمشركين به الجماد النازل في ادنى المراتب الامكانية لعلى احد الامرين
من الهدى والضلال الواضح وهو بعدما تقدم من التقرير البليغ الدال على من هو على
الهدى ومن هو في الضلال ابلغ من التصريح لانه في صورة الانصاف المسكت
للخصم المشاغب ونظيره قول حسان اتهجوه ولست له بكفء فشركما لخيركما الفداء
وقيل انه على اللف وفيه نظر واختلاف الحرفين لان الهادي كمن صعد منارا ينظر
الاشياء ويتطلع عليها او ركب جوادا يركضه حيث يشاء والضال كانه منغمس
في ظلام مرتبك لا يرى شيئا او محبوس في مطمورة لا يستطيع ان يتفصى منها

قل لا تسألون عما اجرمنا ولا نسأل عما تعملون هذا ادخل في الانصاف
وابلغ في الاخبات حيث اسند الاجرام الى انفسهم والعمل الى المخاطبين قل يجمع
بيننا ربنا يوم القيمة ثم يفتح بيننا بالحق يحكم ويفصل بان يدخل المحقين
الجنة والمبطلين النار وهو الفتاح الحاكم الفيصل في القضايا المتعلقة
العليم بما ينبغي ان يقضى به قل اروني الذين الحقتم به شركاء لارى باي صفة
الحقتموهم بالله في استحقاق العبادة وهو استفسار عن شبهتهم بعد الزام
الحجة عليهم زيادة في تبكيتهم كلا ردع لهم عن المشاركة بعد ابطال المقايسة
بل هو الله العزيز الحكيم الموصوف بالغلبة وكمال القدرة والحكمة وهؤلاء
الملحقون به متسمة بالذلة متأبية عن قبول العلم والقدرة رأسا والضمير
لله او للشأن وما ارسلناك الا كافة للناس الا ارسالة عامة لهم من الكف
فانها اذا عمتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم او الا جامعا لهم في الابلاغ
فهو حال من الكاف والتاء للمبالغة ولا يجوز جعلها حالا من الناس على المختار
بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيحملهم جهلهم على مخالفتك ويقولون
من فرط جهلهم متى هذا الوعد يعنون المبشر به والمنذر عنه او الموعود بقوله
يجمع بيننا ربنا ان كنتم صادقين يخاطبون به رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين قل لكم ميعاد يوم وعد يوم او زمان وعد واضافته الى اليوم
للتبيين ويؤيده انه قرئ على البدل وقرئ يوما باضمار اعني لا تستأخرون
عنه ساعة ولا تستقدمون اذا فاجأكم وهو جواب تهديد جاء مطابقا
لما قصدوه بسؤالهم من التعنت والانكار وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا
القرآن ولا بالذي بين يديه ولا بما تقدمه من الكتب الدالة على البعث وقيل ان
كفار مكة سألوا اهل الكتاب عن الرسول صلى الله عليه وسلم فاخبروهم
انهم يجدون نعته في كتبهم فغضبوا وقالوا ذلك وقيل الذي بين يديه يوم القيمة
ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم اي في موضع المحاسبة يرجع بعضهم

الى بعض القول يتحاورون ويتراجعون القول يقول الذين استضعفوا يقول
الاتباع للذين استكبروا للرؤساء لولا انتم لولا اضلالكم وصدكم ايانا
عن الايمان لكنا مؤمنين باتباع الرسول قال الذين استكبروا للذين استضعفوا
انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين انكروا انهم كانوا صادين
لهم عن الايمان واثبتوا انهم هم الذين صدوا انفسهم حيث اعرضوا عن الهدى وآثروا
التقليد عليه ولذلك بنوا الانكار على الاسم وقال الذين استضعفوا للذين
استكبروا بل مكر الليل والنهار اضراب عن اضرابهم اي لم يكن اجرامنا الصاد
بل مكركم لنا دائبا ليلا ونهارا حتى اغرتم علينا رأينا اذ تأمروننا ان نكفر
بالله ونجعل له اندادا والعاطف يعطفه على كلامهم الاول واضافة المكر الى الظرف
على الاتساع وقرئ مكر الليل بالنصب على المصدر ومكرٌ الليلَ بالتنوين
ونصب الظرف ومكر الليل من الكرور واسروا الندامة لما رأوا العذاب واضمر
الفريقان الندامة على الضلالة والاضلال واخفاها كل عن صاحبه مخافة
التعيير او اظهروها فانه من الاضداد اذ الهمزة تصلح للاثبات والسلب كما في اشكيته
وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا اي في اعناقهم فجاء بالظاهر تنويها
بذمهم واشعارا بموجب اغلالهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون اي لا يفعل بهم
ما يفعل الا جزاء على اعمالهم وتعدية يجزى اما لتضمين معنى يقضي او لنزع الخافض
وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
مما مني به من قومه وتخصيص المتنعمين بالتكذيب لان الداعي المعظم الى التكبر والمفاخرة
بزخارف الدنيا الانهماك في الشهوات والاستهانة بمن لم يحظ منها ولذلك ضموا
التهكم والمفاخرة الى التكذيب فقالوا انا بما ارسلتم به كافرون مقابلة الجمع
بالجمع وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا فنحن اولى بما تدعونه ان امكن وما نحن
بمعذبين اما لان العذاب لا يكون او لانه اكرمنا بذلك فلا يهيننا بالعذاب
قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولذلك يختلف فيه

الاشخاص

الاشخاص المتماثلة في الخصائص والصفات ولو كان ذلك لكرامة وهوان
لم يكن بمشيئة ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيظنون ان كثرة الاموال والاولاد
للشرف والكرامة وكثيرا ما يكون للاستدراج كما قال وما اموالكم ولا اولادكم
بالتي تقربكم عندنا زلفى قربة والتي اما لان المراد وما جماعة اموالكم واولادكم
او لانها صفة موصوف محذوف كالتقوى والخصلة وقرئ بالذي يقربكم اي بالشيء
الذي يقربكم الا من آمن وعمل صالحا استثناء من مفعول تقربكم اي الاموال
والاولاد لا تقرب احدا الا المؤمن الصالح الذي ينفق ماله في سبيل الله ويعلم
ولده الخير ويربيه على الصلاح او من اموالكم واولادكم على حذف المضاف
فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا اي يجازوا الضعف الى عشر فما فوقه والاضافة
اضافة المصدر الى المفعول وقرئ بالاعمال على الاصل وعن يعقوب رفعهما
على ابدال الضعف ونصب الجزاء على التمييز او المصدر لفعله الذي دل عليه لهم
وهم في الغرفات آمنون من المكاره وقرئ بفتح الراء وسكونها وقرأ حمزة في
الغرفة على ارادة الجنس والذين يسعون في آياتنا بالرد والطعن فيها معاجزين
مسابقين لانبيائنا او ظانين انهم يفوتوننا اولئك في العذاب محضرون قل ان
ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له يوسع عليه تارة ويضيق عليه
اخرى فهذا في شخص واحد باعتبار وقتين وما سبق في شخصين فلا تكرير وما
انفقتم من شيء فهو يخلفه عوضا اما عاجلا او آجلا وهو خير الرازقين فان
غيره وسط في ايصال رزقه لا حقيقة لرازقيته ويوم يحشرهم المستكبرين
والمستضعفين ثم يقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون تقريعا للمشركين
وتبكيتا لهم واقناطا لهم عما يتوقعون من شفاعتهم وتخصيص الملائكة لانهم
اشرف شركائهم والصالحون للخطاب منهم ولان عبادتهم مبدأ الشرك واصله
قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم انت الذي نواليه من دونهم لا موالاة
بيننا وبينهم كأنهم بينوا بذلك براءتهم عن الرضا بعبادتهم ثم اضربوا عن ذلك

جميعا

ونقول انهم عبدوهم على الحقيقة بقولهم بل كانوا يعبدون الجن اى الشياطين
حيث اطاعوهم فى عبادة غير الله وقيل كانوا يتمثلون لهم ويخيلون اليهم انهم الملائكة
فيعبدونهم اكثرهم بهم مؤمنون الضمير الاول للانس او للمشركين والاكثر بمعنى الكل
والثانى للجن فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا اذ الامر فيه كله لله لان
الدار دار جزاء وهو المجازى وحده ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التى
كنتم بها تكذبون عطف على لا يملك مبين للمقصود من تمهيده واذا تتلى عليهم اياتنا
بينات قالوا ما هذا يعنون محمدا عليه الصلوة والسلام الا رجل يريد ان يصدكم
عما كان يعبد اباؤكم فيستتبعكم بما يستبدعه وقالوا ما هذا يعنون القران الا افك
لعدم مطابقة ما فيه الواقع مفترى باضافته الى الله سبحانه وقال الذين كفروا
للحق لما جاءهم لامر النبوة او للاسلام او للقران والاول باعتبار معناه وهذا
باعتبار لفظه واعجازه ان هذا الا سحر مبين ظاهر سحريته وفى تكرير الفعل
والتصريح بذكر الكفرة وما فى اللامين من الاشارة الى القائلين والمقول فيه
وما فى لما من المبادهة الى البت بهذا القول انكار عظيم له وتعجيب بليغ منه
وما اتيناهم من كتب يدرسونها فيها دليل على صحة الاشراك وما ارسلنا اليهم قبلك
من نذير يدعوهم اليه وينذرهم على تركه وقد بان من قبل ان لا وجه له فمن اين وقع
لهم هذه الشبهة وهذا فى غاية التجهيل لهم والتسفيه لرأيهم ثم هددهم فقال وكذب
الذين من قبلهم كما كذبوا وما بلغوا معشار ما اتيناهم وما بلغ هؤلاء عشر ما اتينا
اولئك من القوة وطول العمر وكثرة المال او ما بلغ اولئك عشر ما اتينا هؤلاء من
البينات والهدى فكذبوا رسلى فكيف كان نكير فحين كذبوا رسلى جاءهم انكارى
بالتدمير فكيف كان نكيرى لهم فليحذر هؤلاء من مثله ولا تكرير فى كذب لان الاول
للتكثير والثانى للتكذيب او الاول مطلق والثانى مقيد ولذلك عطف عليه بالفاء
قل انما اعظكم بواحدة ارشدكم وانصح لكم بخصلة واحدة هى ما دل عليه ان تقوموا
لله وهو القيام من مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم او الانتصاب فى الامر خالصا

لوجه الله

لوجه الله تعالى معرضا عن المراء والتقليد مثنى وفرادى متفرقين اثنين اثنين
وواحدا واحدا فان الازدحام يشوش الخاطر ويخلط القول ثم تتفكروا
فى امر محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به لتعلموا حقيقته ومحله الجر على البدل او البيان
او الرفع او النصب باضمار هو او اعنى ما بصاحبكم من جنة فتعلموا ما به جنون
يحمله على ذلك او استيناف منبه لهم على ان ما عرفوا من رجاحة كمال عقله كاف فى
ترجيح صدقه فانه لا يدعه ان يتصدى لادعاء امر خطير وخطب عظيم من غير تحقق
ووثوق ببرهان فيفتضح على رؤس الاشهاد ويلقى نفسه الى الهلاك فكيف وقد انضم
اليه معجزات كثيرة وقيل ما استفهامية والمعنى ثم تتفكروا اى شىء به من اثار الجنون
ان هو الا نذير لكم بين يدى عذاب شديد قدامه لانه مبعوث فى نسم الساعة
قل ما سألتكم من اجر اى شىء سألتكم من اجر على الرسالة فهو لكم والمراد نفى السؤال
كانه جعل التنبى مستلزما لاحد الامرين اما الجنون واما توقع نفع دنيوى
عليه لانه اما ان يكون لغرض او غيره وايا ما كان يلزم احدهما ثم نفى كلا منهما
وقيل ما موصولة مراد بها ما سألهم بقوله ما اسألكم عليه من اجر الا من شاء
ان يتخذ الى ربه سبيلا وقوله لا اسألكم عليه اجرا الا المودة فى القربى واتخاذ السبيل
ينفعهم وقرباه قرباهم ان اجرى الا على الله وهو على كل شىء شهيد مطلع يعلم
صدقى وخلوص نيتى قل ان ربى يقذف بالحق يلقيه وينزله على من يجتبيه من عباده
او يرمى به الباطل فيدمغه او يرمى به الى اقطار الافاق فيكون وعدا باظهار
الاسلام وافشائه علام الغيوب صفة محمولة على محل ان واسمها او بدل من المستكن
فى يقذف او خبر ثان او خبر محذوف وقرئ بالنصب صفة لربى او مقدرا باعنى
والغيوب بالكسر كالبيوت وبالضم كالقعود والعنود وبالفتح كالصبور على انه مبالغة
غائب قل جاء الحق اى الاسلام وما يبدئ الباطل وما يعيد وزهق الباطل
اى الشرك بحيث لم يبق له اثر ماخوذ من هلاك الحى فانه اذا هلك لم يبق له ابداء
ولا اعادة قال اقفر من اهله عبيد فاليوم لا يبدى ولا يعيد وقيل الباطل ابليس

او الصنم والمعنى لا يبقى خلقا ولا يعيده او لا يبدئ خيرا لاهله ولا يعيده وقيل
ما استفهامية منتصبة بما بعدها قل ان ضللت عن الحق فانما اضل على نفسي فان
وبال الضلال عليها فانه بسببها اذ هي الجاهلة بالذات والامارة بالسوء وبهذا
الاعتبار قابل الشرطية بقوله وان اهتديت فبما يوحى الي ربي فان الاهتداء
بهدايته وتوفيقه انه سميع قريب يدرك قول كل ضال ومهتد وفعله وان اخفاه
ولو ترى اذ فزعوا عند الموت او البعث او يوم بدر وجواب لو محذوف مثل
لرايت فظيعا فلا فوت فلا يفوتون الله بهرب او تحصن واخذوا من مكان قريب
من ظهر الارض الى بطنها او من الموقف الى النار او من صحراء بدر الى القليب والعطف
على فزعوا او لا فوت ويؤيده انه قرئ واخذ عطفا على محله اي فلا فوت هناك
وهناك اخذ وقالوا آمنا به بمحمد صلى الله عليه وسلم وقد مر ذكره في قوله ما بصاحبكم
وانى لهم التناوش ومن اين لهم ان يتناولوا الايمان تناولا سهلا من مكان بعيد
فانه في حيز التكليف وقد بعد عنهم وهو تمثيل حالهم في الاستخلاص بالايمان
بعدما فات عنهم وبعد عنهم بحال من يريد ان يتناول الشيء من غلوة تناوله
من ذراع في الاستحالة وقرا ابو عمرو والكوفيون غير حفص بالهمز على قلب الواو
لضمها او انه من نأشت الشيء اذا طلبته قال رؤبة اقحمني جار ابي الجاموس
اليك نأش القدر النؤوش او من نأشت اذا تأخرت ومنه قوله تمنى نئيشا
ان يكون اطاعني وقد حدثت بعد الامور امور فيكون بمعنى التناول من
بعد وقد كفروا به بمحمد صلى الله عليه وسلم او بالعذاب من قبل من قبل ذلك
اوان التكليف ويقذفون بالغيب ويرجمون بالظن ويتكلمون بما لم يظهر لهم في الرسول
عليه الصلوة والسلام من المطاعن او في العذاب من البت على نفيه من مكان بعيد
من جانب بعيد من امره وهي الشبهة التي تمحلوها في امر الرسول صلى الله عليه وسلم
وحال الآخرة كما حكاه من قبل ولعله تمثيل لحالهم في ذلك بحال من يرمي شيئا
لا يراه من مكان بعيد لا مجال للظن في لحوقه وقرئ ويقذفون على ان الشيطان

يلقي اليهم ويلقنهم ذلك والعطف على وقد كفروا على حكاية الحال الماضية او
على قالوا فيكون تمثيلا لحالهم بحال القاذف في تحصيل ما ضيعوه من الايمان في الدنيا
وحيل بينهم وبين ما يشتهون من نفع الايمان والنجاة به من النار وقرا ابن عامر والكسائي
بالضم للحاء كما فعل باشياعهم من قبل باشباههم من كفرة الامم الدارجة انهم كانوا
في شك مريب موقع في الريبة او ذي ريبة منقول من المشكك او الشاك نعت به
الشك للمبالغة عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرا سورة
سبا لم يبق رسول ولا نبي الا كان له يوم القيامة رفيقا وصاحبا

سورة الملائكة وهي خمس واربعون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله فاطر السموات والارض مبدعهما من الفطر بمعنى
الشق كانه شق العدم باخراجهما منه والاضافة محضة لانه بمعنى الماضي جاعل
الملائكة رسلا وسائط بين الله وبين انبيائه والصالحين من عباده يبلغون اليهم
رسالاته بالوحي والالهام والرؤيا الصادقة او بينه وبين خلقه يوصلون اليهم
آثار صنعه اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع ذوي اجنحة متعددة متفاوتة بتفاوت
ما لهم من المراتب ينزلون بها ويعرجون او يسرعون بها نحو ما وكلهم الله عليه فيتصرفون
فيه على ما امرهم به ولعله لم يرد خصوصية الاعداد ونفي ما زاد عليها لما روي
انه عليه الصلوة والسلام رأى جبرئيل عليه السلام ليلة المعراج وله ستمائة جناح
يزيد في الخلق ما يشاء استئناف للدلالة على ان تفاوتهم في ذلك مقتضى مشيئته
ومؤدى حكمته لا امر تستدعيه ذواتهم لان اختلاف الاصناف والانواع بالخواص
والفصول ان كان لذواتهم المشتركة لزم تنافي لوازم الامور المتفقة وهو محال
والآية متناولة زيادات الصور والمعاني كملاحة الوجه وحسن الصوت وحصافة
العقل وسماحة النفس ان الله على كل شيء قدير وتخصيص بعض الاشياء بالتحصيل
دون بعض انما هو من جهة الارادة ما يفتح الله للناس ما يطلق لهم ويرسل وهو من

يجوز التسبب للمسبب من رحمة كنعمة وامن وصحة وعلم ونبوة فلا ممسك لها يحبسها
وما يمسك فلا مرسل له يطلقه واختلاف الضميرين لان الموصول الاول مفسر بالرحمة
والثاني مطلق يتناولها والغضب وفي ذلك اشعار بان رحمته سبقت غضبه
من بعده من بعد امساكه وهو العزيز الغالب على ما يشاء ليس لاحد ان ينازعه
فيه الحكيم الذي لا يفعل الا بعلم واتقان ثم لما بين انه الموجد للملك والملكوت
والمتصرف فيهما على الاطلاق امر الناس بشكر انعامه فقال يا ايها الناس
اذكروا نعمة الله عليكم احفظوها بمعرفة حقها والاعتراف بها وطاعة مولاها
ثم انكر ان يكون لغيره في ذلك مدخل فيستحق ان يشرك به بقوله هل من خالق غير الله
يرزقكم من السماء والارض ولذلك رتب عليه لا اله الا هو فانى تؤفكون فمن اي وجه
تصرفون عن التوحيد الى اشراك غيره به ورفع غير للحمل على محل من خالق بانه
وصف او بدل فان الاستفهام بمعنى النفي او لانه فاعل خالق وجره حمزة والكسائي
حملا على لفظه وقد نصب على الاستثناء ويرزقكم صفة لخالق او استئناف مفسر له
او كلام مبتدأ وعلى الاخير يكون اطلاق هل من خالق مانعا من اطلاقه على غير الله
وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك اي فتأس بهم في الصبر على تكذيبهم فوضع
فقد كذبت موضعه استغناء بالسبب عن المسبب وتنكير رسل للتعظيم المقتضي زيادة
التسلية والحث على المصابرة والى الله ترجع الامور فيجازيك واياهم على الصبر
والتكذيب يا ايها الناس ان وعد الله بالحشر والجزاء حق لا خلف فيه فلا تغرنكم
الحيوة الدنيا فيذهلكم التمتع بها عن طلب الآخرة والسعي لها ولا يغرنكم بالله
الغرور الشيطان بان يمنيكم المغفرة مع الاصرار على المعصية فانها وان امكنت لكن
الذنب بهذا التوقع كتناول السم اعتمادا على دفع الطبيعة وقرئ بالضم وهو مصدر
او جمع كقعود ان الشيطان لكم عدو عداوة عامة قديمة فاتخذوه عدوا في
عقائدكم وافعالكم وكونوا على حذر منه في مجامع احوالكم انما يدعوا حزبه
ليكونوا من اصحاب السعير تقرير لعداوته وبيان لغرضه في دعوة شيعته الى اتباع

الهوى والركون الى الدنيا الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا
وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر كبير وعيد لمن اجاب دعاءه ووعد لمن خالفه
وقطع للاماني الفارغة وبناء للامر كله على الايمان والعمل الصالح وقوله افمن
زين له سوء عمله فرآه حسنا تقرير له اي افمن زين له سوء عمله بان غلب وهمه
وهواه على عقله حتى انتكس رأيه فرأى الباطل حقا والقبيح حسنا كمن لم يزين له
بل وفق حتى عرف الحق واستحسن الاعمال واستقبحها على ما هي عليه فحذف الجواب
لدلالة فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وقيل تقديره افمن زين له
سوء عمله ذهبت نفسك عليهم حسرة فحذف الجواب لدلالة فلا تذهب نفسك
عليهم حسرات عليه ومعناه فلا تهلك نفسك عليهم للحسرات على غيهم واصرارهم
على التكذيب والفاءات الثلث للسببية غير ان الاوليين دخلتا على السبب والثالثة
دخلت على المسبب وجمع الحسرات للدلالة على تضاعف اغتمامه على احوالهم او كثرة
مساوي افعالهم المقتضية للتأسف وعليهم ليس صلة لها لان صلة المصدر لا تتقدمه
بل صلة تذهب او بيان للمتحسر عليه ان الله عليم بما يصنعون فيجازيهم عليه والله
الذي ارسل الرياح وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي الريح فتثير سحابا على حكاية
الحال الماضية استحضارا لتلك الصورة البديعة الدالة على كمال الحكمة ولان
المراد بيان احداثها بهذه الخاصية ولذلك اسنده اليها ويجوز ان يكون اختلاف
الافعال للدلالة على استمرار الامر فسقناه الى بلد ميت فاحيينا به الارض بالمطر
النازل منه وذكر السحاب كذكره او بالسحاب فانه سبب السبب او الصائر مطرا
بعد موتها بعد يبسها والعدول فيهما من الغيبة الى ما هو ادخل في الاختصاص لما فيهما
من مزيد الصنع كذلك النشور اي مثل احياء الموات نشور الاموات في صحة المقدورية
اذ ليس بينهما الا احتمال اختلاف المادة في المقيس عليه وذلك لا مدخل لها فيها وقيل
في كيفية الاحياء فانه تعالى يرسل ماء من تحت العرش تنبت منه اجساد
الخلق من كان يريد العزة الشرف والمنعة فلله العزة جميعا اي فليطلبها من عنده

وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص بتشديد الياء

فان كلها له فاستغنى بالدليل عن المدلول اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح
يرفعه بيان لما يطلب به العزة وهو التوحيد والعمل الصالح وصعودهما اليه مجاز
عن قبوله اياهما او صعود الكتبة بصحيفتهما والمستكن في يرفعه للكلم فان العمل لا يقبل
الا بالتوحيد ويؤيده انه نصب العمل او للعمل فانه يحقق الايمان ويقويه او لله
وتخصيص العمل بهذا الشرف لما فيه من الكلفة وقرئ يصعد على البناء للمفعول والمصعد هو الله
تعالى او المتكلم به او الملك وقيل الكلم الطيب يتناول الذكر والدعاء وقراءة القرآن
وعنه عليه الصلوة والسلام هو سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر
اذا قالها العبد عرج بها الملك الى السماء فحيا بها وجه الرحمن فاذا لم يكن عمل صالح
لم يقبل والذين يمكرون السيئات المكرات السيئات يعني مكرات قريش للنبي صلى الله
عليه وسلم في دار الندوة وتداورهم الرأي في احدى ثلث حبسه وقتله واجلائه
لهم عذاب شديد لا يؤبه دونه بما يمكرون به ومكر اولئك هو يبور
يفسد ولا ينفذ لان الامور مقدرة لا تتغير به والله خلقكم من تراب بخلق آدم منه
ثم من نطفة بخلق ذريته منها ثم جعلكم ازواجا ذكرانا واناثا وما تحمل من انثى
ولا تضع الا بعلمه الا معلومة له وما يعمر من معمر وما يمد في عمره من مصيره الى الكبر
ولا ينقص من عمره من عمر المعمر لغيره بان يعطى له عمر ناقص من عمره او لا ينقص من عمر
المنقوص عمره بجعله ناقصا والضمير له وان لم يذكر لدلالة مقابله عليه او للمعمر
على التسامح فيه ثقة بفهم السامع كقولهم لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه الا بحق
وقيل الزيادة والنقصان في عمر واحد باعتبار اسباب مختلفة اثبتت في اللوح
مثل ان يكون فيه ان حج زيد فعمره ستون سنة والا فاربعون وقيل المراد بالنقصان
ما يمر من عمره وينقص فانه يكتب في صحيفة عمره يوما فيوما وعن يعقوب ولا
ينقص على بناء الفاعل الا في كتاب هو علم الله او اللوح او الصحيفة ان ذلك
على الله يسير اشارة الى الحفظ او الزيادة والنقص وما يستوي البحران هذا عذب
فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ضرب مثل للمؤمن والكافر والفرات الذي

يكسر العطش والسائغ الذي يسهل انحداره والاجاج الذي يحرق بملوحته وقرئ
سيغ بالتشديد والتخفيف وملح على فعل ومن كل تاكلون لحما طريا وتستخرجون
حلية تلبسونها استطراد في صفة البحرين وما فيهما من النعم او تمام التمثيل والمعنى
كما انهما وان اشتركا في بعض الفوائد لا يتساويان من حيث انهما لا يتساويان فيما هو
المقصود بالذات من الماء فانه خالط احدهما ما افسده وغيره عن كمال فطرته
لا يتساوى المؤمن والكافر وان اتفق اشتراكهما في بعض الصفات كالشجاعة
والسخاوة لاختلافهما فيما هو الخاصية العظمى وبقاء احدهما على الفطرة الاصلية
دون الآخر او تفضيل للاجاج على الكافر بما يشارك فيه العذب من المنافع والمراد
بالحلية اللآلي واليواقيت وترى الفلك فيه في كل مواخر تشق الماء بجريها
لتبتغوا من فضله من فضل الله بالنقلة فيها واللام متعلقة بمواخر ويجوز ان
يتعلق بما دل عليه الافعال المذكورة ولعلكم تشكرون على ذلك وحرف الترجي
باعتبار ما يقتضيه ظاهر الحال يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل
وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى هي مدة دوره او منتهاه او يوم القيمة
ذلكم الله ربكم له الملك الاشارة الى الفاعل لهذه الاشياء وفيها اشعار
بان فاعليته لها موجبة لثبوت الاخبار المترادفة ويحتمل ان يكون له الملك
كلاما مبتدأ في قران والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير للدلالة على
تفرده بالالوهية والربوبية والقطمير لفافة النواة ان تدعوهم لا يسمعوا
دعاءكم لانهم جماد ولو سمعوا على سبيل الفرض ما استجابوا لكم لعدم قدرتهم
على الانفاع او لتبريهم منكم مما تدعون لهم ويوم القيمة يكفرون بشرككم
باشراككم لهم يقرون ببطلانه او يقولون ما كنتم ايانا تعبدون ولا ينبئك مثل خبير
ولا يخبرك بالامر مخبر مثل خبير به اخبرك وهو الله سبحانه فانه الخبير به على
الحقيقة دون سائر المخبرين والمراد تحقيق ما اخبر به من حال آلهتهم ونفي ما يدعون
لهم يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله في انفسكم وما يعن لكم وتعريف الفقراء

للمبالغة في فقرهم كأنهم لشدة افتقارهم وكثرة احتياجهم هم الفقراء وأن افتقار
سائر الخلائق بالإضافة إلى فقرهم غير معتد به ولذلك قال وخلق الإنسان
ضعيفا والله هو الغني الحميد المستغني على الإطلاق المنعم على سائر الموجودات
حتى استحق عليهم الحمد إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد بقوم آخرين أطوع منكم
أو بعالم آخر غير ما تعرفونه وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر أو متعسر ولا تزر
وازرة وزر أخرى ولا تحمل نفس آثمة إثم نفس أخرى وأما قوله تعالى وليحملن
أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم ففي الضالين المضلين فإنهم يحملون أثقال إضلالهم مع
أثقال ضلالهم وكل ذلك أوزارهم ليس فيها شيء من أوزار غيرهم وإن تدع مثقلة
نفس أثقلتها الأوزار إلى حملها يحمل بعض أوزارها لا يحمل منه شيء لم تجب لحمل شيء منه
نفي أن يحمل عليها ذنبها كما نفى أن يحمل عليها ذنب غيرها ولو كان ذا قربى ولو كان
المدعو ذا قرابتها فأضمر المدعو لدلالة إن تدع عليه وقرئ ذو قربى على
حذف الخبر وهو أولى من جعل كان التامة فإنها لا تلائم نظم الكلام إنما تنذر الذين
يخشون ربهم بالغيب غائبين عن عذابه أو عن الناس في خلواتهم أو غائبا عنهم عذابه
وأقاموا الصلوة فإنهم المنتفعون بالإنذار لا غير واختلاف الفعلين لما مر ومن تزكى
ومن تطهر عن دنس المعاصي فإنما يتزكى لنفسه إذ نفعه لها وقرئ ومن ازكى فإنما
يزكى وهو اعتراض مؤكد لخشيتهم وإقامتهم الصلوة لأنهما من جملة التزكي وإلى الله
المصير فيجازيهم على تزكيهم وما يستوي الأعمى والبصير الكافر والمؤمن وقيل
هما مثلان للصنم ولله عز وجل ولا الظلمات ولا النور ولا الباطل ولا الحق
ولا الظل ولا الحرور ولا الثواب ولا العقاب ولا لتأكيد نفي الاستواء وتكريرها
على الشقين لمزيد التأكيد والحرور فعول من الحر غلب على السموم وقيل السموم
ما تهب نهارا والحرور ما تهب ليلا وما يستوي الأحياء ولا الأموات تمثيل آخر
للمؤمنين والكافرين أبلغ من الأول ولذلك كرر الفعل وقيل للعلماء والجهلاء
إن الله يسمع من يشاء هدايته فيوفقه لفهم آياته والاتعاظ بعظاته وما أنت بمسمع

من في القبور ترشيح لتمثيل المصرين على الكفر بالأموات ومبالغة في إقناطه عنهم
إن أنت إلا نذير فما عليك إلا الإنذار وأما الإسماع فلا إليك ولا حيلة
لك إليه في المطبوع على قلوبهم إنا أرسلناك بالحق محقين أو محقا أو إرسالا
مصحوبا بالحق ويجوز أن يكون صلة لقوله بشيرا ونذيرا أي بشيرا بالوعد الحق
ونذيرا بالوعيد الحق وإن من أمة أهل عصر إلا خلا مضى فيها نذير من نبي
أو عالم ينذر عنه والاكتفاء بذكره للعلم بأن النذارة قرينة البشارة سيما
وقد قرن به من قبل أو لأن الإنذار هو المقصود الأهم من البعثة وإن يكذبوك
فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات الشاهدة على نبوتهم
وبالزبر كصحف إبراهيم وبالكتاب المنير كالتورية والإنجيل على إرادة التفصيل
دون الجمع ويجوز أن يراد بهما واحد والعطف لتغاير الوصفين ثم أخذت الذين كفروا
فكيف كان نكير أي إنكاري بالعقوبة ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به
ثمرات مختلفا ألوانها أجناسها أو أصنافها على أن كلا منها أصناف مختلفة
أو هيئاتها من الصفرة والخضرة ونحوهما ومن الجبال جدد ذو جدد أي خطط
وطرائق يقال جدة الحمار للخطة السوداء على ظهره وقرئ جدد بالضم جمع جديدة
بمعنى الجدة وجدد بفتحتين وهو الطريق الواضح بيض وحمر مختلف ألوانها بالشدة
والضعف وغرابيب سود عطف على بيض أو على جدد كأنه قيل ومن الجبال
ذو جدد مختلفة اللون ومنها غرابيب متحدة اللون وهو تأكيد مضمر يفسره
سود فإن الغرابيب تأكيد للأسود ومن حق التأكيد أن يتبع المؤكد ونظير ذلك
في الصفة قول النابغة والمؤمن العائذات الطير وفي مثله مزيد تأكيد لما فيه من
التكرير باعتبار الإضمار والإظهار ومن الناس والدواب والأنعام مختلف
ألوانه كذلك كاختلاف الثمار والجبال إنما يخشى الله من عباده العلماء إذ شرط
الخشية معرفة المخشي والعلم بصفاته وأفعاله فمن كان أعلم به كان أخشى منه
ولذلك قال عليه الصلوة والسلام إني أخشاكم لله وأتقاكم له ولهذا أتبعه ذكر

افعاله الدالة على كمال قدرته وتقديم المفعول لان المقصود حصر الفاعلية
ولو اخر انعكس الامر وقرئ برفع الله ونصب العلماء على ان الخشية مستعار للتعظيم
فان المعظم يكون مهيبا ان الله عزيز غفور تعليل لوجوب الخشية لدلالته على
انه معاقب للمصر على طغيانه غفور للتائب عن عصيانه ان الذين يتلون كتاب الله
يداومون على قراءته او متابعة ما فيه حتى صارت سمة لهم وعنوانا والمراد بكتاب
الله القرآن او جنس كتب الله فيكون ثناء على المصدقين من الامم بعد اقتصاص
حال المكذبين واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية كيف اتفق
من غير قصد اليهما وقيل السر في المسنونة والعلانية في المفروضة يرجون تجارة تحصيل
ثواب بالطاعة وهو خبر ان لن تبور لن تكسد ولن تهلك بالخسران صفة للتجارة
وقوله ليوفيهم اجورهم علة لمدلوله اي ينتفي عنها الكساد وتنفق عند الله ليوفيهم
بنفاقها اجور اعمالهم او لمدلول ما عد من افعالهم نحو فعلوا ذلك ليوفيهم او عاقبة
ليرجون ويزيدهم من فضله على ما يقابل اعمالهم انه غفور لفرطاتهم شكور لطاعاتهم
اي مجازيهم عليها وهو علة للتوفية والزيادة او خبر ان ويرجون حال من واو انفقوا
والذي اوحينا اليك من الكتاب يعني القرآن ومن للتبيين او الجنس او للتبعيض
هو الحق مصدقا لما بين يديه احقه مصدقا لما تقدمه من الكتب السماوية حال مؤكدة
لان حقيته تستلزم موافقته اياه في العقائد واصول الاحكام ان الله بعباده
لخبير بصير عالم بالبواطن والظواهر فلو كان في احوالك ما ينافي النبوة لم يوح اليك
مثل هذا الكتاب المعجز الذي هو عيار على سائر الكتب وتقديم الخبير للدلالة على
ان العمدة في ذلك الامور الروحانية ثم اورثنا الكتاب حكمنا بتوريثه منك
او نورثه فعبر عنه بالماضي لتحققه او ورثناه من الامم السالفة والعطف على ان
الذين يتلون والذي اوحينا اليك اعتراض لبيان كيفية التوريث الذين اصطفينا
من عبادنا يعني علماء الامة من الصحابة ومن بعدهم او الامة باسرهم فان الله
اصطفاهم على سائر الامم فمنهم ظالم لنفسه بالتقصير في العمل به ومنهم مقتصد

يعمل به في اغلب الامور ومنهم سابق بالخيرات باذن الله بضم التعليم والارشاد
الى العمل وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم وقيل الظالم
المجرم والمقتصد الذي خلط الصالح بالسيء والسابق الذي ترجحت حسناته بحيث
صارت سيئاته مكفرة وهو معنى قوله عليه الصلوة والسلام اما الذين سبقوا
فاولئك يدخلون الجنة بغير حساب واما الذين اقتصدوا فاولئك يحاسبون حسابا
يسيرا واما الذين ظلموا انفسهم فاولئك يحبسون في طول المحشر ثم يتلقاهم الله برحمته
وقيل الظالم الكافر على ان الضمير للعباد وتقديمه لكثرة الظالمين ولان الظلم بمعنى
الجهل والركون الى الهوى مقتضى الجبلة والاقتصاد والسبق عارضان ذلك هو الفضل
الكبير اشارة الى التوريث والاصطفاء والسبق جنات عدن يدخلونها مبتدأ وخبر
والضمير للثلاثة او للذين او للمقتصد والسابق فان المراد بهما الجنس وقرئ جنة عدن
وجنات منصوبة بفعل يفسره الظاهر وقرأ ابو عمرو يدخلونها على بناء المفعول
يحلون فيها خبر ثان او حال مقدرة وقرئ يحلون من حليت المرأة فهي حالية من اساور
من ذهب من الاولى للتبعيض والثانية للتبيين ولؤلؤا عطف على ذهب اي من ذهب
مرصع باللؤلؤ او من ذهب في صفاء اللؤلؤ ونصبه نافع وعاصم عطفا على محل
من اساور ولباسهم فيها حرير وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن همهم
من خوف العاقبة او همهم من اجل المعاش وآفاته او من وسوسة ابليس وغيرها
وقرئ الحزن ان ربنا لغفور للمذنبين شكور للمطيعين الذي احلنا دار المقامة
دار الاقامة من فضله من انعامه وتفضله اذ لا واجب عليه لا يمسنا فيها نصب تعب
ولا يمسنا فيها لغوب كلال اذ لا تكليف فيها ولا كد اتبع نفي النصب نفي ما يتبعه
مبالغة والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم لا يحكم عليهم بموت ثان
فيموتوا ويستريحوا ونصبه باضمار ان وقرئ فيموتون عطفا على يقضى كقوله
ولا يؤذن لهم فيعتذرون ولا يخفف عنهم من عذابها بل كلما خبت زيد اسعارها
كذلك مثل ذلك الجزاء نجزي كل كفور مبالغ في الكفر او الكفران وقرأ ابو عمرو

يجزى على بناء المفعول واسناده الى كل وقرئ يجازى وهم يصطرخون فيها
يستغيثون يفتعلون من الصراخ وهو الصياح استعمل في الاستغاثة لجهر المستغيث
صوته ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل باضمار القول وتقييد العمل الصالح
بالوصف المذكور للتحسر على ما عملوه من غير الصالح والاعتراف به والاشعار بان
استخراجهم لتلافيه وانهم كانوا يحسبون انه صالح والآن تحقق لهم خلافه اولم نعمركم
ما يتذكر فيه من تذكر جواب من الله وتوبيخ لهم وما يتذكر فيه متناول كل عمر تمكن
المكلف فيه من التفكر والتذكر وقيل ما بين العشرين الى الستين وعنه عليه الصلوة والسلام
العمر الذي اعذر الله فيه الى ابن آدم ستون سنة والعطف على معنى اولم نعمركم
فانه للتقرير كانه قيل عمرناكم وجاءكم النذير وهو النبي او الكتاب وقيل العقل
او الشيب او موت الاقارب فذوقوا فما للظالمين من نصير يدفع العذاب عنهم
ان الله عالم غيب السموات والارض لا يخفى عليه خافية فلا يخفى عليه احوالهم انه عليم
بذات الصدور وهي اخفى ما يكون كان اعلم بغيرها هو الذي جعلكم خلائف في
الارض يلقي اليكم مقاليد التصرف فيها وقيل خلفا بعد خلف جمع خليفة والخلفاء
جمع خليف فمن كفر فعليه كفره جزاء كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا
ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا بيان له والتكرير للدلالة على ان اقتضاء
الكفر لكل واحد من الامرين مستقل باقتضاء قبحه ووجوب التجنب عنه والمراد بالمقت
وهو اشد البغض مقت الله وبالخسار خسار الآخرة قل ارأيتم شركاءكم الذين
تدعون من دون الله يعني آلهتهم والاضافة اليهم لانهم جعلوهم شركاء الله او لانفسهم
فيما يملكونه اروني ماذا خلقوا من الارض بدل من ارأيتم بدل الاشتمال لانه بمعنى
اخبروني كانه قال اخبروني عن هؤلاء الشركاء اروني اي جزء من الارض استبدوا
بخلقه ام لهم شرك في السموات ام لهم شركة مع الله في خلق السموات فاستحقوا بذلك
شركة في الالوهية ذاتية ام آتيناهم كتابا ينطق على انا اتخذنا شركاء فهم
على بينة منه على حجة من ذلك الكتاب بان لهم شركة جعلية ويجوز ان يكون هم للمشركين

كقوله

كقوله ام انزلنا عليهم سلطانا وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب وابو بكر والكسائي
على بينات فيكون ايماء الى ان الشرك خطير لا بد فيه من تعاضد الدلائل بل ان يعد
الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا لما نفى انواع الحجج في ذلك اضرب عنه بذكر ما
حملهم عليه وهو تغرير الاسلاف الاخلاف او الرؤساء الاتباع بانهم شفعاء
عند الله يشفعون لهم بالتقرب اليه ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا
كراهة ان تزولا فان الممكن حال بقائه لا بد له من حافظ او يمنعهما ان تزولا لان
الامساك منع ولئن زالتا ان امسكهما ما امسكهما من احد من بعده من بعد الله ومن
بعد الزوال والجملة سادة مسد الجوابين ومن الاولى زائدة والثانية للابتداء
انه كان حليما غفورا حيث امسكهما وكانتا جديرتين بان تهدا هدا كما قال تكاد
السموات يتفطرن منه وتنشق الارض واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم
نذير ليكونن اهدى من احدى الامم وذلك ان قريشا لما بلغهم ان اهل الكتاب كذبوا
رسلهم قالوا لعن الله اليهود والنصارى لو اتانا رسول لنكونن اهدى من
احدى الامم اي من واحدة من الامم اليهود والنصارى وغيرهم او من الامة التي يقال
فيها هي احدى الامم تفضيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة فلما جاءهم نذير
يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ما زادهم اي النذير او مجيئه على التسبب الا نفورا
تباعدا عن الحق استكبارا في الارض بدل من نفورا او مفعول له ومكر السيء اصله
وان مكروا المكر السيء فحذف الموصوف استغناء بوصفه ثم بدل ان مع الفعل
بالمصدر ثم اضيف وقرأ حمزة وحده بسكون الهمزة في الوصل ولا يحيق ولا يحيط
المكر السيء الا باهله وهو الماكر وقد حاق بهم يوم بدر وقرئ ولا يحيق المكر
اي لا يحيق الله فهل ينظرون ينتظرون الا سنة الاولين سنة الله فيهم بتعذيب
مكذبيهم فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا اذ لا يبدلها
بجعل غير التعذيب تعذيبا ولا يحولها بان ينقله من المكذبين الى غيرهم وقوله
اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم استشهاد عليه

بما يشاهدونه في مسايرهم الى الشام واليمن والعراق من آثار الماضين وكانوا
اشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء ليسبقه ويفوته في السموات ولا في
الارض انه كان عليما بالاشياء كلها قديرا عليها ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا
من المعاصي ما ترك على ظهرها على ظهر الارض من دابة من نسمة تدب عليها بشؤم معاصيهم
وقيل المراد بالدابة الانس وحده لقوله ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى هو يوم
القيمة فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا فيجازيهم على اعمالهم عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة الملائكة دعته ثمانية ابواب الجنة ان ادخل من اي باب شئت

سورة يس مكية وآيها ثلاث وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يس كالم في المعنى والاعراب وقيل معناه يا انسان
بلغة طي على ان اصله يا انيسين فاقتصر على شطره لكثرة النداء به كما قيل م الله في
ايمن الله وقرئ بالكسر كجير وبالفتح على البناء كاين او الاعراب على اتل يس او باضمار
حرف القسم والفتحة لمنع الصرف وبالضم بناء كحيث واعرابا على هذه يس وامال
الياء حمزة والكسائي وابو بكر وروح وادغم النون في واو والقرآن الحكيم
ابن عامر والكسائي وابو بكر وورش ويعقوب وهي واو القسم او العطف ان جعل
يس مقسما به انك لمن المرسلين لمن الذين ارسلوا على صراط مستقيم وهو التوحيد
والاستقامة في الامور ويجوز ان يكون على صراط خبرا ثانيا او حالا من المستكن
في الجار والمجرور وفائدته وصف الشرع بالاستقامة صريحا وان دل عليه لمن المرسلين
التزاما تنزيل العزيز الرحيم خبر محذوف والمصدر بمعنى المفعول وقرأ ابن عامر
وحمزة والكسائي وحفص بالنصب باضمار اعني وبفعله على انه على اصله وقرئ بالجر
على البدل من القرآن لتنذر قوما متعلق بتنزيل او بمعنى لمن المرسلين ما انذر
اباؤهم قوما غير منذر اباؤهم يعني اباءهم الاقربين لتطاول مدة الفترة فيكون
صفة مبينة لشدة حاجتهم الى ارساله او الذي انذر به او شيئا انذر به اباؤهم

الابعدون

الابعدون فيكون مفعولا ثانيا لتنذر او ما انذر اباؤهم على المصدر فهم غافلون
متعلق بالنفي على الاول اي لم ينذروا فبقوا غافلين او بقوله انك لمن المرسلين
على الوجوه الاخر اي ارسلناك اليهم لتنذرهم فانهم غافلون لقد حق القول على
اكثرهم يعني قوله لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين فهم لا يؤمنون لانهم ممن
علم انهم لا يؤمنون انا جعلنا في اعناقهم اغلالا تقرير لتصميمهم على الكفر والطبع
على قلوبهم بحيث لا تغني عنهم الآيات والنذر بتمثيلهم بالذين غلت اعناقهم فهي
الى الاذقان فالاغلال واصلة الى اذقانهم فلا تخليهم يطأطئون فهم مقمحون
رافعون رؤسهم غاضون ابصارهم في انهم لا يلتفتون لفت الحق ولا يعطفون
اعناقهم نحوه ولا يطأطئون رؤسهم له وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم
سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون وبمن احاط بهم سدان فغطى ابصارهم بحيث لا يبصرون
قدامهم ووراءهم في انهم محبوسون في مطمورة الجهالة ممنوعون عن النظر
في الآيات والدلائل وقرأ حمزة والكسائي وحفص سدا بالفتح وهو لغة فيه
وقيل ما كان من فعل الناس فبالفتح وما كان من خلق الله فبالضم وقرئ فاعشيناهم
من العشى وقيل الآيتان في بني مخزوم حلف ابو جهل ان يرضخ رأس النبي
صلى الله عليه وسلم فاتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه فلما رفع يده انثنت
الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع الى قومه فاخبرهم فقال
مخزومي آخر انا اقتله بهذا الحجر فذهب فاعماه الله تعالى وسواء عليهم ءانذرتهم
ام لم تنذرهم لا يؤمنون سبق في البقرة انما تنذر انذارا يترتب عليه البغية
المرومة من اتبع الذكر اي القرآن بالتأمل فيه والعمل به وخشي الرحمن بالغيب
وخاف عقابه قبل حلوله ومعاينة اهواله او في سريرته ولا يغتر برحمته فانه
كما هو رحمن منتقم قهار فبشره بمغفرة واجر كريم انا نحن نحيي الموتى الاموات
بالبعث او الجهال بالهداية ونكتب ما قدموا ما اسلفوا من الاعمال الصالحة
والطالحة وآثارهم الحسنة كعلم علموه وحبيس وقفوه والسيئة كاشاعة باطل

وتأسيس

منها ليس كطمع وكل شيء احصيناه في امام مبين يعني اللوح المحفوظ واضرب لهم
ومثل لهم من قولهم هذه الاشياء على ضرب واحد اي مثال واحد وهو يتعدى الى
مفعولين لتضمنه معنى الجعل وهما مثلا اصحاب القرية على حذف المضاف اي اجعل
مثل اصحاب القرية مثلا ويجوز ان يقتصر على واحد ويجعل المقدر بدلا من الملفوظ
او بيانا له والقرية انطاكية اذ جاءها المرسلون بدل من اصحاب القرية والمرسلون
رسل عيسى الى اهلها واسناده الى نفسه في قوله اذ ارسلنا اليهم اثنين لانه فعل رسوله
وخليفته وهما يحيى ويونس وقيل غيرهما فكذبوهما فعززنا فقوينا وقرأه ابو بكر
مخففا من عزه اذا غلبه وحذف المفعول لدلالة ما قبله عليه ولان المقصود ذكر
المعزز به بثالث هو شمعون فقالوا انا اليكم مرسلون وذلك انهم كانوا عبدة اصنام
فارسل اليهم عيسى اثنين فلما قربا من المدينة رايا حبيبا النجار يرعى غنما فسالهما
فاخبراه فقال امعكما آية فقالا نشفي المريض ونبرئ الاكمه والابرص وكان له ولد
مريض [منذ سنتين] فمسحاه فبرأ فآمن حبيب وفشى الخبر فشفي على ايديهما خلق كثير وبلغ حديثهما
الى الملك وقال لهما ألنا اله سوى آلهتنا قالا نعم من اوجدك وآلهتك فقال
حتى انظر في امركما فحبسهما ثم بعث عيسى شمعون فدخل متنكرا وعاشر اصحاب الملك
حتى استأنسوا به واوصلوه الى الملك فانس به فقال له يوما سمعت انك حبست
رجلين فهل سمعت ما يقولانه قال لا فدعاهما فقال شمعون من ارسلكما قالا الله
الذي خلق كل شيء وليس له شريك فقال صفاه واوجزا قالا يفعل ما يشاء ويحكم
ما يريد قال وما آيتكما قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله
حتى انشق له بصر واخذا بندقتين فوضعاهما في حدقتيه فصارتا مقلتين ينظر بهما
فقال له شمعون ارأيت لو سألت الهك حتى يصنع مثل هذا حتى يكون لك وله
الشرف فقال ليس لي عنك سر الهنا لا يبصر ولا يسمع ولا ينفع ولا يضر فقال ان
قدر الهكما على احياء ميت آمنا به فدعوا بغلام مات منذ سبعة ايام فدعوا فقام
وقال اني دخلت في سبعة اودية من النار وانا احذركم ما انتم فيه فآمنوا وقال

فتحت ابواب السماء ورأيت شابا حسنا يشفع لهؤلاء الثلاثة شمعون وهذان
فلما رأى شمعون ان قوله قد اثر فيه نصحه وآمن في جمع ومن لم يؤمن صاح عليهم
جبريل فهلكوا قالوا ما انتم الا بشر مثلنا لا مزية لكم علينا تقتضي اختصاصكم
بما تدعون ورفع بشر لانتقاض النفي المقتضي اعمال ما بالا وما انزل الرحمن
من شيء وحي ورسالة ان انتم الا تكذبون في دعوى رسالته قالوا ربنا
يعلم انا اليكم لمرسلون استشهدوا بعلم الله وهو يجري مجرى القسم وزادوا اللام
المؤكدة لانه جواب عن انكارهم وما علينا الا البلاغ المبين الظاهر المبين
بالآيات الشاهدة بصحته وهو المحسن للاستشهاد فانه لا يحسن الا ببينة قالوا انا
تطيرنا بكم تشاءمنا بكم وذلك لاستغرابهم ما ادعوه واستقباحهم له وتنفرهم
عنه لئن لم تنتهوا عن مقالتكم هذه لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب اليم قالوا
طائركم معكم سبب شؤمكم معكم وهو سوء عقائدكم واعمالكم وقرئ طيركم معكم
ائن ذكرتم وعظتم به وجواب الشرط محذوف مثل تطيرتم لا ان ذكرتم وان
وان بغير استفهام واين ذكرتم بالتخفيف بمعنى طائركم معكم حيث جرى ذكركم
وهو ابلغ بل انتم قوم مسرفون قوم عادتكم الاسراف في العصيان فمن ثم جاءكم
الشؤم او في الضلال ولذلك توعدتم وتشاءمتم بمن يجب ان يكرم ويتبرك به
وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى هو حبيب النجار وكان ينحت اصنامهم وهو ممن
آمن بمحمد عليه الصلوة والسلام وبينهما ستمائة سنة وقيل كان في غار يعبد الله
فلما بلغه خبر الرسل اتاهم واظهر دينه قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم
اجرا على النصح وتبليغ الرسالة وهم مهتدون الى خير الدارين وما لي لا اعبد الذي
فطرني تلطف في الارشاد بايراده في معرض المناصحة لنفسه وامحاض النصح حيث
اراد لهم ما اراد لها والمراد تقريعهم على تركهم عبادة خالقهم الى عبادة غيره
ولذلك قال واليه ترجعون مبالغة في التهديد ثم عاد الى المساق الاول فقال
أأتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا لا ينفعني

شفاعتهم ولا ينقذون من الضر والمظاهرة اني اذا لفي ضلال مبين فان ايثار
ما لا ينفع ولا يدفع ضرا بوجه ما على الخالق المقتدر على النفع والضر واشراكه
به ضلال بين لا يخفى على عاقل اني آمنت بربكم الذي خلقكم فاسمعون فاسمعوا
ايماني وقيل الخطاب للرسل فانه لما نصح قومه اخذوا يرجمونه فاسرع نحوهم
قبل ان يقتلوه قيل ادخل الجنة قيل له ذلك لما قتلوه بشرى بانه من اهل الجنة
او اكراما واذنا في دخولها كسائر الشهداء او لما هموا بقتله رفعه الله الى الجنة
على ما قاله الحسن وانما لم يقل له لان الغرض بيان المقول دون المقول له فانه
معلوم والكلام استئناف في حيز الجواب عن السؤال عن حاله عند لقاء ربه
بعد تصلبه في نصر دينه وكذلك قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني
من المكرمين فانه جواب عن السؤال عن قوله عند ذلك القول له وانما تمنى علم قومه
بحاله ليحملهم على اكتساب مثلها بالتوبة عن الكفر والدخول في الايمان والطاعة
على دأب الاولياء في كظم الغيظ والترحم على الاعداء او ليعلموا انهم كانوا على خطأ
عظيم في امره وانه كان على حق وقرئ المكرمين وما خبرية او مصدرية والباء
صلة يعلمون او استفهامية جاءت على الاصل والباء صلة غفر اي باي شيء غفر
يريد به المهاجرة عن دينهم والمصابرة على اذيتهم وما انزلنا على قومه من بعده
من بعد اهلاكه او رفعه من جند من السماء لاهلاكهم كما ارسلنا يوم بدر والخندق
بل كفينا امرهم بصيحة ملك وفيه استحقار لاهلاكهم وايماء بتعظيم الرسول عليه
الصلوة والسلام وما كنا منزلين وما صح في حكمتنا ان ننزل جندا لاهلاك
قومه اذ قدرنا لكل شيء سببا وجعلنا ذلك سببا لانتصارك من قومك وقيل
ما موصولة معطوفة على جند اي ومما كنا منزلين على من قبلهم من حجارة وريح
وامطار شديدة ان كانت ما كانت الاخذة او العقوبة الا صيحة واحدة
صاح بها جبرئيل عليه السلام وقرئت بالرفع على كان التامة فاذا هم خامدون
ميتون شبهوا بالنار رمزا الى ان الحي كالنار الساطع والميت كرمادها

قال لبيد شعر وما المرء الا كالشهاب وضوئه يحور رمادا بعد اذ هو ساطع
يا حسرة على العباد تعالي فهذه من الاحوال التي من حقها ان تحضري فيها وهي ما
دل عليها ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزئون فان المستهزئين بالناصحين
المخلصين المنوط بنصحهم خير الدارين احقاء بان يتحسروا ويتحسر عليهم وقد تلهف
على حالهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين ويجوز ان يكون تحسرا من الله عليهم
على سبيل الاستعارة لتعظيم ما جنوه على انفسهم ويؤيده قراءة يا حسرتا ونصبها
لطولها بالجار المتعلق بها وقيل باضمار فعلها والمنادى محذوف وقرئ
يا حسرة العباد بالاضافة الى الفاعل او المفعول ويا حسرة على العباد باجراء
الوصل مجرى الوقف الم يروا الم يعلموا وهو معلق عن قوله كم اهلكنا قبلهم من القرون
لان كم لا يعمل فيما قبلها وان كانت خبرية لان اصلها الاستفهام انهم اليهم لا يرجعون
بدل من كم على المعنى اي الم يروا كثرة اهلاكنا من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم
وقرئ بالكسر على الاستئناف وان كل لما جميع لدينا محضرون يوم القيمة للجزاء
وان مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة وما مزيدة للتأكيد وقرأ ابن عامر
وعاصم وحمزة لما بالتشديد بمعنى الا فتكون ان نافية وجميع فعيل بمعنى مفعول
ولدينا ظرف له او لمحضرون وآية لهم الارض الميتة وقرأ نافع بالتشديد احييناها
خبر للارض والجملة خبر آية او صفة لها اذ لم يرد بها معينة وهي الخبر او المبتدأ
والآية خبرها او استئناف لبيان كونها آية واخرجنا منها حبا جنس الحب
فمنه يأكلون قدم الصلة للدلالة على ان الحب معظم ما يؤكل ويعاش به
وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب من انواع النخيل والعنب ولذلك جمعهما
دون الحب فان الدال على الجنس مشعر بالاختلاف ولا كذلك الدال على الانواع
وذكر النخيل دون التمور ليطابق الحب والاعناب لاختصاص شجرها بمزيد النفع
وآثار الصنع وفجرنا فيها وقرئ بالتخفيف والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح
لفظا ومعنى من العيون اي شيئا من العيون فحذف الموصوف واقيمت الصفة

مقامها او العيون وعن من زائدة عند الاخفش ليأكلوا من ثمره ثمر ما ذكر وهو الجنات
وقيل الضمير لله على طريقة الالتفات والاضافة اليه لان الثمر بخلقه وقرأ
حمزة والكسائي بضمتين وهو لغة فيه او جمع ثمار وقرئ بضمة وسكون وما
عملته ايديهم عطف على الثمر والمراد ما يتخذ منه كالعصير والدبس ونحوهما وقيل
ما نافية والمراد ان الثمر بخلق الله لا بفعلهم ويؤيد الاول قراءة الكوفيين
غير حفص بلا هاء فان حذفه من الصلة احسن من غيرها افلا يشكرون امر بالشكر
من حيث انه انكار لتركه سبحان الذي خلق الازواج كلها الانواع والاصناف
مما تنبت الارض من النبات والشجر ومن انفسهم الذكر والانثى ومما لا يعلمون
وازواجا مما لا يطلعهم الله عليه ولم يجعل لهم طريقا الى معرفته وآية لهم الليل
نسلخ منه النهار نزيله ونكشف عن مكانه مستعار من سلخ الجلد والكلام في اعرابه
ما سبق فاذا هم مظلمون داخلون في الظلام والشمس تجري لمستقر لها لحد معين
ينتهي اليه دورها فشبه بمستقر المسافر اذا قطع مسيره او لكبد السماء فان
حركتها فيه توجد ابطاء بحيث يظن ان لها هناك وقفة قال ٢ والشمس حيرى
لها بالجو تدويم او لاستقرار لها على نهج مخصوص او لمنتهى مقدر لكل يوم من
المشارق والمغارب فان لها في دورها ثلثمائة وستين مشرقا ومغربا تطلع
كل يوم من مطلع وتغرب من مغرب ثم لا تعود اليهما الى العام القابل او لمنقطع
جريها عند خراب العالم وقرئ لا مستقر لها اي لا سكون لها فانها متحركة دائما
ولا مستقر لها على ان لا بمعنى ليس ذلك الجري على هذا التقدير المتضمن للحكم
التي يكل الفطن عن احصائها تقدير العزيز الغالب بقدرته على كل مقدور
العليم المحيط علمه بكل معلوم والقمر قدرناه قدرنا مسيره منازل او سيره
في منازل وهي ثمانية وعشرون الشرطين . البطين . الثريا . الدبران . الهقعة
الهنعة . الذراع . النثرة . الطرفة . الجبهة . الزبرة . الصرفة . العوا . السماك
الغفر . الزباني . الاكليل . القلب . الشولة . النعايم . البلدة . سعد الذابح

سعد بلع . سعد السعود . سعد الاخبية . فرغ الدلو المقدم . فرغ الدلو المؤخر
الرشا . وهو بطن الحوت ينزل كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه
فاذا كان في آخر منازله وهو الذي يكون فيه قبيل الاجتماع دق واستقوس
وقرأ الكوفيون وابن عامر والقمر بنصب الرا حتى عاد كالعرجون كالشمراخ
المعوج فعلون من الانعراج وهو الاعوجاج وقرئ كالعرجون وهما لغتان
كالبزيون والبزيون القديم العتيق وقيل ما مر عليه حول فصاعدا لا الشمس ينبغي لها
يصح لها ويتسهل ان تدرك القمر في سرعة سيره فان ذلك يخل بتكون النبات
وتعيش الحيوان او في آثاره ومنافعه او مكانه بالنزول الى محله او سلطانه فتطمس
نوره وايلاء حرف النفي الشمس للدلالة على انها مسخرة لا يتيسر لها الا ما اريد بها
ولا الليل سابق النهار يسبقه فيفوته ولكن يعاقبه وقيل المراد بهما آيتاهما
وهما النيران وبالسبق سبق القمر الى سلطان الشمس فيكون عكسا للاول وتبديل
الادراك بالسبق لانه الملايم لسرعة سيره وكل وكلهم والتنوين عوض المضاف اليه
والضمير للشموس والاقمار فان اختلاف الاحوال يوجب تعددا ما في الذات او الى
الكواكب فان ذكرهما مشعر بها في فلك يسبحون يسيرون فيه بانبساط وآية لهم
انا حملنا ذريتهم اولادهم الذين يبعثونهم الى تجاراتهم او صبيانهم ونساءهم
الذين يستصحبونهم فان الذرية تقع عليهن لانهن مزارعها وتخصيصهم لان
استقرارهم في السفن اشق وتماسكهم فيها اعجب وقرأ نافع وابن عامر ذرياتهم
في الفلك المشحون المملوء وقيل المراد فلك نوح وحمل الله ذرياتهم فيها انه حمل فيها
آباءهم الاقدمين وفي اصلابهم ذرياتهم وتخصيص الذرية لانه ابلغ في الامتنان
وادخل في التعجب مع الايجاز وخلقنا لهم من مثله ما يركبون من الابل فانها
سفائن البر او من السفن والزوارق وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم فلا مغيث
لهم يحرسهم عن الغرق او فلا استغاثة كقولهم اتاهم الصريخ ولا هم ينقذون
ينجون من الموت به الا رحمة منا ومتاعا الا لرحمة وتمتيع بالحيوة الى حين زمان

فلا انجا لهم واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم الوقايع التي خلت
والعذاب المعد في الاخرة او نوازل السماء ونوايب الارض كقوله افلم يروا
الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض وعذاب الدنيا وعذاب الاخرة
او عكسه او ما تقدم من الذنوب وما تاخر لعلكم ترحمون لتكونوا راجين رحمة
الله وجواب اذا محذوف دل عليه قوله وما تاتيهم من اية من ايات ربهم الا كانوا
عنها معرضين كانه قال واذا قيل لهم اتقوا العذاب اعرضوا لانهم اعتادوه وتمرنوا
عليه واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله على محاويجكم قال الذين كفروا بالصانع
يعني معطلة كانوا بمكة للذين امنوا تهكما بهم من اقرارهم به وتعليقهم الامور بمشية
تعالى انطعم من لو يشاء الله اطعمه على زعمكم وقيل قاله مشركوا قريش حين استطعمهم
فقراء المؤمنين ايهاما بان الله لما كان قادرا ان يطعمهم فنحن احق بذلك وهذا
من فرط جهالتهم فان الله يطعم باسباب منها حث الاغنياء على طعام الفقراء وتوفيقهم له
ان انتم الا في ضلال مبين حيث امرتمونا بما يخالف مشية الله تعالى ويجوز ان يكون
جوابا من الله لهم او حكاية لجواب المؤمنين لهم ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم
صادقين يعنون وعد البعث ما ينظرون ما ينتظرون الا صيحة واحدة هي النفخة الاولى
تاخذهم وهم يخصمون يتخاصمون في متاجرهم ومعاملاتهم لا يخطر ببالهم امرها
كقوله فاخذتهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون واصله يختصمون فسكنت التاء
وادغمت ثم كسرت الخاء لالتقاء الساكنين وروى ابو بكر بكسر الياء للاتباع
وقرا ابن كثير وورش وهشام بفتح الخاء على القاء حركة التاء اليه وابو عمرو وقالون به
مع الاختلاس وعن نافع الفتح فيه والاسكان وكانه جوز الجمع بين الساكنين اذا كان
الثاني مدغما وقرا حمزة يخصمون من خصمه اذا جادله فلا يستطيعون توصية
في شيء من امورهم ولا الى اهلهم يرجعون ليروا حالهم بل يموتون حيث تفجؤهم ونفخ في الصور
اي مرة ثانية وقد سبق في سورة المؤمنين فاذا هم من الاجداث من القبور جمع جدث
وقرئ بالفاء الى ربهم ينسلون يسرعون وقرئ بالضم قالوا يا ويلنا من بعثنا من

مرقدنا

مرقدنا وقرئ من اهبنا من هب من نومه اذا انتبه ومن هبنا بمعنى اهبنا وفيه
ترشيح ورمز واشعار بانهم لاختلاط عقولهم يظنون انهم كانوا نياما ومن
بعثنا ومن هبنا على من الجارة والمصدر هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون
مبتدا وخبر وما مصدرية او موصولة محذوفة الراجع او هذا صفة لمرقدنا
وما وعد خبر محذوف او مبتدا خبره محذوف اي ما وعد الرحمن وصدق المرسلون
حق وهو من كلامهم وقيل جواب الملائكة او المؤمنين عن سؤالهم معدول عن سننه
تذكيرا لكفرهم وتقريعا لهم عليه وتنبيها بان الذي يهمهم هو السؤال عن
البعث دون الباعث كانهم قالوا بعثكم الرحمن الذي وعدكم البعث وارسل
اليكم الرسل فصدقوكم وليس الامر كما تظنونه فانه ليس ببعث النايم فيهمكم
السؤال عن الباعث وانما هو البعث الاكبر ذو الاهوال ان كانت ما كانت
الفعلة الا صيحة واحدة هي النفخة الاخيرة وقرئت بالرفع على كان التامة
فاذا هم جميع لدينا محضرون بمجرد تلك الصيحة وفي كل ذلك تهوين امر البعث والحشر
واستغناؤهما عن الاسباب التي ينوطان بها فيما يشاهدونه فاليوم لا تظلم نفس
شيا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون حكاية لما يقال لهم حينئذ تصويرا للموعود
وتمكينا له في النفوس وكذا قوله ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون
متلذذون في النعمة من الفكاهة وفي تنكير شغل وابهامه تعظيم لما هم فيه من
البهجة والتلذذ وتنبيه على انه اعلى من ان يحيط به الافهام ويعرب عن كنهه
الكلام وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو في شغل بالسكون ويعقوب في
رواية فكهون للمبالغة وهما خبران لان ويجوز ان يكون في شغل صلة لفاكهون
وقرئ فكهون بالضم وهو لغة كنطس ونطس وفاكهين على الحال من المستكن
في الظرف وشغل بفتحتين وفتحة وسكون والكل لغات هم وازواجهم في
ظلال جمع ظل كشعاب او ظلة كقباب ويؤيده قراءة حمزة والكسائي في ظلل
على الارائك على السرر المزينة متكئون وهم مبتدا خبره في ظلال وعلى

على الارائك جملة مستانفة او خبر ثان ومتكئون والجاران صلتان
له او تاكيد للضمير في شغل او في فاكهون وعلى الارائك متكئون خبر آخر
لان هم وازواجهم عطف على هم للمشاركة في الاحكام الثلثة وفي ظلال حال
من المعطوف والمعطوف عليه لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون ما يدعون به
لانفسهم يفتعلون من الدعاء كاشتوى واجتمل اذا شوى وجمل لنفسه او
ما يتداعونه كقولك ارتموه بمعنى تراموه او يتمنون من قولهم ادع على ما شئت
بمعنى تمنه على او ما يدعونه في الدنيا من الجنة ودرجاتها وما موصولة او
موصوفة مرتفعة بالابتداء ولهم خبرها وقوله سلام بدل منها او صفة
اخرى ويجوز ان يكون خبرها او خبر محذوف او مبتدا محذوف الخبر اي ولهم
سلام وقرئ بالنصب على المصدر او الحال اي لهم مرادهم خالصا قولا من رب
رحيم اي يقول الله تعالى او يقال لهم قولا كائنا من جهته والمعنى ان الله يسلم
عليهم بواسطة الملائكة او بغير واسطة تعظيما لهم وذلك مطلوبهم ومتمناهم
ويحتمل نصبه على الاختصاص وامتازوا اليوم ايها المجرمون وانفردوا
عن المؤمنين وذلك حين يسار بهم الى الجنة كقوله ويوم تقوم الساعة يومئذ
يتفرقون وقيل اعتزلوا من كل خير او تفرقوا في النار فان لكل كافر بيتا ينفرد
به لا يرى ولا يرى الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان من جملة
ما يقال لهم تقريعا والزاما للحجة وعهده اليهم ما نصب لهم من الحجج العقلية والسمعية
الآمرة بعبادته الزاجرة عن عبادة غيره وجعلها عبادة الشيطان لانه الآمر بها
والمزين لها وقرئ اعهد بكسر حرف المضارعة واحهد واحد على لغة تميم
انه لكم عدو مبين تعليل للمنع عن عبادته بالطاعة فيما يحملهم عليه وان اعبدوني
عطف على ان لا تعبدوا هذا صراط مستقيم اشارة الى ما عهد اليهم او الى عبادته
فالجملة استئناف لبيان المقتضي للعهد بشقيه او بالشق الآخر والتنكير للمبالغة
والتعظيم او للتبعيض فان التوحيد سلوك بعض الطريق المستقيم ولقد اضل

منكم جبلا كثيرا افلم تكونوا تعقلون رجوع الى بيان معاداة الشيطان
مع ظهور عداوته ووضوح اضلاله لمن له ادنى عقل ورأي والجبل الخلق وقرأ
يعقوب بضمتين وابن كثير وحمزة والكسائي بهما مع تخفيف اللام وابن عامر وابو عمرو
بضمة وسكون مع التخفيف والكل لغات وقرئ جبلا جمع جبلة كخلقة وخلق
وجبلا واحد الاجبال هذه جهنم التي كنتم توعدون اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون
ذوقوا حرها اليوم بكفركم في الدنيا اليوم نختم على افواههم نمنعها من الكلام
وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون بظهور آثار المعاصي عليها
ودلالتها على افعالها او بانطاق الله اياها وفي الحديث انهم يجحدون ويخاصمون
فيختم على افواههم وتكلم ايديهم وارجلهم ولو نشاء لطمسنا على اعينهم لمسحنا على
اعينهم حتى تصير ممسوحة فاستبقوا الصراط فاستبقوا الى الطريق الذي اعتادوا
سلوكه وانتصابه بنزع الخافض او بتضمين الاستباق معنى الابتداء او جعل المسبوق
اليه مسبوقا على الاتساع او بالظرف فانى يبصرون الطريق وجهة السلوك فضلا
عن غيره ولو نشاء لمسخناهم بتغيير صورهم وابطال قواهم على مكانتهم على مكانهم
بحيث يجمدون فيه وقرأ ابو بكر مكاناتهم فما استطاعوا مضيا ذهابا ولا يرجعون
ولا رجوعا فوضع الفعل موضعه للفواصل وقيل لا يرجعون عن تكذيبهم وقرئ
مضيا باتباع الميم الضاد المكسورة لقلب الواو ياء كالعتي والعتي ومضيا
كصبي والمعنى انهم بكفرهم ونقضهم ما عهد اليهم احقاء بان يفعل بهم ذلك لكنا لم نفعل
لشمول الرحمة لهم واقتضاء الحكمة امهالهم ومن نعمره ومن نطل عمره ننكسه في الخلق
نقلبه فيه فلا يزال يتزايد ضعفه ويتناقص بنيته وقوته عكس ما كان عليه بدء
امره وقرأ عاصم وحمزة ننكسه من التنكيس وهو ابلغ والنكس اشهر افلا يعقلون
ان من قدر على ذلك قدر على الطمس والمسخ فانه مشتمل عليهما وزيادة غير انه
على تدرج وقرأ نافع وابن عامر برواية ابن ذكوان ويعقوب بالتاء لجري الخطاب
قبله وما علمناه الشعر رد لقولهم ان محمدا شاعر اي ما علمناه الشعر بتعليم القرآن

فإنه لا يماثله لفظا ولا معنى لأنه غير مقفى ولا موزون وليس معناه ما يتوخاه الشعراء
من التخيلات المرغبة والمنفرة ونحوها وما ينبغي له وما يصح له الشعر ولا يتأتى له
إن أراد قرضه على ما اختبرتم طبعه نحوا من أربعين سنة وقوله صلى الله عليه وسلم أنا النبي
لا كذب أنا ابن عبد المطلب وقوله صلى الله عليه وسلم هل أنت إلا إصبع دميت
وفي سبيل الله ما لقيت اتفاقي من غير تكلف وقصد منه إلى ذلك وقد يقع مثله
كثيرا في تضاعيف المنثورات على أن الخليل ما عد المشطور من الرجز شعرا هذا وقد روي
أنه حرك الباءين وكسر التاء الأولى بلا إشباع وسكن الثانية وقيل الضمير للقرآن
أي وما يصح للقرآن أن يكون شعرا إن هو إلا ذكر عظة وإرشاد من الله تعالى
وقرآن مبين وكتاب سماوي يتلى في المعابد ظاهر أنه ليس من كلام البشر لما فيه من
الإعجاز لينذر القرآن أو الرسول صلى الله عليه وسلم ويؤيده قراءة نافع وابن عامر
ويعقوب بالتاء من كان حيا عاقلا فهما فإن الغافل كالميت أو مؤمنا في علم الله فإن
الحياة الأبدية بالإيمان وتخصيص الإنذار به لأنه المنتفع به ويحق القول وتجب
كلمة العذاب على الكافرين المصرين على الكفر وجعلهم في مقابلة من كان حيا
إشعارا بأنهم لكفرهم وسقوط حجتهم وعدم تأملهم أموات في الحقيقة أولم يروا
أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا مما تولينا إحداثه ولم يقدر على إحداثه غيرنا وذكر
الأيدي وإسناد العمل إليها استعارة تفيد مبالغة في الاختصاص والتفرد
بالإحداث أنعاما خصها بالذكر لما فيها من بدائع الفطرة وكثرة المنافع فهم
لها مالكون متملكون بتمليكنا إياهم أو متمكنون من ضبطها والتصرف فيها
بتسخيرنا إياها لهم قال شعر أصبحت لا أحمل السلاح ولا أملك رأس البعير إن نفرا
وذللناها لهم وصيرناها منقادة لهم فمنها ركوبهم مركوبهم وقرئ ركوبتهم
وهي بمعناه كالحلوب والحلوبة وقيل جمعه وركوبهم أي ذو ركوبهم أو من
منافعها ركوبهم ومنها يأكلون أي ما يأكلون لحمه ولهم فيها منافع من الجلود
والأصواف والأوبار ومشارب من ألبانها جمع مشرب بمعنى الموضع أو المصدر

أفلا يشكرون نعم الله في ذلك إذ لولا خلقه لها وتذليله إياها كيف أمكن
التوسل إلى تحصيل هذه المنافع المهمة واتخذوا من دون الله آلهة أشركوها
به في العبادة بعدما رأوا منه تلك القدرة الباهرة والنعم المتظاهرة
وعلموا أنه المتفرد بها لعلهم ينصرون رجاء أن ينصروهم فيما حزبهم من الأمور
والأمر بالعكس لأنهم لا يستطيعون نصرهم وهم لهم لآلهتهم جند محضرون
معدون لحفظهم والذب عنهم أو محضرون لأثرهم في النار فلا يحزنك
قولهم فلا يهمنك وقرئ بضم الياء من أحزن قولهم في الله بالإلحاد والشرك أو فيك
بالتكذيب والتهجين إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون فيجازيهم عليه وكفى
ذلك أن يتسلى به وهو تعليل للنهي على الاستئناف ولذلك لو قرئ أنا
بالفتح على حذف لام التعليل جاز أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة
فإذا هو خصيم مبين تسلية ثانية بتهوين ما يقولونه بالنسبة إلى إنكارهم
الحشر وفيه تقبيح بليغ لإنكاره حيث عجب منه وجعله إفراطا في الخصومة
بينا ومنافاة لجحود القدرة على ما هو أهون مما عمله في بدء خلقه
ومقابلة النعمة التي لا مزيد عليها وهي خلقه من أخس شيء وأمهنه شريفا
مكرما بالعقوق والتكذيب روي أن أبي بن خلف أتى النبي صلى الله عليه
وسلم بعظم بال يفتته وقال أترى الله يحيي هذا بعدما رم فقال عليه
الصلاة والسلام نعم ويبعثك ويدخلك النار فنزلت وقيل معنى فإذا
هو خصيم مبين فإذا هو بعدما كان ماء مهينا مميز منطيق قادر على الخصام
معرب عما في نفسه وضرب لنا مثلا أمرا عجيبا وهو نفي القدرة على إحياء
الموتى وتشبيهه بخلقه لوصفه بالعجز عما عجزوا عنه ونسي خلقه إياه قال
من يحيي العظام وهي رميم منكرا إياه مستبعدا له والرميم ما بلي من العظام
ولعله فعيل بمعنى فاعل من رم الشيء صار اسما بالغلبة ولذلك لم يؤنث
أو بمعنى مفعول من رممته وفيه دليل على أن العظم ذو حياة فيؤثر فيه

خلقنا ٣

الموت كسائر الاجزاء قل يحييها الذي انشأها اول مرة فان قدرته كما كانت
لامتناع التغير فيه والمادة على حالها في القابلية اللازمة لذاتها وهو بكل خلق
عليم يعلم تفاصيل المخلوقات بعلمه وكيفية خلقها فيعلم اجزاء الاشخاص المتفتتة
المتبددة اصولها وفصولها ومواقعها وطريق تمييزها وضم بعضها الى بعض
على النمط السابق واعادة الاعراض والقوى التي كانت فيها او احداث
مثلها الذي جعل لكم من الشجر الاخضر كالمرخ والعفار نارا بان يسحق المرخ
على العفار وهما خضراوان يقطر منهما الماء فتنقدح النار فاذا انتم منه
توقدون لا تشكون في انها نار تخرج منه فمن قدر على احداث النار من الشجر
الاخضر مع ما فيه من المائية المضادة بكيفيته كان اقدر على اعادة الغضاضة
فيما كان غضا فيبس وبلي وقرئ من الشجر الخضراء على المعنى كقوله فمالئون
منها البطون اوليس الذي خلق السموات والارض مع كبر جرمهما وعظم شانهما
بقادر على ان يخلق مثلهم في الصغر والحقارة بالاضافة اليهما او مثلهم في
اصول الذات وصفاتها وهو المعاد وعن يعقوب يقدر بلى جواب من الله
لتقرير ما بعد النفي مشعر بانه لا جواب سواه وهو الخلاق العليم كثير المخلوقات
والمعلومات انما امره انما شانه اذا اراد شيئا ان يقول له كن اي تكون فيكون
فهو يكون اي يحدث وهو تمثيل لتاثير قدرته في مراده بامر المطاع للمطيع في حصول
المامور من غير امتناع وتوقف وافتقار الى مزاولة عمل واستعمال آلة قطعا
لمادة الشبهة وهو قياس قدرة الله تعالى على قدرة الخلق ونصبه ابن عامر
والكسائي عطفا على يقول فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء تنزيه له عما
ضربوا له وتعجيب عما قالوا فيه معللا بكونه مالكا للملك كله قادرا على كل شيء
واليه ترجعون وعد ووعيد للمقرين والمنكرين وقرأ يعقوب بفتح التاء
وعن ابن عباس كنت لا اعلم ما روي في فضل يس كيف خصت به فاذا انه لهذه
الآية وعنه صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس من قرأها

يريد بها وجه الله غفر الله له واعطي من الاجر كانما قرأ القرآن اثنتي عشرة مرة
وايما مسلم قرئ عنده اذا نزل به ملك الموت يس نزل بكل حرف منها عشرة املاك
يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله
ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وايما مسلم قرأ يس وهو
في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان بشربة من الجنة
يشربها وهو على فراشه فيقبض روحه وهو ريان ويمكث في قبره وهو ريان
ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان

سورة الصافات مكية وآيها ماية واثنتان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات
ذكرا اقسم بالملائكة الصافين في مقام العبودية على مراتب باعتبارها
تفيض عليهم الانوار الالهية منتظرين لامر الله الزاجرين الاجرام العلوية والسفلية
بالتدبير المامور فيها او الناس عن المعاصي بالهام الخير او الشياطين عن التعرض لهم
التالين آيات الله وجلايا قدسه على انبيائه واوليائه او بطوائف الاجرام
المرتبة كالصفوف المرصوصة والارواح المدبرة لها والجواهر القدسية
المستغرقة في بحار القدس يسبحون الليل والنهار لا يفترون او بنفوس العلماء
الصافين في العبادات الزاجرين عن الكفر والفسوق بالحجج والنصائح التالين
آيات الله وشرائعه او بنفوس الغزاة الصافين في الجهاد الزاجرين الخيل
او العدو التالين ذكر الله تعالى لا يشغلهم عنه مبارزة العدو والعطف لاختلاف
الذوات او الصفات والفاء لترتيب الوجود كقوله شعر يا لهف زيابة للحارث
فالصابح فالغانم فالآيب فان الصف كمال والزجر تكميل بالمنع عن الشر او الاشاقة
الى قبول الخير والتلاوة افاضة او الرتبة كقوله عليه الصلوة والسلام رحم الله
المحلقين والمقصرين غير انه لفضل المتقدم على المتاخر وهذا للعكس وادغم

ابو عمرو وحمزة التاء فيما يليها لتقاربهما فانهما من طرف اللسان واصول الثنايا
ان الهكم لواحد جواب للقسم والفائدة فيه تعظيم المقسم به وتاكيد المقسم عليه
على ما هو المألوف في كلامهم واما تحقيقه فبقوله رب السموات والارض وما
بينهما ورب المشارق فان وجودها وانتظامها على الوجه الاكمل مع امكان غيره
دليل على وجود الصانع الحكيم ووحدته على ما مر غير مرة ورب بدل من واحد
او خبر ثان او خبر محذوف وما بينهما يتناول افعال العباد فيدل على انها
من خلقه والمشارق مشارق الكواكب او مشارق الشمس في السنة وهي ثلثمائة وستون
تشرق كل يوم في واحد وبحسبها تختلف المغارب ولذلك اكتفى بذكرها مع ان الشروق
ادل على القدرة وابلغ في النعمة وما قيل انها مائة وثمانون انما يصح لو لم تختلف
اوقات الانتقال انا زينا السماء الدنيا القربى منكم بزينة الكواكب بزينة
هي الكواكب والاضافة للبيان ويعضده قراءة حمزة ويعقوب وحفص بتنوين
زينة وجر الكواكب على ابدالها منه او بزينة هي لها كاضوائها واوضاعها او بان
زينا الكواكب فيها على اضافة المصدر الى المفعول فانها كما جاءت اسما كالليقة
جاءت مصدرا كالنسبة ويؤيده قراءة ابي بكر بالتنوين والنصب على الاصل او بان
زينتها الكواكب على اضافته الى الفاعل وركوز الكواكب في الكرة الثامنة وما
عدا القمر من السيارات في الست المتوسطة بينها وبين سماء الدنيا ان تحقق لم يقدح
في ذلك فان اهل الارض يرونها باسرها كجواهر مشرقة متلألئة على سطحها الازرق
باشكال مختلفة وحفظا منصوب باضمار فعله او العطف على زينة باعتبار المعنى
كانه قال انا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا من كل شيطان مارد خارج
من الطاعة برمي الشهب لا يسمعون الى الملإ الاعلى كلام مبتدأ لبيان حالهم
بعد ما حفظ السماء عنهم ولا يجوز جعله صفة لكل شيطان فانه يقتضي ان يكون
الحفظ من شياطين لا يسمعون ولا علة للحفظ على حذف اللام كما في جئتك ان تكرمني
ثم حذف ان واهدارها كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى . فان اجتماع

ذلك

ذلك منكر والضمير لكل باعتبار المعنى وتعدية السماع بالى لتضمنه معنى
الاصغاء مبالغة لنفيه وتهويلا لما يمنعهم عنه ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي
وحفص بالتشديد من التسميع وهو طلب السماع والملأ الاعلى الملائكة
واشرافهم ويقذفون ويرمون من كل جانب من جوانب السماء اذا قصدوا صعوده
دحورا علة اي للدحور وهو الطرد او مصدر لانه والقذف متقاربان
او حال بمعنى مدحورين او منزوع عنه الباء جمع دحر وهو ما يطرد به ويقويه
القراءة بالفتح وهو يحتمل ايضا ان يكون مصدرا كالقبول او صفة له
اي قذفا دحورا ولهم عذاب اي عذاب آخر واصب اي دائم او شديد وهو عذاب
الآخرة الا من خطف الخطفة استثناء من واو يسمعون ومن بدل منه فاتبعه
شهاب والخطف الاختلاس والمراد اختلاس كلام الملائكة مسارقة ولذلك
عرف الخطفة وقرئ خطف بالتشديد مفتوح الخاء ومكسورها واصلها
اختطف واتبع بمعنى تبع والشهاب ما يرى كأن كوكبا انقض وما قيل انه
بخار يصعد الى الاثير فيشتعل فتخمين ان صح لم يناف ذلك اذ ليس فيه ما يدل
على انه ينقض من الفلك ولا في قوله انا زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها
رجوما للشياطين فان كل نير يحصل في الجو العالي فهو مصباح لاهل الارض
وزينة للسماء من حيث انه يرى كانه على سطحه ولا يبعد ان يصير الحادث
كما ذكر في بعض الاوقات رجما لشيطان يتصعد الى قرب الفلك للتسمع وما
روي ان ذلك حدث بميلاد النبي صلى الله عليه وسلم ان صح فلعل المراد
كثرة وقوعها او مصيره دحورا واختلف في ان المرجوم يتأذى به فيرجع
او يحترق به لكن قد يصيب الصاعد مرة وقد لا يصيب كالموج لراكب السفينة
ولذلك لا يرتدعون عنه راسا ولا يقال ان الشيطان من النار فلا يحترق
لانه ليس من النار الصرف كما ان الانسان ليس من التراب الخالص مع ان النار
القوية اذا استولت على الضعيفة استهلكتها ثاقب مضيء كانه يثقب الجو

بصوته فاستفتهم فاستخبرهم والضمير لمشركي مكة او لبني آدم اهم اشد خلقا
ام من خلقنا يعني ما ذكر من الملائكة والسماء والارض وما بينهما والمشارق
والكواكب والشهب الثواقب ومن لتغليب العقلاء ويدل عليه اطلاقه ومجيئه
بعد ذلك وقراءة من قرأ ام من عددنا وقوله انا خلقناهم من طين لازب
فانه الفارق بينهم وبينها لا بينهم وبين من قبلهم كعاد وثمود وان المراد اثبات
المعاد ورد استحالتهم والامر فيه بالاضافة اليهم والى من قبلهم سواء وتقريره
ان استحالة ذلك اما لعدم قابلية المادة ومادتهم الاصلية هي الطين اللازب
الحاصل من ضم الجزء المائي الى الارضي وهما باقيان قابلان للانضمام بعد
وقد علموا ان الانسان الاول انما تولد منه اما لاعترافهم بحدوث العالم
او بقصة آدم وشاهدوا تولد كثير من الحيوانات منه بلا توسط مواقعة لزمهم
فلزمهم ان يجوزوا اعادتهم كذلك واما لعدم قدرة الفاعل فان من قدر
على خلق هذه الاشياء قدر على ما لا يعتد به بالاضافة اليها سيما ومن ذلك
بداهم اولا وقدرته ذاتية لا تتغير بل عجبت من قدرة الله تعالى وانكارهم البعث
ويسخرون من تعجبك وتقريرك للبعث وقرأ حمزة والكسائي بضم التاء اي بلغ
كمال قدرتي وكثرة خلائقي اني تعجبت منها وهؤلاء بجهلهم يسخرون منها او عجبت
من ان ينكر البعث ممن هذه افعاله وهم يسخرون ممن يجوزه والتعجب من الله تعالى
اما على الفرض والتخييل او على معنى الاستعظام اللازم له فانه روعة تعتري
الانسان عند استعظامه الشيء وقيل انه مقدر بالقول اي قل يا محمد بل عجبت
واذا ذكروا لا يذكرون واذا وعظوا بشيء لا يتعظون به او اذا ذكر لهم
ما يدل على صحة الحشر لا ينتفعون به لبلادتهم وقلة فكرهم واذا راوا آية
معجزة تدل على صدق القائل به يستسخرون يبالغون في السخرية ويقولون
انه سحر او يستدعي بعضهم من بعض ان يسخر منها وقالوا ان هذا يعنون ما يرونه
الا سحر مبين ظاهر سحريته ءاذا متنا وكنا ترابا وعظاما ءانا لمبعوثون

اصله انبعث اذا متنا فبدلوا الفعلية بالاسمية وقدموا الظرف وكرروا
الهمزة مبالغة في الانكار واشعارا بان البعث مستنكر في نفسه وفي هذه
الحالة اشد استنكارا فهو ابلغ من قراءة ابن عامر بطرح الهمزة الاولى وقراءة نافع
والكسائي ويعقوب بطرح الثانية اواباؤنا الاولون عطف على محل ان
واسمها او على الضمير في مبعوثون فانه مفصول عنه بهمزة الاستفهام لزيادة
الاستبعاد لبعد زمانهم وسكن نافع برواية قالون وابن عامر الواو على معنى الترديد
قل نعم وانتم داخرون صاغرون وانما اكتفى به في الجواب لسبق ما يدل على جوازه
وقيام المعجز على صدق المخبر عن وقوعه وقرئ قال اي الله او الرسول نعم بالكسر
وهو لغة فيه فانما هي زجرة واحدة جواب شرط مقدر اي اذا كان ذلك فانما البعثة
زجرة واحدة اي صيحة واحدة هي النفخة الثانية من زجر الراعي غنمه اذا صاح عليها
وامرها في الاعادة كامر كن في الابداء ولذلك رتب عليها فاذا هم ينظرون
فاذا هم قيام من مراقدهم احياء يبصرون او ينتظرون ما يفعل بهم وقالوا يا ويلنا
هذا يوم الدين اليوم الذي نجازى باعمالنا وقد تم به كلامهم وقوله هذا
يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون جواب الملائكة وقيل هو ايضا من كلام
بعضهم لبعض والفصل القضاء او الفرق بين المحسن والمسيء احشروا الذين ظلموا
امر الله للملائكة او امر بعضهم لبعض بحشر الظلمة من مقامهم الى الموقف وقيل منه
الى الجحيم وازواجهم واشباههم عابد الصنم مع عبدة الصنم وعابد الكواكب
مع عبدتها كقوله وكنتم ازواجا ثلاثة او ونساءهم اللاتي على دينهم او قرناءهم
والشياطين وما كانوا يعبدون من دون الله من الاصنام وغيرها زيادة
في تحسيرهم وتخجيلهم وهو عام مخصوص بقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى
الاية وفيه دليل على ان الذين ظلموا المشركون فاهدوهم الى صراط الجحيم
فعرفوهم طريقها ليسلكوها وقفوهم احبسوهم في الموقف انهم مسؤولون عن
عقائدهم واعمالهم والواو لا يوجب الترتيب مع جواز ان يكون موقفهم

اي موقفا السؤال في الجحيم ما لكم لا تناصرون لا ينصر بعضكم بعضا بالتخليص
وهو توبيخ وتقريع بل هم اليوم مستسلمون منقادون لعجزهم وانسداد
الحيل عليهم واصل الاستسلام طلب السلامة او متسالمون كانه يسلم بعضهم بعضا
ويخذله واقبل بعضهم على بعض يعني الرؤساء والاتباع او الكفرة والقرناء
يتساءلون يسأل بعضهم بعضا للتوبيخ ولذلك فسر بيتخاصمون قالوا انكم كنتم
تأتوننا عن اليمين عن اقوى الوجوه وايمنها او عن الدين او عن الخير كانكم تنفعوننا
نفع الناصح فتبعناكم وهلكنا مستعار من يمين الانسان الذي هو اقوى الجانبين
واشرفهما وانفعهما ولذلك سمي يمينا وتيمن بالسانح او عن القوة والقهر فتقسروننا
على الضلال او عن الحلف فانهم كانوا يحلفون لهم انهم على الحق قالوا بل لم تكونوا
مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين اجابهم الرؤساء
اولا بمنع اضلالهم فانهم كانوا ضالين في انفسهم وثانيا بانهم ما اجبروهم
على الكفر اذ لم يكن لهم عليهم تسلط وانما جنحوا اليه لانهم كانوا قوما مختارين
الطغيان فحق علينا قول ربنا انا لذائقون فاغويناكم انا كنا غاوين
ثم بينوا ان ضلال الفريقين ووقوعهم في العذاب كان امرا مقضيا لا محيص لهم
عنه وان غاية ما فعلوا بهم انهم دعوهم الى الغي لانهم كانوا على الغي فاحبوا
ان يكونوا مثلهم وفيه ايماء بان غوايتهم في الحقيقة ليست من قبلهم اذ لو كان
كل غواية لاغواء غاو فمن اغواهم فانهم فان الاتباع والمتبوعين يومئذ
في العذاب مشتركون كما كانوا مشتركين في الغواية انا كذلك مثل ذلك الفعل
نفعل بالمجرمين بالمشركين لقوله انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون
اي عن كلمة التوحيد او على من يدعوهم اليه ويقولون ائنا لتاركوا آلهتنا
لشاعر مجنون يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم انكم لذائقوا العذاب الاليم
بالاشراك وتكذيب الرسول عليه الصلوة والسلام وقرئ بنصب العذاب
على تقدير النون كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا وهو ضعيف في غير المحلى

بل جاء بالحق وصدق المرسلين رد عليهم باثبات ان ما جاء به من التوحيد حق قام به البرهان وتطابق عليه المرسلون

بالكلام وعلى الاصل وما تجزون الا ما كنتم تعملون الا مثل ما عملتم الا عباد
الله المخلصين استثناء منقطع الا ان يكون الضمير في تجزون لجميع المكلفين فيكون
استثناؤهم عنه باعتبار المماثلة فان ثوابهم مضاعف والمنقطع ايضا بهذا الاعتبار
اولئك لهم رزق معلوم خصايصه من الدوام او تمحض اللذة ولذلك فسره
بقوله فواكه فان الفاكهة ما يقصد به التلذذ دون التغذي والقوت
بالعكس واهل الجنة لما اعيدوا على خلقة محكمة محفوظة عن التحلل كانت
ارزاقهم فواكه خالصة وهم مكرمون في نيله يصل اليهم من غير تعب وسؤال
كما عليه رزق الدنيا في جنات النعيم في جنات ليس فيها الا النعيم وهو ظرف
او حال من المستكن في مكرمون او خبر ثان لاولئك وكذلك على سرر يحتمل الحال والخبر
فيكون متقابلين حالا من المستكن فيه او في مكرمون وان يتعلق بمتقابلين فيكون
حالا من ضمير مكرمون يطاف عليهم بكاس باناء فيه خمر او خمر كقوله شعر وكاس
شربت على لذة واخرى تداويت منها بها من معين من شراب معين او نهر معين ظاهر
للعيون او خارج من العيون وهو صفة الماء من عان الماء اذا نبع وصف به خمر
الجنة لانها تجري كالماء او للاشعار بان ما يكون لهم بمنزلة الشراب جامع لما يطلب
من انواع الاشربة لكمال اللذة وكذلك قوله بيضاء لذة للشاربين وهما ايضا
صفتان لكاس ووصفها بلذة اما للمبالغة او لانها تانيث لذ بمعنى لذيذ كطب
وطبة فعل قال شعر ولذ كطعم الصرخدي تركته بارض العدى من خشية
الحدثان لا فيها غول غائلة كما في خمر الدنيا كالخمار من غاله يغوله اذا افسده
ومنه الغول ولا هم عنها ينزفون يسكرون من نزف الشارب فهو نزيف
ومنزوف اذا ذهب عقله افرده بالنفي وعطفه على ما يعمه لانه من عظم فساده
كانه جنس براسه وقرا حمزة والكسائي بكسر الزاء من انزف الشارب اذا نفد عقله
او شرابه واصله للنفاد يقال نزف المطعون اذا خرج دمه كله ونزحت الركية
حتى نزفتها وعندهم قاصرات الطرف قصرن ابصارهن على ازواجهن عين

نجل العيون جمع عيناء كأنهن بيض مكنون شبههن ببيض النعام المصون من الغبار
ونحوه في الصفاء والبياض المخلوط بأدنى صفرة فإنه أحسن ألوان الأبدان
فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون معطوف على يطاف عليهم أي يشربون فيتحادثون
على الشراب قال وما بقيت من اللذات إلا أحاديث الكرام على المدام
والتعبير عنه بالماضي للتأكيد فيه فإنه ألذ تلك اللذات إلى العقل وتساؤلهم عن
المعارف والفضائل وما جرى لهم وعليهم في الدنيا قال قائل منهم في مكالمتهم
إني كان لي قرين جليس في الدنيا يقول أئنك لمن المصدقين يوبخني على التصديق
بالبعث وقرئ بتشديد الصاد من التصدق أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما
أئنا لمدينون لمجزيون من الدين بمعنى الجزاء قال أي ذلك القائل هل أنتم
مطلعون إلى أهل النار لأريكم ذلك القرين وقيل القائل هو الله أو بعض الملائكة
يقول لهم هل تحبون أن تطلعوا على أهل النار لأريكم ذلك القرين فتعلموا أين
منزلتكم من منزلتهم وعن أبي عمرو مطلعون فأطلع بالتخفيف وكسر النون وضمة
الألف على أنه جعل اطلاعهم سبب اطلاعه من حيث أن أدب المجالسة يمنع الاستبداد به
وخاطب الملائكة على وضع المتصل موضع المنفصل كقوله هم الفاعلون
الخير والآمرونه أو شبه اسم الفاعل بالمضارع فاطلع عليهم فرآه أي قرينه في
سواء الجحيم في وسطه قال تالله إن كدت لتردين لتهلكني بالإغواء وقرئ لتغوين
وإن هي المخففة واللام هي الفارقة ولولا نعمة ربي بالهداية والعصمة لكنت
من المحضرين معك فيها أفما نحن بميتين عطف على محذوف أي أنحن مخلدون منعمون
فما نحن بميتين أي بمن شأنه الموت وقرئ بمائتين إلا موتتنا الأولى التي كانت
في الدنيا وهي متناولة لما في القبر بعد الإحياء للسؤال ونصبها على المصدر
من اسم الفاعل وقيل على الاستثناء المنقطع وما نحن بمعذبين كالكفار وذلك
تمام كلامه لقرينه تقريعا له أو معاودة إلى مكالمة جلسائه تحدثا بنعمة الله أو تبجحا
بها وتعجبا منها وتقريعا للقرين بالتوبيخ إن هذا لهو الفوز العظيم يحتمل أن يكون

من كلامهم وأن يكون كلام الله لتقرير قوله والإشارة إلى ما هم عليه من النعمة
والخلود والأمن من العذاب لمثل هذا فليعمل العاملون أي لنيل مثل هذا يجب أن
يعمل العاملون لا للحظوظ الدنيوية المشوبة بالآلام السريعة الانصرام وهو أيضا
يحتمل الأمرين أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم التي ثمرها نزل أهل النار وانتصاب
نزلا على التمييز أو الحال وفي ذكره دلالة على أن ما ذكر من النعيم لأهل الجنة بمنزلة
ما يقام للنازل ولهم ما وراء ذلك ما يقصر عنه الأفهام وكذلك الزقوم لأهل
النار وهو اسم شجرة صغيرة الورق ذفرة مرة تكون بتهامة سميت به الشجرة الموصوفة
إنا جعلناها فتنة للظالمين محنة وعذابا لهم في الآخرة أو ابتلاء في الدنيا
فإنهم لما سمعوا أنها في النار قالوا كيف ذلك والنار تحرق الشجر ولم يعلموا أن
من قدر على خلق ما يعيش في النار ويلتذ بها فهو أقدر على خلق الشجر في النار
وحفظه من الإحراق إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم منبتها في قعر جهنم وأغصانها
ترتفع إلى دركاتها طلعها حملها مستعار من طلع التمر لمشاركته إياه في الشكل
أو الطلوع من الشجر كأنه رؤوس الشياطين في تناهي القبح والهول وهو تشبيه
بالمتخيل كتشبيه الفائق في الحسن بالملك وقيل الشياطين حيات هائلة قبيحة
المنظر لها أعراف ولعلها سميت بها لذلك فإنهم لآكلون منها من الشجرة أو من طلعها
فمالئون منها البطون لغلبة الجوع أو الجبر على أكلها ثم إن لهم عليها أي بعد
ما شبعوا منها وغلبهم العطش وطال استسقاؤهم ويجوز أن يكون ثم لما في
شرابهم من مزيد الكراهة والبشاعة لشوبا من حميم لشرابا من غساق أو صديد
مشوبا بماء حميم يقطع أمعاءهم وقرئ بالضم وهو اسم ما يشاب به والأول
مصدر سمي به ثم إن مرجعهم مصيرهم لإلى الجحيم إلى دركاتها أو إلى نفسها فإن الزقوم
والحميم نزل يقدم إليهم قبل دخولها وقيل الحميم خارج عنها لقوله تعالى هذه
جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن يوردون إليه كما يورد
الإبل إلى الماء ثم يردون إلى الجحيم ويؤيده أنه قرئ ثم إن منقلبهم إنهم ألفوا

اباءهم ضالين فهم على اثارهم يهرعون تعليل لاستحقاقهم تلك الشدائد بتقليد
الاباء في الضلال والاهراع الاسراع الشديد كانهم يزعجون على الاسراع على
اثارهم وفيه اشعار بانهم بادروا الى ذلك من غير توقف على نظر وبحث ولقد
ضل قبلهم قبل قومك اكثر الاولين ولقد ارسلنا فيهم منذرين انبياء انذروهم
من العواقب فانظر كيف كان عاقبة المنذرين من الشدة والفظاعة الا عباد
الله المخلصين الا الذين تنبهوا بانذارهم فاخلصوا دينهم لله وقرئ بالفتح اي
الذين اخلصهم الله لدينه والخطاب مع الرسول صلى الله عليه وسلم والمقصود خطاب
قومه فانهم ايضا سمعوا اخبارهم وراوا اثارهم ولقد نادانا نوح شرع في
تفصيل القصص بعد اجمالها اي ولقد دعانا حين ايس من قومه فلنعم المجيبون
فاجبناه احسن الاجابة والتقدير فوالله لنعم المجيبون نحن فحذف منها ما حذف
لقيام ما يدل عليه ونجيناه واهله من الكرب العظيم من الغرق او اذى قومه
وجعلنا ذريته هم الباقين اذ هلك من عداهم وبقوا متناسلين الى يوم القيامة
اذ روي انه مات كل من كان معه في السفينة غير بنيه وازواجهم وتركنا عليه
في الاخرين من الامم سلام على نوح هذا الكلام جيء به على الحكاية والمعنى
يسلمون عليه تسليما وقيل هو سلام من الله عليه ومفعول تركنا محذوف مثل
الثناء في العالمين متعلق بالجار والمجرور ومعناه الدعاء بثبوت هذه التحية
في الملائكة والثقلين جميعا انا كذلك نجزي المحسنين تعليل لما فعل بنوح عليه
السلام من التكرمة بانه مجازاة له على احسانه انه من عبادنا المؤمنين تعليل
لاحسانه بالايمان اظهارا لجلالة قدره واصالة امره للعباد ثم اغرقنا
الاخرين يعني كفار قومه وان من شيعته ممن شايعه في الايمان واصول الشريعة
لابرهيم ولا يبعد اتفاق شرعهما في الفروع او غالبا وكان بينهما الفان
وستمائة واربعون سنة وبينهما نبيان هود وصالح اذ جاء ربه متعلق بما في
الشيعة من معنى المشايعة او بمحذوف هو اذكر بقلب سليم من آفات القلوب

او من العلائق خالص لله او مخلص له وقيل حزين من السليم بمعنى اللديغ ومعنى
المجيء به ربه اخلاصه كانه جاء به متحفا اياه اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون
بدل من الاولى او ظرف لجاء او سليم ائفكا آلهة دون الله تريدون اي اتريدون
آلهة دون الله افكا فقدم المفعول للعناية ثم المفعول له لان الاهم ان يقرر انهم
على الباطل ومبنى امرهم على الافك ويجوز ان يكون افكا مفعولا به وآلهة بدل منه
على انه افك في نفسها للمبالغة او المراد بها عبادتها بحذف المضاف وحالا بمعنى
آفكين فما ظنكم برب العالمين بمن هو حقيق بالعبادة لكونه ربا للعالمين حتى تركتم
عبادته او اشركتم به غيره او امنتم من عذابه والمعنى انكار ما يوجب ظنا فضلا
عن قطع يصد عن عبادته او يجوز الاشراك بها او يقتضي الامن من عذابه على طريقة
الالزام وهو كالحجة على ما قبله فنظر نظرة في النجوم فرأى مواقعها واتصالاتها
او في علمها او كتابها ولا منع منه مع ان قصده ايهامهم وذلك حين سألوه ان يعيد معهم
فقال اني سقيم اراهم انه استدل بها لانهم كانوا منجمين على انه مشارف للسقم
لئلا يخرجوه الى معيدهم فانه كان اغلب اسقامهم الطاعون وكانوا يخافون العدوى
او اراد اني سقيم القلب لكفركم او خارج المزاج عن الاعتدال خروجا قل من يخلو
منه او بصدد الموت ومنه المثل كفى بالسلامة داء وقول لبيد شعر فدعوت
ربي بالسلامة جاهدا * ليصحني فاذا السلامة داء * فتولوا عنه مدبرين هاربين
مخافة العدوى فراغ الى آلهتهم فذهب اليها في خفية من روغة الثعلب واصله
الميل بحيلة فقال اي للاصنام استهزاء الا تأكلون يعني الطعام الذي كان
عندهم ما لكم لا تنطقون بجوابي فراغ عليهم فمال عليهم مستخفيا والتعدية
بعلى للاستعلاء وان الميل لمكروه ضربا باليمين مصدر لراغ عليهم لانه في معنى
ضربهم او لمضمر تقديره فراغ عليهم يضربهم ضربا وتقييده باليمين للدلالة على قوته
فان قوة الآلة تستدعي قوة الفعل وقيل باليمين بسبب الحلف وهو قوله
تالله لاكيدن اصنامكم فاقبلوا اليه الى ابرهيم بعدما رجعوا فراوا اصنامهم

مكرهم فيبحثوا عن كاسرها فظنوا انه هو كما شرحه في قوله تعالى من فعل هذا بآلهتنا
الآية يزفون يسرعون من زفيف النعام وقرأ حمزة على بناء المفعول من ازفه اي
يزف بعضهم بعضا ويزفون من وزف اذا اسرع ويزفون من زفاه اذا حداه كان
بعضهم يزفو بعضا لتسارعهم اليه قال اتعبدون ما تنحتون من الاصنام والله
خلقكم وما تعملون اي وما تعملونه فان جوهرها بخلقه وشكلها وان كان بفعلهم
ولذلك جعل من اعمالهم فباقداره اياهم عليه وخلقه ما يتوقف عليه فعلهم من الدواعي
والعدد او عملكم بمعنى معمولكم ليطابق ما تنحتون او انه بمعنى الحدث فان فعلهم
اذا كان بخلق الله فيهم كان مفعولهم المتوقف على فعلهم اولى بذلك وبهذا المعنى
تمسك به اصحابنا على خلق الاعمال ولهم ان يرجحوا الاولين لما فيهما من حذف
او مجاز قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم في النار الشديدة من الجحمة وهي
شدة التاجج واللام بدل الاضافة اي جحيم ذلك البنيان فارادوا به كيدا
فانه لما قهرهم بالحجة قصدوا تعذيبه بذلك لئلا يظهر للعامة عجزهم
فجعلناهم الاسفلين الاذلين بابطال كيدهم وجعله برهانا نيرا على علو شانه
حيث جعل النار عليه بردا وسلاما وقال اني ذاهب الى ربي الى حيث امرني
ربي وهو الشام او حيثما اتجرد فيه لعبادته سيهدين الى ما فيه صلاح ديني
او الى مقصدي وانما بت القول لسبق وعده او لفرط توكله او البناء على عادته
ولم يكن كذلك حال موسى عليه السلام حين قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل
فلذلك ذكر بصيغة التوقع رب هب لي من الصالحين بعض الصالحين يعينني
على الدعوة والطاعة ويؤنسني في الغربة يعني الولد لان لفظ الهبة غالب فيه
ولقوله فبشرناه بغلام حليم بشره بالولد وبانه ذكر يبلغ اوان الحلم فان الصبي
لا يوصف بالحلم ويكون حليما واي حلم مثل حلمه حين عرض عليه ابوه الذبح وهو
مراهق فقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين وقيل ما نعت الله نبيا بالحلم
لعزة وجوده غير ابرهيم وابنه عليهما السلام وحالهما المذكورة بعد تشهد عليه

فلما

فلما بلغ معه السعي اي فلما وجد وبلغ ان يسعى معه في اعماله ومعه متعلق
بمحذوف دل عليه السعي لا به لان صلة المصدر لا تتقدمه ولا ببلغ فان بلوغهما لم يكن
معا كانه قال فلما بلغ السعي فقيل مع من فقيل معه وتخصيصه لان الاب اكمل
في الرفق واستصلاحه له فلا يستسعيه قبل اوانه او لانه استوهبه لذلك
وكان له يومئذ ثلث عشرة سنة قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك يحتمل
انه راى ذلك وانه راى ما هو تعبيره وقيل انه راى ليلة التروية ان قائلا
يقول له ان الله يامرك بذبح ابنك فلما اصبح روى انه من الله او من الشيطان
فلما امسى راى مثل ذلك فعرف انه من الله ثم راى مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره
وقال له ذلك ولهذا سميت الايام الثلثة بالتروية وعرفة والنحر والاظهر
ان المخاطب اسمعيل لانه الذي وهب له اثر الهجرة ولان البشارة باسحق بعد
معطوف على البشارة بهذا الغلام ولقوله عليه الصلوة والسلام انا ابن
الذبيحين فاحدهما جده اسمعيل والآخر ابوه عبد الله فان عبد المطلب نذر ان يذبح
ولدا ان سهل الله له حفر زمزم او بلغ بنوه عشرة فلما سهل خرج السهم على
عبد الله ففداه بمائة من الابل ولذلك سنت الدية مائة ولان ذلك كان بمكة
وكان قرنا الكبش معلقين بالكعبة حتى احترقا معها في ايام ابن الزبير ولم يكن اسحق
ثمة ولان البشارة باسحق كانت مقرونة بولادة يعقوب منه فلا يناسبها الامر
بذبحه مراهقا ومما روي انه عليه الصلوة والسلام سئل اي النسب افضل فقال
يوسف صديق الله ابن يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابرهيم خليل الله
فالصحيح انه قال يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم والزوائد من الراوي
وما روي ان يعقوب كتب الى يوسف مثل ذلك لم يثبت فانظر ماذا ترى
من الراي وانما شاوره فيه وهو حتم ليعلم ما عنده فيما نزل من بلاء الله فيثبت
قدمه ان جزع ويامن عليه ان سلم وليوطن نفسه عليه فيهون ويكتسب المثوبة
بالانقياد له قبل نزوله وقرأ حمزة والكسائي ماذا تري بضم التاء وكسر الراء

خالصة والباقون بفتحها وابو عمرو يميل فتحة الراء وورش بين بين والباقون
بالاخلاص فتحها قال يا ابت افعل ما تؤمر اي ما تؤمر به فحذفا دفعة او على
الترتيب كما عرفت او امرك على ارادة المأمور به والاضافة الى المأمور ولعله
فهم من كلامه انه رأى انه يذبحه مأمورا به او علم ان رؤيا الانبياء حق وان مثل
ذلك لا يقدمون عليه الا بامر ولعل الامر به في المنام دون اليقظة ليكون مبادرتهما
الى الامتثال ادل على كمال الانقياد والاخلاص وانما ذكر بلفظ المضارع
لتكرر الرؤيا ستجدني ان شاء الله من الصابرين على الذبح او على قضاء الله تعالى
فلما اسلما استسلما لامر الله او سلما الذبيح نفسه وابراهيم ابنه وقد قرئ بهما واصلهما
سلم هذا لفلان اذا خلص له فانه سلم من ان ينازع فيه وتله للجبين صرعه على شقه
فوقع جبينه على الارض وهو احد جانبي الجبهة وقيل كبه على وجهه باشارته
كيلا يرى فيه تغيرا يرق له فلا يذبحه وكان ذلك عند الصخرة بمنى او في الموضع
المشرف على مسجده او المنحر الذي ينحر فيه اليوم وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت
الرؤيا بالعزم والاتيان بالمقدمات وقد روي انه امر السكين بقوته على حلقه
مرارا فلم تقطع وجواب لما محذوف تقديره كان ما كان مما ينطق به الحال ولا
يحيط به المقال من استبشارهما وشكرهما لله على ما انعم عليهما من دفع البلاء بعد
حلوله والتوفيق لما لم يوفق غيرهما لمثله واظهار فضلهما به على العالمين مع احراز
الثواب العظيم الى غير ذلك انا كذلك نجزي المحسنين تعليل لافراج تلك الشدة عنهما
باحسانهما واحتج به من جوز النسخ قبل وقوعه فانه عليه السلام كان مأمورا
بالذبح لقوله افعل ما تؤمر ولم يحصل ان هذا لهو البلاء المبين الابتلاء البين الذي
يتميز فيه المخلص من غيره او المحنة البينة الصعوبة فانه لا اصعب منها وفديناه بذبح
عظيم بما يذبح بدله فيتم به الفعل عظيم عظيم الجثة سمين او عظيم القدر لانه يفدي
به الله نبيا ابن نبي واي نبي من نسله سيد المرسلين عليه افضل الصلوات والتسليمات
قيل كان كبشا من الجنة وقيل وعلا اهبط عليه من ثبير وروي انه هرب منه

عند

عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى اخذه فصار سنة والفادي على الحقيقة
ابراهيم وانما قال وفديناه لانه المعطي له والآمر به على التجوز في الفداء او الاسناد
واستدل به الحنفية على ان من نذر ذبح ولده لزمه ذبح شاة وليس فيه ما يدل عليه
وتركنا عليه في الآخرين سلام على ابراهيم سبق بيانه في قصة نوح كذلك نجزي
المحسنين انه من عبادنا المؤمنين لعله طرح عنه انا اكتفاء بذكره مرة في هذه
القصة وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين مقضيا نبوته مقدرا كونه من الصالحين
وبهذا الاعتبار وقعا حالين ولا حاجة الى وجود المبشر به وقت البشارة
فان وجود ذي الحال غير شرط بل الشرط مقارنة تعلق الفعل به لاعتبار المعنى بالحال
فلا حاجة الى تقدير مضاف يجعل عاملا فيهما مثل وبشرناه بوجود اسحق اي
بان يوجد اسحق نبيا من الصالحين ومع ذلك لا يصير نظير قوله فادخلوها خالدين
فان الداخلين مقدرين خلودهم وقت الدخول واسحق لم يكن مقدرا نبوة نفسه
وصلاحها حيثما يوجد ومن فسر الذبيح باسحق جعل المقصود من البشارة نبوته
وفي ذكر الصلاح بعد النبوة تعظيم لشأنه وايماء بانه الغاية لها لتضمنها
معنى الكمال والتكميل بالفعل على الاطلاق وباركنا عليه على ابراهيم في اولاده
وعلى اسحق بان اخرجنا من صلبه انبياء بني اسرائيل وغيرهم كايوب وشعيب او
افضنا عليهما بركات الدين والدنيا وقرئ وبركنا ومن ذريتهما محسن في عمله
او على نفسه بالايمان والطاعة وظالم لنفسه بالكفر والمعاصي مبين ظاهر ظلمه
وفي ذلك تنبيه على ان النسب لا اثر له في الهدى والضلال وان الظلم في اعقابهما
لا يعود عليهما بنقيصة وعيب ولقد مننا على موسى وهرون انعمنا عليهما بالنبوة
وغيرها من المنافع الدينية والدنيوية ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم من
تغلب فرعون او الغرق ونصرناهم الضمير لهما مع القوم فكانوا هم الغالبين على فرعون
وقومه وآتيناهما الكتاب المستبين البليغ في بيانه وهو التورية وهديناهما
الصراط المستقيم الطريق الموصل الى الحق والصواب وتركنا عليهما في الآخرين

سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزي المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين سبق
مثله وان الياس لمن المرسلين هو الياس بن ياسين سبط هرون اخي موسى بعث بعده
وقيل ادريس لانه قرئ وان ادريس وادراس مكانه وفي حرف ابي وان ابليس
وقرأ ابن ذكوان مع خلف عنه بحذف همزة الياس اذ قال لقومه الا تتقون
عذاب الله اتدعون بعلا اتعبدونه او تطلبون الخير منه وهو اسم صنم كان
لاهل بك من الشام وهو البلد الذي يقال له الان بعلبك وقيل البعل
الرب بلغة اليمن والمعنى اتدعون بعض البعول وتذرون احسن الخالقين وتتركون
عبادته وقد اشار فيه الى المقتضي للانكار المعني بالهمزة ثم صرح به بقوله
الله ربكم ورب ابائكم الاولين وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وحفص بالنصب
على البدل فكذبوه فانهم لمحضرون اي في العذاب وانما اطلقه اكتفاء بالقرينة
او لان الاحضار المطلق مخصوص بالشر عرفا الا عباد الله المخلصين مستثنى
من الواو لا من المحضرين لفساد المعنى وتركنا عليه في الاخرين سلام على ال ياسين
لغة في الياس كسيناء وسينين وقيل جمع له مراد به هو واتباعه كالمهلبين لكن فيه
ان العلم اذا جمع يجب تعريفه باللام او للمنسوب اليه بحذف ياء النسب كالاعجمين
وهو قليل ملبس وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب على اضافة ال الى ياسين لانهما
في المصحف مفصولان فيكون ياسين ابا الياس وقيل محمد عليه الصلوة والسلام
او القرآن او غيره من كتب الله والكل لا يناسب نظم سائر القصص ولا قوله انا كذلك
نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين اذ الظاهر ان الضمير لالياس وان لوطا
لمن المرسلين اذ نجيناه واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا الاخرين
سبق بيانه وانكم يا اهل مكة لتمرون عليهم على منازلهم في متاجركم الى الشام
فان سدوم في طريقه مصبحين داخلين في الصباح وبالليل اي ومساء او نهارا
وليلا ولعلها وقعت قريب منزل يمر بها المرتحل عنه صباحا والقاصد لها مساء
افلا تعقلون افليس فيكم عقل تعتبرون به وان يونس لمن المرسلين وقرئ بكسر النون

اذ ابق هرب واصله الهرب من السيد لكن لما كان هربه من قومه بغير اذن ربه حسن
اطلاقه عليه الى الفلك المشحون المملوء فساهم فقارع اهله فكان من المدحضين
فصار من المغلوبين بالقرعة واصله المزلق عن مقام الظفر روي انه لما وعد قومه
بالعذاب خرج من بينهم قبل ان يامره الله به فركب السفينة فوقفت فقالوا ههنا
عبد ابق فاقترعوا فخرجت القرعة عليه فقال انا الابق ورمى بنفسه في الماء فالتقمه
الحوت فابتلعه من اللقمة وهو مليم داخل في الملامة او آت بما يلام عليه او مليم نفسه
وقرئ بالفتح مبنيا من ليم كمشيب في مشوب فلولا انه كان من المسبحين الذاكرين الله
كثيرا بالتسبيح مدة عمره او في بطن الحوت وهو قوله عليه السلام لا اله الا انت
سبحانك اني كنت من الظالمين وقيل من المصلين للبث في بطنه الى يوم يبعثون حيا وقيل
ميتا وفيه حث على اكثار الذكر وتعظيم لشانه ومن اقبل عليه في السراء اخذ
بيده في الضراء فنبذناه بان حملنا الحوت على لفظه بالعراء بالمكان الخالي عما يغطيه
من شجر او نبت روي ان الحوت سار مع السفينة رافعا راسه يتنفس فيه يونس
ويسبح حتى انتهوا الى البر فلفظه واختلف في مدة لبثه فقيل بعض يوم وقيل
ثلثة ايام وقيل سبعة وقيل عشرون وقيل اربعون وهو سقيم مما ناله قيل صار
بدنه كبدن الطفل حين يولد وانبتنا عليه اي فوقه مظلة عليه شجرة من يقطين
من شجر ينبسط على وجه الارض ولا يقوم على ساقه يفعيل من قطن بالمكان اذا اقام به
والاكثر على انها كانت الدباء غطته باوراقها عن الذباب فانه لا يقع عليه
ويدل عليه انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتحب القرع قال اجل
هي شجرة اخي يونس عليه السلام وقيل التين وقيل الموز تغطى بورقه
ويستظل باغصانه ويفطر على ثماره وارسلناه الى مائة الف هم قومه الذين
هرب عنهم وهم اهل نينوى والمراد به ما سبق من ارساله او ارسال ثان اليهم او الى
غيرهم او يزيدون في مرأى الناظر اذا نظر اليهم قال هم مائة الف او اكثر والمراد
الوصف بالكثرة وقرئ بالواو فآمنوا فصدقوا او فجددوا الايمان به بمحضره

فمتعناهم الى حين الى اجلهم المسمى ولعله انما لم يختم قصته وقصة لوط بما ختم به
سائر القصص تفرقة بينهما وبين ارباب الشرائع الكبر واولى العزم من الرسل او اكتفاء
بالتسليم الشامل لكل الرسل المذكورين في آخر السورة فاستفتهم الربك البنات ولهم
البنون معطوف على مثله في اول السورة امر رسوله اولا باستفتاء قريش عن وجه
انكارهم البعث وساق الكلام في تقريره جارا لما يلائمه من القصص موصولا بعضها
ببعض ثم امره باستفتائهم عن وجه القسمة حيث جعلوا لله البنات ولانفسهم البنين
في قولهم الملائكة بنات الله وهؤلاء زادوا على الشرك ضلالات اخر التجسيم
وتجويز الفناء على الله تعالى فان الولادة مخصوصة بالاجسام الكائنة الفاسدة
وتفضيل انفسهم عليه حيث جعلوا اوضع الجنسين له وارفعهما لهم واستهانتهم بالملائكة
حيث انثوهم ولذلك كرر الله تعالى انكار ذلك وابطاله في كتابه مرارا وجعله
مما تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا والانكار ههنا مقصور
على الاخيرين لاختصاص هذه الطائفة بهما ولان فسادهما مما تدركه العامة بمقتضى
طباعهم حيث جعل المعادل للاستفهام عن التقسيم ام خلقنا الملائكة اناثا وهم
شاهدون وانما خص علم المشاهدة لان امثال ذلك لا يعلم الا به فان الانوثة
ليست من لوازم ذاتهم ليمكن معرفتها بالعقل الصرف مع ما فيه من الاستهزاء والاشعار
بانهم لفرط جهلهم يبتون به كانهم قد شاهدوا خلقهم الا انهم من افكهم ليقولون
ولد الله لعدم ما يقتضيه وقيام ما ينفيه وانهم لكاذبون فيما يتدينون به وقرئ
ولد الله اي الملائكة ولده فعل بمعنى مفعول يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر
والمؤنث اصطفى البنات على البنين استفهام انكار واستبعاد والاصطفاء اخذ
صفوة الشيء وعن نافع كسر الهمزة على حذف حرف الاستفهام لدلالة ام بعدها عليها
او على الاثبات باضمار القول اي لكاذبون في قولهم اصطفى او ابداله من ولد الله
ما لكم كيف تحكمون بما لا يرتضيه عقل افلا تذكرون انه منزه عن ذلك ام لكم
سلطان مبين حجة واضحة نزلت عليكم من السماء ان الملائكة بنات الله فاتوا بكتابكم

الذي

الذي انزل عليكم ان كنتم صادقين في دعواكم وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا
يعني الملائكة ذكرهم باسم جنسهم وضعا منهم ان يبلغوا هذه المرتبة وقيل قالوا
ان الله صاهر الجن فخرجت الملائكة وقيل قالوا الله والشيطان اخوان ولقد علمت
الجنة انهم ان الكفرة او الانس والجنة ان فسرت بغير الملائكة لمحضرون في العذاب
سبحان الله عما يصفون من الولد والنسب الا عباد الله المخلصين استثناء من المحضرين
منقطع او متصل ان فسر الضمير بما يعمهم وما بينهما اعتراض او من يصفون فانكم وما
تعبدون عود الى خطابهم ما انتم عليه على الله بفاتنين مفسدين الناس بالاغواء
الا من هو صال الجحيم الا من سبق في علمه انه من اهل النار ويصلاها لا محالة وانتم
ضمير لهم ولآلهتهم غلب فيه المخاطب على الغائب ويجوز ان يكون وما تعبدون لما فيه
من معنى المقارنة سادا مسد الخبر اي انكم وآلهتكم قرناء لا تبرحون تعبدونها ما انتم
على ما تعبدونه بفاتنين بباعثين على طريق الفتنة الا ضالا مستوجبا للنار مثلكم
وقرئ صال بالضم على انه جمع محمول على معنى من ساقط واوه لالتقاء الساكنين
او تخفيف صائل على القلب كشاك في شائك او المحذوف منه كالمنسي كما في قولهم
ما باليت به بالة فان اصلها بالية كعافية وما منا الا له مقام معلوم في المعرفة
والعبادة والانتهاء الى امر الله في تدبير العالم لا نتجاوزه فحذف الموصوف واقيمت
الصفة مقامه ويحتمل ان يكون هذا وما قبله من قوله سبحان الله من كلامهم ليتصل
بقوله ولقد علمت الجنة كانه قال ولقد علم الملائكة ان المشركين معذبون بذلك
وقالوا سبحان الله تنزيها له عنه ثم استثنوا المخلصين تبرئة لهم منه ثم خاطبوا الكفرة
بان ذلك الافتتان بذلك للشقاوة المقدرة ثم اعترفوا بالعبودية وتفاوت
مراتبهم فيها لا يتجاوزونها فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه وانا لنحن الصافون
في اداء الطاعة ومنازل الخدمة وانا لنحن المسبحون المنزهون الله عما لا يليق به
ولعل الاول اشارة الى درجاتهم في الطاعات وهذا في المعارف وما في
ان واللام وتوسيط الفصل من التاكيد والاختصاص لانهم المواظبون على ذلك

دائما من غير فترة ... وقيل هو من كلام النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
والمعنى وما منا إلا له مقام معلوم في الجنة أو بين يدي الله في القيمة وإنا
لنحن الصافون له في الصلوة والمنزهون له عن السوء وإن كانوا ليقولون أي
مشركو قريش لو أن عندنا ذكرا من الأولين كتابا من الكتب التي نزلت عليهم لكنا عباد الله
المخلصين لأخلصنا العبادة له ولم نخالف مثلهم فكفروا به أي لما جاءهم الذكر
الذي هو أشرف الأذكار والمهيمن عليها فسوف يعلمون عاقبة كفرهم ولقد سبقت
كلمتنا لعبادنا المرسلين أي وعدنا لهم بالنصر والغلبة وهو قوله إنهم لهم المنصورون
وإن جندنا لهم الغالبون وهو باعتبار الغالب والمقضي بالذات وإنما سماه كلمة
وهي كلمات لانتظامها في معنى واحد فتول عنهم فأعرض عنهم حتى حين هو الموعد
لنصرك عليهم وهو يوم بدر وقيل يوم الفتح وأبصرهم على ما ينالهم حينئذ والمراد
بالأمر الدلالة على أن ذلك كائن قريب كأنه قدامه فسوف يبصرون ما قضينا
لك من التأييد والنصرة والثواب في الآخرة وسوف للوعيد لا للتبعيد أفبعذابنا
يستعجلون روي أنه لما نزل فسوف يبصرون قالوا متى هذا فنزل فإذا نزل بساحتهم
فإذا نزل العذاب بفنائهم شبهه بجيش هجمهم فأناخ بفنائهم بغتة وقيل الرسول
عليه الصلوة والسلام وقرئ نزل على إسناده إلى الجار والمجرور ونزل أي العذاب
فساء صباح المنذرين فبئس صباح المنذرين صباحهم واللام للجنس والصباح
مستعار من صباح الجيش المبيت لوقت نزول العذاب ولما كثرت فيهم الهجوم
والغارة في الصباح سموا الغارة صباحا وإن وقعت في وقت آخر وتول عنهم حتى
حين وأبصر فسوف يبصرون تأكيد إلى تأكيد وإطلاق بعد تقييد للإشعار بأنه
يبصر وأنهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر من أصناف المسرة وأنواع المساءة أو الأول
لعذاب الدنيا والثاني لعذاب الآخرة سبحان ربك رب العزة عما يصفون عما قاله
المشركون فيه على ما حكي في السورة وإضافة الرب إلى العزة لاختصاصها به إذ لا
عزة إلا له أو لمن أعزه وقد أدرج فيه جملة صفاته السلبية والثبوتية مع الإشعار

بالتوحيد

بالتوحيد وسلام على المرسلين تعميم للرسل بالتسليم بعد تخصيص بعضهم والحمد لله
رب العالمين على ما أفاض عليهم وعلى من اتبعهم من النعم وحسن العاقبة ولذلك أخره
عن التسليم والمراد تعليم المؤمنين كيف يحمدونه ويسلمون على رسله وعن علي رضي الله عنه
من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيمة فليكن آخر كلامه في مجلسه سبحان ربك
الآيات وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ والصافات أعطي من الأجر عشر حسنات
بعدد كل جني وشيطان وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ
من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيمة أنه كان مؤمنا بالمرسلين

سورة ص مكية وهي ست أو ثمان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ص وقرئ بالكسر لالتقاء الساكنين وقيل لأنه أمر من المصاداة
بمعنى المعارضة ومنه الصدى فإنه يعارض الصوت الأول أي عارض القرآن
بعملك وبالفتح لذلك أو لحذف حرف القسم وإيصال فعله إليه أو إضماره والفتح
في موضع الجر فإنها غير منصرفة لأنه علم السورة وبالجر والتنوين على تأويل الكتاب
والقرآن ذي الذكر الواو للقسم إن جعل ص اسم حرف أو مذكورا للتحدي أو للرمز
بكلام مثل صدق محمد صلى الله عليه وسلم أو اسما للسورة خبرا لمحذوف أو لفظ الأمر
وللعطف إن جعل مقسما به والجواب محذوف دل عليه ما في ص من الدلالة على التحدي
أو الأمر بالمعادلة أي إنه لمعجز أو لواجب العمل به أو أن محمدا لصادق أو قوله
بل الذين كفروا في عزة وشقاق أي ما كفر به من كفر لخلل وجده فيه بل الذين كفروا
به في عزة أي استكبار عن الحق وشقاق خلاف لله ولرسوله ولذلك كفروا به وعلى
الأولين الإضراب أيضا من الجواب المقدر ولكن من حيث إشعاره بذلك والمراد بالذكر
العظة أو الشرف والشهرة أو ذكر ما يحتاج إليه في الدين من العقائد والشرائع
والمواعيد والتنكير في عزة وشقاق للدلالة على شدتهما وقرئ في غرة أي غفلة
عما يجب عليهم النظر فيه كم أهلكنا من قبلهم من قرن وعيد لهم على كفرهم به استكبارا

فنادوا استغاثة او توبة واستغفارا ولات حين مناص اي ليس الحين
حين مناص ولا هي المشبهة بليس زيدت عليها تاء التانيث للتاكيد كما زيدت
على رب وثم وخصت بلزوم الاحيان وحذف احد المعمولين وقيل هي النافية
للجنس اي ولا حين مناص لهم وقيل للفعل والنصب باضمار اي ولا ارى حين مناص
وقرئ بالرفع على انه اسم لا او مبتدا محذوف الخبر اي ليس حين مناص حاصلا لهم
ولا حين مناص كائن لهم وبالكسر كقوله شعر طلبوا صلحنا ولات اوان فاجبنا
ان لات حين بقاء اما لان لات تجر الاحيان كما ان لولا تجر الضمائر في نحو قوله
لولاك هذا العام لم احجج او لان اوان شبه باذ لانه مقطوع عن الاضافة اذ اصله
اوان صلح ثم حمل عليه مناص تنزيلا لما اضيف الى الظرف منزلته لما بينهما من الاتحاد
واذ اصله حين مناصهم ثم بني الحين لاضافته الى غير متمكن ولات بالكسر كجير وتقف
الكوفية عليها بالهاء كالاسماء والبصرية بالتاء كالافعال وقيل ان التاء مزيدة على
على حين لاتصالها به في الامام ولا يرد عليه ان خط المصحف خارج عن القياس اذ مثله
لم يعهد فيه والاصل اعتباره الا فيما خصه الدليل ولقوله شعر العاطفون تحين
لا من عاطف • والمطعمون زمان ما من مطعم • والمناص المنجا من ناصه ينوصه اذا فاته
وعجبوا ان جاءهم منذر منهم بشر مثلهم او امي من عدادهم وقال الكافرون وضع فيه
الظاهر موضع المضمر غضبا عليهم وذما لهم واشعارا بان كفرهم جسرهم على هذا
القول هذا ساحر فيما يظهره معجزة كذاب فيما يقوله على الله اجعل الالهة الها واحدا
بان جعل الالوهية التي كانت لهم لواحد ان هذا لشيء عجاب بليغ في العجب فانه خلاف
ما اطبق عليه اباؤنا وما نشاهده من ان الواحد لا يفي علمه وقدرته بالاشياء الكثيرة
وقرئ مشددا وهو ابلغ ككرام وكرام روي انه لما اسلم عمر رض شق ذلك على قريش
فاتوا ابا طالب وقالوا انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وانا
جئناك لتقضي بيننا وبين ابن اخيك فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
هؤلاء قومك يسئلونك السؤال فلا تمل كل الميل عليهم فقال عليه الصلوة والسلام ماذا

تسألونني قالوا ارفضنا وارفض ذكر الهتنا وندعك والهك فقال ارأيتم ان اعطيتكم
ما سألتم أمعطي انتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم فقالوا نعم وعشرا
فقال قولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا ذلك وانطلق الملأ منهم وانطلق اشراف
قريش من مجلس ابي طالب بعد ما بكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان امشوا قائلين
بعضهم لبعض امشوا واصبروا واثبتوا على الهتكم على عبادتها فلا ينفعكم مكالمته
وان هي المفسرة لان الانطلاق عن مجلس التقاول يشعر بالقول وقيل المراد بالانطلاق
الاندفاع في القول وامشوا من مشت المرأة اذا كثرت ولادتها ومنه الماشية اي
اجتمعوا وقرئ بغير ان وقرئ يمشون ان اصبروا ان هذا لشيء يراد ان هذا الامر
لشيء من ريب الزمان يراد بنا فلا مرد له او ان هذا الذي يدعيه من التوحيد
او يقصده من الرياسة والترفع على العرب والعجم لشيء يتمنى او يريده كل احد او ان
دينكم لشيء يطلب ليؤخذ منكم وتغلبوا عليه ما سمعنا بهذا بالذي يقوله في الملة
الاخرة في الملة التي ادركنا عليها اباءنا او في ملة عيسى التي هي اخر الملل فان
النصارى يثلثون ويجوز ان يكون حالا من هذا اي ما سمعنا من اهل الكتاب ولا
الكهان بالتوحيد كائنا في الملة المترقبة ان هذا الا اختلاق كذب اختلقه أأنزل
عليه الذكر من بيننا انكار لاختصاصه بالوحي وهو مثلهم او ادون منهم في الشرف
والرياسة لقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وامثال
ذلك دليل على ان مبدأ تكذيبهم لم يكن الا الحسد وقصور النظر على الحطام الدنيوي
بل هم في شك من ذكري من القرآن او الوحي لميلهم الى التقليد واعراضهم عن الدليل
وليس في عقيدتهم ما يبتون به من قولهم هذا ساحر كذاب ان هذا الا اختلاق
بل لما يذوقوا عذاب بل لم يذوقوا عذابي بعد فاذا ذاقوه زال شكهم والمعنى انهم
لا يصدقون به حتى يمسهم العذاب فيلجئهم الى تصديقه ام عندهم خزائن رحمة
ربك العزيز الوهاب بل اعندهم خزائن رحمته وفي تصرفهم حتى يصيبوا بها
من شاؤوا او يصرفوها عمن شاؤوا فيتخيروا للنبوة بعض صناديدهم والمعنى ان النبوة

ذكره

عطية من الله يتفضل بها على من يشاء من عباده لا مانع له فانه العزيز الغالب الذي لا يغلب
الوهاب الذي له ان يهب كل ما يشاء لمن يشاء ثم رشح ذلك فقال ام لهم ملك السموات
والارض وما بينهما كانه لما انكر عليهم التصرف في نبوته بان ليس عندهم خزائن رحمته
التي لا نهاية لها اردف ذلك بانه ليس لهم مدخل في امر هذا العالم الجسماني الذي
هو جزء يسير من خزائنه فمن اين لهم ان يتصرفوا فيها فليرتقوا في الاسباب جواب شرط
محذوف اي ان كان لهم ذلك فليصعدوا في المعارج التي يتوصل بها الى العرش حتى
يستووا عليه ويدبروا امر العالم فينزلوا الوحي الى من يستصوبون وهو غاية
التهكم بهم والسبب في الاصل هو الوصلة وقيل المراد بالاسباب السموات لانها
اسباب الحوادث السفلية جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب اي هم جند ما من الكفار
المتحزبين على الرسول مهزوم مكسور عما قريب فمن اين لهم التدابير الالهية والتصرف
في الامور الربانية او فلا تكترث بما يقولون وما مزيدة للتقليل كقولك اكلت
شيئا ما وقيل للتعظيم على الهزء وهو لا يلائم ما بعده وهنالك اشارة الى حيث وضعوا
فيه انفسهم من الانتداب لمثل هذا القول كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون
ذو الاوتاد ذو الملك الثابت بالاوتاد كقوله ولقد غنوا فيها بانعم عيشة
في ظل ملك ثابت الاوتاد ماخوذ من ثبات البيت المطنب باوتاده او ذو الجموع
الكثيرة سموا بذلك لان بعضهم يشد بعضا كالوتد يشد البناء وقيل نصب اربع
سوار وكان يمد يدي المعذب ورجليه اليها ويضرب عليها ويتركه حتى
يموت وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة واصحاب الغيضة وهم قوم شعيب
اولئك الاحزاب يعني المتحزبين على الرسل الذين جعل الجند المهزوم منهم ان كل
الا كذب الرسل بيان لما اسند اليهم من التكذيب على وجه الابهام مشتمل على انواع
من التاكيد ليكون تسجيلا على استحقاقهم للعذاب ولذلك رتب عليه فحق عقاب
وهو اما مقابلة الجمع بالجمع او جعل تكذيب الواحد منهم تكذيب جميعهم وما ينظر هؤلاء
وما ينتظر قومك او الاحزاب فانهم كالحضور لاستحضارهم بالذكر او حضورهم

في علم الله

في علم الله الا صيحة واحدة هي النفخة ما لها من فواق من توقف مقدار فواق وهو ما
بين الحلبتين او رجوع وترداد فانه فيه يرجع اللبن الى الضرع وقرأ حمزة والكسائي
بالضم وهما لغتان وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قسطنا من العذاب الذي توعدنا
به او الجنة التي تعد للمؤمنين وهو من قطه اذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة
قط لانها قطعة من القرطاس وقد فسر بها اي عجل لنا صحيفة اعمالنا ننظر فيها
قبل يوم الحساب استعجلوا ذلك استهزاء اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا
داود واذكر لهم قصته تعظيما للمعصية في اعينهم فانه مع علو شانه واختصاصه
بعظائم النعم والمكرمات لما اتى صغيرة نزل عن منزلته ووبخه الملائكة
بالتمثيل والتعريض حتى تفطن فاستغفر ربه واناب فما الظن بالكفرة واهل
الطغيان او تذكر قصته وصن نفسك ان تزل فيلقاك ما لقيه من المعاتبة على
اهماله عنان نفسه ادنى اهمال ذا الايد ذا القوة يقال فلان ايد وذو ايد
وآد واياد بمعنى انه اواب رجاع الى مرضاة الله وهو تعليل لايد دليل
على ان المراد به القوة في الدين وكان يصوم يوما ويفطر يوما ويقوم نصف
الليل انا سخرنا الجبال معه يسبحن قد مر تفسيره ويسبحن حال وضع موضع
مسبحات لاستحضار الحال الماضية والدلالة على تجدد التسبيح حالا بعد حال
بالعشي والاشراق ووقت الاشراق وهو حين تشرق الشمس اي تضيء ويصفو
شعاعها وهو وقت الضحى واما شروقها فطلوعها يقال شرقت الشمس ولما
تشرق وعن ام هانئ انه صلى الله تعالى عليه وسلم صلى صلوة الضحى وقال
هذه صلوة الاشراق وعن ابن عباس ما عرفت صلوة الضحى الا بهذه الاية
والطير محشورة اليه من كل جانب وانما لم يراع المطابقة بين الحالين لان الحشر
جملة ادل على القدرة منه مدرجا وقرئ والطير محشورة بالابتداء والخبر
كل له اواب كل واحد من الجبال والطير لاجل تسبيحه رجاع الى التسبيح والفرق
بينه وبين ما قبله انه يدل على الموافقة في التسبيح وهذا على المداومة عليها

او كل منهما ومن داود مرجع لله التسبيح وشددنا ملكه وقويناه بالهيبة والنصرة
وكثرة الجنود وقرئ بالتشديد للمبالغة وقيل ان رجلا ادعى بقرة على آخر
وعجز عن البيان فاوحي اليه ان اقتل المدعى عليه فاعلمه فقال صدقت اني قتلت
اباه غيلة واخذت البقرة فعظمت بذلك هيبته وآتيناه الحكمة النبوة او كمال العلم
واتقان العمل وفصل الخطاب تمييز الحق عن الباطل او الكلام المخلص الذي
ينبه المخاطب على المقصود من غير التباس يراعى فيه مظان الفصل والوصل والعطف
والاستيناف والاضمار والاظهار والحذف والتكرار ونحوها وانما سمي به اما
بعد لانه يفصل المقصود عما سبق مقدمة له من الحمد والصلوة وقيل هو الخطاب
الفصل الذي ليس فيه اختصار مخل ولا اشباع ممل كما جاء في وصف كلام الرسول
صلى الله تعالى عليه وسلم فصل لا نزر ولا هذر وهل اتيك نبؤ الخصم
استفهام معناه التعجب والتشويق الى استماعه والخصم في الاصل مصدر ولذلك
اطلق للجمع اذ تسوروا المحراب اذ تصعدوا سور الغرفة تفعل من السور كتسنم
من السنام واذ متعلق بمحذوف اى نبأ تحاكم الخصم اذ تسوروا او بالنبأ على ان
المراد به الواقع في عهد داود وان اسناد اتى اليه على حذف مضاف اى قصة
نبأ الخصم او بالخصم لما فيه من معنى الفعل لا باتى لان اتيانه الرسول لم يكن ح واذ
الثانية في اذ دخلوا على داود بدل من الاولى او ظرف لتسوروا ففزع منهم
لانهم نزلوا عليه من فوق في يوم الاحتجاب والحرس على الباب لا يتركون
من يدخل عليه فانه كان عليه السلام جزى زمانه يوما للعبادة ويوما للقضاء
ويوما للوعظ ويوما للاشتغال بخاصته فتسور عليه ملائكة على صورة
انسان في يوم الخلوة قالوا لا تخف خصمان نحن فوجان متخاصمان على تسمية مصاحب
الخصم خصما بغى بعضنا على بعض وهو على الفرض وقصد التعريض ان كانوا ملائكة
وهو المشهور فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط ولا تجر في الحكومة وقرئ ولا تشطط
اى لا تبعد عن الحق ولا تشطط ولا تشاطط والكل من معنى الشطط وهو مجاوزة

الحد

الحد واهدنا الى سواء الصراط الى وسطه وهو العدل ان هذا اخي بالدين او بالصحبة
له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة هي الانثى من الضان وقد يكنى بها عن المرأة
والكناية والتمثيل فيما يساق للتعريض ابلغ في المقصود وقرئ تسع وتسعون
بفتح التاء ونعجة بكسر النون فقال اكفلنيها ملكنيها وحقيقته اجعلني اكفلها
كما اكفل ما تحت يدي وقيل اجعلها كفلي اى نصيبي وعزني في الخطاب
وغلبني في مخاطبته اياي محاجة بان جاء بحجاج لم اقدر رده او في مغالبته
اياي في الخطبة يقال خطبت المرأة وخطبها هو فخاطبني خطابا حيث زوجها
دوني وقرئ وعازني وعزني على تخفيف غريب قال لقد ظلمك بسؤال
نعجتك الى نعاجه جواب قسم محذوف قصد به المبالغة في انكار فعل خليطه
وتهجين طمعه ولعله قال ذلك بعد اعترافه او على تقدير صدق المدعي والسؤال
مصدر مضاف الى مفعوله وتعديته الى مفعول آخر بالى لتضمنه معنى الاضافة
وان كثيرا من الخلطاء الشركاء الذين خلطوا اموالهم جمع خليط ليبغي ليتعدى
وقرئ بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة وحذفها كقوله اضرب عنك الهموم
طارقها وبحذف الياء اكتفاء بالكسرة بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا
الصالحات وقليل ما هم اى وهم قليل وما مزيدة للابهام والتعجب من قلتهم
وظن داود انما فتناه ابتليناه بالذنب او امتحناه بتلك الحكومة هل تنبه
بها فاستغفر ربه لذنبه وخر راكعا اى ساجدا على تسمية السجود ركوعا
لانه مبداه او خر للسجود راكعا مصليا كانه احرم بركعتي الاستغفار
واناب ورجع الى الله بالتوبة واقصى ما في هذه الاشعار بانه عليه السلام ود
ان يكون له ما لغيره وكان له امثاله فنبهه الله بهذه القصة فاستغفر واناب عنه
وما روى ان بصره وقع على امرأة فعشقها وسعى حتى تزوجها وولدت منه
سليمان ان صح فلعله خطب مخطوبته او استنزله عن زوجته وكان ذلك معتادا
فيما بينهم وقد واسى الانصار المهاجرين بهذا المعنى وما قيل انه ارسل اوريا

الى الجهاد مع الروم وامر ان يقدم حتى قتل فتزوجها هزؤا وافتراء ولذلك
قال علي رضه من حدث بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة
وستين وقيل ان قوما قصدوا ان يقتلوه فتسوروا المحراب ودخلوا عليه
فوجدوا عنده اقواما فتصنعوا بهذا التحاكم فعلم غرضهم وقصد ان ينتقم
منهم فظن ان ذلك ابتلاء من الله له فاستغفر ربه مما هم به واناب فغفرنا له
ذلك اي ما استغفر عنه وان له عندنا لزلفى لقربة بعد المغفرة وحسن مآب مرجع
في الجنة يا داود انا جعلناك خليفة في الارض استخلفناك على الملك فيها او
جعلناك خليفة ممن قبلك من الانبياء القائمين بالحق فاحكم بين الناس بالحق
بحكم الله ولا تتبع الهوى ما تهوى النفس وهو يؤيد ما قيل ان ذنبه المبادرة الى
تصديق المدعي وتظليم الآخر قبل مسألته فيضلك عن سبيل الله دلائله التي نصبها
على الحق ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب
بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن السبيل فان تذكره يقتضي ملازمة الحق ومخالفة
الهوى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا خلقا باطلا لا حكمة فيه او ذوي
باطل بمعنى مبطلين عابثين كقوله وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين
او للباطل الذي هو متابعة الهوى بل للحق الذي هو مقتضى الدليل من التوحيد
والتدرع بالشرع كقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون على وضعه
موضع المصدر مثل هنيئا ذلك ظن الذين كفروا الاشارة الى خلقها باطلا والظن
بمعنى المظنون فويل للذين كفروا من النار بسبب هذا الظن ام نجعل الذين آمنوا
وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام منقطعة والاستفهام فيها لانكار التسوية
بين الحزبين التي هي من لوازم خلقها باطلا ليدل على نفيه وكذا التي في قوله ام نجعل
المتقين كالفجار كانه انكر التسوية اولا بين المؤمنين والكافرين ثم بين المتقين من المؤمنين
والمجرمين منهم ويجوز ان يكون تكريرا للانكار الاول باعتبار وصفين آخرين يمنعان
التسوية من الحكيم الرحيم والآية تدل على صحة القول بالحشر فان التفاضل بينهما

اما ان يكون في الدنيا والغالب فيها عكس ما يقتضي الحكمة فيه او في غيرها
وذلك يستدعي ان يكون لهم حالة اخرى يجازون فيها كتاب انزلناه اليك
مبارك نفاع وقرئ بالنصب على الحال ليدبروا آياته ليتفكروا فيها فيعرفوا
ما يدبر ظاهرها من التأويلات الصحيحة والمعاني المستنبطة وقرئ ليتدبروا
على الاصل ولتدبروا اي انت وعلماء امتك وليتذكر اولوا الالباب وليتعظ
به ذووا العقول السليمة او ليستحضروا ما هو كالمركوز في عقولهم من فرط
تمكنهم من معرفته بما نصب عليه من الدلائل فان الكتب الالهية بيان لما لا يعرف
الا من الشرع وارشاد الى ما يستقل به العقل ولعل التدبر للمعلوم الاول
والتذكر للثاني ووهبنا لداود سليمان نعم العبد اي نعم العبد سليمن اذ ما بعده
تعليل للمدح وهو من حاله انه اواب رجاع الى الله بالتوبة او الى التسبيح
مرجع له اذ عرض عليه ظرف لاواب او لنعم والضمير لسليمن عند الجمهور بالعشي
بعد الظهر الصافنات الصافن من الخيل الذي يقوم على طرف سنبك يد
او رجل وهو من الصفات المحمودة في الخيل لا يكون الا في العراب الخلص الجياد
جمع جواد او جود وهو الذي يسرع في جريه وقيل الذي يجود بالركض
وقيل جمع جيد روي انه عليه الصلوة والسلام غزا دمشق ونصيبين واصاب
الف فرس وقيل اصابها ابوه من العمالقة فورثها منه فاستعرضها فلم تزل
تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر او عن ورد كان له فاغتم
لما فاته فاستردها فعقرها تقربا بالله فقال اني احببت حب الخير عن ذكر
ربي اصل احببت ان يعدى بعلى لانه بمعنى آثرت لكن لما انيب مناب انبت
عدي بعن وقيل هو بمعنى تقاعدت من قوله مثل بعير السوء اذ احبا
اي برك وحب الخير مفعول له والخير المال الكثير والمراد به الخيل التي شغلته
ويحتمل انه سماها خيرا لتعلق الخير بها قال عليه الصلوة والسلام الخيل معقود
بنواصيها الخير الى يوم القيمة حتى توارت بالحجاب اي غربت الشمس شبه

غروبها بتواري المخبأة بحجابها واضمارها من غير ذكر لدلالة العشي عليه
ردوها علي الضمير للصافنات فطفق مسحا فاخذ يمسح السيف مسحا بالسوق
والاعناق اي بسوقها واعناقها يقطعها من قولهم مسح علاوته اذا ضرب
عنقه وقيل جعل يمسح بيده اعناقها وسوقها حبا لها وعن ابن كثير بالسؤق
على همز الواو لضمة ما قبلها كمؤقن وعن ابي عمرو بالسؤوق وقرئ بالساق
اكتفاء بالواحد عن الجمع لامن الالتباس ولقد فتنا سليمن والقينا على كرسيه
جسدا ثم اناب واظهر ما قيل فيه ما روي مرفوعا انه قال لاطوفن الليلة
على سبعين امرأة تاتي كل واحدة بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل ان شاء
الله تعالى فطاف عليهن فلم تحمل الا امرأة جاءت بشق رجل فوالذي نفس محمد
بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا فرسانا وقيل ولد له ابن فاجتمعت
الشياطين على قتله فعلم ذلك فكان يغذوه في السحاب فما شعر به الا ان القي
على كرسيه ميتا فتنبه على خطائه بان لم يتوكل على الله وقيل انه غزا صيدون
من الجزائر فقتل ملكها واصاب بنته جرادة فاحبها وكان لا يرقا دمعها
جزعا على ابيها فامر الشياطين فمثلوا لها صورته وكانت تغدو اليها وتروح
مع ولائدها يسجدن لها كعادتهن في ملكه فاخبره آصف فكسر الصورة وضرب
المرأة وخرج الى الفلاة باكيا متضرعا وكانت له ام ولد اسمها امينة
اذا دخل للطهارة اعطاها خاتمه وكان ملكه فيه فاعطاها يوما فتمثل لها
بصورته شيطان اسمه صخر واخذ الخاتم فتختم به وجلس على كرسيه فاجتمع عليه
الخلق ونفذ حكمه في كل شيء الا فيه وفي نسائه وغير سليمن عن هيئته
فاتاها لطلب الخاتم فطردته فعرف ان الخطيئة قد ادركته فكان يدور
على البيوت يتكفف حتى مضى اربعون يوما عدد ما عبد الصورة في
بيته فطار الشيطان وقذف الخاتم في البحر فابتلعته سمكة فوقعت في يده
فبقرها فوجد الخاتم فتختم به وخر ساجدا وعاد اليه الملك فعلى هذا

الجسد صخر سمي به وهو جسم لا روح فيه لانه كان متمثلا بما لم يكن كذلك
والخطيئة تغافله عن حال اهله لا لامرها باتخاذ التمثال لان اتخاذ
التماثيل كان جائزا حينئذ وسجود الصورة بغير علمه لا يضره قال رب
اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي لا يتسهل له ولا يكون ليكون
معجزة لي مناسبة لحالي او لا ينبغي لاحد ان يسلب بعد مني بعد هذه
السلبة او لا يصح لاحد من بعدي لعظمته كقولك لفلان ما ليس لاحد من
الفضل والمال على ارادة وصف الملك بالعظمة لا ان لا يعطي احدا مثله
فيكون منافسة وتقديم الاستغفار على الاستيهاب لمزيد اهتمامه بامر الدين
ووجوب تقديم ما يجعل الدعاء بصدد الاجابة انك انت الوهاب
المعطي ما تشاء لمن تشاء فسخرنا له الريح فذللناها لطاعته اجابة
لدعوته وقرئ الرياح تجري بامره رخاء لينة من الرخاوة لا تزعزع
او لا تخالف ارادته كالمأمور المنقاد حيث اصاب اراد من قولهم اصاب
الصواب فاخطا الجواب والشياطين عطف على الريح كل بناء
وغواص بدل منه وآخرين مقرنين في الاصفاد عطف على كل كانه فصل
الشياطين الى عملة استعملهم في الاعمال الشاقة كالبناء والغوص ومردة
قرن بعضهم مع بعض في السلاسل ليكفوا عن الشر ولعل اجسامهم شفافة
صلبة فلا ترى ويمكن تقييدها هذا والاقرب ان المراد تمثيل كفهم عن
الشرور بالاقران في الصفد وهو القيد وسمي به العطاء لانه يرتبط
المنعم عليه وفرقوا بين فعليهما فقالوا صفده قيده واصفده اعطاه عكس
وعد واوعد وفي ذلك نكتة هذا عطاؤنا اي هذا الذي اعطيناك
من الملك والبسطة والتسلط على ما لم يسلط به غيرك عطاؤنا فامنن
او امسك فاعط من شئت وامنع من شئت بغير حساب حال من المستكن في الامر
او غير محاسب على منته وامساكه لتفويض التصرف فيه اليك او من العطاء

او صلة له وما بينهما اعتراض والمعنى انه عطاء جم لا يكاد يمكن حصره وقيل
الاشارة الى تسخير الشياطين والمراد بالمن والامساك اطلاقهم وابقاؤهم في
القيد وان له عندنا لزلفى في الآخرة مع ماله من الملك العظيم في الدنيا وحسن
مآب هو الجنة واذكر عبدنا ايوب هو ابن عيص بن اسحق اذ نادى ربه
بدل من عبدنا وايوب عطف بيان له انى مسنى بانى مسنى الشيطان بنصب
بتعب وعذاب والم وهو حكاية لكلامه الذى ناداه به ولولاها لقال
انه مسه والاسناد الى الشيطان اما لان الله مسه بذلك لما فعل بوسوسته
كما قيل انه اعجب بكثرة ماله او استغاثه مظلوم فلم يغثه او كانت مواشيه في ناحية
ملك كافر فداهنه ولم يغزه او لسؤاله امتحانا لصبره فيكون اعترافا بالذنب
او مراعاة للادب او لانه وسوس الى اتباعه حتى رفضوه واخرجوه من ديارهم
او لان المراد بالنصب والعذاب ما كان يوسوس اليه في مرضه من عظم البلاء والقنوط
من الرحمة ويغريه على الجزع وقرأ يعقوب بفتح النون على المصدر وقرئ
بفتحتين وهو لغة كالرشد والرشد وبضمتين للتثقيل اركض برجلك حكاية
لما اجيب به اى اضرب برجلك الارض هذا مغتسل بارد وشراب اى فضربها
فنبعت عين فقيل هذا مغتسل اى تغتسل به وتشرب منه فيبرأ باطنك وظاهرك
وقيل نبعت عينان حارة وباردة فاغتسل من الحارة وشرب من الاخرى
ووهبنا له اهله بان جمعناهم عليه بعد تفرقهم او احييناهم بعد موتهم وقيل
وهبنا له مثلهم ومثلهم معهم حتى كان له ضعف ما كان رحمة منا لرحمتنا
عليه وذكرى لاولى الالباب وتذكيرا لهم لينتظروا الفرج بالصبر واللجاء
الى الله تعالى فيما يحيق بهم وخذ بيدك ضغثا عطف على اركض والضغث
الحزمة الصغيرة من الحشيش ونحوه فاضرب به ولا تحنث روى ان زوجته
ليا بنت يعقوب وقيل رحمة بنت افرائيم بن يوسف ذهبت لحاجة فابطأت
فحلف ان برئ ضربها مائة ضربة فحلل الله يمينه بذلك وهى رخصة باقية في

الحدود انا وجدناه صابرا فيما اصابه في النفس والاهل والمال ولا
يخل به شكواه الى الله تعالى من الشيطان فانه لا يسمى جزعا كتمنى العافية
وطلب الشفاء مع انه قال ذلك خيفة ان يفتنه او قومه في الدين نعم العبد
ايوب انه اواب مقبل بشراشره على الله واذكر عبادنا ابرهيم واسحق
ويعقوب وقرأ ابن كثير عبدنا وضع الجنس موضع الجمع او على ان ابرهيم
وحده لمزيد شرفه عطف بيان له واسحق ويعقوب عطف عليه اولى الايدى
والابصار اولى القوة في الطاعة والبصيرة في الدين او اولى الاعمال
الجليلة والعلوم الشريفة فعبر بالايدى عن الاعمال لان اكثرها بمباشرتها
وبالابصار عن المعارف لانها اقوى مباديها وفيه تعريض بالبطلة الى
الجهال انهم كالزمنى والعماة انا اخلصناهم بخالصة جعلناهم خالصين
لنا بخصلة خالصة لا شوب فيها هى ذكرى الدار تذكرهم للآخرة دائما
فان خلوصهم في الطاعة بسببها وذلك لان مطمح نظرهم فيما يأتون به
ويذرون جوار الله والفوز بلقائه وذلك في الآخرة واطلاق الدار
للاشعار بانها الدار الحقيقية والدنيا معبر واضاف نافع وهشام بخالصة
الى ذكرى للبيان او لانه مصدر بمعنى الخلوص فاضيف الى فاعله وانهم
عندنا لمن المصطفين الاخيار لمن المختارين من امثالهم المصطفين عليهم
في الخير جمع خير كشر واشرار وقيل جمع خير او خير على تخفيفه كاموات
في جمع ميت او ميت واذكر اسمعيل واليسع هو ابن اخطوب استخلفه
الياس على بنى اسرائيل ثم استنبئ واللام فيه كما في قوله رأيت الوليد
بن اليزيد مباركا وقرأ حمزة والكسائى والليسع تشبيها بالمنقول من
ليسع من اللسع وذا الكفل ابن عم يسع او بشر بن ايوب واختلف
في نبوته ولقبه فقيل فر اليه مائة نبى من القتل فآواهم وكفلهم وقيل
كفل بعمل رجل صالح كان يصلى كل يوم مائة صلوة وكل اى كلهم من الاخيار

هذا اشارة الى ما تقدم من امورهم ذكر شرف لهم او نوع من الذكر
وهو القرآن ثم شرع في بيان ما اعد لهم ولامثالهم فقال وان للمتقين لحسن مآب
مرجع جنات عدن عطف بيان لحسن مآب وهو من الاعلام الغالبة كقوله
جنات عدن التي وعد الرحمن عباده وانتصب عنها مفتحة لهم الابواب
على الحال والعامل فيها ما في للمتقين من معنى الفعل وقرئتا مرفوعتين على الابتداء
والخبر او انهما خبران لمحذوف متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب
حالان متعاقبتان او متداخلتان من الضمير في لهم لا من المتقين للفصل والاظهر
ان يدعون استئناف لبيان حالهم فيها ومتكئين حال من ضميره والاقتصار
على الفاكهة للاشعار بان مطاعمهم لمحض التلذذ فان التغذي للتحلل ولا
تحلل ثمة وعندهم قاصرات الطرف لا ينظرن الى غير ازواجهن اتراب
لدات لهم فان التحاب بين الاقران اثبت او بعضهن لبعض لا عجوز فيهن ولا
صبية واشتقاقه من التراب فانه يمسهن في وقت واحد هذا ما توعدون
ليوم الحساب لاجله فان الحساب علة الوصول الى الجزاء وقرأ ابن كثير
وابو عمرو بالياء ليوافق ما قبله ان هذا لرزقنا ما له من نفاد انقطاع
هذا اي الامر هذا او هذا كما ذكر او خذ هذا وان للطاغين لشر مآب
جهنم اعرابه ما سبق يصلونها حال من جهنم فبئس المهاد المهد والفراش مستعار
من فراش النائم والمخصوص بالذم محذوف وهو جهنم لقوله لهم من جهنم مهاد
هذا فليذوقوه اي ليذوقوا هذا فليذوقوه او العذاب هذا فليذوقوه ويجوز
ان يكون مبتدأ خبره حميم وغساق وهو على الاولين خبر محذوف اي هو حميم
والغساق ما يغسق من صديد اهل النار من غسقت العين اذا سال دمعها
وقرأ حفص وحمزة والكسائي غساق بتشديد السين وآخر اي ومذوق او عذاب
آخر وقرأ البصريان واخر اي ومذوقات او انواع عذاب اخر من شكله
من مثل هذا المذوق او العذاب في الشدة وتوحيد الضمير على انه لما ذكر

او الشراب الشامل للحميم والغساق او للغساق وقرئ بالكسر وهي لغة
ازواج اجناس خبر لآخر او صفة له او للثلاثة او مرتفع بالجار والمجرور
والخبر محذوف مثل لهم هذا فوج مقتحم معكم حكاية ما يقال للرؤساء
الطاغين اذا دخلوا النار واقتحمها معهم فوج تبعهم في الضلال والاقتحام
ركوب الشدة والدخول فيها لا مرحبا بهم دعاء من المتبوعين على اتباعهم او صفة
لفوج او حال اي مقولا فيهم لا مرحبا اي ما اتوا بهم رحبا وسعة انهم صالوا النار
داخلون النار باعمالهم مثلنا قالوا اي الاتباع للرؤساء بل انتم لا مرحبا
بكم بل انتم احق بما قلتم او قيل لنا لضلالكم واضلالكم كما قالوا انتم
قدمتموه لنا قدمتم العذاب او الصلي لنا باغرائنا واغوائنا على ما قدمناه
من العقائد الزائغة والاعمال القبيحة فبئس القرار فبئس المقر جهنم قالوا
اي الاتباع ايضا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار مضاعفا
ذا ضعف وذلك ان يزيد على عذابه مثله فيصير ضعفين من العذاب
كقوله ربنا آتهم ضعفين من العذاب وقالوا اي الطاغون ما لنا لا نرى
رجالا كنا نعدهم من الاشرار يعنون فقراء المسلمين الذين يسترذلونهم
ويسخرون بهم اتخذناهم سخريا صفة اخرى لرجالا وقرأ الحجازيان وابن عامر
وعاصم بهمزة الاستفهام على انه انكار على انفسهم وتأنيب لها في الاستسخار
منهم وقرأ نافع وحمزة والكسائي سخريا بالضم وقد سبق مثله في المؤمنين
ام زاغت عنهم الابصار فلا نراهم وام معادلة لما لنا لا نرى
على ان المراد نفي رؤيتهم لغيبتهم كأنهم قالوا ليسوا ههنا ام زاغت عنهم ابصارنا
او لاتخذناهم على القراءة الثانية بمعنى اي الامرين فعلنا بهم الاستسخار منهم ام
تحقيرهم فان زيغ الابصار كناية عنه على معنى انكارهما على انفسهم او منقطعة
والمراد الدلالة على ان استرذالهم والاستسخار منهم كان لزيغ ابصارهم
وقصور انظارهم على رثاثة حالهم ان ذلك الذي حكيناه عنهم لحق لا بد ان يتكلموا

يا محمد للمشركين

ثم بين ما هو فقال تخاصم أهل النار وهو بدل من حق أو خبر محذوف وقرئ
بالنصب على البدل من ذلك قل إنما أنا منذر أنذركم عذاب الله وما من إله
إلا الله الواحد الذي لا يقبل الشركة والكثرة في ذاته القهار لكل شيء
رب السموات والأرض وما بينهما منه خلقها وإليه أمرها العزيز الذي لا يغلب
إذا عاقب الغفار الذي يغفر ما يشاء من الذنوب لمن يشاء وفي هذه الأوصاف
تقرير للتوحيد ووعد ووعيد للموحدين والمشركين وتثنية ما يشعر بالوعيد
وتقديمه لأن المدعو به هو الإنذار قل هو أي ما أنبأتكم به من أني نذير من عقوبة من هذه
صفته وأنه واحد في ألوهيته وقيل ما بعده من نبأ آدم نبأ عظيم أنتم عنه معرضون
لتمادي غفلتكم فإن العاقل لا يعرض عن مثله كيف وقد قامت عليه الحجج الواضحة
أما على التوحيد فما مر وأما على النبوة فقوله ما كان لي من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون
فإن إخباره عن تقاول الملائكة وما جرى بينهم على ما ورد في الكتب المتقدمة من غير
سماع ومطالعة كتاب لا يتصور إلا بالوحي وإذ متعلق بعلم أو بمحذوف إذ التقدير
من علم بكلام الملأ الأعلى إن يوحى إلي إلا أنما أنا نذير مبين أي لأنما كأنه لما
جوز أن الوحي يأتيه بين بذلك ما هو المقصود به تحقيقا لقوله إنما أنا منذر ويجوز
أن يرتفع بإسناد يوحى إليه وقرئ إنما بالكسر على الحكاية إذ قال ربك للملائكة
إني خالق بشرا من طين بدل من إذ يختصمون مبين له فإن القصة التي دخلت عليها
إذ مشتملة على تقاول الملائكة وإبليس في خلق آدم واستحقاقه للخلافة والسجود
على ما مر في البقرة غير أنها اختصرت اكتفاء بذلك واقتصارا على ما هو المقصود منها
وهو إنذار المشركين على استكبارهم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بمثل ما حاق
بإبليس على استكباره على آدم هذا ومن الجائز أن يكون مقاولة الله إياهم
بواسطة ملك وأن يفسر الملأ الأعلى بما يعم الله والملائكة فإذا سويته عدلت
خلقه ونفخت فيه من روحي وأحييته بنفخ الروح فيه وإضافته إلى نفسه لشرفه
وطهارته فقعوا له فخروا له ساجدين تكرمة وتبجيلا له وقد مر الكلام فيه في البقرة

فسجد

580

فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس استكبر تعظم وكان وصار من الكافرين
باستنكاره أمر الله واستكباره عن المطاوعة أو كان منهم في علم الله قال يا إبليس
ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي خلقته بنفسي من غير توسط كأب وأم والتثنية
لما في خلقه من مزيد القدرة واختلاف الفعل وقرئ على التوحيد وترتيب الإنكار
عليه للإشعار بأنه المستدعي للتعظيم أو بأنه الذي تشبث به في تركه وهو
لا يصلح للمانع إذ للسيد أن يستخدم بعض عبيده لبعض سيما وله مزيد اختصاص
أستكبرت أم كنت من العالين تكبرت من غير استحقاق أو كنت ممن علا واستحق
التفوق وقيل استكبرت الآن أم لم تزل كنت من المستكبرين وقرئ استكبرت بحذف
الهمزة لدلالة أم عليها أو بمعنى الإخبار قال أنا خير منه أبدى المانع وقوله خلقتني
من نار وخلقته من طين دليل عليه وقد سبق الكلام فيه قال فاخرج منها
من الجنة أو من السماء أو من صورة الملائكة فإنك رجيم مطرود من الرحمة أو
محل الكرامة وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون
قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم مر بيانه في الحجر قال فبعزتك فبسلطانك
وقهرك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين الذين أخلصهم الله لطاعته وعصمهم
من الضلالة أو أخلصوا قلوبهم لله على اختلاف القراءتين قال فالحق والحق أقول
أي فأحق الحق وأقوله وقيل الحق الأول اسم الله تعالى ونصبه بحذف حرف القسم
كقوله إن عليك الله أن تبايعا وجوابه لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم
أجمعين وما بينهما اعتراض وهو على الأول جواب محذوف والجملة تفسير للحق
المقول وقرأ عاصم وحمزة برفع الأول على الابتداء أي الحق يميني أو قسمي أو الخبر
أي أنا الحق وقرئا مرفوعين على حذف الضمير من أقول كقوله كله لم أصنع ومجرورين
على إضمار حرف القسم في الأول وحكاية لفظ المقسم به في الثاني للتوكيد وهو
سائغ فيه إذا شارك الأول وبرفع الأول وجره ونصب الثاني وتخريجه على ما
ذكرنا والضمير في منهم للناس إذ الكلام فيهم والمراد بمنك من جنسك ليتناول

الشياطين وقيل للثقلين وأجمعين تأكيد لهما والضمير في قل ما أسألكم عليه من
أجر أي على القرآن أو تبليغ الوحي وما أنا من المتكلفين المتصنعين بما ليس من أهله
على ما عرفتم من حالي فأنتحل النبوة وأتقول القرآن إن هو إلا ذكر عظة للعالمين
للثقلين ولتعلمن نبأه وهو ما فيه من الوعد والوعيد أو صدقه بإتيان ذلك
بعد حين بعد الموت أو يوم القيمة أو عند ظهور الإسلام وفيه تهديد وعن النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة ص كان له بوزن كل جبل سخره الله تعالى
لداود عشر حسنات وعصمه أن يصر على ذنب صغيرا أو كبيرا

سورة الزمر اثنان وآيها خمس وسبعون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم تنزيل الكتاب خبر محذوف مثل هذا أو مبتدأ خبره
من الله العزيز الحكيم وهو على الأول صلة التنزيل أو خبر ثان أو حال عمل فيها
معنى الإشارة أو التنزيل والظاهر أن الكتاب على الأول السورة وعلى الثاني
القرآن وقرئ تنزيل بالنصب على إضمار فعل نحو اقرأ أو الزم إنا أنزلنا
إليك الكتاب بالحق ملتبسا بالحق أو بسبب إثبات الحق وإظهاره وتفصيله
فاعبد الله مخلصا له الدين ممحضا له الدين من الشرك والرياء وقرئ برفع الدين
على الاستئناف لتعليل الأمر وتقديم الخبر لتأكيد الاختصاص المستفاد من
اللام كما صرح به مؤكدا وإجراه مجرى المعلوم المقرر لكثرة حججه وظهور براهينه
فقال ألا لله الدين الخالص أي ألا هو الذي وجب اختصاصه بأن يخلص له
الطاعة فإنه المتفرد بصفات الألوهية والاطلاع على الأسرار والضمائر
والذين اتخذوا من دونه أولياء يحتمل المتخذين من الكفرة والمتخذين من الملائكة
وعيسى والأصنام على حذف الراجع وإضمار المشركين من غير ذكر لدلالة
المساق عليهم وهو مبتدأ خبره على الأول ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله
زلفى بإضمار القول وإن الله يحكم بينهم وهو متعين على الثاني وعلى هذا يكون

القول المضمر بما في حيزه حالا أو بدلا من الصلة وزلفى مصدر أو حال وقرئ
قالوا ما نعبدهم وما نعبدكم إلا لتقربونا حكاية لما خاطبوا به آلهتهم ونُعبُد
بضم النون اتباعا فيما هم فيه يختلفون من الدين بإدخال المحق الجنة والمبطل
النار والضمير للكفرة ومقابليهم وقيل لهم ولمعبوديهم فإنهم يرجون شفاعتهم
وهم يلعنونهم إن الله لا يهدي لا يوفق للاهتداء إلى الحق من هو كاذب كفار
فاقدا البصيرة لو أراد الله أن يتخذ ولدا كما زعموا لاصطفى مما يخلق ما يشاء
إذ لا موجود سواه إلا وهو مخلوقه لقيام الدلالة على امتناع وجود واجبين
ووجوب استناد ما عدا الواجب إليه ومن البين أن المخلوق لا يماثل الخالق
فيقوم مقام الولد ثم قرر ذلك بقوله سبحانه هو الله الواحد القهار فإن
الألوهية الحقيقية تتبع الوجوب المستلزم للوحدة الذاتية وهي تنافي المماثلة
فضلا عن التوالد لأن كل واحد من المثلين مركب من الحقيقة المشتركة والتعين
المخصوص والقاهرية المطلقة تنافي قبول الزوال المحوج إلى الولد ثم
استدل على ذلك بقوله خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على
ويكور النهار على الليل يغشى كل واحد منهما الآخر كأنه يلف عليه لف
اللباس باللابس أو يغيبه به كما يغيب الملفوف باللفافة أو يجعله
كارا عليه كرورا متتابعا تتابع أكوار العمامة وسخر الشمس والقمر كل يجري
لأجل مسمى هو منتهى دوره أو منقطع حركته ألا هو العزيز القادر على كل
ممكن الغالب على كل شيء الغفار حيث لم يعاجل في العقوبة وسلب ما في هذه
الصنائع من الرحمة وعموم المنفعة خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها
استدلال آخر بما أوجده في العالم السفلي مبتدأ به من خلق الإنسان
لأنه أقرب وأكثر دلالة وأعجب وفيه على ما ذكره ثلاث دلالات خلق آدم
أولا من غير أب وأم ثم خلق حواء من قصيراه ثم تشعيب الخلق الفائت
للحصر منهما وثم للعطف على محذوف هو صفة نفس مثل خلقها

النهار

او على معنى واحدة اى من نفس وحدت ثم جعل منها زوجها فشفعها
بها او على خلقكم لتفاوت ما بين الآيتين فان الاولى عادة مستمرة دون
الثانية وقيل اخرج من ظهره ذريته كالذر ثم خلق منها حوا وانزل لكم وقضى
وقسم لكم فان قضاياه وقسمه توصف بالنزول من السما حيث كتب فى اللوح
او احدث لكم باسباب نازلة كاشعة الكواكب والامطار من الانعام
ثمانية ازواج ذكرا وانثى من الابل والبقر والضان والمعز يخلقكم فى بطون
امهاتكم بيان لكيفية خلق ما ذكر من الاناسى والانعام اظهارا لما فيها من
عجايب القدرة غير انه غلب اولى العقل او خصهم بالخطاب لانهم المقصودون
خلقا من بعد خلق حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام
عارية من بعد مضغ من بعد علق من بعد نطف فى ظلمات ثلث ظلمة البطن
والرحم والمشيمة او الصلب والرحم والبطن ذلكم الذى هذه افعاله الله
ربكم هو المستحق لعبادتكم والمالك له الملك لا اله الا هو اذ لا يشاركه فى
الخلق غيره فانى تصرفون يعدل بكم عن عبادته الى الاشراك ان تكفروا
فان الله غنى عنكم عن ايمانكم ولا يرضى لعباده الكفر لاستضرارهم به رحمة
عليهم وان تشكروا يرضه لكم لانه سبب فلاحكم وقرا ابن كثير ونافع فى رواية
وابو عمرو والكسائى باشباع ضمة الهاء لانها صارت بحذف الالف موصولة
بمتحرك وعن ابى عمرو ويعقوب باسكانها وهو لغة فيها ولا تزر وازرة وزر اخرى
ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون بالمحاسبة والمجازاة انه عليم بذات
الصدور فلا تخفى عليه خافية من اعمالكم واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا
اليه لزوال ما ينازع العقل فى الدلالة على ان مبدا الكل منه ثم اذا خوله
اى الضر الذى كان يدعو الله الى كشفه او ربه الذى كان يتضرع اليه وما مثله
الذى فى قوله وما خلق الذكر والانثى من قبل النعمة وجعل لله اندادا ليضل
عن سبيله وقرا ابن كثير وابو عمرو ورويس بفتح اليا والضلال والاضلال

لما كانا نتيجة جعله صح تعليله بهما وان لم يكونا غرضين قل تمتع بكفرك
قليلا امر تهديد فيه اشعار بان الكفر نوع تشهى لا سند له واقناط
للكافرين من التمتع فى الآخرة ولذلك علله بقوله انك من اصحاب النار على سبيل
الاستيناف للمبالغة امن هو قانت قائم بوظائف الطاعات اناء الليل
ساعاته وام متصلة بمحذوف تقديره الكافر خير ام هو قانت كمن بضده
وقرا الحجازيان وحمزة بتخفيف الميم بمعنى امن هو قانت لله كمن جعل لله اندادا
ساجدا وقايما حالان من ضمير قانت وقرئ بالرفع على الخبر بعد الخبر
والواو للجمع بين الصفتين يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه فى موقع الحال
او الاستيناف للتعليل قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون
نفى لاستواء الفريقين باعتبار القوة العلمية بعد نفيه باعتبار القوة العملية
على وجه ابلغ لمزيد فضل العلم وقيل تقرير للاول على سبيل التشبيه اى كما لا يستوى
العالمون والجاهلون لا يستوى القانتون والعاصون انما يتذكر اولوا الالباب
بامثال هذه البيانات وقرئ يذكر بالادغام قل يا عباد الذين آمنوا اتقوا ربكم
بلزوم طاعته للذين احسنوا فى هذه الدنيا حسنة اى للذين احسنوا بالطاعات
فى الدنيا مثوبة حسنة فى الآخرة وقيل معناه للذين احسنوا حسنة فى الدنيا
وهى الصحة والعافية وفى هذه بيان لمكان الحسنة وارض الله واسعة
فمن تعسر عليه التوفر على الاحسان فى وطنه فليهاجر الى حيث يتمكن منه
انما يوفى الصابرون اجرهم على مشاق الطاعة من احتمال البلاء ومهاجرة
الاوطان لها اجرهم بغير حساب اجرا لا يهتدى اليه حساب الحساب
وفى الحديث انه ينصب الموازين يوم القيمة لاهل الصلوة والصدقة
والحج فيوفون بها اجورهم ولا ينصب لاهل البلاء بل يصب عليهم الاجر صبا حتى
يتمنى اهل العافية فى الدنيا ان اجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به اهل
البلاء من الفضل قل انى امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين موحدا له وامرت

لان اكون اول المسلمين وامرت بذلك لاجل ان اكون مقدمهم في الدنيا والآخرة
لان قصب السبق في الدين بالاخلاص او لانه اول من اسلم وجهه لله من قريش ومن دان
بدينهم والعطف لمغايرة الثاني الاول بتقييده بالعلة والاشعار بان العبادة المقرونة
بالاخلاص وان اقتضت لذاتها ان يؤمر بها فهي ايضا تقتضيه لما يلزمه من السبق
في الدين ويجوز ان تجعل اللام مزيدة كما في اردت لان افعل فيكون امرا بالتقدم
في الاخلاص والبدا بنفسه في الدعاء اليه بعد الامر به قل اني اخاف ان عصيت
ربي بترك الاخلاص والميل الى ما انتم عليه من الشرك والرياء عذاب يوم
عظيم لعظمة ما فيه قل الله اعبد مخلصا له ديني امر بالاخبار عن اخلاصه
وان يكون مخلصا له دينه بعد الامر بالاخبار عن كونه مأمورا بالعبادة
والاخلاص خائفا على المخالفة من العقاب قطعا لاطماعهم ولذلك رتب عليه
قوله فاعبدوا ما شئتم من دونه تهديدا وخذلانا لهم قل ان الخاسرين
الكاملين في الخسران الذين خسروا انفسهم بالضلال واهليهم بالاضلال يوم
القيمة حين يدخلون النار بدل الجنة لانهم جمعوا وجوه الخسران وقيل وخسروا
اهليهم لانهم ان كانوا من اهل النار فقد خسروهم كما خسروا انفسهم وان كانوا
من اهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا رجوع بعده الا ذلك هو الخسران المبين
مبالغة في خسرانهم لما فيه من الاستيناف والتصدير بالا وتوسيط الفصل
وتعريف الخسران ووصفه بالمبين لهم من فوقهم ظلل من النار شرح لخسرانهم
ومن تحتهم ظلل اطباق من النار هي ظلل الاخرين ذلك يخوف الله به عباده
ذلك العذاب هو الذي يخوفهم به ليجتنبوا ما يوقعهم فيه يا عباد فاتقون
ولا تتعرضوا لما يوجب سخطي والذين اجتنبوا الطاغوت البالغ غاية الطغيان
فعلوت منه بتقديم اللام على العين بني للمبالغة في المصدر كالرحموت ثم وصف به
للمبالغة في النعت ولذلك اختص بالشيطان ان يعبدوها بدل اشتمال منه
وانابوا الى الله واقبلوا اليه بشراشرهم عما سواه لهم البشرى بالثواب

على السنة الرسل والملائكة عند حضور الموت فبشر عباد الذين يستمعون القول
فيتبعون احسنه وضع فيه الظاهر موضع ضمير الذين اجتنبوا للدلالة على
مبدأ اجتنابهم وانهم نقاد في الدين يميزون بين الحق والباطل ويؤثرون الافضل
فالافضل اولئك الذين هديهم الله لدينه واولئك هم اولوا الالباب العقول
السليمة عن منازعة الوهم والعادة في ذلك دلالة على ان الهداية تحصل
بفضل الله تعالى وقبول النفس لها أفمن حق عليه كلمة العذاب أفانت تنقذ من في
النار جملة شرطية معطوفة على محذوف دل عليه الكلام تقديره أانت مالك
امرهم فمن حق عليه العذاب فانت تنقذه فكررت الهمزة في الجزاء لتأكيد الانكار
والاستبعاد ووضع من في النار موضع الضمير لذلك وللدلالة على ان
من حكم عليه بالعذاب كالواقع فيه لامتناع الخلف فيه وان اجتهاد الرسول
في دعائهم الى الايمان سعي في انقاذهم من النار ويجوز ان يكون فانت تنقذ
جملة مستانفة للدلالة على ذلك والاشعار بالجزاء المحذوف لكن الذين
اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف علالي بعضها فوق بعض مبنية بنيت
بناء المنازل على الارض تجري من تحتها الانهار اي من تحت تلك الغرف
وعد الله مصدر مؤكد لان قولهم في معنى الوعد لا يخلف الله الميعاد لان
الخلف نقص وهو على الله تعالى محال ألم تر ان الله انزل من السماء ماء هو المطر فسلكه فادخله
ينابيع في الارض هي عيون ومجاري كائنة فيها او مياه نابعات اذ الينبوع جاء
للمنبع وللنابع فنصبها على الظرف او الحال ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه
اصنافه من بر وشعير وغيرهما او كيفياته من خضرة وحمرة وغيرهما ثم يهيج
يتم جفافه لانه اذا تم جفافه حان له ان يثور عن منبته فتريه مصفرا
بعد خضرته ونضرته ثم يجعله حطاما فتاتا ان في ذلك لذكرى لتذكيرا
بانه لابد من صانع حكيم دبره وسواه وبانه مثل الحيوة الدنيا فلا تغتر بها
لاولي الالباب اذ لا يتذكر به غيرهم افمن شرح الله صدره للاسلام

حتى تمكن بيسر عبر به عن ما خلق نفسه شديدة الاستعداد لقبوله غير متابية
عنه من حيث ان الصدر محل القلب المنبع للروح الحيواني المتعلق للنفس
القابل للاسلام فهو على نور من ربه يعني المعرفة والاهتداء الى الحق
وعنه عليه الصلوة والسلام اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح
قيل فما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور
والتاهب للموت قبل نزوله وخبر من محذوف دل عليه فويل للقاسية
قلوبهم من ذكر الله من اجل ذكره وهو ابلغ من ان يكون عن مكان من لان
القاسي من اجل الشيء اشد تاباً من قبوله من القاسي عنه بسبب آخر وللمبالغة
في وصف اولئك بالقبول وهؤلاء بالامتناع ذكر شرح الصدر واسنده
الى الله وقابله بقساوة القلب واسنده اليه اولئك في ضلال مبين يظهر
للناظر بادي نظر والآية نزلت في حمزة وعلي وابي لهب وولده الله نزل
احسن الحديث يعني القرآن روي ان اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم ملوا ملة فقالوا له حدثنا فنزلت وفي الابتداء باسم الله وبناء نزل
عليه تاكيد للاسناد اليه وتفخيم للمنزل واستشهاد على حسنه كتابا متشابها
بدل من احسن او حال منه وتشابهه تشابه ابعاضه في الاعجاز وتجاوب النظم
وصحة المعنى والدلالة على المنافع العامة مثاني جمع مثنى او مثنى على ما مر
في الحجر وصف به كتابا باعتبار تفاصيله كقولك القرآن سور وآيات والانسان
عظام وعروق واعصاب وجعل تمييزا من متشابها كقولك رايت رجلا حسنا
شمائل تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم تشمئز خوفا مما فيه من الوعيد
وهو مثل في شدة الخوف واقشعرار الجلد تقبضه وتركيبه من حروف القشع
وهو الاديم اليابس بزيادة الراء ليصير رباعيا كتركيب القمطر من القمط
وهو الشد ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله بالرحمة وعموم المغفرة
والاطلاق للاشعار بان اصل امره الرحمة وان رحمته سبقت غضبه والتعدية

بالى لتضمين معنى السكون والاطمينان وذكر القلوب لتقدم الخشية التي هي
من عوارضها ذلك اي الكتاب او الكائن من الخشية والرجاء هدى الله يهدي به
من يشاء هدايته ومن يضلل الله ومن يخذله فما له من هاد يخرجه من الضلالة
افمن يتقي بوجهه يجعله درقا يقي به نفسه لانه يكون يده مغلولة الى عنقه
فلا يقدر ان يتقي الا بوجهه سوء العذاب يوم القيمة كمن هو آمن منه فحذف الخبر
كما حذف في نظائره وقيل للظالمين اي لهم فوضع الظاهر موضعه تسجيلا عليهم
بالظلم واشعارا بالموجب لما يقال لهم وهو ذوقوا ما كنتم تكسبون اي وباله والواو
للحال وقد مقدرة كذب الذين من قبلهم فاتيهم العذاب من حيث لا يشعرون من الجهة
التي لا يخطر ببالهم ان الشر ياتيهم منها فاذاقهم الله الخزي الذل في الحيوة الدنيا
كالمسخ او الخسف والقتل والسبي والاجلاء ولعذاب الآخرة المعد لهم اكبر لشدته
ودوامه لو كانوا يعلمون لو كانوا من اهل العلم والنظر لعلموا ذلك واعتبروا به
ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل يحتاج اليه الناظر في امر دينه
لعلهم يتذكرون يتعظون به قرآنا عربيا حال من هذا والاعتماد فيها على الصفة
كقولك جاءني زيد رجلا صالحا او مدح له غير ذي عوج لا اختلال فيه
بوجه ما فهو ابلغ من المستقيم واخص بالمعاني وقيل بالشك استشهادا بقوله
وقد اتاك يقين غير ذي عوج من الاله وقوله غير مكذوب وهو تخصيص له
ببعض مدلوله لعلهم يتقون علة اخرى مرتبة على الاولى ضرب الله مثلا للمشرك
والموحد رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل مثل المشرك على ما
يقتضيه مذهبه من ان يدعي كل واحد من معبوديه عبوديته ويتنازعون
فيه بعبد يتشارك فيه جمع يتجاذبونه ويتعاورونه في مهام مختلفة في
تحيره وتوزع قلبه والموحد بمن خلص لواحد ليس لغيره عليه سبيل ورجلا
بدل من مثلا وفيه صلة شركاء والتشاكس والتشاخس الاختلاف وقرا نافع
وابن عامر والكوفيون سلما بفتحتين وقرئ بفتح السين وكسرها مع سكون اللام

وتلقنها مصادر رجل نعت بها او حذف منها ذا وقرئ ورجلا سالما اي وهناك
رجل سالم وتخصيص الرجل لانه افطن للضر والنفع هل يستويان مثلا صفة
وحالا ونصبه على التمييز ولذلك وحده وقرئ مثلين للاشعار باختلاف النوع
او لان المراد هل يستويان في الوصفين على ان الضمير للمثلين فان التقدير مثل
رجل ومثل رجل الحمد لله كل الحمد له لا يشاركه فيه على الحقيقة سواه لانه
المنعم بالذات والمالك على الاطلاق بل اكثرهم لا يعلمون فيشركون به غيره من
فرط جهلهم انك ميت وانهم ميتون فان الكل بصدد الموت وفي عداد الموتى
وقرئ مائت ومائتون لانه مما سيحدث ثم انكم على تغليب المخاطب على الغيب
يوم القيمة عند ربكم تختصمون فتحتج عليهم بانك كنت على الحق في التوحيد وكانوا
على الباطل في التشريك واجتهدت في الارشاد والتبليغ ولجوا في التكذيب
والعناد ويعتذرون بالاباطيل مثل اطعنا سادتنا ووجدنا آباءنا وقيل
المراد به الاختصام العام يخاصم الناس بعضهم بعضا فيما دار بينهم في الدنيا
فمن اظلم ممن كذب على الله باضافة الولد والشريك اليه وكذب بالصدق وهو
ما جاء به محمد عليه الصلوة والسلام اذ جاءه من غير توقف وتفكر في امره
اليس في جهنم مثوى للكافرين وذلك يكفيهم مجازاة لاعمالهم واللام يحتمل
العهد والجنس واستدل به على تكفير المبتدعة فانهم مكذبون بما علم صدقه وهو
ضعيف لانه مخصوص بمن فاجأ ما علم مجيء الرسول به بالتكذيب والذي جاء
بالصدق وصدق به للجنس ليتناول الرسل والمؤمنين لقوله اولئك هم المتقون
وقيل هو النبي والمراد هو ومن معه كما في قوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب
لعلهم يهتدون وقيل الجائي هو الرسول عليه الصلوة والسلام والمصدق ابو بكر
رض وذلك يقتضي اضمار الذي وهو غير جائز وقرئ وصدق به بالتخفيف
اي صدق به الناس فاداه اليهم كما نزل او صار صادقا بسببه لانه معجز يدل
على صدقه وصدق به على البناء للمفعول لهم ما يشاؤن عند ربهم في الجنة

ذلك جزاء المحسنين على احسانهم ليكفر الله عنهم اسوأ الذي عملوا خص الاسوأ للمبالغة
فانه اذا كفر كان غيره اولى بذلك او للاشعار بانهم لاستعظامهم الذنوب
يحسبون انهم مقصرون مذنبون وان ما يفرط منهم من الصغائر اسوأ ذنوبهم
ويجوز ان يكون بمعنى السيء كقولهم الناقص والاشج اعدلا بني مروان وقرئ
اسواء جمع سوء ويجزيهم اجرهم ويعطيهم ثوابهم باحسن الذي كانوا يعملون
فيعد لهم محاسن اعمالهم باحسنها في زيادة الاجر وعظمه لفرط اخلاصهم فيها
اليس الله بكاف عبده استفهام انكار للنفي مبالغة في الاثبات والعبد رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويحتمل الجنس ويؤيده قراءة حمزة والكسائي عباده
وفسر بالانبياء ويخوفونك بالذين من دونه يعني قريشا فانهم قالوا له انا نخاف
ان تخبلك آلهتنا لعيبك اياها وقيل انه بعث خالدا ليكسر العزى فقال له
سادنها احذركها ان لها لشدة فعمد اليها خالد فهشم انفها فنزل تخويف خالد
منزلة تخويفه لانه الآمر له بما خوف عليه ومن يضلل الله حتى غفل عن
كفاية الله وخوفه بما لا ينفع ولا يضر فما له من هاد يهديه الى الرشاد
ومن يهد الله فما له من مضل اذ لا راد لفعله كما قال اليس الله بعزيز غالب
منيع ذي انتقام ينتقم من اعدائه ولئن سألتهم من خلق السموات والارض
ليقولن الله لوضوح البرهان على تفرده بالخالقية قل افرأيتم ما تدعون
من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره اي ارأيتم بعد ما
تحققتم ان خالق العالم هو الله ان آلهتكم ان اراد الله ان يصيبني بضر هل
تكشفنه او ارادني برحمة بنفع هل هن ممسكات رحمته فيمسكنها عني وقرأ
ابو عمرو كاشفات ضره وممسكات رحمته بالتنوين فيهما ونصب ضره ورحمته
قل حسبي الله كافيا في اصابة الخير ودفع الضر اذ تقرر بهذا التقرير انه
القادر الذي لا مانع لما يريده من خير او شر روي ان النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم سألهم فسكتوا فنزل ذلك وانما قال كاشفات وممسكات

علي ما تصفون بها من الانوثة تنبيها على كمال ضعفها عليه يتوكل المتوكلون
لعلمهم بان الكل منه قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على حالكم اسم للمكان استعير
للحال كما استعير هنا وحيث من المكان للزمان وقرئ مكاناتكم اني عامل
اي على مكانتي فحذف للاختصار والمبالغة في الوعيد والاشعار بان حاله
لا تقف فانه تعالى يزيده على مر الايام قوة ونصرة ولذلك توعدهم بكونه
منصورا عليهم في الدارين فقال فسوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه فان
خزي اعدائه دليل غلبته وقد اخزاهم الله يوم بدر ويحل عليه عذاب مقيم
دائم وهو عذاب النار انا انزلنا عليك الكتاب للناس لاجلهم فانه مناط
مصالحهم في معاشهم ومعادهم بالحق ملتبسا به فمن اهتدى فلنفسه اي نفع به
نفسه ومن ضل فانما يضل عليها فان وباله لا يتخطاها وما انت عليهم بوكيل
وما توكلت عليهم لتجبرهم على الهدى وانما امرت بالبلاغ وقد بلغت
الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها اي يقبضها عن الابدان
بان يقطع تعلقها عنها وتصرفها فيها ظاهرا وباطنا وذلك عند الموت او
ظاهرا لا باطنا وهو في النوم فيمسك التي قضى عليها الموت ولا يردها
الى البدن وقرا حمزة والكسائي قضي بضم القاف وكسر الضاد والموت
بالرفع ويرسل الاخرى اي النائمة الى بدنها عند اليقظة الى اجل مسمى
هو الوقت المضروب لموته وهو غاية جنس الارسال وما روي عن ابن عباس
ان في ابن آدم نفسا وروحا بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التي بها العقل
والتمييز والروح التي بها النفس والحيوة فيتوفيان عند الموت ويتوفى النفس
وحدها عند النوم قريب مما ذكرناه ان في ذلك من التوفي والامساك والارسال
لايات على كمال قدرته وحكمته وشمول رحمته لقوم يتفكرون في كيفية تعلقها
بالابدان وتوفيها عنها بالكلية حين الموت وامساكها باقية لا تفنى بفنائها
وما يعتريها من السعادة والشقاوة والحكمة في توفيها عن ظواهرها وارسالها

حينا بعد حين الى توفي آجالها ام اتخذوا بل اتخذ قريش من دون الله
شفعاء تشفع لهم عند الله قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون اي يشفعون
ولو كانوا على هذه الصفة كما تشاهدونهم جمادات لا يقدرون ولا يعلمون
قل لله الشفاعة جميعا لعله رد لما عسى يجيبون به وهو ان الشفعاء
اشخاص مقربون هي تماثيلهم والمعنى انه مالك الشفاعة كلها لا يستطيع احد
شفاعة الا باذنه ولا يستقل بها ثم قرر ذلك فقال له ملك السموات والارض
فانه مالك الملك كله لا يملك احد ان يتكلم في امره دون اذنه ورضاه ثم اليه
ترجعون يوم القيمة فيكون الملك له ايضا واذا ذكر الله وحده دون الهتهم
اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة انقبضت ونفرت واذا ذكر
الذين من دونه يعني الاوثان اذا هم يستبشرون لفرط افتتانهم بها
ونسيانهم حق الله ولقد بالغ في الامرين حتى بلغ الغاية فيهما فان الاستبشار
ان يمتلي قلبه سرورا حتى ينبسط له بشرة وجهه والاشمئزاز ان يمتلي
غما حتى ينقبض اديم وجهه والعامل في اذا المفاجاة قل اللهم فاطر السموات
والارض عالم الغيب والشهادة التجئ الى الله بالدعاء لما تحيرت في امرهم وعجزت
في عنادهم وشدة شكيمتهم فانه القادر على الاشياء والعالم بالاحوال كلها
انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون فانت وحدك تقدر ان تحكم
بيني وبينهم ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا
به من سوء العذاب يوم القيمة وعيد شديد واقناط كلي لهم من الخلاص
وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون زيادة مبالغة فيه وهو نظير قوله
فلا تعلم نفس ما اخفي لهم في الوعد وبدا لهم سيئات ما كسبوا سيئات اعمالهم
او كسبهم حين تعرض صحائفهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن واحاط
بهم جزاؤه فاذا مس الانسان ضر دعانا اخبار عن الجنس بما يغلب فيه
والعطف على قوله واذا ذكر الله وحده بالفاء لبيان مناقضتهم

وتعكيسهم في السبب فعفوا انهم يشمأزون عن ذكر الله وحده ويستبشرون
بذكر الآلهة فاذا مسهم ضر دعوا من اشمأزوا من ذكره دون من استبشروا
بذكره وما بينهما اعتراض مؤكد لانكار ذلك عليهم ثم اذا خولناه نعمة منا
اعطيناه اياها تفضلا فان التخويل مختص به قال انما اوتيته على علم مني بوجوه
كسبه او باني ساعطاه لما لي من استحقاقه او على علم من الله بي واستحقاقي والهاء فيه
لما ان جعلت موصولة والا فللنعمة والتذكير لان المراد شيء منها بل هي فتنة
امتحان له ايشكر ام يكفر وهو رد لما قاله وتانيث الضمير باعتبار الخبر
او لفظ النعمة وقرئ بالتذكير ولكن اكثرهم لا يعلمون ذلك وهو دليل
على ان الانسان للجنس قد قالها الذين من قبلهم الهاء لقوله انما اوتيته
على علم لانها كلمة او جملة وقرئ بالتذكير والذين من قبلهم قارون وقومه
فانه قاله ورضي به قومه فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من متاع الدنيا
فاصابهم سيئات ما كسبوا جزاء سيئات اعمالهم او جزاء اعمالهم وسماه سيئة لانها
في مقابلة اعمالهم السيئة رمزا الى ان جميع اعمالهم كذلك والذين ظلموا بالعتو
من هؤلاء المشركين ومن للبيان او للتبعيض سيصيبهم سيئات ما كسبوا كما اصاب
اولئك وقد اصابهم فانهم قحطوا سبع سنين وقتل ببدر صناديدهم
وما هم بمعجزين فائتين اولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر
حيث حبس عنهم الرزق سبعا ثم بسط لهم سبعا ان في ذلك لآيات لقوم
يؤمنون بان الحوادث كلها من الله تعالى بوسط او غيره قل يا عبادي الذين
اسرفوا على انفسهم افرطوا في الجناية عليها بالاسراف في المعاصي واضافة
العباد تخصصه بالمؤمنين على ما هو عرف القرآن لا تقنطوا من رحمة الله
لا تيأسوا من مغفرته اولا وتفضله ثانيا ان الله يغفر الذنوب جميعا
عفوا ولو بعد بعد وتقييده بالتوبة خلاف الظاهر ويدل على اطلاقه
فيما عدا الشرك قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به الآية والتعليل بقوله

انه هو الغفور الرحيم على المبالغة وافادة الحصر والوعد بالرحمة بعد
المغفرة وتقديم ما يستدعي عموم المغفرة مما في عبادي من الدلالة على الذلة
والاختصاص المقتضيين للترحم وتخصيص ضرر الاسراف بانفسهم والنهي
عن القنوط مطلقا عن الرحمة فضلا عن المغفرة واطلاقها وتعليله بان
الله يغفر الذنوب ووضع اسم الله موضع الضمير لدلالته على انه المستغني
والمنعم على الاطلاق والتاكيد بالجميع وما روي انه عليه الصلوة والسلام
ما احب ان لي الدنيا وما فيها بها فقال رجل يا رسول الله ومن اشرك فسكت
ساعة قال الا ومن اشرك ثلث مرات وما روي ان اهل مكة قالوا يزعم
محمد ان من عبد الاوثان وقتل النفس بغير حق لم يغفر له فكيف ولم نهاجر
وعبدنا الاوثان وقتلنا النفس فنزلت وقيل في عياش والوليد بن الوليد
في جماعة فتنوا وفي الوحشي لا ينفي عمومها وكذا قوله وانيبوا الى ربكم
واسلموا له من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون فانها لا تدل على حصول
المغفرة لكل احد من غير توبة وسبق تعذيب لتغني عن التوبة والاخلاص
في العمل ومنشأ في الوعيد بالتعذيب واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم
القرآن او المأمور به دون المنهي عنه او العزائم دون الرخص او الناسخ
دون المنسوخ ولعله ما هو انجى واسلم كالانابة والمواظبة على الطاعة من قبل
ان يأتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون بمجيئه فتتداركون ان تقول نفس
كراهة ان تقول وتنكير نفس لان القائل بعض الانفس او للتكثير كقول الاعشى
ورب بقيع لو هتفت بجوه　　اتاني كريم ينفض الراس مغضبا يا حسرتى
وقرئ بالياء على الاصل على ما فرطت بما قصرت في جنب الله في جانبه اي في
حقه وهو طاعته قال سابق البربري　　اما تتقين الله في جنب وامق
له كبد حرى عليك تقطع وهو كناية فيها مبالغة كقوله ان السماحة والمروة
والندى في قبة ضربت على ابن الحشرج وقيل في ذاته على تقدير مضاف

فافتتنوا ٣

كالطاعة وقيل في قربه من قوله والصاحب بالجنب وقرئ في ذكر الله
وان كنت لمن الساخرين المستهزئين باهله ومحل ان كنت نصب على الحال كانه
قال فرطت وانا ساخر او تقول لو ان الله هداني بالارشاد الى الحق لكنت
من المتقين من الشرك والمعاصي او تقول حين ترى العذاب لو ان لي كرة فاكون
من المحسنين في العقيدة والعمل واو للدلالة على انه لا يخلو من هذه الاقوال تحيرا
وتعللا بما لا طائل تحته بلى قد جاءتك اياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من
الكافرين رد من الله عليه لما تضمنه قوله لو ان الله هداني من معنى النفي وفصله
عنه لان تقديمه يفرق القرائن وتاخير المردود يخل بالنظم المطابق للوجود
لانه يتحسر بالتفريط ثم يتعلل بفقد الهداية ثم يتمنى الرجعة وهو لا يمنع تاثير
قدرة الله تعالى في فعل العبد ولا ما فيه من اسناد الفعل اليه كما عرفت
وتذكير الخطاب على المعنى وقرئ بالتانيث للنفس ويوم القيمة ترى الذين
كذبوا على الله بان وصفوه بما لا يجوز كاتخاذ الولد وجوههم مسودة مما ينالهم
من الشدة او بما يتخيل عليها من ظلمة الجهل والجملة حال اذ الظاهر ان ترى من
رؤية البصر واكتفى فيها بالضمير عن الواو اليس في جهنم مثوى مقاما للمتكبرين
عن الايمان والطاعة وهو تقرير لانهم يرون كذلك وينجي الذين اتقوا وقرئ
وينجي بمفازتهم بفلاحهم مفعلة من الفوز وتفسيرها بالنجاة تخصيص لها باهم
اقسامه وبالسعادة والعمل الصالح اطلاق لها على السبب وقرا الكوفيون
غير حفص بالجمع تطبيقا له بالمضاف اليه والباء فيها للسببية صلة لينجي او
لقوله لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون وهو حال او استيناف لبيان المفازة الله
خالق كل شيء من خير وشر وايمان وكفر وهو على كل شيء وكيل يتولى التصرف
فيه له مقاليد السموات والارض لا يملك امرها ولا يتمكن من التصرف فيها
غيره وهو كناية عن قدرته وحفظه لها وفيها مزيد دلالة على الاختصاص
لان الخزائن لا يدخلها ولا يتصرف فيها الا من بيده مفاتيحها وهو جمع مقليد

او مقلاد من قلدته اذا الزمته وقيل جمع اقليد معرب اكليد على الشذوذ
كمذاكير وعن عثمان رض انه سال النبي صلى الله عليه وسلم عن المقاليد فقال
تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر الله ولا حول
ولا قوة الا بالله هو الاول والاخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت
وهو على كل شيء قدير والمعنى على هذا ان لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد
وهي مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها اصابه والذين كفروا بايات
الله اولئك هم الخاسرون متصل بقوله وينجي الله الذين اتقوا وما بينهما اعتراض
للدلالة على انه مهيمن على العباد مطلع على افعالهم مجاز عليها وتغيير النظم
للاشعار بان العمدة في فلاح المؤمنين فضل الله وفي هلاك الكافرين
بان خسروا انفسهم وللتصريح بالوعد والتعريض بالوعيد قضية للكرم
او بما يليه والمراد بايات الله دلائل قدرته واستبداده بامر السموات والارض
او كلمات توحيده وتمجيده وتخصيص الخسار بهم لان غيرهم ذو حظ من الرحمة والثواب
قل افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون اي افغير الله اعبد بعد هذه
الدلائل والمواعيد وتامروني اعتراض للدلالة على انهم امروه به عقيب ذلك
وقالوا استلم بعض الهتنا ونؤمن بالهك لفرط غباوتهم ويجوز ان ينتصب غير
بما دل عليه تامروني اعبد لانه بمعنى تعبدونني على ان اصله تامرونني ان اعبد
فحذف ان ورفع كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى ويؤيده قراءة
اعبد بالنصب وقرا ابن عامر تامرونني باظهار النونين على الاصل ونافع بحذف الثانية
فانها تحذف كثيرا ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك اي من الرسل لئن اشركت
ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين كلام على سبيل الفرض والمراد به تهييج الرسل
واقناط الكفرة والاشعار على حكم الامة وافراد الخطاب باعتبار كل واحد واللام
الاولى موطئة للقسم والاخريان للجواب واطلاق الاحباط يحتمل ان يكون من
خصائصهم لان شركهم اقبح وان يكون على التقييد بالموت كما صرح به في قوله

ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم وعطف
الخسران عليه من عطف المسبب على السبب بل الله فاعبد رد لما امروه به ولولا دلالة
التقديم على الاختصاص لم يكن كذلك وكن من الشاكرين انعامه عليك وفيه
اشارة الى موجب الاختصاص وما قدروا الله حق قدره ما قدروا عظمته في انفسهم
حق تعظيمه حيث جعلوا له شريكا ووصفوه بما لا يليق به وقرئ بالتشديد والارض
جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه تنبيه على عظمته وحقارة الافعال
العظام التي تتحير فيها الاوهام بالاضافة الى قدرته ودلالة على ان تخريب
العالم اهون شيء عليه على طريقة التمثيل والتخييل من غير اعتبار القبضة
واليمين حقيقة ولا مجازا كقولهم شابت لمة الليل والقبضة المرة من القبض
اطلقت بمعنى القبضة وهي المقدار المقبوض بالكف تسمية بالمصدر او بتقدير ذات قبضة
وقرئ بالنصب على الظرف تشبيها للموقت بالمبهم وتاكيد الارض بالجميع لان المراد بها الارضون
السبع او جميع ابعاضها البادية والغائرة وقرئ مطويات على انها حال والسموات معطوفة
على الارض منطوية في حكمها سبحانه وتعالى عما يشركون ما ابعد وما اعلى من هذه قدرته
وعظمته عن اشراكهم او ما يضاف اليه من الشركاء ونفخ في الصور يعني المرة الاولى فصعق من
في السموات ومن في الارض خر ميتا او مغشيا عليه الا من شاء الله قيل جبريل وميكائيل واسرافيل
فانهم يموتون بعد وقيل حملة العرش ثم نفخ فيه اخرى نفخة اخرى وهي تدل على ان المراد
بالاول ونفخ في الصور نفخة واحدة كما صرح به في مواضع واخرى يحتمل النصب والرفع
فاذا هم قيام قائمون من قبورهم او متوقفون وقرئ بالنصب على ان الخبر ينظرون وهو
من ضميره والمعنى يقلبون ابصارهم في الجوانب كالمبهوتين او ينتظرون ما يفعل بهم واشرقت
الارض بنور ربها بما اقام فيها من العدل سماه نورا لانه يزين البقاع ويظهر الحقوق
كما سمي الظلم ظلمة وفي الحديث الظلم ظلمات يوم القيمة ولذلك اضاف اسمه الى الارض او
بنور خلق فيها بلا توسط اجسام مضيئة ولذلك اضافه الى نفسه ووضع الكتاب
للحساب والجزاء من وضع المحاسب كتاب المحاسبة بين يديه او صحايف الاعمال في ايدي العمال

واكتفى باسم الجنس عن الجمع وقيل اللوح المحفوظ يقابل به الصحايف وجيء بالنبيين
والشهداء الذين يشهدون للامم وعليهم من الملائكة والمؤمنين وقيل المستشهدون
وقضي بينهم بين العباد بالحق بالعدل وهم لا يظلمون بنقص ثواب او زيادة عقاب على
ما جرى به الوعد ووفيت كل نفس ما عملت جزاءه وهو اعلم بما يفعلون فلا يفوته شيء من
افعالهم ثم فصل التوفية فقال وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا افواجا متفرقة
بعضها في اثر بعض على تفاوت اقدامهم في الضلالة والشرارة وهي الجمع القليل جمع زمرة
واشتقاقها من الزمر وهو الصوت اذ الجماعة لا تخلو عنه او من قولهم شاة زمرة قليلة الشعر
ورجل زمر قليل المروة حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها ليدخلوها وحتى هي التي تحكى
بعدها الجملة وقرأ الكوفيون فتحت بتخفيف التاء وقال لهم خزنتها تقريعا وتوبيخا
الم ياتكم رسل منكم من جنسكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا وقتكم
هذا وهو وقت دخولهم النار وفيه دليل على انه لا تكليف قبل الشرع من حيث
انهم عللوا توبيخهم باتيان الرسل وتبليغ الكتب قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب
على الكافرين كلمة الله بالعذاب علينا وهو الحكم عليهم بالشقاوة وانهم من اهل النار ووضع
الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على اختصاص ذلك بالكفرة وقيل هو قوله لاملان
جهنم من الجنة والناس اجمعين قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها ابهم القائل
لتهويل ما يقال لهم فبئس مثوى المتكبرين اللام فيه للجنس والمخصوص بالذم سبق ذكره
ولا ينافي اشعاره بان سوء مثواهم في النار لتكبرهم عن الحق ان يكون دخولهم فيها لان
كلمة العذاب حقت عليهم فان تكبرهم وسائر مقابحهم مسببة عنه كما قال صلى الله عليه وسلم
ان الله اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل اهل الجنة حتى يموت على عمل من اعمال اهل
الجنة فيدخل به الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل اهل النار حتى يموت
على عمل من اعمال اهل النار فيدخل به النار وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة
اسراعا بهم الى دار الكرامة وقيل سيق مراكبهم اذ لا يذهب بهم الا راكبين زمرا
على تفاوت مراتبهم في الشرف وعلو الطبقة حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها

حذف جواب اذا للدلالة على ان لهم حينئذ من الكرامة والتعظيم ما لا يحيط به الوصف
وان ابواب الجنة تفتح لهم قبل مجيئهم منتظرين وقرأ الكوفيون فتحت بالتخفيف وقال
لهم خزنتها سلام عليكم لا يعتريكم بعد مكروه طبتم طهرتم من دنس المعاصي فادخلوها
خالدين مقدرين الخلود والفاء للدلالة على ان طيبهم سبب لدخولهم وخلودهم
وهو لا يمنع دخول العاصي بعفوه لانه يطهره وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده
بالبعث والثواب واورثنا الارض يريدون المكان الذي استقروا فيه على الاستعارة
وايراثها تمليكها مخلفة عليهم من اعمالهم او تمكينهم من التصرف فيها تمكين الوارث
فيما يرثه نتبوأ من الجنة حيث نشاء اي يتبوأ كل منا في اي مقام اراده من جنته
الواسعة مع ان في الجنة مقامات معنوية لا تمانع واردها فنعم اجر العاملين الجنة
وترى الملائكة حافين محدقين من حول العرش اي حوله ومن مزيدة او لابتداء الحفوف
يسبحون بحمد ربهم ملتبسين بحمده والجملة حال ثانية او مقيدة للاولى والمعنى ذاكرين له
بوصفي جلاله واكرامه تلذذا به وفيه اشعار بان منتهى درجات العليين واعلى لذائذهم
هو الاستغراق في صفات الحق وقضي بينهم بالحق اي بين الخلق بادخال بعضهم النار
وبعضهم الجنة او بين الملائكة باقامتهم في منازلهم على حسب تفاضلهم وقيل الحمد
لله رب العالمين اي على ما قضى بيننا بالحق والقائلون هم المؤمنون من المقضي بينهم
او الملائكة وطي ذكرهم لتعينهم وتعظيمهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه
يوم القيمة واعطاه الله ثواب الخائفين وعنه صلى الله عليه وسلم انه كان يقرأ كل ليلة بني اسرائيل والزمر

سورة المؤمن مكية وايها خمس وثمانون اية

بسم الله الرحمن الرحيم حم امالها ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر صريحا ونافع
برواية ورش وابو عمرو بين بين وقرئ بفتح الميم على التحريك لالتقاء الساكنين والنصب
باضمار اقرأ ومنع صرفه للتعريف والتأنيث او لانها على زنة اعجمي كقابيل وهابيل
تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم لعل تخصيص الوصفين لما في القرآن من الاعجاز والحكم

الدا

الدالين على القدرة الكاملة والحكمة البالغة غافر الذنب وقابل التوب شديد
العقاب ذي الطول صفات اخر لتحقيق ما فيه من الترغيب والترهيب والحث على ما
هو المقصود منه والاضافة فيها حقيقية على انه لم يرد بها زمان مخصوص واريد
بشديد العقاب مشدده او الشديد عقابه فحذف اللام للازدواج وامن الالتباس
او ابدال وجعله وحده بدلا مشوش للنظم وتوسيط الواو بين الاولين لافادة
الجمع بين محو الذنوب وقبول التوبة او تغاير الوصفين اذ ربما يتوهم الاتحاد او
تغاير موقع الفعلين لان الغفر هو الستر فيكون لذنب باق وذلك لمن لم يتب
فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له والتوب مصدر كالتوبة وقيل جمعها والطول
الفضل بترك العقاب المستحق وفي توحيد صفة العذاب مغمورة بصفات الرحمة دليل
رجحانها لا اله الا هو لما حقق امر التنزيل سجل بالكفر على المجادلين فيه بالطعن
وادحاض الحق لقوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاما الجدال فيه
لحل عقده واستنباط حقائقه وقطع تشبث اهل الزيغ به وقطع مطاعنهم فيه
فمن اعظم الطاعات ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان جدالا في القرآن كفر بالتنكير
مع انه ليس جدالا فيه على الحقيقة فلا يغررك تقلبهم في البلاد فلا يغررك امهالهم
واقبالهم في دنياهم وتقلبهم في بلاد الشام واليمن بالتجارات المربحة فانهم مأخوذون
عما قريب بكفرهم اخذ من قبلهم كما قال كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم
والذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم بعد قوم نوح كعاد وثمود وهمت كل امة
من هؤلاء برسولهم وقرئ برسولها ليأخذوه ليتمكنوا من اصابته بما ارادوا من
تعذيب وقتل من الاخذ بمعنى الاسر وجادلوا بالباطل بما لا حقيقة له ليدحضوا
به الحق ليزيلوه به فاخذتهم بالاهلاك جزاء لهم فكيف كان عقاب فانكم
تمرون على ديارهم وترون اثره وهو تقرير فيه تعجيب وكذلك حقت كلمة ربك
وعيده او قضاؤه بالعذاب على الذين كفروا لكفرهم انهم اصحاب النار
بدل من كلمة ربك بدل الكل او الاشتمال على ارادة اللفظ او المعنى الذين يحملون

فيجب الاقبال الكلي على عبادته اليه المصير
فيجازي المطيع والعاصي ما يجادل
في ايات الله الا الذين كفروا

العرش ومن حوله الكروبيون اعلى طبقات الملائكة واولهم وجودا وحملهم اياه
وحفيفهم حوله مجاز عن حفظهم وتدبيرهم له وكناية عن قربهم من ذى العرش
ومكانتهم عنده وتوسطهم فى نفاذ امره يسبحون بحمد ربهم يذكرون الله بمجامع الثناء
من صفات الجلال والاكرام وجعل التسبيح اصلا والحمد حالا لان الحمد مقتضى حالهم
دون التسبيح ويؤمنون به اخبر عنهم بالايمان اظهارا لفضله وتعظيما لاهله ومساق
الآية لذلك كما صرح به بقوله ويستغفرون للذين آمنوا واشعارا بان حملة العرش
وسكان الفرش فى معرفته سواء ردا على المجسمة واستغفارهم شفاعتهم وحملهم
على التوبة والهامهم ما يوجب المغفرة وفيه تنبيه على ان المشاركة فى الايمان توجب
النصح والشفقة وان تخالفت الاجناس لانها اقوى المناسبات كما قال انما المؤمنون اخوة
ربنا اى يقولون ربنا وهو بيان ليستغفرون او حال وسعت كل شىء رحمة وعلما
اى وسعت رحمته وعلمه فازيل عن اصله للاغراق فى وصفه بالرحمة والعلم والمبالغة
فى عمومهما وتقديم الرحمة لانها المقصودة بالذات ههنا فاغفر للذين تابوا عن
المعاصى واتبعوا سبيلك للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيل الحق وقهم
عذاب الجحيم واحفظهم عنه وهو تصريح بعد اشعار للتاكيد والدلالة على شدة
العذاب ربنا وادخلهم جنات عدن التى وعدتهم وعدتهم اياها ومن صلح من
آبائهم وازواجهم وذرياتهم عطف على هم الاول اى ادخلهم ومعهم هؤلاء ليتم
سرورهم او الثانى لبيان عموم الوعد وقرئ جنة عدن وصلح بالضم وذريتهم بالتوحيد
انك انت العزيز الذى لا يمتنع عليه مقدور الحكيم الذى لا يفعل الا ما تقتضيه
حكمته ومن ذلك الوفاء بالوعد وقهم السيئات العقوبات او جزاء السيئات وهو تعميم
بعد تخصيص او مخصوص بمن صلح او المعاصى فى الدنيا لقوله تعالى ومن تق السيئات
يومئذ فقد رحمته اى ومن تقها فى الدنيا فقد رحمته فى الآخرة كانهم طلبوا السبب
بعدما سألوا المسبب وذلك هو الفوز العظيم يعنى الرحمة او الوقاية او مجموعهما
ان الذين كفروا ينادون يوم القيمة فيقال لهم لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اى

اى لمقت الله اياكم اكبر من مقتكم انفسكم الامارة بالسوء اذ تدعون الى الايمان
فتكفرون ظرف لفعل دل عليه المقت الاول لا له لانه اخبر عنه ولا للثانى لان
مقتهم انفسهم يوم القيمة حين عاينوا جزاء اعمالها الخبيثة الا ان يأول بنحو الصيف
ضيعت اللبن او تعليل للحكم وزمان المقتين واحد قالوا ربنا امتنا اثنتين اماتتين
بان خلقتنا امواتا اولا ثم صيرتنا امواتا عند انقضاء آجالنا فان الاماتة جعل
الشىء عادم الحيوة ابتداء او بتصيير كالتصغير والتكبير ولذلك قيل سبحان الله من
صغر البعوض وكبر الفيل وان خص بالتصيير فاختيار الفاعل احد مقدوريه تصيير
وصرف له عن الآخر واحييتنا اثنتين الاحياءة الاولى واحياءة البعث وقيل الاماتة
الاولى عند انخرام الاجل والثانية فى القبر بعد الاحياء للسؤال والاحياءان ما فى
القبر والبعث اذ المقصود اعترافهم بعد المعاينة بما غفلوا عنه ولم يكترثوا به
ولذلك تسبب بقوله فاعترفنا بذنوبنا فان اقترافهم لها من اغترارهم بالدنيا
وانكارهم البعث فهل الى خروج نوع خروج من النار من سبيل طريق فنسلكه
وذلك انما يقولونه من فرط قنوطهم تعللا وتحيرا ولذلك اجيبوا بقوله ذلكم الذى
انتم فيه بانه بسبب انه اذا دعى الله وحده متحدا او توحد وحده فحذف
الفعل واقيم مقامه فى الحالية كفرتم بالتوحيد وان يشرك به تؤمنوا بالاشراك
فالحكم لله المستحق للعبادة حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد العلى الكبير من
ان يشرك به ويسوى بغيره حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد وعلى من اشرك
وسوى به بعض مخلوقاته فى استحقاق العبادة هو الذى يريكم آياته الدالة
على التوحيد وسائر ما يجب ان يعلم تكميلا لنفوسكم وينزل لكم من السماء رزقا
اسباب رزق كالمطر مراعاة لمعاشكم وما يتذكر بالآيات التى هى كالمركوزة فى
العقول لظهورها المغفول عنها للانهماك فى التقليد واتباع الهوى الا من
ينيب يرجع عن الانكار بالاقبال عليها والتفكر فيها فان الجازم بشىء لا ينظر
فيما ينافيه فادعوا الله مخلصين له الدين من الشرك ولو كره الكافرون اخلاصكم

وشق عليهم رفيع الدرجات ذو العرش خبران اخران للدلالة على علو صمديته من
حيث المعقول والمحسوس الدال على تفرده فى الالوهية فان من ارتفعت درجات كماله
بحيث لا يظهر دونها كمال وكان العرش الذى هو اصل العالم الجسمانى فى قبضة
قدرته لا يصح ان يشرك به وقيل الدرجات مراتب المخلوقات او مصاعد الملائكة
الى العرش او السموات او درجات الثواب وقرئ رفيع بالنصب على المدح يلقى الروح
من امره خبر رابع للدلالة على ان الروحانيات ايضا مسخرات لامره باظهار اثارها
وهو الوحى وتمهيد للنبوة بعد تقرير التوحيد والروح الوحى ومن امره بيانه لانه
امر بالخير او مبدؤه والامر هو الملك المبلغ على من يشاء من عباده يختاره للنبوة
وفيه دليل على انها عطائية لينذر غاية الالقاء والمستكن فيه لله او لمن او للروح
واللام مع القرب يؤيد الثانى يوم التلاق يوم القيمة فان فيه تتلاقى
الارواح والاجساد واهل السماء والارض والمعبود والعابد والاعمال
والعمال يوم هم بارزون خارجون من قبورهم او ظاهرون لا يسترهم شئ او ظاهرة
نفوسهم لا تحجبهم غواشى الابدان او اعمالهم وسرائرهم لا يخفى على الله منهم شئ من
اعيانهم واعمالهم واحوالهم وهو تقرير لقوله هم بارزون وازاحة لنحو ما يتوهم
فى الدنيا لمن الملك اليوم لله الواحد القهار حكاية لما يسأل عنه فى ذلك اليوم
ولما يجاب به او لما دل عليه ظاهر الحال فيه من زوال الاسباب وارتفاع
الوسائط واما حقيقة الحال فناطقة بذلك دائما اليوم تجزى كل نفس بما كسبت
كانه نتيجة لما سبق وتحقيقه ان النفوس تكتسب بالعقائد والاعمال هيئات توجب
لذاتها والامها لكن لا تشعر بها فى الدنيا لعوائق تشغلها فاذا قامت قيامتها
زالت العوائق وادركت لذاتها والامها لا ظلم اليوم بنقص الثواب
وزيادة العقاب ان الله سريع الحساب اذ لا يشغله شأن عن شأن فيصل
اليهم ما يستحقونه سريعا وانذرهم يوم الازفة اى القيمة سميت بها لازوفها
اى قربها او الخطة الازفة وهى مشارفتهم النار وقيل الموت اذ القلوب

لدى الحناجر فانها ترتفع عن اماكنها فتلتصق بحلوقهم فلا تعود فيتروحوا ولا
تخرج فيستريحوا كاظمين على الغم حال من اصحاب القلوب على المعنى لانه على الاضافة
او منها او من ضميرها فى لدى وجمعه كذلك لان الكظم من افعال العقلاء كقوله
فظلت اعناقهم لها خاضعين او من مفعول انذرهم على انه حال مقدرة ما للظالمين من
حميم قريب مشفق ولا شفيع يطاع ولا شفيع مشفع والضمائر ان كانت للكفار
وهو الظاهر كان وضع الظالمين موضع ضميرهم للدلالة على اختصاص ذلك بهم
وانه لظلمهم يعلم خائنة الاعين النظرة الخائنة كالنظرة الثانية الى غير المحرم
واستراق النظر اليه او خيانة الاعين وما تخفى الصدور من الضمائر والجملة خبر
خامس للدلالة على انه ما من خفى الا وهو متعلق العلم والجزاء والله يقضى بالحق
لانه المالك الحاكم على الاطلاق فلا يقضى بشئ الا وهو حقه والذين يدعون
من دونه لا يقضون بشئ تهكم بهم لان الجماد لا يقال فيه انه يقضى او لا يقضى
وقرأ نافع وهشام بالتاء على الالتفات او اضمار قل ان الله هو السميع البصير
تقرير لعلمه بخائنة الاعين وقضائه بالحق ووعيد لهم على ما يقولون ويفعلون
وتعريض بحال ما يدعون من دونه اولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة
الذين كانوا من قبلهم مآل حال الذين كذبوا الرسل قبلهم كعاد وثمود كانوا هم اشد
منهم قوة قدرة وتمكنا وانما جئ بالفصل وحقه ان يقع بين معرفتين لمضارعة
افعل من للمعرفة فى امتناع دخول اللام عليه وقرأ ابن عامر اشد منكم بالكاف
واثارا فى الارض مثل القلاع والمدائن الحصينة وقيل المعنى واكثر اثارا كقوله
متقلدا سيفا ورمحا فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق يمنع العذاب
عنهم ذلك الاخذ بانهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات بالمعجزات والاحكام الواضحة
فكفروا فاخذهم الله انه قوى متمكن مما يريد غاية التمكن شديد العقاب لا يؤبه
بعقاب دون عقابه ولقد ارسلنا موسى باياتنا يعنى المعجزات وسلطان مبين
وحجة ظاهرة والعطف لتغاير الوصفين او لافراد بعض المعجزات كالعصا تفخيما لشأنه

الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب يعنون موسى عم وفيه تسلية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبيان لعاقبة من هو اشد الذين كانوا من قبلهم بطشا
واقربهم زمانا فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا ابناء الذين آمنوا معه واستحيوا
نساءهم اى اعيدوا عليهم ما كنتم تفعلون بهم اولا كى يصدوا عن مظاهرة موسى
وما كيد الكافرين الا فى ضلال فى ضياع ووضع الظاهر فيه موضع الضمير لتعميم الحكم
والدلالة على العلة وقال فرعون ذرونى اقتل موسى كانوا يكفونه عن قتله ويقولون
انه ليس الذى تخافه بل هو ساحر ولو قتلته ظن انك عجزت عن معارضته بالحجة
وتعلله بذلك مع كونه سفاكا فى اهون شئ دليل على انه تيقن انه نبى فخاف من قتله
او ظن انه لو حاوله لم يتيسر له ويؤيده قوله وليدع ربه فانه تجلد وعدم
مبالاة بدعائه انى اخاف ان لم اقتله ان يبدل دينكم ان يغير ما انتم عليه من عبادته
وعبادة الاصنام لقوله ويذرك والهتك او ان يظهر فى الارض الفساد ما يفسد
دنياكم من التحارب والتهارج ان لم يقدر ان يبطل دينكم بالكلية وقرا ابن كثير
ونافع وابو عمرو وابن عامر بالواو على معنى الجمع وابن كثير وابن عامر والكوفيون
غير حفص بفتح الياء والهاء ورفع الفساد وقال موسى اى لقومه لما سمع بكلامه
انى عذت بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب صدر الكلام بان تاكيدا
واشعارا على ان السبب المؤكد فى دفع الشر هو العياذ بالله وخص اسم الرب لان المطلوب
هو الحفظ والتربية واضافته اليه واليهم حثا لهم على موافقته لما فى تظاهر الارواح
من استجلاب الاجابة ولم يسم فرعون وذكر وصفا يعمه وغيره لتعميم الاستعاذة ورعاية
الحق والدلالة على الحامل له على القول وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائى عذت فيه
وفى الدخان بالادغام وعن نافع مثله وقال رجل مؤمن من آل فرعون من اقاربه
وقيل من متعلق بقوله يكتم ايمانه والرجل اسرائيلى او غريب موحد كان ينافقهم
اتقتلون رجلا اتقصدون قتله ان يقول لان يقول او وقت ان يقول من غير روية
وتامل فى امره ربى الله وحده وهو فى الدلالة على الحصر مثل صديقى زيد وقد جاءكم

بالبينات

بالبينات المتكثرة على صدقه من المعجزات والاستدلالات من ربكم اضافه اليهم بعد
ذكر البينات احتجاجا عليهم واستدراجا لهم الى الاعتراف به ثم اخذهم بالاحتجاج
من باب الاحتياط فقال وان يك كاذبا فعليه كذبه لا يتخطاه وبال كذبه فيحتاج فى
دفعه الى قتله وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم فلا اقل من ان يصيبكم
بعضه وفيه مبالغة فى التحذير واظهار للانصاف وعدم التعصب ولذلك قدم كونه
كاذبا او يصبكم ما يعدكم من عذاب الدنيا وهو بعض مواعيده كانه خوفهم بما هو اظهر
احتمالا عندهم وتفسير البعض بالكل كقول لبيد تراك امكنة اذا لم ارضها او يرتبط
بعض النفوس حمامها مردود لانه اراد بالبعض نفسه ان الله لا يهدى من هو مسرف
كذاب احتجاج ثالث ذو وجهين احدهما انه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله تعالى
الى البينات ولما عضده بتلك المعجزات وثانيهما ان من خذله الله واهلكه فلا حاجة
لكم الى قتله ولعله اراد به المعنى الاول وخيل اليهم الثانى ليلين شكيمتهم وعرض به
لفرعون بانه مسرف كذاب لا يهديه الله سبيل الصواب وسبيل النجاة يا قوم لكم الملك
اليوم ظاهرين غالبين فى الارض ارض مصر فمن ينصرنا من باس الله ان جاءنا
اى فلا تفسدوا امركم ولا تتعرضوا لباس الله بقتله فانه ان جاءنا لم يمنعنا منه
احد وانما ادرج نفسه فى الضميرين لانه كان منهم فى القرابة وليريهم انه معهم و
مساهمهم فيما ينصحهم قال فرعون ما اريكم ما اشير اليكم الا ما ارى واستصوبه من
قتله وما اهديكم وما اعلمكم الا ما علمت من الصواب وقلبى ولسانى متواطئان عليه
الا سبيل الرشاد طريق الصواب وقرئ بالتشديد على انه فعال للمبالغة من رشد بالكسر
كعلام او من رشد كعباد لا من ارشد كجبار لانه مقصور على السماع او للنسبة الى الرشد
كعواج وبتات وقال الذى آمن يا قوم انى اخاف عليكم فى تكذيبه والتعرض له مثل
يوم الاحزاب مثل ايام الامم الماضية يعنى وقائعهم وجمع الاحزاب مع التفسير
اغنى عن جمع اليوم مثل داب قوم نوح وعاد وثمود مثل جزاء ما كانوا عليه دائبا
من الكفر وايذاء الرسل والذين من بعدهم كقوم لوط وما الله يريد ظلما للعباد

فلا يعاقبهم بغير ذنب ولا يخلي الظالم منهم بغير انتقام وهو ابلغ من قوله وما ربك
بظلام للعبيد من حيث ان المنفي فيه نفي حدوث تعلق ارادته بالظلم ويا قوم
اني اخاف عليكم يوم التناد يوم القيمة ينادي فيه بعضهم بعضا للاستغاثة او
يتصايحون بالويل والثبور او يتنادى اصحاب الجنة واصحاب النار كما حكي في الاعراف
وقرئ بالتشديد وهو ان يند بعضهم من بعض كقوله يوم يفر المرء من اخيه يوم تولون
عن الموقف مدبرين منصرفين عنه الى النار وقيل فارين عنها ما لكم من الله من عاصم
يعصمكم من عذابه ومن يضلل الله فما له من هاد ولقد جاءكم يوسف بن يعقوب على
ان فرعونه فرعون موسى او على نسبة احوال الاباء الى الاولاد او سبطه يوسف بن ابراهيم بن
يوسف من قبل من قبل موسى بالبينات بالمعجزات فما زلتم في شك مما جاءكم به
من الدين حتى اذا هلك مات قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا ضما الى تكذيب رسالته
تكذيب رسالة من بعده او جزما بان لا يبعث بعده رسول مع الشك في رسالته وقرئ
الن يبعث الله على ان بعضهم يقرر بعضا بنفي البعث كذلك مثل ذلك الاضلال يضل
الله في العصيان من هو مسرف مرتاب شاك فيما تشهد به البينات لغلبة الوهم والانهماك
في التقليد الذين يجادلون في آيات الله بدل من الموصول الاول لانه بمعنى الجمع بغير سلطان
بغير حجة بل اما بتقليد او شبهة داحضة اتيهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا
فيه ضمير من وافراده للفظ ويجوز ان يكون الذين مبتدأ وخبره كبر على حذف مضاف
اي وجدال الذين يجادلون كبر مقتا او بغير سلطان وفاعل كبر كذلك اي كبر مقتا
ذلك الجدال فيكون قوله كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار استينافا للدلالة
على الموجب لجدالهم وقرا ابو عمرو وابن ذكوان قلب بالتنوين على وصفه بالتكبر والتجبر
لانه منبعهما كقولهم رأت عيني وسمعت اذني او على حذف مضاف اي كل ذي قلب
متكبر وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا بناء مكشوفا عاليا من صرح الشيء اذا ظهر
لعلي ابلغ الاسباب الطرق اسباب السموات بيان لها وفي ابهامها ثم ايضاحها تفخيم لشانها
وتشويق للسامع الى معرفتها فاطلع الى اله موسى عطف على ابلغ وقرا حفص بالنصب

على جواب الترجي ولعله اراد ان يبني له رصدا في موضع عال ليرصد منه احوال الكواكب
التي هي اسباب سماوية تدل على الحوادث الارضية فيرى هل فيها ما يدل على ارسال الله
اياه او ان يرى فساد قول موسى بان اخباره من اله السماء يتوقف على اطلاعه ووصوله
اليه وذلك لا يتاتى الا بالصعود الى السماء وهو مما لا يقوى عليه الانسان وذلك
لجهله بالله وكيفية استنبائه واني لاظنه كاذبا في دعوى الرسالة وكذلك ومثل
ذلك التزيين زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل سبيل الرشاد والفاعل على الحقيقة
هو الله ويدل عليه انه قرئ زين بالفتح وبالتوسط الشيطان وقرا الحجازيان والشامي
وابو عمرو وصد على ان فرعون صد الناس عن الهدى بامثال هذه التمويهات والشبهات
ويؤيده وما كيد فرعون الا في تباب الا في خسار وقال الذي آمن يعني مؤمن آل فرعون
وقيل موسى يا قوم اتبعون اهدكم بالدلالة سبيل الرشاد سبيلا يصل سالكه
الى المقصود وفيه تعريض بان ما عليه فرعون وقومه سبيل الغي يا قوم انما هذه الحيوة
الدنيا متاع تمتع يسير لسرعة زوالها وان الآخرة هي دار القرار لخلودها من عمل
سيئة فلا يجزى الا مثلها عدلا من الله وفيه دليل على ان الجنايات تغرم بمثلها ومن
عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب
بغير تقدير وموازنة بالعمل بل اضعافا مضاعفة فضلا منه ورحمة ولعل
تقسيم العمل وجعل الجزاء جملة اسمية مصدرة باسم الاشارة وتفضيل الثواب لتغليب الرحمة
وجعل العمل عمدة والايمان حالا للدلالة على انه شرط في اعتبار العمل وان ثوابه
اعلى من ذلك ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجوة وتدعونني الى النار كرر نداءهم ايقاظا
لهم عن سنة الغفلة واهتماما بالمنادى له ومبالغة في توبيخهم على ما يقابلون به
نصحه وعطفه على النداء الثاني الداخل على ما هو بيان لما قبله ولذلك لم يعطف على الاول
فان ما بعده ايضا تفسير لما اجمل فيه تصريحا او تعريضا او على الاول تدعونني
لاكفر بالله بدل او بيان فيه تعليل والدعاء كالهداية في التعدية بالى واللام واشرك
به ما ليس لي به بربوبيته علم والمراد نفي المعلوم والاشعار بان الالوهية لا بد لها

من برهان واعتقادها لا يصح الا عن ايقان وانا ادعوكم الى العزيز الغفار
المستجمع لصفات الالوهية من كمال القدرة والغلبة وما يتوقف عليه من العلم والارادة
والتمكن من المجازاة والقدرة على التعذيب والغفران لا جرم لا رد لما دعاه اليه
وجرم فعل بمعنى حق وفاعله انما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة
اي حق عدم دعوة آلهتكم الى عبادتها اصلا لانها جمادات ليس لها ما يقتضي الوهيتها
او عدم دعوة مستجابة او عدم استجابة دعوة لها وقيل جرم بمعنى كسب وفاعله مستكن
فيه اي كسب ذلك الدعاء اليه ان لا دعوة له بمعنى ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان دعوته
وقيل فعل من الجرم بمعنى القطع كما ان بدّ من لا بدّ فعل من التبديد وهو التفريق والمعنى
لا قطع لبطلان الوهية الاصنام اي لا ينقطع في وقت ما فينقلب حقا ويؤيده
قولهم لا جُرم انه يفعل لغة فيه كالرُشد والرَشد وان مردنا الى الله بالموت وان المسرفين
في الضلالة والطغيان كالاشراك وسفك الدماء هم اصحاب النار ملازموها
فستذكرون فيذكر بعضكم بعضا عند معاينة العذاب ما اقول لكم من النصيحة
وافوض امري الى الله ليعصمني من كل سوء ان الله بصير بالعباد فيحرسهم فكانه جواب
توعدهم المفهوم من قوله فوقيه الله سيئات ما مكروا شدائد مكرهم وقيل الضمير
لموسى وحاق بآل فرعون بفرعون وقومه واستغنى بذكرهم عن ذكره للعلم بانه اولى
بذلك بطلبة المؤمن من قومه فانه فر الى جبل فاتبعه طائفة فوجدوه يصلي والوحوش
صفوف حوله فرجعوا رعبا فقتلهم سوء العذاب الغرق او القتل والنار النار يعرضون
عليها غدوا وعشيا جملة مستأنفة او النار خبر محذوف ويعرضون استئناف للبيان
او بدل ويعرضون حال منها او من الآل وقرئت منصوبة على الاختصاص او باضمار
فعل يفسره يعرضون مثل يصلون فان عرضهم على النار احراقهم بها من قولهم عرض
الاسارى على السيف اذا قتلوا به وذلك لارواحهم كما روى ابن مسعود ان ارواحهم
في اجواف طير سود تعرض على النار بكرة وعشيا الى يوم القيمة وذكر الوقتين يحتمل
التخصيص والتابيد وفيه دليل على بقاء النفس وعذاب القبر ويوم تقوم الساعة

اى هذا

اي هذا ما دامت الدنيا فاذا قامت الساعة قيل لهم ادخلوا آل فرعون يا آل
فرعون اشد العذاب عذاب جهنم فانه اشد مما كانوا فيه او اشد عذاب جهنم وقرا
نافع وحمزة والكسائي ويعقوب وحفص ادخلوا على امر الملائكة بادخالهم النار
واذ يتحاجون في النار واذكر وقت تخاصمهم فيها ويحتمل عطفه على غدوا فيقول
الضعفاء للذين استكبروا تفصيل له انا كنا لكم تبعا اتباعا كخدم في جمع خادم او
ذوي تبع بمعنى اتباع على الاضمار او التجوز فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار
بالدفع او الحمل ونصيبا مفعول لما دل عليه مغنون او له بالتضمين او مصدر
كشيئا في قوله تعالى لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا فيكون من صلة
مغنون قال الذين استكبروا انا كل فيها نحن وانتم فكيف نغني عنكم ولو قدرنا
لاغنينا عن انفسنا وقرئ كلا على التاكيد لانه بمعنى كلنا وتنوينه عوض عن
المضاف اليه ولا يجوز جعله حالا من المستكن في الظرف فانه لا يعمل في الحال
المتقدمة كما يعمل في الظرف المتقدم كقولك كل يوم لك ثوب ان الله قد حكم
بين العباد بان ادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار لا معقب لحكمه وقال
الذين في النار لخزنة جهنم اي لخزنتها ووضع جهنم موضع الضمير للتهويل او لبيان
محلهم فيها اذ يحتمل ان يكون جهنم ابعد دركاتها من قولهم بئر جهنام بعيدة القعر
ادعوا ربكم يخفف عنا يوما قدر يوم من العذاب شيئا من العذاب ويجوز ان يكون
المفعول يوما بحذف المضاف ومن العذاب بيانه قالوا اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات
ارادوا به الزامهم للحجة وتوبيخهم على اضاعتهم اوقات الدعاء وتعطيلهم اسباب
الاجابة قالوا بلى قالوا فادعوا فانا لا نجترئ فيه اذ لم يؤذن في الدعاء لامثالكم
وفيه اقناط لهم عن الاجابة وما دعاء الكافرين الا في ضلال ضياع لا يجاب انا لننصر
رسلنا والذين آمنوا بالحجة والظفر والانتقام لهم من الكفرة في الحيوة الدنيا ويوم يقوم
الاشهاد اي في الدارين ولا ينقض ذلك بما كان لهم من الغلبة احيانا اذ العبرة بالعواقب
وغالب الامر والاشهاد جمع شاهد كصاحب واصحاب والمراد بهم من يقوم يوم القيمة

الشهادة على الناس من الملائكة والانبياء والمؤمنين يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم
بدل من الاول وعدم نفع المعذرة لانها باطلة او لانه لا يؤذن لهم فيعتذرون
وقرأ غير الكوفيين ونافع بالتاء ولهم اللعنة البعد من الرحمة ولهم سوء الدار جهنم
ولقد آتينا موسى الهدى ما يهتدى به في الدين من المعجزات والصحف والشرائع واو
رثنا بني اسرائيل الكتاب وتركنا عليهم بعده من ذلك التورية هدى وذكرى هداية
وتذكرة او هاديا ومذكرا لاولي الالباب لذوي العقول السليمة فاصبر على اذى
المشركين ان وعد الله حق بالنصر لا يخلفه واستشهد بحال موسى وفرعون واستغفر
لذنبك واقبل على امر دينك وتدارك فرطاتك كترك الاولى والاهتمام بامر العدى
بالاستغفار فانه تعالى كافيك في النصر واظهار الامر وسبح بحمد ربك بالعشي
والابكار ودم على التسبيح والتحميد لربك وقيل صل لهذين الوقتين اذ كان
الواجب بمكة ركعتان بكرة وركعتان عشيا ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان
اتاهم عام في كل مجادل مبطل وان نزلت في مشركي مكة او اليهود حين قالوا لست
صاحبنا بل هو المسيح بن داود يبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه الانهار ان
في صدورهم الا كبر الا تكبر عن الحق وتعظم عن التفكر والتعلم او ارادة الرياسة او ان النبوة
والملك لا يكون الا لهم ما هم ببالغيه ببالغي دفع الآيات او المراد فاستعذ بالله فالتجئ
اليه انه هو السميع البصير لاقوالكم وافعالكم لخلق السموات والارض اكبر من خلق
الناس فمن قدر على خلقها مع عظمها اولا من غير اصل قدر على خلق الانسان ثانيا
من اصل وهو بيان لاشكال ما يجادلون فيه من امر التوحيد ولكن اكثر الناس لا يعلمون
لانهم لا ينظرون ولا يتأملون لفرط غفلتهم واتباعهم اهواءهم وما يستوي الاعمى
والبصير الغافل والمستبصر والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء والمحسن والمسيء
ينبغي ان يكون لهم حال يظهر فيها التفاوت وهي فيما بعد البعث وزيادة لا في المسيء
لان المقصود نفي مساواته للمحسن فيما له من الفضل والكرامة والعاطف الثاني
عطف الموصول بما عطف عليه على الاعمى والبصير لتغاير الوصفين في المقصود او الدلالة

بالصراحة

بالصراحة والتمثيل قليلا ما تتذكرون اي تذكرا ما قليلا تتذكرون والضمير
للناس او الكفار وقرأ الكوفيون بالتاء على تغليب المخاطب او الالتفات او امر الرسول
بالمخاطبة ان الساعة لآتية لا ريب فيها في مجيئها لوضوح الدلالة على جوازها
واجماع الرسل على الوعد بوقوعها ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لا يصدقون
بها لقصور نظرهم على ظاهر ما يحسونه وقال ربكم ادعوني اعبدوني استجب
لكم اثبكم لقوله ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين
صاغرين وان فسر الدعاء بالسؤال كان الاستكبار الصارف عنه منزلا منزلته للمبالغة
او المراد بالعبادة الدعاء فانه من ابوابها وقرأ ابن كثير وابو بكر سيدخلون بضم
الياء الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه لتستريحوا فيه بان خلقه باردا مظلما
ليؤدي الى ضعف المحركات وهدوء الحواس والنهار مبصرا يبصر فيه او به واسناد
الابصار اليه مجاز فيه مبالغة ولذلك عدل به عن التعليل الى الحال ان الله
لذو فضل على الناس لا يوازيه فضل وللاشعار به لم يقل لمفضل ولكن اكثر
الناس لا يشكرون لجهلهم بالنعم واغفالهم مواقع النعم وتكرير الناس لتخصيص الكفران
بهم ذلكم المخصوص بالافعال المقتضية للالوهية والربوبية الله ربكم خالق كل
شيء لا اله الا هو اخبار مترادفة تخصص اللاحقة السابقة وتقررها وقرئ
خالق بالنصب على الاختصاص فيكون لا اله الا هو استينافا بما هو كالنتيجة للاوصاف
المذكورة فانى تؤفكون فكيف ومن اي وجه تصرفون عن عبادته الى عبادة غيره
كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون اي كما افكوا افك عن الحق كل من جحد
بآيات الله ولم يتأملها الله الذي جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء استدلال ثان
بافعال اخر مخصوصة وصوركم فاحسن صوركم بان خلقكم منتصب القامة بادي
البشرة متناسب الاعضاء والتخطيطات متهيئا لمزاولة الصنائع واكتساب الكمالات
ورزقكم من الطيبات اللذائذ ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين فان كل ما سواه
مربوب مفتقر بالذات معرض للزوال هو الحي المتفرد بالحياة الذاتية لا اله الا هو

اذ لا موجود يساويه او يدانيه في ذاته وصفاته فادعوه فاعبدوه مخلصين
له الدين اي الطاعة من الشرك والريا الحمد لله رب العالمين قائلين له قل اني نهيت
ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي من الحجج والآيات او
من الوحي فانها مقوية لادلة العقل منبهة عليها وامرت ان اسلم لرب العالمين ان انقاد
له او اخلص له ديني هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم
طفلا اطفالا والتوحيد لارادة الجنس او على تاويل كل واحد منكم ثم لتبلغوا اشدكم
اللام فيه متعلقة بمحذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا وكذا في قوله ثم لتكونوا شيوخا
ويجوز عطفه على لتبلغوا وقرأ نافع وابو عمرو وحفص وهشام شيوخا بضم الشين
وقرئ شيوخا بالكسر وقرئ شيخا كقوله طفلا ومنكم من يتوفى من قبل من قبل الشيوخة
او بلوغ الاشد ولتبلغوا ويفعل ذلك لتبلغوا اجلا مسمى هو وقت الموت او
يوم القيمة ولعلكم تعقلون ما في ذلك من الحجج والعبر هو الذي يحيي ويميت فاذا قضى
امرا فاذا اراده فانما يقول له كن فيكون فلا يحتاج في تكوينه الى عدة وتجشم
كلفة والفاء الاولى للدلالة على ان ذلك نتيجة ما سبق من حيث انه يقتضي قدرة
ذاتية غير متوقفة على العدد والمواد الم تر الى الذين يجادلون في آيات الله
انى يصرفون عن التصديق به وتكرير ذم المجادلة لتعدد المجادل او المجادل فيه
او للتاكيد الذين كذبوا بالكتاب بالقرآن او بجنس الكتب السماوية وبما ارسلنا
به رسلنا من سائر الكتب او الوحي والشرائع فسوف يعلمون جزاء تكذيبهم اذ الاغلال
في اعناقهم ظرف ليعلمون اذ المعنى على الاستقبال والتعبير بلفظ المضي لتيقنه والسلاسل
عطف على الاغلال او مبتدأ خبره يسحبون في الحميم والعائد محذوف اي يسحبون بها
وهو على الاول حال وقرئ والسلاسل بالجر حملا على المعنى اذ الاغلال في اعناقهم
بمعنى اعناقهم في الاغلال او اضمارا للباء ويدل عليه القراءة به وبالسلاسل وقرئ
والسلاسل يسحبون بالنصب وفتح الياء على تقديم المفعول وعطف الفعلية على الاسمية
ثم في النار يسجرون من سجر التنور اذا ملاه بالوقود ومنه السجير للصديق كانه يسجر

بالحب اي ملاه والمراد انهم يعذبون بانواع من العذاب وينقلون من بعضها الى
بعض ثم قيل لهم اينما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا غابوا عنا وذلك
قبل ان يقرن بهم الهتهم او ضاعوا عنا فلم نجد منهم ما كنا نتوقع منهم بل لم نكن
ندعوا من قبل شيئا بل تبين لنا انا لم نكن نعبد شيئا بعبادتهم فانهم ليسوا شيئا
يعتد به كقولك حسبته شيئا فلم يكن كذلك مثل هذا الضلال يضل الله الكافرين
حتى لا يهتدوا الى شيء ينفعهم في الآخرة او يضلهم عن الهتهم حتى لو تطالبوا لم يتصادفوا
ذلكم الاضلال بما كنتم تفرحون في الارض تبطرون وتتكبرون بغير الحق وهو
الشرك والطغيان وبما كنتم تمرحون تتوسعون في الفرح والعدول الى الخطاب
للمبالغة في التوبيخ ادخلوا ابواب جهنم الابواب السبعة المقسومة لكم خالدين فيها
مقدرين الخلود فبئس مثوى المتكبرين عن الحق جهنم وكان مقتضى النظم فبئس مدخل
المتكبرين ولكن لما كان الدخول المقيد بالخلود سبب الثواء عبر بالمثوى فاصبر
ان وعد الله بهلاك الكفار حق كائن لا محالة فاما نرينك فان نرك وما مزيدة
لتاكيد الشرطية ولذلك لحقت النون الفعل ولا تلحق مع ان وحدها بعض الذي نعدهم
وهو القتل والاسر او نتوفينك قبل ان تراه فالينا يرجعون يوم القيمة فنجازيهم
باعمالهم وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل فذاك ويجوز ان يكون
جوابا لهما بمعنى ان نعذبهم في حياتك او لم نعذبهم فانا نعذبهم في الآخرة اشد
العذاب ويدل على شدته الاقتصار بذكر الرجوع في هذا المعرض ولقد ارسلنا
رسلا من قبلك منهم من قصصنا ومنهم من لم نقصص عليك اذ قيل عدد الانبياء
مائة الف واربعة وعشرون الفا والمذكور قصتهم اشخاص معدودة وما كان
لرسول ان ياتي باية الا باذن الله فان المعجزات عطايا قسمها بينهم على ما
اقتضته حكمته كسائر القسم ليس لهم اختيار في ايثار بعضها والاستبداد باتيان
المقترح بها فاذا جاء امر الله بالعذاب في الدنيا والآخرة قضي بالحق بانجاء المحق
وتعذيب المبطل وخسر هنالك المبطلون المعاندون باقتراح الايات بعد ظهور ما يغنيهم

عنها الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تأكلون فان من جنسها
ما يؤكل كالغنم ومنها ما يؤكل ويركب وهو الابل والبقر ولكم فيها منافع كالالبان
والجلود والاوبار ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم بالمسافرة عليها وعليها
في البر وعلى الفلك في البحر تحملون وانما قال على الفلك ولم يقل في الفلك
للمزاوجة وتغيير النظم في الاكل لانه في حيز الضرورة وقيل لانه يقصد به التعيش
والتلذذ والركوب والمسافرة عليها قد تكون لاغراض دينية واجبة او
مندوبة او للفرق بين العين والمنفعة ويريكم آياته دلائله الدالة على كمال
قدرته وفرط رحمته فاي آيات الله اي اي آية من آيات الله تنكرون فانها
لظهورها لا تقبل الانكار وهو ناصب اي اذ لو قدرته متعلقا بضميره
كان الاولى رفعه والتفرقة بالتاء في اي اغرب منها في الاسماء غير الصفات
لابهامها افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم
كانوا اكثر منهم واشد قوة وآثارا في الارض ما بقي منهم من القصور والمصانع
ونحوهما وقيل آثار اقدامهم في الارض لعظم اجرامهم فما اغنى عنهم ما كانوا
يكسبون الاولى نافية او استفهامية منصوبة باغنى والثانية موصولة او
مصدرية مرفوعة به فلما جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات او الآيات الواضحات
فرحوا بما عندهم من العلم واستحقروا علم الرسل والمراد بالعلم عقائدهم
الزائغة وشبههم الداحضة لقوله بل ادارك علمهم في الآخرة وهو قولهم
لا نبعث ولا نعذب وما اظن الساعة قائمة ونحوها وسماها علما على زعمهم
تهكما بهم او علم الطبائع والتنجيم والصنائع ونحو ذلك او علم الانبياء
وفرحهم به ضحكهم منه واستهزاؤهم به ويؤيده وحاق بهم ما كانوا به
يستهزؤن وقيل الفرح ايضا للرسل فانهم لما رأوا تمادي جهل الكفار
وسوء عاقبتهم فرحوا بما اوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين
جزاء جهلهم واستهزائهم فلما رأوا بأسنا شدة عذابنا قالوا آمنا بالله وحده

وكفرنا

وكفرنا بما كنا به مشركين يعنون الاصنام فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا
بأسنا لامتناع قبوله حينئذ ولذلك قال لم يك بمعنى لم يصح ولم يستقم والفاء
الاولى لان قوله فما اغنى كالنتيجة لقوله كانوا اكثر منهم والثانية لان
قوله فلما جاءتهم كالتفسير لقوله فما اغنى والباقيتان لان رؤية البأس
مسببة عن مجيء الرسل وامتناع نفع الايمان مسبب عن الرؤية سنة الله
التي قد خلت في عباده اي سن الله ذلك سنة ماضية في العباد وهي من المصادر المؤكدة
وخسر هنالك الكافرون اي وقت رؤيتهم البأس اسم مكان استعير للزمان عن النبي صلعم من قرأ
سورة المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر له

سورة السجدة مكية وآيها ثلاث او اربع وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم حم ان جعلته مبتدأ فخبره تنزيل من الرحمن الرحيم وان جعلته
تعديدا للحروف فتنزيل خبر محذوف او مبتدأ لتخصصه بالصفة وخبره كتاب وهو
على الاولين بدل منه او خبر آخر او خبر محذوف ولعل افتتاح هذه السور السبع
بحم وتسميتها به لكونها مصدرة ببيان الكتاب متشاكلة في النظم والمعنى واضافة
التنزيل الى الرحمن الرحيم للدلالة على انه مناط المصالح الدينية والدنيوية
فصلت آياته ميزت باعتبار اللفظ والمعنى وقرئ فصلت اي فصل بعضها من
بعض باختلاف الفواصل والمعاني او فصلت بين الحق والباطل قرآنا عربيا نصب
على المدح او الحال من فصلت وفيه امتنان بسهولة قراءته وفهمه لقوم يعلمون
العربية او لاهل العلم والنظر وهو صفة اخرى لقرآنا او صلة لتنزيل او
لفصلت والاول اولى لوقوعه بين الصفات بشيرا ونذيرا للعاملين به والمخالفين
له وقرئا بالرفع على الصفة للكتاب والخبر لمحذوف فاعرض اكثرهم عن تدبره
وقبوله فهم لا يسمعون سماع تأمل وطاعة وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا
اليه اغطية جمع كنان وفي آذاننا وقر صمم واصله الثقل وقرئ بالكسر ومن بيننا

وبينك حجاب يمنعنا عن التواصل ومن للدلالة على ان الحجاب مبتدئ منهم
ومنك بحيث استوعب المسافة المتوسطة ولم يبق فراغ وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم
عن ادراك ما يدعوهم اليه واعتقادهم ومج اسماعهم له وامتناع مواصلتهم وموافقتهم
للرسول صلى الله عليه وسلم فاعمل على دينك او في ابطال امرنا اننا عاملون على
ديننا او في ابطال امرك قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد لست
ملكا ولا جنيا لا يمكنكم التلقي منه ولا ادعوكم الى ما تنبو عنه العقول والاسماع
وانما ادعوكم الى التوحيد والاستقامة في العمل وقد تدل عليهما دلائل العقل
وشواهد النقل فاستقيموا اليه فاستقيموا في افعالكم متوجهين اليه او فاستووا اليه
بالتوحيد والاخلاص في العمل واستغفروه مما انتم عليه من سوء العقيدة والعمل ثم هددهم
على ذلك فقال فويل للمشركين من فرط جهالتهم واستخفافهم بالله الذين لا يؤتون
الزكوة لبخلهم وعدم اشفاقهم على الخلق وذلك من اعظم الرذايل وفيه دليل على
ان الكفار مخاطبون بالفروع وقيل معناه لا يفعلون ما يزكي انفسهم وهو الايمان
والطاعة وهم بالآخرة هم كافرون حال مشعرة بان امتناعهم عن الزكوة لاستغراقهم
في طلب الدنيا وانكارهم للآخرة ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون
لا يمن به عليهم من المن واصله الثقل او القطع من مننت الحبل اذا قطعته وقيل
نزلت في المرضى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون
قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين في مقدار يومين او بنوبتين وخلق
في كل نوبة ما خلق في اسرع ما يكون ولعل المراد من الارض ما في جهة السفل من الاجرام
البسيطة ومن خلقها في يومين انه خلق لها اصلا مشتركا ثم خلق لها صورا بها
صارت انواعا وكفرهم به الحادهم في ذاته وصفاته وتجعلون له اندادا ولا يصح
ان يكون له ند ذلك الذي خلق الارض في يومين رب العالمين خالق جميع ما وجد
من الممكنات ومربيها وجعل فيها رواسي استئناف غير معطوف على خلق للفصل بما
هو خارج عن الصلة من فوقها مرتفعة عليها ليظهر للنظار ما فيها من وجوه الاستبصار

وتكون

وتكون منافعها معرضة للطلاب وبارك فيها واكثر خيرها بان خلق فيها انواع
النباتات والحيوانات وقدر فيها اقواتها اقوات اهلها بان عين لكل نوع ما يصلحه
ويعيش به او اقواتا تنشأ منها بان خص حدوث كل قوة بقطر من اقطارها وقرئ
وقسم فيها اقواتها في اربعة ايام في تتمة اربعة ايام كقولك سرت من البصرة الى
بغداد في عشرة والى الكوفة في خمسة عشر ولعله قال ذلك ولم يقل في يومين للاشعار
باتصالهما باليومين الاولين والتصريح على الفذلكة سواء اي استوت سواء بمعنى
استواء والجملة صفة لايام ويدل عليه قراءة يعقوب بالجر وقيل حال من الضمير
في اقواتها او في فيها وقرئ بالرفع على هي سواء للسائلين متعلق بمحذوف تقديره
هذا الحصر للسائلين عن مدة خلق الارض وما فيها او بقدر اي قدر فيها الاقوات
للطالبين لها ثم استوى الى السماء قصد نحوها من قولهم استوى الى مكان كذا
اذا توجه اليه توجها لا يلوي على غيره والظاهر ان ثم لتفاوت ما بين الخلقين لا للتراخي
في المدة لقوله والارض بعد ذلك دحيها ودحوها متقدم على خلق الجبال
من فوقها وهي دخان امر ظلماني ولعله اراد به مادتها او الاجزاء المتصغرة
التي ركبت منها فقال لها وللارض ائتيا بما خلقت فيكما من التاثير والتاثر وابرزا
ما اودعتكما من الاوضاع المختلفة والكائنات المتنوعة او ائتيا في الوجود على
ان الخلق السابق بمعنى التقدير او الترتيب للرتبة او الاخبار واتيان السماء حدوثها
واتيان الارض ان تصير مدحوة وقد عرفت ما فيه او ليأت كل منكما الاخرى
في حدوث ما اريد توليده منكما ويؤيده قراءة آتيا من المواتاة اي ليوافق كل
واحدة اختها فيما اردت منكما طوعا او كرها شئتما ذلك او ابيتما والمراد اظهار
كمال قدرته ووجوب وقوع مراده لا اثبات الطوع والكره لهما وهما مصدران وقعا
موقع الحال قالتا اتينا طائعين منقادين بالذات والاظهر ان المراد تصوير تاثير
قدرته فيهما وتاثرهما بالذات عنهما وتمثيلهما بامر المطاع واجابة المطيع الطائع
كقوله كن فيكون وما قيل انه تعالى خاطبهما واقدرهما على الجواب انما يتصور على ان

الاول وانما قال طائعين على المعنى باعتبار كونهما مخاطبين كقوله ساجدين فقضيهن
سبع سموات فخلقهن خلقا ابداعيا واتقن امرهن والضمير للسماء على المعنى او مبهم
وسبع سموات حال على الاول وتمييز على الثاني في يومين قيل خلق السموات يوم الخميس والشمس
والقمر والنجوم يوم الجمعة واوحى في كل سماء امرها شأنها وما يتأتى منها بان حملها
عليه اختيارا او طبعا وقيل اوحى الى اهلها باوامره وزينا السماء الدنيا بمصابيح
فان الكواكب كلها ترى كأنها تتلألأ عليها وحفظا اي وحفظناها من الآفات او من
المسترقة حفظا وقيل مفعول له على المعنى وكأنه قال وخصصنا السماء الدنيا بمصابيح
زينة وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم البالغ في القدرة والعلم فان اعرضوا عن
الايمان بعد هذا البيان فقل انذرتكم صاعقة فحذرهم ان يصيبهم عذاب شديد الوقع
كأنه صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود وقرئ صعقة مثل صعقة عاد وهي المرة من
الصعق او الصعق يقال صعقته الصاعقة صعقا فصعق صعقا اذ جاءتهم الرسل حال
من صاعقة عاد ولا يجوز جعله صفة لصاعقة او ظرفا لانذرتكم لفساد المعنى من بين
ايديهم ومن خلفهم اتوهم من جميع جوانبهم واجتهدوا بهم من كل جهة او من جهة الزمن الماضي
بالانذار عما جرى فيه للكفار ومن جهة المستقبل بالتحذير عما اعد لهم في الآخرة وكل من اللفظين
يحتملهما او من قبلهم ومن بعدهم اذ قد بلغهم خبر المتقدمين واخبرهم هود وصالح عن
المتأخرين داعين الى الايمان بهم اجمعين ويحتمل ان يكون عبارة عن الكثرة كقوله تعالى
يأتيها رزقها رغدا من كل مكان ان لا تعبدوا الا الله بان لا تعبدوا اي او لا تعبدوا
قالوا لو شاء ربنا ارسال الرسل لانزل ملائكة برسالته فانا بما ارسلتم به على زعمكم
كافرون اذ انتم بشر مثلنا لا فضل لكم علينا فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير
الحق فتعظموا فيها على اهلها بغير استحقاق وقالوا من اشد منا قوة اغترارا بقوتهم
وشوكتهم قيل كان من قوتهم ان الرجل منهم ينزع الصخرة فيقتلعها بيده اولم يروا
ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة قدرة فانه قادر بالذات مقتدر على ما لا يتناهى
قوي على ما لا يقدر عليه غيره وكانوا بآياتنا يجحدون يعرفون انها حق وينكرونها

وهو عطف على فاستكبروا فارسلنا عليهم ريحا صرصرا باردة تهلك بشدة بردها
من الصر وهو البرد الذي يصر اي يجمع او شديدة الصوت في هبوبها من الصرير في ايام نحسات
جمع نحسة من نحس نحسا نقيض سعد سعدا وقرأ الحجازيان والبصريان بالسكون
على التخفيف او النعت على فعل او الوصف بالمصدر قيل كن آخر شوال من الاربعاء الى الاربعاء
وما عذب قوم الا في يوم الاربعاء لنذيقهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا اضاف العذاب
الى الخزي وهو الذل على قصد وصفه به لقوله ولعذاب الآخرة اخزى وهو في الاصل
صفة المعذب وانما وصف به العذاب على الاسناد المجازي للمبالغة وهم لا ينصرون
بدفع العذاب عنهم واما ثمود فهديناهم فدللناهم على الحق بنصب الحجج وارسال الرسل
وقرئ ثمود بالنصب بفعل مضمر يفسره ما بعده ومنونا في الحالين وبضم الثاء فاستحبوا
العمى على الهدى فاختاروا الضلالة على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون
صاعقة من السماء فاهلكتهم واضافتها الى العذاب ووصفه بالهون للمبالغة بما كانوا
يكسبون من اختيار الضلالة ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون من تلك الصاعقة ويوم
يحشر اعداء الله الى النار وقرئ يحشر على البناء للفاعل وهو الله عز وجل وقرأ نافع
نحشر بالنون مفتوحة ونصب اعداء فهم يوزعون يحبس اولهم على آخرهم
لئلا يتفرقوا وهي عبارة عن كثرة اهل النار حتى اذا ما جاؤها اذا حضروها وما
مزيدة لتأكيد اتصال الشهادة بالحضور شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم
بما كانوا يعملون بان ينطقها الله او يظهر عليها آثارا يدل على ما اقترف بها فينطق
بلسان الحال وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا سؤال توبيخ او تعجب ولعل المراد
نفس التعجب قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء اي ما نطقنا باختيارنا بل انطقنا
الله الذي انطق كل شيء او ليس نطقنا بعجب من قدرة الله الذي انطق كل حي ولو اول الجواب
والنطق بدلالة الحال بقي الشيء عاما في الموجودات الممكنة وهو خلقكم اول مرة واليه
ترجعون يحتمل ان يكون تمام كلام الجلود وان يكون استينافا وما كنتم تستترون ان يشهد
عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم اي كنتم تستترون عن الناس عند ارتكاب الفواحش

مخافة الفضاحة وما ظننتم ان اعضاءكم تشهد عليكم فما استترتم عنها وفيه تنبيه
على ان المؤمن ينبغي ان يتحقق ان لا يمر عليه حال الا وعليه رقيب ولكن ظننتم ان الله لا يعلم
كثيرا مما تعملون فلذلك اجترأتم على ما فعلتم وذلكم اشارة الى ظنهم هذا وهو مبتدأ
وقوله ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم خبران له ويجوز ان يكون ظنكم بدلا وارداكم خبرا
فاصبحتم من الخاسرين اذ صار ما منحوا للاستسعاد به في الدارين سببا لشقاء المنزلين فان
يصبروا فالنار مثوى لهم لا خلاص لهم عنها وان يستعتبوا يسألوا العتبى وهي الرجوع
الى ما يحبون فما هم من المعتبين المجابين اليها ونظيره قوله تعالى حكاية اجزعنا ام صبرنا
ما لنا من محيص وقرئ وان يستعتبوا فما هم من المعتبين اي ان يسألوا ان يرضوا ربهم
فما هم فاعلون لفوات المكنة وقيضنا وقدرنا لهم للكفرة قرناء اخدانا من الشياطين
يستولون عليهم استيلاء القيض على البيض وهو القشر وقيل اصل القيض البدل ومنه
المقايضة للمعاوضة فزينوا لهم ما بين ايديهم من امر الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم
من امر الآخرة وانكاره وحق عليهم القول اي كلمة العذاب في امم في جملة امم كقوله ان لك
عن احسن الصيغة ما فوكا معنى آخر فقد افكوا وهو حال من الضمير المجرور قد خلت من قبلهم
من الجن والانس وقد عملوا مثل اعمالهم انهم كانوا خاسرين تعليل لاستحقاقهم العذاب
والضمير لهم وللامم وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه وعارضوه
بالخرافات وارفعوا اصواتكم بها لتشوشوه على قارئه وقرئ بضم الغين والمعنى واحد
يقال لغى يلغى ولغا يلغو لعلكم تغلبون اي تغلبونه على قراءته فلنذيقن
الذين كفروا عذابا شديدا المراد بهم هؤلاء القائلون او عامة الكفار ولنجزينهم
اسوأ سيئات اعمالهم وقد سبق مثله الذي كانوا يعملون ذلك اشارة الى الاسوأ جزاء
اعداء الله خبره النار عطف بيان للجزاء او خبر محذوف لهم فيها في النار دار الخلد
فانها دار اقامتهم وهو كقولك في هذه الدار دار سرور وتعني بالدار عينها على ان المقصود
هو الصفة جزاء بما كانوا باياتنا يجحدون ينكرون الحق او يلغون وذكر الجحود الذي
هو سبب اللغو وقال الذين كفروا ربنا ارنا الذين اضلانا من الجن والانس يعني

شيطاني النوعين الحاملين على الضلالة والعصيان وقيل هما ابليس وقابيل فانهما
سنّا الكفر والقتل وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب وابو بكر والسوسي ارنا بالتخفيف
كفخذ في فخذ وقرأ الدوري باختلاس كسرة الراء نجعلهما تحت اقدامنا ندوسهما انتقاما
منهما وقيل نجعلهما في الدرك الاسفل ليكونا من الاسفلين مكانا وذلا ان الذين قالوا
ربنا الله اعترافا بربوبيته واقرارا بوحدانيته ثم استقاموا في العمل وثم للتراخي
عن الاقرار في الرتبة من حيث انه مبدأ الاستقامة او لانها عسر قلما يتبع الاقرار وما
روي عن الخلفاء الراشدين في معنى الاستقامة من الثبات على الايمان والاخلاص في العمل
واداء الفرائض بجزئياتها تتنزل عليهم الملائكة فيما يعن لهم بما يشرح صدورهم ويدفع
عنهم الخوف والحزن او عند الموت او الخروج من القبر الا تخافوا ما تقدمون عليه ولا تحزنوا
على ما خلفتم وان مصدرية او مخففة مقدرة بالباء او مفسرة وابشروا بالجنة التي
كنتم توعدون في الدنيا على لسان الرسل نحن اولياؤكم في الحيوة الدنيا نلهمكم الحق ونحملكم
على الخير بدل ما كانت الشياطين تفعل بالكفرة وفي الآخرة بالشفاعة والكرامة حيثما
يتعادى الكفرة وقرناؤهم ولكم فيها في الآخرة ما تشتهي انفسكم من اللذائذ ولكم فيها
ما تدعون ما تتمنون من الدعاء بمعنى الطلب وهو اعم من الاول نزلا من غفور رحيم حال
مما تدعون للاشعار بان ما تتمنون بالنسبة الى ما يعطون مما لا يخطر ببالهم كالنزل للضيف
ومن احسن قولا ممن دعا الى الله الى عبادته وعمل صالحا فيما بينه وبين ربه وقال انني
من المسلمين تفاخرا به واتخاذا للاسلام دينا ومذهبا من قولهم هذا قول فلان لمذهبه
والآية عامة لمن استجمع تلك الصفات وقيل نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وقيل في المؤذنين
ولا تستوي الحسنة ولا السيئة في الجزاء وحسن العاقبة ولا الثانية مزيدة لتاكيد النفي
ادفع بالتي هي احسن ادفع السيئة حيث اعترضتك بالتي هي احسن منها وهي الحسنة على ان
المراد بالاحسن الزائد مطلقا او باحسن ما يمكن دفعها به من الحسنات وانما اخرجه مخرج الاستئناف
على انه جواب من قال كيف اصنع للمبالغة ولذلك وضع احسن موضع الحسنة فاذا الذي
بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم اي اذا فعلت ذلك صار عدوك المشاق مثل الولي

الشفيق وما يلقاها وما يلقى هذه السجية وهي مقابلة الإساءة بالإحسان إلا الذين
صبروا فإنها تحبس النفس عن الانتقام وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم من الخير وكمال النفس
وقيل الحظ العظيم الجنة وإما ينزغنك من الشيطان نزغ نخس شبه به وسوسته لأنها
بعث على ما لا ينبغي كالدفع بما هو أسوأ وجعل النزغ نازغا على طريقة جد جده أو أريد
بنازغ وصفا للشيطان بالمصدر فاستعذ بالله من شره ولا تطعه إنه هو السميع لاستعاذتك
العليم بنيتك أو بصلاحك ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس
ولا للقمر لأنهما مخلوقان مأموران مثلكم واسجدوا لله الذي خلقهن الضمير للأربعة
المذكورة والمقصود تعليق الفعل بهما إشعار بأنهما من عداد ما لا يعلم ولا يختار إن كنتم
إياه تعبدون فإن السجود أخص العبادات وهو موضع السجود عندنا لاقتران الأمر به
وعند أبي حنيفة عند آخر الآية الأخرى لأنه تمام المعنى فإن استكبروا عن الامتثال
فالذين عند ربك من الملائكة يسبحون له بالليل والنهار أي دائما لقوله وهم لا يسأمون
لا يملون ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة يابسة متطامنة مستعار من الخشوع بمعنى
التذلل فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت تحركت وانتفخت بالنبات
مزينة به إن الذي أحياها بعد موتها لمحيي الموتى إنه على كل شيء قدير
من الإحياء والإماتة إن الذين يلحدون يميلون عن الاستقامة في آياتنا بالطعن والتحريف
والتأويل الباطل والإلغاء فيها لا يخفون علينا فنجازيهم على الإلحاد أفمن يلقى
في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة قابل الإلقاء في النار بالإتيان آمنا مبالغة
في إحماد حال المؤمنين اعملوا ما شئتم تهديد شديد إنه بما تعملون بصير وعيد بالمجازاة
إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم بدل من قوله إن الذين يلحدون في آياتنا أو مستأنف
وخبر إن محذوف مثل معاندون أو هالكون أو أولئك ينادون والذكر القرآن وإنه
لكتاب عزيز كثير النفع عديم النظير أو منيع لا يتأتى إبطاله وتحريفه لا يأتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه لا يتطرق الباطل من جهة من الجهات أو مما فيه من الأخبار الماضية
والأمور الآتية تنزيل من حكيم أي حكيم حميد يحمده كل مخلوق بما ظهر عليه من نعمه ما يقال

لك أي ما يقول لك كفار قومك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك إلا مثل ما قال لهم كفار قومهم
أو ما يقول لك الله إلا مثل ما قال لهم إن ربك لذو مغفرة لأنبيائه وذو عقاب أليم
لأعدائهم وهو على الثاني يحتمل أن يكون المقول بمعنى أن حاصل ما أوحي إليك وإليهم
وعد المؤمنين بالمغفرة والكافرين بالعقوبة ولو جعلناه قرآنا أعجميا جواب لقولهم
هلا نزل القرآن بلغة العجم والضمير للذكر لقالوا لولا فصلت آياته بينت بلسان
نفقهه أأعجمي وعربي أكلام أعجمي ومخاطب عربي إنكار مقرر للتخصيص والأعجمي يقال للذي
لا يفهم كلامه ولكلامه وهذه قراءة أبي بكر وحمزة والكسائي وقرئ أعجمي
وهو منسوب إلى العجم وأعجمي على الإخبار وعلى هذا يجوز أن يكون المراد هلا فصلت
آياته فجعل بعضها أعجميا لإفهام العجم وبعضها عربيا لإفهام العرب والمقصود إبطال
مقترحهم باستلزامه المحذور أو الدلالة على أنهم لا ينفكون عن التعنت في الآيات كيف جاءت
قل هو للذين آمنوا هدى إلى الحق وشفاء لما في الصدور من الشك والشبهة والذين لا يؤمنون
مبتدأ خبره في آذانهم وقر على تقدير هو في آذانهم وقر لقوله وهو عليهم عمى وذلك
لتصامهم عن سماعه وتعاميهم عما يريهم من الآيات ومن جوز العطف على عاملين عطف ذلك
على الذين آمنوا هدى أولئك ينادون من مكان بعيد أي هم تمثيل لهم في عدم قبولهم
واستماعهم له بمن يصيح به من مسافة بعيدة ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه
بالتصديق والتكذيب كما اختلف في القرآن ولولا كلمة سبقت من ربك وهي العدة
بالقيامة وفصل الخصومة حينئذ أو تقدير الآجال لقضي بينهم باستئصال المكذبين
وإنهم وإن اليهود أو الذين لا يؤمنون لفي شك منه من التوراة أو القرآن مريب
موجب للاضطراب من عمل صالحا فلنفسه نفعه ومن أساء فعليها ضره وما ربك
بظلام للعبيد فيفعل بهم ما ليس لهم إليه يرد علم الساعة أي إذا سئل عنها
إذ لا يعلمها إلا هو وما تخرج من ثمرة من أكمامها من أوعيتها جمع كم بالكسر وقرأ
نافع وابن عامر وحفص من ثمرات بالجمع لاختلاف الأنواع وقرئ بجمع الضمير أيضا
وما نافية ومن الأولى مزيدة للاستغراق ويحتمل أن تكون موصولة معطوفة على

الساعة ومن مبينة بحذف مفعوله وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه الا مقرونا
بعلمه واقعا بحسب تعلقه به ويوم يناديهم اين شركائي بزعمكم قالوا آذناك اعلمناك
ما منا من شهيد من احد يشهد لهم بالشركة اذ تبرانا عنهم لما عاينا الحال فيكون السؤال
عنهم للتوبيخ او من احد يشاهدهم لانهم ضلوا عنا وقيل هو قول الشركاء اي ما منا من يشهد
لهم بانهم كانوا محقين وضل عنهم ما كانوا يدعون يعبدون من قبل لا ينفعهم او لا يرونه
وظنوا اي ايقنوا ما لهم من محيص مهرب والظن معلق عنه بحرف النفي لا يسأم الانسان لا يمل
من دعاء الخير من طلب السعة في النعمة وقرئ من دعاء بالخير وان مسه الشر الضيقة فيؤوس قنوط
من فضل الله ورحمته وهذا صفة الكافر لقوله تعالى انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون
وقد بولغ في يأسه من جهة البنية والتكرير وما في القنوط من ظهور اثر اليأس ولئن اذقناه
رحمة منا من بعد ضراء مسته بتفريجها عنه ليقولن هذا لي حقي استحقه بما لي من الفضل والعمل
او لي دائما لا يزول وما اظن الساعة قائمة تقوم ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى
اي ولئن قامت على التوهم كان لي عند الله الحالة الحسنى من الكرامة وذلك لاعتقاده
ان ما اصابه من نعم الدنيا فلاستحقاق لا ينفك عنه فلننبئن الذين كفروا فلنخبرنهم
بما عملوا بحقيقة اعمالهم ولنبصرنهم عكس ما اعتقدوا فيها ولنذيقنهم من عذاب غليظ
لا يمكنهم التفصي عنه واذا انعمنا على الانسان اعرض عن الشكر ونأى بجانبه وانحرف
عنه او ذهب بنفسه وتباعد عنه بكليته تكبرا والجانب مجاز عن النفس كالجنب في قوله
في جنب الله واذا مسه الشر فذو دعاء عريض كثير مستعار مما له عرض متسع للاشعار بكثرته
واستمراره وهو ابلغ من الطويل اذ الطول اطول الامتدادين فاذا كان عرضه كذلك
فما ظنك بطوله قل ارايتم اخبروني ان كان من عند الله اي القرآن ثم كفرتم به من غير
نظر واتباع دليل من اضل ممن هو في شقاق بعيد اي من اضل منكم فوضع الموصول
موضع الصلة شرحا لحالهم وتعليلا لمزيد ضلالهم سنريهم آياتنا في الآفاق يعني ما اخبرهم
النبي صلى الله عليه وسلم من الحوادث الآتية وآثار النوازل الماضية وما يسر الله له ولخلفائه
من الفتوح والظهور على ممالك المشرق والمغرب على وجه خارق للعادة وفي انفسهم

ما ظهر فيما بين اهل مكة وما حل بهم او ما في بدن الانسان من عجائب الصنع الدالة على
كمال القدرة حتى يتبين لهم انه الحق الضمير للقرآن او الرسول او التوحيد او الله اولم يكف
بربك اي اولم يكفك والباء مزيدة للتاكيد كانه قيل اولم تحصل الكفاية به ولا
تكاد تزاد في الفاعل الا مع كفى انه على كل شيء شهيد بدل منه والمعنى اولم يكفك انه تعالى
على كل شيء شهيد محقق له فيحقق امرك باظهار الآيات الموعودة كما حقق سائر الاشياء
الموعودة او مطلع فيعلم حالك وحالهم او لم يكف الانسان رادعا عن المعاصي
انه مطلع على كل شيء لا يخفى عليه خافية الا انهم في مرية شك وقرئ بالضم وهو
لغة كخفية وخفية من لقاء ربهم بالبعث والجزاء الا انه بكل شيء محيط عالم
بجمل الاشياء وتفاصيلها مقتدر عليها لا يفوته شيء منها عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة السجدة اعطاه الله بكل حرف عشر حسنات

سورة حم عسق مكية وتسمى سورة الشورى وهي ثلاث وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم حم عسق لعلهما اسمان للسورة ولذلك فصل بينهما وعدا آيتين
وان كانا اسما واحدا فالفصل ليطابق سائر الحواميم وقرئ حم سق كذلك يوحي اليك
والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم اي مثل ما في هذه السورة من المعاني اوحي
في سائر السور اليك او اوحى الله اليك والى الرسل قبلك وانما ذكر بلفظ المضارع على حكاية
الحال الماضية للدلالة على استمرار الوحي وان ايحاء مثله عادته وقرأ ابن كثير يوحى
بالفتح على ان كذلك مبتدأ ويوحى خبره المسند الى ضميره او مصدر ويوحى مسند الى اليك
والله مرتفع بما دل عليه يوحى والعزيز الحكيم صفتان له مقررتان لعلو شأن الموحى به
كما مر في السورة السابقة او بالابتداء كما في قراءة نوحي بالنون والعزيز وما بعده اخبار او
العزيز الحكيم صفتان وقوله له ما في السموات وما في الارض وهو العلي العظيم خبران له
وعلى الوجوه الاخر استئناف مقرر لعزته وحكمته تكاد السموات وقرأ نافع والكسائي
بالياء يتفطرن يتشققن من عظمة الله وقيل من دعاء الولد له وقرأ البصريان وابو بكر

ينفطرن والاول ابلغ لانه مطاوع فطر وهذا مطاوع فطّر وقرئ تتفطرن بالتاء
لتاكيد التانيث وهو نادر من فوقهن اي يبتدئ الانفطار من جهتهن الفوقانية وتخصيصها
على الاول لان اعظم الايات وادلها على علو شانه من تلك الجهة وعلى الثاني ليدل على الانفطار
من تحتهن بالطريق الاولى وقيل الضمير للارض فان المراد بها الجنس والملائكة يسبحون
بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض بالسعي فيما يستدعي مغفرتهم من الشفاعة والالهام
واعداد الاسباب المقربة الى الطاعة وذلك في الجملة يعم المؤمن والكافر بل لو فسر الاستغفار
بالسعي فيما يدفع الخلل المتوقع عم الحيوان بل الجماد وحيث خص بالمؤمنين فالمراد به الشفاعة
الا ان الله هو الغفور الرحيم اذ ما من مخلوق الا وهو ذو حظ من رحمته والاية على الاول
زيادة تقرير لعظمته وعلى الثاني دلالة على تقدسه عما نسب اليه وان عدم معاجلتهم
بالعقاب على تلك الكلمة الشنعاء باستغفار الملائكة وفرط غفرانه ورحمته والذين اتخذوا
من دونه اولياء شركاء او اندادا الله حفيظ عليهم رقيب على احوالهم واعمالهم فيجازيهم بها
وما انت يا محمد عليهم بوكيل بموكل بهم او بموكول اليه امرهم وكذلك اوحينا اليك قرآنا
عربيا الاشارة الى مصدر يوحي او الى معنى الاية المتقدمة فانه مكرر في القرآن في مواضع جمة
فيكون الكاف مفعولا به وقرآنا عربيا حال منه لتنذر ام القرى اهل ام القرى وهي مكة ومن
حولها من العرب وتنذر يوم الجمع يوم القيمة يجمع فيه الخلائق او الارواح والاشباح او الاعمال
والعمال وحذف ثاني مفعولي الاول واول مفعولي الثاني للتهويل وايهام التعميم وقرئ
لينذر بالياء والفعل للقرآن لا ريب فيه اعتراض لا محل له فريق في الجنة وفريق في السعير
اي بعد جمعهم في الموقف يجمعون اولا ثم يفرقون والتقدير منهم فريق والضمير للمجموع لدلالة الجمع
عليه وقرئا منصوبين على الحال منهم اي وتنذر يوم جمعهم متفرقين بمعنى مشارفين للتفرق
او متفرقين في داري الثواب والعقاب ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة مهتدين او ضالين
ولكن يدخل من يشاء في رحمته بالهداية والحمل على الطاعة والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير
اي ويدعهم بغير ولي ولا نصير في عذابه ولعل تغيير المقابلة للمبالغة في الوعيد اذ الكلام
في الانذار ام اتخذوا من دونه اولياء بل الاصنام فالله هو الولي جواب شرط محذوف

مثل

مثل ان ارادوا وليا بحق فالله هو الولي الحق وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير
كالتقرير لكونه حقيقا بالولاية وما اختلفتم انتم والكفار فيه من شيء من امر من امور الدين
والدنيا فحكمه الى الله مفوض اليه يميز المحق من المبطل بالنصر او بالاثابة والمعاقبة وقيل
وما اختلفتم فيه من تاويل متشابه فارجعوا فيه الى المحكم من كتاب الله ذلكم الله ربي عليه
توكلت في مجامع الامور واليه انيب ارجع في المعضلات فاطر السموات والارض خبر آخر لذلكم
او مبتدأ خبره جعل لكم وقرئ بالجر على البدل من الضمير او الوصف لالى الله من انفسكم
من جنسكم ازواجا نساء ومن الانعام ازواجا وخلق للانعام من جنسها ازواجا او خلق لكم
من الانعام اصنافا او ذكورا واناثا يذرؤكم يكثركم من الذرء وهو البث وفي معناه
الذرو والذر فيه في هذا التدبير وهو جعل الناس والانعام ازواجا يكون بينهم توالد
فانه كالمنبع للبث والتكثير ليس كمثله شيء اي ليس مثله شيء يزاوجه ويناسبه والمراد من مثله
ذاته كما في قولهم مثلك لا يفعل كذا على قصد المبالغة في نفيه عنه فانه اذا نفي عمن يناسبه
ويسد مسده كان نفيه عنه اولى ونظيره قول رقيقة بنت صيفي في سقيا عبد المطلب
بن هاشم الا وفيهم الطيب الطاهر لداته ومن قال الكاف فيه زائدة لعله عنى انه يعطي معنى
ليس مثله غير انه اكد لما ذكرناه وقيل مثل صفته اي ليس كصفته صفة وهو السميع
البصير لكل ما يسمع ويبصر له مقاليد السموات والارض خزائنها يبسط الرزق لمن يشاء
ويقدر يوسع ويضيق على وفق مشيته انه بكل شيء عليم فيفعله على ما ينبغي شرع لكم من
الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى اي شرع
لكم من الدين دين نوح ومحمد ومن بينهما عليهم الصلاة والسلام من ارباب الشرائع وهو الاصل
المشترك فيما بينهم المفسر بقوله ان اقيموا الدين وهو الايمان بما يجب تصديقه والطاعة في
احكام الله ومحله النصب على البدل من مفعول شرع او الرفع على الاستيناف فكانه جواب
وما ذلك المشروع او الجر على البدل من هاء به ولا تتفرقوا فيه ولا تختلفوا في هذا
الاصل اما فروع الشرائع فمختلفة كما قال لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا كبر على المشركين
عظم عليهم ما تدعوهم اليه من التوحيد الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب

يقبل اليه والضمير لما تدعوهم او للدين ويهدي اليه بالارشاد والتوفيق من ينيب يقبل اليه
وما تفرقوا يعني الامم السالفة وقيل اهل الكتاب لقوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب
الا من بعد ما جاءهم العلم العلم بان التفرق ضلال متوعد عليه او العلم بمبعث الرسول او اسباب
العلم من الرسل والكتب وغيرهما فلم يلتفتوا اليها بغيا بينهم عداوة او طلبا للدنيا
ولولا كلمة سبقت من ربك بالامهال الى اجل مسمى هو يوم القيمة او آخر اعمارهم المقدرة
لقضي بينهم باستيصال المبطلين حين افترقوا لعظم ما اقترفوا وان الذين اورثوا الكتاب
من بعدهم يعني اهل الكتاب الذين كانوا في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم او المشركين الذين
اورثوا القرآن من بعد اهل الكتاب وقرئ ورثوا وورثوا لفي شك منه من كتابهم لا يعلمونه
كما هو او لا يؤمنون به حق الايمان او من القرآن مريب مقلق او مدخل في الريبة فلذلك
فلاجل ذلك التفرق او الكتاب او العلم الذي اوتيته فادع الى الاتفاق على الملة الحنيفية
او الاتباع لما اوتيت وعلى هذا يجوز ان يكون اللام في موضع الى لافادة الصلة والتعليل
واستقم كما امرت واستقم على الدعوة كما امرك الله ولا تتبع اهواءهم الباطلة وقل آمنت
بما انزل الله من كتاب يعني جميع الكتب المنزلة لا كالكفار الذين آمنوا ببعض وكفروا ببعض
وامرت لاعدل بينكم في تبليغ الشرائع والحكومة والاول اشارة الى كمال القوة النظرية
وهذا اشارة الى كمال القوة العملية الله ربنا وربكم خالق الكل ومتولي امره لنا اعمالنا
ولكم اعمالكم فكل مجازى بعمله لا حجة بيننا وبينكم لا حجاج بمعنى لا خصومة اذ الحق قد ظهر
ولم يبق للمحاجة مجال ولا للخلاف مبدأ سوى العناد الله يجمع بيننا يوم القيمة واليه المصير
مرجع الكل لفصل القضاء وليس في الآية ما يدل على متاركة الكفار رأسا حتى تكون منسوخة
بآية السيف والقتال والذين يحاجون في الله في دينه من بعد ما استجيب له من بعد ما استجاب
له الناس ودخلوا فيه او من بعد ما استجاب الله لرسوله فاظهر دينه بنصره يوم بدر او
من بعد ما استجاب له اهل الكتاب بان اقروا بنبوته واستفتحوا به حجتهم داحضة
عند ربهم زائلة باطلة وعليهم غضب بمعاندتهم ولهم عذاب شديد على كفرهم
الله الذي انزل الكتاب جنس الكتاب بالحق ملتبسا به بعيدا من الباطل او بما يحق انزاله

من العقائد والاحكام والميزان والشرع الذي يوزن به الحقوق ويسوى بين الناس
او العدل بان انزل الامر به او آلة الوزن بان اوحى باعدادها وما يدريك لعل الساعة قريب
اتيانها فاتبع الكتاب واعمل بالشرع وواظب على العدل قبل ان يفاجيك اليوم الذي يوزن فيه
اعمالك ويوفى جزاؤك وقيل تذكير القريب لانه بمعنى ذات قرب او لان الساعة بمعنى البعث
يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها استهزاء والذين آمنوا مشفقون منها خائفون منها مع اعتنائهم بها
لتوقع الثواب ويعلمون انها الحق الكائن لا محالة الا ان الذين يمارون في الساعة
يجادلون فيها من المرية او من مريت الناقة اذا مسحت ضرعها بشدة للحلب لان كلا من
المتجادلين يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه شدة لفي ضلال بعيد عن الحق فان البعث
اشبه الغائبات الى المحسوسات فمن لم يهتد لتجويزها فهو ابعد عن الاهتداء الى ما وراءها الله لطيف
بعباده بر بهم بصنوف من البر لا تبلغها الافهام يرزق من يشاء اي يرزقه كما يشاء فيخص
كلا من عباده بنوع من البر على ما اقتضته حكمته وهو القوي الباهر القدرة العزيز
المنيع الذي لا يغلب من كان يريد حرث الآخرة ثوابها شبهه بالزرع من حيث انه فائدة تحصل
بعمل الدنيا ولذلك قيل الدنيا مزرعة الآخرة والحرث في الاصل القاء البذر في الارض
ويقال للزرع الحاصل منه نزد له في حرثه فنعطيه بالواحد عشرا الى سبعمائة فما فوقها
ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها شيئا منها على ما قسمنا له وما له في الآخرة من نصيب
اذ الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى ام لهم شركاء بل ألهم شركاء والهمزة للتقرير والتقريع
وشركاؤهم شياطينهم شرعوا لهم بالتزيين من الدين ما لم يأذن به الله كالشرك وانكار البعث
والعمل للدنيا وقيل شركاؤهم اوثانهم واضافتها اليهم لانهم متخذوها شركاء واسناد
الشرع اليها لانها سبب ضلالتهم وافتتانهم بما تدينوا به او صور من سنه لهم ولولا كلمة
الفصل اي القضاء السابق بتأجيل الجزاء او العدة بان الفصل يكون يوم القيمة لقضي بينهم
بين الكافرين والمشركين او المشركين وشركائهم وان الظالمين لهم عذاب اليم وقرئ ان
بالفتح عطفا على كلمة الفصل وتقدير عذاب الظالمين في الآخرة لقضي بينهم في الدنيا فان
العذاب الاليم غالب في عذاب الآخرة ترى الظالمين في القيمة مشفقين خائفين مما كسبوا

تفا بهام

وهو واقع بهم اي وباله لاحق بهم اشفقوا او لم يشفقوا والذين آمنوا وعملوا
الصالحات في روضات الجنات في اطيب بقاعها وانزهها لهم ما يشاؤن عند ربهم اي ما
يشتهونه ثابت لهم عند ربهم ذلك اشارة الى ما للمؤمنين هو الفضل الكبير الذي يصغر
دونه ما لغيرهم في الدنيا ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات
ذلك الثواب الذي يبشرهم الله به فحذف الجار ثم العائد او ذلك التبشير الذي يبشره
الله عباده وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي يبشر من ابشره قل لا اسألكم
عليه على ما اتعاطاه من التبليغ والبشارة اجرا نفعا منكم الا المودة في القربى ان تودوني
لقرابتي منكم او تودوا قرابتي وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لا اسألكم اجرا قط
ولكن اسألكم المودة وفي القربى حال منها اي الا المودة ثابتة في ذوي القربى متمكنة
في اهلها او في حق القرابة ومن اجلها كما جاء في الحديث الحب في الله والبغض في الله وروي
انها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء قال علي وفاطمة وابناهما وقيل القربى
التقرب الى الله اي الا ان تودوا الله ورسوله في تقربكم اليه بالطاعة والعمل الصالح
وقرئ الا مودة في القربى ومن يقترف حسنة ومن يكتسب طاعة سيما حب آل الرسول صلى الله
عليه وسلم وقيل نزلت في ابي بكر رضي الله عنه ومودته فيهم نزد له فيها في الحسنة
حسنا بمضاعفة الثواب وقرئ يزد اي يزد الله وحسنى ان الله غفور رحيم لمن
اذنب شكور لمن اطاع بتوفية الثواب والتفضل عليه بالزيادة ام يقولون بل ايقولون
افترى على الله كذبا افترى محمد بدعوى النبوة او القرآن فان يشأ الله يختم على قلبك
استبعاد للافتراء عن مثله بالاشعار على انه انما يجترئ عليه من كان مختوما على قلبه
جاهلا بربه فاما من كان ذا بصيرة ومعرفة فلا وكأنه قال ان يشأ الله خذلانك يختم
على قلبك لتجترئ بالافتراء عليه وقيل يختم على قلبك يمسك القرآن والوحي عنه او يربط عليه
بالصبر فلا يشق عليك اذاهم ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته انه عليم بذات الصدور استئناف
لنفي الافتراء عما يقوله بانه لو كان مفترى لمحقه اذ من عادته تعالى محو الباطل واثبات
الحق بوحيه او بقضائه او بوعده بمحق باطلهم واثبات حقه بالقرآن او بقضائه الذي

لا مرد له وسقوط الواو من يمح في بعض المصاحف لاتباع اللفظ كما في قوله ويدع
الانسان وهو الذي يقبل التوبة عن عباده بالتجاوز عما تابوا عنه والقبول يعدى الى
مفعول ثان بمن وعن لتضمنه معنى الاخذ والابانة وقد عرفت حقيقة التوبة وعن
علي رضي الله عنه هي اسم يقع على ستة معان على الماضي من الذنوب الندامة ولتضييع
الفرائض الاعادة ورد المظالم واذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية واذاقتها
مرارتها كما اذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته ويعفو عن السيئات
صغيرها وكبيرها لمن يشاء ويعلم ما يفعلون فيجازي ويتجاوز عن اتقان وحكمة وقرأ
حمزة وحفص والكسائي ما تفعلون بالتاء ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات اي
يستجيب الله لهم فحذف اللام كما حذف في واذا كالوهم والمراد اجابة الدعاء والاثابة
على الطاعة فانها كدعاء وطلب لما يترتب عليه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم افضل
الدعاء الحمد لله او يستجيبون لله بالطاعة اذا دعاهم اليها ويزيدهم من فضله على ما سألوا
واستحقوا واستوجبوا له بالاستجابة والكافرون لهم عذاب شديد بدل ما للمؤمنين
من الثواب والتفضل ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض لتكبروا وافسدوا
فيها بطرا او لبغى بعضهم على بعض استيلاء واستعلاء وهذا على الغالب واصل البغي طلب
تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى كمية او كيفية ولكن ينزل بقدر بتقدير ما يشاء ما اقتضته مشيئته
انه بعباده خبير بصير يعلم خفايا امرهم وجلاياها فيقدر لهم ما يناسب شأنهم روي
ان اهل الصفة تمنوا الغنى فنزلت وقيل في العرب كانوا اذا اخصبوا تحاربوا واذا
اجدبوا انتجعوا وهو الذي ينزل الغيث المطر الذي يغيثهم من الجدب ولذلك خص بالنافع
وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ينزل بالتشديد من بعد ما قنطوا ايسوا منه وقرئ
بفتح النون وينشر رحمته في كل شيء من السهل والجبل والنبات والحيوان وهو الولي
الذي يتولى عباده باحسانه ونشر رحمته الحميد المستحق للحمد على ذلك ومن آياته خلق
السماوات والارض فانها بذاتها وصفاتها تدل على وجود صانع قادر حكيم وما بث
فيهما عطف على السماوات او الخلق من دابة من حي على اطلاق اسم المسبب على السبب او مما يدب

على الأرض وما يكون في أحد الشيئين يصدق أنه فيهما في الجملة وهو على جمعهم إذا يشاء
في أي وقت يشاء قدير متمكن منه ولذا كما يدخل على الماضي يدخل على المضارع فما أصابكم
من مصيبة فبما كسبت أيديكم فبسبب معاصيكم والفاء لأن ما شرطية أو متضمنة معناه
ولم يذكرها نافع وابن عامر استغناء بما في الباء من معنى السببية ويعفو عن كثير من الذنوب
فلا يعاقب عليها والآية مخصوصة بالمجرمين فإن ما أصاب غيرهم فلأسباب منها تعريضه
للأجر العظيم بالصبر عليه وما أنتم بمعجزين في الأرض فائتين ما قضي عليكم من المصائب
وما لكم من دون الله من ولي يحرسكم عنها ولا نصير يدفعها عنكم ومن آياته الجوار السفن
الجارية في البحر كالأعلام كالجبال قالت الخنساء وإن صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم
في رأسه نار إن يشأ يسكن الريح وقرئ الرياح فيظللن رواكد على ظهره فيبقين
ثوابت على ظهر البحر إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور لكل من وكل همته وحبس نفسه
على النظر في آيات الله والتفكر في آلائه أو لكل مؤمن كامل فإن الإيمان نصفان نصف صبر ونصف
شكر أو يوبقهن أو يهلكهن بإرسال الريح العاصفة المغرقة والمراد إهلاك أهلها
لقوله بما كسبوا وأصله أو يرسلها فيوبقهن لأنه قسيم يسكن فاقتصر فيه على المقصود كما في
قوله ويعف عن كثير إذ المعنى أو يرسلها عاصفة فيوبق ناسا بذنوبهم وينجي ناسا على
العفو منهم وقرئ ويعفو على الاستئناف ويعلم الذين يجادلون في آياتنا عطف على علة
مقدرة مثل لينتقم منهم ويعلم أو على الجزاء ونصب نصب الواقع جوابا للأشياء الستة لأنه أيضا
غير واجب وقرأ نافع وابن عامر بالرفع على الاستئناف وقرئ بالجزم عطفا على يعف فيكون
المعنى أو يجمع بين إهلاك قوم وإنجاء قوم وتحذير آخرين ما لهم من محيص محيد من العذاب
والجملة معلق عنها الفعل فما أوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا تمتعون به مدة حياتكم
وما عند الله من ثواب الآخرة خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون لخلوص نفعه
ودوامه وما الأولى تضمنت معنى الشرط من حيث أن إيتاء ما أوتوا سبب للتمتع بها في الحيوة
الدنيا فجاءت الفاء في جوابها بخلاف الثانية وعن علي رضي الله عنه تصدق أبو بكر بماله
كله فلامه جمع فنزلت للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش

وإذا ما

وإذا ما غضبوا هم يغفرون بما بعده عطف على الذين آمنوا أو مدح منصوب أو مرفوع
وبناء يغفرون على ضميرهم خبرا للدلالة على أنهم الأخصاء بالمغفرة حال الغضب وقرأ حمزة
والكسائي كبير الإثم والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلوة نزلت في الأنصار دعاهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإيمان فاستجابوا له وأمرهم شورى بينهم ذو شورى
لا ينفردون برأي حتى يتشاوروا ويجتمعوا عليه وذلك من فرط تدبرهم وتيقظهم في
الأمور وهي مصدر كالفتيا بمعنى التشاور ومما رزقناهم ينفقون في سبيل الخير
والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون على ما جعل الله لهم كراهة التذلل وهو وصفهم
بسائر أمهات الفضائل وهو لا يخالف وصفهم بالغفران فإنه ينبئ عن عجز المغفور والانتصار
عن مخاصمة الخصم والحلم عن العاجز محمود وعن المتغلب مذموم لأنه إجراء وإغراء على البغي
فعقب وصفهم بالانتصار للمنع عن التعدي فقال وجزاء سيئة سيئة مثلها وسمى الثانية
سيئة للازدواج أو لأنها تسوء من تنزل به فمن عفا وأصلح بينه وبين عدوه فأجره
على الله عدة مبهمة تدل على عظم الموعود إنه لا يحب الظالمين المبتدئين بالسيئة
والمجاوزين في الانتقام ولمن انتصر بعد ظلمه بعد ما ظلم وقد قرئ به فأولئك ما عليهم
من سبيل بالمعاتبة والمعاقبة إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض
بغير الحق يبتدئونهم بالإضرار ويطلبون ما لا يستحقونه تجبرا عليهم أولئك لهم عذاب أليم
على ظلمهم وبغيهم ولمن صبر على الأذى وغفر ولم ينتصر إن ذلك لمن عزم الأمور
أي إن ذلك منه فحذف كما حذف في قولهم السمن منوان بدرهم للعلم به ومن يضلل الله
فما له من ولي من بعده من ناصر يتولاه من بعد خذلان الله إياه وترى الظالمين لما رأوا
العذاب حين يرونه فذكر بلفظ الماضي تحقيقا يقولون هل إلى مرد من سبيل أي إلى رجعة
إلى الدنيا وتراهم يعرضون عليها على النار ويدل عليها العذاب خاشعين من الذل
متذللين متقاصرين مما يلحقهم من الذل ينظرون من طرف خفي أي يبتدئ نظرهم إلى
النار من تحريك لأجفانهم ضعيف كالمصبور ينظر إلى السيف وقال الذين آمنوا إن
الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم بالتعريض للعذاب المخلد يوم القيمة ظرف

الخسروا والقول في الدنيا او لقال اي يقولون اذا راوهم على تلك الحال الا ان الظالمين
في عذاب مقيم تمام كلامهم او تصديق من الله لهم وما كان لهم من اولياء ينصرونهم من دون
الله ومن يضلل الله فما له من سبيل الى الهداية او النجاة استجيبوا لربكم من قبل ان ياتي يوم
لا مرد له من الله لا يرده الله بعد ما حكم به ومن صلة لمرد وقيل صلة ياتي اي من قبل ان ياتي
يوم من الله لا يمكن رده ما لكم من ملجا يومئذ مفر وما لكم من نكير انكار لما اقترفتموه
لانه مدون في صحائف اعمالكم تشهد عليه السنتكم وجوارحكم فان اعرضوا فما ارسلناك
عليهم حفيظا رقيبا او محاسبا ان عليك الا البلاغ وقد بلغت وانا اذا اذقنا
الانسان منا رحمة فرح بها اراد بالانسان الجنس لقوله وان تصبهم سيئة بما قدمت
ايديهم فان الانسان كفور بليغ الكفر ينسى النعمة راسا ويذكر البلية ويعظمها
ولم يتامل سببها وهذا وان اختص بالمجرمين جاز اسناده الى الجنس لغلبتهم واندراجهم فيه
وتصدير الشرطية الاولى باذا والثانية بان لان اذاقة النعمة محققة من حيث انها عادة
مقتضية بالذات بخلاف اصابة البلية واقامة علة الجزاء مقامه ووضع الظاهر
موضع المضمر في الثانية للدلالة على ان هذا الجنس موسوم بكفران النعمة لله ملك
السموات والارض فله ان يقسم النعمة والبلية كيف شاء يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء
اناثا ويهب لمن يشاء الذكور [illegible] او يزوجهم ذكرانا واناثا
ويجعل من يشاء عقيما بدل من يخلق بدل البعض والمعنى يجعل احوال العباد في الاولاد
مختلفة على مقتضى المشية فيهب لبعض اما صنفا واحدا من ذكر او انثى او الصنفين جميعا
ويعقم آخرين ولعل تقديم الاناث لانها اكثر لتكثير النسل او لان مساق الاية للدلالة على
ان الواقع ما يتعلق به مشية الله لا مشية الانسان والاناث كذلك او لان الكلام في
البلاء والعرب تعدهن بلاء او لتطييب قلوب آبائهن او للمحافظة على الفواصل ولذلك
عرف الذكور او لجبر التاخير وتغيير العاطف في الثالث لانه قسيم المشترك بين القسمين
ولم يحتج اليه الرابع لافصاحه بانه قسيم المشترك بين الاقسام المتقدمة انه عليم قدير
فيفعل ما يفعل بحكمة واختيار وما كان لبشر وما صح له ان يكلمه الله الا وحيا كلاما خفيا

يدرك بسرعة لانه تمثيل ليس في ذاته مركبا من حروف مقطعة يتوقف على تموجات
متعاقبة وهو ما يعم المشافهة كما روي في حديث المعراج وما وعد به في حديث
الرؤية والمهتف به كما اتفق لموسى عم في طوى والطور لكن عطف قوله او من
وراء حجاب عليه يخصه بالاول فالاية دليل على جواز الرؤية لا على امتناعها وقيل
المراد به الالهام والالقاء في الروع او الوحي المنزل به الملك الى الرسل فيكون
المراد بقوله او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء او يرسل اليه نبيا فيبلغ وحيه
كما امره وعلى الاول المراد بالرسول الملك الموحي الى الرسول ووحيا بما عطف
عليه منتصب بالمصدر لان من وراء الحجاب صفة كلام محذوف والارسال نوع
من الكلام ويجوز ان يكون وحيا ويرسل مصدرين ومن وراء حجاب ظرفا وقعت
احوالا وقرا نافع او يرسل برفع اللام انه علي عن صفات المخلوقين حكيم يفعل ما
تقتضيه حكمته فيكلم تارة بوسط وتارة بغير وسط اما عيانا او من وراء حجاب
وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا يعني ما اوحي اليه وسماه روحا لان القلوب
تحيى به وقيل جبريل والمعنى ارسلناه اليك بالوحي ما كنت تدري ما الكتاب ولا
الايمان اي قبل الوحي وهو دليل على انه لم يكن متعبدا قبل النبوة بشرع وقيل
المراد هو الايمان بما لا طريق اليه الا السمع ولكن جعلناه اي الروح او الكتاب
او الايمان نورا نهدي به من نشاء من عبادنا بالتوفيق للقبول والنظر فيه وانك لتهدي
الى صراط مستقيم هو الاسلام وقرئ لتهدى اي ليهديك الله صراط الله بدل
من الاول الذي له ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا الا الى الله تصير
الامور بارتفاع الوسائط والتعلقات وفيه وعد ووعيد للمطيعين
والمجرمين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا حم عسق كان ممن يصلى

سورة الزخرف مكية وآيها تسع وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم حم والكتاب المبين انا جعلناه قرآنا عربيا اقسم بالقرآن

على أنه جعله قرآنا عربيا وهو من البدائع لتناسب القسم والمقسم عليه كقول أبي تمام
وثناياك إنها إغريض ولآل توم وبرق وميض ولعل إقسام الله تعالى بالأشيا
استشهاد بما فيها من الدلالة على المقسم عليه فالقرآن من حيث أنه معجز مبين طرق الهدى
وما يحتاج إليه في الديانة أو بين للعرب يدل على أنه تعالى صيره كذلك لعلكم تعقلون
لكي تفهموا معانيه وإنه عطف على إنا وقرأ حمزة والكسائي بالكسر على الاستئناف في
أم الكتاب في اللوح المحفوظ فإنه أصل الكتب السماوية وقرئ إم الكتاب بالكسر
لدينا محفوظا عندنا عن التغيير لعلي رفيع الشأن في الكتب لكونه معجزا من بينها حكيم
ذو حكمة بالغة أو محكم لا ينسخه غيره وهما خبران لإن وفي أم الكتاب متعلق بعلي
واللام لا تمنعه أو حال منه ولدينا بدل منه أو حال من الكتاب أفنضرب عنكم الذكر
صفحا أفنذوده ونبعده عنكم مجاز من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض قال طرفة
اضرب عنك الهموم طارقها ضربك بالسيف قونس الفرس والفاء للعطف على محذوف
يعني أنهملكم فنضرب عنكم الذكر صفحا وصفحا مصدر من غير لفظه فإن تنحية الذكر
عنهم إعراض أو مفعول له أو حال بمعنى صافحين وأصله أن تولي الشيء صفحة عنقك
وقيل إنه بمعنى الجانب فيكون ظرفا ويؤيده أنه قرئ صفحا وحينئذ يحتمل أن يكون تخفيف
صفح جمع صفوح بمعنى صافحين والمراد إنكار أن يكون الأمر على خلاف ما ذكر من إنزال
الكتاب على لغتهم ليفهموه أن كنتم قوما مسرفين أي لأن كنتم وهو في الحقيقة علة
مقتضية لترك الإعراض وقرأ نافع وحمزة والكسائي إن بالكسر على أن الجملة شرطية
مخرجة للمحقق مخرج المشكوك استجهالا لهم وما قبلها دليل الجزاء وكم أرسلنا من نبي
في الأولين وما يأتيهم من نبي إلا كانوا به يستهزئون تسلية لرسول الله صلى الله عليه
وسلم عن استهزاء قومه فأهلكنا أشد منهم بطشا أي من القوم المسرفين لأنه صرف
الخطاب عنهم إلى الرسول مخبرا عنهم ومضى مثل الأولين وسلف في القرآن قصتهم
العجيبة وفيه وعد للرسول صلى الله عليه وسلم ووعيد لهم بمثل ما جرى على الأولين
ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم لعله لازم

مقولهم

مقولهم أو ما دل عليه إجمالا أقيم مقامه تقريرا لإلزام الحجة عليهم فكأنهم قالوا الله
كما حكى عنهم في مواضع أخر وهو الذي من صفته ما سرد من الصفات ويجوز أن يكون
مقولهم وما بعده استئناف الذي جعل لكم الأرض مهدا فتستقرون فيها وجعل لكم
فيها سبلا تسلكونها لعلكم تهتدون لكي تهتدوا إلى مقاصدكم أو إلى حكمة الصانع
بالنظر في ذلك والذي نزل من السماء ماء بقدر بمقدار ينفع ولا يضر فأنشرنا به بلدة
ميتا مال عنه الماء وتذكيره لأن البلدة بمعنى البلد والمكان كذلك مثل ذلك الإنشار
تخرجون تنشرون من قبوركم والذي خلق الأزواج كلها أصناف المخلوقات وجعل لكم
من الفلك والأنعام ما تركبون ما تركبونه على تغليب المتعدي بنفسه على المتعدي بغيره
إذ يقال ركبت الدابة وركبت في السفينة أو المخلوق للركوب على المصنوع له أو الغالب
على النادر ولذلك قال لتستووا على ظهوره أي ظهور ما تركبون وجمعه للمعنى ثم
تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه تذكروها بقلوبكم معترفين بها حامدين عليها
وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين مطيقين من أقرن الشيء إذا
أطاقه وأصله وجده قرينه إذ الضعيف لا يكون قرين الضعيف وقرئ بالتشديد
والمعنى واحد وعنه صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا وضع رجله في الركاب قال
بسم الله فإذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا
إلى قوله وإنا إلى ربنا لمنقلبون أي راجعون واتصاله بذلك لأن الركوب للتنقل
والنقلة العظمى هو الانقلاب إلى الله أو لأنه مخطر فينبغي للراكب أن لا يغفل عنه
ويستعد للقاء الله وجعلوا له من عباده جزءا متصل بقوله ولئن سألتهم أي وقد جعلوا
له بعد ذلك الاعتراف من عباده ولدا فقالوا الملائكة بنات الله ولعله سماه
جزءا كما سمي بعضا لأنه بضعة من الوالد دلالة على استحالته على الواحد الحق
في ذاته وقرئ جزءا بضمتين إن الإنسان لكفور مبين ظاهر الكفران ومن ذلك
نسبة الولد إلى الله لأنها من فرط الجهل به والتحقير لشأنه أم اتخذ مما يخلق بنات
وأصفاكم بالبنين معنى الهمزة في أم للإنكار والتعجب من شأنهم حيث لم يقنعوا بأن

جعلوا له جزءا حتى جعلوا له من مخلوقاته اجزاء اخس مما اختير لهم وابغض الاشياء
اليهم بحيث اذا بشر احدهم بها اشتد غمه به كما قال واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن
مثلا بالجنس الذي جعله له مثلا اذ الولد لا بد ان يماثل الوالد ظل وجهه مسودا صار
وجهه اسود في الغاية لما يعتريه من الكآبة وهو كظيم مملو قلبه من الكرب وفي ذلك
دلالات على فساد ما قالوه وتعريف البنين لما مر في الذكور وقرئ مسود ومسواد على
ان في ظل ضمير المبشر ووجهه مسود جملة وقعت خبرا او من ينشأ في الحلية اي او جعلوا
له او اتخذ من يتربى في الزينة يعني البنات وهو في الخصام في المجادلة غير مبين
مقرر لما يدعيه من نقصان العقل وضعف الرأي ويجوز ان يكون من مبتدأ محذوف
الخبر اي او من هذا حاله ولده وفي الخصام متعلق بمبين واضافة غير اليه لا يمنعه كما
عرفت وقرأ حمزة والكسائي وحفص ينشؤ اي يربى وقرئ ينشؤ ويناشأ بمعناه ونظيره
ذلك اعلاه وعلاه وعالاه بمعنى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا
كفر آخر تضمنه مقالهم شنع به عليهم وهو جعلهم اكمل العباد واكرمهم على الله انقصهم
رايا واخسهم صنفا وقرئ عبيد وقرأ الحجازيان وابن عامر ويعقوب عند الرحمن
على تمثيل زلفاهم وقرئ انثا وهو جمع الجمع اشهدوا خلقهم احضروا خلق الله اياهم
فشاهدوهم اناثا فان ذلك مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل وتهكم بهم وعن نافع
ااشهدوا بهمزة الاستفهام وهمزة مضمومة بين بين وآشهدوا بمد بينهما ستكتب
شهادتهم التي شهدوا بها على الملائكة ويسألون اي عنها يوم القيمة وهو وعيد
وقرئ سيكتب وسنكتب بالياء والنون وشهاداتهم وهي ان لله جزءا وان له بنات
وهي الملائكة ويسألون من المساءلة وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم اي لو شاء
عدم عبادة الملائكة ما عبدناهم فاستدلوا بنفي مشيئة عدم العبادة على امتناع
النهي عنها او على حسنها وذلك باطل لان المشيئة ترجيح بعض الممكنات على بعض
مأمورا كان او منهيا حسنا كان او غيره ولذلك جهلهم فقال ما لهم بذلك من علم
ان هم الا يخرصون يتمحلون تمحلا باطلا ويجوز ان يكون الاشارة الى اصل الدعوى

كانه

كانه لما ابدى وجوه فسادها وحكى شبههم المزيفة نفى ان يكون لهم بها علم
من طريق العقل ثم اضرب عنه الى انكار ان يكون لهم سند من جهة النقل فقال ام
آتيناهم كتابا من قبله من قبل القرآن وادعائهم ينطق على صحة ما قالوه فهم به
مستمسكون بذلك الكتاب بل قالوا انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مهتدون
اي لا حجة لهم على ذلك عقلية ولا نقلية وانما جنحوا فيه الى تقليد آبائهم الجهلة
والامة الطريقة التي تؤم كالرحلة للمرحول اليه وقرئت بالكسر وهي الحالة التي
يكون عليها الآم اي القاصد ومنها الدين وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية من
نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون
تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ودلالة على ان التقليد في نحو ذلك ضلال
قديم وان مقدميهم ايضا لم يكن لهم سند منظور اليه وتخصيص المترفين اشعار بان التنعم
وحب البطالة صرفهم عن النظر الى التقليد قل اولو جئتكم باهدى مما وجدتم
عليه آباءكم اي اتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين اهدى من دين آبائكم وهو حكاية
امر ماض اوحي الى النذير او خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويؤيد الاول انه
قرأ ابن عامر وحفص قال وقوله قالوا انا بما ارسلتم به كافرون اي وان كان اهدى
اقناطا للنذير من ان ينظروا او يتفكروا فيه فانتقمنا منهم بالاستئصال فانظر كيف
كان عاقبة المكذبين ولا تكترث بتكذيبهم واذ قال ابراهيم واذكر وقت قوله
هذا ليروا كيف تبرأ عن التقليد وتمسك بالدليل او ليقلدوه ان لم يكن لهم بد من التقليد
فانه اشرف آبائهم لابيه وقومه انني براء مما تعبدون بريء من عبادتكم او معبودكم
مصدر نعت به ولذلك استوى فيه الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث وقرئ
بريء وبراء ككريم وكرام الا الذي فطرني فانه سيهدين استثناء منقطع او متصل
على ان ما يعم اولي العلم وغيرهم وانهم كانوا يعبدون الله والاوثان او صفة على
ان ما موصوفة اي انني براء من آلهة تعبدونها غير الذي فطرني فانه سيهدين
سيثبتني على الهداية او سيهديني الى ما وراء ما هداني اليه وجعلها ابراهيم او الله

كلمة التوحيد كلمة باقية في عقبه في ذريته فيكون فيهم ابدا من يوحد الله ويدعو الى توحيده
وقرئ كلمة وفي عقبه على التخفيف وفي عاقبه اي فيمن عقبه لعلهم يرجعون يرجع من اشرك منهم
بدعاء من وحده بل متعت هؤلاء واباءهم هؤلاء المعاصرين للرسول صلى الله عليه وسلم
من قريش واباءهم بالمد في العمر والنعمة فاغتروا بذلك وانهمكوا في الشهوات وقرئ متعت بالفتح
على انه تعالى اعترض به على ذاته في قوله وجعلها كلمة باقية مبالغة في تعييرهم حتى جاءهم
الحق دعوة التوحيد او القران ورسول مبين ظاهر الرسالة بما له من المعجزات او مبين للتوحيد
بالحجج والايات ولما جاءهم الحق لينبههم عن غفلتهم قالوا هذا سحر وانا به كافرون زادوا
شرارة فضموا الى شركهم معاندة الحق والاستخفاف به فسموا القران سحرا وكفروا به واستحقروا
الرسول وقالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين من احدى القريتين مكة والطائف
عظيم بالجاه والمال كالوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي فان الرسالة منصب عظيم
لا يليق الا لعظيم ولم يعلموا انها رتبة روحانية تستدعي عظم النفس بالتحلي بالفضائل
والكمالات القدسية لا بالزخرف بالزخارف الدنيوية اهم يقسمون رحمة ربك انكار فيه
تجهيل وتعجيب من تحكمهم والمراد بالرحمة النبوة نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا وهم
عاجزون عن تدبيرها وهي خويصة امرهم في دنياهم فمن اين لهم ان يدبروا امر النبوة التي
هي اعلى المراتب الانسانية واطلاق المعيشة يقتضي ان يكون حلالها وحرامها من الله
ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات واوقعنا بينهم التفاوت في الرزق وغيره ليتخذ بعضهم
بعضا سخريا ليستعمل بعضهم بعضا في حوائجهم فيحصل بينهم تالف وتضام ينتظم بذلك
نظام العالم لا لكمال في الموسع ولا لنقص في المقتر ثم انه لا اعتراض لهم علينا في ذلك
ولا تصرف فكيف يكون فيما هو اعلى منه ورحمة ربك هذه يعني النبوة وما يتبعها خير مما
يجمعون من حطام الدنيا فالعظيم من رزق منها لا منه ولولا ان يكون الناس امة واحدة
لولا ان يرغبوا في الكفر اذا راوا الكفار في سعة وتنعم لحبهم الدنيا فيجتمعوا عليه لجعلنا
لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج ومصاعد جمع معرج وقرئ معاريج جمع
معراج عليها يظهرون يعلون السطوح لحقارة الدنيا ولبيوتهم بدل من لمن بدل الاشتمال

او علة

او علة كقولك وهبت له ثوبا لقميصه وقرا ابن كثير وابو عمرو سقفا اكتفاء بجمع البيوت
وقرئ سقفا بالتخفيف وسقوفا وسقفا وهو لغة في سقف وابوابا وسررا عليها يتكئون
اي ابوابا وسررا من فضة وزخرفا وزينة عطف على سقفا او ذهبا عطف على محل من فضة
وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا ان هي المخففة واللام هي الفارقة وقرا عاصم وحمزة
وهشام بخلاف عنه لما بالتشديد بمعنى الا وان نافية وقرئ به مع ان وما والاخرة
عند ربك للمتقين عن الكفر والمعاصي وفيه دلالة على ان العظيم هو العظيم في الاخرة لا في
الدنيا واشعار بما لاجله لم يجعل ذلك للمؤمنين حتى يجتمع الناس على الايمان وهو انه
تمتع قليل بالاضافة الى ما لهم في الاخرة مخل به في الاغلب لما فيه من الافات قل من يتخلص
عنها كما اشار اليه بقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن يتعام ويعرض عنه بفرط اشتغاله
بالمحسوسات وانهماكه في الشهوات وقرئ يعش بالفتح اي يعم يقال عشي اذا كان في بصره
آفة وعشا اذا تعشى بلا آفة كعرج وعرج وقرئ يعشو على ان من موصولة نقيض له
شيطانا فهو له قرين يوسوسه ويغويه دائما وقرا يعقوب بالياء على اسناده الى ضمير
الرحمن ومن رفع يعشو ينبغي ان يرفعه وانهم ليصدونهم عن السبيل عن الطريق الذي
من حقه ان يسلك وجمع الضميرين للمعنى اذ المراد جنس العاشي والشيطان المقيض له
ويحسبون انهم مهتدون الضمائر الثلاثة الاول له والباقيان للشيطان حتى اذا جاءنا
اي العاشي وقرا الحجازيان وابن عامر وابو بكر جاءانا اي العاشي والشيطان قال اي العاشي
للشيطان يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين بعد المشرق من المغرب فغلب المشرق وثنى
واضاف البعد اليهما فبئس القرين انت ولن ينفعكم اليوم اي ما انتم عليه من التمني اذ ظلمتم
اذ صح انكم ظلمتم انفسكم في الدنيا بدل من اليوم انكم في العذاب مشتركون لان حقكم
ان تشتركوا انتم وشياطينكم في العذاب كما كنتم مشتركين في سببه ويجوز ان يسند الفعل
اليه بمعنى ولن ينفعكم اشتراككم في العذاب كما ينفع الواقعين في امر صعب تعاونهم في تحمل
اعبائه وتقسيمهم لمكابدة عنائه اذ لكل منهم ما لا تسعه طاقته وقرئ انكم بالكسر وهو
يقوي الاول افانت تسمع الصم او تهدي العمي انكار تعجيب من ان يكون هو الذي يقدر

على هذا انهم بعد تمرنهم على الكفر واستغراقهم في الضلال بحيث صار عشاهم عمى مقرونا
بالصمم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعب نفسه في دعاء قومه وهم لا يزيدون الا غيا
فنزلت ومن كان في ضلال مبين عطف على العمي باعتبار تغاير الوصفين وفيه اشعار بان
الموجب لذلك تمكنهم في ضلال لا يخفى فاما نذهبن بك اي فان قبضناك قبل ان نبصرك
عذابهم وما مزيدة مؤكدة بمنزلة لام القسم في استجلاب النون المؤكدة فانا منهم منتقمون
بعدك في الدنيا والآخرة او نرينك الذي وعدناهم او ان اردنا ان نريك ما وعدناهم
من العذاب فانا عليهم مقتدرون لا يفوتوننا فاستمسك بالذي اوحي اليك من الآيات والشرائع
وقرئ اوحي على البناء للفاعل وهو الله تعالى انك على صراط مستقيم لا عوج له وانه لذكر
لك لشرف لك ولقومك وسوف تسئلون اي عنه يوم القيمة وعن قيامكم بحقه واسئل من
ارسلنا من قبلك من رسلنا اي واسئل اممهم وعلماء دينهم اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون
هل حكمنا بعبادة الاوثان وهل جاءت في ملة من مللهم والمراد به الاستشهاد باجماع الانبياء
على التوحيد والدلالة على انه ليس ببدع ابتدعه فيكذب ويعادى له فانه كان اقوى
ما حملهم على التكذيب والمخالفة ولقد ارسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملائه فقال اني رسول
رب العالمين يريد باقتصاصه تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم ومناقضة قولهم لولا نزل
هذا القرآن على رجل من القريتين والاستشهاد بدعوة موسى الى التوحيد فلما جاءهم بآياتنا
اذا هم منها يضحكون فاجئوا وقت ضحكهم منها اي استهزؤا بها اول ما رأوها ولم يتأملوا فيها
وما نريهم من آية الا هي اكبر من اختها الا وهي بالغة اقصى درجات الاعجاز بحيث يحسب الناظر
فيها انها اكبر مما يقاس اليها من الآيات والمراد وصف الكل بالكبر كقولك رأيت رجالا بعضهم
افضل من بعض وكقوله من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يسري بها الساري
او الا وهي مختصة بنوع من الاعجاز مفضلة على غيرها بذلك الاعتبار واخذناهم بالعذاب
كالسنين والطوفان والجراد لعلهم يرجعون على وجه يرجى رجوعهم وقالوا يا ايها الساحر
نادوه بذلك في تلك الحال لشدة شكيمتهم وفرط حماقتهم او لانهم يسمون العالم الباهر ساحرا
ادع لنا ربك اي ادع الله لنا فيكشف عنا العذاب بما عهد عندك بعهده عندك من النبوة

او من ان يستجيب دعوتك وان يكشف العذاب عمن اهتدى او بما عهد عندك فوفيت به
وهو الايمان والطاعة اننا لمهتدون فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون فاجئوا
نكث عهدهم بالاهتداء ونادى فرعون بنفسه او بمناديه في قومه في مجمعهم وفيما بينهم
بعد كشف العذاب عنهم مخافة ان يؤمن بعضهم قال يا قوم اليس لي ملك مصر وهذه الانهار
انهار النيل ومعظمها اربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس تجري من
تحتي تحت قصري او امري او بين يدي في جناني والواو اما عاطفة لهذه الانهار على الملك فتجري
حال منها او واو حال وهذه مبتدأ والانهار صفتها وتجري خبرها افلا تبصرون ذلك
ام انا خير مع هذه المملكة والبسطة من هذا الذي هو مهين ضعيف حقير لا يستعد للرياسة
من المهانة وهي القلة ولا يكاد يبين الكلام لما به من الرتة فكيف يصلح للرسالة وام اما
منقطعة والهمزة للتقرير اذ قدم من اسباب فضله او متصلة على اقامة المسبب مقام السبب
والمعنى افلا تبصرون ام تبصرون فتعلمون اني خير منه فلولا القي عليه اسورة من ذهب
اي فهلا القي اليه مقاليد الملك ان كان صادقا اذ كانوا اذا سودوا رجلا سوروه وطوقوه
بسوار وطوق من ذهب واساورة جمع اسوار بمعنى السوار على تعويض التاء من ياء اساوير
وقد قرئ به وقرأ يعقوب وحفص اسورة وهي جمع سوار وقرئ اساور جمع اسورة
والقي عليه اسورة واساور على البناء للفاعل وهو الله تعالى او جاء معه الملائكة مقترنين
مقرونين يعينونه او يصدقونه من قرنته به فاقترن او متقارنين من اقترن بمعنى تقارن
فاستخف قومه فطلب منهم الخفة في مطاوعته او فاستخف احلامهم فاطاعوه فيما امرهم
انهم كانوا قوما فاسقين فلذلك اطاعوا ذلك الفاسق فلما آسفونا اغضبونا بالافراط
في العناد والعصيان منقول من اسف اذا اشتد غضبه انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين
في اليم فجعلناهم سلفا قدوة لمن بعدهم من الكفار يقتدون بهم في استحقاق مثل عقابهم
مصدر نعت به او جمع سالف كخدم وقرأ حمزة والكسائي بضم السين واللام جمع سليف
كرغف او سالف كصبر او سلف كخشب وقرئ سلفا بابدال ضمة اللام فتحة او على انه
جمع سلفة اي ثلة سلفت ومثلا للآخرين وعظة او قصة عجيبة تسير مسير الامثال لهم فيقال

مثلكم مثل قوم فرعون ولما ضرب ابن مريم مثلا اي ضربه ابن الزبعرى لما جادل
رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم
او غيره بان قال النصارى اهل كتاب وهم يعبدون عيسى ويزعمون انه ابن الله والملائكة
اولى بذلك وان محمدا يريد ان نعبده كما عبد المسيح اذا قومك قريش منه من هذا المثل
يصدون يضجون فرحا لظنهم ان الرسول صلى الله عليه وسلم صار ملزما به وقرأ نافع
وابن عامر والكسائي بالضم من الصدود اي يصدون عن الحق ويعرضون عنه وقيل هما لغتان
نحو يعكف ويعكف وقالوا الهتنا خير ام هو اي الهتنا خير عندك ام عيسى فان كان في
النار فليكن الهتنا معه او الهتنا الملائكة خير ام عيسى فاذا جاز ان يعبد ويكون
ابن الله كانت الهتنا الملائكة اولى بذلك او الهتنا خير ام محمد فنعبده وندع الهتنا
وقرأ الكوفيون االهتنا بتحقيق الهمزتين والف بعدهما ما ضربوه لك الا جدلا ما ضربوا
هذا المثل الا لاجل الجدل والخصومة لا لتمييز الحق من الباطل بل هم قوم خصمون شداد
الخصومة حراص على اللجاج ان هو الا عبد انعمنا عليه بالنبوة وجعلناه مثلا لبني اسرائيل
امرا عجيبا كالمثل السائر لبني اسرائيل وهو كالجواب المزيح لتلك الشبهة ولو نشاء لجعلنا
منكم لولدنا منكم يا رجال كما ولدنا عيسى من غير اب او لجعلنا بدلكم ملائكة في الارض
يخلفون ملائكة يخلفونكم في الارض والمعنى ان حال عيسى وان كانت عجيبة فالله تعالى
قادر على ما هو اعجب من ذلك وان الملائكة مثلكم من حيث انها ذوات ممكنة يحتمل خلقها
توليدا كما جاز خلقها ابداعا فمن اين لهم استحقاق الالوهية والانتساب الى الله سبحانه
وانه وان عيسى لعلم للساعة لان حدوثه او نزوله من اشراط الساعة يعلم به دنوها
او لان احياء الموتى يدل على قدرة الله عليه وقرئ لعلم اي علامة ولذكر على تسمية ما يذكر به
ذكرا وفي الحديث ينزل عيسى على ثنية بالارض المقدسة يقال لها افيق وبيده حربة
يقتل الدجال فيأتي بيت المقدس والناس في صلوة الصبح فيتأخر الامام فيقدمه عيسى
ويصلي خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب
البيع والكنائس ويقتل النصارى الا من آمن به وقيل الضمير للقرآن فان فيه الاعلام

بالساعة

بالساعة والدلالة عليها فلا تمترن بها فلا تشكن فيها واتبعون واتبعوا هداي او
شرعي او رسولي وقيل هو قول الرسول امر ان يقوله هذا اي هذا الذي ادعوكم اليه
صراط مستقيم لا يضل سالكه ولا يصدنكم الشيطان عن المتابعة انه لكم عدو مبين
ثابت عداوته بان اخرجكم من الجنة وعرضكم للبلية ولما جاء عيسى بالبينات بالمعجزات
او بآيات الانجيل او بالشرائع الواضحات قال قد جئتكم بالحكمة بالانجيل او الشريعة ولابين
لكم بعض الذي تختلفون فيه وهو ما يكون من امر الدين لا ما يتعلق بامر الدنيا فان الانبياء
لم تبعث لبيانه ولذلك قال عليه الصلاة والسلام انتم اعلم بامر دنياكم فاتقوا الله
واطيعون فيما ابلغه عنه ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه بيان لما امرهم بالطاعة فيه
وهو اعتقاد التوحيد والتعبد بالشرائع هذا صراط مستقيم الاشارة الى مجموع الامرين
وهو تتمة كلام عيسى او استيناف من الله يدل على ما هو المقتضي للطاعة في ذلك فاختلف
الاحزاب الفرق المتحزبة من بينهم من بين النصارى او اليهود والنصارى من بين من
مبعوث اليهم فويل للذين ظلموا من المتحزبين من عذاب يوم اليم القيمة هل ينظرون
الا الساعة الضمير لقريش او للذين ظلموا ان تأتيهم بدل من الساعة والمعنى هل
ينظرون الا اتيان الساعة بغتة فجاءة وهم لا يشعرون غافلون عنها لاشتغالهم
بامور الدنيا وانكارهم لها الاخلاء الاحباء يومئذ بعضهم لبعض عدو اي يتعادون
يومئذ لانقطاع العلق لظهور ما كانوا يتخالون له سببا للعذاب الا المتقين فان خلتهم
لما كانت في الله تبقى نافعة ابد الآباد يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون
حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون في الله يومئذ الذين آمنوا بآياتنا صفة للمنادى
وكانوا مسلمين حال من الواو اي الذين آمنوا مخلصين غير ان هذه العبارة اكد ادخلوا
الجنة انتم وازواجكم نساؤكم المؤمنات تحبرون تسرون سرورا يظهر حباره اي اثره
على وجوهكم او تزينون من الحبر وهو حسن الهيأة او تكرمون اكراما يبالغ فيه
والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل يطاف عليهم بصحاف من ذهب واكواب الصحاف
جمع صحفة والاكواب جمع كوب وهو كوز لا عروة له وفيها وفي الجنة ما تشتهي الانفس

وقرأ نافع وابن عامر وحفص تشتهيه على الأصل وتلذ الأعين بمشاهدته وذلك
تميم بعد تخصيص ما يعد من الزوائد في التنعم والتلذذ وأنتم فيها خالدون فإن كل
نعيم زائل موجب لكلفة الحفظ وخوف الزوال ومستعقب للتحسر في ثاني الحال وتلك
الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون وقرئ ورثتموها شبه جزاء العمل بالميراث لأنه يخلفه
عليه العامل وتلك إشارة إلى الجنة المذكورة وقعت مبتدأ والجنة خبرها والتي أورثتموها صفتها
أو الجنة صفة تلك والتي خبرها أو صفة الجنة والخبر بما كنتم تعملون وعليه تتعلق الباء بمحذوف
لا بأورثتموها لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون بعضها تأكلون لكثرتها ودوام نوعها
ولعل تفصيل التنعم بالمطاعم والملابس وتكريره في القرآن وهو حقير بالإضافة إلى سائر نعائم
الجنة لما كان بهم من الشدة والفاقة إن المجرمين الكاملين في الإجرام وهم الكفار لأنه جعل
قسيم المؤمنين بالآيات وحكى عنهم ما يخص بالكفار في عذاب جهنم خالدون خبر إن أو خالدون
خبر والظرف متعلق به لا يفتر عنهم لا يخفف عنهم من فترت عنه الحمى إذا سكنت قليلا
والتركيب للضعف وهم فيه في العذاب مبلسون آيسون من النجاة وما ظلمناهم ولكن
كانوا هم الظالمين مر مثله غير مرة وهم فصل ونادوا يا مالك وقرئ يا مال على الترخيم
مكسورا أو مضموما ولعله إشعار بأنهم لضعفهم لا يستطيعون تأدية اللفظ بالتمام ولذلك
اختصروا فقالوا ليقض علينا ربك والمعنى سل ربنا أن يقضي علينا من قضى عليه إذا أماته
وهو لا ينافي إبلاسهم فإنه جؤار وتمني للموت من فرط الشدة قال إنكم ماكثون لا خلاص
لكم بموت ولا غيره لقد جئناكم بالحق بالإرسال والإنزال وهو تتمة الجواب إن كان في قال
ضمير الله وإلا فجواب منه فكأنه تعالى تولى جوابهم بعد جواب مالك ولكن أكثركم للحق
كارهون لما في اتباعه من إتعاب النفس وإدآب الجوارح أم أبرموا أمرا في تكذيب الحق
ورده ولم يقتصروا على كراهته فإنا مبرمون أمرا في مجازاتهم والعدول عن الخطاب
للإشعار بأن ذلك أسوأ من كراهتهم أو أم أحكم المشركون أمرا من كيدهم بالرسول صلى الله
عليه وسلم فإنا مبرمون كيدنا بهم ويؤيده قوله أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم حديث
نفسهم بذلك ونجواهم وتناجيهم بلى نسمعها ورسلنا والحفظة مع ذلك لديهم ملازمون

يكتبون

يكتبون ذلك قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين منكم فإن النبي يكون أعلم
بالله وبما يصح له وبما لا يصح وأولى بتعظيم ما يوجب تعظيمه ومن تعظيم الوالد تعظيم الولد
ولا يلزم من ذلك صحة كينونة الولد وعبادته له إذ المحال قد يستلزم المحال بل المراد
نفيهما على أبلغ الوجوه كقوله تعالى لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا غير أن لو ثم مشعرة
بانتفاء الطرفين وإن هاهنا لا تشعر به ولا بنقيضه فإنها لمجرد الشرطية بل الانتفاء معلوم
لانتفاء اللازم الدال على انتفاء ملزومه والدلالة على أن إنكاره للولد ليس لعناد
ومراء بل لو كان لكان أولى الناس بالاعتراف به وقيل معناه إن كان له ولد في زعمكم
فأنا أول العابدين لله الموحدين له أو الآنفين منه أو من أن يكون له ولد من عبد إذا
اشتد أنفه أو ما كان له ولد فأنا أول الموحدين من أهل مكة وقرأ حمزة والكسائي
ولد بالضم سبحان رب السموات والأرض رب العرش عما يصفون عن كونه ذا ولد فإن
هذه الأجسام لكونها أصولا ذات استمرار تبرأت عما يتصف به سائر الأجسام من توليد
المثل فما ظنك بمبدعها وخالقها فذرهم يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم حتى
يلاقوا يومهم الذي يوعدون أي القيامة وهو دلالة على أن قولهم هذا جهل واتباع
هوى وأنهم مطبوع على قلوبهم معذبون في الآخرة وهو الذي في السماء إله وفي الأرض
إله مستحق لأن يعبد فيهما والظرف متعلق به لأنه بمعنى المعبود أو متضمن معناه كقولك
هو حاتم في البلد وكذا فيمن قرأ الله والراجع مبتدأ محذوف لطول الصلة بمتعلق
الخبر والعطف عليه ولا يجوز جعله خبرا له لأنه لا يبقى عائد لكن لو جعل صلة وقدر
هو
إله مبتدأ محذوف يكون به جملة مبينة للصلة دالة على أن كونه في السماء بمعنى الألوهية
دون الاستقرار وفيه نفي الآلهة السماوية والأرضية واختصاصه باستحقاق الألوهية
وهو الحكيم العليم كالدليل عليه وتبارك الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما
كالهواء وعنده علم الساعة العلم بالساعة التي تقوم القيامة فيها وإليه ترجعون للجزاء
وقرأ نافع وابن عامر وأبو عمرو وعاصم وروح بالياء على الالتفات للتهديد ولا يملك الذين يدعون
من دونه الشفاعة كما زعموا أنهم شفعاؤهم عند الله إلا من شهد بالحق وهم يعلمون بالتوحيد و

والاستثناء متصل ان اريد بالموصول كل ما عبد من دون الله لاندراج الملائكة
والمسيح فيه ومنفصل ان خص بالاصنام ولئن سالتهم من خلقهم سالت العابدين
او المعبودين ليقولن الله لتعذر المكابرة فيه من فرط ظهوره فانى يؤفكون
يصرفون من عبادته الى عبادة غيره وقيله وقول الرسول ونصبه للعطف على
سرهم او على محل الساعة او لاضمار فعله اى وقال قيله وجره عاصم وحمزة عطفا
على الساعة وقرئ بالرفع على انه مبتدا خبره يا رب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون
او معطوف على علم الساعة بتقدير مضاف وقيل هو قسم منصوب بحذف الجار
او مجرور باضماره او مرفوع بتقدير وقيله يا رب قسمى وان هؤلاء جوابه فاصفح عنهم
واعرض عن دعوتهم آيسا عن ايمانهم وقل سلام تسلم منكم ومتاركة فسوف يعلمون
تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم وقرأ نافع وابن عامر بالتاء على انه من المأمور
بقوله عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيمة

سورة الدخان مكية وهى سبع او تسع وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم حم والكتاب المبين القران والواو للعطف ان كان حم
مقسما بها والا فللقسم والجواب قوله انا انزلناه فى ليلة مباركة فى ليلة القدر
او البراءة ابتدئ فيها انزاله او انزل فيها جملة الى السماء الدنيا من اللوح ثم انزل
على الرسول صلى الله عليه وسلم نجوما وبركتها لذلك فان نزول القران سبب للمنافع
الدينية والدنيوية او لما فيها من نزول الملائكة والرحمة واجابة الدعوة وقسم النعمة
وفصل الاقضية انا كنا منذرين استئناف يبين المقتضى للانزال وكذلك قوله فيها يفرق
كل امر حكيم فان كونها مفرق الامور المحكمة والملتبسة بالحكمة يستدعى ان ينزل فيها
القران الذى هو من عظائمها ويجوز ان يكون صفة ليلة مباركة وما بينهما اعتراض
وهو يدل على ان الليلة ليلة القدر لانه صفتها لقوله تنزل الملائكة والروح

فيها

فيها باذن ربهم من كل امر وقرئ يفرق بالتشديد ويفرق كل اى يفرقه الله ونفرق بالنون امرا
من عندنا اى اعنى بهذا الامر امرا حاصلا من عندنا على مقتضى حكمتنا وهو مزيد تفخيم للامر
ويجوز ان يكون حالا من كل او امر او ضميره المستكن فى حكيم لانه موصوف وان يراد به مقابل
النهى وقع مصدرا ليفرق او لفعله مضمرا من حيث ان الفرق به او حالا من احد ضميرى انزلناه
بمعنى آمرين او مأمورا انا كنا مرسلين رحمة من ربك بدل من انا كنا منذرين اى انا انزلنا
القران لان من عادتنا ارسال الرسل بالكتب الى العباد لاجل الرحمة عليهم ووضع الرب موضع
الضمير للاشعار بان الربوبية اقتضت ذلك فانه اعظم انواع التربية او علة ليفرق او امرا
ورحمة مفعول به اى يفصل فيها كل امر او تصدر الاوامر من عندنا لان من شاننا ان نرسل
رحمتنا فان فصل كل امر من قسمة الارزاق وغيرها وصدور الاوامر الالهية من باب الرحمة
وقرئ رحمة على تلك هى رحمة انه هو السميع العليم يسمع اقوال العباد ويعلم احوالهم وهو بما بعده
تحقيق لربوبيته وانها لا تحق الا لمن هذه صفاته رب السموات والارض وما بينهما خبر آخر او
استئناف وقرأ الكوفيون بالجر بدلا من ربك ان كنتم موقنين اى ان كنتم من اهل الايقان
فى العلوم او ان كنتم موقنين فى اقراركم اذا سئلتم من خلقها فقلتم الله علمتم ان الامر كما قلنا
او ان كنتم مريدين اليقين فاعلموا ذلك لا اله الا هو اذ لا خالق سواه يحيى ويميت كما تشاهدون
ربكم ورب آبائكم الاولين قرئا بالجر بدلا بل هم فى شك يلعبون رد لكونهم موقنين
فارتقب فانتظر لهم يوم تاتى السماء بدخان مبين يوم شدة ومجاعة فان الجائع يرى
بينه وبين السماء كهيئة الدخان من ضعف بصره او لان الهواء يظلم عام القحط لقلة الامطار
وكثرة الغبار او لان العرب تسمى الشر الغالب دخانا وقد قحطوا حتى اكلوا جيف الكلاب
وعظامها واسناد الاتيان الى السماء لان ذلك يكفه عن الامطار او يوم ظهور الدخان
المعدود فى اشراط الساعة لما روى انه صلى الله عليه وسلم لما قال اول الايات الدخان
ونزول عيسى ونار تخرج من قعر عدن ابين تسوق الناس الى المحشر قيل وما الدخان فتلا
رسول الله صلى الله عليه وسلم الاية وقال يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما
وليلة اما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكام واما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه واذنيه

ومدته او يوم القيمة والدخان يحتمل المعنيين يغشى الناس يحيط بهم صفة للدخان وقوله
هذا عذاب اليم ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون مقدر بقول وقع حالا وانا مؤمنون
وعد بالايمان ان كشف العذاب عنهم انى لهم الذكرى من اين لهم وكيف يتذكرون بهذه الحال
وقد جاءهم رسول مبين بين لهم ما هو اعظم منها في ايجاب الادكار من الايات والمعجزات ثم
تولوا عنه وقالوا معلم مجنون قال بعضهم يعلمه غلام اعجمي لبعض ثقيف وقال آخرون
انه مجنون انا كاشفوا العذاب بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم فانه دعا فرفع القحط
قليلا كشفا قليلا او زمانا قليلا وهو ما بقي من اعمارهم انكم عائدون الى الكفر غب الكشف
ومن فسر الدخان بما هو من اشراط الساعة قال اذا جاء الدخان غوث الكفار بالدعاء
فيكشفه الله عنهم بعد اربعين فريثما يكشفه عنهم يرتدون ومن فسره بما في القيمة اوله
بالشرط والتقدير يوم نبطش البطشة الكبرى يوم القيمة او يوم بدر ظرف لفعل دل عليه
انا منتقمون لا لمنتقمون فان ان يحجزه عنه او بدل من يوما ثاني وقرئ نبطش اي نجعل البطشة
الكبرى باطشة بهم او نحمل الملائكة على بطشهم وهو التناول بصولة ولقد فتنا قبلهم
قوم فرعون امتحناهم بارسال موسى عليه السلام او اوقعناهم في الفتنة بالامهال وتوسيع
الرزق عليهم وقرئ بالتشديد للتاكيد او لكثرة القوم وجاءهم رسول كريم على الله
او على المؤمنين او في نفسه لشرف نسبه وفضل حسبه ان ادوا الي عباد الله بان ادوهم
الي وارسلوهم معي او بان ادوا الي حق الله من الايمان وقبول الدعوة يا عباد الله ويجوز
ان يكون ان مخففة ومفسرة لان مجيء الرسل يكون برسالة ودعوة اني لكم رسول امين
غير متهم لدلالة المعجزات على صدقه او لائتمان الله اياه على وحيه وهو علة الامر
وان لا تعلوا على الله لا تتكبروا عليه بالاستهانة بوحيه ورسوله وان كالاولى
في وجهيها اني آتيكم بسلطان مبين علة للنهي ولذكر الامين مع الاداء والسلطان
مع العلاء شان لا يخفى واني عذت بربي وربكم ان ترجمون التجأت اليه وتوكلت عليه ان ترجمون
ان تؤذوني ضربا او شتما او ان تقتلوني وقرئ عت بالادغام وان لم تؤمنوا لي
فاعتزلون فكونوا بمعزل مني لا علي ولا تتعرضوا لي بسوء فانه ليس جزاء من دعاكم الى

ما فيه

ما فيه فلاحكم فدعا ربه بعد ما كذبوه ان هؤلاء بان هؤلاء قوم مجرمون وهو تعريض
بالدعاء عليهم بذكر ما استوجبوه به ولذلك سماه دعاء وقرئ بالكسر على اضمار القول
فاسر بعبادي ليلا اي فقال اسر او فقال ان كان الامر كذلك فاسر وقرئ بوصل الهمزة
من سرى انكم متبعون يتبعكم فرعون وجنوده اذا علموا بخروجكم واترك البحر رهوا مفتوحا
ذا فجوة واسعة او ساكنا على هيئته بعد ما جاوزته ولا تضربه بعصاك ولا تغير منه شيئا
ليدخله القبط انهم جند مغرقون وقرئ بالفتح بمعنى لانهم كم تركوا كثيرا تركوا من جنات
وعيون وزروع ومقام كريم محافل مزينة ومنازل حسنة ونعمة وتنعم كانوا فيها فاكهين
متنعمين وقرئ فكهين كذلك مثل ذلك الاخراج اخرجناهم منها او الامر كذلك واورثناها
عطف على الفعل المقدر او على تركوا قوما آخرين ليسوا منهم في شيء وهم بنو اسرائيل وقيل
غيرهم لانهم لم يعودوا الى مصر فما بكت عليهم السماء والارض مجاز عن عدم الاكتراث
بهلاكهم والاعتداد بوجودهم كقولهم بكت عليه السماء والارض وكسفت لمهلكه الشمس
في نقيض ذلك ومنه ما روي في الاخبار ان المؤمن ليبكي عليه مصلاه ومحل عبادته ومصعد
عمله ومهبط رزقه وقيل تقديره فما بكت عليهم اهل السماء والارض وما كانوا منظرين
ممهلين الى وقت آخر ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين من استعباد فرعون وقتله ابناءهم
وقرئ بالاضافة على ان المراد من فرعون بدل من العذاب على حذف المضاف او جعله عذابا
لافراطه في التعذيب او حال من المهين بمعنى واقعا من جهته وقرئ من فرعون على الاستفهام
تنكيرا له لنكر ما كان عليه من الشيطنة انه كان عاليا متكبرا من المسرفين في العتو
والشرارة وهو خبر ثان اي كان متكبرا مسرفا او حال من الضمير في عاليا اي كان رفيع الطبقة
من بينهم ولقد اخترناهم اخترنا بني اسرائيل على علم عالمين بانهم احقاء بذلك او مع علم
منا بانهم يزيغون في بعض الاحوال على العالمين لكثرة الانبياء فيهم او على عالمي زمانهم
وآتيناهم من الآيات كفلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى ما فيه بلاء مبين
نعمة جلية او اختبار ظاهر ان هؤلاء يعني كفار قريش لان الكلام فيهم وقصة فرعون
وقومه مسوقة للدلالة على انهم مثلهم في الاصرار على الضلالة والانذار عن مثل ما حل

بهم ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى ما العاقبة ونهاية الامر الا الموتة الاولى المزيلة
للحيوة الدنيوية ولا قصد فيه الى اثبات ثانية كما في قولك حج زيد الحجة الاولى ومات
وقيل لما قيل لهم انكم تموتون موتة يعقبها حيوة كما تقدمتكم موتة كذلك قالوا ان هي
الا موتتنا الاولى اي ما الموتة التي من شأنها ذلك الا الموتة الاولى وما نحن بمنشرين
بمبعوثين فأتوا بآبائنا خطاب لمن وعدهم بالنشور من الرسول والمؤمنين ان كنتم صادقين
في وعدكم ليدل عليه اهم خير في القوة والمنعة ام قوم تبع تبع الحميري الذي سار بالجيوش
وحير الحيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها كان مؤمنا وقومه كافرين ولذلك ذمهم دونه
وعنه صلى الله عليه وسلم ما ادري أكان تبع نبيا او غير نبي وقيل لملوك اليمن التبابعة
لانهم يتبعون كما قيل الاقيال لانهم يتقيلون والذين من قبلهم كعاد وثمود اهلكناهم
استيناف بمآل قوم تبع والذين من قبلهم هدد به كفار قريش او حال باضمار قد او خبر
من الموصول ان استونف به انهم كانوا مجرمين بيان للجامع المقتضي للاهلاك وما خلقنا
السموات والارض وما بينهما وما بين الجنسين وقرئ وما بينهن لاعبين لاهين وهو
دليل على صحة الحشر كما مر في الانبياء وغيرها ما خلقناهما الا بالحق الا بسبب الحق الذي
اقتضاه الدليل من الايمان والطاعة او البعث والجزاء ولكن اكثرهم لا يعلمون لقلة نظرهم
ان يوم الفصل فصل الحق عن الباطل او المحق عن المبطل بالجزاء او فصل الرجل عن اقاربه
واحبائه ميقاتهم وقت موعدهم اجمعين وقرئ ميقاتهم بالنصب على انه الاسم وان
ميعاد جزائهم في يوم الفصل يوم لا يغني بدل من يوم الفصل او صفة لميقاتهم او
ظرف لما دل عليه الفصل لا للفصل مولى من قرابة او غيرها عن مولى اي مولى كان
شيئا من الاغناء ولا هم ينصرون الضمير لمولى الاول باعتبار المعنى لانه عام الا من رحم الله
بالعفو عنه وقبول الشفاعة فيه ومحله الرفع على البدل من الواو والنصب على الاستثناء
انه هو العزيز لا ينصر منه من اراد تعذيبه الرحيم لمن اراد ان يرحمه ان شجرة الزقوم
وقرئ بكسر الشين ومعنى الزقوم سبق في الصافات طعام الاثيم الكثير الآثام والمراد به الكافر
لدلالة ما قبله وما بعده عليه كالمهل وهو ما يمهل في النار حتى يذوب وقيل دردي الزيت

تغلي

تغلي في البطون وقرأ ابن كثير وحفص ورويس بالياء على ان الضمير للطعام او الزقوم لا
للمهل اذ الاظهر ان الجملة حال من احدهما كغلي الحميم غليانا مثل غليه خذوه على ارادة
القول والمقول له الزبانية فاعتلوه فجروه والعتل الاخذ بمجامع الشيء وجره بقهر وقرأ
الحجازيان وابن عامر ويعقوب بالضم وهما لغتان الى سواء الجحيم وسطه ثم صبوا فوق رأسه
من عذاب الحميم كان اصله يصب من فوق رؤسهم الحميم فقيل يصب من فوق رؤسهم عذاب
هو الحميم للمبالغة ثم اضيف العذاب الى الحميم للتخفيف وزيد من للدلالة على ان المصبوب
بعض هذا النوع ذق انك انت العزيز الكريم اي وقولوا له ذلك استهزاء به وتقريعا
على ما كان يزعمه وقرأ الكسائي انك بالفتح اي ذق لانك او عذاب انك ان هذا ان
هذا العذاب ما كنتم به تمترون تشكون وتمارون فيه ان المتقين في مقام في موضع اقامة
وقرأ نافع وابن عامر بضم الميم امين يأمن صاحبه عن الآفة والانتقال في جنات وعيون
بدل من مقام جيء به للدلالة على نزاهته واشتماله على طيبات المآكل والمشارب
يلبسون من سندس واستبرق خبر ثان او حال من الضمير في الجار او استيناف والسندس ما رق
من الحرير والاستبرق ما غلظ منه معرب او مشتق من البراقة متقابلين في مجالسهم ليستأنس
بعضهم ببعض كذلك الامر كذلك او آتيناهم مثل ذلك وزوجناهم بحور عين قرناهم بهن
ولذلك عدي بالباء والحوراء البيضاء والعيناء عظيمة العينين واختلف في انهن نساء
الدنيا او غيرها يدعون فيها بكل فاكهة يطلبون ويأمرون باحضار ما يشتهون من الفواكه
لا يتخصص شيء منها بمكان ولا زمان آمنين من الضرر لا يذوقون فيها الموت بل يحيون
فيها دائما والاستثناء منقطع او متصل والضمير للآخرة والموت اول احوالها
او الجنة والمؤمن يشارفها بالموت ويشاهدها عنده فكأنه فيها او
الاستثناء للمبالغة في تعميم النفي وامتناع الموت فكأنه قال لا يذوقون فيها الموت
الا اذا امكن ذوق الموتة الاولى في المستقبل ووقاهم عذاب الجحيم وقرئ
ووقيهم على المبالغة فضلا من ربك اي اعطوا كل ذلك عطاء وتفضلا
منه وقرئ بالرفع اي ذلك فضل ذلك هو الفوز العظيم لانه خلاص عن المكاره

وفوز بالمطالب فانما يسرناه بلسانك سهلناه حيث انزلناه بلغتك
وهو فذلكة للسورة لعلهم يتذكرون لعلهم يفهمونه فيتذكرون به فلما لم يتذكروا
به فارتقب فانتظر ما يحل بهم انهم مرتقبون منتظرون ما يحل بك عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرا حم الدخان ليلة الجمعة اصبح مغفورا له

سورة الجاثية مكية وهي سبع او ست وثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم حم ان جعلت حم مبتدأ خبره تنزيل الكتاب احتجت الى
اضمار مثل تنزيل حم وان جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل مبتدأ خبره من الله
العزيز الحكيم وقيل حم مقسم به وتنزيل الكتاب صفته وجواب القسم ان في السموات
والارض لآيات للمؤمنين وهو يحتمل ان يكون على ظاهره وان يكون المعنى ان في خلق
السموات لقوله وفي خلقكم وما يبث من دابة ولا يحسن عطف ما على الضمير المجرور بل
عطفه على المضاف بانه باحد الاحتمالين فان بثه وتنوعه واستجماعه لما به يتم معاشه الى
غير ذلك دلائل على وجود الصانع المختار آيات لقوم يوقنون محمول على محل ان
واسمها وقرا حمزة والكسائي ويعقوب بالنصب حملا على الاسم واختلاف الليل والنهار
وما انزل الله من السماء من رزق من مطر وسماه رزقا لانه سببه فاحيا به الارض بعد
موتها يبسها وتصريف الرياح باختلاف جهاتها واحوالها وقرا حمزة والكسائي وتصريف
الريح آيات لقوم يعقلون فيه القراءتان ويلزمهما العطف على عاملين في الابتداء او
ان الا ان يضمر في او ينصب آيات على الاختصاص او يرفع باضمار هي ولعل اختلاف
الفواصل الثلثة لاختلاف الآيات في الدقة والظهور تلك آيات الله اي تلك الآيات
دلائله نتلوها عليك حال عاملها معنى الاشارة بالحق ملتبسين به او ملتبسة به فباي
حديث بعد الله وآياته يؤمنون اي بعد آيات الله وتقديم اسم الله للمبالغة والتعظيم
كما في قولك اعجبني زيد وكرمه او بعد حديث الله وهو القرآن كقوله الله نزل احسن الحديث
ودلائله المتلوة او القرآن والعطف لتغاير الوصفين وقرا الحجازيان وحفص وابو عمرو

ويعقوب يؤمنون بالياء ليوافق ما قبله ويل لكل افاك كذاب اثيم كثير الآثام يسمع آيات
الله تتلى عليه ثم يصر يقيم على كفره مستكبرا عن الايمان بالآيات وثم لاستبعاد الاصرار
بعد سماع الآيات كقوله يرى غمرات الموت ثم يزورها كان لم يسمعها اي كانه فخفف
وحذف ضمير الشان والجملة في موقع الحال اي يصر مثل غير السامع فبشره بعذاب اليم
على اصراره والبشارة على الاصل او التهكم واذا علم من آياتنا شيئا واذا بلغه شيء
وعلم انه منها اتخذها هزوا اولئك لهم عذاب مهين لذلك من غير ان يرى فيها ما ينافي
الهزء والضمير لآياتنا وفائدته الاشعار بانه اذا سمع كلاما وعلم انه من الآيات بادر الى
الاستهزاء بالآيات كلها ولم يقتصر على ما سمعه او لشيء لانه بمعنى الآية من ورائهم جهنم
من قدامهم لانهم متوجهون اليها او من خلفهم لانه بعد آجالهم ولا يغني عنهم ولا يدفع ما كسبوا
من الاموال والاولاد شيئا من عذاب الله ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء اي
الاصنام ولهم عذاب عظيم لا يتحملونه هذا هدى الاشارة الى القرآن ويدل عليه قوله
والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز اليم وقرا ابن كثير ويعقوب وحفص برفع
اليم والرجز اشد العذاب الله الذي سخر لكم البحر بان جعله املس السطح يطفو عليه
ما يتخلل كالاخشاب ولا يمنع الغوص فيه لتجري الفلك فيه بامره بتسخيره وانتم راكبون
ولتبتغوا من فضله بالتجارة والغوص والصيد وغيرها ولعلكم تشكرون هذه النعم
وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا بان خلقها نافعة لكم منه حال من ما اي
سخر هذه الاشياء كائنة منه او خبر لمحذوف اي هي جميعا منه او لما في السموات وسخر لكم
تكرير للتاكيد او لما في الارض وقرئ منة على المفعول له ومنه على انه فاعل سخر على
الاسناد المجازي او خبر محذوف ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون في صنائعه قل
للذين آمنوا يغفروا حذف المقول لدلالة الجواب عليه والمعنى قل لهم اغفروا يغفروا اي
يعفوا ويصفحوا للذين لا يرجون ايام الله لا يتوقعون وقائعه باعدائه من قولهم
ايام العرب لوقائعهم او لا يأملون الاوقات التي وقتها الله لنصر المؤمنين وثوابهم ووعدهم
بها والآية نزلت في عمر شتمه غفاري فهم ان يبطش به وقيل انها منسوخة بآية

القتال ليجزي قوما بما كانوا يكسبون علة للامر والقوم هم المؤمنون او الكافرون او كلاهما
فيكون التنكير للتعظيم او التحقير او الشيوع والكسب المغفرة او الاساءة او ما يعمهما وقرأ
ابن عامر وحمزة والكسائي لنجزي بالنون وقرئ ليجزى قوم وليجزى قوما اي ليجزى قوما
اي ليجزى الخير او الشر او الجزاء اعني ما يجزى به لا المصدر فان الاسناد اليه سيما مع المفعول
ضعيف من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها اذ لها ثواب العمل وعليها عقابه ثم الى
ربكم ترجعون فيجازيكم على اعمالكم ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب التورية والحكم
والحكمة النظرية والعملية او فصل الخصومات والنبوة اذ كثر فيهم الانبياء ما لم يكثر في
غيرهم ورزقناهم من الطيبات مما احل من اللذائذ وفضلناهم على العالمين حيث آتيناهم
ما لم نؤت غيرهم وآتيناهم بينات من الامر ادلة في امر الدين ويندرج فيها المعجزات
وقيل آيات من امر النبي صلى الله عليه وسلم مبينة لصدقه فما اختلفوا في ذلك الامر الا من
بعد ما جاءهم العلم بحقيقة الحال بغيا بينهم عداوة وحسدا ان ربك يقضي بينهم يوم
القيمة فيما كانوا فيه يختلفون بالمؤاخذة والمجازاة ثم جعلناك على شريعة طريقة
من الامر امر الدين فاتبعها فاتبع شريعتك الثابتة بالحجج ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون
آراء الجهال التابعة للشهوات وهم رؤساء قريش قالوا له ارجع الى دين آبائك انهم لن
يغنوا عنك من الله شيئا مما اراد بك وان الظالمين بعضهم اولياء بعض اذ الجنسية علة
الانضمام فلا توالهم باتباع اهوائهم والله ولي المتقين فواله بالتقى واتباع الشريعة
هذا بصائر للناس اي القرآن او اتباع الشريعة بينات تبصرهم وجه الفلاح
من الضلال ورحمة ونعمة من الله لقوم يوقنون يطلبون اليقين ام حسب الذين
اجترحوا السيئات ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها انكار الحسبان والاجتراح الاكتساب
ومنه الجارحة ان نجعلهم ان نصيرهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات مثلهم وهو ثاني
مفعولي نجعل وقوله سواء محياهم ومماتهم بدل منه ان كان الضمير للموصول الاول لان
المماثلة فيه اذ المعنى انكار ان يكون محياهم ومماتهم سيين في البهجة والكرامة كما هو
للمؤمنين ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص سواء بالنصب على البدل او الحال من

الضمير

الضمير في الكاف والمفعولية والكاف حال وان كان للثاني فحال منه او استئناف يبين المقتضي
للانكار وان كان لهما فبدل او حال من الثاني وضمير الاول والمعنى انكار ان يستووا
بعد الممات في الكرامة او ترك المؤاخذة كما استووا في الرزق والصحة او استئناف مقرر
لتساوي محيا كل صنف ومماته في الهدى والضلال وقرئ مماتهم بالنصب على ان محياهم
ومماتهم ظرفان كمقدم الحاج ساء ما يحكمون ساء حكمهم هذا او بئس شيئا حكموا به ذلك
وخلق الله السموات والارض بالحق كأنه دليل على الحكم السابق من حيث ان خلق ذلك
بالحق المقتضي للعدل يستدعي انتصار المظلوم من الظالم والتفاوت بين المسيء والمحسن
واذا لم يكن في المحيا كان بعد الممات ولتجزى كل نفس بما كسبت عطف على بالحق لانه في معنى
العلة او على علة محذوفة مثل ليدل بها على قدرته او ليعدل ولتجزى وهم لا يظلمون
بنقص ثواب وتضعيف عذاب وتسمية ذلك ظلما ولو فعله الله لم يكن منه لانه لو فعله غيره
لكان ظلما كالابتلاء والاختبار افرأيت من اتخذ الهه هواه ترك متابعة الهدى الى
مطاوعة الهوى فكأنه يعبده وقرئ آلهة هواه لانه كان احدهم يستحسن حجرا فيعبده
فاذا رأى احسن منه رفضه اليه واضله الله وخذله على علم عالما بضلاله وفساد
جوهر روحه وختم على سمعه وقلبه فلا يبالي بالمواعظ ولا يتفكر في الآيات وجعل على
بصره غشاوة فلا ينظر بعين الاستبصار والاعتبار وقرأ حمزة والكسائي غشوة فمن
يهديه من بعد الله من بعد اضلاله افلا تذكرون وقرئ تتذكرون وقالوا ما هي ما الحيوة
او الحال الا حياتنا الدنيا التي نحن فيها نموت ونحيا اي نكون امواتا نطفا وما قبلها
ونحيى بعد ذلك او نموت بانفسنا ونحيى ببقاء اولادنا او يموت بعضنا ويحيى بعض
او يصيبنا الموت والحيوة فيها وليس وراء ذلك حيوة ويحتمل انهم ارادوا به التناسخ
فانه عقيدة اكثر عبدة الاوثان وما يهلكنا الا الدهر الا مرور الزمان وهو في الاصل
مدة بقاء العالم من دهره اذا غلبه وما لهم بذلك من علم يعني نسبة الحوادث الى حركات
الافلاك وما يتعلق بها على الاستقلال او انكار البعث او كليهما ان هم الا يظنون
اذ لا دليل لهم عليه وانما قالوه بناء على التقليد والانكار لما لم يحسوا به واذا تتلى عليهم

آياتنا بينات واضحات الدلالة على ما يخالف معتقدهم او مبينات له ما كان حجتهم
ما كان لهم متشبث يعارضونها به الا ان قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين وانما
سماه حجة على حسبانهم ومساقهم او على اسلوب قولهم تحية بينهم ضرب وجيع فانه لا يلزم
من عدم حصول الشيء حالا امتناعه مطلقا قل الله يحييكم ثم يميتكم على ما دلت عليه الحجج
ثم يجمعكم الى يوم القيمة لا ريب فيه فان من قدر على الابتداء قدر على الاعادة والحكمة
اقتضت الجمع للمجازاة على ما قررها مرارا والوعد المصدق بالآيات دل على وقوعها واذا كان
كذلك امكن الاتيان بآبائهم لكن الحكمة اقتضت ان يعادوا يوم الجمع للجزاء ولكن اكثر
الناس لا يعلمون لقلة تفكرهم وقصور نظرهم على ما يحسونه ولله ملك السموات والارض
تعميم للقدرة بعد تخصيصها ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون اي ويخسر
يوم تقوم الساعة ويومئذ بدل منه وترى كل امة جاثية مجتمعة من الجثوة وهي الجماعة
او باركة مستوفزة على الركب وقرئ جاذية اي جالسة على اطراف الاصابع لاستيفازهم
كل امة تدعى الى كتابها صحيفة اعمالها وقرأ يعقوب كل على انه بدل الاول وتدعى صفة
او مفعول ثان اليوم تجزون ما كنتم تعملون محمول على القول هذا كتابنا اضاف صحائف
اعمالهم الى نفسه لانه امر الكتبة ان يكتبوا فيها اعمالهم ينطق عليكم بالحق يشهد عليكم بما عملتم
بلا زيادة ونقصان انا كنا نستنسخ نستكتب الملائكة ما كنتم تعملون اعمالكم فاما
الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته التي من جملتها الجنة ذلك هو الفوز
المبين الظاهر لخلوصه عن الشوائب واما الذين كفروا افلم تكن آياتي تتلى عليكم اي فيقال
لهم الم يأتكم رسلي فلم تكن آياتي تتلى عليكم فحذف القول والمعطوف عليه اكتفاء بالمقصود
واستغناء بالقرينة فاستكبرتم عن الايمان بها وكنتم قوما مجرمين قوما عادتهم الاجرام
واذا قيل ان وعد الله يحتمل الموعود والمصدر حق كائن هو او متعلقه لا محالة والساعة
لا ريب فيها افراد للمقصود وقرأ حمزة بالنصب عطفا على اسم ان قلتم ما ندري
ما الساعة اي شيء الساعة استغرابا لها ان نظن الا ظنا اصله نظن ظنا
فادخل حرف النفي والاستثناء لاثبات الظن ونفي ما عداه كانه قال ما نحن

الا نظن

الا نظن ظنا او لنفي ظنهم به فيما سوى ذلك مبالغة ثم اكده بقوله وما نحن
بمستيقنين اي لامكانها ولعل ذلك قول بعضهم تحيروا بين ما سمعوا من آبائهم وما تليت
عليهم من الآيات في امر الساعة وبدا لهم ظهر لهم سيئات ما عملوا على ما كانت بان عرفوا
قبحها وعاينوا وخامة عاقبتها او جزاءها وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون وهو
الجزاء وقيل اليوم ننسيكم نترككم في العذاب ترك ما ينسى كما نسيتم لقاء يومكم
هذا كما تركتم عدته ولم تبالوا به واضافة اللقاء الى اليوم اضافة المصدر الى ظرفه
ومأواكم النار وما لكم من ناصرين يخلصونكم منها ذلكم بانكم اتخذتم آيات الله هزوا
استهزأتم بها ولم تتفكروا فيها وغرتكم الحيوة الدنيا فحسبتم ان لا حيوة سواها فاليوم
لا يخرجون منها وقرأ حمزة والكسائي بفتح الياء وضم الراء ولا هم يستعتبون يطلب منهم
ان يعتبوا ربهم اي يرضوه لفوات اوانه فلله الحمد رب السموات ورب الارض
رب العالمين اذ الكل نعمة منه الدال على كمال قدرته وله الكبرياء في السموات والارض
اذ ظهر فيها آثارها وهو العزيز الذي لا يغلب الحكيم فيما قدر وقضى فاحمدوه
وكبروه واطيعوا له عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته يوم الحساب

سورة الاحقاف مكية وآيها اربع او خمس وثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات
والارض وما بينهما الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق وهو ما تقتضيه الحكمة والمعدلة وفيه
دلالة على وجود الصانع الحكيم والبعث للمجازاة على ما قررناه مرارا واجل مسمى وبتقدير اجل
مسمى ينتهي اليه الكل وهو يوم القيمة او كل واحد وهو آخر مدة بقائه المقدر له والذين
كفروا عما انذروا من هول ذلك الوقت ويجوز ان تكون ما مصدرية معرضون لا يتفكرون
فيه ولا يستعدون لحلوله قل ارأيتم ما تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من
الارض ام لهم شرك في السموات اي اخبروني عن حال آلهتكم بعد تأمل فيها هل يعقل ان يكون
لها مدخل في انفسها في خلق شيء من اجزاء العالم فيستحق به العبادة وتخصيص الشرك بالسموات

احتراز عما يتوهم ان للوسايط شركة في ايجاد الحوادث السفلية ايتوني بكتاب
من قبل هذا من قبل هذا الكتاب يعني القرآن فانه ناطق بالتوحيد او اثارة من علم
بقية من علم بقيت عليكم من علوم الاولين هل فيها ما يدل على استحقاقهم للعبادة او
الامر به ان كنتم صادقين في دعويكم وهو الزام بعدما يدل على الوهيتهم بوجه ما
نقلا بعد الزامهم بعدم ما يقتضيها عقلا وقرئ اثارة بالكسر اي مناظرة فان المناظرة
مثيرة للمعاني واثرة اي شيء اوثرتم به واثرة بالحركات الثلث في الهمزة وسكون الثاء
فالمفتوحة للمرة من مصدر اثر الحديث اذا رواه والمكسورة بمعنى الاثرة والمضموم اسم ما
يوثر به ومن اضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له انكار ان يكون احد اضل من
المشركين حيث تركوا عبادة السميع المجيب القادر الخبير الى عبادة من لا يستجيب لهم
لو سمع دعاءهم فضلا ان يعلم سرائرهم ويراعي مصالحهم الى يوم القيمة ما دامت
الدنيا وهم عن دعائهم غافلون لانهم اما جمادات واما عباد مسخرون مشغولون
باحوالهم واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء يضرونهم ولا ينفعونهم وكانوا بعبادتهم
كافرين مكذبين بلسان الحال او المقال وقيل الضمير للعابدين وهو كقوله والله ربنا
ما كنا مشركين واذا تتلى عليهم اياتنا بينات واضحات او مبينات قال الذين كفروا
للحق لاجله وفي شانه والمراد به الايات ووضعه موضع ضميرها ووضع الذين كفروا
موضع ضمير المتلو عليهم للتسجيل عليها بالحق وعليهم بالكفر والانهماك في الضلالة
لما جاءهم من غير نظر وتامل هذا سحر مبين ظاهر بطلانه ام يقولون افتريه
اضراب عن ذكر تسميتهم اياه سحرا الى ذكر ما هو اشنع منه وانكار له وتعجيب قل
ان افتريته على الفرض فلا تملكون لي من الله شيئا اي ان عاجلني الله بالعقوبة
فلا تقدرون على دفع شيء منها فكيف اجترئ عليه واعرض نفسي للعقاب من غير توقع
نفع ولا دفع ضر من قبلكم هو اعلم بما تفيضون فيه تندفعون فيه من القدح في آياته
كفى به شهيدا بيني وبينكم يشهد لي بالصدق والبلاغ وعليكم بالكذب والانكار
وهو وعيد بجزاء افاضتهم وهو الغفور الرحيم وعد بالمغفرة والرحمة لمن تاب وآمن

حين ما جاءهم م

او اشعار

او اشعار بحلم الله عنهم مع عظم جرائمهم قل ما كنت بدعا من الرسل بديعا منهم
ادعوكم الى ما لا يدعون اليه او اقدر على ما لم يقدروا عليه وهو الاتيان بالمقترحات
كلها ونظيره الخف بمعنى الخفيف وقرئ بفتح الدال على انه كقيم او مقدر مضاف اي ذا بدع
وما ادري ما يفعل بي ولا بكم في الدارين على التفصيل اذ لا علم بالغيب ولا لتاكيد النفي
المشتمل على ما يفعل بي وما اما موصولة منصوبة او استفهامية مرفوعة وقرئ يفعل
اي يفعل الله ان اتبع الا ما يوحى الي لا اتجاوزه وهو جواب عن اقتراحهم الاخبار عما
لم يوح اليه من الغيوب او استعجال المسلمين ان يتخلصوا من اذى المشركين وما انا الا نذير
عن عقاب الله مبين بين الانذار بالشواهد المبينة والمعجزات المصدقة قل ارايتم
ان كان من عند الله اي القرآن وكفرتم به وقد كفرتم به ويجوز ان يكون الواو عاطفة
على الشرط وكذا الواو في قوله وشهد شاهد من بني اسرائيل الا انها تعطفه بما عطف
عليه على جملة ما قبله والشاهد هو عبد الله بن سلام وقيل وشهادته ما في التورية
من نعت الرسول صلى الله عليه وسلم على مثله مثل القرآن وهو ما في التورية من المعاني
المصدقة للقرآن المطابقة لها او مثل ذلك وهو كونه من عند الله فامن اي بالقرآن
لما راه من جنس الوحي مطابقا للحق واستكبرتم عن الايمان ان الله لا يهدي القوم
الظالمين استيناف مشعر بان كفرهم به لضلالهم المسبب عن ظلمهم ودليل على الجواب
المحذوف مثل الستم ظالمين وقال الذين كفروا للذين امنوا لاجلهم لو كان خيرا الايمان
او ما اتى به محمد ما سبقونا اليه وهم سقاط اذ عامتهم فقراء وموالي ورعاة وانما قاله
قريش وقيل بنو عامر وغطفان واسد واشجع لما اسلم جهينة ومزينة واسلم وغفار
وقيل اليهود حين اسلم ابن سلام واصحابه واذ لم يهتدوا به ظرف لمحذوف مثل
ظهر عنادهم وقوله فسيقولون هذا افك قديم مسبب عنه وهو كقولهم اساطير الاولين
ومن قبله ومن قبل القرآن وهو خبر لقوله كتاب موسى ناصب لقوله اماما ورحمة على الحال
وهذا كتاب مصدق لكتاب موسى او لما بين يديه وقد قرئ به لسانا عربيا حال
من ضمير كتاب في مصدق او منه لتخصصه بالصفة وعاملها معنى الاشارة وفائدتها

الاشعار بالدلالة على ان كونه مصدقا للتورية كما دل على انه حق دل على انه
وحي وتوقيف من الله تعالى وقيل مفعول مصدق اي يصدق ذا لسان عربي باعجازه
لينذر الذين ظلموا علة مصدق وفيه ضمير الكتاب او الله او الرسول ويؤيد الاخير قراءة
نافع وابن عامر والبزي بخلاف عنه ويعقوب بالتاء وبشرى للمحسنين عطف على محله
ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا جمعوا بين التوحيد الذي هو خلاصة العلم
والاستقامة في الامور التي هي منتهى العمل وثم للدلالة على تأخر رتبة العمل و
توقف اعتباره على التوحيد فلا خوف عليهم من لحوق مكروه ولا هم يحزنون على فوات
محبوب والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا
يعملون من اكتساب الفضائل العلمية والعملية وخالدين حال من المستكن في اصحاب وجزاء مصدر
لفعل دل عليه الكلام اي جوزوا جزاء ووصينا الانسان بوالديه حسنا وقرأ
الكوفيون احسانا وقرئ حسنا حملته امه كرها ووضعته كرها ذات كره او
حملا ذا كره وهي المشقة وقرأ الحجازيان وابو عمرو وهشام بالفتح وهما لغتان
كالفقر والفقر وقيل المضموم اسم والمفتوح مصدر وحمله وفصاله ومدة حمله وفصاله
والفصال الفطام ويدل عليه قراءة يعقوب وفصله او وقته والمراد به الرضاع
التام المنتهي به ولذلك عبر به كما يعبر بالامد الذي هو الغاية عن المدة وقال كل حي
مستكمل مدة العمر ومود اذا انتهى امده ثلثون شهرا كل ذلك بيان لما تكابده الام
في تربية الولد مبالغة في التوصية بها وفيه دليل على ان مدة اقل الحمل ستة اشهر
لانه اذا حط عنه للفصال حولان لقوله حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة
بقي ذلك وبه قال الاطباء ولعل تخصيص اقل الحمل واكثر الرضاع لانضباطهما وتحقق
ارتباط حكم النسب والرضاع بهما حتى اذا بلغ اشده اذا اكتهل واستحكم قوته
وعقله وبلغ اربعين سنة قيل لم يبعث نبي الا بعد اربعين قال رب اوزعني
الهمني واصله اولعني من اوزعته بكذا ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي
يعني نعمة الدين او ما يعمها وغيرها وذلك يؤيد ما روي انها نزلت في ابي بكر رضي الله عنه

عليهم

لانه

لانه لم يكن احد اسلم هو وابواه من المهاجرين والانصار سواه وان اعمل صالحا ترضاه نكره
للتعظيم او لانه اراد نوعا من الجنس يستجلب رضاء الله تعالى واصلح لي في ذريتي واجعل لي
الصلاح ساريا في ذريتي راسخا فيهم ونحوه يجرح في عراقيبها نصلي اني تبت اليك عما لا
ترضاه او يشغل عنك واني من المسلمين المخلصين لك اولئك الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا يعني
طاعاتهم فان المباح حسن ولا يثاب عليه ويتجاوز عن سيئاتهم لتوبتهم وقرأ حمزة والكسائي
وحفص بالنون فيهما في اصحاب الجنة كائنين في عدادهم او مثابين او معدودين فيهم
وعد الصدق مصدر مؤكد لنفسه فان يتقبل ويتجاوز وعد الذين كانوا يوعدون
اي في الدنيا والذي قال لوالديه اف لكما مبتدأ خبره اولئك الذين حق والمراد به الجنس وان صح
نزولها في عبد الرحمن بن ابي بكر قبل اسلامه فان خصوص السبب لا يوجب التخصيص وفي اف
قراءات ذكرت في سورة بني اسرائيل اتعدانني ان اخرج ابعث وقرأ هشام اتعداني بنون
واحدة مشددة وقد خلت القرون من قبلي فلم يرجع واحد منهم وهما يستغيثان الله
يقولان الغياث بالله منك او يسألانه ان يغيثه بالتوفيق للايمان ويلك آمن اي
يقولان له ويلك وهو دعاء بالثبور بالحث على ما يخاف على تركه ان وعد الله حق
فيقول ما هذا الا اساطير الاولين اباطيلهم التي كتبوها اولئك الذين حق عليهم القول
بانهم اهل النار وهو يرد النزول في عبد الرحمن لانه يدل على انه من اهلها لذلك وقد جب عنه
ان كان الاسلام في امم قد خلت من قبلهم كقوله في اصحاب الجنة من الجن والانس بيان
للامم انهم كانوا خاسرين تعليل للحكم على الاستيناف ولكل من الفريقين درجات مما عملوا
مراتب من جزاء ما عملوا من الخير والشر او من اجل ما عملوا والدرجات غالبة في المثوبة وههنا
جاءت على التغليب وليوفيهم اعمالهم جزاءها وقرأ نافع وحمزة والكسائي وابن ذكوان
بالنون وهم لا يظلمون بنقص ثواب وزيادة عقاب ويوم يعرض الذين كفروا
على النار يعذبون بها وقيل تعرض النار عليهم فقلب مبالغة كقولهم عرضت الناقة على
الحوض اذهبتم اي يقال لهم اذهبتم وهو ناصب اليوم وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب
بالاستفهام غير ان ابن كثير يقرأ بهمزة ممدودة وهما يقرآن بها وبهمزتين محققتين

طيباتكم لذائذكم في حياتكم الدنيا باستيفائها واستمتعتم بها فما بقي لكم
منها شيء فاليوم تجزون عذاب الهون الهوان وقد قرئ به بما كنتم تستكبرون
في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون بسبب الاستكبار الباطل والفسوق عن طاعة
الله وقرئ تفسقون بالكسر واذكر اخا عاد يعني هودا اذ انذر قومه بالاحقاف
جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشيء اذا اعوج وكانوا
يسكنون بين رمال مشرفة على البحر بالشحر من اليمن وقد خلت النذر الرسل من بين
يديه ومن خلفه قبل هود وبعده والجملة حال او اعتراض الا تعبدوا الا الله اي لا تعبدوا
او بان لا تعبدوا فان النهي عن الشيء انذار عن مضرته اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم
هائل بسبب شرككم قالوا اجئتنا لتافكنا لتصرفنا عن آلهتنا عن عبادتها فاتنا
بما تعدنا من العذاب على الشرك ان كنت من الصادقين في وعدك قال انما العلم عند الله
لا علم لي بوقت عذابكم ولا مدخل لي فيه فاستعجل به وانما علمه عند الله فياتيكم به
في وقته المقدر له وابلغكم ما ارسلت به اليكم وما على الرسول الا البلاغ ولكني
اريكم قوما تجهلون لا تعلمون ان الرسل بعثوا مبلغين منذرين لا معذبين مقترحين
فلما راوه عارضا سحابا عرض في افق السماء مستقبل اوديتهم متوجهة اوديتهم
والاضافة فيه لفظية وكذا في قوله قالوا هذا عارض ممطرنا اي ياتينا بالمطر
بل هو اي قال هود بل هو ما استعجلتم به من العذاب وقرئ قل ما استعجلتم به ريح
هي ريح ويجوز ان يكون بدل ما فيها عذاب اليم صفتها وكذا قوله تدمر تهلك
كل شيء من نفوسهم واموالهم بامر ربها اذ لا توجد نابضة حركة ولا قابضة سكون
الا بمشيته وفي ذكر الامر والرب واضافته الى الريح فوائد سبق ذكرها مرارا وقرئ
يدمر كل شيء من دمر دمارا اذا هلك فيكون العائد محذوفا والهاء في ربها ويحتمل
ان يكون استئنافا للدلالة على ان لكل ممكن فناء مقضيا لا يتقدم ولا يتاخر وتكون
الهاء لكل شيء فانه بمعنى الاشياء فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم اي فجاءتهم الريح
فدمرتهم فاصبحوا بحيث لو حضرت بلادهم لا ترى الا مساكنهم وقرا عاصم وحمزة لا يرى

الا مساكنهم بالياء المضمومة ورفع المساكن كذلك نجزي القوم المجرمين روي ان هودا
لما احس بالريح اعتزل بالمؤمنين في الحظيرة وجاءت الريح فامالت الاحقاف على الكفرة
وكانوا تحتها سبع ليال وثمانية ايام ثم كشفت عنهم واحتملتهم فقذفتهم في البحر
ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه ان نافية وهي احسن من ما هنا لانها توجب التكرير
لفظا ولذلك قلبت الفها هاء في مهما او شرطية محذوفة الجواب والتقدير ولقد
مكناهم في الارض او في شيء ان مكناكم فيه كان بغيكم اكثر او صلة كما في قوله يرجي المرء
ما ان لا يراه وتعرض دون ادناه الخطوب والاول اظهر واوفق لقوله هم احسن اثاثا
وريا كانوا اكثر منهم واشد قوة وآثارا وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة ليعرفوا تلك
النعم ويستدلوا بها على مانحها ويواظبوا على شكرها فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا
افئدتهم من شيء من الاغناء وهو القليل اذ كانوا يجحدون بآيات الله علة لما اغنى وهو
ظرف جرى مجرى التعليل من حيث ان الحكم مرتب على ما اضيف اليه وكذلك حيث وحاق بهم
ما كانوا به يستهزئون من العذاب ولقد اهلكنا ما حولكم يا اهل مكة من القرى كحجر ثمود
وقرى قوم لوط وصرفنا الآيات بتكريرها لعلهم يرجعون عن كفرهم فلولا نصرهم
الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة فهلا منعهم منه آلهتهم الذين يتقربون بهم الى الله حيث
قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله واول مفعولي اتخذوا الراجع الى الموصول المحذوف وثانيهما
قربانا وآلهة بدل او عطف بيان او آلهة وقربانا حال او مفعول له على انه بمعنى التقرب
وقرئ قربانا بضم الراء بل ضلوا عنهم غابوا عن نصرهم وامتنع ان يستنصروا بهم امتناع
الاستنصار بالضال وذلك افكهم وذلك الاتخاذ الذي هذا اثره صرفهم عن الحق
وقرئ افكهم بالتشديد للمبالغة وآفكهم اي جعلهم آفكين وآفكهم اي قولهم الافك
اي ذو الافك وما كانوا يفترون واذ صرفنا اليك نفرا من الجن املناهم اليك والنفر
دون العشرة وجمعه انفار يستمعون القرآن حال محمولة على المعنى فلما حضروه اي القرآن
او الرسول قالوا انصتوا قال بعضهم لبعض اسكتوا لنسمعه فلما قضي اتم وفرغ من
قراءته وقرئ على بناء الفاعل وهو ضمير الرسول ولوا الى قومهم منذرين اياهم بما سمعوا روي

انهم وافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادي النخلة عند منصرفه من الطائف يقرأ في تهجده
قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى قيل انما قالوا ذلك لانهم كانوا يهودا
او ما سمعوا بامر عيسى مصدقا لما بين يديه يهدي الى الحق من العقائد والى صراط مستقيم
من الشرائع يا قومنا اجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو
ما يكون في خالص حق الله فان المظالم لا تغفر بالايمان ويجركم من عذاب اليم هو معد
للكفار واحتج ابو حنيفة رحمه الله باقتصارهم على المغفرة والاجارة على ان لا ثواب لهم والاظهر
انهم في توابع التكليف كبني آدم ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض اذ لا ينجي
منه مهرب وليس له من دونه اولياء يمنعونه عنه اولئك في ضلال مبين حيث اعرضوا
عن اجابة من هذا شانه اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن
ولم يتعب ولم يعجز والمعنى ان قدرته واجبة لا تنقص ولا تنقطع بالايجاد بقادر على ان يحيي
الموتى اي قادر ويدل عليه قراءة يعقوب يقدر والباء زائدة لتاكيد النفي فانه مشتمل
على ان وما في حيزها ولذلك اجاب عنه بقوله بلى انه على كل شيء قدير تقريرا للقدرة
على وجه عام يكون كالبرهان على المقصود كانه لما صدر السورة بتحقيق المبدا اراد ختمها
باثبات المعاد ويوم يعرض الذين كفروا على النار منصوب بقول مضمر مقوله اليس هذا بالحق
والاشارة الى العذاب قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون
بكفركم في الدنيا والمعنى الامر هو الاهانة بهم والتوبيخ لهم فاصبر كما صبر اولوا العزم
من الرسل اولو الثبات والجد منهم فانك من جملتهم ومن للتبيين وقيل للتبعيض واولو
العزم اصحاب الشرائع اجتهدوا في تاسيسها وتقريرها وصبروا على تحمل مشاقها
ومعاداة الطاعنين فيها ومشاهيرهم نوح وابراهيم وموسى وعيسى
وقيل الصابرون على بلاء الله كنوح صبر على اذى قومه كانوا يضربونه
حتى يغشى عليه وابراهيم على النار وذبح ولده والذبيح على الذبح ويعقوب على
فقد الولد والبصر ويوسف على الجب والسجن وايوب على الضر وموسى قال له قومه
انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين وداود بكى على خطيئته اربعين سنة وعيسى

لم يضع

لم يضع لبنة على لبنة ولا تستعجل لهم لكفار قريش بالعذاب فانه نازل بهم
في وقته كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار استقصروا
من هوله مدة لبثهم في الدنيا حتى يحسبونها ساعة بلاغ هذا الذي وعظتم به
او هذه السورة بلاغ اي كفاية او تبليغ من الرسول صلى الله عليه وسلم ويؤيده انه
قرئ بلغ وقيل مبتدا خبره لهم وما بينهما اعتراض اي لهم وقت يبلغون اليه كانهم اذا بلغوه
وراوا ما فيه استقصروا مدة عمرهم وقرئ بالنصب اي بلغوا بلاغا فهل يهلك
الا القوم الفاسقون الخارجون عن الاتعاظ والطاعة وقرئ يهلك بفتح اللام
وكسرها من هلك وهلك ونهلك بالنون ونصب القوم عن النبي صلى الله عليه
وسلم من قرا سورة الاحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة في الدنيا

سورة محمد عليه السلام اربعون آية مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله امتنعوا عن الدخول
في الاسلام وسلوك طريقه او منعوا الناس عنه كالمطعمين يوم بدر او شياطين
قريش او المتربصين من اهل الكتاب او عام في جميع من كفر وصد اضل اعمالهم جعل
مكارمهم كصلة الرحم وفك الاسارى وحفظ الجوار ضالة اي ضائعة محبطة
بالكفر او مغلوبة مغمورة فيه كما يضل الماء في اللبن او ضلالا حيث لم يقصدوا به
وجه الله او ابطل ما عملوه من الكيد لرسوله والصد عن سبيله بنصر رسوله واظهار
دينه على الدين كله والذين آمنوا وعملوا الصالحات يعم المهاجرين والانصار
والذين آمنوا من اهل الكتاب وغيرهم وآمنوا بما نزل على محمد تخصيص للمنزل عليه
مما يجب الايمان به تعظيما له واشعارا بان الايمان لا يتم دونه وانه الاصل فيه
ولذلك اكده بقوله وهو الحق من ربهم اعتراضا على طريقة الحصر وحقيته بكونه ناسخا
لا ينسخ وقرئ نزل على البناء للفاعل وانزل على البنائين ونزل بالتخفيف كفر عنهم

سيئاتهم سترها بالايمان وعملهم الصالح واصلح بالهم حالهم في الدين والدنيا بالتوفيق
والتأييد ذلك اشارة الى ما مر من الاضلال والتكفير والاصلاح وهو مبتدأ خبره
بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم بسبب اتباع
هؤلاء الباطل واتباع هؤلاء الحق وهو تصريح بما اشعر به ما قبلها ولذلك يسمى تفسيرا
كذلك مثل ذلك الضرب يضرب الله للناس يبين لهم امثالهم احوال الفريقين
او احوال الناس او يضرب امثالهم بان جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار والاضلال
مثلا لخيبتهم واتباع الحق مثلا للمؤمنين وتكفير السيئات مثلا لفوزهم فاذا لقيتم
الذين كفروا في المحاربة فضرب الرقاب اصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل
وقدم المصدر وانيب منابه مضافا الى المفعول ضما الى التأكيد والاختصار
والتعبير به عن القتل اشعار بانه ينبغي ان يكون بضرب الرقبة حيث امكن وتصوير له باشنع
صورة حتى اذا اثخنتموهم اكثرتم قتلهم واغلظتموه من الثخين وهو الغليظ فشدوا
الوثاق فاسروهم واحفظوهم والوثاق بالفتح والكسر ما يوثق به فاما منا بعد
واما فداء اي فاما تمنون منا او تفدون فداء والمراد التخيير بعد الاسر بين المن
والاطلاق وبين اخذ الفداء وهو ثابت عندنا فان الذكر الحر المكلف اذا اسر
تخير الامام بين القتل والمن والفداء والاسترقاق منسوخ عند ابي حنيفة رحمه الله
او مخصوص بحرب بدر فانهم قالوا يتعين القتل او الاسترقاق وقرئ فدى كعصا
حتى تضع الحرب اوزارها آلاتها واثقالها التي لا يقوم الا بها كالسلاح والكراع
اي ينقضي الحرب ولم يبق الا مسلم او مسالم وقيل آثامها والمعنى حتى يضع اهل الحرب
شركهم ومعاصيهم وهو غاية للضرب او الشد او المن والفداء او المجموع بمعنى ان
هذه الاحكام جارية فيهم حتى لا يكون حرب مع المشركين بزوال شوكتهم وقيل بنزول
عيسى ذلك اي الامر ذلك او افعلوا بهم ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم لانتقم منهم
بالاستئصال ولكن ليبلو بعضكم ببعض ولكن امركم بالقتال ليبلو المؤمنين بالكافرين
بان يجاهدوهم فيستوجبوا الثواب العظيم والكافرين بالمؤمنين بان يعاجلهم على ايديهم

بعض

بعض عذابهم كي يرتدع بعضهم عن الكفر والذين قاتلوا في سبيل الله اي جاهدوا
وقرأ البصريان وحفص قتلوا اي استشهدوا فلن يضل اعمالهم فلن يضيعها وقرئ
يضل من ضل ويضل على البناء للمفعول سيهديهم الى الثواب او سيثبت هدايتهم ويصلح
بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم وقد عرفها لهم في الدنيا حتى اذا اشتاقوا اليها عملوا
ما استحقوها به او بينها لهم بحيث يعلم كل واحد منزله ويهتدي اليه كانه كان ساكنه
منذ خلق او طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة او حددها لهم بحيث يكون لكل جنة مفرزة
يا ايها الذين آمنوا ان تنصروا الله ان تنصروا دينه ورسوله ينصركم على عدوكم
ويثبت اقدامكم في القيام بحقوق الاسلام والمجاهدة مع الكفار والذين كفروا فتعسا
لهم فعثارا وانحطاطا ونقيضه لعا قال الاعشى فالتعس اولى لها من ان اقول لعا
وانتصابه بفعله الواجب اضماره سماعا والجملة خبر الذين كفروا ومفسرة لناصبه واضل
اعمالهم عطف عليه ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله القرآن لما فيه من التوحيد والتكاليف
المخالفة لما الفوه واشتهته انفسهم وهو تخصيص وتصريح بسببية الكفر بالقرآن للتعس
والاضلال فاحبط اعمالهم كرره اشعارا بانه يلزم الكفر بالقرآن ولا ينفك عنه بحال
افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم استأصل
عليهم ما اختص بهم من انفسهم واهليهم واموالهم وللكافرين من وضع الظاهر موضع
المضمر امثالها امثال تلك العاقبة او العقوبة او الهلكة لان التدمير يدل عليها
او للسنة لقوله تعالى سنة الله التي قد خلت ذلك بان الله مولى الذين آمنوا ناصرهم
على اعدائهم وان الكافرين لا مولى لهم فيدفع العذاب عنهم وهو لا يخالف قوله
ثم ردوا الى الله مولاهم الحق فان المولى فيه بمعنى المالك ان الله يدخل الذين آمنوا
وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار والذين كفروا يتمتعون ينتفعون
بمتاع الدنيا ويأكلون كما تأكل الانعام حريصين غافلين عن العاقبة والنار
مثوى لهم منزل ومقام وكاين من قرية هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك
على حذف المضاف واجراء احكامه على المضاف اليه والاخراج باعتبار التسبب

اهلكناهم بانواع العذاب فلا ناصر لهم يدفع عنهم وهو كالحال المحكية افمن كان على بينة من ربه حجة من عنده وهو القرآن او ما يعمه والحجج العقلية كالنبي والمؤمنين كمن زين له سوء عمله كالشرك والمعاصي واتبعوا اهواءهم في ذلك لا شبهة لهم عليه فضلا عن حجة مثل الجنة التي وعد المتقون اي فيما قصصنا عليك صفتها العجيبة وقيل مبتدأ وخبره كمن هو خالد وتقديره امثل اهل الجنة كمثل من هو خالد او امثل الجنة كمثل جزاء من هو خالد فعري عن حرف الانكار وحذف ما حذف استغناء بجري مثله تصويرا لمكابرة من يسوي بين المتمسك بالبينة والتابع للهوى بمكابرة من سوى بين الجنة والنار وهو على الاول خبر محذوف تقديره افمن هو خالد في هذه الجنة كمن هو خالد في النار او بدل من قوله كمن زين وما بينهما اعتراض لبيان ما يمتاز به من على بينة في الآخرة تقريرا لانكار المساواة فيها انهار من ماء غير آسن استئناف يشرح المثل او حال من العائد المحذوف او خبر لمثل وآسن من اسن الماء بالفتح اذا تغير طعمه وريحه او بالكسر على معنى الحدوث وقرأ ابن كثير اسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه لم يصر قارصا ولا خازرا وانهار من خمر لذة للشاربين لذيذة لا يكون فيها كراهة غائلة سكر وخمار تأنيث لذ او مصدر نعت به باضمار او تجوز وقرئ بالرفع على صفة الانهار والنصب على العلة وانهار من عسل مصفى لم يخالطه الشمع وفضلات النحل وغيرها وفي ذلك تمثيل لما يقوم مقام الاشربة في الجنة بانواع ما يستلذ منها في الدنيا بالتجريد عما ينقصها وينغصها والتوصيف بما يوجب غزارتها واستمرارها ولهم فيها من كل الثمرات صنف على هذا القياس ومغفرة من ربهم عطف على الصنف المحذوف او مبتدأ خبره محذوف اي لهم مغفرة كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما مكان تلك الاشربة فقطع امعاءهم من فرط الحرارة ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك يعني المنافقين كانوا يحضرون مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم ويسمعون كلامه فاذا خرجوا قالوا للذين اوتوا العلم اي لعلماء الصحابة ماذا قال آنفا ما الذي قال الساعة استهزاء او استعلاما اذ لم يلقوا له آذانهم تهاونا به

وآنفا

وآنفا من قولهم انف الشيء لما تقدم منه مستعار من الجارحة ومنه استأنف وائتنف وهو ظرف بمعنى وقتا مؤتنفا او حال من الضمير في قال اولئك الذين طبع الله على قلوبهم فاتبعوا اهواءهم فلذلك استهزءوا بها وتهاونوا بكلامه والذين اهتدوا زادهم هدى اي زادهم الله بالتوفيق والالهام او قول الرسول صلى الله عليه وسلم وآتاهم تقواهم بين لهم ما يتقون او اعانهم على تقواهم او اعطاهم جزاءها فهل ينظرون الا الساعة فهل ينتظرون غيرها ان تأتيهم بغتة بدل اشتمال من الساعة وقوله فقد جاء اشراطها كالعلة له وقرئ ان تأتهم على انه شرط مستأنف جزاؤه فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم والمعنى ان تأتهم الساعة بغتة لانه قد ظهر اماراتها كمبعث النبي صلى الله عليه وسلم وانشقاق القمر فكيف لهم ذكراهم اي تذكرهم اذا جاءتهم الساعة وح لا يفرغ له ولا ينفع فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك اي اذا علمت سعادة المؤمنين وشقاوة الكافرين فاثبت على ما انت عليه من العلم بالوحدانية وتكميل النفس باصلاح احوالها وهضمها بالاستغفار لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ولذنوبهم بالدعاء لهم والتحريض على ما يستدعي غفرانهم وفي اعادة الجار وحذف المضاف اشعار بفرط احتياجهم وكثرة ذنوبهم وانها جنس آخر فان الذنب ما له تبعة ما ترك الاولى والله يعلم متقلبكم في الدنيا فانها مراحل لا بد من قطعها ومثواكم في العقبى فانها دار الاقامة فاتقوا الله واستغفروه واعدوا لمعادكم ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة اي هلا نزلت سورة في امر الجهاد فاذا انزلت سورة محكمة مبينة لا تشابه فيها وذكر فيها القتال اي الامر به رأيت الذين في قلوبهم مرض ضعف في الدين وقيل نفاق ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت جبنا ومخافة فاولى لهم فويل لهم افعل من الولي وهو القرب او فعلى من آل ومعناه الدعاء عليهم بان يليهم المكروه او يؤول اليه امرهم طاعة وقول معروف استئناف اي امرهم طاعة او طاعة وقول معروف خير لهم او حكاية قولهم لقراءة ابي يقولون طاعة فاذا عزم الامر اي جد وهو لاصحاب الامر واسناده اليه مجاز وعامل الظرف محذوف

وقيل فلو صدقوا الله اى فيما زعموا من الحرص على الجهاد او الايمان فلو صدقوا
الله فيما زعموا من الحرص على الجهاد او الايمان لكان الصدق خيرا لهم فهل عسيتم فهل
يتوقع منكم ان توليتم امور الناس وتامرتم عليهم او اعرضتم وتوليتم عن الاسلام
ان تفسدوا فى الارض وتقطعوا ارحامكم تناحرا على الولاية وتجاذبا لها او رجوعا
الى ما كنتم عليه فى الجاهلية من التغاور ومقاتلة الاقارب والمعنى انهم لضعفهم
فى الدين وحرصهم على الدنيا احقاء بان يتوقع ذلك منهم من عرفهم ويقول لهم
هل عسيتم وهذا على لغة الحجاز فان بنى تميم لا يلحقون الضمير به وخبره ان تفسدوا
وتوليتم اعتراض وعن يعقوب توليتم اى ان تولاكم ظلمة خرجتم معهم وساعدتموهم
فى الافساد وقطيعة الرحم وتقطعوا من القطع وقرئ تقطعوا من التقطع اولئك
اشارة الى المذكورين الذين لعنهم الله لافسادهم وقطعهم الارحام فاصمهم عن استماع
الحق واعمى ابصارهم فلا يهتدون سبيله افلا يتدبرون القران يتصفحونه وما فيه من
المواعظ والزواجر حتى لا يجسروا على المعاصى ام على قلوب اقفالها لا يصل اليها
ذكر ولا ينكشف لها امر وقيل ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التقرير وتنكير القلوب
لان المراد قلوب بعض منهم او للاشعار بانها لابهام امرها فى القساوة او لفرط جهالتها
ونكرها كانها مبهمة منكورة واضافة الاقفال اليها للدلالة على اقفال مناسبة لها
مختصة بها لا تجانس الاقفال المعهودة وقرئ اقفالها على المصدر ان الذين ارتدوا
على ادبارهم الى ما كانوا عليه من الكفر من بعد ما تبين لهم الهدى بالدلائل الواضحة
والمعجزات الظاهرة الشيطان سول لهم سهل لهم اقتراف الكبائر من السول
وهو الاسترخاء وقيل حملهم على الشهوات من السول وهو التمنى وفيه ان السول
مهموز قلبت همزته لضم ما قبلها ولا كذلك التسويل ويمكن رده بقولهم هما يتساولان
وقرئ سول على تقدير مضاف اى كيد الشيطان سول لهم واملى لهم ومد لهم فى الامال
والامانى او امهلهم الله ولم يعاجلهم بالعقوبة لقراءة يعقوب واملى لهم اى وانا
املى لهم فيكون الواو للحال او الاستيناف وقرا ابو عمرو واملى لهم على البناء للمفعول

وهو ضمير

وهو ضمير الشيطان او لهم ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله اى قال اليهود للذين
كفروا بالنبى بعد ما تبين لهم نعته للمنافقين او المنافقون لهم او احد الفريقين للمشركين
سنطيعكم فى بعض الامر فى بعض اموركم او فى بعض ما تامرون به كالقعود عن الجهاد
والموافقة فى الخروج معهم والتظافر على الرسول صلى الله عليه وسلم والله يعلم اسرارهم
ومنها قولهم هذا الذى افشاه الله عليهم وقرا حمزة والكسائى وحفص اسرارهم على
المصدر فكيف اذا توفتهم الملائكة فكيف يعملون ويحتالون حينئذ وقرئ توفاهم
وهو يحتمل الماضى والمضارع المحذوف احدى تائيه يضربون وجوههم وادبارهم
تصوير لتوفيهم بما يخافون منه ويجبنون عن القتال ذلك اشارة الى التوفى الموصوف
بانهم اتبعوا ما اسخط الله من الكفر وكتمان نعت الرسول صلى الله عليه وسلم وعصيان
الامر وكرهوا رضوانه ما يرضاه من الايمان والجهاد وغيره من الطاعات فاحبط اعمالهم
لذلك ام حسب الذين فى قلوبهم مرض ان لن يخرج الله ان لن يبرز الله لرسوله والمؤمنين
اضغانهم احقادهم ولو نشاء لاريناكهم لعرفناكهم بدلائل تعرفهم باعيانهم فلعرفتهم
بسيماهم بعلاماتهم التى نسمهم بها واللام لام الجواب كررت فى المعطوف ولتعرفنهم
فى لحن القول جواب قسم محذوف ولحن القول اسلوبه او امالته الى جهة تعريض وتورية ومنه قيل
للمخطئ لاحن لانه يعدل الكلام عن الصواب والله يعلم اعمالكم فيجازيكم على حسب
قصدكم اذ الاعمال بالنيات ولنبلونكم بالامر بالجهاد وسائر التكاليف الشاقة
حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين على مشاقها ونبلو اخباركم ما يخبر به
عن اعمالكم فيظهر حسنها وقبيحها او اخبارهم عن ايمانهم وموالاتهم المؤمنين
فى صدقها وكذبها وقرا ابو بكر الافعال الثلاثة بالياء ليوافق ما قبلها وعن يعقوب
ونبلو بسكون الواو على تقدير ونحن نبلو ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله
وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى هم قريظة والنضير او المطعمون يوم بدر
لن يضروا الله شيئا بكفرهم وصدهم او لن يضروا رسول الله بمشاقته وحذف
المضاف لتعظيمه وتفظيع مشاقته وسيحبط اعمالهم ثواب حسنات اعمالهم بذلك

أو مكايدهم التي نصبوها في مشاقته فلا يصلون بها إلى مقاصدهم ولا تثمر لهم
إلا القتل والجلاء عن الأوطان يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول
ولا تبطلوا أعمالكم بما أبطل به هؤلاء كالكفر والنفاق والعجب والرياء والمن
والأذى ونحوها وليس فيه دليل على إحباط الطاعات بالكبائر إن الذين
كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم عام في كل من مات
على كفره وإن صح نزوله في أصحاب القليب ويدل بمفهومه على أنه قد يغفر لمن
لم يمت على كفره سائر ذنوبه فلا تهنوا ولا تضعفوا وتدعوا إلى السلم ولا تدعوا إلى
الصلح خوراً وتذللاً ويجوز نصبه بإضمار أن وقرئ ولا تدعوا من ادعى بمعنى
دعا وقرأ أبو بكر وحمزة بكسر السين وأنتم الأعلون الأغلبون والله معكم ناصركم
ولن يتركم أعمالكم ولن يضيع أعمالكم من وترت الرجل إذا قتلت متعلقاً له من
قريب أو حميم فأفردته عنه من الوتر شبه به تعطيل ثواب العمل وإفراده منه
إنما الحيوة الدنيا لعب ولهو لا ثبات لها وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ثواب إيمانكم
وتقواكم ولا يسألكم أموالكم جميع أموالكم بل يقتصر على جزء يسير كربع العشر وعشره
إن يسألكموها فيحفكم فيجهدكم بطلب الكل والإحفاء والإلحاف المبالغة وبلوغ الغاية
يقال أحفى شاربه إذا استأصله تبخلوا فلا تعطوا ويخرج أضغانكم ويضغنكم
على رسول الله صلى الله عليه وسلم والضمير في يخرج لله ويؤيده القراءة بالنون
أو البخل لأنه سبب الأضغان وقرئ وتخرج بالتاء والياء ورفع أضغانكم ها أنتم
هؤلاء أي أنتم يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون وقوله تدعون لتنفقوا في سبيل الله
فمنكم من يبخل استئناف مقرر لذلك أو صلة لهؤلاء على أنه بمعنى الذين وهو يعم
نفقة الغزو والزكوة وغيرهما ومن يبخل ناس يبخلون وهو كالدليل على الآية
المتقدمة فإنما يبخل عن نفسه فإن نفع الإنفاق وضرر البخل عائدان إليه والبخل
يعدى بعن وعلى لتضمنه معنى الإمساك والتعدي والله الغني وأنتم الفقراء فما يأمركم به
فهو لاحتياجكم فإن امتثلتم فلكم وإن توليتم فعليكم وإن تتولوا عطف على وإن تؤمنوا

يستبدل قوماً غيركم يقم مقامكم قوماً آخرين ثم لا يكونوا أمثالكم في التولي
والزهد في الإيمان وهم الفرس لأنه سئل عليه الصلاة والسلام وكان سلمان
إلى جنبه فضرب فخذه وقال هذا وقومه أو الأنصار أو اليمن أو الملائكة عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة محمد كان حقاً على الله أن يسقيه من أنهار الجنة

سورة الفتح تسع وعشرون آية مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً وعد بفتح مكة والتعبير عنه
بالماضي لتحققه أو بما اتفق له في تلك السنة كفتح خيبر وفدك أو إخبار عن صلح
الحديبية وإنما سماه فتحاً لأنه كان بعد ظهوره على المشركين حتى سألوا الصلح
وتسبب لفتح مكة وفرغ به رسول الله صلى الله عليه وسلم لسائر العرب فغزاهم
وفتح مواضع ودخل في الإسلام خلق عظيم وظهر له في الحديبية آية عظيمة
وهي أنه نزح ماؤها بالكلية فتمضمض ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب
جميع من كان معه أو فتح الروم فإنهم غلبوا على الفرس في تلك السنة وقد عرف
كونه فتحاً للرسول صلى الله عليه وسلم في سورة الروم وقيل الفتح بمعنى القضاء
أي قضينا لك أن تدخل مكة من قابل ليغفر لك الله علة للفتح من حيث إنه
مسبب عن جهاد الكفار والسعي في إزاحة الشرك وإعلاء الدين وتكميل النفوس
الناقصة قهراً ليصير ذلك بالتدريج اختيارياً وتخليص الضعفة عن أيدي الظلمة
ما تقدم من ذنبك وما تأخر جميع ما فرط منك مما يصح أن يعاتب عليه ويتم
نعمته عليك بإعلاء الدين وضم الملك إلى النبوة ويهديك صراطاً مستقيماً
في تبليغ الرسالة وإقامة مراسم الرياسة وينصرك الله نصراً عزيزاً نصراً فيه
عز ومنعة أو يعز به المنصور فوصف بوصفه مبالغة هو الذي أنزل السكينة
الثبات والطمأنينة في قلوب المؤمنين حتى ثبتوا حيث تقلق النفوس وتدحض
الأقدام ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم يقيناً مع يقينهم برسوخ العقيدة واطمينان

قال الله تعالى في سورة الفتح ليغفر لك الله
الآية جعل صاحب الكشاف فتح مكة علة
للغفران والبيضاوي جعل الغفران علة
للفتح فلا بد لمعنوية العلة منه وجه و
بيانه متوقف على تمهيد مقدمة وهي أن ما
يترتب على الفعل الفاعل المختار إن كان ترتبه

النفس عليها او انزل فيه السكون الى ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ليزدادوا
ايمانا بالشرايع مع ايمانهم بالله واليوم الآخر ولله جنود السموات والارض
يدبر امرها فيسلط بعضها على بعض تارة ويوقع فيما بينهم السلم اخرى كما تقتضيه
حكمته وكان الله عليما بالمصالح حكيما فيما يقدر ويدبر ليدخل المؤمنين والمؤمنات
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها علة لما بعده لما دل عليه قوله ولله جنود السموات
والارض من معنى التدبير اي دبر ما دبر من تسليط المؤمنين ليعرفوا نعمة الله فيه ويشكروها
فيدخلوا الجنة ويعذب الكفار والمنافقين لما غاظهم من ذلك او فتحنا او انزل او جميع
ما ذكر او ليزدادوا وقيل انه بدل منه بدل الاشتمال ويكفر عنهم سيئاتهم يغطيها
ولا يظهرها وكان ذلك اي الادخال والتكفير عند الله فوزا عظيما لانه منتهى
ما يطلب من جلب نفع او دفع ضر وعند حال من الفوز ويعذب المنافقين والمنافقات
والمشركين والمشركات عطف على يدخل الا اذا جعل بدلا فيكون عطفا على المبدل
الظانين بالله ظن السوء ظن الامر السوء وهو ان لا ينصر رسوله والمؤمنين عليهم دائرة
السوء دائرة ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين لا يتخطاهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو دائرة
السوء بالضم وهما لغتان غير ان المفتوح غلب في ان يضاف اليه ما يراد ذمه والمضموم
جرى مجرى الشر وكلاهما في الاصل مصدر وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم
وعطف لما استحقوه في الآخرة على ما استوجبوه في الدنيا والواو في الاخيرين والموضع
موضع الفاء اذ اللعن سبب للاعداد والغضب سبب له لاستقلال الكل في الوعيد
بلا اعتبار السببية وساءت مصيرا جهنم ولله جنود السموات والارض وكان الله
عزيزا حكيما انا ارسلناك شاهدا على امتك ومبشرا ونذيرا على الطاعة والمعصية
لتؤمنوا بالله ورسوله الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والامة او لهم على ان
خطابه منزلة خطابهم وتعزروه وتقووه بتقوية دينه ورسوله صلى الله
عليه وسلم وتوقروه وتعظموه وتسبحوه وتنزهوه او تصلوا له بكرة واصيلا
غدوة وعشيا او دائما وقرأ ابن كثير وابو عمرو الافعال الاربعة بالياء وقرئ

وتعزروه بسكون العين وتعزروه بفتح التاء وضم الزاي وكسرها وتعززوه وتوقروه
من اوقره بمعنى وقره ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله لانه المقصود ببيعته
يد الله فوق ايديهم حال او استيناف مؤكد له على سبيل التخييل فمن نكث نقض
العهد فانما ينكث على نفسه فلا يعود ضرر نكثه الا عليه ومن اوفى بما عاهد
عليه الله وفى في مبايعته فسيؤتيه اجرا عظيما هو الجنة وقرئ عهد وقرأ حفص
عليهُ الله بضم الهاء وابن كثير ونافع وابن عامر وروح فسنؤتيه بالنون والآية نزلت
في بيعة الرضوان سيقول لك المخلفون من الاعراب هم اسلم وجهينة ومزينة وغفار
استنفرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية فتخلفوا واعتلوا بالشغل
باموالهم واهاليهم وانما خلفهم الخذلان وضعف العقيدة والخوف من مقاتلة قريش
ان صدوهم شغلتنا اموالنا واهلونا اذ لم يكن لنا من يقوم باشغالهم وقرئ
بالتشديد للتكثير فاستغفر لنا من الله على التخلف يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم
تكذيب لهم في الاعتذار والاستغفار قل فمن يملك لكم من الله شيئا فمن يمنعكم من مشيئته
وقضائه ان اراد بكم ضرا ما يضركم كقتل او هزيمة وخلل في المال والاهل وعقوبة
على التخلف وقرأ حمزة والكسائي بالضم او اراد بكم نفعا ما يضاد ذلك وهو تعريض
بالرد بل كان الله بما تعملون خبيرا فيعلم تخلفكم وقصدكم فيه بل ظننتم ان لن ينقلب
الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا لظنكم ان المشركين يستأصلونهم واهلون جمع
وقد يجمع على اهلات كارضات على ان اصله اهلة واما اهال فاسم جمع كليال وزين
ذلك في قلوبهم فتمكن فيها وقرئ على البناء للفاعل وهو الله او الشيطان وظننتم
ظن السوء الظن المذكور والمراد التسجيل عليه بالسوء وهو وسائر ما يظنون بالله ورسوله
من الامور الزائغة وكنتم قوما بورا هالكين عند الله لفساد عقيدتكم وسوء نيتكم
ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا وضع الكافرين موضع الضمير
ايذانا بان من لم يجمع بين الايمان بالله ورسوله فهو كافر وانه مستوجب للسعير بكفره وتنكير
سعيرا للتهويل او لانها نار مخصوصة ولله ملك السموات والارض يدبره كيف يشاء

يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء إذ لا وجوب عليه وكان الله غفورا رحيما فإن
الغفران والرحمة من ذاته والتعذيب داخل تحت قضائه بالعرض ولذلك جاء في الحديث
الإلهي سبقت رحمتي غضبي سيقول المخلفون يعني المذكورين إذا انطلقتم إلى
مغانم لتأخذوها يعني مغانم خيبر فإنه صلى الله عليه وسلم رجع من الحديبية
في ذي الحجة من سنة ست وأقام بالمدينة بقيتها وأوائل المحرم ثم غزا خيبر بمن
شهد الحديبية وفتحها وغنم أموالا كثيرة فخصها بهم ذرونا نتبعكم يريدون أن
يبدلوا كلام الله أن يغيروه وهو وعده لأهل الحديبية أن يعوضهم من مغانم مكة
مغانم خيبر وقيل قوله لن تخرجوا معي أبدا والظاهر أنه في تبوك والكلام اسم
للتكلم غلب في الجملة المفيدة وقرأ حمزة والكسائي كلم الله وهو جمع كلمة قل لن تتبعونا
نفي في معنى النهي كذلكم قال الله من قبل تهيئهم للخروج إلى خيبر فسيقولون
بل تحسدوننا أي نشارككم في الغنائم وقرئ بالكسر بل كانوا لا يفقهون
لا يفهمون إلا قليلا إلا فهما قليلا وهو فطنتهم لأمور الدنيا ومعنى الإضراب الأول رد منهم
أن يكون حكم الله أن لا يتبعوهم وإثبات الحسد والثاني رد من الله لذلك وإثبات
لجهلهم بأمور الدين قل للمخلفين من الأعراب كرر ذكرهم بهذا الاسم مبالغة في الذم
وإشعارا بشناعة التخلف ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد بني حنيفة أو
غيرهم ممن ارتدوا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أو المشركين فإنه قال تقاتلونهم
أو يسلمون أي يكون أحد الأمرين إما المقاتلة أو الإسلام لا غير كما دل عليه قراءة أو
يسلموا ومن عداهم يقاتل حتى يسلم أو يعطي الجزية وهو يدل على إمامة أبي بكر إذ لم تتفق
هذه الدعوة لغيره إلا إذا صح أنهم ثقيف وهوازن فإن ذلك كان في عهد النبوة
وقيل فارس والروم ومعنى يسلمون ينقادون ليتناول تقبلهم الجزية فإن
تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا هو الغنيمة في الدنيا والجنة في الآخرة وإن تتولوا كما
توليتم من قبل عن الحديبية يعذبكم عذابا أليما لتضاعف جرمكم ليس على الأعمى
حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج لما أوعد على التخلف نفى الحرج

عن هؤلاء المعذورين استثناهم عن الوعيد ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات
تجري من تحتها الأنهار فصل الوعد وأجمل الوعيد مبالغة في الوعد لسبق رحمته ثم جبر
ذلك بالتكرير على سبيل التعميم فقال ومن يتول يعذبه عذابا أليما إذ الترهيب هاهنا
أنفع من الترغيب وقرأ نافع وابن عامر ندخله ونعذبه بالنون لقد رضي الله عن المؤمنين
إذ يبايعونك تحت الشجرة روي أنه صلى الله عليه وسلم لما نزل الحديبية بعث جواش بن أمية
الخزاعي إلى أهل مكة فهموا به فمنعه الأحابيش فرجع فبعث عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه
فحبسوه فأرجف بقتله فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وكانوا ألفا
وثلاثمائة أو أربعمائة أو خمسمائة وبايعهم على أن يقاتلوا قريشا ولا يفروا عنهم وكان
جالسا تحت سمرة أو سدرة فعلم ما في قلوبهم من الإخلاص فأنزل السكينة عليهم
الطمأنينة وسكون النفس بالتشجيع أو الصلح وأثابهم فتحا قريبا فتح خيبر غب انصرافهم
وقيل مكة أو هجر ومغانم كثيرة يأخذونها يعني مغانم خيبر وكان الله عزيزا حكيما
غالبا مراعيا مقتضى الحكمة وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها وهي ما يفيء على المؤمنين
إلى يوم القيامة فعجل لكم هذه يعني مغانم خيبر وكف أيدي الناس عنكم أي أيدي أهل خيبر
وحلفائهم من بني أسد وغطفان أو أيدي قريش بالصلح ولتكون هذه الكفة أو الغنيمة
آية للمؤمنين أمارة يعرفون بها أنهم من الله بمكان أو صدق الرسول في وعدهم فتح خيبر
في حين رجوعه عن الحديبية أو وعد المغانم أو عنوانا لفتح مكة والعطف على محذوف
هو علة لكف أو عجل مثل لتسلموا أو لتأخذوا أو العلة لمحذوف مثل فعل ذلك ويهديكم
صراطا مستقيما هو الثقة بفضل الله والتوكل عليه وأخرى ومغانم أخرى معطوفة
على هذه أو منصوبة بفعل يفسره مثل قضى ويحتمل رفعها بالابتداء لأنها موصوفة
وجرها بإضمار رب لم تقدروا عليها بعد لما كان فيها من الجولة قد أحاط الله بها
استولى فأظفركم بها وهي مغانم هوازن أو فارس وكان الله على كل شيء قديرا
لأن قدرته ذاتية لا تختص بشيء دون شيء ولو قاتلكم الذين كفروا من أهل مكة ولم يصالحوا
لولوا الأدبار لانهزموا ثم لا يجدون وليا يحرسهم ولا نصيرا ينصرهم سنة الله

التي قد خلت من قبل اي سن الله غلبة الانبياء سنة قديمة فيمن مضى من الامم كما
قال لاغلبن انا ورسلي ولن تجد لسنة الله تبديلا تغييرا وهو الذي كف ايديهم
عنكم ايدي كفار مكة وايديكم عنهم ببطن مكة في داخل مكة من بعد ان اظفركم عليهم
اظهركم عليهم وذلك ان عكرمة بن ابي جهل خرج في خمسمائة الى الحديبية فبعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد على جند فهزمهم حتى ادخلهم حيطان مكة ثم عاد
وقيل كان ذلك يوم الفتح واستشهد به على ان مكة فتحت عنوة وهو ضعيف اذ السورة
نزلت قبله وكان الله بما تعملون من مقاتلتهم اولا طاعة لرسول صلى الله عليه وسلم
وكفهم ثانيا لتعظيم بيته وقرأ ابو عمرو بالياء بصيرا فيجازيهم عليه هم الذين كفروا
وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفا ان يبلغ محله يدل على ان ذلك كان عام
الحديبية والهدي ما يهدى الى مكة وقرئ الهدى وهو فعيل بمعنى مفعول ومحله مكانه
الذي يحل فيه نحره والمراد مكانه المعهود وهو منى لا مكانه الذي لا يجوز ان ينحر في
غيره والا لما نحره الرسول صلى الله عليه وسلم حيث احصر فلا ينتهض حجة للحنفية
على ان مذبح هدي المحصر هو الحرم ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم
لم تعرفوهم باعيانهم لاختلاطهم بالمشركين ان تطؤهم ان توقعوا بهم وتبيدوهم
قال ووطئتنا وطأ على حنق وطء المقيد نابت الهرم قال صلى الله عليه وسلم
ان آخر وطأة وطئها الله بوج وهو واد بطائف كان آخر وقعة النبي صلى الله عليه وسلم
بها واصله الدوس وهو بدل اشتمال من رجال ونساء او من ضميرهم في تعلموهم فتصيبكم
منهم من جهتهم معرة مكروه كوجوب الدية او الكفارة بقتلهم والتأسف عليهم وتعيير
الكفار بذلك والاثم بالتقصير في البحث عنهم مفعلة من عره اذا عراه ما يكرهه بغير علم
متعلق بان تطؤهم اي تطؤهم غير عالمين بهم وجواب لولا محذوف لدلالة الكلام
عليه والمعنى لولا كراهة ان تهلكوا اناسا مؤمنين بين اظهر الكافرين جاهلين بهم فيصيبكم
باهلاكهم مكروه لما كف ايديكم عنهم ليدخل الله في رحمته علة لما دل عليه كف
الايدي عن اهل مكة صونا لمن فيها من المؤمنين اي كان ذلك ليدخل الله في رحمته اي توفيقه

لزيادة

لزيادة الخير او الاسلام من يشاء من مؤمنيهم او مشركيهم لو تزيلوا لو تفرقوا
وتميز بعضهم من بعض وقرئ تزايلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما بالقتل
والسبي اذ جعل الذين كفروا مقدر باذكر او ظرف لعذبنا او صدوكم في قلوبهم الحمية
الانفة حمية الجاهلية التي تمنع اذعان الحق فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين
فانزل عليهم الثبات والوقار وذلك ما روي انه صلى الله عليه وسلم لما هم بقتالهم
بعثوا سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص ليسألوه ان يرجع من عامه
على ان يخلي له قريش مكة من القابل ثلاثة ايام فاجابهم وكتبوا بينهم كتابا فقال صلى الله
عليه وسلم لعلي رضي الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا ما نعرف هذا اكتب
باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح رسول الله اهل مكة فقالوا لو كنا نعلم انك
رسول الله ما صددناك عن البيت وما قاتلناك اكتب هذا ما صالح محمد بن عبد الله
اهل مكة فقال صلى الله عليه وسلم اكتب ما يريدون فهم المؤمنون ان يأبوا ذلك
ويبطشوا عليهم فانزل الله السكينة عليهم فتوقروا وتحلموا والزمهم كلمة التقوى
كلمة الشهادة او بسم الله الرحمن الرحيم محمد رسول الله اختارها لهم او الثبات والوفاء
بالعهد واضافة الكلمة الى التقوى لانها سببها او كلمة اهلها وكانوا احق بها من
غيرها واهلها والمستأهل لها وكان الله بكل شيء عليما فيعلم اهل كل شيء وييسره لها
لقد صدق الله رسوله الرؤيا رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه واصحابه
دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا وقصروا فقص الرؤيا على اصحابه ففرحوا وحسبوا
ان ذلك يكون في عامهم فلما تأخر قال بعضهم والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا راينا
البيت فنزلت والمعنى صدقه في رؤياه بالحق ملتبسا فان ما رآه كائن لا محالة
في وقته المقدر له وهو العام القابل ويجوز ان يكون بالحق صفة مصدر محذوف
اي صدقا ملتبسا بالحق وهو القصد الى التمييز بين الثابت على الايمان والمتزلزل فيه
وان يكون قسما اما باسم الله او بنقيض الباطل وقوله لتدخلن المسجد الحرام جوابه
وعلى الاولين جواب قسم محذوف ان شاء الله تعليق للعدة بالمشية تعليما للعباد

او اشعارا بان بعضهم لا يدخل لموت او غيبة او حكاية لما قاله ملك الرؤيا في النوم
او النبي لاصحابه آمنين حال والشرط معترض محلقين رؤسكم ومقصرين اى
محلقا بعضكم ومقصرا آخرون لا تخافون حال مؤكدة او استيناف اى لا تخافون بعد
ذلك فعلم ما لم تعلموا من الحكمة في تاخير ذلك فجعل من دون ذلك من دون دخولكم
المسجد او فتح مكة فتحا قريبا هو فتح خيبر لتستروح اليه قلوب المؤمنين الى ان يتيسر
الموعود هو الذي ارسل رسوله بالهدى ملتبسا به او بسببه ولاجله ودين الحق
وبدين الاسلام ليظهره على الدين كله ليغلبه على جنس الدين كله بنسخ ما كان حقا
واظهار فساد ما كان باطلا او بتسليط المسلمين على اهله اذ ما من اهل دين الا وقد قهرهم
المسلمون وفيه تاكيد لما وعده من الفتح وكفى بالله شهيدا على ان ما وعده كائن او على
نبوته باظهار المعجزات محمد رسول الله جملة مبينة للمشهود به ويجوز ان يكون
رسول الله صفة ومحمد خبر محذوف او مبتدأ والذين معه معطوف عليه وخبرهما
اشداء على الكفار رحماء بينهم واشداء جمع شديد ورحماء جمع رحيم والمعنى انهم
يغلظون على من خالف دينهم ويتراحمون فيما بينهم كقوله اذلة على المؤمنين اعزة على
الكافرين تريهم ركعا سجدا لانهم مشتغلون بالصلوة في اكثر اوقاتهم يبتغون فضلا
من الله ورضوانا الثواب والرضا سيماهم في وجوههم من اثر السجود يريد السمة التي
تحدث في جباههم من كثرة السجود فعلى من سامه اذا اعلمه وقد قرئت ممدودة ومن
اثر السجود بيانها او حال من المستكن في الجار ذلك اشارة الى الوصف المذكور
او اشارة مبهمة تفسيرها كزرع مثلهم في التورية صفتهم العجيبة الشان المذكورة فيها
ومثلهم في الانجيل عطف عليه اى ذلك مثلهم في الكتابين وقوله كزرع تمثيل مستانف
وتفسير او مبتدأ وكزرع خبره اخرج شطأه فراخه يقال اشطأ الزرع اذا افرخ
وقرأ ابن كثير وابن عامر برواية ابن ذكوان شطأه بفتحات وهو لغة فيه وقرئ
شطاه بتخفيف الهمزة وشطاءه بالمد وشطه بنقل حركة الهمزة وحذفها وشطوه
بقلبها واوا فآزره فقواه من الموازرة بمعنى المعاونة او من الايزار وهي الاعانة

وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان فأزره كاجر في آجر فاستغلظ فصار
من الدقة الى الغلظ فاستوى على سوقه فاستقام على قصبه جمع ساق وعن ابن كثير
سؤقه بالهمزة يعجب الزراع بكثافته وقوته وغلظه وحسن منظره وهو مثل
ضربه الله للصحابة قلوا في بدء الاسلام ثم كثروا واستحكموا فترقى امرهم بحيث
اعجب الناس ليغيظ بهم الكفار علة لتشبيههم بالزرع في زكائه واستحكامه
او لقوله وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما
فان الكفار لما سمعوه غاظهم ذلك ومنهم للبيان عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة الفتح فكانما كان ممن شهد مع محمد فتح مكة

سورة الحجرات مدنية وآيها ثمانية عشر آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا اى لا تقدموا امرا فحذف
المفعول ليذهب الوهم الى كل ما يمكن او ترك لان المقصود نفي التقديم رأسا او لا تتقدموا
ومنه مقدمة الجيش لمتقدميهم ويؤيده قراءة يعقوب لا تقدموا وقرئ لا تقدموا من
القدوم بين يدي الله ورسوله مستعار مما بين الجهتين المسامتتين ليدي الانسان
تهجينا لما نهوا عنه والمعنى لا تقطعوا امرا قبل ان يحكما به وقيل المراد بين يدي
رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الله تعالى تعظيما له واشعارا بانه من الله بمكان
يوجب اجلاله واتقوا الله في التقديم او مخالفة الحكم ان الله سميع لاقوالكم
عليم بافعالكم يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي اى اذا كلمتموه
فلا تجاوزوا اصواتكم عن صوته ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ولا تبلغوا
به الجهر الدائر بينكم بل اجعلوا اصواتكم اخفض من صوته محاماة على الترحيب ومراعاة
للادب وقيل معناه ولا تخاطبوه باسمه وكنيته كما يخاطب بعضكم بعضا وخاطبوه
بالنبي والرسول وتكرير النداء لاستدعاء مزيد الاستبصار والمبالغة في الايقاظ
والدلالة على استقلال المنادى له وزيادة الاهتمام به ان تحبط اعمالكم كراهة

ان تحبط فيكون علة للنهي او لان تحبط على ان النهي عن الفعل المعلل باعتبار التأدية
لان في الرفع والجهر استخفافا قد يؤدي الى الكفر المحبط وذلك اذا انضم اليه قصد
الاهانة وعدم المبالاة وقد روي ان ثابت بن قيس كان في اذنه وقر وكان جهوريا
فلما نزلت تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فتفقده ودعاه فقال يا رسول الله
لقد انزلت اليك هذه الآية واني رجل جهير الصوت فاخاف ان يكون عملي قد حبط
فقال صلى الله عليه وسلم لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من اهل الجنة
وانتم لا تشعرون انها محبطة ان الذين يغضون اصواتهم يخفضونها عند رسول الله
مراعاة للادب او مخافة عن مخالفة النهي قيل كان ابو بكر وعمر رضي الله عنهما بعد ذلك
كانا يسرانه حتى يستفهما اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى جربها للتقوى
ومرنها عليها او عرفها كائنة للتقوى خالصة لها فان الامتحان سبب المعرفة
واللام صلة محذوف او للفعل باعتبار الاصل اي جرب الله قلوبهم بانواع المحن
والتكاليف الشاقة لاجل التقوى فانها لا تظهر الا بالاصطبار عليها او اخلصها
للتقوى من امتحن الذهب اذا اذابه وميز ابريزه من خبثه لهم مغفرة لذنوبهم واجر
عظيم لغضهم وسائر طاعاتهم والتنكير للتعظيم والجملة خبر ثان لان او لئك
استئناف لبيان ما هو جزاء الغاضين احمادا لحالهم كما اخبر عنهم بجملة مؤلفة من معرفين
فالمبتدأ اسم الاشارة المتضمن لما جعل عنوانا لهم والخبر الموصول بصلة دلت على
بلوغهم اقصى الكمال مبالغة في الاعتداد بغضهم والارتضاء له وتعريضا بشناعة
الرفع والجهر وان حال المرتكب لهما على خلاف ذلك ان الذين ينادونك من وراء الحجرات
من خارجها خلفها او قدامها ومن ابتدائية فان المناداة نشأت من جهة الوراء وفائدتها
الدلالة على ان المنادى داخل الحجرة اذ لا بد وان يختلف المبتدأ والمنتهى بالجهة
وقرئ الحجرات بفتح الجيم وسكونها وثلاثتها جمع حجرة وهي القطعة من الارض المحجورة
بحائط ولذلك يقال لحظيرة الابل حجرة وهي فعلة بمعنى مفعول كالغرفة والقبضة
والمراد حجرات نساء النبي صلى الله عليه وسلم وفيها كناية عن خلوته بالنساء ومناداتهم

من ورائها اما بانهم اتوها حجرة حجرة فنادوه من ورائها او بانهم تفرقوا على الحجرات
متطلبين له فاسند فعل الابعاض الى الكل وقيل ان الذي ناداه عيينة بن حصين والاقرع
بن حابس وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين رجلا من بني تميم وقت الظهيرة
وهو راقد فقالا يا محمد اخرج الينا وانما اسند الى جميعهم لانهم رضوا بذلك او امروا
به او لانه وجد فيما بينهم اكثرهم لا يعقلون اذ العقل يقتضي حسن الادب ومراعاة
الحشمة سيما لمن كان بهذا المنصب ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم اي ولو ثبت صبرهم
وانتظارهم حتى تخرج فان ان وان دلت بما في حيزها على المصدر دلت بنفسها
على الثبوت ولذلك وجب اضمار الفعل وحتى تفيد ان الصبر ينبغي ان يكون مغيا بخروجه
فان حتى مختصة بغاية الشيء في نفسه ولذلك تقول اكلت السمكة حتى رأسها ولا
تقول حتى نصفها بخلاف الى فانها عامة وفي اليهم اشعار بانه لو خرج لا لاجلهم
ينبغي ان يصبروا حتى يفاتحهم بالكلام او يتوجه اليهم لكان خيرا لهم لكان الصبر
خيرا لهم من الاستعجال لما فيه من حفظ الادب وتعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم الموجبين
للثناء والثواب والاسعاف بالمسؤول اذ روي انهم وفدوا شافعين في اسارى بني عنبر
فاطلق النصف وفادى النصف والله غفور رحيم حيث اقتصر على النصح والتقريع لهؤلاء
المسيئين للادب التاركين تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم يا ايها الذين آمنوا
ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا فتعرفوا وتفحصوا روي انه صلى الله عليه وسلم بعث
وليد بن عقبة مصدقا الى بني المصطلق وكان بينه وبينهم احنة فلما سمعوا به استقبلوه
فحسبهم مقاتليه فرجع وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد ارتدوا ومنعوا الزكوة
فهم بقتالهم فنزلت وقيل بعث اليهم خالد بن الوليد فوجدهم منادين بالصلوة متهجدين
فسلموا اليه الصدقات فرجع وتنكير الفاسق والنبأ للتعميم وفي تعليق الامر بالتبين على
فسق المخبر يقتضي جواز قبول خبر العدل من حيث ان المعلق على شيء بكلمة ان عدم عند عدمه
وان خبر الواحد لو وجب تبينه من حيث هو كذلك لما رتب على الفسق اذ الترتيب يفيد التعليل
وما بالذات لا يعلل بالغير وقرأ حمزة والكسائي فتثبتوا اي فتوقفوا الى ان يتبين لكم

الحال ان تصيبوا كراهة اصابتكم قوما بجهالة جاهلين بحالهم فتصبحوا فتصيروا
على ما فعلتم نادمين مغتمين غما لازما متمنين انه لم يقع وتركيب هذه الاحرف الثلثة
دائرة مع الدوام واعلموا ان فيكم رسول الله ان بما في حيزه ساد مسد مفعولي اعلموا
باعتبار ما قيد به من الحال وهو قوله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم فانه حال من
احد ضميري فيكم ولو جعل استئنافا لم يظهر للامر فائدة والمعنى ان فيكم رسول الله على
حال يجب تغييرها وهو انكم تريدون ان يتبع رأيكم في الحوادث ولو فعل ذلك لعنتم
اى لوقعتم في العنت وهو الجهد والهلاك من العنت وفيه اشعار بان بعضهم اشار اليه
بالايقاع ببني المصطلق وقوله ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم
وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان استدراك لبيان عذرهم وهو انهم من فرط
حبهم للايمان وكراهتهم الكفر حملهم على ذلك لما سمعوا قول الوليد او بصفة من لم يفعل
ذلك منهم احمادا لفعلهم وتعريضا بذم من فعل ويؤيده قوله اولئك هم الراشدون
اى اولئك المستثنون هم الذين اصابوا الطريق السوى وكره يتعدى بنفسه الى مفعول
واحد واذا شدد زاد له آخر لكنه لما تضمن معنى التبغيض نزل اليكم منزلة مفعول آخر
والكفر تغطية نعم الله بالجحود والفسوق الخروج عن القصد والعصيان الامتناع
عن الانقياد فضلا من الله ونعمة تعليل لكره او حبب وما بينهما اعتراض لا للراشدين
فان الفضل فعل الله والرشد وان كان مسببا من فعله مسند الى ضميرهم او مصدر
لغير فعله فان التحبيب والرشد فضل من الله وانعام والله عليم باحوال المؤمنين
وما بينهم من التفاضل حكيم حين يفضل وينعم بالتوفيق عليهم وان طائفتان من المؤمنين
اقتتلوا تقاتلوا والجمع باعتبار المعنى فان كل طائفة جمع فاصلحوا بينهما بالنصح والدعاء
الى حكم الله فان بغت احديهما على الاخرى تعدت عليها فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء
الى امر الله ترجع الى حكمه او ما امر به وانما اطلق الفيء على الظل لرجوعه بعد نسخ الشمس
والغنيمة لرجوعها من الكفار الى المسلمين فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل بفصل
ما بينهما على ما حكم الله وتقييد الاصلاح بالعدل هنا لانه مظنة الحيف من حيث انه

بعد المقاتلة واقسطوا واعدلوا في كل الامور ان الله يحب المقسطين يحمد فعلهم بحسن
الجزاء والآية نزلت في قتال حدث بين الاوس والخزرج في عهده صلى الله عليه وسلم
بالسعف والنعال وهي تدل على ان الباغي مؤمن وانه اذا قبض عن الحرب ترك كما جاء
في الحديث لانه فيء الى امر الله وانه يجب معاونة من بغي عليه بعد تقديم النصح والسعي
في المصالحة انما المؤمنون اخوة من حيث انهم منتسبون الى اصل واحد وهو الايمان
الموجب للحيوة الابدية وهو تعليل وتقرير للامر بالاصلاح ولذلك كرره مرتبا عليه
بالفاء فقال فاصلحوا بين اخويكم ووضع الظاهر موضع الضمير مضافا الى المأمورين
للمبالغة في التقرير والتخصيص وخص الاثنين بالذكر لانهما اقل من يقع بينهما الشقاق
وقيل المراد بالاخوين الاوس والخزرج وقرئ بين اخوتكم واخوانكم واتقوا الله في
مخالفة حكمه والاهمال فيه لعلكم ترحمون على تقواكم يا ايها الذين آمنوا لا يسخر
قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن اى
لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض اذ قد يكون المسخور منه خيرا عند الله من الساخر
والقوم مختص بالرجال لانه اما مصدر نعت به فشاع في الجمع او جمع لقائم كزائر وزور
والقيام بالامور وظيفة الرجال كما قال تعالى الرجال قوامون على النساء
وحيث فسر بالقبيلتين كقوم عاد وقوم فرعون فاما على التغليب او الاكتفاء بذكر الرجال عن
ذكرهن لانهن توابع واختيار الجمع لان السخرية تغلب في المجامع وعسى باسمها استيناف
بالعلة الموجبة للنهي ولا خبر لها لاغناء الاسم عنه وقرئ عسوا ان يكونوا وعسين ان يكن
فهي على هذا ذات خبر ولا تلمزوا انفسكم اى ولا يعب بعضكم بعضا فان المؤمنين
كنفس واحدة او لا تفعلوا ما تلمزون به فان من فعل ما استحق به اللمز فقد لمز نفسه واللمز
الطعن باللسان وقرئ بالضم ولا تنابزوا بالالقاب ولا يدعو بعضكم
بعضا بلقب السوء فان النبز مختص بلقب السوء عرفا بئس الاسم الفسوق بعد الايمان
اى بئس الذكر المرتفع للمؤمنين ان يذكروا بالفسق الى المؤمنين خصوصا اذ روى ان
الآية نزلت في صفية بنت حيي اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان النساء

يقلن لي يا يهودية بنت يهوديين فقال لها هلا قلت إن أبي هارون وعمي موسى
وزوجي محمد أو الدلالة على أن التنابز فسق والجمع بينه وبين الإيمان مستقبح ومن
لم يتب عما نهي عنه فأولئك هم الظالمون بوضع العصيان موضع الطاعة وتعريض
النفس للعذاب يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن كونوا منه على جانب
وإبهام الكثير ليحتاط في كل ظن ويتأمل حتى يعلم أنه من أي القبيل فإن من الظن ما يجب
اتباعه كالظن حيث لا قاطع فيه من العمليات وحسن الظن بالله وما يحرم كالظن في الإلهيات
والنبوات وحيث يخالفه قاطع وظن السوء بالمؤمنين وما يباح كالظن في الأمور
المعاشية إن بعض الظن إثم تعليل مستأنف للأمر والإثم الذنب الذي يستحق
العقوبة عليه والهمزة فيه عن الواو كأنه يثم الأعمال أي يكسرها ولا تجسسوا أي
ولا تبحثوا عن عورات المسلمين تفعل من الجس باعتبار ما فيه من معنى الطلب كالتلمس
وقرئ بالحاء من الحس الذي هو أثر الجس وغايته ولذلك قيل للحواس الجواس وفي الحديث
لا تتبعوا عورات المسلمين فإن من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في
جوف بيته ولا يغتب بعضكم بعضا ولا يذكر بعضكم بعضا بالسوء في غيبته وسئل عنه
صلى الله عليه وسلم عن الغيبة فقال أن تذكر أخاك بما يكرهه فإن كان فيه فقد اغتبته
وإن لم يكن فيه فقد بهته أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا تمثيل لما يناله المغتاب
من عرض المغتاب على أفحش وجه مع مبالغات الاستفهام المقرر وإسناد الفعل إلى
أحد للتعميم وتعليق المحبة بما هو في غاية الكراهة وتمثيل الاغتياب بأكل لحم الإنسان
وجعل المأكول أخا وميتا وتعقيب ذلك بقوله فكرهتموه تقريرا وتحقيقا لذلك
والمعنى إن صح ذلك أو عرض عليكم هذا فقد كرهتموه ولا يمكنكم إنكار كراهته وانتصاب
ميتا على الحال من اللحم أو الأخ وشدده نافع واتقوا الله إن الله تواب رحيم لمن
اتقى ما نهي عنه وتاب مما فرط منه والمبالغة في التواب لأنه بليغ في قبول التوبة
إذ يجعل صاحبها كمن لم يذنب أو لكثرة المتوب عليهم أو لكثرة ذنوبهم روي أن
رجلين من الصحابة بعثا سلمان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغي لهما إداما

وكان

وكان أسامة على طعامه فقال ما عندي شيء فأخبرهما سلمان فقالا لو بعثناه إلى بئر
سميحة لغار ماؤها فلما راحا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما ما لي أرى
خضرة اللحم في أفواهكما فقالا ما تناولنا لحما فقال إنكما قد اغتبتما فنزلت يا أيها
الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى من آدم وحواء أو خلقنا كل واحد منكم من أب وأم
فالكل سواء في ذلك فلا وجه للتفاخر بالنسب ويجوز أن يكون تقريرا للأخوة المانع
عن الاغتياب وجعلناكم شعوبا وقبائل الشعب الجمع العظيم المنتسبون إلى أصل واحد
وهو يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن تجمع الأفخاذ والفخذ
تجمع الفصائل فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ
وعباس فصيلة وقيل الشعوب بطون العجم والقبائل بطون العرب لتعارفوا ليعرف
بعضكم بعضا لا للتفاخر بالآباء والقبائل وقرئ لتعارفوا بالإدغام ولتتعارفوا
ولتعرفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم فإن التقوى بها تكمل النفوس وتتفاضل الأشخاص
فمن أراد شرفا فليلتمس منها كما قال صلى الله عليه وسلم من سره أن يكون أكرم الناس
فليتق الله وقال صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس إنما الناس رجلان مؤمن تقي كريم
على الله وفاجر شقي هين على الله إن الله عليم بكم خبير ببواطنكم قالت الأعراب
آمنا نزلت في نفر من بني أسد قدموا المدينة في سنة جدب فأظهروا الشهادتين
وكانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم أتيناك بالأثقال والعيال ولم نقاتلك
كما قاتلك بنو فلان يريدون الصدقة ويمنون قل لم تؤمنوا إذ الإيمان تصديق مع
ثقة وطمأنينة قلب ولم يحصل لكم وإلا لما مننتم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالإسلام وترك المقاتلة كما دل عليه آخر السورة ولكن قولوا أسلمنا فإن الإسلام
انقياد ودخول في السلم وإظهار الشهادتين وترك المحاربة يشعر به وكان نظم
الكلام أن يقول لا تقولوا آمنا ولكن قولوا أسلمنا أو لم تؤمنوا ولكن أسلمتم فعدل
منه إلى هذا النظم احترازا من النهي عن القول بالإيمان والجزم بإسلامهم وقد فقد شرط
اعتباره شرعا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم توقيت لقولوا فإنه حال من ضميره أي ولكن

قولوا اسلمنا ولما يواطئ قلوبكم السنتكم بعد وان تطيعوا الله ورسوله بالاخلاص
وترك النفاق لا يلتكم من اعمالكم لا ينقصكم من اجورها شيئا من لات ليتا اذا
نقص وقرا البصريان لا يالتكم من الالت وهو لغة غطفان ان الله غفور لما فرط
من المطيعين رحيم بالتفضل عليهم انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا
لم يشكوا من ارتاب مطاوع رابه اذا اوقعه في الشك مع التهمة وفيه اشارة الى ما
اوجب نفي الايمان عنهم وثم للاشعار بان اشتراط عدم الارتياب في اعتبار الايمان
ليس حال الايمان فقط بل وفيما يستقبل فهي كما في قوله ثم استقاموا وجاهدوا
باموالهم وانفسهم في سبيل الله في طاعته والمجاهدة بالاموال والانفس تصلح للعبادات
المالية والبدنية باسرها اولئك هم الصادقون الذين صدقوا في ادعاء الايمان
قل اتعلمون الله بدينكم اتخبرونه به بقولكم آمنا والله يعلم ما في السموات وما في الارض
والله بكل شيء عليم لا يخفى عليه خافية وهو تجهيل لهم وتوبيخ روي انه لما نزلت الآية
المتقدمة جاؤوا وحلفوا انهم مؤمنون معتقدون فنزلت هذه الآية يمنون عليك
ان اسلموا يعدون اسلامهم عليك منة وهي النعمة التي لا يستثيب موليها ممن نزلها
اليه من المن بمعنى القطع لان المقصود بها قطع حاجته وقيل النعمة الثقيلة من المن
قل لا تمنوا علي اسلامكم اي باسلامكم فنصب بنزع الخافض او تضمين الفعل معنى
الاعتداد بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان على ما زعمتم مع ان الهداية لا تستلزم
الاهتداء وقرئ ان هداكم بالكسر واذ هداكم ان كنتم صادقين في ادعاء الايمان
وجوابه محذوف يدل عليه ما قبله اي فلله المنة عليكم وفي سياق الآية لطف وهو انهم
لما سموا ما صدر عنهم ايمانا ومنوا به فنفى انه ايمان وسماه اسلاما بان قال يمنون
عليك بما هو في الحقيقة اسلام وليس بجدير ان يمن عليك بل لو صح ادعاؤهم للايمان
فلله المنة عليهم بالهداية له لا لهم ان الله يعلم غيب السموات والارض ما غاب فيهما
والله بصير بما تعملون في سركم وعلانيتكم فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم وقرا
ابن كثير بالياء لما في الآية من الغيبة عن النبي صلى الله عليه وسلم

ومن قرا

من قرا سورة الحجرات اعطي من الاجر بعدد من اطاع الله وعصاه

سورة ق مكية وهي خمس واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ق والقرآن المجيد الكلام فيه كما مر في ص والقرآن
ذي الذكر والمجيد ذو المجد والشرف على سائر الكتب او لانه كلام المجيد او لان من علم
معانيه وامتثل احكامه مجد بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم انكار لتعجبهم مما ليس
بعجب وهو ان ينذرهم احد من جنسهم او من ابناء جلدتهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب
حكاية لتعجبهم وهذا اشارة الى اختيار الله محمدا صلى الله عليه وسلم للرسالة
واضمارهم ثم ذكرهم ثم اظهاره للاشعار بتعينهم لهذا المقال ثم التسجيل على كفرهم بذلك
او عطف لتعجبهم من البعث على تعجبهم من البعثة والمبالغة فيه بوضع الظاهر موضع ضميرهم
وحكاية تعجبهم مبهما ان كانت الاشارة الى مبهم يفسره ما بعده او مجملا ان كانت الاشارة
الى محذوف دل عليه منذر ثم تفسيره او تفصيله لانه ادخل في الانكار اذ الاول
استبعاد لان يفضل عليهم مثلهم والثاني استقصار لقدرة الله عما هو اهون مما يشاهدون
من صنعه أئذا متنا وكنا ترابا اي انرجع اذا متنا وصرنا ترابا وما يدل على المحذوف
قوله ذلك رجع بعيد اي بعيد عن الوهم او العادة او الامكان وقيل الرجع بمعنى
المرجوع قد علمنا ما تنقص الارض منهم ما تاكل من اجساد موتاهم وهو رد لاستبعادهم
بازاحة ما هو الاصل فيه وقيل انه جواب القسم واللام محذوف لطول الكلام وعندنا
كتاب حفيظ حافظ لتفاصيل الاشياء كلها او محفوظ عن التغيير والمراد اما تمثيل علمه
بتفاصيل الاشياء بعلم من عنده كتاب محفوظ يطالعه او تاكيد لعلمه بها بثبوتها
في اللوح المحفوظ عنده بل كذبوا بالحق يعني النبوة الثابتة بالمعجزات او النبي
او القرآن لما جاءهم وقرئ لما بالكسر فهم في امر مريج مضطرب من مرج الخاتم
في اصبعه اذا خرج وذلك قولهم تارة انه شاعر وتارة انه ساحر وتارة انه كاهن
افلم ينظروا حين كفروا بالبعث الى السماء فوقهم الى آثار قدرة الله في خلق العالم

كيف بنيناها رفعناها بلا عمد وزيناها بالكواكب وما لها من فروج فتوق بان خلقها ملساء متلاصقة الطباق والارض مددناها بسطناها والقينا فيها رواسي جبالا ثوابت وانبتنا فيها من كل زوج من كل صنف بهيج حسن تبصرة وذكرى لكل عبد منيب راجع الى ربه متفكر في بدايع صنعه وهما علتان للافعال المذكورة معنى وان انتصبتا عن الفعل الاخير ونزلنا من السماء ماء مباركا كثير المنافع فانبتنا به جنات اشجارا وثمارا وحب الحصيد وحب الزرع الذي من شانه ان يحصد كالبر والشعير والنخل باسقات طوالا او حوامل من ابسقت الشاة اذا حملت فيكون من افعل فهو فاعل وافرادها بالذكر لفرط ارتفاعها وكثرة منافعها وقرئ باصقات لاجل القاف لها طلع نضيد منضود بعضه فوق بعض والمراد تراكم الطلع او كثرة ما فيه من الثمر رزقا للعباد علة لانبتنا او مصدر فان الانبات رزق واحيينا به بذلك الماء بلدة ميتا ارضا جدبة لا نماء فيها كذلك الخروج كما حييت هذه البلدة يكون خروجكم احياء بعد موتكم كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون اراد بفرعون اياه وقومه ليلائم ما قبله وما بعده واخوان لوط سماهم اخوانه لانهم كانوا اصهاره واصحاب الايكة وقوم تبع سبق في الحجر والدخان كل كذب الرسل اي كل واحد او قوم منهم او جميعهم وافراد الضمير لافراد لفظ الكل فحق وعيد فوجب وحل عليهم وعيدي وفيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم افعيينا بالخلق الاول افعجزنا عن الابداء حتى نعجز عن الاعادة من عيي بالامر اذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة فيه للانكار بل هم في لبس من خلق جديد اي هم لا ينكرون قدرتنا على الخلق الاول بل هم في خلط وشبهة في خلق مستانف لما فيه من مخالفة العادة وتنكير الخلق الجديد لتعظيم شانه والاشعار بانه على وجه غير متعارف ولا معتاد ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ما تحدثه به نفسه وهو ما يخطر بالبال والوسوسة الصوت الخفي ومنها وسواس الحلي والضمير لما ان جعلت موصولة والباء مثلها في صوت بكذا او للانسان ان جعلت مصدرية والباء للتعدية ونحن اقرب اليه

من حبل

من حبل الوريد اي ونحن اعلم بحاله ممن كان اقرب اليه من حبل الوريد تجوز بقرب الذات لقرب العلم لانه موجبه وحبل الوريد مثل في القرب والموت ادنى لي من الوريد والحبل العرق واضافته للبيان والوريدان عرقان مكتنفان بصفحتي العنق في مقدمها متصلان بالوتين يردان من الراس اليه وقيل سمي وريدا لان الروح يرده اذ يتلقى المتلقيان مقدر باذكر ومتعلق باقرب اي هو اعلم بحاله من كل قريب حين يتلقى اي يتلقن الحفيظان ما يتلفظ به وفيه ايذان بانه غني عن استحفاظ الملكين فانه اعلم منهما ومطلع على ما يخفى عليهما لكنه لحكمة اقتضته وهي ما فيه من تشديد يثبط العبد عن المعصية وتاكيد في اعتبار الاعمال وضبطها للجزاء والزام للحجة يوم يقوم الاشهاد عن اليمين وعن الشمال قعيد اي عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد اي مقاعد كالجليس فحذف الاول لدلالة الثاني عليه كقوله واني وقيار بها لغريب وقيل يطلق الفعيل للواحد والمتعدد كقوله والملائكة بعد ذلك ظهير ما يلفظ من قول الا لديه رقيب ملك يرقب عمله عتيد معد حاضر ولعله يكتب عليه ما فيه ثواب وعقاب وفي الحديث كاتب الحسنات امير على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر وجاءت سكرة الموت بالحق لما ذكر استبعادهم البعث للجزاء وازاح ذلك بتحقيق قدرته وعلمه اعلمهم بانهم يلاقون ذلك عن قريب عند الموت وقيام الساعة ونبه على اقترابه بان عبر عنه بلفظ الماضي وسكرة الموت شدته الذاهبة بالعقل والباء للتعدية كما في قولك جاء زيد بعمرو والمعنى واحضرت سكرة الموت حقيقة الامر او الموعود الحق او الحق الذي ينبغي ان يكون من الموت او الجزاء فان الانسان خلق له او مثل الباء في تنبت بالدهن وقرئ سكرة الحق بالموت على انها لشدتها اقتضت الزهوق او لاستعقابها له كانها جاءت به او على ان الباء بمعنى مع وقيل سكرة الموت سكرة الله واضافتها اليه للتهويل وقرئ سكرات الموت ذلك اي الموت ما كنت منه تحيد تميل وتنفر عنه والخطاب

للانسان ونفخ في الصور يعني نفخة البعث ذلك يوم الوعيد اي وقت ذلك
يوم تحقق الوعيد وانجازه والاشارة الى المصدر نفخ وجاءت كل نفس معها سائق
وشهيد ملكان احدهما يسوقه والآخر يشهد بعمله او ملك جامع للوصفين وقيل
السائق كاتب السيئات والشهيد كاتب الحسنات وقيل السائق نفسه او قرينه
والشهيد جوارحه او اعماله ومحل معها نصب على الحال من كل لاضافته الى ما هو
في حكم المعرفة لقد كنت في غفلة من هذا على اضمار القول والخطاب لكل نفس اذ ما
من احد الا وله اشتغال ما عن الآخرة او للكافر فكشفنا عنك غطاءك الغطاء
الحاجب لامور المعاد وهو الغفلة والانهماك في المحسوسات والالف بها وقصور النظر
عليها فبصرك اليوم حديد نافذ لزوال المانع للابصار وقيل الخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى كنت في غفلة من امر الديانة فكشفنا عنك غطاء الغفلة
بالوحي وتعليم القرآن فبصرك اليوم حديد ترى ما لا يرون وتعلم ما لا يعلمون ويؤيد
الاول قراءة من كسر التاء والكافات على خطاب النفس وقال قرينه قال الملك الموكل عليه
هذا ما لدي عتيد هذا ما هو مكتوب عندي حاضر لدي او الشيطان الذي قيض له
هذا ما عندي وفي ملكتي عتيد لجهنم هيأته لها باغوائي واضلالي وما ان جعلت
موصوفة فعتيد صفتها وان جعلت موصولة فبدلها او خبر بعد خبر او خبر محذوف القيا
في جهنم كل كفار خطاب من الله للسائق والشهيد او للملكين من خزنة النار او لواحد
وتثنية الفاعل منزلة منزلة تثنية الفعل وتكريره كقوله فان تزجراني يا ابن عفان انزجر
وان تدعاني احم عرضا ممنعا او الالف بدل من نون التاكيد على اجراء الوصل مجرى
الوقف ويؤيده انه قرئ القين بالنون الخفيفة عنيد معاند للحق مناع للخير كثير المنع
للمال عن حقوقه المفروضة وقيل المراد بالخير الاسلام فان الآية نزلت في الوليد بن
المغيرة لما منع بني اخيه عنه معتد متعد مريب شاك في الله وفي دينه الذي جعل
مع الله الها آخر مبتدأ متضمن معنى الشرط فالقياه في العذاب الشديد او بدل من كل
كفار فيكون فالقياه تكريرا للتوكيد او مفعول لمضمر يفسره فالقياه قال قرينه

اي الشيطان المقيض له وانما استؤنفت كما استؤنف الجمل الواقعة في حكاية التقاول
فانه جواب لمحذوف دل عليه ربنا ما اطغيته كان الكافر قال هو اطغاني فقال قرينه
ربنا ما اطغيته بخلاف الاولى فانها واجبة العطف على ما قبلها للدلالة على الجمع
بين مفهوميهما في الحصول اعني مجيء كل نفس مع الملكين وقوله قرينه ولكن كان في ضلال
بعيد فاعنته عليه فان اغواء الشيطان انما يؤثر فيمن كان مختل الرأي مائلا الى الفجور
كما قال وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي قال اي الله لا تختصموا
لدي اي في موقف الحساب فانه لا فائدة فيه فهو استئناف مثل الاول وقد قدمت
اليكم بالوعيد على الطغيان في كتبي وعلى السنة رسلي فلم يبق لكم حجة وهو حال فيه تعليل
للنهي اي لا تختصموا عالمين باني اوعدتكم والباء مزيدة او معدية على ان قدم بمعنى تقدم
ويجوز ان يكون بالوعيد حالا والفعل واقعا على قوله ما يبدل القول لدي اي بوقوع
الخلف فيه فلا تطمعوا ان ابدل وعيدي وعفو بعض المذنبين لبعض الاسباب ليس من التبديل
فان دلائل العفو تدل على تخصيص الوعيد وما انا بظلام للعبيد فاعذب من ليس
لي تعذيبه يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد سؤال وجواب جيء بهما
للتخييل والتصوير والمعنى انها مع اتساعها يطرح فيها الجنة والناس فوجا فوجا حتى تمتلي
لقوله لاملأن او انها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها فراغ او انها من شدة
زفيرها وحدتها وتشبثها بالعصاة كالمستكثرة لهم والطالبة لزيادتهم وقرأ نافع وابو بكر
يقول بالياء والمزيد اما مصدر كالمجيد او مفعول كالمبيع ويوم مقدر باذكر او ظرف
لنفخ فيكون ذلك اشارة اليه فلا يفتقر الى تقدير مضاف وازلفت الجنة للمتقين
قربت لهم غير بعيد مكانا غير بعيد ويجوز ان يكون حالا وتذكيره لانه صفة محذوف
اي شيئا غير بعيد او على زنة المصدر او لان الجنة بمعنى البستان هذا ما توعدون
على اضمار القول والاشارة الى الثواب او مصدر ازلفت وقرأ ابن كثير بالياء لكل
اواب رجاع الى الله بدل من المتقين باعادة الجار حفيظ حافظ لحدوده من خشي
الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب بدل بعد بدل من موصوف اواب ولا يجوز ان يكون

في حكمه لان من لا يوصف به او مبتدأ خبره ادخلوها على تأويل يقال لهم ادخلوا
فان من بمعنى الجمع وبالغيب حال من الفاعل او المفعول او صفة لمصدر اي خشية ملتبسة
بالغيب حيث خشي عقابه وهو غائب او العقاب بعد غيب وهو غائب عن الاعين لا يراه
احد وتخصيص الرحمن للاشعار بانهم رجوا رحمته وخافوا عقابه او بانهم ذو خشية
مع علمهم بسعة رحمته ووصف القلب بالانابة اذ الاعتبار برجوعه الى الله بسلام
سالمين من العذاب وزوال النعم او مسلما عليكم من الله وملائكته ذلك يوم الخلود
يوم تقدير الخلود كقوله فادخلوها خالدين لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد وهو ما لا يخطر
ببالهم مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وكم اهلكنا قبلهم قبل قومك
من قرن هم اشد منهم بطشا قوة كعاد وفرعون فنقبوا في البلاد فخرقوا في البلاد
وتصرفوا فيها او جالوا في الارض كل مجال حذر الموت فالفاء على الاول للتسبيب
وعلى الثاني لمجرد التعقيب واصل التنقيب التنقير عن الشيء والبحث عنه هل من محيص
اي لهم من الله او من الموت وقيل الضمير في نقبوا لاهل مكة اي ساروا في اسفارهم في
بلاد القرون فهل راوا لهم محيصا حتى يتوقعوا مثله لانفسهم ويؤيده انه قرئ
فنقبوا على الامر وقرئ فنقبوا بالكسر من النقب وهو ان ينتقب خف البعير اي اكثروا
السير حتى نقبت اقدامهم واخفاف مراكبهم ان في ذلك فيما ذكر في هذه السورة لذكرى
لتذكرة لمن كان له قلب اي قلب واع يتفكر في حقايقه او القى السمع او اصغى لاستماعه
وهو شهيد حاضر بذهنه ليفهم معانيه او شاهد بصدقه فيتعظ بظواهره وينزجر
بزواجره وفي تنكير القلب وابهامه تفخيم واشعار بان كل قلب لا يتفكر ولا يتدبر
ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام مر تفسيره مرارا وما مسنا
من لغوب من تعب واعياء وهو رد لما زعمت اليهود من انه تعالى بدا خلق العالم
يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش فاصبر
على ما يقولون ما يقول المشركون من انكارهم البعث فان من قدر على خلق العالم يوم الاحد
بلا اعياء قدر على بعثهم والانتقام منهم او مما يقول اليهود من الكفر والتشبيه وسبح

بحمد ربك ونزهه عن العجز عما يمكن والوصف بما يوجب التشبيه حامدا له على ما انعم
عليك من اصابة الحق وغيرها قبل طلوع الشمس وقبل الغروب يعني الفجر والعصر
وقد عرفت فضيلة الوقتين ومن الليل فسبحه وسبحه بعض الليل وادبار السجود
واعقاب الصلوة جمع دبر من ادبرت الصلوة اذا انقضت وتمت ومعناه وقت انقضاء
السجود كقولهم آتيك خفوق النجم وقرأ بالكسر الحجازيان وحمزة وخلف وقيل المراد بالتسبيح
الصلوة فالصلوة قبل طلوع الفجر الصبح وقبل الغروب الظهر والعصر ومن الليل
العشاآن والتهجد وادبار السجود النوافل بعد المكتوبات وقيل الوتر بعد العشاء
واستمع لما اخبرك به من احوال القيمة وفيه تهويل وتعظيم للمخبر به يوم يناد المناد
اسرافيل او جبريل فيقول ايتها العظام البالية واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة
ان الله يامركن ان تجتمعن لفصل القضاء من مكان قريب بحيث يصل نداؤه الى الكل على
سواء ولعله في الاعادة نظير كن في الابداء ويوم نصب بما دل عليه يوم الخروج يوم
يسمعون الصيحة بدل منه والصيحة النفخة الثانية بالحق متعلق بالصيحة والمراد به البعث
للجزاء ذلك يوم الخروج من القبور وهو من اسماء يوم القيمة وقد يقال للعيد سمي يوم العيد
يوم الخروج ايضا تشبيها به انا نحن نحيي ونميت في الدنيا والينا المصير للجزاء في الآخرة
يوم تشقق تتشقق وقرأ الكوفيون وابو عمرو بالتخفيف وقرئ يشقق بادغام التاء
في الشين الارض عنهم سراعا مسرعين ذلك حشر بعث وجمع علينا يسير هين وتقديم الظرف
للاختصاص فان ذلك لا يتيسر الا على العالم القادر لذاته الذي لا يشغله شان
عن شان كما قال ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة نحن اعلم بما يقولون تسلية لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم وما انت عليهم بجبار بمسلط تقسرهم على الايمان او تفعل
بهم ما تريد وانما انت داع فذكر بالقران من يخاف وعيد فانه لا ينتفع به غيره
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ق هون الله عليه تارات الموت وسكراته

سورة والذاريات مكية وآيها ستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم والذاريات ذروا يعني الرياح تذرو التراب وغيره
او النساء الولود فانهن يذرين الاولاد او الاسباب التي تذري الخلائق من الملائكة وغيرهم
وقرأ ابو عمرو وحمزة بادغام التاء في الذال فالحاملات وقرا فالسحب الحاملة للامطار
او الرياح الحاملة للسحاب او النساء الحوامل او اسباب ذلك وقرئ وقرا على تسمية المحمول
بالمصدر فالجاريات يسرا فالسفن الجارية في البحر سهلا او الرياح الجارية في مهابها
او الكواكب التي تجري في منازلها ويسرا صفة مصدر محذوف اي جريا ذا يسر فالمقسمات
امرا الملائكة تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرها او ما يعمهم وغيرهم من
اسباب القسمة او الرياح يقسمن الامطار بتصريف السحاب فان حملت على ذوات مختلفة
فالفاء لترتيب الاقسام بها باعتبار ما بينها من التفاوت في الدلالة على كمال القدرة
والا فالفاء لترتيب الافعال اذ الريح مثلا تذرو الابخرة الى الجو حتى تنعقد
سحابا فتحمله فتجري به باسطة له الى حيث امرت به فتقسم المطر انما توعدون لصادق
وان الدين لواقع جواب للقسم كانه استدل باقتداره على هذه الاشياء العجيبة
المخالفة لمقتضى الطبيعة على اقتداره على البعث الموعود وما موصولة او مصدرية
والدين الجزاء والواقع لحاصل والسماء ذات الحبك ذات الطرائق والمراد اما
الطرائق المحسوسة التي هي مسير الكواكب او المعقولة التي يسلكها النظار ويتوصل بها
الى المعارف او النجوم فان لها طرائق او انها تزينها كما تزين الموشى طرائق الوشي جمع
حبيكة كطريقة وطرق او حباك كمثال ومثل وقرئ الحبك بالسكون والحبك كالابل
والحبك كالسلك والحبك كالجبل والحباك كالنعم والحبك كالبرق انكم لفي قول مختلف
في الرسول صلى الله عليه وسلم وهو قولهم تارة انه شاعر وتارة انه ساحر وتارة انه مجنون
او في القرآن او في القيامة او امر الديانة ولعل النكتة في هذا القسم تشبيه اقوالهم
في اختلافها وتنافي اغراضها بالطرائق للسموات في تباعدها واختلاف غاياتها
يؤفك عنه من افك يصرف عنه الضمير للرسول والقرآن او الايمان من صرف اذ لا صرف
اشد منه فكانه لا صرف بالنسبة اليه او يصرف من صرف في علم الله وقضائه ويجوز

ان يكون

ان يكون الضمير للقول على معنى يصدر افك من افك عن القول المختلف وبسببه كقوله ينهون
عن اكل وشرب اي يصدر تناهيهم عنهما وبسببهما وقرئ افك بالفتح اي من افك الناس عنه
وهم قريش كانوا يصدون الناس عن الايمان قتل الخراصون الكذابون من اصحاب القول المختلف
واصله الدعاء بالقتل اجري مجرى اللعن الذين هم في غمرة في جهل يغمرهم ساهون
غافلون عما امروا به يسألون ايان يوم الدين اي فيقولون متى يوم الجزاء اي وقوعه
وقرئ ايان بالكسر يوم هم على النار يفتنون يحرقون جواب للسؤال اي يقع يوم هم على
النار يفتنون او هو يوم هم على النار يفتنون وفتح يوم لاضافته الى غير متمكن ويدل عليه انه
قرئ بالرفع ذوقوا فتنتكم اي مقولا لهم هذا القول هذا الذي كنتم به تستعجلون
هذا العذاب هو الذي كنتم به تستعجلون ويجوز ان يكون هذا بدلا من فتنتكم والذي صفته
ان المتقين في جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم قابلين لما اعطاهم راضين به ومعناه
ان كل ما آتاهم حسن مرضي متلقى بالقبول انهم كانوا قبل ذلك محسنين قد احسنوا
اعمالهم وهو تعليل لاستحقاقهم ذلك كانوا قليلا من الليل ما يهجعون تفسير لاحسانهم
وما مزيدة اي يهجعون في طائفة من الليل او يهجعون هجوعا قليلا او مصدرية او موصولة
اي في قليل من الليل هجوعهم او ما يهجعون فيه ولا يجوز ان تكون نافية لان ما بعدها لا يعمل
فيما قبلها وفيه مبالغات لتقليل نومهم واستراحتهم ذكر القليل والليل الذي هو وقت
السبات والهجوع الذي هو الغرار من النوم وزيادة ما وبالاسحار هم يستغفرون اي انهم
مع قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم اذا اسحروا اخذوا في الاستغفار كانهم اسلفوا في
ليلهم الجرائم وفي بناء الفعل على الضمير اشعار بانهم احقاء بذلك لوفور علمهم بالله وخشيتهم
منه وفي اموالهم حق نصيب يستوجبونه على انفسهم تقربا الى الله واشفاقا على
الناس للسائل والمحروم للمستجدي والمتعفف الذي يظن غنيا فيحرم الصدقة
وفي الارض آيات للموقنين اي فيها دلائل من انواع المعادن والحيوان او وجوه
دلالات من الدحو والسكون وارتفاع بعضها عن الماء واختلاف اجزائها في الكيفيات
والخواص والمنافع تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته وارادته ووحدته وفرط

رحمة وفي انفسكم اى وفي انفسكم آيات اذ ما في العالم شيء الا وفي الانسان
له نظير يدل دلالته مع ما انفرد به من الهيئات النافعة والمناظر البهية والتركيبات
العجيبة والتمكن من الافعال الغريبة واستنباط الصنائع المختلفة واستجماع الكمالات
المتنوعة افلا تبصرون تنظرون نظر من يعتبر وفي السماء رزقكم اسباب رزقكم
او تقديره وقيل المراد بالسماء السحاب وبالرزق المطر فانه سبب الارزاق وما توعدون
من الثواب لان الجنة فوق السماء السابعة او لان الاعمال وثوابها مكتوبة مقدرة
في السماء وقيل انه مستانف خبره فورب السماء والارض انه لحق وعلى هذا فالضمير
لما وعلى الاول يحتمل ان يكون له ولما ذكر من امر الآيات والرزق والوعد مثل ما انكم
تنطقون اى مثل نطقكم كما انه لا شك لكم في انكم تنطقون ينبغي ان لا تشكوا في تحقق
ذلك ونصبه على الحال من المستكن في لحق او الوصف لمصدر محذوف اى انه لحق حقا مثل
نطقكم وقيل انه مبني على الفتح لاضافته الى غير متمكن وهو ما ان كانت بمعنى شيء
وان بما في حيزها ان جعلت زائدة ومحله الرفع على انه صفة لحق ويؤيده قراءة حمزة
والكسائي وابو بكر بالرفع هل اتيك حديث ضيف ابرهيم فيه تفخيم لشان الحديث
وتنبيه على انه اوحي اليه والضيف في الاصل مصدر ولذلك يطلق للواحد والمتعدد
قيل كانوا اثني عشر ملكا وقيل ثلثة جبريل وميكائيل واسرافيل وسماهم ضيفا
لانهم كانوا في صورة الضيف المكرمين اى في مكرمين عند الله وعند ابرهيم اذ خد
مهم بنفسه وزوجته اذ دخلوا عليه ظرف للحديث او الضيف او المكرمين فقالوا
سلاما اى نسلم عليكم سلاما قال سلام اى عليكم سلام عدل به الى الرفع بالاثبات
لقصد الثبات حتى تكون تحيته احسن من تحيتهم وقرئا مرفوعين وقرأ حمزة والكسائي
قال سلم وقرئ منصوبا والمعنى واحد قوم منكرون اى انتم قوم منكرون وانما انكرهم
لانه ظن انهم بنو آدم ولم يعرفهم او لان السلام لم يكن تحيتهم فانه علم الاسلام
وهو كالتعرف عنهم فراغ الى اهله فذهب اليهم في خفية من ضيفه فان من ادب
المضيف ان يبادره بالقرى حذرا من ان يكفه الضيف او يصير منتظرا فجاء بعجل سمين

لانه

لانه كان عامة ماله البقر فقربه اليهم بان وضعه بين يديهم قال الا تاكلون
اى منه وهو مشعر بكونه حنيذا والهمزة فيه للعرض والحث على الاكل على طريقة الادب
ان قاله اول ما وضعه وللانكار ان قاله حينما راى اعراضهم فاوجس منهم خيفة
فاضمر منهم خوفا لما راى اعراضهم عن طعامه لظنه انهم جاؤوه لشر وقيل وقع في
نفسه انهم ملائكة ارسلوا للعذاب قالوا لا تخف انا رسل الله قيل مسح جبريل
العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بامه فعرفهم وامن منهم وبشروه بغلام هو
اسحق عليم يكمل علمه اذا بلغ فاقبلت امراته سارة الى بيتها وكانت في زاوية
تنظر اليهم في صرة في صيحة من الصرير ومحله النصب على الحال او المفعول ان اول
فاقبلت باخذت فصكت وجهها فلطمت باطراف الاصابع جبهتها فعل المتعجب
وقيل وجدت حرارة دم الحيض فلطمت وجهها من الحياء وقالت عجوز عقيم اى انا
عجوز عاقر فكيف الد قالوا كذلك مثل ذلك الذي بشرنا به قال ربك وانما
نخبرك به عنه انه هو الحكيم العليم فيكون قوله حقا وفعله محكما قال فما خطبكم
ايها المرسلون لما علم انهم ملائكة وانهم لا ينزلون مجتمعين الا لامر عظيم سال عنه
قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين يعني قوم لوط لنرسل عليهم حجارة من طين
يريد السجيل فانه طين متحجر مسومة مرسلة من اسمت الماشية او معلمة من السومة
وهي العلامة عند ربك للمسرفين المجاوزين الحد في الفجور فاخرجنا من كان فيها
في قرى قوم لوط واضمارها ولم يجر ذكرها لكونها معلومة من المؤمنين ممن آمن
بلوط فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين غير اهل بيت من المسلمين واستدل به على
اتحاد الايمان والاسلام وهو ضعيف لان ذلك لا يقتضي الا صدق المؤمن والمسلم
على من اتبعه وذلك لا يقتضي اتحاد مفهوميهما لجواز صدق المفهومات المختلفة على ذات
واحد وتركنا فيها آية علامة للذين يخافون العذاب الاليم فانهم المعتبرون
بها وهي تلك الاحجار او صخر منضود فيها او ماء اسود منتن وفي موسى عطف
على وفي الارض او وتركنا فيها على معنى وجعلنا في موسى آية كقوله علفتها تبنا

وما نابرحدا اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان مبين هو معجزاته كاليد والعصا
فتولى بركنه فاعرض عن الايمان به كقوله ونأى بجانبه اي فتولى بما كان يتقوى به
من جنوده وهو اسم لما يركن اليه الشيء ويتقوى به وقرئ بضم الكاف وقال ساحر
اي هو ساحر او مجنون كانه جعل ما ظهر عليه من الخوارق منسوبا الى الجن وتردد في انه
حصل ذلك باختياره وسعيه او بغيرهما فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم
فاغرقناهم في البحر وهو مليم آت بما يلام عليه من الكفر والعناد والجملة حال من
الضمير في فاخذناه وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم سماها عقيما لانها اهلكتهم
وقطعت دابرهم او لانها لم تتضمن منفعة وهي الدبور او الجنوب او النكباء ما تذر
من شيء اتت عليه الا جعلته كالرميم كالرماد من الرم وهو البلى
والتفتت وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين تفسيره قوله تمتعوا في داركم ثلاثة ايام
فعتوا عن امر ربهم فاستكبروا عن امتثاله فاخذتهم الصاعقة اي العذاب
بعد الثلث وقرأ الكسائي الصعقة وهي المرة من الصعق وهم ينظرون اليها
فانها جاءتهم معاينة بالنهار فما استطاعوا من قيام كقوله فاصبحوا في دارهم
جاثمين وقيل هو من قولهم ما يقوم به اذا عجز عن دفعه وما كانوا منتصرين ممتنعين
منه وقوم نوح اي واهلكنا قوم نوح لان ما قبله يدل عليه او اذكر ويجوز ان يكون
عطفا على محل في عاد ويؤيده قراءة ابي عمرو وحمزة والكسائي بالجر من قبل من
قبل هؤلاء المذكورين انهم كانوا قوما فاسقين خارجين عن الاستقامة بالكفر والعصيان
والسماء بنيناها بايد بقوة وانا لموسعون لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة
والموسع القادر على الانفاق او لموسعون السماء او ما بينها وبين الارض والرزق
والارض فرشناها مهدناها لتستقروا عليها فنعم الماهدون اي نحن ومن كل شيء
من الاجناس خلقنا زوجين نوعين لعلكم تذكرون فتعلموا ان التعدد من خواص
الممكنات وان الواجب بالذات لا يقبل التعدد والانقسام ففروا الى الله من عقابه
بالايمان والتوحيد وملازمة الطاعة اني لكم منه اي من عذابه المعد لمن اشرك

او عصى

او عصى نذير مبين بين كونه منذرا من الله بالمعجزات او مبين ما يجب ان يحذر عنه ولا
تجعلوا مع الله الها آخر افراد لاعظم ما يجب ان يفر منه اني لكم منه نذير مبين تكرير
للتاكيد او الاول مرتب على ترك الايمان والطاعة والثاني على الاشراك كذلك
اي الامر مثل ذلك والاشارة الى تكذيبهم الرسول صلى الله عليه وسلم وتسميتهم اياه
ساحرا او مجنونا وقوله ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون كالتفسير له
ولا يجوز نصبه باتى او ما يفسره لان ما بعد ما النافية لا يعمل فيما قبلها اتواصوا به
اي كان الاولين والاخرين منهم اوصى بعضهم بعضا بهذا القول حتى قالوه جميعا بل هم
قوم طاغون اضراب عن ان التواصي جامعهم لتباعد ايامهم الى ان الجامع لهم على
هذا القول مشاركتهم في الطغيان الحامل عليه فتول عنهم فاعرض عن مجادلتهم بعدما
كررت عليهم الدعوة فابوا الا الاصرار والعناد فما انت بملوم على الاعراض بعدما
بذلت جهدك في البلاغ وذكر ولا تدع التذكير والموعظة فان الذكرى تنفع
المؤمنين من قدر الله ايمانه او من آمن فانها تزداد به بصيرة وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون لما خلقهم على صورة متوجهة الى العبادة مغلبة لها جعل خلقهم
مغيا بها مبالغة في ذلك ولو حمل على ظاهره مع ان الدليل يمنعه لنافي ظاهر قوله
ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس وقيل معناه الا لامرهم بالعبادة او ليكونوا
عبادا لي ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون اي ما اريد ان اصرفهم في
تحصيل رزقي فاشتغلوا بما انتم كالمخلوق له والمامور به والمراد ان يبين ان
شانه مع عباده ليس شان السادة مع عبيدهم فانهم انما يملكونهم ليستعينوا بهم
في تحصيل معايشهم ويحتمل ان يقدر بقل فيكون بمعنى قوله قل لا اسئلكم عليه اجرا
ان الله هو الرزاق الذي يرزق كل ما يفتقر الى الرزق وفيه ايماء باستغنائه عنه وقرئ اني
انا الرزاق ذو القوة المتين شديد القوة وقرئ المتين بالجر صفة للقوة فان
للذين ظلموا ذنوبا اي للذين ظلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتكذيب نصيبا
من العذاب مثل ذنوب اصحابهم مثل نصيب نظرائهم من الامم السالفة وهو ماخوذ

من مقاسمة السقاة الماء بالدلاء فان الذنوب هو الدلو العظيم المملوء فلا
يستعجلون جواب لقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين فويل للذين كفروا
من يومهم الذي يوعدون من يوم القيمة او يوم بدر عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ والذاريات اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت في الدنيا

سورة الطور مكية وآيها تسع او ثمان واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم والطور يريد طور سينين وهو جبل بمدين سمع فيه موسى
كلام الله والطور الجبل بالسريانية او ما طار من اوج الايجاد الى حضيض المواد
او من عالم الغيب الى عالم الشهادة وكتاب مسطور مكتوب والسطر ترتيب الحروف
المكتوبة والمراد به القرآن او ما كتبه الله في اللوح المحفوظ او الواح موسى
او في قلوب اوليائه من المعارف والحكم او ما يكتبه الحفظة في رق منشور الرق
الجلد الذي يكتب فيه استعير لما يكتب فيه الكتاب وتنكيرهما للتعظيم والاشعار بانهما
ليسا من المتعارف فيما بين الناس والبيت المعمور يعني الكعبة وعمارتها بالحجاج
والمجاورين او الضراح وهو في السماء الرابعة وعمرانه كثرة غاشيته من الملائكة او
قلب المؤمن وعمارته بالمعرفة والاخلاص والسقف المرفوع يعني السماء والبحر المسجور
اي المملوء وهو المحيط او الموقد من قوله واذا البحار سجرت روي ان الله يجعل
يوم القيمة البحار نارا تسجر بها جهنم او المختلط من السجير وهو الخليط ان عذاب
ربك لواقع لنازل ما له من دافع يدفعه ووجه دلالة هذه الامور المقسم بها
على ذلك انها امور تدل على كمال قدرة الله وحكمته وصدق اخباره وضبط اعمال العباد
للمجازاة يوم تمور السماء مورا تضطرب والمور تردد في المجيء والذهاب وقيل تحرك
في تموج ويوم ظرف لواقع وتسير الجبال سيرا اي تسير عن وجه الارض فتصير هباء فويل
يومئذ للمكذبين اي اذا وقع ذلك فويل لهم الذين هم في خوض يلعبون اي في
الخوض في الباطل يوم يدعون الى نار جهنم دعا يدفعون اليها بعنف وذلك

بان تغل ايديهم الى اعناقهم وتجمع نواصيهم الى اقدامهم فيدفعون الى النار وقرئ
يدعون من الدعاء فيكون دعا حالا بمعنى مدعوعين ويوم بدل من يوم تمور او ظرف
لقول مقدر محكية هذه النار التي كنتم بها تكذبون اي فيقال لهم ذلك افسحر هذا
اي كنتم تقولون للوحي هذا سحر فهذا المصداق ايضا سحر وتقديم الخبر لانه المقصود
بالانكار والتوبيخ ام انتم لا تبصرون هذا ايضا كما كنتم لا تبصرون في الدنيا ما يدل
عليه وهو تقريع وتهكم ام سدت ابصاركم كما سدت في الدنيا على زعمكم حين قلتم انما
سكرت ابصارنا اصلوها فاصبروا او لا تصبروا اي ادخلوها على اي وجه شئتم
من الصبر وعدمه فانه لا محيص لكم عنها سواء عليكم اي الامران الصبر وعدمه انما
تجزون ما كنتم تعملون تعليل للاستواء فانه لما كان الجزاء واجب الوقوع كان الصبر
وعدمه سيين في عدم النفع ان المتقين في جنات ونعيم في اية جنات واي نعيم او في
جنات ونعيم مخصوصة بهم فاكهين ناعمين متلذذين بما آتاهم ربهم وقرئ فكهين
وفاكهون على انه الخبر والظرف لغو ووقيهم ربهم عذاب الجحيم عطف على آتاهم ان جعل ما
مصدرية او في جنات او حال باضمار قد من المستكن في الظرف او الحال من فاعل آتى
او مفعوله او منهما كلوا واشربوا هنيئا اي اكلا وشربا هنيئا او طعاما وشرابا هنيئا
وهو الذي لا تنغيص فيه بما كنتم تعملون بسببه او بدله وقيل الباء زائدة وما فاعل
هنيئا والمعنى هنأكم ما كنتم تعملون اي جزاؤه متكئين على سرر مصفوفة مصطفة
وزوجناهم بحور عين والذين آمنوا الباء لما في التزويج من معنى الوصل والالصاق
او للسببية اذ المعنى صيرناهم ازواجا بسببهن او لما في التزويج من معنى الالصاق
والقرن ولذلك عطف والذين آمنوا على حور اي قرناهم بازواج حور ورفقاء مؤمنين
وقيل انه مبتدأ خبره الحقنا بهم وقوله واتبعتهم ذريتهم بايمان اعتراض للتعليل
وقرأ ابن عامر ويعقوب ذرياتهم بالجمع وضم التاء للمبالغة في كثرتهم والتصريح
فان الذرية تقع على الواحد والكثير وقرأ ابو عمرو واتبعناهم ذرياتهم اي جعلناهم
تابعين لهم في الايمان وقيل بايمان حال من الضمير او الذرية او منهما وتنكيره للتعظيم

او للاشعار بانه يكفي للالحاق المتابعة في اصل الايمان ليكون مرفوعا الحقنا بهم
ذريتهم في دخول الجنة او الدرجة لما روى انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله
يرفع ذرية المؤمن في درجته وان كانوا دونه لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الآية
وقرأ نافع وابن عامر والبصري بان ذرياتهم وما التناهم وما نقصناهم بهذا الالحاق
من عملهم من شيء فانه كما يحتمل ان يكون بنقص مرتبة الاباء باعطاء الابناء بعض مثوباتهم
يحتمل ان يكون بالتفضل عليهم وهو اللائق بكمال لطفه وقرأ ابن كثير بكسر اللام من الت
يالت وعنه لتناهم من لات يليت وآلتناهم من آلت يؤلت وولتناهم من ولت يليت
ومعنى الكل واحد كل امرئ بما كسب رهين بعمله مرهون عند الله فان عمل صالحا
فكها والا اهلكها وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون اي وزدناهم وقتا بعد
وقت ما يشتهون من انواع النعم يتنازعون فيها يتعاطونهم وجلساؤهم بتجاذب
كاسا خمرا سماها باسم محلها ولذلك انث الضمير في قوله لا لغو فيها ولا تاثيم
اي لا يتكلمون بلغو الحديث في اثناء شربها ولا يفعلون ما يؤثم به فاعله كما هو عادة الشاربين
في الدنيا وذلك مثل قوله لا فيها غول وقرأهما ابن كثير والبصري بالفتح ويطوف عليهم
اي بالكأس غلمان لهم اي مماليك مخصوصون بهم وقيل هم اولادهم الذين سبقوهم
كانهم لؤلؤ مكنون مصون في الصدف من بياضهم وصفائهم وعنه صلى الله عليه
وسلم والذي نفسي بيده ان فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على
سائر الكواكب واقبل بعضهم على بعض يتساءلون يسأل بعضهم بعضا عن احواله
واعماله قالوا انا كنا قبل في اهلنا مشفقين خائفين من عصيان الله معتنين بطاعته
او وجلين من العاقبة فمن الله علينا بالرحمة والتوفيق ووقانا عذاب السموم
عذاب النار النافذة في المسام نفوذ السموم وقرئ ووقانا بالتشديد انا
كنا من قبل ذلك في الدنيا ندعوه نعبده او نسأله الوقاية انه هو البر المحسن
وقرأ نافع والكسائي بفتح همزة انه الرحيم الكثير الرحمة فذكر فاثبت على التذكير
ولا تكترث بقولهم فما انت بنعمة ربك بحمد الله وانعامه بكاهن ولا مجنون كما يقولون

ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون ما يقلق النفوس من حوادث الدهر وقيل
المنون الموت فعول من منه اذا قطعه قل تربصوا فاني معكم من المتربصين اتربص
هلاككم كما تتربصون هلاكي ام تأمرهم احلامهم عقولهم بهذا بهذا التناقض
في القول فان الكاهن يكون ذا فطنة ودقة نظر والمجنون مغطى عقله والشاعر يكون
ذا كلام موزون متسق مخيل ولا يتأتى ذلك من المجنون وامر الاحلام به مجاز عن ادائها اليه
ام هم قوم طاغون مجاوزون الحد في العناد وقرئ بل هم ام يقولون تقوله اختلقه
من تلقاء نفسه بل لا يؤمنون فيرمون بهذه المطاعن لكفرهم وعنادهم فليأتوا بحديث
مثله مثل القرآن ان كانوا صادقين في زعمهم اذ فيهم كثير ممن عدوا فصحاء فهو رد للاقوال
المذكورة بالتحدي ويجوز ان يكون ردا للتقول فان سائر الاقسام ظاهر الفساد ام
خلقوا من غير شيء ام احدثوا وقدروا من غير محدث ومقدر فلذلك لا يعبدونه
او من اجل لا شيء من عبادة ومجازاة ام هم الخالقون يؤيد الاول فان معناه ام
خلقوا انفسهم ولذلك عقبه بقوله ام خلقوا السموات والارض وام في هذه الآيات
منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار بل لا يوقنون اذا سئلوا من خلقكم ومن خلق السموات
والارض قالوا الله اذ لو ايقنوا ذلك لما اعرضوا عن عبادته ام عندهم خزائن ربك
خزائن رزقه حتى يرزقوا النبوة من شاءوا او خزائن علمه حتى يختاروا لها من اختارته حكمته
ام هم المصيطرون الغالبون على الاشياء يدبرونها كيف شاءوا ام لهم سلم مرتقى
الى السماء يستمعون فيه صاعدين فيه الى كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم
الغيب حتى يعلموا ما هو كائن فليأت مستمعهم بسلطان مبين بحجة واضحة تصدق
استماعه ام له البنات ولكم البنون فيه تسفيههم واشعار بان من هذا رايه لا يعد من العقلاء
فضلا ان يترقى بروحه الى عالم الملكوت فيتطلع على الغيوب ام تسألهم اجرا على
تبليغ الرسالة فهم من مغرم من التزام غرم مثقلون محملون الثقل فلذلك زهدوا
في اتباعك ام عندهم الغيب اللوح المحفوظ المثبت فيه الغيب فهم يكتبون منه ام يريدون
كيدا وهو كيدهم في دار الندوة برسول الله صلى الله عليه وسلم فالذين كفروا يحتمل

العموم والخصوص فيكون وضعه موضع الضمير للتسجيل على كفرهم والدلالة على انه الموجب
للحكم المذكور هم المكيدون هم الذين يحيق بهم الكيد او يعود عليهم وبال كيدهم وهو
قتلهم يوم بدر او المغلوبون في الكيد من كايدته فكدته ام لهم اله غير الله يعينهم و
يحرسهم من عذابه سبحان الله عما يشركون عن اشراكهم او شركة ما يشركونه به وان
يروا كسفا قطعة من السماء ساقطا يقولوا من فرط طغيانهم وعنادهم سحاب
مركوم هذا سحاب تراكم بعضها على بعض وهو جواب قولهم فاسقط علينا كسفا من
السماء فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون وهو عند النفخة الاولى وقرئ يلقوا
وقرأ ابن عامر وعاصم يصعقون على البناء للمفعول من صعقه او اصعقه يوم لا يغني عنهم
كيدهم شيئا اي شيئا من الاغناء في رد العذاب ولا هم ينصرون يمنعون من عذاب الله
وان للذين ظلموا يحتمل العموم والخصوص عذابا دون ذلك اي دون عذاب
الآخرة وهو عذاب القبر او المؤاخذة في الدنيا كقتلهم ببدر والقحط سبع سنين ولكن
اكثرهم لا يعلمون واصبر لحكم ربك بامهالهم وابقائك في عنائهم فانك باعيننا في
حفظنا بحيث نراك ونكلؤك وجمع العين لجمع الضمير والمبالغة بكثرة اسباب الحفظ وسبح بحمد
ربك حين تقوم من اي مكان قمت او من منامك او الى الصلوة ومن الليل فسبحه
فان العبادة فيه اشق على النفس وابعد عن الريا ولذلك افرده بالذكر وقدمه على الفعل وادبار
النجوم واذا ادبرت النجوم من آخر الليل وقرئ بالفتح اي في اعقابها اذا غربت او خفيت
وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطور كان حقا على الله ان يؤمنه من عذابه وان

سورة النجم مكية وآيها احدى او ثنتان وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم والنجم اذا هوى اقسم بجنس النجوم او الثريا فانه غلب
فيه اذا غرب او انتثر يوم القيامة او انقض او طلع فانه يقال هوى هويا بالفتح اذا سقط وغرب
وهويا بالضم اذا علا وصعد او بالنجم من نجوم القرآن اذا نزل او النبات اذا سقط على الارض
او نما وارتفع على قوله ما ضل صاحبكم ما عدل محمد صلى الله عليه وسلم عن الطريق المستقيم

والخطاب

والخطاب لقريش وما غوى وما اعتقد باطلا والمراد نفي ما ينسبون اليه وما ينطق
عن الهوى وما يصدر نطقه بالقرآن عن الهوى ان هو ما القرآن او الذي ينطق به
الا وحي يوحى اي الا وحي يوحيه الله اليه واحتج به من لم ير الاجتهاد له واجيب عنه بانه اذا
اوحي اليه بان يجتهد كان اجتهاده وما يستند اليه وحيا وفيه نظر لان ذلك حينئذ
يكون بالوحي لا الوحي علمه شديد القوى ملك شديد قواه وهو جبريل فانه الواسطة
في ابداء الخوارق روي انه قلع قرى قوم لوط ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح صيحة
بثمود فاصبحوا جاثمين ذو مرة حصافة في عقله ورأيه فاستوى فاستقام
على صورته الحقيقية التي خلقه الله عليها قيل ما رآه احد من الانبياء في صورته غير محمد
صلى الله عليه وسلم مرتين مرة في السماء ومرة في الارض وقيل استوى بقوته على ما
جعل له من الامر وهو بالافق الاعلى افق السماء والضمير لجبريل ثم دنى من النبي صلى الله
عليه وسلم فتدلى فتعلق به وهو تمثيل لعروجه بالرسول صلى الله عليه وسلم ثم تدلى من الافق
الاعلى فدنى من الرسول عليه السلام فيكون اشعارا بانه عرج به غير منفصل عن محله تقريرا
لشدة قوته فان التدلي استرسال مع تعلق كتدلي الثمرة ويقال دلى رجله من السرير و
ادلى دلوه والدوالي الثمر المعلق فكان جبريل كقولك هو مني معقد الازار او المسافة بينهما
قاب قوسين مقدارهما او ادنى على تقديركم كقوله او يزيدون والمقصود تمثيل ملكة
الاتصال وتحقيق استماعه لما اوحي اليه بنفي البعد الملبس فاوحى جبريل الى عبده
عبد الله واضماره قبل الذكر لكونه معلوما كقوله على ظهرها ما اوحى جبريل وفيه تفخيم
للموحى به او الله اليه وقيل الضماير كلها لله وهو المعني بشديد القوى كما في قوله هو الرزاق
ذو القوة المتين ودنوه منه برفع مكانته وتدليه جذبه بشراشره الى جناب القدس
ما كذب الفؤاد ما رأى ما رأى ببصره من صورة جبريل او الله تعالى اي ما كذب بصره بما
حكاه له فان الامور القدسية تدرك اولا بالقلب ثم تنتقل منه الى البصر او ما قال
فؤاده لما رآه لم اعرفك ولو قال ذلك كان كاذبا لانه عرفه بقلبه كما رآه ببصره او ما
رآه بقلبه والمعنى لم يكن تخيلا كاذبا ويدل عليه انه صلى الله عليه وسلم سئل هل

رأيت ربك فقال رأيته بفؤادي وقرئ ما كذب أي صدقه ولم يشك فيه أفتمارونه
على ما يرى أفتجادلونه عليه من المراء وهو المجادلة واشتقاقه من مرى الناقة فإن كلا
من المتجادلين يمري ما عند صاحبه وقرا والكسائي وخلف ويعقوب أفتمرونه أي
أفتغلبونه في المراء من ماريته فمريته أو أفتجحدونه من مراه حقه إذا جحده وعلى لتضمين الفعل
معنى الغلبة فإن المماري والجاحد يقصدان بفعلهما غلبة الخصم ولقد رآه نزلة أخرى مرة
أخرى فعلة من النزول أقيمت مقام المرة ونصب نصبها إشعارا بأن الرؤية في هذه المرة
كانت أيضا بنزول ودنو والكلام في المرئي والدنو ما سبق وقيل تقديره ولقد رآه نازلا
نزلة أخرى ونصبها على المصدر والمراد به نفي الريبة عن المرة الأخيرة عند سدرة المنتهى
التي ينتهي إليها علم الخلائق وأعمالهم أو ما ينزل من فوقها ويصعد من تحتها ولعلها شبهت
بالسدرة وهي شجرة النبق لأنهم يجتمعون في ظلها وروي مرفوعا أنها في السماء السابعة
عندها جنة المأوى الجنة التي يأوي إليها المتقون أو أرواح الشهداء إذ يغشى السدرة
ما يغشى تعظيم وتكثير لما يغشاها بحيث لا يكتنهها نعت ولا يحصيها عد وقيل يغشاها
الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله عندها ما زاغ البصر ما مال بصر رسول الله صلى الله
عليه وسلم عما رآه وما طغى وما تجاوزه بل أثبته إثباتا صحيحا مستيقنا أو ما عدل
عن رؤية العجائب التي أمر برؤيتها وما جاوزها لقد رأى والله لقد رأى من
آيات ربه الكبرى أي بعض آياته الكبرى أي الكبرى من آياته وعجائبه الملكية والملكوتية
ليلة المعراج وقد قيل إنها المعنية بما رأى ويجوز أن يكون الكبرى صفة للآيات على أن
المفعول محذوف أي شيئا من آيات ربه أو من مزيدة أفرأيتم اللات والعزى
ومناة الثالثة الأخرى هي أصنام كانت لهم فاللات كانت لثقيف بالطائف
ولقريش بنخلة وهي فعلة من لوى لأنهم كانوا يلوون عليها أي يطوفون وقرأ هبة الله
عن البزي ورويس عن يعقوب اللات بالتشديد على أنه سمي به لأنه صورة رجل يلت
السويق بالسمن ويطعم الحاج والعزى سمرة بغطفان كانوا يعبدونها فبعث إليها
رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها وأصلها تأنيث الأعز ومناة

صخرة

صخرة كانت لهذيل وخزاعة أو لثقيف وهي فعلة من مناه إذا قطعه فإنهم
كانوا يذبحون عندها القرابين ومنه منى وقرئ مناءة وهي مفعلة من النوء كأنهم
يستمطرون الأنواء عندها تبركا بها وقوله الثالثة الأخرى صفتان للتأكيد كقوله
يطير بجناحيه أو الأخرى من التأخر في الرتبة ألكم الذكر وله الأنثى إنكار لقولهم الملائكة
بنات الله وهذه الأصنام استوطنها جنيات هن بناته أو هياكل الملائكة وهو المفعول
الثاني لقوله أفرأيتم تلك إذا قسمة ضيزى جائرة حيث جعلتم له ما تستنكفون منه
وهي فعلى من الضيز وهو الجور لكنه كسر فاؤه ليسلم الياء كما فعل في بيض فإن فعلى بالكسر لم يأت
وصفا وقرأ ابن كثير بالهمزة من ضأزه إذا ظلمه على أنه مصدر نعت به إن هي إلا
أسماء الضمير للأصنام أي ما هي باعتبار الألوهية إلا أسماء تطلقونها عليها لأنكم تقولون
إنها آلهة وليس فيها شيء من معنى الألوهية أو للصفة التي تصفونها بها من كونها آلهة وبنات
وشفعاء أو للأسماء المذكورة فإنهم كانوا يطلقون اللات عليها باعتبار استحقاقها
للعكوف على عبادتها والعزى لعزتها ومناة لاعتقادهم أنها يستحق أن يتقرب إليها بالقرابين
سميتموها أنتم وآباؤكم بهواكم ما أنزل الله بها من سلطان برهان تتعلقون به
إن يتبعون وقرئ بالتاء إلا الظن إلا توهم أن ما هم عليه حق تقليدا وتوهما باطلا
وما تهوى الأنفس وما تشتهيه أنفسهم ولقد جاءهم من ربهم الهدى الرسول والكتاب
فتركوه أم للإنسان ما تمنى أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها الإنكار والمعنى ليس له كل ما يتمناه
والمراد نفي طمعهم في شفاعة الآلهة وقولهم ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى وقولهم لولا
نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ونحوها فلله الآخرة والأولى يعطي منهما ما يشاء
لمن يريد وليس لأحد أن يتحكم عليه في شيء منهما وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم
شيئا وكثير من الملائكة لا تغني شفاعتهم شيئا ولا تنفع إلا من بعد أن يأذن الله في
الشفاعة لمن يشاء من الملائكة أن يشفع أو من الناس أن يشفع له ويرضى ويراه أهلا لذلك
فكيف تشفع الأصنام لعبدتهم إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة أي كل واحد
منهم تسمية الأنثى بأن سموه بنتا وما لهم به من علم أي بما يقولون وقرئ بها أي بالملائكة

او التسمية ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا فان الحق الذي
هو حقيقة الشيء لا يدرك الا بالعلم والظن لا اعتبار له في المعارف الحقيقية وانما العبرة في
العمليات وما يكون وصلة اليها فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا
فاعرض عن دعوته والاهتمام بشانه فان من غفل عن الله واعرض عن ذكره وانهمك في
الدنيا بحيث كانت منتهى همته ومبلغ علمه لا تزيده الدعوة الا عنادا واصرارا على الباطل
ذلك اي امر الدنيا او كونها شهية مبلغهم من العلم لا يتجاوزه علمهم والجملة اعتراض مقرر
لقصور همتهم بالدنيا وقوله ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى
تعليل بالامر للاعراض اي انما يعلم الله من يجيب ممن لا يجيب فلا تتعب نفسك
في دعوتهم اذ ما عليك الا البلاغ وقد بلغت ولله ما في السموات وما في الارض
خلقا وملكا ليجزي الذين اساؤا بما عملوا بعقاب ما عملوا من السوء او بمثله
او بسبب ما عملوا من السوء وهو علة لما دل عليها ما قبله اي خلق العالم وسواه
للجزاء او ميز الضال عن المهتدي وحفظ احوالهم لذلك ويجزي الذين احسنوا بالحسنى
بالمثوبة الحسنى وهي الجنة او باحسن من اعمالهم او بسبب الاعمال الحسنى الذين
يجتنبون كبائر الاثم ما يكبر عقابه من الذنوب وهو ما رتب الوعيد عليه بخصوصه
وقيل ما اوجب الحد وقرأ حمزة والكسائي وخلف كبير الاثم على ارادة الجنس او
الشرك والفواحش وما فحش من الكبائر خصوصا الا اللمم الا ما قل وصغر فانه
مغفور لمجتنبي الكبائر والاستثناء منقطع ومحل الذين النصب على الصفة او المدح
او الرفع على انه خبر محذوف ان ربك واسع المغفرة حيث يغفر الصغائر
باجتناب الكبائر او له ان يغفر ما يشاء من الذنوب صغيرها وكبيرها ولعله عقب به
وعيد المسيئين ووعد المحسنين لئلا ييأس صاحب الكبيرة من رحمته ولا يتوهم وجوب العقاب
على الله هو اعلم بكم اعلم باحوالكم منكم اذ انشاكم من الارض واذ انتم اجنة في
بطون امهاتكم علم احوالكم ومصارف اموركم حين ابتدا خلقكم من التراب بخلق آدم
وحينما صوركم في الارحام فلا تزكوا انفسكم فلا تثنوا عليها بزكاء العمل وزيادة الخير

او بالطهارة عن المعاصي والرذائل هو اعلم بمن اتقى فانه يعلم التقي وغيره منكم
قبل ان يخرجكم من صلب آدم افرايت الذي تولى عن اتباع الحق والثبات عليه
واعطى قليلا واكدى وقطع العطاء من قولهم اكدى الحافر اذا بلغ الكدية وهي الصخرة
الصلبة فترك الحفر والاكثر على انها نزلت في الوليد بن المغيرة كان يتبع رسول الله
صلى الله عليه وسلم فعيره بعض المشركين وقال تركت دين الاشياخ وضللتهم فقال
اخشى عذاب الله فضمن ان يتحمل عنه العذاب ان اعطاه بعض ماله فارتد واعطى
بعض المشروط ثم بخل بالباقي اعنده علم الغيب فهو يرى يعلم ان صاحبه يتحمل عنه ام
لم ينبأ بما في صحف موسى وابراهيم الذي وفى وفر واتم ما التزمه وامر به او بالغ
في الوفاء بما عاهد الله وتخصيصه بذلك لاحتماله ما لم يحتمله غيره كالصبر على نار نمرود
حتى اتاه جبريل حين يلقى في النار فقال الك حاجة فقال اما اليك فلا وذبح الولد وانه كان
يمشي كل يوم فرسخا يرتاد ضيفا فان وافقه اكرمه والا نوى الصوم وتقديم موسى
لان صحيفته وهي التورية كانت اشهر واكثر عندهم الا تزر وازرة وزر اخرى
ان هي المخففة من الثقيلة وهي بما بعدها في محل الجر بدلا مما في صحف موسى او الرفع على هو
ان لا تزر كانه قيل ما في صحفهما فاجاب به والمعنى انه لا يؤاخذ احد بذنب غيره ولا
يخالف ذلك قوله تعالى كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض
فكانما قتل الناس جميعا وقوله صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فله اجرها واجر
من عمل بها الى يوم القيمة فان ذلك للدلالة والتسبب الذي هو وزره وان ليس
للانسان الا ما سعى الا سعيه اي كما لا يؤاخذ احد بذنب الغير
لا يثاب بفعله وما جاء في الاخبار من ان الصدقة والحج ينفعان الميت فلكون
الناوي له كالنائب عنه ثم يجزيه الجزاء الاوفى اي يجزى العبد سعيه بالجزاء
الاوفى فنصب بنزع الخافض ويجوز ان يكون مصدرا وان يكون الهاء للجزاء
المدلول عليه بيجزى والجزاء بدله وان الى ربك المنتهى انتهاء الخلائق ورجوعهم
وقرئ بالكسر على انه منقطع عما في الصحف وكذلك ما بعده وانه هو اضحك وابكى

وانه هو امات واحيى لا يقدر على الاماتة والاحياء غيره فان القاتل ينقض
البنية والموت يحصل عنده بفعل الله على سبيل العادة وانه خلق الزوجين
الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى تدفق في الرحم او تخلق او يقدر منها الولد من منى
اذا قدر وان عليه النشاة الاخرى الاحياء بعد الموت وفاء بوعده وقرا
ابن كثير وابو عمرو والنشاءة بالمد وهو ايضا مصدر نشاء وانه هو اغنى
واقنى واعطى القنية وهي ما يتاثل من الاموال وافرادها لانها اشرف الاموال او
ارضى وتحقيقه جعل الرضا له قنية وانه هو رب الشعرى يعني العبور وهي اشد
ضياء من الغميصاء عبدها ابو كبشة احد اجداد الرسول صلى الله عليه وسلم وخالف
قريشا في عبادة الاوثان ولذلك كانوا يسمون الرسول صلى الله عليه وسلم ابن ابي
كبشة ولعل تخصيصها للاشعار بانه وان وافق ابا كبشة في مخالفتهم خالفه ايضا
في عبادتها وانه اهلك عادا الاولى القدماء لانهم اولى الامم هلاكا بعد قوم
نوح وقيل عاد الاولى قوم هود وعاد الاخرى ارم وقرئ عادا لولى بحذف
الهمزة ونقل ضمتها الى لام التعريف وقرا نافع برواية ورش وابو عمرو وقالون
كذلك مع جعل الواو همزة وعاد لولى بادغام التنوين في اللام وثمود عطف على عادا
الا ان ما بعده لا يعمل فيه وقرا عاصم وحمزة بغير تنوين ويقفان بغير الف
فما ابقى الفريقين وقوم نوح ايضا معطوف عليه من قبل من قبل عاد وثمود انهم
كانوا هم اظلم واطغى من الفريقين لانهم كانوا يؤذونه ويضربونه حتى
لا يكون به حراك والمؤتفكة القرى التي ائتفكت باهلها اي انقلبت وهي قرى قوم لوط
اهوى بعد ان رفعها فقلبها فغشاها ما غشى فيه تهويل وتعميم لما اصابهم فباي آلاء ربك
تتمارى تتشكك والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد والمعدودات
وان كانت نعما ونقما سماها آلاء من قبل ما في نقمه من العبر والمواعظ للمعتبرين والانتقام
للانبياء والمؤمنين هذا نذير من النذر الاولى اي هذا القرآن نذير من جنس الانذارات
المتقدمة او هذا الرسول نذير من جنس المنذرين الاولين ازفت الآزفة دنت الساعة

الموصوفة بالدنو في نحو قوله اقتربت الساعة ليس لها من دون الله كاشفة ليس لها
نفس قادرة على كشفها اذا وقعت الا الله لكنه لا يكشفها او الآن بتاخيرها الا الله
او ليس لها كاشفة لوقتها الا الله اذ لا يطلع عليه سواه او ليس لها من غير الله كشف على
انها مصدر كالعافية افمن هذا الحديث يعني القرآن تعجبون انكارا وتضحكون استهزاء
ولا تبكون تحزنا على ما فرطتم وانتم سامدون لاهون او مستكبرون من سمد البعير في مسيره
اذا رفع راسه او مغنون لتشغلوا الناس عن استماعه من السمود وهو الغناء فاسجدوا
لله واعبدوا اي واعبدوه دون الالهة عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة النجم اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وجحد به بمكة

سورة القمر مكية وآيها خمس وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم اقتربت الساعة وانشق القمر روي ان الكفار سالوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم آية فانشق القمر وقيل معناه سينشق القمر يوم القيمة
ويؤيد الاول انه قرئ وقد انشق القمر اي اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها انشقاق
القمر وان يروا آية يعرضوا عن تاملها والايمان بها ويقولوا سحر مستمر مطرد وهو
يدل على انهم راوا قبله آيات اخرى مترادفة ومعجزات متتابعة حتى قالوا ذلك
او محكم من المرة يقال امررته فاستمر اذا احكمته فاستحكم او مستبشع من استمر الشيء
اذا اشتدت مرارته او مار ذاهب لا يبقى وكذبوا واتبعوا اهواءهم وهو ما زين
لهم الشيطان من رد الحق بعد ظهوره وذكرهما بلفظ الماضي للاشعار بانهما من
عاداتهم القديمة وكل امر مستقر منته الى غاية من خذلان او نصر في الدنيا وشقاوة او
سعادة في الآخرة فان الشيء اذا انتهى الى غايته ثبت واستقر وقرئ بالفتح اي ذو مستقر
بمعنى استقرار وبالكسر والجر على انه صفة امر وكل معطوف على الساعة ولقد
جاءهم في القرآن من الانباء انباء القرون الخالية او انباء الآخرة ما فيه مزدجر
ازدجار من تعذيب او وعيد وتاء الافتعال تقلب دالا مع الدال والذال والزاء

للتناسب وقرئ مزجر بقلبها زاء وادغامها حكمة بالغة غايتها لا خلل فيها وهي بدل
من ما او خبر لمحذوف وقرئ بالنصب حالا من ما فانها موصولة او مخصوصة بالصفة فيجوز
نصب الحال عنها فما تغن النذر نفي او استفهام انكار اي فاي غناء تغني النذر
وهو جمع نذير بمعنى المنذر او المنذر منه او مصدر بمعنى الانذار فتول عنهم لعلمك
ان الانذار لا يغني فيهم يوم يدع الداع اسرافيل ويجوز ان يكون الدعاء فيه كالامر
في قوله كن فيكون واسقاط الياء اكتفاء بالكسرة للتخفيف وانتصاب يوم بيخرجون
او باضمار اذكر الى شيء نكر فظيع تنكره النفوس لانها لم تعهد مثله وهو هول القيمة
وقرا ابن كثير نكر بالتخفيف وقرئ نكر بمعنى انكر خاشعا ابصارهم يخرجون من الاجداث
اي يخرجون من قبورهم خاشعا ذليلا ابصارهم من الهول وافراده وتذكيره لان فاعله
ظاهر غير حقيقي التانيث وقرئ خاشعة على الاصل وقرا ابن كثير وابن عامر ونافع وعاصم
خشعا وانما حسن ذلك ولا يحسن مررت برجال قائمين غلمانهم لانه ليس على صيغة تشبه الفعل
وقرئ خشع ابصارهم على الابتداء والخبر فيكون الجملة حالا كانهم جراد منتشر في الكثرة
والتموج والانتشار في الامكنة مهطعين الى الداع مسرعين مادي اعناقهم اليه او ناظرين
اليه يقول الكافرون هذا يوم عسر صعب كذبت قبلهم قوم نوح قبل قومك فكذبوا
عبدنا نوحا وهو تفصيل بعد اجمال وقيل معناه كذبوه تكذيبا على عقب تكذيب كلما خلا
منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب او كذبوه بعدما كذبوا الرسل وقالوا مجنون
هو مجنون وازدجر وزجر عن التبليغ بانواع الاذية وقيل انه من جملة قيلهم اي هو
مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته فدعا ربه اني باني وقرئ بالكسر على ارادة القول
مغلوب غلبني قومي فانتصر فانتقم لي منهم وذلك بعد يأسه منهم فقد روي ان الواحد
منهم كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيا عليه فيفيق ويقول اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون
ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر منصب وهو مبالغة وتمثيل لكثرة الامطار وشدة
انصبابها وقرا ابن عامر ويعقوب ففتّحنا بالتشديد لكثرة الابواب وفجرنا الارض
عيونا وجعلنا الارض كلها كانها عيون متفجرة واصله وفجرنا عيون الارض فغير للمبالغة

فالتقى

فالتقى الماء ماء السماء وماء الارض وقرئ الماآن لاختلاف النوعين والماوان
بقلب الهمزة واوا على امر قد قدر على حال قدرها الله في الازل من غير تفاوت
او على حال قدرت وسويت وهو ان قدر ما انزل على قدر ما اخرج او على امر قدره
الله وهو هلاك قوم نوح بالطوفان وحملناه على ذات الواح ذات اخشاب
عريضة ودسر ومسامير جمع دسار من الدسر وهو الدفع الشديد وهي
صفة للسفينة اقيمت مقامها من حيث انها شرح لها يؤدي مؤداها تجري باعيننا
بمرأى منا اي محفوظة بحفظنا جزاء لمن كان كفر اي فعلنا ذلك جزاء لنوح لانه نعمة
كفروها فان كل نبي نعمة من الله ورحمة على امته ويجوز ان يكون على حذف الجار
وايصال الفعل الى الضمير وقرئ لمن كفر اي للكافرين ولقد تركناها اي السفينة او الفعلة
آية يعتبر بها اذ شاع خبرها واشتهر فهل من مدكر معتبر وقرئ مذتكر على الاصل
ومذكر بقلب التاء ذالا والادغام فيها فكيف كان عذابي ونذر استفهام تعظيم
ووعيد والنذر بمعنى الانذار يحتمل المصدر والجمع ولقد يسرنا القرآن سهلناه
او هيأناه من يسر ناقته للسفر اذا رحلها للذكر للادكار والاتعاظ بان صرفنا فيه
انواع المواعظ والعبر او للحفظ بالاختصار وعذوبة اللفظ فهل من مدكر متعظ
كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر وانذاراتي لهم بالعذاب قبل نزوله او لمن بعدهم
في تعذيبهم انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا باردا او شديد الصوت في يوم نحس
شؤم مستمر استمر شؤمه او استمر عليهم حتى اهلكهم او على جميعهم كبيرهم وصغيرهم
فلم يبق منهم احدا او اشتد مرارته وكان يوم الاربعاء آخر الشهر تنزع الناس
تقلعهم روي انهم دخلوا في الشعاب والحفر وتمسك بعضهم ببعض فنزعتهم الريح منها
وصرعتهم موتى كانهم اعجاز نخل منقعر اصول نخل منقلع عن مغارسه ساقط على
الارض وقيل شبهوا بالاعجاز لان الريح طيرت رؤوسهم وطرحت اجسادهم وتذكير
منقعر للحمل على اللفظ والتانيث في قوله اعجاز نخل خاوية للمعنى فكيف كان
عذابي ونذر كرره للتهويل وقيل الاول لما حاق بهم في الدنيا والثاني لما يحيق بهم

في الآخرة كما قال ايضا في قصتهم لنذيقهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ولعذاب
الآخرة اخزى ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر
بالانذار او المواعظ او الرسل فقالوا ابشرا منا من جنسنا او من جملتنا لا فضل له علينا
وانتصابه بفعل يفسره ما بعده وقرئ بالرفع على الابتداء والاول اوجه للاستفهام
واحدا منفردا لا تبع له او من آحادهم دون اشرافهم نتبعه انا اذا لفي ضلال
وسعر جمع سعير كانهم عكسوا عليه فرتبوا على اتباعهم اياه ما رتبه على ترك اتباعهم له
وقيل السعر الجنون ومنه ناقة مسعورة ءالقي الذكر الكتاب والوحي عليه من بيننا
وفينا من هو احق منه بذلك بل هو كذاب اشر حمله بطره على الترفع علينا
بادعائه سيعلمون غدا عند نزول العذاب بهم او يوم القيمة من الكذاب الاشر
الذي حمله اشره على الاستكبار عن الحق وطلب الباطل صالح او من كذبه وقرأ ابن عامر
وحمزة ورويس ستعلمون على الالتفات او حكاية ما اجابهم صالح وقرئ الاشر
كقولهم حذر في حذر والاشر اي الابلغ في الشرارة وهو اصل مرفوض كالاخير انا
مرسلوا الناقة مخرجوها وباعثوها فتنة لهم امتحانا لهم فارتقبهم فانتظرهم
وتبصر ما تصنعون واصطبر على اذاهم ونبئهم ان الماء قسمة بينهم مقسوم لها
يوم ولهم يوم وبينهم لتغليب العقلاء كل شرب محتضر يحضره صاحبه في نوبته
او يحضر عنه غيره فنادوا صاحبهم قدار بن سالف احيمر ثمود فتعاطى فعقر فاجترأ
على تعاطي قتلها فقتلها او فتعاطى السيف فقتلها والتعاطي تناول الشيء بتكلف
فكيف كان عذابي ونذر انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة صيحة جبرئيل فكانوا
كهشيم المحتظر كالشجر اليابس المتكسر الذي يتخذه من يعمل الحظيرة لاجلها او كالحشيش
اليابس الذي يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته في الشتاء وقرئ بفتح الظاء اي كهشيم
الحظيرة او الشجر المتخذ لها ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت قوم
لوط بالنذر انا ارسلنا عليهم حاصبا ريحا تحصبهم بالحجارة اي ترميهم الا
آل لوط نجيناهم بسحر في سحر وهو آخر الليل او مسحرين نعمة من عندنا اي انعاما

منا وهو علة لنجينا كذلك نجزي من شكر نعمتنا بالايمان والطاعة ولقد انذرهم
لوط بطشتنا اخذتنا بالعذاب فتماروا بالنذر فكذبوا بالنذر متشاكين
ولقد راودوه عن ضيفه قصدوا الفجور بهم فطمسنا اعينهم فمسحناها وسويناها
بسائر الوجه روي انهم لما دخلوا داره عنوة صفقهم جبرئيل صفقة فاعماهم
فذوقوا عذابي ونذر فقلنا لهم ذوقوا على السنة الملائكة او ظاهر الحال ولقد صبحهم
بكرة وقرئ بكرة غير مصروفة على ان المراد بها اول نهار معين عذاب مستقر
يستقر بهم حتى يسلمهم الى النار فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر
فهل من مدكر كرر ذلك في كل قصة اشعارا بان تكذيب كل رسول مقتضى لنزول
العذاب واستماع كل قصة مستدعي للادكار والاتعاظ واستئنافا للتنبيه
والايقاظ لئلا يغلبهم السهو والغفلة وهكذا تكرير قوله فبأي آلاء ربكما تكذبان
وويل يومئذ للمكذبين ونحوهما ولقد جاء آل فرعون النذر اكتفى بذكرهم عن ذكره
للعلم بانه اولى بذلك كذبوا بآياتنا كلها يعني الآيات التسع فاخذناهم اخذ عزيز لا يغالب
مقتدر لا يعجزه شيء اكفاركم يا معشر العرب خير من اولئكم الكفار المعدودين
قوة وعدة او مكانة ودينا عند الله ام لكم براءة في الزبر ام نزلت لكم في الكتب
السماوية ان من كفر منكم فهو في امان من العذاب ام يقولون نحن جميع جماعة امرنا
مجتمع منتصر لا نرام او منتصر من الاعداء لا نغلب او متناصر ينصر بعضنا بعضا
والتوحيد على لفظ الجميع سيهزم الجمع ويولون الدبر اي الادبار وافراده
لارادة الجنس او لان كل احد يولي دبره وقد وقع ذلك يوم بدر وهو من دلائل
النبوة وعن عمر رضي الله عنه انه لما نزلت قال لم اعلم ما هي فلما كان يوم بدر رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس الدرع ويقول سيهزم الجمع فعلمته بل
الساعة موعدهم موعد عذابهم الاصلي وما يحيق بهم في الدنيا من طلائعه والساعة
ادهى اشد والداهية امر فظيع لا يهتدى لدوائه وامر مذاقا من عذاب الدنيا
ان المجرمين في ضلال عن الحق في الدنيا وسعر ونيران في الآخرة يوم يسحبون

في النار على وجوههم يجرون عليها ذوقوا مس سقر اي يقال لهم ذوقوا
حر النار والمها فان مسها سبب للتألم وسقر علم لجهنم ولذلك لم يصرف من سقرته
النار وصقرته اذا لوحته انا كل شيء خلقناه بقدر اي انا خلقنا كل شيء مقدرا
مرتبا على مقتضى الحكمة او مقدرا مكتوبا في اللوح قبل وقوعه وكل شيء منصوب بفعل يفسره
ما بعده وقرئ بالرفع على الابتداء وعلى هذا فالاولى ان يجعل خلقناه خبرا لا نعتا ليطابق
المشهورة في الدلالة على ان كل شيء مخلوق بقدر ولعل اختيار النصب هنا مع الاضمار
لما فيه من النصوصية على المقصود وما امرنا الا واحدة الا فعلة واحدة وهو الايجاد
بلا معالجة ومعاناة او الا كلمة واحدة وهو قوله كن كلمح بالبصر في اليسر والسرعة
وقيل معناه معنى قوله وما امر الساعة الا كلمح بالبصر ولقد اهلكنا اشياعكم اشباهكم
في الكفر ممن قبلكم فهل من مدكر متعظ وكل شيء فعلوه في الزبر مكتوب في كتب
الحفظة وكل صغير وكبير من الاعمال مستطر مسطور في اللوح ان المتقين في
جنات ونهر انهار واكتفى باسم الجنس او سعة او ضياء من النهار وقرئ بسكون
الهاء وبضم النون والهاء وبضم النون وسكون الهاء جمعا فهو كأسد واسد في مقعد
صدق في مكان مرضي وقرئ مقاعد صدق عند مليك مقتدر مقربين عند من
تعالى امره في الملك والاقتدار بحيث ابهمه ذوو الافهام عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة القمر في كل غب بعثه الله يوم القيمة ووجهه كالقمر ليلة البدر

سورة الرحمن مكية او مدنية وآيها سبع وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الرحمن علم القرآن لما كانت السورة مقصورة على
تعداد النعم الدنيوية والاخروية صدرها بالرحمن وقدم ما هو اصل النعم الدينية
واجلها وهو انعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه فانه اساس الدين ومنشأ الشرع واعظم
الوحي واعز الكتب اذ هو باعجازه واشتماله على خلاصتها مصدق لنفسه ومصدق
لها ثم اتبعه قوله خلق الانسان علمه البيان ايماء بان خلق البشر وما يميز به

عن سائر الحيوان من البيان وهو التعبير عما في الضمير وافهام الغير لما ادركه لتلقي الوحي
وتعرف الحق وتعلم الشرع واخلاء الجمل الثلث التي هي اخبار مترادفة للرحمن عن
العاطف لمجيئها على نهج التعديد الشمس والقمر بحسبان يجريان بحساب معلوم
مقدر في بروجهما ومنازلهما ويتسق بذلك امور الكائنات السفلية و
يختلف الفصول والاوقات ويعلم السنون والحساب والنجم النبات الذي
ينجم اي يطلع من الارض ولا ساق له والشجر وهو الذي له ساق يسجدان
ينقادان لله فيما يريد بهما طبعا انقياد الساجد من المكلفين طوعا وكان حق النظم
في الجملتين ان يقال واجرى الشمس والقمر واسجد النجم والشجر او الشمس والقمر بحسبانه
والنجم والشجر يسجدان له ليطابقا ما قبلهما وما بعدهما في اتصالهما بالرحمن لكنهما جردتا
عما يدل على الاتصال اشعارا بان وضوحه يغنيه عن البيان وادخال العاطف بينهما
لاشتراكهما في الدلالة على ان ما يحس به من تغيرات احوال الاجرام العلوية والسفلية
بتقديره وتدبيره والسماء رفعها خلقها مرفوعة محلا ومرتبة فانها منشأ اقضيته
ومتنزل احكامه ومحل ملائكته وقرئ بالرفع على الابتداء ووضع الميزان
العدل بان وفر على كل مستعد مستحقه ووفى كل ذي حق حقه حتى انتظم امر العالم واستقام
كما قال عليه الصلوة والسلام بالعدل قامت السموات والارض او ما يعرف به
مقادير الاشياء من ميزان ومكيال ونحوهما كأنه لما وصف السماء بالرفعة التي
هي من حيث انها مصدر القضايا والاقدار اراد وصف الارض بما فيها مما
يظهر به التفاوت ويعرف به المقدار ويسوى به الحقوق والمواجب الا تطغوا
في الميزان لان لا تطغوا فيه اي لا تعتدوا ولا تجاوزوا الانصاف وقرئ
لا تطغوا على ارادة القول واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان
ولا تنقصوه فان من حقه ان يسوى لانه المقصود من وضعه وتكريره
مبالغة في التوصية به وزيادة حث على استعماله وقرئ ولا تخسروا بفتح التاء
وضم السين وكسرها وفتحها على ان الاصل ولا تخسروا في الميزان فحذف الجار واوصل

الفعل والارض وضعها خفضها مدحوة للانام للخلق وقيل الانام كل ذي روح
فيها فاكهة ضروب مما يتفكه به والنخل ذات الاكمام اوعية الثمر جمع كم او كل
ما يكم اي يغطي من ليف وسعف وكفرى فانه ينتفع به كالمكموم كالجذع والجمار
والثمرة والحب ذو العصف كالحنطة والشعير وساير ما يتغذى به والعصف
ورق النبات اليابس كالتبن والريحان يعني المشموم او الرزق من قولهم خرجت
اطلب ريحان الله وقرا ابن عامر والحب ذا العصف والريحان اي وخلق الحب
والريحان او اخص ويجوز ان يراد وذا الريحان فحذف المضاف وهو فيعلان
من الروح فقلبت الواو ياء وادغم ثم خفف وقيل روحان قلب واوه ياء للتخفيف
فباي الاء ربكما تكذبان الخطاب للثقلين المدلول عليهما بقوله للانام وقوله ايها
الثقلان خلق الانسان من صلصال كالفخار الصلصال الطين اليابس الذي
له صلصلة والفخار الخزف وقد خلق الله آدم من تراب جعله طينا ثم حما مسنونا
ثم صلصالا فلا يخالف ذلك قوله خلقه من تراب ونحوه وخلق الجان الجن
او ابا الجن من مارج من صاف من الدخان من نار بيان لمارج فانه في الاصل
للمضطرب من مرج اذا اضطرب فباي الاء ربكما تكذبان مما افاض عليكما
في اطوار خلقتكما حتى صيركما افضل المركبات وخلاصة الكائنات رب المشرقين
ورب المغربين مشرقي الشتاء والصيف ومغربيهما فباي الاء ربكما تكذبان
مما في ذلك من الفوايد التي لا تحصى كاعتدال الهواء واختلاف الفصول وحدوث
ما يناسب كل فصل فيه الى غير ذلك مرج البحرين ارسلهما من مرجت الدابة
اذا ارسلتها والمعنى ارسل البحر الملح والبحر العذب يلتقيان يتجاوران ويتماس سطوحهما
او بحري فارس والروم يلتقيان في المحيط لانهما خليجان يتشعبان منه بينهما برزخ
حاجز من قدرة الله او من الارض لا يبغيان لا يبغي احدهما على الآخر بالممازجة
وابطال الخاصة او لا يتجاوزان حديهما باغراق ما بينهما فباي الاء ربكما
تكذبان يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان كبار الدر وصغاره وقيل المرجان الخرز

الاحمر

الاحمر وان صح ان الدر يخرج من المالح فعلى الاول انما قال منهما لانه يخرج من مجتمع
الملح والعذب او لانهما لما اجتمعا صارا كالشيء الواحد فكان المخرج من احدهما
كالمخرج منهما وقرا نافع وابو عمرو ويعقوب يخرج وقرئ نخرج ونخرج بنصب
اللؤلؤ والمرجان فباي الاء ربكما تكذبان وله الجوار السفن جمع جارية
وقرئ بحذف الياء ورفع الراء كقوله لها ثنايا اربع حسان واربع فكلها ثمان
المنشآت المرفوعات الشرع او المصنوعات وقرا حمزة وابو بكر بكسر الشين اي الرافعات
الشرع او اللاتي ينشئن الامواج والسير في البحر كالاعلام كالجبال جمع علم وهو
الجبل الطويل فباي الاء ربكما تكذبان من خلق مواد السفن والارشاد الى اخذها
وكيفية تركيبها واجرائها في البحر باسباب لا يقدر على خلقها وجمعها غيره كل من عليها
من على الارض من الحيوانات والمركبات ومن للتغليب او من الثقلين فان ويبقى
وجه ربك ذاته ولو استقريت جهات الموجودات وتفحصت وجوهها وجدتها
باسرها فانية في حد ذاتها الا وجه الله اي الوجه الذي يلي جهته ذو الجلال
والاكرام ذو الاستغناء المطلق والفضل العام فباي الاء ربكما تكذبان
اي مما ذكرنا قبل من بقاء ما لا يحصى مما هو على صدد الفناء رحمة وفضلا او مما رتب
على افناء الكل من الاعادة والحيوة الدائمة والنعيم يسئله من في السموات والارض
فانهم مفتقرون اليه في ذواتهم وصفاتهم وساير ما يهمهم ويعن لهم والمراد بالسؤال
ما يدل على الحاجة الى تحصيل الشيء نطقا كان او غيره كل يوم هو في شان كل وقت
يحدث اشخاصا ويجدد احوالا على ما سبق به قضاؤه وفي الحديث من شانه ان
يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين وهو رد لقول اليهود ان الله لا يقضي
يوم السبت شيئا فباي الاء ربكما تكذبان اي مما يسعف به سؤالكما وما يخرج
لكما من مكمن العدم حينا فحينا سنفرغ لكم ايها الثقلان اي سنتجرد
لحسابكم وجزائكم وذلك يوم القيمة فانه تعالى لا يفعل فيه غيره وقيل تهديد مستعار من
قولك لمن تهدده سافرغ لك فان المتجرد للشيء كان اقوى عليه واجد فيه وقرا حمزة

والكسائي بالياء وقرئ سنفرغ اليكم اي سنقصد اليكم والثقلان الانس والجن
سميا بذلك لثقلهما على الارض او لرزانة رأيهم وقدرهم او لانهما مثقلان بالتكليف
فباي آلاء ربكما تكذبان يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار
السموات والارض ان قدرتم ان تخرجوا من جوانب السموات والارض هاربين
من الله فارين من قضائه فانفذوا فاخرجوا لا تنفذون لا تقدرون على النفوذ
الا بسلطان الا بقوة وقهر وانى لكم ذلك او ان قدرتم ان تنفذوا لتعلموا ما في السموات
والارض فانفذوا لتعلموا لكن لا تنفذون ولا تعلمون الا ببينة نصبها الله تعالى فتعرجون عليها
بافكاركم فباي آلاء ربكما تكذبان اي من التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو مع كمال القدرة
او مما نصب من المصاعد العقلية والمعارج النقلية فتنفذون بها الى ما فوق السموات
العلى يرسل عليكما شواظ لهب من نار ونحاس دخان قال يضئ كضوء سراج السليط
لم يجعل الله فيه نحاسا او صفر مذاب يصب على رؤسهم وقرأ ابن كثير شواظ بالكسر وهو
لغة ونحاس بالجر عطفا على نار ووافقه فيه ابو عمرو ويعقوب في رواية وقرئ ونحس
وهو جمع كلحف فلا تنتصران فلا تمتنعان فباي آلاء ربكما تكذبان فان التهديد لطف
والتمييز بين المطيع والعاصي بالجزاء والانتقام من الكفار من عداد الآلاء فاذا انشقت
السماء فكانت وردة حمراء كوردة وقرئت بالرفع على كان التامة فيكون من
باب التجريد كقوله فلئن بقيت لارحلن بغزوة تحوي الغنائم او يموت كريم
كالدهان مذابة كالدهن وهو اسم لما يدهن به كالحزام او جمع دهن وقيل هو الاديم
الاحمر فباي آلاء ربكما تكذبان اي مما يكون بعد ذلك فيومئذ اي فيوم تنشق
السماء لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان لانهم يعرفون بسيماهم وذلك حين ما يخرجون من
قبورهم ويحشرون الى الموقف ذودا ذودا على اختلاف مراتبهم واما قوله فوربك لنسألنهم
ونحوه فحين يحاسبون في المجمع والهاء للانس باعتبار اللفظ فانه وان تأخر لفظا تقدم رتبة
فباي آلاء ربكما تكذبان اي مما انعم الله على عباده المؤمنين في هذا اليوم يعرف
المجرمون بسيماهم وهو ما يعلوهم من الكآبة والحزن فيؤخذ بالنواصي والاقدام

مجموعا

مجموعا بينهما وقيل يؤخذ بالنواصي تارة وبالاقدام اخرى فباي آلاء
ربكما تكذبان هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها بين النار يحرقون بها
وبين حميم ماء حار آن بلغ النهاية في الحرارة يصب عليهم او يسقون منه وقيل اذا
استغاثوا من النار اغيثوا بالحميم فباي آلاء ربكما تكذبان ولمن خاف مقام
ربه موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب او قيامه على احواله من قام عليه اذا راقبه
او مقام الخائف عند ربه للحساب باحد المعنيين فاضاف الى الرب تفخيما وتهويلا
او ربه ومقام مقحم للمبالغة كقوله ونفيت عنه مقام الذئب كالرجل اللعين جنتان
جنة للخائف الانسي والاخرى للخائف الجني فان الخطاب للفريقين والمعنى لكل
خائفين منكما او لكل واحد جنة لعقيدته واخرى لعمله او جنة لفعل الطاعات واخرى
لترك المعاصي او جنة يثاب بها واخرى يتفضل بها عليه او روحانية وجسمانية وكذا
ما جاء مثنى بعد فباي آلاء ربكما تكذبان ذواتا افنان انواع من الاشجار والاثمار
جمع فن او اغصان جمع فنن وهي الغصنة التي تتشعب من فروع الشجر وتخصيصها بالذكر
لانها التي تورق وتثمر وتمد الظل فباي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان
حيث شاؤا في الاعالي والاسافل قيل احديهما التسنيم والاخرى السلسبيل
فباي آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان صنفان غريب ومعروف
او رطب ويابس فباي آلاء ربكما تكذبان متكئين على فرش بطائنها من استبرق
من ديباج ثخين واذا كانت البطائن كذلك فما ظنك بالظهائر ومتكئين مدح للخائفين
او حال منهم لان من خاف في معنى الجمع وجنى الجنتين دان قريب يناله القاعد
والمضطجع وجنى اسم بمعنى مجني وقرئ بكسر الجيم فباي آلاء ربكما تكذبان فيهن
اي في الجنان فان جنتان تدل على جنان هي للخائفين او فيما فيهما من الاماكن والقصور
او في هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش قاصرات الطرف
نساء قصرن ابصارهن على ازواجهن لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان لم يمس
الانسيات انس والجنيات جن وفيه دليل على ان الجن يطمثون وقرأ الكسائي بضم الميم

فباي آلاء ربكما تكذبان كانهن الياقوت والمرجان اي في حمرة الوجه وبياض
البشرة وصفائهما م

فبأي آلاء ربكما تكذبان هل جزاء الإحسان في العمل إلا الإحسان في الثواب
وهو الجنة فبأي آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما جنتان ومن دون تينك
الجنتين الموعودتين للخائفين المقربين جنتان لمن دونهم من أصحاب اليمين فبأي آلاء
ربكما تكذبان مدهامتان خضراوان تضربان إلى السواد من شدة الخضرة وفيه إشعار
بأن الغالب على هاتين الجنتين النبات والرياحين المنبسطة على وجه الأرض وعلى الأوليين الأشجار
والفواكه دلالة على ما بينهما من التفاوت فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان
فوارتان بالماء وهو أيضاً أقل مما وصف به الأوليين وكذا ما بعده فبأي آلاء ربكما
تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان عطفهما على الفاكهة بياناً لفضلهما فإن ثمرة النخل فاكهة
وغذاء وثمرة الرمان فاكهة ودواء واحتج به أبو حنيفة رحمه الله على أن من حلف لا يأكل فاكهة
فأكل رطباً أو رماناً لم يحنث فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهن خيرات أي خيرات فخففت لأن
خيراً الذي بمعنى أخير لا يجمع وقد قرئ على الأصل حسان حسان الخلق والخلق فبأي آلاء ربكما
تكذبان حور مقصورات في الخيام قصرن في خدورهن يقال امرأة قصيرة وقصورة
ومقصورة أي مخدرة أو مقصورات الطرف على أزواجهن فبأي آلاء ربكما تكذبان
لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان كحور الأوليين وهم لأصحاب الجنتين فإنهما تدلان عليهم فبأي
آلاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف وسائد أو نمارق جمع رفرفة وقيل الرفرف
ضرب من البسط أو ذيل الخيمة وقد يقال لكل ثوب عريض خضر وعبقري حسان
العبقري منسوب إلى عبقر تزعم العرب أنه اسم بلد للجن فينسبون إليه كل شيء عجيب
والمراد الجنس ولذلك جمع حسان حملاً على المعنى فبأي آلاء ربكما تكذبان تبارك اسم
ربك تعالى اسمه من حيث إنه مطلق على ذاته فما ظنك بذاته وقيل الاسم بمعنى الصفة أو مقحم
كما في قوله إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ذي الجلال والإكرام وقرأ ابن عامر بالرفع
صفة للاسم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرحمن أدى شكر ما أنعم الله عليه

سورة الواقعة مكية وآيها تسع وتسعون آية

بسم الله

بسم الله الرحمن الرحيم إذا وقعت الواقعة إذا حدثت القيامة سماها واقعة
لتحقق وقوعها وانتصاب إذا بمحذوف مثل اذكر أو كان كيت وكيت ليس لوقعتها
كاذبة أي لا يكون حين تقع نفس تكذب على الله أو تكذب في نفيها كما تكذب الآن
واللام مثلها في قوله قدمت لحياتي أو ليس لأجل وقعتها كاذبة فإن من أخبر عنها صدق
أو ليس لها حينئذ نفس تحدث صاحبها بإطاقة شدتها واحتمالها وتغريه عليها من قولهم
كذبت فلاناً نفسه في الخطب العظيم إذا شجعته عليه وسولت له أنه يطيقه خافضة رافعة
تخفض قوماً وترفع آخرين وتقرير لعظمتها فإن الوقائع العظام كذلك أو بيان لما يكون حينئذ
من خفض أعداء الله ورفع أوليائه أو إزالة الأجرام عن مقارها بنثر الكواكب وتسيير
الجبال في الجو وقرئتا بالنصب على الحال إذا رجت الأرض رجا حركت تحريكاً شديداً
بحيث ينهدم ما فوقها من بناء وجبل والظرف متعلق بخافضة أو بدل من إذا وقعت وبست
الجبال بساً فتتت حتى صارت كالسويق الملتوت من بس السويق إذا لته أو سيقت
وسيرت من بس الغنم إذا ساقها فكانت هباء غباراً منبثاً منتشراً وكنتم أزواجاً
أصنافاً ثلاثة وكل صنف يكون أو يذكر مع صنف آخر زوج فأصحاب الميمنة ما أصحاب
الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة فأصحاب المنزلة السنية وأصحاب المنزلة
الدنية من تيمنهم بالميامن وتشاؤمهم بالشمائل أو أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة
الذين يؤتون صحائفهم بأيمانهم والذين يؤتونها بشمائلهم أو أصحاب اليمن والشؤم فإن
السعداء ميامين على أنفسهم بطاعتهم والأشقياء مشائيم عليها بمعصيتهم والجملتان
الاستفهاميتان خبران لما قبلهما بإقامة الظاهر مقام الضمير ومعناهما التعجب من حال الفريقين
والسابقون السابقون والذين سبقوا إلى الإيمان والطاعة بعد ظهور الحق من غير تلعثم
وتوان أو سبقوا في حيازة الفضائل والكمالات أو الأنبياء فإنهم مقدمو أهل الأديان
هم الذين عرفت حالهم وعرفت مآلهم كقول أبي النجم أنا أبو النجم وشعري شعري أو الذين
سبقوا إلى الجنة أولئك المقربون في جنات النعيم الذين قربت درجاتهم في الجنة و
أعليت مراتبهم ثلة من الأولين أي هم كثير من الأولين يعني الأمم السالفة من لدن آدم

الى محمد صلى الله عليه وسلم وقليل من الآخرين يعني امة محمد صلى الله عليه وسلم
ولا يخالف ذلك قوله ان امتي يكثرون سائر الامم لجواز ان يكون سابقوا سائر الامم اكثر
من سابقي هذه الامة وتابعوا هذه الامة اكثر من تابعيهم ولا يرده قوله في اصحاب اليمين
ثلة من الاولين وثلة من الآخرين لان كثرة الفريقين لا تنافي اكثرية احدهما وروي مرفوعا
انهما من هذه الامة واشتقاقها من الثل وهو القطع على سرر موضونة خبر آخر
للضمير المحذوف والموضونة المنسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت او متواصلة
من الوضن وهو نسج الدرع متكئين عليها متقابلين حالان من الضمير في على يطوف
عليهم للخدمة ولدان مخلدون مبقون ابدا على هيئة الولدان وطراوتهم باكواب
واباريق حال الشرب وغيره والكوب اناء لا عروة له ولا خرطوم والابريق اناء
له ذلك وكاس من معين من خمر لا يصدعون عنها بخمار ولا ينزفون ولا ينزف
عقولهم او لا ينفد شرابهم وقرئ لا يصدعون بمعنى لا يتصدعون اي لا يتفرقون
وفاكهة مما يتخيرون اي يختارون ولحم طير مما يشتهون يتمنون وحور عين عطف على
ولدان او مبتدا محذوف الخبر اي وفيها حور او ولهم حور وقرأ حمزة والكسائي بالجر عطفا
على جنات بتقدير مضاف اي هم في جنات ومصاحبة حور او على اكواب لان معنى يطوف
عليهم ولدان باكواب ينعمون باكواب وقرئتا بالنصب على تقدير ويؤتون حورا
كامثال اللؤلؤ المكنون المصون عما يضر به في الصفا والنقاء جزاء بما كانوا يعملون
اي يفعل ذلك كله بهم جزاء باعمالهم لا يسمعون فيها لغوا باطلا ولا تاثيما
ولا نسبة الى الاثم اي لا يقال لهم اثمتم الا قيلا اي قولا سلاما سلاما بدل من قيلا
كقوله لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما او صفته او مفعوله بمعنى الا ان يقولوا سلاما او
مصدر والتكرير للدلالة على فشو السلام بينهم وقرئ سلام سلام على الحكاية
واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين في سدر مخضود لا شوك له من خضد الشوك اذا قطعه او مثني
اغصانه من كثرة حمله من خضد الغصن اذا ثناه وهو رطب وطلح وشجر موز او ام
غيلان وله انوار كثيرة طيبة الرائحة وقرئ بالعين منضود نضد حمله من اسفله

الى اعلاه

الى اعلاه وظل ممدود منبسط لا يتقلص ولا يتفاوت وماء مسكوب يسكب
لهم اين شاؤوا بلا تعب او مصبوب سائل كانه لما شبه حال السابقين في التنعم باكمل
ما يتصور لاهل المدن شبه حال اصحاب اليمين باكمل ما يتمناه اهل البوادي اشعارا
بالتفاوت بين الحالين وفاكهة كثيرة كثيرة الاجناس لا مقطوعة لا تنقطع في وقت
ولا ممنوعة لا تمنع عن متناولها بوجه وفرش مرفوعة رفيعة القدر او منضدة مرتفعة
وقيل الفرش النساء وارتفاعها على الارائك ويدل عليه قوله انا انشاناهن
انشاء اي ابتدأناهن ابتداء جديدا من غير ولادة ابداء او اعادة وفي الحديث هن
اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز شمطا رمصا جعلهن الله بعد الكبر اترابا على ميلاد
واحد كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا فجعلناهن ابكارا عربا اترابا متحببات
الى ازواجهن جمع عروب وسكن راءه حمزة وروي عن عاصم ونافع مثله اترابا كان
كلهن بنات ثلث وثلثين وكذا ازواجهن لاصحاب اليمين متعلق بانشانا او جعلنا
او صفة لابكارا او خبر لمحذوف مثل هن او لقوله ثلة من الاولين وثلة من الآخرين وهي على
الوجه الاول خبر محذوف واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال في سموم في حر نار ينفذ
في المسام وحميم وماء متناه في الحرارة وظل من يحموم من دخان اسود يفعول من
الحممة لا بارد كسائر الظل ولا كريم ولا نافع نفي بذلك ما اوهم الظل من الاسترواح
انهم كانوا قبل ذلك مترفين منهمكين في الشهوات وكانوا يصرون على الحنث العظيم
الذنب العظيم يعني الشرك ومنه بلغ الغلام الحنث اي الحلم ووقت المؤاخذة بالذنب وحنث
في يمينه خلاف بر فيها وتحنث اذا تاثم وكانوا يقولون ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما
ائنا لمبعوثون كررت الهمزة للدلالة على انكار البعث مطلقا خصوصا في هذا الوقت
كما دخلت العاطفة في قوله او اباؤنا الاولون للدلالة على ان ذلك اشد انكارا
في حقهم لتقادم زمانهم وللفصل بها حسن العطف على المستكن في لمبعوثون وقرأ نافع
وابن عامر او بالسكون وقد سبق مثله والعامل في الظرف ما دل عليه مبعوثون لا هو للفصل
بان والهمزة قل ان الاولين والآخرين لمجموعون وقرئ لمجمعون الى ميقات يوم

معلوم الى ما وقتت به الدنيا وحد من يوم معين عند الله معلوم له ثم انكم ايها الضالون المكذبون
اى بالبعث والخطاب لاهل مكة واضرابهم لآكلون من شجر من زقوم من الاولى
للابتداء والثانية للبيان فمالئون منها البطون من شدة الجوع فشاربون عليه
من الحميم لغلبة العطش وتانيث الضمير فى منها وتذكيره فى عليه على معنى الشجر ولفظه
وقرئ من شجرة فيكون التذكير للزقوم فانه تفسيرها فشاربون شرب الهيم الابل التى
بها الهيام وهو داء يشبه الاستسقاء جمع اهيم وهيماء وقال ذو الرمة فاصبحت كالهيماء لا الماء
مبرد صداها ولا يقضى عليها هيامها وقيل الرمال على انه جمع هيام بالفتح وهو
الرمل الذى لا يتماسك جمع على هيم كسحب ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع ابيض وكل من
المعطوف والمعطوف عليه اخص من الآخر من وجه فلا اتحاد هذا نزلهم يوم الدين
يوم الجزاء فما ظنك بما يكون لهم بعدما استقروا فى الجحيم وفيه تهكم كما فى قوله فبشرهم
بعذاب اليم لان النزل ما يعد للنازل تكرمة له وقرئ نزلهم بالتخفيف نحن خلقناكم
فلولا تصدقون بالخلق متيقنين محققين للتصديق بالاعمال الدالة عليه او بالبعث
فان من قدر على الابداء قدر على الاعادة افرأيتم ما تمنون اى ما تقذفونه
فى الارحام من النطف وقرئ بفتح التاء من منى النطفة بمعنى امناها أأنتم تخلقونه تجعلونه
بشرا سويا ام نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت قسمناه عليكم واقتنا موت كل
بوقت معين وما نحن بمسبوقين لا يسبقنا احد فيهرب من الموت او يغير وقته او لا
يغلبنا احد من سبقته على كذا اذا غلبته عليه على ان نبدل امثالكم على الاول حال
او علة لقدرنا وعلى بمعنى اللام وما نحن بمسبوقين اعتراض وعلى الثانى صلة والمعنى على ان
نبدل منكم اشباهكم فنخلق بدلكم او نبدل صفاتكم على ان امثالكم جمع مثل وننشئكم فيما
لا تعلمون فى خلق او صفات لا تعلمونها ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون
ان من قدر عليها قدر على النشأة الاخرى فانها اقل صنعا لحصول المواد وتخصيص الاجزاء
وسبق المثال وفيه دليل على صحة القياس افرأيتم ما تحرثون تبذرون حبه أأنتم
تزرعونه تنبتونه ام نحن الزارعون المنبتون لو نشاء لجعلناه حطاما هشيما

فظلتم

فظلتم تفكهون تعجبون او تندمون على اجتهادكم فيه او على ما اصبتم لاجله من المعاصى
فتتحدثون فيه والتفكه التنقل فى صنوف الفاكهة وقد استعير للتنقل بالحديث وقرئ
فظلتم بالكسر وفظللتم على الاصل انا لمغرمون لملزمون غرامة ما انفقنا او مهلكون
لهلاك رزقنا من الغرام وقرأ ابو بكر أئنا على الاستفهام بل نحن قوم محرومون
حرمنا رزقنا او محدودون لا مجدودون افرأيتم الماء الذى تشربون اى
العذب الصالح للشرب أأنتم انزلتموه من المزن من السحاب واحده مزنة وقيل
المزن السحاب الابيض وماؤه اعذب ام نحن المنزلون بقدرتنا والرؤية ان كانت
بمعنى العلم فمعلقة بالاستفهام لو نشاء جعلناه اجاجا ملحا او من الاجيج فانه يحرق
الفم وحذف اللام الفاصلة بين جواب ما يتمحض للشرط وما يتضمن معناه لعلم السامع
بمكانه او الاكتفاء بسبق ذكرها او تخصيص ما يقصد لذاته ويكون اهم وفقده اصعب بمزيد
التاكيد فلولا تشكرون امثال هذه النعم الضرورية افرأيتم النار التى تورون تقدحون
أأنتم انشأتم شجرتها ام نحن المنشئون يعنى الشجرة التى منها الزناد نحن جعلناها
جعلنا نار الزناد تذكرة تبصرة فى امر البعث كما مر فى سورة يس او فى الظلام او تذكيرا
وانموذجا لنار جهنم ومتاعا ومنفعة للمقوين للذين ينزلون القواء وهى القفر او
الذين خلت بطونهم او مزاودهم من الطعام من اقويت الدار اذا خلت عن ساكنيها
فسبح باسم ربك العظيم فاحدث التسبيح بذكر اسمه او بذكره فان اطلاق اسم الشئ ذكره
والعظيم صفة للاسم او الرب وتعقيب الامر بالتسبيح لما عدد من بدائع صنعه وانعامه
اما لتنزيهه تعالى عما يقول الجاحدون لوحدانيته الكافرون لنعمته او للتعجب من امرهم فى
غمط نعمه او للشكر على ما عدها من النعم فلا اقسم اذ الامر اوضح من ان يحتاج الى قسم
او فاقسم ولا مزيدة للتاكيد كما فى لئلا يعلم او فلانا اقسم فحذف المبتدأ واشبع فتحة لام
الابتداء ويدل عليه انه قرئ فلاقسم او فلا رد لكلام يخالف المقسم عليه بمواقع النجوم
بمساقطها وتخصيص المغارب لما فى غروبها من زوال اثرها والدلالة على وجود مؤثر
لا يزول تأثيره او بمنازلها ومجاريها وقيل النجوم نجوم القرآن ومواقعها اوقات نزولها وانه

لقسم لو تعلمون عظيم لما في المقسم به من الدلالة على عظم القدرة وكمال الحكمة وفرط
الرحمة ومن مقتضيات رحمته ان لا يترك عباده سدى وهو اعتراض في اعتراض فانه اعتراض
بين القسم والمقسم عليه ولو تعلمون اعتراض بين الموصوف والصفة انه لقرآن كريم كثير
النفع لاشتماله على اصول العلوم المهمة في اصلاح المعاش والمعاد او حسن مرضي في
جنسه في كتاب مكنون مصون وهو اللوح لا يمسه الا المطهرون لا يطلع على اللوح
الا المطهرون من الكدورات الجسمانية وهم الملائكة او لا يمس القرآن الا المطهرون
من الاحداث فيكون نفيا بمعنى نهي او لا يطلبه الا المطهرون من الكفر وقرئ المتطهرون
والمطهرون والمطهرون من اطهره بمعنى طهره والمطهرون اي انفسهم او غيرهم بالاستغفار لهم والالهام
تنزيل من رب العالمين صفة ثالثة او رابعة للقرآن وهو مصدر نعت به وقرئ بالنصب
اي نزل تنزيلا افبهذا الحديث يعني القرآن انتم مدهنون متهاونون به كمن يدهن
في الامر اي يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به وتجعلون رزقكم اي شكر رزقكم انكم
تكذبون اي بمانحه حيث تنسبونه الى الانواء وقرئ شكركم اي تجعلون شكركم لنعمة القرآن
انكم تكذبون به وتكذبون اي بقولكم في القرآن انه سحر وشعر او في المطر انه من الانواء
فلولا اذا بلغت الحلقوم اي النفس وانتم حينئذ تنظرون حالكم والخطاب لمن حول المحتضر
والواو للحال ونحن اقرب اليه منكم ونحن اعلم الى المحتضر منكم عبر عن العلم بالقرب الذي هو
اقوى سبب الاطلاع ولكن لا تبصرون لا تدركون كنه ما يجري عليه فلولا ان كنتم
غير مدينين اي مجزيين يوم القيامة او مملوكين مقهورين من دان اذا اذله واستعبده
واصل التركيب للذل والانقياد ترجعونها ترجعون النفس الى مقرها وهو عامل الظرف
والمحضض عليه بلولا الاولى والثانية تكرير للتوكيد وهي بما في حيزها دليل جواب الشرط
والمعنى ان كنتم غير مملوكين مجزيين كما دل عليه جحدكم افعال الله وتكذيبكم باياته ان كنتم
صادقين في تعطيلكم فلولا ترجعون الارواح الى الابدان بعد بلوغها الحلقوم فاما
ان كان من المقربين اي ان كان المتوفى من السابقين فروح فله استراحة وقرئ
فروح بالضم وفسر بالرحمة لانها كالسبب لحياة المرحوم وبالحياة الدائمة وريحان

رزق طيب وجنت نعيم ذات تنعم واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك يا صاحب
اليمين من اصحاب اليمين من اخوانك يسلمون عليك واما ان كان من المكذبين
الضالين يعني اصحاب الشمال وانما وصفهم بافعالهم زجرا عنها واشعارا
بما اوجب لهم ما اوعدهم به فنزل من حميم وتصلية جحيم وذلك ما يجد في القبر من سموم
النار ودخانها ان هذا الذي ذكر في السورة او في شان الفرق لهو حق اليقين
اي حق الخبر اليقين فسبح باسم ربك العظيم فنزهه بذكر اسمه عما لا يليق بعظمة
شانه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم يصبه فاقة ابدا

سورة الحديد مدنية وآيها تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات والارض ذكر هنا وفي
الحشر والصف بلفظ الماضي وفي الجمعة والتغابن بلفظ المضارع اشعارا بان من شان
ما اسند اليه ان يسبحه في جميع اوقاته لانه دلالة جبلية لا تختلف باختلاف الحالات ومجيء المصدر مطلقا
في بني اسرائيل ابلغ من حيث انه يشعر باطلاقه على استحقاق التسبيح من كل شيء وفي كل حال
وانما عدي باللام وهو معدى بنفسه مثل نصحته ونصحت له في نصحته اشعارا بان ايقاع الفعل لاجل
الله وخالصا لوجهه وهو العزيز الحكيم حال يشعر بما هو المبدأ للتسبيح له ملك السموات
والارض فانه الموجد لها والمتصرف فيها يحيي ويميت استئناف او خبر لمحذوف او حال
من المجرور في له وهو على كل شيء من الاحياء والاماتة وغيرهما قدير تام القدرة هو الاول
السابق على سائر الموجودات من حيث انه موجدها ومحدثها والآخر الباقي بعد فنائها
ولو بالنظر الى ذاتها مع قطع النظر عن غيرها او هو الاول الذي تبتدئ منه الاسباب
وينتهي اليه المسببات او الاول خارجا والآخر ذهنا والظاهر والباطن الظاهر وجوده
لكثرة دلائله والباطن حقيقة ذاته فلا تكتنهها العقول او الغالب على كل شيء والعالم
بباطنه والواو الاولى والاخيرة للجمع بين الوصفين والمتوسطة للجمع بين المجموعين وهو بكل شيء عليم
يستوي عنده الظاهر والخفي هو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى

على العرش يعلم ما يلج في الارض كالبذور وما يخرج منها كالزروع وما ينزل من
السماء كالامطار وما يعرج فيها كالابخرة وهو معكم اينما كنتم لا ينفك علمه وقدرته
عنكم بحال والله بما تعملون بصير فيجازيكم عليه ولعل تقديم الخلق على العلم لانه دليل عليه
له ملك السموات والارض ذكره مع الاعادة كما ذكره مع الابداء لانه كالمقدمة لهما
والى الله ترجع الامور يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات
الصدور بمكنوناتها آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه من
الاموال التي جعلكم الله خلفاء في التصرف فيها فهي في الحقيقة له لا لكم او التي استخلفكم
عمن قبلكم في تملكها والتصرف فيها وفيه حث على الانفاق وتهوين له على النفس
فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير وعد فيه مبالغات جعل الجملة اسمية واعادة ذكر
والانفاق وبناء الحكم على الضمير وتنكير الاجر ووصفه بالكبر وما لكم لا تؤمنون بالله
اي وما تصنعون غير مؤمنين به كقولك ما لك قائما والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم
حال من ضمير لا تؤمنون والمعنى اي عذر لكم في ترك الايمان والرسول يدعوكم اليه بالحجج والآيات
وقد اخذ ميثاقكم اي وقد اخذ الله ميثاقكم بالايمان قبل ذلك بنصب الادلة والتمكين
من النظر والواو للحال من مفعول يدعوكم وقرأ ابو عمرو على البناء للمفعول ان كنتم مؤمنين
لموجب ما فان هذا موجب لا مزيد عليه هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم
اي الله او العبد من الظلمات الى النور من ظلمات الكفر الى نور الايمان وان الله بكم
لرؤوف رحيم حيث نبهكم بالرسول والآيات ولم يقتصر على ما نصب لكم من الحجج العقلية
وما لكم الا تنفقوا واي شيء لكم في ان لا تنفقوا في سبيل الله فيما يكون قربة اليه ولله
ميراث السموات والارض يرث كل شيء فيهما ولا يبقى لاحد مال واذا كان كذلك
فانفاقه بحيث يستخلف عوضا يبقى وهو الثواب كان اولى لا يستوي منكم من انفق
من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة بيان لتفاوت المنفقين باختلاف احوالهم
من السبق وقوة اليقين وتحري الحاجات حثا على تحري الافضل منها بعد الحث على الانفاق
وذكر القتال للاستطراد وقسيم من انفق محذوف لوضوحه ودلالة ما بعده عليه والفتح

فتح مكة اذ عز الاسلام به وكثر اهله وقلت الحاجة الى المقاتلة والانفاق من الذين
انفقوا من بعد وقاتلوا اي من بعد الفتح وكلا وعد الله الحسنى اي وعد الله كلا من المنفقين
المثوبة الحسنى وهي الجنة وقرأ ابن عامر وكل بالرفع على الابتداء اي وكل وعده الله
ليطابق ما عطف عليه والله بما تعملون خبير عالم بظاهره وباطنه فيجازيكم على حسبه
والآية نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه فانه اول من آمن وانفق في سبيل الله
وخاصم الكفار حتى ضرب ضربا اشرف به على الهلاك من ذا الذي يقرض الله قرضا
حسنا من ذا الذي ينفق ماله في سبيل الله رجاء ان يعوضه فانه كمن يقرضه وحسن
بالاخلاص فيه وتحري اكرم المال وافضل الجهات له فيضاعفه له اي يعطي اجره اضعافا
وله اجر كريم اي وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم في نفسه ينبغي ان يتوخى وان
لم يضاعف فكيف وقد يضاعف اضعافا وقرأ عاصم فيضاعفه بالنصب على جواب
الاستفهام باعتبار المعنى وكانه قال ايقرض الله احد فيضاعفه له وقرأ ابن كثير يضعفه
مضعفا يوم ترى المؤمنين والمؤمنات ظرف لقوله وله او فيضاعفه او مقدر باذكر
يسعى نورهم ما يوجب نجاتهم وهدايتهم الى الجنة بين ايديهم وبايمانهم لان
السعداء يؤتون صحائف اعمالهم من هاتين الجهتين بشراكم اليوم جنات اي يقول لهم
من يتلقاهم من الملائكة بشراكم اي المبشر به جنات او بشراكم دخول جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم الاشارة الى ما تقدم من النور والبشرى بالجنان
المخلدة يوم يقول المنافقون والمنافقات بدل من يوم ترى للذين آمنوا انظرونا
انتظرونا فانهم يسرع بهم الى الجنة كالبرق الخاطف او انظروا الينا فانهم اذا نظروا
اليهم استقبلوهم بوجوههم فيستضيئون بنور بين ايديهم وقرأ حمزة انظرونا على ان
اتئادهم ليلحقوا بهم امهال لهم نقتبس من نوركم نصب منه قيل ارجعوا وراءكم الى الدنيا
فالتمسوا نورا بتحصيل المعارف الالهية والاخلاق الفاضلة فانه يتولد منها او الى
الموقف فانه من ثمة يقتبس او الى حيث شئتم فاطلبوا نورا آخر فانه لا سبيل لكم الى هذا
وهو تهكم بهم وتخييب من المؤمنين او الملائكة فضرب بينهم بين المؤمنين والمنافقين بسور

بحائط له باب يدخل فيه المؤمنون باطنه باطن السور او الباب فيه الرحمة لانه يلي
الجنة وظاهره من قبله العذاب من جهته لانه يلي النار ينادونهم الم نكن معكم يريدون موافقتهم
في الظاهر قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم اي اهلكتموها بالنفاق وتربصتم بالمؤمنين
الدوائر وارتبتم وشككتم في الدين وغرتكم الاماني كامتداد العمر حتى جاء امر الله
وهو الموت وغركم بالله الغرور الشيطان او الدنيا فاليوم لا يؤخذ منكم
فدية فداء وقرأ ابن عامر ويعقوب بالتاء ولا من الذين كفروا ظاهرا وباطنا مأويكم
النار هي موليكم هي اولى بكم كقول لبيد فغدت كلا الفرجين تحسب انه مولى المخافة خلفها
وامامها وحقيقته محراكم اي مكانكم الذي يقال فيه هو اولى بكم كقولكم هو مئنة الكرم اي مكان
قول القائل انه لكريم او مكانكم عما قريب من الولي وهو القرب او ناصركم على طريقة قوله تحية بينهم
ضرب وجيع او متوليكم يتولاكم كما توليتم موجباتها في الدنيا وبئس المصير النار الم يان
للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله الم يأت وقته يقال انى الامر يأني انيا واناء
واناء اذا جاء اناه وقرئ بكسر الهمزة وسكون النون من آن يئين بمعنى انى يأني ولما يأن
روي ان المؤمنين كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا اصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا
عليه فنزلت وما نزل من الحق اي القرآن وهو عطف على الذكر عطف احد الوصفين على
الآخر ويجوز ان يراد بالذكر ان يذكر الله وقرأ نافع وحفص ويعقوب نزل بالتخفيف
وقرئ انزل ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل عطف على تخشع وقرأ رويس
بالتاء والمراد النهي عن مماثلة اهل الكتاب فيما حكى عنهم بقوله فطال عليهم الامد فقست قلوبهم
اي فطال عليهم الزمان بطول اعمارهم او آمالهم او ما بينهم وبين انبيائهم فقست قلوبهم
وقرئ الامد وهو الوقت الاطول وكثير منهم فاسقون خارجون عن دينهم رافضون
لما في كتابهم من فرط القسوة اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها تمثيل لاحياء
القلوب القاسية بالذكر والتلاوة او لاحياء الاموات ترغيبا في الخشوع وزجرا عن
القساوة قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون كي يكمل عقلكم ان المصدقين والمصدقات
ان المتصدقين والمتصدقات وقد قرئ بهما وقرأ ابن كثير وابو بكر بتخفيف الصاد اي

الذين

الذين صدقوا الله ورسوله واقرضوا الله قرضا حسنا عطف على معنى الفعل
في المحلى باللام لان معناه الذين اصدقوا او صدقوا وهو على الاول للدلالة على ان المعتبر
هو التصدق المقرون بالاخلاص يضاعف لهم ولهم اجر كريم معناه ما مر والقراءة
في يضاعف ما مر غير انه لم يجزم لانه خبر ان وهو مسند الى لهم او الى ضمير المصدر
والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم اي اولئك
عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء او هم المبالغون في الصدق فانهم آمنوا وصدقوا
جميع اخبار الله ورسله والقائمون بالشهادة لله ولهم او على الامم يوم القيامة وقيل والشهداء عند ربهم
مبتدأ وخبر والمراد به الانبياء من قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد او الذين
استشهدوا في الله لهم اجرهم ونورهم مثل اجر الصديقين والشهداء ومثل نورهم
ولكن من غير تضعيف ليحصل التفاوت او الاجر والنور الموعودان لهم والذين
كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم فيه دليل على ان الخلود في النار مخصوص
بالكفار من حيث ان التركيب يشعر بالاختصاص والصحبة تدل على الملازمة عرفا اعلموا
انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد لما
ذكر حال الفريقين في الآخرة حقر امور الدنيا وهي ما لا يتوصل به الى الفوز الآجل بان بين انها
امور خيالية قليلة النفع سريعة الزوال لانها لعب يتعب فيه الناس انفسهم جدا
اتعاب الصبيان في الملاعب من غير فائدة ولهو يلهون به انفسهم عما يهمهم وزينة كالملابس
الحسنة والمراكب البهية والمنازل الرفيعة وتفاخر بالانساب وتكاثر بالعدد والعدد ثم قرر
ذلك بقوله كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وهو
تمثيل لها في سرعة تقضيها وقلة جدواها بحال نبات انبته الغيث فاستوى واعجب به
الحراث او الكافرون بالله لانهم اشد اعجابا بزينة الدنيا ولان المؤمن اذا رأى معجبا
انتقل فكره الى قدرة صانعه فاعجب بها والكافر لا يتخطى فكره عما احس به فيستغرق
فيه اعجابا ثم هاج اي يبس بعاهة فاصفر ثم صار حطاما ثم عظم امور الآخرة بقوله وفي
الآخرة عذاب شديد تنفيرا عن الانهماك في الدنيا وحثا على ما يوجب كرامة العقبى

ثم اكد ذلك بقوله ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور
اى لمن اقبل عليها ولم يطلب الآخرة بها سابقوا سارعوا مسارعة السابقين في المضمار
الى مغفرة من ربكم الى موجباتها وجنة عرضها كعرض السماء والارض اى عرضها
كعرضهما واذا كان العرض كذلك فما ظنك بالطول وقيل المراد به البسطة كقوله
فذو دعاء عريض اعدت للذين آمنوا بالله ورسله وفيه دليل على ان الجنة مخلوقة
وان الايمان وحده كاف في استحقاقها ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء
ذلك الموعود يتفضل به على من يشاء من غير ايجاب والله ذو الفضل العظيم فلا يبعد
منه التفضل بذلك وان عظم قدره ما اصاب من مصيبة في الارض كجدب وعاهة
ولا في انفسكم كمرض وآفة الا في كتاب الا مكتوبة في اللوح مثبتة في علم الله من قبل
ان نبرأها نخلقها والضمير للمصيبة او للارض او للانفس ان ذلك ان اثباته في كتاب
على الله يسير لاستغنائه فيه عن العدة والمدة لكيلا تأسوا اى اثبت وكتب لئلا تحزنوا
على ما فاتكم من نعم الدنيا ولا تفرحوا بما آتاكم بما اعطاكم الله منها فان من علم ان
الكل مقدر هان عليه الامر وقرأ ابو عمرو بما اتاكم من الاتيان ليعادل ما فاتكم وعلى الاول
فيه اشعار بان فواتها يلحقها اذا خليت وطباعها واما حصولها وبقاؤها فلا بد لهما من
سبب يوجدها ويبقيها والمراد به نفي الاسى المانع عن التسليم لامر الله والفرح الموجب
للبطر والاختيال ولذلك عقبه بقوله والله لا يحب كل مختال فخور اذ قل من يثبت
نفسه حالي الضراء والسراء الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل بدل من كل مختال فان
المختال بالمال يضن به غالبا او مبتدأ خبره محذوف مدلول عليه بقوله ومن يتول فان
الله هو الغني الحميد لان معناه ومن يعرض عن الانفاق فان الله غني عنه وعن انفاقه
محمود في ذاته لا يضره الاعراض عن شكره بالتقرب اليه بشيء من نعمه وفيه تهديد واشعار
بان الامر بالانفاق لمصلحة المنفق وقرأ نافع وابن عامر ان الله الغني لقد ارسلنا رسلنا
اى الملائكة الى الانبياء او الانبياء الى الامم بالبينات بالحجج والمعجزات وانزلنا معهم
الكتاب ليبين الحق ويميز صواب العمل والميزان ليسوى به الحقوق ويقام به العدل

كما قال

كما قال ليقوم الناس بالقسط وانزاله انزال اسبابه والامر باعداده وقيل انزل الى
نوح ويجوز ان يراد به العدل ليقام به السياسة ويدفع به الاعداء كما قال وانزلنا
الحديد فيه بأس شديد فان آلات الحروب متخذة منه ومنافع للناس اذ ما
من صنعة الا والحديد آلتها وليعلم الله من ينصره ورسله باستعمال الاسلحة
في مجاهدة الكفار والعطف على محذوف دل عليه ما قبله فانه حال يتضمن
تعليلا او اللام صلة لمحذوف اى انزله ليعلم الله بالغيب حال من المستكن في ينصره
ان الله قوي على اهلاك من اراد اهلاكه عزيز لا يفتقر الى نصرة وانما امرهم بالجهاد
لينتفعوا به ويستوجبوا ثواب الامتثال فيه ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا
في ذريتهما النبوة والكتاب بان استنبأناهم واوحينا اليهم الكتب وقيل
المراد بالكتاب الخط فمنهم فمن الذرية او من المرسل اليهم وقد دل عليه ارسلنا
مهتد وكثير منهم فاسقون خارجون عن الطريق المستقيم والعدول عن سنن المقابلة
للمبالغة في الذم والدلالة على ان الغلبة للضلال ثم قفينا على آثارهم برسلنا
وقفينا بعيسى ابن مريم اى ارسلنا رسولا بعد رسول حتى انتهى الى عيسى والضمير لنوح
وابراهيم ومن ارسلا اليهم او من عاصرهما من الرسل لا للذرية فان الرسل المقفى بهم من الذرية
وآتيناه الانجيل وقرئ بفتح الهمزة وامره اهون من امر البرطيل لانه اعجمي وجعلنا
في قلوب الذين اتبعوه رأفة وقرئ رآفة على فعالة ورحمة ورهبانية ابتدعوها
اى وابتدعوا رهبانية ابتدعوها او رهبانية مبتدعة على انها من المجعولات وهي المبالغة في
العبادة والرياضة والانقطاع عن الناس منسوبة الى الرهبان وهو المبالغ في الخوف
من رهب كالخشيان من خشي وقرئت بالضم كأنها منسوبة الى الرهبان وهو جمع راهب
كراكب وركبان ما كتبناها عليهم ما فرضناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله
استثناء منقطع اى ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله وقيل متصل فان ما كتبناها
عليهم بمعنى ما تعبدناهم بها وهو كما ينفي الايجاب المقصود منه دفع العقاب ينفي الندب
المقصود منه مجرد تحصيل مرضاة الله وهو يخالف قوله ابتدعوها الا ان يقال ابتدعوها

بمعنى استحدثوها وابتدعوها او لانهم اخترعوها من تلقاء انفسهم فما رعوها
اى فما رعوها جميعا حق رعايتها بضم التثليث والقول بالاتحاد وقصد السمعة
والكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ونحوها اليه فآتينا الذين آمنوا اتوا بالايمان
الصحيح وحافظوا حقوقها ومن ذلك الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم منهم مقتضين
باتباعه اجرهم وكثير منهم فاسقون خارجون عن حال الاتباع يا ايها الذين آمنوا
بالرسل المتقدمة اتقوا الله فيما نهاكم عنه وآمنوا برسوله محمد صلى الله عليه وسلم
يؤتكم كفلين نصيبين من رحمته لايمانكم بمحمد صلى الله عليه وسلم وايمانكم بمن قبله ولا يبعد
ان يثابوا على دينهم السابق وان كان منسوخا ببركة الاسلام وقيل الخطاب للنصارى الذين
كانوا في عصره ويجعل لكم نورا تمشون به يريد المذكور في قوله يسعى نورهم او الهدى
الذي يسلك به الى جناب القدس ويغفر لكم والله غفور رحيم لئلا يعلم اى ليعلم
ولا مزيدة ويؤيده انه قرئ ليعلم ولكي يعلم ولان يعلم بادغام النون في الياء
اهل الكتاب ان لا يقدرون على شيء من فضل الله ان هي المخففة والمعنى انه لا ينالون
شيئا مما ذكر من فضله ولا يتمكنون من نيله لانهم لم يؤمنوا برسوله وهو مشروط بالايمان
به او لا يقدرون على شيء من فضله فضلا ان يتصرفوا في اعظمه وهو النبوة فيخصونها بمن
ارادوا ويؤيده قوله تعالى وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل
العظيم وقيل لا غير مزيدة والمعنى لئلا يعتقد اهل الكتاب انه لا يقدر النبي
والمؤمنون به على شيء من فضل الله ولا ينالونه فيكون ان لا يقدرون عطفا على انه
يعلم وقرئ ليلا على ان الاصل في الحروف المفردة الفتح عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسله

سورة المجادلة مدنية وقيل العشر الاول مكي والباقي مدني وآيها اثنتان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها

وتشتكي الى الله روي ان خولة بنت ثعلبة ظاهر عنها زوجها اوس بن الصامت
فاستفتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرمت عليه فقالت ما طلقني
فقال حرمت عليه فاغتمت لصغر اولادها وشكت الى الله فنزلت هذه الآيات
الاربع وقد يشعر بان الرسول صلى الله عليه وسلم والمجادلة يتوقعان ان الله يسمع مجادلتها
وشكواها ويفرج عنها كربها وادغم حمزة والكسائي وابو عمرو وهشام عن ابن عامر دالها
في السين والله يسمع تحاوركما تراجعكما الكلام وهو على تغليب الخطاب ان الله
سميع بصير للاقوال والافعال الذين يظاهرون منكم من نسائهم الظهار
ان يقول الرجل لامرأته انت علي كظهر امي مشتق من الظهر وألحق به الفقهاء تشبيهها بجزء
محرم وفي منكم تهجين لعادتهم فيه فانه كان من ايمان اهل الجاهلية واصل يظاهرون
يتظاهرون وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي يظاهرون من اظاهر وعاصم يظاهرون من ظاهر
ما هن امهاتهم اي على الحقيقة ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم فلا تشبه بهن في الحرمة الا
من ألحقها الله بهن كالمرضعات وازواج الرسول صلى الله عليه وسلم وعن عاصم امهاتهم
بالرفع على لغة تميم وقرئ بامهاتهم وهو ايضا على لغة من ينصب وانهم ليقولون منكرا
من القول اذ الشرع انكره وزورا محرفا عن الحق فان الزوجة لا تشبه الام وان الله
لعفو غفور لما سلف منه مطلقا او اذا تيب عليه والذين يظاهرون من نسائهم ثم
يعودون لما قالوا اي الى قولهم بالتدارك ومنه المثل عاد الغيث على ما افسد وهو نقض
ما يقتضيه وذلك عند الشافعي بامساك المظاهر عنها في النكاح زمانا يمكنه مفارقتها فيه
اذ التشبيه يتناول حرمته لصحة استثنائها عنه وهو اقل ما ينتقض به وعند ابي حنيفة
باستباحة استمتاعها ولو بنظرة بشهوة وعند مالك بالعزم على الجماع وعند الحسن بالجماع
او بالظهار في الاسلام على ان قوله يظاهرون بمعنى يعتادون الظهار وكانوا يظاهرون
في الجاهلية وهو قول الثوري او بتكراره لفظا وهو قول الظاهرية او معنى بان يحلف على
ما قال وهو قول ابي مسلم او الى المقول فيها بامساكها او استباحة استمتاعها او وطئها
فتحرير رقبة اي فعليهم او فالواجب اعتاق رقبة والفاء للتسبيب ومن فوائدها الدلالة

على تكفيره ووجوب التحرير بتكرير الظهار والرقبة مقيدة بالايمان عندنا قياسا على كفارة
القتل من قبل ان يتماسا ان يستمتع كل من المظاهر والمظاهر عنها بالآخر لعموم اللفظ
ومقتضى التشبيه او ان يجامعها وفيه دليل على حرمة ذلك قبل التكفير ذلكم اى ذلكم الحكم [بالكفارة]
توعظون به لانه يدل على ارتكاب الجناية الموجبة للغرامة ويردع عنه والله بما تعملون خبير [لا يخفى عليه]
خافية فمن لم يجد اى الرقبة والذى غاب ماله واجد فصيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا
فان افطر لغير عذر لزمه الاستيناف وان افطر لعذر ففيه خلاف وان جامع المظاهر عنها ليلا
لم ينقطع التتابع عندنا خلافا لابى حنيفة ومالك فمن لم يستطع اى الصوم لهرم او
مرض مزمن او شبق مفرط فانه صلى الله عليه وسلم رخص للاعرابى المفطر ان يعدل لاجله
فاطعام ستين مسكينا ستين مدا بمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو رطل وثلث
لانه اقل ما قيل فى المخرج فى الفطرة وقال ابو حنيفة يعطى كل مسكين نصف صاع من بر او
صاعا من غيره وانما لم يذكر التماس مع الطعام اكتفاء بذكره مع الآخرين او لجوازه فى
خلال الاطعام كما قال ابو حنيفة ذلك اى ذلك البيان او التعليم للاحكام ومحله النصب
بفعل معلل بقوله لتؤمنوا بالله ورسوله اى فرض ذلك لتصدقوا بالله ورسوله
لقبول شرايعه ورفض ما كنتم عليه فى جاهليتكم وتلك حدود الله لا يجوز تعديها
وللكافرين اى الذين لا يقبلونها عذاب اليم وهو نظير قوله ومن كفر فان الله غنى
عن العالمين ان الذين يحادون الله ورسوله يعادونهما فان كلا من المتعاديين
فى حد غير حد الآخر او يضعون او يختارون حدودا غير حدودهما كبتوا اخزوا او اهلكوا
واصل الكبت الكب كما كبت الذين من قبلهم يعنى كفار الامم الماضية وقد
انزلنا آيات بينات تدل على صدق الرسول وما جاء به وللكافرين عذاب
مهين يذهب عزهم وتكبرهم يوم يبعثهم الله منصوب بمهين او باضمار
اذكر جميعا كلهم لا يدع احدا غير مبعوث او مجتمعين فينبئهم بما عملوا اى
على رؤس الاشهاد تشهيرا لحالهم وتقريرا لعذابهم احصيه الله احاط به عددا
لم يغب منه شئ ونسوه لكثرته او تهاونهم به والله على كل شئ شهيد لا يغيب عنه

شئ الم تر ان الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض كليا وجزئيا ما يكون من نجوى ثلثة ما يقع
من تناجى ثلثة ويجوز ان يقدر مضاف او يؤول نجوى بمتناجين ويجعل ثلثة صفة لها
واشتقاقها من النجوة وهى ما ارتفع من الارض فان السر امر مرفوع الى الذهن لا يتيسر لكل احد ان [يطلع عليه]
الا هو رابعهم الا الله يجعلهم اربعة من حيث انه يشاركهم فى الاطلاع عليها والاستثناء من [اعم]
الاحوال ولا خمسة ولا نجوى خمسة الا هو سادسهم وتخصيص العددين اما لخصوص الواقعة [فان]
الآية نزلت فى تناجى المنافقين او لان الله وتر يحب الوتر والثلثة اول الاوتار او لان التشاور [لا بد]
له من اثنين يكونان كالمتنازعين وثالث يتوسط بينهما وقرئ ثلثة وخمسة بالنصب على الحال
باضمار يتناجون او تاويل نجوى بمتناجين ولا ادنى من ذلك ولا اقل مما ذكر كالواحد
والاثنين ولا اكثر الا هو معهم يعلم ما يجرى بينهم وقرأ يعقوب ولا اكثر بالرفع عطفا
على محل من نجوى او محل لا ادنى بان جعلت لا لنفى الجنس اينما كانوا فان علمه بالاشياء
ليس لقرب مكانى حتى يتفاوت باختلاف الامكنة ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيمة تفضيحا
لهم وتقريرا لما يستحقونه من الجزاء ان الله بكل شئ عليم لان نسبة ذاته المقتضية
للعلم الى الكل على السواء الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه
نزلت فى اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون باعينهم اذا راوا
المؤمنين فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عادوا لمثل فعلهم ويتناجون [بالاثم]
والعدوان ومعصية الرسول اى بما هو اثم وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول
وقرأ حمزة وينتجون وروى عن يعقوب وهو يفتعلون من النجوى واذا جاؤك حيوك
بما لم يحيك به الله فيقولون السام عليك او انعم صباحا والله سبحانه وتعالى
يقول وسلام على عباده الذين اصطفى ويقولون فى انفسهم فيما بينهم لولا يعذبنا
الله بما نقول هلا يعذبنا بذلك لو كان محمد نبيا حسبهم جهنم عذابا يصلونها
يدخلونها فبئس المصير جهنم يا ايها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم و
العدوان ومعصية الرسول كما يفعله المنافقون وعن يعقوب فلا تنتجوا وتناجوا
بالبر والتقوى بما يتضمن خير المؤمنين والاتقاء عن معصية الرسول واتقوا الله

الذي أكنته يحزنون فيما تأتون وتذرون فإنه مجازيكم عليه إنما النجوى بالإثم
والعدوان من الشيطان فإنه المزين لها والحامل عليها ليحزن الذين آمنوا بتوهمهم
أنها في نكبة أصابتهم وليس الشيطان أو التناجي بضارهم بضار المؤمنين شيئا
إلا بإذن الله إلا بمشيئته وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولا يبالوا بنجواهم يا أيها
الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس توسعوا فيه وليفسح بعضكم عن بعض من
قولهم افسح عني أي تنح وقرئ تفاسحوا والمراد بالمجلس الجنس ويدل عليه قراءة عاصم
بالجمع أو مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنهم كانوا يتضامون به تنافسا على القرب منه
وحرصا على استماع كلامه فافسحوا يفسح الله لكم فيما تريدون التفسح فيه من المكان والرزق
والصدر وغيرها وإذا قيل انشزوا انهضوا للتوسعة أو لما أمرتم به كصلاة أو جهاد
أو ارتفعوا في المجلس فانشزوا وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بضم الشين فيهما يرفع الله
الذين آمنوا منكم بالنصر وحسن الذكر في الدنيا وإيوائهم غرف الجنان في الآخرة والذين
أوتوا العلم درجات ويرفع العلماء منهم خاصة درجات بما جمعوا من العلم والعمل
فإن العلم مع علو درجته يقتضي العمل المقرون به مزيد رفعة ولذلك يقتدى بالعالم في أفعاله
ولا يقتدى بغيره وفي الحديث فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب
والله بما تعملون خبير تهديد لمن لم يمتثل الأمر أو استكرهه يا أيها الذين آمنوا إذا
ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة فتصدقوا قدامها مستعار ممن له يدان
وفي هذا الأمر تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم وانتفاع الفقراء والنهي عن الإفراط في السؤال
والتمييز بين المخلص والمنافق ومحب الآخرة ومحب الدنيا واختلف في أنه للندب أو للوجوب
لكنه منسوخ بقوله أأشفقتم وهو وإن اتصل به تلاوة لم يتصل به نزولا وعن علي رضي الله عنه
أن في كتاب الله آية ما عمل بها أحد غيري كان لي دينار فصرفته فكنت إذا ناجيته تصدقت
بدرهم وهو على القول بالوجوب لا يقدح في غيره فلعله لم يتفق للأغنياء مناجاة في مدة
بقائه إذ روي أنه لم يبق إلا عشرا وقيل إلا ساعة ذلك أي ذلك التصدق خير لكم وأطهر
أي لأنفسكم من الريبة وحب المال وهو يشعر بالندبية لكن قوله فإن لم تجدوا فإن الله

غفور رحيم لمن لم يجد حيث رخص له في المناجاة بلا تصدق إذ دل على الوجوب
أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات أخفتم الفقر من تقديم الصدقة
أو أخفتم التقديم لما يعدكم الشيطان عليه من الفقر وجمع صدقات لجمع المخاطبين أو لكثرة
التناجي فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم بأن رخص لكم أن لا تفعلوه وفيه إشعار بأن
إشفاقهم ذنب تجاوز الله عنه لما رأى منهم مما قام مقام توبتهم وإذ على بابها وقيل بمعنى إذا
أو إن فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلا تفرطوا في أدائهما وأطيعوا الله ورسوله
في سائر الأوامر فإن القيام بها كالجابر للتفريط في ذلك والله خبير بما تعملون ظاهرا
وباطنا ألم تر إلى الذين تولوا والوا قوما غضب الله عليهم يعني اليهود ما هم منكم ولا
منهم لأنهم منافقون مذبذبون بين ذلك في سائر الأوامر فإن القيام بها كالجابر للتفريط
في ذلك ويحلفون على الكذب وهو ادعاء الإسلام وهم يعلمون أن المحلوف عليه كذب كمن
يحلف بالغموس وفي هذا التقييد دليل على أن الكذب يعم ما يعلم المخبر عدم مطابقته وما لا يعلم
روي أنه صلى الله عليه وسلم كان في حجرة من حجراته فقال يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار
وينظر بعين الشيطان فدخل عبد الله بن نبيل المنافق وكان أزرق فقال عليه السلام له
علام تشتمني أنت وأصحابك فحلف بالله ما فعل ثم جاء بأصحابه فحلفوا فنزلت أعد
الله لهم عذابا شديدا نوعا من العذاب متفاقما إنهم ساء ما كانوا يعملون فتمرنوا
على سوء العمل وأصروا عليه اتخذوا أيمانهم أي التي حلفوا بها وقرئ بالكسر أي إيمانهم
الذي أظهروه جنة وقاية دون دمائهم وأموالهم فصدوا عن سبيل الله فصدوا ال
ناس في خلال أمنهم عن دين الله بالتحريش والتثبيط فلهم عذاب مهين وعيد ثان
بوصف آخر لعذابهم وقيل الأول عذاب القبر وهذا عذاب الآخرة لن تغني عنهم
أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون قد
سبق مثله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له أي لله على أنهم مسلمون ويقولون
كما يحلفون لكم في الدنيا إنهم لمنكم ويحسبون أنهم على شيء في حلفهم الكاذب لأن
تمكن النفاق في نفوسهم بحيث يخيل في الآخرة أن الأيمان الكاذبة تروج الكذب على الله

كما تروجه عليكم في الدنيا ألا إنهم هم الكاذبون البالغون الغاية في الكذب حيث
يكذبون مع عالم الغيب والشهادة ويحلفون عليه استحوذ عليهم الشيطان استولى
عليهم الشيطان من حذت الإبل وحذتها إذا استوليت عليها وهو مما جاء على الأصل
فأنساهم ذكر الله لا يذكرونه بقلوبهم ولا بألسنتهم أولئك حزب الشيطان جنوده
وأتباعه ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون لأنهم فوتوا على أنفسهم النعيم المؤبد
وعرضوها للعذاب المخلد إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الأذلين في
جملة من هو أذل خلق الله كتب الله في اللوح لأغلبن أنا ورسلي بالحجة وقرأ نافع
وابن عامر ورسلي بفتح الياء إن الله قوي على نصر أنبيائه عزيز لا يغلب عليه
في مراده لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله أي
لا ينبغي أن تجدهم وادين أعداء الله والمراد أنه لا ينبغي أن يوادوهم ولو كانوا آباءهم
أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ولو كان المحادون أقرب الناس إليهم أولئك أي الذين
لم يوادوهم كتب في قلوبهم الإيمان أثبته فيها وهو دليل على خروج العمل من مفهوم
الإيمان فإن جزء الثابت في القلب يكون ثابتا فيه وأعمال الجوارح لا تثبت فيه وأيدهم
بروح منه أي من عند الله وهو نور القلب أو القرآن أو النصر على العدو وقيل الضمير
للإيمان فإنه سبب لحياة القلب ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها
رضي الله عنهم بطاعتهم ورضوا عنه بقضائه أو بما وعدهم من الثواب أولئك حزب الله
جنده وأنصار دينه ألا إن حزب الله هم المفلحون الفائزون بخير الدارين
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيامة

سورة الحشر مدنية وآيها أربع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز
الحكيم روي أنه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة صالح بني النضير على أن لا يكونوا
له ولا عليه فلما ظهر يوم بدر قالوا إنه النبي المنعوت في التوراة بالنصرة فلما هزم المسلمون

يوم أحد ارتابوا ونكثوا وخرج كعب بن الأشرف في أربعين راكبا إلى مكة و
حالفوا أبا سفيان فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أخا كعب من الرضاعة فقتله غيلة
ثم صبحهم بالكتائب وحاصرهم حتى صالحوا على الجلاء فجلا أكثرهم إلى الشام ولحقت طائفة
بخيبر والحيرة فأنزل الله سبح لله إلى قوله والله على كل شيء قدير هو الذي أخرج
الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر أي في أول حشرهم من جزيرة العرب
إذ لم يصبهم هذا الذل قبل ذلك أو في أول حشرهم للقتال أو الجلاء إلى الشام وآخر حشرهم
إجلاء عمر رضي الله عنه إياهم من خيبر إليه أو في أول حشر الناس إلى الشام وآخر حشرهم أنهم
يحشرون إليه عند قيام الساعة فيدركهم هناك أو أن نارا تخرج من المشرق فتحشرهم إلى
المغرب والحشر إخراج جمع من مكان إلى آخر ما ظننتم أن يخرجوا لشدة بأسهم ومنعتهم
وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله أي إن حصونهم تمنعهم من بأس الله وتغيير
النظم وتقديم الخبر وإسناد الجملة إلى ضميرهم للدلالة على فرط وثوقهم بحصانتها واعتقادهم
في أنفسهم أنهم في عزة ومنعة بسببها ويجوز أن تكون حصونهم فاعلا لمانعتهم فأتاهم الله
أي عذابه وهو الرعب والاضطرار إلى الجلاء وقيل الضمير للمؤمنين أي فأتاهم نصر الله و
قرئ فآتاهم أي العذاب أو النصر من حيث لم يحتسبوا لقوة وثوقهم وقذف في قلوبهم
الرعب وأثبت فيها الخوف الذي يرعبها أي يملؤها يخربون بيوتهم بأيديهم
ضنا بها على المسلمين وإخراجا لما استحسنوا من آلاتها وأيدي المؤمنين فإنهم أيضا
كانوا يخربون ظواهرها نكاية وتوسيعا لمجال القتال وعطفها على أيديهم من حيث إن
تخريب المؤمنين مسبب عن نقضهم فكأنهم استعملوهم فيه والجملة حال أو تفسير للرعب
وقرأ أبو عمرو يخربون بالتشديد وهو أبلغ لما فيه من التكثير وقيل الإخراب التعطيل أو
ترك الشيء خرابا والتخريب الهدم فاعتبروا يا أولي الأبصار فاتعظوا بحالهم فلا
تغدروا ولا تعتمدوا على غير الله واستدل به على أن القياس حجة من حيث إنه
أمر بالمجاوزة من حال إلى حال وحملها عليه في حكم لما بينهما من المشاركة المقتضية له على ما
فصلناه في الكتب الأصولية ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء الخروج من أوطانهم

لعذبهم في الدنيا بالقتل والسبي كما فعل ببني قريظة ولهم في الآخرة عذاب النار
استئناف معناه انهم ان نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا من عذاب الآخرة ذلك بانهم شاقوا
الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب الاشارة الى ما ذكر
مما حاق بهم وما كانوا بصدده وما هو معد لهم او الى الاخير ما قطعتم من لينة اي شيء
قطعتم من نخلة فعلة من اللون ويجمع على الالوان وقيل من اللين ومعناها النخلة الكريمة
وجمعها اليان او تركتموها الضمير لما وتانيثه لانه مفسر باللينة قائمة على اصولها
وقرئ اصلها اكتفاء بالضمة عن الواو وعلى انه كرهن فباذن الله فبامره وليخزي
الفاسقين علة لمحذوف اي وفعلتم او واذن لكم في القطع ليخزيهم على فسقهم
بما غاظهم منه روي انه صلى الله عليه وسلم لما امر بقطع نخيلهم قالوا يا محمد
قد كنت تنهى عن الفساد في الارض فما بال قطع النخل وتحريقها فنزلت واستدل به
على جواز هدم ديار الكفار وقطع اشجارهم زيادة لغيظهم وما افاء الله على رسوله
وما اعاده عليه بمعنى صيره له او رده عليه فانه كان حقيقا بان يكون له لان الله تعالى
خلق الناس لعبادته وخلق ما خلق لهم ليتوسلوا به الى طاعته فهو جدير بان يكون للمطيعين
منهم من بني النضير او من الكفرة فما اوجفتم عليه فما اجريتم على تحصيله من الوجيف
وهو سرعة السير من خيل ولا ركاب ما يركب من الابل غلب فيه كما غلب الراكب
على راكبه وذلك ان كان المراد في بني النضير فلان قراهم كانت على ميلين من المدينة
فمشوا اليها رجالا غير رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه ركب جملا او حمارا ولم يجر مزيد
قتال ولذلك لم يعط الانصار منه شيئا الا ثلثة بهم حاجة ولكن الله يسلط رسله
على من يشاء بقذف الرعب في قلوبهم والله على كل شيء قدير فيفعل ما يريد تارة
بالوسائط الظاهرة وتارة بغيرها ما افاء الله على رسوله من اهل القرى بيان للاول
ولذلك لم يعطف عليه فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن
السبيل اختلف في قسم الفيء فقيل يسدس لظاهر الآية ويصرف سهم الله في عمارة
الكعبة وساير المساجد وقيل يخمس لان ذكر الله للتعظيم ويصرف الآن سهم الرسول

صلى الله عليه وسلم الى الامام على قول والى العساكر والثغور على قول والى مصالح
المسلمين على قول وقيل يخمس خمسه للغنيمة فانه عليه السلام كان يخمس الخمس كذلك ويصرف
الاخماس الاربعة كما يشاء والآن على الخلاف المذكور كي لا يكون اي الفيء الذي حقه ان يكون
للفقراء دولة بين الاغنياء منكم الدولة ما يتداوله الاغنياء ويدور بينهم كما كان
في الجاهلية وقرئ دولة بمعنى كي لا يكون الفيء ذا تداول بينهم او اخذه غلبة تكون بينهم
ودولة بالرفع على كان التامة اي كي لا يقع دولة جاهلية وما آتيكم الرسول وما اعطاكم
من الفيء او من الامر فخذوه لانه حلال لكم او فتمسكوا به لانه واجب الطاعة وما نهيكم
عنه عن اخذه منه او عن اتيانه فانتهوا عنه واتقوا الله في مخالفته ان الله شديد
العقاب لمن خالف للفقراء المهاجرين بدل من لذي القربى وما عطف عليه فان الرسول
لا يسمى فقيرا ومن اعطى اغنياء ذوي القربى خصص الابدال بما بعده او الفيء بفيء بني النضير
الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم فان كفار مكة اخرجوهم واخذوا اموالهم يبتغون فضلا
من الله ورضوانا حال مقيدة لاخراجهم بما يوجب تفخيم شانهم وينصرون الله ورسوله
بانفسهم واموالهم اولئك هم الصادقون الذين ظهر صدقهم في ايمانهم والذين تبوؤا
الدار والايمان عطف على المهاجرين والمراد بهم الانصار فانهم لزموا المدينة
والايمان وتمكنوا فيهما وقيل المعنى تبوؤا دار الهجرة ودار الايمان فحذف المضاف من الثاني
والمضاف اليه من الاول وعوض عنه اللام او تبوؤا الدار واخلصوا الايمان كقوله علفتها
تبنا وماء باردا وقيل سمى المدينة بالايمان لانها مظهره ومصيره من قبلهم من قبل هجرة
المهاجرين وقيل تقدير الكلام والذين تبوؤا الدار من قبلهم والايمان يحبون من هاجر اليهم
ولا يثقل عليهم ولا يجدون في صدورهم في انفسهم حاجة ما تحمل عليه الحاجة
كالطلب والحزازة والحسد والغيظ مما اوتوا مما اعطي المهاجرين من الفيء وغيره ويؤثرون
على انفسهم حتى ان من كان عنده امرأتان نزل عن واحدة وزوجها عن احدهم
ولو كان بهم خصاصة حاجة من خصاص البناء وهي فرجه ومن يوق شح نفسه
حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب المال وبغض الانفاق فاولئك هم المفلحون

الفائزون بالثناء العاجل والثواب الآجل والذين جاؤا من بعدهم هم الذين
هاجروا من بعد حين قوي الاسلام او التابعون باحسان وهم المؤمنون بعد الفريقين الى يوم
القيمة ولذلك قيل ان الآية قد استوعبت جميع المؤمنين يقولون ربنا اغفر لنا
ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل اي لاخواننا في الدين في قلوبنا غلا
للذين آمنوا حقدا لهم ربنا انك رءوف رحيم فحقيق بان تجيب دعاءنا الم تر
الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب يريد الذين بينهم
وبينهم اخوة الكفر او الصداقة او الموالاة لئن اخرجتم من دياركم لنخرجن معكم ولا نطيع
فيكم في قتالكم او خذلانكم احدا ابدا اي من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين وان
قوتلتم لننصرنكم لنعاوننكم والله يشهد انهم لكاذبون لعلمه بانهم لا يفعلون ذلك كما قال
لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم وكان كذلك فان ابن ابي واصحابه
راسلوا بني النضير بذلك ثم اخلفوهم وفيه دليل على صحة النبوة واعجاز القرآن ولئن نصروهم
على الفرض والتقدير ليولن الادبار انهزاما ثم لا ينصرون بعد بل يخذلهم ولا تنفعهم نصرة
المنافقين او نفاقهم اذ ضمير الفعلين يحتمل ان يكون لليهود وان يكون للمنافقين لانتم
اشد رهبة اي اشد مرهوبية مصدر الفعل المبني للمفعول في صدورهم فانهم كانوا
يضمرون مخافتهم من المؤمنين من الله على ما يظهرونه نفاقا فان استبطان رهبتكم
سبب لاظهار رهبة الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون لا يعلمون عظمة الله حتى يخشونه
حق خشيته ويعلمون انه الحقيق بان يخشى لا يقاتلونكم اليهود والمنافقون جميعا مجتمعين
الا في قرى محصنة بالدروب والخنادق او من وراء جدر لفرط رهبتهم بأسهم بينهم
شديد اي وليس ذلك لضعفهم وجبنهم فانه يشتد بأسهم اذا حارب بعضهم بعضا بل
قذف الله الرعب في قلوبهم ولان الشجاع يجبن والعزيز يذل اذا حارب الله ورسوله تحسبهم جميعا
مجتمعين متفقين وقلوبهم شتى متفرقة لافتراق عقائدهم واختلاف مقاصدهم
ذلك بانهم قوم لا يعقلون ما فيه صلاحهم وان تشتت القلوب يوهن قواهم كمثل الذين
من قبلهم اي مثل اليهود كمثل اهل بدر او بني قينقاع ان صح انهم اخرجوا قبل النضير او

المهلكين

او المهلكين من الامم الماضية قريبا في زمان قريب وانتصابه بمثل اذ التقدير كوجود مثل
ذاقوا وبال امرهم سوء عاقبة كفرهم في الدنيا ولهم عذاب اليم في الآخرة كمثل
الشيطان اي مثل المنافقين في اغراء اليهود على القتال كمثل الشيطان اذ قال
للانسان اكفر اغراه على الكفر اغراء الآمر المأمور فلما كفر قال اني بريء منك تبرأ
عنه مخافة ان يشاركه في العذاب ولم ينفعه ذلك كما قال اني اخاف الله رب العالمين
فكان عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين والمراد
بالانسان الجنس وقيل ابو جهل قال له ابليس يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس واني
جار لكم الآية وقيل راهب حمله على الفجور والارتداد وقرئ عاقبتهما وخالدان على انهما الخبران
لكان وخالدان على انه الخبر لان وفي النار لغو يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس
ما قدمت لغد ليوم القيمة سماه به لدنوه او لان الدنيا كيوم والآخرة غده وتنكيره للتعظيم
واما تنكير النفس فلاستقلال الانفس النواظر فيما قدمن للآخرة كانه قال فلتنظر نفس واحدة
في ذلك واتقوا الله تكرير للتأكيد او الاول في اداء الواجبات لانه مقرون بالعمل
والثاني في ترك المحارم لاقترانه بقوله ان الله خبير بما تعملون وهو كالوعيد على المعاصي
ولا تكونوا كالذين نسوا الله نسوا حقه فانسيهم انفسهم فجعلهم ناسين لها حتى لم يسمعوا ما ينفعها
ولم يفعلوا ما يخلصها او اراهم يوم القيمة من الهول ما انساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون
الكاملون في الفسوق لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة الذين استكملوا
نفوسهم فاستأهلوا الجنة والذين استمهنوها فاستحقوا النار واحتج اصحابنا على ان المسلم
لا يقتل بالكافر اصحاب الجنة هم الفائزون بالنعيم المقيم لو انزلنا هذا القرآن على
جبل لرأيته خاشعا تمثيل وتخييل كما مر في قوله انا عرضنا الامانة الآية ولذلك عقبه بقوله
متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون فان الاشارة اليه والى
امثاله والمراد توبيخ الانسان على عدم تخشعه عند تلاوة القرآن لقساوة قلبه وقلة تدبره
والتصدع التشقق وقرئ مصدعا على الادغام هو الله الذي لا اله الا هو عالم
الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم ما غاب عن الحس من الجواهر القدسية واحوالها

وما حضر له من الأجرام وأعراضها وتقديم الغيب لتقدمه في الوجود وتعلق العلم القديم
به أو المعدوم والموجود أو السر والعلانية هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس
البليغ في النزاهة عما يوجب نقصانا وقرئ بالفتح وهو لغة فيه السلام ذو السلامة
من كل نقص وآفة مصدر وصف به للمبالغة المؤمن واهب الأمن وقرئ بالفتح بمعنى
المؤمن به على حذف الجار المهيمن الرقيب الحافظ لكل شيء مفيعل من الأمن قلبت همزته
هاء العزيز الجبار الذي جبر خلقه على ما أراده أو جبر حالهم بمعنى أصلحه المتكبر الذي
تكبر عن كل ما يوجب حاجة أو نقصانا سبحان الله عما يشركون إذ لا يشاركه شيء من ذلك
هو الله الخالق المقدر للأشياء على مقتضى حكمته البارئ الموجد لها بريئا من التفاوت
المصور الموجد لصورها وكيفياتها كما أراد ومن أراد الإطناب في شرح هذه الأسماء
وأخواتها فعليه بكتابي المسمى بمنتهى المنى في شرح الأسماء الحسنى له الأسماء الحسنى لأنها
دالة على محاسن المعاني يسبح له ما في السموات والأرض لتنزهه عن النقائص كلها
وهو العزيز الحكيم الجامع للكمالات بأسرها فإنها راجعة إلى الكمال في القدرة والعلم
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر

سورة الممتحنة مدنية وآيها ثلاث عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء
نزلت في حاطب بن أبي بلتعة فإنه لما علم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو أهل
مكة كتب إليهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم وأرسل مع سارة
مولاة بني المطلب فنزل جبريل عليه السلام فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا
وطلحة والزبير والمقداد وأبا مرثد وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة
معها كتاب حاطب إلى أهل مكة فخذوه منها وخلوها فإن أبت فاضربوا عنقها
فأدركوها ثمة فجحدت فسل علي رضي الله عنه السيف فأخرجته من عقيصتها فاستحضر
رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا فقال ما حملك عليه فقال ما كفرت منذ أسلمت

ولا

ولا غششتك منذ نصحتك ولكني كنت امرأ ملصقا في قريش وليس فيهم من يحمي
أهلي فأردت أن أتخذ عندهم يدا وقد علمت أن كتابي لا يغني عنهم شيئا فصدقه رسول
الله صلى الله عليه وسلم وعذره تلقون إليهم بالمودة تفضون إليهم المودة بالمكاتبة
والباء مزيدة أو أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب المودة والجملة حال من فاعل
لا تتخذوا أو صفة لأولياء جرت على غير من هي له فلا حاجة فيها إلى إبراز الضمير لأنه
مشروط في الاسم دون الفعل وقد كفروا بما جاءكم من الحق حال من فاعل أحد الفعلين
يخرجون الرسول وإياكم أي من مكة وهو حال من كفروا أو استئناف لبيانه أن تؤمنوا
بالله ربكم لأن تؤمنوا به وفيه تغليب المخاطب والالتفات من التكلم إلى الغيبة للدلالة على ما
يوجب الإيمان إن كنتم خرجتم عن أوطانكم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي علة
للخروج وعمدة للتعليق وجواب الشرط محذوف دل عليه لا تتخذوا تسرون إليهم بالمودة
بدل من تلقون أو استئناف معناه أي طائل لكم في إسرار المودة أو الإخبار بسبب المودة
وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم أي منكم وقيل أعلم مضارع والباء مزيدة وما موصولة
أو مصدرية ومن يفعله منكم أي يفعل الاتخاذ فقد ضل سواء السبيل أخطأه إن
يثقفوكم يظفروا بكم يكونوا لكم أعداء ولا ينفعكم إلقاء المودة إليهم ويبسطوا
إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء ما يسوءكم كالقتل والشتم وودوا لو تكفرون وتمنوا
ارتدادكم ومجيئه وحده بلفظ الماضي للإشعار بأنهم ودوا ذلك قبل كل شيء وأن ودادتهم
حاصلة وإن لم يثقفوكم لن تنفعكم أرحامكم قراباتكم ولا أولادكم الذين توالون المشركين
لأجلهم يوم القيامة يفصل بينكم يفرق بينكم بما عراكم من الهول فيفر بعضكم من بعض فما لكم
ترفضون اليوم حق الله لمن يفر عنكم غدا وقرأ حمزة والكسائي بكسر الصاد والتشديد وفتح الفاء
وعاصم يفصل وقرأ ابن عامر وأبو عمرو يفصل على البناء للمفعول مع التشديد وهو بينكم
والله بما تعملون بصير فيجازيكم عليه قد كانت لكم أسوة حسنة قدوة اسم لما يؤتسى به
في إبراهيم والذين معه صفة ثانية أو خبر كان ولكم لغو أو حال من المستكن في حسنة أو صلة لها
لا لأسوة لأنها وصفت إذ قالوا لقومهم ظرف لخبر كان إنا برآء منكم جمع بريء

كظائف وظرفاء ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم اي بدينكم او بمعبودكم او بكم
وبه فلا نعتد بشانكم وآلهتكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا
بالله وحده فتنقلب العداوة والبغضاء الفة ومحبة الا قول ابراهيم لابيه
لاستغفرن لك استثناء من قوله اسوة حسنة فان استغفاره لابيه الكافر ليس مما
ينبغي ان نتاسى به فانه كان قبل النهي او لموعدة وعدها اياه وما املك لك
من الله من شيء من تمام قوله المستثنى ولا يلزم من استثناء المجموع استثناء جميع اجزائه
ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير متصل بما قبل الاستثناء او امر
الله للمؤمنين بان يقولوه تتميما لما وصاهم به من قطع العلائق بينهم وبين الكفار ربنا
لا تجعلنا فتنة للذين كفروا بان تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لا نحتمله واغفر لنا ربنا
ما فرط انك انت العزيز الحكيم ومن كان كذلك كان حقيقا بان يجير المتوكل ويجيب الداعي
لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة تكرير لمزيد الحث على التاسي بابراهيم ولذلك صدر بالقسم
وابدل قوله لمن كان يرجو الله واليوم الآخر من لكم فانه يدل على انه لا ينبغي لمؤمن ان يترك
التاسي بهم وان تركه مؤذن بسوء العقيدة ولذلك عقبه بقوله ومن يتول يعرض
فان الله هو الغني الحميد فانه جدير بان يوعد به الكفرة عسى الله ان يجعل بينكم وبين
الذين عاديتم منهم مودة لما نزل لا تتخذوا عادى المؤمنون اقاربهم المشركين وتبرؤوا منهم
فوعدهم الله بذلك وانجز اذ اسلم اكثرهم وصاروا لهم اولياء والله قدير على ذلك والله
غفور رحيم لما فرط منكم في موالاتهم من قبل ولما بقي في قلوبكم من ميل الرحم لا ينهاكم الله عن
الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم اي لا ينهاكم عن مبرة هؤلاء لان قوله
ان تبروهم بدل من الذين وتقسطوا اليهم تفضوا اليهم بالعدل ان الله يحب المقسطين
العادلين روي ان قتيلة بنت عبد العزى قدمت مشركة على بنتها اسماء بنت ابي بكر رضي
الله عنهما بهدايا فلم تقبلها ولم تاذن لها بالدخول فنزلت انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم
في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم كمشركي مكة فان بعضهم سعوا في
اخراج المسلمين وبعضهم اعانوا المخرجين ان تولوهم بدل من الذين بدل الاشتمال ومن يتولهم

فاولئك

فاولئك هم الظالمون لوضعهم الولاية في غير موضعها يا ايها الذين آمنوا اذا
جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن فاختبروهن بما يغلب على ظنكم موافقة قلوبهن
لسانهن في الايمان الله اعلم بايمانهن فانه المطلع على ما في قلوبهن فان علمتموهن مؤمنات
العلم الذي يمكنكم تحصيله وهو الظن الغالب بالحلف وظهور الامارات وانما سمي علما ايذانا
بانه كالعلم في وجوب العمل به فلا ترجعوهن الى الكفار اي الى ازواجهن الكفرة لقوله لا هن حل
لهم ولا هم يحلون لهن والتكرير للمطابقة والمبالغة او الاولى لحصول الفرقة والثانية للمنع
على الاستيناف وآتوهم ما انفقوا ما دفعوا اليهن من المهور وذلك لان صلح الحديبية
جرى على ان من جاءنا منكم رددناه فلما تعذر عليه ردهن لورود النهي عنه لزمه رد مهورهن
اذ روي انه صلى الله عليه وسلم كان بعد بالحديبية اذ جاءته سبيعة بنت الحارث الا
سلمية فاقبل زوجها مسافر المخزومي طالبا لها فنزلت فاستحلفها رسول الله صلى الله
عليه وسلم فحلفت فاعطى زوجها ما انفق وتزوجها عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولا
جناح عليكم ان تنكحوهن فان الاسلام حال بينهن وبين ازواجهن الكفار اذا آتيتموهن
اجورهن شرط ايتاء المهر في نكاحهن ايذانا بان ما اعطي ازواجهن لا يقوم مقام المهر
ولا تمسكوا بعصم الكوافر بما تعتصم به الكافرات من عقد وسبب جمع عصمة والمراد نهي المؤمنين
عن المقام على نكاح المشركات وقرا البصريان ولا تمسكوا بالتشديد واسالوا ما انفقتم
من مهور نسائكم اللاحقات بالكفار وليسالوا ما انفقوا من مهور ازواجهم المهاجرات
ذلكم حكم الله يعني جميع ما ذكر في الآية يحكم بينكم استئناف او حال من الحكم على حذف الضمير
او جعل الحكم حاكما على المبالغة والله عليم حكيم يشرع ما تقتضيه حكمته وان فاتكم
وانفلت منكم شيء من ازواجكم وقد قرئ به وايقاع شيء موقعه للتحقير والمبالغة في التعميم
او شيء من مهورهن الى الكفار فعاقبتم فجاءت عقبتكم اي نوبتكم من اداء المهر شبه الحكم
باداء هؤلاء مهور نساء اولئك تارة واداء اولئك مهور نساء هؤلاء اخرى بامر يتعاقبون
فيه كما يتعاقب في الركوب وغيره فآتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا من
مهر المهاجرة ولا تؤتوه زوجها الكافر روي انها لما نزلت الآية المتقدمة ابى المشركون

ان يودوا مهر الكوافر فنزلت وقيل معناه ان فاتكم فاصبتم من الكفار عقبى وهي
الغنيمة فآتوا بدل الفائت من الغنيمة واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون فان الايمان به يقتضي
التقوى منه يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئا
نزلت يوم الفتح فانه صلى الله عليه وسلم لما فرغ عن بيعة الرجال اخذ في بيعة النساء
ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن يريد واد البنات ولا يأتين ببهتان يفترينه
بين ايديهن وارجلهن ولا يعصينك في معروف في حسنة تأمرهن بها والتقييد بالمعروف
مع ان الرسول لا يأمر الا بالمعروف تنبيه على انه لا يجوز طاعة مخلوق في معصية الخالق
فبايعهن اذا بايعنك بضمان الثواب على الوفاء بهذه الاشياء واستغفر لهن
الله ان الله غفور رحيم يا ايها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم
يعني عامة الكفار او اليهود اذ روي انها نزلت في بعض فقراء المسلمين
كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم قد يئسوا من الآخرة لكفرهم بها
او لعلمهم بانه لا حظ لهم فيها لعنادهم الرسول المنعوت في التوراة المؤيد بالآيات
كما يئس الكفار من اصحاب القبور ان يبعثوا او يثابوا او ينالهم خير منهم وعلى الاول
وضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على ان الكفر آيسهم عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيمة

سورة الصف مكية وقيل مدنية وآيها اربع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز
الحكيم سبق تفسيره يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون روي ان المسلمين
قالوا لو علمنا احب الاعمال الى الله لبذلنا فيه اموالنا وانفسنا فانزل الله ان الله يحب
الذين يقاتلون في سبيله فولوا يوم احد فنزلت ولم مركبة من لام الجر وما الاستفهامية
والاكثر على حذف الفها مع حرف الجر لكثرة استعمالهما معا واعتناقهما في الدلالة
على المستفهم عنه كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون المقت اشد البغض ونصبه على التمييز

للدلالة على ان قولهم هذا مقت خالص كبير عند من يحقر دونه كل عظيم مبالغة في المنع عنه
ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا مصطفين مصدر وصف به كأنهم بنيان
مرصوص في تراصهم من غير فرجة حال من المستكن في الحال الاولى والرص اتصال بعض البناء
بالبعض واستحكامه واذ قال موسى لقومه مقدر باذكر او كان كذا يا قوم لم تؤذونني
بالعصيان والرمي بالادرة وقد تعلمون اني رسول الله اليكم بما جئتكم من المعجزات والجملة
حال مقررة للانكار فان العلم بنبوته يوجب تعظيمه ويمنع ايذاءه وقد لتحقيق العلم فلما
زاغوا عن الحق ازاغ الله قلوبهم صرفها عن قبول الحق والميل الى الصواب والله
لا يهدي القوم الفاسقين هداية موصلة الى معرفة الحق او الى الجنة واذ قال عيسى
ابن مريم يا بني اسرائيل ولعله لم يقل كما قال موسى لانه لا نسب له فيهم اني رسول الله
اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا في حال تصديقي لما تقدمني من التوراة وتبشيري
برسول يأتي من بعدي والعامل في الحالين ما في الرسول من معنى الارسال لا الجار لانه لغو
اذ هو صلة للرسول فلا يعمل برسول يأتي من بعدي اسمه احمد يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
والمعنى ديني التصديق بكتب الله وانبيائه فذكر اول الكتب المشهورة الذي حكم به النبيون
والنبي الذي هو خاتم النبيين فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين الاشارة الى
ما جاء به او اليه وتسميته سحرا للمبالغة ويؤيده قراءة حمزة والكسائي هذا ساحر
على ان الاشارة الى عيسى ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام
اي لا احد اظلم ممن يدعى الى الاسلام الظاهر حقيته المقتضي له خير الدارين فيضع موضع
اجابته الافتراء على الله بتكذيب رسوله وتسمية آياته سحرا فانه يعم اثبات المنفي ونفي الثابت
وقرئ يدعي يقال دعاه وادعاه كلمسه والتمسه والله لا يهدي القوم الظالمين لا
يرشدهم الى ما فيه فلاحهم يريدون ليطفئوا اي يريدون ان يطفئوا واللام مزيدة لما فيها
من معنى الارادة تأكيدا كما زيدت لما فيها من معنى الاضافة تأكيدا لها في لا اباك او
يريدون الافتراء ليطفئوا نور الله بافواههم يعني دينه او كتابه او حجته بطعنهم فيه والله متم
نوره مبلغ غايته بنشره واعلائه وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وحفص بالاضافة ولو كره

الكافرون ارغاما لهم هو الذي ارسل رسوله بالهدى بالقرآن او المعجزة ودين الحق
والملة الحنيفية ليظهره على الدين كله ليغلبه على سائر الاديان ولو كره المشركون
لما فيه من محض التوحيد وابطال الشرك يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم
من عذاب اليم وقرأ ابن عامر تنجيكم بالتشديد تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون
في سبيل الله باموالكم وانفسكم استيناف مبين للتجارة وهو الجمع بين الايمان والجهاد
المؤدي الى كمال غيرهم والمراد به الامر وانما جيء بلفظ الخبر ايذانا بان ذلك
مما لا يترك ذلكم خير لكم يعني ما ذكر من الايمان والجهاد ان كنتم تعلمون ان كنتم من اهل
العلم اذ الجاهل لا يعتد بفعله يغفر لكم ذنوبكم جواب للامر المدلول عليه بلفظ الخبر او لشرط
او استفهام دل عليه الكلام تقديره ان تؤمنوا وتجاهدوا او هل تقبلون ان ادلكم يغفر لكم
وبعيد جعله جوابا لهل ادلكم لان مجرد دلالته لا توجب المغفرة ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار
ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم الاشارة الى ما ذكر من المغفرة وادخال الجنة
واخرى تحبونها ولكم الى هذه النعمة المذكورة نعمة اخرى عاجلة محبوبة وفي تحبونها تعريض
بانهم يؤثرون العاجل على الآجل وقيل اخرى منصوبة باضمار يعطكم او تحبون والمبتدأ خبره
نصر من الله فهو على الاول بدل او بيان وعلى قول النصب خبر محذوف وقد قرئ بما عطف عليه
بالنصب على البدل او الاختصاص او المصدر وفتح قريب عاجل وبشر المؤمنين عطف على
محذوف مثل قل يا ايها الذين آمنوا وبشر او على تؤمنون فانه في معنى الامر كانه قال آمنوا
وجاهدوا ايها المؤمنون وبشرهم يا رسول الله بما وعدتهم عليهما آجلا وعاجلا يا ايها
الذين آمنوا كونوا انصار الله وقرأ الحجازيان وابو عمرو بالتنوين واللام لان المعنى كونوا
بعض انصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من انصاري الى الله اي من جندي متوجها
الى نصرة الله ليطابق قوله قال الحواريون نحن انصار الله والاضافة الاولى
اضافة احد المتشاركين الى الآخر لما بينهما من الاختصاص والثانية اضافة الفاعل
الى المفعول والتشبيه باعتبار المعنى اذ المراد قل لهم كما قال عيسى او كونوا انصارا كما قال
الحواريون حين قال لهم عيسى من انصاري الى الله والحواريون اصفياؤه وهم اول من

آمن من الحواريين وهو البياض وكانوا اثني عشر رجلا فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت
طائفة اي بعيسى فايدنا الذين آمنوا على عدوهم بالحجة او بالحرب وذلك بعد رفع عيسى
فاصبحوا ظاهرين فصاروا غالبين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة الصف كان عيسى مصليا عليه مستغفرا له ما دام في الدنيا وهو يوم القيمة رفيقه

سورة الجمعة مدنية وآيها احدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما في السموات وما في الارض الملك القدوس
العزيز الحكيم وقد قرئ الصفات الاربع بالرفع على المدح هو الذي بعث في الاميين
اي في العرب لان اكثرهم لا يكتبون ولا يقرؤن رسولا منهم من جملتهم اميا مثلهم يتلو
عليهم آياته مع كونه اميا مثلهم لم يعهد منه قراءة ولا تعلم ويزكيهم من خبائث
العقائد والاعمال ويعلمهم الكتاب والحكمة القرآن والشريعة او معالم الدين من المنقول
والمعقول ولو لم يكن سواه معجزة لكفاه وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين من الشرك
وخبث الجاهلية وهو بيان لشدة احتياجهم الى نبي يرشدهم وازاحة لما يتوهم ان الرسول تعلم
ذلك من معلم وان هي المخففة واللام تدل عليها وآخرين منهم عطف على الاميين او المنصوب
في يعلمهم وهم الذين جاؤا بعد الصحابة الى يوم الدين فان دعوته وتعليمه يعم الجميع لما يلحقوا
بهم ذلك فضل الله ذلك الفضل الذي امتاز به عن اقرانه فضله يؤتيه من يشاء
تفضلا وعطية والله ذو الفضل العظيم الذي يستحقر دونه نعم الدنيا ونعيم الآخرة
مثل الذين حملوا التورية علموها وكلفوا العمل بها ثم
لم يحملوها لم يعملوا بها ولم ينتفعوا بما فيها كمثل الحمار يحمل
اسفارا كتبا من العلم يتعب في ولا ينتفع بها ويحمل حال والعامل
فيه معنى المثل او صفة اذ ليس المراد من الحمار معينا بئس مثل القوم الذين كذبوا
بآيات الله اي مثل الذين كذبوا وهم اليهود كذبوا بآيات الله الدالة على نبوة محمد صلى الله

بعد تحققه وهو العزيز في تمكينه
من الاسلام في العالم الحكيم
في اختياره وتعليمه

عليه وسلم ويجوز ان يكون الذين صفة للقوم والمخصوص بالذم محذوف والله لا يهدي
القوم الظالمين قل يا ايها الذين هادوا تهودوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون
الناس اذ كانوا يقولون نحن اولياء الله واحباؤه فتمنوا الموت فتمنوا من الله
ان يميتكم وينقلكم من دار البلية الى محل الكرامة ان كنتم صادقين في زعمكم ولا يتمنونه
ابدا بما قدمت ايديهم بسبب ما قدموا من الكفر والمعاصي والله عليم بالظالمين فيجازيهم
على اعمالهم قل ان الموت الذي تفرون منه وتخافون ان تتمنوه بلسانكم مخافة ان يصيبكم
فتؤخذوا باعمالكم فانه ملاقيكم لاحق بكم لا تفوتونه والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط
باعتبار الوصف وكان فرارهم يسرع لحوقه بهم وقد قرئ بغيرها ويجوز ان يكون الموصول خبرا والفاء
عاطفة ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون بان يجازيكم عليه يا ايها
الذين آمنوا اذا نودي للصلوة اي اذن لها من يوم الجمعة بيان لاذا وانما سمي جمعة
لاجتماع الناس فيه للصلوة وكانت العرب تسميه العروبة وقيل سماه كعب بن لؤي لاجتماع الناس فيه
اليه واول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لما قدم المدينة نزل قبا واقام بها
الى الجمعة ثم دخل المدينة وصلى الجمعة في دار لبني سالم بن عوف فاسعوا الى ذكر الله
فامضوا اليه مسرعين قصدا فان السعي دون العدو والذكر الخطبة وقيل الصلوة والامر
بالسعي اليها يدل على وجوبها وذروا البيع واتركوا المعاملة ذلكم خير لكم اي السعي الى
ذكر الله خير لكم من المعاملة فان نفع الآخرة خير وابقى ان كنتم تعلمون الخير والشر
الحقيقيين او ان كنتم من اهل العلم فاذا قضيت الصلوة اديت وفرغ منها فانتشروا
في الارض وابتغوا من فضل الله اطلاق لما حظر عليه واحتج به من جعل الامر
بعد الحظر للاباحة وفي الحديث وابتغوا من فضل الله ليس بطلب الدنيا وانما هو عيادة
وحضور جنازة وزيارة اخ في الله واذكروا الله كثيرا واذكروه في مجامع احوالكم
ولا تخصوا ذكره بالصلوة لعلكم تفلحون بخير الدارين واذا رأوا تجارة او لهوا
انفضوا اليها روي انه صلى الله عليه وسلم كان يخطب للجمعة فمرت عير تحمل الطعام
فخرج الناس اليهم الا اثني عشر فنزلت وافراد التجارة برد الكناية فانها المقصودة فان

المراد

المراد من اللهو الطبل الذي يستقبلون به العير والترديد للدلالة على ان منهم من انفض لمجرد
سماع الطبل ورؤيته او للدلالة على ان الانفضاض الى التجارة مع الحاجة اليها والانتفاع
بها اذا كان مذموما كان الانفضاض الى اللهو اولى بذلك وقيل تقديره واذا رأوا تجارة
انفضوا اليها واذا رأوا لهوا انفضوا اليه وتركوك قائما اي على المنبر قل ما عند الله من الثواب
خير من اللهو ومن التجارة فان ذلك محقق مخلد بخلاف ما يتوهمون من نفعهما والله خير
الرازقين فتوكلوا عليه واطلبوا الرزق منه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
الجمعة اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من اتى الجمعة ومن لم يأتها في امصار المسلمين

سورة المنافقين مدنية وآيها احدى عشر آية

بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله
الشهادة اخبار عن علم من الشهود وهو الحضور والاطلاع ولذلك صدق المشهود به
وكذبهم في الشهادة بقوله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون
لانهم لم يعتقدوا ذلك اتخذوا ايمانهم حلفهم الكاذب وشهادتهم هذه فانها تجري
مجرى الحلف في التوكيد وقرئ ايمانهم جنة وقاية عن القتل والسبي فصدوا عن سبيل
الله صدا او صدودا انهم ساء ما كانوا يعملون من نفاقهم وصدهم ذلك اشارة
الى الكلام المتقدم اي ذلك القول الشاهد على سوء اعمالهم او الى الحال المذكورة
من النفاق والكذب والاستجنان بالايمان بانهم آمنوا بسبب انهم آمنوا ظاهرا ثم كفروا
سرا او آمنوا اذا رأوا آية ثم كفروا حينما سمعوا من شياطينهم شبهة فطبع على قلوبهم
حتى تمرنوا على الكفر واستحكموا فيه فهم لا يفقهون حقيقة الايمان ولا يعرفون صحته واذا
رأيتهم تعجبك اجسامهم لضخامتها او صباحتها وان يقولوا تسمع لقولهم لذلاقتهم
وحلاوة كلامهم وكان ابن ابي جسيما فصيحا يحضر مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم
في جمع مثله فيتعجب بهياكلهم ويصغي الى كلامهم كانهم خشب مسندة حال من الضمير المجرور

في قولهم اي تسمع لما يقولون شبهوا باخشاب منصوبة مسندة الى الحائط في كونهم
اشباحا خالية عن العلم والنظر وقيل الخشب جمع خشباء وهي الخشبة التي نخر جوفها شبهوا
بها في حسن المنظر وقبح المخبر وقرأ ابو عمرو والكسائي وروي عن ابن كثير بسكون الشين على التخفيف
او على انه كبدن في جمع بدنة يحسبون كل صيحة عليهم اي واقعة عليهم لجبنهم وهلعهم واتهامهم
فعليهم ثاني مفعولي يحسبون ويجوز ان يكون صلة والمفعول هم العدو وعلى هذا يكون
الضمير للكل وجمعه بالنظر الى الخبر لكن ترتب قوله فاحذرهم عليه يدل على ان الضمير للمنافقين
قاتلهم الله دعاء عليهم وهو طلب من ذاته ان يلعنهم او تعليم للمؤمنين ان يدعوا عليهم بذلك
انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله
لووا رؤسهم عطفوها اعراضا واستكبارا عن ذلك ورأيتهم يصدون يعرضون
عن الاستغفار وهم مستكبرون عن الاعتذار سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر
لهم لن يغفر الله لهم لرسوخهم في الكفر ان الله لا يهدي القوم الفاسقين
الخارجين عن مظنة الاصلاح لانهماكهم في الكفر والنفاق هم الذين يقولون
اي للانصار لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا يعنون فقراء المهاجرين
ولله خزائن السموات والارض بيده الارزاق والقسم ولكن المنافقين
لا يفقهون ذلك لجهلهم بالله يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها
الاذل روي ان اعرابيا نازع انصاريا في بعض الغزوات على ماء فضرب الاعرابي
رأسه بخشبة فشكى الى ابن ابي فقال لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا
واذا رجعنا الى المدينة فليخرج الاعز منها الاذل عنى بالاعز نفسه الذليل وبالاذل
جانب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ ليخرجن بفتح الياء وليخرجن على البناء
للمفعول ولنخرجن بالنون ونصب الاعز والاذل على هذه القراءات مصدر او حال على
تقدير مضاف كخروج او اخراج او مثل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولله الغلبة
والقوة ولمن اعزه من رسوله والمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون من فرط جهلهم
وغرورهم يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر

الله

الله لا يشغلكم تدبيرها والاهتمام بها عن ذكره كالصلوة وسائر العبادات المذكرة
والمراد نهيهم عن اللهو بها وتوجيه النهي اليها للمبالغة ولذلك قال ومن يفعل ذلك اي
اللهو بها وهو الشغل فاولئك هم الخاسرون لانهم باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني
وانفقوا مما رزقناكم بعض اموالكم ادخارا للآخرة من قبل ان يأتي احدكم الموت ان يرى دلائله
فيقول رب لولا اخرتني امهلتني الى اجل قريب امد غير بعيد فاصدق فاتصدق
واكن من الصالحين بالتدارك وجزم اكن للعطف على موضع الفاء وما بعده وقرأ ابو عمرو واكون
منصوبا عطفا على فاصدق وقرئ بالرفع على وانا اكون فيكون عدة بالصلاح ولن يؤخر الله
نفسا ولن يمهلها اذا جاء اجلها آخر عمرها والله خبير بما تعملون فمجازيكم عليه وقرأ ابو بكر
بالياء ليوافق ما قبله في الغيبة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المنافقين برئ من النفاق

سورة التغابن مختلف فيها وآيها ثماني عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما في السموات وما في الارض بدلالتهما
على كماله واستغنائه له الملك وله الحمد قدم الظرفين للدلالة على اختصاص الامرين
به من حيث الحقيقة وهو على كل شيء قدير لان نسبة ذاته المقتضية للقدرة الى الكل
على سواء ثم شرع فيما ادعاه فقال هو الذي خلقكم فمنكم كافر مقدر كفره وموجه
اليه ما يحمله عليه ومنكم مؤمن مقدر ايمانه موفق عليه لما يدعوه اليه والله بما تعملون
بصير فيعاملكم بما يناسب اعمالكم خلق السموات والارض بالحق بالحكمة البالغة
وصوركم فاحسن صوركم فصوركم من جملة ما خلق فيهما باحسن صورة حيث زينكم
بصفوة اوصاف الكائنات وخصكم بخلاصة خصائص المبدعات وجعلكم انموذج
جميع المخلوقات واليه المصير فاحسنوا سرائركم حتى لا يمسخ بالعذاب ظواهركم يعلم ما في
السموات والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور
فلا يخفى عليه ما يصح ان يعلم كليا كان او جزئيا لان نسبة المقتضي لعلمه الى الكل واحدة وتقديم

تقرير القدرة على العلم لانه لا دلالة للمخلوقات على قدرته تعالى اولا وبالذات وعلى علمه بما فيها من الاتقان
والاختصاص ببعض الانحاء الم ياتكم ايها الكفار نبأ الذين كفروا من قبل كقوم نوح
وهود وصالح فذاقوا وبال امرهم ضرر كفرهم في الدنيا واصله الثقل ومنه الوبيل لطعام
يثقل على المعدة والوابل للمطر الثقيل القطار ولهم عذاب اليم في الآخرة ذلك اي المذكور
من العذاب والوبال بانه بسبب انه كانت تاتيهم رسلهم بالبينات بالمعجزات
فقالوا ابشر يهدوننا انكروا وتعجبوا ان يكون الرسل بشرا والبشر يطلق على الواحد والجمع
فكفروا بالرسل وتولوا عن التدبر في البينات واستغنى الله عن كل شيء فضلا عن طاعتهم
والله غني عن عبادتهم وغيرها حميد يدل على حمده كل مخلوق زعم الذين كفروا ان
لن يبعثوا الزعم ادعاء العلم ولذلك يتعدى الى مفعولين وقد قام مقامهما ان مع ما في حيزه
قل بلى اي بلى تبعثون وربي لتبعثن قسم اكد به الجواب ثم لتنبؤن بما عملتم بالمحاسبة
والمجازاة وذلك على الله يسير لقبول المادة وحصول القدرة التامة فامنوا بالله
ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم والنور الذي انزلنا يعني القرآن فانه باعجازه ظاهر
بنفسه مظهر لغيره مما فيه شرحه وبيانه والله بما تعملون خبير فمجاز عليه يوم يجمعكم ظرف
لتنبؤن او مقدر باذكر وقرأ يعقوب نجمعكم ليوم الجمع لاجل ما فيه من الحساب والجزاء
والجمع جمع الملائكة والثقلين ذلك يوم التغابن يغبن فيه بعضهم بعضا لنزول السعداء
منازل الاشقياء لو كانوا سعداء وبالعكس مستعار من تغابن التجار واللام فيه للدلالة على
ان التغابن الحقيقي هو التغابن في امور الآخرة لعظمها ودوامها ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا
اي عملا صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا
وقرأ نافع وابن عامر بالنون فيهما ذلك الفوز العظيم الاشارة الى مجموع الامرين ولذلك
جعله الفوز العظيم لانه جامع للمصالح من دفع المضار وجلب المنافع والذين كفروا
وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير كأنها والآية المتقدمة
بيان للتغابن وتفصيل له ما اصاب من مصيبة الا باذن الله الا بتقديره وارادته
ومن يؤمن بالله يهد قلبه للثبات والاسترجاع عند حلولها وقرئ يهد قلبه بالرفع

على اقامته مقام الفاعل وقرئ بالنصب على طريقة سفه نفسه ويهدأ بالهمزة اي يسكن
والله بكل شيء عليم حتى القلوب واحوالها واطيعوا الله واطيعوا الرسول فان توليتم
فانما على رسولنا البلاغ المبين اي فان توليتم فلا باس عليه اذ وظيفته التبليغ
وقد بلغ الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون لان ايمانهم بان الكل منه يقتضي ذلك
يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم يشغلكم عن طاعة الله او يخاصمكم
في امر الدين او الدنيا فاحذروهم ولا تأمنوا غوائلهم وان تعفوا عن ذنوبهم بترك المعاقبة
وتصفحوا بالاعراض وترك التثريب عليها وتغفروا باخفائها وتمهيد معذرتهم
فيها فان الله غفور رحيم يعاملكم بمثل ما عملتم ويتفضل عليكم انما اموالكم و
اولادكم فتنة اختبار لكم والله عنده اجر عظيم لمن آثر محبة الله وطاعته على محبة
الاموال والاولاد والسعي لهم فاتقوا الله ما استطعتم اي ابذلوا في تقواه جهدكم
وطاقتكم واسمعوا مواعظه واطيعوا اوامره وانفقوا في وجوه الخير خالصا لوجهه
خيرا لانفسكم اي افعلوا ما هو خير لها وهو تأكيد للحث على امتثال هذه الاوامر
ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف اي انفاقا خيرا او خبرا لكان مقدرا جوابا للامر
ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون سبق تفسيره ان تقرضوا الله بصرف المال فيما امره
قرضا حسنا مقرونا باخلاص وطيب قلب يضاعفه لكم يجعل لكم بالواحد عشرا الى
سبعمائة واكثر وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعفه لكم ويغفر لكم ببركة
الانفاق والله شكور يعطي الجزيل بالقليل حليم لا يعاجل بالعقوبة عالم الغيب
والشهادة لا يخفى عليه شيء العزيز الحكيم تام القدرة والعلم عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التغابن دفع عنه موت الفجاءة

سورة الطلاق مدنية وآيها اثنا عشر آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي اذا طلقتم النساء خص النداء وعمم
الخطاب بالحكم لانه امام امته فنداؤه كندائهم او لان الكلام معه والحكم يعمهم

والمعنى اذا اردتم تطليقهن على تنزيل المشارف له منزلة الشارع فيه فطلقوهن
لعدتهن اى وقتها وهو الطهر فان اللام فى الازمان وما يشبهها للتاقيت ومن عد
العدة بالحيض علق اللام بمحذوف مثل مستقبلات وظاهره يدل على ان العدة
بالاطهار وان طلاق المعتدة بالاقراء ينبغى ان يكون فى الطهر وانه يحرم فى الحيض من
حيث ان الامر بالشىء يستلزم النهى عن ضده ولا يدل على عدم وقوعه اذ النهى لا
يستلزم الفساد كيف وقد صح ان ابن عمر لما طلق امراته حائضا امره صلى الله عليه
وسلم بالرجعة وهو سبب نزوله واحصوا العدة واضبطوها واكملوها ثلثة اقراء
واتقوا الله ربكم فى تطويل العدة والاضرار بهن لا تخرجوهن من بيوتهن
من مساكنهن وقت الفراق حتى تنقضى عدتهن ولا يخرجن باستبدادهن اما لو
اتفقا على الانتقال جاز اذ الحق لا يعدوهما وفى الجمع بين النهيين دلالة على استحقاقها
السكنى ولزومها ملازمة مسكن الفراق وقوله الا ان ياتين بفاحشة مبينة مستثنى من
الاول والمعنى الا ان تبذو على الزوج فانه كالنشوز فى اسقاط حقها او الا ان تزنى
فتخرج لاقامة الحد عليها او من الثانى للمبالغة فى النهى والدلالة على ان خروجها فاحشة
وتلك حدود الله الاشارة الى الاحكام المذكورة ومن يتعد حدود الله فقد
ظلم نفسه بان عرضها للعقاب لا تدرى اى النفس او انت ايها النبى او المطلق
لعل الله يحدث بعد ذلك امرا وهى الرغبة فى المطلقة برجعة او استيناف
فاذا بلغن اجلهن شارفن آخر عدتهن فامسكوهن فراجعوهن بمعروف بحسن عشرة
وانفاق مناسب او فارقوهن بمعروف بايفاء الحق واتقاء الضرار مثل ان
يراجعها ثم يطلقها تطويلا لعدتها واشهدوا ذوى عدل منكم على الرجعة او الفرقة
تبريا عن الريبة وقطعا للتنازع وهو ندب كقوله واشهدوا اذا تبايعتم
وعن الشافعى وجوبه فى الرجعة واقيموا الشهادة لله ايها الشهود عند الحاجة
خالصا لوجهه ذلكم يريد الحث على الاشهاد والاقامة او على جميع ما فى الآية
يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فانه المنتفع به او المقصود تذكيره

ومن

ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب جملة اعتراضية
مؤكدة لما سبق بالوعد على الاتقاء عما نهى عنه صريحا او ضمنا من الطلاق فى الحيض والاضرار
بالمعتدة واخراجها من المسكن وتعدى حدود الله وكتمان الشهادة وتوقع جعل على اقا
بان يجعل الله له مخرجا مما فى شان الازواج من المضايق والغموم ويرزقه فرجا وخلفا
من وجه لم يخطر بباله او بالوعد لعامة المتقين بالخلاص عن مضار الدارين والفوز بخيرهما من حيث
لا يحتسبون او كلام جىء به للاستطراد عند ذكر المؤمنين وعنه صلى الله عليه وسلم انى لاعلم
آية لو اخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله الآية فما زال يقرؤها ويعيدها وروى ان
سالم بن عوف بن مالك الاشجعى اسره العدو فشكى ابوه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اتق الله واكثر قول لا حول ولا قوة الا بالله ففعل فبينا هو فى بيته اذ قرع
ابنه الباب ومعه مائة من الابل غفل عنها العدو فاستاقها فنزلت ومن يتوكل على
الله فهو حسبه كافيه ان الله بالغ امره يبلغ ما يريده ولا يفوته مراد وقرا حفص
بالاضافة وقرئ بالغ امره اى نافذ وبالغا على انه حال والخبر قد جعل الله لكل شىء قدرا
تقديرا او مقدارا او اجلا لا يتاتى تغييره وهو بيان لوجوب التوكل وتقرير لما تقدم من
تاقيت الطلاق بزمان العدة والامر باحصائها وتمهيد لما ياتى من مقاديرها واللائى
يئسن من المحيض من نسائكم لكبرهن ان ارتبتم شككتم فى عدتهن اى جهلتم فعدتهن
ثلثة اشهر روى انه لما نزل والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلثة قروء قيل فما عدة اللائى
لا يحضن فنزلت واللائى لم يحضن اى واللائى لم يحضن بعد كذلك واولات
الاحمال اجلهن منتهى عدتهن ان يضعن حملهن وهو حكم يعم المطلقات والمتوفى عنها
زوجها والمحافظة على عمومه اولى من محافظة عموم قوله والذين يتوفون منكم ويذرون
ازواجا لان عموم اولات الاحمال بالذات وعموم ازواجا بالعرض والحكم معلل ههنا بخلاف ثمة
ولانه صح ان سبيعة بنت الحارث وضعت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حللت فتزوجى ولانه متاخر النزول فتقديمه
تخصيص وتقديم الآخر بناء للعام على الخاص والاول راجح للوفاق عليه ومن يتق الله

في احكامه فراعى حقوقها يجعل له من امره يسرا يسهل عليه امره ويوفقه للخير ذلك
اشارة الى ما ذكر من الاحكام امر الله انزله اليكم ومن يتق الله في احكامه فيراعي حقوقها
يكفر عنه سيئاته فان الحسنات يذهبن السيئات ويعظم له اجرا بالمضاعفة اسكنوهن
من حيث سكنتم اي مكانا من سكناكم من وجدكم من وسعكم اي مما تطيقونه وهو عطف
بيان لقوله من حيث سكنتم ولا تضاروهن في السكنى لتضيقوا عليهن فتلجؤوهن الى
الخروج وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فيخرجن من العدة
فهذا يدل على اختصاص استحقاق النفقة بالحامل من المعتدات والاحاديث تؤيده
فان ارضعن لكم بعد انقطاع علقة النكاح فآتوهن اجورهن على الارضاع والاجر
وان تعاسرتم تضايقتم فسترضع له اخرى وفيه معاتبة للام على المعاسرة لينفق ذو سعة
من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله اي فلينفق كل من الموسر والمعسر ما بلغه
وسعه لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها فانه تعالى لا يكلف نفسا الا وسعها وفيه تطييب
لقلب المعسر ولذلك وعد له باليسر فقال سيجعل الله بعد عسر يسرا اي عاجلا او آجلا
وكأين من قرية اهل قرية عتت عن امر ربها ورسله اعرضت عنه اعراض العاتي المعاند
فحاسبناها حسابا شديدا بالاستقصاء والمناقشة وعذبناها عذابا نكرا منكرا
والمراد حساب الآخرة وعذابها والتعبير بلفظ الماضي للتحقيق فذاقت وبال امرها
عقوبة كفرها ومعاصيها وكان عاقبة امرها خسرا لا ربح فيها اصلا اعد الله لهم
عذابا شديدا تكرير للوعيد وبيان لما يوجب التقوى المأمور بها في قوله فاتقوا
الله يا اولي الالباب ويجوز ان يكون المراد بالحساب استقصاء ذنوبهم واثباتها
في صحائف الحفظة وبالعذاب ما اصيبوا به عاجلا الذين آمنوا قد انزل الله اليكم ذكرا
رسولا يعني بالذكر جبريل لكثرة ذكره او لنزوله بالذكر وهو القرآن او لانه مذكور
في السموات او ذا ذكر اي شرف او محمدا صلى الله عليه وسلم لمواظبته على تلاوة القرآن
او تبليغه وعبر عن ارساله بالانزال ترشيحا او لانه مسبب عن انزال الوحي اليه وابدل
عنه رسولا للبيان او اراد به القرآن ورسولا منصوب بمقدر مثل ارسل او ذكر
والرسول مفعوله او بدل على انه بمعنى الرسالة يتلو عليكم آيات الله مبينات
حال من اسم الله او صفة رسولا والمراد بالذين ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات
اي ليحصل لهم ما هم عليه الآن من الايمان والعمل الصالح او ليخرج من علم او قدر انه يؤمن
من الظلمات الى النور من الضلالة الى الهدى ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وقرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون قد احسن
الله له رزقا فيه تعجب وتعظيم لما رزقوا من الثواب الله الذي خلق سبع سموات
مبتدأ وخبر ومن الارض مثلهن اي وخلق مثلهن في العدد من الارض وقرئ
بالرفع على الابتداء والخبر يتنزل الامر بينهن اي يجري امر الله وقضاؤه بينهن
وينفذ حكمه فيهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما
علة لخلق او يتنزل او مضمر يعمهما فان كلا منهما يدل على كمال قدرته وعلمه
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله

سورة التحريم مدنية وآيها اثنتا عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك روي انه صلى
الله عليه وسلم خلا بمارية في يوم عائشة او حفصة فاطلعت على ذلك حفصة فعاتبته
فيه فحرم مارية فنزلت وقيل شرب عسلا عند حفصة فواطأت عائشة وسودة وصفية
فقلن له انا نشم منك ريح المغافير فحرم العسل فنزلت تبتغي مرضات ازواجك
تفسير لتحرم او حال من فاعله او استئناف ببيان الداعي اليه والله غفور لك هذه الزلة
فانه لا يجوز تحريم ما احل الله رحيم رحمك حيث لم يؤاخذك به وعاتبك محاماة على
عصمتك قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم قد شرع لكم تحليلها وهو حل ما عقدته
بالكفارة او الاستثناء فيها بالمشيئة حتى لا يحنث من قولهم حلل في يمينه اذا استثنى فيها واحتج
به من رأى التحريم مطلقا او تحريم المرأة يمينا وهو ضعيف اذ لا يلزم من وجوب الكفارة
اليمين فيه كونه يمينا مع احتمال انه صلى الله عليه وسلم اتى بلفظ اليمين كما قيل والله موليكم

متولي امركم وهو العليم بما يصلحكم الحكيم المتقن في افعاله واحكامه واذ اسر
النبي الى بعض ازواجه يعني حفصة حديثا تحريم مارية او العسل او ان الخلافة بعده
لابي بكر وعمر رضي الله عنهما فلما نبأت به اي فلما اخبرت حفصة بالحديث واظهره الله
عليه واطلع النبي صلى الله عليه وسلم على الحديث اي على افشائه عرف بعضه عرف
الرسول صلى الله عليه وسلم حفصة بعض ما فعلت واعرض عن بعض عن اعلام بعض تكرما
او جازاها على بعض بتطليقه اياها وتجاوز عن بعض ويؤيده قراءة الكسائي بالتخفيف
فانه لا يحتمل ههنا غيره لكن المشدد من باب اطلاق اسم المسبب على السبب والمخفف بالعكس
ويؤيد الاول قوله فلما نبأها به قالت من انبأك هذا قال نبأني العليم الخبير فانه اوفق
للاعلام ان تتوبا الى الله خطاب لحفصة وعائشة على الالتفات للمبالغة في المعاتبة فقد صغت
قلوبكما فقد وجد منكما ما يوجب التوبة وهو ميل قلوبكما عن الواجب من مخالصة الرسول صلى الله عليه وسلم
بحب ما يحبه وكراهة ما يكرهه وان تظاهرا عليه بما يسوؤه وقرأ الكوفيون بالتخفيف فان
الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين فلن يعدم من يظاهره من الله والملائكة وصلحاء
المؤمنين فان الله ناصره وجبريل رئيس الكروبيين قرينه ومن صلح من المؤمنين اتباعه واعوانه
والملائكة بعد ذلك ظهير متظاهرون وتخصيص جبريل للتعظيم والمراد بالصالح الجنس
ولذلك عمه بالاضافة وقوله بعد ذلك تعظيم لمظاهرة الملائكة من جملة ما ينصره الله به
عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن على التغليب او تعميم الخطاب
وليس فيها ما يدل على انه لم يطلق حفصة وان في النساء خيرا منهن لان تعليق طلاق الكل
لا ينافي تطليق واحدة والمعلق بما لم يقع لا يجب وقوعه وقرأ نافع وابو عمرو يبدله بالتخفيف
مسلمات مؤمنات مقرات مخلصات او منقادات مصدقات قانتات مصليات
او مواظبات على الطاعة تائبات عن الذنوب عابدات متعبدات او متذللات
لامر الرسول صلى الله عليه وسلم سائحات صائمات سمي الصائم سائحا
لانه يسيح بالنهار بلا زاد او مهاجرات ثيبات وابكارا وسط العاطف
بينهما لتنافيهما ولانهما في حكم صفة واحدة اذ المعنى مشتملات على الثيبات والابكار

يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم بترك المعاصي وفعل الطاعات واهليكم بالنصح
والتأديب وقرئ واهلوكم عطفا على واو قوا فيكون انفسكم انفس القبيلين على تغليب المخاطبين
نارا وقودها الناس والحجارة نارا تتقد بهما اتقاد غيرها بالحطب عليها ملائكة تلي امرها
وهم الزبانية غلاظ شداد غلاظ الاقوال وشداد الافعال او غلاظ الخلق شداد الخلق
اقوياء على الافعال لا يعصون الله ما امرهم فيما مضى ويفعلون ما يؤمرون فيما يستقبل
او لا يمتنعون عن قبول الاوامر والتزامها ويؤدون ما يؤمرون به يا ايها الذين
كفروا لا تعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون اي يقال لهم ذلك عند دخولهم النار
والنهي عن الاعتذار لانه لا عذر لهم او العذر لا ينفعهم يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله
توبة نصوحا بالغة في النصح وهو صفة التائب فانه ينصح نفسه بالتوبة فوصفت به
على الاسناد المجازي مبالغة او في النصاحة وهي الخياطة كانها تنصح ما خرق الذنب
في البين وقرأ ابو بكر بضم النون وهو مصدر بمعنى النصح كالشكر والشكور او النصاحة
كالثبات والثبوت تقديره ذات نصوح او ينصح نصوحا او توبوا نصحا لانفسكم و
سئل علي رضي الله عنه عن التوبة فقال يجمعها ستة اشياء على الماضي من الذنوب
الندامة وللفرائض الاعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وان تعزم على ان لا تعود
وان تربي نفسك في طاعة الله كما ربيتها في المعصية عسى ربكم ان يكفر عنكم
سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ذكر بصيغة الاطماع جريا على عادة
الملوك واشعارا بانه تفضل والتوبة غير موجب وان العبد ينبغي ان يكون بين خوف
ورجاء يوم لا يخزي الله النبي ظرف ليدخلكم والذين آمنوا معه عطف على النبي
احمادا لهم وتعريضا لمن ناوأهم وقيل مبتدأ خبره نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم اي
على الصراط يقولون اذا طفئ نور المنافقين ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير
وقيل تتفاوت انوارهم بحسب اعمالهم فيسألون اتمامه تفضلا يا ايها النبي جاهد الكفار
بالسيف والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم واستعمل الخشونة فيما تجاهدهم اذا بلغ
الرفق مداه ومأواهم جهنم وبئس المصير جهنم او مأواهم ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة

نوح وامرأة لوط مثل الله حالهم في انهم يعاقبون بكفرهم ولا يحابون بما بينهم وبين النبي
والمؤمنين من النسبة بحالهما كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين يريد به تعظيم نوح ولوط
عليهما الصلاة والسلام فخانتاهما بالنفاق فلم يغنيا عنهما من الله شيئا فلم يغن النبيان
عنهما بحق الزواج اغناء ما وقيل ادخلا اي لهما عند موتهما او يوم القيامة النار مع
الداخلين مع سائر الداخلين من الكفرة الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء وضرب الله
مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون شبه حالهم في ان وصلة الكافرين لا تضرهم بحال آسية
ومنزلتها عند الله مع انها كانت تحت اعدى اعداء الله اذ قالت ظرف للمثل المحذوف
رب ابن لي عندك بيتا في الجنة قريبا من رحمتك او في درجات المقربين ونجني من
فرعون وعمله من نفسه الخبيثة وعمله السيء ونجني من القوم الظالمين من القبط التابعين له
في الظلم ومريم ابنة عمران عطف على امرأة فرعون تسلية للارامل التي احصنت
فرجها من الرجال فنفخنا فيه في فرجها وقرئ فيها اي في مريم او الحملة من روحنا
من روح خلقناه بلا وسط اصل وصدقت بكلمات ربها بصحفه المنزلة او بما اوحى
الى انبيائه وكتابه وما كتب في اللوح او جنس الكتب المنزلة ويدل عليه قراءة البصري
وحفص بالجمع وقرئ بكلمة الله وكتابه اي بعيسى والانجيل وكانت من القانتين من عداد
المواظبين على الطاعة والتذكير للتغليب والاشعار بان طاعتها لم تقصر عن طاعة الرجال
الكاملين حتى عدت من جملتهم او من نسلهم فيكون من ابتدائية عن النبي صلى الله عليه وسلم
كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا اربع آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم
ابنة عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد
على سائر الطعام وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التحريم آتاه الله توبة نصوحا

سورة الملك مكية وآيها ثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذي بيده الملك بقبضة قدرته التصرف في
الامور كلها وهو على كل شيء قدير على كل ما يشاء قدير الذي خلق الموت والحياة

قدرهما

قدرهما او اوجد الحيوة وازالها حسبما قدره وقدم الموت لقوله وكنتم امواتا
فاحياكم ولانه ادعى الى حسن العمل ليبلوكم ليعاملكم معاملة المختبر بالتكليف ايها المكلفون
ايكم احسن عملا اصوبه واخلصه وجاء مرفوعا احسنكم عقلا واورعكم عن محارم الله
واسرعكم في طاعته جملة واقعة موقع المفعول ثانيا لفعل البلوى المتضمن معنى العلم وليس
هذا من باب التعليق لانه يخل به وقوع الجملة خبرا فلا يعلق الفعل عنها بخلاف ما اذا وقعت موقع
المفعولين وهو العزيز الغالب الذي لا يعجزه من اساء العمل الغفور لمن تاب منهم الذي خلق سبع سموات
طباقا مطابقة بعضها فوق بعض مصدر طابقت النعل اذا خصفتها طبقا على طبق وصف به
او طوبقت طباقا او ذات طباق جمع طبق كجبل وجبال او طبقة كرحبة ورحاب ما ترى
في خلق الرحمن من تفاوت وقرأ حمزة والكسائي من تفوت ومعناهما واحد كالتعاهد والتعهد
وهو الاختلاف وعدم التناسب من الفوت فان كلا من المتفاوتين فات عنه بعض ما
في الآخر والجملة صفة ثانية للسبع وضع فيها خلق الرحمن موضع الضمير للتعظيم والاشعار
بانه تعالى يخلق مثل ذلك بقدرته الباهرة رحمة وتفضلا وان في ابداعها نعما جليلا لا تحصى
والخطاب فيها لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل مخاطب وقوله فارجع البصر هل
ترى من فطور متعلق به على معنى التسبيب اي قد نظرت اليها مرارا فانظر اليها مرة اخرى
متأملا لتعاين ما اخبرت به من تناسبها واستقامتها واستجماعها ما ينبغي لها والفطور الشقوق
والمراد الخلل من فطره اذا شقه ثم ارجع البصر كرتين اي رجعتين اخريين في ارتياد الخلل
والمراد بالتثنية التكرير والتكثير كما في لبيك وسعديك ولذلك اجاب الامر بقوله
ينقلب اليك البصر خاسئا بعيدا عن اصابة المطلوب كانه طرد عنه طردا بالصغار
وهو حسير كليل من طول المعاودة وكثرة المراجعة ولقد زينا السماء الدنيا اقرب السموات
الى الارض بمصابيح بكواكب مضيئة بالليل اضاءة السرج فيها ولا يمنع ذلك كون بعض
الكواكب مركوزة في السموات فوقها اذ التزيين باظهارها عليها والتنكير للتعظيم وجعلناها
رجوما للشياطين وجعلنا لها فائدة اخرى وهي رجم اعدائكم بانقضاض الشهب المسببة عنها
وقيل معناه وجعلناها رجوما وظنونا لشياطين الانس وهم المنجمون والرجوم جمع رجم بالفتح وهو

المصدر سمي به ما يرجم واعتدنا لهم عذاب السعير في الآخرة بعد الاحراق بالشهب
في الدنيا وللذين كفروا بربهم من الشياطين وغيرهم عذاب جهنم وبئس المصير وقرئ
بالنصب على ان للذين عطف على لهم وعذاب على عذاب السعير اذا القوا فيها سمعوا لها
شهيقا صوتا كصوت الحمير وهي تفور تغلي بهم غليان المرجل بما فيه تكاد تميز من الغيظ
تتفرق غضبا عليهم وهو تمثيل لشدة اشتعالها بهم ويجوز ان يراد غيظ الزبانية كلما القي
فيها فوج جماعة من الكفرة سألهم خزنتها الم يأتكم نذير يخوفكم هذا العذاب وهو توبيخ
وتبكيت قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا في ضلال كبير اي
فكذبنا الرسل وافرطنا في التكذيب حتى نفينا الانزال والارسال راسا وبالغنا في نسبتهم الى الضلال
فالنذير اما بمعنى الجمع لانه فعيل او مصدر مقدر بمضاف اي اهل انذار او منعوت به
للمبالغة او الواحد والخطاب له ولامثاله على التغليب او اقامة تكذيب الواحد مقام
تكذيب الكل او على ان المعنى قالت الافواج قد جاء الى كل فوج منا رسول فكذبناهم
وضللناهم ويجوز ان يكون الخطاب من كلام الزبانية للكفار على ارادة القول فيكون
الضلال ما كانوا عليه في الدنيا او عقابه الذي يكونون فيه وقالوا لو كنا نسمع كلام الرسول
فنقبله جملة من غير بحث وتفتيش اعتمادا على ما لاح من صدقهم بالمعجزات او نعقل فنتفكر
في حكمه ومعانيه تفكر المستبصرين ما كنا في اصحاب السعير في عدادهم ومن جملتهم فاعترفوا بذنبهم
حين لا ينفعهم والاعتراف اقرار عن معرفة والذنب لم يجمع لانه في الاصل مصدر او المراد به الكفر
فسحقا لاصحاب السعير فاسحقهم الله اي ابعدهم من رحمة الله والتغليب للايجاز والمبالغة
والتعليل وقرأ الكسائي بالتثقيل ان الذين يخشون ربهم بالغيب يخافون عذابه غائبا
عنهم لم يعاينوه بعد او غائبين عنه او عن اعين الناس او بالمخفي منهم وهو قلوبهم لهم مغفرة
لذنوبهم واجر كبير تصغر دونه لذائذ الدنيا واسروا قولكم او اجهروا به انه عليم بذات
الصدور بالضمائر قبل ان يعبر عنها سرا او جهرا الا يعلم من خلق الا يعلم السر والجهر من
اوجد الاشياء حسبما قدرته حكمته وهو اللطيف الخبير المتوصل علمه الى ما ظهر من خلقه
وما بطن او الا يعلم الله من خلقه وهو بهذه المثابة والتقييد بهذه الحال يستدعي ان يكون

ليعلم

ليعلم مفعول ليتقيد روي ان المشركين كانوا يتكلمون فيما بينهم باشياء فيخبر الله به رسوله
فيقولون اسروا قولكم لئلا يسمع اله محمد فنبه الله على جهلهم هو الذي جعل لكم الارض
ذلولا لينة يسهل لكم السلوك فيها فامشوا في مناكبها في جوانبها او جبالها وهو مثل لفرط
التذليل فان منكب البعير ينبو عن ان يطأه الراكب ولا يتذلل له فاذا جعل الارض في الذل
بحيث يمشي في مناكبها لم يبق شيء لم يتذلل وكلوا من رزقه والتمسوا من نعم الله واليه النشور المرجع
فيسألكم عن شكر ما انعم عليكم ءامنتم من في السماء يعني الملائكة الموكلين على تدبير هذا العالم
والله تعالى على تاويل من في السماء امره وقضاؤه او على زعم العرب فانهم زعموا انه تعالى
في السماء وعن ابن كثير وامنتم بقلب الهمزة الاولى واوا لانضمام ما قبلها وءامنتم بقلب الثانية
الفا وهو قراءة نافع وابي عمرو ورويس ان يخسف بكم الارض فيغيبكم فيها كما فعل بقارون
فهو بدل الاشتمال فاذا هي تمور تضطرب والمور التردد في المجيء والذهاب
ام امنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا ان يمطر عليكم حصباء فستعلمون كيف نذير
كيف انذاري اذا شاهدتم المنذر به ولكن لا ينفعكم العلم حينئذ ولقد كذب الذين من قبلهم
فكيف كان نكير انكاري عليهم بانزال العذاب وهو تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم
وتهديد لقومه اولم يروا الى الطير فوقهم صافات باسطات اجنحتهن في الجو عند طيرانها
فانهن اذا بسطنها صففن قوادمها ويقبضن ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن وقتا بعد
وقت للاستظهار به على التحرك ولذلك عدل به الى صيغة الفعل والتفرقة بين الاصيل
في الطيران والطارئ عليه ما يمسكهن في الجو على خلاف الطبع الا الرحمن الشامل رحمته كل شيء بان خلقهن
على اشكال وخصائص هيأتهن للجري في الهواء انه بكل شيء بصير يعلم كيف يخلق الغرائب
ويدبر العجائب امن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن عديل لقوله اولم يروا
على معنى اولم ينظروا في امثال هذه الصنائع فلم يعلموا قدرتنا على تعذيبهم بنحو خسف وارسال
حاصب ام لكم جند ينصركم من دون الله ان يرسل عليكم عذابه فهو كقوله ام لهم آلهة تمنعهم من
دوننا الا انه اخرج مخرج الاستفهام عن تعيين من ينصرهم اشعارا بانهم اعتقدوا هذا القسم
ومن مبتدأ وهذا خبره والذي بصلته صفته وينصركم وصف لجند محمول على لفظه ان الكافرون الا في غرور

لا معين لهم أمن هذا الذي يرزقكم أمن يشار إليه ويقال هذا الذي يرزقكم إن أمسك
رزقه بإمساك المطر وسائر الأسباب المحصلة والموصلة له إليكم بل لجوا تمادوا في عتو
عناد ونفور شراد عن الحق لتنفر طباعهم عنه أفمن يمشي مكبا على وجهه يقال كببته
فأكب وهو من الغرائب كقشعت الله السحاب فأقشع والتحقيق أنهما من باب انفعل بمعنى صار
ذا كب وكذا أقشع وليسا مطاوعي كب وقشع بل المطاوع لهما انكب وانقشع ومعنى
مكبا أنه يعثر كل ساعة ويخر على وجهه لوعورة طريقه واختلاف أجزائه ولذلك قابله
بقوله أمن يمشي سويا قائما سالما من العثار على صراط مستقيم مستوي الأجزاء أو الجهة
تمثيل المشرك والموحد بالسالكين والدينين بالمسلكين ولعل الاكتفاء بما في الكب من الدلالة
على حال المسلك للإشعار بأن ما عليه المشرك لا يستأهل أن يسمى طريقا كممشى المتعسف في مكان
متعاد غير مستو وقيل المراد بالمكب الأعمى فإنه يعتسف فينكب وبالسوي البصير وقيل
من يمشي مكبا هو الذي يحشر على وجهه إلى النار ومن يمشي سويا الذي يحشر على قدميه إلى الجنة
قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع لتسمعوا المواعظ والأبصار لتنظروا صنائعه والأفئدة
لتتفكروا وتعتبروا قليلا ما تشكرون باستعمالها فيما خلقت لأجلها قل هو الذي ذرأكم
في الأرض للجزاء وإليه تحشرون ويقولون متى هذا الوعد أي الحشر أو ما
وعدوا من الخسف والحاصب إن كنتم صادقين يعنون النبي والمؤمنين قل إنما العلم
أي علم وقته عند الله لا يطلع عليه غيره وإنما أنا نذير مبين والإنذار يكفي فيه العلم بل
الظن بوقوع المحذر عنه فلما رأوه أي الوعد فإنه بمعنى الموعود زلفة ذا زلفة أي قرب
منهم سيئت وجوه الذين كفروا بأن علتها الكآبة وساءتها رؤية العذاب وقيل
هذا الذي كنتم به تدعون تطلبونه وتستعجلون تفتعلون من الدعاء أو به تدعون
أن لا بعث فهو من الدعوى قل أرأيتم إن أهلكني الله أماتني ومن معي من المؤمنين
أو رحمنا بتأخير آجالنا فمن يجير الكافرين من عذاب أليم أي لا ينجيهم أحد من العذاب
متنا أو بقينا وهو جواب لقولهم نتربص به ريب المنون قل هو الرحمن أي الذي أدعوكم
مولى النعم كلها آمنا به للعلم بذلك وعليه توكلنا للوثوق عليه والعلم بأن غيره بالذات

لا يضر ولا ينفع وتقديم الصلة للتخصيص والإشعار به فستعلمون من هو في ضلال مبين
منكم ومنا وقرأ الكسائي بالياء قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا غائرا في الأرض
بحيث لا تناله الدلاء مصدر وصف به فمن يأتيكم بماء معين جار أو ظاهر سهل المأخذ
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الملك فكأنما أحيا ليلة القدر

سورة ن مكية وآيها اثنان وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ن من أسماء الحروف وقيل اسم الحوت والمراد به جنس
أو البهموت وهو الذي عليه الأرض أو الدواة فإن بعض الحيتان يستخرج منه شيء أشد
سوادا من النقس يكتب به ويؤيد الأول سكونه وكتبته في صورة الحرف والقلم هو الذي
خط اللوح أو الذي يخط به أقسم به لكثرة فوائده وأخفى ابن عامر والكسائي ويعقوب النون
إجراء للواو المنفصل مجرى المتصل فإن النون الساكنة تخفى مع حروف الفم إذا اتصلت بها
وقد روي ذلك عن نافع وعاصم وقرئت بالفتح والكسر كصاد وما يسطرون وما يكتبون
والضمير للقلم بالمعنى الأول على التعظيم أو بالمعنى الثاني على إرادة الجنس وإسناد الفعل إلى الآلة
وإجرائه مجرى أولي العلم لإقامته مقامه أو لأصحابه أو للحفظة وما مصدرية أو موصولة
ما أنت بنعمة ربك بمجنون جواب للقسم والمعنى ما أنت بمجنون منعما عليك بالنبوة وحصافة الرأي
والعامل في الحال معنى النفي وقيل بمجنون والباء لا تمنع عمله فيما قبله لأنها مزيدة وفيه نظر
من حيث المعنى وإن لك لأجرا على الاحتمال والإبلاغ غير ممنون مقطوع أو ممنون به عليك
من الناس فإنه تعالى يعطيك بلا توسط وإنك لعلى خلق عظيم إذ تحتمل من قومك ما لا
يحتمله أمثالك وسئلت عائشة رضي الله تعالى عنها عن خلقه فقالت كان خلقه القرآن ألست
تقرأ قد أفلح المؤمنون فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون أيكم الذي فتن بالجنون والباء مزيدة
أو بأيكم الجنون على أن المفتون مصدر كالمعقول والمجلود أو بأي الفريقين منكم المجنون أبفريق
المؤمنين أم بفريق الكافرين أي في أيهما يوجد من يستحق هذا الاسم إن ربك هو أعلم بمن ضل
عن سبيله وهم المجانين على الحقيقة وهو أعلم بالمهتدين الفائزين بكمال العقل

فلا تطع المكذبين تهييج للتصميم على معاصاتهم ودوا لو تدهن تلاينهم بان تدع
نهيهم عن الشرك او توافقهم فيه احيانا فيدهنون فيلاينونك بترك الطعن فيه والموافقة والفاء
للعطف اى ودوا التداهن وتمنوه لكنهم اخروا ادهانهم حتى تدهن او للسببية اى ودوا
لو تدهن فهم يدهنون حينئذ او ودوا ادهانك فهم الآن يدهنون طمعا فيه وفى بعض المصاحف
فيدهنوا على انه جواب التمنى ولا تطع كل حلاف كثير الحلف فى الحق والباطل مهين حقير الرأى
من المهانة وهى الحقارة هماز عياب مشاء بنميم نقال للحديث على وجه السعاية
مناع للخير يمنع الناس عن الخير من الايمان والانفاق والعمل الصالح معتد متجاوز فى الظلم
اثيم كثير الاثام عتل جاف غليظ من عتله اذا قاده بعنف وغلظة بعد ذلك بعد ما
عد من مثالبه زنيم دعى مأخوذ من زنمتى الشاة وهما المتدليتان من اذنها وحلقها
قيل هو الوليد بن المغيرة ادعاه ابوه بعد ثمانى عشرة من مولده وقيل الاخنس بن شريق اصله
فى ثقيف وعداده فى زهرة ان كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين
اى قال ذلك حينئذ لان كان متمولا مستظهرا بالبنين من فرط غروره لكن العامل مدلول قال
لا نفسه لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله ويجوز ان يكون علة للا تطع اى لا تطع من هذه مثالبه
لان كان ذا مال وقرأ ابن عامر وحمزة ويعقوب وابو بكر ءان كان على الاستفهام غير ان ابن عامر
جعل الهمزة الثانية بين بين اى الان كان ذا مال وقرئ ان كان بالكسر على ان
شرط الغنى فى النهى عن الطاعة كالتعليل بالفقر فى النهى عن قتل الاولاد او ان شرطه للمخاطب اى
لا تطع شارطا يساره لانه اذا اطاع للغنى فكأنه شرطه فى الطاعة سنسمه بالكى على
الخرطوم على الانف وقد اصاب انف الوليد جراحة يوم بدر فبقى اثره وقيل هو عبارة
عن ان يذله غاية الاذلال كقولهم جدع انفه ورغم انفه لان السمة على الوجه سيما على
الانف شين ظاهر او نسود وجهه يوم القيمة انا بلوناهم بلونا اهل مكة بالقحط كما
بلونا اصحاب الجنة يريد بستانا كان دون صنعاء بفرسخين وكان لرجل صالح وكان
ينادى الفقراء وقت الصرام ويترك لهم ما اخطأه المنجل والقته الريح او بعد من
البساط الذى يبسط تحت النخلة فيجتمع لهم شىء كثير فلما مات قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل

ابونا ضاق علينا فحلفوا ليصرمنها وقت الصباح خفية عن المساكين كما قال اذ اقسموا
ليصرمنها مصبحين ليقطعنها داخلين فى الصباح ولا يستثنون ولا يقولون ان شاء الله
وانما سماه استثناء لما فيه من الاخراج غير ان المخرج به خلاف المذكور والمخرج بالاستثناء عينه
او لان معنى لا اخرج ان شاء الله ولا اخرج الا ان يشاء الله واحد او ولا يستثنون حصة
المساكين كما كان يخرج ابوهم فطاف عليها على الجنة طائف بلاء طائف من ربك
مبتدأ منه وهم نائمون فاصبحت كالصريم كالبستان الذى صرم ثماره بحيث لم يبق فيه
شىء فعيل بمعنى مفعول او كالليل باحتراقها واسودادها او كالنهار بابيضاضها من فرط اليبس
سميا بالصريم لان كلا منهما ينصرم عن صاحبه او كالرمال فتنادوا مصبحين ان اغدوا
على حرثكم اى اخرجوا او بان اخرجوا اليه غدوة وتعدية الفعل بعلى لتضمنه معنى الاقبال
او لتشبيه الغدو للصرام بغدو العدو المتضمن لمعنى الاستيلاء ان كنتم صارمين
قاطعين له فانطلقوا وهم يتخافتون يتشاورون فيما بينهم وخفى وخفت وخفد بمعنى الكتم
ومنه الخفدود للخفاش ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين ان مفسرة وقرئ بطرحها
على اضمار القول والمراد بنهى المسكين عن الدخول المبالغة فى النهى عن تمكينه من الدخول كقوله
لا ارينك ههنا وغدوا على حرد قادرين وغدوا قادرين على نكد لا غير من حاردت
السنة اذا لم يكن فيها مطر وحاردت الابل اذا منعت درها والمعنى انهم عزموا ان يتنكدوا
على المساكين فتنكد عليهم بحيث لا يقدرون الا على النكد او وغدوا حاصلين على النكد
والحرمان مكان كونهم قادرين على الانتفاع وقيل الحرد بمعنى الحرد وقد قرئ به اى لم يقدروا
الا على حنق بعضهم لبعض كقوله يتلاومون وقيل الحرد القصد والسرعة قال اقبل
سيل جاء من امر الله يحرد حرد الجنة المغلة اى غدوا قاصدين الى جنتهم بسرعة قادرين
عند انفسهم على صرامها وقيل علم للجنة فلما راوها اول ما راوها قالوا انا لضالون
طريق جنتنا وما هى بها بل نحن اى بعد ما تاملوا وعرفوا انها هى قالوا بل نحن محرومون
حرمنا خيرها لجنايتنا على انفسنا قال اوسطهم رايا او سنا الم اقل لكم لولا تسبحون
لولا تذكرونه وتتوبون اليه من خبث نيتكم وقد قاله حينما عزموا على ذلك ويدل على هذا

المعنى قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين لولا تستثنون فسمى الاستثناء تسبيحا لتشاركهما
في التعظيم او لانه تنزيه عن ان يجري في ملكه ما لا يريد فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون
يلوم بعضهم بعضا فان منهم من اشار بذلك ومنهم من استصوبه ومنهم من سكت راضيا
ومنهم من انكره قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين متجاوزين حدود الله عسى ربنا
ان يبدلنا خيرا منها ببركة التوبة والاعتراف بالخطيئة وقد روي انهم ابدلوا خيرا منها وقرئ
يبدلنا بالتخفيف انا الى ربنا راغبون راجعون العفو طالبون الخير والى لانتهاء الرغبة
او لتضمنها معنى الرجوع كذلك العذاب مثل ذلك الذي بلوناهم به اهل مكة واصحاب الجنة
العذاب في الدنيا ولعذاب الآخرة اكبر اعظم منه لو كانوا يعلمون لاحترزوا عما يؤديهم الى
العذاب ان للمتقين عند ربهم اي في الآخرة او في جوار القدس جنات النعيم جنات ليس فيها
الا التنعم الخالص افنجعل المسلمين كالمجرمين انكار لقول الكفرة فانهم كانوا يقولون ان صح
انا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم يفضلونا بل نكون احسن حالا منهم كما نحن عليه في الدنيا ما لكم
كيف تحكمون التفات فيه تعجب من حكمهم واستبعاد له واشعار بانه صادر من اختلال فكر
واعوجاج راي ام لكم كتاب من السماء فيه تدرسون تقرؤون ان لكم فيه لما تخيرون ان
لكم ما تختارونه وتشتهونه واصله ان لكم بالفتح لانه المدروس فلما جيء باللام كسرت
ويجوز ان يكون حكاية للمدروس او استينافا وتخير الشيء واختاره اخذ خيره ام لكم ايمان علينا
عهود مؤكدة بالايمان بالغة متناهية في التوكيد وقرئ بالنصب على الحال والعامل
فيها احد الظرفين الى يوم القيمة متعلق بالمقدر في لكم اي ثابتة لكم علينا الى يوم القيمة
لا نخرج عن عهدتها حتى نحكمكم في ذلك اليوم او ببالغة اي ايمان تبلغ ذلك اليوم ان لكم لما تحكمون
جواب القسم لان معنى ام لكم ايمان علينا الى يوم القيمة ام اقسمنا لكم سلهم ايهم بذلك زعيم
بذلك الحكم قائم يدعيه ويصححه ام لهم شركاء يشاركونهم في هذا القول فليأتوا بشركائهم
ان كانوا صادقين في دعواهم اذ لا اقل من التقليد وقد نبه سبحانه في هذه الآيات على نفي
جميع ما يمكن ان يتشبثوا به من عقل او نقل يدل عليه لاستحقاق او وعد او محض تقليد على
الترتيب تنبيها على مراتب النظر وتزييفا لما لا سند له وقيل المعنى ام لهم شركاء يجعلونهم مثل المؤمنين

في الآخرة كانه لما نفى ان يكون التسوية من الله نفى هنا ان يكون مما تشركون الله
به يوم يكشف عن ساق يوم يشتد الامر ويصعب الخطب وكشف الساق مثل في
ذلك واصله تشمير المخدرات عن سوقهن في الهرب قال حاتم

اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها   وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا

او يوم يكشف عن اصل الامر وحقيقته بحيث يصير عيانا مستعار من ساق الشجر وساق الانسان
وتنكيره للتهويل او للتعظيم وقرئ تكشف بالتاء على بناء الفاعل والمفعول والفعل للساعة
او الحال ويدعون الى السجود توبيخا على تركهم السجود ان كان اليوم يوم القيمة او يدعون
الى الصلوة لاوقاتها ان كان وقت النزع فلا يستطيعون لذهاب وقته او زوال القدرة عليه
خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة تلحقهم ذلة وقد كانوا يدعون الى السجود في الدنيا او زمان
الصحة وهم سالمون متمكنون منه مزاحوا العلل فيه فذرني ومن يكذب بهذا الحديث
كله الي فاني اكفيكه سنستدرجهم سندنيهم من العذاب درجة درجة بالامهال وادامة الصحة
وازدياد النعمة من حيث لا يعلمون انه استدراج وهو الانعام عليهم لانهم حسبوه تفضيلا
لهم على المؤمنين واملي لهم وامهلهم ان كيدي متين لا يدفع بشيء وانما سمى انعامه استدراجا
بالكيد لانه في صورته ام تسئلهم اجرا على الارشاد فهم من مغرم من غرامة مثقلون
بحملها فيعرضون عنك ام عندهم الغيب اللوح او المغيبات فهم يكتبون منه ما يحكمون
ويستغنون به عن علمك فاصبر لحكم ربك وهو امهالهم وتاخير نصرتك عليهم ولا تكن
كصاحب الحوت يونس اذ نادى في بطن الحوت وهو مكظوم مملوء غيظا
في الضجرة فتبتلى ببلائه لولا ان تداركه نعمة من ربه يعني التوفيق للتوبة وقبولها وحسن تذكير
الفعل للفصل وقرئ تداركته وتداركه اي تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا ان
كان يقال فيه تداركه لنبذ بالعراء بالارض الخالية عن الاشجار وهو مذموم مليم مطرود
عن الرحمة والكرامة وهو حال يعتمد عليها الجواب لانها المنفية دون النبذ فاجتباه ربه
بان رد الوحي اليه او استنباه ان صح انه كان نبيا قبل هذه الواقعة فجعله من الصالحين
من الكاملين في الصلاح بان عصمه من ان يفعل ما تركه اولى وفيه دليل على خلق الافعال والآية

نزلت حين هم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدعو على ثقيف وقيل باحد حين حل
به ما حل فاراد ان يدعو على المنهزمين وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم
ان هي المخففة واللام دليلها والمعنى انهم لشدة عداوتهم ينظرون اليك شزرا بحيث يكادون
يزلون قدمك فيرمونك من قولهم نظر الي نظرا يكاد يصرعني اي لو امكنه بنظره الصرع
لفعله او انهم يكادون يصيبونك بالعين اذ روي انه كان في بني اسد عيانون فاراد
بعضهم على ان يعين رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وفي الحديث ان العين
لتدخل الرجل القبر والجمل القدر ولعله يكون من خصائص بعض النفوس وقرا نافع
ليزلقونك من زلقته فزلق كحزنته فحزن وقرئ ليزهقونك اي ليهلكونك لما سمعوا الذكر اي القرآن
اي ينبعث عند سماعه بغضهم وحسدهم ويقولون انه لمجنون حيرة في امره وتنفيرا
عنه وما هو الا ذكر للعالمين لما جننوه لاجل القرآن بين انه ذكر عام لا يدركه
ولا يتعاطاه الا من كان اكمل الناس عقلا وامتنهم رايا عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرا سورة القلم اعطاه الله ثواب الذين حسن الله اخلاقهم

سورة الحاقة مكية وآيها اثنان وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الحاقة اي الساعة او الحالة التي يحق وقوعها او التي تحق
فيها الامور اي تعرف حقيقتها اذ تقع فيها حواق الامور من الحساب والجزاء على
الاسناد المجازي وهي مبتدا خبرها ما الحاقة واصله ما هي اي اي شيء هي على التعظيم
لشانها والتهويل لها فوضع الظاهر موضع المضمر لانه اهول لها وما ادراك
ما الحاقة واي شيء اعلمك ما هي اي انك لا تعلم كنهها فانها اعظم من ان تبلغها دراية احد
وما مبتدا وادراك خبره كذبت ثمود وعاد بالقارعة بالحالة التي تقرع الناس
بالافزاع والاجرام بالانفطار والانتثار وانما وضعت موضع ضمير الحاقة زيادة
في وصف شدتها فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية بالواقعة المجاوزة للحد في الشدة وهي

الصيحة او الرجفة لتكذيبهم بالقارعة او بسبب طغيانهم بالتكذيب وغيره على انها
مصدر كالعافية وهو لا يطابق قوله واما عاد فاهلكوا بريح صرصر اي شديدة الصوت
او البرد من الصر او الصر عاتية شديدة العصف كانها عتت على خزانها فلم يستطيعوا
ضبطها او على عاد فلم يقدروا ردها سخرها عليهم سلطها عليهم بقدرته وهو استيناف
او صفة جيء به لنفي ما يتوهم من انها كانت من اتصالات فلكية اذ لو كانت لكان هو
المقدر لها والمسبب سبع ليال وثمانية ايام حسوما متتابعات جمع حاسم
من حسمت الدابة اذا تابعت بين كيها او نحسات حسمت كل خير واستاصلته او قاطعات
قطعت دابرهم ويجوز ان يكون مصدرا منتصبا على العلة بمعنى قطعا او المصدر
لفعله المقدر حالا اي تحسمهم حسوما ويؤيده القراءة بالفتح وهي كانت ايام العجوز
من صبيحة اربعاء الى غروب الاربعاء الآخر وانما سميت عجوزا لانها عجز الشتاء او لان عجوزا
من عاد توارت في سرب فانتزعها الريح في الثامن فاهلكتها فترى القوم ان كنت حاضرهم
فيها في مهابها او في الليالي والايام صرعى موتى جمع صريع كانهم اعجاز نخل اصول
نخل خاوية متآكلة الاجواف فهل ترى لهم من باقية من بقية او نفس باقية او بقاء
وجاء فرعون ومن قبله ومن تقدمه وقرا البصريان والكسائي ومن قبله اي ومن عنده من اتباعه
ويدل عليه انه قرئ ومن معه وقراءة ابي موسى ومن تلقاءه والمؤتفكات قرى قوم لوط
والمراد اهلها بالخاطئة بالخطاء او بالفعلة او بالافعال ذات الخطاء فعصوا رسول
ربهم فعصى كل امة رسولها فاخذهم اخذة رابية زائدة في الشدة زيادة اعمالهم في القبح انا لما
طغى الماء جاوز حده المعتاد او طغى على خزانه وذلك في الطوفان وهو يؤيد من قبله
حملناكم اي آباءكم وانتم في اصلابهم في الجارية في سفينة نوح لنجعلها لكم لنجعل الفعلة
وهي انجاء المؤمنين واغراق الكافرين تذكرة عبرة ودلالة على قدرة الصانع وحكمته
وكمال قهره ورحمته وتعيها وتحفظها وعن ابن كثير تعيها بسكون العين تشبيها بالكتف
والوعي ان تحفظ الشيء في نفسك والايعاء ان تحفظه في غيرك اذن واعية من
شانها ان تحفظ ما يجب حفظه بتذكره واشاعته والتفكر فيه والعمل بموجبه والتنكير للدلالة

على قلتها وان من هذا شانه مع قلته تسبب لانجاء الجم الغفير وادامة نسلهم وقرئ
نافع اذن بالتخفيف فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة لما بالغ في تهويل القيمة
وذكر مآل المكذبين بها تفخيما لشانها وتنبيها على امكانها عاد الى شرحها وانما حسن
اسناد الفعل الى المصدر لتقيده وحسن تذكيره للفصل وقرئ نفخة بالنصب على
اسناد الفعل الى الجار والمجرور والمراد بها النفخة الاولى التي عندها خراب العالم
وحملت الارض والجبال رفعت من اماكنها بمجرد القدرة الكاملة او بتوسط زلزلة او
ريح عاصفة فدكتا دكة واحدة فضربت الجملتان بعضها ببعض ضربة واحدة فيصير الكل
هباء او فبسطتا بسطة واحدة فصارتا ارضا لا عوج فيها ولا امتا لان الدك
سبب للتسوية ولذلك قيل ناقة دكاء للتي لا سنام لها وارض دكاء للمتسعة المستوية فيومئذ
وقعت الواقعة قامت القيمة وانشقت السماء لنزول الملائكة فهي يومئذ واهية
ضعيفة مسترخية والملك والجنس المتعارف بالملك على ارجائها جوانبها جمع رجى
بالقصر ولعله تمثيل لخراب السماء بخراب البنيان وانضواء اهلها الى اطرافها وحواليها
وان كان على ظاهره فلعل هلاك الملائكة اثر ذلك ويحمل عرش ربك فوقهم فوق
الملائكة الذين هم على الارجاء او فوق الثمانية لانها في نية التقديم يومئذ ثمانية
ثمانية املاك لما روي مرفوعا انهم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيمة ايدهم الله تعالى
باربعة اخرى وقيل ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عدتهم الا الله ولعله ايضا تمثيل
لعظمته بما يشاهد من احوال السلاطين يوم خروجهم على الناس للقضاء العام وعلى هذا قال
يومئذ تعرضون تشبيها للمحاسبة بعرض السلطان العسكر ليعرف احوالهم وهذا وان كان
بعد النفخة الثانية لكن لما كان اليوم اسم الزمان متسع يقع فيه النفختان والصعقة والنشور
والحساب وادخال اهل الجنة الجنة واهل النار النار صح جعله ظرفا للكل لا يخفى منكم خافية
سريرة على الله حتى يكون العرض للاطلاع عليها وانما المراد منه افشاء الحال والمبالغة
في العدل او على الناس كما قال يوم تبلى السرائر وقرأ حمزة والكسائي بالياء للفصل
فاما من اوتي كتابه بيمينه تفصيل للعرض فيقول تبجحا هاؤم اقرؤا كتابيه اسم لخذ

وفيه لغات اجودها هاء يا رجل وهاء يا امراة وهاؤما يا رجلان او امراتان
وهاؤم يا رجال وهاؤن يا نسوة ومفعوله محذوف وكتابيه مفعول اقرؤا لانه
عند البصريين لانه اقرب العاملين ولانه لو كان مفعول هاؤم لقيل اقرؤه اذ الاولى اضماره
حيث امكن والهاء فيه وفي حسابيه وماليه وسلطانيه للسكت تثبت في الوقف وتسقط
في الوصل واستحب الوقف لثباتها في الامام ولذلك قرئ باثباتها في الوصل اني ظننت
اني ملاق حسابيه اي علمت ولعله عبر عنه بالظن اشعارا بانه لا يقدح في الاعتقاد
ما يهجس في النفس من الخطرات التي لا تنفك عنها العلوم النظرية غالبا فهو في عيشة
راضية ذات رضى على النسبة بالصيغة او جعل الفعل لها مجازا وذلك لكونها
صافية عن الشوائب دائمة مقرونة بالتعظيم في جنة عالية مرتفعة المكان لانها في
السماء او الدرجات او الابنية والاشجار قطوفها جمع قطف وهو ما يجتنى بسرعة
والقطف بالفتح مصدر دانية يتناولها القاعد كلوا واشربوا باضمار القول
وجمع الضمير للمعنى هنيئا اكلا وشربا هنيئا او هنئتم هنيئا بما اسلفتم بما قدمتم
من الاعمال الصالحة في الايام الخالية الماضية في ايام الدنيا واما من اوتي كتابه
بشماله فيقول لما يرى من قبح العمل وسوء العاقبة يا ليتني لم اوت كتابيه
ولم ادر ما حسابيه يا ليتها يا ليت الموتة التي متها كانت القاضية القاطعة لامري
فلم ابعث بعدها او يا ليت هذه الحالة كانت الموتة الاولى التي قضيت علي كانه
صادفها امر من الموت فتمناه عندها او يا ليت حيوة الدنيا كانت الموتة ولم اخلق
حيا ما اغنى عني ماليه مالي من المال والتبع وما نفي والمفعول محذوف او استفهام
انكار مفعول لاغنى هلك عني سلطانيه ملكي وتسلطي على الناس او حجتي التي
كنت احتج بها في الدنيا خذوه يقوله الله لخزنة النار فغلوه ثم الجحيم صلوه
لا تصلوه الا الجحيم وهي النار العظمى لانه كان يتعظم على الناس ثم في سلسلة ذرعها
سبعون ذراعا اي طويلة فاسلكوه فادخلوه فيها بان تلفوها على جسده وهو
فيما بينها مرهق لا يقدر على حركة وتقديم السلسلة كتقديم الجحيم للدلالة على التخصيص والاهتمام

بذكر انواع ما يعذب به وبين التفاوت بينهما من الشدة انه كان لا يؤمن بالله العظيم تعليل على طريقة الاستئناف للمبالغة وذكر العظيم للاشعار بانه هو المستحق للعظمة فمن تعظم فيها استوجب ذلك ولا يحض على طعام المسكين ولا يحث على بذل طعامه او على اطعامه فضلا ان يبذل من ماله ويجوز ان يكون ذكر الحض للاشعار بان تارك الحض بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل وفيه دليل على تكليف الكفار بالفروع ولعل تخصيص الامرين بالذكر لان اقبح العقائد الكفر بالله واشنع الرذائل البخل وقسوة القلب فليس له اليوم ههنا حميم قريب يحميه ولا طعام الا من غسلين غسالة اهل النار وصديدهم فعلين من الغسل لا ياكله الا الخاطئون اصحاب الخطايا من خطئ الرجل اذا تعمد الذنب لا من الخطاء المضاد للصواب وقرئ الخاطيون بقلب الهمزة ياء والخاطون بطرحها فلا اقسم لظهور الامر واستغنائه عن التحقيق او فاقسم ولا مزيدة او فلا رد لانكارهم البعث واقسم مستانف بما تبصرون وما لا تبصرون بالمشاهدات والمغيبات وذلك يتناول الخالق والمخلوقات باسرها انه ان القرآن لقول رسول يبلغه عن الله فان الرسول لا يقول عن نفسه كريم على الله تعالى وهو محمد عليه الصلاة والسلام او جبريل وما هو بقول شاعر كما تزعمون تارة قليلا ما تؤمنون تصدقون لما ظهر لكم صدقه تصديقا قليلا لفرط عنادكم ولا بقول كاهن كما تدعون اخرى قليلا ما تذكرون تذكرا قليلا فلذلك يلتبس الامر عليكم وذكر الايمان مع نفي الشاعرية والتذكر مع نفي الكاهنية لان عدم مشابهة القرآن للشعر امر بين لا ينكره الا معاند بخلاف مباينته للكهانة فانها تتوقف على تذكر احوال الرسول صلى الله عليه وسلم ومعاني القرآن المنافية لطريق الكهنة ومعاني اقوالهم وقرا ابن كثير ويعقوب بالياء فيهما تنزيل هو تنزيل من رب العالمين نزله على لسان جبريل عليه السلام ولو تقول علينا بعض الاقاويل سمى الافتراء تقولا لانه قول متكلف والاقوال المفتراة اقاويل تحقيرا لها كانها جمع افعولة من القول كالاضاحيك لاخذنا منه باليمين بيمينه ثم لقطعنا منه الوتين اي نياط قلبه بضرب عنقه وهو تصوير لاهلاكه بافظع ما يفعله الملوك بمن يغضبون عليه وهو ان ياخذ القتال بيمينه ويكفحه

بالسيف

بالسيف ويضرب جيده وقيل اليمين بمعنى القوة فما منكم من احد عنه عن القتل او المقتول حاجزين دافعين وصف لاحد فانه عام والخطاب للناس وانه وان القرآن لتذكرة للمتقين لانهم المنتفعون به وانا لنعلم ان منكم مكذبين فنجازيهم على تكذيبهم وانه لحسرة على الكافرين اذا راوا ثواب المؤمنين به وانه لحق اليقين لليقين الذي لا ريب فيه فسبح باسم ربك العظيم فسبح الله بذكر اسمه العظيم تنزيها له عن الرضاء بالتقول عليه وشكرا على ما اوحى اليك عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا

سورة المعارج مكية وايها اربع وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم سال سائل بعذاب واقع اي دعا داع به بمعنى استدعاه ولذلك عدي الفعل بالباء والسائل نضر بن الحارث فانه قال ان كان هذا هو الحق من عندك او ابو جهل فانه قال فاسقط علينا كسفا من السماء ساله استهزاء او الرسول صلى الله عليه وسلم استعجل بعذابهم وقرا نافع وابن عامر سال وهو اما من السؤال على لغة قريش قال سالت هذيل رسول الله فاحشة ضلت هذيل بما سالت ولم تصب او من السيلان ويؤيده انه قرئ سال سيل على ان السيل مصدر بمعنى السائل كالغور والمعنى سال واد بعذاب ومضي الفعل لتحقق وقوعه اما في الدنيا وهو قتل بدر او في الآخرة وهو عذاب النار للكافرين صفة اخرى لعذاب او صلة لواقع وان صح ان السؤال كان عمن يقع به العذاب كان جوابا والباء على هذا لتضمن سال معنى اهتم ليس له دافع يرده من الله من جهته لتعلق ارادته به ذي المعارج ذي المصاعد وهي السموات التي يصعد فيها الكلم الطيب والعمل الصالح يرتقي فيها المؤمنون في سلوكهم او في دار ثوابهم او مراتب الملائكة او السموات فان الملائكة يعرجون فيها تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة استئناف لبيان ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها على التمثيل والتخييل والمعنى انها بحيث لو قدر قطعها في زمان لكان في زمان يقدر بخمسين الف سنة من سني الدنيا وقيل معناه تعرج الملائكة والروح الى عرشه

في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة من حسبانهم يقطعون فيه ما يقطعه الإنسان
فيها لو فرض لا أن ما بين أسفل العالم وأعلى شرفات العرش مسيرة خمسين ألف سنة لأن
ما بين مركز الأرض ومقعر سماء الدنيا على ما قيل مسيرة خمسمائة عام وثخن كل واحد
من السموات السبع والكرسي والعرش كذلك وحيث قال في يوم كان مقداره ألف سنة
يريد به زمان عروجهم من الأرض إلى محدب سماء الدنيا وقيل في يوم متعلق بواقع
أو سأل إذا جعل من السيلان والمراد به يوم القيمة واستطالته إما لشدته على الكفار أو
لكثرة ما فيه من الحالات والمحاسبات أو لأنه على الحقيقة كذلك والروح جبريل أفرده
لفضله أو خلق أعظم من الملائكة فاصبر صبرا جميلا لا يشوبه استعجال واضطراب
قلب وهو متعلق بسأل لأن السؤال كان عن استهزاء وتعنت وذلك مما يضجره أو عن تضجر
واستبطاء للنصر أو بسأل سائل لأن المعنى قرب وقوع العذاب فقد شارفت الانتقام
إنهم يرونه الضمير للعذاب أو ليوم القيمة بعيدا من الإمكان ونراه قريبا منه أو من
الوقوع يوم تكون السماء كالمهل ظرف لقريبا أي يمكن يوم تكون أو لمضمر دل عليه
واقع أو بدل عن في يوم إن علق به والمهل المذاب كالفلزات أو دردي الزيت
وتكون الجبال كالعهن كالصوف المصبوغ ألوانا لأن الجبال مختلفة الألوان فإذا بست
وطيرت في الجو أشبهت العهن المنفوش إذا طيرته الريح ولا يسأل حميم حميما ولا يسأل
قريب قريبا عن حاله وعن ابن كثير ولا يسأل على بناء المفعول أي لا يطلب من حميم حميم
أو لا يسأل منه حاله يبصرونهم استئناف أو حال يدل على أن المانع عن السؤال هو التشاغل
دون الخفاء أو ما يغني عنه من مشاهدة الحال كبياض الوجه وسواده وجمع الضمير لعموم
الحميم يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته وأخيه حال من أحد الضميرين
أو استئناف يدل على أن اشتغال كل مجرم بنفسه بحيث يتمنى أن يفتدي بأقرب الناس
وأعلقهم بقلبه فضلا أن يهتم بحاله ويسأل عنها وقرئ بتنوين عذاب ونصب يومئذ
به لأنه بمعنى تعذيب وفصيلته وعشيرته التي فصل عنهم التي تؤويه تضمه
في النسب أو عند الشدائد ومن في الأرض جميعا من الثقلين والخلائق ثم ينجيه عطف

على

على يفتدي أي ثم لو ينجيه الافتداء وثم للاستبعاد كلا ردع للمجرم عن الودادة
ودلالة على أن الافتداء لا ينجيه إنها الضمير للنار أو مبهم يفسره لظى وهو خبر أو بدل
أو للقصة ولظى مبتدأ خبره نزاعة للشوى وهو اللهب الخالص وقيل علم للنار منقول
عن اللظى بمعنى اللهب وقرئ نزاعة بالنصب على الاختصاص أو الحال المؤكدة أو المنتقلة على أن
لظى بمعنى متلظية والشوى الأطراف وجمع شواة وهي جلدة الرأس تدعو تجذب
وتحضر كقول ذي الرمة تدعو أنفه الريب مجاز عن جذبها وإحضارها لمن فر عنها وقيل
تدعو زبانيتها وقيل تدعو تهلك من قولهم دعاه الله إذا أهلكه من أدبر عن الحق
وتولى عن الطاعة وجمع فأوعى وجمع المال فجعله في وعاء وكنزه حرصا وتأميلا
إن الإنسان خلق هلوعا شديد الحرص قليل الصبر إذا مسه الشر جزوعا
يكثر الجزع وإذا مسه الخير منوعا يبالغ في الإمساك والأوصاف الثلاثة
أحوال مقدرة أو محققة لأنها طبائع جبل الإنسان عليها وإذا الأولى ظرف لجزوعا
والأخرى لمنوعا إلا المصلين استثناء للموصوفين بالصفات المذكورة بعد من المطبوعين
على الأحوال المذكورة قبل للمضادة تلك الصفات لها من حيث إنها دالة على
الاستغراق في طاعة الحق والإشفاق على الخلق والإيمان بالجزاء والخوف من
العقوبة وكسر الشهوة وإيثار العاجل على الآجل وتلك ناشئة من الانهماك في حب العاجل
وقصور النظر عليها الذين هم على صلاتهم دائمون لا يشغلهم عنها شاغل والذين
في أموالهم حق معلوم كالزكوات والصدقات الموظفة للسائل والمحروم
الذي لا يسأل فيحسب غنيا فيحرم والذين يصدقون بيوم الدين تصديقا
بأعمالهم وهو أن يتعب نفسه ويصرف ماله طمعا في المثوبة الأخروية ولذلك ذكر
الدين والذين هم من عذاب ربهم مشفقون خائفون على أنفسهم إن عذاب ربهم
غير مأمون اعتراض يدل على أنه لا ينبغي لأحد أن يأمن من عذاب الله وإن بالغ في
طاعته والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم
غير ملومين سبق تفسيره في سورة المؤمنين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم

العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون
حافظون وقرأ ابن كثير لامانتهم يعني ولا يكتمون ولا يخفون ما علموه من حقوق
الله وحقوق العباد وقرأ يعقوب وحفص بشهاداتهم لاختلاف الانواع والذين
هم على صلاتهم يحافظون فيراعون شرائطها ويكملون فرائضها وسننها وتكرير
ذكر الصلوة ووصفهم بها اولا وآخرا باعتبارين للدلالة على فضلها وانافتها على غيرها
وفي نظم هذه الصلات مبالغات لا تخفى اولئك في جنات مكرمون بثواب الله
فمال الذين كفروا قبلك حولك مهطعين مسرعين عن اليمين وعن الشمال عزين فرقا
شتى جمع عزة واصلها عزوة من العزو وكان كل فرقة تعتزي الى غير من تعتزي
اليه الاخرى كان المشركون يحلقون حول رسول الله صلى الله عليه وسلم حلقا
حلقا ويستهزئون بكلامه ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم بلا ايمان وهو
انكار لقولهم لو صح ما يقوله لنكونن فيها افضل حظا منهم كما في الدنيا كلا ردع
لهم عن هذا الطمع انا خلقناهم مما يعلمون تعليل له والمعنى انكم مخلوقون من نطفة قذرة لا
تناسب عالم القدس فمن لم يستكمل بالايمان والطاعة ولم يتخلق بالاخلاق الملكية
لم يستعد دخولها او انكم مخلوقون من اجل ما تعلمون وهو تكميل النفس بالعلم والعمل فمن
لم يستكملها لم يتبوأ في منازل الكاملين او استدلال بالنشأة الاولى على امكان النشأة
الثانية التي بنوا الطمع على فرضها فرضا مستحيلا عندهم بعد ردعهم عنه فلا اقسم
برب المشارق والمغارب انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم اي نهلكهم ونأتي
بخلق امثل منهم او نعطي محمدا صلى الله عليه وسلم بدلكم من هو خير منكم وهم الانصار
وما نحن بمسبوقين بمغلوبين ان اردنا فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم
الذي يوعدون مر في آخر الطور يوم يخرجون من الاجداث سراعا مسرعين جمع سريع
كانهم الى نصب منصوب للعبادة او علم يوفضون يسرعون وقرأ ابن عامر
وحفص نصب بالضم على انه تخفيف نصب او جمع خاشعة ابصارهم
ترهقهم ذلة مر تفسيره ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون في الدنيا عن النبي صلى الله

عليه

عليه وسلم من قرأ سورة سأل سائل اعطاه الله ثواب الذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون

سورة نوح مكية وآيها سبع او ثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر بان انذر اي بالانذار
او بان قلنا له انذر ويجوز ان تكون مفسرة لتضمن الارسال معنى القول وقرئ بغيرها
على ارادة القول قومك من قبل ان يأتيهم عذاب اليم عذاب الآخرة او الطوفان
قال يا قوم اني لكم نذير مبين ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون مر في الشعراء
نظيره وفي ان يحتمل الوجهان يغفر لكم من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما سبق فان الاسلام
يجبه ولا يؤاخذكم به في الآخرة ويؤخركم الى اجل مسمى هو اقصى ما قدر لكم بشرط الايمان
والطاعة ان اجل الله ان الاجل الذي قدره اذا جاء على الوجه المقدر به اجلا
وقيل اذا جاء الاجل الطويل لا يؤخر فبادروا في اوقات الامهال والتأخير لو كنتم تعلمون
لو كنتم من اهل العلم والنظر لعلمتم ذلك وفيه انهم لانهماكهم في حب الحيوة كانهم شاكون
فيه قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي الا فرارا عن الايمان و
الطاعة واسناد الزيادة الى الدعاء على السببية كقوله فزادتهم ايمانا واني كلما دعوتهم
الى الايمان لتغفر لهم بسببه جعلوا اصابعهم في آذانهم سدوا مسامعهم عن استماع
الدعوة واستغشوا ثيابهم تغطوا بها لئلا يروني كراهة النظر الي من فرط كراهة دعوتي
او لئلا اعرفهم فادعوهم والتعبير بصيغة الطلب للمبالغة واصروا اكبوا على الكفر
والمعاصي مستعار من اصر الحمار على العانة اذا صر اذنيه واقبل عليها واستكبروا
عن اتباعي استكبارا عظيما ثم اني دعوتهم جهارا ثم اني اعلنت لهم واسررت لهم
اسرارا اي دعوتهم مرة بعد اخرى وكرة بعد اولى على اي وجه امكنني وثم لتفاوت
الوجوه فان الجهار اغلظ من الاسرار والجمع بينهما اغلظ من الافراد او لتراخي بعضها
عن بعض وجهارا نصب على المصدر لانه احد نوعي الدعاء او صفة مصدر محذوف

اعنى دعاء جهارا او بمعنى مجاهرا به او الحال فيكون بمعنى مجاهرا فقلت استغفروا
ربكم بالتوبة عن الكفر انه كان غفارا للتائبين وكانهم لما امرهم بالعبادة قالوا ان كنا
على حق فلا نتركه وان كنا على باطل فكيف يقبلنا ويلطف بنا من عصيناه فامرهم بما يجب معاصيهم
ويجلب اليهم المنح ولذلك وعدهم عليه ما هو اوقع في قلوبهم وقيل لما طالت دعوتهم و
تمادى اصرارهم حبس الله عنهم القطر اربعين سنة واعقم ارحام نسائهم فوعدهم بذلك
على الاستغفار عما كانوا عليه بقوله يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين
ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا ولذلك شرع الاستغفار في الاستسقاء والسماء تحتمل
المظلة والسحاب والمطر والمدرار كثير الدرور ويستوي في هذا البناء المذكر والمؤنث والمراد
بالجنات البساتين ما لكم لا ترجون لله وقارا لا تاملون له توقيرا اي تعظيما لمن عبده
واطاعه فتكونوا على حال تاملون فيها تعظيمه اياكم ولله بيان للموقر ولو تاخر لكان صفة
للوقار او لا تعتقدون له عظمة فتخافوا عصيانه وانما عبر عن الاعتقاد بالرجاء التابع لادنى
الظن مبالغة وقد خلقكم اطوارا حال مقررة للانكار من حيث انها موجبة للرجاء فانه خلقهم
اطوارا اي تارات اذ خلقهم اولا عناصر ثم مركبات تغذي الانسان ثم اخلاطا ثم نطفا
ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ولحوما ثم انشاهم خلقا آخر فانه يدل على انه يمكن ان يعيدهم
تارة اخرى فيعظمهم بالثواب وعلى انه تعالى عظيم القدرة تام الحكمة ثم اتبع ذلك ما يؤيده من
آيات الآفاق فقال الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا
اي في السموات وهو في السماء الدنيا وانما نسب اليهن لما بينهن من الملابسة وجعل الشمس
سراجا مثلها به لانها تزيل ظلمة الليل عن وجه الارض كما يزيلها السراج عما حوله
والله انبتكم من الارض نباتا انشاكم منها فاستعير الانبات للانشاء لانه ادل على
الحدوث والتكون من الارض واصله انبتكم انباتا فنبتم نباتا فاختصر اكتفاء
بالدلالة الالتزامية ثم يعيدكم فيها مقبورين ويخرجكم اخراجا بالحشر واكده
بالمصدر كما اكد به الاول دلالة على ان الاعادة محققة كالبدء وانها تكون لا محالة والله
جعل لكم الارض بساطا تتقلبون عليها لتسلكوا منها سبلا فجاجا واسعة جمع فج ومن لتضمن

الفعل معنى الاتخاذ قال نوح رب انهم عصوني فيما امرتهم به واتبعوا من لم يزده
ماله وولده الا خسارا واتبعوا رؤساءهم البطرين باموالهم المغترين باولادهم
بحيث صار ذلك سببا لزيادة خسارهم في الآخرة وفيه انهم انما اتبعوهم لوجاهة
حصلت لهم باموال واولاد ادت بهم الى الخسار وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي
والبصريان وولده بالضم والسكون على انه لغة كالحزن او جمع كالاسد ومكروا
عطف على لم يزده والضمير لمن وجمعه للمعنى مكرا كبارا وهو كبير في الغاية
فانه ابلغ من كبار وهو من كبر وذلك احتيالهم في الدين وتحريش الناس على اذى
نوح عليه السلام وقالوا لا تذرن آلهتكم اي عبادتها ولا تذرن ودا ولا سواعا
ولا يغوث ويعوق ونسرا ولا تذرن هؤلاء خصوصا قيل هي اسماء رجال
صالحين كانوا بين آدم ونوح عليهما السلام فلما ماتوا صوروا تبركا بهم فلما طال الزمان
عبدوا وقد انتقلت الى العرب فكان ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج
ويعوق لمراد ونسر لحمير وقرأ نافع ودا بالضم وقرئ يغوثا ويعوقا للتناسب
ومنع صرفهما للعلمية والعجمة وقد اضلوا كثيرا الضمير للرؤساء او للاصنام كقوله تعالى
انهن اضللن كثيرا ولا تزد الظالمين الا ضلالا عطف على رب انهم عصوني
ولعل المطلوب هو الضلال في ترويج مكرهم ومصالح دنياهم لا في امر دينهم او الضياع
والهلاك كقوله ان المجرمين في ضلال وسعر مما خطيئاتهم من اجل خطيئاتهم وما مزيدة
للتاكيد والتفخيم وقرأ ابو عمرو مما خطاياهم اغرقوا بالطوفان فادخلوا نارا المراد
بها عذاب القبر او عذاب الآخرة والتعقيب لعدم الاعتداد بما بين الاغراق والادخال او لان المسبب
كالمعقب للسبب وان تراخى عنه لفقد شرط او وجود مانع وتنكير النار للتعظيم او لان المراد
نوع من النيران فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا تعريض لهم باتخاذ آلهة من دون الله
لا تقدر على نصرهم وقال نوح رب لا تذر على الارض ديارا اي احدا وهو
مما يستعمل في النفي العام فيعال من الدار او الدور واصله ديوار ففعل به ما فعل
باصل سيد لا فعال والا لكان دوارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا

إلا فاجراً كفاراً قال ذلك لما جربهم واستقرى أحوالهم ألف سنة إلا خمسين عاماً
فعرف شيمهم وطباعهم رب اغفر لي ولوالدي لمك بن متوشلخ وشمخاء بنت أنوش
وكانا مؤمنين ولمن دخل بيتي منزلي أو مسجدي أو سفينتي مؤمناً وللمؤمنين
والمؤمنات إلى يوم القيمة ولا تزد الظالمين إلا تباراً هلاكاً عن النبي صلى الله عليه
وسلم من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح ع م

سورة الجن مكية وآيها ثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم قل أوحي إلي وقرئ أحي وأصله وحي من وحى إليه فقلبت
الواو همزة لضمها ووحى على الأصل وفاعله أنه استمع نفر من الجن والنفر
ما بين الثلاثة والعشرة والجن أجسام عاقلة خفية تغلب عليهم النارية أو الهوائية
وقيل نوع من الأرواح المجردة وقيل نفوس بشرية مفارقة عن أبدانها وفيه دلالة
على أنه صلى الله عليه وسلم ما رآهم ولم يقرأ عليهم وإنما اتفق حضورهم في بعض
أوقات قراءته فسمعوها فأخبر الله به رسوله صلى الله عليه وسلم فقالوا إنا سمعنا
قرآناً كتاباً عجباً بديعاً مبايناً لكلام الناس في حسن نظمه ودقة معناه وهو مصدر
وصف به للمبالغة يهدي إلى الرشد إلى الحق والصواب فآمنا به بالقرآن ولن نشرك
بربنا أحداً على ما نطق به الدلائل القاطعة على التوحيد وأنه تعالى جد ربنا قرأه
ابن كثير والبصريان بالكسر على أنه من جملة المحكي بعد القول وكذا ما بعده إلا قوله
وأن لو استقاموا وأن المساجد وأنه لما قام عبد الله فإنه من جملة الموحى به ووافقهم
نافع وأبو بكر إلا في قوله وإنه لما قام على أنه استئناف أو مقول وفتح الباقون الكل
إلا ما صدر بالفاء على أن ما كان من قولهم فمعطوف على محل الجار والمجرور في به كأنه
قيل صدقناه وصدقنا أنه تعالى جد ربنا أي عظمته من جد فلان في عيني إذا عظم ملكه
أو سلطانه أو غناه مستعار من الجد الذي هو البخت والمعنى وصفه بالاستغناء
عن الصاحبة والولد لعظمته أو لسلطانه أو لغناه وقوله ما اتخذ صاحبة ولا ولداً

بيان لذلك وقرئ جداً بالتمييز وجِدّ بالكسر أي صدق ربوبيته كأنهم سمعوا
من القرآن ما نبههم على خطأ ما اعتقدوه من الشرك واتخاذ الصاحبة والولد
وأنه كان يقول سفيهنا إبليس أو مردة الجن على الله شططاً قولاً ذا شطط وهو
البعد ومجاوزة الحد أو هو شطط لفرط ما أشط فيه وهو نسبة الصاحبة والولد
وأنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذباً اعتذار عن اتباعهم السفيه في
ذلك بظنهم أن أحداً لا يكذب على الله وكذباً نصب على المصدر لأنه نوع من القول
أو الوصف لمحذوف أي قولاً مكذوباً فيه ومن قرأ أن لن تقول كيعقوب جعله
مصدراً لأن التقول لا يكون إلا كذباً وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال
من الجن فإن الرجل إذا أمسى بقفر قال أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه
فزادوهم فزادوا الجن باستعاذتهم بهم رهقاً كبراً وعتواً أو فزاد الجن الإنس
غياً بأن أضلوهم حتى استعاذوا بهم والرهق في الأصل غشيان الشيء وأنهم وأن
الإنس ظنوا كما ظننتم أيها الجن أو بالعكس والآيتان من كلام الجن بعضهم لبعض
أو استئناف كلام من الله ومن فتح أن فيهما جعلهما من الموحى به أن لن يبعث
الله أحداً ساد مسد مفعولي ظنوا وأنا لمسنا السماء طلبنا بلوغ السماء أو خبرها
واللمس مستعار من المس للطلب كالجس يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه وأطلبه
وتطلبه فوجدناها ملئت حرساً حراساً اسم جمع كالخدم شديداً قوياً وهم الملائكة
الذين يمنعونهم عنها وشهباً جمع شهاب وهو المضيء المتولد من النار وأنا كنا نقعد
منها مقاعد للسمع مقاعد خالية عن الحرس والشهب أو صالحة للترصد والاستماع
وللسمع صلة لنقعد أو صفة لمقاعد فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً أي شهاباً
راصداً له ولأجله يمنعه عن الاستماع بالرجم أو ذوي شهاب راصدين على أنه اسم
جمع للراصد وقد مر بيان ذلك في الصافات وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض
بحراسة السماء أم أراد بهم ربهم رشداً خيراً وأنا منا الصالحون المؤمنون
الأبرار ومنا دون ذلك أي قوم دون ذلك فحذف الموصوف وهم المقتصدون

كنا طرائق قددا ذوي طرائق اي مذاهب او مثل طرائق في اختلاف الاحوال او كانت
طرائقنا طرائق قددا متفرقة مختلفة جمع قدة من قد اذا قطع وانا ظننا
علمنا ان لن نعجز الله في الارض كائنين في الارض اينما كنا فيها ولن نعجزه هربا هاربين
منها الى السماء او لن نعجزه في الارض ان اراد بنا امرا ولن نعجزه هربا ان طلبنا
وانا لما سمعنا الهدى اي القرآن آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف فهو لا يخاف
وقرئ فلا يخف والاول ادل على تحقيق نجاة المؤمن واختصاصها به بخسا ولا رهقا
نقصا في الجزاء ولا ان يرهقه ذلة او جزاء نقص لانه لم يبخس حقا ولم يرهق ظلما
لان من حق الايمان بالقرآن ان يجتنب ذلك وانا منا المسلمون ومنا القاسطون
الجائرون عن طريق الحق وهو الايمان والطاعة فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا
توخوا رشدا عظيما يبلغهم الى دار الثواب واما القاسطون فكانوا لجهنم
حطبا توقد بهم كما توقد بكفار الانس وان لو استقاموا ان الشان لو
استقاموا الجن او الانس او كلاهما على الطريقة المثلى لاسقيناهم ماء غدقا
لوسعنا عليهم الرزق وتخصيص الماء الغدق وهو الكثير بالذكر لانه اصل المعاش
والسعة ولعزة وجوده بين العرب لنفتنهم فيه لنختبرهم كيف يشكرونه وقيل
معناه ان لو استقام الجن على طريقتهم القديمة ولم يسلموا باستماع القرآن
لوسعنا عليهم الرزق مستدرجين لهم لنوقعهم في الفتنة ونعذبهم في كفرانه ومن يعرض
عن ذكر ربه عن عبادته او موعظته او وحيه يسلكه يدخله عذابا صعدا شاقا
يعلو المعذب ويغلبه مصدر وصف به وان المساجد لله مختصة به فلا تدعوا
مع الله احدا فلا تعبدوا فيها غيره ومن جعل ان مقدرة باللام علة للنهي الغى
فائدة الفاء وقيل المراد بالمساجد الارض كلها لانها جعلت للنبي صلى الله عليه
وسلم مسجدا وقيل المسجد الحرام لانه قبلة المساجد ومواضع السجود على ان المراد
النهي عن السجود لغير الله وارابه السبعة والسجدات على انه جمع مسجد وانه
لما قام عبد الله اي النبي صلى الله عليه وسلم وانما ذكر لفظ العبد للتواضع فانه

فانه واقع موقع كلامه عن نفسه والاشعار بما هو المقتضي لقيامه يدعوه يعبده
كادوا كاد الجن يكونون عليه لبدا متراكمين من ازدحامهم عليه تعجبا مما راوا من عبادته
وسمعوا من قراءته او كاد الانس والجن يكونون عليه مجتمعين لابطال امره وهو جمع لبدة
وهي ما تلبد بعضه على بعض كلبدة الاسد وعن ابن عامر لبدا بضم اللام جمع لبدة
وهي لغة وقرئ لبدا كسجدا جمع لابد ولبدا بضمتين جمع لبود قل انما ادعو ربي
ولا اشرك به احدا فليس ذلك ببدع ولا منكر يوجب تعجبكم او اطباقكم على مقتي وقرا عاصم
وحمزة قل على الامر للنبي صلى الله عليه وسلم ليوافق ما بعده قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا
ولا نفعا او غيا ولا رشدا عبر عن احدهما باسمه وعن الآخر باسم سببه او مسببه اشعارا
بالمعنيين قل اني لن يجيرني من الله احد ان اراد بي سوءا ولن اجد من دونه
ملتحدا منحرفا او ملتجأ الا بلاغا من الله استثناء من قوله لا املك فان التبليغ
ارشاد وانفاع وما بينهما اعتراض مؤكد لنفي الاستطاعة او من ملتحدا او معناه
ان لا ابلغ بلاغا وما قبله دليل الجواب ورسالاته عطف على بلاغا ومن الله صفته
فان صلته عن كقوله بلغوا عني ولو آية ومن يعص الله ورسوله في الامر بالتوحيد اذ
الكلام فيه فان له نار جهنم وقرئ فان على فجزاؤه ان خالدين فيها ابدا جمعه للمعنى
اذا راوا ما يوعدون في الدنيا كوقعة بدر او في الآخرة والغاية لقوله يكونون
لبدا بالمعنى الثاني او لمحذوف دل عليه الحال من استضعاف الكفار له وعصيانهم
له فسيعلمون من اضعف ناصرا واقل عددا هو او هم قل ان ادري ما ادري
اقريب ما توعدون ام يجعل له ربي امدا غاية تطول مدتها كانه لما سمع المشركون
حتى اذا راوا ما يوعدون قالوا متى يكون انكارا فقيل قل انه كائن لا محالة ولكن
لا ادري ما وقته عالم الغيب هو عالم الغيب فلا يظهر فلا يطلع على غيبه احدا
اي على الغيب المخصوص به علمه الا من ارتضى لعلم بعضه حتى يكون له معجزة من رسول
بيان لمن واستدل به على ابطال الكرامات وجوابه تخصيص الرسل بالملك والاظهار
بما يكون بغير وسط وكرامات الاولياء على المغيبات انما يكون تلقيا عن الملائكة

كاطلاعنا على احوال الآخرة بتوسط الانبياء فانه يسلك من بين يديه من بين يدي
المرتضى ومن خلفه رصدا حرسا من الملائكة يحرسونه من اختطاف الشياطين وتخاليطهم ليعلم
ان قد ابلغوا اي ليعلم النبي الموحى اليه ان قد ابلغ جبريل والملائكة النازلين بالوحي او ليعلم
الله ان ابلغ الانبياء بمعنى ليتعلق علمه به موجودا رسالات ربهم كما هي محروسة من التغيير واحاط
بما لديهم بما عند الرسل واحصى كل شيء عددا حتى القطر والرمل عن النبي صلى الله عليه
وسلم من قرأ سورة الجن كان له بعدد كل جني صدق محمدا او كذب به عتق رقبة

سورة المزمل مكية وآيها تسع عشرة او عشرون

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها المزمل اصله المتزمل من تزمل بثيابه اذا تلفف
بها فادغم التاء في الزاي وقد قرئ به وبالمزمل مفتوحة الميم ومكسورها اي الذي
زمله غيره او زمل نفسه سمي به النبي صلى الله عليه وسلم تهجينا لما كان عليه لانه كان
نائما او مرتعدا مما دهشه بدء الوحي متزملا في قطيفة او تحسينا له اذ روي انه
صلى الله عليه وسلم كان يصلي متلففا ببقية مرط مفروش على عائشة رضي الله عنها فنزل
او تشبيها له في تثاقله بالمتزمل لانه لم يتمرن بعد في قيام الليل او من تزمل الزمل
اذا تحمل الحمل اي الذي تحمل اعباء النبوة قم الليل اي قم الى الصلوة او داوم عليها
فيه وقرئ بضم الميم وفتحها للاتباع او التخفيف الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا
او زد عليه استثناء من الليل ونصفه بدل من قليلا وقلته بالنسبة الى الكل والتخيير
بين قيام النصف والزائد عليه كالثلثين والناقص عنه كالثلث او نصفه بدل من الليل
والاستثناء منه والضمير في منه وعليه للاقل من النصف كالثلث فيكون التخيير بينه
وبين الاقل منه كالربع والاكثر منه كالنصف او للنصف والتخيير بين ان يقوم
اقل منه على البت وان يختار احد الامرين من الاقل والاكثر او استثناء من اعداد الليل
فانه عام والتخيير بين قيام النصف والناقص عنه والزائد عليه ورتل القرآن ترتيلا

اقرأه على تؤدة وتبيين حروف بحيث يتمكن السامع من عدها من قولهم ثغر رتل ورتل
اذا كان مفلجا انا سنلقي عليك قولا ثقيلا يعني القرآن لما فيه من التكاليف الشاقة
ثقيل على المكلفين سيما على الرسول صلى الله عليه وسلم اذ كان عليه ان يتحملها
ويحملها امته والجملة اعتراض يسهل التكليف عليه بالتهجد ويدل على انه مشق مضاد
للطبع مخالف للنفس او رصين لرزانة لفظه ومتانة معناه او ثقيل على المتأمل فيه
لافتقاره الى مزيد تصفية للسر وتجريد للنظر او ثقيل في الميزان او على الكفار والفجار او ثقيل
تلقيه لقول عائشة رضي الله عنها رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان
جبينه ليرفض عرقا وعلى هذا يجوز ان يكون صفة للمصدر والجملة على هذه الاوجه للتعليل
مستأنف فان التهجد يعد للنفس ما به يعالج ثقله ان ناشئة الليل ان النفس التي تنشأ من
مضجعها الى العبادة من نشأ من مكانه اذا نهض قال نشأنا الى خوص بري نيها السرى
والصق منها مشرفات القماحد او قيام الليل على ان الناشئة له او العبادة التي تنشأ
بالليل اي تحدث او ساعات الليل لانها تحدث واحدة بعد اخرى او ساعاتها الاول
من نشأت اذا ابتدأت هي اشد وطأ اي كلفة او ثبات قدم وقرأ ابو عمرو وابن عامر
وطاء اي مواطأة القلب اللسان لها او فيها او موافقة لما يراد من الخضوع والاخلاص
واقوم قيلا واشد مقالا او اثبت قراءة لحضور القلب وهدوء الاصوات ان لك في
النهار سبحا طويلا تقلبا في مهامك واشتغالا بها فعليك بالتهجد فان مناجاة
الحق تستدعي فراغا وقرئ سبخا اي تفرق قلب بالشواغل مستعار من سبخ الصوف
وهو نفشه ونشر اجزائه واذكر اسم ربك ودم على ذكره ليلا ونهارا وذكر الله
يتناول كل ما يذكر به من تسبيح وتهليل وتحميد وصلوة وقراءة قرآن ودراسة علم
وتبتل اليه تبتيلا وانقطع اليه بالعبادة وجرد نفسك عما سواه ولهذا الرمزة
ومراعاة الفواصل وضعه موضع تبتلا رب المشرق والمغرب خبر محذوف او
مبتدأ خبره لا اله الا هو وقرأ ابن عامر والكوفيون غير حفص ويعقوب بالجر على
البدل من ربك وقيل باضمار القسم وجوابه لا اله الا هو فاتخذه وكيلا مسبب

عن التهليلة فان توحده بالالوهية يقتضي ان توكل اليه الامور واصبر على ما يقولون من الخرافات واهجرهم هجرا جميلا بان تجانبهم وتداريهم ولا تكافئهم وتكل امرهم الى الله كما قال
وذرني والمكذبين دعني واياهم وكل الي امرهم فان بي غنية عنك في مجازاتهم اولي النعمة ارباب التنعم يريد صناديد قريش ومهلهم قليلا زمانا او امهالا
ان لدينا انكالا تعليل للامر والنكل القيد الثقيل وجحيما وطعاما ذا غصة طعاما ينشب في الحلوق كالضريع والزقوم وعذابا اليما ونوعا اخر من العذاب مولما لا يعرف كنهه الا الله ولما كانت العقوبات الاربع مما يشترك فيها الاشباح والارواح فان النفوس العاصية المنهمكة في الشهوات تبقى مقيدة بحبها والتعلق بها عن التخلص الى عالم المجردات متحرقة بحرقة الفرقة متجرعة غصة الهجران معذبة بالحرمان عن تجلي انوار القدس فسر العذاب بالحرمان عن لقاء الله تعالى يوم ترجف الارض والجبال تضطرب وتتزلزل ظرف لما في لدينا انكالا من معنى الفعل وكانت الجبال كثيبا مهيلا رملا مجتمعا كانه فعيل بمعنى مفعول من كثبت الشيء اذا جمعته مهيلا منثورا من هيل هيلا اذا نثر انا ارسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم كما ارسلنا الى فرعون رسولا يعني موسى ولم يعينه لان المقصود لم يتعلق به فعصى فرعون الرسول عرفه لسبق ذكره فاخذناه اخذا وبيلا ثقيلا من قولهم طعام وبيل لا يستمرى لثقله ومنه الوابل للمطر العظيم فكيف تتقون ان كفرتم بقيتم على الكفر يوما عذاب يوم يجعل الولدان شيبا من شدة هوله وهذا على الفرض والتمثيل واصله ان الهموم تضعف القوى وتسرع بالشيب ويجوز ان يكون وصفا لليوم بالطول السماء منفطر به منشق والتذكير على تاويل السقف او اضمار شي به بشدة ذلك اليوم على عظمها واحكامها فضلا عن غيرها والباء للآلة كان وعده مفعولا الضمير لله عز وجل او لليوم على اضافة المصدر الى المفعول ان هذه الآيات الموعدة تذكرة عظة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا اي يتقرب اليه بسلوك التقوى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه استعار الادنى للاقل لان الاقرب الى الشي اقل بعدا منه وقرا ابن كثير والكوفيون ونصفه وثلثه بالنصب

بالنصب عطفا على ادنى وطائفة من الذين معك ويقوم ذلك جماعة من اصحابك والله يقدر الليل والنهار لا يعلم مقادير ساعاتهما كما هي الا الله فان تقديم اسمه مبتدا مبنيا عليه يقدر يشعر بالاختصاص ويؤيده قوله علم ان لن تحصوه اي لن تحصوا تقدير الاوقات ولن تستطيعوا ضبطها فتاب عليكم بالترخيص في ترك القيام المقدر ورفع التبعة فيه فاقرءوا ما تيسر من القرآن فصلوا ما تيسر عليكم من صلوة الليل عبر عن الصلوة بالقراءة كما عبر عنها بسائر اركانها قيل كان التهجد واجبا على التخيير المذكور فعسر عليهم القيام به فنسخ به ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس او فاقرءوا القرآن بعينه كيف ما تيسر عليكم علم ان سيكون منكم مرضى استئناف يبين حكمة اخرى مقتضية للترخيص والتخفيف ولذلك كرر الحكم مرتبا عليه وقال وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله والضرب في الارض ابتغاء للفضل المسافرة للتجارة وتحصيل العلم وآخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرءوا ما تيسر منه واقيموا الصلاة الواجبة المفروضة وآتوا الزكوة الواجبة واقرضوا الله قرضا حسنا يريد به الامر بسائر الانفاقات في سبل الخيرات او باداء الزكوة على احسن وجه والترغيب فيه بوعد العوض كما صرح به في قوله وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا من الذي تؤخرونه الى الوصية عند الموت او من متاع الدنيا وخيرا ثاني مفعولي تجدوه وهو تاكيد او فصل لان افعل من كالمعرفة ولذلك يمتنع من حرف التعريف وقرئ هو خير على الابتداء والخبر واستغفروا الله في مجامع احوالكم فان الانسان لا يخلو من تفريط ان الله غفور رحيم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المزمل رفع الله عنه العسر في الدنيا والآخرة

سورة المدثر مكية وآيها ست وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها المدثر اي المتدثر وهو لابس الدثار روي انه صلى الله عليه وسلم قال كنت بحراء فنوديت فنظرت عن يميني وشمالي فلم ار شيئا فنظرت فوقي فاذا هو على العرش بين السماء والارض يعني الملك الذي ناداه فرعبت ورجعت الى خديجة

فقلت دثروني فنزل جبريل ع م وقال يا ايها المدثر ولذلك قيل هي اول سورة
نزلت وقيل تأذى من قريش فتغطى بثوبه مفكرا او كان نائما متدثرا فنزلت وقيل المراد
بالمدثر المتدثر بالنبوة والكمالات النفسانية او المختفي فانه كان بحراء كالمختفي فيه على سبيل
الاستعارة وقرئ المدثر اي الذي دثر هذا الامر وعصب به قم من مضجعك او
قم قيام عزم وجد فانذر مطلق للتعميم او مقدر بمفعول دل عليه قوله وانذر عشيرتك
الاقربين او قوله وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا وربك فكبر وخصص ربك
بالتكبير وهو وصفه بالكبرياء عقدا وقولا روي انه لما نزل وربك فكبر كبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم وايقن انه الوحي وذلك لان الشيطان لا يأمر بذلك والفاء فيه وفيما
بعده لافادة معنى الشرط فكانه قال وما يكن فكبر ربك او للدلالة على ان المقصود الاول
من الامر بالقيام ان يكبر ربه عن الشرك والتشبيه فان اول ما يجب معرفة الصانع واول ما
يجب بعد العلم بوجوده تنزيهه والقوم كانوا مقرين به وثيابك فطهر من النجاسات فان التطهير
واجب في الصلوة محبوب في غيرها وذلك بغسلها او بحفظها عن النجاسة بتقصيرها مخافة
جر الذيول فيها وهو اول ما امر به من رفض العادات المذمومة او طهر نفسك عن الاخلاق
الذميمة فيكون امرا باستكمال القوة العملية بعد امره باستكمال القوة النظرية
والدعاء اليه او فطهر دثار النبوة عما يدنسه من الحقد والحسد والضجر وقلة الصبر والرجز
فاهجر واهجر العذاب بالثبات على هجر ما يؤدي اليه من الشرك وغيره من القبائح وقرأ
يعقوب وحفص والرجز بالضم وهو لغة كالذكر ولا تمنن تستكثر لا تعط
مستكثرا نهى عن الاستغزار وهو ان يهب شيئا طامعا في عوض اكثر نهي تنزيه
او نهيا خاصا به لقوله صلى الله عليه وسلم المستغزر يثاب من هبته والموجب له
ما فيه من الحرص والضنة او لا تمنن على الله بعبادتك مستكثرا اياها او على الناس بالتبليغ
مستكثرا به الاجر منهم او مستكثرا اياه وقرئ تستكثر بالسكون للوقف او الابدال
من تمنن على انه من من بكذا او تستكثر بمعنى تجده كثيرا وبالنصب على اضمار ان وقد
قرئ بها وعلى هذا يجوز ان يكون الرفع بحذفها وابطال عملها كما روي احضر الوغى

بالرفع ولربك ولوجهه او امره فاصبر فاستعمل الصبر او فاصبر على مشاق التكاليف
واذى المشركين فاذا نقر في الناقور نفخ في الصور فاعول من النقر بمعنى التصويت
واصله القرع الذي هو سبب الصوت والفاء للسببية كانه قال اصبر على اذاهم فبين ايديهم
زمان صعب تلقى فيه عاقبة صبرك واعداؤك عاقبة ضرهم واذا ظرف لما دل عليه
قوله فذلك يومئذ يوم عسير فان معناه عسر الامر على الكافرين وذلك اشارة الى وقت النقر
وهو مبتدأ خبره يوم عسير ويومئذ بدل له او ظرف لخبره اذ التقدير فذلك الوقت
وقوع يوم عسير على الكافرين غير يسير تأكيد يمنع ان يكون عسيرا عليهم من وجه دون وجه
ويشعر بيسره على المؤمنين ذرني ومن خلقت وحيدا نزل في الوليد بن المغيرة ووحيدا
حال من الياء اي ذرني وحدي معه فاني اكفيكه او من التاء اي ومن خلقته وحدي
لم يشركني في خلقه احد او من العائد المحذوف اي من خلقته فريدا لا مال له ولا ولد او ذم
فانه كان ملقبا به فسماه الله به تهكما به او ارادة انه وحيد ولكن في الشرارة او عن ابيه
لانه كان زنيما وجعلت له مالا ممدودا مبسوطا كثيرا او ممدا بالنماء وكان له الزرع
والضرع والتجارة وبنين شهودا حضورا معه بمكة يتمتع بلقائهم لا يحتاجون الى
سفر لطلب المعاش استغناء بنعمته ولا يحتاج ان يرسلهم في مصالحه لكثرة خدمه
او في المحافل والاندية لوجاهتهم واعتبارهم قيل كان له عشر بنين او اكثر كلهم رجال
فاسلم منهم ثلثة خالد وعمارة وهشام ومهدت له تمهيدا وبسطت له الرياسة
والجاه العريض حتى لقب ريحانة قريش والوحيد اي باستحقاق الرياسة والتقدم
ثم يطمع ان ازيد على ما اوتيته وهو استبعاد لطمعه اما لانه لا مزيد على ما اوتي او لانه
لا يناسب ما هو عليه من كفران النعم ومعاندة المنعم ولذلك قال كلا انه كان
لآياتنا عنيدا فانه ردع له عن الطمع وتعليل للردع على سبيل الاستئناف بمعاندة
آيات المنعم المناسبة لازالة النعمة المانعة عن الزيادة قيل ما زال بعد نزول هذه الآية
في نقصان ماله حتى هلك سأرهقه صعودا سأغشيه عقبة شاقة المصعد وهو مثل
لما يلقى من الشدائد وعنه صلى الله عليه وسلم الصعود جبل من النار يصعد فيه

سبعين خريفا ثم يهوي فيه كذلك ابدا انه فكر وقدر تعليل للوعيد او بيان للعناد
والمعنى فكر فيما يخيل طعنا في القرآن وقدر في نفسه ما يقول فيه فقتل كيف قدر
تعجب من تقديره استهزاء به او لانه اصاب اقصى ما يمكن ان يقال عليه من قولهم قتله الله
ما اشجعه اي بلغ في الشجاعة مبلغا يحق بان يحسد ويدعو عليه حاسده روي
انه مر بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ حم السجدة فاتى قومه وقال لقد سمعت
من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الانس والجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان
اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه ليعلو ولا يعلى فقال قريش صبأ الوليد فقال
ابن اخيه ابو جهل انا اكفيكموه فقعد اليه حزينا وكلمه بما احماه فقام فناداهم فقال تزعمون
ان محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق وتقولون انه كاهن فهل رأيتموه يتكهن وتزعمون
انه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا قط وتزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من
الكذب فقالوا لا فقال ما هو الا ساحر اما رأيتموه يفرق بين الرجل واهله وولده
ومواليه ففرحوا بقوله وتفرقوا متعجبين منه ثم قتل كيف قدر تكرير للمبالغة
وثم للدلالة على ان الثانية ابلغ من الاولى وفيما بعد على اصلها ثم نظر اي في امر القرآن
مرة بعد اخرى ثم عبس وبسر قطب وجهه لما لم يجد فيه طعنا ولم يدر ما يقول او نظر الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطب في وجهه وبسر اتباع لعبس ثم ادبر
عن الحق او الرسول صلى الله عليه وسلم واستكبر عن اتباعه فقال ان هذا الا سحر
يؤثر يروى ويتعلم والفاء للدلالة على انه لما خطرت هذه الكلمة بباله تفوه بها من غير
تلبث وتفكر ان هذا الا قول البشر كالتأكيد للجملة الاولى ولذلك لم يعطف عليها ساصليه
سقر بدل من سارهقه صعودا وما ادراك ما سقر تفخيم لشأنها وقوله
لا تبقي ولا تذر بيان لذلك او حال من سقر والعامل فيها معنى التعظيم والمعنى لا
تبقي على شيء يلقى فيها ولا تدعه حتى تهلكه لواحة للبشر مسودة لاعالي الجلد او
لائحة للناس وقرئت بالنصب على الاختصاص عليها تسعة عشر ملكا او صنفا
من الملائكة يلون امرها والمخصص لهذا العدد ان اختلال النفوس البشرية في النظر

النظر والعمل بسبب القوى الحيوانية الاثني عشر والطبيعية السبع او ان جهنم سبع
دركات ست منها لاصناف الكفار وكل صنف معذب بترك الاعتقاد والاقرار
والعمل انواعا من العذاب يناسبها وعلى كل نوع ملك او صنف يتولاه وواحد لعصاة
الامة يعذبون فيها بترك العمل نوعا يناسبه ويتولاه ملك او صنف او ان الساعات
اربعة وعشرون خمسة منها مصروفة في الصلوة فيبقى تسعة عشر قد تصرف فيما يؤاخذ به
بانواع من العذاب تتولاها الزبانية وقرئ تسعة عشر بسكون العين كراهة توالي الحركات
فيما هو كاسم واحد وتسعة اعشر جمع عشير كيمين وايمن اي تسعة كل عشير جمع يعني نقيبهم
او جمع عشر فيكون تسعين وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة ليخالفوا جنس المعذبين
فلا يرقون لهم ولا يستروحون اليهم لانهم اقوى الخلق بأسا واشدهم غضبا لله روي
ان ابا جهل لما سمع عليها تسعة عشر قال لقريش ايعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا
برجل منهم فنزلت وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا وما جعلنا عددهم الا العدد
الذي اقتضى فتنتهم وهو التسعة عشر فعبر بالاثر عن المؤثر تنبيها على انه لا ينفك منه
وافتتانهم به استقلالهم له واستهزاؤهم به واستبعادهم ان يتولى هذا العدد القليل
تعذيب اكثر الثقلين ولعل المراد الجعل بالقول فيحسن تعليله بقوله ليستيقن الذين
اوتوا الكتاب اي ليكتسبوا اليقين بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وصدق القرآن لما رأوا
ذلك موافقا لما في كتابهم ويزداد الذين آمنوا ايمانا بالايمان به او بتصديق اهل
الكتاب له ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون اي في ذلك وهو تأكيد
للاستيقان وزيادة الايمان ونفي لما يعرض المتيقن حيثما عراه شبهة وليقول
الذين في قلوبهم مرض شك او نفاق فيكون اخبارا بمكة عما سيكون في المدينة
بعد الهجرة والكافرون الجازمون في التكذيب ماذا اراد الله بهذا مثلا
اي شيء اراد بهذا العدد المستغرب استغراب المثل وقيل لما استبعدوه حسبوا انه
مثل مضروب كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء مثل ذلك المذكور من
الاضلال والهدى يضل الكافرين ويهدي المؤمنين وما يعلم جنود ربك جموع خلقه

على ما هم عليه إلا هو إذ لا سبيل لأحد إلى حصر الممكنات والاطلاع على حقائقها
وصفاتها وما يوجب اختصاص كل منها بما يخصه من كم وكيف واعتبار ونسبة وما
هي وما سقر أو عدة الخزنة أو السورة إلا ذكرى للبشر إلا تذكرة لهم كلا ردع لمن
أنكرها أو إنكار لأن يتذكروا بها والقمر والليل إذ أدبر أي أدبر كقبل بمعنى أقبل
وقرأ نافع وحمزة ويعقوب وحفص إذ أدبر على المضي والصبح إذا أسفر أضاء.
إنها لإحدى الكبر لإحدى البلايا الكبر أي البلايا الكبر كثيرة وسقر واحدة منها وإنما
جمع كبرى على كبر إلحاقا لها بفعلة تنزيلا للألف منزلة التاء كما ألحقت قاصعاء
بقاصعة فجمعت على قواصع والجملة جواب القسم أو تعليل لكلا والقسم معترض للتأكيد
نذيرا للبشر تمييز أي لإحدى الكبر إنذارا أو حال عما دلت عليه الجملة أي كبرت منذرة و
قرئ بالرفع خبرا ثانيا أو خبر المحذوف لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر بدل من للبشر
أي نذيرا للمتمكنين من السبق إلى الخير والتخلف عنه أو لمن شاء خبر لأن يتقدم فيكون في
معنى قوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر كل نفس بما كسبت رهينة مرهونة
عند الله مصدر كالشتيمة أطلقت للمفعول كالرهن ولو كانت صفة لقيل رهين
إلا أصحاب اليمين فإنهم فكوا رقابهم بما أحسنوا من أعمالهم وقيل هم الملائكة أو الأطفال
في جنات لا يكتنه وصفها وهي حال من أصحاب اليمين أو ضميرهم في قوله يتساءلون
عن المجرمين أي يسأل بعضهم بعضا أو يسألون غيرهم عن حالهم كقولك تداعيناه
أي دعوناه وقوله ما سلككم في سقر بجوابه حكاية لما جرى بين المسؤولين والمجرمين
أجابوا بها قالوا لم نك من المصلين الصلاة الواجبة ولم نك نطعم المسكين ما يجب
إعطاؤهم وفيه دليل على أن الكفار مخاطبون بالفروع وكنا نخوض مع الخائضين
نشرع في الباطل مع الشارعين فيه وكنا نكذب بيوم الدين أخره لتعظيمه أي وكنا
بعد ذلك كله مكذبين بالقيامة حتى أتانا اليقين الموت ومقدماته فما تنفعهم شفاعة
الشافعين لو شفعوا لهم جميعا فما لهم عن التذكرة معرضين أي معرضين عن التذكير
يعني القرآن أو ما يعمه ومعرضين حال كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة

قسورة شبههم في إعراضهم ونفارهم عن استماع الذكر بحمر نافرة فرت من قسورة
أي أسد فعولة من القسر وهو القهر بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة قراطيس
تنشر وتقرأ وذلك أنهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لن نتبعك حتى تأتي كلا منا
بكتاب من السماء فيه من الله إلى فلان اتبع محمدا كلا ردع لهم عن اقتراحهم الآيات بل لا
يخافون الآخرة فلذلك أعرضوا عن التذكرة لا لامتناع إيتاء الصحف كلا ردع
عن إعراضهم إنه تذكرة وأي تذكرة فمن شاء ذكره فمن شاء أن يذكره وما يذكرون إلا أن يشاء
الله ذكرهم أو مشيئتهم كقوله وما تشاؤون إلا أن يشاء الله وهو تصريح بأن فعل العبد بمشيئة
الله وقرأ نافع تذكرون بالتاء وقرئ بهما مشددا هو أهل التقوى حقيق بأن يتقى عقابه وأهل
المغفرة حقيق بأن يغفر عباده سيما المتقين منهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة المدثر أعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وكذب به بمكة

سورة القيمة تسع وثلاثون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم لا أقسم بيوم القيمة إدخال لا النافية على فعل القسم للتأكيد
شائع في كلامهم قال امرؤ القيس لا وأبيك ابنة العامري لا يدعي القوم أني أفر
وقد مر الكلام فيه في قوله تعالى فلا أقسم بمواقع النجوم ولا أقسم بالنفس اللوامة
بالنفس المتقية التي تلوم النفوس المقصرة في التقوى يوم القيمة على تقصيرها أو التي تلوم
نفسها أبدا وإن اجتهدت في الطاعة أو النفس المطمئنة اللائمة للنفس الأمارة أو بالجنس
لما روي أنه صلى الله عليه وسلم قال ليس من نفس برة ولا فاجرة إلا وتلوم نفسها يوم
القيمة إن عملت خيرا كيف لم أزدد وإن عملت شرا قالت ليتني كنت قصرت أو نفس
آدم فإنها لم تزل تتلوم على ما خرجت من الجنة وضمها إلى القيمة لأن المقصود من إقامتها
مجازاتها أيحسب الإنسان يعني الجنس وإسناد الفعل إليه لأن فيهم من يحسب
أو الذي نزل فيه وهو عدي بن ربيعة سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أمر

القيمة فاخبره به فقال لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك او يجمع الله هذه العظام
ان لن نجمع عظامه بعد تفرقها وقرئ ان لن يجمع على البناء للمفعول بلى
نجمعها قادرين على ان نسوي بنانه بجمع سلامياته وضم بعضها الى بعض كما كانت
مع صغرها ولطافتها فكيف بكبار العظام او على ان نسوي بنانه الذي هو اطرافه
فكيف بغيرها وهو حال من فاعل الفعل المقدر بعد بلى وقرئ بالرفع اي نحن قادرون بل
يريد الانسان عطف على ايحسب فيجوز ان يكون استفهاما وان يكون ايجابا لجواز
ان يكون الاضراب عن المستفهم وعن الاستفهام ليفجر امامه ليدوم على فجوره
فيما يستقبله من الزمان يسأل ايان يوم القيمة متى يكون استبعادا او استهزاء
فاذا برق البصر تحير فزعا من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره
وقرأ نافع بالفتح وهو لغة او من البريق بمعنى لمع من شدة شخوصه وقرئ بلق
من بلق الباب اي انفتح وخسف القمر وذهب ضوءه وقرئ على البناء للمفعول وجمع
الشمس والقمر في ذهاب الضوء او الطلوع من المغرب ولا ينافيه الخسوف فانه مستعار
للمحاق ولمن حمل ذلك على امارات الموت ان يفسر الخسوف بذهاب ضوء البصر والجمع
باستتباع الروح الحاسة في الذهاب او بوصوله الى من كان يقتبس منه نور العقل
من سكان القدس وتذكير الفعل لتقدمه وتغليب المعطوف يقول الانسان يومئذ
اين المفر اي الفرار يقوله قول الآيس من وجدانه المتمني وقرئ بالكسر وهو المكان
كلا ردع عن طلب المفر لا وزر لا ملجأ مستعار من الجبل واشتقاقه من الوزر وهو
الثقل الى ربك يومئذ المستقر اليه وحده استقرار العباد او الى حكمه
استقرار امرهم او الى مشيئته موضع قرارهم يدخل من يشاء الجنة ومن يشاء النار
ينبؤ الانسان يومئذ بما قدم واخر بما قدم من عمل عمله وبما اخر منه لم يعمله
او بما قدم من عمل عمله وبما اخر من سنة عمل بها بعده او بما قدم من مال تصدق
به وبما اخر فخلفه او باول عمله وآخره بل الانسان على نفسه بصيرة حجة بينة
على اعمالها لانه شاهد بها وصفها بالبصارة على المجاز او عين بصيرة بها

فلا يحتاج الى الانباء ولو القى معاذيره ولو جاء بكل ما يمكن ان يعتذر به جمع
معذار وهو العذر او جمع معذرة على غير قياس كالمناكير في المنكر فان قياسه معاذر
وذلك اولى وفيه نظر لا تحرك يا محمد به اي بالقرآن لسانك قبل ان يتم وحيه
لتعجل به لتأخذه على عجلة مخافة ان يتفلت منك ان علينا جمعه في صدرك وقرآنه
واثبات قراءته في لسانك وهو تعليل للنهي فاذا قرأناه بلسان جبريل عليك فاتبع
قرآنه قراءته وتكرر فيه حتى يرسخ في ذهنك ثم ان علينا بيانه بيان ما اشكل عليك
من معانيه وهو دليل على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب وهو اعتراض بما هو
تؤكد التوبيخ على حب العجلة لان العجلة اذا كانت مذمومة فيما هو اهم الامور واصل
الدين فكيف بها في غيره او بذكر ما اتفق في اثناء نزول هذه الآيات وقيل الخطاب مع
الانسان المذكور والمعنى انه يؤتى كتابه فيتلجلج لسانه من سرعة قراءته خوفا فيقال له
لا تحرك به لسانك لتعجل به فان علينا بمقتضى الوعد جمع ما فيه من اعمالك وقراءته فاذا قرأناه
فاتبع قراءته بالاقرار او التأمل فيه ثم ان علينا بيان امره بالجزاء عليه كلا ردع للرسول
عن عادة العجلة او للانسان عن الاغترار بالعاجل بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة
تعميم للخطاب اشعارا بان بني آدم مطبوعون على الاستعجال وان كان الخطاب للانسان
والمراد به الجنس فجمع الضمير للمعنى ويؤيده قراءة ابن كثير وابن عامر والبصريين بالياء فيهما
وجوه يومئذ ناضرة بهية متهللة الى ربها ناظرة تراه مستغرقة في مطالعة جماله
بحيث تغفل عما سواه ولذلك قدم المفعول وليس هذا في كل الاحوال حتى ينافيه نظرها
الى غيره وقيل منتظرة انعامه ورد بان الانتظار لا يسند الى الوجه وتفسيره بالجملة
خلاف الظاهر وان المستعمل بمعناه لا يتعدى بالى وقول الشاعر اذا نظرت اليك
والبحر دونك زدتني نعما بمعنى السؤال فان الانتظار لا يعقب العطاء ووجوه
يومئذ باسرة شديدة العبوس والباسل ابلغ من الباسر لكنه غلب في الشجاع اذا
اشتد كلوحه تظن تتوقع اربابها ان يفعل بها فاقرة داهية تكسر الفقار كلا ردع
عن ايثار الدنيا على الآخرة اذا بلغت التراقي اذا بلغت النفس اعالي الصدر واضمارها

من غير ذكر لدلالة الكلام عليها وقيل من راق وقال حاضر وصاحبها من رقية
تمايه من الرقية او قال ملائكة الموت ايكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة او ملائكة العذاب
من الرقي وظن انه الفراق وظن المحتضر ان الذي نزل به فراق الدنيا ومحابها
والتفت الساق بالساق والتوت ساقه بساقه فلا تقدر تحريكها او شدة فراق
الدنيا بشدة خوف الآخرة الى ربك يومئذ المساق سوقه الى الله وحكمه فلا صدق
ما يجب تصديقه او فلا صدق ماله اي فلا زكاه ولا صلى ما فرض عليه والضمير فيهما
للانسان المذكور في ايحسب الانسان ولكن كذب وتولى عن الطاعة ثم ذهب
الى اهله يتمطى يتبختر افتخارا بذلك من المط فان المتبختر يمد خطاه فيكون اصله يتمطط
من المطا وهو الظهر فانه يلويه اولى لك فاولى ويل لك من الولي واصله اولاك
الله ما تكرهه واللام مزيدة كما في ردف لكم او اولى لك الهلاك وقيل افعل من الويل
بعد القلب كادنى من ادون او فعلى من آل يؤول بمعنى عقباك النار ثم اولى لك فاولى
اي يكرر عليه ذلك مرة بعد اخرى ايحسب الانسان ان يترك سدى مهملا لا يكلف
ولا يجازى وهو يتضمن تكرير انكاره للحشر والدلالة عليه من حيث ان الحكمة تقتضي الامر
بالمحاسن والنهي عن القبائح والتكليف لا يتحقق الا بمجازاة وهي لا تكون في الدنيا
فتكون في الآخرة الم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فقدره فعدله
فجعل منه الزوجين الصنفين الذكر والانثى وهو استدلال آخر بالابداء على الاعادة
على ما قرره مرارا ولذلك رتب عليه قوله اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قراها قال سبحانك بلى ونحن على ذلك من الشاهدين وعنه
صلعم من قرأ سورة القيمة شهدت له انا وجبريل يوم القيمة انه كان مؤمنا به

سورة الانسان مكية وآيها احدى وثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم هل اتى على الانسان استفهام تقرير وتقريب

تقريب ولذلك فسر بقد واصلها اهل كقوله أهل رأونا بسفح القاع ذي الاكم
حين من الدهر طائفة محدودة من الزمان الممتد الغير المحدود لم يكن شيئا مذكورا بل كان
شيئا منسيا غير مذكور بالانسانية كالعنصر والنطفة والجملة حال من الانسان او وصف
لحين بحذف الراجع والمراد بالانسان الجنس لقوله انا خلقنا الانسان او آدم بين اولا خلقه
بقوله بنيه من نطفة امشاج اخلاط جمع مشج او مشيج من مشجت الشيء اذا خلطته و
وصف النطفة به لان المراد بها مجموع مني الرجل والمرأة وكل منهما مختلفة الاجزاء
في الرقة والقوام والخواص ولذلك يصير كل جزء منها مادة عضو وقيل مفرد كاعشار واكياش
وقيل الوان فان ماء الرجل ابيض وماء المرأة اصفر فاذا اختلطا اخضرا او اطوار
فان النطفة تصير علقة ثم مضغة الى تمام الخلقة نبتليه في موقع الحال اي مبتلين له بمعنى
مريدين اختباره او ناقلين له من حال الى حال فاستعار له الابتلاء فجعلناه سميعا
بصيرا ليتمكن من مشاهدة الدلائل واستماع الآيات فهو كالمسبب من الابتلاء ولذلك
عطف بالفاء على الفعل المقيد به ورتب عليه قوله انا هديناه السبيل اي بنصب
الدلائل وانزال الآيات اما شاكرا واما كفورا حالان من الهاء واما للتفصيل او التقسيم
اي هديناه في حاليه جميعا او مقسوما اليهما بعضهم شاكر بالاهتداء والاخذ فيه وبعضهم
كفور بالاعراض عنه او من السبيل ووصفه بالشكر والكفر مجاز وقرئ اما بالفتح على
حذف الجواب ولعله لم يقل كافرا ليطابق قسيمه محافظة على الفواصل واشعارا بان الانسان
لا يخلو عن كفران غالبا وانما المأخوذ به التوغل فيه انا اعتدنا للكافرين سلاسلا
بها يقادون واغلالا بها يقيدون وسعيرا بها يحرقون وتقديم وعيدهم وقد
تأخر ذكرهم لان الانذار اهم وانفع وتصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين احسن
وقرأ نافع والكسائي وابو بكر سلاسلا للمناسبة ان الابرار جمع بر كارباب
او بار كاشهاد يشربون من كأس من خمر وهي في الاصل القدح يكون فيه كان مزاجها
ما يمزج بها كافورا لبرده وعذوبته وطيب عرفه وقيل اسم ماء في الجنة يشبه
الكافور في رائحته وبياضه وقيل يخلق فيها كيفيات الكافور فيكون كالممزوج به عينا

بدل من كافوراً ان جعل اسم ماء ومن محل من كاس على تقدير مضاف اي ماء عين او
خمرها او نصب على الاختصاص او بفعل يفسره ما بعدها يشرب بها عباد الله اي
ملتذا او ممزوجا بها وقيل الباء مزيدة او بمعنى من لان الشرب مبتدأ منها كما هو
يفجرونها تفجيرا يجرونها حيث شاؤا اجراء سهلا يوفون بالنذر استيناف ببيان
ما رزقوه لاجله كانه سئل عنه فاجيب بذلك وهو ابلغ في وصفهم بالتوفر
على اداء الواجبات لان من وفى بما اوجبه على نفسه لله كان اوفى بما اوجبه الله عليه
ويخافون يوما كان شره مستطيرا فاشيا منتشرا غاية الانتشار
من استطار الحريق والفجر وهو ابلغ من طار وفيه اشعار بحسن عقيدتهم واجتنابهم عن
المعاصي ويطعمون الطعام على حبه حب الله او الطعام او الاطعام مسكينا ويتيما
واسيرا يعني اسارى الكفار فانه صلى الله عليه وسلم كان يؤتى بالاسير فيدفعه الى
بعض المسلمين فيقول احسن اليه او الاسير المؤمن ويدخل فيه المملوك والمسجون وفي الحديث
غريمك اسيرك فاحسن الى اسيرك انما نطعمكم لوجه الله على ارادة القول بلسان
الحال او المقال ازاحة لتوهم المن وتوقع المكافأة المنقصة للاجر وعن عائشة رضي
انها تبعث بالصدقة الى اهل بيت ثم تسال المبعوث ما قالوا فان ذكر دعاء
دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عند الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا
اي شكرا انا نخاف من ربنا فلذلك نحسن اليكم او لا نطلب المكافاة منكم يوما عذاب
يوم عبوسا يعبس فيه الوجوه او يشبه الاسد العبوس في ضراوته قمطريرا شديد العبوس
كالذي يجمع ما بين عينيه من اقمطرت الناقة اذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها مشتق
من القطر والميم مزيدة فوقيهم الله شر ذلك اليوم بسبب خوفهم وتحفظهم عنه ولقيهم
نضرة وسرورا بدل عبوس الفجار وحزنهم وجزاهم بما صبروا بصبرهم على اداء الواجبات
واجتناب المحرمات وايثار الاموال جنة بستانا ياكلون منه وحريرا يلبسونه
وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الحسن والحسين رضي الله عنهما مرضا فعادهما رسول
الله صلى الله عليه وسلم في اناس معه فقالوا يا ابا الحسن لو نذرت على ولدك فنذر علي

وفاطمة رضي الله عنها وفضة جارية لهما صوم ثلاثة ايام ان برئا فشفيا وما
معهم شيء فاستقرض علي كرم الله وجهه من شمعون الخيبري ثلاثة اصوع من شعير فطحنت
فاطمة رضي الله عنها صاعا واختبزت خمسة اقراص فوضعوا بين ايديهم ليفطروا فوقف عليهم
مسكين فآثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء واصبحوا صياما فلما امسوا ووضعوا الطعام
وقف عليهم يتيم فآثروه ثم وقف عليهم في الثالثة اسير ففعلوا مثل ذلك فنزل جبريل بهذه
السورة فقال خذها يا محمد هناك الله في اهل بيتك متكئين فيها على الارائك حال من
هم في جزاهم او صفة لجنة لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا يحتملهما وان يكون حالا من
المستكن في متكئين والمعنى يمر عليهم فيها هواء معتدل لا حار محم ولا بارد مؤذ
وقيل الزمهرير القمر في لغة طي قال وليلة ظلامها قد اعتكر قطعتها والزمهرير ما زهر
والمعنى ان هواءها مضيء بذاته لا يحتاج الى شمس ولا قمر ودانية عليهم ظلالها حال او
صفة اخرى معطوفة على ما قبلها او عطف على جنة اي وجنة اخرى دانية على انهم
وعدوا جنتين كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان وقرئت بالرفع على انه خبر ظلالها والجملة في
حال او صفة وذللت قطوفها تذليلا معطوف على ما قبله او حال من دانية وتذليل القطوف
ان تجعل سهل التناول لا تمتنع على قطافها كيف شاؤا ويطاف عليهم بآنية من فضة
واكواب واباريق بلا عروة كانت قواريرا قواريرا من فضة اي تكونت جامعة
بين صفاء الزجاجة وشفيفها وبياض الفضة ولينها وقد نون قواريرا من نون سلاسلا
وابن كثير الاولى لانها راس الآية وقرئ قوارير من فضة على هي قوارير قدروها
تقديرا اي قدروها في انفسهم فجاءت مقاديرها واشكالها كما تمنوه او قدروها باعمالهم
الصالحة فجاءت على حسبها او قدرها الطائفون بها المدلول عليهم بقوله يطاف شرابها
على قدر اشتهائهم وقرئ قدروها اي جعلوا قادرين لها كما شاؤا من قدر منقولا
من قدرت الشيء ويسقون فيها كاسا كان مزاجها زنجبيلا ما يشبه الزنجبيل في الطعم
وكانت العرب يستلذون الشراب الممزوج به عينا فيها تسمى سلسبيلا لسلاسة
انحدارها في الحلق وسهولة مساغها يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل

ولذلك حكم بزيادة الباء والمراد به أن ينفي عنها لذع الزنجبيل ويصفها بنقيضه وقيل
أصله سل سبيلا فسميت به كتأبط شرا لأنه لا يشرب منها إلا من سأل إليها سبيلا
بالعمل الصالح ويطوف عليهم ولدان مخلدون دائمون إذا رأيتهم حسبتهم
لؤلؤا منثورا من صفاء ألوانهم وانبثاثهم في مجالسهم وانعكاس شعاع بعضهم
إلى بعض وإذا رأيت ثم ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدر لأنه عام معناه أن
بصرك أينما وقع رأيت نعيما وملكا كبيرا واسعا وفي الحديث أدنى أهل الجنة
منزلة ينظر في ملكه مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه هذا وللعارف
أكبر من ذلك وهو أن تنتقش نفسه بجلايا الملك وخفايا الملكوت فيستضيء بأنوار
قدس الجبروت عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق يعلوهم ثياب الحرير الخضر
ما رق منها وما غلظ ونصبه على الحال من هم في عليهم أو حسبتهم أو ملكا على تقدير
مضاف أي وأهل ملك كبير عاليهم وقرأ نافع وحمزة بالرفع على أنه خبر ثياب وقرأ
أبو عمرو وابن عامر بالعكس وقرأ ابن كثير وأبو بكر خضر بالجر حملا على سندس بالمعنى
فإنه اسم جنس وإستبرق بالرفع عطفا على ثياب وقرأهما نافع وحفص بالرفع وحمزة والكسائي
بالجر وقرئ وإستبرق بوصل الهمزة والفتح على أنه استفعل من البريق جعل علما لهذا
النوع من الثياب وحلوا أساور من فضة عطف على ويطوف عليهم ولا يخالفه
قوله أساور من ذهب لإمكان الجمع والمعاقبة والتبعيض فإن حلي أهل الجنة
يختلف باختلاف أعمالهم فلعله تعالى يفيض عليهم جزاء لما عملوه بأيديهم حليا وأنوارا
تتفاوت تفاوت الذهب والفضة أو حال من الضمير في عاليهم بإضمار قد وعلى هذا
يجوز أن يكون هذا للخدم وذلك للمخدومين وسقاهم ربهم شرابا طهورا يريد به
نوعا آخر يفوق على النوعين المتقدمين ولذلك أسند سقيه إليه تعالى ووصفه بالطهورية
فإنه يطهر شاربه عن الميل إلى اللذات الجسمانية الحسية والركون إلى ما سوى الحق فيتجرد
لمطالعة جماله ملتذا بلقائه باقيا ببقائه وهي منتهى درجات الصديقين ولذلك ختم
به ثواب الأبرار إن هذا كان لكم جزاء على إضمار القول والإشارة إلى ما عد من ثوابهم

وكان سعيكم مشكورا مجازى عليه غير مضيع إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا
مفرقا منجما لحكمة اقتضته وتكرير الضمير مع أن مزيد لاختصاص التنزيل به فاصبر لحكم
ربك بتأخير نصرك على كفار مكة وغيرهم ولا تطع منهم آثما أو كفورا أي كل واحد
من مرتكب الإثم الداعي لك إليه ومن الغالي في الكفر الداعي إليه وللدلالة على أنهما سيان في
استحقاق العصيان والاستقلال به والتقسيم باعتبار ما يدعونه إليه فإن ترتب النهي
على الوصفين مشعر بأن علته هما وذلك يستدعي أن تكون المطاوعة في الإثم والكفر فإن
مطاوعتهما فيما ليس بإثم ولا كفر غير محظور واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا وداوم
على ذكره أو دم على صلاتي الفجر والظهر والعصر فإن الأصيل يتناولهما ومن
الليل فاسجد له وبعض الليل فصل له ولعل المراد به صلاة المغرب والعشاء وتقديم الظرف
لما في صلاة الليل من مزيد الكلفة والخلوص وسبحه ليلا طويلا وتهجد له طائفة طويلة منه
من الليل إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم أمامهم أو خلف ظهورهم يوما ثقيلا
شديدا مستعار من الثقل الباهظ للحامل وهو كالتعليل لما أمر به ونهى عنه نحن خلقناهم
وشددنا أسرهم وأحكمنا ربط مفاصلهم بالأعصاب وإذا شئنا بدلنا أمثالهم
تبديلا وإذا شئنا أمثالهم تبديلا أهلكناهم وبدلنا أمثالهم في الخلقة وشدة
الأسر يعني النشأة الثانية ولذلك جيء بإذا أو بدلنا غيرهم ممن يطيع وإذا لتحقق القدرة
وقوة الداعية إن هذه تذكرة الإشارة إلى السورة أو الآيات القريبة فمن شاء
اتخذ إلى ربه سبيلا يتقرب إليه بالطاعة وما تشاءون إلا أن يشاء الله وما
تشاءون ذلك إلا وقت أن يشاء الله مشيئتكم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو
وابن عامر يشاءون بالياء إن الله كان عليما بما يستأهل كل أحد حكيما لا يشاء
إلا ما تقتضيه حكمته يدخل من يشاء في رحمته بالهداية والتوفيق للطاعة والظالمين
أعد لهم عذابا أليما نصب الظالمين بفعل يفسره أعد لهم مثل أوعد وكافأ ليطابق
الجملة المعطوف عليها وقرئ بالرفع على الابتداء عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ هل أتى كان جزاؤه على الله جنة وحريرا

سورة المرسلات مكية وآيها خمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات
نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا اقسم بطوائف من الملائكة ارسلهن الله بأوامره
متتابعة فعصفن عصف الرياح في امتثال امره ونشرن الشرائع في الارض او نشرن النفوس
الموتى بالجهل بما اوحين من العلم ففرقن بين الحق والباطل فالقين الى الانبياء ذكرا عذرا
للمحقين او نذرا للمبطلين او بآيات القرآن المرسلة بكل عرف الى محمد صلى الله عليه وسلم
فعصفن سائر الكتب والاديان بالنسخ ونشرن آثار الهدى والحكم في الشرق والغرب
وفرقن بين الحق والباطل فالقين ذكر الحق فيما بين العالمين او بالنفوس الكاملة المرسلة الى
الابدان لاستكمالها فعصفن ما سوى الحق ونشرن اثر ذلك في جميع الاعضاء ففرقن بين
الحق بذاته والباطل في نفسه فيرون كل شيء هالكا الا وجهه فالقين ذكرا بحيث لا يكون في
القلوب والالسنة الا ذكر الله او برياح عذاب ارسلن فعصفن ورياح رحمة نشرن
السحاب في الجو ففرقن فالقين ذكرا اي تسببن له فان العاقل اذا شاهد هبوبها وآثارها
ذكر الله تعالى وتذكر كمال قدرته وعرفا اما نقيض النكر وانتصابه على العلة اي ارسلن
للاحسان والمعروف او بمعنى المتتابعة من عرف الفرس وانتصابه على الحال عذرا
او نذرا مصدران لعذر اذا محا الاساءة وانذر اذا خوف او جمعان لعذير
بمعنى المعذرة ونذير بمعنى الانذار او بمعنى العاذر والمنذر ونصبهما على الاولين بالعلية
اي عذرا للمحقين ونذرا للمبطلين او البدلية من ذكرا على ان المراد به الوحي او ما يعم
التوحيد والشرك والايمان والكفر وعلى الثالثة بالحالية وقرأ نذرا ابو عمرو وحمزة
والكسائي وحفص بالتخفيف انما توعدون لواقع جواب القسم ومعناه ان الذي توعدونه
من مجيء القيمة كائن لا محالة فاذا النجوم طمست محقت او اذهب نورها واذا
السماء فرجت صدعت واذا الجبال نسفت كالحب ينسف بالمنسف واذا الرسل
اقتت عين لها وقتها الذي يحضرون فيه للشهادة على الامم بحصوله فانه

فانه لا يتعين لهم قبله او بلغت ميقاتها الذي كانت تنتظره وقرأ ابو عمرو وقتت
على الاصل لاي يوم اجلت اي يقال لاي يوم اخرت وضرب الاجل للجمع وهو تعظيم لليوم
وتعجيب من هوله ويجوز ان يكون ثاني مفعولي اقتت على انه بمعنى اعلمت ليوم الفصل بيان
ليوم التأجيل وما ادريك ما يوم الفصل ومن اين تعلم كنهه ولم تر مثله ويل يومئذ
للمكذبين اي بذلك وويل في الاصل مصدر منصوب باضمار فعله عدل به الى الرفع للدلالة
على ثبات الهلك للمدعو عليه ويومئذ ظرفه او صفته الم نهلك الاولين كقوم نوح
وعاد وثمود وقرئ نهلك من هلكه بمعنى اهلكه ثم نتبعهم الآخرين ثم نحن نتبعهم نظراءهم
ككفار مكة وقرئ بالجزم عطفا على نهلك فيكون الآخرين المتأخرين من المهلكين كقوم لوط
وشعيب وموسى عليهم السلام كذلك مثل ذلك الفعل نفعل بالمجرمين بكل من اجرم ويل
يومئذ للمكذبين بآيات الله وانبيائه وليس بتكرير وكذا ان اطلق التكذيب او علق
في الموضعين بواحد لان الويل الاول لعذاب الآخرة وهذا للهلاك في الدنيا مع ان التكرير
للتوكيد حسن شائع في كلام العرب الم نخلقكم من ماء مهين نطفة مذرة ذليلة فجعلناه
في قرار مكين هو الرحم الى قدر معلوم الى مقدار معلوم من الوقت قدره الله للولادة
فقدرنا على ذلك او فقدرناه ويدل عليه قراءة نافع والكسائي بالتشديد فنعم القادرون
نحن ويل يومئذ للمكذبين بقدرتنا على ذلك او على الاعادة الم نجعل الارض كفاتا
كافتة اسم لما يكفت اي يضم ويجمع كالضمام والجماع لما يضم ويجمع او مصدر نعت به
او جمع كافت كصائم وصيام او كفت وهو الوعاء اجري على الارض باعتبار اقطارها
احياء وامواتا منتصبان على المفعولية وتنكيرهما للتفخيم او لان احياء الانس وامواتهم
بعض الاحياء والاموات او الحالية من مفعوله المحذوف للعلم وهو الانس او بجعل على
المفعولية وكفاتا حال والحالية فيكون المعنى بالاحياء ما ينبت وبالاموات ما لا ينبت
وجعلنا فيها رواسي شامخات جبالا ثوابت طوالا والتنكير للتفخيم والاشعار بان في السماء
جبالا من برد واسقيناكم ماء فراتا بخلق الانهار والمنابع فيها ويل يومئذ للمكذبين
بامثال هذه النعم انطلقوا اي يقال لهم انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون

من العذاب انطلقوا خصوصا وعن يعقوب انطلقوا على الاخبار من امتثالهم
للامر اضطرارا الى ظل يعني ظل دخان جهنم لقوله وظل من يحموم ذي ثلث شعب
يتشعب لعظمه كما ترى الدخان العظيم يتفرق ذوائب وخصوصية الثلث اما لان حجاب
النفس عن انوار القدس الحس والخيال والوهم او لان المؤدي الى هذا العذاب هو القوة
الواهمة الحالة في الدماغ والغضبية التي في يمين القلب والشهوية التي في يساره ولذلك
قيل شعبة تقف فوق الكافر وشعبة عن يمينه وشعبة عن يساره لا ظليل تهكم بهم ورد
لما اوهم لفظ الظل ولا يغني من اللهب وغير مغن عنهم من حر اللهب شيئا انها ترمي
بشرر كالقصر اي كل شررة كالقصر في عظمها ويؤيده انه قرئ بشرار وقيل هو جمع قصرة
وهي الشجرة الغليظة وقرئ كالقصر بمعنى القصور كرهن ورهن وكالقصر جمع قصرة كحاجة
وحوج والهاء للشرر كانه جمالات جمع جمال او جمالة جمع جمل صفر فان الشرار
لما فيه من النارية يكون اصفر وقيل سود فان سواد الابل يضرب الى الصفرة والاول
تشبيه في العظم وهذا في اللون والكثرة والتتابع والاختلاط وسرعة الحركة وقرأ حمزة
والكسائي جمالة وعن يعقوب جمالات بالضم جمع جمالة وقد قرئ بها وهي الحبل الغليظ
من حبال السفينة شبهها بها في امتداده والتفافه ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم
لا ينطقون اي بما يستحق فان النطق بما لا ينفع كلا نطق او بشيء من فرط الدهشة والحيرة
وهذا في بعض المواقف وقرئ بنصب اليوم اي هذا الذي ذكر واقع يومئذ ولا يؤذن
لهم فيعتذرون ويل يومئذ للمكذبين عطف فيعتذرون على يؤذن ليدل على نفي الاذن
والاعتذار عقيبه مطلقا ولو جعله جوابا لدل على عدم اعتذارهم لعدم الاذن
واوهم ذلك ان لهم عذرا لكن لم يؤذن لهم هذا يوم الفصل بين المحق والمبطل جمعناكم
والاولين تقرير وبيان للفصل فان كان لكم كيد فكيدون تقريع لهم على كيدهم
للمؤمنين في الدنيا واظهار لعجزهم ويل يومئذ للمكذبين اذ لا حيلة لهم في التخلص من
العذاب ان المتقين من الشرك لانهم في مقابلة المكذبين في ظلال وعيون وفواكه
مما يشتهون مستقرون في انواع الترفه كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم

تعملون اي مقولا لهم ذلك انا كذلك نجزي المحسنين في العقيدة والعمل ويل يومئذ للمكذبين
يمحض لهم العذاب المخلد ولخصومهم الثواب المؤبد كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون
حال من المكذبين اي الويل ثابت لهم في حال ما يقال لهم ذلك تذكيرا لهم بحالهم في الدنيا وبما جنوا على
انفسهم من ايثار المتاع القليل على النعيم المقيم ويل يومئذ للمكذبين حيث عرضوا انفسهم
على العذاب الدائم بالتمتع القليل واذا قيل لهم اركعوا اطيعوا واخضعوا او صلوا
او اركعوا في الصلوة اذ روي انه نزل حين امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقيفا
بالصلاة فقالوا لا نجبي فانها سبة وقيل هو يوم القيمة حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون
لا يركعون لا يمتثلون واستدل به على ان الامر للوجوب وان الكفار مخاطبون بالفروع
ويل يومئذ للمكذبين فبأي حديث بعده بعد القرآن يؤمنون اذا لم يؤمنوا به وهو
معجز في ذاته مشتمل على الحجج الواضحة والمعاني الشريفة قال النبي صلى الله عليه
وسلم من قرأ سورة والمرسلات كتب له انه ليس من المشركين

سورة النبأ مكية وآيها اربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم عم يتساءلون اصله عن ما فحذف الالف لما مر ومعنى
هذا الاستفهام تفخيم شأن ما يتساءلون عنه كأنه لفخامته خفي جنسه فيسأل عنه والضمير
لاهل مكة كانوا يتساءلون عن البعث فيما بينهم او يسألون الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
استهزاء كقولهم يتداعونهم ويترائونهم اي يدعونهم ويرونهم او للناس عن النبأ العظيم بيان
للشأن المفخم او صلة يتساءلون وعم متعلق بمضمر مفسر به ويدل عليه قراءة يعقوب عمه
الذي هم فيه مختلفون بجزم النفي والشك فيه او بالاقرار والانكار كلا سيعلمون
ردع عن التساؤل ووعيد عليه ثم كلا سيعلمون تكرير للمبالغة وثم للاشعار بان
الوعيد الثاني اشد وقيل الاول عند النزع والثاني في القيمة او الاول للبعث والثاني
للجزاء وعن ابن عامر ستعلمون بالتاء على تقدير قل لهم ستعلمون الم نجعل الارض مهادا
والجبال اوتادا تذكير ببعض ما عاينوا من عجائب صنعه الدالة على كمال قدرته ليستدلوا

بذلك على صحة البعث كما مر تقريره مهادا وقرئ مهدا أي إنها لهم كالمهد للصبي مصدر
سمي به ما يمهد لينوم عليه وخلقناكم أزواجا ذكرا وأنثى وجعلنا نومكم سباتا
قطعا عن الإحساس والحركة استراحة للقوى الحيوانية وإزاحة لكلالها أو موتا لأنه أحد
التوفيين ومنه المسبوت للميت وأصله القطع أيضا وجعلنا الليل لباسا غطاء يستتر بظلمته
من أراد الاختفاء وجعلنا النهار معاشا وقت معاش تتقلبون فيه لتحصيل ما تعيشون به
أو حياة تبعثون فيها عن نومكم وبنينا فوقكم سبعا شدادا سبع سموات أقوياء محكمات
لا يؤثر فيها مرور الدهور وجعلنا سراجا وهاجا متلألئا وقادا من وهجت النار إذا
أضاءت أو بالغا في الحرارة من الوهج وهو الحر والمراد الشمس وأنزلنا من المعصرات السحائب
إذا أعصرت أي شارفت أن تعصرها الرياح فتمطر كقولك أحصد الزرع إذا حان له
أن يحصد ومنه أعصرت الجارية إذا دنت أن تحيض أو من الرياح التي حان لها أن تعصر السحاب
أو الرياح ذوات الأعاصير وإنما جعلت مبدأ للإنزال لأنها تنشئ السحاب وتدر أخلافه
ويؤيده أنه قرئ بالمعصرات ماء ثجاجا منصبا بكثرة يقال ثجه وثج بنفسه وفي الحديث
أفضل الحج العج والثج أي رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدي وقرئ ثجاجا
ومثاجج الماء مصابه لنخرج به حبا ونباتا ما يقتات به وما يعتلف من التبن والحشيش
وجنات ألفافا ملتفة بعضها ببعض جمع لف كجذع قال جنة لف وعيش مغدق
أو لفيف كشريف أو لف جمع لفاء كخضراء وخضر وأخضار أو ملتفة بحذف الزوائد
إن يوم الفصل كان في علم الله أو في حكمه ميقاتا حدا يؤقت به الدنيا وتنتهي عنده
أو حدا للخلائق ينتهون إليه يوم ينفخ في الصور بدل أو بيان ليوم الفصل فتأتون
أفواجا جماعات من القبور إلى المحشر روي أنه صلى الله عليه وسلم سئل عنه فقال يحشر
عشرة أصناف من أمتي بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير
وبعضهم منكسون يسحبون على وجوههم وبعضهم عمي وبعضهم صم بكم وبعضهم
يمضغون ألسنتهم فهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من أفواههم يتقذرهم أهل الجمع
وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار وبعضهم أشد

أشد نتنا من الجيف وبعضهم يلبسون جلابيب سابغة من قطران لازقة بجلودهم ثم فسرهم
بالقتات وأهل السحت وأكلة الربا والجائرين في الحكم والمعجبين بأعمالهم والعلماء الذين
خالف قولهم عملهم والمؤذين جيرانهم والساعين بالناس إلى السلطان والتابعين للشهوات
المانعين حق الله والمتكبرين الخيلاء وفتحت السماء وشققت وقرأ الكوفيون بالتخفيف
فكانت أبوابا فصارت من كثرة الشقوق كأن الكل أبواب أو فصارت ذات
أبواب وسيرت الجبال أي في الهواء كالهباء فكانت سرابا مثل سراب إذ ترى على صورة الجبال
ولم تبق على حقيقتها لتفتت الأجزاء إن جهنم كانت مرصادا موضع رصد
يرصد فيه خزنة النار الكفار أو خزنة الجنة المؤمنين ليحرسوهم من فيحها في مجازهم عليها
كالمضمار فإنه الموضع الذي تضمر فيه الخيل أو مجدة في ترصد الكفرة كيلا يشذ منها أحد كالمطعان
وقرئ أن بالفتح على التعليل لقيام الساعة للطاغين مآبا مرجعا ومأوى لابثين
فيها وقرأ حمزة وروح لبثين وهو أبلغ أحقابا دهورا متتابعة وليس فيه ما يدل
على خروجهم منها إذ لو صح أن الحقب ثمانون سنة أو سبعون ألف سنة فليس فيه ما يقتضي
تناهي تلك الأحقاب لجواز أن يكون المراد أحقابا مترادفة كلما مضى حقب تبعه آخر
وإن كان فمن قبيل المفهوم فلا يعارض المنطوق الدال على خلود الكفار ولو جعل
قوله تعالى لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا إلا حميما وغساقا حالا من المستكن
في لابثين أو نصب أحقابا بلا يذوقون احتمل أن يلبثوا فيها أحقابا غير ذائقين إلا
حميما وغساقا ثم يبدلون جنسا آخر من العذاب ويجوز أن يكون جمع حقب من حقب الرجل
إذا أخطأه الرزق وحقب العام إذا قل مطره وخيره فيكون حالا بمعنى لابثين فيها
حقبين وقوله لا يذوقون تفسير له والمراد بالبرد ما يروحهم وينفس عنهم حر النار أو النوم
وبالغساق ما يغسق أي يسيل من صديدهم وقيل الزمهرير وهو مستثنى من البرد
إلا أنه أخر ليتوافق رؤوس الآي وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالتشديد جزاء وفاقا
أي جوزوا بذلك جزاء ذا وفاق لأعمالهم أو موافقا لها أو وافقها وفاقا وقرئ
وفاقا فعال من وفقه كذا إنهم كانوا لا يرجون حسابا بيان لما وافقه هذا الجزاء

وكذبوا بآياتنا كذابا تكذيبا وفعال بمعنى تفعيل مطرد شايع في كلام الفصحاء
وقرئ بالتخفيف وهو بمعنى الكذب كقوله فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كذابه وانما اقيم مقام
التكذيب للدلالة على انهم كذبوا في تكذيبهم او المكاذبة فانهم كانوا عند المسلمين كاذبين
وكان المسلمون كاذبين عندهم فكان بينهم مكاذبة او كانوا مبالغين في الكذب مبالغة
المبالغين فيه وعلى المعنيين يجوز ان يكون حالا بمعنى كاذبين او مكاذبين ويؤيده انه
قرئ كذابا وهو جمع كاذب ويجوز ان يكون للمبالغة فيكون صفة للمصدر اي تكذيبا
مفرطا كذبه وكل شيء احصيناه وقرئ بالرفع على الابتداء كتابا مصدر لاحصيناه
فان الاحصاء والكتبة يتشاركان في معنى الضبط او لفعله المقدر او حال بمعنى مكتوبا
في اللوح او في صحف الحفظة والجملة اعتراض وقوله تعالى فذوقوا فلن نزيدكم
الا عذابا مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات ومجيئه على طريقة الالتفات للمبالغة
وفي الحديث هذه الآية اشد ما في القرآن على اهل النار ان للمتقين مفازا فوزا او موضع
فوز حدائق واعنابا بساتين فيها انواع الاشجار المثمرة بدل من مفازا بدل الاشتمال
او البعض وكواعب نساء فلكت ثديهن اترابا لداتا وكاسا دهاقا ملآنا
وادهق الحوض ملاه لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا وقرا الكسائي بالتخفيف اي
كذبا او مكاذبة اذ لا يكذب بعضهم بعضا جزاء من ربك بمقتضى وعده عطاء
تفضلا منه اذ لا يجب عليه شيء وهو بدل من جزاء وقيل منتصب به نصب المفعول به
حسابا كافيا من احسبه الشيء اذا كفاه حتى قال حسبي او على حسب اعمالهم وقرئ حسابا
اي محسبا كالدراك بمعنى المدرك رب السموات والارض وما بينهما بدل من ربك
وقد رفعه الحجازيان وابو عمرو على الابتداء الرحمن بالجر صفة له في قراءة ابن عامر
وعاصم ويعقوب وبالرفع في قراءة ابي عمرو وفي قراءة حمزة والكسائي بجر الاول
ورفع الثاني على انه خبر محذوف او مبتدا خبره لا يملكون منه خطابا والواو لاهل
السموات والارض اي لا يملكون خطابه والاعتراض عليه في ثواب او عقاب لانهم
مملوكون له على الاطلاق فلا يستحقون عليه اعتراضا وذلك لا ينافي الشفاعة بإذنه

بإذنه يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال
صوابا تقرير وتوكيد لقوله لا يملكون فان هؤلاء الذين هم افضل الخلائق واقربهم
من الله اذا لم يقدروا ان يتكلموا بما يكون صوابا كالشفاعة لمن ارتضى الا باذنه
فكيف يملكه غيرهم ويوم ظرف للا يملكون او لا يتكلمون والروح ملك موكل على
الارواح او جنسها او جبريل او خلق اعظم من الملائكة ذلك اليوم الحق الكائن
لا محالة فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا بالايمان والطاعة انا انذرناكم
عذابا قريبا يعني عذاب الآخرة وقربه لتحققه فان كل ما هو آت قريب ولان مبداه
الموت يوم ينظر المرء ما قدمت يداه يرى ما قدمه من خير او شر والمرء عام وقيل
هو الكافر لقوله تعالى انا انذرناكم فيكون الكافر ظاهرا وضع موضع الضمير لزيادة
الذم وما موصولة منصوبة بينظر او استفهامية منصوبة بقدمت اي ينظر اي
شيء قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا في الدنيا فلم اخلق ولم اكلف
او في هذا اليوم فلم ابعث وقيل يحشر سائر الحيوانات للاقتصاص ثم ترد ترابا فيود الكافر
حالها عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة عم سقاه الله برد الشراب يوم القيمة

سورة والنازعات وآيها خمس او ست واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم والنازعات غرقا والناشطات نشطا
والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا هذه صفات
ملائكة الموت فانهم ينزعون ارواح الكفار من ابدانهم غرقا اي اغراقا في النزع
فانهم ينزعونها من اقاصي الابدان او نفوسا غرقة في الاجساد وينشطون اي يخرجون
ارواح المؤمنين برفق من نشط الدلو من البئر اذا اخرجها ويسبحون في اخراجها
سبح الغواص الذي يخرج الشيء من اعماق البحر فيسبقون بارواح الكفار الى النار
وبارواح المؤمنين الى الجنة فيدبرون امر عقابها وثوابها بان يهيئوا لادراكها

اعدتها من الآلام واللذات او الطيارات او للباقيات لطوائف من الملائكة يسبحون في مضيها
اي يسرعون فيه فيسبقون الى ما امروا به فيدبرون امره او صفات النجوم فانها تنزع
من المشرق الى المغرب غرقا في النزع بان تقطع الفلك حتى تنحط في اقصى المغرب وتنشط
من برج الى برج اي تخرج من نشط الثور اذا خرج من بلد الى بلد وتسبح في الفلك
فيسبق بعضها في السير لكونه اسرع حركة فتدبر امرا نيط بها كاختلاف الفصول وتقدير الازمنة
وظهور مواقيت العبادات ولما كانت حركاتها من المشرق الى المغرب قسرية وحركاتها من
برج الى برج ملائمة سمي الاولى نزعا والثانية نشطا او صفات النفوس الفاضلة حال المفارقة
فانها تنزع عن الابدان غرقا اي نزعا شديدا من اغراق النازع في القوس فتنشط الى عالم
الملكوت فتسبح فيها فتسبق الى حظائر القدس فتصير لشرفها وقوتها من المدبرات او حال سلوكها
فانها تنزع عن الشهوات وتنشط الى عالم القدس فتسبح في مراتب الارتقاء
فتسبق الى الكمالات حتى تصير من المكملات او صفات انفس الغزاة او ايديهم
تنزع القسي باغراق السهام وينشطون بالسهم للرمي ويسبحون في البر والبحر فيسبقون
الى حرب العدو فيدبرون امرها او صفات خيلهم فانها تنزع في اعنتها نزعا تغرق
فيه الاعنة لطول اعناقها وتخرج من دار الاسلام الى دار الكفر وتسبح في جريها
فتسبق الى العدو فتدبر امر الظفر اقسم الله تعالى بها على قيام الساعة وانما حذف لدلالة
ما بعده عليه يوم ترجف الراجفة وهو منصوب به والمراد بالراجفة الاجرام
الساكنة التي تشتد حركتها حينئذ كالارض والجبال لقوله يوم ترجف الارض والجبال
او الواقعة التي ترجف الاجرام عندها وهي النفخة الاولى تتبعها الرادفة التابعة وهي السماء
والكواكب تنشق وتنتثر او النفخة الثانية والجملة في موضع الحال قلوب يومئذ واجفة شديدة
الاضطراب من الوجيف وهي صفة القلوب والخبر ابصارها خاشعة اي ابصار
اصحابها ذليلة من الخوف ولذلك اضافها الى القلوب يقولون ائنا لمردودون
في الحافرة في الحالة الاولى يعنون الحياة بعد الموت من قولهم رجع فلان في حافرته
اي طريقته التي جاء فيها فحفرها اي اثر فيها بمشيه على النسبة كقوله عيشة راضية او تشبيه

نسبة الفاعل بالفاعل وقرئ في الحفرة يقال حفرت اسنانه فحفرت حفرا وهي حفرة ائذا
كنا وقرأ نافع وابن عامر والكسائي اذا كنا على الخبر عظاما ناخرة بالية وقرأ الحجازيان
وابو عمرو والشامي وحفص وروح نخرة وهي ابلغ قالوا تلك اذا كرة خاسرة ذات
خسران او خاسر اصحابها والمعنى انها ان صحت فنحن اذا خاسرون لتكذيبنا بها وهو استهزاء منهم
فانما هي زجرة واحدة متعلق بمحذوف اي لا تستصعبوها فما هي الا صيحة واحدة يعني
النفخة الثانية فاذا هم بالساهرة فاذا هم احياء على وجه الارض بعد ما كانوا امواتا
في بطنها والساهرة الارض البيضاء المستوية سميت بذلك لان السراب يجري فيها
من قولهم عين ساهرة للتي يجري ماؤها وفي ضدها نائمة او لان سالكها يسهر خوفا
وقيل اسم جهنم هل اتاك حديث موسى اليس قد اتاك حديثه فيسليك على تكذيب قومك
ويهددهم عليه بان يصيبهم مثل ما اصاب من هو اعظم منهم اذ ناداه ربه بالواد المقدس
طوى قد مر بيانه في سورة طه اذهب الى فرعون انه طغى على ارادة القول وقرئ
ان اذهب لما في النداء من معنى القول فقل هل لك الى ان تزكى هل لك ميل الى ان
تتطهر من الكفر والطغيان وقرأ الحجازيان ويعقوب تزكى بالتشديد واهديك الى ربك
وارشدك الى معرفته فتخشى باداء الواجبات وترك المحرمات اذ الخشية انما تكون بعد
المعرفة وهذا كالتفصيل لقوله تعالى فقولا له قولا لينا فاراه الآية الكبرى اي فذهب
وبلغ فاراه المعجزة الكبرى وهي قلب العصا حية فانه كان المقدم والاصل او مجموع معجزاته
فانها باعتبار دلالتها كالآية الواحدة فكذب وعصى فكذب موسى وعصى الله تعالى
بعد ظهور الآية وتحقق الامر ثم ادبر عن الطاعة يسعى ساعيا في ابطال امره او ادبر بعدما
رأى الثعبان مرعوبا مسرعا في مشيه فحشر فجمع السحرة او جنوده فنادى في المجمع بنفسه او بمناد
ان في ذلك لعبرة لمن يخشى لمن كان من شأنه الخشية ءانتم اشد خلقا اصعب خلقا ام السماء
ثم بين كيف خلقها فقال بناها ثم بين البناء فقال رفع سمكها اي جعل مقدار ارتفاعها
من الارض او ثخنها الذاهب في العلو رفيعا فسواها فعدلها اي فجعلها مستوية او
فتممها بما يتم به كمالها من الكواكب والتداوير وغيرها من قولهم سوى فلان امره اذا اصلحه

واغطش ليلها اظلمه منقول من غطش الليل اذا اظلم وانما اضاف اليها لانها تحدث
بحركتها واخرج ضحيها وابرز ضوء شمسها كقوله تعالى والشمس وضحيها يريد النهار
والارض بعد ذلك دحيها بسطها او مهدها للسكنى اخرج منها ماءها بتفجير العيون
ومرعيها ورعيها وهو فى الاصل لموضع الرعى وتجريد الجملة عن العاطف لانها حال
باضمار قد او بيان للدحو والجبال ارسيها اثبتها وقرى والارض والجبال بالرفع على
الابتداء وهو مرجوح لان العطف على فعلية متاعا لكم ولانعامكم تمتيعا لكم ولانعامكم
فاذا جاءت الطامة الداهية التى تطم اى تعلو على سائر الدواهى الكبرى التى هى
اكبر الطامات وهى القيمة او النفخة الثانية او الساعة التى يساق فيها اهل الجنة الى الجنة
واهل النار الى النار يوم يتذكر الانسان ما سعى بان يراه مدونا فى صحيفته وكان قد
نسيها من فرط الغفلة او طول المدة وهو بدل من اذا جاءت وما موصولة او مصدرية
وبرزت الجحيم واظهرت لمن يرى لكل راء بحيث لا يخفى على احد وقرى وبرزت ولمن
راى ولمن ترى على ان فيه ضمير الجحيم كقوله تعالى اذا راتهم من مكان بعيد وانه خطاب
للرسول صلى الله عليه وسلم اى لمن تراه من الكفار وجواب فاذا جاءت محذوف دل عليه
يوم يتذكر الانسان او ما بعده من التفصيل فاما من طغى حتى كفر وآثر الحيوة الدنيا
فانهمك فيها ولم يستعد للآخرة بالعبادة وتهذيب النفس فان الجحيم هى المأوى
هى مأواه واللام فيه ساد مسد الاضافة للعلم بان صاحب المأوى هو الطاغى
وهى فصل او مبتدأ واما من خاف مقام ربه مقامه بين يدى ربه لعلمه بالمبدأ
والمعاد ونهى النفس عن الهوى لعلمه بانه مرد ودفان الجنة هى المأوى ليس له سواها
مأوى يسئلونك عن الساعة ايان مرسيها متى ارساؤها اى اقامتها واثباتها او منتهاها
ومستقرها من مرسى السفينة وهو حيث ينتهى اليه ويستقر فيه فيم انت من ذكريها
فى اى شئ انت من ان تذكر وقتها لهم اى ما انت من ذكرها لهم وتبيين وقتها فى شئ فان
ذكرها لا يزيدهم الا غيا ووقتها مما استأثر الله بعلمه وقيل فيم انكار لسؤالهم
وانت من ذكريها مستأنف معناه انت ذكر من ذكرها اى علامة من اشراطها فان ارساله

خاتما للانبياء عليهم السلام امارة من اماراتها وقيل انه متصل بسؤالهم
والجواب الى ربك منتهيها اى منتهى علمها انما انت منذر من يخشيها انما بعثت للانذار
من يخاف هولها وهو لا يناسب تعيين الوقت وتخصيص من يخشى لانه المنتفع به
وعن ابى عمرو منذر بالتنوين والاعمال على الاصل لانه بمعنى الحال كانهم يوم يرونها لم يلبثوا
اى فى الدنيا او فى القبور الا عشية او ضحيها اى عشية يوم او ضحاه كقوله تعالى الا ساعة
من نهار ولذلك اضاف الضحى الى العشية لانهما من يوم واحد عن النبى صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة النازعات كان ممن حبسه الله فى القيمة حتى يدخل الجنة قدر صلوة مكتوبة

سورة عبس مكية وهى احدى واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم عبس وتولى ان جاءه الاعمى روى ان ابن ام مكتوم اتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صناديد قريش يدعوهم الى الاسلام فقال يا رسول
الله علمنى مما علمك الله وكرر ذلك ولم يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله صلى الله
عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس واعرض عنه فنزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يكرمه ويقول اذا رآه مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى واستخلفه على المدينة مرتين وقرى
أان جاءه بهمزتين وبالف بينهما بمعنى ألان جاءه الاعمى فعل ذلك رسول الله صلى الله
عليه وسلم وذكر الاعمى للاشعار بعذره فى الاقدام على قطع كلام الرسول صلى
الله عليه وسلم بالقوم والدلالة على انه احق بالرأفة والرفق او لزيادة الانكار
كانه قال تولى لكونه اعمى كالالتفات فى قوله تعالى وما يدريك لعله يزكى اى واى شئ
يجعلك داريا بحاله لعله يتطهر من الآثام بما يتلقف منك وفيه ايماء بان اعراضه
لتزكية غيره او يذكر فتنفعه الذكرى او يتعظ فتنفعه موعظتك وقيل الضمير فى لعله
للكافر اى انك طمعت فى تزكيته بالاسلام
وتذكره بالموعظة ولذلك اعرضت عن غيره فما يدريك ان ما طمعت فيه

عبس بالتشديد للمبالغة وأان جاءه
علة لتولى او عبس على اختلاف
المذهبين وقرى م

كان وقرأ عاصم بالنصب جوابا للعل أما من استغنى فأنت له تصدى تتعرض
بالإقبال عليه واصله تتصدى وقرأ ابن كثير ونافع تصدى بالإدغام
وقرئ تصدى أي تعرض وتدعى إلى التصدي وما عليك ألا يزكى وليس
عليك بأس في أن لا يتزكى بالإسلام حتى يبعثك الحرص على إسلامه إلى الإعراض
عمن أسلم إن عليك إلا البلاغ وأما من جاءك يسعى يسرع طالبا للخير وهو
يخشى الله أو أذية الكفار في إتيانك أو كبوة الطريق لأنه أعمى لا قائد له فأنت
عنه تلهى تتشاغل يقال لهى عنه والتهى وتلهى ولعل ذكر التصدي والتلهي
للإشعار بأن العتاب على اهتمام قلبه بالغني وتلهيه عن الفقير ومثله لا ينبغي له
ذلك كلا ردع عن المعاتب عليه أو عن معاودة مثله إنها تذكرة فمن شاء ذكره
حفظه أو اتعظ به والضميران للقرآن أو العتاب المذكور وتأنيث الأول
لتأنيث خبره في صحف مثبتة فيها صفة لتذكرة أو خبر ثان أو خبر محذوف
مكرمة عند الله تعالى مرفوعة أي مرفوعة القدر مطهرة منزهة عن أيدي
الشياطين بأيدي سفرة كتبة من الملائكة أو الأنبياء ينتسخون الكتب من
اللوح أو الوحي أو سفراء يسفرون بين الله تعالى ورسله أو الأمة
جمع سافر من السفر أو السفارة والتركيب للكشف يقال سفرت المرأة إذا كشفت
وجهها كرام أعزاء على الله تعالى أو متعطفين على المؤمنين يكلمونهم ويستغفرون
لهم بررة أتقياء قتل الإنسان ما أكفره دعاء عليه بأشنع الدعوات
وتعجب من إفراطه في الكفران وهو مع قصره يدل على سخط عظيم وذم بليغ
من أي شيء خلقه بيان لما أنعم عليه خصوصا من مبدأ حدوثه والاستفهام
للتحقير ولذلك أجاب عنه بقوله من نطفة خلقه فقدره فهيأه لما يصلح له
من الأعضاء والأشكال أو فقدره أطوارا إلى أن تم خلقته ثم السبيل يسره
ثم سهل مخرجه من بطن أمه بأن فتح فوهة الرحم وألهمه أن ينتكس أو ذلل له سبيل الخير
والشر ونصب السبيل بفعل يفسره الظاهر للمبالغة في التيسير وتعريفه باللام بدل الإضافة

للإشعار بأنه سبيل عام وفيه على المعنى الأخير إيماء بأن الدنيا طريق والمقصد غيرها
ولذلك عقبه بقوله ثم أماته فأقبره ثم إذا شاء أنشره وعد الإماتة والإقبار
في النعم لأن الإماتة وصلة في الجملة إلى الحياة الأبدية واللذات الخالصة
والأمر بالقبر تكرمة وصيانة عن السباع وفي إذا شاء إشعار بأن وقت النشور
غير متعين في نفسه وإنما هو موكول إلى مشيئته تعالى كلا ردع للإنسان عما هو
عليه لما يقض ما أمره لم يقض بعد من لدن آدم إلى هذه الغاية ما أمره الله تعالى بأسره
إذ لا يخلو أحد عن تقصير ما فلينظر الإنسان إلى طعامه إتباع للنعم الذاتية بالنعم الخارجية
أنا صببنا الماء صبا استئناف مبين لكيفية إحداث الطعام وقرأ الكوفيون بالفتح على
البدل منه بدل الاشتمال ثم شققنا الأرض شقا بالنبات أو بالكراب وأسند الشق
إلى نفسه إسناد الفعل إلى السبب فأنبتنا فيها حبا كالحنطة والشعير وعنبا وقضبا
يعني الرطبة سميت بمصدر قضبه إذا قطعه لأنها تقضب مرة بعد أخرى وزيتونا
ونخلا وحدائق غلبا عظاما وصف به الحدائق لتكاثفها وكثرة أشجارها أو لأنها
ذات أشجار غلاظ مستعار من وصف الرقاب وفاكهة وأبا ومرعى من أب إذا أم لأنه
يؤم وينتجع أو من أب لكذا إذا تهيأ له لأنه متهيئ للرعي أو فاكهة يابسة تؤكل
للشتاء متاعا لكم ولأنعامكم فإن الأنواع المذكورة بعضها طعام وبعضها علف
فإذا جاءت الصاخة أي النفخة وصفت بها مجازا لأن الناس يصخون لها يوم يفر المرء من أخيه
وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لاشتغاله بشأنه وعلمه بأنهم لا ينفعونه أو للحذر من
مطالبتهم بما قصر في حقهم وتأخير الأحب فالأحب للمبالغة كأنه قيل يفر من أخيه بل من
أبويه بل من صاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه وجوه يومئذ مسفرة مضيئة
من أسفر الصبح ضاحكة مستبشرة بما ترى من النعيم يكفيه بالاهتمام به وقرئ يعنيه أي يهمه ووجوه
يومئذ عليها غبرة غبار وكدورة ترهقها قترة يغشاها سواد وظلمة أولئك هم الكفرة
الفجرة الذين جمعوا إلى الكفر الفجور فلذلك جمع إلى سواد وجوههم الغبرة قال
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عبس جاء يوم القيامة ووجهه ضاحك

سورة التكوير مكية وآيها تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم إذا الشمس كورت لفت من كورت العمامة إذا
لففتها بمعنى رفعت لأن الثوب إذا أريد رفعه لف أو لف ضوؤها فذهب انبساطه
في الآفاق وهو أثرها أو ألقيت عن فلكها من طعنه فكوره إذا ألقاه مجتمعا والتركيب للإدارة
والجمع وارتفاع الشمس بفعل يفسره ما بعدها أولى لأن إذا الشرطية تطلب الفعل وإذا
النجوم انكدرت انقضت قال أبصر خربان فضاء فانكدر أو أظلمت من كدرت
الماء فانكدر وإذا الجبال سيرت عن وجه الأرض أو في الجو وإذا العشار النوق
اللاتي أتى على حملهن عشرة أشهر جمع عشراء عطلت تركت مهملة أو السحائب عطلت
عن المطر وقرئ بالتخفيف وإذا الوحوش حشرت جمعت من كل جانب أو بعثت للقصاص
ثم ردت ترابا أو أميتت من قولهم إذا أجحفت السنة بالناس حشرتهم وقرئ بالتشديد
وإذا البحار سجرت أحميت أو ملئت بتفجير بعضها إلى بعض حتى تعود بحرا من سجر التنور
إذا ملأه بالحطب ليحميه وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وروح بالتخفيف وإذا النفوس
زوجت قرنت بالأبدان أو كل منها بشكلها أو بكتابها وعملها أو نفوس المؤمنين
بالحور ونفوس الكافرين بالشياطين وإذا الموءودة المدفونة حية وكانت العرب
تئد البنات مخافة الإملاق أو لحوق العار بهم من أجلهن سئلت بأي ذنب قتلت
تبكيتا لوائدها كتبكيت النصارى بقوله تعالى لعيسى عليه السلام أأنت قلت للناس
اتخذوني وأمي إلهين من دون الله وقرئ سألت أي خاصمت عن نفسها وقتلت
على الخطاب عنها وقرئ قتلت على الحكاية وإذا الصحف نشرت يعني صحف الأعمال
فإنها تطوى عند الموت وتنشر وقت الحساب وقيل نشرت فرقت بين أصحابها وقرأ
ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي بالتشديد للمبالغة في النشر أو لكثرة الصحف أو شدة
التطاير وإذا السماء كشطت قلعت وأزيلت كما يكشط الإهاب عن الذبيحة
وقرئ قشطت واعتقاب القاف والكاف كثير وإذا الجحيم سعرت وإذا الجنة

الجنة أزلفت قربت من المؤمنين علمت نفس ما أحضرت جواب إذا وإنما صح و
المذكور في سياقها اثنتا عشرة خصلة ست منها في مبادئ قيام الساعة قبل فناء الدنيا
وست بعده لأن المراد زمان متسع شامل لها وللمجازاة النفوس على أعمالها ونفس في معنى
العموم كقولهم تمرة خير من جرادة فلا أقسم بالخنس بالكواكب الرواجع من خنس إذا تأخر
وهي ما سوى النيرين من السيارات ولذلك وصفها بقوله الجوار الكنس أي السيارات التي
تختفي تحت ضوء الشمس من كنس الوحشي إذا دخل كناسه وهو بيته المتخذ من أغصان
الشجر والليل إذا عسعس أقبل ظلامه أو أدبر وهو من الأضداد يقال عسعس الليل وسعسع
إذا أدبر والصبح إذا تنفس أي أضاء عبر به عن إقبال روح ونسيم إنه أي القرآن
لقول رسول كريم يعني جبريل عليه السلام فإنه قاله عن الله تعالى ذي قوة كقوله شديد
القوى عند ذي العرش مكين عند الله ذي مكانة مطاع في ملائكته ثم أمين على الوحي
يحتمل اتصاله بما قبله وبما بعده وقرئ ثم تعظيما للأمانة وتفضيلا لها على سائر الصفات
وما صاحبكم بمجنون كما بهته الكفرة واستدل بذلك على فضل جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم
حيث عد فضائله واقتصر على نفي الجنون عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو ضعيف إذ المقصود منه
نفي قولهم إنما يعلمه بشر افترى على الله كذبا أم به جنة لا تعداد فضلهما والموازنة بينهما
ولقد رآه ولقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل بالأفق المبين بمطلع الشمس
الأعلى وما هو وما محمد صلى الله عليه وسلم على الغيب على ما يخبره من الوحي إليه وغيره من الغيوب
بظنين بمتهم من الظنة وهي التهمة وقرأ نافع وعاصم وحمزة وابن عامر بضنين من الضن وهو
البخل أي لا يبخل بالتبليغ والتعليم والضاد من أصل حافة اللسان وما يليها من الأضراس من
يمين اللسان أو يساره والظاء من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا وما هو بقول
شيطان رجيم بقول بعض المسترقة للسمع وهو نفي لقولهم إنه لكهانة وسحر فأين تذهبون
استضلال لهم فيما يسلكونه في أمر الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن كقولك لتارك
الجادة أين تذهب إن هو إلا ذكر للعالمين تذكير لمن يعلم لمن شاء منكم أن يستقيم
بتحري الحق وملازمة الصواب وإبداله من العالمين لأنهم المنتفعون بالتذكير وما تشاؤون

الاستقامة يا من يشا وما تشاؤن الا ان يشاء الله الا وقت ان يشاء الله مشيتكم
فله الفضل والحق عليكم باستقامتكم رب العالمين مالك الخلق كله قال صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة التكوير اعاذه الله ان يفضحه حين تنشر صحيفته

سورة الانفطار مكية وآيها تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم اذا السماء انفطرت انشقت واذا الكواكب انتثرت
اي تساقطت متفرقة واذا البحار فجرت فتح بعضها الى بعض فصار الكل بحرا واحدا
واذا القبور بعثرت قلبت ترابها واخرج موتاها وقيل انه مركب من بعث وراء الاثارة
تسمل فنظيره بحثر لفظا ومعنى علمت نفس ما قدمت من عمل او صدقة واخرت من
سيئة تركة ويجوز ان يراد بالتأخير التضييع وهو جواب اذا يا ايها الانسان
ما غرك بربك الكريم اي شيء خدعك وجراك على عصيانه وذكر الكريم للمبالغة في المنع
عن الاغترار فان محض الكرم لا يقتضي اهمال الظالم وتسوية الموالي والمعادي والمطيع
والعاصي فكيف اذا انضم اليه صفة القهر والانتقام والاشعار بما به يغره الشيطان
فانه يقول له افعل ما شئت فربك الكريم لا يعذب احدا او لا يعاجل بالعقوبة والدلالة
على ان كثرة كرمه تستدعي الجد في طاعته لا الانهماك في عصيانه اغترارا بكرمه الذي خلقك
فسويك فعدلك صفة ثانية مقررة للربوبية مبينة للكرم منبهة على ان من قدر على ذلك اولا قدر
عليه ثانيا والتسوية جعل الاعضاء سليمة مسواة معدة لمنافعها والتعديل جعل البنية
معتدلة متناسبة الاعضاء او معدلة بما تستعدها من القوى وقرأ الكوفيون فعدلك
بالتخفيف اي عدل بعض اعضائك ببعض حتى اعتدلت او فصرفك عن خلقة غيرك او ميز
بخلقة فارقت خلقة سائر الحيوانات في اي صورة ما شاء ركبك اي ركبك في اي
صورة شاءها وما مزيدة وقيل شرطية وركبك جوابها والظرف صلة عدلك وانما
لم تعطف الجملة على ما قبلها لانها بيان لعدلك كلا ردع عن الاغترار بكرم الله تعالى
وقوله بل تكذبون بالدين اضراب الى بيان ما هو السبب الاصلي في اغترارهم والمراد

والمراد بالدين الجزاء او الاسلام وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون
تحقيق لما يكذبون به ورد لما يتوقعون من التسامح والاهمال وتعظيم الكتبة بكونهم كراما
عند الله لتعظيم الجزاء ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم بيان لما يكتبون لاجله
يصلونها يقاسون حرها يوم الدين وما هم عنها بغائبين لخلودهم فيها وقيل معناه
وما يغيبون عنها قبل ذلك اذ كانوا يجدون سمومها في القبور وما ادريك ما يوم الدين
ثم ما ادريك ما يوم الدين تعجيب وتفخيم لشان اليوم اي كنه امره بحيث لا تدركه دراية دار
يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله تقرير لشدة هوله وفخامة امره اجمالا ورفع
ابن كثير والبصريان يوم على البدل من يوم الدين او الخبر لمحذوف قال صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة انفطرت كتب الله بعدد كل قطرة من السماء حسنة وبعدد كل قبر حسنة

سورة المطففين مختلف فيها وهي ست وثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم ويل للمطففين التطفيف البخس في الكيل والوزن
لان ما يبخس طفيف اي حقير روي ان اهل المدينة كانوا اخبث الناس كيلا فنزلت فاحسنوه
وفي الحديث خمس بخمس ما نقض العهد قوم الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما انزل
الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت وما طففوا الكيل
الا منعوا النبات واخذوا بالسنين ولا منعوا الزكوة الا حبس عنهم القطر الذين اذا
اكتالوا على الناس يستوفون اي اذا اكتالوا من الناس حقوقهم يأخذونها وافية وانما
ابدل على بمن للدلالة على ان اكتيالهم لما لهم على الناس او اكتيال يتحامل فيه عليهم واذا
كالوهم او وزنوهم اي اذا كالوا للناس او وزنوا لهم يخسرون فحذف الجار واوصل
الفعل كقوله ولقد جنيتك اكموا وعساقلا بمعنى جنيت لك او كالوا مكيلهم فحذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ولا يحسن جعل المنفصل تأكيدا للمتصل فانه يخرج الكلام
عن مقابلة ما قبله اذ المقصود بيان اطلاقهم في الاخذ والدفع لا في المباشرة وعدمها

ويستدعي اثبات الالف بعد الواو كما هو خط المصحف في نظايره الا يظن اولئك
انهم مبعوثون فان من ظن ذلك لم يتجاسر على امثال هذه القبايح فكيف بمن تيقنه
وفيه انكار وتعجيب من حالهم ليوم عظيم عظمه لعظم ما يكون فيه يوم يقوم الناس
نصب بمبعوثون او بدل من الجار والمجرور ويؤيده القراءة بالجر لرب العالمين
لحكمه وفي هذا الانكار والتعجيب وذكر الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه
لله والتعبير عنه برب العالمين مبالغات في المنع عن التطفيف وتعظيم اثمه كلا ردع
عن التطفيف والغفلة عن البعث والحساب ان كتاب الفجار ما يكتب من اعمالهم
او كتابة اعمالهم لفي سجين كتاب جامع لاعمال الفجرة من الثقلين كما قال وما
ادريك ما سجين كتاب مرقوم اي مسطور بين الكتابة او معلم يعلم من رآه انه
لا خير فيه فعيل من السجن لقب به الكتاب لانه سبب الحبس او لانه مطروح كما قيل تحت الارضين
في مكان وحش وقيل هو اسم المكان والتقدير ما كتاب السجين او محل كتاب مرقوم
فحذف المضاف ويل يومئذ للمكذبين بالحق او بذلك الذين يكذبون بيوم الدين
صفة مخصصة او موضحة او ذامة وما يكذب به الا كل معتد متجاوز عن النظر
غال في التقليد حتى استقصر قدرة الله تعالى وعلمه فاستحال منه الاعادة اثيم
منهمك في الشهوات المخدجة بحيث اشغلته عما وراءها وحملته على الانكار لما عداها
اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين من فرط جهله واعراضه عن الحق فلا تنفعه شواهد
النقل كما لم تنفعه دلايل العقل كلا ردع عن هذا القول بل ران على قلوبهم ما كانوا
يكسبون رد لما قالوه وبيان لما ادى بهم هذا القول بان غلب عليهم حب المعاصي بالانهماك
فيه حتى صار ذلك صدا على قلوبهم فعمي عليهم معرفة الحق والباطل فان كثرة الافعال
سبب لحصول الملكات كما قال صلى الله عليه وسلم ان العبد كلما اذنب ذنبا حصل في قلبه نكتة
سوداء حتى يسود قلبه والرين الصدا وقرأ حفص بل ران باظهار اللام كلا ردع
عن الكسب الراين انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فلا يرونه بخلاف المؤمنين ومن انكر الرؤية
جعله تمثيلا لاهانتهم باهانة من يمنع عن الدخول على الملوك او قدر مضافا مثل رحمة ربهم او

او قرب ربهم ثم انهم لصالوا الجحيم ليدخلون النار ويصلون بها ثم يقال هذا الذي
كنتم به تكذبون تقوله لهم الزبانية كلا تكرير للاول ليعقب بوعد الابرار كما عقب
بوعيد الفجار اشعارا بان التطفيف فجور والايفاء بر او ردع عن التكذيب ان كتاب
الابرار لفي عليين وما ادريك ما عليون كتاب مرقوم الكلام فيه ما مر في نظيره
يشهده المقربون يحضرونه فيحفظونه او يشهدون على ما فيه يوم القيمة ان الابرار لفي
نعيم على الارائك على الاسرة في الحجال ينظرون الى ما يسرهم من النعم والمتفرجات
تعرف في وجوههم نضرة النعيم بهجة التنعم وبريقه وقرأ يعقوب تعرف على بناء المفعول
ونضرة بالرفع يسقون من رحيق شراب خالص مختوم ختامه مسك اي مختوم اوانيه
بالمسك مكان الطين ولعله تمثيل لنفاسته او الذي له ختام اي مقطع هو رائحة المسك
وقرأ الكسائي خاتمه بفتح التاء اي ما يختم به ويقطع وفي ذلك يعني الرحيق او النعيم
فليتنافس المتنافسون فليرتغب المرتغبون ومزاجه من تسنيم علم لعين بعينها سميت تسنيما
لارتفاع مكانها او رفعة شرابها عينا يشرب بها المقربون فانهم يشربونها صرفا لانهم
لم يشتغلوا بغير الله ويمزج لساير اهل الجنة وانتصاب عينا على المدح او الحال من تسنيم
والكلام في الباء كما في يشرب بها عباد الله ان الذين اجرموا يعني رؤساء قريش
كانوا من الذين امنوا يضحكون كانوا يستهزؤن بفقراء المؤمنين واذا مروا بهم يتغامزون
يغمز بعضهم بعضا ويشيرون باعينهم واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فاكهين متلذذين
بالسخرية منهم وقرأ حفص فكهين واذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون واذا
رأوا المؤمنين نسبوهم الى الضلال وما ارسلوا عليهم على المؤمنين حافظين يحفظون عليهم
اعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون حين
يرونهم اذلاء مغلولين في النار وقيل يفتح لهم باب الى الجنة فيقال لهم اخرجوا اليها فاذا
وصلوا اغلق دونهم فيضحك المؤمنون منهم على الارائك ينظرون حال من يضحكون
هل ثوب الكفار هل اثيبوا ما كانوا يفعلون وقرأ حمزة والكسائي بادغام اللام في الثاء قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المطففين سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيمة

سورة الانشقاق مكية وآيها خمس وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم إذا السماء انشقت بالغمام كقوله تعالى ويوم تشقق السماء
بالغمام وعن علي رضي الله عنه تنشق من المجرة وأذنت لربها واستمعت له أي انقادت
لتأثير قدرته حين أراد انشقاقها انقياد المطواع الذي يأذن للآمر ويذعن له وحقت
أي وجعلت حقيقة بالاستماع والانقياد يقال حق بكذا فهو محقوق وحقيق وإذا
الأرض مدت بسطت بأن تزال جبالها وآكامها وألقت ما فيها ما في جوفها من الكنوز
والأموات وتخلت وتكلفت في الخلو أقصى جهدها حتى لم يبق شيء في باطنها وأذنت
لربها في الإلقاء والتخلية وحقت للإذن وتكرير إذا لاستقلال كل من الجملتين بنوع
من القدرة وجوابه محذوف للتهويل بالإبهام والاكتفاء بما مر في سورة التكوير والانفطار
أو بدلالة قوله يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه عليه وتقديره
لاقى الإنسان كدحه أي جهدا يؤثر فيه من كدحه إذا خدشه أو فملاقيه ويا أيها الإنسان
إنك كادح إلى ربك اعتراض والكدح إليه السعي إلى لقاء جزائه فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف
يحاسب حسابا يسيرا سهلا لا يناقش فيه وينقلب إلى أهله مسرورا إلى عشيرته المؤ
منين أو أهله في الجنة من الحور وأما من أوتي كتابه وراء ظهره أي يؤتى كتابه
بشماله من وراء ظهره قيل تغل يمناه إلى عنقه ويجعل يسراه وراء ظهره فسوف يدعو
ثبورا يتمنى الثبور ويقول يا ثبوراه وهو الهلاك ويصلى سعيرا وقرأ الحجازيان
والشامي والكسائي ويصلى سعيرا كقوله وتصلية جحيم وقرئ ويصلى كقوله ونصليه
إنه كان في أهله في الدنيا مسرورا بطرا بالمال والجاه فارغا عن الآخرة إنه ظن أن
لن يحور لن يرجع إلى الله بلى إيجاب لما بعد لن إن ربه كان به بصيرا عالما بأعماله
فلا يهمله بل يرجعه ويجازيه فلا أقسم بالشفق الحمرة التي ترى في أفق المغرب بعد الغروب
وعن أبي حنيفة رضي الله عنه أنه البياض الذي يليها سمي به لرقته ومنه الشفقة والليل وما
وسق وما جمعه وستره من الدواب وغيرها يقال وسقه فاتسق واستوسق قال
مستوسقات لو يجدن سائقا أو طرده إلى أماكنه من الوسيقة والقمر إذا اتسق اجتمع
وتم بدرا لتركبن طبقا عن طبق حالا بعد حال مطابقة لأختها في الشدة وهو لما يطابق غيره
فقيل للحال المطابقة أو مراتب من الشدة بعد المراتب هي الموت ومواطن القيمة وأهوالها
أو هي وما قبلها من الدواهي على أنه جمع طبقة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي لتركبن بالفتح
خطابا للإنسان باعتبار اللفظ أو الرسول صلى الله عليه وسلم على معنى لتركبن حالا شريفة
ومرتبة عالية بعد حال ومرتبة أو طبقا من أطباق السماء بعد طبق ليلة المعراج وبالكسر على خطاب
النفس وبالياء على الغيبة وعن طبق صفة لطبقا أو حال من الضمير بمعنى مجاوزا لطبق أو مجا
وزا له فما لهم لا يؤمنون بيوم القيمة وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون لا يخضعون أو لا
يسجدون لتلاوته لما روي أنه صلى الله عليه وسلم قرأ واسجد واقترب فسجد بمن معه من
المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤوسهم فنزلت واحتج به أبو حنيفة على وجوب السجود فإنه
ذم لمن سمع فلم يسجد وعن أبي هريرة أنه سجد فيها وقال ما سجدت فيها إلا بعد أن رأيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد فيها بل الذين كفروا يكذبون بالقرآن
والله أعلم بما يوعون بما يضمرون في صدورهم من الكفر والعداوة فبشرهم بعذاب أليم
استهزاء بهم إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات استثناء منقطع أو متصل والمراد من
تاب وآمن منهم لهم أجر غير ممنون مقطوع أو ممنون به عليهم عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة انشقت أعاذه الله أن يعطيه كتابه من وراء ظهره

سورة البروج مكية وآيها ثنتان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم والسماء ذات البروج الاثني عشر شبهت بالقصور
لأنها تنزلها السيارات ويكون فيها الثوابت ومنازل القمر أو عظام الكواكب
سميت بروجا لظهورها أو أبواب السماء فإن النوازل تخرج منها وأصل التركيب
للظهور واليوم الموعود يوم القيمة وشاهد ومشهود ومن يشهد في ذلك اليوم
من الخلائق وما أحضر فيه من العجائب وتنكيرهما للإبهام في الوصف وشاهد ومشهود لا يكتنه

وصفهما او المبالغة في الكثرة كانه قيل ما افرطت كثرته من شاهد ومشهود او النبي صلى
الله عليه وسلم او امته وسائر الامم او كل نبي وامته او الخالق والخلق او عكسه فان الخالق
مطلع على خلقه وهو شاهد على وجوده او الملك الحفيظ او المكلف او يوم النحر وعرفة
والحجيج او يوم الجمعة والجمع فانه يشهد له او كل يوم واهله قتل اصحاب الاخدود
قيل انه جواب القسم على تقدير لقد قتل والاظهر انه دليل جواب محذوف كانه قيل انهم
ملعونون يعني كفار مكة كما لعن اصحاب الاخدود فان السورة وردت لتثبيت المؤمنين
على اذاهم وتذكيرهم بما جرى على من قبلهم والاخدود الخد وهو الشق في الارض
ونحوهما بناء ومعنى الخق والاخقوق روي مرفوعا ان ملكا كان له ساحر فلما كبر
ضم اليه غلاما ليعلمه السحر وكان في طريقه راهب فمال قلبه اليه فراى في طريقه ذات يوم
حية قد حبست الناس فاخذ حجرا وقال اللهم ان كان الراهب احب اليك من الساحر
فاقتلها فقتلها وكان الغلام يبرئ الاكمه والابرص ويشفي من الادواء وعمي جليس للملك
فابراه فسأله الملك عمن ابراه فقال ربي فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل
على الراهب فقده بالمنشار وارسل الغلام الى الجبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف
فهلكوا ونجى فاجلسه في سفينة ليغرق فدعا فانكفأت السفينة بمن معه فغرقوا ونجا
فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس وتصلبني وتأخذ سهما من كنانتي وتقول
بسم الله رب الغلام ثم ترميني به فرماه فوقع في صدغه فمات فآمن الناس فامر باخاديد
واوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها صبي فتقاعست
فقال الصبي يا اماه اصبري فانك على الحق فاقتحمت وعن علي رضي الله عنه ان بعض
ملوك المجوس خطب بالناس وقال ان الله تعالى احل نكاح الاخوات فلم يقبلوه فامر
باخاديد النار وطرح من ابى فيها وقيل لما تنصر نجران غزاهم ذو نواس اليهودي من حمير
فاحرق في الاخدود من لم يرتد النار بدل من الاخدود بدل الاشتمال ذات الوقود
صفة لها بالعظمة وكثرة ما يرتفع به لهبها واللام في الوقود للجنس اذ هم عليها على حافة
النار قعود قاعدون وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود يشهد بعضهم لبعض عند الملك

عند الملك بانه لم يقصر فيما امر به او يشهدون على ما يفعلون يوم القيمة حتى يشهد عليهم
السنتهم وايديهم وما نقموا منهم وما انكروا الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد استثناء على
طريقة قوله • ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم • بهن فلول من قراع الكتائب • ووصفه
بكونه عزيزا غالبا يخشى عقابه حميدا منعما يرجى ثوابه وقرر ذلك بقوله الذي له ملك السموات
والارض والله على كل شيء شهيد للاشعار بما يستحق ان يؤمن به ويعبد ان الذين
فتنوا المؤمنين والمؤمنات بلوهم بالاذى ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم بكفرهم
ولهم عذاب الحريق العذاب الزائد في الاحراق بفتنتهم وقيل المراد بالذين فتنوا
اصحاب الاخدود وبعذاب الحريق ما روي ان النار انقلبت عليهم فاحرقتهم ان الذين
آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير اذ الدنيا
وما فيها تصغر دونه ان بطش ربك لشديد مضاعف عنفه فان البطش اخذ بالعنف
انه هو يبدئ ويعيد يبدئ الخلق ويعيده او يبدئ البطش بالكفرة في الدنيا ويعيده في
الآخرة وهو الغفور لمن تاب الودود المحب لمن اطاع ذو العرش خالقه وقيل المراد
بالعرش الملك وقرئ ذي العرش صفة لربك المجيد العظيم في ذاته وصفاته فانه
واجب الوجود وتام القدرة والحكمة وجره حمزة والكسائي صفة لربك او للعرش
ومجده علوه وعظمته فعال لما يريد لا يمتنع عليه مراد من افعاله وافعال غيره هل اتاك
حديث الجنود فرعون وثمود ابدلهما من الجنود لان المراد بفرعون هو وقومه والمعنى
قد عرفت تكذيبهم للرسل وما حاق بهم فتسل واصبر على تكذيب قومك وحذرهم
مثل ما اصابهم بل الذين كفروا في تكذيب لا يرعوون عنه ومعنى الاضراب ان حالهم
اعجب من حال هؤلاء فانهم سمعوا قصتهم وراوا آثار هلاكهم وكذبوا اشد من
تكذيبهم والله من ورائهم محيط لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط المحيط بل هو قرآن مجيد بل
هذا الذي كذبوا به كتاب شريف وحيد في النظم والمعنى وقرئ قرآن مجيد بالاضافة
اي قرآن رب مجيد في لوح محفوظ من التحريف وقرأ نافع محفوظ بالرفع صفة للقرآن
وقرئ في لوح وهو الهواء يعني ما فوق السماء السابعة الذي فيه اللوح عن رسول الله

صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة البروج أعطاه الله بعدد كل جمعة وعرفة تكون في الدنيا عشر حسنات

سورة الطارق مكية وآيها سبع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم والسماء والطارق الكوكب البادي بالليل وهو في الأصل لسالك الطريق واختص عرفا بالآتي ليلا ثم استعمل للبادي فيه وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب المضيء كأنه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه أو الأفلاك والمراد الجنس أو المعهود بالثقب وهو زحل عبر عنه أولا بوصف عام ثم فسره بما يخصه تفخيما لشأنه إن كل نفس لما عليها حافظ رقيب فإن هي المخففة واللام الفاصلة وما مزيدة وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما على أنها بمعنى إلا وإن نافية والجملة على الوجهين جواب القسم فلينظر الإنسان مم خلق لما ذكر أن كل نفس عليها حافظ أتبعه توصية الإنسان بالنظر في مبدئه ليعلم صحة إعادته فلا يملي على حافظه إلا ما يسره في عاقبته خلق من ماء دافق جواب الاستفهام وماء دافق بمعنى ذي دفق وهو صب فيه دفع والمراد الممتزج من الماءين في الرحم لقوله يخرج من بين الصلب والترائب من بين صلب الرجل وترائب المرأة وهي عظام صدرها ولو صح أن النطفة تتولد من فضل الهضم الرابع وتنفصل عن جميع الأعضاء حتى تستعد لأن يتولد منها مثل تلك الأعضاء ومقرها عروق ملتف بعضها بالبعض عند البيضتين فالدماغ أعظم الأعضاء معونة في توليدها ولذلك يشبهه ويسرع الإفراط في الجماع بالضعف فيه وله خليفة وهي النخاع وهو في الصلب وشعب كثيرة نازلة إلى الترائب وهما أقرب إلى أوعية المني فلذلك خصا بالذكر وقرئ الصلب بفتحتين والصلب بضمتين وفيه لغة رابعة وهي صالب إنه على رجعه لقادر والضمير للخالق ويدل عليه خلق يوم تبلى السرائر تتعرف وتميز بين ما طاب من الضمائر وما خفي من الأعمال وما خبث منها وهو ظرف لرجعه فما له فما للإنسان من قوة من منعة في نفسه يمتنع بها ولا ناصر يمنعه والسماء ذات الرجع والأرض ذا

ذات الصدع ترجع في كل دورة إلى الموضع الذي تتحرك عنه وقيل الرجع المطر سمي به كما سمي أوبا لأن الله تعالى يرجعه وقتا فوقتا أو لما قيل من أن السحاب يحمله من البحار ثم يرجعه إلى الأرض وعلى هذا يجوز أن يكون من المراد بالسماء السحاب والأرض ذات الصدع ما يتصدع عنه الأرض من النبات أو الشق بالنبات والعيون إنه إن القرآن لقول فصل فاصل بين الحق والباطل وما هو بالهزل فإنه جد كله إنهم يعني أهل مكة يكيدون كيدا في إبطاله وإطفاء نوره وأكيد كيدا وأقابلهم بكيدي في استدراجي لهم وانتقامي منهم بحيث لا يحتسبون فمهل الكافرين فلا تشتغل بالانتقام منهم أو لا تستعجل بإهلاكهم أمهلهم رويدا إمهالا يسيرا والتكرير وتغيير البنية لزيادة التسكين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطارق أعطاه الله بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات

سورة الأعلى مكية وآيها تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم سبح اسم ربك الأعلى نزه اسمه عن الإلحاد فيه بالتأويلات الزائغة وإطلاقه على غيره زاعما أنهما فيه سواء وذكره لا على وجه التعظيم وقرئ سبحان ربي الأعلى وفي الحديث لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال صلى الله عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الأعلى قال صلى الله عليه وسلم اجعلوها في سجودكم وكانوا يقولون في الركوع اللهم لك ركعت وفي السجود اللهم لك سجدت الذي خلق فسوى خلق كل شيء فسوى خلقه بأن جعل له ما به يتأتى كماله ويتم معاشه والذي قدر أي قدر أجناس الأشياء وأنواعها وأشخاصها ومقاديرها وصفاتها وأفعالها وآجالها فهدى فوجهه إلى أفعاله طبعا أو اختيارا بخلق الميول والإلهامات ونصب الدلائل وإنزال الآيات والذي أخرج المرعى أنبت ما ترعاه الدواب فجعله بعد خضرته غثاء أحوى يابسا أسود وقيل أحوى حال من المرعى أي أخرجه أحوى من شدة خضرته

على لسان جبريل او سنجعلك قارئا بالهام القراءة فلا تنسى اصلا من قوة الحفظ
مع انك امي ليكون ذلك آية اخرى لك مع ان الاخبار به عما يستقبل ووقوعه كذلك
ايضا من الآيات وقيل نهي والالف للفاصلة كقوله السبيلا الا ما شاء الله نسيانه
بان نسخ تلاوته وقيل المراد به القلة والندرة لما روي انه صلى الله عليه وسلم اسقط
آية في قراءته في الصلاة فحسب ابي انها نسخت فسأله فقال نسيتها او نفي النسيان
رأسا فان القلة تستعمل للنفي انه يعلم الجهر وما يخفى ما ظهر من احوالكم وما بطن او جهرك
بالقراءة مع جبريل وما دعاك اليه من مخافة النسيان فيعلم ما فيه صلاحكم من ابقاء وانساء
ونيسرك لليسرى ونعدك للطريقة اليسرى في حفظ الوحي او التدين ونوفقك لها ولهذه
النكتة قال نيسرك لا نيسر لك عطفا على سنقرئك وانه يعلم الجهر اعتراض فذكر
بعدما استتب لك الامر ان نفعت الذكرى لعل هذه الشرطية بعد تكرر التذكير وحصول
اليأس عن البعض لئلا يتعب نفسه ويتلهف عليهم كقوله وما انت عليهم بجبار الآية او لذم
المذكرين واستبعاد تأثير الذكرى فيهم او للاشعار بان التذكير انما يجب اذا ظن نفعه
ولذلك امر بالاعراض عمن تولى سيذكر من يخشى سيتعظ وينتفع بها من يخشى الله تعالى فانه يتفكر
فيها فيعلم حقيتها وهو يتناول العارف والمتردد ويتجنبها ويتجنب الذكرى الاشقى
الكافر فانه اشقى من الفاسق او الاشقى من الكفرة لتوغله في الكفر الذي يصلى النار
الكبرى نار جهنم فانه صلى الله عليه وسلم قال ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم
او ما في الدرك الاسفل منها ثم لا يموت فيها فيستريح ولا يحيى حياة تنفعه قد افلح من تزكى
تطهر من الكفر والمعصية او تكثر من التقوى من الزكاء او تطهر للصلاة او ادى الزكاة
وذكر اسم ربه بقلبه ولسانه فصلى كقوله اقم الصلاة لذكري ويجوز ان يراد بالذكر
تكبيرة التحريم وقيل تزكى تصدق للفطر وذكر اسم ربه كبره يوم العيد فصلى صلاة
بل تؤثرون الحيوة الدنيا فلا تفعلون ما يسعدكم في الآخرة والخطاب للاشقين
على الالتفات او على اضمار قل او للكل فان السعي للدنيا اكثر في الجملة وقرأ ابو عمرو
بالياء والآخرة خير وابقى فان نعيمها ملذ بالذات خالص عن الغوائل لا انقطاع له

له ان هذا لفي الصحف الاولى الاشارة الى ما سبق من قد افلح فانه جامع امر الديانة
وخلاصة الكتب المنزلة صحف ابرهيم وموسى بدل من الصحف الاولى قال صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة الاعلى اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل حرف انزله
الله على ابرهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام

سورة الغاشية وهي ست وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم هل اتيك حديث الغاشية الداهية التي تغشى الناس
بشدائدها يعني يوم القيمة او النار من قوله وتغشى وجوههم النار وجوه يومئذ
خاشعة ذليلة عاملة ناصبة تعمل ما تتعب فيه كجر السلاسل وخوضها في النار خوض الابل في
الوحل والصعود والهبوط في تلالها ووهادها او عملت ونصبت في اعمال لا تنفعها يومئذ
تصلى نارا تدخلها وقرأ ابو عمرو ويعقوب وابو بكر تصلى من اصلاه الله وقرئ تصلى
بالتشديد للمبالغة حامية متناهية في الحر تسقى من عين آنية بلغت اناها في الحر
ليس لهم طعام الا من ضريع يبيس الشبرق وهو شوك ترعاه الابل ما دام رطبا وقيل
شجرة نارية تشبه الضريع ولعله طعام هؤلاء والزقوم والغسلين طعام غيرهم او المراد
طعامهم مما يتحاماه الابل ويتعافاه لضره وعدم نفعه كما قال لا يسمن ولا يغني من جوع
والمقصود من الطعام احد الامرين وجوه يومئذ ناعمة ذات بهجة او متنعمة لسعيها راضية
رضيت عملها لما رات ثوابه في جنة عالية علية المحل او القدر لا تسمع يا مخاطب او
الوجوه وقرئ على بناء المفعول بالياء ابن كثير وابو عمرو وبالتاء نافع فيها لاغية لغوا
او كلمة ذات لغو او نفسا تلغو فان كلام اهل الجنة الذكر والحكم فيها عين جارية تجري
ماؤها لا ينقطع والتنكير للتعظيم فيها سرر مرفوعة رفيعة السمك او القدر واكواب جمع
كوب وهو اناء لا عروة له موضوعة بين ايديهم ونمارق وسائد جمع نمرقة بالفتح والضم
مصفوفة بعضها الى بعض وزرابي وبسط فاخرة جمع زربية مبثوثة مبسوطة
افلا ينظرون نظر اعتبار الى الابل كيف خلقت خلقا دالا على كمال قدرته وحسن تدبيره

حيث خلقها لجر الاثقال الى البلاد النائية فجعلها باركة للحمل ناهضة بالحمل منقادة
لمن اقتادها طوال الاعناق لتنوء بالاوقار ترعى كل نابت وتحتمل العطش الى عشر فصاعدا
ليتأتى لها قطع البراري والمفاوز مع ما لها من منافع اخر ولذلك خصت بالذكر لبيان
الآيات المبثوثة في الحيوانات التي هي اشرف المركبات واكثرها صنعا ولانها اعجب ما عند
العرب من هذا النوع وقيل المراد بها السحاب على الاستعارة والى السماء كيف رفعت
بلا عمد والى الجبال كيف نصبت فهي راسخة لا تميل والى الارض كيف سطحت
بسطت حتى صارت مهادا وقرئ الافعال الاربعة على بناء الفاعل المتكلم وحذف
الراجع المنصوب والمعنى افلا ينظرون الى انواع المخلوقات من البسائط والمركبات
ليتحققوا كمال قدرة الخالق فلا ينكروا اقتداره على البعث ولذلك عقب به امر المعاد
ورتب عليه الامر بالتذكير فقال فذكر انما انت مذكر فلا عليك ان لم ينظروا ولم يذكروا
اذ ما عليك الا البلاغ لست عليهم بمصيطر بمسلط وعن الكسائي وهشام بالسين
على الاصل وحمزة بالاشمام الا من تولى وكفر لكن من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب
الاكبر يعني عذاب الآخرة وقيل متصل فان جهاد الكفار وقتلهم تسلط وكانه اوعدهم
بالجهاد في الدنيا وعذاب النار في الآخرة وقيل هو استثناء من قوله فذكر اي فذكر الا
من تولى واصر فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض ويؤيد الاول انه قرئ
الا على التنبيه ان الينا ايابهم رجوعهم وقرئ بالتشديد على انه فيعال
مصدر فيعل من الاياب قلبت واوه الاولى قلبها في ديوان ثم الثانية للادغام
ثم ان علينا حسابهم في المحشر وتقديم الخبر للتخصيص والمبالغة في الوعيد
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الغاشية حاسبه الله حسابا يسيرا

سورة الفجر مكية وآيها تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم والفجر اقسم بالصبح او فلقه كقوله والصبح اذا تنفس
او بصلاته وليال عشر عشر ذي الحجة ولذلك فسر الفجر بفجر عرفة او النحر او عشر رمضان

رمضان الاخير وتنكيرها للتعظيم وقرئ وليال عشر بالاضافة على ان المراد بالعشر
الايام والشفع والوتر والاشياء كلها شفعها ووترها او الخلق كقوله تعالى ومن كل شيء
خلقنا زوجين والخالق لانه فرد ومن فسرهما بالعناصر والافلاك والبروج والسيارات
او شفع الصلوات ووترها او بيوم النحر وعرفة وقد روي مرفوعا او بغيرها فلعله افرد
بالذكر من انواع المدلول لما رآه اظهر دلالة على التوحيد او مدخلا في الدين او مناسبة
لما قبلهما او اكثر منفعة موجبة للشكر وقرا حمزة والكسائي والوتر بكسر الواو وهما
لغتان كالحبر والحبر والليل اذا يسر اذا يمضي كقوله تعالى والليل اذ ادبر والتقييد
بذلك لما في التعاقب من قوة الدلالة على كمال القدرة ووفور النعمة ويسري فيه من قولهم
صلى المقام وحذف الياء للاكتفاء بالكسرة تخفيفا وقد خصه نافع وابو عمرو
بالوقف لمراعاة الفواصل ولم يحذفها ابن كثير ويعقوب اصلا وقرئ يسر بالتنوين
المبدل من حرف الاطلاق هل في ذلك القسم او المقسم به قسم حلف او محلوف به
لذي حجر يعتبره ويؤكد به ما يريد تحقيقه والحجر العقل سمي به لانه يحجر عما لا ينبغي
كما سمي عقلا ونهية وحصاة من الاحصاء وهو الضبط والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن
يدل عليه قوله الم تر كيف فعل ربك بعاد يعني اولاد عاد بن عوص بن ارم بن سام
بن نوح قوم هود سموا باسم ابيهم كما سمي بنو هاشم باسمه ارم عطف بيان
لعاد على تقدير مضاف اي سبط ارم او اهل ارم ان صح انه اسم بلدتهم وقيل عاد
الاولى باسم جدهم ومنع صرفه للعلمية والتانيث ذات العماد ذات البناء
الرفيع او القدود الطوال او الرفعة والثبات وقيل كان لعاد ابنان شداد وشديد
فملكا وقهرا ثم مات شديد فخلص الامر لشداد وملك المعمورة ودانت له ملوكها
فسمع بذكر الجنة فبنى على مثالها في بعض صحارى عدن جنة وسماها ارم
فلما تم سار اليها باهله فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة
من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة انه خرج في طلب ابل فوقع عليها التي لم يخلق
مثلها في البلاد صفة اخرى لارم والضمير لها سواء جعلت اسم القبيلة او البلدة

وثمود الذين جابوا الصخر قطعوه واتخذوه منازل لقوله وتنحتون من الجبال بيوتا بالواد وادي القرى وفرعون ذي الأوتاد لكثرة جنوده ومضاربهم التي كانوا يضربونها إذا نزلوا أو لتعذيبه بالأوتاد الذين طغوا في البلاد صفة للمذكورين عاد وثمود وفرعون أو ذم منصوب أو مرفوع فأكثروا فيها الفساد بالكفر والظلم فصب عليهم ربك سوط عذاب ما خلط لهم من أنواع العذاب وأصله الخلط وإنما سمي به الجلد المضفور الذي يضرب به لكونه مخلوط الطاقات بعضها ببعض وقيل شبه بالسوط ما أحل بهم في الدنيا إشعارا بأنه بالقياس إلى ما أعد لهم في الآخرة من العذاب كالسوط إذا قيس إلى السيف إن ربك لبالمرصاد المكان الذي يترقب فيه الرصد مفعال من رصده كالميقات من وقته وهو تمثيل لإرصاده العصاة بالعقاب فأما الإنسان متصل بقوله إن ربك لبالمرصاد فكأنه قيل إنه لبالمرصاد من الآخرة فلا يريد إلا السعي لها فأما الإنسان فلا يهمه إلا الدنيا ولذاتها إذا ما ابتلاه ربه اختبره بالغنى واليسر فأكرمه ونعمه بالجاه والمال فيقول ربي أكرمني فضلني بما أعطاني وهو خبر المبتدأ الذي هو الإنسان والفاء لما في أما من معنى الشرط والظرف المتوسط في تقدير التأخير كأنه قيل فأما الإنسان فقائل ربي أكرمني وقت ابتلائه بالإنعام وكذا قوله تعالى وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه إذ التقدير وأما الإنسان إذا ما ابتلاه أي بالفقر والتقتير ليوازن قسيميه فيقول ربي أهانن لقصور نظره وسوء فكره فإن التقتير قد يؤدي إلى كرامة في الدارين إذ التوسعة قد تفضي إلى قصد الأعداء والانهماك في حب الدنيا ولذلك ذمه على قوليه وردعه عنه بقوله كلا مع أن قوله الأول مطابق لأكرمه ولم يقل فأهانه وقدر عليه كما قال فأكرمه ونعمه لأن التوسعة تفضل والإخلال به لا يكون إهانة وقرأ ابن عامر والكوفيون أكرمن وأهانن بغير ياء في الوصل والوقف وعن أبي عمرو مثله ووافقهم نافع في الوقف وقرأ ابن عامر فقدر بالتشديد بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين بل فعلهم أسوأ من قولهم وأدل على تهالكهم بالمال وهو أن

أنهم لا يكرمون اليتيم بالنفقة والمبرة ولا يحاضون أهلهم على طعام المسكين فضلا عن غيرهم وتأكلون التراث الميراث وأصله وراث أكلا لما ذا لم أي جمع بين الحلال والحرام فإنهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان ويأكلون أنصباءهم أو يأكلون ما جمعه المورث من حلال وحرام عالمين بذلك وتحبون المال حبا جما كثيرا مع حرص وشره كلا ردع لهم عن ذلك وإنكار لفعلهم وما بعده وعيد عليه إذا دكت الأرض دكا دكا دكا بعد دك حتى صارت منخفضة الجبال والتلال أو هباء منبثا وجاء ربك أي ظهرت آيات قدرته وآثار قهره مثل ذلك بما يظهر عند حضور السلطان من آثار هيبته وسياسته والملك صفا صفا بحسب منازلهم ومراتبهم وجيء يومئذ بجهنم كقوله وبرزت الجحيم وفي الحديث يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها يومئذ بدل من إذا دكت والعامل فيهما يتذكر الإنسان أي يتذكر معاصيه أو يتعظ لأنه يعلم قبحها فيندم عليها وأنى له الذكرى أي منفعة الذكرى لئلا يناقض ما قبله واستدل به على عدم وجوب قبول التوبة فإن هذا التذكر توبة غير مقبولة يقول يا ليتني قدمت لحياتي أي لحياتي هذه أو وقت حياتي في الدنيا أعمالا صالحة وليس في هذا التمني دلالة على استقلال العبد بفعله فإن المحجور عن الشيء قد يتمنى أن كان ممكنا منه فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد الهاء لله أي لا يعذب أحد من الزبانية مثل ما يعذبونه وقرأهما الكسائي ويعقوب على بناء المفعول يا أيتها النفس المطمئنة على إرادة القول وهي التي اطمأنت بذكر الله فإن النفس تترقى في سلسلة الأسباب والمسببات إلى الواجب لذاته فتستقر دون معرفته وتستغني به عن غيره أو إلى الحق بحيث لا يريبها شك أو الآمنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن وقد قرئ بها ارجعي إلى ربك إلى أمره أو موعده بالموت ويشعر ذلك بقول من قال كانت النفوس قبل الأبدان موجودة في عالم القدس أو بالبعث راضية مرضية عند الله فادخلي في عبادي في جملة عبادي الصالحين وادخلي جنتي معهم

أي لا يفعل عذاب الله ووثاقه يوم القيمة سواه إذ الأمر كله له أو للإنسان م

أي في زمرة المقربين تستضيء بنور ربهم فإن الجواهر القدسية كالمرآة المتقابلة أو ادخلي
في أجساد عبادي التي فارقت عنها وادخلي داري التي أعدت لك عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة الفجر في الليالي العشر غفر له ومن قرأها في سائر الأيام كانت له نوراً يوم القيامة

سورة البلد مكية وآيها عشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد أقسم سبحانه
تعالى بالبلد الحرام وقيده بحلول الرسول صلى الله عليه وسلم فيه إظهاراً لمزيد فضله
وإشعاراً بأن شرف المكان بشرف أهله وقيل حل مستحل تعرضك فيه كما يستحل تعرض
الصيد في غيره أو حلال لك أن تفعل فيه ما تريد ساعة من النهار فهو وعد بما أحل له
عام الفتح ووالد عطف على هذا البلد والوالد آدم أو إبراهيم عليهما السلام وما
ولد ذريته أو محمد صلى الله عليه وسلم والتنكير للتعظيم وإيثار ما على من لمعنى التعجب
كما في قوله والله أعلم بما وضعت لقد خلقنا الإنسان في كبد تعب ومشقة يقال
كبد الرجل كبداً إذا وجعت كبده ومنه المكابدة والإنسان لا يزال في شدائد مبدؤها
ظلمة الرحم ومضيقه ومنتهاها الموت وما بعده وهو تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم
بما كان يكابده من قريش والضمير في أيحسب لبعضهم الذي كان يكابد منه أكثر أو بقوته
كأبي الأشد بن كلدة فإنه كان يبسط تحت قدميه أديم عكاظي ويجذبه عشرة فينقطع ولا يزل
قدماه أو لكل أحد منهم أو للإنسان أن لن يقدر عليه أحد فينتقم منه يقول أي في ذلك الوقت
أهلكت مالاً لبداً كثيراً من تلبد الشيء إذا اجتمع والمراد ما أنفقه سمعة ومفاخرة أو معاداة
للرسول صلى الله عليه وسلم أيحسب أن لم يره أحد حين كان ينفق أو بعد ذلك فيسأله عنه يعني
أن الله يراه فيجازيه أو يجده فيحاسبه عليه ثم قرر ذلك بقوله ألم نجعل له عينين يبصر بهما
ولساناً يترجم به عن ضمائره وشفتين يستر بهما فاه ويستعين بهما على النطق والأكل والشرب
وغيرها وهديناه النجدين طريقي الخير والشر أو الثديين وأصله المكان المرتفع فلا اقتحم
العقبة أي فلم يشكر تلك الأيادي باقتحام العقبة وهو الدخول في أمر شديد والعقبة

الطريق

الطريق في الجبل استعارها لما فسرها به من الفك والإطعام في قوله وما أدراك ما
العقبة فك رقبة أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيماً ذا مقربة أو مسكيناً ذا متربة لما
فيهما من مجاهدة النفس ولتعدد المراد بها حسن وقوع لا موقع لم فإنها لا تكاد تقع إلا مكررة
إذ المعنى فلا فك رقبة ولا أطعم يتيماً أو مسكيناً والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات
من سغب إذا جاع وقرب في النسب وترب إذا افتقر وقرأ ابن كثير وأبو عمرو
والكسائي فك رقبة أو أطعم على الإبدال من اقتحم وقوله تعالى وما أدراك ما العقبة
اعتراض معناه أنك لم تدر كنه صعوبتها وثوابها ثم كان من الذين آمنوا عطف على اقتحم أو
فك بثم لتباعد الإيمان عن العتق والإطعام في الرتبة لاستقلاله واشتراط سائر الطاعات
به وتواصوا بالصبر وأوصى بعضهم بعضاً بالصبر على طاعة الله تعالى وتواصوا بالمرحمة
على عباده أو بموجبات رحمة الله تعالى أولئك أصحاب الميمنة اليمين أو اليمن والذين
كفروا بآياتنا بما نصبناه دليلاً على الحق من كتاب وحجة أو بالقرآن هم
أصحاب المشأمة الشمال أو الشؤم ولتكرير ذكر المؤمنين باسم الإشارة والكفار
بالضمير شأن لا يخفى عليهم نار مؤصدة مطبقة من أوصدت الباب إذا أطبقته
وأغلقته وقرأ أبو عمرو وحمزة وحفص بالهمزة من آصدته عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ لا أقسم بهذا البلد أعطاه الله تعالى الأمان من غضبه يوم القيامة

سورة الشمس مكية وآيها خمس عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم والشمس وضحاها ضوئها إذا أشرقت وقيل الضحوة
ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك والضحاء بالفتح والمد إذا امتد النهار وكاد ينتصف
والقمر إذا تلاها تلا طلوعه طلوع الشمس أول الشهر أو غروبها ليلة البدر أو في الاستدارة
وكمال النور والنهار إذا جلاها جلى الشمس فإنها تتجلى إذا انبسط النهار أو الظلمة أو الدنيا
أو الأرض وإن لم يجر ذكرها للعلم بها والليل إذا يغشاها يغشى الشمس فيغطي ضوءها
أو الآفاق أو الأرض ولما كانت واوات العطف نوائب للواو الأولى القسمية

الجارة بنفسها النائبة مناب فعل القسم من حيث استلزمت طرحه معها ربطن المجرورين
والظروف بالمجرور والظرف المقدمين ربط الواو لما بعدها في قولك ضرب زيد عمرا
وبكر خالدا على الفاعل والمفعول من غير عطف على عاملين مختلفين والسماء وما
بنيها ومن بناها وانما اوثرت على من لارادة معنى الوصفية كانه قيل والشيء القادر
الذي بناها ودل على وجوده وكمال قدرته بناؤها ولذلك افرد ذكره وكذا الكلام
في قوله تعالى والارض وما طحيها ونفس وما سويها وجعل الماءات مصدرية يجرد الفعل
عن الفاعل ويخل بنظم قوله فالهمها فجورها وتقويها بقوله وما سويها الا ان يضمر
فيها اسم الله تعالى للعلم به وتنكير نفس للتكثير كما في قوله تعالى علمت نفس او آدم والهام
الفجور والتقوى افهامهما وتعريف حالهما والتمكين من الاتيان بهما قد افلح من زكيها
انماها بالعلم والعمل جواب القسم وحذف اللام للطول وكانه لما اراد به الحث على
تكميل النفس والمبالغة فيه اقسم عليه بما يدلهم على العلم بوجود الصانع ووجوب ذاته
وكمال صفاته الذي هو اقصى درجات القوة النظرية ويذكرهم عظائم الآئه ليحملهم
على الاستغراق في شكر نعمائه الذي هو منتهى كمالات القوة العملية وقيل استطراد
بذكر احوال النفس والجواب محذوف تقديره ليدمدمن الله على كفار مكة لتكذيبهم
رسوله كما دمدم على ثمود لتكذيبهم صالحا وقد خاب من دسيها نقصها واخفاها بالجهالة
والفسوق واصل دسى دسس كتقضى وتقضض كذبت ثمود بطغويها بسبب
طغيانها او بما اوعدت به من عذابها ذي الطغوى كقوله فاهلكوا بالطاغية واصله
طغيا وانما قلبت ياؤه واوا تفرقة بين الاسم والصفة وقرئ بالضم كالرجعى
اذ انبعث حين قام او ظرف لكذبت او طغوى اشقيها اشقى ثمود وهو قدار بن
سالف او هو ومن مالاه على قتل الناقة فان افعل التفضيل اذا اضفته صلح للواحد
والجمع وفضل شقاوتهم لتوليهم العقر فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقيها
فلا تذروها عقرها فكذبوه فيما حذرهم منه من حلول العذاب ان فعلوا فعقروها
فدمدم عليهم ربهم فاطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة اذا البسها

الشحم بذنبهم بسبب فسويها فسوى الدمدمة بينهم او عليهم فلم يفلت منها
صغير ولا كبير او ثمود بالاهلاك ولا يخاف عقبيها اي عاقبة الدمدمة او عاقبة هلاك ثمود
وتبعتها فيبقي بعض الابقاء والواو للحال وقرأ نافع وابن عامر فلا على العطف عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة والشمس فكانما تصدق بكل شيء طلعت عليه الشمس والقمر

سورة الليل مكية وآيها احدى وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم والليل اذا يغشى اي يغشى الشمس او النهار او كل ما يواريه
بظلامه والنهار اذا تجلى ظهر بزوال ظلمة الليل او تبين بطلوع الشمس وما خلق الذكر
والانثى والقادر الذي خلق صنفي الذكر والانثى من كل نوع له توالد او آدم وحواء وقيل
ما مصدرية ان سعيكم لشتى ان مساعيكم لاشتات مختلفة جمع شتيت فاما من
اعطى واتقى وصدق بالحسنى تفصيل مبين لتشتت المساعي والمعنى من اعطى الطاعة
واتقى المعصية وصدق بالكلمة الحسنى وهي ما دلت على حق ككلمة التوحيد فسنيسره
لليسرى فسنهيئه للخلة التي تؤدي الى يسر وراحة كدخول الجنة من يسر الفرس اذا هياه للركوب
بالسرج واللجام واما من بخل بما امر به واستغنى بشهوات الدنيا عن نعيم العقبى
وكذب بالحسنى بانكار مدلولها فسنيسره للعسرى للخلة المؤدية الى العسر والشدة
كدخول النار وما يغني عنه ماله نفي او استفهام انكار اذا تردى هلك تفعل من الردى
او تردى في حفرة القبر او قعر جهنم ان علينا للهدى للارشاد الى الحق بموجب قضائنا
او بمقتضى حكمتنا او ان علينا طريقة الهدى كقوله وعلى الله قصد السبيل وان لنا
للآخرة والاولى فنعطي في الدارين ما نشاء لمن نشاء او ثواب الهداية للمهتدين او فلا يضرنا
ترككم الاهتداء فانذرتكم نارا تلظى تتلهب لا يصلاها لا يلزمها مقاساة
شدتها الا الاشقى الا الكافر فان الفاسق وان دخلها لم يلزمها ولذلك سماه اشقى
ووصفه بقوله الذي كذب وتولى اي كذب الحق واعرض عن الطاعة وسيجنبها
الاتقى الذي اتقى الشرك والمعاصي فانه لا يدخلها فضلا ان يدخلها ويصلاها ومفهوم ذلك

ان يرتفع الشرك دون الفاسق بجنبها ولا يلزم ذلك صليها فلا يخالف الحصر السابق الذي يؤتي ماله
فيصرفه في مصارف الخير يتزكى لينتفي كي فانه بدل من يؤتي او حال من فاعله وما لاحد عنده من نعمة
تجزى فيقصد بايتائه مجازاتها الا ابتغاء وجه ربه الاعلى استثناء منقطع او متصل عن محذوف
مثل لا يؤتي الا ابتغاء وجه ربه لا لمكافاة نعمة ولسوف يرضى وعد بالثواب الذي يرضيه والآيات
نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه حين اشترى بلالا في جماعة يؤذيهم المشركون فاعتقهم
ولذلك قيل المراد بالاشقى ابو جهل او امية بن خلف عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة والليل اعطاه الله حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر

سورة والضحى مكية وآيها احدى عشر آية

بسم الله الرحمن الرحيم والضحى وقت ارتفاع الشمس وتخصيصه لان
النهار يقوى فيه او لان فيه كلم موسى ربه والقي السحرة سجدا او النهار ويؤيده
قوله ان يأتيهم بأسنا ضحى في مقابلة بياتا والليل اذا سجى سكن اهله او ركد ظلامه
من سجى البحر سجوا اذا سكنت امواجه وتقديم الليل في السورة المتقدمة باعتبار الاصل
وتقديم النهار ههنا باعتبار الشرف ما ودعك ربك وما قلى جواب القسم وما قلى اي وما قلاك
وحذف المفعول به استغناء بذكره من قبل ومراعاة للفواصل روي ان الوحي تأخر عنه
اياما لتركه الاستثناء كما مر في سورة الكهف او لزجره سائلا ملحا او لان جروا
ميتا كان تحت سريره او لغيره فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه فنزلت ردا عليهم
وللآخرة خير لك من الاولى فانها باقية خالصة عن الشوائب وهذه فانية مشوبة بالمضار
كانه لما بين انه لا يزال يواصله بالوحي والكرامة في الدنيا وعد له ما هو اعلى واجل من
ذلك في الآخرة او لنهاية امرك خير من بدايته فانه لا يزال يتصاعد في الرفعة والكمال
ولسوف يعطيك ربك فترضى وعد شامل لما اعطاه من كمال النفس وظهور الامر واعلاء الدين ولما
ادخر له مما لا يعرف كنهه سواه واللام للابتداء دخل الخبر بعد حذف المبتدأ والتقدير لانت
سوف يعطيك ربك فترضى لا للقسم فانها لا تدخل على المضارع الا مع النون المؤكدة وجمعها

مع سوف للدلالة على ان العطاء كائن لا محالة وان تأخر لحكمة الم يجدك
يتيما فآوى تعديد لما انعم عليه تنبيها على انه كما احسن اليه فيما مضى يحسن فيما
يستقبل ويجدك من الوجود بمعنى العلم ويتيما مفعوله الثاني او المصادفة ويتيما حال
ووجدك ضالا عن علم الحكم والاحكام فهدى فعلمك بالوحي والالهام والتوفيق للنظر
وقيل وجدك ضالا في الطريق حين خرج بك ابو طالب الى الشام او حين فطمتك حليمة
وجاءت بك لتردك على جدك فازال ضلالك على عمك او جدك ووجدك عائلا
فقيرا ذا عيال فاغنى بما حصل لك من ربح التجارة فاما اليتيم فلا تقهر فلا تغلبه
على ماله لضعفه وقرئ فلا تكهر اي فلا تعبس في وجهه واما السائل فلا تنهر
فلا تزجر واما بنعمة ربك فحدث فان التحدث بها شكرها وقيل المراد بالنعمة النبوة
والتحدث بها تبليغها عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والضحى جعله
الله فيمن يرضى لمحمد ان يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله له بعدد كل يتيم وسائل

سورة الم نشرح مكية وآيها ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم الم نشرح لك صدرك الم نفسحه حتى وسع مناجاة
الحق ودعوة الخلق وكان غائبا حاضرا او الم نفسحه بما اودعنا فيه من الحكم وازلنا عنه
ضيق الجهل او بما يسرنا لك تلقي الوحي بعدما كان يشق عليك وقيل انه اشارة الى ما
روي ان جبريل اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في صباه او يوم الميثاق فاستخرج قلبه
فغسله ثم ملأه ايمانا وعلما ولعله اشارة الى نحو ما سبق ومعنى الاستفهام انكار
نفي الانشراح مبالغة في اثباته ولذلك عطف عليه ووضعنا عنك وزرك عبئك
الثقيل الذي انقض ظهرك الذي حمله على النقيض وهو صوت الرحل عند الانتقاض
من ثقل الحمل وهو ما ثقل عليه من فرطاته قبل البعثة او جهله بالحكم والاحكام او
حيرته او تلقي الوحي او ما كان يرى من ضلال قومه مع العجز عن ارشادهم او من
اصرارهم وتعديهم في ايذائه حين دعاهم الى الايمان ورفعنا لك ذكرك بالنبوة

وغيرها واي رفع مثل ان قرن اسمه باسمه في كلمتي الشهادة وجعل طاعته طاعته
وصلى عليه في ملائكته وامر المؤمنين بالصلاة عليه وخاطبه بالالقاب وانما زاد لك
ليكون ابهاما قبل ايضاح فيفيد المبالغة فان مع العسر كضيق الصدر والوزر المنقض
للظهر وضلال القوم وايذائهم يسرا كالشرح والوضع والتوفيق للاهتداء والطاعة
فلا تيأس من روح الله اذا عراك ما يغمك وتنكيره للتعظيم والمعنى بما في ان من المصاحبة
المبالغة في معاقبة اليسر للعسر واتصاله به اتصال المتقارنين ان مع العسر يسرا تكرير
للتاكيد او استئناف وعده بان العسر مشفوع بيسر اخر كثواب الاخرة كقولك
ان للصائم فرحتين اي فرحة عند الافطار وفرحة عند لقاء الرب وعليه قوله
صلى الله عليه وسلم لن يغلب عسر يسرين فان العسر معرف فلا يتعدد سواء كان للعهد
او الجنس واليسر منكر فيحتمل ان يراد بالثاني فرد يغاير ما اريد بالاول
فاذا فرغت من التبليغ فانصب فاتعب في العبادة شكرا لما عددنا عليك من النعم السابقة
ووعدنا بالنعم الاتية وقيل فاذا فرغت من الغزو فانصب في العبادة او فاذا
فرغت من الصلاة فانصب بالدعاء والى ربك فارغب بالسؤال ولا تسأل
غيره فانه القادر وحده على اسعافه وقرئ فرغب اي رغب الناس الى طلب ثوابه
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ الم نشرح فكانما جاءني وانا مغتم ففرج عني

سورة والتين مختلف فيها وآيها ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم والتين والزيتون خصهما من الثمار بالقسم لان التين فاكهة
لا فضل له وغذاء لطيف سريع الهضم ودواء كثير النفع فانه يلين الطبع ويحلل البلغم
ويطهر الكليتين ويزيل رمل المثانة ويفتح سدد الكبد والطحال ويسمن البدن وفي
الحديث انه يقطع البواسير وينفع من النقرس والزيتون فاكهة وادام ودواء وله
دهن لطيف كثير المنافع مع انه قد ينبت حيث لا دهنية فيه كالجبال وقيل المراد
بهما جبلان من الارض المقدسة او مسجدا دمشق وبيت المقدس او البلدان وطور سينين

وطور سينين يعني الجبل الذي ناجى عليه موسى عليه السلام ربه وسينين وسيناء
اسمان للموضع الذي هو فيه وهذا البلد الامين اي الآمن من امن الرجل امانة فهو امين
او المأمون فيه يأمن فيه من دخله والمراد به مكة لقد خلقنا الانسان يريد به الجنس
في احسن تقويم تعديل بان خص بانتصاب القامة وحسن الصورة واستجماع خواص الكائنات
ونظائر سائر الممكنات ثم رددناه اسفل سافلين بان جعلناه من اهل النار او الى اسفل سافلين
وهو النار وقيل ارذل العمر فيكون الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات منقطعا فلهم
اجر غير ممنون لا ينقطع او لا يمن به عليهم وهو على الاول حكم مرتب على الاستثناء مقرر
له فما يكذبك اي فاي شيء يكذبك يا محمد دلالة او نطقا بعد بالدين بالجزاء بعد ظهور
هذه الدلائل وقيل ما بمعنى من وقيل الخطاب للانسان على الالتفات والمعنى فما الذي
يحملك على هذا التكذيب اليس الله باحكم الحاكمين تحقيق لما سبق والمعنى اليس الذي
فعل ذلك من الخلق والرد باحكم الحاكمين صنعا وتدبيرا ومن كان كذلك كان قادرا
على الاعادة والجزاء على ما مر مرارا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والتين اعطاه الله
العافية واليقين ما دام حيا فاذا مات اعطاه الله من الاجر بعدد من قرأ هذه السورة

سورة العلق تسع عشرة آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم اقرأ باسم ربك اي اقرأ القرآن مفتتحا باسمه او مستعينا
به الذي خلق اي الذي له الخلق او الذي خلق كل شيء ثم افرد ما هو اشرف واظهر صنعا
وتدبيرا ودل على وجوب العبادة المقصودة من القراءة فقال خلق الانسان او الذي
خلق الانسان فاضمر اولا ثم فسر تفخيما لخلقه ودلالة على عجيب فطرته من علق جمعه لان
الانسان في معنى الجمع ولما كان اول الواجبات معرفة الله سبحانه نزل اولا ما يدل على
وجوده وفرط قدرته وكمال حكمته اقرأ تكرير للمبالغة او الاول مطلق والثاني للتبليغ
او في الصلاة ولعله لما قيل له اقرأ باسم ربك فقال ما انا بقارئ فقيل له اقرأ وربك
الاكرم الزائد في الكرم على كل كريم فانه ينعم بلا عوض ويحلم من غير تخوف بل هو الكريم وحده

على الحقيقة الذي علم بالقلم اي الخط بالقلم وقد قرئ به ليقيد به العلوم ويعلم به البعيد علم الانسان ما لم يعلم بخلق القوى ونصب الدلائل وانزال الآيات فيعلمك القراءة وان لم تكن قاريا وقد عدد سبحانه مبداء امر الانسان ومنتهاه اظهارا لما انعم عليه من ان نقله من اخس المراتب الى اعلاها تقريرا لربوبيته وتحقيقا لاكرميته واشار اولا الى ما يدل على معرفته عقلا ثم نبه على ما يدل سمعا كلا ردع لمن كفر بنعمة الله تعالى لطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى اي نفسه واستغنى مفعوله الثاني لانه بمعنى علم ولذلك جاز ان يكون فاعله ومفعوله ضميرين لواحد ان الى ربك الرجعى الخطاب للانسان على الالتفات تهديدا وتحذيرا من عاقبة الطغيان والرجعى مصدر كالبشرى ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى نزلت في ابي جهل قال لو رايت محمدا ساجدا لوطئت عنقه فجاءه ثم نكص على عقبيه فقيل له ما لك قال ان بيني وبينه لخندقا من نار وهولا واجنحة فنزلت ولفظ العبد وتنكيره للمبالغة في تقبيح النهي والدلالة على كمال عبودية المنهي ارايت ان كان على الهدى او امر بالتقوى ارايت ان كذب وتولى وكذا الذي في قوله ارايت ان كذب وتولى الم يعلم بان الله يرى والشرطية مفعوله الثاني وجواب الشرط محذوف دل عليه جواب الشرط الثاني الواقع موقع القسم له والمعنى اخبرني عمن ينهى بعض عباد الله عن صلاته ان كان ذلك الناهي على هدى فيما ينهى عنه او آمرا بالتقوى فيما يامر به من عبادة الاوثان كما يعتقد او ان كان على التكذيب للحق والتولي عن الصواب كما نقول الم يعلم بان الله يرى ويطلع على احواله من هداه وضلاله وقيل المعنى ارايت الذي ينهى عبدا يصلي والمنهي على الهدى آمر بالتقوى والناهي مكذب متول فما اعجب من ذا وقيل الخطاب في الثانية مع الكافر فانه تعالى كالحاكم الذي حضره الخصمان يخاطب هذا مرة والآخر اخرى وكانه قال يا كافر اخبرني ان كان صلاته هدى ودعاؤه الى الله امرا بالتقوى اتنهاه ولعله ذكر الامر بالتقوى في التعجب والتوبيخ ولم يتعرض له في النهي لان النهي كان عن الصلاة والامر واقتصر على ذكر الصلاة لانه دعوة بالفعل او لان نهي العبد اذا صلى يحتمل ان يكون

لها ولغيرها وعامة احوالها محصورة في تكميل نفسه بالعبادة وغيره بالدعوة كلا ردع للناهي لئن لم ينته عما هو فيه لنسفعا بالناصية لناخذن بناصيته ولنسحبنه بها الى النار والسفع القبض على الشيء وجذبه بشدة وقرئ لنسفعن بنون مشددة وكتابته في المصحف بالالف على حكم الوقف والاكتفاء باللام عن الاضافة للعلم بان المراد ناصية المذكور ناصية كاذبة خاطئة بدل من الناصية وانما جاز لوصفها وقرئ بالرفع على هي ناصية والنصب على الذم ووصفها بالكذب والخطاء وهما لصاحبها على الاسناد المجازي للمبالغة فليدع ناديه اي اهل ناديه ليعينوه وهو المجلس الذي ينتدى فيه القوم روي ان ابا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فقال الم انهك فاغلظ له رسول الله صلعم فقال اتهددني وانا اكثر اهل الوادي ناديا فنزلت سندع الزبانية ليجروه الى النار وهو في الاصل الشرط واحدها زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع او زبني على النسب واصلها زباني والتاء معوضة عن الياء كلا ردع ايضا للناهي لا تطعه اثبت انت على طاعتك واسجد ودم على سجودك واقترب وتقرب الى ربك وفي الحديث اقرب ما يكون العبد الى ربه اذا سجد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة العلق اعطي من الاجر كانما قرا المفصل كله

سورة القدر مختلف فيها وآيها خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم انا انزلناه في ليلة القدر الضمير للقرآن فخمه باضماره من غير ذكر شهادة له بالنباهة المغنية عن التصريح كما عظمه بان اسند انزاله اليه وعظم الوقت الذي انزل فيه بقوله وما ادراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر وانزاله فيها بان ابتدى بانزاله فيها او انزله جملة من اللوح الى السماء الدنيا على السفرة ثم كان جبريل ينزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلث وعشرين سنة وقيل المعنى انزلناه في فضلها وهي في اوتار العشر الاخير من رمضان ولعلها السابعة منها والداعي الى اخفائها ان يحيي من يريدها ليالي كثيرة وتسميتها بذلك لشرفها او لتقدير الامور فيها لقوله فيها يفرق كل امر حكيم وذكر الالف اما للتكثير او لما روي انه صلى الله عليه وسلم ذكر اسرائيليا

لبس السلاح في سبيل الله الف شهر فعجب المؤمنون وتقاصرت اليهم اعمالهم فاعطوا
خيرا من مدة ذلك الغازي تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم بيان لما له
فضلت على الف شهر وبتنزلهم الى الارض او السماء الدنيا او تقربهم الى المؤمنين من
كل امر من اجل كل امر قدر في تلك السنة وقرئ من كل امرئ اي من اجل كل انسان سلام
هي ما هي الا سلامة اي لا يقدر الله تعالى فيها الا السلامة ويقضي في غيرها السلامة والبلاء
او ما هي الا سلام لكثرة ما يسلمون فيها على المؤمنين حتى مطلع الفجر اي وقت مطلعه اي
طلوعه وقرأ الكسائي بالكسر على انه كالمرجع او اسم زمان على غير قياس كالمشرق عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القدر اعطي من الاجر كمن صام رمضان واحيى ليلة القدر

سورة لم يكن مختلف فيها وآيها ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب اليهود والنصارى
فانهم كفروا بالالحاد في صفات الله تعالى والمشركين وعبدة الاصنام
منفكين عما كانوا عليه من دينهم او الوعد باتباع الحق اذا جاءهم الرسول حتى تاتيهم
البينة الرسول صلى الله عليه وسلم او القرآن بافحامه من تحدى به رسول من الله
بدل من البينة بنفسه او بتقدير مضاف او مبتدأ يتلو صحفا مطهرة صفته او خبره
والرسول وان كان اميا لكنه لما تلى مثل ما في الصحف كان كالتالي لها وقيل المراد جبريل
وكون الصحف مطهرة ان الباطل لا ياتي ما فيها او انها لا يمسها الا المطهرون فيها كتب
قيمة مكتوبات مستقيمة ناطقة بالحق وما تفرق الذين اوتوا الكتاب عما كانوا
عليه بان آمن بعضهم او تردد في دينه او عن وعدهم بالاصرار على الكفر الا من بعد
ما جاءتهم البينة فيكون كقوله تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا
كفروا به وافراد اهل الكتاب بعد الجمع بينهم وبين المشركين للدلالة على شناعة حالهم
فانهم لما تفرقوا مع علمهم كان غيرهم بذلك اولى وما امروا اي في كتبهم بما فيها الا
ليعبدوا الله مخلصين له الدين لا يشركون به حنفاء مائلين عن العقائد الزائغة

الزائغة ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة ولكنهم حرفوه وعصوا وذلك دين القيمة دين
الملة القيمة ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها اي يوم
القيمة او في الحال لملابستهم ما يوجب ذلك واشتراك الفريقين في جنس العذاب لا يوجب
اشتراكهما في نوعه فلعله يختلف لتفاوت كفرهما اولئك هم شر البرية اي الخليقة وقرأ نافع
البريئة بالهمز على الاصل ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية جزاؤهم
عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا فيه مبالغات تقديم
المدح وذكر الجزاء المؤذن بان ما منحوا في مقابلة ما وصفوا به والحكم عليه بانه من عند ربهم
وجمع جنات وتقييدها اضافة ووصفا بما تزداد لها نعيما وتاكيد الخلود بالتابيد رضي
الله عنهم استيناف بما يكون لهم زيادة على جزائهم ورضوا عنه لانه بلغهم اقصى
امانيهم ذلك اي المذكور من الجزاء والرضوان لمن خشي ربه فان الخشية ملاك الامر
والباعث على كل خير عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ لم يكن كان يوم القيمة مع خير البرية مساء ومقيلا

سورة الزلزلة مختلف فيها وآيها تسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم اذا زلزلت الارض زلزالها اضطرابها المقدر لها عند النفخة
الاولى او الثانية او الممكن لها او اللائق بها في الحكمة وقرئ بالفتح وهو اسم الحركة
وليس في الابنية فعلال الا في المضاعف واخرجت الارض اثقالها ما في جوفها من
الدفائن او الاموات جمع ثقل وهو متاع البيت وقال الانسان ما لها لما يبهرهم من
الامر الفظيع وقيل المراد بالانسان الكافر فان المؤمن يعلم ما لها يومئذ تحدث اخبارها
تحدث الخلق بلسان الحال اخبارها لاجله زلزالها واخراجها وقيل ينطقها الله تعالى
فيخبر بما عمل عليها ويومئذ بدل من اذا وناصبهما تحدث او اصل واذا منتصب بمضمر بان ربك
اوحى لها اي تحدث بسبب ايحاء ربك لها بان تحدث فيها ما دلت على الاخبار او
انطقها بها ويجوز ان يكون بدلا من اخبارها اذ يقال حدثته كذا وبكذا واللام بمعنى الى
او على اصلها اذ لها في ذلك تشفي من العصاة يومئذ يصدر الناس من مخارجهم من القبور

الى الموقف اشتاتا متفرقين بحسب مراتبهم ليروا اعمالهم وقرئ بفتح الياء فمن يعمل
مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره تفصيل ليروا ولذلك قرئ
يره بالضم ولعل حسنة الكافر وسيئة المجتنب عن الكبائر تؤثران في نقص الثواب
والعقاب وقيل الآية مشروطة بعدم الاحباط والمغفرة او من الاولى مخصوصة
بالسعداء والثانية بالاشقياء لقوله اشتاتا والذرة النملة الصغيرة او الهباء
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ اذا زلزلت اربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله

سورة العاديات وآيها احدى عشرة آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم والعاديات ضبحا قسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح ضبحا
وهو صوت انفاسها عند العدو ونصبه بفعله المحذوف او بالعاديات فانها تدل
بالالتزام على الضابحات او ضبحا حال بمعنى ضابحة فالموريات قدحا فالتي تورى
النار والايراء اخراج النار يقال قدح الزند فاورى فالمغيرات يغير اهلها على العدو صبحا
اى في وقته فاثرن به فهيجن بذلك الوقت نقعا غبارا او صياحا فوسطن به
فتوسطن بذلك الوقت او بالعدو او بالنقع اى ملتبسات به جمعا من جموع الاعداء
روى انه صلى الله عليه وسلم بعث خيلا فمضى شهر لم يأته منهم خبر فنزلت ويحتمل
ان يكون القسم بالنفوس العادية اثر كمالهن الموريات بافكارهن انوار المعارف
والمغيرات على الهوى والعادات اذا ظهر لهن مثل انوار القدس فاثرن به شوقا فوسطن
جمعا من جموع العليين ان الانسان لربه لكنود لكفور من كند النعمة كنودا او لعاص بلغة
كندة او لبخيل بلغة بنى مالك وهو جواب القسم وانه على ذلك وان الانسان على كنوده
لشهيد يشهد على نفسه لظهور اثره عليه او ان الله على كنوده لشهيد فيكون وعيدا
وانه لحب الخير لمال من قوله ان ترك خيرا لشديد لبخيل او لقوى مبالغ فيه افلا يعلم
اذا بعثر بعث ما في القبور من الموتى وقرئ بحثر وبحث وحصل جمع محصلا في الصحف
او ميز ما في الصدور من خير او شر وتخصيصه لانه الاصل ان ربهم بهم يومئذ وهو

القيمة لخبير عالم بما اعلنوا وما اسروا فيجازيهم وانما قال ذلك لهم والاختلاف
شانهم في الحالين وقرئ ان ربهم بلا لام عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
والعاديات اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من بات في المزدلفة وشهد جمعا

سورة القارعة مكية وآيها عشر آيات

بسم الله الرحمن الرحيم القارعة ما القارعة وما ادريك ما القارعة سبق بيانه
في الحاقة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث في كثرتهم وذلتهم وانتشارهم
واضطرابهم وانتصاب يوم بمضمر دلت عليه القارعة وتكون الجبال كالعهن كالصوف
ذى الالوان المنفوش المندوف لتفرق اجزائها وتطايرها في الجو فاما من ثقلت
موازينه بان رجحت مقادير انواع حسناته فهو في عيشة راضية ذات
رضى او مرضية واما من خفت موازينه بان لم يكن له حسنة يعبا بها او ترجحت
سيئاته على حسناته فامه هاوية فمأويه النار والهاوية من اسمائها ولذلك قال
الله تعالى وما ادريك ماهيه نار حامية ذات حمى عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرأ القارعة ثقل الله بها ميزانه يوم القيمة

سورة التكاثر مختلف فيها وآيها ثمان آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم الهيكم شغلكم واصله الصرف الى اللهو منقول من لهى اذا
غفل التكاثر التباهي بالكثرة حتى زرتم المقابر اذا استوعبتم عدد الاحياء صرتم
الى المقابر فتكاثرتم بالاموات عبر عن انتقالهم الى ذكر الموتى بزيارة المقابر
روى ان بنى عبد مناف وبنى سهم تفاخروا بالكثرة فكثرهم بنو عبد مناف فقال
بنو سهم ان البغي اهلكنا في الجاهلية فعادونا بالاحياء والاموات فكثرهم بنو سهم وانما
حذف الملهى عنه وهو ما يعنيهم من امر الدين للتعظيم والمبالغة وقيل معناه الهيكم التكاثر
بالاموال والاولاد الى ان متم وقبرتم مضيعين اعماركم في طلب الدنيا عما هو اهم لكم

وهو السعي لآخرتكم فيكون زيارة القبور عبارة عن الموت كلا ردع وتنبيه على أن
العاقل ينبغي أن لا يكون جميع همه ومعظم سعيه للدنيا فإن عاقبة ذلك وبال وحسرة
سوف تعلمون خطأ رأيكم إذا عاينتم ما وراءكم وهو إنذار ليخافوا ويتنبهوا من
غفلتهم ثم كلا سوف تعلمون تكرير للتأكيد وفي ثم دلالة على أن الثاني أبلغ من الأول
أو الأول عند الموت أو في القبر والثاني عند النشور كلا لو تعلمون علم اليقين أي لو تعلمون
ما بين أيديكم علم الأمر اليقين أي كعلمكم ما تستيقنونه لشغلكم ذلك عن غيره أو لفعلتم ما لا
يوصف ولا يكتنه فحذف الجواب للتفخيم ولا يجوز أن يكون قوله لترون الجحيم جوابا لأنه
محقق الوقوع بل هو جواب قسم محذوف أكد به الوعيد وأوضح به ما أنذرهم منه بعد إبهامه
تفخيما ثم لترونها تكرير للتأكيد أو الأولى إذا رأتهم من مكان بعيد والثانية إذا وردوها
أو المراد بالأولى المعرفة وبالثانية الإبصار عين اليقين أي الرؤية التي هي نفس اليقين فإن
علم المشاهدة أعلى مراتب اليقين ثم لتسألن يومئذ عن النعيم الذي ألهاكم والخطاب مخصوص
بكل من ألهاه دنياه عن دينه والنعيم بما يشغله للقرينة والنصوص الكثيرة كقوله تعالى
من حرم زينة الله التي أخرج لعباده كلوا من الطيبات وقيل يعم إذ كل يسأل عن شكره
وقيل الآية مخصوصة بالكفار عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ ألهاكم لم
يحاسبه الله بالنعيم الذي أنعم به عليه في دار الدنيا وأعطي من الأجر كأنما قرأ ألف آية

سورة العصر مكية وآيها ثلاث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم والعصر أقسم بصلاة العصر لفضلها أو بعصر النبوة أو بالدهر
لاشتماله على الأعاجيب والتعريض بنفي ما يضاف إليه من الخسران إن الإنسان لفي
خسر إن الإنسان لفي خسر في مساعيهم وصرف أعمارهم في مطالبهم والتعريف
للجنس والتنكير للتعظيم إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فإنهم اشتروا الآخرة
بالدنيا ففازوا بالحياة الأبدية والسعادة السرمدية وتواصوا بالحق بالثابت الذي
لا يصح إنكاره من اعتقاد أو عمل وتواصوا بالصبر عن المعاصي أو على الحق أو ما يبلو

الله به عباده وهذا من عطف الخاص على العام للمبالغة إلا أن يخص العمل بما
يكون مقصورا على كماله ولعله سبحانه وتعالى إنما ذكر سبب الربح دون الخسران
اكتفاء ببيان المقصود وإشعارا بأن ما عداه عدم يؤدي إلى خسر
ونقص حظ أو تكرما فإن الإبهام في جانب الخسر كرم عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة العصر غفر الله له وكان ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر

سورة الهمزة مكية وآيها تسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم ويل لكل همزة لمزة الهمز الكسر كالهزم واللمز الطعن كاللهز
فشاعا في الكسر من أعراض الناس والطعن فيهم وبناء فعلة يدل على الاعتياد فلا يقال
ضحكة ولعنة إلا للمتكثر المتعود وقرئ همزة ولمزة بالسكون على بناء المفعول وهو المسخرة
الذي يأتي بالأضاحيك فيضحك منه ويشتم ونزولها في الأخنس بن شريق فإنه كان
مغتابا أو في الوليد بن المغيرة واغتيابه رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي جمع
مالا بدل من كل أو ذم منصوب أو مرفوع وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بالتشديد
للتكثير وعدده وجعله عدة للنوازل أو عده مرة بعد أخرى ويؤيده أنه قرئ
وعدده على فك الإدغام يحسب أن ماله أخلده تركه خالدا في الدنيا فأحبه كما
يحب الخلود أو حب المال أغفله عن الموت وطول أمله حتى حسب أنه مخلد فعمل عمل
من لا يظن الموت وفيه تعريض بأن المخلد هو السعي للآخرة كلا ردع له عن حسبانه
لينبذن ليطرحن في الحطمة في النار التي من شأنها أن تحطم كل ما يطرح فيها وما أدراك
ما الحطمة ما النار التي لها هذه الخاصية نار الله تفسير لها الموقدة التي أوقدها الله
وما أوقده لا يقدر غيره أن يطفئه التي تطلع على الأفئدة تعلو أوساط القلوب
وتشتمل عليها وتخصيصها بالذكر لأن الفؤاد ألطف ما في البدن وأشده تألما أو لأنه
محل العقائد الزائغة ومنشأ الأعمال القبيحة إنها عليهم مؤصدة مطبقة من أوصدت الباب
إذا أطبقته قال تحن إلى أجبال مكة ناقتي ومن دونها أبواب صنعاء مؤصدة

في عمد ممددة اي موثقين في اعمدة ممدودة مثل المقاطر التي تقطر فيها اللصوص
وقرا ابو بكر وحمزة والكسائي بضمتين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة
الهمزة اعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد واصحابه

سورة الفيل مكية وآيها خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الخطاب للرسول
صلى الله عليه وسلم وهو وان لم يشهد تلك الواقعة لكن شاهد آثارها وسمع بالتواتر
فكانه رآها وانما قال كيف ولم يقل ما لان المراد تذكير ما فيها من وجوه الدلالة
على كمال علم الله تعالى وقدرته وعزة بيته وشرف رسوله صلى الله عليه وسلم فانها من الارهاصات
اذ روي انها وقعت في السنة التي ولد فيها الرسول صلى الله عليه وسلم وقصتها ان ابرهة
ابن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي بنى كنيسة بصنعاء وسماها
القليس واراد ان يصرف اليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فاغضبه
ذلك فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بجيشه ومعه فيل قوي اسمه محمود وفيلة اخرى فلما
تهيأ للدخول وعبأ جيشه قدم الفيل وكان كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا
وجهوه الى اليمن او الى جهة اخرى هرول فارسل الله طيرا كل في منقاره حجر وفي رجليه
حجران اكبر من العدسة واصغر من الحمصة فترميهم فيقع الحجر في راس الرجل فيخرج من دبره
فهلكوا جميعا وقرئ الم تر جدا في اظهار اثر الجازم وكيف نصب بفعل لا بتر لما فيه
من معنى الاستفهام الم يجعل كيدهم في تعطيل الكعبة وتخريبها في تضليل في تضييع
وابطال بان دمرهم وعظم شانها وارسل عليهم طيرا ابابيل جماعات جمع
ابالة وهي الحزمة الكبيرة شبهت بها الجماعة من الطير في تضامها وقيل لا واحد لها
كعباديد وشماطيط ترميهم بحجارة وقرئ بالياء على تذكير الطير لانه اسم جمع او
اسناده الى ضمير ربك من سجيل من طين متحجر معرب سنك كل وقيل من السجل وهو
الدلو الكبير او الاسجال وهو الارسال او من السجل ومعناه من جملة العذاب

المكتوب

المكتوب المدون فجعلهم كعصف ماكول كورق زرع وقع فيه الاكال وهو
ان ياكله الدود او اكل حبه فبقي صفرا منه او كتبن اكلته الدواب وراثته
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الفيل اعفاه الله ايام حياته من

سورة قريش مكية وآيها اربع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم لايلاف قريش متعلق بقوله فليعبدوا رب هذا
البيت والفاء لما في الكلام من معنى الشرط اذ المعنى ان نعم الله تعالى عليهم لا تحصى
فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لاجل ايلافهم رحلة الشتاء والصيف
اي الرحلة في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام فيمتارون ويتجرون او بمحذوف
مثل اعجبوا او بما قبله كالتضمين في الشعر اي جعلهم كعصف ماكول لايلاف قريش ويؤيده
انهما في مصحف ابي بن كعب سورة واحدة وقرئ ليالف قريش الفهم رحلة
الشتاء وقريش ولد النضر بن كنانة منقول من تصغير قرش وهو دابة عظيمة في البحر
تعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار فشبهوا بها لانها تاكل ولا توكل وتعلو ولا تعلى وصغر
الاسم للتعظيم واطلاق الايلاف ثم ابدال المقيد عنه للتفخيم فليعبدوا رب هذا البيت الذي
اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف اي بالرحلتين والتنكير للتعظيم وقيل المراد به شدة
اكلوا فيها الجيف والعظام وآمنهم من خوف اصحاب الفيل او التخطف في
بلدهم ومسايرهم او الجذام فلا يصيبهم ببلدهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا
سورة لايلاف قريش اعطاه الله عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها

سورة الماعون مختلف فيها وآيها سبع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم ارايت استفهام معناه التعجب وقرئ اريت
بلا همزة الحاقا بالمضارع ولعل تصديرها بحرف الاستفهام سهل امرها وارايتك
بزيادة الكاف الذي يكذب بالدين بالجزاء او الاسلام فالذي يحتمل الجنس

والعهد ويؤيد الثانى قوله تعالى فذلك الذى يدع اليتيم يدفعه دفعا عنيفا
وهو ابو جهل كان وصيا ليتيم فجاءه عريانا يسأله من مال نفسه فدفعه او ابو سفيان
نحر جزورا فسأله يتيم لحما فقرعه بعصاه او الوليد بن المغيرة او منافق بخيل وقرئ
يدع اى يترك ولا يحض اهله وغيرهم على طعام المسكين لعدم اعتقاده بالجزاء ولذلك
رتب الجملة على يكذب بالفاء فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون
غافلون غير مبالين بها الذين هم يراؤن يرون الناس اعمالهم ليروهم الثناء عليها
ويمنعون الماعون الزكوة او ما يتعاور فى العادة والفاء جزائية والمعنى اذا كان
عدم المبالاة باليتيم من ضعف الدين والموجب للذم والتوبيخ فالسهو عن الصلاة
التى هى عماد الدين والرياء الذى هو شعبة من الكفر ومنع الزكوة التى هى
قنطرة الاسلام احق بذلك ولذلك رتب عليه الويل والتسبيب على معنى فويل لهم
وانما وضع المصلين موضع الضمير للدلالة على سوء معاملتهم مع الخالق والخلق
عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ارايت غفر له ان كان للزكوة مؤديا

سورة الكوثر مكية وآيها ثلاث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك وقرئ انطيناك الكوثر الخير المفرط
الكثرة من العلم والعمل وشرف الدارين وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه نهر فى
الجنة وعدنيه ربى فيه خير كثير احلى من العسل وابيض من اللبن وابرد من الثلج والين من
الزبد حافتاه الزبرجد واوانيه من فضة لا يظمأ من شرب منه وقيل حوض فيها وقيل
اولاده واتباعه او علماء امته او القرآن فصل لربك فدم على الصلاة خالصا لوجه الله تعالى
خلاف الساهى عنها المرائى فيها شكرا لانعامه فان الصلاة جامعة لاقسام الشكر
وانحر البدن التى هى خيار اموال العرب وتصدق على المحاويج خلافا لمن يدعهم
ويمنع منهم الماعون فالسورة كالمقابلة للسورة المتقدمة وقد فسرت الصلاة
بصلوة العيد والنحر بالتضحية ان شانئك ان من ابغضك لبغضه لك هو الابتر

الذى لا عقب له اذ لا يبقى منه نسل ولا حسن ذكر واما انت فتبقى ذريتك
وحسن صيتك وآثار فضلك الى يوم القيمة ولك فى الآخرة ما لا يدخل تحت الوصف
عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكوثر سقاه الله من كل نهر له فى
الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد فى يوم النحر

سورة الكافرون مكية وآيها ست آيات

بسم الله الرحمن الرحيم قل يا ايها الكافرون يعنى كفرة مخصوصين قد علم الله
منهم انهم لا يؤمنون روى ان رهطا من قريش قالوا يا محمد تعبد آلهتنا سنة نعبد
الهك سنة فنزلت لا اعبد ما تعبدون اى فيما يستقبل فان لا لا تدخل الا على
مضارع بمعنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل الا على مضارع بمعنى الحال ولا انتم
عابدون ما اعبد اى فيما يستقبل لانه فى قران لا اعبد ولا انا عابد ما عبدتم اى
فى الحال او فيما سلف ولا انتم عابدون ما اعبد اى وما عبدتم فى وقت ما انا
عابده ويجوز ان يكونا تاكيدين على طريقة ابلغ وانما لم يقل ما عبدت ليطابق ما عبدتم
لانهم كانوا موسومين قبل البعث بعبادة الاصنام وهو لم يكن موسوما بعبادة
الله تعالى وانما قال ما دون من لان المراد الصفة كانه قال لا اعبد الباطل ولا تعبدون
الحق او للمطابقة وقيل ما مصدرية وقيل الاوليان بمعنى الذى والاخريان مصدريتان
لكم دينكم الذى انتم عليه لا تتركونه ولى دين الذى انا عليه لا ارفضه فليس فيه اذن
فى الكفر ولا منع عن الجهاد ليكون منسوخا باية السيف اللهم الا اذا فسر بالمتاركة وتقرير كل من
الفريقين الآخر على دينه وقد فسر الدين بالحساب والجزاء والدعاء والعبادة عن النبى عليه السلام من قرأ
سورة الكافرون فكانما قرأ ربع القرآن وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك

سورة النصر مدنية وآيها ثلاث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاء نصر الله اظهاره اياك على اعدائك والفتح

وفتحه مكة وقيل المراد جنس نصر الله للمؤمنين وفتح مكة وسائر البلاد عليهم وانما
عبر عن الحصول بالمجيء تجوزا للاشعار بان المقدرات متوجهة من الازل الى اوقاتها
المعينة لها فتقرب منها شيئا فشيئا وقد قرب النصر من وقته فكن مترقبا لوروده مستعدا
لشكره ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجا جماعات كثيفة كاهل
مكة والطائف واليمن وهوازن وسائر قبائل العرب ويدخلون حال على
ان رأيت بمعنى ابصرت او مفعول ثان على انه بمعنى علمت فسبح بحمد ربك
فتعجب لتيسير الله ما لم يخطر ببال احد حامدا له عليه او فصل له حامدا على نعمه روي
انه لما دخل مكة بدأ بالمسجد فدخل الكعبة وصلى ثماني ركعات او فنزهه عما كانت
الظلمة يقولون حامدا له على ان صدق وعده او فاثن على الله بصفات الجلال
حامدا له على صفة الاكرام واستغفره هضما لنفسك واستقصارا لعملك
واستدراكا لما فرط منك بالالتفات الى غيره وعنه صلى الله عليه وسلم اني
استغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة وقيل استغفره لامتك وتقديم
التسبيح ثم الحمد على الاستغفار على طريقة النزول من الخالق الى الخلق كما قيل ما رأيت
شيئا الا ورأيت الله قبله انه كان توابا لمن استغفر منذ خلق المكلفين والاكثر على
السورة نزلت قبل فتح مكة وانه نعي لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لما قرأها بكى العباس
رضي الله تعالى عنه فقال عليه السلام ما يبكيك قال نعيت اليك نفسك قال انها
لكما تقول ولعل ذلك لدلالتها على تمام الدعوة وكمال امر الدين فهي كقوله تعالى اليوم
اكملت لكم دينكم او لان الامر بالاستغفار تنبيه على دنو الاجل ولذلك تسمى سورة
التوديع وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة اذا جاء اعطي من الاجر كمن شهد مع محمد يوم فتح مكة

سورة تبت مكية وآيها خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم تبت هلكت او خسرت والتباب خسران يؤدي
الى الهلاك يدا ابي لهب نفسه كقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وقيل
انما خصتا لانه صلى الله عليه وسلم لما نزل عليه وانذر عشيرتك الاقربين جمع اقاربه
فانذرهم فقال ابو لهب تبا لك الهذا دعوتنا واخذ حجرا ليرميه به فنزلت
وقيل المراد بهما دنياه واخراه وانما كناه والتكنية تكرمة لاشتهاره بكنيته
او لان اسمه عبد العزى فاستكره ذكره ولانه لما كان من اصحاب النار كانت
الكنية اوفق بحاله او ليجانس قوله ذات لهب وقرئ ابو لهب كما قيل علي بن
ابو طالب رضي الله تعالى عنه وتب اخبار بعد اخبار والتعبير بالماضي
لتحقق وقوعه كقوله جزاني جزاه الله شر جزائه جزاء الكلاب العاويات وقد فعل
ويدل عليه انه قرئ وقد تب او الاول اخبار عما كسبت يداه والثاني عن نفسه
ما اغنى عنه ماله وما كسب نفي لاغناء المال عنه حين نزل به التباب او استفهام
انكار له ومحلها النصب وما كسب وكسبه او مكسوبه بماله من النتائج
والارباح والوجاهة والاتباع او عمله الذي ظن انه ينفعه او ولده عتبة
وقد افترسه اسد في طريق الشام وقد احدق به العير ومات ابو لهب بالعدسة بعد
وقعة بدر بايام معدودة وترك ميتا حتى انتن ثم استأجروا بعض السودان
حتى دفنوه فهو اخبار عن الغيب طابقه وقوعه سيصلى نارا ذات لهب
اشتعال يريد نار جهنم وليس فيه ما يدل على انه لا يؤمن لجواز ان يكون صليها للفسق
وقرئ سيصلى بالضم مخففا ومشددا وامرأته عطف على المستكن في سيصلى
او مبتدا وهي ام جميل اخت ابي سفيان حمالة الحطب يعني حطب جهنم فانها
كانت تحمل الاوزار بمعاداة الرسول صلى الله عليه وسلم وتحمل زوجها على ايذائه
او النميمة فانها توقد نار الخصومة او حزمة الشوك والحسك كانت تحملها فتنثرها
بالليل في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ عاصم بالنصب على الشتم في
جيدها حبل من مسد اي مما مسد اي فتل ومنه رجل ممسود الخلق اي مجدول وهو
ترشيح للمجاز او تصويرها بصورة الحطابة التي تحمل الحزمة وتربطها في جيدها
تحقيرا لشانها او بيانا لحالها في نار جهنم حيث يكون على ظهرها حزمة من حطب جهنم

كالرقود والضريع د في جيدها حبل من مسد في جيدها سلسلة من النار والظرف في موضع الحال او الخبر وحبل
مرتفع به وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة تبت رجوت ان لا يجمع الله بينه وبين ابي لهب في دار واحدة

سورة الاخلاص مختلف فيها وهي اربع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله احد الضمير للشان كقولك هو زيد منطلق
وارتفاعه بالابتداء وخبره الجملة ولا حاجة الى العائد لانها هي هو او لما سئل عنه اى
الذى سألتم عنه هو الله تعالى اذ روى ان قريشا قالوا يا محمد صف لنا ربك الذى
تدعونا اليه فنزلت واحد بدل او خبر ثان يدل على مجامع صفات الجلال كما دل الله
على جميع صفات الكمال والاكرام اذ الواحد الحقيقى ما يكون منزه الذات عن انحاء
التركيب والتعدد وما يستلزم احدهما كالجسمية والتحيز والمشاركة فى الحقيقة
وخواصها كوجوب الوجود والقدرة الذاتية والحكمة المقتضية للالوهية وقرئ
هو الله بلا قل مع الاتفاق على انه لا بد منه فى قل يا ايها الكافرون ولا يجوز فى
تبت ولعل ذلك لان سورة الكافرون مشاقة الرسول صلى الله عليه وسلم او موادعة
لهم وتبت معاتبة عمه فلا يناسب ان يكون منه واما هذا فتوحيد يقول به تارة ويومر
بان يدعو اليه اخرى الله الصمد المصمود اليه فى الحوائج من صمد اذا قصد وهو
الموصوف به على الاطلاق فانه يستغنى عن غيره مطلقا وكل ما عداه محتاج اليه فى
جميع جهاته وتعريفه لعلمهم بصمديته بخلاف احديته وتكرير لفظ الله للاشعار بان من
لم يتصف به لم يستحق الالوهية واخلاء الجملة عن العاطف لانه كالنتيجة للاولى
او الدليل عليها لم يلد لانه لم يجانس ولم يفتقر الى ما يعينه او يخلف عنه لامتناع الحاجة
والفناء عليه ولعل الاقتصار على لفظ الماضى لوروده ردا على من قال الملائكة
بنات الله او المسيح ابن الله او ليطابق قوله ولم يولد وذلك لانه لم يفتقر
الى شىء ولا يسبقه عدم ولم يكن له كفوا احد اى ولم يكن احد يكافيه اى يماثله
من صاحبة وغيرها وكان اصله ان يؤخر الظرف لانه صلة كفوا لكن لما كان المقصود

نفى المكافاة عن ذاته تعالى قدم تقديما للاهم ويجوز ان يكون حالا من المستكن
فى كفوا او خبرا ويكون كفوا حالا من احد ولعل ربط الجمل الثلث بالعطف لان المراد
منها نفى اقسام الامثال فهى كجملة واحدة منبه عليها بالجمل وقرا حمزة ويعقوب ونافع
فى رواية كفوا بالتخفيف وحفص كفوا بالحركة وقلب الهمزة واوا ولاشتمال هذه السورة
مع قصرها جميع المعارف الالهية والرد على من الحد فيها جاء فى الحديث انها تعدل ثلث
القرآن فان مقاصده محصورة فى بيان العقايد والاحكام والقصص ومن
عدلها بكله اعتبر المقصود بالذات من ذلك وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه سمع
رجلا يقرؤها فقال وجبت قيل يا رسول الله وما وجبت قال وجبت له الجنة

سورة الفلق مختلف فيها وايها خمس ايات

بسم الله الرحمن الرحيم قل اعوذ برب الفلق ما يفلق عنه اى يفرق عنه كالفرق
فعل بمعنى مفعول وهو يعم جميع الممكنات فانه تعالى فلق ظلمة العدم بنور الايجاد عنها
سيما ما يخرج من اصل كالعيون والامطار والنبات والاولاد ويختص عرفا بالصبح
ولذلك فسر به وتخصيصه لما فيه من تغير الحال وتبدل وحشة الليل بسرور النور ومحاكاة
فاتحة يوم القيمة والاشعار بان من قدر ان يزيل ظلمة الليل عن هذا العالم قدر ان يزيل
عن العايذ ما يخافه ولفظ الرب هنا اوقع من ساير اسمائه تعالى لان الاعاذة
من المضار تربية من شر ما خلق خص عالم الخلق بالاستعاذة عنه لانحصار الشر فيه
فان عالم الامر خير كله وشره اختيارى لازم ومتعد كالكفر والظلم وطبيعى كاحراق
النار واهلاك السموم ومن شر غاسق اذا وقب ليل عظيم ظلامه من قوله الى غسق الليل
واصله الامتلاء يقال غسقت العين اذا امتلأت دمعا وقيل السيلان وغسق الليل
انصباب ظلامه وغسق العين سيلان دمعها اذا وقب دخل ظلامه فى كل شىء وتخصيصه
لان المضار فيه تكثر ويعسر الدفع ولذلك قيل الليل اخفى للويل وقيل المراد به القمر فانه
يكسف فيغسق ووقوبه دخوله فى الكسوف ومن شر النفاثات فى العقد ومن شر

النفوس او النساء السواحر اللواتي يعقدن عقدا في خيوط وينفثن عليها والنفث
النفخ مع ريق وتخصيصه لما روي ان يهوديا سحر النبي صلى الله عليه وسلم في احدى
عشرة عقدة في وتر دسه في بئر فمرض عليه الصلاة والسلام ونزلت المعوذتان
واخبره جبريل عليه السلام بموضع السحر فارسل عليا رضي الله تعالى عنه فجاء به فقرأهما
عليه فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد بعض الخفة ولا يوجب ذلك صدق الكفرة
في انه مسحور لانهم ارادوا به انه مجنون بواسطة السحر وقيل المراد بالنفث في العقد
ابطال عزائم الرجال بالحيل مستعار من تليين العقدة بنفث الريق ليسهل حلها
وافرادها بالتعريف لان كل نفاثة شريرة بخلاف كل غاسق وحاسد ومن شر
حاسد اذا حسد اذا اظهر حسده وعمل بمقتضاه فانه لا يعود ضرر منه قبل ذلك الى المحسود
بل يخص به لاغتمامه بسروره وتخصيصه لان العمدة في اضرار الانسان بل الحيوان غيره ويجوز ان
يراد بالغاسق ما يخلو عن النور وما يضاهيه كالقوى وبالنفاثات النباتات فان قواها
النباتية من حيث انها تزيد في طولها وعرضها وعمقها كانها تنفث في العقد الثلثة
وبالحاسد الحيوان فانه انما يقصد غيره غالبا طمعا فيما عنده ولعل افرادها من عالم الخلق
لانها الاسباب القريبة للمضرة عن النبي صلى الله عليه وسلم لقد انزلت علي سورتان ما انزل
مثلهما وانك لن تقرأ سورتين احب ولا ارضى عند الله منهما يعني المعوذتين

سورة الناس مختلف فيها وآيها ست آيات

بسم الله الرحمن الرحيم قل اعوذ برب الناس قرئ في السورتين
بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام رب الناس لما كانت الاستعاذة في السورة
المتقدمة من المضار البدنية وهي تعم الانسان وغيره والاستعاذة في هذه
السورة من الاضرار التي تعرض للنفوس البشرية وتخصها عمم الاضافة ثم وخصصها
بالناس ههنا فكانه قيل اعوذ من شر الموسوس الى الناس بربهم الذي يملك امورهم
ويستحق عبادتهم ملك الناس اله الناس عطف بيان له فان الرب قد لا يكون

ملكا والملك قد لا يكون الها وفي هذا النظم دلالة على انه حقيق بالاعاذة
قادر عليها غير ممنوع عنها واشعار على مراتب الناظر في المعارف فانه يعلم
اولا بما يرى عليه من النعم الظاهرة والباطنة ان له ربا ثم يتغلغل في النظر
حتى يتحقق انه غني عن الكل وذات كل شيء له ومصارف امره منه فهو الملك الحق ثم
يستدل به على انه المستحق للعبادة لا غيره وتدرج فيها وجوه الاستعاذة المعتادة
تنزيلا لاختلاف الصفات منزلة اختلاف الذات اشعارا بعظم الآفة المستعاذة
منها وتكرير الناس لما في الاظهار من مزيد البيان والاشعار بشرف الانسان
من شر الوسواس اي الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فبالكسر
كالزلزال والمراد به الموسوس سمي بفعله مبالغة الخناس الذي عادته
ان يخنس اي يتأخر اذا ذكر الانسان ربه الذي يوسوس في صدور الناس
اذا غفلوا عن ذكر ربهم وذلك كالقوة الوهمية فانها تساعد العقل في المقدمات
فاذا آل الامر الى النتيجة خنست واخذت توسوسه وتشككه ومحل الذي الجر
على الصفة او النصب او الرفع على الذم من الجنة والناس بيان للوسواس
او للذي او متعلق بيوسوس اي يوسوس في صدورهم من جهة الجنة والناس
وقيل بيان للناس على ان المراد به ما يعم الثقلين وفيه تعسف الا ان يراد به
الناسي كقوله يوم يدع الداع فان نسيان حق الله تعالى يعم الثقلين عن
النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
المعوذتين فكانما قرأ الكتب التي انزلها
الله تعالى

تم كتابة كتاب انوار التنزيل بعون الله الملك العزيز الجليل الستار على القبيح والمظهر الجميل
وواهب العطايا الجزيل والمفيض بكرمه المنح والعطايا في البكرة والاصيل والله يقول
الحق وهو يهدي السبيل يوم الثلثا ثاني عشر ربيع الاول لسنة ثمانين وتسعمائة